شعبان ١٤١٤هـ - فبراير (شباط) ١٩٩٤

العربي

AL-ARABI · February 1994



الديمقراطية.. إشعاع الكويت الحضاري

عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق

اسرى الكويت والمفقودون في العراق

ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

لجنة الوطنية لشؤون الأسرى وللمفقودين


الاختيار الأنسب

العدد ٤٢٣ السنة السابعة والثلاثون فبراير ١٩٩٤

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارىء للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي
مدير التحرير
انور الياسين

باسست عام ١٩٥٨
راس تحريرها
د احمد زكي (١٩٥٨-١٩٧٥)
احمد بهاء الدين (١٩٧٦-١٩٨٢)

عنوان المجلة

العربي

ص ب ٧٤٨ - الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13008
مبنى وزارة الاعلام رقم (٢) شارع الصحافة - التوسع
تلفون ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢
فاكس التحرير ٤٨٤٢٢٥١
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI

A Cultural Monthly Arabic Magazine
in Colour Published by Ministry of
Information - State of Kuwait.
Issue No. 423 February, 1994.
P.O Box: 748 Al Safat Kuwait.
Tel: 4846163 - 4844164 - 4847582
Fax : 4842251

ترسل الطلبات الى **قسم الاشتراكات - الاعلام الخارجي**
وزارة الاعلام - ص ب ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية او شيك
بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي.
الوطن العربي ٨ د.ك او ٣٠ دولارا باقي دول العالم ١٠ د ك او ٤٠ دولارا
SUBSCRIPTION: ALL COUNTRIES $ 40, OR THE EQUIVALENT

الكويت	٥٠٠ فلس	تونس	١ [illegible]	سوريا	٢٠ [illegible]
الأردن	٥٠٠ فلس	الجزائر	[illegible]	الامارات	١٠ [illegible]
البحرين	٥٠٠ فلس	السعودية	٦ ريالات	المغرب	١٠ [illegible]
مصر	١٢٥ [illegible]	اليمن	٢٠ [illegible]	ليبيا	٥٠٠ [illegible]
السودان	٢٠ [illegible]	قطر	٦ ريالات	أوروبا	[illegible]
موريتانيا	١٢٠ [illegible]	سلطنة عمان	٥٠٠ [illegible]	فرنسا	٢٥ [illegible]
		لبنان	١٥٠٠ [illegible]	أمريكا	٣ [illegible]

PRICE: USA $ 3 - U.K. £ 1.50 - FRANCE 25 FF. OTHER COUNTRIES: THE EQUIVALENT

عزيزي المحرر

مراجعات

من انكسار الأجنحة إلى عودة الديناصورات

□ رئيس التحرير

كان مقالكم «من انكسار الأجنحة إلى عودة الديناصورات» بالعدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣ بمثابة تقييم شامل لأهم الأحداث السياسية والثقافية والرياضية والفنية في العام المنصرم، بكل أشجانه وأتراحه وعثراته.

لقد أكد المقال على أن انكسار أجنحة الكرامة العربية كان السبب وراء تلك التنازلات المتتالية الأشبه بالهزيمة، التي وجدنا أنفسنا فيها بدرجة جعلتنا مدمنين للهزائم، فانبرينا نتحطم أحلاماً، حلماً بعد حلم، بعد أن ضاع من بين أيدينا زمام المبادرة، وجلسنا ننتظر من يقدم ليملي علينا شروط سلامه هو، واستسلامنا نحن.

هل أصبحنا نعيش في ظل عالم منفصل من أنفسنا الروحية، ولم يعد فيه مكان إلا للأهواء والمصالح في ظل ... بعيصة ونفوذ صهيوني مقيت، متأصل في العالم كالسرطان؟.

إزاء ذلك ألا يحق لنا أن نعيد السؤال الأهم ونكرره. متى يفيق العرب من هذا السبات الطويل؟ متى يعود لهم ذلك الدور الريادي السابق الذي كان أسلافهم قد ساروا عليه طويلا.. متى يحدث ذلك متى؟

عبدالله عوض كرار

بلاد النوبة ـ أسوان

جمهورية مصر العربية

قلعة ماسادا

□ رئيس التحرير

استطاع د.هيثم الكيلاني في مقاله المهم «قلعة ماسادا اليهودية.. الأسطورة والوهم» بالعدد ٤٢٠ نوفمبر ١٩٩٣ فضح وتعرية الكتابات التاريخية اليهودية التي تستخدم في تضليل الرأي العام العالمي وكسبه إلى صفهم.

وهذا ما يدعوني إلى التوجه عبر العربي بنداء إلى الحكومات والمؤسسات العربية لبذل جهود إعلامية قوية، لمواجهة زيف الادعاءات الصهيونية، ليس في وطننا، بل في الولايات المتحدة وأوروبا حيث مناطق النفوذ الصهيوني، فالحرب مع العدو التاريخي لم تعد تجرى هنا، بل هناك، فقد كان تجاهلنا لتلك الحقيقة سببا في الخسارات المتتابعة.



محمد مرتضى

جامعة تشرين ـ سوريا

رائحة الشمس

□ .. رئيس التحرير

عندما قرأت قصة «رائحة الشمس» للدكتور محمد المخزنجي المنشورة ضمن القصص القصيرة بالعدد ٤١٦ يوليو ١٩٩٣ عشت تفاصيل ذلك الوضع الساحر الذي أغرق فيه الكاتب وجهه في قطع الغسيل التي جمعت بعد العصر، باحثا فيه عن رائحة أمه، لقد تهت في دوامة من العبق الساحر وأنا أغمض عيني على دموع أمي وأعيش فرح السنين الماضية، عندما كنت صغيرة، أعيش حنان الأم، وذهبت بعيدا، بعيدا، ووجدتني عن بعد أشتم رائحة عطر أمي في غسيلها، وأشكر د.المخزنجي الذي جعلني أعيش لحظة من لحظات سحر عطر أمي.

رائدة سليمان

اللاذقية ـ سوريا

د واقتراحات

حيث اللسان غريب

□ رئيس التحرير

في البلاد البعيدة، حيث اللسان غريب، وكذلك الثقافة والأدب واللغة، أنتظر العربي من شهر وآخر.

وحين غادرت وطني إلى هنا «الولايات المتحدة» كنت أحمل بضع نسخ من هذه المجلة الجامعة العريقة، ما زلت أطالعها بين حين وآخر، وأحاول الحصول على العدد الجديد الذي يصدر كل شهر، فأفلح حينا وأحيانا أخرى لا أتمكن من العثور عليه.

لذلك أكتب لكم من أجل اعتباري مشتركا في العربي التي تساهم كثيرا في إزالة ذلك الشعور القاتل بالغربة الذي يجتاحني دائما.

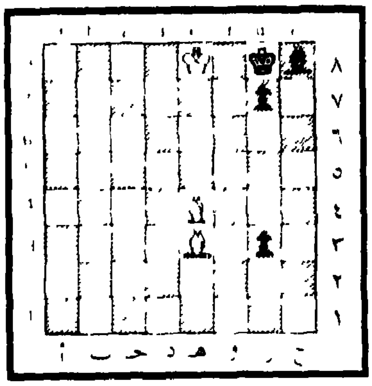
محمد أبوعين
BLUEMEADOW ٣٩١١
HOUSTON TX 77039 U.S.A

□ رئيس التحرير

أسعى منذ فترة للحصول على الأعداد القديمة من العربي، لذا أتوجه بنداء للقراء الذين يمتلكون نسخا إضافية من الأعداد الصادرة منذ عام ١٩٥٨ وحتى أغسطس ١٩٩٠ لتزويدي بها مع استعدادي التام لسداد القيمة وتكلفة البريد.

حمد الغريب
القصيم - بريدة
ص ب ٤٣١٠١ - السعودية

الفيل المقلوب



للصديق ثامر إبراهيم عصام الدين - المنوفية/ مصر.. وللعديد من الأصدقاء الذين أرسلوا يستفسرون عن سبب وضع الفيل في أعلى (ح٨) في العدد ٤٢١ ديسمبر ٩٣ فقد كان ذلك حتى يتنبه القارىء إلى أن الأسود إنما اتجاهه إلى أعلى، ووقع خطأ مطبعي في الحل المنشور خاص بالنقلة الثالثة للأبيض هي (ز٦) بدلا من (ح٦)..

تأمل العربي من الكتّاب المصريين الذين نُشرت مقالاتهم في المجلة، الاتصال بالمركز الإعلامي الكويتي ١٠٦ ش قصر العيني، مبنى كايرو سنتر، وذلك لتسلم مكافآتهم.

كارثة ثقافية

□ .. رئيس التحرير

كان غياب العربي بسبب الغزو الغاشم للكويت بمثابة كارثة حقيقية لكل عشاق الثقافة الجادة والشاملة، وكانت عودتها فرحا لنا وبهجة، نحن الذين ننتظرها من شهر إلى آخر.

إنني من هذا المنطلق أدعوكم للاهتمام أكثر بإفريقيا، التي تضم مدنها الكبيرة عددا لا بأس به من الناطقين بالعربية، ومن أبناء المسلمين الذين يتوقون لتعلمها. إن العربي تساهم كثيرا في مساعدتنا لتعليم هؤلاء تعاليم ديننا الحنيف ومبادىء اللغة العربية.

عمر الفاروق إمام
المدرسة الرشادية الإسلامية
كوماسي - غانا

حوار

القارىء عمر ديري
دمشق - سوريا

أهلا بك قارئا لمجلة العربي ومتابعا لما ينشر فيها، وكل أملنا أن تنال المجلة رضاءك ورضا قرائها الأعزاء في كل مكان، فذلك هو ما نصبو إليه.. أما بخصوص ملاحظاتك التي أوردتها والخاصة بموضوع «أبوخليل القباني ومسرحه الغنائي الذي أحرق مرتين» والمنشور في العدد رقم ٤٢٠ لشهر نوفمبر ١٩٩٣، فإن الصحيح فيما يتعلق باسم الكاتب هو «القلعة»، وفيما يتعلق باسم مشرف رقص السماح، فالصحيح هو «صالح الجذبة». شاكرين لك دقة ملاحظاتك وحسن متابعتك.

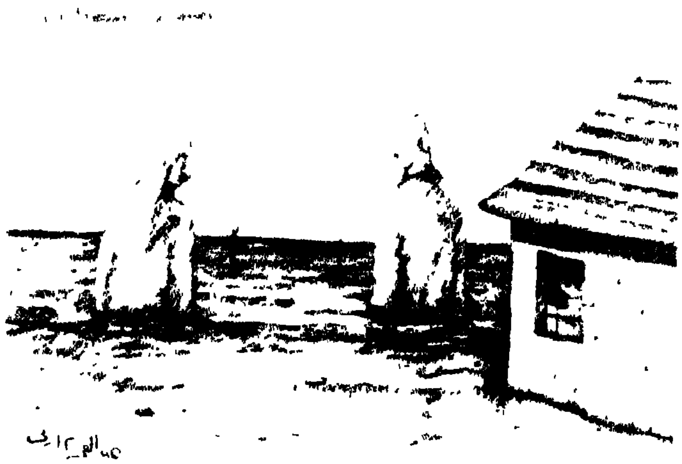
(المحرر)

عـــزيـــزي المحـــرر

...عات سريعة

الأصدقاء: عبده البدري «الحرمه / السعودية» يمكنك إرسال ما تكتب على نفس العنوان، حافظ الشروي «جنيف / سويسرا» تستطيع الاتصال مباشرة بدور النشر للحصول على الكتب التي تطلب، محمد عجوم «حلب / سوريا» اقتراحك محل نظر شكرا لك، عثمانو ثياو «نواكشوط / موريتانيا» ونحن أيضا نرحب بك ونتمنى ألا تنقطع العربي عن الوصول إليك في المرات القادمة، نزار ياسين محمد «نجران / السعودية» نحن نشر عرضا للكتب التي تصلنا في «مكتبة العربي» ولا نملك مع الأسف نسخا إضافية لتحقيق طلبات القراء، فوزي لبزة «الوادي / الجزائر» من الأفضل لك الاتصال بأصحاب الشأن مباشرة من المهتمين بالهندسة المعمارية، عادل الكيلاني «المرج / الجماهيرية الليبية» شكرا على الثقة واقتراحك محل دراسة، مراد زعرارة «مدنين / تونس» يسرنا نشر إسهامك ولكن اقتراحك مؤجل حاليا، خالد محمد «كييف / أوكرانيا» للاشتراك في العربي راجع الصفحة الثالثة من هذا العدد، شريف عبدالحكيم «... / مصر» أهلا وسهلا ... تكتب

وتـــريـــات



ليتنـــا

يا صغاري
عندما كنا صغارا مثلكم كنا ننام
هكذا بين تراتيل الحمام
في مآقينا أهازيج السنابل
وبأيدينا قناديل من الحلوى
وورد وبلابل

***

عندما كنا صغارا
كم سرقنا القمر الفضي من كف المساء
كم رشفنا الماء كالبللور من قوس قزح !
كم ركضنا في بساتين الفرح !

***

ليتنا عدنا كما كنا صغارا
لم نصادر خطوة الشمس، ولم نلهث على الدرب انتظارا
لم نشاهد أملا يذوي، ووجها مستعارا
وقلوبا يتلظى الحقد فيها
آه ما أصعب أن تثقب بالرمش جدارا !!

***

ليتنا عدنا كما كنا صغارا
نتملى زرقة البحر ونلهو
دون أن نشعر أن الطعن في الظهر قريب
دون أن تلسعنا كف صديق أو حبيب
دون أن نبصر هذا الواقع المتخوم بالعهر
وبالحقد العجيب □

محمود مفلح
نجران ـ السعودية



صورة الغلاف:

□ الديمقراطية.. إشعاع الكويت الحضاري

طالع الإستطلاع [٣٦ ـ ٥٠]

مكاتب العربي

الكويت - وزارة الإعلام
مبنى وزارة الإعلام رقم ٢ شارع الصحافة ـ الشويخ
ص ب ٧٤٨ - الصفاة - الرمز البريدي 13008
هاتف ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢
فاكس التحرير ٤٨٤٢٢٥١
جمهورية مصر العربية ١٠٦ شارع قصر العيني ـ مبنى كايرو سنتر الطابق الخامس ـ القاهرة ـ فاكس: ٣٥٥٤٩٠٦
هاتف ٣٥٦٢٨٢٢ ـ ٣٥٤٦٨٦٩
المملكة العربية السعودية جدة، ص.ب ٤٥٥٦ رمز بريدي ٢١٤١٢
الجمهورية العربية السورية دمشق. ص ب ٣٣٣٠ تلكس. ٤١٩١١٧٢، هاتف ٣٣٧٥٦٠. فاكس ٣٣١٠٧٩

محتويات العدد:



□ وجهـا لــوجــه :
ـ د.شـاكـر الفحـام
وجـان الكسـان [ص ٦٨]



□ سيناء بين شظف الصحراء
وانتظــار ميـــاه النيـل
[ص ١٠٦]



□ ليلــة ولــد الإســلام

[ص ٧٤]

منتدى العربي:

تاريخ وتراث واشخاص :

مكتبة العربي:

ابواب ثابتة:



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



□ لكي تنجح المرأة.

[ص ١٦٩]

عزيزي القارىء

غيـــاب لا حيلـة فيـــه

عزيزي القارىء ..

« . هذا وقد طال غياب مجلة العربي علينا منذ الاعتداء الظالم من العراق على الكويت حيث انقطعت عنا، وبعد تحرير الكويت اطلعت على بعض أعداد منها في القاهره وباريس وتونس منذ مدة لأنها لا تباع في الجزائر، ويتعذر علينا الاشتراك فيها لصعوبة تحويل العملة الصعبة نظرا لظروف الجزائر التى تقرأون عنها..».

سطور قليلة من رسالة مطوله بعث بها إلينا الدكتور تركي رابح عمامرة أستاذ ورئيس مجلس البحث العلمي بجامعة الجزائر المركزية، وهي واحدة من عشرات الرسائل والفاكسات والمكالمات الهاتفية التي ترد إلى المجلة من هذا البلد الشقيق تسأل عن الأسباب التي تمنع توزيع المجلة في الجزائر، وبقدر ما يسعدنا هذا الاهتمام فإنه يمسنا بالحزن، لأننا عاجزون بسبب ظروف لا حيلة لنا فيها عن الوصول إلى قراء أعزاء على القلب، فالعربي وهي تواصل مسيرتها بعد ثلاثة أعوام من التحرير، مازالت تسعى إلى هدفها الأساسي وهو الوصول إلى كل بيت عربي كحرء من رسالة الكويت الثقافيه، ومن دينها لأمتها العربية، ولكن يبدو أن تداعيات العدوان العراقي الغاشم مازالت تترك آثارها، فالحرب لم تطل أرواح البشر وأموالهم فقط ولكنها طالت أيضا نفوس القراء المتعطشين إلى المعرفه، وما يقوله أستاذ الجامعة عن عدم توافر العملات الصعبة يثير أسئلة حول بعض الأنظمة العربيه العتيده فهي تبدد الأموال الطائلة لصفقات السلاح، وتبخل بالدراهم على توفير الزاد الثقافي للآلاف من أبنائها، ولا تدري هذه الأنظمة وهي تواجه موجات الإرهاب والتطرف أن التهديد والقمع والسلاح وسائل غير مجدية في مثل هذه الحالة، وأن مطبوعة كمجلة العربي تفتح كل شهر نوافذها على الفكر الإنساني والحوار العقلي الخلاّق، هي أجدى من كل ضروب الأمن التي تحيط بها هذه الأنظمة نفسها.

إن العربي تعد قارئها وبقية قرائها في الجزائر أنها سوف تحاول للمرة الثالثة والرابعة حتى تجتاز هذه الحواجز التي تفرضها بعض الأنظمة العربية بإقامتها، خاصة وهي تحتفل الآن مع شعبها العربي في الكويت بعيد التحرير الثالث والعيد الوطني الثالث والثلاثين، ومع شعبها الإسلامي بقرب مقدم شهر رمضان المبارك أعاده الله علينا بالخير.. ووسط هذه المناسبات فإن العربي تواصل دورها التنويري لتلقي الضوء على تجربة الديمقراطية على شواطىء الخليج في الكويت، وتوجه في حديث الشهر خطابا عقلانيا إلى الأمة العربية حتى تخرج من نفق الخلافات المظلم، ثم ترحل إلى بقعة عربية غالية من أرض سيناء شهدت هي أيضا عدوانا ودمارا واحتلالا دام لسنوات وهي تستعد الآن لإقامة أهم مشروع تشهده مصر بعد السد العالي، ثم تقدم زادا دينيا وروحيا في ذكرى هذا الشهر الكريم الذي فرضه الله جهادا للنفس وضد كل نوازع التعصب والتطرف. إن العربي تتمنى أن يسود العالم الإسلامي المنهك سلام حقيقي فتتوقف المذابح في فلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك والصومال وكشمير، وأن تجف أنهار الدم الإسلامي التي تجري بلا طائل، وتواصل العربي جهادها من أجل تنوير العقل كما أن شهر رمضان هو تنوير للروح.□

«المحرر»

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

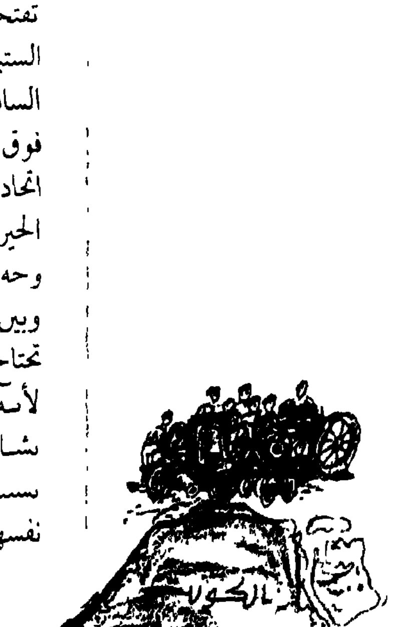
حتى لا تموت فاطمة مرة أخرى

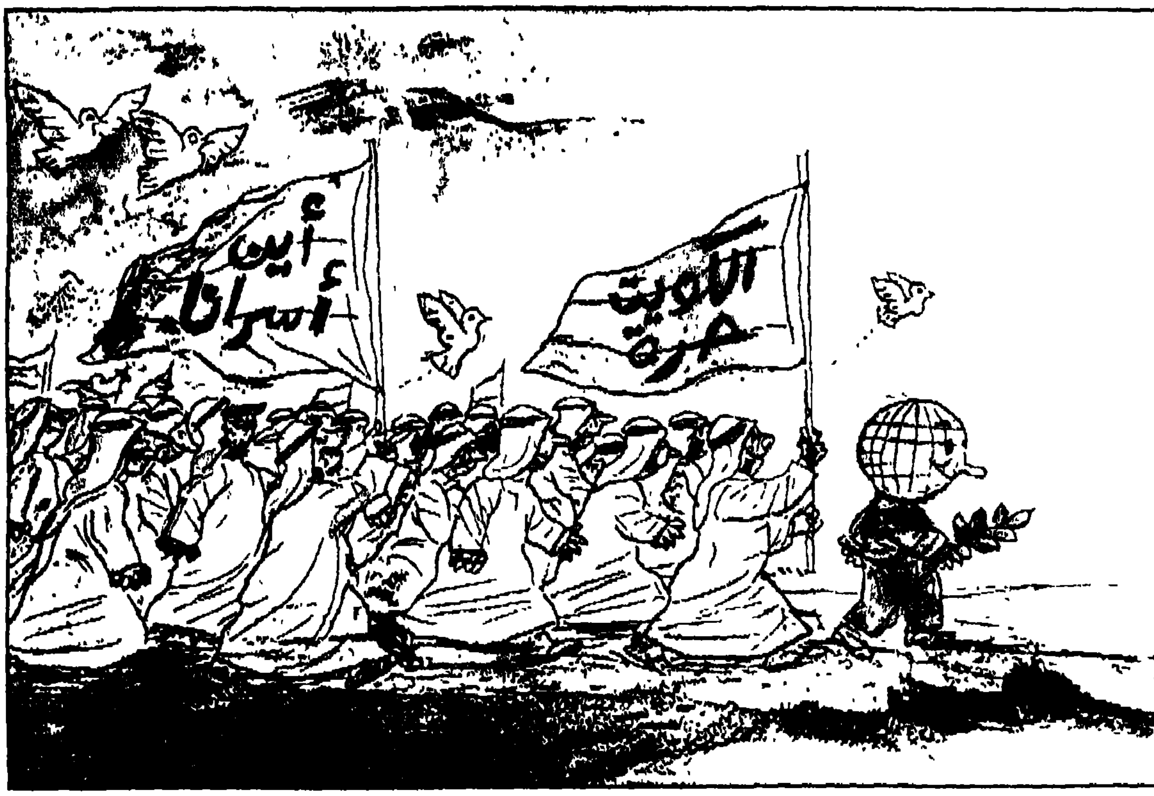
تأملات وأحزان بعد ثلاث سنوات من التحرير

سوف أحدثكم عن فاطمة، فرغم مرور سنوات ثلاث على مرارة الغزو وفرحة التحرير لم تترك ذاكرتي.

لم تكن فاطمة عبدالقادر الفتاة التي تهتم بما يخبئه المستقبل، فهي وقد تفتحت عيناها على حياة سهلة، توفر لها - ما توفر لأقرانها - في كويت الستينيات من دعة واستقرار وأمل بالمستقبل. فها هي تلتحق بالمدرسة منذ السادسة وتنتقل من فصل إلى آخر في سهولة ويسر، يؤهلها لذلك ذكاؤها فوق المتوسط، وعندما احتازت إلى الجامعة كانت شعلة متوقدة من النشاط في اتحاد الطلبة، وتحول هذا النشاط بفيض من نفس مرهفة إلى بعض الجمعيات الخيرية. وجدت نفسها تهتم بالجانب الأضعف من المجتمع والمعوقين على وجه الخصوص، ولم تجد أن هناك تناقضا بين عملها كمدرسة للغة الإنجليزية وبين نشاطها الاجتماعي، بل لقد يسرت لها الوظيفة والراتب الذي لم تكن تحتاج منه الكثير أن تكون أكثر نشاطا في المجال الاجتماعي، لم تفكر بالزواج، لأنه قادم ولا شك، كانت فقط تنتظر الرجل المناسب. فوق ذلك كله فإن نشاطها في الجامعة وما قبلها وحتى في جمعية المعلمين التي انضمت إليها بسبب عملها لا غير.. كان كل ذلك بعيدا عن السياسة، وفجأة وجدت نفسها وسط أتون السياسة.. بل وفي الجانب المظلم والمعتم منها.

فقد استيقظت في اليوم الثاني من أغسطس ١٩٩٠ على حركة غير عادية لم تتبين كنهها. وكعادتها في صباح الإجازة كانت تذهب إلى الجمعية الخيرية التي تقضي فيها وقتها الصباحي، وفي الطريق استرعى انتباهها على غير العادة طابور من السيارات، غير السيارات التي اعتادت أن تراها كل صباح، ذات لون بني لم تألفه على السيارات العسكرية، لم تكن فاطمة وقتها تفرق بين ناقلة الجنود أو العربات المصفحة





■ افاقت فاطمة على وعي جديد بأن وطنها محتل وأن كل الخيارات أمامها مرة.

كانت فقط تعرف شكل الدبابات لكثرة ما شاهدتها في الأفلام الحربية التي تعرضها الشاشة الصغيرة، لم يسعفها ذكاؤها لتتبين ما يحيط بها، حتى وصلت إلى قرب أحد مداخل المدينة فاستوقفتها ثلة من الجنود، أحست لأول وهلة أنهم جنود من وطنها وتكلم أحدهم بلهجة آمرة أن تعود من حيث أتت، وتبينت من تلك اللهجة أنها عراقية.

منذ تلك اللحظة وقد أفاقت فاطمة عبدالقادر على وعي جديد بأن وطنها محتل، وأنها أمام خيارين أحلاهما مر، أن تخضع للاحتلال وتعيش تحت الخوف المضاعف الذي يفرضه على نفسها وأسرتها المكونة من والد ووالدة طاعنين في السن، وأخوات وإخوة يعيشون متسترين في أحياء المدينة، أو تترك بيتها ووطنها إلى أرض أخرى.

بعد مراجعة للنفس قررت فاطمة أن تأخذ منحى آخر.

لن تعرّض أسرتها وأخواتها لخطر لا تستطيع رده، ولن تغادر وطنها أيضا، ولكنها سوف تقوم بالدور الذي يفرضه عليها إحساسها بالواجب الإنساني، وانخرطت بعد أيام من احتلال وطنها، وبعد مرور الصدمة الأولى، في مجموعة من الأصدقاء والصديقات من أجل المقاومة، ليست السلبية فقط وإنما الإيجابية أيضا، فبعد تشاور مع الأصدقاء ومعرفة ردود الفعل التي كانت تأتي من الخارج بدا كأن العالم كله يصحو من الذهول عربا وأغرابا، وأن بلادا مسالمة وصغيرة كبلدها لا يمكن أن تلغى من الجغرافيا والتاريخ بنزوة ديكتاتور متسلط، وتتراكم في الأجواء نذر مقاومة على المستوى الدولي والإقليمي وفي الجوار.

بدأت فاطمة مقاومتها بطريقتها الخاصة، وهي أن تواصل عملها الإنساني

ء المعوقين الذين التزمت برعايتهم. كان الموقف مرعبا.. فقد رحل معظم الأطباء والممرضين وانقطعت إمدادات الأدوية والغذاء، وبدت هذه المخلوقات عاية في التعاسة، فقد تخلى عنها كل الذين تعودت أن تعتمد عليهم. فهي لا تستطيع أن تطعم نفسها.. أو تنظف نفسها.. وتولت فاطمة هذا الأمر هي ومجموعة من صديقاتها.. بدأت تنقل الطعام والأدوية وأدوات التنظيف. وتداوم الاتصال بالأطباء وتحافظ على الإنارة والمياه وتدفع الجنود العراقيين المتلصصين وتخبيء كل ما تعتقد أنه جدير بالسرقة بواسطة جنود الاحتلال. كان هاجسها الأساسي هو ألا تدع هؤلاء المعوقين يذوون من الإهمال ويدفنون في صمت عجزهم. وفي الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٠ أوقفتها مجموعة تفتيش حول أحد المحاور، واكتشفوا معها كمية كبيرة ومتنوعة من الأدوية والأطعمة المحفوظة. وكان أول ما بادر إلى أذهان الجنود أنها تنقل هذه الأشياء لرجال المقاومة، لم يقبلوا منها أي عذر، ولم يقتنعوا بأي مبرر، وكانت الأدوية في نظرهم لا تقل خطورة عن الأسلحة المهربة. وهكذا اقتادوها إلى أحد مراكز الاعتقال، ولابد أن التحقيق كان قاسيا ومريرا. فبعد ثلاثة أيام أخذوها إلى منزلها وهي بين الحياة والموت، ودعوا أبويها وجيرانها إلى الخروج من المنزل.. وعلى مرأى منهم ومن بقية أهالي الحي شدوا فاطمة بملابسها الممزقة إلى أحد أعمدة النور، وتقدم ثلاثة من الجنود ومزقوا جسدها بالرصاص تحت أعين الجميع.

كان الجميع شهودا على مجزرة هذه الفتاة. وكانوا يعرفون كيف بذلت من ذات نفسها من أجل الآخرين، لذا كانت قتلتها مروعة مثيرة للفزع والخوف.

■ الاحتلال مرض يصيب الجميع برذاذه القاتل ويشوه النفس البشرية.

العراق ونزيف الخسائر

لماذا أتذكر هذه القصة الآن، ولماذا سوف أظل أتذكرها ؟

ليس فقط لمجرد إثارة العاطفة أو للتباكي على مصير هذه الفتاة التعسة التي تولاها الله برحمته، ولكن لأن حكايتها هي تجسيد حي لمرض الاحتلال.. اغتصاب أراضي الآخرين وبيوتهم تحت وطأة الاحتلال.. وهو مرض يشوه الجميع ويصيب برذاذه القاتل أعماق النفس الإنسانية. فكل الفظاعات التي ارتكبها جنود الاحتلال، سواء أثناء الحكم النازي أو في الأراضي العربية المحتلة أو أثناء الغزو العراقي للكويت، تجعل الجنود يتصرفون بوحشية أكثر من حد احتمال النفس البشرية. وبعض الجنود يظلون يعانون من كوابيس هذه الأعمال لفترات طويلة.. وهكذا نجد أن الجلاد وضحيته في حاجة ـ معا ـ إلى العلاج، فالإحساس بالذنب والخوف المبالغ فيه من الضحية. وإحساسه بأنه قد تحول إلى قوة قاهرة تنزع الأمان عن الآخرين. كل هذا كفيل بأن ينزع الأمان من نفس المحتل ويحول تصرفاته إلى أشبه بالتخبطات الحيوانية بعد أن افتقدت المنطق الإنساني.

ولن نستطيع تجنب تكرار مثل هذه المآسي إلا بتحكيم



■ من الذي أوصل أسعار النفط إلى الحضيض.. دول الخليج أم النظام العراقي نفسه؟

لعقل وتوجيه النقد القاسي إلى النفس قبل أن يوجهه إلى الآخرين. ولعلنا نتساءل ـ حتى لا يحدث ما حدث مره أخرى ـ ما الذي دفع النظام العراقي للقيام بالغزو؟ . إنه سؤال لا يبدو قديما كما يتبادر إلى الذهن.. فقد تكشفت الصورة الآن، وزالت كل مبالغات الانفعال لتترك الفرصة للحقائق الباردة كي تعبر عن نفسها، هل كانت حقا دوافعه هي ما زعمه النظام من أن الكويت ـ وبقيه الخليج ـ قد زادوا من إنتاجهم النفطي بحيث أوصلوا أسعار النفط إلى الحضيض؟ وهل كان هدف النظام ـ كما زعم ـ هو إعادة توزيع الثروة؟

قبل وقوع الاحتلال مباشرة، أوردت وكالة رويتر تقريرا مهما عن خسائر العراق في الحرب العراقيه الإيرانية، وكانت حملتها حوالي ١٥٠ بليون دولار، ثمن الأسلحه والذخائر، وبلغ الاقتراض العراقي الخارجي «غير العربي» ٣٥ بليون دولار، ومثل الاقتراض العربي من السعودية والكويت رقما مماثلا

وكان على العراق أن يعطي ذلك الثمن الباهظ الذي تستهلكه آلته العسكرية، لذلك فقد قرر أن يرفع مستوى إنتاجه النفطي إلى أعلى سقف ممكن للانتاج، وقد أعطته الأوبك حصة عاليه تبلغ ٨ر٢ مليون برميل يوميا تحت مبرر احتياجاته الشديده، ولكن الطاقه التصديريه العراقية وقتها كانت تصل إلى الضعف تقريبا وتتراوح بين ٤ ـ ٥ر٤ مليون برميل يوميا، وفي ظل هذا السباق المحموم للإنتاج هبطت الأسعار إلى أدنى مستوى لها.

وبعد انتهاء الحرب مع إيران واجه العراق أزمة من نوع جديد، هي عودة آلاف المجندين وتوقف عمليات التنمة وهروب الاستثمارات الأجنبية، وكان التحدي الذي يجب أن يواجهه هو إحداث نقلة نوعية في إدارة الاقتصاد تكفل له حسن استخدام الموارد، بحيث تنتقل الدولة من الاقتصاد العسكري إلى المدني، ولكن هذا الأمر لم يكن مقبولا من وجهة النظر السياسه، فقد كان مطلوبا لتحقيق ذلك نوع من الانفتاح السياسي والتعددية وتخفيف قبضه الديكتاتورية بحيث يمكن كسب ثقة المستثمرين الخارجيين وأن يستعيد القطاع الخاص عافيته، وكل هذا يعني في نهاية الأمر فقدان السلطه على حد تصور النظام الحاكم، وكان هذا هو المستحيل بالنسبة له.

وليست الحرب فقط هي التي أحدثت كل هذه التشوهات في بنيان الاقتصاد العراقي، فالنظرة الأحادية للديكتاتورية جعلت كل الاحتمالات تسير في الاتجاه الخاطىء بحيث دفعت البلاد إلى حافة الهاوية.

فقد كان عدد سكان العراق عام ١٩٧٠ حوالي ٥ر٩ ملبون نسمة، وارتفع حسب إحصائيات ١٩٨٧ إلى أكثر من ١٦ مليونا بزيادة قدرها ٣ر٣ ـ ٥ر٣٪ سنويا وهي واحدة من أعلى النسب في العالم، وكان جزء من الدوافع وراء هذه الزيادة سياسيا، فقد شعر النظام أن كبر حجم السكان هو الاتجاه الأفضل لتلقيم ماكينة الحرب، وكأن القضية في نهاية القرن العشرين هي قضيه عدد وليس نوعية، وتحول الأمر من منع تعدد الزوجات بموجب قانون إلى إباحة هذا الأمر وتحبيذه بواسطة قانون آخر.

وفي مواجهة هذه الزيادة في عدد السكان لم يكن في خطط النظام العراقي أي نية لتطوير الإنتاج أو تنويع النشاط الاقتصادي، بل إن المؤسسة العسكرية لعبت دورها المدمر في إهدار الطاقات العراقية، حيث أفرغت الطاقات المؤهلة

التعليم من كفاءتها وقدرتها على كسب المهارات وشنت الحروب غير المبررة التي تقضي عمليا ونفسيا على ملكات التعلم المهني لدى الأفراد.

وهكذا نمت في مخيلة النظام العراقي أوهام أوصلته إلى أن دخوله الكويت هو الحل الوحيد لكل مشاكله المتفاقمة، أو أنه البديل الواقعي للأزمة الاقتصادية والسياسية الطاحنة التي يواجهها، حتى أن سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء العراقي في ذلك الوقت تحدث إبان الاحتلال العراقي للكويت عن «القدرات الاقتصادية الهائلة التي أصبح العراق يمتلكها بفضل الاحتلال».

هكذا بدأت الكارثة بمثل هذه التخيلات المرضية.. وتواصلت وراء الإضرار الأعمى من دمار البنة الأساسية إلى حريق النفط إلى نزيف البشر دون أي مراجعة للنفس حتى هذه اللحظة.

ولن أركز هنا على الخسائر المادية التي منيت بها الكويت وهي كثيرة، ولا الخسائر النفسية والاجتماعية التي أصيب بها أفراد الشعب وهي جسيمة، ولكن لنر المسألة في إطارها الأوسع في تلك الخسارة الاقتصادية والسياسية التي أصابت معظم البلدان العربية بسبب هذا الغزو.

■ بدأ الغزو بتخيلات مرضية وتواصل بأضرار من دمار البنية الأساسية إلى حريق النفط

العالم العربي وخسائره الباهظة

تفيد تقارير صندوق النقد الدولي أن خسارة البلاد العربية من جراء الاحتلال العراقي للكويت بشكل مباشر أو غير مباشر تفوق قيمتها ٦٥٠ بليون دولار، أو ما يكفي لبناء ٢٥٠ مليون منزل تسع ملايين الأسر العربية، وهذا المبلغ يعادل قيمة كل الأموال العربية المستثمرة في الخارج.

لقد أدت هذه الخسائر إلى تداعيات كثيرة دفعت الأوضاع الاقتصادية إلى الوراء وخلقت في البلاد العربية ضغوطا مالية أدت إلى تباطؤ النشاط الاقتصادي بشكل عام والاستثماري بشكل خاص، وأصبحت المنطقة العربية بالنسبة إلى العالم الخارجي وفق المنطق الاستثماري منطقة «ذات مخاطر» والتنمية فيها غير مأمونة، ووضعت ظلال من الشك حتى على العملة العربية حيث بدأت بعض البنوك وأسواق المال العالمية في التحفظ على التعامل بها.

وقد تأثرت دول بعينها بأيام الاحتلال الطويلة، فحسب تقرير البنك الدولي فإن مصر وحدها قد انخفضت مواردها من النقد الأجنبي عام ١٩٩١ بنسبة ٣٠٪ دفعة واحدة من جراء فقد التحويلات النقدية الخارجية، بجانب انخفاض إيرادات السياحة وقناة السويس.

وقد بلغ إجمالي خسارة مصر ولبنان والأردن وسوريا وفلسطين المحتلة حوالي ٢ر٤ بليون دولار، بسبب عودة مليوني عامل إلى بلادهم من النشطين اقتصاديا، فما بالك بالعدد الكلي للعائلات المختلفة.



هذا هو الجانب المنظور فقط من الخسارة، غير أن هناك جوانب أخرى غير قابلة للحساب والتقدير، فقد اهتز هيكل النظام العربي، وأصيبت العلاقات العربية ـ العربية إصابات مباشرة، وحلقت في سماء المنطقة ظلال الشك والتخوف والحذر، ولقد كشفت أزمة الخليج ضمن ما كشفت عن هشاشة

النظام الأمني العربي وطفولة اتخاذ القرار السياسي المصري، وجعلت المنطقة برمتها نهبا لأطماع الآخرين.



ماذا أخذت التجربة من الكويت ؟

ربما كان هذا رصدا مطولا لنزيف الخسائر الذي ما زال مستمرا، وكان من الممكن أن نتجنب مثل هذا الرصد المؤلم لو أن خالقي الأزمة والمتسببين فيها قد راجعوا أنفسهم ووجهوا إليها بعضا من النقد الذاتي، وكان من الممكن الرثاء لحالة العراق الذي ما زال يعيش تحت حالة الحصار لولا إصرار قادة نظامه على ممارسة نفس الأساليب الديكتاتورية الشرسة، فهو ما زال حتى الآن لا يعترف بوجود الأسرى الكويتيين لديه، قبل ذلك لم يعترف أيضا بوجود الأسرى الإيرانيين، كأنما لا يكفيه ملايين العراقيين المعتقلين تحت قبضته، وما زال يراوغ في الاعتراف بترسيم الحدود العراقية / الكويتية الذي أقرته الأمم المتحدة، وما زالت التضاريس العراقية وشعاب الجبال تكشف عن المزيد من مخابىء الأسلحة الكيمياوية.. وبالتالي ما زال الحصار متواصلا.

وإذا كنا قد ألقينا هذه النظرات المطولة على كل ما يحيط بهذه الأزمة وملابساتها التي ما زالت آثارها مستمرة، فإن الحديث يستلزم أيضا نظرة مطولة وتحليلية على البيت الكويتي من الداخل، وعلى آثار الأزمة وتداعياتها. إنها آثار بعضها واضح غاية الوضوح وبعضها رابض تحت الجلد الكويتي الذي التهب وسط أتون الأزمة، وما زال يعالج جراحها حتى الآن.. ولعل السؤال الذي يفرض نفسه الآن على الجميع هو: ماذا أخذت منا التجربة . وماذا أبقت؟

سؤال حائر يدور في أذهان أهل الكويت بعد سنوات ثلاث من عمر التحرير وداثما ما تبقى هذه الأسئلة التي تتعلق بالمصير والهوية والانتماء تحيط بها الحيرة فهي ترسم ملامح الكويت ـ الدولة، والكويت ـ الانتماء، والكويت ـ الناس وكل ملمح من هذه الملامح يثير إشكالية خاصة.

فالكويت ـ الدولة تعودت دائما أن يكون دورها السياسي أكبر من حجمها الجغرافي. وما يحدث الآن هو محاولة لتقويم طموح هذا الدور إزاء واقعية الحجم والبحث عن الخطأ الكامن في نسبة المبالغة في هذا الأمر. وكما قال سمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في إحدى خطبه: «لكي تكون خطواتنا نحو أهدافنا ثابتة، فعلينا أن نتوخى الواقعية، وأن ندرك حجمنا، وأن تكون طموحاتنا في حدود قدراتنا حتى لا نصاب بخيبة أمل، وأن تكون تطلعاتنا في حدود إمكانياتنا حتى لا نشعر بالإحباط، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه». فهل تعود الكويت إلى زمن الدولة ـ الديرة حيث كانت الأمور أكثر بساطة وأقل تعقيدا؟ أم عليها أن تظل تمارس الدولة ـ الدور بكل ما يحمله هذا الأمر من تبعات؟.

والكويت ـ الانتماء عملت دائما على أن تكون وسيطا وعاملا مهدئا بين كل الخلافات العربية ـ العربية، التي كثيرا ما تثور ونادرا ما تهدأ. وها هي الآن تجد نفسها رغما عنها طرفا في واحدة من أشد هذه الخلافات مرارة. فهل يمكن أن تصمد جراحها وتعلو على آلامها وتعود إلى زمن التوازن مهما كان

■ علينا ان نتوخى الـواقعيـة وان ندرك حجمنا وان تكون طموحاتنا في حدود قدراتنا حتى لا نصاب بخيبة امل.

■ هل يمكن للكويت أن تتنفس ريح الديمقراطية الطيبة دون أن تحرق أصابعها في رمصانها المحرقة؟

حرجا.. وكيف يتأتى لها أن تتجاهل أنه على حدودها الشمالية يربض حاقد وطامع لا يريد أن يستمع إلى صوت العقل رغم كل ما أريق من دما وما احترق من آمال؟.

والكويت ـ الناس ألفت ريح الديمقراطية مهما كانت لافحة، فلا يكفي ذلك البرلمان الذي أقرته جموع الناخبين تحت اسم مجلس الأمة، ولكن تجربتها الديمقراطية تمتد إلى عشرات البرلمانات الصغيرة التي تأخذ كل ليلة شكل «الديوانيات»، ويكون للمناقشات التي تدور فيها نفس التأثير الذي يحدثه البرلمان الكبير على صانع القرار.. وفي كل هذه المنتديات لا يطرح الناس أسئلتهم حول مؤسسات الدولة الحاضرة فحسب، ولكن النقاش يمتد أيضا ليشمل كل المؤسسات المستقبلية التي كان طموح الكويت أن تنفذ من خلالها إلى عالم الغد.

فهل يمكن أن تتنفس الكويت ريح الديمقراطية الطيبة دون أن تحرق أصابعها في رمصانها المحرقة؟

أسئلة حائرة. الإجابة عنها لا تستدعي الراحة المؤقتة أو اليقين الزائف بقدر ما تسعى إلى سبر أغوار الحقيقة، مهما كانت قاسية على النفس.

الكويت تغيرت

هل تغيرت الكويت كثيرا؟ وهل استطاعت أن تستعيد ملامحها القديمة؟.

سؤال أواجهه كلما سافرت إلى الخارج في مؤتمر أو ندوة علمية، وهو سؤال يحمل أحيانا نوعا من محاولة الاطمئنان، وأحيانا يكمن في طياته نوع من التشفي الخفي وتكون الإجابة بعد ثلاث سنوات من الغزو: «لقد تغيرت.. ولم تتغير.» لأنه لا شيء يعود لسابق عهده القديم.

في كل مكان بالكويت توجد شعاران.. الأول هو شعار فرحة التحرير «الكويت حرة»، والثاني شعار ما زال يعبر عن آثار الحزن الإنساني الذي مازال باقيا هو «أين أسرانا؟» . وما بين الشعارين تعيش أزمة من انعدام الثقة لا يبدو أنها سوف تنتهي بسهولة.

فعلى المستوى الخارجي ما زال النظام العراقي يواصل تهديداته واختراقاته للحدود. ولاتزال أصداء أجهزته الإعلامية تصم آذان أهل الكويت وأشقائهم العرب وعلى امتداد الساحة الدولية تؤكد أطماعها وتواصل تهديدات العودة إلى الغزو من جديد.. آلة جهنمية مشحونة بكل نوايا الشر والعدوان موجهة ضد شعب صغير ورقعة ضيقة من الأرض تحاول أن تنزع أمنها الخاص ليلا ونهارا.

وعلى المستوى الداخلي هناك افتقاد لروح العمل الجاد الذي ولدته ظروف الاحتلال في نفس الإنسان الكويتي. فخلال هذه الأيام العصيبة لجأ آلاف من الكويتيين إلى العمل اليدوي، وسرت بينهم درجة عالية من روح التعاون والاندفاع إلى العمل التكافلي والتطوعي، وكان الهدف الأساسي من وراء هذا هو الإبقاء على درجة «تشغيل» الدولة والدفاع عن الوجود والبقاء ضد محاولات التغيير والطرد إلى الخارج. إن هذه الروح التي كانت طفرة ونقطة أساسية قد ربطت تلك الأجيال الحالية بروح الماضي البعيد عندما كان أهل

الكويت ينزعون رزقهم من ركوب الخطر مسافرين بعيدا في مراكبهم الشراعيه أو غوصا في أعماق الخليج.

هذه الروح مهدده بالضياع وفي ظل مشاعر الخوف والتوتر تمتد آثار الصدمه كي تقضي على كل ما هو إيجابي والذي يمكن أن تخلفه أي تجربة إنسانيه مهما كان ثمنها فادحا.

ولا يمكننا إنكار أن المستوى الاقتصادي الذي تعوّد عليه أهل الكويت والوافدون بها قد تغير بعض الشيء، فبالإضافة إلى فاتورة الحرب الباهظه، وكلفة إعادة البناء فإن إنتاج النفط لم يعد بعد إلى مستواه الطبيعي قبل الغزو، ولم تعط الأسعار المردود المتوقع منها، ولكل هذا تأثيره الحاد على عمل الدولة وعلى نظرتها للمستقبل. إن تقرير صندوق النقد الدولي يدعو الكويت إلى تخفيض الرواتب وزيادة أسعار الوقود ووضع أسعار للخدمات التي تقدمها الدولة بالمجان مثل الصحه والتعليم والاتصالات، ولكن الحكومة لا تريد أن تلجأ إلى هذه الوسائل الآن، على حد التعبير القائل «إننا نستطيع أن نقتطع من الدهن، ولكن كيف يمكن أن نمس العظم؟»، وهذا ما دعا سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح إلى اتخاذ إجراءات فعالة قال عنها: «لقد تم تكليف الجهات المختصة بإعداد دراسه وافية للوضع الاقتصادي في البلاد لمواجهة العجز في ميزانية الدوله مع مراعاة الظروف المعيشية لأصحاب الدخل المحدود، ولإنعاش الاقتصاد الوطني واسترداد عافيته».

فهل يمكن أن نعود مرة أخرى لنجيب عن سؤال: هل تغيرت الكويت؟.. إنها نفس «الديرة» العزيزة ذات التوجه العربي الأصيل ولكنها تعاني من جروح غائرة كثيره وهي تحاول أن تتغلب عليها، وربما تستطيع خلال هذا أن تعيد اكتشاف نفسها وأن تواصل الإجابة عن الأسئلة الصعبة المطروحة عليها

■ الروح الايجابية التي تولدت في نفوس اهل الكويت أثناء الغزو مهددة بالضياع.

ريح الديمقراطية الساخنة

تطرح الديمقراطية نفسها كقضية ساخنة على الساحة الكويتية.. وفي كل الأوقات كانت هذه التجربة تكتسب سخونتها من حرارة الجو ومن الاختلاف في الآراء والاجتهادات في الرؤى ولكن من يراقب تجربة مجلس الأمة الحالي الذي يحمل الرقم سبعة والذي تم انتخابه منذ أكثر من عام تقريبا يكتشف أن درجة السخونة بالغة الارتفاع هذه المرة.

إنها مسيرة طويلة أخذت جذورها من تراث الحكم العربي الرابض في هذه المنطقة. وإذا كنا نتمسك أحيانا بالمصطلح العربي الذي يتحدث عن حكم الشعب بالشعب، فإن الديمقراطية في الكويت تستمد الكثير من





■ مبدأ تبادل الحوار في الكويت له اقراره في ضمير الحاكم والمحكوم لأنهما اسرة واحدة.

أصولها من مبدأ الشورى الإسلامي. وهو الأمر الذي يبرر كثيرا عوامل نشأتها . وربما يوضح أيضا الدروب التي سارت فيها فيما بعد.

ففي أتون محنة الغزو العراقي للكويت وبين أخبار تحركات الجيوش والأساطيل وصرحات القتال برزت الديمقراطية كقيمة أساسية ومستقلة أيضا فعلى مدى يومين وفي الفترة من ١٣ إلى ١٥/ ١٠/ ١٩٩٠ اجتمع ما يزيد على ٤٥٠ شخصية قيادية كويتية، فكرية واجتماعية واقتصادية وإدارية في مؤتمر شعبي في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، ليعلنوا تمسكهم بالشرعية الدستوريه وليضعوا معا تصورا لبناء كويت جديده

كان هذا المؤتمر الذي عقده الأمير وولي عهده مع هذه الشخصيات الكويتية المختارة بمثابة عقد جديد، يعيد إحياء كل التعاقدات السابقة التي أبرمت بين حكام الكويت وشعبها.. يعلن الأولون تمسكهم بطريق الديمقراطية والشورى، ويؤكد الآخرون تمسكهم بالشرعية والدستور ويعود هذا التقليد إلى حوالي ٧٠ عاما إلى الوراء مع بذور الديمقراطيه الأولى. عندما تنادى كبار التجار والأعيان في الكويت في فبراير من عام ١٩٢١ إلى اجتماع للنظر بشأن المشاركة الشعبية في إدارة شئون بلادهم، لقد أصدروا وثيقة أشبه «بالماجنا كارتا» الإنجليزية تحدد هذه العلاقة بين الأمير ورعيته، وتمخض عنها قيام أول مجلس للشورى عام ١٩٢١ وتبعه قيام المجلس التشريعي عام ١٩٣٨، ثم تلته التجربة الديمقراطية الحديثة.

هذا التقليد الكويتي أثبت أنه ما زال مرعيا حتى وسط أحلك الظروف وهو اليوم يؤكد نفسه من خلال هذه المناقشات الساخنة التي تتعرض لتداخل السلطات ومحاسبة الوزراء ومناقشة الاستثمارات الكويتية في الخارج ومهما شطت هذه المناقشات فقد أثبتت تجربة الطائف أن أساس فكره الشرعية الدستورية راسخ في أعماق النخبة الكويتية،وأن مبدأ تبادل الحوار ـ ولو كان ذلك بالصراخ أحيانا ـ له إقراره في ضمير الحاكم والمحكوم لأنهما أسرة واحدة

جرح العلاقات العربية

«لقد حطموا الجامعة العربية، وزادوا الفرقة، وأبعدوا المصالحات. وقبل أي مصالحات كان يجب أن نحل مشاكلنا ولم نفعل شيئا من ذلك حتى الآن»

هذه بعض كلمات الشيخ صباح الأحمد النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الكويتي، وأقدم وزير خارجية عربي لقد عاش الرجل كل المحن العربية وكان عاملا للوساطة في معظمها، ولكن محنة الوطن الكويتي كانت أمرّها على النفس، لأنها حولته إلى طرف متشابك لا يقدر كرّ الليالي على مداواة جروحه.

فلم تشق قضية الكويت الوطن العربي فقط، ولكنها شقت المنطق العربي والعقل العربي أيضا. فلم يتعرض العرب في تاريخهم الحديث إلى قضية بهذا الوضوح والحسم، ومع ذلك لم تكثر البلبلة والشكوك والاختلافات حول قضية مثلما كثرت حول هذه القضية

ومشكلة الكويت أن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس، فقد اكتشفت أن العديد من الدول العربية التي طالما وقفت معها في نفس الخندق



سحت تقف صدها، وأصبح عليها أن تضع تسمية جديدة للوطن العربي سمه إلى نصفين: نصف الـ «مع»، ونصف «الضد». وهي تسمية لم يرض نهـا الكثير من المثقفين الكـويتيين الذين كـانـوا يودون بشـدة عبـور نفق أزمة المظلم، ولكن أحدا لم ينر شمعة هادية حتى الآن.

لقد كـانت أصوات الشعب الكويتي والإدارة الكويتيـة متشددة في أول أمر، كانت تصر على أن تقدم كل دول الضد اعتذارا رسميا وواضحا عن ل مواقفها إبان الأزمة، وفي وقت لم يقـدم فيه أي من الأطراف نقدا ذاتيا، ما بالك بالاعتذار؟

بعـد ثـلاث سنـوات خفت حـدة التشـدد، وبـدأ البحث عن معـايير وضـوعة لعـودة هذه العـلاقات، فقد طـالبت الحكومـة الكويتيـة هذه دول التي اختلفت عنهـا بـالاعتراف فقط بكـل القـرارات السبعــة العشرين التي أصـدرتها الأمم المتحـدة، بما في ذلك قرار تـرسيم الحدود ينها وبين العراق. وقـد عبّر عن هذا الموقف سمو ولي العهـد مرة أخرى عندما أكد أن الكويت قـادرة على تجاوز مواقف هذه الدول التي انحازت لنظام العـراقي «إذا أكدت تأييدها ودعمهـا لقرارات مجلس الأمن ذات لصلة بـالعدوان العراقي الآثم على الكـويت بما في ذلك القرار رقم ٨٣٣ لخاص بترسيم الحدود الكـويتيـة العـراقية، وطـالبت العـراق بـالتنفيـذ لكــامل لجميع تلك القــرارات وإطــلاق ســراح الأسرى والمرتهين الكويتيين. أما أولئك الذين ما زالوا على تأييدهم الأعمى للنظام العراقي ضد الكـويت رغم انكشاف حقيقتـه العدوانية وثبـوت بطلان مـزاعمه، واتضاح طبعتـه الإجرامية، فإن الشعـب الكـويتي لن ينسى إساءتهم ولن يتجـاوز مواقفهم المشينـة». والكويت عـندما تفعل ذلك لا تطـالب فقط بالحق الذي أقرته أكثـر من ١٥٠ دولة من دول العالم، ولكنها تسعى أيضا لتضميد الجراح العـربية التي طـال نزيفهـا، فهي تدرك أنها جـزء من هذه الأمة جزء من «عزيه» رشدها بعـض من رشد هذه الأمة، أمـا الغواية فإن تسها يكون دائما باهظا.

فاطمة.. وبقية «الفواطم»

فاطمة الكـويتية العربية يجب ألا تُغتال مـرة أخرى. لا في الكويت ولا في أي عاصمـة أو مدينـة أو قرية عـربية. وعلينا أن نتعـامل مع خلافـاتنا العـربية بـوعي وعقـلانيـة حتى لا يتكـرر هـذا الأمـر، وحتى نـوقف الاغتيالات اليومية التي تتعـرض لها «فواطم» الأرض الفلسطينية المحتلة وفـواطم الشعب العراقـي. هاحس الكـويت أنها عـربية ولها دور عـربي مصرة عليه، وراغبـة فيه، وساعية نحـوه، وهي على استعداد لأن تتحمل أعباء هذا الـدور ولكنها تطالب الآخرين أيضـا بأن يساهموا معها في رفع الأحمال العربية . وما أثقلها.☐

محمد الرميحي

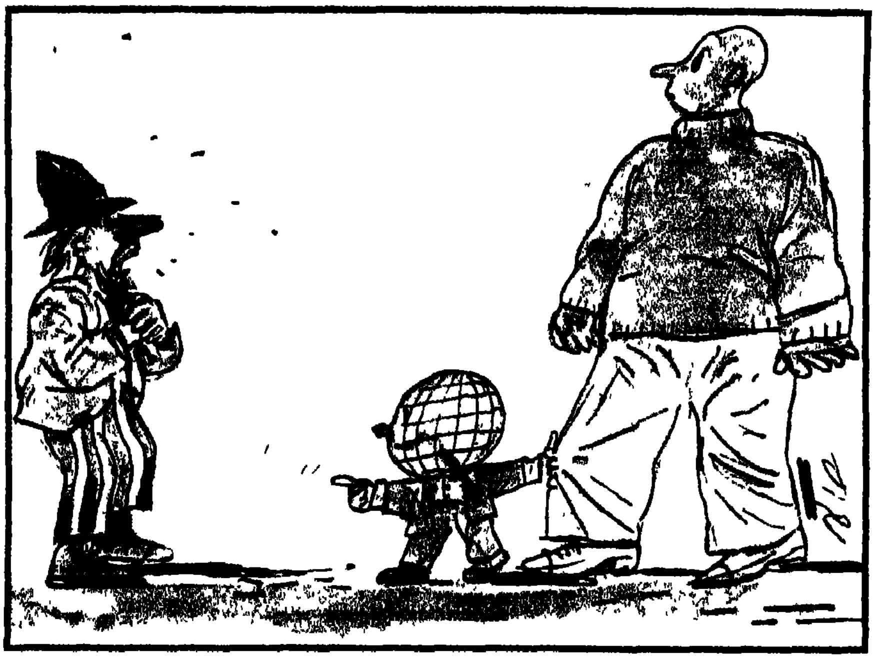
ذكــريات الأمــس هبــت

شعــر: عبدالعــزيــز سعــود البــابطين*



دكــريــاب الأمــس هبّت
هـجّت بـالنفس نـاري
وتعـــالى في فـــؤادي
وهز قلبي واصطـــاري
لفّني عمـــري بطينـــا
بين شـــوق وادّكــــار
ومصيـــــا لفـــراق
صـــار طـــلاّ لانتظـــاري
حسنـــا أنـــاّ عشقنـــا
- رمــز الوصــل - بـدار
لست آنســاهـــا وعشقي
ســـوف يبقى كســـار
شعلـــــة الحب أصيبت
وسـط ديـــــاك المرار
وستبقـى مــــا بقينـــا
ومضى نجـم بــالمســار
حسبـــا أنـــا وفيـــا
نخلص الـــودّ.. نُــداري
رغم بعـــد مــزّقتنـــا
نـــوب جـــاءت لثـــار
نُـــوب تعصف طـــوراً
كـأعـــاصير القفـــار
ثم طـــوراً تحتـــويني
تحتـويني كـــالسوار
هكــذا العمــر تـــوارى
علّتي من ذا يــــواري
ذكـــريـاتي حين هـــاجت
هيجّت بـالنفس نـاري□

* شاعر ورجل أعمال من الكويت وصاحب جائزة البابطين الأدبية



العملاق الأوربي

هل يتأجل مولده؟

بقلم: الدكتور سامي منصور

كان العالم ينتظر مولد العملاق الأوربي خلال التسعينيات من هذا القرن حتى يحدث التوازن ولا يبقى عملاق واحد على القمة. ولكن يبدو أن مولد هذا العملاق سوف يتأجل، فما هي أسباب ذلك ومن أين يولد العملاق الجديد؟.

إن خلو مقعد العملاق الثاني بعد انهيار الاتحاد السوفييتي قد فتح الباب أمام عدد محدود من الدول لإمكانية شغل المكان. إذ إن بقاء عملاق واحد على القمة أمر بالغ الخطورة على الاستقرار العالمي. فانفراده بالقمة يجعل من إرادته هي القانون ويصبح القانون الدولي مجرد كلمات وذكريات. وقد شهد العالم عبر تاريخه مثل هذا الوضع وإن لم يكن كثيرا. وأبرز أمثلته ما عرف بالسلام الروماني والسلام البريطاني وهو تعبير سياسي عن هيمنة دولة واحدة على القمة والخضوع لإرادتها هو السلام. صحيح أنه لم يحدث في أي وقت من التاريخ أن كانت تلك الدولة بلا منازع أو طامع في المنافسة ولكن الغلبة كانت لها. وقد واجه العالم الكثير من المعاناة بسبب انفراد دولة واحدة بالقمة. ولعل البعض يذكر كلمات الزعيم نهرو في أعقاب الحرب العالمية الثانية بأنه إذا لم يكن هناك الاتحاد السوفييتي لكان علينا أن نخلقه. وكانت يومها توجد مخاوف من انفراد الولايات المتحدة بالقمة إلى أن قام السوفييت بكسر الاحتكار الأمريكي للسلاح الذري ثم أصبح العملاق الآخر. ورغم المشاكل العديدة التي واجهت دول العالم نتيجة ذلك الانقسام على أساس أيديولوجي بين الشيوعية والرأسمالية والمنافسة بين العملاقين على السيطرة ومد النفوذ إلى بقاع الأرض فإن ذلك باليقين والذي تؤكده محصلة تجارب البشرية أفضل من وضع هيمنة دولة واحدة على القمة.

وإيمان العالم بهذه الحقيقة كان من أكبر عوامل البحث عن البديل للعملاق المفقود بل ومحاولة دفع البعض ليتقدم لشغل المقعد الخالي. وكانت الدول المرشحة لذلك المقعد هي ألمانيا واليابان والصين. ولم يكن الترشيح مجرد

مثل هذه الدولة أو تلك أو هو مجرد البحث عن البديل، بل كان نتيجة ما حققته كل من هذه الدول من إنتاج ونمو حتى أصبح لها وزن يصعب اتخاذ موقف أو سياسة في العالم دون الرجوع إليها بشكل أو بآخر. وأصبحت لكل منها مصالح عالمية تفرض أن تشارك هذه الدول في السياسات العالمية وأن يكون لها دور حلال الأزمات، بل إنه أحيانا ما كان العالم يلجأ إلى واحدة من هذه الدول أو كلها أو بعضها حلال الأزمات.

وقد لعبت عوامل كثيرة لتجعل من ألمانيا المرشح الأول لشغل المقعد الخالي، ومن أبرز هذه العوامل توحيد ألمانيا بعد تقسيم دام حوالي ٤٦ عاما، والأهم هو خطوات التوحيد الأوروبي والتي بدأت بدول ست حتى أصبحت ضعف ذلك وتنتظر أن تتسع لتشمل بقية دول القارة لتصبح الولايات الأوروبية المتحدة.

أوروبا.. لماذا؟

وأصبحت أوروبا الموحدة سواء كانت ألمانيا على قيادتها أو من بين دولها هي المرشح الأول لشغل المكان. وكان وراء ذلك التفضيل أو الاختيار عدد من العوامل أهمها:

أولا: الدور العالمي الذي تقوم به أوروبا. وهو وإن كان امتدادا لدورها الاستعماري القديم إلا أنه في النهاية ليس عزلة أو انغلاقا على النفس. وقد ساعدها على ذلك وجود دولتين منها هما فرنسا وبريطانيا في مجلس الأمن من أصحاب الفيتو الخمسة.

ثانيا: التاريخ الحضاري والثقافي لأوروبا كان يثير بريقا في كثير من دول العالم وخاصة أن معظم دول العالم لم تكن تعرف كثيرا عن حضارة العمالقة المرشحين الآخرين. وكثير من أبناء الدول الأخرى تعلم في أوروبا أو تعلم لغة من لغاتها.

ثالثا: الوحدة الأوروبية والتي كانت تبدو أملا مستحيلا فإذا بها تتحقق وخاصة بعد مؤتمر بروكسل آخر أكتوبر ٩٣، الذي كان أول قمة بعد التصديق على معاهدة الوحدة الأوروبية. وهو المؤتمر الذي قرر إنشاء بنك مركزي أوروبي في فرانكفورت بألمانيا وإن كانت مسألة العملة الأوروبية الموحدة قد تأجلت حتى قبل نهاية القرن بعام أي ١٩٩٩.

رابعا: إن أوروبا بكل المعايير في ظل الوحدة تعتبر هي [illegible] العملاقة فهي من حيث السكان تحوي ٣٤٥ مليون [illegible] مقابل ٢٥٣ مليونا في الولايات المتحدة و١٢٤ مليونا في اليابان، خاصة أن الصين مشروع مازال في مرحلة الإنشاء، بل إن الدخل القومي في أوروبا الموحدة يبلغ ٦٫٩ مليار دولار مقابل ٥٫٩ مليار في الولايات المتحدة، وهو في اليابان ٣٫٩ مليار. بل إن صادرات أوروبا هي الأكبر فهي تبلغ ٥٦٥ مليار دولار مقابل ٤٤٨ مليارا في الولايات المتحدة بينما في اليابان تبلغ ٣٣٠ مليار دولار.

وهكذا تجمعت كل العوامل لتجعل من أوروبا المرشح الأول لشغل منصب العملاق الآخر الشاغر بينما كان غيرها مشغولا بمشاكله أو على الأقل لا يريد أن يبدو وكأن له طموحا في دور دولي.

وأصبح هناك انطباع عام وخاصة في الإعلام العالمي



بأن موضوع شغل أوروبا لذلك المقعد العملاق هو مسألة وقت فقط وأن هذا العملاق قادم بسرعة قبل أي عملاق آخر.

مشاكل بحجم أوروبا

وفجأة بدأت تبرز على السطح مجموعة من المشاكل كانت في البداية مجرد مشاكل تبدو طبيعية مقارنة بحجم أوروبا وعدد دولها ولكن الأيام كشفت أن الأمر أكبر من ذلك وأنها بالغة العمق والكثافة بحيث لم تهدد فقط دور العملاق الأوروبي القادم بل إنها باليقين قد أجلت مولده على الأقل حتى تنتهي حقبة التسعينيات. وكانت البداية في بروز الحروب العرقية والتي كان البعض يتصور أنها توأم دول إفريقيا أو آسيا ولكنها بعيدة عن أوروبا حيث الحضارة والثقافة!، التي انبهر بها الكثيرون فإذا بالغطاء يرفع عن عقل بالغ التحجر وثقافة تخلفت عن الركب.

المسألة ليست مجرد الحرب العرقية في البوسنة وذلك وقف المححل من دول أوربا تجاه ذلك الصراع خاصة بريطانيا وألمانيا وفرنسا بل إن تلك الحرب نعت أستار الحرج عن النوى الكامنة في المجتمعات أوربية وبدأت الحرب العنصرية صد الأجانب في ألمانيا فرنسا وخاصة أبناء العالم الإسلامي ثم غيرهم من أجانب بعد دلك. وأصبحت هناك دول عديدة في وربا تواجه مخاطر التقسيم لأسباب عنصرية ومن هذه دول اليونان وإيطاليا وقد انقسمت بالفعل دولة تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين والقائمة مازالت تحمل الكثير ن المفاجآت!!

وأضيف إلى دلك تصاعد الأزمة الاقتصادية بعد أن فقدت التجربة الألمانية بريقها ودخلت في دائرة التحذير لمخاطر. فقد توقف نمو الاقتصاد الألماني منذ نهاية العام ١٩٩١، وبدأت دورة الانكماش لأول مرة في تاريخها حتى بلغ معدل الانكماش في العام الماضي ـ ١٩٩٣ ـ ٢٪.

ولم تكن ألمانيا وحدها التي تواجه الكساد بل إنه امتد إلى فرنسا وغيرهما من دول أوربا حتى أصبحت المسألة ظاهرة سوف تستمر لأعوام وليست مجرد مرض عارض.

وقد ظهر أن البطالة في دول السوق الأوربية ـ الموحدة ـ قد وصلت إلى ١٩ مليون عاطل أي حوالي ١١٪ من القوى وكانت النسبة في عام ٩٢، ١٠٪ وهو أعلى معدل بطالة تشهده أوربا منذ ١٩٨٥، بينما نجد أن ذلك المعدل في الولايات المتحدة رغم كل الصراخ والشكوك في حدود ٧٪، أما في اليابان فهو لا يزيد على ٣ر٢٪ فقط وهو أقل معدل بطالة في الدول الصناعية في العالم بينما تكاد لا تكون هناك دولة حققت مثل هذا المعدل أو أقل.

والغريب أن تكون الوحدة الألمانية والتي كانت الحلم المستحيل وحين تحقق تصور البعض أنها سوف تكون أكبر عوامل انطلاق أوربا بقيادة ألمانيا فإذا بالوحدة الألمانية تدخل ألمانيا في دائرة المشاكل الاقتصادية والمالية المعقدة حتى أن هناك من يقول إن ما كان يعرف بألمانيا الشرقية قد تعود إلى الانفصال عن ألمانيا ولكن من خلال الانتخابات هذه المرة نتيجة الوضع الاقتصادي..!.

الصادرات في انخفاض

حتى ما كان ميزة لأوربا وهو ضخامة صادراتها أخذ في الانكماش حتى أنها فقدت ٢٠٪ من حجم صادراتها خلال عشرة أعوام. والمهم أنه في الوقت الذي نجد العالم يسير فيه بخطى سريعة نحو التكنولوجيا المتقدمة نجد أن أوربا بدأت تفقد مكانها في هذا المجال. ودليل ذلك من خلال أرقام صادرات التكنولوجيا المتقدمة فهي تزيد بمعدل ٢٪ بينما واردات أوربا من تلك التكنولوجيا المتقدمة تزيد بمعدل ٧ر٧٪ سنويا أي أن التوازن في غير صالح أوربا.

وكان يمكن اعتبار تلك المشاكل مجرد أمراض تحتاج إلى علاج لولا أن الدراسات الأوربية العلمية تقول إن إنتاجية العامل الأوربي قد أصبحت أقل من معدلها في الولايات المتحدة واليابان، فإنتاجية العامل ترتفع سنويا في أوربا بمعدل ٥ر٢٪ بينما هي في الولايات المتحدة ٥ر٣٪ أما اليابان فهي تزداد بمعدل ٦ر٤٪ سنويا.

والغريب أنه في الوقت الذي تواجه فيه إنتاجية العامل هذا المرض وهو انخفاض الإنتاجية إذا بالأرقام تقول إنه أعلى تكلفة. ويعتبر العامل الألماني أعلى العمالة الأوربية تكلفة وتأتي بعد ذلك بقية دول أوربا، والنتيجة الطبيعة لهذه الظاهرة هي هروب الصناعات الأوربية التقليدية من أوربا إلى غيرها، ورأس المال لا يعرف لغة السياسة بل لغته هي الربح والإنتاج. وإذا استمر الوضع على هذا الحال فإن أوربا سوف تواجه كارثة اقتصادية.

ويضاف إلى ذلك ارتفاع معدلات التضخم حتى أنه يصل في اليونان مثلا إلى ١٤٪ وهو أعلى معدل تضخم بأوربا وتأتي البرتغال بعدها بمعدل ٩٪ بينما الدانمرك أقلها جميعا بمعدل ١٪ فقط.

وذلك كله يعني باختصار أن الوضع الاقتصادي في أوربا في حالة انكماش تعبيرا عن أزمة اقتصادية حقيقية. وكلما ازدادت الأزمة حدة تركت آثارها على الوضع الاجتماعي.

وتزداد المشكلة تعقيدا بظهور آثار انهيار الاتحاد السوفييتي على الوضع العالمي حيث انتهت الحرب الباردة واختفت مبررات جوهرية للتوتر العالمي، وإن كانت قد بقيت المشكلات الإقليمية من صراعات عنصرية أو أزمات حدود ورغم كثرتها فإنها غير قادرة على استيعاب حجم الإنتاج الحربي الهائل في دول أوربا والولايات المتحدة. ولذلك فقد واجهت الصناعة الحربية في هذه الدول انخفاضا في حجم مبيعاتها وهو ما ترك آثارا على اقتصاديات هذه الدول خاصة أن الصناعة الحربية كانت تلعب دور المحرك السريع لدورة الاقتصاد.

وأمام محدودية السوق بعد الحرب الباردة وغياب الاتحاد السوفييتي دخل حلفاء الأمس في منافسات، أحيانا تكون غير شريفة لكسب الأسواق للإنتاج الحربي. وكانت النتيجة على حساب بعضهم البعض. وأبرز نموذج على ذلك تلك الأزمة الحادة التي تواجه صناعة

السلاح في فرنسا، وزحف حالة الكساد إلى صناعة السلاح في بريطانيا. وليس هناك شك في أن صناعة السلاح تقدر ما كانت تفقد اقتصاديات هذه الدول من الكساد سوف يساهم تدهورها في تصاعد معدل الأزمة الاقتصادية في كل دولة من ارتفاع معدلات البطالة والتضخم.

والظاهرة الأخرى التي لابد من الوقوف عندها هي أنه رغم طول فترة التحالف بين دول أوروبا وتعدد المؤسسات والمظاهر التي تجمعهم في كل مجالات النشاط فإنه قد بقي دائما عدم اتساق هذه الدول على سياسات واحدة تجاه العديد من المشاكل فتتعدد السياسات الخارجية بعدد الدول الأوروبية وخاصة الرئيسية وهو ما يعتبر من أكثر عوامل عرقلة مولد العملاق الأوروبي.

ويكفي توضيحا لهذه الظاهرة الغريبة أن نرى أمثلة للمشاكل التي اختلفت حولها السياسات بل وأحيانا تناقضت المواقف والمصالح. وأبرز هذه المشاكل هو مسألة دعم الحاصلات الزراعية فنجد أنه في الوقت الذي تم صلب فيه أوروبا مع الولايات المتحدة إلى حل وسط لهذه المشكلة التي هددت واشنطن بسببها أن تدخل في حرب تجارية مع أوروبا الحليف الاستراتيجي حتى الأمس. فإذا بفرنسا تعلن إصرارها على استخدام حق الفيتو في داخل السوق الأوروبية لمنع الموافقة على ذلك الحل وانتقلت الأزمة من إطار العلاقات الأمريكية الأوروبية إلى داخل أوروبا نفسها. وهناك الخلاف بين دول أوروبا على أسلوب معالجة محنة دولة البوسنة وإصرار بريطانيا على استمرار حظر السلاح إلى البوسنة رغم عدوان الصرب الواضح والعنصري أمام عدسات التلفزيون الأوروبي بينما انقسمت الآراء حول استخدام سلاح طيران حلف الأطلنطي في ضربات حيوية على الصرب مما أدى إلى شلل أوروبي في مواجهة عدوان بات الشاغل وفي قلب أوروبا نفسها بينما القارة تقف عاجزة عن العمل. وهو ما تكرر وإن كان بدرجة أقل في الصومال والصراعات بين الفصائل المتحاربة ودور القوات الدولية في الأزمة.

والواضح أن أحد أسباب هذا الانقسام الذي يشل الإرادة الأوروبية هو طول اعتماد دول أوروبا لسنوات طويلة على الدور الأمريكي والقرار الأمريكي فمنذ الحرب العالمية الثانية والدمار الذي لحق بأوروبا وعجزها بإمكاناتها وحدها عن إعادة البناء على الأقل بسرعة فقد تدخلت واشنطن لإنقاذ أوروبا من خلال مشروع مارشال لإعادة البناء بعدما تدخلت بقواتها لإنقاذ أوروبا من النازية وقد منح ذلك الوضع واشنطن مجموعة من الامتيازات سواء كانت مكتوبة أو وليدة الشعور بالحاجة الأوروبية إلى الدعم الأمريكي.

وصحيح أيضا أن واشنطن لم تكن تأخذ القرارات منفردة من حيث الشكل بل كانت تحرص قبل إعلان أي قرار على أن تتشاور مع الحلفاء بأوروبا ثم تعلن القرار وهي في الواقع لم تكن في انتظار الموافقة بل يكون القرار عادة قد أخذ طريقه نحو التنفيذ وذلك باستثناءات محدودة مثلما حدث في مواجهة العدوان الثلاثي ـ بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ـ على مصر ١٩٥٦ حين اتخذت أمريكا موقفا واضحا كان هو آخر سطر في تاريخ الإمبراطورية البريطانية بعد أن غربت عنها الشمس.

في انتظار ـ واشنطن

وتعودت أوروبا مع مرور السنين على أن يكون هناك قرار من واشنطن وان تكون المسئولية الأولى هناك في البيت الأبيض حتى أن الولايات المتحدة حين ظهرت عندها بوادر الأزمة الاقتصادية في منتصف السبعينيات دعت



ـبا إلى أن تتحمل قدرا من أعباء الدفاع عن أوربا لتحديد تكاليف وجود القواعد والقوات الأمريكية أوربا . ومنذ ذلك الوقت وواشنطن تطالب أوربا ـريد من تحمل أعباء الدفاع عن العالم الغربي وهو ليس ـط في الإطار الحربي بل بالمعنى الاستراتيجي الشامل ـتكن اوربا تملك غير القبول حتى ولو لم يكن ذلك ـ هواها

وحينما انتهت الحرب الباردة وانهار الاتحاد السوفييتي ـي كان وجوده العامل الأساسي في قبول أوربا للهيمنة ـمريكية على القرار الأوربي وكان هو حجر الأساس في ـوقف الأمريكي بقبول التضحيات من الأعباء للدفاع ـن أوربا وبدأت الروابط الشداد تتراخى. ولم تكن ـربا سريعة الحركة بالقدر اللازم لمواجهة المتغيرات ربما ـدم تصديق أن الروابط الأوربية الأمريكية يمكن أن ـقطع أو بحكم التعود تركت القرار في ذلك لواشنطن ـلم تدرك مدلول كلمات النقد الحادة للرئيس الأمريكي ـلينتون لموقف أوربا في محنة البوسنة، والتي كانت تعبيرا ـن ظاهرة جديدة آخذة في النمو وهي رفع يد واشنطن ـن أوربا على الأقل في بعض المشاكل وخاصة إذا كانت ـوربية وأنه قد حان وقت "فطام" أوربا عن أمريكا.. !.

وجاء خطاب الرئيس كلينتون في سياتل ـ ١٩ نوفمبر ٩١ ـ ليضع علامة أخرى لعلها أوضح وأبرز العلامات ـربما كانت منحنى على طريق العلاقات الأوربية لأمريكية وتغييرا استراتيجيا في السياسة الخارجية لأمريكية وقد كان ذلك خلال مؤتمر القمة بين واشنطن ـالدول الآسيوية عبر المحيط الهادي.

فقد قال كلينتون إن العلاقات الأمريكية الآسيوية هي مجال المستقبل للقرن القادم، وذلك قد يؤخذ على محمل لمجاملة أو المبالغة، ولكن قول الرئيس الأمريكي إن لاتجاه إلى آسيا ضرورة، وإن ذلك لا يعني الابتعاد عن ـوربا فهي سوف تبقى الحليف فالتعبير والمقارنة يلفتان لنظر

فمعنى أن التوجه نحو آسيا سوف يكون على حساب ـوربا هو في الواقع نفي النفي، أي تأكيد، ولفت الأنظار إلى أن أوربا لم تعد هي الهدف الأول للاستراتيجية الأمريكية وهي مسألة طبيعية تفرضها التغيرات التي ترتبت على انهيار النظم الشيوعية في أوربا الشرقية وانتهاء الحرب الباردة

شرخ بين واشنطن ولندن

ويكفي أن نرى ذلك الشرخ الذي حدث بين واشنطن ولندن بعد أن كانت العلاقات بينهما قد بلغت من الكثافة إلى حد يبدو كأن بريطانيا لا يمكن أن تتنفس دون أن تتشاور مع واشنطن وأن واشنطن حريصة على الحصول على التوقيع البريطاني على سياساتها في أي مكان من العالم. ومن الخطأ تصور أن ذلك الشرخ حدث نتيجة خطأ من جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا بعد أن كانت تاتشر رمزا لتعاون واشنطن ولندن. فالواقع أن المسألة تطور طبيعي تفرضه الأحداث، ولا دخل للأشخاص به مهما كان قدرهم.

وتجدد التوتر الذي كان يهدأ أحيانا وينشط أحيانا بين واشنطن وباريس حتى أصبح تبادل النقد حتى على مستوى القمة بين الدولتين أمرا مألوفا.

والحقيقة أن الأزمة الاقتصادية في كل من الطرفين، أوربا من جانب والولايات المتحدة من جانب آخر، هي المحرك الحقيقي للبعد والخلاف بين الطرفين. فحين تصاعدت الأزمة الاقتصادية اتجه كل طرف للبحث عن حل حتى لو كان على حساب الطرف الآخر. وذلك قد لا يكون غريبا أو يمكن التخفيف من نتائجه إلا أن الأهم والأخطر هو أن أيا منهما لا يستطيع أن يساعد الآخر للخروج من الأزمة. فالسوق الأوربية لا تستطيع أن تستوعب الإنتاج الأمريكي الكبير الضخم، خاصة أن هذه السوق تحتاج إلى تصدير إنتاجها هي الأخرى والسوق الأمريكية لن تكون هي المنقذ. ونتيجة هذه المعادلة الصعبة لم يكن أمام أي منهما للخروج من أزمته سوى البحث عن أسواق في العالم، وذلك البحث كان لابد أن يخلق منافسة حادة بين الطرفين على كسب هذه الأسواق. وتلك المنافسة، خاصة وهي تزداد عنفا وحدة وضعت التحالف الاستراتيجي القديم على رف ثلاجة الزمن لعل وعسى..!.

وكان طبيعيا أن تكون آسيا هي مركز المنافسة بين الطرفين لأنها نقطة التطور والنمو في العالم حيث يتحقق هناك أعلى معدلات النمو على صعيد العالم كله وبعد أن كانت هناك ثلاثة أو أربعة نمور وهي الدول التي تحقق أعلى معدل نمو أصبحت معظم دول آسيا نمورا بينما إفريقيا مازالت في حالة من الفقر والجوع إلى جانب عدم الاستقرار

وهكذا يبدو أن التوجه الأمريكي نحو آسيا هو توجه حقيقي وأن أوربا تفقد مركزها المفضل في الاستراتيجية الأمريكية

ومع اجتماع كل هذه العوامل الضاغطة على أوربا أصبح يقينا استحالة ولادة العملاق الأوربي على الأقل خلال التسعينيات من هذا القرن وربما كان الأقرب أن يأتي العملاق آسيويا..!.□



دمج المؤسسات المالية في الكويت

الصعوبات والتحدي...

بقلم: عامر ذياب التميمي

يقف الاقتصاد الكويتي الآن في مواجهة التحدي نحو إجراء إعادة هيكلته و[illegible] رغم الصعوبات القائمة الإدارية والاجتماعية عن طريق دمج المؤسسات المالية فهل هناك حاجة ملحة لذلك. وهل يستطيع النجاح في مواجهة هذا التحدي؟.

التصوير علي الشطي من وكالة الأنباء الكويتية.

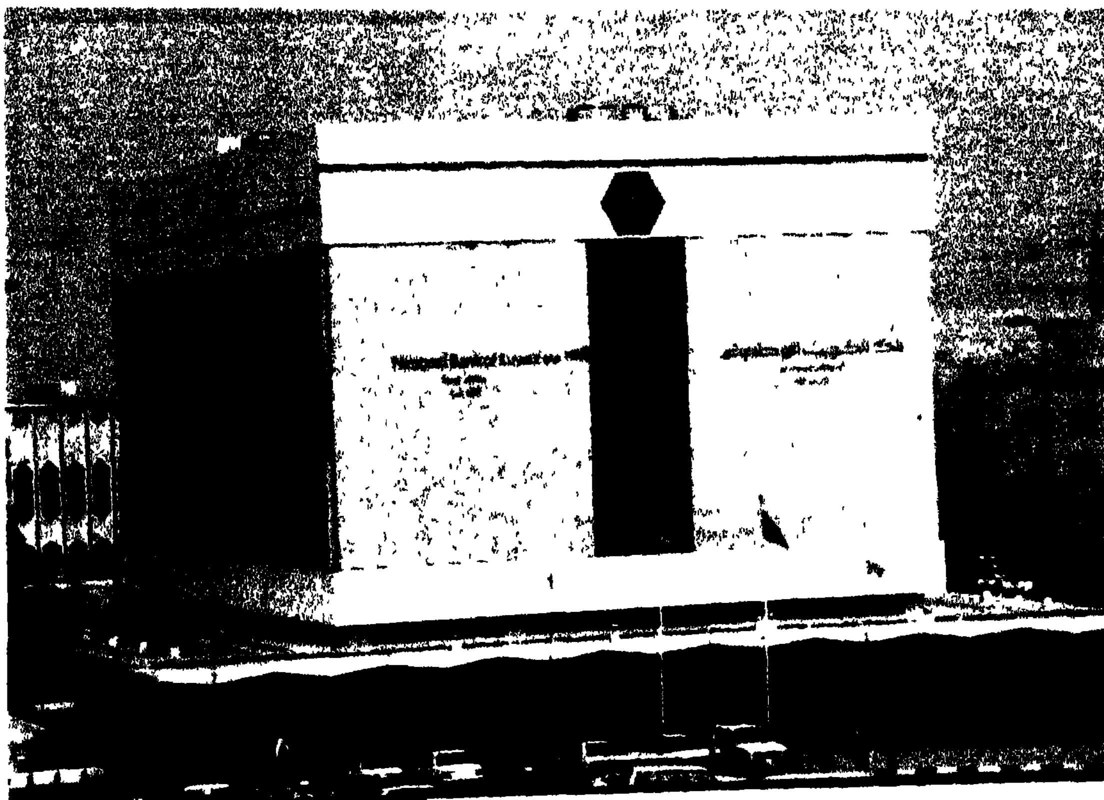
منذ أواخر الثمانينيات برزت في الكويت الحاجة لإعادة النظر في تركيبة العديد من البنوك والشركات الاستثمارية، وقد دفعت الأوضاع الاقتصادية وظروف العديد من تلك المؤسسات المختصين وأصحاب الشأن إلى التفكير في طرق تطوير القطاع المالي والمصرفي وتحديث المؤسسات العاملة فيه وتحسين الأداء. وبعد كارثة الاحتلال العراقي والتداعيات اللاحقة من الضروري إعادة النظر في الكثير من البديهيات الاقتصادية، وإعادة النظر في شتى الهياكل، فلم يعد حجم الطلب على الائتمان والخدمات المصرفية والمالية بنفس المستوى الذي كان سائدا قبل الاحتلال، ولم يعد حجم السكان بمستواه القديم، وكذلك فإن التركيبة السكانية تغيرت بشكل أدى إلى انخفاض الطلب على

تلك الخدمات. وبعد قرار الحكومة الكويتية في بداية عام ١٩٩٢ شراء الديون غير المحدودة من البنوك وإصدار سندات طويلة الأجل مقابل تلك الديون لصالح البنوك، تغيرت تركيبة الأصول لدى جميع البنوك، فقد أصبحت تلك السندات وغيرها من سندات حكومية أخرى تمثل نسبة عالية من أصول البنوك، وتصل أحيانا إلى ما فوق الثمانين في المائة لدى بنوك معينة. ومن البديهي أن هذه الوضعية لا تتناسب مع تطورات العمل المصرفي والاستثماري في عالمنا المعاصر. ففي حين توفر السندات الحكومية الأمان للمستثمرين إلا أنها لا تحقق العائد المناسب في هذه الحالة، ولا تغطي تكاليف التمويل التي تدفعها البنوك والمؤسسات المالية، لذلك فقد ينتج عن هذه الوضعية خسارة للمؤسسات ذات الصلة. ومن الطبيعي أن يتفاوت الوضع من مصرف إلى آخر اعتمادا على قيمة السندات، ونسبتها من إجمالي الأصول.

الاقتصاد الكويتي والإنفاق العام

ومما لاشك فيه أن هذه التطورات في القطاع المصرفي الكويتي قد جاءت نتيجة لسياسات مجالس الإدارات على مدى السنوات الثلاثين الماضية، وقد كان لطبيعة النظام الاقتصادي الكويتي الدور الأساسي في تطور سياسات الائتمان. كما هو معلوم أن الاقتصاد الكويتي اعتمد منذ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات على الإيرادات المالية المتأتية من تصدير النفط لتمويل الإنفاق العام ومن ثم تحريك العجلة الاقتصادية في البلاد، وأصبح الإنفاق العام المحرك الأساسي لجميع الأنشطة حيث أصبحت الحكومة المشغل الرئيسي، والمستهلك الأكبر، ومن ثم جعلت من القطاع الخاص معتمدا بشكل كبير على إنفاقها. الموظفون الحكوميون ـ كويتيين وغير كويتيين ـ أصبحوا أهم المستهلكين، ونتيجة لزيادة ثروة البلاد تمتعوا بأجور مناسبة جعلتهم قادرين على تنمية الطلب على مختلف السلع والخدمات، بالإضافة إلى أن سياسات الحكومة المالية والتي أدت إلى ضخ الأموال في السوق من خلال أدوات استملاك العقارات وشراء الأسهم، طورت العديد من الأفراد والمؤسسات.

وكما هو معلوم فإن أزمة السوق المالية في الكويت والتي بدأت في أواسط عام ١٩٨٢ كانت نتاجا لمجمل التطورات في تلك السوق، ومما لاشك فيه أن الأموال التي منحت كتسهيلات شخصية للعديد من المتعاملين في



□ بنك الكويت الوطني أول بنك تأسس عام ١٩٥٢

السوق ساعدت على تأجيج تلك الأزمة... ونحن الآن نتحدث عن حقبة من تاريخ الكويت الاقتصادي مازلنا نعيش آثارها ونتائجها، وبالرغم من محاولات السلطات المالية لتفكيك الأزمة وإنهاء التشابك بين المتعاملين الذين أصدروا صكوكا مالية مؤجلة الدفع، ولم يستطيعوا الوفاء بها نظرا لعدم تحقق الآمال التي رسموها في أذهانهم، إلا أن تلك الأزمة سيطرت على النظام المصرفي الكويتي منذ ذلك الحين. في بداية الأزمة كانت البنوك والمؤسسات المالية تتوقع ألا تؤثر فيها حالة التراجع في السوق المالية، وتوقعت أن تقوم المدينون بتسويه حساباتهم المدنية بعد أن توافر لهم الدعم الحكومي من صندوق صغار المستثمرين، ومن قيام الحكومة بشراء الأسهم، لكن التوقعات المذكورة لم تتحقق ولم يقم المدينون بأداء التزاماتهم وظلت البنوك تعاني من تقاعس المدينين، وفي أحيان كثيرة من عدم مقدرتهم على الوفاء حيث لا تتوافر لديهم تدفقات تساعد على الوفاء، واستمرت هذه الحالة، بالرغم من قيام الحكومة ومجلس الأمة آنذاك بمحاولة معالجتها، لكن تباين المواقف عطل اتخاذ القرار المناسب.

تسوية المديونيات الصعبة

وفي عام ١٩٨٦ أصدرت الحكومة الكويتية برنامج تسوية المديونيات الصعبة في محاولة لمعالجة عدم وفاء المدينين بالتزاماتهم. وقد تركزت مبادىء ذلك البرنامج على أساس تسوية الديون خلال فترة تتراوح بين ١٠ سنوات وخمس عشرة سنة اعتماداً على التدفقات النقدية للمدينين، بيد أن عدد المدينين الذين وقعوا مع البنوك كان قليلا بالنسبة لإجمالي عدد المدينين وظلت القضية في إطار المراوحة بين البنك المركزي والبنوك التجارية وشركات الاستثمار والمدينين أنفسهم حتى عام ١٩٩٠.

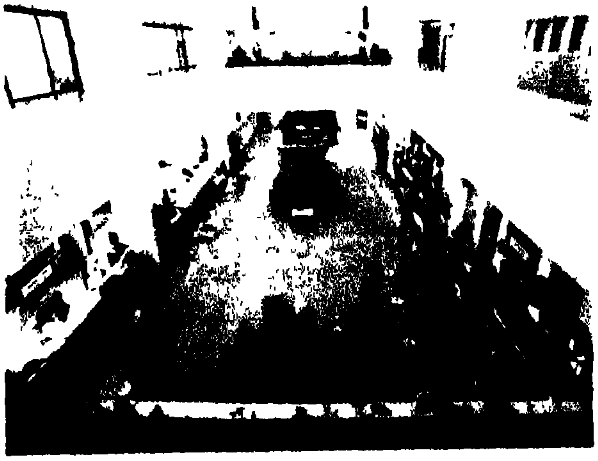
وعندما جاء الغزو العراقي الغاشم ومنيت البلاد بنكبة اقتصادية لا نظير لها في تاريخها المعاصر اختلطت الأوراق وتزايد بعد التحرير عدد المدينين المعسرين والذين لا علاقة لهم بأزمة المناخ وأزمة الديون المشار إليها آنفا. فبعد توقف أعمال مختلف القطاعات الاقتصادية أثناء فترة الاحتلال، وبعد أن نهب الكثير من المتاجر والمصانع وخربت أعداد كبيرة من المؤسسات، وجد رجال الأعمال أنفسهم في ظل ظروف مالية واقتصادية لا يحسدون عليها، وأصبح من العسير عليهم توفير التدفقات النقدية الكافية لتسوية التزاماتهم تجاه البنوك وبقية المؤسسات المالية. يضاف إلى ذلك أن تداعيات الاحتلال دفعت الكثير من المؤسسات إلى أوضاع مالية صعبة حتى لو لم تنهب أو تخرب. فعلى سبيل المثال حسر القطاع العقاري العديد من المستأجرين الذين فروا من البلاد أثناء فترة الاحتلال، وكذلك اضطر عدد كبير من الوافدين بعد التحرير إلى الرحيل نتيجة لانعدام فرص العمل أمامهم بسبب التراجع الحاد في النشاط الاقتصادي، وما ينطبق على القطاع العقاري ينطبق على قطاع الخدمات بمختلف تشعباته وعلى المؤسسات التجارية التي فقدت عددا كبيرا من المستهلكين.

وهكذا فقد وجد بنك الكويت المركزي أن أمامه ديونا غير مخدومة تواجه البنوك ويجب معالجتها بطرق غير تقليدية، وإلا واجه النظام المصرفي تبعات لا قدرة للبنوك والمؤسسات المالية على مواجهتها بإمكاناتها الذاتية. وهكذا تقرر قيام الحكومة بشراء الديون غير المخدومة والتي تم تسهيلها للمواطنين والمؤسسات الوطنية في الكويت، وبموجب هذا القرار صدر المرسوم ٣٢ لسنة ١٩٩٢ والذي تقرر بموجبه شراء تلك الديون كما كانت في يوم ٣١ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٩١. وقد بلغت قيمة الديون التي تم شراؤها ٥٧٥٠ مليون دينار. وأصدر البنك المركزي سندات دين لمدة عشرين سنة لصالح البنوك والمؤسسات المالية بقيمة الديون المذكورة على أن تحسب عليها فوائد سنوية تحدد من قبل البنك المركزي، وهكذا تحولت أصول المؤسسات المالية في معظمها إلى أصول حكومية. ويبين الجدول أدناه طبيعة أصول البنوك التجارية كما كانت في يوليو (تموز) ١٩٩١،

□ جدول موجودات البنوك التجارية (مليون دينار كويتي)

الإجمالي	موجودات أخرى	مطالب على القطاع المحلي	الموجودات الأجنبية	المطالب على الحكومة	الأرصدة لدى البنك المركزي	[illegible]
٣٢٨٩,٧	٣٥٤,٦	٥٥٤٩,١	١٨٦٦,٠	١١٧٦,٩	٩,٥	[illegible]
٨٠٠٣,٣	٤٨٨٣,٦	٩٣٧,٢	١٣٧٤,٥	٥٥٤٠,١	٧,٦	[illegible]

ويوليو (تموز) ١٩٩٣ ويتبين من الجانب أن المطالبات على الحكومة كانت تمثل ما يقارب ثلاثة عشر في المائة من إجمالي موجودات البنوك التجارية في يوليو (تموز) ١٩٩١ ثم أصبحت تمثل في يوليو (تموز) ١٩٩٣ ما يقارب ٦٦ في المائة من تلك الموجودات، وتعني هذه المؤشرات نتائج شراء الحكومة المديونيات من البنوك، ولذلك فقد أصبحت المطالبات على الحكومة أهم أصول البنوك التجارية الكويتية، في الوقت الذي انخفضت فيه القيمة النسبية للمطالبات على القطاع الخاص حيث انخفضت من ٥٥٤٢ مليون دينار كويتي في يوليو (تموز) ١٩٩١ إلى ٩٦٧ مليون دينار في يوليو (تموز) ١٩٩٣، أي من نسبة ستين في المائة إلى نسبة اثني عشر في المائة بين العامين المذكورين. ولاشك أن هذه الوضعية، كما أشرت آنفا، لا

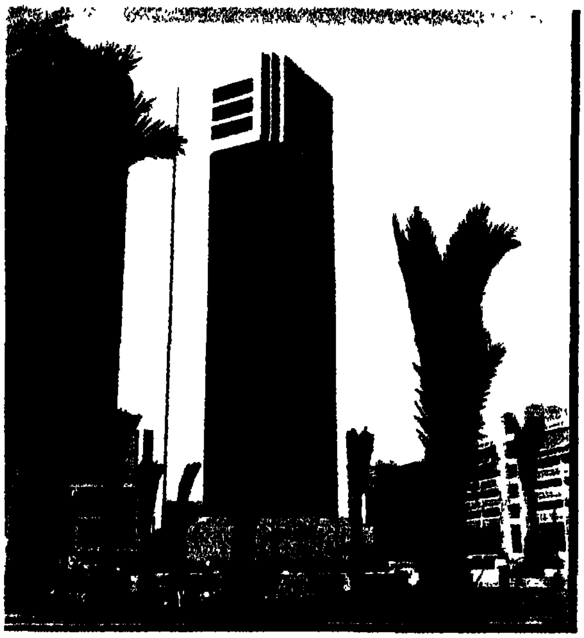


□ أحدث أساليب خدمة العملاء في المنطقة يقدمها بنك الخليج في الكويت

تعبر عن حالة طبيعية في العمل المصرفي في اقتصاد حر. ويتطلب الأمر إعادة النظر في الموجودات ومحاولة التصرف في السندات الحكومية من خلال البحث عن بدائل اقتصادية لتحويلها إلى أصول قابلة للتسييل أو مبادلتها مع أصول حكومية مثل الأسهم في الشركات الاستثمارية والعقارية والتي تمتلك الحكومة حقوق ملكية فيها ضمن برنامج تخصيص ممتلكات الحكومة، والذي جرى الحديث حوله منذ أمد بعيد دون أن ينجز بالشكل المناسب والسريع. وعند الحديث عن دمج المؤسسات المالية في الكويت لابد من مراعاة كل العوامل التي مر بها النظام المصرفي الكويتي، والتي أشرت لها، حيث لا يمكن وضع أسس مستقبل مناسب لهذه المؤسسات دون الأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي تتجاوز الأزمات السابقة. ومن أهم الأمور التي يجب أخذها بالحسبان مسألة حقوق المساهمين أو القاعدة الرأسمالية للبنوك والمؤسسات المالية. ولا يمكن أن تتحدى مؤسساتنا عامل المنافسة في الأسواق المالية الدولية دون أن تكون راسية على قاعدة مالية متينة.

هناك أكثر من مؤسسة مصرفية في الكويت تستلزم أوضاعها مراجعة شاملة وزيادة رأس المال بما يتوافق مع المعايير التي يضعها بنك الكويت المركزي وكذلك المعايير الدولية المتعارف عليها. بيد أنه في الظروف الحالية فإن أية زيادة في رءوس الأموال قد يكون التجاوب معها عسيرا من قبل المساهمين، كما أنه من غير المرغوب فيه أن تقوم الحكومة بالاكتتاب في زيادات رءوس الأموال، وبذلك تصبح ملكية الدولة في المؤسسات المالية أكبر مما يجب مما يتنافى مع فكرة تحويل ملكية الدولة إلى القطاع الخاص ضمن برامج التخصيص، ولهذا لا يتبقى إلا التفكير في عملية اندماج هذه المؤسسات حتى تتمكن من الوفاء بالتزامات المعايير المالية المشار إليها.

هناك اعتبارات أخرى، غير القاعدة الرأسمالية، تؤكد أهمية التفكير في دمج البنوك والمؤسسات المالية في الكويت، ومنها ما سبق أن أشرت إليه وهو القدرة على المنافسة في الأسواق المالية الدولية. فكما هو معروف أن الاقتصاد الدولي يسير حثيثا - نتيجة للتطوير المؤسسي وتطور التكنولوجيا - نحو التكامل والذي لم تشهد البشرية مثيلا له، ولذلك فإن القيمين على مؤسساتنا المالية يجب أن يعتبروا أن السوق الدولية هي الساحة التي يجب أن يعملوا من خلالها. ولا يجوز اعتبار السوق الكويتية مجالا كافيا لأعمال مؤسساتهم. إن السوق المحلية لا توفر فرص أعمال كافية في قطاع الائتمان أو في توفير أدوات الاستثمار التي تتناسب مع العمل المصرفي، فهذه السوق أصبحت مشبعة، ولم يعد بالإمكان خلق ائتمان اصطناعي فيها مثل ما حدث إبان فورة السوق المالية أو ما اصطلح على تسميتها «بالمناخ»، هناك قطاعات محدودة يمكن لها خلق طلب نشط على الائتمان في الكويت، وقد يكون منها قطاع التجارة وبعض القطاعات الخدمية، وقطاع النفط، أما قطاع العقار فإن الظروف التي تمر بها الكويت في الوقت الحاضر، ووجود مساحات كبيرة شاغرة في العديد من مباني المكاتب والمتاجر، ووجود عشرات الآلاف من الشقق الشاغرة كلها عوامل لا تساعد على الاستثمار ومن ثم توفير طلب على الائتمان، أما قطاع الصناعة فإن هناك إمكانات محدودة للتوسع. وقد أشارت النشرة النقدية الشهرية الصادرة عن بنك الكويت المركزي في يوليو (تموز) ١٩٩٣ بأن التسهيلات لقطاع الصناعة كانت بحدود ٢٩,٢ مليون دينار كويتي من إجمالي التسهيلات الممنوحة للقطاع الخاص وقدرها ٧٩٦,٨ مليون دينار أي بنسبة أربعة في المائة تقريبا.



□ بيت التمويل الكويتي أعرق المؤسسات المالية الإسلامية في الكويت

وقد تجد البنوك أن مجال تسهيلات القروض الاستهلاكية من المجالات المغرية للتوسع وللتعويض عن تراجع مجالات الائتمان الأخرى، بيد أن هذا التوسع محفوف بالعديد من المحاذير وغيرها من عوامل موضوعية، هناك تخوف من السلطات النقدية بأن يؤدي ذلك إلى التضخم، ويدفع المستهلكين إلى الاستهلاك الترفي غير المحدي، كما أن عنصر الاقتراض من أجل الاستهلاك ظاهرة جديدة على المجتمع الكويتي، وتتطلب تبدلا في المفاهيم والقيم حتى تصبح تقليدا كما هو الحال في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، كذلك فإن طبيعة السوق في الكويت وتركيبة السكان الوافدين، بعد التحرير، لا تشجع على التوسع في الاستهلاك حيث يشعر الكثير منهم بأنهم موجودون بصفة مؤقتة حيث لا يصحب الكثير منهم أسرهم، ومن ثم عليهم تحويل مبالغ مهمة إلى خارج البلاد.

هناك مجال آخر قد يكون من الضروري التفكير فيه ألا وهو مجال التمويل طويل الأجل، وحتى هذه اللحظة لايزال هذا النوع من الائتمان غير موجود في الكويت، وفي ظروف تراجع دور الدولة في مختلف المجالات الاقتصادية بحجة لمحاولات تقليص الإنفاق العام يصبح من الأهمية تحويل العديد من الأعمال إلى القطاع الخاص، ومن هذه الأعمال الرعاية السكنية والتي تولتها الحكومة على مدى العقود الأربعة المنصرمة. الآن هناك حاجة للبحث عن وسائل للحد من الأموال التي تنفقها الدولة في سبيل الرعاية السكنية وتشجيع القطاع الخاص على الاضطلاع بهذه المهمة الصعبة. ذلك لن يتأتى إلا من خلال توفير ائتمان طويل الأجل للمنتفعين حتى يتمكنوا من تمويل عمليات اقتناء أو بناء مساكنهم، وفي العالم المتقدم مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وعدد آخر من الدول الأوربية توجد مؤسسات متخصصة تقوم بتمويل السكن مقابل رهونات عقارية، وعلى أن يتم تسديد المبلغ المقترض على مدى يصل إلى ثلاثين عاما.

ولاشك أن هناك مجالات أخرى مثل الصناعة وبعض الخدمات التي تتطلب تمويلات تنموية ستجد البنوك والمؤسسات المالية من المفيد طرقها وتحقيق عائد مناسب منها، وهنا يجب أن تتفتق أذهان المسئولين في مؤسساتنا الوطنية عن وسائل لإيجاد مصادر التمويل، وطريقة التوظيف ومعالجة المخاطر وغير ذلك من عوامل تتعلق بهذا النوع من الائتمان.

الحاجة إلى مؤسسات قادرة

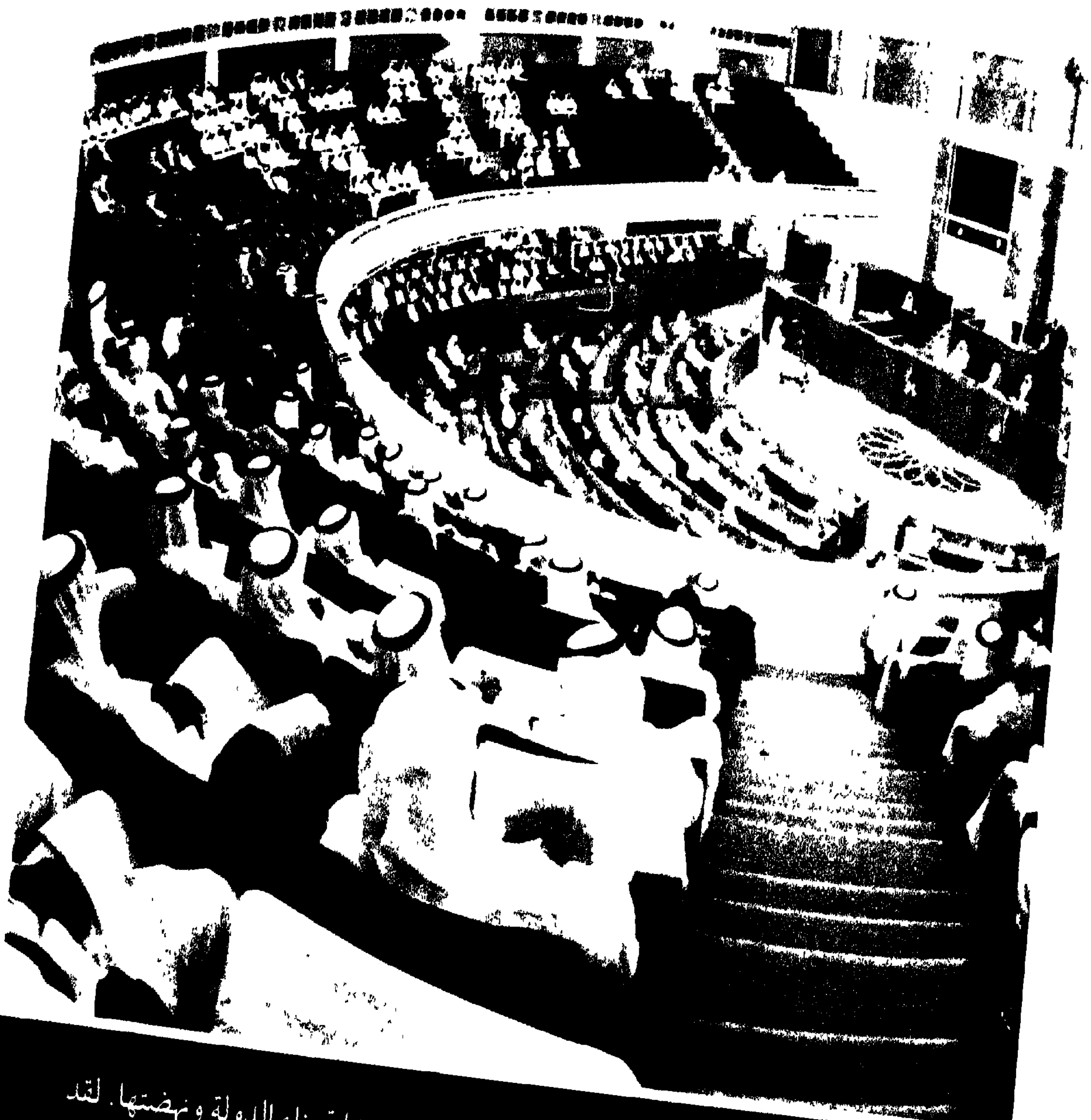
أما العمل في أعمال التمويل خارج البلاد والمنافسة في جميع أنواع الأعمال المصرفية والاستشارية فإن الأمر يتطلب خلق مؤسسات قادرة على تحدي المنافسة وبإمكانات مالية متميزة، ولذلك لا يمكن تحقيق اختراق حقيقي في الأسواق الخارجية إلا بعد خلق مؤسسات مالية كبيرة الحجم، وهذا يعني أن عمليات دمج البنوك والمؤسسات المالية غدت ضرورية في ظل عدم وجود بدائل لدعم إمكانات المؤسسات المذكورة. وقد يكون من العسير تحويل عدد من المؤسسات إلى مؤسسات قوية من خلال الدمج إلا أنه من الضروري معالجة الأوضاع القائمة وتجاوزها إذا أرادت الإدارة الاقتصادية وأصحاب تلك البنوك والمؤسسات المالية أن تصبح المؤسسات المالية الوطنية في وضع يمكنها من الاستمرار في المنافسة المحلية والدولية.

قد نجد صعوبات كبيرة في عملية إعادة هيكلة مختلف الأوضاع الاقتصادية في البلاد، ولكن الصعوبات تفرض علينا المزيد من التحدي، هناك صعوبات قانونية وإدارية واجتماعية قد تمنع الدمج، وقد تعيق عمليات إعادة الهيكلة وتصحيح المسار ومن ثم تعطل الأداء، لكن الأمل هو أن يعي الجميع أن من الأفضل أن تصاغ عمليات المراجعة على أساس من المعايير الفنية، وبعد ذلك تتم المعالجة القانونية والمحاسبية بما يخدم الأهداف المتعلقة برفع الكفاءة وتحسين الأداء. في الوقت الراهن هناك أكثر من محاولة للدمج وإعادة الهيكلة، ربما تصبح نماذج بعد نجاحها لعمليات أخرى. □



إشعاع الكويت الحضاري

استطلاع : ماضي الخميس / تصوير : سليمان حيدر*



للديمقراطية في الكويت حكاية قديمة، تبدأ روايتها مع بداية بناء الدولة ونهضتها. لقد بنى الكويتيون بلادهم على قواعد ثابتة، وكانت الديمقراطية إحدى هذه القواعد، وأهم أسسها التي حرصوا على ترسيخها منذ البداية.

لقد عرفوها منذ معرفتهم للحياة والدولة، فهي معلم من المعالم الثابتة كما الأبراج والنخيل والسفينة.



☐ صاحب السمو أمير الكويت وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ومعالي رئيس مجلس الأمة ووزير الديوان الأميري

منذ بداية الدولة الكويتية قبل قرابة ثلاثة قرون من الزمان كانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم تقوم على التفاهم والشورى وتبادل الرأي، وكانت حرية الرأي مكفولة لجميع أبناء الشعب يعبرون بها بلا خوف أو تردد ما دامت تهدف إلى الإصلاح والتنمية

عرف الكويتيون الديمقراطية والحرية قبل أن يعرفوا الثقافة والقراءة والكتابة، وقبل أن يعرفوا شكل الدولة، وقبل أن ينعم عليهم السماء بكرم الخالق وتفيض نعمه عليهم باكتشاف النفط

بدأت مسيرة الديمقراطية في الكويت منذ أن تأسست الدولة في أواسط القرن الثامن عشر، وكانت حرية التعبير عن الرأي مكفولة لجميع المواطنين الذين كانوا يستخدمونها في كل وقت ومناسبة ودون تردد

وقد لعبت «الديوانية» في الكويت دورا كبيرا، وتعد الديوانية التي عرفها الكويتيون منذ زمن طويل وما زالوا يستخدمونها برلمانا مصغرا لا يخلو منها بيت ولا ينقطع عنها المترددون.

والديوانية عبارة عن مكان ملحق بالمنزل يتجمع فيه الرجال عادة بعد صلاة العشاء من كل يوم، أو يوما في الأسبوع، ويتم فيها الحديث في جميع الشئون العامة والخاصة، الداخلية والخارجية.

ولقد تأثرت الحياة السياسية والديمقراطية في الكويت ـ ومازالت تتأثر ـ بهذه الديوانيات التي تلقى إقبالا كبيرا من قبل الجميع ويتوارثها الرجال أبا عن جد.

واستمر دورها الذي تلعبه إلى يومنا هذا بل وازداد أهمية، فلقد لعبت الديوانية دورا اجتماعيا وفكريا وثقافيا وسياسيا مهما، وكانت هي مكان تناقل الأخبار وتبادل الآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويشير الأستاذ خالد مغامس في كتابه «الديوانية الكويتية: تأثيرها السياسي والاجتماعي والثقافي» إلى

* شارك في التصوير الزميل مسلط السعي مصور مجلس الأمة الكويتي

أنه (في نهاية عهد الشيخ سالم الصباح في عام ١٩٢٠ كان الكويتيون قد أدركوا أهمية المشاركة في تقرير المصير، وقبل أن يتم اختيار خلف للشيخ سالم اجتمع وجهاء البلد من أهل الشرق والقبلة في «ديوانية» ناصر البدر واتفقوا على تقديم عريضة تضمن آراءهم ومطالبهم، والتي قام على أساسها أول «مجلس استشاري» في الكويت عام ١٩٢١ حيث تم تشكيله من اثني عشر عضوا برئاسة الحاج حمد الصقر، وهو تاجر تمور توفي عام ١٩٣٠، وعقد المجلس جلسات كثيرة ولم يمر وقت حتى بدأت الخلافات تدب بين الأعضاء مما أدى إلى تفكك المجلس ونهايته)

من هنا كانت البداية، ومن ثم أخذت الأمور تتطور، ودائرة الحرص والاهتمام من قبل الشعب بضرورة وجود مشاركة ديمقراطية تتسع، حتى جاء يوم ٢٩ يونيو ١٩٣٨ حين ظهر المجلس التشريعي، والذي يعد أول برلمان شعبي في المنطقة يمارس المشاركة في الحكم.

ومنذ عام ١٩٢١ ظهرت في الكويت عدة محاولات لتكوين جهاز شعبي يشارك في إدارة شئون البلاد لكنها جميعها لم تكن ناجحة، ولم تحقق الطموح المنشود، حيث انتخبت مجالس للتعليم والبلدية والأوقاف والجمارك وفي التاسع عشر من شهر يونيو ١٩٦١م استكملت الكويت استقلالها وألغت معاهدة ١٨٩٩ الموقعة مع بريطانيا وأصدر أمير الكويت في ذلك الوقت المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح في ديسمبر مرسوما يقضي بدعوة الناخبين لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي الذي أنيطت به مهمة وضع دستور البلاد

وتشير الوثائق التاريخية إلى أنه في صباح ٢٠ يناير ١٩٦٢ افتتح الأمير عبدالله السالم أول مجلس تأسيسي بعد استكمال الاستقلال، مهمته كانت محددة في وضع أساس الحكم في المستقبل وإعداد دستور يبين نظام الحكم على أساس المبادىء الديمقراطية.

وفي ١١ نوفمبر ١٩٦٢ صدّق الأمير على الدستور الذي يتكون من مقدمة موجزة ومائة وثلاث وثمانين مادة، وأصدره على أن يبدأ العمل به من تاريخ اجتماع مجلس الأمة وذلك في موعد غايته آخر شهر يناير ١٩٦٣، وفي ٢٣ يناير ١٩٦٣ جرت أول انتخابات برلمانية لأول مجلس أمة كويتي، وبهذا



□ النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح يرد على استفسارات النواب في إحدى جلسات مجلس الأمة

انتقلت الكويت من النظام الرئاسي إلى النظام البرلماني عن طريق ممثلين للشعب من خلال الانتخاب الحر المباشر.

ويتكون مجلس الأمة من خمسين عضوا بالإضافة إلى أعضاء الحكومة. وقد قسمت الكويت إلى عشر دوائر في بداية الأمر تنتخب كل دائرة خمسة أعضاء بالاقتراع السري المباشر مدة عضويتهم أربع سنوات وحسب نص الدستور يعين الوزراء من أعضاء مجلس الأمة ومن غيرهم ولايزيد عدد الوزراء جميعا على ثلث عدد أعضاء مجلس الأمة. (المادة ٥٦) ويعتبر الوزراء غير المنتخبين بمجلس الأمة أعضاء في المجلس بحكم وظائفهم وينتخب المجلس رئيسه ونائب الرئيس في أول جلسة لمدة أربع سنوات، كما ينتخب المجلس لجانه الدائمة والمؤقتة وأمين السر ومقرر المجلس.

وفي عام ١٩٨١ عدلت الدوائر الانتخابية إلى ٢٥



□ الوزراء والأعضاء أثناء انعقاد إحدى جلسات المجلس

دائرة ينتخب كل دائرة عضوين في المجلس. وقد نص قانون الانتخابات على أن كل كويتي الجنسية بصفة أصلية وفقا للقانون وذكر وتجاوز سن الواحد والعشرين عاما ومسجل بجدول قيد الناخبين له حق ممارسة الاقتراع. ونص الدستور (المادة ٨٢) أنه لابد أن يكون المرشح لمجلس الأمة كويتي الجنسية بصفة أصلية وفقا للقانون وأن تتوافر فيه شروط الناخب وفقا لقانون الانتخاب وألا تقل سنه يوم الانتخابات عن ثلاثين عاما وأن يجيد قراءة العربية وكتابتها.

كما أن الدستور الكويتي كفل لعضو المجلس حرية كاملة فيما يبديه من الآراء والأفكار بالمجلس أو لجانه، ولا تجوز مؤاخذته عن ذلك بحال من الأحوال. وعضو المجلس يمثل الأمة بأسرها ويرعى المصلحة العامة ولا سلطان عليه في عمله بالمجلس أو لجانه.

ولا يجوز أثناء دور الانعقاد في غير حالة الجرم المشهود، أن تتخذ نحو العضو إجراءات التحقيق أو التفتيش أو الحبس أو أي إجراء جزائي إلا بإذن المجلس.

وحسب نص الدستور فإن لكل عضو من الأعضاء أن يوجه إلى رئيس الوزراء وإلى الوزراء أسئلة لاستيضاح الأمور الداخلية في اختصاصهم وللسائل وحده حق التعقيب كما يحق للأعضاء توجيه استجواب إلى رئيس مجلس الوزراء وإلى الوزراء في الأمور الداخلية في اختصاصاتهم.

كما لايجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولي الوظائف العامة وذلك فيما عدا الحالات التي يجوز فيها الجمع وفقا للدستور.

كما تعرض على المجلس الميزانية العامة للدولة وتناقش بابا بابا وتصدر بقانون.

وتعتبر جلسات المجلس علنية ويجوز عقدها سرية بناء على طلب الحكومة أو رئيس المجلس أو عشرة



□ أعضاء مجلس الأمة السابقون يشاركون في إبداء الرأي من خلال الاجتماع الأسبوعي الذي يعقد صباح كل يوم أحد بين الأعضاء القدامى والأعضاء الجدد

أعضاء وتكون مناقشة الطلب في جلسة سرية ولا يصدر قانون في الكويت إلا إذا أقره مجلس الأمة وصدق عليه الأمير.

والنظام الديمقراطي في الكويت يقوم صراحة على مبدأ الفصل بين السلطات وقد حظرت المادة (٥٠) من الدستور نزول أي من السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) عن كل أو بعض اختصاصها المنصوص عليه في الدستور.

مجلس الأمة .. إشعاع الديمقراطية

وما دمنا نتحدث عن الديمقراطية فلا بد أن نتحدث عن مجلس الأمة الكويتي الذي يعتبر وبحق ركيزة أساسية من ركائز الديمقراطية في الكويت.

في عام ١٩٦٣ افتتح أول مجلس أمة عرفته الكويت، ثم تلته عدة مجالس كان آخرها مجلس الأمة الحالي، الذي افتتحه أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، في ٢٠ أكتوبر ١٩٩٢، وأكد في كلمته التي ألقاها في افتتاح دور الانعقاد العادي الأول من الفصل التشريعي السابع لمجلس الأمة.. «إن التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ليس مطلبا فقط. إنما هو أمر واجب، لأنهما عضوان في جسد واحد هو الكويت وشعبها، فضلا عما تفرضه علينا ظروفنا المحلية والإقليمية والأوضاع الدولية».

ومجلس الأمة الكويتي ذلك المبنى المكسو باللون الأبيض القابع على شاطىء الخليج العربي تحمّل جزءا من غدر الجار العراقي ونال نصيبه من الاعتداء الآثم حينما قام الجنود الغزاة بإحراقه لأنهم لا يفقهون معنى الديمقراطية، ولا يعرفون طعم الحرية.

وقد توجهت إلى الأمين العام لمجلس الأمة الكويتي شريدة المعوشرجي متسائلا عن دور الأمانة العامة، فأجاب: «إن جهاز الأمانة العامة يتكون من الأمين



□ نائب رئيس مجلس الأمة صالح الفضالة يتحدث للزميل ماضي الخميس

العام وأمناء عامين مساعدين ومسؤولي إدارات ومراقبين. ومهمة الأمانة العامة هي مساعدة أعضاء المجلس للقيام بمهماتهم وتسهيل أعمالهم التشريعية، وتنظيم الأمانة العامة بقرار من رئيس المجلس وفقا للمادة ١٧٦ من اللائحة الداخلية للمجلس، متضمنا الأحكام التفصيلية الخاصة بالشئون الإدارية والمالية وشئون الموظفين والمخازن»

وأضاف المعوشرجي أن الأمانة العامة بدأت بإنشاء مركز معلومات متطور يربط المجلس ببنوك المعلومات في شتى أنحاء العالم، وسيتبع المركز إدارة بحوث تم تكوينها من باحثين كويتيين في شتى التخصصات المطلوبة، خاصة الجوانب القانونية والاقتصادية والاجتماعية. كما بدأت بإنشاء مركز للترجمة الفورية، وقد حرصت منذ البداية على الاستفادة من العناصر الوطنية، والآن حوالي ٩٠٪ من موظفي الأمانة من الكويتيين.

وأوضح أن هناك العديد من الاتصالات مع برلمانات العالم من أجل تبادل الزيارات والاستفادة من خبرات العالم، وإرسال موظفين من مختلف الإدارات في



□ أمين عام مجلس الأمة شريدة المعوشرجي

الأمانة العامة للقيام بدورات تدريبية عملية والاستفادة من الخبرات التي سبقتنا، فلقد أجريت اتصالات مع البرلمان الألماني ومجلس العموم البريطاني والكونجرس الأمريكي، كما توجد اتصالات لتبادل الخبرات مع عدد من الدول العربية كمجلس الشعب المصري، ومجالس الشورى في دول الخليج العربي. كما يستعين المجلس كذلك بعدد من المستشارين الكويتيين في مختلف التخصصات من علوم سياسية إلى اقتصادية وقانونية وخبراء عسكرية.

ومن خلال جولة مجلة العربي في ردهات مجلس الأمة الكويتي الواسعة، التقينا بنائب رئيس مجلس الأمة الكويتي صالح يوسف الفضالة الذي أفاض في حديثه لنا عن التجربة النيابية في الكويت، فقال:

إن عملية الديمقراطية في الكويت متأصلة منذ أن تأسست الكويت عام ١٧٥٦، فقد عرف الكويتيون الديمقراطية ليس بمفهومها الغربي، بل بمفهومها الإسلامي وهو الشورى، وعندما قامت الكويت، تولاها الأمير صباح الأول بمباركة ومبايعة من الشعب الكويتي بعد أن نصب الكويتيون صباح الأول أميرا لهم، ومن يومها بدأت الدعائم الأولى للديمقراطية تترسخ، وظلت تتطور إلى أن وصلنا إلى هذا الوضع الديمقراطي الذي نعيشه الآن، وقد وضع المشرع الكويتي هذه المبايعة في نص المادة السادسة من الدستور، وقال: «إن السيادة فيه للشعب، مصدر السلطات جميعا..» على الشكل الذي بينه الدستور، وهذه المادة نقلت من عام ١٧٥٦ إلى الدستور الذي صدر في ١١/١١/١٩٦٢، فطوال هذه الفترة الزمنية الممتدة استطاع الكويتيون السير على مجموعة من الممارسات تدل على أنهم شعب ديمقراطي، فأنشأوا نظام الديوانية الذي كان من ثمرانه أول مجلس بالكويت عام ١٩٢١، كما أن مجلس ١٩٣٨ نشأ من الديوانية، فهي مكان لقاء وتشاور لما يطرح في المجتمع من حيث التجارة والبيع والشراء، ومن حيث حل المشاكل والخلافات، حتى أن قانون التجمعات استثنى الديوانية من التجمعات.

وأوضح الفضالة أن الكويت منذ البداية نشأت نشأة ديمقراطية، وقد تعود المواطن الكويتي على الديمقراطية منذ بداية تأسيس الكويت.

اللجان	عدد الاجتماعات	عدد التقارير	عدد ساعات الاجتماع
١) اللجنة المشتركة بين لجنتي (الشئون المالية والشئون التشريعية والقانونية)	٩	٣	٤٨
٢) اللجنة المشتركة بين لجنتي (الشئون الداخلية والشئون الخارجية).	٤	-	١٠
٣) اللجنة المؤقتة لشئون توظيف الكويتيين	٨	-	١٨
٤) لجنة دراسة الخطة الاسكانية	٢١	٨	٤٥
٥) لجنة اعداد الرد على برنامج الحكومة	٢٣	-	٦٩
٦) لجنة تقصي حقائق الغزو العراقي	٣٧	١	١١٥
٧) لجنة شئون البيئة	١٧	٤	٢٥
٨) لجنة المرتهنين والمفقودين ورعاية اسر الشهداء	٤٠	٦	١٢٠
٩) لجنة مشروع الجواب على الخطاب الأميري	٩	-	١٨
١٠) لجنة الدفاع عن حقوق الانسان	٤٠	٣	٩٤
١١) لجنة المرافق العامة	١٢	١٥٩	٣٩
١٢) لجنة الشئون الخارجية	١٦	١٤	٢٤
١٣) لجنة الشئون الصحية والاجتماعية	٢٨	٥٨	٤٤
١٤) لجنة شئون التعليم والثقافة والارشاد	٣١	٥٤	٩٣
١٥) لجنة الشئون التشريعية والقانونية	٨٥	٤٩	٤٣٥
١٦) لجنة الشئون المالية والاقتصادية	٣٠	٥٧	١٢١
١٧) لجنة شئون الداخلية والدفاع	٢٤	٧٩	٤٠
١٨) لجنة العرائض والشكاوى	٢٦	٥١	٥٢

□ إنجازات اللجان في دور الانعقاد الأول للفصل التشريعي السابع

* ما هي أهم الإنجازات التي استطاع مجلس الأمة الكويتي تحقيقها؟

ـ لا يخفى على أحد أن مجلس الأمة الحالي جاء في وقت عصيب عام ١٩٩٢، أي بعد الاحتلال العراقي الآثم لدولة الكويت، وبعد الكارثة التي عطلت خلالها جميع الأعمال، كما جاء بعد فترة تعطيل للمجلس دامت ست سنوات وستة شهور، فتراكمت عليه الموضوعات والقضايا الكبرى بحدود «٤٥٠ مرسوما صادرا في غياب المجلس»، ومن مهمة المجلس أن ينظر في هذه المراسيم التي صدرت في غيابه، وعندما بدأ المجلس عمله ظهر للعيان أنه يسير ببطء أو برتابة، لكنه في الحقيقة استطاع أن ينجز ثلاثة قوانين مهمة هي:

القانون الأول حماية المال العام، فبعد أن حدثت اعتداءات على المال العام من قبل البعض، استطاع المجلس أن يدرك حجم هذه المشكلة، ووفق في أن يضع قانونا صارما لحماية المال العام، وبلغ مواد هذا القانون ١٤٥ مادة، كما أنشأ لجنة مشتركة سميت اللجنة الخاصة لحماية المال العام

والقانون الثاني الجماهيري هو قانون الرعاية السكنية، والذي بموجبه يستطيع أي مواطن كويتي

انجازات مجلس الأمة خلال دور الانعقاد الأول للفصل التشريعي السابع	
رقم دور الانعقاد	العادي الأول
عدد الجلسات	٥٣
عدد الساعات	٣٣٣,٢٠
عدد اجتماعات اللجان	٤٦٥
عدد الموضوعات التي درست في اللجان	١٠٧٤
عدد التقارير التي اعدتها اللجان	٥٤٦
عدد المشاريع بقوانين	٢٦
عدد الاقتراحات بمشاريع قوانين	١٢
عدد الاقتراحات برغبات	٣٠١
عدد العرائض والشكاوى	٢٢٤
عدد الأسئلة الموجهة من الأعضاء للـــوزراء	٧٥٢
طلبات المناقشة	٢٤



□ د. اسماعيل الشطي رئيس اللجنة المالية بمجلس الأمة الكويتي

أن يحصل على قرض قيمته «٧٠» ألف دينار وجعل المدة التي يحصل فيها على سكن لا تزيد على خمس سنوات بأي حال من الأحوال. أما القانون الثالث الذي أنجزه المجلس فهو قانون حل المديونيات الصعبة التي حلت بالبلاد منذ عام ١٩٨١ وما زالت حتى يومنا هذا، خاصة بعد أن جاء الغزو العراقي الغاشم وزادت الكارثة، وحلت الطامة الكبرى بالاقتصاد الكويتي، فأضيفت أعباء جديدة على المال العام، فصدر هذا القانون من أجل حل تلك المديونيات الصعبة.

دور كبير .. وأعباء جسام

* ماذا لو أردنا أن نتحدث عن الأهداف المرجوة من مجلس الأمة؟ هل هناك أهداف معينة تضعونها في اعتباركم كأعضاء أو كمجلس أمة؟.

ـ يقول نائب رئيس مجلس الأمة: مما لا شك فيه أن البلد تمر بمنعطف خطير وتعاني من مشكلات عدة دفعتنا إلى إنجاز القوانين سالفة الذكر، ليس هذا فقط بل أمامنا مشروعات قوانين كثيرة أخرى لحل هذه المشكلات، فعلى سبيل المثال أمامنا قانون لحل مشكلة



□ النائب عبدالمحسن المدعج

البدون، وهناك مشروع لحل مشكلة التناقصات في قانون الحسبة، ولدينا قانون لتطوير القوى الأمنية والعسكرية، أي السياسة الدفاعية، كذلك لدينا قانون لوضع منهاجية للسياسة الخارجية.

وكما ترى أمامنا عدد كبير من المشكلات التي تحتاج إلى قوانين لحلها وترسيخ الأمن في البلاد، وكذلك من أجل القضاء على التمايز والتفرقة بين المواطنين وتحديد هوية المجتمع، وبالتالي لا يوجد من يدعي الظلم والغبن باعتبار أن مشكلة البدون قضية يعاني منها المجتمع الكويتي ككل.

فهذه القضايا الثلاث مطروحة على المجلس، وتم تشكيل لجان خاصة لها، وأمامنا أيضا قضية تقصي الحقائق لمعرفة الأسباب التي أدت إلى الغزو العراقي. لكي يعرف المواطن أسباب الغزو، وما الذي نفعله الدولة ومجلس الأمة تجاه هذه الأمور الصعبة، وهناك كذلك مشاريع لإعادة هيكلة الاقتصاد الكويتي والاعتماد على الأمن الغذائي، ومن أجل ذلك شكل المجلس لجنة خاصة بالزراعة والثروة السمكية، ليطمئن المجتمع الكويتي من ناحية الأمن الغذائي والثروة السمكية، ويعتمد عليه إذا ما حدث أي شيء.

*** يعتبر الدستور الكويتي من أرسخ الدساتير فمنذ أن وضع لم يمسسه أي تعديل، ويدور حاليا حديث بصوت مسموع حول تعديل بعض مواده. فما رأيك؟.**

- يقول النائب صالح الفضالة: الدساتير أنواع، فهناك دستور متغير وسهل التغيير، ونوع آخر جامد وصعب التغيير، وهناك بعض الدول يمكن فيها تغيير بعض مواد الدستور بسهولة، وهناك دول أخرى يصعب فيها تغيير مادة من مواد الدستور. على سبيل المثال، الدستور البلجيكي لم يستطع أحد أن يغير فيه أي مادة على مدى اثنين وعشرين سنة، وكذلك الدستور الكويتي منذ عام ١٩٧١ إلى ١٩٩٣ أي على مدى ثلاثة وعشرين عاما جرت فيها محاولات عديدة لتغيير مادة من هذه المواد، ولكن ذلك لم يتم، ولقد حاولت الحكومة أن تغير ست عشرة مادة في عام ١٩٨١ ولم تستطع، والمحاولات مستمرة لمواكبة تطور المجتمع، وتوجد الآن محاولة في مجلس الأمة لتعديل نص المادة الثانية من الدستور.

فبعد أن وضع الدستور الكويتي عام ١٩٦٢ رأى الكثير من أعضاء مجلس الأمة خصوصا أعضاء المجلس التأسيسي الذين وضعوا الدستور، أن المادة الثانية من الدستور تحتاج إلى تعديل لتكون «الإسلام المصدر الرئيسي للتشريع»، وليست كما هي عليه الآن «مصدرا رئيسيا من مصادر التشريع» ولكن لم يستطع الإخوة في ذلك الوقت أن يغيروها، بعد أن أقنعهم زملاؤهم بأن هذه المادة تفي بالغرض وتسد احتياجات المجتمع الكويتي، وفي عام ١٩٧١ جرت محاولة أخرى تقدم بها ٢٤ نائبا لمحاولة تعديل نص المادة الثانية من الدستور لتكون المصدر الرئيسي، وذلك لأن دين الدولة الإسلام، ويجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، كما تمت محاولة جديدة عام ١٩٧٥ إذ تقدم ٢٦ نائبا بنفس المطلب، ولكن المحاولة لم توفق، لأن الدستور صعب وجامد، وتعديله يتطلب أن يتقدم ثلث أعضاء مجلس الأمة، وبالتالي يعرض مبدأ التعديل والتنقيح على القيادة السياسية ممثلة في صاحب السمو أمير البلاد، فهو عقد بين اثنين، إذا وافق الطرف الأول فلا بد من موافقة الطرف الثاني، ولم تنجح المحاولة، وتم في عام ١٩٧٦ إنشاء لجنة سميت «لجنة

تنقيح الدستور»، وعدد أعضائها أربعون عضوا مختارون بالتعيين، وقد حاولوا تعديل نص المادة هذه، ولكنهم لم يوفقوا أيضا، وردت عليهم الدولة قائلة انه بإمكان أي مجلس أمة قادم أن يعدل القوانين لتتفق مع الشريعة الإسلامية، ولسنا بحاجة إلى تعديل نص المادة الثانية من الدستور.

ومجلس الأمة عام ١٩٨١ تقدم مرتين من أجل ذلك، الأولى كان عدد الأعضاء المتقدمين بهذا الطلب



□ اللجنة المالية خلال إحدى جلساتها

٢٧ نائبا وتمت في عام ١٩٨١، والثانية ٤٦ نائبا وتمت عام ١٩٨٢، وقد شكلت لجنة تم اختيار أعضائها من أهل الكويت في مختلف التخصصات والمجالات منهم المحامون ورجال الدين، وغيرهم، وتوصلوا في النهاية إلى أن أي تعديل يأتي من خلال «أسلمة» القوانين، وهذا حق من حقوق مجلس الأمة.

وخلال المؤتمر الشعبي الذي عقد في أكتوبر ١٩٩٠ في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية في أثناء فترة الغزو العراقي، كان أحد اقتراحاته المهمة هو أن يستظل بالشريعة الإسلامية، كما كان «المرابطون» الذين صمدوا داخل الكويت أثناء فترة الاحتلال هم رؤيتهم، وقدموا رأيهم عن المستقبل باعتبارهم لم يستطيعوا عقد مؤتمر شعبي بالداخل، واتفقوا على إعداد ورقة تتضمن الرؤية المستقبلية للكويت، وأشاروا هم أيضا إلى ضرورة العودة إلى الشريعة الإسلامية.

ثم جاء مجلس ١٩٩٢، ووجد أمامه كل هذه المحاولات والمطالب الشعبية فالتزم بها، وقد تبنى هذه الأطروحات مجموعة كبيرة من النواب أثناء حملاتهم الانتخابية، ووعدوا بالمزيد في محاولاتهم لتعديل المادة الثانية من الدستور عند نجاحهم ودخولهم المجلس، وسيقدم هذا التعديل قريبا إلى المجلس هذا سرد تاريخي لمحاولات تغيير بعض مواد الدستور.

*** لو حدّثتنا عن الدور الذي يقوم به مكتب المجلس؟.**

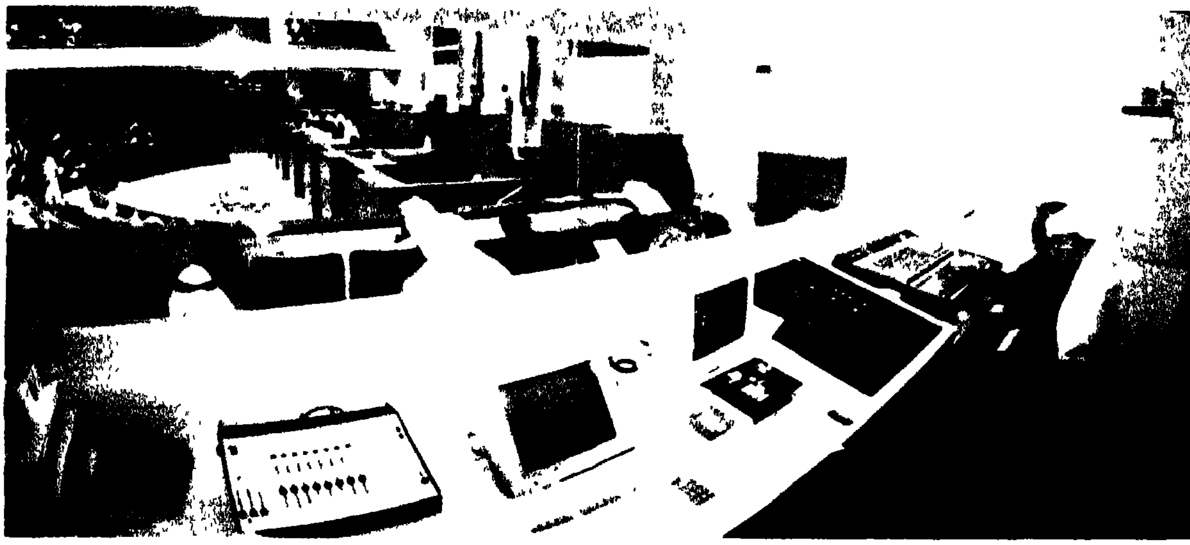
ـ مكتب المجلس يشكل بصفة دائمة من الرئيس ونائب الرئيس، وأمين السر والمراقب، الرئيس ونائبه هما مقعدان دائمان لمكتب المجلس، ولكن أمين السر والمراقب ورئيس لجنة الشئون المالية ورئيس لجنة الشئون التشريعية يتم انتخابهم فور انتخاب المجلس.

ومهمة المكتب محددة باللائحة الداخلية وهي الإشراف على المجلس من حيث ترتيب الزيارات واللقاءات داخل المجلس، وتقديم بعض الأمور ليتعرف عليها الأعضاء بصورة واضحة من اللائحة الداخلية، كما أن مكتب المجلس يقوم مقام مجلس الوزراء بالنسبة لمجلس الأمة، فصلاحيات مكتب المجلس هي نفس صلاحيات مجلس الوزراء في كل الأمور التي تخص المجلس، لذلك تعرض عليه الترقيات والاستثناءات، وتعيين الأمين العام والأمناء المساعدين، أي يقوم مقام مجلس الخدمة المدنية، أو ديوان الموظفين.

وحسب اللائحة توجد للمجلس ثماني لجان، وهناك لجنتان جديدتان إضافة إلى اللجان الثمانية،

فأصبح لـدينـا عشر لجان، وأصبحت لجنـة حقـوق الإنسان لجنـة دائمة، وكـذلك لجنة حمايـة المال العام لجنـة دائمـة، وذلك بقـرار من المجلس، إلى جـانب ست لجان مـؤقتـة منهـا لجنة تقصي الحقـائق، ولجنـة الـزراعة والبيئـة، ولجنـة تـوظيف الكويتيين، ولجنـة الأسرى والمرتهنين. أي أن هـناك عشر لجان دائمـة وست لجان مؤقتـة، وهذا يعني أننـا نعمل من خلال ست عشرة لجنـة تحتاج إلى عـدد كبير من الأعضـاء،

منذ نشأ هذا الكيـان، وهـذه قد لا تكـون ملاحظـة كـويتيـة فقط إنما هي مـلاحظـة أجنبيـة، فمنـذ فترة قصيرة كنت أراجع الـوثائق البريطـانية التي تصـدر كل ثـلاثين عـامـا، وأثناء اطـلاعي على وثـائق عـام ١٩٥٨ وجدت رسـالة مرسلة من المعتمـد البريطاني إلى وزارة الخارجيـة البريطـانية، يفصل فيهـا طبيعـة المجتمع الكويتي، ويؤكـد أن الشورى طبيعية في هذا المجتمع راسخة منذ أن نشأ، ويقول إن الفترات التي



☐ غرفة التحكم في الصوت والتسجيل مجهزة بأحدث الأجهزة، لمتابعة جلسات المجلس

وعـدد الأعضـاء لـدينـا خمسـون عضـوا منهم ستـة وزراء، والـرئيس ونائبـه، أي لـدينا ٤٢ عضـوا على ست عشرة لجنـة، وهـذا ما يجعل اللجـان تتأخـر في إنجاز المطلـوب بسبب زيادة الأعبـاء، إلى جانب أن البلاد تمر بظـروف غير طبيعية، ولابـد أن نواجههـا بجهد غير طبيعي، وبالتالي إذا كان هناك انتقاد فلابد أن يكون انتقادا غير طبيعي، وبالرغم من ذلك فنحن نتقبل الانتقـاد، ومـا قبلنا أن نكـون في خضم الحيـاة العامة إلا وصدورنا رحبة ومفتوحة للجميع ونتحلى بالصبر.

الديمقراطية ليست جديدة علينا

التقينا أيضا بالدكتور إسماعيل الشطي رئيس اللجنة المالية بمجلس الأمة الكويتي، وطلبنا منه أن يحدثنا عن المجلس كركيزة للديمقراطية في الكويت، فقال:
- إن الشورى هي جـزء من كيان المجتمع الكويتي

مـرت خـلال تـاريخ الكـويت لم يكن فيهـا الطـابع الشوري تعتبر هـي أكثر الفترات تأزما، وهـو يتكلم الآن عن قرنين ماضيين. هـذه الملاحظة لفتت نظري وكيف التقطها الأجانب وهم يرصدون نمو المجتمع الكويتي.

إن الظـاهـرة الشـوريه ظـاهـرة راسخـة في المجتمع الكويتي منـذ القدم، إذ إن اختيار الأسره الحاكمـه كان من خـلال هذه الظـاهرة، وتم بـالتشاور، وبعـد ذلك كـانت إدارة شئـون البـلاد تتـم بـالتشـاور بين أعيـان المجتمع، وظلت المطـالبة بتشكيل مجلس الشـورى على النمط الحديث قائمة منذ عام ١٩٢١.

وخلال زيـارتي للبرلمان الألماني كنت أحدثهم عن تلك التجـربـة، وكـانـوا يقـولـون إن مطـالبتكم بالديمقـراطية قريبة من تاريخ مطـالبتنا عام ١٩١٩، وبـالـرغم من أننـا مجتمع صغير، وطابعـه أقـرب إلى العشـوائيـة، إلا أن روح التشاور والمطالبـة بأن يكون هناك مجلس مؤسسي يتأسس على الديمقراطية كانت

متأصلة، ونحن لدينا قسم سياسية قائمة على هذا المبدأ، وفي حالة غياب البرلمان تبقى كثير من مظاهر الديمقراطية تسود البلد، إذ إن البرلمان هو جزء من مظاهر أو أحد مظاهر الديمقراطية وليس كل الديمقراطية

دلالات واضحة

*** ما هي الدلالات التي تشير إليها هذه المطالبة الكويتية القديمة بضرورة قيام مؤسسة ديمقراطية؟**

ـ يقول الباحث الدكتور الشطي: المجتمع الكويتي مجتمع فيه وعي سياسي قديم، نشأت فيه الحركات السياسية وقام بزيارة الكويت بعض الأقطاب السياسيين منذ بداية القرن الحالي من أمثال محمد رشيد رضا، أحد رواد المدرسة الإصلاحية، وخير الدين القليبي والبشير الإبراهيمي وحافظ وهبه، ومحمد الشنقيطي، ومجموعة كبيرة من رواد الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، كانوا يأتون إلى الكويت بما كانت هناك مجتمعات أكبر، وأكثر قدما ورسوخا لم يزوروها، فقد كانت للكويت أصداء مع الوطن العربي، وفيها عدد من تلاميذ المدرسة الإصلاحية مثل عبدالعزيز الرشيد ويوسف القناعي وغيرهما، هؤلاء جميعا كان لهم نشاط مماثل للحركات الإصلاحية في باقي الوطن العربي

هذا إلى جانب أن التجار الكويتيين كان لهم دور كبير في دعم وتكريس ظاهرة الشورى إذ إنهم كانوا المصدر الرئيسي للثروة في الكويت، ولذلك كانت المشيخة تأخذ رأيهم بالاعتبار، وتتشاور معهم لأنهم في النهاية كانوا مصدر التنمية

كما أن المجتمع الكويتي بطبيعته كان عبارة عن وعاء تنصهر فيه جميع الجنسيات المجاورة، فقد انصهرت فيه هجرات جاءت من نجد ومن الزبير ومن الأحساء ومن البصرة ومن بر فارس ومن إفريقيا، جميع هذه الأمور جعلت المجتمع الكويتي يتفق فيما بينه اتفاقا تاريخيا على التشاور وعدم تمييز فئة عن فئة، كانت تشكيلة يتم فيها تكوين الدولة. كما أن التجارة جعلته باستمرار في احتكاك مع المجتمعات الأخرى، في إفريقيا وشبه القارة الهندية وشبه القارة الأندونيسية وغيرها

هذا الانفتاح جعلنا مجتمعا له رأي وله فكر وله رغبة في إبداء هذا الرأي، وإبداء هذا الفكر والتحاور وأحيانا الاحتجاج، وهناك حركات احتجاجية كثيرة ظهرت في تاريخ الكويت.

الأمر الآخر الذي يميز المجتمع الكويتي أنه مجتمع مسالم لا يتجاوز مرحلة الاحتجاج، إلى درجة أن أحد السياسيين القدماء وصف تاريخ الكويت مع بداية هذا القرن بأن «المجتمع مسالم مثل الدجاج فاقد مثل المناقير الحديد»، إن طبيعة الاحتجاج هذه هي تشكيلة المجتمع التي ساعدت على أن تكون الكويت مجتمعا شوريا.

*** هل تعتقد أن الغزو العراقي للكويت أثر على الديمقراطية، سواء أضعفها أو زادها قوة وثباتا؟.**

ـ يقول رئيس اللجنة المالية لمجلس الأمة: الغزو العراقي له سلبيات، وهذا أمر طبيعي، وإذا كانت له إيجابيات ـ وهو بلا إيجابيات ـ فإنه زاد من التلاحم الشعبي، وأكد الوحدة الوطنية وأبرز روح التوحد من الأخطار، وإذا كانت هذه إيجابية تحسب للغزو فهناك سلبيات كثيرة طالت المجتمع الكويتي، فقد أصبح أكثر قلقا وأكثر ضجرا، ولم يستفد كثيرا من الدروس التي أتى بها الغزو، وهو الآن يعيش حالة توتر، ولديه رغبة في النقد المستمر.

مخاوف مستقبلية على المكاسب

*** هل يراودكم قلق بالنسبة لمستقبل الديمقراطية في الكويت، وهل هناك مخاوف على هذا الإنجاز الكبير الذي تحقق؟.**

ـ يجيب الدكتور الشطي: نعم أنا شخصيا يوجد لدي قلق، والقلق قد لا يكون من نظام الحكم نفسه، إنما قد يكون من الشعب، الآن وعي الشعب بالعمل النيابي قد يؤدي إلى إجهاضه، فالناس قد تلوم المجلس على مشاكل لا تدخل ضمن اختصاصاته، بل تدخل ضمن اختصاصات السلطات الأخرى، وقد تطلب من المجلس أن يقوم بدور لا يستطيع القيام به، وقد تجهر على المجلس لأنه لم يحل تلك المشاكل، أو لم يقم بهذا الدور.

الأمر الآخر يكمن في صراع الكتل السياسية داخل المجلس وخارجه. فهي ليست في مستوى الطموحات الوطنية والشعبية، وما زالت تفكر في مكاسبها الحزبية، أو نقول مكاسبها الضيقة، ولذلك تتصارع فيما بينها داخل وخارج المجلس، وينعكس هذا الصراع على



□ رجال الإعلام الكويتيون يتابعون إحدى جلسات المجلس العلنية

الشارع الكويتي والصحافة الكويتية، ويغرق الشارع في صراعاتها المتحدة من قضايا ظاهرها أنها لمصلحة الشعب، وباطنها صراع الكتل، هذا قد يؤدي كذلك لإجهاض العمل السياسي، كما أن عدم استيعاب النواب أنفسهم لدورهم وحساسية المرحلة التي يعيشونها، وعدم استيعاب الحكومة كذلك لدورها وحساسية المرحلة التي تعيشها، هذا كله قد يؤدي إلى أن تخفق السلطتان في بناء صيغة للتعاون والتنسيق والمضي قدما معا، ويؤدي إلى توتر العلاقات فيما بينهما وتفشل المسيرة، ونحن إلى الآن صراخنا يبدو أمام الناس أكثر من أعمالنا، بينما هناك إنجازات جليلة وعظيمة قام بها المجلس، ولكن لم تحظ بكثير من الضوء أو بكثير من الانتباه، وهذا أحد المظاهر التي تشعرني بالقلق على الديمقراطية.

اللجنة المالية والقضايا المصيرية

*** لو حدثتنا عن اللجنة المالية التي ترأسها، ما هو الدور الرئيسي الذي تقوم به؟**

- بين يدي اللجنة المالية الآن أهم قضية وطنية، ألا وهي العجز المزمن والمتراكم لميزانية الدولة، فيما سبق كان العجز يشكل بالنسبة للدولة عجزا دفتريا وليس حقيقيا، إذ إن إعداد الميزانية لم يكن يتضمن جميع العائدات سواء عائدات النفط أو عائدات الاستثمار أو غيرهما، أما اليوم فإن العجز الحقيقي يتراكم سنة بعد سنة في وضع تتسع فيه شقة أو مساحة الأعباء المالية على الدولة، سواء كانت هذه الأعباء على هيئة قروض أو فوائد لهذه القروض أو التزامات مع الدول الأخرى أو الإنفاق العام في الميزانية العامة، وإذا لم يتصد المجلس والحكومة والمؤسسات الأخرى لهذه المشكلة الكبيرة فستواجه الدولة أزمة مالية حقيقية، قد تؤثر على السياسة المالية، ولكون قوة الكويت الأساسية قوة مالية، لذلك لا بد من التصدي لهذه المشكلة للحفاظ على عنصر القوة لدولة الكويت.

ونحن في اللجنة المالية نتصدى حاليا لهذه القضية بالدرجة الأولى، وجعلناها من أولى أولوياتنا وقبل



□ حوار هادئ بين وزير الداخلية الشيخ أحمد الحمود الصباح والنائب الدكتور أحمد الخطيب

كل شيء، واستشرنا الجهات المختصة المختلفة سواء بعض الخبراء والمستشارين الماليين أو غرفة التجارة أو جمعية الاقتصاديين وجمعية المحاسبين، وأجمع الكل على ضرورة أن يكون العجز في الميزانية هو القضية الرئيسية التي يجب أن تهتم بها الكويت واللجنة المالية طبعا تعتبر أهم اللجان الموجودة في المجلس، فهي أكبر لجنة من الناحية العددية، وهي أكثر من حيث ساعات الاجتماع، وهي كذلك أكثر اللجان التي تقصدها الدول الأخرى ذات العلاقة مع الكويت، إذ إن بين يدي اللجنة القروض ومشروعات تعزيز الدفاع، وبين يديها السياسات المالية، وكان بين يديها المديونيات الصعبة، أي مصير البنوك، وبين يديها المؤسسات النفطية. جميع هذه الأمور بين يدي اللجنة، لذلك فهي محط اهتمام من الدول ذات العلاقة مع الكويت.

ثم عبر لنا عضو مجلس الأمة النائب الدكتور عبدالمحسن مدعج، عن اعتزازه بتجربة الديمقراطية في الكويت. حيث قال: إن الديمقراطية بلا شك متأصلة وموجودة منذ نشأة هذا البلد، وجاء دستور ١٩٦٢ ليعززها ويحدد إطارها، والديمقراطية أمر جبل عليه الكويتيون منذ القدم.

وللمجلس الأمة دور رئيسي في تعزيز الديمقراطية، ينبع من كيفية طرح النواب لقضاياهم الرئيسية ومعالجتها معالجة تتفق مع تطلعات وطموحات الشعب الكويتي، ولكي نحافظ على الديمقراطية يجب أن نعي جيدا أنها حق للجميع، وأن تكون الممارسة داخل إطارها تتفق والمصلحة العامة ومن ثم ينظر إلى الديمقراطية من خلال المجلس، وكلما نجح المجلس في تحديد أولوياته وحل المشاكل في البلد تعززت الديمقراطية، والعكس صحيح.

هذه بعض الملامح السريعة لمسيرة الديمقراطية في الكويت، هذه المسيرة الرائدة في المنطقة العربية، التي بدأها الكويتيون منذ عشرات السنين، ومازالوا يحيون وهم يتعاطونها واقعا في حياتهم اليومية □



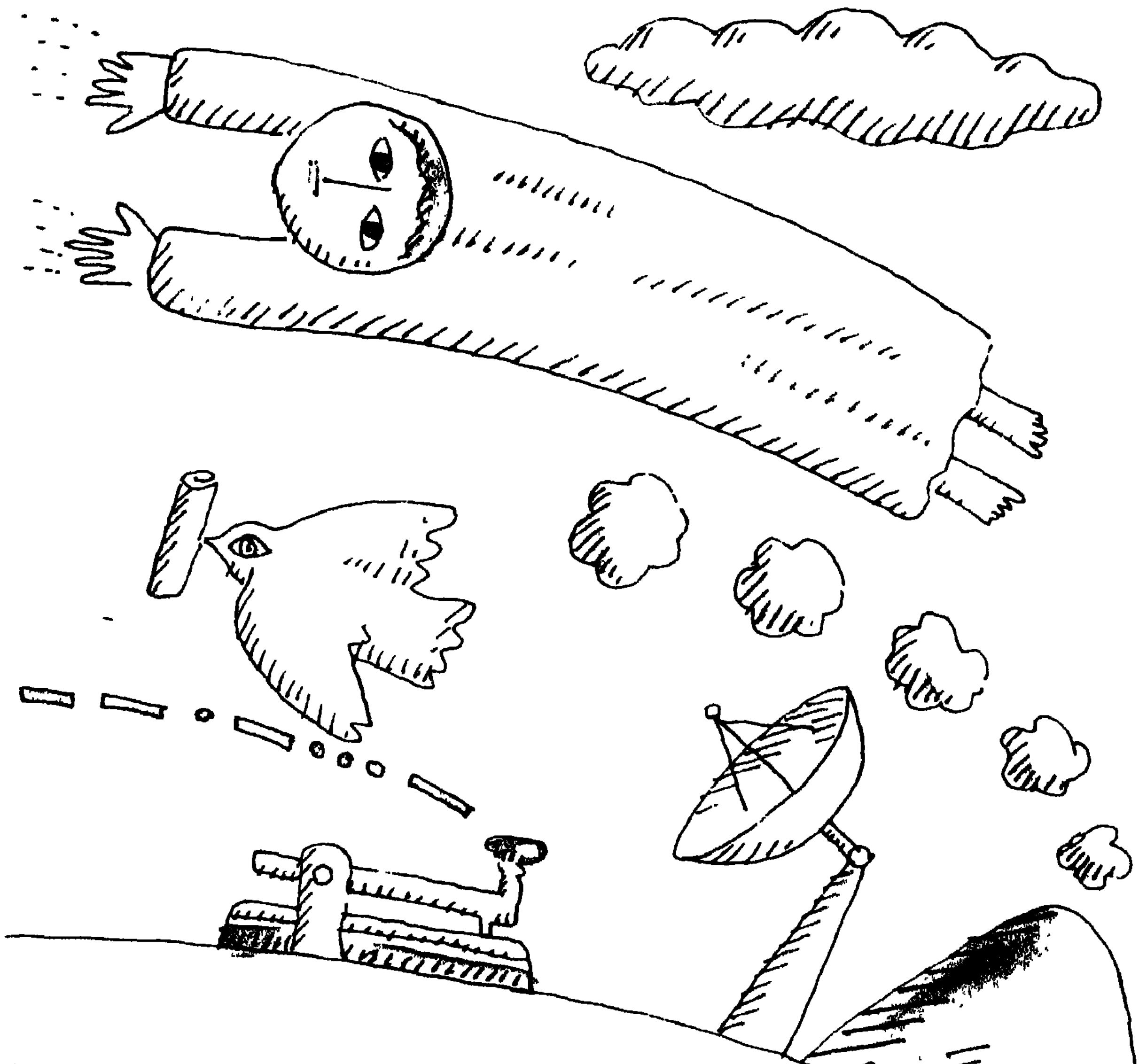
ثورة الاتصال والمجتمع

بقلم الدكتور : نبيل الجردي*

تلعب المعلومة الآن نفس الدور الذي لعبته الآلة في الثورة الصناعية، بل إنها تضاهي أقوى الصناعات لأنها تخاطب العقول وتساهم في صنع القرارات، وهي بذلك تصنع ثورة جديدة هي ثورة المعلومات.

منذ آلاف السنين اعتمد الإنسان واعتمدت المجتمعات البشرية في تواصلها مع الآخرين على وسائل بدائية تقليدية قديمة، إشارات الدخان على الجبال، حمل الرسائل الإعلامية على الخيل، أو سيرا على الأقدام، أو عبر القوارب، أو استخدام الحمام الزاجل، كلها تلبية لحاجة الانسان للتواصل، للاحتكاك، لنقل المعرفة، لنقل الخبرات والعادات والتقاليد والثقافات، وهي حاجة أساسية نشأت منذ نشوء المجتمعات البشرية، ورغم بدائية هذه الوسائل الإعلامية إلا أنها كانت وسائل مناسبة وملائمة لتلك العصور، هذه الوسائل البدائية وجدت في زمن معين لمجتمعات معينة ولخدمة أغراض واحتياجات اجتماعية معينة، لكن المجتمعات تغيرت، وتغيرت معها وسائل الإعلام تغييرا بلغ حد الثورة الشاملة في هذا الحقل. ومع تطور الوسائل الإعلامية التقليدية إلى وسائل إعلامية حديثة: اختراع الطباعة، رموز مورس، وظهور الكابلات عبر الأطلنطي، ووجود الآلة الكاتبة والسينما، والإذاعة والصورة المتلفزة وبداية التلفزيون

* من القطر العربي اللبناني ويعمل استاذا مساعدا بقسم الإعلام ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت

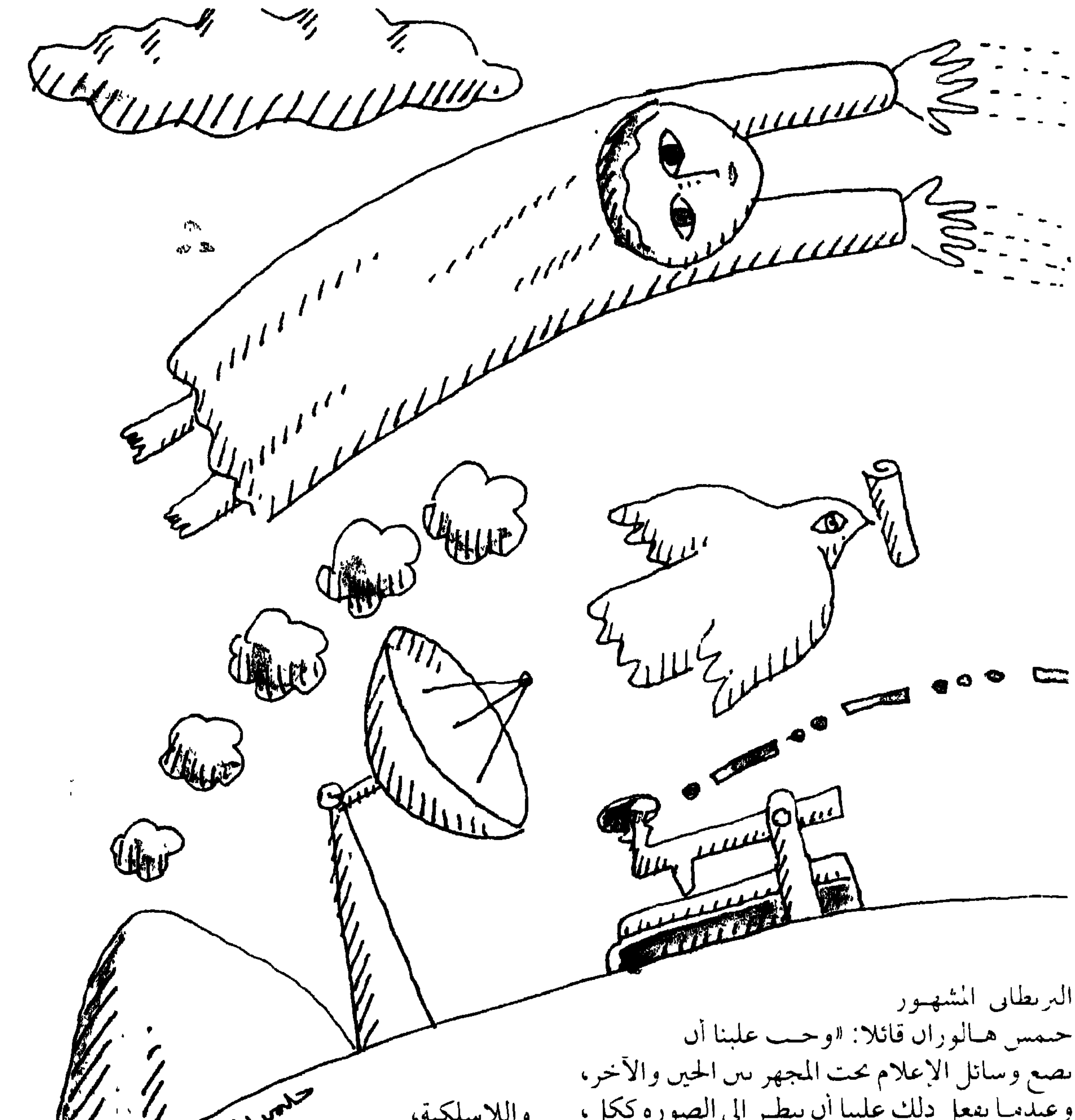


والأقمار الصناعية، لم تعد الظاهرة الاجتماعية للترعة في التواصل الإنساني، بل أدت إلى خدمة أكبر وأكثر شمولا وبالتالي ساعدت في تنمية الأنباء الشاملة وزيادة التواصل بكل ما يحققه من أهداف اجتماعية

الحضارات ووسائل الإعلام

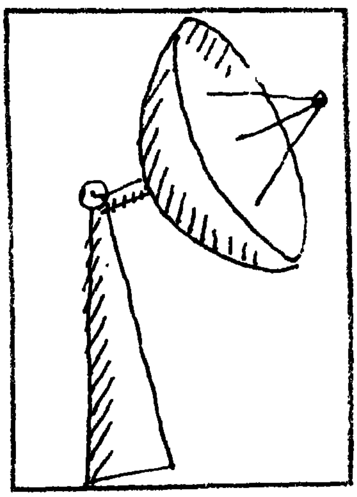
إن التغير المستمر في أي مجتمع من المجتمعات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية يحصل باستمرار. وهناك احتياجات جديدة تظهر للوجود، واحتياجات أخرى قديمة قد وفت بالمطالب واتسعت الرغبات، مطالب ومؤسسات أنشئت لتدير سلطات معينة في المجتمع. فتصبح بعد مدة من الزمن غير نافعة وغير مؤثرة. ولضمان تأثيرها وفعاليتها يجب أن تكون سريعة الاستجابة إلى الاحتياجات الحقيقة وأن تيسر بفاعليه التعبير للوصول إلى الاحتياجات المرسومة، وللوصول إلى هذا الهدف يجب ضمان استمرار عمليه التواصل وخاصة بالنسبة لهؤلاء المعتمد على خدمتهم. نمت حضارات وإمبراطوريات ونظم سياسيه ومؤسسات اجتماعية وترعرعت وتقدمت ثم اضمحل العديد منها وتفتت، وظلت وسائل الاتصال عبر العصور تزداد قوة وتزداد فعالية من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي حتى عهدنا هذا الذي نعيشه اليوم والمعروف بالمجتمع الإعلامي.

إن وسائل الاتصال الجماهيري متصلة بالنظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وهذا التلاحم بين هذه الأنظمة في المجتمعات المختلفة قد زاد خلال القرون الأخيرة، لذلك على الباحثين في هذا المجال المعاينة والبحث والتمحيص في الوسائل الإعلامية ومضمونها، فإن لم نستطع ذلك يكون بحثا ضيقا معزولا، في هذا المجال كتب الباحث



البريطاني المشهور جيمس هالوران قائلا: «وجب علينا أن نضع وسائل الإعلام تحت المجهر بين الحين والآخر، وعندما نفعل ذلك علينا أن ننظر إلى الصورة ككل، نحن ذاتها ندرس عمليات الاتصال وتفاعل الاتصال والمجتمع، ولكن علينا أن ندرس عمليات الاتصال كوحدة عامة وجزء من نظام اقتصادي وسياسي وتكنولوجي، وعدم نجاح الأبحاث الإعلامية اليوم يعود إلى أن عددا كبيرا من الباحثين يرفض دراسة الاتصال ضمن الجهار العام». وإذا كان الاتصال الجماهيري هو جزءا مهما من العضو الاجتماعي فليس من الكافي ان ننظر على ما يحصل داخل الوسائل ونحاول تغيير السياسات، بل علينا أن ننظر إلى خارج النظام كذلك، خاصة الركائز، والوحدات الموجودة في المجتمع لينهض بأفراده ومؤسساته المختلفة ومن هذه الاحتياجات: التعليم، الاعساء بالصحة العامة والمؤسسات النقلية، البرق والبريد، البوليس ومؤسسات الاتصال السلكية واللاسلكية، وواجب وسائل الاتصال الجماهيرية المختلفة من كلمه مسموعه أو مسموعة مرئية أو مكتوبة أن نواجه مسئولياتها لهذه الاحتياجات المتعدده لنضمن نجاح عملية إنماء المجتمع الشامل. وفي الدول النامية: المبدأ الأساسي هو التأكيد على المشاركة لغالبيه المجتمع في المشاريع الإنمائية من حيث ضبط الحاجات، والتنفيذ والمتابعه وذلك لزيادة خبراتهم ومعلوماتهم، لتقريبهم بعضهم لبعض في الحي الذي يعيشون فيه، ومساعدتهم للكشف عن حضارتهم وتقاليدهم وماضيهم وكيانهم الشخصي، وبدون التواصل وعدم الاستخدام الأقصى لوسائل الاتصال مع استخدام الطرق القديمة للتواصل الاجتماعي، لن

يكون هناك أمل للوصول إلى أهدافنا. إن العامل المشترك بين الباحثين في مجال الاتصال هو الاتفاق على أن ما نواجهه اليوم وما نشهده أمامنا هو ثورة بكل معاني الثورة، انقلاب جذري يعتمد اعتمادا كليا على المعلومات، وإذا كانت الآلة قد قامت بالدور الحاسم في تقسيم العالم إلى دول صناعية متقدمة غنية ومسيطرة، ودول زراعية نامية متخلفة فقيرة، فإن المعلومات تقوم اليوم بإعادة تقسيم العالم على أساس «معلوماتي» بحيث يصبح امتلاك المعلومات من أهم المعايير التي تحكم التقدم والتخلف والسيطرة والتبعية، وفي مقابل سوق المال والأسهم، بدأت تظهر سوق المعلومات ذات النشاط الاحتكاري، أو النفوذ الواسع والأهمية المتعاظمة، ولم تعد الدول المتقدمة تعتمد في تقدمها وسيطرتها على الصناعات التقليدية مثل الحديد والصلب والسيارات والصناعات البترولية، وإنما على الصناعات الكثيفة المعلومات مثل الصناعات الإلكترونية ونظم المعلومات والاتصال السلكي واللاسلكي والكمبيوتر والأقمار الصناعية.



إن ثورة الإلكترونيات هي أحدث أدوات الاتصال الإعلامي وهذه الثورة لا شك يمكن اعتبارها انتصارا حقيقيا للديمقراطية والإنسانية، ومن هنا يتضح في استعمالنا لكلمة صحافة أننا نستعملها لإبراز هذه التطورات المستحدثة، فنتحدث عن الصحافة المكتوبة والصحافة المسموعة أو الإذاعة المرئية وكذلك نتحدث عن الصحافة السحرية بالنسبة للإلكترونيات، لأن هذا النوع من الصحافة كالسحر يصل في التو واللحظة

عصر المعجزات

وإنه بفضل الوسائل التكنولوجية التي تستخدم الآن في مجالات الإعلام فإننا نعيش ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الإنسان وفي الحضارة الإنسانية أيضا، وهو ما يمكن أن نسميه بلحظة التواصل الإنساني، فالإنسان الذي كان في الماضي يحتاج لشهور أو سنوات للاتصال بشخص أو قبيلة ما، يستطيع هذا الإنسان أن يتصل اتصالا مرئيا أي يمكن محادثته ومشاهدته في لحظة واحدة، ومفتاح تقدم هذه الأجهزة مادة تسمى «الحزنيات المرئية» توصلت إليها المعامل العلمية، واكتشفت إمكاناتها الهائلة، إنها مادة تسمح لأشعة الليزر بأن تنفذ خلالها، وهي تحمل عددا كبيرا من القنوات الاتصالية في اتجاهات مختلفة في الوقت نفسه، وتقوم هذه القنوات الاتصالية التي تسمح لها هذه المادة بالنفاذ، بدور يشبه دور الأسلاك التي تحمل التيارات والكلمات. لقد أصبح التواصل بفضل هذه التطورات التقنية والتكنولوجية في عالم الاتصال تطورا إعجازيا شيئيا، وهذا التطور الإعجازي جعل التواصل الإنساني تواصلا كونيا، هذه اللحظة للتواصل الإنساني نستطيع أن نصفها بأنها من معجزات إعلام الوقت الحاضر، وهي المعجزة التي سوف تحدث من الآن حتى نهاية هذا القرن

ستحدث تغييرات في المجتمع الإنساني، بحيث ينشأ مجتمع يمكن أن نطلق عليه بالعربية مجتمع التواصل الإعلامي، وهو المجتمع الذي تسود فيه وسائل الإعلام، وقد بدأ علماء النفس بدراسة وتحليل احتمالات ونتائج هذه الثورة التكنولوجية الإلكترونية في هذا العلم الحديث على الإنسان والمجتمعات وخاصة على دول العالم الثالث، التي تعاني من القصور والتخلف، وإن لم تعد الدول النامية نفسها لمواجهة نتائج هذه الثورة التكنولوجية فإنها ستكون مدمرة أكثر منها مفيدة، فهذا الإعداد مهم للدول النامية وذلك لاحتواء التغييرات التي ستحدثها التطورات المذهلة في مجال الاتصالات الإلكترونية، ومن أهم الأدوار التي تلعبها وسائل الإعلام بمختلف فروعها وأجهزتها هو دورها الفعال في العملية الإنمائية الشاملة، والإنماء هو حركة تغيير وتطوير للمجتمع في حقل معين يصب في قنوات التنمية، والفرق بين الإنماء development والنمو Growth أن النمو هو التغيير الذي يحصل بصورة طبيعية للإنسان، فمثلا ينتقل الإنسان من شاب إلى كهل، ولكن تحقيق الإنسان لهذه المراحل هو عملية إدارية — ثقافية ولذلك نسميها إنماء لا نموا فنقول إنماء تربويا — إنماء ثقافيا. ونذكر تمييزا آخر هو التمييز بين المفهوم الشائع الخاطىء للإنماء بأنه اقتصادي أي زيادة كمية في الدخل أو زيادة كمية في الإنتاج أو زيادة كمية في الموارد، هذا إنماء اقتصادي وليس هو الإنماء الحقيقي الذي نقصده،

الإنماء الحقيقي حددته الأمم المتحدة فيما يأتي: «الإنماء هو النمو مع التعبير» أي بمعنى أن المجتمع الزراعي المتخلف يتطور إلى مجتمع زراعي ثاني، فإذن لم نكتف فقط بزيادة إنتاجنا الزراعي ليكون لدينا نمو زراعي ولكنا أحدثنا ما يسمى بالتعبير النوعي أيضا، إننا صنعنا المجتمع وحولناه من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي ومنه إلى مجتمع إعلامي، لأن الصناعة تعد أساس الحضارة العصرية التي نعيشها الآن، ومن هنا عندما نميز بين المفهوم الاقتصادي الضيق للإنماء والمفهوم الذي نصفه الآن بأنه المفهوم الكاملي الشامل للإنماء نقول إنه هو الذي يشمل مع التعبير والتقدم الاقتصادي التقدم الاجتماعي والتقدم التربوي والتقدم الثقافي والإنماء الروحي للإنسان الذي هو غاية الغايات، وهذا هو أشمل تعريف للإنماء في المجتمعات لأنه المفهوم الحقيقي والشامل والمعتمد في الأوساط العلمية والدولية.

وسائل الاتصال والمجتمعات البشرية

والإعلام بوسائله المختلفة المستحدثة يدعو لأن يكون في خدمة المجتمعات البشرية كافة ووسائل الإعلام لا تقتصر مهمتها على نشر الأخبار وتوزيعها، الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، بل عليها ومن واجبها أن تعنى عناية خاصة بالإنماء في جميع قطاعاته وفروعه الإنماء الزراعي والإنماء الصناعي والإنماء الثقافي والإنماء التربوي، وأن تعطي وتنشر جميع الأخبار المتعلقة بهذه القطاعات وما يستحد منها دون انقطاع.

أما كعالم ثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، تشكل عوالم مستحدثة في طريق النمو والتقدم ومن واجب الإعلام أن يوعي ويبصر المواطنين بظواهر ووجود التخلف الذي يعانيه المجتمع ويبصرنا بها ناقدا لسلبياتها، ومن جانب آخر على الإعلام أن يرشدنا ويساعدنا على الأقل لنرى كيف يمكن أن نطور هذه الحقول المختلفة في هذه القطاعات إلى قطاعات متقدمه، ومن واجب وسائل الإعلام المختلفة تبسيط المعلومات والموضوعات المعقدة حتى تصبح في متناول فهم القارىء عن طريق الصحيفة والمجلة، والمستمع عن طريق الإذاعة والمشاهد عن طريق التلفزيون، وهنالك الآن وفي كثير من بلاد العالم النامي والمتقدم محطات إذاعية وتلفزيونية بها برامج إنمائية خاصة وهي من أنجح البرامج، فمثلا توجد برامج في تلفزيون المغرب لمكافحة الأمية وبرامج تلفزيونية وإذاعية لتثقيف الفلاحين وتعليمهم أحدث أصول الزراعة بواسطة استعمال الأدوات والتكنولوجيا الحديثة وهنالك في التلفزيون الفرنسي برامج خاصة حول تعطية قانون السير وبرامج صحية إنمائية، كما بدأ تلفزيون عمان في بث برامج تلفزيونية هدفها محو الأمية.

فالإعلام ووسائله المختلفة يستطيع أن يقوم بدور فعال في مجتمعنا فحينما يعرّف الإعلام بنهضة المرأة بما هي عليه وما يجب أن تكون عليه فإنه يشارك في عملية الإنماء الاجتماعي في مجتمعنا، وليس من العار أبدا أن يكون المجتمع أو الإنسان متخلفا، لأن هذا التخلف غالبا ما يكون سببه ظروفا معينة من ركود أو استعمار أو غير ذلك، ولكن من العار ألا يعي الإنسان تخلفه ليعمل جاهدا على محوه. وبما أن وسائل الإعلام هي بحد ذاتها منظمات اجتماعية وجب عليها أن تكون مهتمة بمحيطها الذي تعيش فيه، والتفاعل الدائم والمستمر بين وسائل الاتصال الجماهيرية والمجتمع يعني أن هذه الوسائل لا تؤثر فقط في المجتمعات من الناحية الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ولكن في نفس الوقت تتأثر هي بالمجتمع كذلك، ودائما تكتسب وحدات جديدة من البيئة، وهكذا تظل العملية عملية تواصل دائمة ومستمرة، ومن ثم لفهم وسائل الاتصال الجماهيري فهما صحيحا علينا فهم المجتمع الذي توجد فيه هذه الوسائل الإعلامية، ولفهم المجتمع بطريقة صحيحة فلا بد من وجود صورة واضحة عن العادات والتقاليد والتراث، وهذا يعني الإدراك والوعي الكامل والدراية بالعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإنسانية، كل ذلك من الضروري لفهم وسائل الاتصال ووضعها في خدمة المجتمع فعلا وحقيقة. □

من أمثال الأمم والشعوب:

* **من يتألم أكثر سيعرف أكثر.** (مثل يوناني).
* **الله يشفي والطبيب يؤجر.** (مثل بلجيكي).
* **الإنسان يرى عيوب نفسه بعيون غيره** (مثل سويسري).
* **لا يحب محبة خالصة إلا العفيف الشجاع.** (مثل عربي).
* **ليس الجميل غالياً. بل الغالي هو الجميل.** (مثل ألماني).



أرقام

بقلم: محمود المراغي

هلال الشرق الأوسط

هذا تجمع سكاني جديد يزيد عدد سكانه على خمسمائة مليون نسمة طبقا لإحصاء عام ١٩٩٠، وبالتحديد، وفي ذلك العام، بلغ الرقم «٥٠٣» ملايين.

ما يلفت النظر ليس عدد السكان والذي يأتي في المرتبة السادسة بين الأقاليم الديموجرافية في العالم، ولكن اللافت هو ذلك الاصطلاح الذي استخدمه تقرير أخير للبنك الدولي صادر عام ١٩٩٣.

التقرير ـ وهو تقرير عن التنمية في العالم ـ يقسم العالم إلى ثمانية أقاليم ديموجرافية أكبرها الصين، والتي اعتبرها إقليما قائما بذاته قوامه «١١٣٤» مليون نسمة، وأصغرها الدول الاشتراكية السابقة في أوربا وعدد سكانها «٣٤٦» مليون، وبين الاثنين يقع ذلك الإقليم، أو المصطلح الجديد

الحدود الممتدة

لقد اعتدنا في الجغرافيا السياسية أن نطلق تعبيرات الشرق الأدنى ـ الشرق الأوسط ـ الشرق الأقصى والجديد الذي استحدثه البنك الدولي ولا أعرف إذا كانت منظمات دولية أخرى قد استخدمته، هو ذلك تعبير «هلال الشرق الأوسط» والذي يخترق الأقاليم الثلاثة التي ارتبطت باسم الشرق «أدنى ـ أوسط ـ أقصى»

ووفقا للتعريف والخريطة الواردتين في التقرير فإن «الهلال» يمتد من موريتانيا غربا إلى حدود الصين في الشرق، إنه إقليم متسع يضم شمال إفريقيا وسائر البلدان العربية الآسيوية. و يزحف إلى الجمهوريات الآسيوية التابعة للاتحاد السوفييتي سابقا، ويضم فيما يضم إسرائيل وباكستان وتركيا ومالطا.

وبيانات هذا الإقليم التي أوردها البنك الدولي ليست كثيرة فهو يدخل فيما يسمى «متوسطي الدخل» حيث بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي عام «٩٠» «١٧٢٠» دولارا، أما معدل النمو وخلال سنوات خمس عشرة امتدت من «٧٥ ـ ١٩٩٠» فقد كان سالبا، وبلغ مقداره «-٣ر١» بالمائة.. وبينما لا يحمل الرقم الأول مدلولا كبيرا ـ حيث يضم مواطن الكويت والإمارات والسعودية كما يضم مواطن موريتانيا، فإن الرقم الثاني له مدلوله الأكيد حيث يعكس المتاعب الاقتصادية التي واجهت هذا الإقليم فيما سمي بالحقبة النفطية وما بعدها، لقد تراجع الدخل باطراد، وتساوى في ذلك الأغنياء والفقراء، فقد هبط سعر النفط ـ بعد زيادة كبيرة ـ وتراجعت أسعار كثير من المواد الأولية وتفاقمت مشكلة العجز القومي الذي انعكس على تزايد المديونيات.

الإقليم في مجمله يعاني من المشاكل الاقتصادية، وإن كانت هناك مؤشرات تحسن في حياة الإنسان فقد زاد متوسط العمر من ٥٢ إلى ٦١ عاما، كما قلّت وفيات الأطفال من ١٧٤ إلى ١١١ في الألف، وبما يعني أن التقدم في الوسائل الصحية قد يعوض التخلف في الاقتصاد والدخل.

هده هي كل الملامح التـي أوردها تقريـر دولي حول مسمى حديـد هو «هـلال الشرق الأوسط» والسؤال حول مصمون الكلمة ومغزاها.

هذه الأفكار الجديدة

في الجغرافيـا السياسية لكل مصطلح معنـاه ومعزاه، ولكن وفي النتـائج العمليـة قـد لا يكـون هـاك نفس الشيء، ومع دلك فإن نأمل المصطلح الجديد له أهميه البنك الـدولي منظمــة اقتصـادية، لكنهـا تـرتبط بالسياسه، خاصه سياسة الدول دات الثقل في البنك والبنك الدولي كثيرا ما أضـاف مصطلحات ومعاني جديده في الأدبيات الاقتصاديه، ولكن ها هو يستخدم مصطلحا له ابعاده السياسية.

التقريـر ـ الذي نتوقـف امامه ـ صـادر عام ١٩٩٣، وهو العام الدى نشط فيه الحديث عن الشرق أوسطية، وقد كـان مضمون هـذا الحديث أنه مع المضي قـدما في الصلح مع إسرائيل سـوف تقـوم عـلاقـات إقليميـه جديدة تمتد لما بعد البـلاد العربية وكما حدث قدر من الاندماج أو التكامل الاقتصادي في أوربا الغربية، ومن بعـدها القـاره الأمريكيـه التي استحدثت تجمعـا تحت اسم «النافتا» يضم كندا والولايات المتحده والمكسيك، كما حدث دلك في مـناطق مختلفة من العـالم، فإنه ينبغي أن يحدث في الشرق الأوسط، فتمتـد أنـابيب النفط، والغاز، وشبكات الكهرباء، ومجاري الأنهار، لتربط بين دول هـذه المنطقه بطبيعـه الحال ـ والحديث عن مناخ ١٩٩٣ ـ فقد كانت هـذه هي البداية . لكن التصورات بعد دلك ممتـده لبناء نموذج اقتصادي تتشـابك شرايينه ومصـالحه ليصبح ـ في وقت منظـور ـ سـوقـا واحـدة تسقط بينهـا الحواجـز، وتمتـد أواصر المودة والتعـاون. الفكـره ـ كما نعلم ـ كـانت مثـار خـلاف في المنطقـة العربية، وبينما قـال البعض: «ذلك تطور طبيعي في ظل نظام عـالمي جديد».. فإن البعض تحفظ وكـان له الحق في ذلك، وربما تكون التحفظات حول الشرق أوسطية، قريبة من الملاحظات التي يمكن إبداؤها على المصطلح الجديد «هلال الشرق الأوسط».



نلاحظ:

١ ـ أن الشرق الأوسط وهـلال الشرق الأوسط بـالتـالي يقف كـلاهما على رأس جسر يتقـاطع مع العروبه. الفكـرة تبدو بديلا للفكرة القـومية في الوطن العربي، فبدلا من تعميق وتكريس العلاقات «العربية ـ العـربية».. فإن المطروح دخـول شركـاء جـدد من غير العـرب، وبينما يأتي دلك كنوع مـن فك الحصار حـول إسرائيل ـ وهو أمر متوقع على أي حال ـ فإن الأهم هو فحص تلك الفكــره . فكـرة فتح الحدود، وتـوثيق التعـاون، وهل يكـون من الأصلح قصره على الـدائرة العربية أم يمتد لدائرة أوسع. وفي الحالة الثانية: ما هو الأثـر السيـاسي لهذا الامتـداد على الفكـرة القـوميـة والروابط القومية العربيه؟.

٢ ـ ووفقا لتعريف البنك الدولي لمنطقة «هلال الشرق الأوسط» يـلاحظ أن فصـلا ودمجا قـد حدثـا، فقـد خلع التقريـر الجمهوريات الإسلامـة السوفييتية السـابقة من مـوقعهـا، وحلو لها انتماء جديـدا «إسـلاميـا ـ عـربيـا ـ جنوبيـا». فهل يكون دلك هو الربـاط الطبيعي. أم هو فك للارتباط القديم.. مع موسكو، وما حولها؟

٣ ـ والسؤال يثار حول موقع ودور بلدان مثل تركيا ـ عضو الأطلنطي ـ وإسرائيل ـ القادم الجديد ـ وإيران المناوئة للعرب

هذه ملاحظات أساسيـة ثلاث حول مصطلح جديد، طفا على سطح الأدبيات السياسية والاقتصادية العالمية في عام شهد صراع المشاريع السياسية والحضارية، أعني عام ١٩٩٣.. والأكيـد أن عـام ٩٤ قـد يشهـد مـزيـدا من الوضوح والحسم . عرب أم شرق ـ أوسطيون، تلك هي القضية، وفي إطارها تأتي التـوجسات من مصطلح جديد هو «هلال الشرق الأوسط». □

دعوة للعشق العظيم

الحب في زمن.. الإيدز

IDS

СПИД

AIDS

أيدز

بقلم: شوقي رافع

«السياحة الجنسية» حصدت في العقد الماضي ١٤ مليون ضحية، وفي العام ٢٠٠٠ أي بعد ٦ سنوات، سوف يرتفع العدد إلى ١٢٠ مليون ضحية، «الإيدز» هو الوكيل المعتمد لهذه السياحة الجنسية، في الداخل كما في الخارج. عذاب الإيدز ربما لا يقل هولا عما يروى عن عذاب القبر، مع ذلك فإن الاجتياح المهلك لا يتوقف، فهل يمكن لقيم العاشق العظيم أن تمنع أزاهير الشر من التهام حدائق القلوب المتفتحة على الحب؟ هنا بعض الإجابة.

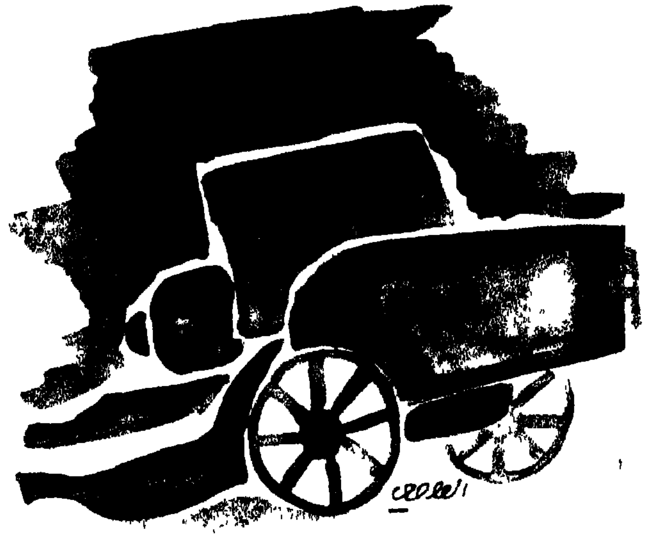
ضحك الساقي خلف البار وهو يراقب جموع الراقصين والراقصات في ليلة السبت، قال: هل ترى هذا الصندوق هناك عند باب الخروج وهل ترى حجم اللافتة التي تعلن عن البضاعة داخله؟ حسنا لقد وضعنا هذا الصندوق في ذلك المكان منذ عام، وهل تعلم كم زبونا استخدمه طوال هذا العام؟ زبون واحد فقط، وقد استخدمه بالغلط، وأقسم بالسماء على ذلك، فقد جاءني ذلك الزبون الثمل يصرخ في مرارة أنه وضع جنيها في فتحة الصندوق على أمل أن يحصل على علبة سجائر، وليس على علبة من «الكوندوم» اللعين(!)

و«الكوندوم» هو «العازل» الذي اقترحت حكومة صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا تزويد جميع الحانات وعلب الليل به، في حملة ضد «الإيدز» وصلت نفقاتها إلى ٨ ملايين جنيه إسترليني

ويقول الساقي خلف البار في تحقيق نشرته صحيفة «صانداي تايمز» البريطانية: «أعتقد أن هؤلاء الشبان لا يهتمون على الإطلاق بل إنهم في جنونهم المدوي يرون الجسد الفتي وليس الإيدز، ومع ذلك الجسد يودون لو يمارسون الحب وحتى الموت».

نعيش اليوم وفقا لإحصاءات منظمة الصحة العالمية مع ١٤ مليون مصاب بمرض فقدان المناعة المكتسبة «الإيدز»، وفي نهاية هذا القرن أي بعد ٦ سنوات، سوف يرتفع العدد إلى ٤٠ مليون مصاب، غير أن إحصاءات أخرى تبدو أقل تفاؤلا، ترفع العدد استنادا إلى وقائع ثابتة إلى ١٢٠ مليون مصاب، والإصابة بفيروس الإيدز تأتي غالبا نتيجة للعلاقات الجنسية أو لممارسة الحب، وفق القاموس الغربي، مع ذلك لا يبدو أن العشاق في طريقهم لتغيير عادات الحب وتقاليده، كيف؟.

هنا بعض الحكايات والأرقام و.. السوابق.



صرحت المرأة العجور في «السوبرماركت»: «أقسم بالله أنني شاهدته، كان يبصق فوق صندوق الكرز، وكان الرذاذ يتناثر فوق صناديق الفواكه، لم يبصق مره واحدة بل أكثر، شاهدته بعيني، كان «يتفل» ثم يجمع ريقه مره أخرى و«يتفل».. إنه لا شك مصاب بالإيدز.. وهو يريد أن ينقل المرض لأكبر عدد من الناس..».

هذه واحدة من الحكايات «الواقعية» التي تناولتها وسائل الإعلام الأمريكية في عام ١٩٨١ ومع بدايه اكتشاف مرض «الإيدز»، الذي تحول إلى عصاب يجتاح المجتمع الأمريكي، ومثلها رواية أخرى عن عاملة على صندوق النقد في أحد محلات بيع الثياب، فقد تقدمت فتاة شابة ودفعت للعاملة ورقة من فئة ١٠ دولارات ولكن ما أن لامست ورقة النقود يد العاملة حتى ألقتها وهي تصرخ بذعر إنها مبتلة، لا بد أنها موبوءة بالإيدز. وركضت العاملة إلى الحمام كي تغسل يديها.

وفي تلك المرحلة لم يبخل أحد المزارعين أن يطرح على قراء صحيفة «واشنطن بوست» حكمة الأجداد في التعامل مع هذا المرض، فكتب للصحيفة يقول: «كان أجدادي يلقون مرضى الطاعون في محلول الكلس وهو يغلي، حسنا، إنهم لم يكونوا يملكون بنادق في ذلك الوقت، وأعتقد أن تسديد رصاصة إلى رأس المصاب بالإيدز هو خير علاج لإنقاذ أمريكا من هذا الوباء».

بالطبع، في تلك المرحلة البدائية للمرض، كان «الشذوذ الجنسي» لدى الذكور هو المتهم الرئيسي في ظهور الإيدز، وهذا ما أدى بالمنظمات النسائية إلى الدعوة لإنشاء أحواض سباحة خاصة بالنساء، ولكن كما تبين فيما بعد فإن التواصل الجنسي بكل أنواعه يكفي لتسلل الفيروس إلى جسد الضحية، وبلغت حبكة هذا الفيروس قمتها في شباط (فبراير) عام ١٩٨٥ عندما انفجرت فضيحة ميلر الأمريكي وسفيتلانا السوفييتية، حيث تبين أن ريتشارد ميلر وهو يعمل في مكتب التحقيقات الاتحادي الأمريكي منذ ٢٠ عاما قد وقع في هوى «سفيتلانا» العميلة لجهاز «كي.جي.بي»، وكان يزودها بمعلومات غاية في السرية عن جهاز الجاسوسية المضادة الأمريكي ووثائق سرية أخرى يلحق الكشف عنها أقصى الضرر بالأمن القومي الأمريكي، ومع أنه لم يرد أي ذكر لمرض «الإيدز» في الفضيحة، إلا أن وسائل الإعلام الشعبية تناقلت وعلى نطاق واسع واستنادا إلى مصادر استخباراتية أن جهاز الـ«كي.جي.بي» يستخدم «عميلات» من أوروبا الشرقية ومن دول العالم الثالث مصابات بالإيدز، ولقد لقيت هذه الحكاية رواجا واسعا، وانصب الحقد بشكل أساسي على السود والملونين وبالتالي لم تعد «الخيانة الزوجية» كما في فضيحة ميلر مسألة شخصية بل ارتفعت إلى مستوى الخيانة الوطنية.

.. ورغم آلاف الدراسات والحملات الإعلامية فقد تابع فيروس «الإيدز» غزواته، وحافظ العشاق على طقوسهم في ممارسة الحب.. حتى الموت..

اجتياح آسيا

«الطفرة المقبلة في آسيا: انفجار الإيدز» تحت هذا العنوان نقلت صحيفة «هيرالد تريبيون» الدولية يوم ٣ ديسمبر الماضي تقريرا على صفحتها الأولى وضعه «بنك التنمية الآسيوي» يحذر فيه من أن قارة آسيا وليس إفريقيا، هي من سوف ينال حصة الأسد من مرض الإيدز، حيث من المتوقع أن يحصد مع حلول العام ٢٠٠٠ حوالي نصف عدد الضحايا المتوقعة في أنحاء العالم كله.

تقرير الصحيفة كشف أن تايلاند هي «عين الإعصار» المقبل من آسيا، فعدد السكان فيها هو ٥٩ مليون نسمة، أما عدد الإصابات «المعلنة» فيصل إلى ٦٠٠ ألف مصاب، ويعلق خبير تايلاندي بارز: «إن معظم دول آسيا مع الأسف ما زال غارقا في سبات عميق، بعضها يحاول الإنكار وبعضها يكذب متعمدا حول عدد المصابين» ويضيف تقرير رسمي وضعته وزارة الصحة التايلاندية: «مع نهاية هذا القرن يمكن أن يتصدر ضحايا الإيدز قائمة الوفيات في البلاد كلها».

ويقول تقرير الصحيفة إن ما يزيد الصورة بشاعة هو «السياحة الجنسية» في البلاد، حيث تنتشر «دعارة الأطفال» وهذه أيضا يتم تصديرها إلى الخارج عبر شبكات «الجريمة المنظمة» التي تزدهر أعمالها نتيجة للفساد الإداري في أجهزة الدولة المكلفة بحماية الصحة

العامة، ونتيجة لكل هذا لم يجد اثنان من الباحثين في الإيدز غضاضة في الكتابة إلى صحيفة "بانكوك" محذرين "إن المخاطرة العظمى التي تواجهها المرأة في تايلاند اليوم هي أن تلتقط فيروس الإيدز عند الزواج"(!) في إشارة واضحة إلى نشاط الشبان الذكور قبل الزواج.

إن واحدا من بين كل ١٠٠ مواطن في تايلاند مصاب بالإيدز، ولكن ماذا عن مسارات البلدان الأخرى؟ الجواب ربما يصل متأخرا لأن الحكومات، للمحافظة على السياحة وتصدير العمالة و... الكبرياء القومي ما زالت تكذب متعمدة.

المرض السري

وليست الحكومات وحدها هي من يكذب، فالإيدز في الصيغة الشعبية هو مرض جنسي، وكل ما يدخل في باب الجنس يصبح محرما حتى في الغرب، رغم كل مظاهر "قلة الحياء". ففي بريطانيا مثلا يقول الدكتور نيل دوملان بحسب البرنامج الإذاعي الشهير "طبيب على الهاتف": "إن المشاكل الجنسية تقع بنطاق عالمي لأن أصحابها يخجلون من التحدث عن أنفسهم"، وفي كتاب

الجامعات والإيدز

طلبت وزارة الصحة الإيطالية من الجامعات الكاثوليكية تعميم أخطار الإيدز على الطلاب فيها، وقالت في رسالة إلى المجلس الأعلى لهذه الجامعات.. "خير للإيدز أن يدخل عن طريق أفكار الأستاذ إلى الجامعة، لأنه إذا لم يفعل، فإنه سوف يدخل عن طريق أجساد الطلاب والفرق واضح"

درهم وقاية .. ولكن

فرضت عدة دول في الخليج العربي على العائدين من تايلاند الخضوع لفحص طبي يكشف عن خلو العائد من مرض الإيدز، كما فرضت دولة الإمارات العربية المتحدة على العمالة الوافدة الحصول على شهادة خلو من الإيدز قبل الحصول على الإقامة، ويتم عادة تسفير الوافد في حال تبين أنه مصاب بالإيدز، ومع ذلك يروي أحد ضباط الشرطة في دولة خليجية أن صاحب مقهى من تنزانيا يحمل فيروس الإيدز تم تسفيره، حيث رافقه الضابط نفسه إلى المطار، ولكن الضابط فوجىء بعد أسبوع، وهو يمر أمام المقهى بوجود التنزاني داخله، وبعد التحقيق تبين أن المصاب حصل على جواز سفر جديد و.. عاد.

تحمل عنوان البرنامج نفسه يطرح الطبيب نماذج من الأسئلة التي يسألها المصاب المجهول، وهنا بعضها.

● كيف أستطيع الوصول إلى عيادة الحميات الجنسية، هل هناك عناوين محددة، فأنا لا أرغب أن أطرح هذا الموضوع مع طبيبي؟

● لقد فقدت زوجتي أخيرا رغبتها الجنسية، وهي تقول لي إن باستطاعتي البحث عن علاقات جنسية خارج المنزل ماذا أفعل وكيف يمكنني أن أتجنب الإصابة بالإيدز إذا حققت رغبتها؟

● كنت متبرعا دائما بالدم، ولكن بعد انتشار الإيدز سوف أتوقف، أخشى من أن العدوى قد تنتقل إليّ.

● مارست الجنس خلال زيارة لإفريقيا، وأنا خائف أن أقوم بالتشخيص، هل تعتقد أن العدوى محتومة؟.

● ماذا يحدث إذا ذهبت إلى عيادة الأمراض الجنسية، هل السرية مكفولة وهل يحق للطبيب أن "يبلّغ" عني إذا كنت مصابا بالإيدز؟

ومثل هذه الأسئلة عبرت عنها سيدة كهلة في ألمانيا، بعد أن انفجرت أخيرا فضيحة تجارة الدم الملوث بالإيدز، وقد تم توزيعه على المرضى في ألمانيا وخارجها، المرأة العجوز رفضت الذهاب للمستشفى كي تعرف إذا كانت تحمل "الإيدز"، بعد ذلك قالت لأحد الباحثين: هل تعتقد أن أولادي وأحفادي سوف يتحملون وجودي معهم في المنزل، إذا تبين أنني حاملة لفيروس "الإيدز"؟.

هذا في الغرب، أما في الشرق فإن الإصابة بالإيدز ما زالت فضيحة مدوية حتى وإن جاءت عبر نقل الدم الملوث، وهي فضيحة تدفع بالأسرة كلها وليس بالمريض وحده إلى سراديب المنبوذين، وهي سراديب يتزايد عدد سكانها يوما بعد يوم ولكن بسرية تامة(!).

الحب على الطريقة البريطانية

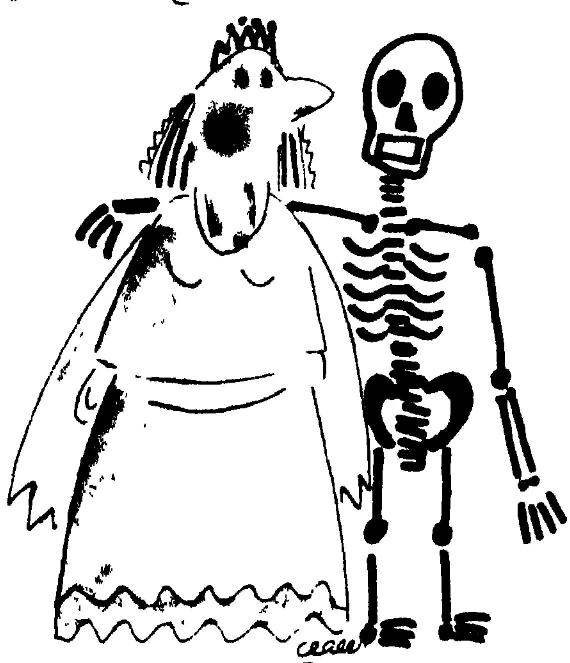
ولم تعد اللذة الفردية وحدها هي طريق الإيدز إلى الصحية، فبعد مرور عقد من الزمن على تحديد مواصفات فيروسات المرض، على أيدي مجموعة من الباحثين الفرنسيين (١٩٨٤) فإن المجتمعات البشرية سواء في العالم الصناعي الغربي أو في العالم المتخلف وخاصة في إفريقيا تبدو وكأنها تعمل وفق نمط جماعي يساعد على انتشار الإيدز.

ولنأخذ بريطانيا مثلا، حيث تقول الإحصاءات إن ١٧ بالمائة من العائلات البريطانية "أحادية" أي تعتمد على الأم فقط، وأن واحدة من بين كل ٥ أمهات في بريطانيا تحت سن ٢٤ سنة تعيش وحيدة، أي من دون زوج، وأن ٥٠ طفلا من بين كل ١٠٠ طفل ملوّن

يولدون غير شرعيين، أي مجهولي الأب، وهذه الإحصاءات تكشف عن سنة جماعية للحب، تجعل التواصل الجسي خارج نطاق الأسرة سلوكا طبيعيا تنتج عنه مؤسسات اجتماعية تتلقى معونات من الحكومة تساعدها على متابعة خياراتها في الحب والجنس بعيدا عن مؤسسة الزواج التقليدية، وهذه المشاعية في الحب التي يمكن أن يسميها البعض إباحية، هي أمر واقع وظاهرة اجتماعية تتنامى في العالم الصناعي «الغني»، كما تتنامى في المجتمع المتخلف «الفقير» لأسباب متباينة، ولكنها في الحالتين تجعل من عالمنا المعاصر قرية صغيرة ملغومة بالإيدز.

الإيدز قادم والإسلام هو المنقذ

«الإيدز قادم لا محالة» يقولها الدكتور عبدالرحمن العوضي وزير الدولة السابق لشئون مجلس الوزراء في الكويت، ويرسم في مقال مرعب تناقلته وسائل الإعلام في دول الخليج العربية صوره لإفريقيا هي أقرب إلى «سدوم وعامورة» حيث الوباء يضرب بالجملة، والمدن مهددة بالفناء، والموت يزحف على خطى تجارة الفحشاء التي تزدهر مع الازدحام وقلة المصادر، ويؤكد العوضي: «إن الفيروس قد أصبح أليفا بنا، وبدأ ينتشر بصورة مفزعة جدا في جميع أقطار العالم، والخوف هو من وقوع الشباب الطائش فريسة لهذا الفيروس الخطير عن طريق الزلل، في طريق الرذيلة» «حيث إن ٩٠ بالمائة من حالات المرض تقع بسبب العلاقات الجنسية»، ويرى العوضي «إننا محظوظون، فنحن نعيش في المجتمع الإسلامي الذي



لا يزال المسلمون يأخذون من تعاليم دينهم ومن أوامره ونواهيه الحكم لكي يتدبروا شئون حياتهم، في حين أن المجتمع الغربي قد ابتعد عن الدين ولا يعرف معنى القيم، ولا معنى العيب، ولا معنى الحرام والحلال» ويستنتج الدكتور العوضي أن «هذا هو السبب الذي جعل انتشار هذا المرض في المجتمعات الإسلامية ما زال أقل نسبيا من المجتمعات غير المرتبطة بالإسلام وقلة الإصابة في الدول الإسلامية تؤكد أن حكم الدين على الأرض هو الحكم السليم.. وباتباع تعاليمه والابتعاد عن الرذيلة سنحمي مجتمعنا من هذا الطاعون الخطير».

الدين إذن هو الحصن والملاذ والقلعة لمواجهة هذا الطاعون شرط ألا يعتمد على «الحظر والقانون والحبس» كما يقول الدكتور العوضي بل على التوعية، وفي هذا يتفق معه كثيرون.

حزب المحافظين في بريطانيا يطرح قيما علمانية لأسباب لا صلة مباشرة لها بالإيدز، ولكنها تؤدي إلى الأهداف نفسها والتي يسعى أصحاب العودة إلى قيم الإسلام لتحقيقها، فرئيس الحكومة البريطانية جون ميجور وقطاع كبير من قيادات حزبه بدأوا يطرحون وفق تعليق لمحلله «الايكونوميست» في نوفمبر الماضي العودة إلى الأساسيات أو الأصول، من نوع. قيم العائلة والمسئولية الفردية، ومكافحة الجريمة وسواها، والهدف هو تقليص النفقات التي تدفعها الحكومة في دولة الرعاية، ويعتقد بعضهم أن المواطن البريطاني لا يدفع الضرائب «لتمويل إنجاب طفل يكره أبوه» ويستشهد هؤلاء بالخبير الأمريكي في شئون دولة الرعاية تشارلز موراي الذي يقول «إن اللاشرعية هي أخطر وأهم مشكلة في عصرنا»، ويقترح تقليص المساعدة للأم التي تنجب طفلا من أب مجهول «لأن الطفل هو من يحتاج إلى مساعدتنا وليس الأم»، ولكن في مواجهة هذا التيار يقوم في حزب المحافظين تيار آخر يعتبر أن المواجهة هي «بين الحرية والسلطة، ولا يمكن للسلطة أن تحدد للأفراد نوع العلاقات وطريق الحب التي يسلكونها».

وإذا كان هناك من يرى أن حرية اختيار العلاقة قد تفتح المجال واسعا لتفكيك الأسرة التقليدية، وبالتالي إزالة أحد السدود الرئيسية في مواجهة طوفان الإيدز فإن هذا الحوار الذي يدور في بريطانيا وفي أمريكا، بعيدا عن فوهة البندقية وعبر المؤسسات التمثيلية، ربما يؤدي للعودة إلى «قيم العائلة» باعتبارها حصن العافية القادر على ضبط انتشار «الإيدز»، وفي هذا يلتقي المتحاورون في الغرب كما في الشرق، رغم اختلاف المذاهب الدينية والسياسية على حد أدنى لمواجهة الطاعون الجديد ولكن

مع تسجيل هذه المفارقة السوداء وهي أن الفتاة في بريطانيا تحصل على منزل فور أن تضع طفلا غير شرعي، أما في مصر فإن الشاب يضطر إلى ممارسة الحب الحرام لأنه لا يستطيع توفير منزل يأوي إليه مع الحلال

«عازل» بالألوان

التكنولوجيا الغربية بدورها تراقب جهودها مع هذه الحملة العالمية لمكافحة الإيدز بداية من «الكوندوم» أو «العازل» حيث تتنافس الشركات على تحويله إلى «لعبة» للذكور، وليس أداة طبية، فتطلق عليه أسماء محببة كما تصبغه بألوان مختلفة، بل أكثر من ذلك فقد روت صديقة جامعية تدرس في أمريكا أن المحاضر في إحدى حصص الاجتماعيات دخل الصف مرة وهو يحمل علبة من «العوازل» الملونة، وبدأ يعرض على الحضور رائحة كل منها، لأن الشركة المنتجة جعلتها بروائح الفواكه: كرز وفريز ومانجو وخوخ. وعندما لاحظ المحاضر حياء الصديقة العربية، قال: «بالتأكيد ليس في تعلم هذه الأشياء ما يدعو إلى السرور، ولكن في مواجهة الإيدز لا بد من المحافظة على المجتمع والناس أولا، ثم فيما بعد نستطيع أن نبني فيهم الأخلاقية، فالأخلاق كما الأديان شرطها وجود المجتمعات والناس، وفي حال فنائهم .. فلا أخلاق ولا دين»

وفي هذا السياق يؤكد الطبيب البريطاني بيل دولمان أن استخدام «العازل» قادر على الوقاية من الإيدز بنسبة تصل إلى مائة في المائة

أما أبرز اجتهادات التكنولوجيا الغربية في هذا المجال حتى الآن فقد اقترحته مجلة «ألومني» العلمية الأمريكية



في تقرير نشرته على حلقتين، تحدثت فيه عن «كرسي» يتصل بمجموعة من الأزرار، وهو قادر على حل المشاكل الحسية بطريقة صحية، وقد استدعت زوجين أحدهما يشكو البرود الحسي، لتجربته، فجلس أحدهما على الكرسي بينما قام الآخر بالضغط على الأزرار، ومع كل ضغطة على الزر كانت النشوة تتصاعد لدى الجالس على الكرسي، إلى أن بلغ الذروة، واتفق الزوجان على أن العلاقة بين «زر وزر» كانت أنجح من العلاقة بين جسد وجسد لأنها محسوبة ولا مجال فيها للخطأ.. أو للعدوى»

تلك كانت البداية، ثم قامت المجلة بعقد ندوة لمجموعة من الضباط الذين حاربوا في فيتنام، وبعد أن اطلعوا على «مواهب الكرسي» اتفقوا على أنه لو توافر مثل هذا الكرسي بأعداد كافية للقوات الأمريكية المحاربة في فيتنام لوفرت على هذه القوات الكثير من المشاكل بدءا من الأمراض التي حملها أولئك المحاربون نتيجة لعلاقاتهم الحسية وانتهاء بعشرات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين الذين ما زالوا يتوافدون حتى اليوم إلى الولايات المتحدة بحثا عن آبائهم(!).

وبالطبع تبدو فكرة هذا «الحب التكنولوجي» أقرب إلى الجنون، ولكن عندما قامت الولايات المتحدة بعملية تدخل لقواتها في كينيا ويبلغ عددها ٥ آلاف عنصر، كان أول ما فعلته هو تزويدهم بكميات من «العازل» بعد الانتشار الواسع لمرض الإيدز في كينيا، وهو ما دفع صحيفة «واشنطن بوست» أن تختار لهذا الخبر عنوانا مميزا وهو «جنود الكوندوم»، ولعل الكرسي في هذه الحالة يبدو أقل خطرا وأكثر رحمة (!).

قيم العاشق العظيم

يقول الروائي غابرييل غارسيا ماركيز في رواية «الحب في زمن الكوليرا» «لقد عاشا معا فترة من الزمن تكفي ليعرف كل منهما أن الحب كان دائما هو الحب في أي زمان وفي أي مكان، وأن هذا الحب يزداد صلابة كلما اقترب من الموت»، وبالتأكيد لم يكن ماركيز يحلم يوما أن الحب الذي كرسه منقذا من الكوليرا، وانتصارا على الزمن والموت، سوف يتحول مع انفجار الإيدز إلى كهوف تخنق المحبين، ولا يبقى على جدرانها الرطبة من آثارهم سوى الفيروس والموت، ولكن هل هم محبون وعشاق فعلا؟ لقد انتظر العاشق في زمن الكوليرا واحدا وخمسين عاما وتسعة أشهر وأربعة أيام قبل أن يتواصل مع حبيبته، ولعل تنمية قيم العاشق العظيم في روح الشباب، وكلهم عاشق، هو ما يعيد للحب انتصاره في زمن الإيدز. □

أوراق أدبية



عبد الرحمن الشرقاوي

شاعر الفلاحين ومؤرخ الأنبياء

بقلم : الدكتور جابر عصفور

من الشعر إلى الرواية، ومن الرواية إلى المسرح الشعري ثم الغوص في بحور التاريخ الإسلامي. هذا هو الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي (١٩٢٠ - ١٩٨٧) الذي لم يكتف بالكتابة والإبداع ولكن كان له أيضاً دوره السياسي والثقافي على المستوى القومي والعالمي.

إن كل إنجاز عبد الرحمن الشرقاوي في الكتابة لا يختلف عن إسهامه في العمل العام، فكلا الأمرين ينطلق من وعي متيقظ والتزام أصيل بقيم الحق والعدل والحرية والتقدم. وإذا كانت هذه القيم هي التي جسدتها كتاباته، منذ بداياتها في النصف الثاني من الأربعينيات إلى نهايتها قبيل وفاته، فإن هذه القيم، بدورها كانت الهدف الأساسي المحرك لنشاطه العام، والموضوع الذي لا يعيب في كل معاركه الصحفية التي خاضها، وقيمة الحرية بوجه خاص قيمة عزيزة عليه، لأنها القيمة الأولى التي تفتح عليها وعيه الإبداعي،

حين أدرك غيابها على المستوى الفردي الخاص للمواطن، وعلى المستوى الجمعي العام للأمة. وإذا كان المستوى الأول يؤكد الحرية في معناها الذي يؤسس لإبداع الفرد وانطلاقة تفكيره دون عوائق أو قيود فإن المستوى الثاني يؤكد هذه الحرية في معناها الوطني والقومي. ولهذا المعنى الثاني دلالته في وعي الشرقاوي الذي فتح عينه الإبداعية على وطن محتل، لا حرية لأبنائه فيه لأن الوطن نفسه كان محروما من حريته في تقرير مصيره. وشأن الوطن الذي انتمى إليه الشرقاوي شأن كل الأوطان العربية في الثلاثينات التي شهدت بداية تفتح الوعي، وفي الأربعينيات التي شهدت بداية الكتابة الإبداعية التي أثمرها هذا الوعي، ولذلك يلحظ المتأمل للكتابات الأولى لعبد الرحمن الشرقاوي، تلك التي كتبها في الأربعينات، قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بسنوات عديدة، أن هذه الكتابات تدور حول قيمة الحرية، وتعلي من معناها الوطني فوق كل معنى، والشرقاوي نفسه سجل هذا الجزء من حياته شعرا في بطاقة تعريف بنفسه يقول فيها:

«أنا من أنا؟!
ولدت لعشرين عاما مضت على مطلع القرن ياسيدي
وقد فرغ العالم المستجير من الحرب أمسا
يهزأ بالموت والتضحيات
وبالذكريات
وقامت شعوب تهز الظلام بمشرق أحلامها الهائلة
وتعلي على حربات الفساد بناء مدينتنا الفاضلة
فلما بدأت أعي ما يقال رأيتهم يملأون الطريق
تهز الفئوس ركود الحقول وتغلي بما تحتويه العروق
وكانوا يقولون «يحيا الوطن»
حفاةً يهزون ريح الحياة
ويستدفعون شراع الزمن
وساءلت أمي عما هناك
«وماذا دهى القرية الساكنة»
فقالت: «بنيّ هم الإنجليز
يثيرون أيامنا الآمنة
وقد أخذوا كل غلاتنا وقد
نضب الماء في الساقية ولم يبق شيء
على حاله سوى حسرة مرة باقية»

هذا الجزء الشعري يحمل قيمة أخرى عزيزة، مرتبطة بأحلام هؤلاء «الحفاة» الذين يصنعون المستقبل، ويهزون بالفئوس ركود الحقول، وهي قيمة العدل التي اقترنت بالحرية في وجدان الشرقاوي في مطلع الصبا. فكان دفاعه عن حرية الفرد والوطن قرين دفاعه عن العدل الذي يجب أن يناله الفرد في وطنه، حين يأخذ حقه في الحياة الكريمة، والعدل الذي يجب أن يناله الوطن بين الأمم، حين يأخذ حقه في الاستقلال بين العالمين.

هؤلاء «الحفاة» الذين تحدث عنهم الشرقاوي هم موضوعه الأثير وانتماؤه منذ أن غادر قريته «الدلاتون» قادما إلى القاهرة. وكما كان طه حسين ينتمي إلى «المعذبين في الأرض» في الصعيد، ظل الشرقاوي ينتمي إلى «الأرض» و«الفلاح» في قرى الدلتا. وحتى عندما سلط عدسته الإبداعية على القاهرة فإنه لم ير فيها القصور والطبقة العليا التي سلط عليها قرينه إحسان عبد القدوس عدسته، كاشفا عن انحدار طبقة بأكملها، وإنما ظل الشرقاوي مخلصا لمبتداه، فلم يتحدث إلا عن «الشوارع الخلفية» التي يخرج منها الهامشيون الذين سرعان ما يتحولون إلى أبطال يستدفعون شراع الزمن. ولأن الشرقاوي ظل مخلصا لانتمائه الأصلي فإن قضية «الفلاح» ظلت الهاجس الإبداعي المؤرق له. بدأها شعرا حين فرض على قالب القصيدة العربية أن تتسع لحوار الفلاحين وأحلامهم، وانطلق من الشعر إلى القص، فخلق رائعته «الأرض» التي كتبها في جريدة المصري قبل أن تصدر في كتاب عام ١٩٥٤، ثم عاد إلى الموضوع نفسه بعد عام ١٩٦٧ ومع تيار تصفية الإقطاع حين كتب «الفلاح» (وطبعها عام ١٩٦٨). والواقع أن صفة «الفلاح» هذه لم تفارق مسرح الشرقاوي، فالفتى مهران «فلاح» من نوع آخر، ينتمي إلى الأبطال «الحفاة» الذين يتألقون في تاريخ الأدب. وأحسب أن حرص الشرقاوي على إبراز قضية «الفلاح» في أدبه هو الذي دفعه إلى نوع من أنواع المعارضة الأدبية، وكان أحد العوامل الدافعة إلى كتابة رواية «الأرض». ومن يقرأ الصفحات الأولى من الرواية



يجد البطل يتحدث عن قريته، ويؤكد أن الواقع في قريته، وفي كل القرى المصرية، يختلف عن واقع القرية (الخيالية) التي تحدث عنها محمد حسين هيكل في روايته «زينب»، فعلاقات القرية مختلفة: لغتها ولهجتها، مشاكلها وأحلامها، «وصيفة» التي يرى فيها البطل نموذجا لفتاة القرية ليست كزينب على الإطلاق، وبدل الجو الحالم الذي تقدّم فيه «زينب» يظهر الجو القاسي الواقعي الخشن الذي تتحرك فيه «وصيفة»، ولا تموت وصيفة كما تموت زينب بالسل، صحبة العشق والظروف القاسية والتقليد الأدبي، بل تدب في أرض القرية وتتبدل بها الأحوال، ولكنها تظل صلبة كالفأس، تتقبل التغير والتحول والظلم والإنكار، لكن دون أن تفنى أو تتبدد.

الفلاحون من «زينب» إلى «الأرض»

ومن الممكن القول إن رواية «الأرض» هي معارضة ساخرة لرواية «زينب» على المستوى اللاشعوري للنص الذي يريد أن يستبدل بقيمة أدبية قيمة أدبية مناقضة، وينسق من الأعراف نسقا آخر مغايرا. هكذا استبدلت «الأرض» بالقيمة الرومانسية التي تنطوي عليها «زينب» القيمة الواقعية، واستبدلت بالنسق العلائقي من آليات الكتابة وأعراف التلقي وطرائق الكلام والتلفظ نسقاً مناقضاً، حلت فيه الكتابة التسجيلية للواقع محل الكتابة الوهمية عنها، وتأسست أعراف جديدة للتلقي تعتمد على خبرة المعاينة، وتجسدت طرائق واقعية في الحوار العامي ولغة السرد وصور الوصف فتحت السبيل إلى تقديم أدب واقعي جديد عن الرواية المصرية، وأنا لا أستخدم عبارة «أدب واقعي جديد» على سبيل البلاغة اللفظية، وإنما أشير بها إلى شعار ساد في مطالع الخمسينيات وظل مستمراً إلى منتصف الستينيات، حين كانت الطليعة الأدبية العربية تتطلع إلى «أدب واقعي جديد».

ولذلك رحب الجيل الجديد من المدافعين عن الواقعية الجديدة بأعمال الشرقاوي، وكتب عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم عن «الأرض» بوصفها البداية الحقيقية للأدب الواقعي المخلص الذي يجسد طليعة القوى الصاعدة في المجتمع، ويتطلع إلى مجتمع جديد يتحرر من سلاسل الظلم القديمة. وفي الوقت الذي نظر الاثنان إلى نجيب محفوظ بوصفه كاتب البرجوازية الصغيرة، على نحو ما نقرأ في كتابهما «في الثقافة المصرية»، فإنهما نظرا إلى «الأرض» للشرقاوي بوصفها النموذج الواقعي الواعد الذي يجاوز الوعي الضيق للبرجوازية الصغيرة وانهماكها في عالمها المديني المحدود. وتلقت الرواية أصداء مماثلة من حسين مروه ومحمود دكروب في الشام وغيرهما من المتحمسين للواقعية في الأقطار العربية التي كانت تموج بالحركات الثورية، والتي كانت تصل بين قضية التحرر الوطني والعدل الاجتماعي في حلم واحد لا ينقسم.

ولا جدال في أن مقارنة بسيطة بين «زينب» و«الأرض» لا بد أن تكون في صالح «الأرض» من ناحية المضمون الاجتماعي الذي يرتبط بعدالة توزيع المياه، وعدالة توزيع الثروة، ويجسد أشكال الاستغلال التي يوقعها كبار الملاك على صغارهم، وكيف يقع صغار الملاك أسرى لفساد الإدارة الحكومية التي تبدأ من العمدة وشيخ الخفر وتنتهي إلى أعلى سلطات الدولة مع تزوير الانتخابات. وإذا كانت «الأرض» تؤكد قيمة الملكية، من حيث علاقتها ببنية القيم، حيث الذي لا أرض له «لا عرض له» فيما يقول الأبطال، فإن هذه القيمة تكشف في صراعها مع بقية القيم عن الأثر المفسد للمال في أخلاق القرية، خصوصا حين تبدو الأجهزة الحكومية خاضعة لمن بيده مال.

وهناك وجه مغاير للتشبه بين روايتي «زينب» و«الأرض»، لقد كتب هيكل روايته زينب في باريس، أغلق على نفسه حجرته في العاصمة الفرنسية، وحاول استعادة صورة وطنه الذي يحبه، ولم يستطع



أن يعلو وعيه الإبداعي أمام تأثيرات الثقافة الفرنسية، فانعكس اللاوعي المعرفي على الكتابة الإبداعية، وجرحت «ريف» الفلاحة المصرية صورة أخرى من مارجريت جوتييه بطلة «غادة الكاميليا» للكاتب الكسندر دوماس الابن، محبوبة ارمان دوفال التي بصيبها الهوى فتموت بداء الصدر. وإذ تحولت ريف إلى صورة من مارجريت، غرقت الرواية في الرومانسية، وتحولت طبيعة الريف المصري إلى صورة حالمة لا تنطق بعذاب المقيمين فيه، هذه الصورة الرومانسية التي نفر منها الشرقاوي، واستبدل بها صورة واقعية في روايته، تكشف عن عمق تأثره بالواقع، وتكشف عن تحول من الرؤية المثالية إلى الرؤية الواقعية، على نحو ما أوضح عبد المحسن طه بدر في كتابه القيم «الروائي والأرض»، حيث يعالج تغير رؤية كتاب الرواية لموضوع «الأرض» الذي يمثل الواقع، ابتداء من هيكل وانتهاء بالشرقاوي.



ومن الرومانسية إلى الواقعية

ولكن إذا كان هيكل قد تأثر بالرومانسية الفرنسية وهو يكتب ريف فإن الشرقاوي لم يكن بعيدا عن التأثر بالواقعية العالمية وهو يكتب «الأرض» لقد دفعه وعيه المتغير بواقعه، والتزامه بقضية الفلاح التي لم يتخل عنها، إلى البحث عن الكتابات الإبداعية الواقعية التي تعالج مشكلات الفقر والظلم الاجتماعي، خصوصا تلك التي تعالج قضية الفلاح. وقد انتهى به البحث إلى قراءة نص رواية الكاتب الواقعي الإيطالي البرتو سلوبي عن قرية مشابهة لقرية «وصيفة»، عانت من فساد أحد كبار الملاك في مسألة مياه الري، وحاولت مقاومة هذا الفساد، على النحو الذي قاوم به الفلاحون المتمردون في قرية وصيفة، ولكن براعة الشرقاوي تظهر في أنه لم يجعل من وصيفة صورة أخرى لفلاحة إيطالية فقيرة، ولم يجعل من متمردي الأرض أمثال «محمد أبو سويلم» صورة أخرى من متمردي رواية «فونتمارا» للكاتب الإيطالي،

ولم يدفع هؤلاء المتمردين إلى تعرف الأدبيات الماركسية التي تعرفها متمردو القرية الإيطالية عندما ذهبوا إلى السجن فكان عليهم أن يتعرفوا إجابة السؤال - الكتاب: «ما العمل؟»

لم يفعل الشرقاوي شيئا من ذلك كله، بل خلق مهاداً فرويا حشناً، تتحرك فيه أحداث محلية تماما، واستمد من قريته المادة الخام لشخصياته. وأذكر أنه حدثنا، عندما دعوناه إلى قسم اللغة العربية في آداب القاهرة عام ١٩٧٤، أنه استمد شخصية وصيفة من شخصية حقيقية في قريته، وحدثنا كذلك عن تأثره برواية «فونتمارا». وليس المهم إثبات أصل وصيفة في قرية الدلاتون فالأهم تأكيد ما حققه الشرقاوي من إنجاز واقعي ناجح على مستويات متعددة، هناك اللغة الحوارية التي تؤكد الدلالة الواقعية للشخصيات والأحداث وهناك مشاكلة الواقع القروي التي توهمنا بأننا نعايش فعلا أمثال الشيخ يوسف ومحمد أبي سويلم وغيرهما. وهناك الوعي بالمحلية والخصوصية الذي يبرز قضية الأرض في علاقتها بالثنائية المتضادة بين الشيخ المنافق الذي يبرر الظلم والشيخ الثائر الذي يتمرد على الظلم وإذا أضفنا تعدد مستويات الشخصية، وصراعاتها الداخلية، وتجاوب تكوينها الداخلي مع قسماتها الخارجية، وتفاعلها مع الأحداث، واستجابة الأحداث إلى منطق السببية، إلى القدرة على تجسيد الواقع الاجتماعي للقرية في صراعه وحركته وتغيره، وجدنا أمامنا نموذجا نمطيا من نماذج الأدب الواقعي الذي رأى فيه محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس نموذجا عمليا لنظرية الانعكاس في ذلك الوقت.

ومن الخاص إلى العام

والمؤكد أن انطلاق الشرقاوي من الواقع المحلي، ومن خصوصية القرية المصرية، هو الذي انتقل بروايته «الأرض» من الخاص إلى العام، ومن ثم جعل للرواية

قيمتها الباقية في الترجمة، هذا الوعي بالواقع هو الذي جعل الشرقاوي يبرز أهمية رجل الدين في القرية، ولكن على المستوى الذي يمايز بين رجل الدين الذي يقف إلى جانب المظلومين دفاعاً عن قيم الحق والعدل والحرية التي هي قيم الدين، وبين رجل الدين الذي يبرّر للظلمة ظلمهم طمعاً في دراهمهم الزائلة. رجل الدين الثوري ذلك هو الذي ظل الشرقاوي حريصا على إبرازه، وعلى إظهاره في العديد من أعماله، فقد كان الشرقاوي مدركاً أهمية الدين بوصفه أساس كيان الأمة، وبوصفه ضمان تحقق قيم الحق والعدل والحرية في ربوعها، خصوصا عندما يصونه رجال يخشون الله ولا يخشون دراهم الأغنياء ومنذ أن كتب الشرقاوي «محمد رسول الحرية» وهو يعود إلى هذا البعد العظيم من الدين ويؤكده، إلى أن فرغ له تماما في الفترة الأخيرة من حياته فأصدر دراساته المتتابعة عن الأئمة والفقهاء العظام في الإسلام. وتصور البعض أن ذلك تحول في مساره. والواقع غير ذلك، فالمسار واحد، والقيم الأساسية ظلت هي هي منذ البداية إلى النهاية، والكاتب الذي استهل حياته بتأكيد العلاقة بين الإسلام والحرية والعدل هو نفسه الذي اختتم حياته بتأكيد العلاقة بين أئمة الإسلام وفقهائه وقيمتي العدل والحرية

ومن المعاصرة إلى التراث

وأحسب أن الشرقاوي كان يقدم قيمة الحرية على العدل عندما كان يشعر بالخطر الذي يهدد هذه القيمة النبيلة مستلهماً في ذلك تاريخه الكتابي الذي يبدأ بإبحاره عن «محمد رسول الحرية» . والمؤكد أن استلهام معنى الحرية في هذا السياق، ومن خلال تراث إسلامي لا يجد ما يمنعه من التأثر بكل التراث الإنساني المرتبط بالعدل، هو الذي جعل مسرح الشرقاوي كله نشيدا متصلا من أجل الحرية ذلك ما حدث مع جميلة بوحريد (مأساة جميلة) ١٩٦٢، التي كانت كتابتها شكلاً من أشكال مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وهناك رمز تمثيلي من رموز التمرد على ظلم السلطان، هو «الفتى مهران» في المسرحية التي طبعت عام ١٩٦٦، وكانت شكلا من أشكال التمرد على الديكتاتورية التي شهدتها الحقبة الناصرية، وهي الديكتاتورية التي أضاعت أحلام العدل، والتي واجهها الشرقاوي من وراء قناع الفتى مهران، حين جعله يخاطب السلطان بقوله:

.. . هذا الخوف منك

يجعل الناس كأعواد تردد

كل ما ينفخ فيها من عبارات الولاء

إن هذا الخوف منك

هو لن يهدم غيرك

فاعتراض صارخ ممن يحبك

لهو خير ألف مرة.. من رضى كاظم غيظ يرهبك.

وإذا كانت مسرحية «الفتى مهران» تجسد علاقة التضاد العاطفي التي ربطت بين الشرقاوي (وأمثاله) وجمال عبد الناصر، فإن هذا التضاد كان يرجع إلى الإعجاب بأحلام العدل التي حققها عبد الناصر والتي وعد بتحقيقها والنفور من الديكتاتوريه التي أطاحت بأحلام الحرية التي جسدتها كتابات الشرقاوي منذ بداية حياته الأدبية. ولذلك جاءت المسرحية التالية للفتى مهران عن «تمثال الحرية» (عام ١٩٦٧) وبعدها «وطني عكا» (عام ١٩٦٩) عن حرية فلسطين الضائعة، ثم «الحسين ثائراً» و«الحسين شهيداً» (عام ١٩٦٩) التي تمزج بين حلمي العدل والحرية. وبعد «النسر الأحمر» (عام ١٩٧٦) يختتم الإنجاز المسرحي كله بمسرحية «أحمد عرابي زعيم الفلاحين» التي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٨٢ ليعود عبد الرحمن الشرقاوي إلى ما بدأ به حياته، وهو الوعي بقضية الفلاح وجعلها رمزاً لقضية الوطن والأمة بأسرها. □



وجهاً لوجه



د. شاكر الفحام

■ وحدة العرب مطلوبة بالصورة الملائمة والممكنة التحقيق.

■ تطور مناهج التربية العربية مشروط بربطها بخطط التنمية

■ التنسيق والتكامل في البحث العلمي العربي يوفران الطاقات المهدورة

بعد أكثر من نصف قرن في موقع المسئولية والقيادة الفكرية مازال الدكتور شاكر الفحام عضوا نشطا وفعالا في حقل الثقافة العربية. لقد كان آخر المناصب التي تولاها هو انتخابه رئيسا لمجمع اللغة العربية في دمشق وفي الوقت نفسه مازال رئيسا للموسوعة العربية الكبرى. لذا فإن الحوار معه يقود بالضرورة إلى اتجاهات متشعبة تفرضها تجربته الغنية. وقد شغل الدكتور الفحام منصب وزير التربية في سوريا ثم وزير التعليم العالي بها كما أنه لم ينقطع عن التدريس في جامعة دمشق وعن ممارسة مجاله المفضل في تحقيق التراث. كما أن له دوره السياسي البارز من أجل دعم مبادىء الوحدة العربية.

وقد أجرى معه الحوار الكاتب والناقد السوري المعروف جان الكسان.



و

جان الكسان

*** في الحوارات التي عقدت معك، كنت تفضل الحديث عن جيلك لا عن نفسك.. فهل نبدأ حوارنا هذا معك بقضية جيلك؟.**

ـ لقد كنت أفضل الحديث عن جيلي لا عن نفسي في القضايا القومية التي تتناول قصة الكفاح العربي في تلك المرحلة القاسية الصعبة من حياة أمتنا العربية، بعد أن وقعت بلادنا فريسة للاستعمار الخبيث الذي نكث بعهوده التي قطعها، واستباح الأرض العربية فمزقها وجزأها دويلات صغيرة، ونهب خيراتها، وفرض عليها الجهل والتخلف، وأقام فيما بينها السدود والحدود، يريد أن يفرض الغربة على أبنائها، ويقطع أوصال الوحدة التي جمعتها، ويفصم العرى الوثيقة التي ربطت بينها على مر التاريخ.

كنت من الجيل الذي نشأ عقب غدرة ميسلون، التي قوض الاستعمار الفرنسي على أثرها الحكومة العربية التي قامت في بلاد الشام (١٩١٨ ـ ١٩٢٠)، وكانت الغطرسة قد استبدت بالغزاة استبداداً دفع قائد الحملة أن يقصد قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي ليقول له: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين».

كنت صبياً يعي ويسمع أنباء الثورة السورية الكبرى التي ضحى فيها المجاهدون أكبر التضحيات، وإذا لم يقدر للثورة السورية الانتصار، فقد غرست

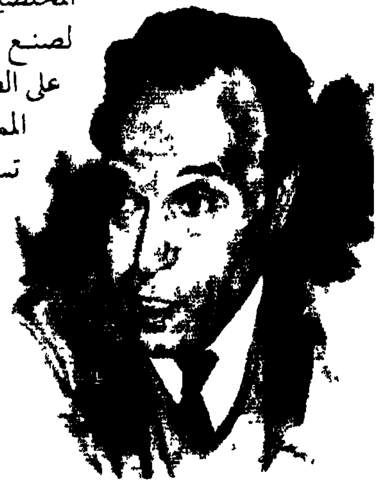
الدور الطيبة في نفوس حلما الذي امن بالكفاح مبدأ لنيل الحرية والاستقلال.

وحدة العرب.. والمتغيرات الدولية

*** كنت من الداعين لوحدة الأمة العربية. ونرى اليوم أن مفهوم الوحدة بين الأمم والشعوب قد تجاوز الطروحات التقليدية لمفهوم الوحدة العربية (كما في الوحدة الأوربية مثلاً)، فكيف تتصور وحدة العرب في ضوء هذه المتغيرات الدولية، وهل هي ممكنة، أم ستظل مجرد شعار أو حلم تحمله الأجيال العربية المتعاقبة؟..**

ـ لقد امنت بوحدة الأمة العربية منذ عهد مبكر، ورادتني الأيام إيماناً بأن وحدة الأمة هي ملاذها الأمن وطريقها إلى التقدم والازدهار، ووسيلتها الناجحة لعودتها إلى حصم التاريخ تشارك الأمم مشاركة فعالة في تشييد حضارة الإنسان، فالأمة العربية، بموقعها الفريد، وطاقاتها البشرية، وثرواتها العيه، ورسالتها الإنسانيه وحضارتها العريقة، مؤهلة لتحتل مكانة ساميه في الركب العالمي، وتكون عصراً مؤثراً في صنع حضارة المستقبل، حضارة تقوم على الإخاء والتعاون بين الأمم، والسعي ليعم البشر بالرخاء والخير، ترفرف عليهم رايات السلام والمحبة

وإني أدرك أن تحقيق هذا الهدف يتطلب نضالا شاقاً، ويبقى لزعماء العرب وقادتهم المخلصين أن يهيئوا لصنع هذه الوحدة، على الصورة الملائمة الممكنة التي تساعد على تقدم الوطن العربي وازدهاره.



*** من خلال تجربتك في ميدان التربية والتعليم، كوزير للتربية، وكوزير للتعليم العالي، وكمشارك في عدة ندوات تربوية محلية وإقليمية ودولية، ما تقويمك لواقع مناهجنا التربوية بشكل عام، وهل يتحقق على أرض الواقع الآن الشعار المطروح حول ربط مناهج التربية بخطط التنمية؟.**

ـ إذا أردنا أن نتحدث عن التربية من هذه الزاوية المحددة، دون أن نتطرق إلى دورها الكبير الذي تنهض به في تنشئة الأجيال، فإننا نلحظ أن رجال التربية في البلاد العربية قد بدأوا يولون هذا الاتجاه جانباً كبيرا من عنايتهم ويسعون لربط المناهج التربويه بخطط التنمية.

وتحقيق مثل هذا الربط يستدعي كثيراً من الجهد والمتابعة والتبديل.. إنه يتطلب من رجال التربية أن يتبينوا حاجات المجتمع، ويتصوروا ما يمكن أن تفضي إليه حركة التطور المتسارعة لتأتي مناهجهم ملبية لهذه الحاجات والتطورات، وأن يبادروا إلى تعديل خططهم ومناهجهم بما يوائم ما توافيهم به حركة التقدم العلمي من أشياء لم تكن منظورة فتتحقق للمناهج بذلك مواكبة العصر والتهيئة للمستقبل معاً.

موظفون .. أم مثقفون ؟

*** يؤخذ على الجامعات العربية أنها تخرج موظفين يحملون شهادات، لا مثقفين، وذلك بسبب افتقارها إلى البحوث العلمية والعملية، مما يضعف دورها في بناء الدولة العصرية.. ما مدى صحة هذا الاتهام؟.**

ـ إن البحث العلمي هو شعار العصر، وتقدم الأمم رهن بما تحققه في ميدان البحث العلمي، ومن هنا فإن الأمم تتسابق في هذا المضمار، وتهيىء الظروف الملائمة التي تتيح للعلماء أن يتفرغوا للبحث والإبداع.

■ انحسرت اللغة العربية الفصحى لصالح اللهجات المحكية حتى في التدريس.

■ مهمات جديدة تنتظر مجامع اللغة العربية وموسوعات التوثيق الشاملة

ولقد بدأت الجامعات العربية والمؤسسات العلمية أولى خطواتها في البحث العلمي، ولكنها مازالت تمضي بخطى بطيئة لا تستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة، وتعترضها عوائق وصعوبات متنوعة، مادية وإدارية.

لابد أولاً من إيجاد المناخ العلمي بكل متطلباته، الذي يفسح للعلماء أن يبحثوا ويطوروا، ومن الشروط الأولى لنمو البحث العلمي استخدام أحدث وسائل الاتصال التي وفرتها لنا التقنيات الحديثة لتسهيل الاطلاع على حركة البحث العلمي في البلاد المتقدمة، وترجمة أحدث ما يصدر عنها لترفدنا في حركتنا العلمية الراهنة، ثم قيام التخطيط والتنسيق في ميادين البحث العلمي في البلاد العربية حتى لا نكرر الجهود وتهدر الطاقات، ويأتي قيام تعاون بين المؤسسات العلمية العربية في مقدمة الظروف المواتية والمساعدة في تطوير البحث العلمي العربي.

لغتنا الفصحى.. كيف نحميها ؟

*** الضعف اللغوي، سمة من سمات الثقافة والتعليم هذه الأيام، لدرجة اتهام اللغة العربية الفصحى بنوع من الانحسار لصالح اللهجات المحكية. ما أسباب هذا الانحسار؟ وهل تكفي بعض الزوايا اللغوية في الصحف وأجهزة الإعلام لتدارك هذه المشكلة؟.**

- الضعف اللغوي واقع نعاني منه، وقد تضافرت جملة أسباب أدت إلى انحسار اللغة السليمة الفصيحة أمام هجمات اللهجات المحكية التي أصبحت الناشئة تسمعها في أجهزة الإعلام والمسارح والسينما، بل وفي قاعات التدريس، وتميل إلى محاكاتها.

وإذ كانت اللغة مقوماً أساسياً من مقومات الأمة، فلا بد من نهوض المؤسسات الثقافية جميعها بتبعاتها لتكون اللغة العربية السليمة الفصيحة هي اللغة السائدة في وسائل الإعلام والثقافة، ونحن نعلم أن المحاكاة هي من أهم وسائل تعلم اللغة، فإذا رددت اللغة السليمة على السامع، وتداولتها الأقلام، سهل تعلمها، وازدهرت، وسمت أساليبها.

في رحاب بشار بن برد

*** أثيرت ضجة في منتصف عقد الثمانينات حول تحقيق ديوان الشاعر بشار بن برد من قبل الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة بتونس، وما قام به الأستاذان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين من مراجعة، بحيث ظلت فيه هفوات عزيت إلى ناسخ المخطوط، وهو مخطوط جيد، وقد عشت أنت في صحبة آثار الشاعر، وأصدرت (نظرات في ديوان بشار بن برد)، ضمن منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ما حقيقة هذه الضجة والهفوات التي وقعت في الديوان المحقق؟.**

ـ الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩ - ١٩٧٣م) رحمه الله من أكبر علماء العصر، وقد أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته النفيسة، ويكفي أن نذكر كتابه القيم في تفسير القرآن الكريم (التحرير والتنوير) لندرك المكانة الرفيعة التي تبوأها بين علمائنا الأعلام.

ولقد كان له الفضل، رحمه الله، في نشر المخطوطة التي عثر عليها من ديوان بشار، وتضم القسم الأول من ديوانه، وهي مخطوطة يتيمة تمور بالتصحيف والتحريف، فحقق وصحح، وفسّر الغامض، وشرح المشكل. وعلق الأستاذان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين جملة تعليقات نافعة.

ولكن الديوان، على ما بذل في تصحيحه، مازال يفتقر إلى جهود العلماء الأعلام، وقد قدمت جهدي في هذا الباب وعرضت ما قادني إليه اجتهادي، وتخيلت جملة صالحة مما بدا لي أنه زاغ عن الصواب، جعلتها شاهد ما وراءها، ولم أقصد إلى الاستقصاء، وأرجو أن تتضافر

جهود العلماء لتنقية الديوان مما أصابه من التحريف والتصحيف.

مهمات جديدة لمجامع اللغة العربية

*** تتهم المجامع اللغوية العربية بأنها مجرد هياكل باردة، ولا أثر مباشرا لها في الحياة الثقافية، بل إن أعمالها تقتصر على تحقيق بعض المخطوطات، وإصدار مجلة دورية يقتصر تداولها على النخبة. ماذا تقول في هذا؟**

ـ لكل مؤسسة من المؤسسات العلمية والثقافية مهمات خاصة تناط بها، ورسالة محددة تؤديها، وأبرز مهمات المجامع اللغوية المحافظة على سلامة اللغة، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، تستجيب لحاجات الحياة المتطورة، ثم العناية بوضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، والاهتمام بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب. وعندما أسس مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩١٩م كان له الشأن الأكبر في تعريب دواوين الدولة التي كانت لغتها التركية، وفي إرساء دعائم تعريب التعليم العالي الجامعي بالتعاون مع أساتذة الجامعة السورية، فنجحت الجامعة في التعليم بالعربية، وأثبتت طواعية اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن كل ما يراد منها من مستحدثات العصر أو متطلبات العلوم.. ومن غير الجائز ألا تقدر هذه الأعمال حق قدرها لأنها لا تقع ضمن دائرة الإعلام، وإني أرى فرصة ثمينة لعمل واسع جليل أمام المجامع بعد أن أصبحت فكرة التعليم بالعربية في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في البلاد العربية مقبولة، وأحب أن أشير إلى أنه تم هذا العام إنشاء مجمعين عربيين جديدين في السودان وتونس.

الجوائز.. والحوافز

*** الحديث عن نيلك جائزة الملك فيصل يقود إلى السؤال عن جدوى الجوائز التي كثرت، ونوعيتها، حتى أن أشخاصا عاديين يملكون أموالا، أو مؤسسات خاصة لا علاقة لها بالثقافة، تعلن عن جوائز للأدب والفكر والعلم والثقافة..**



ـ لايزال قادة الفكر والعلم والثقافة في الوطن العربي لا يلقون من الاهتمام والرعاية ما يستحقون، ولست أنكر أن شيئاً من التشجيع قد ظهر على الساحة في الآونة الأخيرة، وأجد في ظاهرة الجوائز الجديدة بادرة طيبة تعبر عما يحسه المجتمع من تقصير إزاء المفكرين والعلماء والأدباء والفنانين وأمثالهم من المبدعين، علماً بأن لكل جائزة مستواها وشروطها وتحكيمها



الموسوعة العربية الكبرى

*** في دمشق مؤسسة هي (الموسوعة العربية الكبرى) تعمل برئاستك.. ما مهام هذه الموسوعة، وما الغرض من إنشائها؟..**

ـ أصبحت الموسوعات العامة الشاملة، والموسوعات المتخصصة، معلماً بارزاً من معالم حضارتنا الحديثة، وإنجازاً ثقافياً من أهم منجزاتها، ذلك لأن العصر الحديث ـ وهو عصر التخصص الدقيق الضيق وعصر تفجر المعرفة وتدفق المعلومات وتنوعها ـ قد أصبح أشد حاجة إلى الموسوعة وأكثر تطلباً فيما ينشده من المعرفة، إنها تحمل إليه ثقافة العصر بكل جوانبه واهتماماته، وتضع بين يديه خلاصة ما انتهى إليه التقدم الإنساني في جميع ميادين المعرفة

ولقد شعر العرب، منذ أشرق فجر النهضة العربية الحديثة بحاجتهم إلى موسوعة عربية شاملة تلبي مطالبهم في المعرفة، وقامت محاولات جادة في هذا السبيل منها: دائرة المعارف لبطرس البستاني، ودائرة معارف للقرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) لمحمد فريد وجدي، وصدرت بعد ذلك الموسوعة العربية لألبرت الريحاني وزملائه، ودائرة المعارف لفؤاد البستاني والموسوعة العربية الميسرة، وموسوعة بهجة المعرفة، وهذه الموسوعات العامة الشاملة، وكلها صدر بالعربية، قسم منها لم يقدر له التمام، والقسم الآخر قصر عن أن يكون في المستوى المطلوب.

أما موسوعتنا الجديدة في دمشق فأبرز منطلقاتها أن تكون موسوعة عربية شاملة، تتناول مختلف جوانب المعرفة الإنسانية وتقدم خلاصة ما انتهى إليه التطور العلمي العالمي، وأن تلبي حاجة الناشئة العربية المتزايدة للعلم، وأن تتصف بالدقة العلمية الموضوعية، وأن تتوخى حداثة العصر، وأن تبرز صورة صادقة لحضارة العرب في عصورهم الزاهرة، وتبين مدى المشاركة العربية المبدعة في الحضارة الإنسانية..

ومن المقرر أن يصدر المجلد الأول من الموسوعة في هذا العام إن شاء الله. □

مهنة خطرة

● ارتفعت درجة الخطورة في مهنة «صاحبة الجلالة» فبعد أن كان عدد القتلى ٣٠ صحفيا في العام ١٩٩٢ ارتفع إلى ٥٩ صحفيا في العام الماضي الذي كان حزينا وعنيفا على الجميع. مات ٢٣ صحفيا من هؤلاء في أوربا وحدها ثمانية منهم لقوا مصرعهم في البوسنة والهرسك. كما طالهم العنف على ايدي الجماعات الدينية المتشددة حيث مات ثمانية آخرون في الجزائر.

ليلة ولد الإســلام

بقلم: الدكتور محمد عمارة

لم يكن الصـوم - كشعيرة دينيـة، وفـريضة إلهيـة - من الخصـوصيـات التي اختص اللـه، سبحـانـه وتعـالى، بها أمـة محمـد «ﷺ»، فهـو شعيرة ومنسك عـرفتـه شرائع وأمـم الـرسل السـابقين.

وعن هـذه الحقيقـة يتحدث القـرآن الكريم، وهـو يشرع لفريضـة الصوم على المسلمين فيقـول **﴿يـا أيها الـذين آمنـوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾**(١).

وعندما هـاجر رسول الله، صلى اللـه عليه وسلم، والمهـاجـرون من مكـة إلى المدينـة، وجـدوا اليهـود يصـومـون في ذكـرى نجـاة موسى، عليه السلام، من فرعون، فأحيوا هم أيضا هذه الذكـرى بالصيام، تعبيرا عن معنى وحدة الدين الإلهي، واستمرارية الشرائع ما لم يقض فيهـا اللـه بـالنسخ والاستبـدال والتطـويـر.. وكـذلك كـان للنصـارى صيامهم الذي ربطوه بحادثة الصلب.

لكن السنة الثانيـة للهجرة - والشهر الثامن عشر من شهـورها - على أرجـح الآراء - قد شهـد تشريع فريضـة الصوم الخاصة بأمـة الرسالة الخاتمة، صـوما متميـزا في منسكـه من حيـث أوقـات الإمسـاك عن شهوات الطعام والشراب والفروج، ومن حيث عدد الأيام، ومن حيث موقع هـذه الأيام في شهور العام، ومن حيث التقويم القمري الـذي كان تقويم العرب والإسلام.

وإذا كانت مواقيت الشعائر والفـرائض الدينية لا تخلو من حكمـة يحققهـا التوقيت - حتى وإن خفيت علينـا في بعض الأحـايين - فإن البحـث عن الحكمـة التي جعلت شهـر رمضان، دون غيره من شهـور السنة القمـرية، هـو شهر الصيام للأمة الإسلامية.. إن البحث عن حكمة هذا التوقيت قـد يفتح أمامنـا سبلا لاكتنـاه مزيـد من العظمة والتعظيم لهذا الـركن من أركان الإسـلام.. بل إنه لفـاتح



(١) البقرة ١٨٣

أمام بصائرنا طرقا إلى المعاني الحقيقية الجديرة بالتجسيد والإحياء في هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان.



إن الصوم، في الاصطلاح الشرعي للإسلام، هو الامتناع عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أيام شهر رمضان.. لكنه إذا وقف عند هذا «الطقس» فقد لا يكون لصاحبه منه سوى آثار «الجوع والعطش» ــ كما جاء في الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ـ ذلك أن الصوم هو في حقيقته «تعبيد» للإنسان، يديم «حضور العبودية»، بألوان من «الحرمان»، تجعله مدرسة عظمى لتربية الإرادة الانسانية على «الحضور ـ الطائع» للخالق، سبحانه وتعالى، وحده، ودونما رقيب أو شريك، الأمر الذي يخلص هذا العمل لله، دونما رياء.... ولذلك قد يحار ويستغرب الذين لا يعلمون رسالة الصوم في تربية الإرادة الإنسانية، كيف كان رمضان ــ شهر الحرمان والمعاناة والمكابدة ـ هو شهر أبرز الانتصارات الإسلامية على أشرس التحديات التي هددت «الدعوة» و«الأمة» و«الوطن».. منذ «بدر الكبرى» سنة ٢ هـ.. إلى «فتح مكة» سنة ٨هـ.. إلى «حرب رمضان» سنة ١٣٩٣هـ..

لكن.. لماذا في رمضان؟

لكن السؤال الباحث عن حكمة توقيت الصيام الإسلامي لا يزال قائما.. لماذا كان هذا المنسك، الذي مثل ويمثل «مدرسة التربية الإسلامية للإرادة» في شهر رمضان دون غيره من الشهور؟..

إن القرآن الكريم يحدثنا عن أن هناك أربعة أشهر حرم ـ وهي «رجب» و«ذو القعدة» و«ذو الحجة» و«المحرم»، ولها عند الله فضل واختصاص، حتى لقد جعلها مكرسة للسلام وتنمية العمران، وحرم فيها القتال ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾(٢)..

---

(٢) التوبة: ٣٦.

لكن الله، سبحانه وتعالى، قد جعل الصيام ـــ هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ـ في رمضان، ولم يجعله في واحد من هذه الأشهر الحرم.. فلماذا؟!..

بل إن «الحج» إلى البيت الحرام.. وهو، كالصيام، ركن إسلامي له توقيت سنوي ثابت، قد أدخل شهر «ذي الحجة» ــ وهو من الأشهر الحرم ــ في أشهر الإحرام به والأداء لمناسكه.. وبقي الصيام وحده، من بين الأركان ذات الميقات السنوي الثابت، بعيدا عن هذه الأشهر الحرم، حيث اختص به شهر رمضان..

وإذا كانت الهجرة النبوية قد مثلت، بالنسبة للإسلام الدعوة.. والدولة: «الحدث ـ المنقذ» من إحاطة الشرك واقتلاع الفكر للإيمان.. فلم لم يكن شهر الهجرة ــ ربيع الأول ــ هو شهر الصوم، كما كان حال الصيام في شريعة بني إسرائيل، في ذكرى نجاة موسى ومن معه من فرعون وملئه؟!.. ولماذا كان الاختيار الإلهي لشهر رمضان بالتحديد، ودون غيره من الشهور؟!..

إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن «حكمة» هذا التوقيت للاجتهاد والاستنتاج.. فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة، تلك التي تجسدت في لحظة «الظهور للدين» الذي ميز هذه الأمة، وجعل من دينها الطور الخاتم لرسالات الدين الإلهي الواحد، والشريعة العالمية التي استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق.. ولقد كانت بداية هذه «اللحظة» هي نزول «الروح الأمين» على «الصادق الأمين» بأولى آيات القرآن الكريم، لحظة «مطلع الفجر» في ليلة من الليالي الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان «في غار حراء».

في هذه «اللحظة»، التي أضاءت فيها الأرض بنداء السماء «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، بدأ نزول القرآن في ليلة القدر.. وهي «لحظة» «مطلع الفجر» ـ الذي هو مولد النهار ـ وفيها نزل الكتاب ـــ الذي ولدت منه الأمة ـ عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها.. ووحدتها في «الأمة» و« الدار» من بين دفتي هذا الكتاب الكريم..

ولقد كان ذلك «الميلاد» في شهر رمضان.. فكان صومه ـ دون غيره من الشهور ـ الاحتفال الإسلامي بميلاد هذه الأمة، في مطلع الفجر، من ليلة القدر في رمضان في السنة التي سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاما..

يحكي القرآن الوقائع التي تقود العقل المسلم لاكتشاف حكمة جعل الصيام الإسلامي في شهر رمضان، دون سواه من الشهور.. وذلك عندما يحدثنا عن توقيت نزول القرآن الكريم **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر﴾**(٣).

وكان ذلك في شهر رمضان.. ولذلك، جعله الله ميقاتا لشعيرة الصوم ـ مدرسة بناء الإرادة الإسلامية ـ المجددة أبدا لفتوة الأمة، كي تستعيد دائما عافية الميلاد الجديد، وصحة الجهاد والاجتهاد والتجديد.. فقال سبحانه، وهو يشرع لهذه الفريضة فيحدد الميقات.. وعلة التوقيت **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾**(٤).

وهكذا نجد أنفسنا أمام «الحكمة» التي جعلت صيامنا في رمضان.. وليس في شهر من الأشهر الحرم.. وليس،

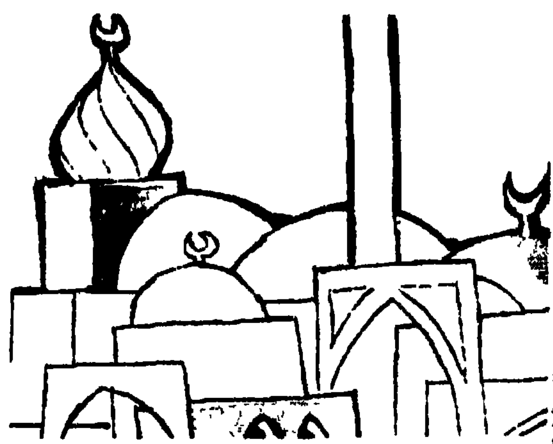


(٣) القدر: ١ ـ ٥. (٤) البقرة: ١٨٥.

أيضا، في ذكرى نجاة الإسلام ورسوله وأمته، بالهجرة من الحصار والإبادة والاقتلاع.. أمام «الحكمة» التي جعلت صيامنا إحياء لذكرى لحظة نزول القرآن، الذي مثل «الرحم» الذي ولدت منه هذه الأمة، عندما خرجت مقوماتها وثوابتها والروح السارية في حضارتها والصبغة المميزة لعمرانها.. عندما خرج كل ذلك من بين دفتي هذا الكتاب الكريم، ومن سور وآيات هذا النبأ العظيم..

فكيف يكون الاحتفال؟

وإذا كان احتفال الناس، أفرادا وأسرا وشعوبا وأمما، بالأعياد والمناسبات، لا بد وأن تصطبغ



مظاهره وتعكس وقائعه معاني ودلالات الحدث الذي به يحتفلون، ولذكراه يحيون.. إن كان انتصارا عسكريا، فإن مظاهر القوة ومعالمها تطبع وقائع الاحتفال .. وإن كان استقلالا عن الاستعمار .. أو تحريرا للثروات.. أو استرجاعا للأرض .. أو غير ذلك، صبغت معاني الذكرى احتفالات الذين يتذكرون ويحتفلون.. فإن احتفال المسلمين، عندما يصومون شهر رمضان، بذكرى «اللحظة» التي بدأ فيها نزول القرآن على قلب رسول الإسلام، صلى الله عليه وسلم، مطلوب منه ـ من هذا الاحتفال ـ أن يصطبغ بصبغة ذلك الحدث العظيم.. نزول القرآن، الذي كان الرحم الذي ولدت منه المقومات التي صنعت أمة الإسلام، ومثلت الروح السارية والضامنة لتواصلها الحضاري على مر الدهور..

إن تأمل هذه المعاني، وتدبر هذه الحقائق، سيضع يدنا على حجم «الخلل.. والقصور» اللذين أصابا ويصيبان «معاني.. ومعالم» احتفالنا في رمضان بذكرى نعمة نزول «النبأ العظيم»..

ليس، فقط، في تحول شهر الصوم إلى شهر للكسل وتدني الإنتاج.. بينما هو في حقيقته، «مدرسة تربية الإرادة» على الفتوة التي تجعل منه التجديد للطاقات والملكات والقدرات التي تعين الأمة على قهر المخاطر والتحديات، وتنمية معالم الابتكار والإبداع..

وليس، فقط، عند وقوف الأكثرين عند «الطرب» لسماع القرآن.. واكتفاء الكثيرين بمجرد «تلاوته» بينما لا «يتدبره» إلا الأقلون!.. فلا طرب السمع ولا مجرد التلاوة.. بل ولا حتى الوقوف عند «التدبر للمعاني» .. بكاف في الاحتفال الذي يحيي المعنى الحقيقي لهذا العيد الذي ولدت فيه أمة الإسلام..

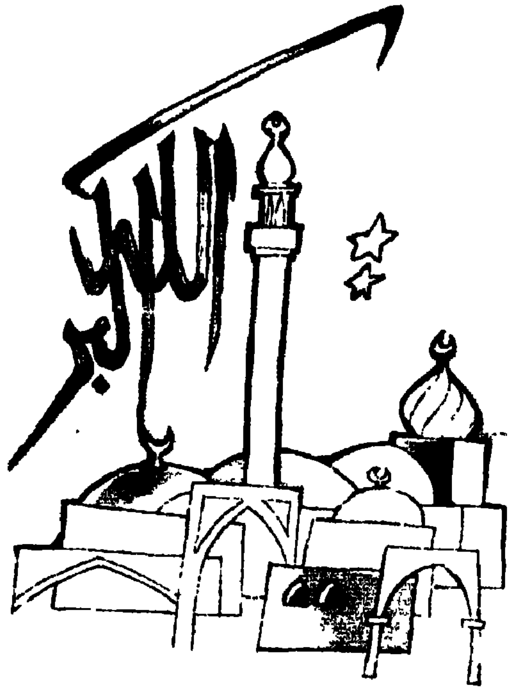
إن نزول القرآن الكريم، إنما مثل لحظة الميلاد لأمة الإسلام، لأنه مثل «النور» الذي خرجت إليه الأمة من ظلمات الجاهلية.. ومثل «الهدى» الذي نعمت به بعد حيرة الضلالات.. وفي كلمة واحدة جامعة، فلقد مثل القرآن ينبوع «الإحياء» الإسلامي، الصالح دائما وأبدا لطي صفحات الموات والجمود والتقليد، بما يقدم من سبل للاجتهاد والتجديد والإبداع..

في «الإحياء» في كل ميادين العمران.. النفس الإنسانية بما يهذبها ويرتقي بملكاتها.. وعمران الواقع المادي بما يحسنه ويجمله من ألوان المدنية.. هذا «الإحياء» الإسلامي هو أخص المصطلحات المعبرة عن رسالة هذا «الينبوع»، الذي نصوم رمضان احتفالا بذكرى لحظة نزوله على قلب رسولنا محمد ابن عبدالله، عليه الصلاة والسلام.. وصدق الله العظيم إذ يقول : **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول**

بن المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾(٥).

ليلة نزول النبأ العظيم

فنحن، إذ نصوم رمضان، إنما نحتفل بذكرى اللحظة القدسية التي بدأ فيها نزول «النبأ العظيم»، ذلك الينبوع الإلهي الذي مثل «الرحم» الذي ولدت منه الأمة الخاتمة، ومن بين دفتيه خرجت المقومات الثوابت للرسالة العالمية، في «العقيدة» و«الشريعة» و«القيم»، وهي التي ميزت «الحضارة» بالروح الخالدة، رغم تطورها عبر الزمان والمكان.. كما وحدت «الأمة»، مع التنوع في القبائل والشعوب والأقوام.. وكذلك وحدت «دار الإسلام»، مع التمايز في خصوصيات الأقاليم والأوطان. وإذا كانت مصداقية «رسالة» أي



احتفال بذكرى لحظة الميلاد، هي في مدى النجاح الذي يحققه الاحتفال في حضور «المعنى والمغزى» إلى واقع الذين يحتفلون.. فهل ننجح، في رمضان، في استعادة روح «الإحياء» الإسلامي، الذي مثله القرآن العظيم، عندما أخرج هذه الأمة «من الظلمات إلى النور»؟!..

لقد منّ الله، سبحانه وتعالى، على هذه الأمة عندما تعهد «بحفظ» هذا «الينبوع» وصيانته عن الخلط والتحريف والتبديل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٦).

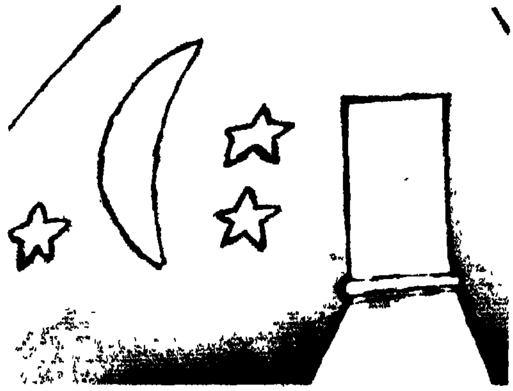
لكن «إقامة» هذا الدين.. وتجديد دنيانا بفكره المتجدد هي «الأمانة» التي حملناها نحن عندما سعدنا بنعمة التدين بهذا الدين..

فطوبى للسالكين سبل التجديد والإحياء للعمران الإسلامي.. الساعين إلى أداء «الأمانات» في مختلف ميادين العمران.. أولئك الذين يجعلون من صيام رمضان الاحتفال اللائق بإحياء ذكرى لحظة الميلاد العظيم لأمة محمد، عليه الصلاة والسلام.□

(٥) الأنفال: ٢٤ (٦) الحجر ٩

عمـــــر والصـــــديق

* عين أبو بكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على المدينة، فمكث سنة لم يفتح جلسة واحدة، ولم يختصم إليه إثنان، فذهب يطلب من أبي بكر إعفاءه من منصب القضاء، فقال له أبو بكر الصديق: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء؟ قال عمر بن الخطاب: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم ما له من حق، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لغيره ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه.



الصوم

تشريع لم يستغن عنه الإنسان يوما

بقلـــم : إبـــراهيـــم نـــويـــري *

إنها وقفة مع الشهر الكريم نرى فيها كيف نشأ الصوم وما هي مكانته لدى الأمـم والمذاهب والأديـان القديمـة وكـذا أهمية هـذه العبادة في الإسـلام.

يرى كثير من علماء الإسلام وفقهائه أن المسائل الدينية البحتة كالمناسك المختلفة والشعائر التعبدية سواء منها الموسمية أو المرتبطة بحياة المسلم اليومية، لا ينبغي فهمها أو تمحيص تفاصيلها وما يرجع فيها من آراء إلا في مظانها الأصلية، كأمهات كتب الشريعة أو بالرجوع المباشر إلى أهل الذكر من العلماء والفقهاء المتخصصين.

والواقع أنه وإن كان هذا هو الأصل في كيفية التعامل مع الشعائر التعبدية لجلالها وارتباطها بعقيدة المسلم، إلا أننا نرى أن التذكير بها في مواسمها ومواقيتها على صفحات وسائل الإعلام المختلفة وضمن الأثير المسموع والمرئي هو كذلك خدمة جليلة القدر لا تقل قيمة وأهمية إطلاقا عن المظان الأصلية، بل هي تفوقها وتتقدم عليها، من حيث سرعة التبليغ وإعلام المكلفين بما يجب عليهم فعله أو تركه حيال سائر الشعائر التعبدية.

ونحن إذا أردنا تقصيّ المعنى اللغوي لشهر رمضان فإن المشهور في لغة العرب أن الشهر مشتق من الاشتهار وهو الظهور، يقال شهر الأمر أي أظهره، وشهر السيف استله، وسمي الشهر شهرا لشهرة أمره، لكونه ميقاتا للعبادات والمعاملات، فصار مشتهرا بين الناس، ورمضان: من الرمض أي شدة وقع الشمس، والرمضاء شدة حر الشمس، ونقول: رمضت الغنم أي رعت في الرمضاء فقرحت أكبادها، وقيل سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها بالأعمال الصالحة، قال الزمخشري صاحب الكشاف: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام الرمض، أو الحر الشديد فسمي رمضان «تفسير آيات الأحكام للصابوني، ج١، ص ١٨٩، ١٩٠».

وكما يقرر القرآن الكريم فإن جميع المصادر الدينية والتاريخية تثبت أن الصيام ليس بأمر مستحدث في الإسلام، وإنما كانت معظم أمم الدنيا تعمل به، ولكن مع فوارق وبواعث اعتقادية مختلفة في هذا العمل، إذ من المعروف أن الصوم وجد في جميع الملل حتى الوثنية منها، فهو معروف عند قدماء المصريين، وقد انتقل منهم إلى اليونان فكانوا يفرضونه لا سيما على النساء، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام، ولايزال

---

* كاتب جزائري

وثنيو الهند وغيرهم يصومون إلى الآن، وليس في أسفار التوراة التي بين أيدينا ما يدل على فرضية الصيام، وإنما فيها مدحه ومدح الصائمين، وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ومشروعا ومعدودا من العبادات، واليهود في هذه الأزمنة يصومون أسبوعا تذكارا لخراب أورشليم وأخذها، ويصومون يوما من شهر آب، وتذكر بعض المراجع أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع، وأنهم يصومونه بليلته ولعلهم كانوا يسمونه عاشوراء، ولهم أيام أخر يصومونها نهارا.

أما النصارى فليس في أناجيلهم المعروفة نص في فرضية الصوم وإنما فيها ذكره ومدحه واعتباره عبادة كالنهي عن الرياء، وتوجد إشارة إلى أن الصائم عليه أن يدهن رأسه ويغسل وجهه حتى لا تظهر عليه أمارة الصيام فيكون مرائيا كالفريسيين، وأشهر صومهم وأقدمه الصوم الكبير الذي قبل عيد الفصح، وهو الذي صامه موسى وعيسى - عليهما السلام - وكذلك الحواريون، ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام، وفيها خلاف بين المذاهب والطوائف النصرانية، ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك وصوم عن البيض واللبن.. وغير ذلك، وكان الصوم المشروع عند الأولين له وجوه مختلفة، فاليهود كانوا يأكلون في اليوم والليلة مرة واحدة، فغيروه وصاروا يصومون من نصف الليل إلى نصف النهار «تفسير المنار ج٢ ص ١٤٤».

وصفوة القول أن الصوم - وإن كان يعني الامتناع عن الأكل والشرب والشهوة - فهو عادة وعبادة قديمة، ربما ظهر بظهور البشر والحياة على وجه البسيطة، بيد أن صيغته وضوابطه وكذا البواعث عليه تختلف من أمة لأخرى بحسب الأديان والعادات، أو بحسب التكاليف والتقاليد.

الصوم في الإسلام

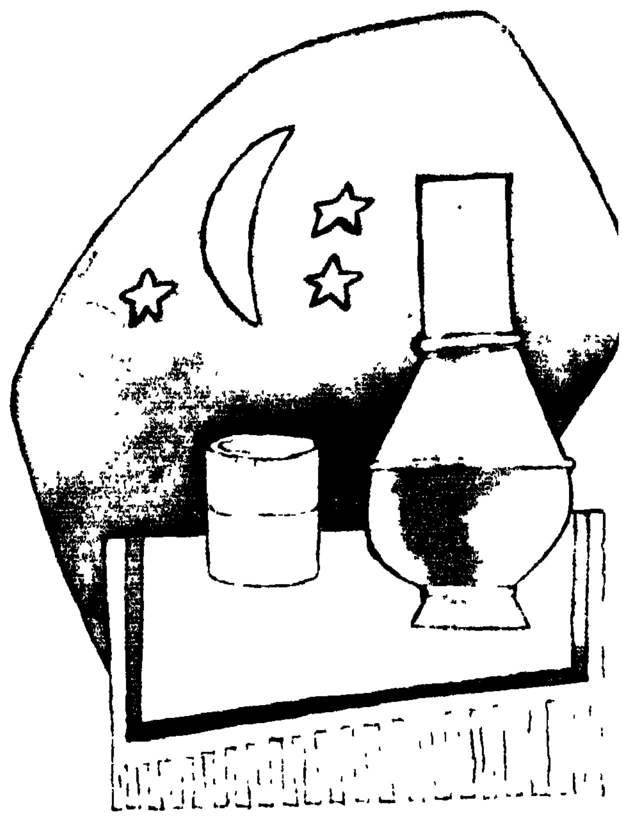
أما الصوم في الإسلام فهو يعني حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، فالجوع والعطش يكسر من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، ويحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحها، فهو لجام المتقين وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارا لمحبة الله ومرضاته.

وقد تأخر فرض الصوم بعض الشيء بخلاف الصلاة وذلك لثقله على النفس، يقول ابن القيم: «ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد صام تسعة رمضانات، وفرض أولا على وجه التخيير بينه وبين أن يُطعم عن كل يوم مسكينا، ثم نُقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم» (زاد المعاد ج٢ ص ٢٩).

ومما لا شك فيه أن للصوم في الإسلام أهدافا وأغراضا أخرى، يختلف بها ويتميز عن الصوم في الأديان والمذاهب القديمة، خاصة إذا علمنا بأن الإسلام لا يهدف في سائر العبادات إلى قصد تعذيب الجسد، كما هو الأمر في البوذية والبراهمية وغيرهما من الملل والمذاهب، أما العبادات في الإسلام فترتبط بفلسفة خاصة وبتصور أسمى يرتبط غالبا بتزكية النفس وتطهير الروح، وخلق العلاقات والوشائج الاجتماعية المتوازنة.

الحكمة من الصوم

أما بخصوص الحكمة من العبادات والشعائر الإسلامية، فإن علماء الإسلام وفقهاءه قد انقسموا إلى فريقين، فريق يقول بعدم إمكان إدراك عقولنا المحدودة للحكم والأسرار التي أودعها الله سبحانه في العبادات، ومن ثم فإن الأولى في هذا الأمر - حسب هذا الرأي - إنما هو الخضوع لمراد الله، وتنفيذ أوامره، والوقوف عند حدوده، وفريق آخر لا يرى حرجا في البحث العقلي عن أسرار العبادات والحكمة منها،



ولعل التوسط بين الرأيين هو الصواب، إذ إن معرفة الحكمة في كل شعيرة أو عبادة لا يمكن أن يفسد أو يؤثر على جوهر العبادة، فنحن نتعبد الله تعالى عن طريق الدليل الذي يتضمنه الأمر التكليفي الإلهي، وليس عن طريق الوقوف على إدراك الحكمة أو السر في كل عبادة من العبادات.

كما أن الوصول إلى بعض الحكم والأسرار العقلية في سائر العبادات الإسلامية قد يسهم في خدمة الدعوة الإسلامية، وتوسيع دائرة الامتداد الجغرافي والإنساني لهذا الدين.

ذلك أن العقل البشري تستهويه مثل هذه النتائج الحسية مما يرتبط بصحة الإنسان، أو بما استعصى علاجه من العلل، أو بما يلتمس منه مأمولا واقعيا في إصلاح سلوك فردي أو اجتماعي أو ما شابه ذلك وهو كثير.

وبالنسبة للصوم فقد تحدث علماء كثيرون مسلمون وغير مسلمين عن فوائده، وما يمكن أن يجنيه الإنسان منه من مكاسب، يقول الأستاذ المرحوم فريد وجدي: كان الناس إلى زمان قريب يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان، ولكن لم يكد ينتشر تاريخ الطب بين الناس، حتى علموا أن الصيام قد اعتبر في كثير من الأمراض من مقومات الصحة الجسمانية، كما علموا من عهد أبقراط أنه عامل قوي من العوامل المنقية للجسم من

● الصوم تشريع لم يستغن عنه الإنسان يوما.

سموم الأغذية، فإن الأغذية التي نتناولها بشراهة تحتوي على مواد دهنية، ومواد رباعية العناصر، لا تطيق البنية البشرية أن تختزن مقدارا يزيد على الحاجة منها، وإطلاق الحرية للإنسان يجعله يتناول كل ما يقع تحت يده، وكثيرا ما يصاب بسبب هذه الحرية بآفات مرضية، تكون وبالا عليه، والصوم ذو تأثير بالغ في تخفيف الأعراض التي تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة، وتحويل محمود في حالة المريض يقوده إلى التخلص من الآلام والانحرافات، وحصة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن حصة الجسم، وقد استفاد الطب من ناحية الصوم، ما لم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير، ولكن أكثر المسلمين لا يأبهون كثيرا بالمستقبل، ولا يحسبون حسابا للشيخوخة.

والذي يبدو لنا في هذا الخصوص أن للصوم ـ في الإسلام ـ حكما أخرى أكثر أهمية حتى فيما يتعلق بالجانب الطبي والصحي، فالصوم يهذب النفس البشرية ويلطف المشاعر ويسمو بالروح وهذا بدوره أمر بالغ الأهمية من حيث انعكاساته على السلوك فتقوى وشائج القربى بين أفراد المجتمع الإسلامي، ويتذكر الغني الذي فتح الله عليه من فضله، أحوال وأوضاع إخوته الفقراء ممن يعيشون الفاقة، ويتطلعون إلى مساعدته وإسهاماته، وهكذا تتكامل الجهود وتقوى روح التكافل الاجتماعي، وتتحقق الخيرية والمودة بصفتها قيمة أصيلة من قيم هذا الدين.

وهكذا، فإلى جانب الفائدة التي يجنيها جسم الإنسان بالصوم مما يكون له الأثر الطيب والنتائج الحسنة على صحة الإنسان وعافيته، فإن الصوم يحقق أيضا أعظم الآثار نفعا على مستوى الروح والإيمان، لأن الصائم يكون مشدودا ومتعلقا أكثر بخالقه ورازقه، ومن ثم يكون مدفوعا بتلقائية يسندها الإيمان، إلى فعل الخير، والمساهمة الواعية في سد الثغرات الاجتماعية، عن طريق مراعاة أحوال الآخرين، ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء من ذوي العوز.

كما أن الصوم يكون فرصة ثمينة لدى كثيرين يراقبون فيها أنفسهم، فيعدلون من بعض سلوكياتهم أو معاملاتهم، وهو مكسب ثمين قد لا يتحقق في غير رمضان.

إن الصوم نعمة وهداية ومنّة إلهية إلى بني البشر، وهو وإن يكن قد أفاد الإنسانية في مختلف مراحل تاريخها، إلا أن تلك الفائدة لم تبلغ العظمة والكمال إلا بتشريع فريضة الصوم في الإسلام. □

العربي ـ العدد ٤٢٣ ـ فبراير ١٩٩٤ م

رمضان

في ذاكرة التاريخ

بقلم: إبراهيم خليل إبراهيم *

ليس شهرا عاديا يتوالى فيه الليل والنهار ولكنه معنى يتصل بحركة الأرض والكون وما في الوجدان من فكر وعقيدة. إنه محاولة لتجسيد الزمن المجرد وإكسابه معنى من خلال الطقوس والشعائر بحيث يتحول هذا الشهر عبر التاريخ إلى علامات فارقة.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ البقرة ١٨٣ ـ ١٨٤.

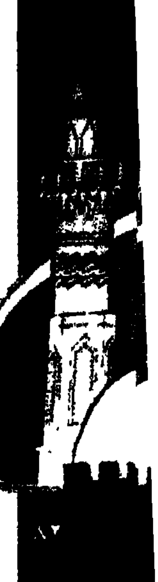
فرض الله تعالى الصيام على المسلمين في السنة الثانية للهجرة النبوية، ومن يستعرض أحداث التاريخ الإسلامي يجد أن هذا الشهر كان موعدا ووعدا للمسلمين. لم يكن موهوبا للجوع والتكاسل ولكنه شهر الجهاد والفتوحات والعمل التاريخي العظيم. بل إن الكتب السماوية قد تنزلت على أنبياء الله عليهم السلام في شهر رمضان. فقد جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

قال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ سورة البقرة ١٨٥.

وهذا هو سبب جعل الله هذا الشهر مخصصا للصوم والعبادة، تكريما له ونظرا لما يبعثه الصوم في النفس من عوامل الخشوع وكبحها عن الصغائر والدنايا. وقد سميت الليلة التي بدأ فيها نزول القرآن بليلة القدر تنويها بمكانتها وقدرها ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر﴾. وكانت أولى الآيات التي نزلت في هذه الليلة المباركة قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾.

انتصارات وفتوحات

وفي السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان كانت غزوة بدر الكبرى التي تحقق فيها أول انتصارات الجيش الإسلامي على قوى الشرك والباطل. وقد دارت حول بئر ماء بدر وكانت أعداد المشركين من قريش ثلاثة أضعاف جيش المسلمين وكان الرسول عليه الصلاة والسلام استحث أصحابه



* كاتب ومذيع من مصر



على الصبر والتضحية فصبروا وجاهدوا حتى نالوا نصرا عزيزا.

وفي رمضان من السنة الرابعة للهجرة تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث والتي لقبت بأم المساكين.

وفي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة أعز الله تعالى الإسلام والمسلمين بفتح مكة بعد أن نقضت قريش عهد الحديبية الذي كان قائما بينهم وبين الرسول وقد كان لهذا الفتح أثره في توحيد كلمة القبائل العربية وبداية عهد جديد من عهود الدولة الإسلامية، قال تعالى: **﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**.

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك، وفي التاسعة جاءت وفود قبيلة ثقيف تبايع الرسول وتعلن دخولها في الإسلام.

ولم تتوقف الانتصارات والفتوحات الإسلامية في رمضان. وقد أثبتت الأحداث أن هذا الشهر كان دوما شهر جهاد، ففي رمضان من عام ٥٣هـ فتح العرب جزيرة رودس وبدأوا بهذا صفحة جديدة من تاريخهم البحري تواصل وتطور حتى استطاعوا فتح الأندلس في رمضان عام ٩١هـ وقد بدأ هذا الفتح المهم عندما أرسل موسى بن نصير قوة من فرسان العرب بقيادة (طريف) لارتياد الشاطىء الجنوبي للأندلس فعبروا البحر وغزوا الثغور، وكانت هذه مقدمة الفتح الذي قام به العرب في العام التالي عندما قاد طارق بن زياد جيشا من اثني عشر ألف مقاتل لينزل في جبل طارق ويقابل جيش الملك «رودريك» في رمضان ويهزمه.. ويبقى السؤال: هل أحرق طارق بن زياد سفنه أم لا؟ إن المؤرخين يشككون في هذه الواقعة ولكن الأمر المؤكد هو أن فتح الأندلس كان باهرا.

معارك تاريخية

وتتوالى أحداث رمضان ولا تكل ذاكرة التاريخ..

في رمضان من عام ١٢٩هـ ظهرت دعوة بني العباس في خراسان بزعامة أبي مسلم الخراساني وبعد ذلك بثلاثة أعوام فقط في رمضان ١٣٢هـ استولى أبوالعباس عبدالله أول الخلفاء العباسيين على دمشق وسقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية.

وفي رمضان ٣٦١هـ تم بناء الجامع الأزهر في القاهرة وارتفعت فيه أول التكبيرات في عهد الخليفة المعز لدين الله.. وتحول الجامع بعد ذلك إلى جامعة علمية تدرس فيها علوم الدين والشريعة وإلى مركز للمقاومة والحفاظ على الروح القومية عند الشعب المصري.

وفي رمضان عام ٥٨٤هـ قاتل صلاح الدين الأيوبي الصليبيين.. وفي غمرة المعارك أقبل عليه شهر رمضان فنصحه قواده بالراحة في هذا الشهر ولكنه قال: «العمر قصير والأجل غير مأمون» وسار في منتصف رمضان وحاصر قلعة صفد وتواصل القتال حتى استولى عليها.

وفي رمضان من عام ٦٥٨هـ تصدى الجيش المصري لزحف التتار على الشرق، ووقف السلطان قطز في عين جالوت كي يذيق جحافل التتار أول هزيمة لهم بحيث جعلهم يتراجعون وبدأ من هذا التاريخ حكم المماليك لمصر.

وتواصلت انتصارات المسلمين في شهر رمضان حين عبرت القوات المصرية خط بارليف واجتازت القوات السورية هضبة الجولان في رمضان ١٣٩٣هجرية وانتصرت على القوات الصهيونية وكانت هذه أول هزيمة تمنى بها إسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي.

هذا هو شهر رمضان المعظم.. وهذه هي أحداثه العظيمة. □

رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية

الطعام في الثقافة العربية الإسلامية

بقلم: سعيد الناجي*

الطعام الذي هو عطاء إلهي، منّة ونعمة من الله، وسبب من أول أسباب استمرار الحياة، كيف تنظر إليه الثقافة العربية الإسلامية؟ سؤال دقيق، وإجابة مجتهدة، يحملها إلينا هذا المقال الذي ننشره في شهر الصوم الكريم.. شهر التعامل مع الطعام بقداسة الإسلام وعمق فلسفته.

تختلف عادات الشعوب في تناول الطعام اختلافا يدفع إلى التساؤل عن أسبابه ومدلولاته. لقد احتفظ العرب بالأصابع وسيلة مثلى لتناول الطعام، فيما ذهب أهل آسيا إلى ابتكار عيدان خشبية، أما الغرب فقد طور الشوكة والسكين وسائط بين الإنسان وطعامه. لماذا لم يتكلف العرب بلورة أداة خاصة لتناول الطعام، وكأنهم بقوا في مرحلة بدائية من علاقة الإنسان بالطعام؟ إن الإنجازات المهمة للحضارة العربية على امتداد التاريخ تدفعنا إلى البحث عن تعليلات أخرى لهذه المسألة.

لا حائل بين النعمة والإنسان

إن استعمال الأصابع في الأكل يعني أولا هدم كل مسافة بين الذات (الإنسان) والموضوع (الطعام) التي تخلقها أدوات أخرى كالشوكة مثلا. فهذه الأخيرة مصنوعة من مادة صلبة مطلية بطلاء براق، وهي بهذا تنفي ليونة الأصابع لتقيم مقامها الصلابة والعنف باعتبارهما جوهرين قامت عليهما أسس حضارة التصنيع الغربي. وتتأكد حمولة العنف هذه بالنظر إلى شكل الشوكة الذي يشبه إلى حد كبير سهما متعدد الرءوس. وحين نقارن بين الشوكة والأصابع أثناء تناول الطعام سنلاحظ أن الأولى تختطف الطعام من أعلى بعد أن تنغرس رءوسها فيه، فيخضع الطعام إلى قوة تتجاوز بكثير تلك اللازمة لحمله، وتتحول إلى عنف غير مدرك يمارسه الإنسان على طعامه.

وفي المقابل، يقود استعمال الأصابع في الأكل إلى اكتساب الجسد الدور الأول في ملامسة الطعام وتناوله خارج كل وساطة ممكنة. وهكذا، يمكن أن نحدد، إضافة إلى نقل الطعام، وظيفتين أساسيتين للأصابع:

١ - الحفاظ على حميمية العلاقة بين الجسد والطعام، حيث تلامس الأصابع مباشرة الطعام بحركات خفيفة فيها من القوة ما يلزم فقط لحمله ونقله دون ضغط أو عنف. وفيها شحنة عاطفية تنشأ



* كاتب وباحث من المغرب



من أن الأصابع تحيط بالطعام من جوانبه وتنقله برفق.

٢ ــ نقل أخبار ومعلومات حول الطعام قبل تناوله (سخونته، برودته، ليونته...) هذه الوظيفة الإخبارية التي تتكفل بها الأصابع قبل اللسان (الحلاوة، المرارة...) أكثر دقة من تلك التي تحققها بعض الحواس الأخرى مثل البصر (لون الطعام، شكله...). بهذا تصبح الأصابع ضامنا أول للطعام من حيث قابليته للتناول.

إن السؤال الذي يُطرح بإلحاح هو: ما هي الثوابت والقيم التي أباحت التعلق بالأصابع باعتبارها أداة وحيدة لتناول الطعام؟.

اعتمد البديل الديني للإسلام على نفي الإشراك بالله، وترسيخ فكرة الوحدانية التي تجعل الإنسان في علاقة مباشرة مع الخالق، هذا ما كان يقوض أسس المنظومات الدينية قبل الإسلام، خاصة الوثنية التي اعتبرت ـ ضمن اعترافها بالذات الإلهية ـ الوثن وسيطا بين الإنسان والله.

ولعل أهم شيء يمنحه الله للإنسان الرزق أو النعمة، ويدعوه إلى أن يستفيد منه حسب ما تم تحليله وتحريمه. وكما أنه يمنحه له في الدنيا: **﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾**(سورة البقرة آية ٢٣)، فإنه يمنحه إياه في الآخرة دون اشتراط العمل الذي يكسب به الإنسان الرزق في الدنيا؛ فصورة الجنة ترتكز على مكونين اثنين: الرزق (الثمرات) والحور العين: **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾**(سورة البقرة آية ٢٥).

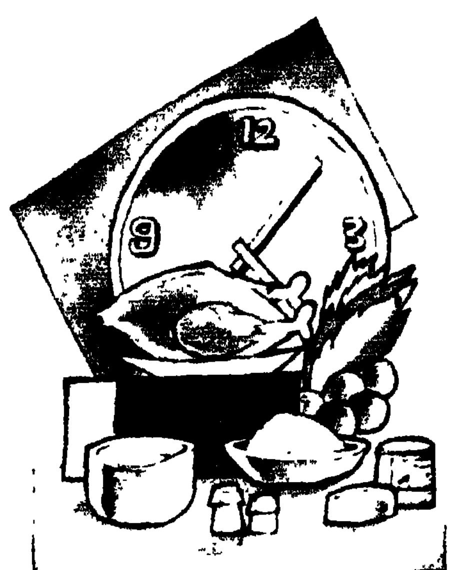
ويرتبط مفهوم الرزق بفكرة وحدانية الله لأنه دليل عليها **﴿أخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا﴾**. بمعنى أن الرزق يدل على وجود الله المانح لكل شيء، ويدل على وحدانيته التي لا يجدر بالمؤمن خرقها. وليس من قبيل المصادفة فيما نظن أن تنظم سورة المائدة قواعد الأكل: **﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب...﴾**(آية ٤)، وشروط الصلاة وطقوسها في نفس الوقت: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم..﴾**(آية ٦).

منّة إلهية مباشرة ومقدسة

هكذا، يندرج الطعام في الثقافة العربية الإسلامية ضمن مجال المقدس، لأن مصدره الأول هو الله سبحانه وتعالى الذي نظمه فحلل منه ما حلل وحرم منه ما حرم، وبما أنه لا وساطة بين الله والإنسان

فكذلك لا وساطة بين ما يصدر عنه ويدل عليه (الطعام) وبين الإنسان، مما جعل أمر بلورة أداة للأكل، غير اليد، غير وارد في الثقافة العربية. لقد وقر في اللاوعي الجمعي الإسلامي أن الطعام منّة إلهية مباشرة ومقدسة.

ويمكن أن نستخرج من القرآن دلائل عديدة على تقديس الطعام لعل أجلاها أولا انفراد الجنة به وبعلته (الماء): ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾. باعتبار الجنة فضاء نهائيا لا فضاء يستقبل المؤمن من بعده ﴿خالدين فيها﴾، وثانيا ضرورة تسمية الله قبل البدء في تناول الطعام وختمه بحمده: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾(سورة المائدة آية ٣)، إن تسمية



الله على الأكل أمر ضروري يدخل ضمن التقوى. وترتفع قيمة الطعام إلى أن يصبح وسيلة لتقوية الإيمان (الصدقة) أو لتصحيحه (إطعام ستين مسكينا كفارة). أما تقديس الطعام فيصل إلى منتهاه في رمضان حيث يتزامن وقت الصلاة مع تناول الطعام أو الامتناع عنه، فالدعوة إلى صلاة المغرب إيذان بتناول الطعام، والدعوة إلى صلاة الفجر إخبار بضرورة الامتناع عنه.

عطاء إلهي

هكذا، يمتلك الطعام قيمة عطاء إلهي مباشر لا يجدر بالإنسان إلا أن يتناوله مباشرة دون وساطة. وإذا كان استعمال الأصابع تثمينا لدور الجسد في نقل الطعام وتناوله، فإن الإسلام بمنح نفس الأهمية للجسد حين يدخله في نسق خاص من الحركات يجعل التقرب من الله غايته الأولى: فالصلاة تطهير للجسد (الوضوء) ثم الدخول في برنامج حركات عمودية تبدأ وقوفا وتنتهي جلوسا، والتسبيح ذكر لله اعتمادا على الأصابع، والدعاء رفع الأكف لله.. ونستطيع أن نعدد الأمثلة.

إن العرب، رغم أنهم طوروا فنون الطبخ، قد حافظوا على علاقة مباشرة مع الطعام أصبحت أحد ثوابت السلوك اليومي المتكرر الذي يعين ملامح هويتنا بالمقارنة مع شعوب أخرى. ونظن أن البحث عن مكونات الهوية العربية قد كان يخطىء طريقه أحيانا حين كان يتجاوز مثل هذه السلوكيات اليومية مثل الطبخ، الأكل، اللباس.. التي تحمل في طياتها تاريخا مختزلا من الإبداع العربي. □

من الحديث النبوي الشريف

* قال ﷺ:

« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

الكمبيوتر والموسيقى

بقلم: صلاح الدين البزري



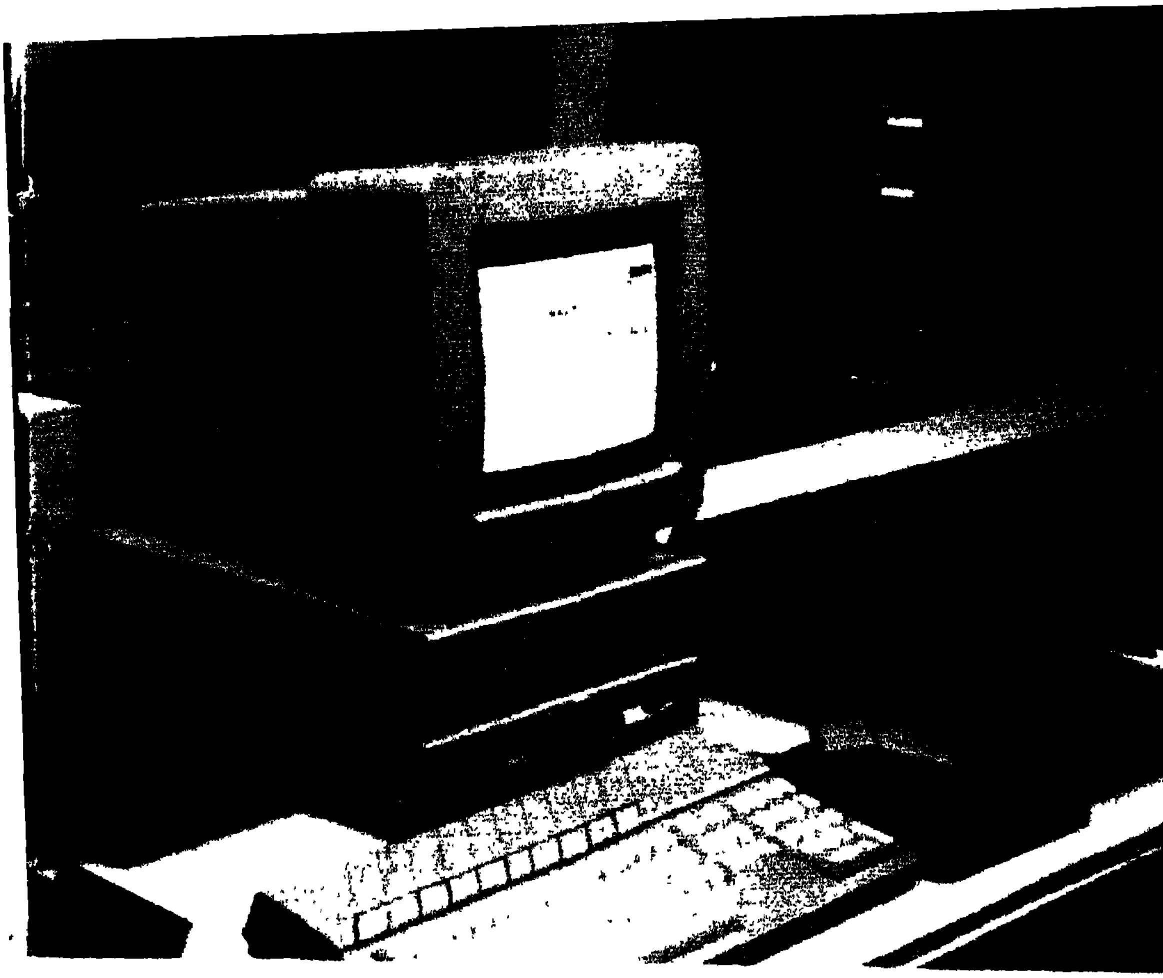
ليست قليلة الأدلة التي تتحدث عن رغبة الإنسان ليس فقط في أن يؤلف الموسيقى ولكن أيضا أن يتسلى بعزفها دون أن تأخذ منه هذه العملية الوقت الطويل وكل ما هو بحاجة إليه اليوم: حاسوب شخصي، ونظام برنامجي موسيقي، وقليل من الخبرة الموسيقية!!

مجالات الضبط الموسيقي والتأليف والعرف استولى عليها الكمبيوتر ملك التقنيات في عصرنا هذا، الذي أثبت قدرته في جميع مجالات الحياة الضرورية منها والكمالية.

فالموسيقى الكمبيوترية هي عبارة عن خليط من تقنية الكمبيوتر المتفوقة والإبداع الموسيقي عند الإنسان، وقد توصل مبدعو البرامج الموسيقية التي لقنت للكمبيوتر إلى نتائج مذهلة، حيث إن السامع العادي لهذه الموسيقى يطرب لها دون أن يدري أن الكمبيوتر قد صنعها.

وبغض النظر عن اكتشاف أصوات إلكترونية جديدة، فإن هناك إحدى أهم المسائل التي تقف أمام المبرمج وهي أن يضع برنامجا يقلد فيه أصوات الآلات الموسيقية الكلاسيكية بذاتها.

إن استعمال الكمبيوتر يجيب قبل كل شيء عن رغبة وحاجة مؤلف الموسيقى في أن يفرض سيطرته عليها



بالشكل المطلوب، وهنالك طريقتان لتأليف الموسيقى:

الطريقة الأولى.

يوضع برنامج لقطعة موسيقية معينة، وبإدخالها للكمبيوتر تقوم وحدات المعالجة المركزية بالتعامل مع هذا البرنامج، وبعد تحليله يقوم الكمبيوتر وبناء على أوامر ما بإصدار نغمات موسيقية على نمط القطعة الموسيقية المدخلة، وهنالك شرط مهم وهو أنه لا بد لوحدات المعالجة المركزية أن تكون مصنوعة أصلا في الحاسوب «الكمبيوتر» لقبول ومعالجة هذا النمط من الأوامر الموسيقية. ويتضمن الكمبيوتر أيضا وحدات معالجة خاصة بالصوت ومكبرات داخلة في صنعه.

الطريقة الثانية:

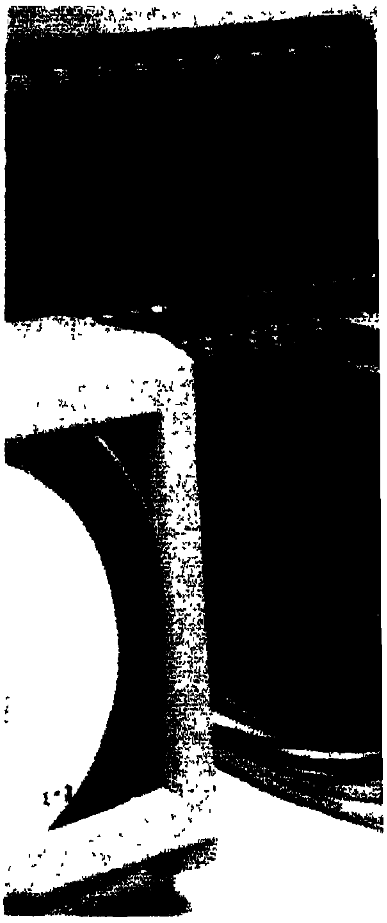
وتختلف هذه الطريقة عن سابقتها في أن المؤلف يقوم بتأليف السلم الموسيقي للقطعة التي يختارها هو عن طريق نظام مصنوع ومدخل مسبقا للكمبيوتر من أجل حفظ القطعة الموسيقية وتجربتها وإعطاء الحلول المناسبة لها وتطويرها

هذه الطريقة هي خليط ما بين الإبداع الموسيقي عند المؤلف وبين الكمبيوتر، فيما يقوم المؤلف «عن طريق النظام» باختيار «الأوركسترا» المطلوب مؤلفا من الآلات الموسيقية المرادة، ويقوم بعدها بتحديد «السلم» الموسيقي الذي سوف تعرفه هذه الآلات في الوقت المحدد والمعطيات الضرورية.

شيء مما قبل الكمبيوتر

إن أولى الآلات الموسيقية الميكانيكية المبدأ والصنع كانت قد وجدت في القرن السادس عشر الميلادي، وفي نهايته كانت قد انتشرت صرعة الأجهزة الميكانيكية الموسيقية، وقد اشتهر في تلك الفترة بالذات جهاز «كيرخر» الذي صمم عام ١٥٤٩ ميلادية.

ومن الممكن أن نجري تحليلا مطقيا موجزا لـ«ذاكرة» هذا الجهاز «التي هي عبارة عن *اسطوانة ضخمة*». إن اسطوانة الجسم الميكانيكي هذا تدخل في طور الحركة بواسطة دفع ساعورة ماء، وتحمل الاسطوانة هذه على سطحها نتوءات «التي تشكل بحد ذاتها المعلومات المحفوظة عليها» حيث بدوران هذه الاسطوانة تقوم هذه النتوءات بضغط أذرع والأذرع بدورها تحرك أنابيب



□ الكمبيوتر يساهم في تسهيل عملية التعلم الموسيقي

هوائية مصدرة الأصوات المطلوبة وحتى الصناديق الموسيقية المصوغة على أساس «الديسك» الموسيقي «الذي هو ربما سلف الديسك الممغط المرن» تحمل اسطوانتها الصغيرة على سطحها نتوءات وثقوبا، ومجموعة هذه النتوءات تشكل المعلومات التي بتسلسلها تتشكل الضغط على الإبر الصوتية.

بعد قرن من الزمن حدثت قفزة نوعية للتمدن فقد سجل الأوركستر بواسطة آلات موسيقية مبرمجة، والحامل الجديد لهذه المعلومات هنا هو عبارة عن شريط ورقي عليه «في حالة التسجيل الأصلي» سجل ارتفاع درجات الصوت «النغمات» وتسلسل هذه النغمات وقوة الضرب على الأزرار... إلى آخره..

وقد شهد القرن الثامن عشر قفزة في مجال الآلات الموسيقية متمثلة في:

١ ـ اختراع إديسون الفونوغراف عام «١٨٧٧»م.

٢ ـ واختراع مورس في عام «١٨٣٢»م للتلغراف.

وبعد ذلك وحد عشاق الموسيقى أنفسهم أمام اختراعات موسيقية جديدة وعديدة، فإذا عدنا إلى قرننا هذا نجد أن الكمبيوتر في بداية السعينيات قد تحكم بمركبات الصوت بشكل كامل، وبعد ظهور الميكروكمبيوتر «الجيل الرابع من الحاسبات» تطورت التجارب في البرمجة وبدأت مرحلة جديدة لحل مشاكل تركيب الأصوات وبرمجة وتأليف الموسيقى الكمبيوترية، ومن أجل هذا نشأ اتجاه آخر لتطوير الآلات الإلكترونية ومركبات الصوت التي تستخدم تقنية الكمبيوتر.

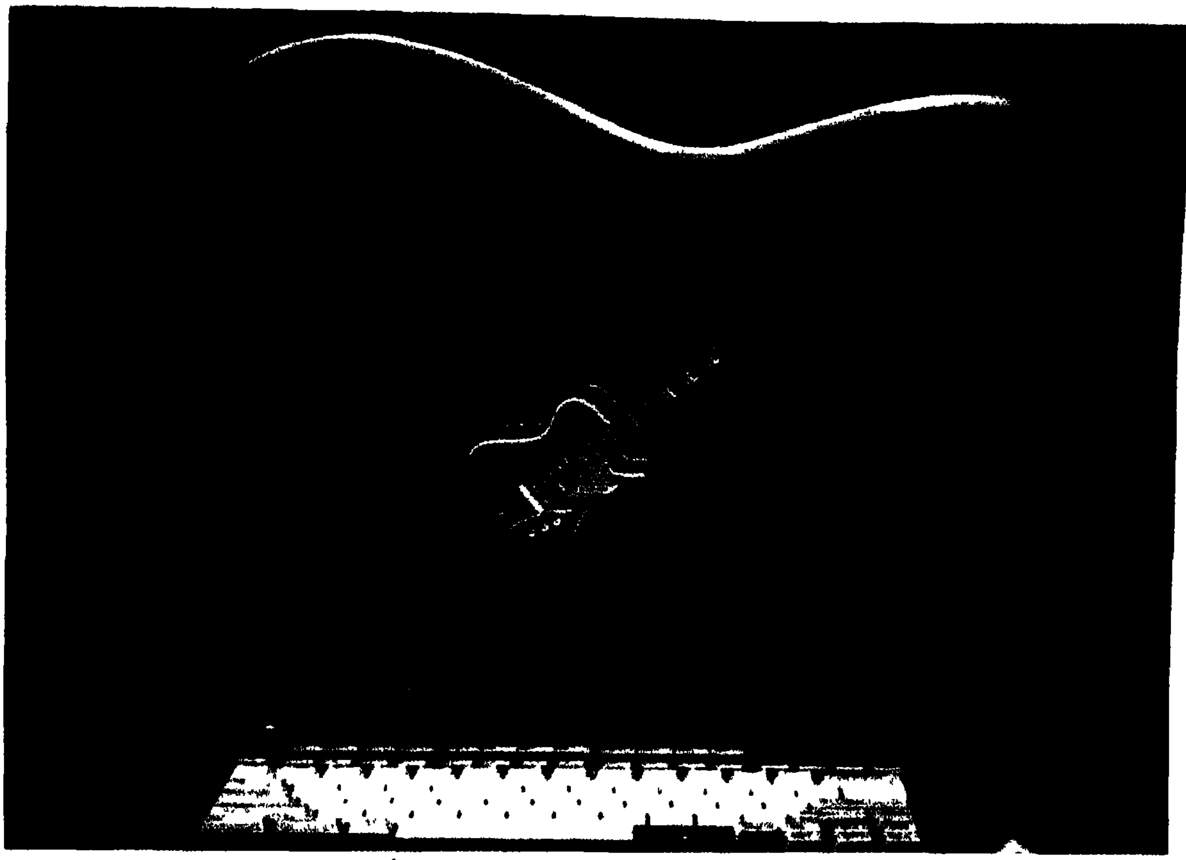
وهذا الذي دفع العالم ماتيوس إلى صنع النظام «Music5» بلغة الكمبيوتر العلمية «الفورتران» الذي يعطي مجالا لمؤلف الموسيقى أن يستعمل البرنامج في حاسبه الشخصي، وهي من أكثر لغات البرمجة الموسيقية استعمالا. ولكن للبرنامج المذكور نقطة ضعف حيث إن طريقة العمل المعطاة فيه ليست كافية، فمن أجل الحصول على صوت «نغمة» لمدة ثانية واحدة فقط فإن الكمبيوتر المبرمج بلغة الـ«Music5» يحتاج إلى مائة ثانية من أجل معالجة المعلومات الرقمية، ولذلك وضع مؤلفو البرامج الموسيقية احتمالات ثانية لـ«Music5» حيث تم تطويره بلغة الآلة «Machine Language» لاختصار وقت المعالجة فيه.

هذا بالنسبة للبرامج الموسيقية «التي سبق أن ذكرنا أنها قد نشأت في السعينيات»، أما بالنسبة لتركيب الأصوات فإننا سنوجزه في بيان كيفية تركيب الصوت الإلكتروني.

الصوت الإلكتروني

من السهل أن نكوّن موجة جيبية بطريقة إلكترونية عن طريق دارات منطقية والتي توجه بدورها مولد نبضات «Pluse generator» بشكل مباشر أو عن طريق تغيير في تغذية هذا المولد بالطاقة الكهربائية.

ومن السهل أيضا تشكل موجة من المكونات التوافقية «Harmonic combination» حيث تدل كل مكونة على نوع معين من الآلات الموسيقية، ويستعمل مولد واحد لكل مكونة توافقية،و التي تشكل مع غيرها من المكونات صوتا مشابها لهذا الصوت المعزوف على البوق مثلا أو البيان ولكن المشكلة تكمن في أن كل نغمة سوف تحتاج لعدد كبير من المولدات. إن أولى النتائج في مجال التحكم في أشكال الأمواج الصوتية قد سجلت قبل حوالي عشرين عاما عند اختراع المركبات الصوتية، وهذا المركب الصوتي يشكل موجة معقدة «Complex wave» حيث يقوم مرشح «Filter» ذو مجال كبير للتصفية بكبت وتصفية جميع الموجات الصوتية غير المستحبة وامتصاص الضجيج من الموجة المراد الحصول عليها.



□ يساهم الكمبيوتر في عمليات التوزيع الموسيقي وتداخل الأنغام المختلفة.

وبغض النظر عن الاستنتاج الرياضي الذي يطبق على الذبذبات المطلقة فإن التقنية الرقمية اليوم تعطي مجالا تفصل فيه المكونات التوافقية للموجة واحدة عن الأخرى معطية ببساطتها موجة صوتية معقدة تتقبلها أذن السامع كخليط من الموجات الجيبية

الروبوت العازف الجديد

ولكن ماذا عن الروبوت الذي يعتبر الابن الشرعي والوحيد للكمبيوتر؟

إن تطور الروبوت في عصرنا قد وصل إلى درجة متقدمة جدا ومذهلة في نفس الوقت، فإنه قد دخل في ضروريات الحياة كمجالي الطب والفضاء وفي صناعة السيارات والأقمار الصناعية وغير ذلك، ودخل أيضا في كمالياتها ومنها الموسيقى فقد توصلت إحدى الشركات اليابانية المتخصصة في صنع الروبوت إلى إمكان عرض «أوركسترا» مؤلف من عدد من الروبوتات التي تعزف على آلات وترية كالبيانو والغيتار سوناتات موسيقية لكبار موسيقيي عصر الباروك أمثال تشايكوفسكي وبتهوفن وموتسارت.

فمثلا الروبوت «vabot / ٢» المزود بكاميرا خاصة لقراءة السلم الموسيقي وبيدين كل يد مزودة بخمسة أصابع يعزف على «الأورغ» بشكل ممتاز، ويتشارك بشكل رائع ودقيق مع روبوت آخر يعزف على الغيتار الذي زود ستة أصابع في يده اليسرى لإمساك طرف الغيتار و«١٥» إصبعا بيده اليمنى التي تضرب على الأوتار بشكل مبدع

ولكن التأليف المطلق هو اليوم حلم الموسيقي الذي لم تصل إليه تقنية الكمبيوتر بعد حيث فشلت اليابان في تطوير الكمبيوتر من الجيل الخامس.

على كل فالمستقبل سوف يرينا أو يري أحفادنا من بعدنا، أن مهمة المؤلفين هي فقط أن يفسروا كيف أن الكمبيوتر يساعد الإنسان مؤلف الموسيقى في التأليف المرمج والعزف وفي تطوير التكامل الموسيقي.

ويتحسر عشاق الموسيقى التقليدية على كبار الموسيقيين الكلاسيكيين كالموسيقار العبقري بيتهوفن مثلا، في أنه لو عاش في عصرنا هذا «عصر الكمبيوتر» فإنه كان سيطربنا بعشرات السيمفونيات. □

الرائحة

قصة بقلم: سعيد الكفراوي

وجعل يحدق في الشمس التي على الماء. يشد مطاط «المايوه»، ساترا كرشه الصغير، ماسحا تدليه الساقطين أعلى بطنه، وكتفيه المجعدين بحلد محتمس يتلصص بعينين ضقتين، تسدوان عاشقتين للحياه، لكنهما في حقيقة الأمر كليلتان بدرجه تبعث على الحزن

يهمس لنفسه «امش أيها الكهل. لا تقف هكذا حلف الشماسي». سار بين الصفوف تواجهه الجزيرة الصغيرة، يلطمها الموج من كل جانب تأملها وهمس لنفسه «الجزيرة».

صوته يخرج نحيلا من مسامه إلى المدى المموج بالماء، وصهيل الشمس، وهواء مستمر الذي يهب من هناك بالحنين

عندما غمر الماء ساقيه شعر بالبرد، تقدم خطوات حتى وصل الماء وسطه، غطس ببدنه كله للحظة، ثم خرج يشهق يحس الآن بالماء ينسلل إلى مسامه دافعا بما تبقى في جسده من حيوية إلى رأسه فيشعر بالانتشاء، يكشط وجه البحر بكفيه متأملا المستحمين بفرح الأطفال.

ثمة حياة أخرى يأتي بها البحر.

وتذكر أيام شبابه، عندما كان يسبح في نفس واحد حتى الجزيرة. يذهب ويعود أكثر من مرة. يأخذ شصه، وحرابه في يده، ويمضي النهار في الصيد، وتأمل النوارس.

سبح بوهن حتى تجاوز المستحمين. رأى من مكانه راية الكورنيش، وسمع الصخب يأتيه مختلطا وراعقا، وبالونات ملونة في الشمس، وطائرات من ورق تعلو في الهواء جانحة، وثابتة في الريح.

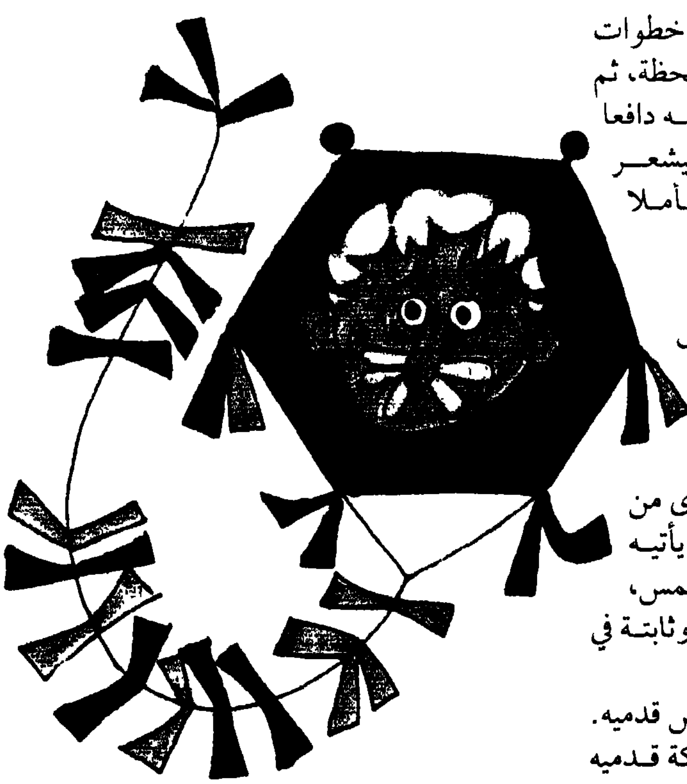
سبح مسافة أخرى، وشعر بغياب القاع عن قدميه. واصل السباحة ثم وقف بطوله توازنه حركة قدميه ويديه. بدأ الرجل يغني بصوت حسن، أغنية شجن من زمن قديم، ثم عاود السباحة

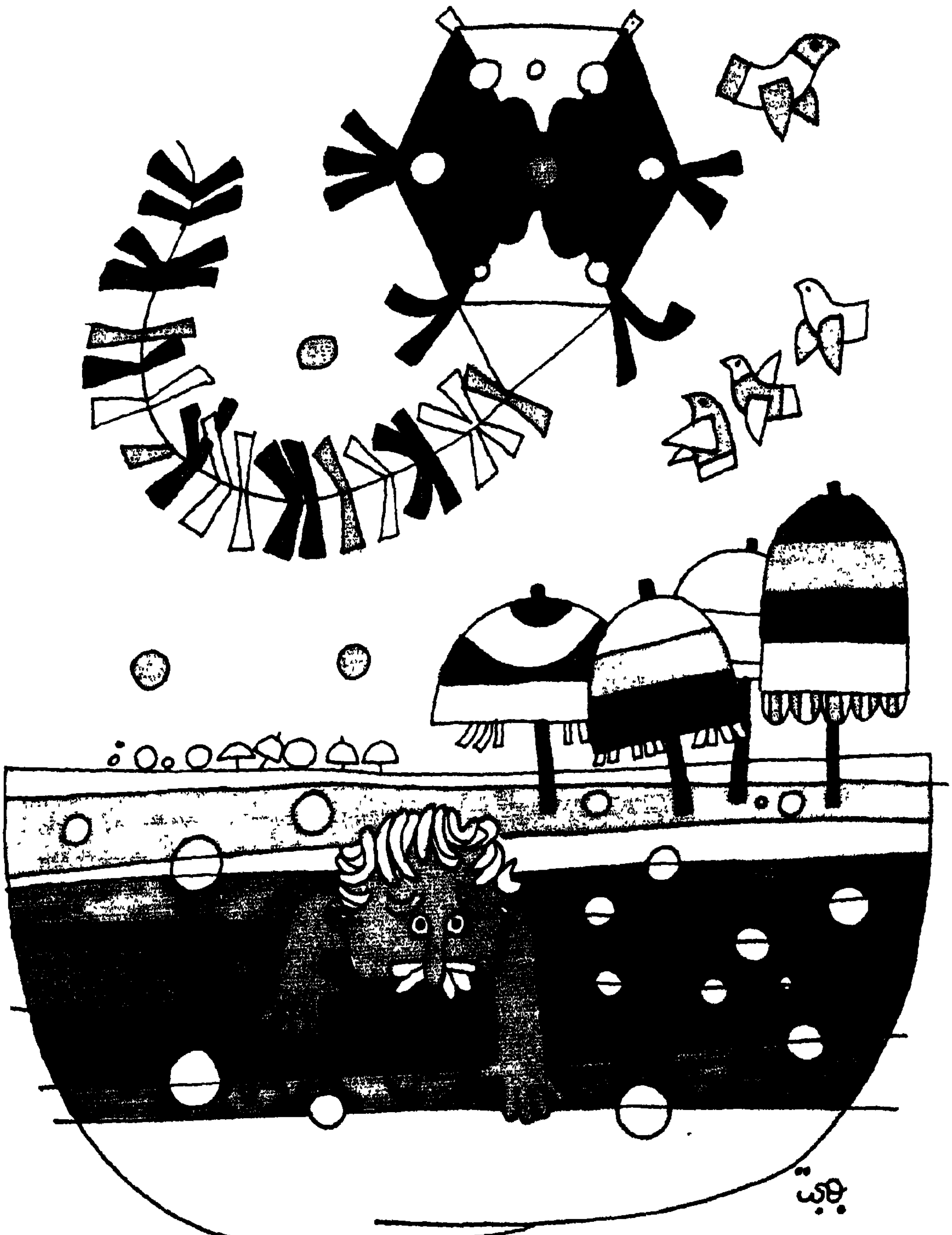
فوجئ بأنه ابتعد عن الشاطئ، غاب الصياح، وشعر بوحدته مع البحر، ولاحت له رءوس الشماسي تسبح على الماء امتلأت خياشيمه برائحة البحر، ورائحة الملح، والساتات. ضربه قلبه عندما رأى أنه ابتعد كثيرا.

«ماالذي تحاوله أيها الهرم؟».

وشعر بالرعب.

أخذ شهيقا، وتكاثف إحساسه بالزمن، وعدت روحه نوازع الحنين، وصعدت عبر شيخوخته المتأخرة، التي تحاول اللعب مع الماء. «تذهب إلى





الجزيرة؟» أدرك بالفعل بيته، واستسلم لرغبته في الذهاب.

«الجزيرة بعيدة ونائية».

مضى يضرب الماء ساحبا جسده خلفه، يرى انفلات الموج ناحية شرق الجزيرة، ويقاوم اندفاع البحر بإرادة الوصول.

لما تعب كف عن السباحة. انقلب على ظهره قليلا ثم استوى يسبح. صمت البحر، وغرق في زرقة عميقة، وشع على الماءالغموض. كف عن السباحة فعبث به التيار وتولى قياده. هف الهواء، وبدا له الأمر غريبا، ومدهشا، «أن تفعل ما كنت تفعله مذ خمسين عاما»؟!

شعر كأنه يستيقظ على لحظة فرح.. اكتشاف.. هل كان يختبر عمره؟. أم كان يحاول من غير عزاء اختلاس لحظة من زمن قديم ولى؟.

«لقد ابتعدت كثيرا، وأنت لا تضمن النتائج على أية حال». عاد وانقلب على ظهره، وطفا رأسه الأشيب على الماء. راقب الشمس وهي تنحرف ناحية «المغارب». تألمت عيناه فأغمضهما، وتكاثف بوعبه صوت البحر.

عاد فواصل السباحة باطراد ناحية الجزيرة. كان النهار يشحب أمام عينيه فيما يثقل عليه جسده، ودوار في رأسه يجعل مساحة الأفق تختلط عليه. خاف من النسيان، ومن ضياع ذاكرته فبضل في البحر. زاد من ضربات يديه، لكنها كانت ضربات واهنة، وبدأ الندم يضرب قلبه الجانح فزع من الماء الحي، وخاف من الموت وحده.

اشتد تعبه، والجزيرة لاتزال بعيدة، وانتفض قلبه في صدره، وبدأ يسمع صوت لهاثه. أدرك أن الشيخوخة بيار يندفع في العروق، يأتي من أعمق الأعماق بالهزيمة والخسران

حمله الماء للحظة، رأى الجزيرة تقترب، راية تخفق أمام عينيه، غير ثابتة، أخذ نفسه، وسيطر على لهاثه، همس: «لا. لن أموت الآن». أراح ساقيه، وخاف أن تتقلصا، واستسلم للتيار الذي يأخذه إلى هناك.

ما إن لامست قدمه اليمنى صخر القاع حتى دبت الحياة فيه. تماسك وهو يخطو على صخور القاع مستعيدا انتظام أنفاسه. لمح الطحالب، والسمكات الصغيرة المنفلتة، والقواقع في مكانها من قديم. أخذته بهجة القاع، وتلك الحيوات الصغيرة النشطة، شعر بانتصاره. نعم.. لقد عاش من السنوات الكثير مايكفي لهزيمته، لكنه يصعد الآن صخور الجزيرة مضمخا برائحة الماء والعشب، وانتصاره المتوج.

خطا محاذرا النتوءات النارية، وأفواه الصخور المسننة، استوى جالسا على صخرة كان يعرفها في الزمان القديم، هب الهواء باردا، وطيبا، وسمع صوت الرياح المواتية، وعاد يحدق في الشمس الصغيرة الحمراء، ثم عاد لتأمل الجزيرة. كتلة من صخر أبدي، فجوات من عمقها ينبثق الماء دافعا بالأسماك والطحالب، والقواقع الصغيرة التي يصفر بها الريح. سماء فوقه موشاة بلون الأرجوان الذي لا هو بالدم، ولا زهر البنفسج.

طأطأ رأسه الذي ازدحم بالتواريخ، واستند بمرفقيه على ركبتيه وغرق في فكره. قال: «الحياة غامضة، وتدعو إلى الأسى». ثم همس. «إنها تذهب مرة ولا تعود».

ورآهم يخرجون من الكهوف العميقة. صبيان وبنات كأحفاده. ينتشرون على سطح الجزيرة، وكأنهم على موعد. كانوا عرايا كالخلق الأول تستر عوراتهم مايوهات صغيرة، وشعورهم مسدلة، فيما تبدو أجسادهم في لون الشفق. سمع أصداء موسيقى تعلو في الأنحاء، تدوم بلحن راقص. قال: «من أين يخرجون؟». كانوا يقتربون منه حتى شكلوا حوله حلقة. كانوا يتأملونه بصمت، ويحدقون في هذا الكائن الخرافي بدهشة، ويتبادلون النظرات. انتابه القلق والتوجس عندما رأى ثباتهم المطلق، وعيونهم المندهشة التي تنظر إليه بغير تصديق، شعره الأشيب، ووجهه المغضن، وثدييه الساقطين، وكرشه الناتيء كبالون.

«هيه.. قضيت أيامك يوما بيوم.. مطاردا تلك التفاصيل الصغيرة التي لا طائل من ورائها، والتي تحاول من خلالها استعادة الأيام، فما الذي يراه فيك الصبيان؟».

خاف أن يصرخوا في وجهه، واشتدت ضربات قلبه، أحس كم هو طاعن في السن. كم هو رجل عجوز يبعث على الحزن، وأنه قادم من زمن آخر.

رآهم يبتعدون عنه، لاتزال رءوسهم تتجه ناحيته بغير تصديق. ينزلون إلى البحر واحدا، واحدا، سابحين تجاه الشاطيء حتى اختفوا عن نظره.

عاد ينظر إلى الأرجوان، وبدا حزينا كبستان في الخريف، وشعر بوحدة مطلقة تكاثف رعبه. اشتدت لطمات البحر على جوانب الجزيرة. ثم جاء المساء غير عادل، فيما يجلس الرجل على الصخرة يراقب مجيء الليل، ويخاف الرجوع..□

شعــر: الــدكتــور راشــد المبــارك

حبيبتي ... محرمة
حبيبتي ... في أرضنا محرمة
في كل ما تروي دفاتر الألى ... محرمة
إثم إذا القلب لها يوما هفا   إثم إذا الطرف رآها في الغفا
إثم إذا طاف بلقياها أمل   إثم إذا خط لها بيت غزل
لأنني قد جئت هذا الكون
من قبل أن تأتي له حبيبتي
حبيبتي ... محرمة
لأن لي من السنين أربعين
عليّ ... أن تجف نبعتي
وأن تموت في اللقاء ... شهقتي
وأن يحاصر الصقيع ... دوحتي
وأن تبدد الرياح ... شمعتي
فلا يضيء في سمائي المدار
ولا يرف في مجالي اخضرار

حبيبتي ... محرمة
لأن لي من السنين أربعين
وأن قلبي صار يعرف اليقين
يهفو إلى الأوبة ... والحنين
لأنه ملّ ملابس السفر
ومن تنقل الطيور ... في الشجر
ومن تثاؤب الكئوس ... ساعة السحر
وغمغمات العود ... خانه الوتر

حبيبتي ... محرمة
لأن جذوة ... من المشاعر
لم تخب في أعماق قلب شاعر
يشعلها السواد ... في المحاجر
ودفقة الضوء ... على الغدائر
وجفلة الجيد ... لعين ناظر

حبيبتي ... محرمة
لأن أكداسا ... من التجارب ...
وألف آهات الفؤاد الساكب ...
وطالعا من المنى ... بغارب ...
وجدولا ... من الجراح النازفة ...
ما بين مزور من الرؤى وآرفة ...
ورحلة مع القلوب الراجفة ...
إذ المنى قد أسعفت ... باللمسة النشوى شفه
قد علمتني الكثير ...
ووسدتني الشوك والحرير ...
وأمطرتني في العناق ... ضوعة العبير

فصرت أستشف ... همسة الضمير
وتتمات الشوق ... من قبل المسير
ورفة الجناح ... قبل أن يطير
ونهدة النسيم ... فارق الغدير
لكل ذا ... حبيبتي محرمة
في كل ما تروي دفاتر الألى ... محرمة □





□ أمين معلوف

أمين معلوف

الرواية التاريخية.. بامتياز...

بقلم: فاروق عبد القادر

الملاحظات التالية مقصورة على أعمال أمين معلوف المترجمة إلى العربية، وهي ـ فيما أعلم حتى الآن: «الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١٩٨٣»، و«ليون الإفريقي، ١٩٨٦» ثم «سمرقند، ١٩٨٨» ومن ثم فهي لا تعرض لأعماله التالية، والتي لم يتح لي أن أقرأها في أصولها الفرنسية.

ومترجم الأعمال الثلاثة هو نفس المترجم: د. عفيف دمشقيه ولا شك في أن ألفة المترجم بعالم صاحبه، وطرائقه في التعبير، وقاموسه المفضل.. إلى آخره، تعينه على إجادة عمله، ولا شك أيضا في أن الدكتور دمشقية قد بذل جهدا كبيرا في هذا العمل، يجد القارىء بعض آثاره في رد المقتطفات المتضمنة في النصوص إلى أصحابها من المؤرخين والإخباريين العرب «في الحروب الصليبية»، وتدقيقه في رد رباعيات الخيام إلى أصولها «في سمرقند»، فضلا عن نصاعة أسلوب العربية، وعنايته باختيار اللفظة المناسبة، لهذا نال أعظم جائزة ينالها المترجم، وهي ألا يشعر قارئه بأنه يقرأ نصا مكتوبا بلغة أخرى.

يبدو أمين معلوف مولعا ـ بوجه خاص ـ بتاريخ العرب والمسلمين فيما أسمي بالعصور الوسطى، فروايته للحروب الصليبية تستغرق قرنين كاملين: من تسعينيات القرن الحادي عشر إلى تسعينيات الثالث عشر، أو منذ سقوط القدس للمرة الأولى في ١٠٩٩ حتى انتهاء الوجود الصليبي في المنطقة بأسرها في

١٢٩١. أما «سمرقند» فتشمل تاريخين، أو هي تاريخ ينطوي على تاريخ: فهذا الأمريكي الذي يطارد مخطوطة الخيام يعش تاريخ المنطقة: فارس وتركيا بوجه خاص، نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، واللؤلؤة داخل هذه المحارة هي حياة الخيام نفسه، ما بين سمرقند وأصفهان ونيسابور، ما بين بداية ظهوره وهو في الرابعة والعشرين، سنة ١٠٧٢، حتى موته، وهو في الرابعة والثمانين، في ١١٣١. وتأتي «ليون الإفريقي» تالية عليهما من حيث الفترة التاريخية التي تتناولها، وهي التي عاشها حسن بن محمد الوزان، أو ليون ـ يوحنا دو ميديتيشي منذ مولده في ١٤٨٨ حتى انتهاء مغامرته في روما في ١٥٢٦

العلاقة بين الشرق والغرب

ولعل هذه الاختيارات تحقق للروائي أكثر من هدف واحد. هو الذي يعيش في باريس منذ ١٩٧٦، والذي اختار ـــ حسبما قرأت في حديث له ـــ أن يكتب بالفرنسية، لا نفورا من الكتابة بالعربية أو عجزا عنها، بل لأن الكتابة بالفرنسية تتيح له أن يحيا متفرغا لأعماله الأدبية أفضل مما تتيحه له الكتابة بالعربية. هو ـ إذن ـ ليس مثل محمد ديب وكاتب ياسين ومن إليهما من كتاب المغرب العربي الذين كانت الفرنسية وسيلتهم الوحيدة للتعبير، ومن ثم كانوا يعانون ـــ بدرجة أو أخرى ـ إحساس المنفى في اللغة، والمنفى عن اللغة.

في هذا السياق، بدهي أن ينشغل بالعلاقة بين الشرق والغرب، أو بين الحضارة العربية ـ الإسلامية من ناحية، وحضارة أوربا من الناحية الأخرى، وهو يقول بوضوح في تقديم روايته للحروب الصليبية إنه لا يقدم كتابا آخر في التاريخ قدر ما هو «رواية حقيقية عن الحروب الصليبية، وعن هذين القرنين المضطربين اللذين صنعا الغرب والعالم العربي، ولا يزالان يحددان، حتى اليوم، علاقاتهما..»، وفي هذه الرواية ترد كثير من الحقائق التي يعي الغربيين أن يعرفوها. وأسوق أمثلة قليلة: في ديسمبر كانون الأول ١٠٩٨ اجتاح الصليبيون بلدة أبي العلاء. معرة النعمان وأعملوا السيف في أهلها، وأثبت المؤرخ الفرنجي راول دي كين: «كان جماعتنا في المعرة يغلون وثنيين بالغين في القدور، ويشكون الأولاد في سفافيد ويلتهمونهم مشويين..»، أما المؤرخ العربي أسامة بن منقذ ـ الذي ولد في مدينة قريبة قبل ثلاث سنوات من هذه الأحداث ـــ فقد عاش تلك الفترة كاملة وأرخ لها، وحدث في أثنائها لون من ألوان التعاون بين إمارة عربية في دمشق، وأخرى صليبية في القدس، وكان أسامة سفير الأولى إلى الثانية، فعرف الفرنج حق المعرفة، وهو يتحدث حديثا طويلا عن جهلهم بـــالطب وهمجيتهم، ويشمئـــز من كثير من مسالكهم ويكتب: «وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومشى..» والمؤرخ الأمير منزعج: «فانظروا إلى هذا الاختلاف العظيم. »، ثم يوجز حيرته بهم: «إذا خبر الإنسان أمور الإفرنج «..» رأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم فضلة القوة والحمل.»!

وحسن بن محمد الوزان، أو ليون الإفريقي، يكون مولده قبل سقوط غرناطة، ونحن نتلقى أيام العرب الأخيرة في الأندلس عن طريق حكايات الكبار: الأم والأب والخال، ثم تهاجر العائلة إلى فاس حيث يتفتح وعيه عليها، ويحفظ القرآن ثم يدرس في جامع القرويين، ويعاني حلو الحياة ومرها: يخرج مع خاله في سفارة ـ باسم سلطان فاس ـ إلى تمبكتو في وسط إفريقيا (والحقيقة أنه سجل رحلته هذه كلها في كتاب «وصف إفريقيا»)، ويعمل بالتجارة فيصيب ثراء عظيما، لكنه يفقد ثروته كلها في عاصفة عاتية، ويدخل مصر، وقد خلف كل شيء وراءه، وحيدا شبه مفلس!

وما أعجب ما لقي في مصر! شهد الطاعون ثم اشتبكت حياته بحياة الأميرة الجركسية الجميلة نور: أرملة علاء الدين ابن أخي السلطان سليم، وكانت تعد ابنها منه. بايزيد ليستعيد السلطنة من سليم، فتزوجها وتبنى ولدها وحلمها المستحيل معا، ولما كان مرتبطا ـ عن طريق صهره هارون ـــ بتمرد «عروج» أو «ذي اللحية الحمراء» وهو قرصان متمرد كان يهاجم البرتغاليين الذي يقصمون الساحل المغربي قضمة بعد الأخرى، وأرسله هذا في سفارة إلى القسطنطينية، ومنها عاد إلى مصر وهو موقن أن السلطان سيغزوها، وكان من نصيبه أن يشهد الغزو: «كيف السبيل إلى وصف ما فعله العثمانيون عندما تمكنوا من النفاذ مجددا إلى أحياء القاهرة؟، (..) انتشر جنود السلطان العثماني في الشوارع حاملين أمرا بقتل كل ما يتنفس، ولم يكن في وسع أحد مغادرة المدينة الملعونة لأن جميع الطرق كانت مقطوعة، ولا كان في وسع أحد أن يجد ملاذا لأن المقابر نفسها والجوامع تحولت إلى ساحات قتال. وقد أرغم الناس على الاختباء في منازلهم ريثما يهدأ الإعصار، وسقط في

ذلك اليوم من الفجر إلى الربع الأخير من الليل أكثر من ثمانية آلاف قتيل، وكانت الشوارع ملأى بجثث الرجال والنساء والأطفال والخيول والحمير مختلطة في موكب دموي لا نهاية له..»، ثم يشهد شنق آخر سلاطين المماليك على باب زويله، ويشيد به، فقد قضى أنبل من حكم وادي النيل مشنوقا كأنه لص خيول وضيع!.

وكأنما كان مقدرا له أن يمضي وسط الزوابع فأعجب ما لقيه كان لم يأت بعد: ذهب بامرأته وابنهما للحج، ولدى عودته إلى المغرب نزل على شط جزيرة «جربة» في مواجهة ساحل تونس، وهناك أسر واسترق، ثم حمل ليقدم هدية إلى بابا روما، ليون العاشر، الذي منحه الحماية، ثم منحه اسمه بعد أن عمّد في حفل مهيب، وحق له أن يقول: «ختنت بيد مزين وعمدت بيد أحد البابوات». وعاش حسن بن محمد الوزان - ليون يوحنا دي ميديتشي صراع البابوات ضد «الهراطقة» اللوثريين الذين اجتاحوا مقر البابوات في قصر القديس بطرس. «وأقسم بالله الذي جعلني أجوب الدنيا الواسعة، بالله الذي جعلني أعيش عذاب القاهرة كما عشت عذاب غرناطة، أنني لم أقارب قط هذا القدر من الوحشية، هذا القدر من الحقد، هذا القدر من الاندفاع الدموي، هذا القدر من المتعة في الذبح والتدمير والتدنيس! فهل أصدّق إذا قلت إن راهبات قد اغتصبن على مذابح الكنائس مرتزقة يضجون بالضحك قبل أن يخنقوهن؟ هل أصدق إذا قلت إن الأديرة قد خربت، وإن الرهبان قد خلعت عنهم ملابسهم وأجبروا تحت التهديد بالسوط على دوس الصليب وإعلان أنهم يعبدون الشيطان الرجيم؟ (..) وإن ثمانية آلاف مدني، ولا سيما من الفقراء، قضوا، فيما أخذ الأغنياء رهائن حتى يدفعوا فدية؟..».

وها هو أخيراً، وهو في عامه الأربعين، يركب البحر نحو المغرب، يتحدث برحلة حياته العاصفة إلى ابنه الذي أنجبه من «ماداليا» المرتدة اليهودية الغرناطية التي تزوجها وهو في خدمة البابا.

تلك هي الخطوط العامة لحياة الرحالة الغرناطي - الفاسي - القاهري - الروماني حسن الوزان. لكن تلك العظام العارية قد اكتست لحما وعصبا وأفكارا ومشاعر، ودبت فيها حياة كاملة بإبداع الفن الجميل. بعبارة أخرى: إذا كان التاريخ قد أبقى لنا تلك الخطوط العامة، فإن الروائي قد استند إليها ليصوغ عالما روائيا كاملا لا يتجاوز شروط الفترة التاريخية التي يدور فيها. وستبقى شخصيات الأب والأم والخال، ووردة ومريم، وهارون المنقب والشيخ «أستغفرالله» والطبيب «أبي خمر» والزروالي، والجارية الإفريقية هبة والأميرة الجركسية نور، ويوحنا «العصابات السوداء» وهانز وغويتشارديني ومادلينا، وسواهم، شخصيات كاملة الاستدارة، نابضة بالحياة، لكنها لا تتجاوز معطيات الواقع التاريخي الذي تضطرب فيه أو تبدو نابية عنه. وذلك أعظم نجاح يحققه كاتب الرواية التاريخية.

ثلاثة أصدقاء من سمرقند

وهذا ما تحقق أيضا في عمله التالي «سمرقند». جاء فيها: «تدور في الكتب أسطورة تتحدث عن ثلاثة أصدقاء من الفرس، طبع كل منهم بطريقته بدايات أعوام الألف: عمر الخيام الذي رصد العالم، ونظام الملك الذي حكمه، وحسن الصباح الذي أرهبه. ويقال إنهم طلبوا العلم معا في نيسابور، وهذا مالا يمكن أن يكون صحيحاً، فنظام الملك أكبر من عمر بثلاثين عاماً، وحسن درس في الري، ربما طلب بعض العلم أيضا في مسقط رأسه «قم» ولم يكن ذلك بالتأكيد في نيسابور..».

تلك الشخوص الثلاثة هي ما يشغل قلب الرواية الداخلية في «سمرقند» وكلها لها وجودها الموضوعي في التاريخ، لكن هذا الوجود تختلط فيه الحقائق بالأساطير، وهذا ما يتيح للروائي المبدع فرصة ثمينة لإعادة صياغة شروط وجودها بحيث لا تتنافر والمعطيات التاريخية للفترة التي عاشوا فيها.

وثمة منطقة مشتركة بين رواية «الحروب الصليبية» من ناحية، و «سمرقند» من الناحية الثانية، خاصة فيما يتعلق بحسن الصباح وفرقته الرهيبة «الحشاشين». جاء في رواية الحروب الصليبية، وقد التزم فيها المؤلف حقائق التاريخ التزاماً صارماً، ولم يعمل خياله المبدع إلا في تقديم تلك الدراما الهائلة في سياق روائي، لكنه لم يهمل، أبداً، قواعد التأريخ الأكاديمي من حيث تحقيق الروايات والمقابلة بينها وتحليل المعلومات وإثبات المصادر والمراجع: «والرجل الذي أنشأ في عام ١٠٩٠م هذه الفرقة التي طالما كانت مرهوبة الجانب أكثر من كل الفرق في جميع الأزمنة، واسع الثقافة، محب للشعر، طلعة يتابع آخر المكتشفات في ميدان العلوم. إنه حسن الصباح المولود حوالي عام ١٠٤٨م في مدينة الري.. (..) فهل كان كما تريد له الأسطورة الترب الذي لا ينفصل عن الشاعر عمر الخيام المولع هو الآخر بالرياضيات والفلك؟ ليس يدرى على وجه الدقة..» ثم

يتابع ـ بعد ذلك ـ نشاط الفرقة التي أسسها، وممالأتها للإفرنج في المنطقة التي دارت فيها الحروب الصليبية.

لكن للإبداع الروائي منطقه الخاص، هكذا عمل الروائي في «سمرقند» على نسج علاقة وثيقة بين الخيام والصباح، فقد التقيا ـ مصادفة ـ في خان بواحة «قاشان» وهما في الطريق إلى أصفهان عاصمة السلاجقة، حيث يقيم وزيرهم القوي نظام الملك كان الخيام قادماً من سمرقند بناء على طلب من الوزير الخطير، أما الصباح فقد كان يطمح في أن يجد عملاً إلى جواره (سيكشف عن نواياه الحقيقية وراء هذا المسعى فيما بعد)، ويعرض الوزير على الخيام أن يعمل معه في وظيفة «صاحب الخبر» أو رئيس مخابرات الإمبراطورية. ولم يكن هذا مما يلائم الخيام: الشاعر المولع بالعلوم والنجوم والعشق والشراب، العزوف عن السلطة، النافر أبدا من مكائد السياسة ودهاءاتها، ولكي يتخلص من هذا المأزق رشح للوزير رفيقه الذي قضى معه أسبوعاً كاملاً في نقاش وجدل، وبهر الخيام بصاحبه الذي قال له في لقائهما الأول «لست أدعي مجدا غير أني أتممت في السابعة عشرة قراءة جميع ما يخص علوم الدين والفلسفة والتاريخ والنجوم .»، وبعد مناقشاتهما الطويلة اضطر الخيام لأن يعترف: « لم يتسق لي أن قابلت رجلا يعرف كل هذا القدر من الأمور..».

وما أسرع ما تم الاتفاق، ونما التواطؤ بين نظام الملك والصباح، وأصبح هذا الأخير معاوناً لا غنى عنه للوزير الخطير «فقد نجح في إقامة شبكة غنية النسيج من العملاء، من التجار المريفين والدراويش المزيفين والحجاج المزيفين، يرودون الإمبراطورية السلجوقية، غير غافلين عن سماع ما يجري في أي قصر أو أي بيت أو أي ركن من أركان السوق، فجميع المؤامرات والشائعات والنمائم كان يخبر بها وتحط بطريقة سرية أو بشكل تكون معه عبرة لمن يعتبر..».

غير أن طموح الصباح لا يقف عند حد، وها هو يزاحم نظام الملك الحظوة لدى السلطان «ملكشاه» الذي كان يقاربه في العمر ثم يتحداه، وينتصر نظام الملك في هذا الصراع بمؤامرة صغيرة، فيقرر السلطان قتل الصباح، لكن الخيام يتدخل طالبا العفو عنه، فيكتفي بطرده من العاصمة والإمبراطورية كلها.

الصراع مع الحشاشين

ومن الثابت تاريخيا أن نظام الملك مات مقتولاً في ١٠٩٢، وأن قاتله كان واحدا من «الحشاشين»، تلك الحقيقة التاريخية يغزلها الروائي في نسيج الصراع على السلطة في عاصمة السلاجقة بين «تركين خاتون» امرأة السلطان القوية ووزيره نظام الملك، وفي هذا الصراع تستعين تركين بالصباح الذي يبادر لتلبية مطلبها. إنه لا يحقق انتقامه الشخصي (فقط) قدر ما كان يسعى لتقويض سلطان الأتراك السلاجقة الذين أذلوا الفرس وجعلوا من الخلفاء العباسيين دمى يتلاعبون بمصائرها، وابتعدوا بالإسلام ابتعاداً كبيراً عن مبادئه «الأساسية». ويقدم أمين معلوف تفسيرا جديدا ـ فيما أعرف ـ لتسمية فرقة الصباح: «ولقد صدق الناس الرأي القائل بأنهم إنما كانوا يفعلون ما يفعلون بسلطان من الحشيش. ولقد أشاع ماركو بولو هذه الفكرة لدى عامة الناس في الغرب، فلقد أطلق عليهم أعداؤهم في ديار الإسلام أحيانا اسم «الحشيشيين» (مدخني الحشيش) للتقليل من اعتبارهم، وتوهم بعض المستشرقين في هذا التعبير أصل كلمة «assassin» التي أصبحت في عدة لغات أوربية مرادفة لكلمة قاتل.. (..) وأما الحقيقة فكانت غير ذلك، فإن حسنا كان يحلو له أن يدعو مريديه «الأساسيين» أي المتمسكين بـ«الأساس» أساس العقيدة..».



□ إحدى روايات أمين معلوف

وعلى أي حال، فقد كان مصرع نظام الملك - ثم الموت الغامض للسلطان ملكشاه بعد أسابيع - بداية تفكك الدولة السلجوقية القوية إلى دويلات صغيرة متناثرة، يدور الصراع الضاري بين أمرائها، وكان مصرعه كذلك بداية سلسلة رهيبة من عمليات الاغتيال التي روّعت العالم الإسلامي كله. ويتابع الروائي - في الكتاب الثاني من روايته وعنوانه «فردوس الحشاشين» - صعود هذه الفرقة إلى ذروة القوة، ثم بدء نزولها عن معالم مؤسسها على يدي القيم الرابع، حفيد الرجل الذي عينه حسن الصباح لخلافته، فقد أعلن هذا القيم الجديد إبطال الشريعة «وكل ما كان محرما اصبح محللا، وكل ما كان فرضا أصبح محرما»، وكان هذا رد فعل مفرطا على التدابير الصارمة التي مارسها الصباح باسم الشريعة «وسوف يتحول الإسماعيليون، أشد الفرق رسوخ معتقد، الى طائفة يضرب المثل بتسامحها» وكان مصرع نظام الملك - أخيرا - ثم انتقام أنصاره «النظاميين» له، وصراع السلطة الذي قتلت فيه تركين خاتون، ووصيفتها جيهان: شاعرة البلاط في سمرقند التي أحبها وتزوجها في أصفهان، هي بداية مرحلة جديدة في حياة الخيام، فصاها هاربا ومسودا، مسحلا وملعونا، رافضا - في كل الأحوال - دعوة صاحبه الصباح للحياة في قلعته البعيدة المنيعة «ما الذي بيني وبين هذا الرجل من أمور مشتركة؟ أنا متعبد للحياة وهو عابد للموت، أنا أهتف «إن كنت لا تعرف الحب فما يجديك شروق الشمس أو غروبها؟». وحسن يطالب الناس بتجاهل الحب والموسيقى والشعر والخمر والشمس. إنه يحتقر أجمل ما في «الخليقة» ويجرؤ على التلفظ باسم «الخالق» يجرؤ على الوعد بالجنة! .».

وكما كانت نيسابور المحطة الأولى في حياة الخيام، ستكون الأخيرة كذلك، وإليها سيعود ليقضي أيامه الأخيرة، حتى يغمض عينيه عن هذا العالم الذي أحبه في ١٠٤٨، وهو في الرابعة والثمانين، وسيكون قبره - كما تمنى وتنبأ - في مكان ينشر فيه ريح الصبا الأزهار في كل ربيع.

مصائر الأصحاب الثلاثة الذين جمعت بينهم الأسطورة هو موضوع الرواية الداخلية في «سمرقند». الرواية الخارجية - لو صح التعبير - بطلها أمريكي واقع في أسر الخيام، فهو يبحث عن مخطوطة الرباعيات حتى يعثر عليها، لكنها تغرق في كارثة الباخرة «تيتانيك» في أبريل ١٩١٢ وهذه الرواية - بدورها - تنويع آخر على موضوع العلاقة بالغرب، إنها نضال فارس من أجل التحرر من سيطرة الشاه المستبد، من ناحية، وهيمنة القوى الغربية: روسيا وبريطانيا بوجه خاص، من الناحية الأخرى. وهنا أيضا يلتزم الروائي صحة الوقائع التاريخية (اغتيال الشاه ناصر الدين - ثورة تبريز من أجل الدستور - التدخل الروسي - محاولات الإصلاح المالي على يدي الخبير الأمريكي شوستر... وغير ذلك)، لكنه ينطلق في إبداعه الحر يكسوها لحما ودما، ويخلق من حولها شخصيات ووقائع لا تخرج عن الشروط الموضوعية للفترة التاريخية ذاتها.

الاختيار الذكي للتاريخ

تلك هي الخطوط العامة لأعمال أمين معلوف الثلاثة الأولى: إن ولعه بتاريخ هذه المنطقة من العالم في القرون الوسطى (من الحادي عشر إلى السادس عشر، على وجه التقريب) يكشف عن اختيار ذكي من أجل الإحالة إلى الحاضر: سقطت غرناطة - وقبلها كل مدن الأندلس - لتنازع ملوك الطوائف ودبيب الفساد والجور والجبن فيهم، واستعانة بعضهم بالأعداء على منافسيهم، وقامت ممالك الصليبيين في المشرق للسبب ذاته: تناحر الأمراء، واستعانة بعضهم بالفرنجة على بعضهم الآخر، وتفككت دولة السلاجقة القوية، التي أظلت آسيا المسلمة كلها حين بدأ أمراؤها يتصارعون بعد موت ملكشاه الغامض.

أما الشعوب هنا وهناك: في الأندلس والمغرب ومصر والشام، فهي ضحايا حكامها في المقام الأول، ثم هي - في الوقت ذاته - وريثة حضارة عظيمة، تألقت يوما فبهرت العالم وعلمته، وما أشد بسالة تلك الشعوب المقهورة في مواجهة المحتل والغاصب.. إن الجيوش التي حققت الانتصارات، أو حتى منيت بالهزائم بعد قتال مشرف، كان أبناء الشعوب - لا الجنود المحترفون - لحمتها وسداها.

واختيارات المؤلف لتلك اللحظات المثقلة في التاريخ تكاد توحي بحقيقة مترددة: إن توحد أمراء هذا العالم وحكامه في ظل حلم يتجاوز حدودهم الضيقة انتصروا واستقامت أمورهم، لكن قوى الغرب تبقى لهم بالمرصاد!.

فمتى - إذن - تلتئم الجراح وتنهض أمة قوية قادرة؟. سؤال يتركه الروائي - مثل نهايات أعماله - مفتوحا على المستقبل الذي يعي أخطاء الماضي ويتفهم دروسه.

ولعل تلك أعظم الفائدة التي يحققها أمين معلوف: كاتب الرواية التاريخية بامتياز. □

وقائع رواية «صخـرة طانيـوس»

الفائزة بجائزة جـونكور عام ١٩٩٣

أشيب الشعــــر..

في الخامســـة عشرة مـن العمــــر

بقلـــم: محمـــود قاســـم

كلمات قليلة تعمد الكاتب اللبناني الأصل، الفرنسي الجنسية أمين معلوف أن يضعها في صفحة منفردة في نهايـة روايته الأخيرة «صخرة طانيوس» التي فازت بجـائزة جونكور في الأدب لعام ١٩٩٣.. وهي أن وقائع هذا الكتاب مأخوذة تقـريبا بالكامل من حادثة حقيقية، حين قتل البطريـرك في القرن التاسع عشر على يدي أبـوكشيش معلوف الذي هـــرب إلى قبرص مـع ابنـــه. أمــــا بقيـــة الشخصيـــــات فمن وحـي الخيـــال.

مثل هذه العبـارة تعتبر مدخلا أسـاسا إلى عالم أمين معلـوف. فـالكاتب يعـود من جـديـد إلى أحداث حقيقية دارت في الماضي، ويستلهم من وقائعها رؤايـه، ثم يضيف من خيـالاته مـا يتنـاسب مع روح رواياته. حدث هذا حين رجع إلى ما كتبه الرحالة حسن الـوزان في روايته الأولى «ليـون الإفريقي» ثم إلى جـزء من سيرة الشاعر عمر الخيام في رواية «سمرقند» وأيضا إلى ما توافر لديه عن حياة النبي ماني في روايته «حدائق النور» وأخيرا في «صخرة طانيوس».

لقد سعى معلوف دوما إلى أن يضفر الخيال بالواقع، وأن يجعل الأول في خدمة الثـاني، ومحاولة لإحيائه بأي ثمن. فبدت هذه الضفيرة ذات شكل خاص بالكاتب، مهما اختلف الزمـان أو المكان الذي تدور فيـه أحداث كل رواياته.

وفي روايتـه الأخيرة، سعى معلوف مـن ناحيتـه إلى اتباع نفس الشكل الأدبي الذي سبق أن استخـدمه في رواية «سمـرقنـد» حيث أتى في البـدايـة إلى العصر الحديث، مشيرا إلى أن هنـاك وثـائق يمكن أن تلقي الضوء على المرحلة الزمنية التي يود التوغل فيها.

فإذا كـان هناك بـاحث أمـريكي من أصل عربي قـد تمكن من العثور على أوراق تخص الخيام، فإن المؤلف ـ كراوية ـ في «صخرة طانيـوس» يؤكد عثوره على وثائق مهمة تلقي الضوء أيضا على جريمة القتل التي حدثت في الرواية عام ١٨٣٨ بإحدى الضيعات اللبنانية والتي انتهت باختفاء شخص يسمى «طـانيوس» أطلق اسمه فيما بعـد على الصخرة الكبرى المجـاورة لضيعته «كفـر عبيده».

يقول الكـاتب في الصفحات الاولى من روايتـه عن هذه الصخـرة: «تأملت كثيرا هذه الكتلـة من الحجارة دون أن أجرؤ على الاقتراب منهـا. ليس بسبب الخوف من الخطر فالصخـرة بالنسبة لقريتنـا هي لعبتنا المفضلة خاصة بـالنسبة للأطفال. فقـد اعتدت أن أرى الصغار

الذين يكبرونني يتسلقونها. وفيما بعد لم يكن لدينا أي لعبة سوى أن تلتصق جلودنا بالصخرة ونحن لا نستطيع مقاومة سحرها»

حقيقة «أبوة» طانيوس

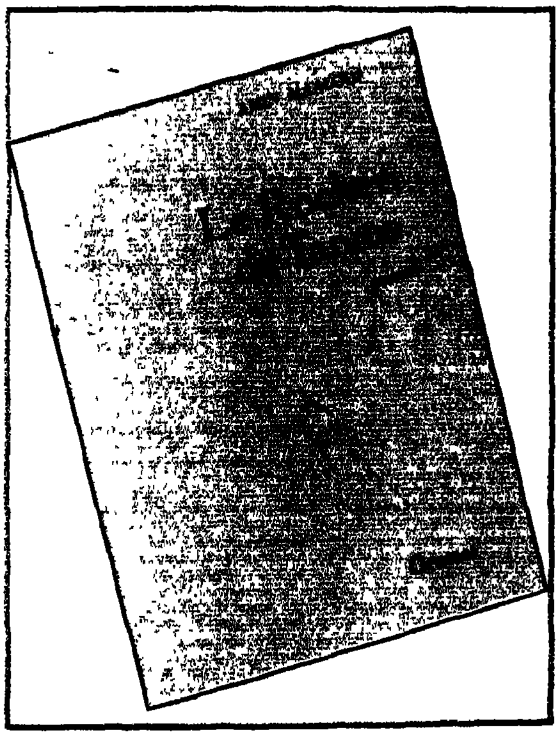
والكاتب الذي سوف يحكي لنا ما شهدته هذه الصخرة طوال ردح من الزمن، عليه في البداية أن يعرفنا على أبطال هذه الحكاية الرئيسيين قبل أن يروي لنا وقائعها، وقبل أن يحدثنا بالتفصيل عن الضيعة كمكان أشبه بحصن يضم في حشاياه كل هؤلاء البشر. الذين إذا ابتعدوا عنها أحسوا كأنهم السمك الذي خرج من الماء.

وأبطال هذه الحكاية هم: لمياء، والشيخ فرانسيس، ثم جريوس، والمرأة هي محور الأحداث هنا، ويتسمى الفصل الأول كله باسمها «اغواء لمياء» إنها تحمل جمالها كأنه عقيدتها هي زوجة للقروي البسيط جريوس. وتعمل في منزل عمدة الضيعة وشيخها فرانسيس. وفي هذا البيت طلب جريوس يدها للزواج. فهي بمثابة ابنة لفرانسيس الرجل الذي يمزج بين الطيبة والقسوة. وبين متناقضات عديدة مثل أغلب البشر الذين يمتلكون مقدرات الأماكن والبشر.

والشيخ فرانسيس هو سيد الضيعة ولذا فكم يتمنى الجميع الحصول على رضائه، وحيث يردد أحدهم مثلا «لقد رأيت الشيخ اليوم» بشيء من العمر، بينما يردد الآخر: «اليوم قبلت يد الشيخ» كأنه حصل على رضاء الزمن. فهذه اليد ـ كما يقول معلوف ـ قد تأتي بالسعادة، أو التعاسة لأبناء الضيعة. وهي من القوة بحيث إنها تمثل مهابة خاصة لهؤلاء الذين ذاقوا قسوتها حين انهالت عليهم مصائبها. يجب أن يحترمه الآخرون، وأن يطلبوا حمايته، وربما أشياء أخرى خاصة النساء.

تلك كانت ملامح عابرة عن الشخصيات الرئيسية التي ستكون ذات علاقة فيما بعد بالوليد طانيوس ابن لمياء. أما المكان فهو ضيعة غير موجودة على الخريطة اللبنانية تسمى «كفر عبيدة» ولكنها تمزج بين سمات العديد من الضيعات في ذلك العصر. إنها واقعة هناك في الجبال، تخضع للنظام الإقطاعي، حيث يملك الشيخ الكثير رغم أن النظام الإداري في ذلك العصر سيفرض عليه حاكما وبطريركا. والناس في هذا السهل المحصور لا يتطلعون إلى أعلى، فهم يرون أن العمدة لا يمكن أبدا تجاوزه. ولذا فإن معلوف يفرد له عددا من الصفحات للحديث عما يتمتع به من سمات متناقضة.

أما الزوج جريوس، فهو رجل قليل الكلام، والابتسام. ولم تكن لمياء تطمح في أن يكون لها زوج خلافه، رغم أنه يكبرها سنا «بين الزوج وامرأته كانت هناك مسافة زمنية». فقد كانت في ربيعها الخامس عشر، أما هو فكان في خريفه الثلاثيني. ومع ذلك فهي سعيدة. بل إن الكثير من نساء القرية يحسدنها على مكانتها. فهي ذات حظوة خاصة بالنسبة



□ قبل الجائزة

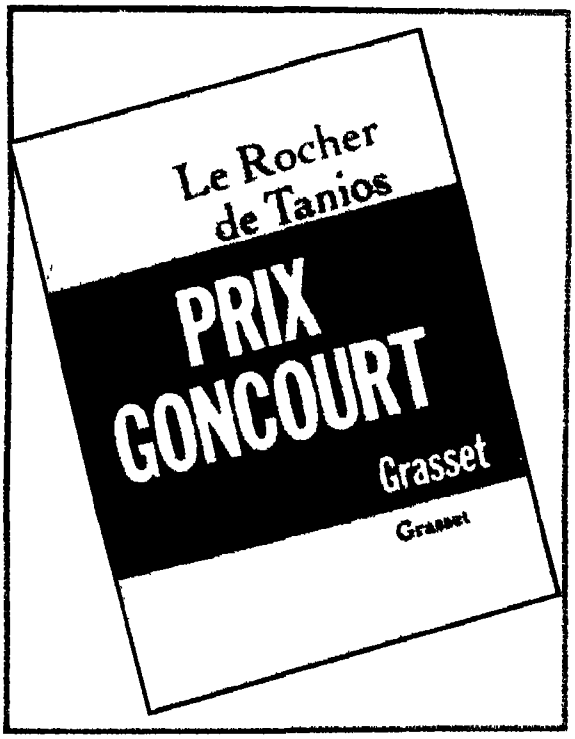
للشيخ الذي يناديها أمام الناس بـ «بنتي» وهي حين تسمع هذا النداء تشعر بسعادة غامرة، ولكن يقال إن حدود هذه العلاقة قد تعدت مرحلة الخطر. لذا فعندما ولد «الصغير» طانيوس راحت تثور الأقاويل عن هوية الأب الحقيقي: هل هو فرانسيس أم جريوس؟.

لقد ظل هذا الأمر الموضوع الرئيسي لأهل الضيعة «رغم أنهم يتكلمون أقل، إنهم يأكلون ما يكفيهم ويتعاملون مع الشيخة زوجة فرانسيس بنوع من الازدراء، عكس نظرتهم إلى زوجها» وليست هناك إشارة من سكان القرية إلى حقيقة أبوة طانيوس،

ولكن الكاتب اشار إلى ذلك تلميحا في البداية. ثم ما لبث الأمر أن تأكد فيما بعد.

ثلاثة أزمنة.. متراكبة

فليست لمياء مجرد خادمة في البيت، ولكنها عندما تدخل على الشيخ تقدم له الفاكهة، تشاركه التقاط بعض الثمار رغم أنها أعلنت لزوجها، حفية، عن مخاوفها من الدخول إلى الشيخ لأنه يطلب منها في بعض الأحيان أشياء أخرى لا تلبث أن تتهرب من



□ بعد الجائزة

الحديث عنها، حتى لا تثير شكوك زوجها.

وقد أشار المؤلف إلى أن لمياء ظلت بعد رواجها من جريوس مسطحة البطن طوال عامين. وأنها قد حملت بعد أن تناولت من ثمار تلك الفاكهة، ولذا ولد طانيوس في يوم صيفي ولكنه ملبد بالغيوم. وقد احتار أبوه في اختيار اسم له فكان «عباس» أولا، ثم استقر المقام على طانيوس وهو اسم غريب بالنسبة للضيعة التي اعتادت أن تطلق أسماء أخرى على أبنائها.

وقد حاول معلوف أن يعطي العديد من التفسيرات للتسميات اللبنانية، فاسم عباس كان تيمنا بعم الرسول «صلى الله عليه وسلم» الذي سمي باسمه اثنا عشر خليفة حكموا المنطقة العربية ردحا طويلا من الزمن. أما اسم فرانسيس فقد استمد من القديس فرانسوا داسيس الزاهد المعروف.

وهناك فصل بأكمله حول الخلاف الذي دار إلى أن استقر على اختيار اسم الوليد الجديد. لكن المثير حقا هو ذلك الفضول الذي استبد بإحدى النساء لمعرفة الاسم الحقيقي الذي على الوليد أن ينتمي إليه. هل هو الروج جريوس، أم الشيخ فرانسيس؟ فذات يوم أتت روجة القس إلى بيت الرجل. ويدور بينهما حوار مثير:

ـ آخر مرة، طلبت يد «بونا» بطرس وأعطيتها لك. فماذا تريد هذه المرة؟.

ـ هذه المرة أريد يدك، يا شيخ.

ويرتبك الرجل، ولكن المرأة، التي هي أيضا شقيقة لمياء، تطلب منه أن يعترف لها، حتى وإن كانت امرأة، إذا كان هو الأب الحقيقي للوليد، وبكل ثبات وثقة يردد: «إذا وددت أن تعرفي.. فهذا الطفل ليس من صلبي» وهو يعلم تماما أنه كاذب.

ورغم أن الشيخ يكذب، فإنه يذهب إلى بيت لحم من أجل إقامة مراسم الحج. أما جريوس الزوج، فإنه يتلقى التهاني وعليه أن يصدق جيدا، داخل نفسه، أن طانيوس ابنه. فهو إذا لم يصدق ذلك فسوف تتحول حياته إلى جحيم.

وينتقل الكاتب من الهم الخاص، إلى الهم العام، فالبلاد في تلك السنوات تعتبر طريق مرور للجيوش المصرية إلى الشام، والعاصمة العثمانية، بينما يعم إحساس بأن هناك نهضة قادمة، كأن لبنان تستعد لدخول العصر الحديث.

والجدير بالذكر أن معلوف هنا قد استخدم ثلاثة مستويات من الأزمنة فهو يعود من عام ١٨٣٨ إلى ١٨٢١ حين ولد طانيوس. ثم هناك زمن المؤلف نفسه، الذي يروي في إطاره وقائع الرواية باعتبار أن أحداثها قد انتهت، ولعل هذا يذكرنا بنفس الكيفية التي تناول بها الكاتب الكولمبي «جابرييل جارثيا ماركيث» روايته «وقائع موت معلن عنه»، فنحن سلفا نعرف ما ستسفر عنه الأحداث، لكن من أجل معرفة المزيد ـ وحكي التفاصيل مثير دائما للمتعة ـ يجب علينا أن نقرأ الرواية.

وإذا كان المؤلف قد انتقل بين هذه الأزمنة، بكل سهولة، فإنه فيما بعد يختار أن يتتبع طفولة طانيوس الذي ينتظر مصيرا قدريا مليئا بالمعاناة، فهو مولود حاملا معه «ثأره» الخاص. تحوطه تلك الصخرة

الرابضة في التاريخ التي عليها أن تتسمى فيما بعد باسمه. وهناك أيضا أبواه. أحدهما حقيقي والآخر يحمل اسمه.. ومجموعة من الأشخاص الذين سيلعبون دورا مؤثرا في مصيره مثل البطريرك وهو رجل أشد قسوة وظلما من فرانسيس. وأيضا حاكم البلاد الذي يصدر الفرمانات الواجبة الطاعة.

طفل أشيب

الجدير بالذكر أن هناك تقاربا واضحا بين بعض وقائع هذه الرواية، ورواية ماركث السابق الإشارة إليها، ليس فقط في الصياغة الأدبية، ولكن أيضا في أن أحداث كلتا الروايتين مأخوذة عن وقائع حقيقية ذات علاقة بالمؤلف نفسه.

وقد اختار معلوف أن تجري بالسنوات، حتى بلغ طانيوس سن الصبا فما إن أصبح في الخامسة عشرة حتى انقلب فرانسيس فجأة على معاونه القديم «رافور» بعد أن رفع حصة الضرائب «الميري» فلم يكن أمام الرجل سوى الهروب وما لبث الإقطاعي أن أصدر أمره بمنع دخوله الضيعة. ويشير المؤلف إلى أن السبب الحقيقي لهذا الغضب والطرد ليس أبدا الضرائب وإنما لأن الإقطاعي حاول أن يغرر بامرأته مثلما فعل مع لمياء، ولكنه تصدى له، وما لبث جريوس أن حصل على وظيفته، ولكن «رافور» ما يلبث أن يعود ومعه شفاعة من نائب الحاكم المصري للعفو عنه. ثم يلتقي بطانيوس الصغير ذات يوم فيحدثه أنه ليس مطلوبا منه أن يقبل يد الشيخ يوميا، مثلما يفعل أبوه. ولكن عليه أن يدرس ويتثقف، ويصبح بذلك أباه الروحي.

ويقبل طانيوس على التعليم، ويعرف أن هناك فرقا بين ما يتلقاه من معرفة وبين ما يدور من حوله من عادات وتقاليد. ويزامله في الدراسة «رعد» الابن الشرعي للشيخ فرانسيس. وتتوطد العلاقة بالبطريرك ويتردد الرجلان على بيت الحاكم العام للجبل.

وفي الضيعة هناك شخص آخر يدخل في خضم الأحداث يدعى «القس شتولتون». والذي يروي في مذكراته أنه فوجىء بأن السنوات تقدمت فجأة بطانيوس، وأنه رغم سنوات عمره الخمس عشرة فإن بعض الشعيرات البيضاء قد بزغت في رأسه: «تصورت أن هناك أسطورة في هذا الركن من الجبل تتعلق بالشيب الذي يصيب الصغار. وبالفعل يحدث هناك شيء مرعب».



□ أمين معلوف مستندا إلى «صخرة طانيوس»

وتشاع الأقاويل عن علاقة ما بين زوجة القس وبين «رعد». وفي مجتمع صغير مغلق مثل هذا لا تلبث أن تتسرب الحكايات، الحقيقي منها والمزيف، فلا شيء يختبىء بما فيها حكاية أبوة طانيوس. فإن قصة رعد تنتشر على ألسنة النساء، وتعود إلى الأذهان قصص الأب القديمة.

ويغلق الصبي طانيوس على نفسه أبواب المكتبة من أجل الاستزادة من المعرفة، ربما رفضا لهذا العالم، وربما بحثا عن وسيلة أفضل لفهم الحياة. ثم يحس أن هناك مشاعر ما تنتاب المرء حين يرى فتاة جميلة، مثل «أسماء» التي يحبها ذلك الحب الطفولي الجميل، ويحاول في البداية أن يحفظ سره في داخله. إنها ابنة معلمه الكبير «رافوز» الذي يناديه دائما بـ«ابني». وهي لم تتجاوز الثالثة عشرة بعد لكنها أيقظت فيه مشاعر رائعة مقدسة.

الثأر على طريقة طانيوس

لكن هذا الحب النقي في حياة طانيوس لا يلبث أن يختفي، ففي عام ١٩٣٨ تتعرض الضيعة لهزة أرضية عنيفة تصدع قصر فرانسيس الضخم، والذي يعيش فيه أغلب أبطال الرواية، كما تتصدع المنازل القروية. وينتج عن ذلك سلسلة من المآسي. فبالإضافة إلى الموت. هناك القحط. ويقرر الحاكم مضاعفة الضرائب، أما البطريرك فيحس أن عليه أن يمارس سلطاته لمصلحته الخاصة. إنه رجل لا يهمه أن يكون هناك شرف، بل أن تأتي إليه العوائد بأي ثمن وهو لا

يكن للمشاعر النبيلة أي تقدير، حيث يسعى إلى أن يروح «أسماء» لابن أخيه.

ويصاب طانيوس بألم عظيم ويهرب إلى امرأة أخرى «لقد عرفت امرأة، لم أكن أتكلم لغتها، ولم تكن تعرف لغتي لكنها كانت تنتظرني على السلم. وذات يوم طرقت بابها لأخبرها أن سفينة تنتظرنا من أجل الرحيل»

ويرحل طانيوس بعد أن مات البطريرك صريعا برصاصه أصابته بين حاجبيه. كما يموت جريوس مقتولا. وتندلع حرب طائفية في الضيعة، بالغة القسوة مثل حرب الأمس القريب في لبنان. وكما يقول «شتولتون» في أوراقه الخاصة. «لقد رجوت طانيوس أن يرحل. كان هذا هو واجبي نحوه. وأنا أقول له: فكر، فأنت لست صاحب مصلحة في هذه الحرب. ليحكم المصريون حلك، أو العثمانيون، وليلعن الفرنسيون الانجليز، لكنه ردد: لكنهم قتلوا أبي».

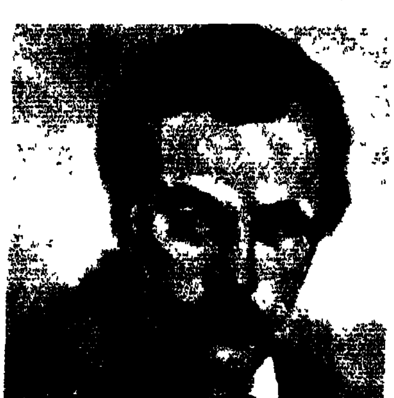
وعندما يرحل طانيوس إلى قبرص، تنقطع صلته بضيعته، فلا أخبار تأتيه من هناك، كما أن أخباره لا تصل إلى أهله، وخاصة أمه لمياء. إنه واحد من كثيرين سافروا بسبب هذه الحرب إلى لندن وباريس وفيينا والقاهرة، ولكن قلوبهم ظلت معلقة بالوطن، يرعون في عبور البحر للعودة حتى لو تعرضوا للنيران. ويفكر في العودة من أجل الثأر. لقد وجد نفسه أمام وجهي عملة للثأر: الأول مرتبط بدماء أبيه، والثاني يتعلق بالازدراء الذي يحسه داخل نفسه، وبسكب الأحزان والهموم داخل قلب الشاب الذي أصبح شعره أبيض تماما. رغم براءة وجهه «أنت يا طانيوس يا ذا الوجه الطفولي، والرأس المتسع لستة آلاف عام، لقد عبرت أنهار الدم والوحل وخرجت كالشعرة من العجين، لقد مرجت جسدك بجسد امرأة، وألقيت بعذريتك فوق الأرض. اليوم أصبح مصيرك معلقا وبدات حياة أخرى، فانزل من فوق صخرتك، وانغمس في البحر، واجعل جسمك يلعق نقطة واحدة من الملح».

لكن طانيوس لا يعود لينتقم على طريقة الثأر العربي، بل ليرى أمه. فيكون اللقاء حارا للغاية التي تصرخ باكية: «أنا في حاجة إليك. فلا تبتعد مرة أخرى». ولكن الغريب أن طانيوس عاد ليختفي من جديد، ويكون الاختفاء هنا أقرب إلى عبثية مصائر أبطال الأساطير الذين لا يعودون أبدا، فقد فشل طانيوس الشاب الأشيب في الاندماج داخل هذا العالم الضيق، المليء بالقسوة. ولذا لا يجد أمامه سوى حل واحد هو الخروج من الوطن. وقد تحدث الكاتب عن هذا الخروج في حديثه إلى إبراهيم العريس في مجلة الوسط «العدد ٩٤» قائلا: «لا يهمنا أين ذهب. وكيف ذهب. يهمنا قراره كرد فعل على ما يحدث. النهاية هي خروجه من عالم الرواية، اختفاؤه. هذه هي فكرة الكتاب. حكاية الهجرة ما قبل الهجرة. فإذا كان علي أن أواصل سيكون من الضروري أن أحكي قصة أخرى لا علاقة لها بالأولى».

كلمات عربية.. عربية

تلك كانت وقائع رواية «صخرة طانيوس» لأمين معلوف، وقد حاولنا سردها قدر الإمكان، رغم صعوبة ذلك كثيرا. فمعلوف ليس فقط روائيا موهوبا، ولكنه لا ينسى في داخله المؤرخ والصحفي. فهو لا يحدثنا عن قصة «ثأر» امتلأ التاريخ العربي بالملايين من أمثالها، ولكنه يروح يؤرخ للبنان، في تلك الآونة، وينقل صورة صادقة وحية لكل ما كان يحدث في ضيعة لبنانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد وقع معلوف في حيرة لترجمة الأسماء والألفاظ إلى الفرنسية التي يكتب بها فتركها في أغلب الأحيان عربية بلا دلالات. وكأنه كتب «صخرة طانيوس» لأبناء وطنه الذين يعرفون الفرنسية وليس لقراء اللغة الفرنسية، أيضا وليس للقارىء العربي الذي لا يعرف الفرنسية. وتلك سمة واضحة لدى الأدباء العرب الذي يكتبون عادة باللغة الفرنسية. □

قال جبران خليل جبران:



«من نقب وبحث ثم كتب فهو ربع كاتب. ومن رأى ووصف فهو نصف كاتب ومن شعر وأبلغ الناس شعوره فهو الكاتب كله».

سيناء

بين شظف الصحراء وانتظار مياه النيل



من القمـر أخذت اسمهـا حين أطلق عليها القـدماء اسم الإلـه «سين»، ومن الفيروز أخذت صفتها، فوق رمالها الناعمة دارت أشهر معـارك التاريـخ، وعبرت دروبها أقدام خمسـة عشر جيشا من كل أمم الأرض، وشق فيها أهم ممر مـائي في العالم، وهو قناة السويس، ومثلت جرحا داميا وأملا كبيرا لكل أجيال المصريين، إنها أرض سينـاء التي تقف الآن على أعتـاب مشروع قـومي جـديـد لا يقل أهميـة عن مشروع السـد العـالي.

استطـلاع: أنـور الياسـين
تصـوير: حسـين لاري



قال لنا المهندس الشاب . هذه هي إحدى علامات المستقبل، لا في سيناء وحدها ولكن في مصر كلها..

كنا نقف على حافة الرمال وسط سواعد الرجال التي لا تكف عن العمل، والحفارات التي لا تتوقف عن الهدير، كانت تزيح عشرات الأطنان من الرمال كي تحدث شقا غائرا في الأرض يحمل إلى سيناء الماء والحياة، بدا كأن هناك سباقا مع الزمن وكأن شرارة البعث التي انطلقت من هذه المنطقة لن تتوقف، كان بعض البدو من أهالي المنطقة يتكأون بأعصاهم.. ينظرون إلى بشائر المياه القادمة في عرامة. إنها مياه النيل وقد عرفت طريقها إلى التربة الشاسعة. كيف حدث هذا وتحققت المعجزة؟.

عندما عرف البدو من نحن . ومن أين جئنا صاح أحدهم في استبشار .

ـ أبلغ أهل الخير في الكويت أننا نشكرهم . لقد حققوا حلم حياتنا وسوف تتغير حياتنا من هذه اللحظة

كنا نقف في مواجهة واحد من المشروعات العملاقة التي سوف تحدد ملامح القرن العشرين في مصر، كان أهم مشروع بعد السد العالي، وهو أيضا المشروع الذي يحمل لمسة الوفاء والتحية بين الشعبين المصري والكويتي .

أهمية المشروع

و«ترعة السلام»، أو بالأحرى مشروع ترعة الشيخ جابر الأحمد الصباح، ليس مشروعا عاديا، إنه نقلة حضارية تصل فيها مياه الوادي القديم إلى سيناء. لقد ظلت مسافات الصحراء وقناة السويس تكوّن حدا فاصلا بين سيناء والأرض الأم، ولكن هذه الترعة الجديدة التي سوف تخرج من فرع دمياط وتشق طريقها عبر مئات الكيلومترات ثم تغوص في باطن الأرض حتى تعبر من تحت قناة السويس ثم تعود للظهور مرة أخرى وسط جبال سيناء سوف تعطي أرضها لونا جديدا وحياة جديدة

لقد بلغت قيمة القرض الكويتي لهذا المشروع حتى الآن ٢٥ مليون دينار «أي ما يعادل ٧٥ مليون دولار» ولكن هذا ليس كل شيء، فلا يمثل هذا إلا مجرد بداية في مشروع عملاق يستهدف إصلاح ٤٠٠ ألف فدان، وتبلغ التكلفة الإجمالية ٤ بلايين جنيه مصري يساهم فيها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية بحوالي ٦٥٥ مليون جنيه على مراحل. وتشترك في هذا المشروع ٦ شركات أجنبية من بينها شركة نمساوية متخصصة في رفع المياه حتى لا يضيع الماء سدى وسط الرمال العطشى، ويقول المهندس سعيد عبدالعظيم مدير أعمال الجهاز التنفيذي لتنمية شمال سيناء:

«لقد بدأنا العمل في ترعة الشيخ جابر الصباح في شهر أبريل الماضي وسوف يستمر المشروع على مدى ثلاث سنوات، وقد تم حتى الآن شق حوالي ٢٤ كيلومترا في منطقة سيناء، وكان الجزء الأصعب والأكثر فنية في هذا المشروع هو حفر «سحارة» تحت مياه قناة السويس، لنقل المياه من غرب القناة إلى شرقها وسوف تنتهي الترعة عند مدينة العريش، ليس هذا فقط، ولكن سوف تقام مدينة جديدة في سهل الطينة، كي توفر العمل لعشرات الخريجين من أجل أن يساهموا بجهودهم في صنع مستقبل مصر»

وهكذا نرى أن إنشاء مثل هذا المجتمع الجديد لن يؤثر على سيناء فقط، ولكنه سوف ينعكس بالضرورة



□ بدوية تنتظر المستقبل الأخضر على أرض سيناء.



□ بدويات من سيناء يجمعن المحاصيل ويسرن على أقدامهن لمسافات طويلة

على المجمل العام للاقتصاد المصري . يقول اللواء منير شاش محافظ شمال سيناء.

«بالتأكيد سوف يحدث هذا المشروع دفعة جبارة للاقتصاد المصري، لماذا؟ لأن ما تعاني منه مصر هو التكدس أو الانفجار السكاني وعندما نتمكن من نقل جزء من مواطني القاهرة أو باقي المحافظات إلى مناطق جديدة وسط الصحراء فنحن نساعد على تقليل تلك الكثافة المزعجة حول الوادي القديم. إن المصريين يعيشون فقط على ٤٪ من مجمل أراضي مصر من أيام الفراعنة وحتى اليوم، وهكذا يتزايد البشر وتستهلك الأرض، ولكن هذه الترعة تمنحنا الأمل في إنشاء مجتمع جديد وفرص عمل جديدة وإعطاء عائد اقتصادي قوي لمصر، إننا نكسب هنا مرتين: المكسب الأول حين نحمي أرض الدلتا والوادي من عدوان الأعداد المتزايدة من السكان، والمكسب الثاني هو الأرض الجديدة لأن كل من يأتي هنا سوف يدرك أن الأمل الوحيد في البقاء هو المزيد من استصلاح الأراضي الجديدة. وباختصار فإن هدف مشروع ترعة الشيخ جابر الصباح هو نقل ٣ مليارات متر مكعب من غرب القناة إلى سيناء سنويا، أو بمعنى آخر نقل ١٢٫٥ مليون متر مكعب يوميا، ولكي أوضح هذا الأمر سوف أعقد مقارنة بسيطة بين هذا المشروع ومشروع آخر مشابه له هو «النهر العظيم» الذي أقامته ليبيا، فهذا المشروع سوف ينقل مليوني متر مكعب في اليوم، وقد بلغت تكلفته ٢٦ مليار جنيه، فما بالك بمشروع تبلغ طاقته ستة أضعاف طاقة النهر العظيم. كيف يمكن أن تتصور تأثير هذا على الأرض العطشى في سيناء؟. سوف نتمكن من زراعة من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ فدان، نحن نقول حسب التقديرات الأولية إنها ٤٠٠ ألف فدان، ويتم هذا وفق حسابات أراضي الدلتا التي تروى بالطرق التقليدية أي ري الغمر.. ولكن لو تمت حسبتها بالري الحديث أي بالتنقيط والرش فيمكن أن تصل إلى نسبة أعلى بكثير. هذا فقط من ناحية الزراعة».

«ولكن توجد فائدة أخرى لهذه الترعة هي الصناعة



□ العبارة التي تربط سيناء بأرض مصر عبر قناة السويس إنها تحمل الاشخاص والسيارات وتعبر من الإسماعيلية إلى الشاطىء مقابل القنطرة

واستغلال الثروات فسوف تدخل هذه الترعة منطقة شمس سوسط شمال سيناء وسوف تحيط بها فيها من جبال عملاقة أهمها جبل المغارة ولبنة وغيرهما وهي تحتوي على كمية كبيرة من المعادن الخام لم تكتشف بعد لأن المنطقة غير مأهولة. المياه سوف تحمل معها الحياة إلى هذه المنطقة، لذلك سوف تزدهر صناعة التعدين دون أن تصاحبها المشكلات التقليدية مثل تلوث البيئة وغيرها من المشكلات

سحر المياه

إن هذا المشروع الذي نشكر الكويت على مساهمتها فيه يقع في منطقة بالغة الحساسية، فهي همزة الوصل بين المشرق العربي والمغرب العربي، وإذا نظرنا إلى المستقبل وما يقال عن تنفيذ اتفاق غزة - أريحا بين الفلسطينيين والإسرائيليين فسوف تزداد أهمية موقع سيناء بما فيها من مياه.. إن كثافة البشر في هذه المنطقة هو ضمان الأمن الوحيد بالنسبة لمصر.. ونضيف لذلك أنه سوف تنشأ صناعة سياحية جديدة تتمثل في بناء القرى السياحية، وسياحة الصحراء والجبال وسياحة السفاري والمحميات الطبيعية.. إن هناك فرصا كبيرة مفيدة ودخول المياه سوف يطلقها من عقالها».

إن أحلام محافظ سيناء منير شاش لا تتوقف، فهذه المنطقة التي كانت منفى لكل الموظفين المصريين المغضوب عليهم قد تحولت إلى أمل في الاستقرار لكل





□ بداية الملاحات في أطراف بحيرة البردويل

س يختنق وسط زحام المدن القديمة دون مسكن مناسب أو فرص عمل لائقة، لذلك فإن تنمية سيناء واحدة من أهم الاستراتيجيات التي تواجهها مصر، ويمكن أن تذهب هذه التنمية في أربعة محاور رئيسية كما يحددها المحافظ منير شاش: المحور الأول هو الزراعة.. وسوف تزيدها ترعة الشيخ جابر كما قلنا من قبل، ويعتمد المحور الثاني على الصناعة والثروة المعدنية فسيناء أرض الجبال الشامخة يجب أن تحول هذه المخازن الطبيعية إلى ثروة قومية، والمحور الثالث هو السياحة.. وما يستتبع ذلك من إنشاء القرى السياحية والفنادق وإيجاد العديد من فرص العمل، أما المحور الرابع فهو الثروة السمكية.. وما زالت سيناء تحمل لمصر والعالم العربي الكثير من الوعود، فهذه الأرض القفر التي كانت دائما ساحة للحرب قد تحولت إلى درع تكفل الأمان لمصر.

الخليفة متخوف .. والقائد متشوق

ابين تخوف الخليفة ورغبة القائد الحارقة.. كان الصراع يدور حول فتح مصر، كان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب متخوفا من قوة الروم ويدرك أن مصر تعني الكثير بالنسبة للإمبراطورية الرومانية وأنها سوف تدافع عنها حتى الرمق الأخير.. لذلك كتب إلى عمرو بن العاص قائد جيشه رسالة عاجلة يقول فيها: «أما بعد.. فإن أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها، وأما إذا أدركك كتابي هذا وقد دخلتها أو



□ حديث بين محافظ شمال سيناء اللواء منير شاش والزميل أنور الياسين

شيئا من أرضها فامض على بركة الله».. ولكن عمرو ابن العاص كانت في أعماقه رغبة جارفة لفتح هذا البلد الذي أتاه كثيرا وسط قوافل التجارة، كان مسحورا بماء النيل وآثار الحضارة القديمة، ويدرك أن إضافة هذا البلد للإسلام تمثل نقطة تحول كبيرة في سبيل انتشار هذا الدين الجديد، لذلك فقد أجل مقابلة الرسول وأخر تسلم الرسالة، لم يكن يدري محتويات الكتاب ولكنه بما فطر عليه من مكر ودهاء أدرك هدف الخليفة ومخاوفه. وكان قد اختار مدينة رفح آخر المدن الحدودية بين مصر وفلسطين وبدأت رمال سيناء أمامه حافلة بالوعود الغامضة.

أخيرا هدأت حركة الجيوش حين وصلت إلى بقعة تربتها الخضرة، وترتفع فوق بيوتها هامات النخيل، كانت أشبه بالفردوس الصغير وسط الصحراء الوعرة، وطالما عبرها عمرو قبل ذلك. لذلك فقد سمح أخيرا للرسول أن يقابله وعندما قرأ الرسالة التفت إلى قادته الذين يحيطون به، وتساءل في سذاجة مصطنعة: «أين نحن الآن يا قوم من بلاد الله؟» ورد عليه القادة: «نحن في العريش». وعاد عمرو يتساءل بنفس السذاجة: «وهل هي من أراضي مصر أم من الشام؟» رد القادة: «بل هي من أراضي مصر، وقد تركنا فلسطين على مسيرة يوم كامل».. رد عمرو في ارتياح: «على بركة الله.. فلنمض في الفتح.. ووالله ما خالفنا رأي أمير المؤمنين». كانت هذه هي بداية العريش كأول مدينة مصرية تدخل في الإسلام عام ٢٨ من الهجرة «٦٤٠م».. هامات من النخيل نائمة على شاطىء المتوسط تستقبل الرحالة والعابرين والجيوش الغازية التي تحاول ردها.. درع أحيانا، وجرح نازف في أحيان أخرى.

جبال سيناء الصامتة هي الشاهد الوحيد على كل الأقدام التي عبرت فوق هذه الأرض، جيوش بلا حصر، موجة إثر موجة.. اختلطت الأسطورة بالحقيقة وشربت الرمال من الدم أكثر مما شربت من الماء.. وكان علينا أنا وزميلي المصور ونحن نعبر سيناء أن نتعقب آثار هؤلاء الغزاة ونحاول أن نرى آثار أقدامهم التي فشلت عواصف الصحراء أن تمحوها..

هل كان يمكن أن تبوح لنا الصحراء بسرها الدفين؟ على هذه الأرض مر خمسة عشر جيشا من جيوش الغزاة.. تركوا آثارهم فوق كل صخرة وكتب الدم تاريخا مشتركا بين كل هذه الجيوش. إن سيناء موقع بالغ الأهمية وبالغ التعاسة أيضا، خلف رماله ترقد



وزارة الأشغال والموارد المائية
الجهاز التنفيذي لتنمية شمال سيناء
مشروع إنشاء وتبطين
ترعة الشيخ جابر الصباح
تنفيذ
شركة مساهمة البحيرة

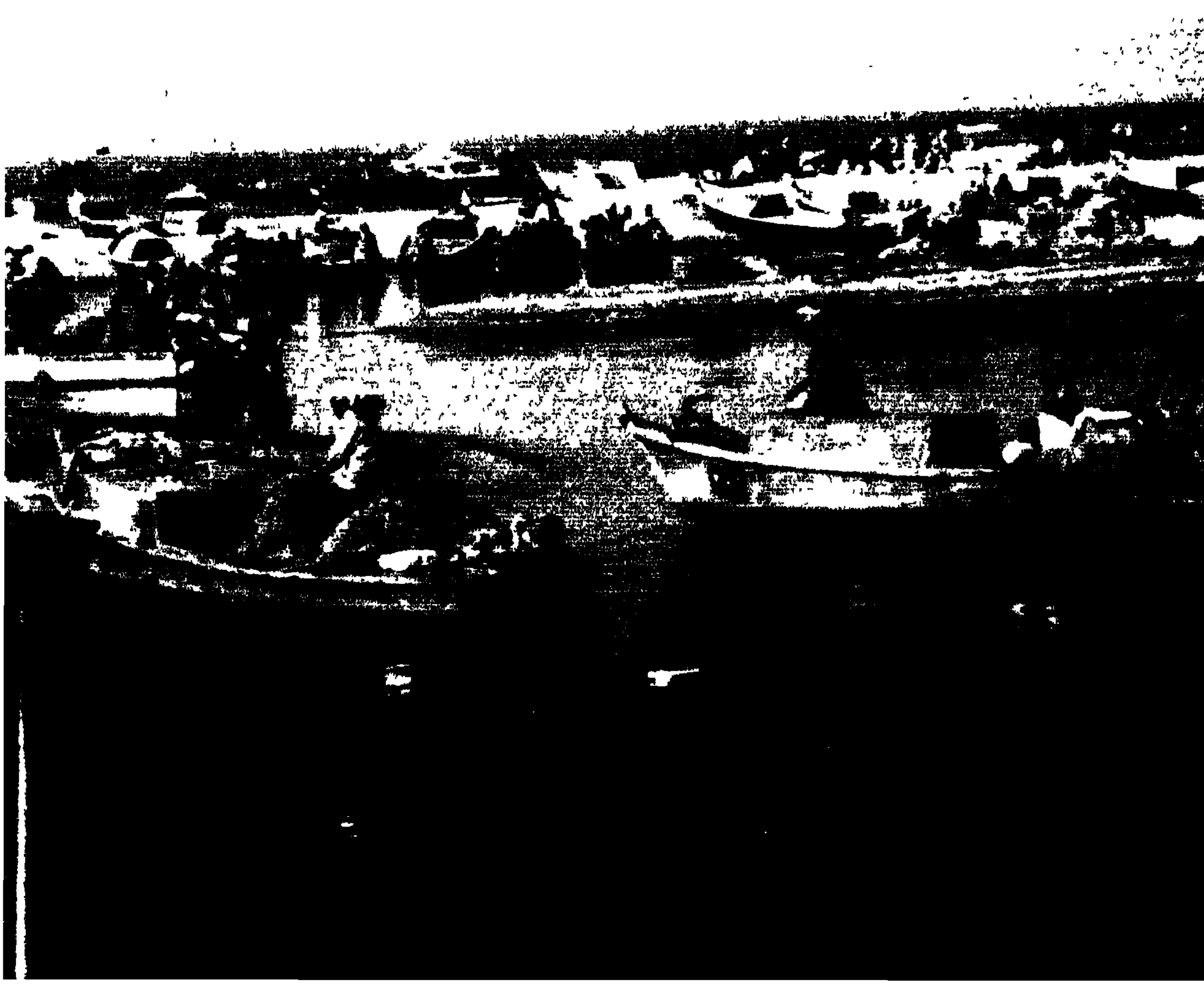
الجائزة الكبرى التي كان يحلم بها أي غاز في العصور القديمة، وادي النيل الخصب، ومن المؤكد أن الفترة الوحيدة التي لم تتعرض فيها هذه الأرض للغزو هي فترة ما قبل وجود الإنسان على الأرض. من الهكسوس حتى الإسرائيليين لم يكف الغزاة عن التوافد وربما لا يوجد فرق كبير بين تصرفات أول الغزاة وآخرهم، وتقول كتب التاريخ إن الهكسوس عندما قاموا بغزو مصر كان أكثر الناس الذين تعاونوا معهم هم اليهود الذين كانوا يسكنون شمال مصر في ذلك الحين وتقول بعض الدراسات التاريخية إن الهكسوس هم بعض من القبائل العبرانية المتفرقة. لقد قام أحمس بطرد الهكسوس من مصر دون أن يتركوا خلفهم أي أثر واحد ولكنهم تركوا أثرا وحيدا في سيناء ما زالت آثاره موجودة في مدينة سرابيت الخادم.. وهو معبد الإله هاتور إله الفيروز.. وهو أحد أسماء سيناء..

ولم تتوقف موجات الغزاة.. جاء الحيثيون والبابليون والفرس والرومان. موجات متعاقبة كأنها معاول حادة تهوي على هياكل الحضارة الفرعونية القديمة حتى تصيبها بالوهن والضعف. لقد أدرك الرومان بما لهم من خبرة عسكرية أهمية هذا المثلث المقلوب من الأرض، لذلك فقد قاموا بإنشاء سلسلة من التحصينات والحاميات الصغيرة تفصل بين كل واحدة والأخرى أربعة عشر ميلا هي مسيرة اليوم الواحد للجيش الروماني.

ثم جاء الفتح العربي بعد أن ماتت حضارات وشاخت حضارات.. كانوا يحملون دفئا روحيا جديدا.. ووعدا ببعث حضاري في صورة أخرى، كان بدو سيناء الذين تمتد جذورهم إلى عرب الجزيرة هم أول من رحبوا بأبناء عمومتهم من هذه الجيوش ودخلوا الإسلام على الفور بما في ذلك قبيلة الجبالية ذات الأصول الرومانية، والتي كانت - وما زالت - تقيم بجوار دير سانت كاترين وتقوم على خدمة رهبانه.

وبعد أن وطد الإسلام أركانه في مصر واكتسبت به قوة جديدة لم يتوقف الغزاة أيضا، جاء الصليبيون في القرون الوسطى واستولوا على فلسطين ولكنهم كانوا يدركون أنه لا أمان لهم إلا بعد الاستيلاء على هذه

□ صيادو بحيرة البردويل التي تنتج أفضل أنواع الأسماك في مصر



البقعة، أشهرهم كان ملك بيت المقدس «الماريك» الذي حاول القيام بغزو مصر أربع مرات وقطع الطريق على حجاج بيت الله تسع مرات.

من الهزيمة حتى النصر

ولكن ذكريات سيناء مع صلاح الدين كانت مريرة جدا، فقد لقي على رمالها أول هزيمة قاسية له، كان قد استعد لمعركة مع الصليبيين وذهب للقائهم في الرميلية بأرض فلسطين، ورغم أن قواته كانت أكثر إلا أن الصليبيين فاجأوه مفاجأة تامة وشتتوا جيوشه بقسوة، وتراجع جيش صلاح الدين هاربا فوق أرض سيناء دون أن يجد قلعة تأويه أو حصنا يحتمي خلفه، ولقد جرحت هذه الهزيمة كبرياء القائد صلاح الدين، وبدأ رحلته من أجل تدعيم موقفه العسكري، وكان أول شيء فعله هو أنه بنى قلعة كبيرة مازالت قائمة في جزيرة فرعون في خليج البحر الأحمر في مواجهة طابا، وبدأ إعداد الجند واختار بعناية موضع المعركة وميعادها حتى استطاع أن يأخذ ثأره وينتصر في حطين.

وعن طريق سيناء أيضا جاء العثمانيون في القرن السادس عشر وكان هذا هو أطول كابوس استعماري عاشته مصر، ومازالت في العريش بقايا القلعة العثمانية التي بنتها جيوش السلطان سليم ثم قفزت منها إلى العقبة وإلى بلاد الحجاز.

وشهدت رمال سيناء جيوش نابليون المنتصرة وهي في طريقها لغزو الشام وفلسطين حتى تفتح الطريق إلى الهند وتقيم الإمبراطورية الفرنسية في الشرق، وشهدت نفس الرمال أيضا عودته منكسرا بعد أن تحطمت أحلامه تحت أسوار عكا، ولم يترك الترك قلعتهم في العريش إلا بعد أن استردت مصر أنفاسها قليلا وأصبح لها جيشها الوطني تحت قيادة إبراهيم باشا ـ أشهر القادة في القرن التاسع عشر ـ واكتسح جيش الترك وظل يواصل مطاردتهم حتى حرر منهم فلسطين والشام.

إنها بقعة لا يغيب عنها الضوء.. ورغم خلوها من السكان والموارد السخية إلا أنها كانت تخلق السبب المنطقي لأهميتها، فقد شقت في رمالها قناة السويس عام ١٨٦٩، وكانت ـ كالعادة ـ تحمل أسباب السعادة

□ الأسماك الطازجة تصدر مباشرة إلى أوروبا.







□ معابر السفر من رفح عند الحدود مع فلسطين المحتلة

والتعاسة لمصر، فبقدر ما جعلت منها واحدة من أهم المواقع في العالم جلبت إليها الاستعمار البريطاني ودخلت مصر في دوامة أخرى من دوامات السيطرة الأوربية.

كانت سيناء أيضا تداعب أحلام مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هيرتزل عندما أراد أن يكون هناك وطن قومي لليهود، واختار شمال سيناء لأنها أقرب ما تكون إلى أرض الميعاد، وكان المكان المقترح هو مدينة العريش والساحل الممتد على البحر المتوسط حتى بحيرة البردويل، ووافق الإنجليز بطبيعة الحال وأرسلوا بعثة مكونة من اليهود والبريطانيين إلى المنطقة في عام ١٩٠٣ وكانت المشكلة التي واجهتهم هي ندرة المياه في المنطقة مما يعوق حركة الاستقرار، وكان من الصعب إقامة دولة في هذا المكان فقفزت أحلامهم على الفور إلى فلسطين وبدأت معالم المأساة التي مازلنا نعيش ظروفها حتى الآن

سحر النخيل

وللعريش سحرها الخاص، فهي تجمع بين المدن الصحراوية والساحلية، وهي المدينة التي تأثر تركيبها العمراني والسياسي بكل التقلبات السياسية التي شهدتها المنطقة، ورغم كل شيء لم تفقد طبيعتها الخلابة. فعلى شواطئها تتعانق صفرة الرمال مع زرقة البحر المتوسط، ويمتد شاطئ النخيل على مساحة ٣٠ كيلومترا حتى بحيرة البردويل الغنية بأفضل أنواع الأسماك، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٠٠ ألف نسمة، بها العديد من الشوارع الفسيحة والميادين الواسعة.. وينهض على ساحلها أكثر من قرية سياحية ومعسكرات للشباب وبها حوالي ٤٠٠ مدرسة كما أن الكليات العليا قد عرفت طريقها إليها، فقد أنشئت فيها كليات الزراعة والعلوم والتربية التابعة لجامعة قناة السويس..

وتتطلع العريش الآن إلى مرحلة جديدة سوف تغير وجهها هي إنشاء ميناء العريش الذي سوف يستقبل سفنا تبلغ طاقتها ٧ آلاف طن ويستخدمه حوالي ٣٥٠٠ صياد ويربط سيناء بالعالم الخارجي حيث يتم تصدير الفواكه والأسماك واستقبال الأفواج السياحية.

جذور عربية قديمة

ويرجع التكوين الديموغرافي أو السكاني لمدينة العريش إلى جذور عربية قديمة، فقد هاجرت إليها بطون القبائل العربية من جزيرة العرب ومن بلاد

الشام، ويبلـغ عددهـا حوالي ٢٥ قبيلـة أشهرهـا قبائل قحطـان وعـدنـان.. ويقال أيضـا إن قبيلـة بني هـلال الشهيرة وهي تعبر مصر في طريقهـا إلى تونس الخضراء قد تركت فرعا مهما من فروعها في العريش..

وتبـدو هـذه الجذور البدويـة واضحـة في حفـلات الزفاف حيث يتبارى الشباب في تهنئة العروسين بالقيام بالرقصات المختلفة التي تشمل ألعاب العصا والمبارزة بالسيـوف والرقص بـواسطة الخيـول ونحر الـذبائح، وتقدم وجبة «المنسف» الشهيرة في كل البوادي العربية.

في أكثر من مناسبة وأكثر من موقع وقفت أنا وزميلي المصور مبهورين أمام ذلك الجمال الصامت وما فيه من تقلب الألـوان مع اختلاف درجـات الضوء، ونتـذكر قول الأديب الفرنسي اسكندر دياس الابن وهو يقول عن سينــاء: «إنها بقعـة من الأرض مليئـة بـالسحـر والوحشية، كل بقعة فيها تقودك إلى تربة مختلفة وطقس مختلف».

وآثـــار آخــر الحروب التي اشتعلـت بين إسرائيل والعـرب مازالت تترك بصماتها فـوق سيناء، في أمـاكن متفـرقة منهـا نشـاهـد العلم البرتقـالي الذي يـدل على وجود القوات المتعددة الجسيـات، وكذلك العديد من النصب التذكارية الإسرائيلية، آخرها هو ذلك النصب التذكاري والـذي يكون من صخرة قـائمة ويدل على سقـوط طـائرة مـروحيـة إسرائيليـة ومصرع ركـابها السبعة، كـذلك الأطلال الباقية من مستعمـرة ياميت. لقـد حـاولت مصر أن تعـوض الإسرائيليين عن هـذه المستوطنة، ولكنهم فضلوا أن يـدمروها تدميرا على أن يسكنها أحد بعدهم..

المنطقة هادئة تقـريبا والشواطىء الناعمـة على حافة الخليج تشكو قلـة الرواد، وقـال لي أحد شيـوخ البدو: «كــان يصل إلينــا العــديــد من السيــاح.. نظيفين وأسخياء.. الآن لا يـوجد إلا هـذا الصنف من السياح المتسخين وهم يهود بالتأكيد».

وتمتد بحيرة البردويل مثل بساط من الـزرقة المشربة بـالخضرة، إنها واحـــدة من خمس بحيرات مصريـــة، ولكنهـا تختلف عنها جميعـا لأنها تقع بعيـدا عن الدلتـا وبـالتـالي لم تتأثـر بميـاه الصرف الصحي وهي تتصل بـالبحر عن طـريق ثـلاثـة بواغيـز وأهـم الأسماك التي تـوجـد بها هي الـدنيس والـوري والقـاروص وهي مصدر الـرزق لحوالي ٣ آلاف صياد يعـولون أكثـر من ١٥ ألف فـرد، وتصدر أسماكها الطـازجة مبـاشرة من البحيرة للعديد من عواصم العالم وهي بذلك تمثل أحد مصادر الثروة المستقبلية في سيناء.



□ رفح المصرية ورفح الفلسطينية تفصل بينهما الأسلاك



□ آخــر نقطـة عنــد الحدود المصريــة والفلسطينية والعلم المصري يرتفع عاليا



□ سوق العريش مزدحم بالبشر والبضائع خليط من المنتجات المحلية والبضائع المهربة

لغز العبور

وعلى رمال سيناء يوجد واحد من أهم ألغاز التاريخ، وهو لغز يتعلق بعلماء الأديان مثلما يثير اهتمام علماء الجغرافيا والأنثروبولوجيا.. ففي هذا المكان حدثت أكبر عملية رحيل في التاريخ عندما قاد موسى شعبه من بني إسرائيل حتى يخرجوا من مصر..

لقد كان موسى نبيا ورسولا. يرسي مبادىء التوحيد والعدل، ولكن من المؤكد أنه قاد واحدا من أسوأ الشعوب التي عرفها التاريخ، ولا بد أن اليهود في عهده كانوا بنفس الدرجة من السوء التي نجدهم بها الآن، فقد استغلوا الشعب المصري ولم ينسوا قبل أن يرحلوا خلف موسى أن يجمعوا كل الذهب الذي استطاعوا الحصول عليه من جيرانهم المصريين وأن يهربوا به تحت جنح الظلام، وهكذا أكدوا مبدأ اللصوصية الذي ما زال سائدا بينهم حتى الآن، من سرقة الذهب، إلى سرقة الأرض وإلى سرقة التاريخ..

إن الكتب السماوية تذكر أن موسى استطاع أن يشق البحر الأحمر بعصاه، وأن يعبر هو وقومه ثم ترك الموج ليطبق على فرعون وجنوده. وقد حاول العلماء أن يناقشوا أبعاد هذه الحادثة تاريخيا وجغرافيا. والسؤال هو عن درجة تطابق هذه الحادثة مع ظواهر الطبيعة؟.

إن طبيعة سيناء لا تبوح بأسرارها، وصمت الجبال يغلف عشرات التفاصيل فيها منذ آلاف السنين، ولكن بعض علماء الأديان يقولون إن موسى وقومه قد عبروا البحر من نقطة ضيقة بين البحيرات المرة حيث تنحسر المياه لتترك معبرا ضيقا من الرمال ثم ساروا جنوبا مع ساحل البحر الأحمر إلى وادي فيران، وهو من الأماكن القليلة في سيناء الكثيفة الخضرة والتي يوجد بها بعض عيون المياه، ثم استمروا في السير إلى جبل طور سيناء

وهـو المكان الـذي خاطب اللـه مـوسى عنده بعـد أن شاهد مـوسى شجرة العليق التي تحترق ولا تكف عن الاحتراق، ثم تـواصلت الـرحلـة بعـد ذلك إلى واحـة وادي قاديس وكانت أرض الميعـاد قريبة منهم لولا أن موسى قـد تولته لحظـة من لحظات الشك المأسـاوية.. لقد سأل الله أن يفجر له إحدى عيون الماء وعندما ظن تأخر الاستجـابة لـه ضرب إحدى الصخور وقـد نفد صبره، وقد نـال موسى وقـومه الغضب بسبب ذلك ـ كما تقـول الـروايات الإسرائيليـة ـ فحكم عليـه وعلى قومه بالتيه لمدة أربعين عاما وسط الصحراء القفر.

ورغم هـذا التفسير إلا أن علماء الجغـرافيـا المهتمين بتفسير ظـواهـر التـوراة ظلـوا يبحثـون عن سنـد من الـواقعيـة لهذه الـرحلة عبر البحـر، وظهـرت نظـريـة أكـاديميـة تزعم أن اليهـود لم يعبروا البحـر الأحمر على الإطـلاق، وأنهم واصلـوا السير في اتجاه الشمال حتى وصلـوا إلى حافـة بحيرة البردويل وسـاروا على شريط رملي ضيق لا يظهر إلا وقت جـزر البحر حيث يفصل هـذا الشريط بين البحـر الأبيض المتوسط والبحيرة.. لقـد عبر اليهود أولا وعـندما حـاول فـرعون وجيشـه الذين كانـوا يركبون الخيول والعربـات الحربية الثقيلة أن يتبعـوهم انهارت الرمـال الهشـة من تحتهم وغرقـوا جميعا.

ويرى هؤلاء العلماء أن نظريـة عبور البحر من تلك النقطة الموجودة في شمال سينـاء هي الأكثر منطقية.. لا لأنها تـوفـر جسرا لهذا العبـور الكبير فقط ولكن لأن بقايـا المن والسلوى التي تحدثت عنهـا الكتب السماوية مـا زالت موجـودة في هـذا المكـان، والمن هو نـوع من الـدرنـات المسكـرة الموجـودة في بـاطن الأرض، أمـا السلـوى فهي طيـور السمان التـي تهاجـر من البـلاد الباردة في الشمال لتحل حول بحيرة البردويل الدافئة.. ومازالت هجرات الطيور تتواصل حتى اليوم.

عالم البدو

كان الشيخ خلف حسن الحلفات هو الذي قادنا إلى الدخول في عالم بدو سيناء، كنـا ضيوفا في خيمة الشعر والجبـال حولنـا شـامخة والصحـراء صامتـة.. لا يقطع الصمت إلا صـوت طقطقات الحطب التي تتقـد تحت «مقد» القهـوة.. كان سلطـان القهوة يـدخل كل فترة كي يـراقب درجـة النضج ويضيف البـن أو السكـر، والشيخ خلف من قبيلـة السـواركـة، واحـدة من ٢٥ قبيلـة تستوطن جبـال سينـاء.. ورغم أنه يقيم في هـذه البقعـة الضيقة من الأرض إلا أن اهتمامـاتـه تتسع كي تشمل العـالم كله.. قـال لنـا: «كل مـا أود معرفتـه عن العالم والسياسـة والاقتصاد آخذه عن طريـق «الراديو» أما التلفـزيون فلا ينـاسب عاداتنـا وتقاليدنـا، إنه يأتي ببرامج وصـور فـاضحة يمكـن أن تؤثـر على أخـلاق البنات وتسبب تأخر الأولاد في دراستهم».

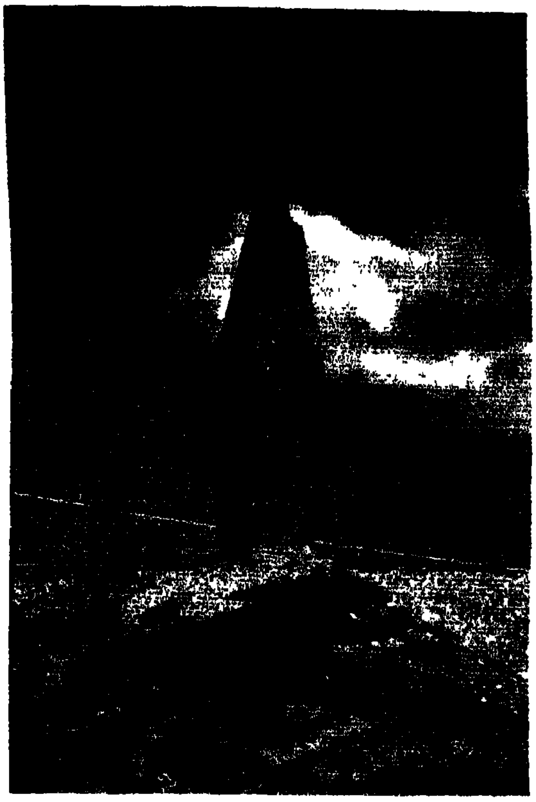


□ بدويات يجمعن المحاصيل

هـذا الموقف المتشـدد من التلفـزيـون تمتـد جـذوره عميقة في العـديد من بـدو سيناء، لقد عـاصروا أهوال الحرب وقـاومـوا محاولـة إسرائيل لاقتـلاعهم من أرضهم، وأدركوا أن الحفاظ على شخصيتهم التقليدية هي طـريقهم الوحيد للبقـاء.. «لقد حـاولت إسرائيل منـذ اليـوم الأول لاحتـلال سينـاء أن تغير من طبيعـة المنطقـة وأن تفرغهـا من سكـانها ولكننـا قاومنـا ذلك بشدة.. ففي البـداية قاموا بإجـلاء المواطنين من المنطقة الممتـدة مـن الشيخ زويـد حتى رفـح، واستجلبـوا



□ العلمان المصري والإسرائيلي عند نقطة العبور



□ نصب تذكاري لبعض القتلى الإسرائيليين في حرب أكتوبر

مستوطنين يهودا وأقاموا مستوطنة ياميت التي كانت زراعية ودفاعية في الوقت نفسه، لقد مدت إليها المياه والطرق التي كان الجيش يستخدمها ونفي عليهم أن ينزعوا الأرض من أصحابها الحقيقيين كما هي عادتهم، لقد كانوا يركزون على المنطقة الشمالية في سيناء بالذات، من رفح إلى العريش والشيخ زويد، كانوا يريدون تحريكهم جنوبا بالقرب من شرم الشيخ ولا يمكن أن تتخيل الإغراءات التي قدموها إلى السكان أو التهديدات التي مارسوها ضدهم من أول الشيكات على بياض إلى مصادرة الأراضي بالقوة، وعندما رفض البدو ذلك قبضوا عليهم ووضعوهم في العريش تحت الإقامة الجبرية ولم يتم الإفراج عنهم إلا في وقت الانسحاب الإسرائيلي عام ١٩٨٢».

يضيف الشيخ خلف «لقد هزت حرب ٧٣ الكيان الإسرائيلي وأظهرت للمرة الأولى أنه قابل للهزيمة وإن كنت أعترف وأعتقد يقينا أننا لم نستغل هذه الحرب الاستغلال الصحيح، لقد رأينا اليهود بعد الحرب مباشرة ولمدة شهرين وهم يضعون رءوسهم في الأرض، إن عقد السلام معهم هو الذي جعلهم يرفعون رءوسهم مرة أخرى»

كانت هذه رؤية أحد شيوخ بدو سيناء، رؤية تمتد



□ الشيخ خلف حسن الحلفات أحد شيوخ القبائل بسيناء.



□ أطلال مستعمرة «ياميت» الإسرائيلية شاهد دائم على شراسة إسرائيل

إلى الثقافة التقليدية والحس الفطري الذي اكتسبوه من هدوء الصحراء وتقلب العواصف.. فهم يقرأون جيدا لغة الطبيعة الصامتة ويشكلون مساراتهم بواسطة الجبال على الأرض وبواسطة النجوم في السماء، يقرأون الأثر ويتتبعون الإبل الشاردة عبر فجاج الصحراء، ويعرفون الوقت دون ساعة ويتوقعون بدر المطر من لون الغمام وهم يمثلون بذلك حلقة الوصل بين قبائل الجزيرة العربية والشام ووادي النيل لأن لهذه القبائل بطونا وفروعا في كل هذه البلاد..

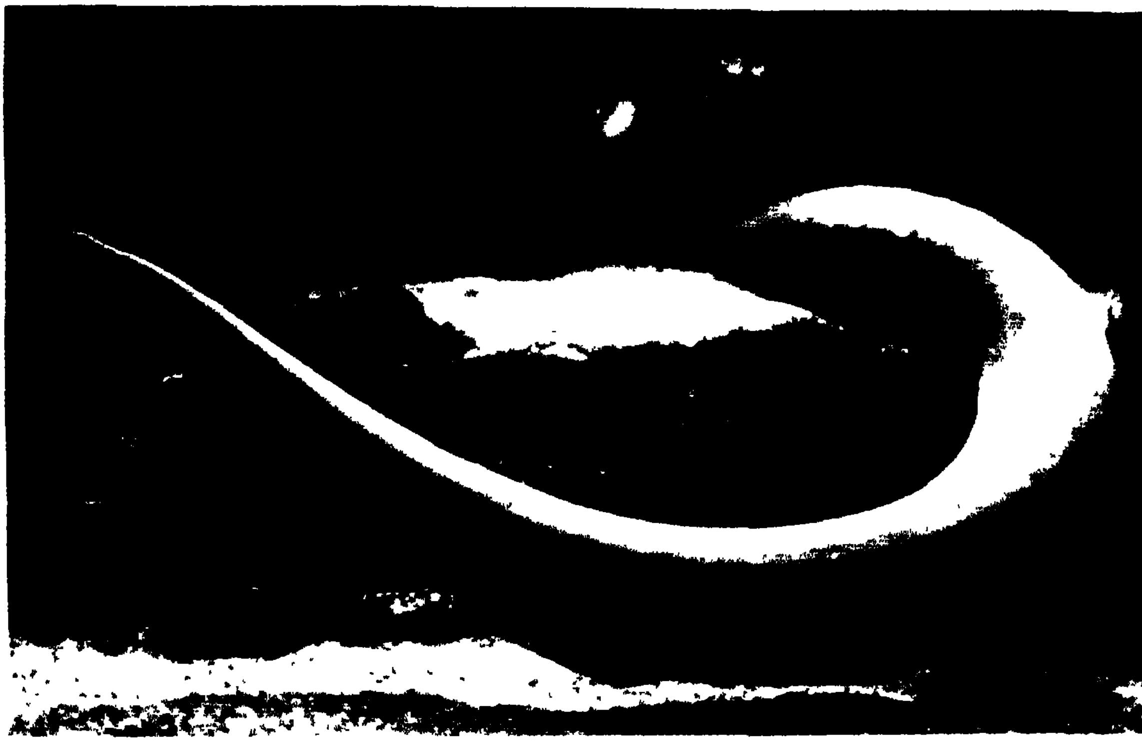
ويمكن تقسيم القبائل الرئيسية في سيناء إلى ٢٥ قبيلة لكل منها منطقة خاصة ومكان للسكن والرعي، ولا يجوز أن تعتدي قبيلة على منطقة قبيلة أخرى..

وأشهر هذه القبائل هما قبيلتا الشدايد والحويطات، وتوحدان في شمال سيناء وصحراء النقب، وتتركز قبيلة أولاد سعيد حول جبل الطور وبجوارها توجد بطون من قبيلتي الترابين والعليقات.

ولا تزال الكثير من العادات والتقاليد البدوية تتحكم فيهم، ولعل أهمها هو القضاء العرفي الذي يحل فيه قاضي القبيلة المنازعات والخصومات ويلتزم الجميع بحكمه دون حاجة لقانون السلطات الحاكمة أو تدخلها، كما أن الشهادة مازالت تؤدى بواسطة «البشعة» وهي عادة متبعة أيضا في بادية الأردن والشام، حيث يقوم المتهم بملامسة سطح أحد الأواني المعدنية الساخنة بطرف لسانه فإذا كان بريئا نجا من الحرق، أما إذا كان مذنبا وجف ريقه فسوف تحرق الشعة لسانه على الفور، وما زالت كل قبيلة تكوي إبلها بخاتمها الخاص، ولا تستطيع المرأة أن تسبق الرجل في السير، كما أنها لم تأخذ فرصتها بعد في أن تقول رأيها في شريك حياتها.

إنها مجموعة أصيلة من العادات العربية التي لم تتغير بفعل سنوات العزلة الطويلة ولكن ماذا سيحدث الآن بعد أن دخل التلفزيون رغما عن اعتراضات الكثيرين.. وماذا سيحدث للمنطقة حين تتحقق المعجزة وتصل إليها مياه النيل؟! هذا هو السؤال.

أغادر سيناء أنا وزميلي المصور وقد امتلأت نفوسنا بشيء من رهبة الجبال وصمتها، أحس أن الطبيعة لم تعد صماء وأن هذه الجبال قد كفت عن صمتها، فهي تصرخ في الجميع حتى تحس بالأمان كاملا، ولن يتحقق ذلك إلا بعد أن تجري مياه النيل في ربوعها ويهبط الفلاحون إلى سهولها كي يزرعوها بالقمح.. بعد ذلك سوف تحس مصر أيضا بالأمان.. □



□ سمك انقليس كهربائي بالغ قد يصل طوله إلى مترين ويولد جهودا نبضية حتى ٨٠٠ فولت بشدة ١ أمبير.

أسماك تستخدم الترانزيستور

إعـــداد : راسم كنعـــان

لو تأمل الإنسان ما تزخر به البيئة من كائنات حية، لأدرك عبقرية اللمحات «التكنولوجية» التي تنطوي عليها كثرة من هذه الكائنات، ولأرشده ذلك إلى ابتكارات غير معهودة في مجال «التكنولوجيا» الحديثة، لكنها ستكون ابتكارات تحترم مادة الحياة لأنها من وحي الحياة..

لقد عرفت بعض أنواع الأسماك مبدأ الكهرباء وكيفية التعامل معها واستخدامها بسهولة قبل أن يكتشف الإنسان الكهرباء بزمن طويل، حيث إن هناك أنواعا من الأسماك يطلق عليها الأسماك الكهربائية تستطيع كشف الأشياء والحيوانات الأخرى كهربائيا لدرجة أنها تستطيع الاتصال مع بعضها البعض بواسطة حقول كهربائية معدلة «مضمنة Modulated». يشبه عمل الأعضاء الحسية الكهربائية لهذه الأسماك وتوليدها جهودا ونبضات تيارات كهربائية عالية لدرجة مذهلة عمل الدوائر الإلكترونية المكونة من ترانزيستورات موس «MOS».

أسماك التيار الكهربائي العالي ..

تشمل أنواع الأسماك الكهربائية طوائف مختلفة من أسماك المياه العذبة التي تعيش في أنهار إفريقيا وأمريكا

[illegible] الأسماك [illegible] التي تسيطر عليها الكهرباء. وتقسم هذه الأسماك إلى نوعين:

الأسماك المولدة لتيار كهربائي ضعيف: كأسماك غايانرشوس «Gymnarchus» تولد هذه الأنواع من الأسماك حقولا كهربائية بترددات «ذبذبات» منخفضة تسمح لها باكتشاف الأجسام القريبة إليها، وما يدعو للدهشة حقا كما يبدو أن هذه الأسماك تستطيع تبادل المعلومات فيما بينها عن طريق إرسال إشارات تيار معدل، ومن أمثلة ذلك إمكان بث المعلومات الكفيلة بالحفاظ على قوافل الأسماك مجتمعة، ونشوب نزاع كهربائي بين قوافل الأسماك حول حدود أماكن وجودها، فضلا عن أغاني التزاوج بين أفرادها. لقد أثبتت هذه القدرة على الاتصال عند هذه الأسماك فائدة كبيرة عند اصطياد الأسماك الكهربائية، حيث إنها تجذب إلى الشص أو شبكة الصيد استجابة لإشارات كهربائية معينة يطلقها الصيادون.

اسماك التيار الكهربائي العالي: تضم هذه الطائفة فصيلة سمك الشفتين البحري والسللور الكهربائي وتستطيع هذه الأسماك بواسطة أعضائها الكهربائية توليد جهود كهربائية عالية جدا مقارنة مع أبناء عمومتها من فصائل أسماك التيار الضعيف كي تشل فرائسها وتبعد المتسللين الغزاة من الحيوانات الأخرى.. يحتوي سمك الانقليس الكهربائي مثلا على ثلاثة أعضاء لتوليد الكهرباء وهي:

ـ عضو يولد تيارا كهربائيا «نبضات» لاجتذاب وإغواء الفرائس.

ـ عضو يولد ساحة كهربائية ضعيفة لكشف الأشياء.

ـ عضو يولد جهودا كهربائية عالية، يعتمد ذلك على حجم السمكة. ويولد جهودا كهربائية تتراوح بين ٣٠٠ ـ ٨٠٠ فولت، لذا فأي فريسة تجرؤ على الاقتراب من سمك الانقليس الكهربائي ستجد نفسها لا محالة أمام سد من الصدمات الكهربائية.

الأسماك الكهربائية علاج طبيعي

تمتاز الأسماك الكهربائية بخاصية مفيدة جدا اكتشفها واستخدمها قدماء الرومان والإغريق فعالجوا بها بعض الأمراض كمرض النقرس Gout بتعريض المريض إلى صدمات كهربائية يطلقها سمك الشفتين البحري، بيد أن هذه الأنواع من المعالجة لم يكتب لها البقاء طويلا، لعل السبب في ذلك يرجع إلى القدرة المطلوبة لتحمل هذه الصدمات التي لا يستطيع تحملها إلا المرضى من ذوي البنية الجسدية القوية.

[illegible] أيضا في الطب الحديث [illegible] علاجية بالصدمات الكهربائية أكثر [illegible] الوسائط العلاجية جهاز مقلد التيار [illegible] لمعالجة مرضى اضطرابات الدورة الدموية والأمراض العضلية والعصبية.

وتتكون الأعضاء الكهربائية عند هذه الأسماك من عدد هائل من الألياف العضلية بسماكة ١٠ ميكرومتر للواحدة منها، يطلق عليها الصفائح الكهربائية «Electroplates» تولد الواحدة منها جهدا كهربائيا

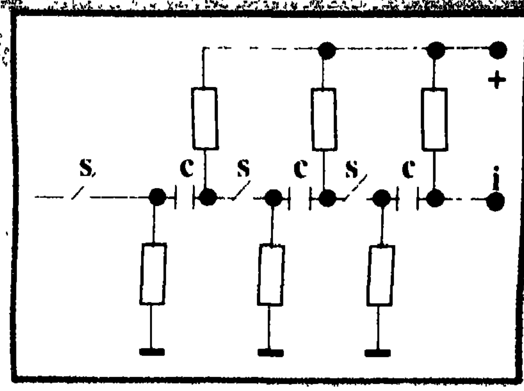


□ المعالجة الطبية الكهربائية باستخدام مقلد التيار.

حوالي ١٤ر٠ فولت، في حين تولد أسماك غايانرشوس Gymnarchus جهود تيار مستمر DC متقطع من «٣ ـ ١٠» فولت بتردد ٣٠٠ هرتز HZ، وتولد سمكة انقليس مكتملة النمو بطول مترين نبضات جهد عال حتى ٧ نبضات بتعاقب سريع فتعطي جهدا كهربائيا يصل إلى حوالي ٨٠٠ فولت بشدة ١ أمبير.

خلايا حية ورقائق صناعية

تتولد نبضات الجهد العالي على مرحلتين: المرحلة الأولى أشبه ما تكون بعملية شحن المدخرة الكهربائية، حيث تعبر الشوارد الكهربائية باستخدام الطاقة الكيميائية، عبر أغشية الصفائح الكهربائية «Electroplates» التي تشحن بتيار سالب نسبة للوسط المحيط، وفي المرحلة الثانية تتولد نتيجة تهيج الأعصاب



□ المبدأ الفني لتحويل الجهود بإضافة عدة جهود افرادية لعدد من المكثفات التي تشحن مسبقا على التوازي ثم تربط مع بعضها على التسلسل.

مفتاح = S
مكثفة = C
خرج نبضات جهد = i



□ المبدأ الطبيعي لتحويل الجهود نتيجة دمج عدة جهود افرادية حيث تربط أثناء عملية تهيج عصبي في آن واحد، عدة صفائح كهربائية مع بعضها على التسلسل.

نبضة جهد لكون جانب واحد فقط من الصفيحة الكهربائية قد أصبح في حالة عدم استقطاب «depolarization» بينما بقي هناك فرق كمون «Potential Difference» على الجانب الآخر للصفيحة، أثناء حالة اللا استقطاب تفتح آلاف المسامات في غشاء كل صفيحة كهربائية مما يسمح بعبور الشوارد السالبة دونما حاجة لطاقة كيميائية، من أجل تعادل الجهود تولد الأسماك الكهربائية تيارا عالي الشدة بربط آلاف المسامات في الصفيحة الكهربائية مع بعضها بالربط على التوازي ثم ربط عدة صفائح كهربائية مع بعضها على التوازي أيضا، من ناحية أخرى تتولد جهود كهربائية عالية بربط العديد من الصفائح الكهربائية على التسلسل تهيج جميعها في آن واحد جراء نبضات عصبية مشكلة بذلك تأثيرا موحدا لمجموع الجهود الإفرادية، يولد الانقليس الكهربائي جهدا يصل إلى ٧٠٠ فولت نتيجة ربط ٦٠٠٠ صفيحة كهربائية مع بعضها على التسلسل.

أما النظير التكنولوجي لهذه الصفائح الكهربائية المكونة من عدة آلاف من المسامات الغشائية القابلة للتحكم بها فهو الرقاقة الإلكترونية «Chips» من نوع سيموس «Sipmos» المكونة من عدد من خلايا الترانزيستورات بحدود ٦٠٠٠ واحدة ربطت على التوازي، وهذا النوع من التصميم يحافظ على قيم المقاومة «Resistance» في حدودها الدنيا، وعند الحاجة لمزيد من الطاقة يمكن الحصول على ذلك بربط عدد من الترانزيستورات «Sipmos» على التوازي، ونظرا لمعامل Coefficient درجة الحرارة السالب فإن هذه الطريقة تؤمن توزعا متساويا للتيار لجميع الترانزيستورات الإفرادية.

ونستخدم ترانزيستورات «Sipmos» للاستفادة منها عند الحاجة لتحويل الجهود الكهربائية أو التيار الكهربائي بسرعة ولكن بطاقة منخفضة، كما الحال بالنسبة لمحولات التيار المستمر، أو عند التحكم بالمحركات.

رائد في تحويل الجهود .. وموح بالاكتشافات

تتبع «تقنية» الأسماك في تحويل الجهود الخفيفة إلى جهود عالية في المدارات الإلكترونية المتطورة لتحويل الجهود باستخدام مكثفات Capacitors محولة Switched، ويعتمد الأسلوب المتبع أساسا على مبدأ إضافة الجهود الإفرادية لمكثفات شحنت مسبقا وربطت على التوازي في الوقت الذي تغلق فيه مدارات ترانزيستورات Mos، مع كل هذا وعلى الرغم من شدة تعقيد هذه الدوائر الإلكترونية إلا أننا نجد في الطبيعة مبدأ محولات الجهد المتطورة عند الأسماك الكهربائية البدائية.

وفي حقيقة الأمر فإن نعت هذه الأسماك بالبدائية لا ينفي عنها أنها صورة من صور المادة الحية التي تنطوي على أسرار تقنية لو تأملها العلماء والمكتشفون لتبينوا فيها حلولا عبقرية لمشكلات صناعية يواجهها إنسان نهاية القرن العشرين وما بعده، أي إنسان الزمن الذي يتضح فيه أن الحي أكثر دقة من المصنوع وأنه ينبغي أن يكون المثل الأعلى لتكنولوجيا القرن الحادي والعشرين.. قرن الانتباه إلى الآثار الجانبية المدمرة للبيئة المتخلفة عن الاندفاعات الخالية من التبصر لما كان يسمى بعصر الصناعة وعقود تقديس الآلة. □



الأرج

شعر : يعقوب السبيعي

حولّيني لنسمة وبنفسج
وعبير فوق الكويت توهّجْ
صيرّيني ببسمة منك قلبا
فوق ثلج خلف الشفاه تزلّجْ
حدّثيني بنصف حرف فعندي
ألف قلب بآخر النصف يلهجْ
لي حديثٌ سلس قبيل التلاقي
فإذا جئت .. يا لساني تلجلجْ
حين ألقاك ينتشي كل حي
ويصير الوجود أحلى وأبهجْ
يصبح العمر في حضورك أغنى
والثواني لديك أشهى وأنضجْ
لك يحتاج عالم وحياة
غير أني إليك أدنى وأحوجْ
حين تقسو الحياة فالحب منج
من أساها، وفي التواصل مخرجْ
إن دهرا قد خصّه الله منا
بغرامٍ، أضحى الزمانَ المتوّجْ

***

كان دربي إلى لقائك ورد
كيف أمسى في عودتي منك عوسجْ
يصغر العطر إن تطاول يوما
وأرى الورد في حضورك محرجْ
لا تخافي إذا التقينا بليل
إن قلبي حول انتظارك مسرجْ
أشعل الوجد قامتي لك شوقا
فأنا الآن طيب عود تأرّجْ
لو تلاقت عند السلام يدانا
كلّ جمر على يدي يتثلّجْ
كل خمر سوى رضابك زيف
كل حسن سوى جمالك بهرجْ
فاخبريني عن الأماني اللواتي
لم تزل في لقائنا .. تتبرجْ
تتمنى لنا اقترانا .. ولكن
ما عهدنا ملاتكا تتزوجْ □

فيديريكو فلليني (١٩٢٠ - ١٩٩٣)

ساحر السينما .. الذي غاب

بقلم: رءوف توفيق

ما من أحد أحب السينما.. متفرجا عاديا أو كاتبا فيلسوفا، أو ناقدا.. ممثلا أو مخرجا.. إلا ويحمل له ذكرى جميلة.. ربما مشهدا من أفلامه.. ربما موقفا.. عبارة قالها.. حنينه الدائم لأيام البراءة والمرح الصافي والفن الحقيقي الصادق، إصراره على ألا يترك بلاده مهما ضاقت به الظروف.

كان وداعه مهيبا.. وداعا يليق بالزعماء.. ولمَ لا؟ فهو المخرج "فيديريكو فيلليني" زعيم حقيقي في فن السينما، والذي توفي في نوفمبر الماضي. ذلك الذي سجل لتاريخ السينما الإيطالية المعاصرة علامات واضحة، واحتفظ لها بسمعتها ومكانتها العالمية، وحول أي فيلم يخرجه أو أي مشروع فيلم ينوي إخراجه.. إلى حدث فني وثقافي يتلقفه العالم باهتمام وفضول غير مسبوق!

ورغم أنه قضى ما يزيد على أربعين عاما في حقل الإخراج السينمائي (كان أول أفلامه الروائية عام ١٩٥٢ ـ فيلم "الشيخ الأبيض").. إلا أن أسلوبه في العمل ظل لغزا غير مكتشف حتى بالنسبة للممثلين والفنيين العاملين معه في الفيلم.. فهو يبدع ويبتكر من حين اللحظة التي يبدأ فيها العمل داخل الاستوديو، ولا يعتمد على أي سيناريو مكتوب، رغم أنه يعتمد دائما على اثنين من أشهر كتاب السيناريو في إيطاليا، إلا أن السيناريو الحقيقي للفيلم يتبلور أثناء العمل، وربما لا يتبقى من السيناريو المكتوب إلا هيكله الأساسي، أو مجرد الفكرة، وحتى الفكرة هي أصلا للمخرج "فيلليني" وهي دائما من رصيد تجاربه ومشاهداته في الحياة، وحركة المجتمع، فهو المراقب اليقظ، والمتأمل الواعي لأبسط الأفعال والأشكال.. قد يستثيره موقف عابر، أو شكل إنسان فيتوهج خياله، وتتوالى الصور في تدفق ساحر ومميز!.

منطق عدم الاحتراف

وفي أحد أحاديثه عن أسلوبه في العمل، والتي سجلها [illegible] في كتاب "قرن من السينما".. قال المخرج "فيلليني" في بساطة مذهلة: "أنا أصنع الأفلام لأنه يبدو لي أن كل شيء يدفعني بشكل طبيعي في هذا الاتجاه، حتى إنني أتذكر عندما دخلت الاستوديو لأول مرة كمخرج للفيلم، وفتحت فمي [illegible] في حلقي التي كنت [illegible] من قبل. [illegible] إنني لا أستطيع [illegible] من الأعراف التي قيل [illegible] والرغبة في الهرب [illegible] أن الفيلم هو [illegible]!

[illegible] على عشقه بمحبوبته بنفس مشاعر الحب الأول من الرهبة والتردد، حتى بعد أن وصل إلى سن السبعين. وأصبح عليه أن يبدأ تصوير فيلمه "صوت القمر" (آخر أفلامه التي عرضت في بدايات عام ١٩٩٠).. إذ قال: (بعد التورط في بدء التصوير، كانت حالتي مثل حالة عجوز يجلس متجمدا في برد الشتاء أمام البحر، لا يحميه من البرد سوى معطف وطاقية صوف، ولا يكف عن ترديد إمكانه العوم في البحيرة المتجمدة، ويؤكد لمن حوله أنه عازم على تنفيذ وعده، ولكن لا أحد يحاول أن يثنيه عن عزمه.. فيضطر أن يلقي بنفسه في الماء المتجمد)!.



□ المخرج فيلليني وزوجته الممثلة "جوليتا ماسينا" التي شاركته الحياة على مدى نصف قرن. ثم أصيب بانهيار عصبي حاد بعد وفاتها

ومنطق عدم الاحتراف الذي تعامل به "فيلليني" مع السينما هو الذي جنبه التورط في أعمال لا يحبها، وجنبه أيضا التكرار والاستسهال، وفي نفس الوقت احتفظ له بريقه وازدهار خياله، وسحر لغته الفنية، وتميز أسلوبه في الحكي السينمائي. مما أشاع حوله جوا من الاحترام والانتظار، والدهشة والمتعة أيضا.

ولقد استحق المخرج "فيلليني" خمس جوائز أوسكار، كانت الأولى عام ٥٧ عن فيلمه "الطريق"، والثانية عام ٥٨ عن فيلمه "ليالي كابيريا"، والثالثة عام ٦٤ عن فيلمه "٨,٥"، والرابعة عام ٧٥ عن فيلم "إني أتذكر".

أما الأوسكار الخامسة فقد نالها في احتفال خاص عام ٩٣ وكانت عن مجمل أعماله السينمائية، وقام بتسليم الجائزة له اثنان من أشهر نجوم السينما الإيطالية: صوفيا لورين، ومارشيللو ماستروياني.

وكان قد فاز عام ٦١ بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عن فيلمه «الحياة اللذيذة». وهذا السجل الحافل بالجوائز يتوارى أمام عدد الكتب والدراسات التي تناولت أفلامه وحياته، وعدد معاهد السينما في العالم التي تدرس أفلامه

روسيلليني .. الأب الروحي

والمثير أن «فيلليني» لم يدرس السينما في معهد أو جامعة. بل إنه لم يلتحق بأي دراسات عليا، فقد عاش فترة طفولة ومراهقة صعبة في قريته «رمين» التي ولد بها عام ١٩٢٠، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره انتقل إلى فلورنسا ثم إلى روما، وبدأ يشق طريقه كرسام كاريكاتير، ويكتب بعض القصص الهزلية، والاسكتشات للفرق المسرحية المتحولة، وكتب عديدا من التمثيليات الإذاعية ودخل السينما من باب كتابة القصة والسيناريو وكان هذا في عام ١٩٤١

لكن البداية الحقيقية للسينما كانت من خلال معرفته بالمخرج «روبرتو روسيلليني» (رائد الواقعية في السينما الإيطالية وصاحب المنهج الفكري والفني الذي أحيا السينما الإيطالية وأعطى لها هذا المذاق والمكانة الخاصة في السينما العالمية). التقى به «روسيلليني» واكتشف بداخله موهبة فريدة في التعبير عن أفكاره.. وطلب منه أن يعاونه في كتابة سيناريو فيلم «روما مدينة مفتوحة» ـ عرض هذا الفيلم عام ٤٥.. وكان وما زال له شأن كبير في تاريخ السينما.

ويقول فيلليني عن علاقته بالمخرج روسيلليني: «لقد ساعدني روسيلليني في الخروج من مرحلة ضبابية في حياتي، وأدخلني بثقة إلى عالم السينما الحقيقي، إنني أعترف بأبوته، فهو بمثابة الأب لكل جيلي من السينمائيين، وربما أهم ما تعلمته منه هو منهجه في التعامل مع الواقع، وأن الأفلام يمكن أن تصنع بلا خداع أو أفكار مزيفة وسطحية. علمني أن أنظر إلى أي شيء وإلى أي إنسان بعين متأملة، فيها الفهم والحب والبساطة. إنني مدين له بأعظم ما تعلمته منه.. وهو التواضع».

وعمل «فيلليني» كمساعد مخرج لروسيلليني، وبأكد له الدرس العظيم: «أن تروي ببساطة حقيقة ما رأيت».

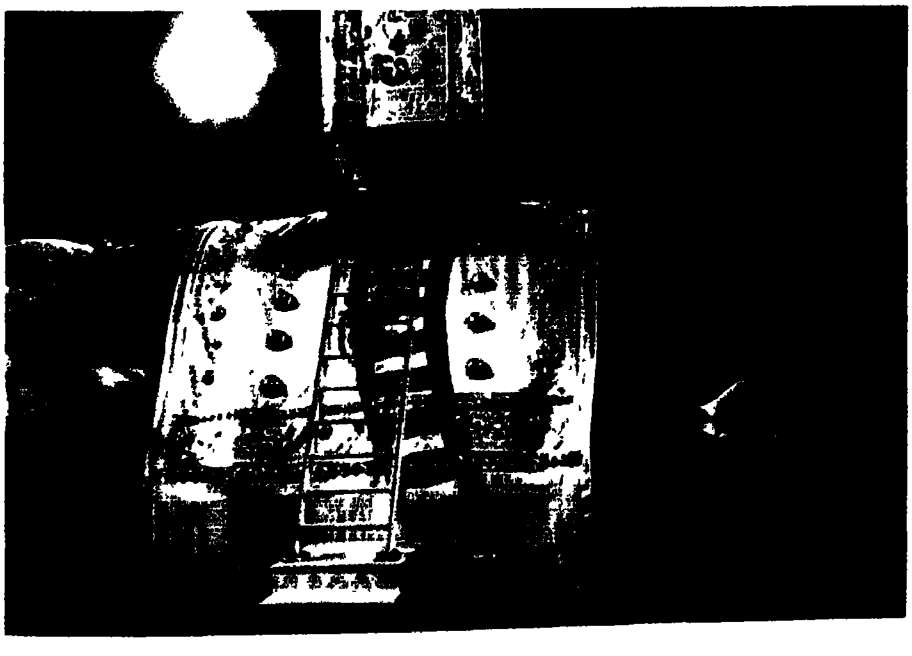
وأضاف «فيلليني» إلى هذا الدرس خبرته وموهبته كرسام كاريكاتير، فأصبح يرى الواقع بعين ساخرة لادعة لا تجرح، ولكن تثير التعاطف أحيانا، والضحك أحيانا أخرى.

وبهذا المنهج اختار فيلليني موضوعات وشخصيات أفلامه.

السحر الخاص

دارت غالبية أفلامه (٢٢ فيلما) من واقع تجارب وملاحظات شخصية.. ابتداء من رصيد ذكرياته

□ المخرج «فيلليني» على مقعده في الاستوديو، وأمامه نموذج مجسم لفيل بالحجم الطبيعي، استعدادا لتصوير أحد مشاهد فيلم «المقابلة».



وتأملاته لفترة طفولته ومراهقته والاكتشافات الأولى المثيرة في الحياة والمجتمع «أفلامه: الطريق ــ ٨,٥ ـ روما / فيللني ـ إني أتذكر». إلى رؤيته الخاصه للعالم وأفلامه. «الحياة اللذيذة ــ ساتيريكون ـ بروفة أوركسترا ـ مدينة النساء» إلى دفاعه المستميت عن فن السينما أمام حظر زحف التليفزيون التجاري وجشع المنتجين «وأفلامه الثلاثة الأخيرة: جينجر وفريد ـ المقابله ـ صوت القمر».

وهو بين كل هذا وذاك لا يقف موقف الواعظ المتشنج، أو الناصح بالحلول والإرشادات، أو المتشائم الكتب. وإنما يعطي فنه من خلال صورة سينمائية حداثة ومعشة للتأمل والبهجة، وهذا هو سحره الخاص. وقد سألوه ذات مرة لماذا لا يفصح عن الحلول التي يراها ممكنه لإصلاح مشكلات المجتمع، وأجاب ببساطته وسخريته: «كيف لي أن أقدم الحلول للآخرين. بينما لا أستطيع أنا شخصياً أن أجد الحلول لمشاكلي الخاصه»!

وقد رفض تماما طوال حياته أن يقدم تفسيرات محددة لأفلامه، وترك المهمة تماما لإحساس المتفرج ومدى استعداده للفهم دون مؤثرات أو ضغوط خارجيه، وفي نفس الوقت ترك النقاد والمحللين يقفون بالنقاش الطويل ــ وأحيانا المتصارع ــ حول مضمون الفيلم . وربما مضمون مشهد داخل الفيلم!

□ الممثل الإيطالي «مارشيللو ماستروياني» يصعد محمولا على رافعة ـ إحدى ألعاب المخرج «فيلليني» في فيلم «المقابلة»



كما حدث حول المشهد الأخير في فيلمه «روما ـ فيلليني» حيث تخرج من رحم الظلام مجموعة ضخمة من الشباب يرتدون الأقنعة والقبعات الحديدية ويتقدمون في تشكيل ضخم على الموتوسيكلات يزأر في صوت رهيب، يعبر شوارع روما الخالية ليلا، والطابور المقتحم يعبر أهم المعالم التاريخية في روما، وتبدو أشهر التماثيل مائلة وكأنها في حالة فزع، بينما القوه الغامضة تدهم المدينة وتمزق الصمت، لينتهي الفيلم، وتتفجر التساؤلات عن المقصود بهذه القوة الغامضة، أو هذه الجياد الحديدية، هل هي نبوءة بقوة مدمرة تكتسح كل شيء.. أم هي قوة من الثوار للتحرير والإصلاح، أم هي مجرد تنبيه لغضب الشباب وضياعهم بين تاريخ معروض للسائحين وواقع ممزق بين القوى السياسية وأصحاب المصالح، ومستقبل مجهول؟!.

ونفس الشيء حدث بعد عرض فيلمه «بروفة أوركسترا» ذلك الفيلم القصير الحاد، الذي يستعرض فيه فيلليني مجموعة من العارفين في فرقة موسيقية أثناء أحد التدريبات في قاعة قديمة توحي بأن لها أصلا تاريخيا، العازفون كل منهم مع آلته وفي عالمه الخاص، بنماذج متناقضة وصارخة في سلوكها، ثم يصل المايسترو وهو ألماني الجنسية، يحاول أن ينسق بين العارفين وتبدأ البروفة ولكن سرعان ما تنقطع مع دخول أحد العمال النقابيين ليصرخ في هتاف متشنج بضرورة تطبيق قرارات النقابة، وينقلب المكان رأسا على عقب، مناقشات صارخة.. وشعارات تكتب على الجدران.. ومشاجرات عصبية. وفجأة يسود الصمت والفزع عندما تصطدم كرة حديدية ضخمة تستخدم في هدم المساكن القديمة بأحد جدران هذه القاعة، يملأ الغبار المكان، ويسيطر القلق والخوف مع صوت المايسترو وهو يأمر بلهجة حادة أن تبدأ البروفة، وينضبط العازفون مع آلاتهم، وينطلق صوت الموسيقى وينتهي الفيلم..

اصمتوا.. لكي تفهموا

وقد أثار هذا الفيلم ـ ولا يزال ــ العديد من الاستنتاجات والتساؤلات: هل المقصود بالفيلم التعبير عن الفوضى التي تسود إيطاليا ما بين الأحزاب والمصالح الشخصية؟ هل الفيلم دعوة إلى

النظام؟ أم أنه تحذير من خطر الحكم الاستبدادي الذي يمثله النداء الأخير في الفيلم بنبرة نازية حادة؟!.

ولعل أكثر أفلام «فيلليني» وضوحا بالنسبة للمتفرج، وتحمل في نفس الوقت دلالات عميقة، هي أفلامه الثلاثة الأخيرة التي يشها حين حارف إلى زمن الفن الحقيقي في السينما والذي تهدد مع هجوم التليفزيون التجاري وسيطرته على المشاهدين وأذواقهم وقدرتهم أيضا على التأمل والتذوق..

ففي فيلم «جينجر وفريد» يعرض لنا حالة اثنين من الراقصين تقدم بهما العمر.. يلتقيان في إحدى مسابقات برامج المنوعات في التليفزيون. يتذكران أيام زمان وأمجادهما وينتظران دورهما الآن في هذه المسابقة ومع كل لحظة يتأكد لهما الإحساس بالمهانة والتجريح وسط هذا الغوغاء الصاخب وسخرية وإهمال مخرج البرنامج ومذيعه السوقي في تلميحاته وحركاته الفجة التي تضحك المشاهدين، إنه زمان ليس زمانهما.

ثم كان فيلمه «المقابلة» والذي يظهر فيه «فيلليني» كمخرج يستقبل مذيعة يابانية جاءت تصور برنامجا عنه أثناء العمل، ومن خلال الفيلم يستعرض فيلليني جو العمل في الاستوديو، وعلاقاته الحميمة مع الفنيين والعمال، في مقابل جشع وغباء أحد المنتجين الذين لا يهمهم نوع الفن بقدر ما تشغلهم حسابات الأرباح وضغط التكاليف وسرعة إنجاز العمل (هي أكبر هموم فيلليني الشخصية بعد تدهور حال السينما وسيطرة الفيلم التجاري) ثم يتصور فيلليني غزوا قادما في اتجاه موقع التصوير. والغزو من إحدى قبائل الهنود الحمر وقد استبدلت سهامها، بهوائيات التليفزيون في إشارة واضحة لهجوم التليفزيون على السينما!.

وهو نفس المعنى الذي جسده أيضا فيلليني في فيلمه الأخير «صوت القمر» من خلال ذلك الشاب الذي يهدد أهل القرية بأنه سينزع كل هوائيات التليفزيون، ليتخلص من الضوضاء، ولكن لا أحد يصدقه، حتى تستيقظ القرية ذات صباح لتجد جميع هوائيات التليفزيون قد تم نزعها، وألقيت وسط ساحة القرية!.



□ لقطة نادرة عمرها يزيد على ثلاثين عاما تجمع بين المخرج فيلليني والممثلة أنيتا أكبرج والممثل ماستروياني أثناء تصوير فيلم «الحياة اللذيذة»

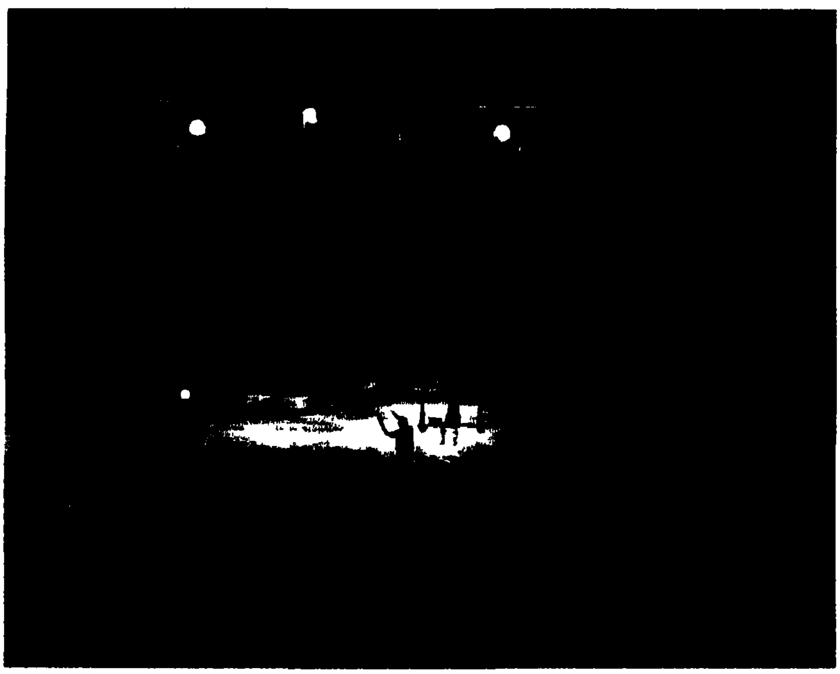
وقد حاول «فيلليني» أن يجدد رسالته بوضوح في آخر أفلامه.. دعوة للصمت (اصمتوا لتسمعوا صوت القمر.. وحاولوا أن تفهموا شيئا).

لقد طغى الضجيج والأصوات العالية الجوفاء، ولم يعد أحد بقادر على التذوق والتأمل والفهم.

وتحت إلحاح الرغبة في توصيل هذه الرسالة لجأ «فيلليني» للمرة الثانية في حياته الفنية ـ بعد فيلم ساتيريكون (عام ٦٩) ـ إلى أن يستعين بعمل روائي مكتوب ليأخذ منه الخيط الذي يغزل به فيلمه، كانت الرواية للكاتب الإيطالي «أرمانو كافاروني» بعنوان «قصيدة القمر».

ومن فرط حماسه ـ أيضا ـ لإبلاغ هذه الرسالة.. ترك لأول مرة بيته الفني ـ ستوديوهات شينشيتا (مدينة السينما الإيطالية) ـ وبالتحديد ستوديو رقم خمسة ليخرج إلى ساحة قرية حقيقية ليصور بها أحداث فيلمه، وتحولت ساحة القرية إلى ساحة سيرك يقدم فيها ألعابه المفضلة وسط الطبيعة، وتغير ساعات النهار والليل، وتبدل الجو من الصفاء إلى العواصف وتجمع السحب، لقد كان يريد أن يكون القمر حقيقيا وليس مرسوما على ستائر الديكور!.

وهو الذي صنع كل أفلامه داخل ستوديو شينشيتا، وسخر الديكور ليلبي رغباته التي كانت تبدو مستحيلة، فقد بنى داخل الاستوديو ديكورات روما القديمة في فيلم «ساتيريكون» وبنى قصورا وردهات من القرن الثامن عشر في فيلم «كازانوفا».. وصنع سفينة ضخمة وصنع أيضا البحر والأمواج والأفق في فيلم «السفينة تبحر» وصنع ديكور قطار وأنفاق في فيلم «مدينة النساء».. بل صنع نماذج من الأفيال والخراتيت بالحجم الطبيعي في فيلم «المقابلة».



□ لقطة من فيلم «المقابلة» حيث يؤكد «فيلليني» على براعة مهندس المناظر والديكور في خلق الإيحاء بأن التصوير يتم في أماكن طبيعية، بينما في الحقيقة يتم داخل الاستوديو. وهنا الرسام يضع لمساته على ستارة ضخمة تعبر عن الأفق والسماء!

حسد في الاستوديو كل تخيلاته رغم غرابتها وصعوبة تنفيذها، ولكن العمال والفنيين في الاستوديو ـ وخصوصا الذين رافقوه منذ بدايات أفلامه ـ استجابوا له في حب وإخلاص بلا حدود، ورد لهم بعض التحية وهو يشير إلى معجزاتهم الفنية وكشف بعض أسرارها في فيلم «المقابلة».

ولهذا لم يكن غريبا أن يخيم الحزن والقلق على الاستوديو مع الأخبار التي تناقلت تدهور صحته، ثم كانت الفجيعة الكاملة لهم عندما أعلن عن وفاته، لقد كانوا يعتبرون أيام العمل معه ـ رغم كل مشاقها ـ من أجمل أيام حياتهم، وظلوا يحلمون معه بمشروع فيلمه الجديد الذي كان يفكر فيه بعنوان «فينسيا ـ فيلليني» على غرار «روما ـ فيلليني».

ولكن طال انتظارهم لشهور وسنوات.. حتى أسدل الستار تماما على الحلم!.

سنوات طويلة .. بلا عمل

والغريب حقا أنه رغم مكانة وشهرة فيلليني، إلا أنه لم يستطع طوال السنوات الأربع الأخيرة أن يجد تمويلا لفيلمه الجديد. كانت الأعذار المطروحة والمعروفة مسبقا: أن فيلليني باهظ التكاليف، مخرج مدلل لا يراعي ظروف الأزمة التي تمر بها السينما الإيطالية، مخرج لا يقبل المناقشة أو التنازل عن أفكاره المجنونة!.

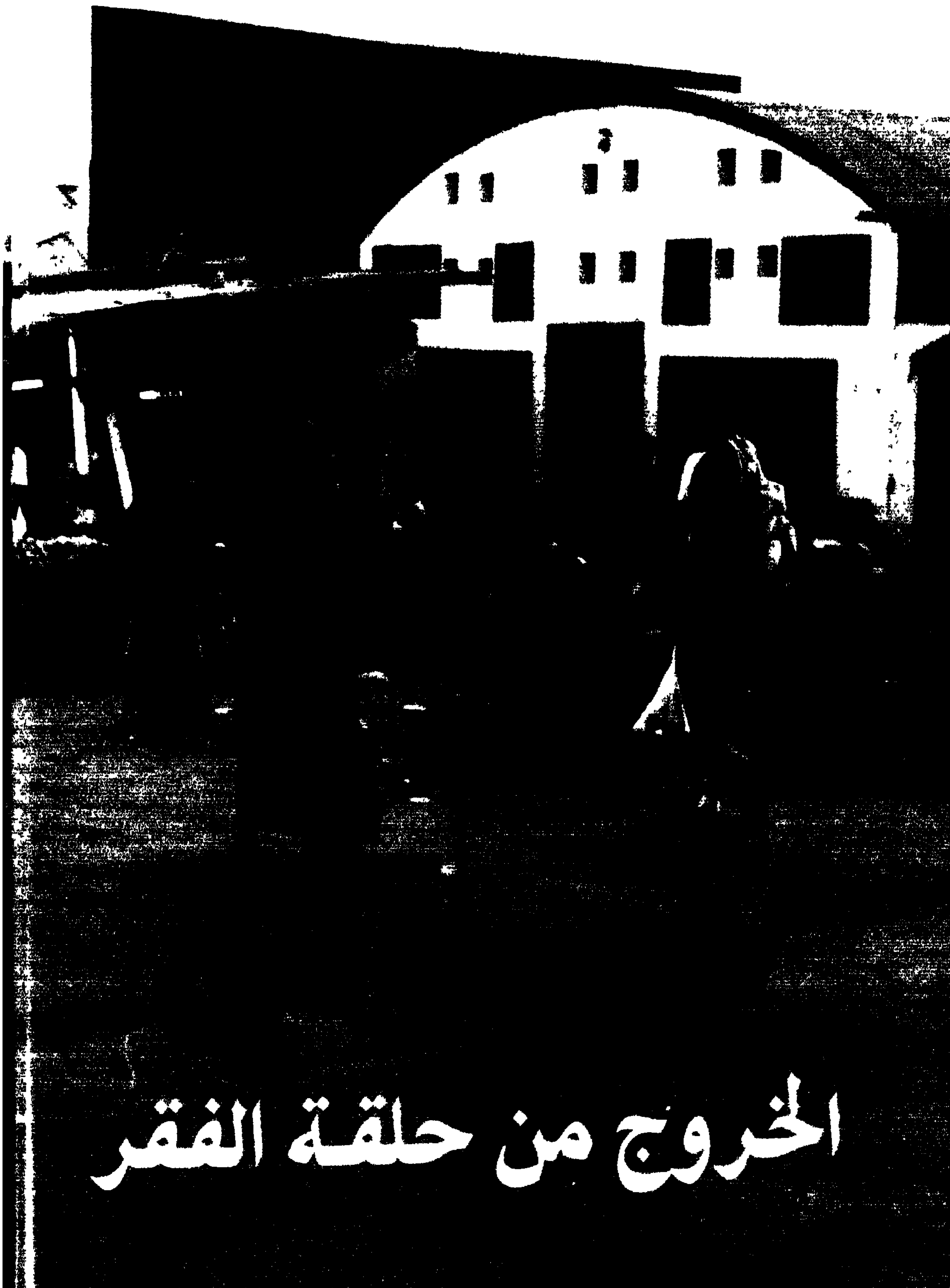
وقد قاسى فيلليني كثيرا من هذه العقبات التي وقفت في طريق تحقيق أفلامه، ولكنه كان دائما يجد وسيلة في النهاية من خلال أصدقائه، أو من خلال التعاون مع التليفزيون الإيطالي ولكنه أبدا لم يوافق على أن يترك بلاده ويرحل إلى أمريكا ـ رغم سخاء العروض ـ ولم يوافق أبدا أن يخرج فيلما بغير اللغة الإيطالية، حاولوا معه كثيرا أن يفعل ما يريد داخل إيطاليا ولكن أن يتحدث أبطاله باللغة الإنجليزية لسهولة التوزيع الخارجي.. ورفض بشكل قاطع!.

وقد عبر عن موقفه هذا .. بقوله: «إنني سعيد لأن حريتي في أن أفعل ما أريد لم تقهر قط، ربما كلفني هذا كثيرا من العناء والصبر، ولكني لم أتنازل أبدا عن أي شيء، ولا حتى لقطة واحدة من أفلامي، علينا فقط أن نعرف ماذا نريد، لكي نكون صادقين مع أنفسنا إلى أقصى حد».

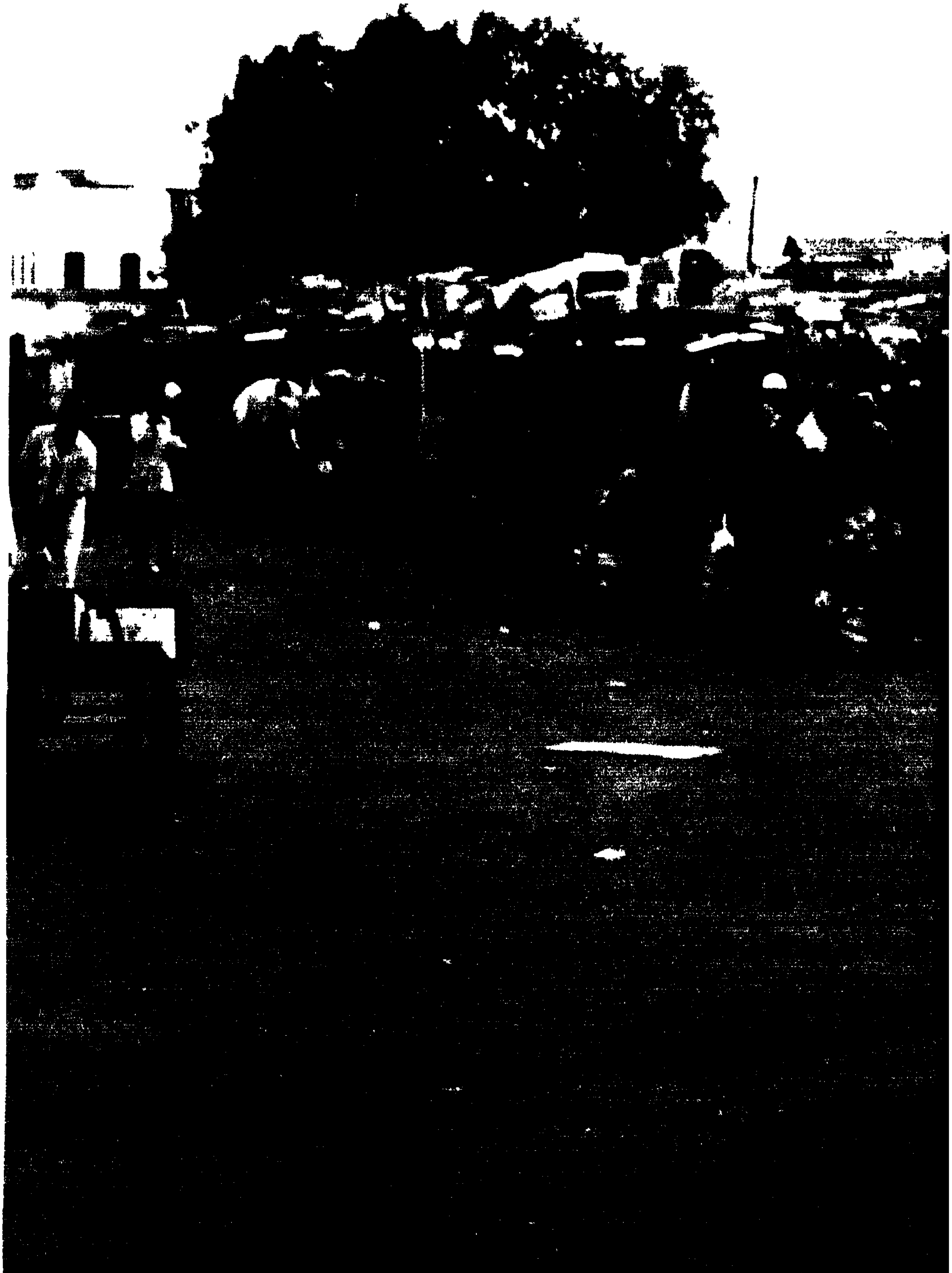
انتهى الساحر .. وانتهت ألعابه.

وبقي عشاقه وتلاميذه يسترجعون ما فعل.. وما قال.. ويواصلون المشوار. □

العربي
عيونك
على العالم



استطـــــــلاع : صـــــادق يـــلي
تصـــــوير : حســـــين لاري



في البداية كان الأمر غامضا لدينا، حين كُلفنا «أنا وزميلي المصور» بإنجاز هذا الاستطلاع، فمعلوماتنا عن هذا البلد العربي الإفريقي لم تزد عما أوردته الكتب المدرسية وبعض الدوريات القليلة التي تتناوله بجمل مقتضبة ضمن ما يرد بها عن الدول العربية، أو الإسلامية أو حتى الإفريقية.

كان الأمر غامضا لنا، ولعل هذا الغموض هو ما حفز روح المغامرة ودفعنا إلى ما يشبه الكشف عن مجهول ما كان ينبغي أن يظل بعيدا عن الذهن والقلب أيضا.

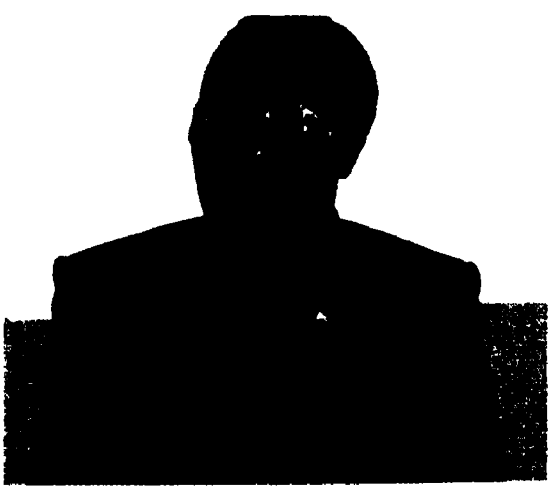
.. في الطائرة التي أقلتنا إلى العاصمة واسمها هو نفس اسم الدولة، ظللت أبحث عما يفك تلك الطلاسم التي لا تزال عالقة، التفت يمينا ويسارا لأرى ما يساعدني على إزاحة تلك الغلالات الضبابية عن بلد سأطأ ترابه بعد ساعات للمرة الأولى، دون أن أجد في النشرات الدعائية ما أريد والتي لا تهتم سوى بإيراد أرقام تكتظ ولا تنتهي عن حجم الإنجازات وتعددها في كل المحالات، بحثت عن بشر أتكلم معهم لغتنا «العربية» المشتركة، فلم يصل إلى أذني إلا أحاديث متقطعة بالفرنسية، وبلغة أخرى لم أكن أعلم عنها شيئا قبل أن أصل وزميلي المصور إلى مطار العاصمة لتصافحنا وجوه سمراء نحيفة، تمتزج فيها السماحة ببراءة وود نادرين.

كل شيء يتغير

.. في الطريق إلى الفندق علم سائق التاكسي أننا عرب، فأخذ يحدثنا بلغتنا، ولما سألنا إن كانت هي المرة الأولى التي نزور فيها بلاده، وأجبناه: نعم، تطوع بسرد كل ما طرأ على ذهنه وتفسير كل ما مررنا به من طرق وبنايات وأماكن حكومية وأحياء شعبية وأخرى لكبار القوم، هذا شارع «نيلسون مانديلا» وكان اسمه في السابق شارع «الأمبولي» وهو شارع مشهور جدا هنا، فهو المكان الذي تعبره سيارة أوراق «القات» تحيط بها حراسة مشددة، قادمة من مطار جيبوتي بعد أن تحمل الكمية التي ترد إلى البلاد يوميا في الواحدة ظهرا قادمة من إثيوبيا. وهذا شارع حميد لويكا الذي كان اسمه سابقا شارع العيسى، وهذه هي المحكمة الشرعية التي تقع بشارع عبدالله جديد وكان يسمى في السابق شارع «العفارين».. استطرد السائق: «ألا ترى إذن أن كل شيء في جيبوتي قد تغير».

.. لم أفهم تحديدا أي تغير يقصد، فالذي أراه أمامي للوهلة الأولى يبدو متواطئا بشدة مع الماضي، ذلك ما يمكن لأي زائر أن يخرج به من انطباعات، فكل هذه الشوارع التي مررنا بها والتي تعمد سائق التاكسي - ربما - أن يمر بنا خلالها لنلمس ما أسماه تغيرا، كان العادي فيها صارخا، و«الحديث» لا يكاد يرى فيه القادم من بلاد أخرى أية مسحة لحداثة، ينطبق هذا على الشوارع وينطبق أيضا على بعض الأحياء التي وصلت أسماؤها لأسماعنا منه، ومنها حي «هرون» الذي يقال إنه كان سكنا لرؤساء دول منظمة «آجاد» وتعني منظمة التنمية ومكافحة الجفاف والتي تشكلت من الدول الست المتجاورة «إثيوبيا، كينيا، أوغندا، جيبوتي، الصومال، السودان»، وهو الحي الذي تحول اسمه فيما بعد إلى حي «آجاد» وبعده أخذت عدة طرق أخرى أسماء عواصم دول تلك المنظمة فحملت أسماء «كمبالا، مقديشيو، أديس أبابا، نيروبي، الخرطوم».

ما استوقفنا حقا هو منظر شرطة المرور النسائية بملابسها الرسمية وهن واقفات على تقاطعات الشوارع الرئيسية يضبطن حركة السير بكفاءة عالية، وباحترام شديد من قائدي السيارات والعابرين باتجاه

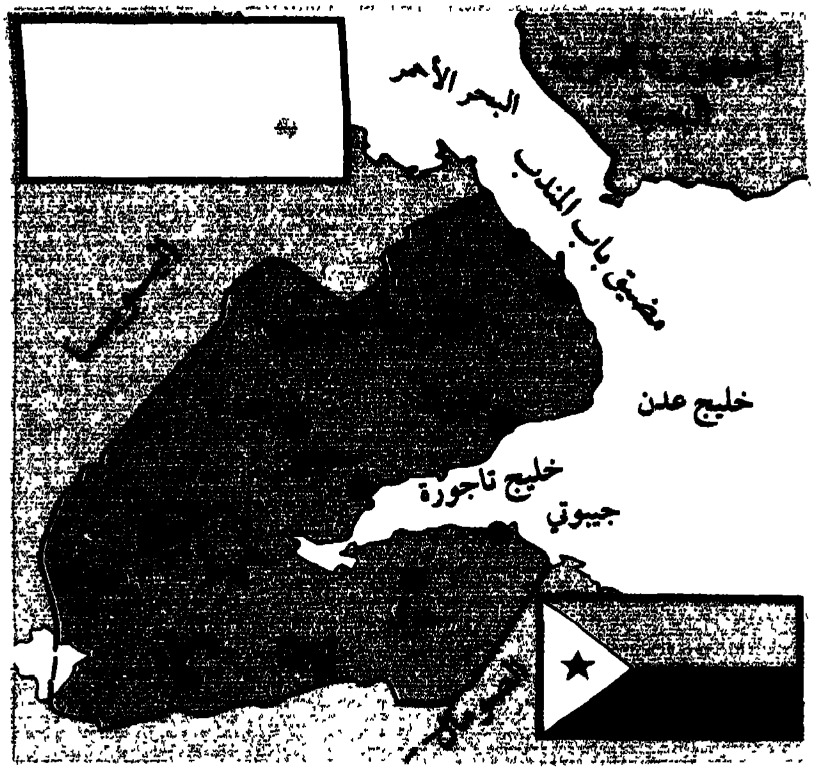


□ وزير الميناء والشئون البحرية موسى روبلي

الخطوط الأرضية وهو ما دفعنا لقراءة «جيبوتي» بعيون أخرى.

بداية الغزو

وهو أيضا ما جعلنا نبحث عن قصة هذا الشعب منذ حمل هويته الوطنية، وهذه القصة تبدأ من ذلك الموقع الاستراتيجي الذي وجدت جيبوتي نفسها تحتله، والذي ألقى بها على عرض المحيط الهندي لتكون بمثابة مفترق



□ خريطة تبين موقع جيبوتي الهام على مضيق باب المندب.

العاصمة: جيبوتي وعدد سكانها (١٩٨٢) ٢٠٠,٠٠٠ نسمة.

الموقع الجغرافي: على الساحل الشرقي لإفريقيا، تجاورها إثيوبيا من الشمال ومن الغرب، والصومال من الجنوب

المساحة: ٢٣,٢٠٠ كلم٢

عدد السكان. (تقدير ١٩٩٠) ٥٣٠,٠٠٠ نسمة.

الدخل القومي الإجمالي: (١٩٨٩) ٢١٦ مليون دولار

متوسط دخل الفرد: (١٩٨٩) ٤٧٥ دولارا

العملة المتداولة: فرنك جيبوتي

حيوي، وهو ما دفع الآخرين للانتباه إلى أهمية ذلك البلد، وتوجيه الأطماع بالتالي نحوه. وهكذا في صباح أحد أيام العام ١٨٨٩ حط القائد الروسي أتشينوف ومعه ١٥٠ من الجنود القوزاق رحالهم في شاطىء خليج «تاجورة»، بعد أن أوصلتهم إحدى السفن الحربية إلى هناك ومعهم بعض الكهنة الروس بهدف إقامة صلة ما بين الإمبراطوريتين المسيحيتين في كل من الحبشة وروسيا، وعندما نزل القوزاق إلى الشاطىء واحتلوا على الفور حصن «سجالو» ثم فرضوا إتاوة على قوافل «العفارين» المارة هناك، كاد حادث دبلوماسي خطير أن يقع، إذ وجه المفوض الفرنسي ـ وكانت جيبوتي قد خضعت لتوها لإدارة فرنسية مستحدثة ـ إنذارين لإخلاء المكان من القوزاق بزعامة قائدهم أوتشينوف مما دعا قيصر روسيا لتقديم اعتذار رسمي عن هذه الحملة التي ما لبثت أن ارتدت على جناح السرعة نحو بحر البلطيق.

لكن التاريخ لا يبدأ من هذه الحادثة وإن كانت إحدى علاماته الفارقة في العصر الحديث، ففي الزمن الأكثر قدما كانت ملكة مصر الفرعونية حتشبسوت توجه حملتها في العام ١٥٠٠ قبل الميلاد إلى بلاد «بونت» (وتشمل جيبوتي) بحثا عن العطور، وفي الزمن الأقل قدما تكونت أول دولة إسلامية في المنطقة «الشاو» بقلب إثيوبيا الحالية وتحديدا من عام ٨٩٠ وحتى ٩٠٠ بعد الميلاد.

وهي ليست الدولة الإسلامية الوحيدة، فمنذ وصل الإسلام إلى جيبوتي في عام ٦٣٠ ميلادية، كانت مملكة «إيفات» الإسلامية تجمع الأقاليم الممتدة من «زيلع» في الصومال شرقا حتى «شلوا» في الحبشة، ومن القرن الرابع عشر حتى السادس عشر قامت وتطورت ممالك أخرى باسم الإسلام، وكانت القرون الثلاثة الواقعة بين ١٣٠٠ وحتى ١٦٠٠ قد شهدت نشوء وانحلال أكبر مملكة إسلامية في ذلك الوقت، وكان عام ١٥٤٣ قد شهد موت الفاتح الصومالي أحمد إبراهيم الغازي الذي اشتهر بكنيته «الأشول» تاركا مع موته بداية تحلل دولة إسلامية كبيرة كان قد رفع لواءها في تلك المنطقة.

وتميزت القرون التالية بسيطرة العثمانيين على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي والدول الإفريقية لدرجة أن القائد العثماني «سليمان العظيم» استطاع أن يسيطر على مضيق باب المندب في ذلك الوقت محولا البحر الأحمر إلى بحيرة خاضعة لنفوذه التام، وقد ظل الأمر على هذا الحال إلى أن دخل نابليون بونابرت إلى مصر مع بداية القرن التاسع عشر، وعندئذ بدأ الأوربيون في طرح ما أسموه المسألة الشرقية، وفي عام ١٨٣٩ احتل الإنجليز عدن



□ «أعلى» صناعة الأطباق والسلال من القش الملون من الحرف التي في جيبوتي «وأسفل» السيدة كلثوم ميعاد رئيسة الاتحاد النسائي.



فلجأت فرنسا على الفور إلى البحث عما يحقق لها التوازن أمام الحضور الإنجليزي هناك، فكان أن وقعت اتفاقية تحالف وصداقة في العام ١٨٦٢ مع سلاطين «العفار» إحدى القبيلتين الرئيسيتين في جيبوتي تخلى فيها العفار عن حقوقهم في ميناء «أوبوك» داخل مضيق باب المندب، مقابل ١٠ آلاف تالر، وهي عملة قديمة عبارة عن قطعة مسكوك عليها صورة ماري تريز النمساوية، وقد أعطيت هذه العملة بعد تحريف في حروفها اسم «الدولار» فيما بعد. وفي الفترة الواقعة بين عامي «١٨٨٤ ـ ١٨٨٥» دخلت إيطاليا إلى حلبة الصراع على هذه المنطقة، فاتفقت الدول الأوربية الثلاث فرنسا، إيطاليا، إنجلترا على اقتسامها بينها، فصارت زيلع وبربرة من نصيب إنجلترا، ومصوع وعصب من نصيب إيطاليا، وأوبوك وتاجورة من نصيب فرنسا

افتتاح المدينة

أما في العام ١٨٨٨ وتحديدا في مارس منه، فقد أعلنت فرنسا رسميا عن افتتاح مدينة جيبوتي وعينت برهان أبوبكر كباي حاكما لها، ولم تكن تلك البلدة تحتوي إلا على سوق واحد في ميدان «مليك» (ميدان ٢٧ يوليو حاليا). وبعد الحرب العالمية بدأت جيبوتي تأخذ ملامحها كمدينة كبيرة ذات مرافق مهمة إلى أن كان إعلان الحرب الفرنسية الإيطالية بمثابة نكبة على المدينة، إذ إنه أخضعها إلى محنة مرعبة عانت خلالها من آثار الحصار، وقد عم الجوع فيه بعد أن أغلق الميناء وخط السكة الحديد.

ظل الحال كما هو إلى أن وصل إلى نقطة تحول مهمة في أغسطس ١٩٦٦، إذ انفجر الغضب الشعبي مهددا زيارة الجنرال ديجول رئيس الدولة الفرنسية لجيبوتي، وبعد استفتاء ١٩٦٧ تغير اسم «الصومال الفرنسي» إلى «الأراضي الفرنسية للعفار والعيسى»، وفي العام ١٩٧٥ تجمعت المعارضة تحت راية: «الرابطة من أجل الحصول على الاستقلال»، إلى أن استطاعت في ٢٧ يونيو ١٩٧٧ الحصول على استقلال بلادها وامتلاك مصيرها بيديها

قراءة في الجغرافيا

.. تقع جمهورية جيبوتي في منتصف المسافة بين خط الاستواء ومدار السرطان، ويعود مصدر أهميتها إلى موقعها الاستراتيجي، فهي تقع عند مصب البحر الأحمر

□ تحرص المرأة الجيبوتية
على اقتناء الملابس ذات
الألوان الزاهية





□ ميناء جيبوتي أحد البنى الأساسية لموارد البلاد الاقتصادية، وسفينة تفرغ حمولتها على رصيف الميناء

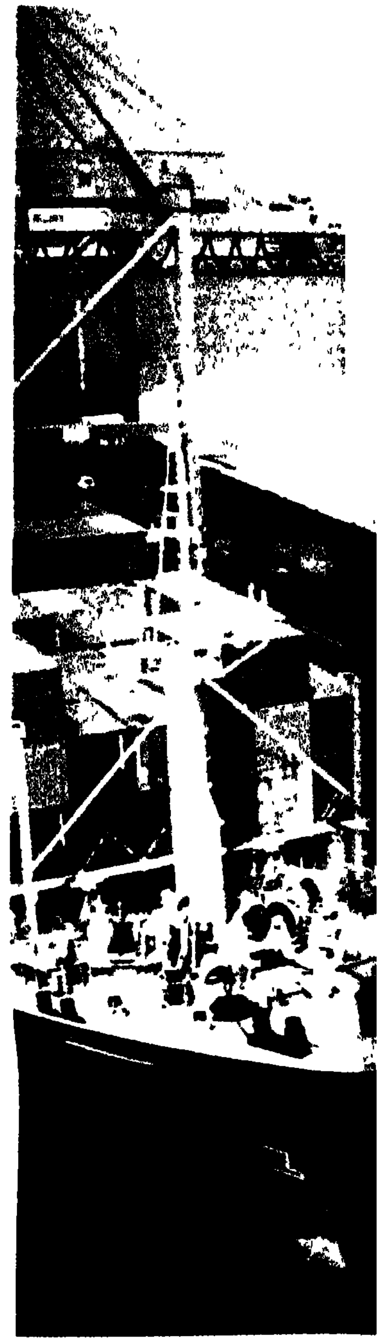
وخليج عدن أي بين السويس والشرق الأقصى، وتمتد حدودها التي تتجاور مع إريتريا وإثيوبيا والصومال نحو ٣٠٠ كيلومتر إلى الغرب والجنوب على الحدود الإثيوبية وإلى الشمال مع حدود إريتريا، وتمس حدودها من الجنوب والشرق الصومال، وتمتد شواطئها ٣٧٠ كيلومترا من رأس دوميرا في الشمال إلى قرية لوي عدي في الجنوب وتبلغ مساحة أراضي جيبوتي حوالي ٢٣ ألف كيلومتر مربع، وهي تقع لسوء الحظ أو لحسنه في قلب منطقة انهيار أرضي يمتد من البحر الأحمر حتى مرتفعات الحبشة والصومال، ويغدق عليها بما يسببه من تحولات في تضاريس الأرض ذات الأصل البركاني، بثروات معدنية كثيرة، وإلى جانب الطبيعة القلقة للأرض تتميز جيبوتي بجبال شديدة الارتفاع، ففي شمالها يوجد جبل موسى البالغ ارتفاعه ٢٠٢٠ مترا وبطول خليج تاجور تبدو للناظر من بعيد سلسلة جبال جودا التي يبلغ ارتفاعها ١٧٥٠ مترا، ثم مرتفعات مبلا الواقعة في غا



□ قدّم الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية عدة قروض لتحسين خدمات الشحن والتفريغ في ميناء جيبوتي



□ سكك حديد جيبوتي - أديس أبابا هي الوسيلة الوحيدة لتزويد إثيوبيا بكل ما تحتاجه من بضائع ومواد متنوعة



الداي القديمة وطولها ١٣٨٠ مترا وهي منطقة جميلة للغاية تكسوها خضرة مستديمة طوال العام.

أما في الجنوب فيبدو الأمر مختلفا تماما، حيث تسود السهول المنتظمة والتي تحمل أسماء «جاجادا، حنلة، وجوباد». وفي الغرب، تعتبر قبة الخراب، منذ فترة، بمثابة المكان الأكثر أهمية لكل الباحثين الذين يعملون في مجال علوم الأرض، خاصة هؤلاء الذين يهتمون بمتابعة حركات الكوكب الأرضي.

بدأ هذا الاهتمام يأخذ منحى جادا عقب رصد أكثر من ٨٠٠ هزة أرضية بالمنطقة كانت من الدرجة الخفيفة، ثم ازداد الأمر بوقوع انفجار بركاني هائل في ٨ نوفمبر ١٩٨٥ شعر به سكان جيبوتي التي تبعد حوالي ٨٠ كيلومترا عن موقع الانفجار.

كان وميض هذا الانفجار بمثابة الحافز للأخصائيين الفرنسيين والجيبوتيين الذين يعملون في المحطة الجيوفيزيائية للمعهد العالي للدراسات



□ رقصة «سجلو» من أشهر الرقصات التقليدية التي تؤديها الفتيات في مدينة «تاجورا»

والأبحاث العلمية والتكنولوجية بمنطقة «عرتة» لفتح صفحة مهمة في كتاب المعرفة.

طفاوة القارات

وعلى الفور قام عالم البراكين هارون تازييف بتأسيس شبكة بتكلفة باهظة لرصد الزلازل وتقدير زوايا مساحات الأرض في منطقة بحيرة «عسل» في قلب الأخدود الكبير بمنطقة العفار وذلك بهدف التحقق من الفرضيات الجيوفيزيائية حول «طفاوة القارات» وهي النظرية التي تقول بأن القارات تطفو فوق سطح جسم لزج، وذلك بعد أن أعرب عن دهشته من إمكان حدوث البركان الذي أسماه «أرض قوبة» في المكان الأكثر ارتفاعا على الخريطة الطبوغرافية. والأمر عند تازييف لم يكن مجرد فوهة بركان بلغت الحمم التي ألقتها خلال أسبوع واحد ١٦ مليونا من الأمتار المكعبة غطت مساحة تقرب من ٦ر١ كيلومتر مربع بعد أن قذفتها نافورات متوهجة في درجة حرارة تصل إلى ١١٠٠ درجة مئوية، بل كان يتعلق ببداية تكون محيط لم يكن بركان «أرض قوبة» إلا تمهيدا له، فهذا المجموع المكون من منخفض العفار، البحر الأحمر، ومضيق خليج عدن يشكل وفقا لعلماء الجيولوجيا، محيطا في حالة صيرورة هو المحيط «الإريتري» ليس له من العمر سوى ٢٥ مليون سنة كما يقول العلماء، و٥٠٠ كيلومتر مربع من الاتساع، لكنه خلال ٢٠٠ مليون سنة سيكون عريضا مشابها لشقيقه الأكبر المحيط الأطلسي.

ما أكد صدق نبوءة العالم تازييف هو ذلك الشق الأرضي الذي أحدثه الانفجار، إذ انفتحت فجوات ضخمة مؤدية إلى توسيعه في دفعة واحدة حوالي متر ونصف، وتبعا لذلك انزاحت ركيزة القارة الإفريقية بمجملها بنفس المسافة. وقد نشأ هذا الانشقاق الإفريقي الكبير عبر تصدع حدث بفضل هزة أرضية وتراكمات بركانية شملت ٦٥٠٠ كيلومتر ابتداء من سواحل جيبوتي ومرورا بالمنطقة الأكثر ارتفاعا في تركيا وحتى التصدعات الشاغرة للقشرة الأرضية في موزمبيق، ونتيجة لهذه الهزات الأرضية الخفيفة التي تتعرض لها جيبوتي يمكن تفسير هذا التحرك البطيء



القفطي المذهب من الحلي التقليدية التي تتزين بها الفتاة الجيبوتية في المواسم والأعياد



□ رقصة تقليدية لفتيات قبيلة عيسى يصاحبها في العادة الطبل والغناء والضرب على الأكف

حدا لسطح إفريقيا والجزيرة العربية والذي يصل إلى ٢ سم في المتوسط بالعام. المدهش حقا في هذا الأمر هو أن علماء الجيولوجيا من العالم بأسره يتلاقون في آخر هذه الصحراء العجيبة، لمتابعة هذا المفترق الكبير للقشرة الأرضية، وكأنهم في محراب، إذ إن نشاطات الانشقاقات المحيطية تظهر بصورة رئيسية تحت الماء باستثناء منطقتين على سطح القشرة الأرضية هما أيسلندا وجيبوتي وينظر العلماء إلى هاتين المنطقتين على سطح الكرة الأرضية بوصفهما الأكثر مقارنة جيولوجيا مع قشرة سطح القمر وتشبه منطقة «قبة الخراب» الجيبوتية بصورة متزامنة حالة الحمم التي تجمدت وبردت في عمق المحيطات بالأرض القمرية.

شطآن مالحة

.. وكان لا بد لنا من رؤية هذه المنطقة التي ما زالت تجذب العديد من العلماء والسائحين من مختلف بقاع العالم، وهناك بعد ما يقرب من الستين كيلومترا من «تاجورة» كان المنظر يبدو رائعا للغاية إذ إن بؤرة الحمم الخامدة تضفي على المنطقة جمالا لا مثيل له، وهناك يرى المرء جبالا هائلة من الجبس تتلامس مع شطآن من الملح، محاطة ببحيرة فيروزية ذات زرقة رائعة الجمال مخططة بألوان زمردية، تتراص حولها كتل من البازلت، ومن هناك أردنا الذهاب إلى «قبة الخراب» فكان لا بد لنا من اتباع ذلك الشريط المعبد والمسمى حديثا بـ«طريق الوحدة» الذي يصل شمال البلاد بجنوبها وهي رحلة لم يكن من الممكن القيام بها قبل بضع سنوات إلا عبر طرق غير مرصوفة، أما الآن فإن الوصول من جيبوتي إلى «قبة الخراب» لا يستغرق أكثر من يوم ونصف عبر الطرق المعبدة. وهناك يشاهد المرء آخر مخاضات الكوكب الأرضي «هاوية الشياطين» في قاع الخليج، وهنا تحديدا حذرنا الصيادون من أن أرواحا شريرة تقطن هذه الناحية وتسحب إلى القاع كل من يجرؤ على التوقف في هذه النقطة، لكن أحد مرافقينا عند سماعه ذلك أخذ يقهقه ويضحك بشكل مستمر، وبعد أن تعب ضحكا فسر لنا الأمر بأن هذا الاعتقاد للصيادين يعود إلى التيارات العنيفة التي تصل سرعتها إلى ثماني عقد والتي

تشكل في بعض الظروف الطقسية مشهدا مسرحيا تصل فيه الموجة إلى ارتفاع أربعة أمتار في الممر المؤدي إلى خليج «قبة الخراب» وفي مثل هذه الظروف لا يمكن الوصول إلى ملتقى الفجوات الأرضية خارج ساعات الجزر.

العودة إلى العاصمة

من مناطق جيبوتي النادرة عدنا ثانية إلى العاصمة، وهناك اقتربنا أكثر من شعب هذا البلد الذي لا يزيد تعداده على ٤٢٧ ألف نسمة وتتراوح تركيبته السكانية الأساسية بين قبيلتي العفر والعيسى، والذي تسوده اللغة الفرنسية إلى جانب العفارية في الوقت الذي لا تعدو العربية أن تكون لغة الدولة الرسمية بينما تستخدم الفرنسية في الأعمال الإدارية وداخل المكاتب الحكومية.

اقتربنا من هذا الشعب حين تجولنا في أسواقه العامرة بأنواع متعددة من الفواكه والخضراوات، ورأينا فتيانه وفتياته معا في قاعة الدراسة بالثانوية الوحيدة والمدارس حيث التعليم مختلط في جميع مراحله.

ولكن إلى جانب هذا تحتفظ الصورة بملامح من التعب الذي يعانيه التعليم في ذلك البلد العربي،



□ الجمال العربي القادم من اليمن استوطن جيبوتي منذ القدم



لذلك كان لنا لقاء مع وزير التربية والتعليم الأستاذ أحمد جيزة الذي أشار إلى أن جيبوتي ظلت تعاني في الفترة التي أعقبت الاستقلال من ندرة المدارس والمدرسين، بالإضافة إلى الخلل في السياسة العامة للتعليم، فسياسة المستعمر ارتكزت على ربط التعليم بالمتطلبات الإدارية إلى جانب النظرة الدونية التي ينظر بها إلى المجتمع الجيبوتي، ولذلك لم يتجاوز التعليم في ذلك الوقت المرحلة الابتدائية. يشير الوزير إلى أن هذا الوضع قد تغير جذريا، فبعد أن كان عدد الطلاب في عام ١٩٧٦ وهي السنة التي سبقت الاستقلال ٨٥٠٠ طالب وطالبة في المدارس الابتدائية، ارتفع الآن إلى ٤٢ ألفا بعد مرور ١٥ سنة على الاستقلال.

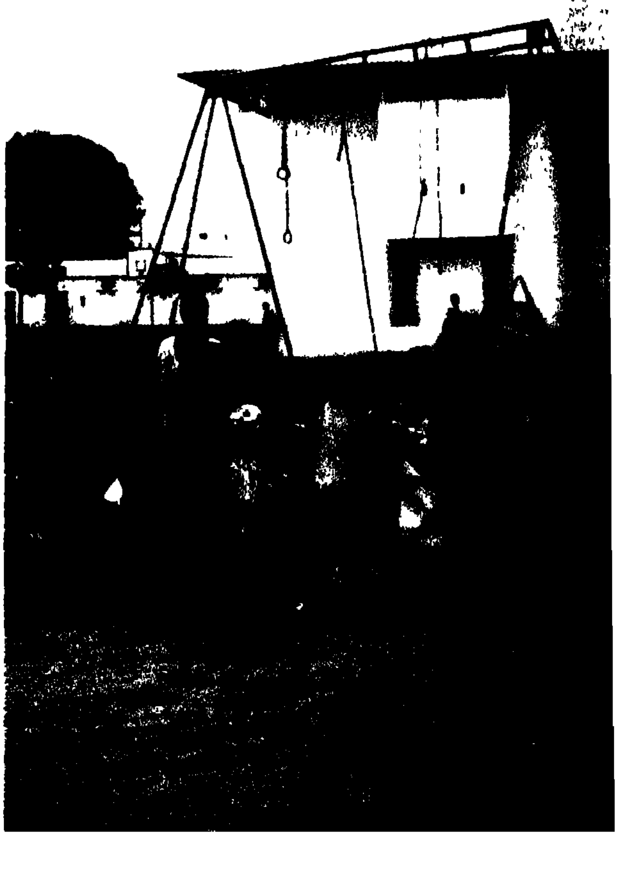
أكد الوزير أحمد جيزة أيضا على أن الدراسة مجانية ترعاها الدولة لجميع أفراد الشعب، وهي بصدد وضع قانون للتعليم الإلزامي.

إمكانات مشجعة

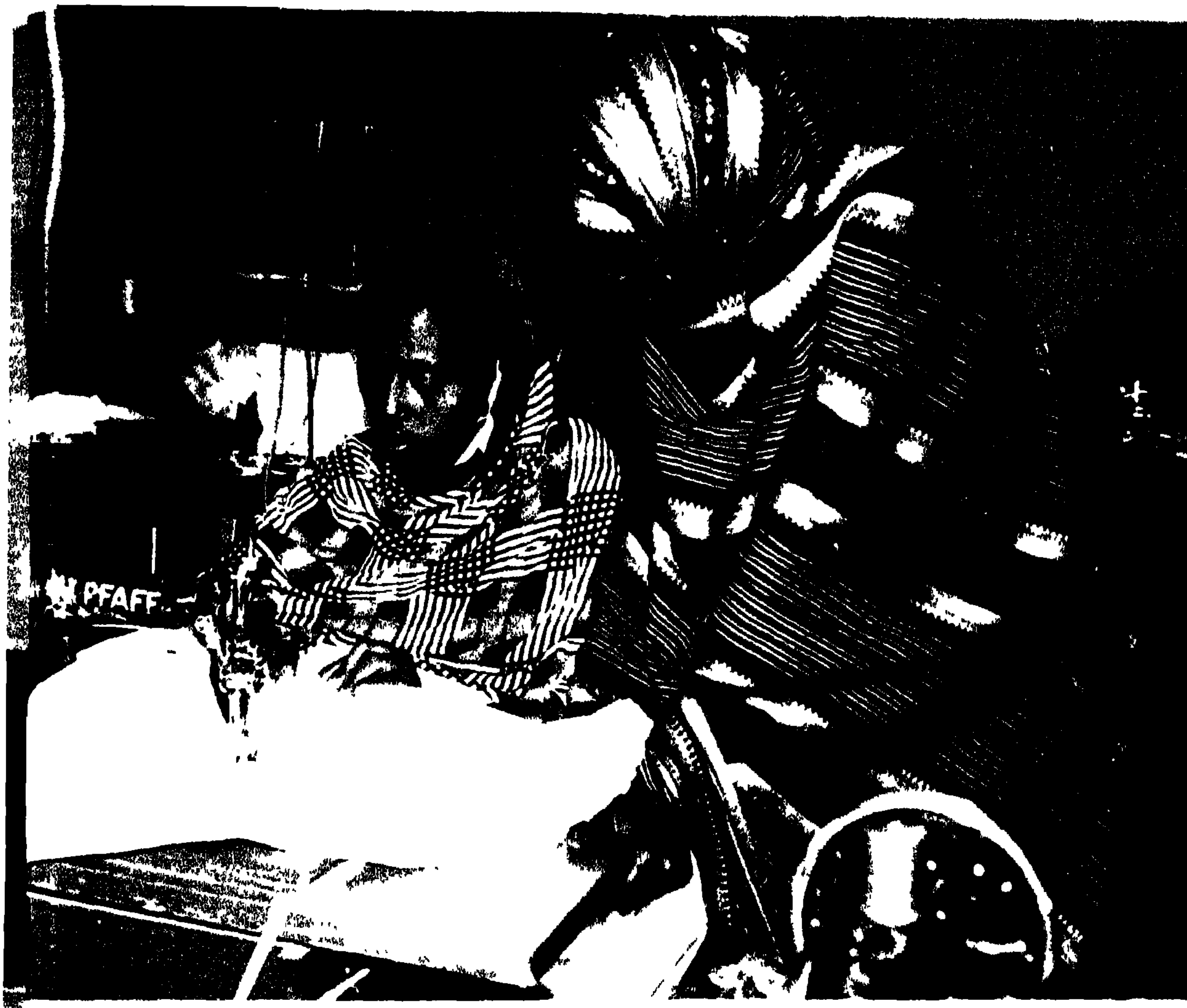
.. ورغم المشاكل التي تضفي على الصورة بعض القتامة، تظل جيبوتي حبلى بإمكانات تشجع على الأمل بمستقبل زاهر، فهذا البلد يمتلك مخزونا هائلا من الطاقة البشرية المتمثلة في شباب جيبوتي الذي يشكل نسبة ٦٣ بالمائة من عدد السكان (تحت العشرين عاما)، إلى جانب ذلك فإن جيبوتي التي تمتلك موارد طبيعية محدودة جدا «تربية ماشية ـ صيد» استفادت من اقتصاد خدمات نشط للغاية، فهي بلد عبور وتموين وإعادة تموين للبواخر، ويعد ميناء جيبوتي رئة للبلد وهو المكان الأكثر أهمية في البنيات التحتية الموروثة من الماضي الاستعماري، وليس غريبا أن تخصص له وزارة كاملة، فهو يقع في تقاطع الطرق البحرية وعلى أبواب المحيط الهندي، وهو منطلق لخطوط جوية في اتجاه ثلاث قارات، كما أنه مفترق بين عالم البترول الشرق أوسطي والثروة البشرية لإفريقيا الشرقية، وهو مزود برصيف للحمولات الكبيرة ويصل إلى ٤٠٠ متر مع مراكز للتخزين، وكل هذه العوامل جعلت من هذا الميناء واحدا من أرقى الموانىء في التعامل والأداء السهل الميسر.



□ جمال عربي إفريقي محبب



□ «الصفحة المقابلة أسفل» الثانوية الوحيدة في مدينة جيبوتي حيث التعليم المختلط بين الفتى والفتاة، ثم مجموعة من الأيتام ترعاهم جمعية المرأة في جيبوتي



□ تقوم إحدى عضوات جمعية المرأة الجيبوتية بتعليم وإرشاد إحدى القرويات الخياطة والتطريز

يقول وزير الميناء والشئون البحرية موسى روبلي: يضم الميناء منطقة حرة ووسائل مواصلات حديثة و١٩ مستودعا وأربع محطات لتزويد السفن بالماء. وأضاف أن البضائع التي تعبر ميناء جيبوتي الدولي تتمتع بجميع مزايا المناطق الجمركية الحرة، فكل البضائع الواردة والصادرة تتمتع بإعفاء جمركي ولا يدفع أصحابها رسوم استخدام المعدات والخدمات.

وأشار إلى أن الكويت ممثلة بالصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية قدمت عدة قروض للإسهام في تطوير ميناء جيبوتي، كان القرض الأول في عام ١٩٨١ بقيمة ٣٫٥ مليون دينار كويتي أما القرض الثاني فكان بقيمة ٢٫٦ مليون دينار كويتي، إلى جانب ذلك قدم الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي منذ عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٩٢ خمسة قروض بلغت قيمتها خمسة ملايين و٦٥٠ ألف دينار كويتي موزعة على النحو التالي:

١ - مليون دينار كويتي لتمويل المشروع العربي المشترك الثاني للاتصالات السلكية واللاسلكية سنة ١٩٨١.

٢ - ٨٥٠ ألف دينار كويتي لتمويل المشروع العربي المشترك الخامس للاتصالات السلكية واللاسلكية سنة ١٩٨٢.

٣ - ١٫٩ مليون دينار كويتي لتمويل الكيبل البحري من جنوب شرق آسيا وغرب أوربا عبر الشرق الأوسط «سيمويه» سنة ١٩٨٥.

٤ - ٤٠٠ ألف دينار كويتي لتطوير الاتصالات سنة ١٩٨٧.

٥ - ١٫٥ مليون دينار كويتي لتمويل الكيبل البحري «سيمويه الثاني».

وبواسطة هذه المشاريع التي أتاحتها القروض المقدمة أصبحت جيبوتي من الدول المتقدمة في

مجالات الاتصالات، بل واحتلت المركز الخامس بين *الدول الإفريقية في تقديم هذه الخدمة.*

ويعد مصنع الألبان في جيبوتي أحد المشاريع المهمة التي تغطي حاجة السوق المحلي، وقد قام الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية بتمويله بمبلغ ١ر٥ مليون دينار كويتي في عام ١٩٨٠ كقرض أول، ثم قدم قرضا إضافيا قدره ربع مليون دينار كويتي.

ويعمل بالمصنع نحو ٧٠ عاملا وفنيا من الجيبوتيين يعاونهم مجموعه من الأجانب المتخصصين في صناعة العصائر والحليب، وهو يغطي حاجة البلاد من الحليب والزبادي وعصير العنب والبرتقال والأناناس ويبلغ



□ جانب لأحد الفنادق الحديثة في مدينة جيبوتي

إنتاجه الشهري ٢٠٠ ألف لتر يستهلك كله في جيبوتي.

استصلاح الأراضي

. صورة أخرى مشرقة يعرضها وزير الزراعة والثروة الحيوانية عمر شردون عباس حين يقول: إنه على الرغم من أن الاستعمار كان يصور أرض جيبوتي على أنها لا تصلح للزراعة و ن شعبها المعروف بأنه رعوي لا يقدر قيمة الزراعة، إلا أننا حاولنا إثبات عكس ذلك وبدأنا التجربة بعد الاستقلال مباشرة باستصلاح بعض الأراضي التي تتوافر فيها المياه العذبة عن طريق حفر الآبار الارتوازية أو الاعتماد في بعض الأحيان على مياه الأمطار. وقد بدأنا بزراعة الخضراوات الورقية التي بدأ الشعب يألفها، ثم زرعنا الطماطم والبطاطس والكوسا *والباذنجان وأخيرا الأعشاب الصالحة لغذاء المواشي* والجمال، وبذلك استطعنا الجمع بين حرفتي الرعي والزراعة في مكان واحد فازداد دخل المزارع.

المرأة في جيبوتي

وتبدو الصورة أكثر جلاء للمرأة الجيبوتية فهي موجودة في جميع المرافق التابعة لوزارات الدولة، كموظفة أمام أجهزة الكمبيوتر أو مديرة لمكتب وزير أو مستشار، كما تجدها في محل لبيع الأدوات الرياضية أو مكتب لتغيير العملات وحتى في محلات بيع الفواكه والخضراوات وتجدها أيضا مشاركة لشقيقها كمدرسة أو طالبة تجلس على طاولة واحدة معه. تقول الأمينة العامة لاتحاد نساء جيبوتي سابقا سعيدة حسن: لا يمكننا إغفال دور المرأة ومساهمتها في نهضة جيبوتي منذ زمن طويل، فقد ساهمت في المطالبة بالاستقلال عن فرنسا منذ منتصف الخمسينيات ولعبت دورا لا يستهان به مع التنظيمات الوطنية والشعبية في المطالبة بالحرية والاستقلال.

وفي مقر الاتحاد النسائي الجيبوتي كان لنا لقاء مع الأمينة العامة الجديدة للاتحاد كلثوم ميعاد التي قالت: إن نشاط الاتحاد ينحصر في عدة محاور أهمها مجال الصحة وتربية الطفل ورعاية الأم، ولنا نشاط في فصول محو الأمية باللغة العربية ونشاط آخر مخصص للحرف اليدوية والخياطة والتطريز والزراعة وتزيين الحدائق. تشارك المرأة الجيبوتية الرجل في بناء وطنها، تماما كما شاركته في الدعوة للاستقلال والحرية.

إنه نموذج جديد يضيف إلى صورة هذا البلد الإفريقي كثيرا من الإشراق تماما كما يضيف إلى مستقبله عدة جوانب مضيئة لتصبح الصورة أشد بهاء وأكثر سطوعا.

والآن بعدما وصلنا إلى جيبوتي والصورة يغلفها الضباب، غادرناها وقد اتضح الغد تماما، ذلك الغد الذي يعد بالكثير، إذا ما خلصت النوايا وتم توظيف الطاقات توظيفا جيدا.□

واحة العربي

إعداد: محمد مستجاب



التاريخ

طفل عجوز شديد النزق يقضي معظم وقته في ظلال الدبابات والصواريخ والحمقى

التاريخ علم مدلل عجوز صاخب يبدو ذكيا، مع أنه لا يزال يرضع من ثدي الاجتماع، ويعاشر بطن الجغرافيا، يقضي معظم أوقاته على موائد الأقوياء ليمتعهم بعربدته ومظاهر حكمته، لكنه - وفي أوقات أخرى - يستجدي العلماء والذين هم بطبيعتهم مقترون شديدو الشح، ولذا تجد المساحة التي احتازها كل علماء وفلاسفة ومصلحي مختلف العصور من حديقته الوارفة أقل مما استولى عليه الإسكندر ونيرون ونصف نابليون وربع هتلر، وقد فشلت

بشكل مـا كل النظريات والفلسفات التي حاولت إخراج التاريخ من تحت سطوة الحكام ليضعوه في مجال حركة الشعوب، إذ إن الأمر لم تتعد أن يذكر المؤرخ الواقعة الشعبية وعيونه على نوافذ الحاكم، وفي كثير من الأمور والوقائع ظل التاريخ نائما مرهقا تحت ظلال الدبابات والصواريخ، لكنه ــ حين يفيق لنفسه ــ يراه رث الملابس طويل الشعر رثي السحنة يتعثر في مواكب المماليك، وعلى حافة مذابح كربلاء والنجف، وتحت طبقات أجواء آبار الزيت الكويتية المحترقة، وبين أجساد أطفال مذبحة دير ياسين، وبين جبال وممرات شبه جزيرة سيناء، وتحت سقف الأمم المتحدة، وفي أجواء نجازاكي وهيروشيما، لا يهتم بالعواطف والقصائد والأغاني، يتأرجح بين المواقع الدموية ويغوص في أشلاء المخلوقات والمكائد والمؤامرات والجدل والمواثيق والمعاهدات والخطب العصماء.

وقليلا ما يسترد التاريخ شبابه فتراه نطقا وسيما له حلاوة وقسامة، حيث يفخر بأنه ارتدى ملابس العمال مرة أو مرتين وأطلق الحمام إلى عنان السلام ثلاث أو أربع مرات، تحس أنه بالغ الإنسانية وهو يفتح الطريق انتصارا للأنبياء والرسل، ومع ذلك فستظل علاقته بالأديان والأنبياء لغزا، إذ إن التاريخ المرصود لم يحتف إلا برسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يحفل إلا بالنبي عيسى عليه السلام، ولا تزال مجلدات معالم تاريخ الإنسانية الذي صاغه الإنجليزي ويلز تضم سيرتيهما، تاركة الأمر للباحثين والدارسين يسعون لتعيين واقعهم التاريخي، بالتقريب كما ورد بالنسبة لفترة النبي موسى عليه السلام ومن كان يعاصره من حكام في الشام أو فلسطين أو تحديد الفرعون المصري الذي طارده نحو سيناء، ذلك لأن التاريخ لا يزال لم يفصح ــ حتى الآن ــ عن سيرة إبراهيم وصالح ونوح وهود وداود وسليمان ولوط ويوسف،وغيرهم من الأنبياء المؤكدين دينيا، ويرجع الأمر إلى الانشغال الدائم بذوي السطوة والبأس أكثر من اهتمامه بأصحاب الرسالات المهتمين بإصلاح حال البشر.

ومع كثرة المدارس المعاصرة في تفسير فلسفة التاريخ من «مادية جدلية»، إلى «نظرية التحدي والاستجابة»، إلى «باب الحرية الحمراء الذي بكل يد مضرجة يدق»، ثم إلى ما

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

أو الأمر بأن تقيم من قبرك هرما كي تجد لك في التاريخ أثرا، فقد أصبح لزاما علينا أن نعترف بأن ثمة ثلاثة أنواع منه: التاريخ الديني المنزل من رب القدرة في الكتب السماوية، وتاريخ فولكلوري على ألسنة الناس يحوي حكايات أبطالهم وآمالهم وأحلامهم وأهازيجهم وخرافاتهم وأساطيرهم، وتاريخ يدرس هو الذي تحتفظ به في مكتبتك، وهو أبسط أنواع التواريخ، وأكثرها ترتيبا وسذاجة.□

كلمات لها معنى

* طبيعي جدا أن تفخر امرأة بأن حقيبتها من جلد الثعبان.

* وما الذي يمكنني - يا حبيبتي - أن أفعل إلا أن أعتبرك كتابي المفضل، بمجرد الانتهاء من قراءته سوف أجلّده وأركنه على الرف، مع قضاء بعض الوقت في الكلام عنك مع الأصدقاء.

* لا يزال نقيق الضفادع به ما يجذبني أكثر من مقالات النقاد.

* كثرة الحفر لا تعوق عن السير إلا ذوي السنابك.

* الباطل كالفئران يعيش في الشقوق حتى تجذبه يد أحد العلماء ليجرب فيه أمرا إنسانيا.

* الاستقامة أطول طريق شديد الملل بين نقطتين: الحياة والموت.



بَدْرِيّة

رواية الحقبة : بين الأعراف والاكتشاف

للقاص : وليد الرجيب
بقلم الدكتور: محمد حسن عبدالله

لا يخضع وليد الرجيب مؤلف «بدرية» إلى شعور الحنين إلى الماضي ولكنه يصوره قويا، إنسانيا وشديد الحضور. ولا يكتفي بذلك بل يوجه إليه سهام النقد حتى يتمكن من تحليل اللحظة الراهنة

رواية الحقبة، أو رواية المرحلة، هي تلك التي تهتم برصد ملامح التطور أو التغير الاجتماعي في فترة زمنية محددة، وهذا يعني أن الروائي يختار من الزمان الممتد تلك الفترات التي يحتدم فيها الصراع بين القديم الراسخ المتحدر بفعل الألفة والتعود، والجديد الطامح إلى اكتشاف الواقع، ونقده، وتوجيه حركة المجتمع إلى مستقبل أكثر أمانا وعدلا وجمالا هذا النوع من الروايات عرفته الآداب الأوربية إبان ازدهار المدرسة الواقعية، أي حين كفّ الأديب عن الاعتقاد بأن الأدب خالد، وأنه يكتب لكل العصور، ولجميع الناس رواية الحقبة تصوّر العادات والتقاليد (أو الأعراف) في كثير من ملامحها، وقد يتجلى الفرق في الغاية، فمع احتفاء رواية الحقبة بالعرف السائد، والتقاليد، وطقوس العادات المختلفة، نجدها لا تتوقف عند حدود هذه الغاية، الموضوعية الحيادية - إن صحّ القول - وإنما تتجاوزها لتكشف عن حركة الزمن وإلى أين تتجه سفينة المجتمع، وهل سترسو على شاطىء الأمان، أم أن الأمواج تغالبها، وهنا - عادة - تقترب رواية الحقبة من رواية النبوءة، أو الرواية التبشيرية وهذه الأمشاج جميعا قد وحدت في رواية «بدرية» التي ألفها وليد الرجيب، ونشرت عام ١٩٨٩ - وهي الرواية الوحيدة للكاتب، بعد مجموعتين من القصص القصيرة: «تعلق نقطة.. تسقط، طق»، ١٩٨٣، «إرادة المعبود في حال أبي جاسم ذي الدخل المحدود» ١٩٨٩، ثم كانت روايته الكماحية المتميزة: «طلقة في صدر الشمال» ١٩٩٢ التي يصفها - على غلافها - بأنها مجموعة من القصص القصيرة، ونراها أدخل في بناء الرواية، بل نراها رواية امتازت بشكلها الفني الخاص المستمد من علاقات التوازن بين الاتصال والانفصال، في وحدات التكوين الشامل.

لقد كانت «رواية الحقبة» بداية التأليف الروائي في

الكويت، حين كتب الأستاذ عبدالله خلف «مدرّسة من المرقاب» عام ١٩٦٢ وفيها استخدمت المدرّسة «سجية» الحصص الحالية في فترة تراخي الدراسة آخر العام لتحدث تلميذاتها عن بيتها وأهلها قبل استهلال زمن النفط، وحتى أقبلت موجاته بالصحب فاكتسحت عالمها القديم العزيز. إن وليد الرجيب - في رواية بدرية - لا يجاري هذه النزعة الرومانسية في الحنين إلى الماضي، كما أنه لا ينتقصه، إنه يصوّره فنياً، كما كان يتراءى للذين عاصروه، قوياً، إنسانياً، شديد الحضور، مشعاً، لكنه ليس بالضرورة العالم المثالي الذي عمل أهله على استدامته، أو نعمل نحن الآن على استرجاعه. إن نظرة وليد الرجيب تقدمية، ليس بالمعنى السياسي، بل بما تعنيه احتماعيا من الاحتفاء بفكرة التقدم، بناء على نقد تجربة الماضي، وتحليل الراهن، واكتشاف سلبياته، وحق الإنسان في ممارسة طابع زمانه!!

ثنائيات البناء الفني

رواية وليد الرجيب تبدأ مع تحوّل عمال البحر إلى المشاركة في أعمال الإنشاء التي قامت بها شركات التنقيب عن النفط، وبالمثل تحول السوحدا المعتزل إجبارا بانتهاء زمان الغوص، إلى «مقاول» توريد عمال، وإقامة منشآت لحساب الاستثمار النفطي في مرحلة البداية، أو مع التحول، كانت بدايات التعرّف على «مفردات» الحياة الحديثة: السينما، والكوكاكولا، وحتى الشعب، تلك الكلمة الجديدة، التي ولدت في الأحمدي، حين تطلع العمال إلى مشاهدة السينما من وراء السور فكان صدام، وكانت نتيجة فاصلة بين ما يتقبله عصر، وما يرفضه عصر آخر من المشاعر والسلوكيات. قرب نهاية الرواية سيهطل مطر غزير يفرح له الناس عادة، لكنه يتمادى حتى يتحول إلى «هدامة» تكتسح منطقة حولي، التي تبدأ فيها أحداث الرواية، وفي ختامها يحدث العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) ويتضامن عمال النفط في إعلان الإضراب وإيقاف الضخ، ويختلف الجيل الطالع حول شخصية جمال عبدالناصر، ومدى أحقيته في قيادة الأمة العربية، غير أن تضامن العمال، وقطع النفط عن أوربا كان أعطى الجواب.



□ الأديب الكويتي وليد الرجيب

هذا التحديد الزمني، أو الإطار الخارجي، هو الذي يساعدنا على تصور موقع الرواية، وسياقها في الزمن الكويتي، لكنه لا يستقطب الأحداث الجزئية التي تشعبت في كل اتجاه، مع هذا بقي «المجتمع» هو الركيزة. ولعلنا نوضح هذا حين نجرد عناصر التكوين في علاقات، فنكتشف أن بناء هذه الرواية قام على تقابلات ثنائية، تلتقي، وتفترق، لتجلو المغزى التطوري الذي يحرص الكاتب على أن يضعنا في بؤرته: هناك أولا: فلاح وفهد، وهما: شاب ناضج، وآخر فتى على أبواب المراهقة يمكن أن يحمل على الكتف ليتمكن من مشاهدة «الشاشة»، ويرفضه عريف الأنفار، لكن المقاول يسكت عنه في نظير أن يأخذ نصف أجر!! وإذا كان «فهد» ابن غواص أو بحار غرق في الزمن الماضي، فإن الصبي الذي يقابل الحياة الجديدة يتيما، لا يجد غطاءه الاجتماعي فيمن غرق أبوه على سفنهم، بل في رفاق الشقاء القديم، الذين يعانون الشقاء الحديث في أعمال الحفر والبناء. أما «فلاح» الذي أخطأه الغرق سابقا، فإنه الآن مستبعد من العمل في الشركة، منبوذ، لا ينال من خيرات الزمن المتغير، حتى يفقد تماسكه وإنسانيته، تقابل هذه الثنائية، ثنائية أخرى يمثلها بوشمي، وعيسى تابعه وأمين أسراره. بونشمي هو نوخذا الزمن السالف، ومقاول الزمن الراهن، والآتي، وتابعه عيسى أداته وعصاته وبوقه ومدبر ملذاته. إن «بوشمي» لم يخرج عن التكوين النمطي لطبقته، وكذلك عبر عيسى عن «لوازم» الطبقة، فحيث يركب الصياد لابد من وجود «كلاب الصيد»، إنه مع سيده في سلة واحدة، حتى وإن أهانه إهانة بالغة، إنه يدرك أن حبله السري موصول بهذا السيد، وأن قدرهما واحد، وجودا ومصيرا.

الثنائية الثالثة «العنجريزي» هدرسون، وتابعه الهندي، سواء كان موظفا في الشركة، أو شرطيا، إنه صوت سيده، ويده، وأهدافه في مستواها الصدامي، إنه «البناء» المقابل، المؤازر لبونشمي وعيسى، والمقابل المناقض لفلاح وفهد.

وتبقى بدرية ـــ التي حملت الرواية اسمها ـ وحيدة ليس لها مقابل، مع أنها بمثابة «كبسولة التفجير» التي ـ على صغرها ـــ لا قيمة للعتاد بدونها، إنها المحرك وراء فهد، والتي عصفت بأبونشمي وأعلنت انتهاءه رمزيا، ودفعت بعيسى إلى أن يعجل بنهاية سيده دون أن يقصد (أو لعله يقصد وقد ضاق بالسيد التاريخي وتاق إلى استبداله بسيد جديد). كان لابد أن تكون بدرية وحيدة، وقد «فصّل» لها وليد الرجيب ظروفا وملابسات تعين على أن نتقبلها واقعا، وألا يتجافى عنها التجريد الرمزي، لولا عدم ثقته في القارئ، ومن ثم إصراره على النص على مدى التوسع المطلوب في «فهم» هذه الشخصية. وهنا سنكتشف أن هذا النص، كما أنه يضعف الأسلوب الفني، فإنه يدخل المؤلف مع القارئ في مماحكة ذهنية قد تعطل عملية التوصيل المطلوبة في الرواية!!

التواصل المستحيل

«بدرية» هي تلك الفتاة ذات الشخصية القيادية، هي بين أترابها من البنات والصبيان أكبر في العمر قليلا، ولكنها أنضج في الشعور والخبرة كثيرا

«شهية كالفاكهة بدرية، عذبة الحديث، تظهر على وجنتيها غمازتان عندما تضحك، وعندما تضحك تطير قلوب الصبيان كعصافير الربيع، وتعرق الفتيات بغيرة لا محدودة، ويحاولن أن يفعلن مثلها.

لم نكن نعرف لبدرية أما ولا أبا، فنحن نراها في كل البيوت، تتناول الغداء عند أحد البيوت، والعشاء في بيت آخر، وعندما يتأخر الوقت كانت تنام في أقرب بيت، ولما سألنا أهلها

ـ ابنة من بدرية؟!

أجابوا وكأنهم لا يخفون سراً:

ـ ابنتنا جميعا.

وحذرونا من أن نسألها نفس السؤال:

ـ «يمكن ترعل»!!.

هنا تبدأ «بدرية» من الواقع، لكنها تخترق حدود الواقع لتصل إلى «الرمز»، إنها ابنة الجميع، ولم «يتحفظ» الصبية السائلون على هذه الإجابة غير الممكنة، بل لم يعتبروا هذا التعميم في الانتماء مساويا لعدم الانتماء، بل لقد اعتبروه ميزة تنفرد بها بدرية:

«بدرية التي لا يملكها أحد منا، رانتشينا بالغموض»

وهكذا ارتفع التعميم إلى مستوى «التجميع»، فهي رمز هذه الجماعة، أو هذا المجتمع التكافلي، الحر، البسيط، المطلق، دون أن نبحث عن «تطابق حرفي» يضر بهذه الدلالة الرمزية لانحدار بدرية عن مجهولين، فليس الرمز مفتاحا لكل الأبواب، إنه محكوم بسياق الموقف وإط العلاقات بين وحدات العمل، ولم يكن «الأصل» مطروحا للمناقشة، وإنما السلوكيات، وقد كانت بدرية صورة ناضجة للسلوك، حتى حين عصفت بطفولتها البريئة أحداث لا طاقة لها بها.

لقد اتجهت عواطف بدرية نحو «فهد»، وهذا مقصود للكاتب، وتطيقه طبيعة هذه الشخصية وحدود طموحها الاجتماعي، ولا ترفضه الدلالة الرمزية، فإذا كان بونشمي ـ المزواج الثري ـ قد استضعف الطفلة فطمع في أن يجدد بشبابها القادم ذبول شيخوخته المولية، فاتخذ قرار الزواج بها، ونفذه، فإن هذا الزواج المغلوط ظل «ادعاء» على الورق، لم يأخذ سبيله العملي، الذي به شرع الله سبحانه الزواج، وجعل الأسرة عماد الوجود الإنساني إن هذا «الانطفاء» الذي فاجأ بونشمي ليلة زفاف بدرية إليه، يصدر قرارا أقوى سلطة من قرار الزواج: إن إمكان التواصل بين بونشمي بكل ما يمثله، وبين بدرية وما تكنه



□ غلاف الرواية

لفهد، وفلاح وأشباههما، ضرب من هذيان التعلل بالأماني الكاذبة

الأعراف.. والاكتشاف

لقد اهتم وليد الرجيب في هذه الرواية برسم التقاليد، ورعاية الطقوس أو الأعراف التي اعتادها الناس في مناسبات شتى. وقد أجاد هذا الرسم، وبلغ به ما أراد، وهو تثبيت صورة المجتمع القديم، وتقوية ألوان الواقع البديل الذي رسمه بلوحاته، ولكي يكون «التمثيل» شاملا، والألوان وافية، لا تهمل الظلال وأنواع التداخل بين المحدد واللامحدود، فإنه نوع من أشكال الرسم، ومستوياته، فهناك اللوحات، والأمثال، والأشعار، والصيغ المأثورة (الكليشيهات المتداولة):

فحين يتلهى الأطفال بإمساك نواة التمر وعليها عقدة النواة، فتشبه رجلا يرتدي قبعة، ويغنون:

عجـــــريـــــزي ســــوتيلـــــه

عســــاه يمــــوت الليلـــــه

فإننا نصل عن طريق هذه الأغنية - الأمية - إلى حقيقة المناخ الذي ساد تجاه تلك الحقبة، على المستوى الشعبي

وحين يلعب الأطفال «حروف مسلسل» فإن هذا اللهو البريء يساوي دلاليا أن يرى المائدة المشتركة لأبناء الفريج صبحة العيد، وقد امتدت خلف مسجد «ابن عويد» فإننا ندرك عمق الروح الجمعية «الجماعة» المتأصلة في ضمير أبناء البلد. أما حين صفع كبير الموظفين الإنجليز «بوصالح» مسئول الحراسة في السينما عندما أهمل أو تغافل عن وجود العمال الوطنيين قريبا من الموقع، فإن الرجل «بوصالح» تصرف كما كان يتصرف العربي منذ العصر الجاهلي: الاحتماء بجماعته حين تلحقه إهانة، انطلاقا من أن إهانته موجهة لجماعته، وعليها أن تأخذ له حقه. وهكذا نشبت معركة السينما، انساق إليها العمال دون عمد أو اختيار أو اتفاق أو تحديد أسلوب أو تحصيل هدف.. إنها «فورة» الكرامة، والغضب المكتوم، فكانت حدا فاصلا بين عصر «النخوة» وعصر «ما ينصّ عليه العقد المبرم» وما يستلزمه النظام. إن تصوير وليد الرجيب لهذه المعركة، غير المتكافئة جعل منها «كوميديا سوداء» تثير الضحك وتستدعي دموع الإشفاق على ربعنا الشجعان الذين لم يحسنوا وضع الشجاعة موضعها. كيف نفهم أن يثور فلاح متنخيا لأبو صالح، حتى يقول:

- «عند وجهك يا بوصالح، ما تنزل دمعة على شيباتك وأنت دخيل الشامي».

ثم يقتلع عمودا خشبيا علقت أعلاه مصابيح الكهرباء، ويحمل على رواد السينما، كما كان عنترة العبسي يحمل على فرسان ذبيان، ويقسم فلاح:

- «بأميمتي الغالية، لأنسي هالحمر حليب أمه، حنا إيدك اللي ترد الإهانة يا بوصالح». وإذ سقط الصبي «فهد» بضربة طائشة، صاح فلاح كما كان يصيح فرسان الزمان الأول:

- «يا ثار فهد بـاميّة رحل، طاح فهد، وارتفع بين الرجال شانه»!!

غير أن هذا الوعيد كله تبعثر وركض خارجا حين أطلق أحدهم - من الحراس - بضع رصاصات في الهواء!.

في رصد الأعراف وتثبيت طابع الزمن وملامحه رأينا طقوس تجميل النساء، وخطوات الرفاف، وموكب «المعرس»، ومن أبدع اللوحات الحية ذلك الحفل - ليلة الرفاف - الذي تبارى فيه الشعراء، ونازل «صقر ثامر» الشاعر «حويعد»، عقب أن اختارهما الحضور للمباراة، بإلقاء لسان الذبيحة أمام الشاعر، واللسان أداة القول، ومن الجدير بالملاحظة أن في الرواية فتى آخر مجهول النسب هو «عبادين» وهو غير طبيعي، وكما هي عادة استحلاب هذا النموذج إلى الروايات، فإنه يمثل أعماق المجتمع البيضاء، ولأنه لا يعي ما يقول، أو لا يملك تحمل مسئولية ما يردد، فإنه يستطيع - وحده دون غيره - أن يعلن الحقيقة، وأن يواجه الآخرين بما يعجز غيره عن إعلانه. إن «عبادين» يشارك بدرية في وحدة الجذور، أو مجهولية النسب، لكنه لا يقاسمها أي صفة أخرى، ولهذا فإن أصل «بدرية» - المسكوت عنه - لم يتشابه مع أصل «عبادين» الذي امتزجت فيه الخرافة بالمحتمل، أو الممكن، وانسحبت الخرافة على واقعه أيضا، حتى أقسم بعضهم أن له علاقة بالجن، وأنه شوهد طائرا مع أم السعف والليف!!.

إن السؤال الخطير الذي يختم به المؤلف روايته يوجهه صبي إلى بقية رفاقه. هل أنتم كويتيون أم لا؟!.

لقد أقر الجميع بأنهم كويتيون.. ومن هذا الأساس أصبح الاختلاف على ماعدا هذا الإطار المستقر ممكنا، ومقبولا، ولا يؤثر على الجماعة، أو المسيرة، وكان هذا اكتشافا ثالثا بعد اكتشاف أهمية الحركة الجماعية في مواجهة النوازل، وبعد اكتشاف أهمية أن تتواصل في الكويت مع حدث يجري في مكان بعيد، قد يكون ضرب بورسعيد، أو يجري في مكان قريب جدا، قد يكون إهانة تلحق بفهد أو بوصالح، ليتأكد بالمعنى العملي أننا جميعا كويتيون، وينبغي أن نتصرف على أساس هذه الحقيقة!.□

١٩١٩

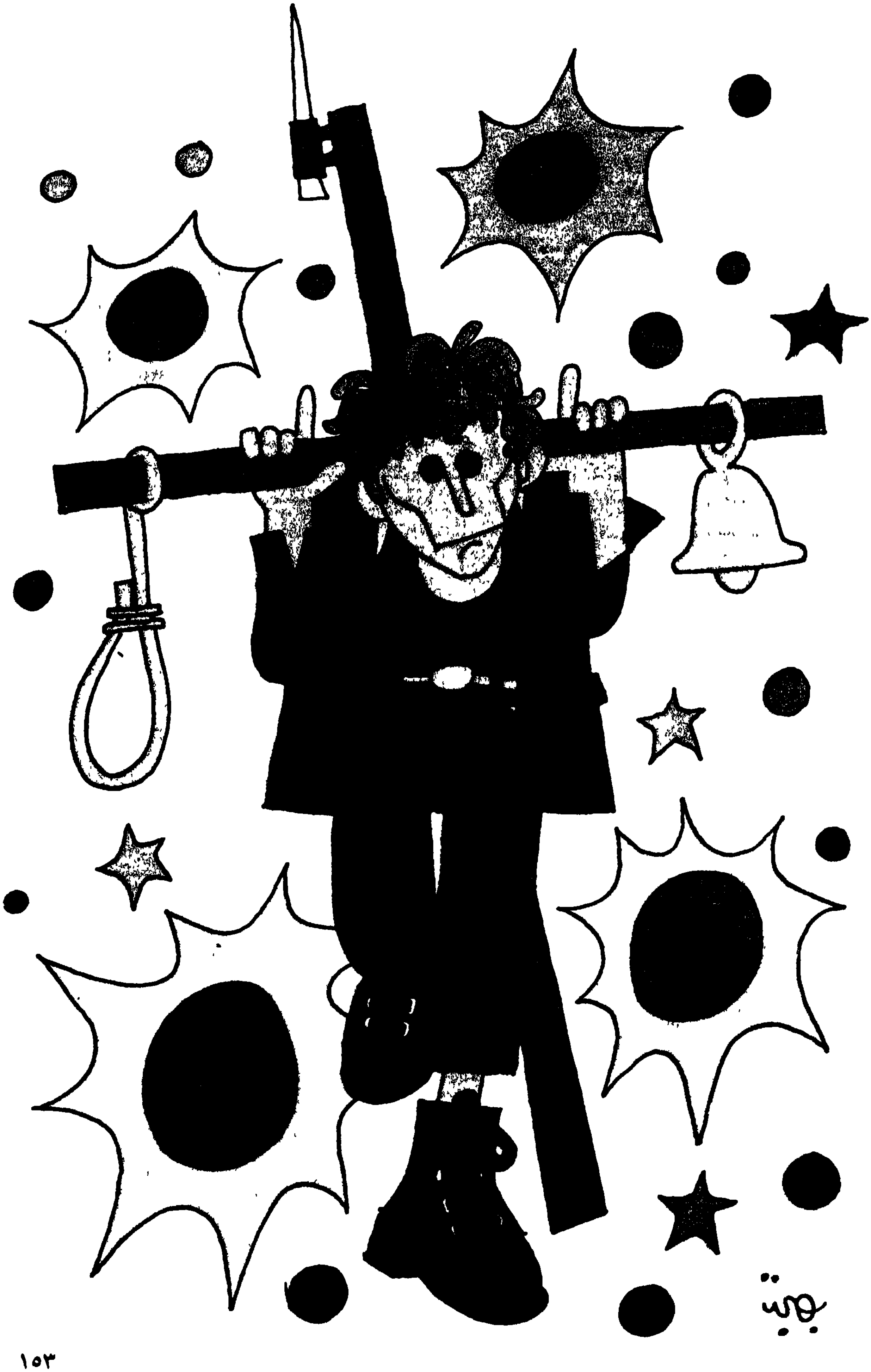


قصـــــــة للكـاتبة الأمـريكيـة: تـــوني مـــوريســـون «الفـــائزة بجـــائزة نـــــوبـل ١٩٩٣»

تـرجمة : سمير أبو الفتـوح

ما من شيء عـرقل قط الاحتفال بعيـد الانتحار الوطني سـوى نشوب الحرب العالمية الثـانية، إذ كان يتم في كل ثالث من يناير منذ عام ١٩٢٠، وإن كـان المحتفل الوحيـد به لسنوات طوال هـو مؤسسـة المدعـو «شـادراك»، ورغـم أنـه كـان عنـد عـودتـه إلى «مدليون» حسن المظهر، إلا أن تلفا أصابه من الداخل، فقد عصفت به أحداث عـام ١٩١٧، وأذهلته عن نفسه بصمـة دائمـة حتى أن ذوي الميـول الضيقـة في المدينة وجدوا أنفسهم أحيانا يتخيلون ما كانت لا بد عليه هيئة الرجل قبل أن يمضي إلى الحرب بسـوات قلائل لقـد كان شـابا غضـا يكاد يبلغ العشريـن ربيعا، رأسـه خال تماما من المشـاكل، وجد نفسه يعدو مع رفـاقه عبر حقل في فرنســا في أول مواجهـة له مـع العدو، ولم يـدر ما إذا كانوا يجرون لملاقـاة العدو أم هم يفرون منه، وكـانوا قد ظلوا سـائرين أيامـا عديـدة بمحاذاة نهر تجمـدت المياه عند شفيريـه، ثم عبروه عند إحـدى النقاط، وما كادوا يفعلـــون حتى اختلط اليـــوم كلـــه بـــالصيحـــات والانفجـــارات، وتـــوالى قصف المدافـع من حـــول «شادراك» من كل ناحيـة، ورغم علمه بأن لهذا ما يبرره ويقتضيــه، إلا أنــه لم يستطع أن يستجمع داخل نفســه الإحسـاس المناسب الـذي يتـلاءم معـه. لقد تـوقع أن يصدر عنه شعور قوي عارم بالفزع أو بالبهجة، لكنه في الحقيقة أحس فقط بلدغة مسمار في حذائه راح يجرح كلما أنزل قدمه على الأرض، وكان اليوم باردا إلى الحد الذي جعل تنفسه واضحـا، وتعجب للحظة من نقاء أنفـاسه وسط ما يحيط بـه من غبار متساقط وانفجارات رمـادية اللون، وطفق يعدو كالرمـح المسدد مخترقا سيل الرجال المتـدفق بسرعـة عبر الحقل، وأدار رأسـه قليـلا نـاحيـة اليمين وهو يجفل من الألم، فـرأى وجه جندي بـالقرب منه يطير بعيدا، وقبل أن يستوعب الصدمة اختفت بقية رأس الجـندي التـي بـدت مثل طبق حســاء مقلـوب، وجـرى الجسم المقطوع الـرأس في رشاقـة وقوة وعـاد دون توجيـه من المخ، متجـاهلا أن أنسجـة هذا الأخير تتساقط وتنزلق خلف ظهره.

عنـدما فتح «شـادراك» عينيه وجـد نفسه ممـددا على سرير صغير، وأمامه على صينية صحفـة عريضة مقسمة إلى ثلاثة مثلثات، في مثلث منها أرز، وفي الثاني لحم، وفي الثالث طماطم مطبوخة، وكـان بالصحفة كذلك تجويف صغير مستديـر يمسك كوبـا به سائل مـائل للبياض أن يقع، فجعل هـو يحدق في الألـوان السقيمـة، في بيـاض الأرز الشـــاحـب ذي الكتل، وفي عصـــارة الطماطم المرتعشة، وفي اللحم البني الضارب إلى السمرة، وكانت المثلثات تستـوعب كل ما بينهـا من تنـاقص في تـوازن دقيق، فهـدأ ذلك من روعـه، وأعـاد إليه هـو شيئـا من تـوازنـه، واطمأن بالتـالي إلى أن تلك الألـوان، الأبيض منها والأحمر والبني، باقيـة حيث هي في مواضعها، ولن تنفجـر أو تندفـع بقوة من المناطق المحـددة لها، وأحس فجأة بـالجوع، وتلفت حولـه باحثـا عن يـديه، وكـانت نظـرته حـذرة في أول الأمـر، إذ رأى أن يتوخى جانب الحذر، فلربما كان ثمـة شيء مـا هنـا أو هناك، فلاحظ وجـود كتلتين تستقـر كل منهما بجـانب إحـدى وركيه تحت البطانيـة البيج، فرفع إحدى ذراعيه بحـرص بالغ



فشعر بالارتياح، إذ وجد كفه متصلة برسغه، وكرر المحاولة بالنسبة للذراع الأخرى، فوجد كفه الأخرى كذلك، فمد كفا منهما ببطء نحو الكوب، وما كاد يبسط أصابعه حتى رآها بدأت تنمو كيفما اتفق من كل ناحية من الصينية والسرير معا على نحو ما حدث لساق الغول الخاصة بجاك(١)، فأغمض عينيه صارخا صرخة ثاقبة مدوية، وأسرع بوضع يديه الناميتين الضخمتين تحت الأغطية، وما إن توارتا عن ناظريه حتى بدتا له قد ارتدتا إلى حجمهما الطبيعي، على أن صرخته جلبت الممرض على الحضور

قال الممرض

ـــ لسنا على استعداد لأية متاعب اليوم أيها الجندي(٢)، أفاهم أنت أيها الجندي؟ أفاهم؟ وأبصر «شادراك» رجلا أصلع يرتدي بنطلونا، وسترة خضراء من القطن، ويفرق عن اليمين عشرين أو ثلاثين شعرة صفراء متفرقة ليغطي بها صلعته. وأردف هذا قائلا:

ـ هلم أقبل أيها الجندي تناول هذه الملعقة، هيا تناولها، فلن يتولى أحد إطعامك إلى الأبد.

فانساب العرق من تحت إبطي «شادراك»، إذ لم يكن في استطاعته أن يتحمل رؤية يديه وهما تنموان من جديد، فضلا عن أنه كان خائفا من الصوت الصادر عن البدلة الشبيهة بالتفاح الأحمر

وقال الممرض

ـ قلت لك تناولها، لا داعي لهذا.

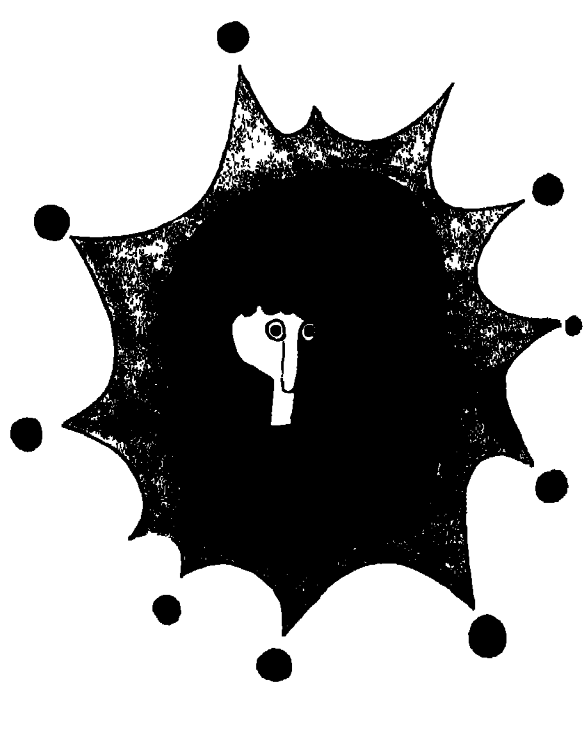
ومد يده تحت الغطاء ليقبض على معصم «شادراك»، وسحب يده الضخمة الهائلة، فنتش هذا يده، وقلب الصينية، ونهض على ركبتيه في فزع، وحاول أن يبتر أصابعه المخيفة بعيدا، ولكنه نجح فحسب في إلقاء الممرض على السرير المجاور

عندما قيدوا «شادراك» بسترة المجانين كان هادئا وممتنا، فقد حجموا يديه أخيرا، وحدوا من حجمهما أيا كان قدر الذي حققوه.

حاول وهو ساكن ومقيد إلى سريره الصغير أن يستجمع شتات نفسه وفكره، وود مستميتا لو يرى وجهه، ويربط بينه وبين كلمة «Private» هذه التي دعاه بها الممرض «وكذلك الذين عاونوه على تقييده»، وظن أن المقصود بها عورة ما، وتساءل عن سبب نظرهم إليه، ومناداتهم له بتلك الكلمة، وقال لنفسه إذا كانت يداه قد تصرفتا على هذا النحو فما باله بوجهه إذن؟، ومن شدة خوفه ولهفته صرف تفكيره إلى أشياء أخرى.

أعني أنه ترك عقله يتسلل من أي مدخل يحلو له من مداخل كهف الذكرى، شاهد نافذة تطل على نهر يعلم أنه مملوء بالسمك، وكان ثمة شخص ما في اللحظة ذاتها يتحدث بنعومة خارج باب.. كان عنف «شادراك» المبكر متزامنا مع وجود مذكرة من إدارة المستشفى بشأن نشر المرضى وعدم تكديسهم في المناطق البالغة الخطورة، وكان ثمة أمر واضح بإجلاء بعضهم، وقد أكسبت الأسبقية ـ أو العنف المبكر ـ «شادراك» حريته، فضلا عن مبلغ نقدي قدره ٢١٧ دولارا، ومجموعة كاملة من الملابس، وصور طبق الأصل من الأوراق الرسمية الخاصة به، وعندما خرج من المستشفى أوقعته بقعة الأرض من حوله في اضطراب شديد، فمن بقعة تكسوها الشجيرات المقصوصة، إلى مساحات النجيل المهذب، إلى المماشي الممتدة باستقامة، وتطلع «شادراك» إلى الجوانب الممتدة المغطاة بالأسمنت والتي يشير كل منها إلى جهة ما يحتمل أن تكون هي المقصودة، ولم تكن ثمة أسوار، أو تحذيرات، أو عوائق على الإطلاق بين الأسمنت والعشب الأخضر، ولهذا كان في استطاعة المرء أن يتجاهل في يسر الشريط الحجري الممتد بانتظام، ويتحول إلى الجهة الأخرى التي يريدها، ووقف «شادراك» أسفل درج المستشفى يشاهد أعالي الشجر وهي تتمايل على نحو كئيب، ولكن بغير أذى، فقد كانت جذوعها ثابتة في الأرض لا تملك مع ثباتها أن تهدده. بيد أن المماشي وحدها فحسب هي التي أخافته، وجعل يخفف من وزنه، وأخذ يسأل نفسه عن الكيفية التي يستطيع بها أن يبلغ البوابة من غير أن يمشي على الأسفلت، وبينما هو يخطط لسيره، أين يثب، وأين يدور حول دغل الشجيرات، إذا بضحكة مدوية تروعه، فقد كان ثمة رجلان يصعدان الدرج، ثم لاحظ وجود أناس كثيرين على مقربة منه، أبصرهم فقط في تلك اللحظة، أو رآهم تجسدوا له. رآهم قصاصات ورق كتلك الدمى الورقية المنتشرة في المماشي، والتي يجلس بعضها على كراسي ذات عجل تدفعها من الخلف شخوص ورقية، وبدا له الجميع يدخنون، وقد انثنت أيديهم وأرجلهم بفعل النسيم، ولعل ريحا قوية تهب فتطيرهم إلى أعلى بعيدا، فيستقرون على قمم الأشجار. اندفع «شادراك» بسرعة بالغة. أربع خطوات وصار على العشب المواجه للبوابة، وأبقى رأسه محنيا لكي يتفادى رؤية الناس الورقيين، وأخذ يروغ منهم ذات اليمين وذات الشمال، وضل طريقه، ولما رفع بصره رأى نفسه واقفا بجوار مبنى أحمر وطيء يفصله عن المبنى الرئيسي ممشى مغطى ومن مكان ما هلت رائحة حلوة ذكية ذكرته بشيء مؤ... وتطلع حوله باحثا عن البوابة، فرأى أنه قد ابتعد عنها توا في رحلته المعقدة فوق العشب، وعلى يسار المبنى الوطيء مباشرة ظهرت له طريق مفروشة بالحصباء تؤدي إلى خارج تلك البقاع، فأسرع يغادر المأوى الذي

مكث فيه أكثر من عام، أو ثمانية أيـام على ما يذكـر هو تماما، وما إن أصبح على الطريق حتى يمم شطر الغرب، وقد تـركه طـوال الإقامـة في المستشفى ضعيفـا لا يكاد يقـوى على المشي ثبـات على أي من جـانبي الطـريق المفروشين بـالحصاء، فجعل يجر قدميه، وتشـوش ذهنه أكثـر، وتوقف ليلتقط أنفـاسـه، ثم استأنف سيره ثانيـة وهو يتعثر، ونضح جسمه بالعرق، ولكنه أبى أن يمسح صدعيه، وكان لا يزال خائفا أن ينظر إلى يديه، وأغمض المسـافـرون في سيـارات الميدان الـداكنـة عيـونهم عمن حسبـوه سكيرا يتطـوح. كـانت الشمس فـوق رأس «شادراك» مـاشرة عندما أتى مـدينة مكونـة من بضعة صفـوف من الشـوارع الظليلة، ولم يلبث طـويـلا حتى أصبح في قلبها، في حيها التجاري المنظم الهادىء البديع، وجلس إلى جـانب الـرصيف متـورم القدمين منهـوكـا ليخلع حذاءه، وتحسس بأصابعه رباط حذائه الثقيل ذي الـرقبه العـالية الـذي كان الممـرض قد عقـده له عقـدة مزدوجة، كما يصنع المرء لأطفاله، ولم يستطع «شادراك» من طول مـا تعود على عـدم معالجة الأشيـاء المعقدة أن يفك الـربـاط، فـرع عقـده بأظـافره كيفما اتفق، وأخـذ يغالب خوفا لا سبيـل إلى التحكم فيه أو السيطرة عليه، خوفا ليس مرجعه فحسب الرغبة الملحة في التحرر من ألم قدميه المتوجعتين، فقد كانت حياته في صميمها قائمة على التحرر من العقد والمشاكل، وفجأة وبدون أن يرفع جفنيه شرع يبكي. كـان آنذاك في الثـانية والعشرين من عمره، وكان ضعيفا، وسريع الاهتياج، وخائفا، لا يكاد يجرؤ على الاعتراف بحقيقـة أمـره، من هـو أو تـراه من



يكون، بـلا ماض، أو لغـة، أو عشيرة، أو دفتر عناوين، أو مشط، أو قلم رصـاص، أوسـاعـة، أو منـديل، أو بطانيـة، أو سرير، أوصابونـة أو فتاحة علب، أو بطـاقة بريـد باهتة، أو مفتاح، أو كيس تبغ، أو مـلابس داخلية متسخة، أو عمل يؤديه البتة، ولكنـه كان متأكدا من أمر واحـد فحسب ألا وهو أن يـديـه ضخمتـان وغايـة في البشـاعـة، ولا سبيل إلى كبحهما، وبكى بـدون صـوت مسموع على جانب رصيف تلك المدينة الصغيرة الواقعة في الغـرب الأوسط، وهـو يسـائل نفسـه تـرى أين هي النـافـذة، وأين هـو النهر، وأين هـي تلك الأصـوات الرقيقة العذبة خـارج الباب؟.. ومن خلال دموعه رأى أصـابعـه وهي تعقـد الـربـاط في حـذر أول الأمـر، ثم بسرعـة، وفي تلك الأثنـاء كانت سيـارة الشرطـة تجوب الشـارع، وكان «شـادراك» يعاني من صـداع فطيع، فلم يخفف من حدته ما شعر به من ارتياح عندما أبعد رجال الشرطـة يديـه عما ظنـه اشتبـاكا دائما مع ربـاط الحذاء، واقتـادوه إلى السجن متهما بـالتشرد والسكر، وأودعـوه زنزانة، وكل ما استطاعـه هو أن حدق في الحائط مغلوبا على أمـره، فسكن الألم في رأسـه، ولبث على هـذا الحال المؤلم وقتـا طويـلا ثم تبين لـه أنـه يحدق في حروف أمـر مطبـوع معلق هنـاك كي يشغـل نفسـه بـه، وراح يتأمل عبارتـه، إذ ذهب الألم عن رأسه، وكما يتسلل القمـر من ستـارة النـافـذة تسللت إلى ذهـه فكـرة تحقيق رغبتـه القـديمـة، أن يرى وجهـه، فبحث عن مـرآة، ولما لم يجد شق طريقه إلى سلطانية المرحاض وهو يخفي يديه خلف ظهره، وألقى نظرة خاطفة على داخلها، وكانت الشمس تنير ماءها بصورة متفـاوتة، فلم يقف على شيء فيه، ولما عاد إلى سريره تنـاول البطانية، وغطى بها رأسـه، جاعلا الماء أسود تماما عله يرى صورته فيه، فرأى هنالك وجها أسـود حالكـا يطل عليـه، وكـان سواده مـن التحديـد والوضوح بحيث أدهشه، وهـو الذي طالما فزع من قبل إلى فهم مضطرب أنه شيء غير حقيقـي، بل غير موجود على الإطلاق، أما وقـد صافحه السواد بحضـوره الذي لا يقبل الجدل، فهـو إذن ليس في حاجـة إلى مزيـد، وفي غمرة فرحه أقدم على ترك حافة البطانية تنزلق، ونظر إلى يديـه، فرآهما ساكنتين في وداعة ورقـة، نهض «شادراك» عائدا إلى فراشه، حيث استغـرق في أول نوم له في حياته الجديدة، نـوم أعمق مما تجلبـه عقاقير المستشفى، وأعمق من نـوى الخوخ والبرقـوق، وأكثر ثبـاتـا من جنـاحي الكندور(٣)، وأكثر انسيابا ورقة من حنية البيضة.

نظر الشريف(٤) من خـلال القضبان إلى الشاب ذي الشعـر الملبـد، وكـان قـد فحص الأوراق الخاصـة بـه، واستدعى مزارعا يسأله عنه، فلما استيقظ من النوم أعاد

إليه الشريف ثانية أوراقه، ورافقه إلى مؤخرة عربة السكة الحديد، وركب «شادراك» العربة، وفي أقل من ثلاث ساعات عاد إلى «مداليون»، إذ كان على مسافة اثنين وعشرين ميلا فقط من نافذته وبهوه وأصواته العذبة الرقيقة خارج الباب، وفي مؤخرة عربة السكة الحديد المدعمة بأجولة مسحوق اليقطين وبدوره بدأ «شادراك» صراعا دام اثني عشر يوما ليعظم تجربته ويبلورها، وكان مضطرا إلى أن يفسح للخوف مجالا في تجربته بقصد السيطرة عليها. لقد خبر رائحة الموت، وأصابه الهلع منها، لأنه لم يتهيأ لها سلفا أو يخطط، ولم يكن القتل أو الموت هو ما أفزعه، بل عدم التوقع لكليهما معا، وحلا لكل هذه المعضلات اهتدى «شادراك» إلى فكرة مؤداها أنه لو تم تخصيص يوم في السنة للقتل أو الموت لأفلح كل إنسان في هذا الطريق، وعاش آمن السرب حرا بقية العام، وعلى هذا النهج أسس «شادراك» عيد الانتحار الوطني، وفي اليوم الثالث من أيام العام الجديد جاب «شادراك» قاع المدينة باتجاه طريق «كريك» وهو يحمل معه جرس بقرة وحبل جلاد، وأخذ يدعو الناس جمعا قائلا لهم إن هذا اليوم هو فرصتهم الوحيدة لكي يقتلوا أنفسهم أو يقتل بعضهم بعضا. كان الناس خائفين أول الأمر. إذ كانوا يعرفون أن «شادراك» مجنون، ولكن هذا ليس معناه أنه لم يكن لديه أي نصيب من العقل أو الإحساس، أو حتى مما نوليه نحن اهتماما أكبر، أعني القوة البدنية، فقد كانت عيناه مفرطتين في الوحشية وشعره بالغ الطول وملبدا للغاية، وصوته ملآن بالثقة والقوة والوعيد، لذلك ما سبب الذعر للناس في أول عيد للانتحار الوطني عام ١٩٢٠ أو عيد الإجازة، وكان العيد التالي عام ١٩٢١ أقل إثارة للفزع، ولكنه كان لا يزال يسبب القلق بعض الشيء، وقد ألف الناس في تلك الآونة أن يروا «شادراك» خلال العام، لأنه كان يسكن على ضفة النهر في كوخ كان مملوكا في وقت من الأوقات لجده لأبيه الذي مات منذ زمن طويل، وكان يبيع في أيام الثلاثاء والجمع السمك الذي يصطاده في صبيحتها، ثم يقضي بقية الأسبوع في السكر والصخب والعربدة، ولكن من غير أن يمس أحدا بأذى أو يتشاجر معه، أو حتى يلاطفه، ولما فهم الناس حدود جنونه وطبيعته تقبلوه على علاته

وكان الكبار في الأعياد التالية بعد ذلك يختلسون النظر إليه من وراء الستائر وهو يدق الجرس، ويسرع المارة الخطا، ويصيح الأطفال ثم يجرون، ويحاول القرعان أن يحسوه «رغم أنه كان لا يكبرهم إلا بأربع أو خمس سنوات فقط»، ولكن هذا لا يستمر طويلا، إذ سرعان ما ينهال عليهم باللعن والسب والشتم، ومع مضي الوقت قلّ اهتمام الناس بالثالث من يناير، أو هم بالأحرى طووا ذلك، وكذلك كانوا يظنون أن ليس لديهم بطريقة أو بأخرى أية مشاعر أو ميول تجاه استعراض «شادراك» السنوي المعزل، والحقيقة أنهم ببساطة تركوا التعليق على العيد، لأنهم سربوه إلى أفكارهم ولغتهم وحياتهم.

قالت امرأة لصديقتها :

ـ لا ريب أن ولادة هذا الطفل استغرقت منك وقتا طويلا، كم لبثت المخاض؟.

فأجابت الصديقة

ـ حوالي ثلاثة أيام، فالآلام بدأت في عيد الانتحار الوطني واستمرت حتى يوم الأحد التالي، إن أطفالي جميعا أنجبتهم يوم الأحد.

وقال محب لخطيبته .

ـ دعينا نتم الزفاف بعد احتفالات السنة الجديدة وليس قبلها، إني دفعت نقودا من أجل الاحتفال بليلة رأس السنة.

فردت محبوبته:

ـ حسنا، لكن علينا أن نتأكد أن ذلك لن يكون يوم عيد الانتحار الوطني، فأنا لست مستعدة لسماع أجراس البقر في أثناء إتمام مراسم الزفاف.

وقالت جدة شخص ما إن دجاجاتها بدأت تضع بيضا بمحين في أعقاب عيد الانتحار الوطني مباشرة.

وتعرض الكاهن «ديل» لموضوع العيد في إحدى خطبه قائلا إن الذين أوتوا نصيبا من العقل يجنبهم دعوة «شادراك» هم أنفسهم الذين يصرون على شرب الخمر، وهم أنفسهم الذين ينغمسون في الشهوات والملذات حتى الموت، «فهل ترانا حقا تفهمنا دعوة «شادراك»، وأنقذنا الحمل الضال من التردي في الخطيئة». وبذلك أصبح عيد الانتحار الوطني في هدوء ويسر جزءا من نسيج الحياة في قاع مدينة «مداليون» بولاية «أوهايو» .□

---

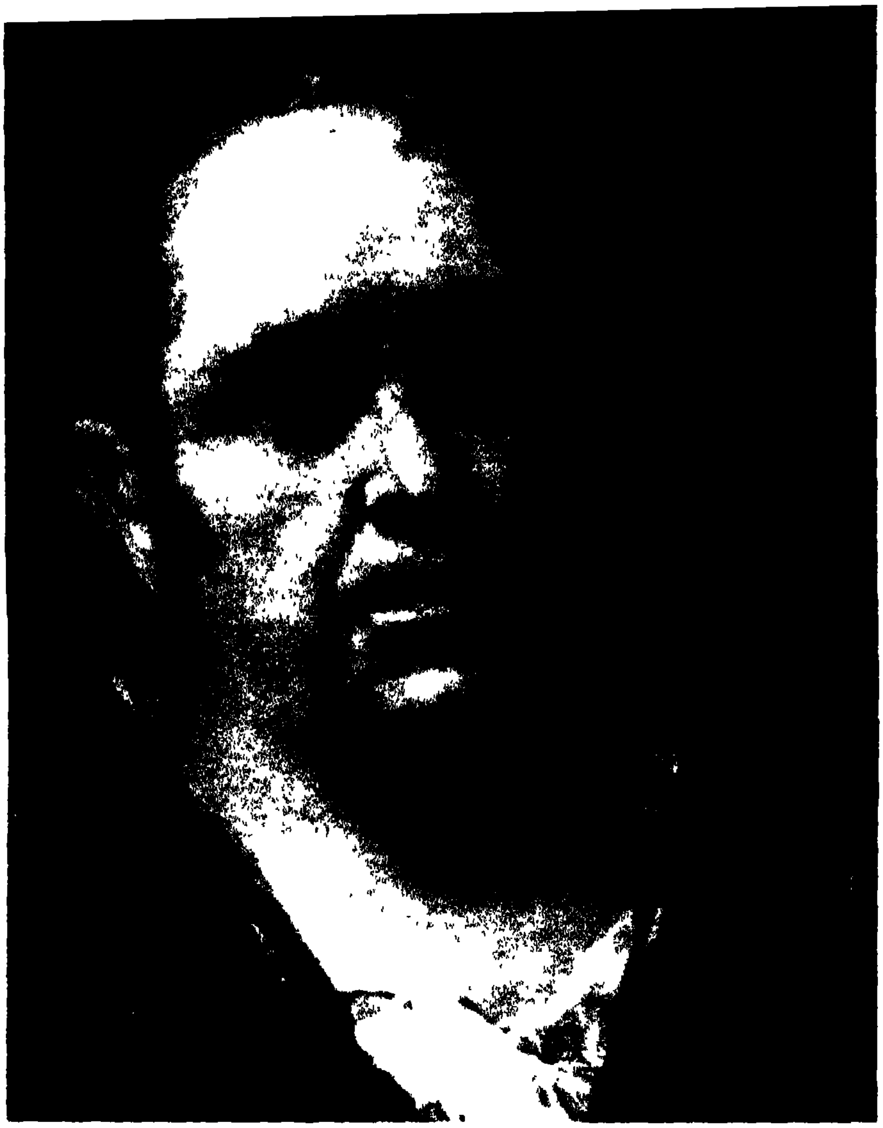
(١) قصة شهيرة للأطفال

(٢) الكلمة التي أوردها الممرض في حديثه بالإنجليزية هي «Private» وقد قصد بها معنى «الجندي» ولكنها تنصرف إلى معان أخرى من بينها معنى العورة التي لا يجوز كشفها أو الاطلاع عليها، وقد صرفها «شادراك» إلى هذا المعنى وحده تبعا لحالته المرضية العقلية والنفسية، كما سيأتي في السياق

(٣) سر أمريكي

(٤) عمدة المدينة

جويا



□ صورة شخصية للفنان جويا وهو في أواخر سنوات عمره.. ألوان زيتية ــ متحف البرادو، مدريد.

فنان ثائر ولوحات سوداء

بقلم الدكتور: السيد القماش *

لقد ولّد المرض والعزلة داخل أعماق هذا الفنان أطيافاً وأشباحاً غريبة، وجاءت اللوحات التي عبر فيها عن مكنون نفسه مليئة بالعنف والجراءة وذات لغة مختلفة، لذلك فقد فتحت عصراً جديداً من الفن.

ولد جويا GOYA في قرية فوين دي تودوس FUEN DE TODOS التي تقع بإقليم أراجون ARAGON على بعد عشرين ميلاً من جنوب مدينة سرجوس بإسبانيا ومازال المنزل الذي ولد فيه قائماً وقد حول إلى متحف يزوره الجميع من محبي فنه. وتوفي في بوردوس BURDEOS في السادس عشر من أبريل عام ١٨٢٨ ميلادية. وكان جويا أحد أربعة أطفال ولدوا لخوسي وزوجته جراسيا جويا من مواطني سراجوسا، وكان خوسي ابناً لكاتب عمومي،

* رسام وأستاذ بكلية الفنون الجميلة/ جامعة المنيا ـ مصر

ولقد عمل في هذه المهنة ولكنه تركها واشتغل بالزراعة بدون نجاح كبير ليفلح قطعة أرض في فوين دي تودوس كانت ملكاً لزوجته. أما دونيا جراسيا DONA GRACIA ـ والدته ـ المولودة في لوسيتتس فقد كانت تجري في عروقها الدماء الزرقاء أكثر مما تجري في عروق زوجها، فقد كانت تنتمي لطبقة ملاك الأراضي الفقراء الذين يعيشون في فقر مدقع، ولكنهم حريصون على أصولهم العريقة. أما إخوته فهم، توماس TOMAS الذي كان أبرع من عملوا في مهنة التذهيب. أما أخوه كاميللو CAMILLO فقد دخل سلك الكهنوت. أما شقيقتهم ريتا RITA فقد ماتت بلا زواج وهي في الثلاثين من عمرها.

وفي عام ١٧٤٩ انتقل خوسي والد جويا بأسرته إلى سراجوس بعد أن مل فلاحة الأرض ليعمل في مهنة التذهيب، وسكن منزلاً في حي المغاربة القديم، وعندما بلغ جويا الحادية عشرة أرسله والده إلى مدرسة مؤسسة سراجوس، وهي تابعة لطائفة البيارست وتعرف باسم ESCUELAS PIAS وقد تأسست في القرن السادس عشر على يد القديس جوزيف كالاسانتيوز لتعليم أولاد الطبقة العاملة تعليماً أولياً بالمجان، وهناك تعرف على مارتين زاباتير ZABATER الذي أصبح صديقه الحميم ومحل ثقته ومرجعاً أصيلاً لتقصي الأخبار عن حياة جويا.

مدريد مدينة قذرة

كانت إسبانيا في الوقت الذي ولد فيه جويا على درجة كبيرة من الإهمال فالعاصمة مدريد كانت تعيش في جو من الفوضى والظلام، مما تسبب في تكدس القاذورات بها، والإهمال في إنارتها، كما كان تهاون رجال البوليس سبباً في انتشار العصابات وقطاع الطرق.

وهذا النقص في الخدمات البسيطة الأولية والأمنية كان بداية الضعف في الجهاز الحكومي، وقد امتد هذا الإهمال إلى قطاع التعليم أيضاً فلم تعطه الحكومة القائمة حينذاك أي اهتمام، وكان أقصى ماقامت به هو تشجيعا بسيطا للإصلاح الزراعي، وقليلا من التجديدات في الطرق الصناعية والتجارية بهدف حماية المصالح القائمة وليس بغرض إعادة إصلاحها، كما كانت الكنيسة تمتلك مساحات شاسعة من تلك الأراضي، التي كان يقوم بفلاحتها الغالبية الفقيرة من الفلاحين المستأجرين. أما الطبقة الأرستقراطية فقد كانت هي أيضا سبباً في استمرار الحياة المتدهورة وغير المستقرة. هكذا عايش جويا هذه الحياة في طفولته وتأثر بها كما تأثر أهل بلدته التي كانت تعاني من التخلف والفقر والجهل، والسبب قلة وجود المياه وندرة المطر مما جعل سكانها يعيشون في شظف من العيش، لا يكادون يحصلون على قوتهم من محصول الأرض القليلة العطاء، والتي تظل في معظم أوقات



□ لوحة.. ساتيرن يأكل أولاده (١٨٢٠ ـ ١٨٢٣) ١٤٦×٨٣ سم ـ ألوان زيتية على الجص متحف البرادو، مدريد.

السنة شبه جرداء. أما أهم الأزمات الاجتماعية التي كان لها أكبر الأثر على حياة جويا في الفترة التي سبقت تصوير لوحاته السوداء التي نحن بصددها فهو التأثير العميق للمرض الذي أصابه عام ١٧٩٢، ليس فقط على حياته كإنسان، بل على فنه وحياته الفنية، فهذا المرض قد فاجأ جويا وهو في أوج حياته الفنية، وكان في السادسة والأربعين من عمره وفي قمة نجاحه، ففي خريف عام ١٧٩٢ كان مسافراً إلى الأندلس في جنوب إسبانيا لرسم جزء من محراب في كاديز CADIZ، فداهمه مرض شديد وهو في أشبيلية وحاول عدد من رجال الطب بكل الوسائل أن

شخصوا المرض، منهم من قال إنه قد أصيب بالزهري، ومنهم من قال إنه يعاني من انفصام في الشخصية وتنتابه نوبات من التشكك من وقت لآخر. ومنهم من قال إنه يعاني من اضطراب في السمع، ويشكو أيضا من ضعف الإبصار ويعاني من الدوار، وانتهى به الأمر كما حدث للموسيقار الألماني بيتهوفن (١٧٧٠ ـ ١٨٢٧) إلى صمم كامل.

ولكن في جميع الأحوال فإن مرضه هذا قد أوجد قطعاً في حياته وفي أعماله الفنية، فإن الصمم الذي



□ القتال بالهراوات (١٨٢٠ ـ ١٨٢٣) ١٢٣×٢٦٦ سم ـ ألوان زيتية على الجص متحف البرادو، مدريد.

أصابه قد عزله عن العالم وأغرقه في أعماله الفنية وقد جعله ينطوي على نفسه وينمي نظرته التشاؤمية للعالم، ويزداد نقده اللاذع للهياكل الاجتماعية، وينمو أسلوبه الساخر، واتسعت قدرته على التخيل. كل ذلك كان له أثر على لوحاته الفنية السوداء. ففي فترة الركود الفني وبسبب فترة النقاهة من مرضه، نمت في عقله ووجدانه أشكال وتأثيرات وتكوينات وزوايا وتخطيطات اختبارية إنسانية تتفاقم وتتعاظم يوماً بعد يوم في داخل نفسه.

وقد أخذ جويا يبحث عن نفسه وكيفية تحريرها بوسيلة غير محددة وشخصية بحتة بحيث تتدفق فيها عبقريته وتخيلاته وخصائصه الفنية. ومن هنا ولدت أعماله السوداء، ففي العقل الصامت للفنان الأصم، تكون حدة البصر وتخيلاته من أقوى الحواس التي تسجل كل ما يحيط به من حركات وخطوط وأشكال تندمج في ذاكرته الفنية وتجعلها تتفجر بعد ذلك في أعمال فنية رائعة نابعة من نفس مقهورة من المرض، محددة بالصمم، ذات نظرة تشاؤمية لما حولها. بعد مرض جويا الخطير الذي أنهكه في نهاية عام ١٨١٩ ميلادية والذي جعله أكثر تشاؤماً، قرر أن يجعل (يرسم) وصيته في العمل الأخير الذي ضمنه ما يريد أن يقوله للأجيال القادمة، لقد عبر عن كل ما يستطيع أن يعبر عنه من خلال صوره ورسوماته السابقة، وبعد شفائه وتصويره لصورته الشخصية مع طبيبه أرييتا ARRIETA في عام ١٨٢٠ كرس جويا جهوده لهذا المشروع الضخم، فرسم بالألوان الزيتية أربع عشرة لوحة، يبلغ مساحة البعض منها ستة أمتار مربعة وهذه اللوحات معلقة على حوائط منزله، ومن الأرجح أنها بجانب بعضها البعض الآخر. إن جويا كان يدخر في نفسه على الرغم من كبر سنه حبه للتصوير على الجدران، فلم يصمد أمام إغراء حوائط منزله الريفي، واستيقظت بداخله الرغبة في أن يغطي هذه الحوائط بأشكال وهيئات غريبة، مستمدة من الخيال، وبدلاً من أن يزخرف، فقد رسم بنفس القوة المعهودة في أعماله الحائطية، فجويا يرسم بحرية هذه التشكيلات الكبيرة التي تمده وتمنحه حرية الحركة والقدرة الكبيرة على الابتكار. وإذا تركنا جانباً الفرق الذي يوجد بين تكليف ملكي برسم حوائط كنيسة، وما رسمه جويا من رسومات سوداء لاكتشفنا أن المسافة بين هذا وذاك مختلفة تماما. ويقوم جويا بتغطية كل حوائط منزله ليستدعي كل الأطياف والأشباح التي تؤنس وحدته، فشعوره المظلم الأسود يولد رسومات سوداء بنفس القوة واللهيب، وبنفس العنف أيضا تولد الأشكال القوية والمعبرة على الخلفية المظلمة، تستدعيها فرشاته فتأتي مسرعة تنهض بالحياة وكأنها تمثيل حقيقي ونسخة أصلية للواقع. ولقد نفذت هذه اللوحات بالألوان الزيتية مباشرة على

الجص، وهي تعبر عن خلاصة خمسين عاماً من الصراع ضد الضغوط والعبودية في مجال عمله، وبصف قرن قبل الانطباعية ظهرت أجمل أمثلة الحرية في الفن.

وضحية محاكم التفتيش

إن جويا قد اختار هذا التقاعد في منزله لكي يهرب من البلد الذي سيطر فيه الرياء والوشاية والاضطهاد. لقد أصبحت الحياة لا تطاق فقد عاد التفتيش الجنائي إلى فتح ملف باسمه وأصبح في كل لحظة يستطيع أن يخترق حياته الخاصة. إن هذا المنزل يمثل لجويا في ذلك الوقت الذي سادت فيه الفوضى السياسية والاقتصادية في إسبانيا حينذاك، مرفأ أمان، وبعداً عن هذه الفوضى، وقد يكون هذا قبره. في لوحات هذا المنزل أطلق جويا الفنان المكبوتات التي اختزنها في أعماقه وكانت ثمرتها أربعة عشر تصويراً جدارياً ضخماً، صور ستة منها في غرفة الطعام بالطابق الأرضي، وثمانية بقاعة الجلوس بالطابق العلوي وقد صورت هذه اللوحات مباشرة على الجدران الجصية لأكبر حجرتين بدون مسودات أو دراسات مبدئية أو تحضير لها، فهذه اللوحات أصيلة في تصويرها على نحو رائع، فكل الفنانين يعيشون بشدة في لوحاتهم، ففي هذه اللوحات لم يكن ينقل صورة من اللاوعي إلى الورق أو قماش التصوير فحسب، ولكنه أيضاً يحاول تجسيد العالم الروحي لعقله عن طريق هذه اللوحات الناتجة عن حصيلة البيئة. فهذه اللوحات يمكن رؤيتها على أنها بدائية غريزية تحاول تحليل النفس، ولها نفس نهاية طريقة التحليل النفسي الحديث. إن جويا كان يؤمن بأن الخيال المهجور من العقل ينتج فناً مستحيلاً. لقد أبدع جويا في لوحاته هذه (السوداء) عالماً خيالياً لم يكن مستمداً ــ كما كانت العادة السائدة في وقته ـ من قصص الإنجيل، أو من الموضوعات التاريخية، معظم عناصره لساحرات ومردة، وأشخاص مشوهين، وأناس بسطاء مقهورين، وقد يرى البعض أن هذه الأعمال هي بمثابة وثيقة اتهام يقدمها جويا ضد قوى القسوة والظلم التي عاشتها إسبانيا في عصره، إن العديد من هذه اللوحات يظل تجسيداً لكوابيس ورؤى وأحلام الفنان نفسه، ونادراً ما صورت الساحرات والشياطين والمخلوقات الوهمية بشكل مقنع مثلما صورها جويا، فقد رسم تلك المسوخ البشعة متعلقاً بمحبتها تقريباً، فلقد رسم وصور ما أحسه بالكثير من موجهات العقل في عصر التنوير، ولم تكن اللوحات السوداء مصادفة أو طفرة في عمل جويا، فطالما صور السحرة وخاصة في مجموعة النزوات، والأمثال، كما صورهم أيضاً في لوحاته الراقية في عام ١٧٩٨م، ولوحة راحة السحرة والتي صورها في عام ١٧٨٩.

منزل الأصم من الداخل

على جانبي الباب الرئيسي من جهتي اليسار واليمين، لأكبر حجرات الطابق الأرضي لمنزل الأصم، توجد لوحتان بالحجم الطبيعي، إحداهما لامرأة جميلة أخاذة، ويقال إنها لـ«دونيا اليوكاديا ويسي» وهذه اللوحة هي الوحيدة التي تفلت من عالم الكوابيس، كما لا تعتبر كابوساً مزعجاً، أعتقد أن هذه اللوحة هي التي تحدد المعنى الحقيقي لبقية اللوحات، حيث تتوالى مثل تتابع لرؤية الآخرة المحرمة على الأحياء، الصورة النفسية هنا داكنة، أعتقد أن جويا ذهب بعيداً جداً وعميقاً إلى المعنى ولم يهتم كثيراً بالنسب ولا القوانين التشريحية.

واللوحة الأخرى وهي على الجانب الأيمن من الحجرة تسمى «الشيخان» والتي تساويها تقريباً، وهي دراسة غير دقيقة لرجلين أحدهما مسن ورصين والآخر قلق شرير يهمس في أذن العجوز، أما المرأة التي نراها في اللوحة فيبدو أنها تصور الصحة نسبياً، ترتدي السواد على عكس العجوزين، وأعتقد أنها تمثل اليوكاديا والتي جعلها جويا كما لو كانت شاهدة على الكابوس الخاص به. والرؤية مظلمة عنيفة ذات تأثير دفين.

أما لوحة بيبلكيال جوديث، والتي تناظر لوحة زحل فهي تمزج بين الموت والدم والقهر الشديد للرغبة الظمأى، وقد صورها جويا تلوح بسكين مستعدة لجريمتها الشهيرة، وهنا ارتبط جويا بالقصص القديمة. وفي اللوحة نرى جوديث بمساعدة خادمة عجوز تقتل القائد الراقد في الظلام عند قدميها، وأعتقد أنها مثال يبين تسلط فكرة الانتقام الأنثوي عند جويا، أو أنه يشعر بمرارة الفوضى السياسية والاجتماعية، وتعتمل بداخله فكرة الانتقام لإنقاذ شعبه من شرور من يتسببون في ذلك ولو على يد امرأة

كما حدث في القصص القديمة. ولقد كانت الجوديث موضوعا خصباً تناوله العديد من عباقرة الفن في عصر النهضة من بينهم مايكل أنجلو (١٤٧٥ - ١٥١٤)، وكذلك اندريا مانتينيا (١٤٣١ ـ ١٥٠٦) وأيضاً الفنان الإيطالي أنطونيو كوريجيو، وقد تناول أيضاً الفنان الرسام الفرنسي جوستاف مورو (١٨٢٦ ـ ١٨٩٨) هذا الموضوع مع الاختلاف في الشكل والأداء والأحجام والألوان أيضا، وعلى نفس الجدار بعد اللوحة السابقة توجد لوحة زحل يلتهم ابنه، وتعتبر



□ لوحة :عجوزان يأكلان العصيدة (١٨٢٠ ـ ١٨٢٣) ٥٣-٨٥سم، الوان زيتية على الجص متحف البرادو، مدريد.

هذه اللوحة من أقوى لوحات المجموعة وأكثرها رعباً، وهي تصور أسطورة الإله زحل وهو يلتهم أحد أبنائه وهو والد الكثير من آلهة الإغريق، بلغته نبوءة أفزعته بأن أحد أبنائه سيعلوه، فأكل أبناءه واحداً بعد الآخر إلا جوبيتر الذي أخفته أمه، في هذه اللوحة نجد أن جويا قد عاد إلى تصوير الأساطير القديمة، فاختار أسطورة زحل التي قد يكون لها ارتباط بالأحداث التي تقع في بلاده. والتكوين قوي والتعبير مأساوي ولا نجد خطوطاً بل إضاءات وضربات فرشاة مليئة بالإثارة والخوف. ويلعب موضوع زحل، دوراً مهماً في مجمل اللوحات السوداء كرمز للكآبة والخراب؛ وهو يعبر عن هول سكرات الموت. لقد كان زحل آكل لحوم البشر موضوعاً خصباً للعديد من الفنانين ومن بينهم روبنز (١٥٧٧ ـ ١٦٤٠).

سحرة ومشعوذون

وعلى الحوائط الكبيرة لنفس الغرفة توجد لوحتان عملاقتان مزدحمتان تواجه كل منهما الأخرى إحداهما تصور راحة السحرة أو التيس الكبير، وقد صور فيها جويا مناظر تسودها القتامة وخوف لا عقلاني من المجهول والحس الداخلي بالبشر، صور فيها الماعز تتكلم إلى حشد السحرة والمشعوذين وأنصاف الآدمين بعيون غائرة، وجه بعد وجه في هذا الزحام ينطق بتعبير حيواني مغلق على الخرافة فكل منهم قد فقد خصائصه الإنسانية، فأنوفهم كبيرة ورءوسهم ثقيلة مليئة بالذعر الخفي المشحون بالقلق والتوتر، كما يبدو أنهم ألحقوا بأنفسهم خسارة باشتغالهم بالفنون السوداء، وعلى عكس تلك الوجوه توجد طفلة صغيرة في الأرض السوداء جالسة تطفىء يديها في موقد في أقصى اليمين بعيدة عن الحشد ولكنها تظهر منومة مغناطيسياً بسحرهم الشرير، أما الفراغ الذي يحيطهم فهو قاتم مثير للدهشة، ضربات فرشاة خشنة مثيرة أصبحت هي كل شيء، هي التي يخرج منها اللون والضوء والملابس ولون الأجساد والتعبير. أما لوحة تجلي حجاج القديس ايسيدور، وهو الراعي لمدريد وإقامة القداس فقد كانت في شكل نزهات وغناء ورقص وشرب للخمر، والمعربدون هنا في هذا المهرجان البدائي المتألق المصقول بالجنون مشدودون بعضهم إلى البعض الآخر في قطيع، وجوههم مخبولة في ابتهاج، يشربون ويغنون لينسوا، ووجوه المغنين التي تسود اللوحة مشوهة والذهول يعم الحشد، وعليهم هيئة أناس يعملون بأيديهم بواسطة بعض القوى الشريرة. إن جويا قد صور في لوحة «راحة السحرة» ولوحة «القديس ايسيدور» كلا من بغضه المتصل اللاعقلاني وافتتانه المتواصل بها. أما في الحجرة التي بالطابق العلوي فإننا نجد دراسات

متضادة في لوحة «امرأتان مبتسمتان»، فقسمات وجهيهما ملتوية مرعبة، وكأن تلك اللوحة مشهد من مشاهد سقف كنيسة سان انطونيو، ولكن بعد مرور وقت من الزمن عليها، فقد تغيرت ملامح الوجوه وأصبحت مرعبة مثيرة.

أما لوحة رجال يقرأون، فبالرغم من أنهم حول شيء يقرأونه إلا أن كل واحد منهم في حالة خاصة مليئة بالتوتر والمعاناة والخصوصية الزائدة المليئة بالقلق، ويلعب الضوء دوراً مهماً في إظهار تلك الأحاسيس.

أما لوحة العجوزين، فهما يأكلان العصيدة في فميهما الخاليين من الأسنان، وهما يذكراننا بالرجل الشحاذ الأهتم في سقف كنيسة سان انطونيو. وعلى عكس هاتين اللوحتين بل على عكس كل اللوحات السوداء توجد مشاهد للإيمان بالعقل وسط جنون العالم، فهناك أربع لوحات كبيرة، أكثرها وحشية لوحة القتال بالهراوات، فهذه اللوحة ليست إلا صراعاً همجياً بضربات الهراوات، فنرى فيها رجلين يضرب كل منهما الآخر بهراوة بدون رحمة وأحدهما غارق في دمائه بشكل سيىء، وقد غارت سيقانهما حتى ركبهما في مستنقع، مانعتهما من الهرب، دافعة لهما على مواصلة القتال حتى النهاية الوحشية، وربما يرمز هذا المأزق البشع إلى قتال الإخوة في الحرب الأهلية التي كان جويا شاهداً لها، وأعتقد أن تورط الاثنين المتحاربين حوّل هذا المشهد الفخم إلى كابوس مخيف، وهذه الجدارية هي دليل على الاشتعال والنار والتأجج الذي كان يشعر به جويا جيداً. أما في لوحة الكلب، فهي تقع في نفس القاعة التي نجد فيها لوحة المبارزة، حيث نرى الرأس فقط هو الذي يحيا فيه، هذا المشهد الميت المثير يتصدى لكل التحليلات والأفكار ولا يظهر سوى هلوسات وعالم اللامعقول، ونرى رأس الكلب خاضعا للواقع الذي يراه جويا حينذاك. أما لوحة الحج إلى نافورة سان أيسيدور والمعجزة، فنرى فيها الأفراد يتدفقون بعيداً عن النور (العقلي) ونحو غاية مظلمة داكنة تعبر عن المجهول. ألا يكون ذلك هو ظلمة الوحشية القاسية التي عانى منها جويا؟!.

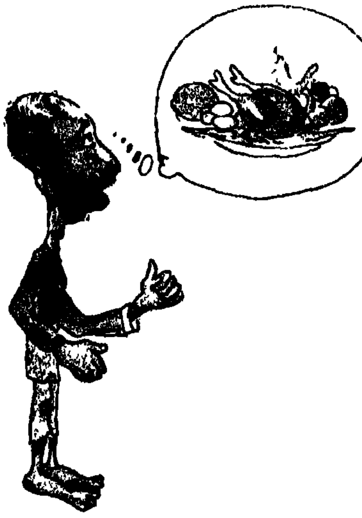
عالم متوحش وانفجارات جامحة

أما لوحة الأقدار، فنرى أربعة أشكال تطير في الفراغ وتحوم باطمئنان مرح فوق العالم منتظرة لتضرب إلى أسفل واحدا أو الكل، ويمسكون في أيديهم بعض الأشياء المثيرة للتساؤل. لوحة رؤية خيالية، وفيها شخصان يسبحان في الهواء نحو مدينة على صخرة عالية مجابهة لهما، ويطوفان فوق حشد من الناس غافلين عن جنديين يصوبان بندقيتيهما عليهما.

إن كل هذا العالم المتوحش والمنبعث من هذه الرسوم، يعبر بحق عن الانفجارات التخيلية الجامحة في نفس جويا النابعة من رجل وحيد يقطع كل صلاته بالعالم من حوله، هذا العالم الذي لم يقدم له طوال حياته إلا مشهداً يلازمه من التفاهة والقسوة.

والجدير بالذكر أن ـ البارون لانجيز ـ قد أنقذ تلك اللوحات السوداء من الضياع باقتنائه لمنزل الأصم عام ١٨٧٣، ونقلت جميع اللوحات من على الحوائط وحولت إلى لوحات منفصلة وعرضت في معرض في باريس عام ١٨٧٨، ثم حفظت في متحف البرادو بمدريد. وتسبب نقل هذه اللوحات من على الجدران في جعل العديد من المعاصرين له يقومون بعمل خرائط لأماكن وضع تلك اللوحات على الجدران ولكن المؤكد أنهم قد اجتمعوا على قائمة واحدة مع اختلاف بعضهم بعض الشيء.□

حد الشبع



* قيل لجمّال: ما حد الشبع؟

قال: أنا أواصل الأكل فما أعرف الحد، ولو كنت أنتهي لوصفت الحال فيه، أعني أني ساعة ألت «أي أعجن» الدقيق، وساعة أشرب لبن اللقاح «أي الناقة» فليس لي فراغ فأدري أني بلغت من الشبع إلا انني أعلم في الجملة أن الجوع عذاب وأن الأكل رحمة وأن الرحمة كلما كانت أكثر كان العبد إلى الله أقرب والله عنه أرضى.

البيت العربى

مجلة الأسرة والمجتمع

■ الطفل من الرضاعة الطبيعية إلى الفطام التدريجي

■ المرأة وصفات الرجل ■ كيف نحب المرأة؟





الطفل من الرضاعة الطبيعية..

بقلم : الدكتورة ليلى بيومي

تعتقد كثير من الأسر أن الطفل في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة لا يتأثر بالظروف المعنوية والمادية التي يعيش فيها والتي تحيط به. ومن ثم قد لا يتم التعامل معه بقدر من الأهمية التي تضمن له صحة نفسية واتزانا شخصيا على المدى البعيد. فكيف تتعامل الأم مع طفلها رضيعا؟ وما هو المدى الذي يشعر من خلاله هذا الإنسان الصغير شديد الحساسية؟.

تقول الدكتورة سعدية بهادر عميدة معهد دراسات الطفولة بجامعة عين شمس: مرحلة الطفولة المبكرة والتي تقع ما بين الولادة حتى سن ما قبل المدرسة تعتبر هي الفترة التكوينية الحاسمة من حياة الإنسان حيث يتم فيها وضع البذور في مستقبل حياة الطفل، ففيها يكوّن فكرة واضحة وسليمة عن نفسه ومفهوما محددا لذاته الجسمية والنفسية والاجتماعية وهي مهمة وخطيرة لأن ما يحدث فيها من نمو يصعب تقويمه أو تعديله في مستقبل حياة الفرد.

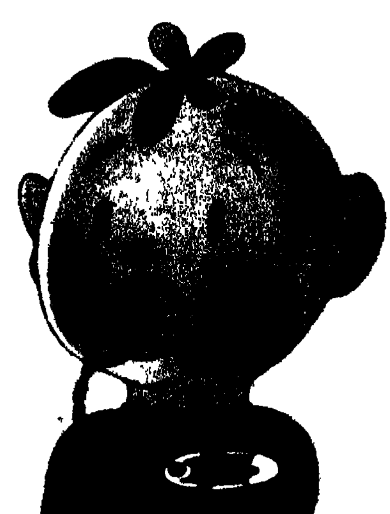
ويقول الدكتور حامد عبد العزيز أستاذ علم النفس وعميد تربية المنيا سابقا: تعتبر السنتان الأوليان من حياة الطفل بالإضافة إلى فترة الحمل نواة شخصيته المستقبلية، وأحد الوجوده المهمة لشخصيته هي الصورة التي يكونها عن نفسه أو صورة الذات التي تنمو من تفاعله مع والديه والآخرين.

فالطفل الذي أبصر والده قاسيا في صغره قد يتعلق بهذه الصورة عندما يصبح رجلا رغم أن والده قد تغير في قسوته وفظاظته، والشاب الذي يتزوج امرأة صغيرة تشبه والدته ربما يتوقع منها لاشعوريا أن تعطيه ما تعطيه الأم لطفلها من إشباع لرغباته.. والطفل يكون صورة عن ذاته ويمارس نشاطه بسمعه وبصره وشعوره وبعدئذ يتأثر بما يقوله الآخرون عنه. فإن كانت فكرة الوالدين عنه طيبة فسيؤثر ذلك عليه. أما إذا كانت صورته عن ذاته ضعيفة فقد يتأثر بأوصاف الآخرين له عندما يكبر. والنضج البيولوجي ضروري لنمو الوليد فكرا وقدرة وقوة، والنضج التربوي ضروري لصيانة النضج البيولوجي خلقا وسمة وانفعالا.

يضيف الدكتور حامد عبد العزيز.. أن ميل الطفل الشديد نحو أمه أكثر من أبيه يعود إلى أنها تشبع رغباته الأولية ولا يرغب في مصاحبة الوالد إلا لإشباع رغبة ثانوية كأن يرغب الوالد في النزول إلى الشارع، فيصر على الخروج معه استطلاعا للجديد في البيئة.

الرضاعة والفطام

تقول الدكتورة فوقية حسن أستاذة الصحة النفسية بجامعة الزقازيق: ما يكتسبه الطفل في سنواته الأولى من عمره يكون له أثر فعال في تكوين شخصيته وإحساسه بالأمان العاطفي الذي من سماته حب الأم.. وأول عمل يؤدي إلى تكوين علاقة الحب هذه هي



الرضاعة. فعن طريقها تتكون مشاعر الطفل وعن طريقها يستمد الكثير من العطف والحب والحنان والمودة، وترتبط عملية الرضاعة بعملية أكثر خطورة وهي عملية الفطام والتي تكمن خطورتها في كونها عملية حرمان من الرضاعة. وإذا تمت بطريقة فجائية أو عن طريق وضع مادة مؤلمة على الثدي فسوف تكون خبرة مؤلمة تؤدي إلى اضطراب في التكوين النفسي لدى الطفل. وتضيف الدكتورة فوقية حسن أن كثيرا من الأمهات لا يدركن أثر نوع المعاملة التي يتلقاها الطفل وهو في سنته الأولى من عمره على تكوين شخصيته واتجاهاته إزاء الحياة. وقد لا يستطيع الكثيرون تصور أن هذا الطفل الصغير الذي لم يبلغ عمره إلا شهورا قليلة متفاعل معها محدد الإطار الذي سوف تتخذه شخصيته في ضوء تفسيره للبيئة المحيطة به. إذ إن علاقة الفرد بالمجتمع وتوافقه النفسي والاجتماعي والقدر الذي يتمتع به من صحة نفسية. كل ذلك يتوقف على أسلوب الرعاية التي يتلقاها منذ طفولته المبكرة. بل ومنذ الأيام الأولى لولادته.

خطورة الفطام الفجائي

والرضاعة لا تشبع جوع الطفل فحسب بل يحمل ثدي الأم إلى الطفل الحب والعطف والشعور بالأمن، وعلى القدر الذي تشبع به هذه الحاجات يتوقف التكوين النفسي للطفل. أما ظاهرة الفطام



فتحتل مرتبة الصدارة في قائمة الظواهر المهمة التي تحدث في مرحلة الطفولة المبكرة. وهنا يجب أن نفكر في الفطيم والفطام وفي الفطام بالمعنى الواسع والذي يتضمن الفطام الغذائي والنفسي عن الأم. ومن ثم ينمي الاستقلال والاعتماد على النفس بطريقة صحيحة. ولكي يتحقق هذا ينبغي ألا تحدث عملية الفطام بطريقة فجائية، ذلك لأن الطفل عادة ما يضطرب حينما يطرأ على حياته تغيير مفاجيء. لذا يجب أن يلزم التغيير عملية توافق تدريجي.

أما الدكتور محمد شعلان أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر فيقول: الثابت أن الحالة الانفعالية للطفل تؤثر على صحته في فترة الرضاعة. ويحس الطفل فيها بالحب والارتياح تجاه الآخرين. وعلاقة الطفل بأمه في السنين الأولى من عمره إذا كانت وثيقة تزيد من مشاعر الود والدفء والأمن ثم تعمم هذه المشاعر من قبل الطفل إلى الآخرين ويبدأ الطفل حياة سليمة انفعاليا واجتماعيا، والطفل عند الرضاعة من الأم يسمع دقات قلبها مما يحدث له نوعا من الاطمئنان والراحة النفسية، كما أن هزات القلب المنتظمة تؤدي إلى نمو خلايا معينة في مخ الطفل تجعله أكثر سلامة من الناحيتين الصحية والنفسية.

أما الدكتور جمال شفيق مدرس علم النفس بجامعة عين شمس فيقول: يعتبر النمو العقلي أثناء مرحلة الطفولة المبكرة شيئا غير عادي وجديرا بالملاحظة، حيث إنه في هذا الوقت نجد الأطفال ينمون نماذج من المهارات التي نسميها الذكاء العام. وتسبب هذه التغيرات نموا في قدرة الطفل العقلية، ونجد مفهومه يتسع بصورة كبيرة، كما أن الطفل لا يستفيد من طعامه إذا قدم إليه مهما كان وفيرا وطيبا إلا إذا توافر له عنصر الأمن والاستقرار من خلال البيئة التي يعيش فيها.

أما الدكتور أحمد يونس أستاذ طب الأطفال بجامعة القاهرة فيقول: الحالة النفسية للأم لها تأثير كبير جدا على صحة الطفل النفسية والجسمانية. فالغضب والحزن والقلق لدى الأم ينتقل إلى الطفل. ويغير طعم ومكونات اللبن، مما يجعل الطفل يرفضه وإذا تقبله يتسبب له في مغص وآلام شديدة.

أطفال السجون

وفي دراسة استطلاعية مقارنة، بين أطفال دور الحضانة وأطفال الأمهات نزيلات السجون حول الحرمان العاطفي البيئي وعلاقته بنمو الأطفال الرضع، قامت بها الباحثتان الدكتورة أسماء محمد السرسي والدكتورة فاطمة إبراهيم بلال - جامعة عين شمس - ثبت أن الطفل خلال مرحلة الرضاعة يحتاج إلى ما يدعم نموه من غذاء متوازن وصوت إنساني متناغم ووجه مبتسم يداعبه، كما يحتاج إلى الحب والمداعبة وإحداث الكثير من التنويع والتغيير في البيئة المحيطة به وإثراء هذه البيئة بمختلف المثيرات مما يساعده على تحقيق أفضل نمو جسمي ولغوي وعقلي ونفسي، وأن أي حرمان بيئي يؤثر على مختلف جوانب النمو. □

لكـــي تنـجـــح المـــرأة

هل يجب أن تأخذ صفات الرجل ؟!

بقلم : الـــدكتـــورة سهير سيـــد



مـاذا تفعـل المرأة كي تصل إلى طـــريق النجـــاح؟ هل تحافـظ على صفـــاتها الخاصـــة؟ أم تحاول تقليــد الـــرجل فتفقـد جزءا من أنـوثتها وتتظـاهـر بشخصيـة غير شخصيتها؟ ومـا تأثير ذلك على الأسرة وتــربيـة الأطفـــال؟

يبدو أن هذا الموضوع مثير للتساؤلات بالنسبة لعلماء الاجتماع ولعلماء النفـــس على السـواء، مـا هــو الطـريق الأمثل للنجـاح الـذي يمكن أن تسلكـه المرأة حتى تصل إلى المستـويـات القيادية، هل طريق التشبه بالرجل هـو الطـريق الـوحيـد أمـامهـا للنجاح؟.

قـام بأولى الـدراسـات في هـذا الموضـوع عـالم النفس الـدكتـور منتاسيـولبويك عندما اختـار عينة شملت ٥٨ امـرأة و٤٠ رجـلا، وقـد وجـد أن كثيرا من هـؤلاء السيـدات قـد اتصفن بصفـات ذكـوريـة فيهـا الكثير من صفـات العـدوانيـة مع بعض الغطـرسـة،

صفات قد لاتكون موجودة داخل الشخص ولكنها جزء من التقاليد التي تحكم عالم الرجال، وقد وجد د.لبويك أيضا أنه في المراكز العليا تتشابه الصفات بين الرجال والنساء إلى حد كبير بل يكون التصرف بنفس الطريقة أيضا، ولننظر على سبيل المثال كيف كانت مرجريت تاتشر تدير مجلس وزرائها.

المرأة وحلة الفرسان

ولا يمثل هذا الأمر مفاجأة، فالمرأة تميل دائما إلى محاولة جعل صفاتها أكثر صلابة أحيانا وأكثر تساميا في أحيان أخرى، بل إن بعضهن يصل إلى «النوع الثالث» ويبدو أنه لا يوجد طريق آخر للنجاح.

وفي مثال آخر نجد الملكة حتشبسوت التي حكمت مصر في الفترة من ١٥١٢ إلى ١٤٨٢ قبل الميلاد، وقد اكتسبت قوة غير مسبوقة، وحكمت البلاد على مدى ٢١ عاما بكل مقومات الفرعون، التاج والصولجان واللحية الزائفة أيضا، وربما ينطبق نفس الشيء على حالة أخرى هي البطلة الفرنسية الشهيرة «جان دارك» بعد أن أتتها الإشارات المختلفة حتى ترتدي زي الفرسان ولا تخلعه إلا بعد تحرير وطنها من الإنجليز.. لقد تم إحراقها بتهمة أنها ساحرة، ويبدو أن الرجال لم يحبوها عندما حاولت التشبه بهم.

وإذا قفزنا إلى العصر الحديث وبالتحديد في عام ١٩٦٩ عندما مات الموسيقي وعازف الساكسفون الشهير بيللي تيبتون اكتشف أنه كان «هي» ولم يكن «هو» وأنها اضطرت لأن تغير من هيئتها حتى تصل إلى طريق النجاح.

إن المرأة الآن لم تعد في حاجة إلى أن تغير من منظرها، ولكنها من ناحية أخرى سوف تجد نفسها مضطرة لارتداء الحلة المعدنية التي كان يرتديها الفرسان والتحلي بأخلاقهم الخشنة.

هل هي بركان خامد ؟

المرأة في مثل هذه الحالة تكون مثل البركان الخامد، وهي نفس المرأة التي يخشى الرجال منافستها، وهي نفس المرأة التي تخشى أن تجد نفسها تسلك رغما عنها هذا السلوك، إن هناك شيئا معقدا حول الدوافع التي تجعل المرأة العصرية أكثر ميلا للذكورة، فهي تعتقد أن هذا الأمر هو وسيلتها للاستقلال والحياة والحرية، ومادام المجتمع حتى الآن ينكر عليها الحق في أن تعيش حياة مكتملة وفق طبيعتها فهي مضطرة للتنكر لهذه الطبيعة، وقد وجد أن الكثير من النساء اللاتي انضممن إلى الحركات الثورية والإرهابية في العالم يفعلن ذلك لا بدافع الرغبة في العدوان على الآخرين بقدر ما يرونها وسيلة للبقاء.

هل يمكن أن تؤثر هذه النظرة على صورة الأسرة الحديثة؟

ثلاث عواطف تحكم الأسرة

لقد قامت الأسرة المعاصرة وفق تقسيم دقيق للأدوار ونعني بها الأسرة النووية التي تتكون من الزوج والزوجة والأطفال، أحدهم يعمل والآخر يبقى في البيت ليهتم بشئون الأطفال وتربيتهم، وقد استمدت الأسرة تماسكها من ثلاث عواطف أساسية الأولى هي عاطفة الحب التي تجمع المرأة والرجل، وتقودهما إلى الزواج بغض النظر عن اعتبارات الطبقة والثروة التي كانت تحتل مركزا مهما عند أي عقد زواج في



العهد الماضي، لقد أصبح اعتبار الحب والرغبة الخالصة في الارتباط هو الدافع الأول الآن، والعاطفة الثانية هي «الأمومة» وقد أكدت ألوف الدراسات أن الأمومة هي غريزة أساسية وأن وجود الأم بجانب أطفالها هو أحد أساسيات السلوك البشري، ولكن المدهش في الأمر أن هذه الفكرة حديثة أيضا، لم تأخذ مجراها الطبيعي إلا بعد أن تطورت وسائل الصحة وإطالة العمر بالنسبة لصغار الأطفال، أما قبل ذلك فقد كان من المألوف أن تبعد الأم أطفالها إلى أحضان المرضعات سواء كن في الريف أو في البادية، وبديهي أن هذا التصرف كان يتنافى مع ما نطلق عليه الآن «غريزة الأمومة»، وأما العاطفة الثالثة فهي «الترابط الأسرى» والتي كانت تقوم على أن شكل الأسرة هو الوحيد الذي يمنح أفراده الإحساس بالحماية والأمان، أو كما قيل إن الأسرة هي المرفأ الوحيد في عالم لا شاطىء له. ولقد أحدث خروج المرأة إلى العمل ورغبتها في النجاح خارج نطاق الأسرة تغيرا كثيرا في هذه المفاهيم التي تبنتها الأسرة العصرية طويلا، ويقول علماء الاجتماع إن المستقبل يحمل تغيرات كثيرة سوف تطرأ على شكل الأسرة التي تعمل المرأة فيها، خلاف الأسرة التي لا تعمل المرأة خارجها، ولعل أولى التغيرات سوف تطرأ على شكل الزواج، وقد شهدت المجتمعات الغربية صورا من الزواج غير قائمة على شكل الحب التقليدي، ولكنه نوع من الزواج التعاقدي المشروط الذي يعترف بالعلاقات السابقة على الزواج وأنه لا يوجد شيء اسمه إلى الأبد، وأن كل أنواع العلاقات بما فيها الزواج هي عرضة للتغير. لذلك طرأت على عاطفة الأمومة صور كثيرة من التغير، فقد أثبتت الإحصاءات أن من ٥٠٪ إلى ٦٠٪ من الأمهات اللاتي يخرجن إلى العمل يستعن بأشخاص آخرين لتربية أطفالهن سواء كانت مربية أو مدرسة أو حضانة.

وحدث نفس الأمر بالنسبة لمفهوم الترابط الأسري الذي أصبح عرضة لكثير من العواصف والتقلبات، بل وأصبحت الأسرة تدفع بأبنائها مبكرا إلى مجالات الحياة العملية حتى يستطيعوا مواجهة الواقع.

إن التغير الكبير في شخصية المرأة سوف يؤثر كثيرا على شكل الأسرة وطرق تربية الأطفال وبالتالي على كل الهياكل الاجتماعية في المستقبل. □

حياء المرأة



* الخجل حلية من حلي طباع المرأة، كالشجرة زينة الحديقة، ومتى زادت أشجار الحديقة زاد جمالها، وتضاعف إقبال الناس عليها، كذلك المرأة إن كثر حياؤها زاد بهاؤها وتضاعف إقبال الرجال عليها.

تقول باحثة البادية:

إن الفتاة حديقة وحياؤها كالماء موقوف عليه بقاؤها.

المــرأة..
كيف نضطهـدهـا .. ونحبهـا ؟!

بقلـــم : مصطفـــى سليمان

بعد عقـود من الدعـوة إلى تحرير المرأة وانطلاقتهـا في مسيرة الحياة مع الــرجل في كثير من المجـالات، فإننا لا نـزال نلتقي عبر المنـاقشات والمحـاورات المنشـورة، والكتب المذاعة على الناس، بأنماط من الرجال ـ ويا للغرابة من النساء! ـ تهاجم مبدأ تحريـر المرأة، وتلعن الساعـة، وقاسم أمين وهـدى شعـراوي وغيرهما من دعـاة تحريـر المرأة.

يرى الدعاة الجدد وجوب عودة المرأة إلى مكانها الطبيعي ـ برأيهم ـ وهو البيت حيث المطبخ ومقصورة الحريم! وحجة هؤلاء أن المرأة يجب أن تشرف على تـربيـة الأولاد، وكأن تربيتهم مقصورة على المرأة فقط، وليست مسئوليـة مشتركة بين الرجل والمرأة.

وحجتهم أيضا أن المرأة العاملة سبب من أسباب بطالة الشباب، وهـذا يعني ـ ضمنا ـ أن التعليم عندما اقتحمت المرأة ميادينه، جعلها تحمل شهادتها، وتخوض بعلمهـا مجالات اختصاصهـا، فأغلقت مجالات العمل في وجوه الشباب، وتبعا لـذلك علينا أن نحدد مجالات تعليم المرأة حتـى لا تحل



محل الشاب الحامل للتخصص ذاته.

يدعو أنصار عودة المرأة إلى البيت (البيتوتيون) إلى تحديد مدارس معينة للبنات، وتخصيصها بمناهج تتناسب مع طبيعتها، فماذا ستفعل بتخصصاتها العلمية كالكيمياء، والفيزياء، والرياضيات؟.. بل حتى الآداب؟..

يقول (البيتوتيون) لن يكون لدينا من وراء هذه العلوم للبنات مدام كوري عربية!.. ولن يكون من وراء الآداب خنساء جديدة!..

أما إذا تساءلت عن نوع المناهج التي يقترحونها للبنات فاعلم أنها مجالات التدريب المنزلي، ومهارات الحياكة والتطريز وفن الطبخ باعتبار أن أقرب طريق إلى قلب الرجل.. معدته!.

ومن حجج دعاة التدبير المنزلي أن المرأة عندما خرجت من البيت لطلب العلم في المدارس والجامعات فسدت أخلاقها، وأفسدت أخلاق الشباب ــ يا حرام! ــ وكأن الجدران «البرلينية» ومقاصير الحريم والشبابيك الشعرية تحفظ أخلاق المرأة، والشباب!.. العلم والثقافة المستنيرة، ومواجهة الجنس الآخر منذ الطفولة وعبر المراهقة والكهولة، كل ذلك حصن حصين يسلح الشابة والشاب بأخلاقية سليمة قويمة، فما بالك إذا دعمت هذه القيم الأخلاقية الفطرية السلوكية بقيم العلم والثقافة المستنيرة، وعدم الخوف من الشياطين والأبالسة؟.

كيف نعود إلى عصر القمقم؟ أما سمع (البيتوتيون) في كهوفهم المأموثية أن المرأة غزت الفضاء وتحررت من قوانين الجاذبية، والجذبية، والانجذابية؟!.

هذا جانب من جوانب اضطهاد المرأة في عصر الذرة والليزر وخرم ثقوب طبقة الأوزون في الفضاء.. من الأرض!.

عالم بلا امرأة

كيف نعيد ـ بل نسوق ـ المرأة إلى الكهوف؟ تصوروا عالما بلا امرأة! بحرا بلا ماء أو.. ملح! كونا بلا نجوم، بلا شموس!.

الشمس مؤنث، الأرض مؤنث، الحياة مؤنث، والموت.. مذكر! عروش أسقطت من أجل امرأة، حروب شنت، وممالك دكت، من أجل امرأة..

ملاحم، أساطير، معابد، روايات، أشعار لا تفنى في فم الزمان، كل هذا بإلهام امرأة.

لكن ــ مع كل هذا ــ نضطهد المرأة مرة أخرى بعد الدعوة إلى «بيتوتيتها».. وفوق كل هذا.. نحبها!.

الاضطهاد الآخر هو صورة المرأة في أمثال الشعوب، اقرأوا:

* «ابتلع الشيطان المرأة، فلم يستطع هضمها» مثل بولندي.
* «عندما تفكر المرأة بعقلها، فإنها تفكر في الأذى» مثل لاتيني.
* «سلاح المرأة لسانها فكيف تدعه يصدأ بعدم الاستعمال؟» مثل فرنسي.
* «ثلاث بنات وأم = أربعة شياطين للأب» مثل إسباني.
* «المرأة شر كلها .. وشر ما فيها أنه لا بد منها» من التراث العربي!.

السينما العربية تضطهد المرأة، فالمتتبع للأشرطة السينمائية الحديثة تروعه فيها صورة المرأة العربية، مما دفع بالمخرجة الأيرلندية ـ دوروتا ـ في مهرجان الإسكندرية إلى مهاجمة السينما العربية دفاعا عن المرأة الشرقية!.

قالت: «إن نماذج المرأة التي تقدمها الأفلام العربية مشوهة، وكأن المرأة لديكم غارقة في بئر الدنس، فهي إما قاتلة، أو سكيرة، أو خائنة، أو مغلوبة على أمرها، أو شاذة في علاقاتها حتى مع زوجها».. وتتابع: «وأعتقد أن هذه السمات ليست صفات المرأة الشرقية عموما، وإذا كان السينمائيون العرب يحاولون تغريب قيمهم وفكرهم السينمائي بهدف تطوير السينما والوصول إلى اللغة السينمائية العالمية فهذا خطأ فادح».

كيف نحب المرأة ونشوهها؟!

فلماذا نحب المرأة ونشوهها؟ نشن الحروب من أجلها ونحاربها؟ نضطهدها ونحبها؟!.

هل الغاية التلذذ بصياغة فنية جميلة، فيها طرافة بديعة أو توازن بلاغي آسر؟.

المرأة أسمى من كل بلاغات الأقوال، والأمثال والأفلام..

إنها أبلغ من البلاغة ذاتها!..

تذكروا أقوالا أخرى: رفقا بالقوارير. النساء شقائق الرجال. أوصيكم بالنساء خيرا. الجنة تحت أقدام الأمهات.

وأخيرا : هل تتصورون عالما بلا امرأة؟ بحرا بلا ماء؟ بلا ملح؟ كونا بلا نجوم، بلا شموس في السماء؟.

حياة بلا امرأة.. موت. والحياة مؤنث.. الموت مذكر.

بوركت أيتها المرأة: أما، وحبيبة، وأختا، وزوجة، وصديقة، لأنك أنت الحياة.□

مساحة ود

مركونة على الرف

في هذا الشهر تزوجت أختي الأصغر مني، الفارق بيننا ثلاث سنوات، وهكذا للمرة الأولى انعكست الأدوار التي كنا نقوم بها، وأصبحت هي الأولى، وهي التي سوف تبدأ حياة جديدة بينما علي الانزواء في ظلال الأخت الكبرى التي لم يأتها «العدل» بعد.

الأخت الكبرى كانت دائما الأولى في كل شيء بالنسبة لأبويها، إنها التي لا تكف عن الصراخ طوال الليل في عمر التسنين، وهي التي تطفىء أولى شموع أعياد الميلاد، وهي التي لا ترتدي ملابس أختها القديمة، وهي التي يرتعد قلب أمها وهي تراها تخطو حطواتها الأولى في طريقها إلى الحضانة . وهي.. وهي.. صف طويل من التجارب يكون لها دائما فيها المكانة الأولى بالرعاية.

لكن كل شيء قد انقلب الآن، أصبحت الأخت الصغرى المسئولة، هي التي تنتحي أحد الأركان كي تتهامس مع أمها حول ألوان الثياب، وترتيب المدعوين وشراء الأثاث.. وتترك كل هذه التصرفات في نفس الأخت الكبرى بقايا مريرة، لا لأنها فقدت مكانتها فقط، لكن لأنها حتى لو تزوجت فلن يبقى لها من «تحويشة» الزواج إلا ما يكفي لشراء كوب من «الشربات».

إنهم يطلبون منها ألا تتدخل.. إذا فعلت ذلك اتهموها بالأنانية، وأنها لا تهتم بأختها كما يجب، وفي وسط الانشغال العام ينسى البعض وجودها أحيانا، وتحكي لها أختها الكبرى أنها اتصلت بأمها في التليفون في هذه الفترة، وهي تهتف «إنه أنا يا أماه..» ولكن الأم ردت عليها في برود «أنت من؟!!».

إن الحكايات الشعبية والأعمال الأدبية لم تترك الأخت الكبرى في حالها، هل تذكرون قصة سندريلا.. الأخت الصغرى الجميلة والذكية التي لا تستحق أقل من أمير، والأختان الكبيرتان اللتان تمتلئان بالحقد عليها، شكسبير أيضا أحال الأخت الكبرى إلى نمرة شرسة يجب أن تروض في مقابل أختها الصغيرة الوديعة.

إنها حالة محلة تسمى حالة الأخت الكبرى، تفرض عليها الوحدة والوحشة والإحباط أيضا، بل وتدفعها دفعا حتى تركن نفسها على «الرف».

ومما يزيد الأمر سوءا أن المرأة ما زالت غير قادرة على الاستقلال بنفسها اقتصاديا، وشخصيا، وبالتالي فهي عرضة لتعليقات الآخرين، وللافتراضات المريرة التي يحاصرونها بها، وهي تسمع بأذنيها أمها تقول لأختها الصغرى بجدية مفتعلة «من هذه اللحظة عليك أن تبحثي لأختك عن عريس».. من قال إنها يجب أن تبحث عن عريس؟!!

وعلى كل عضوات «نادي الأخت الكبرى» مثلي ألا يستسلمن لمثل هذه الحالة، إن عليهن أن يستبدلنها بذلك القدر الذي لا يفنى من حب الأبوين، وبالنجاح في العمل والأسفار، وأن يرفعن أصابعهن في وجه التقاليد التي تريد أن تضعهن في هذا الإطار.

إن الوحدة صعبة ويزيد من صعوبتها عندما تكتشفين أن أختك وبقية صديقاتك يتعاملن مع آبائهن كأشخاص ناضجين، علاقة يحاول الآخرون إقصاءك عنها، ويكون عليك في هذه الحالة أن تواجهي الأمر بشجاعة وأن تثبتي كم أنت ناضجة وقادرة أيضا على الاختيار الصحيح. إن النصيحة هي أن تواجهي حالة الأخت الكبرى، وأن تحولي الاستمتاع بها، وسوف تعلمين أن أختك عندما تحتاج إلى ملجأ فلن تجد إلا أنت، وأن أمك حين تبكي فلن تجد من يجفف دموعها سوى منديلك.□

راوية جمال الدين

قضية

الــــرأي العــــام العــــربي..

ما مــدى صلتــه بـالــواقع؟

بقلم: الـدكتــور دخيل بن عبـدالله الــدخيل اللـه

إن مسألة استطلاع الرأي أمر مهم يفترض أن يمتد ليشمل مظاهر عديدة من حياتنا، حتى وإن استدعى الأمر عبـوره لمناطق ساخنـة قد يصعب عليه في بعض الأحـايين عبورهـا، من تلك التي تحكم الرأي أو تتحكم بـه في مضامينـه أو معـايير وضـوابطه، إذ بصـلاحهـا تصلح الآراء، وبفسـادها تفسـد الآراء.

إن القصور في الموقف من الـرأي ـ في نظري ـ ليس مقصـوراً على قيـاس الـرأي وأدوات قياسه، على افتراض سلامـة المقاييس. ولا في وجوده شكـلا قـائماً، بل في وجـوده بين ظهـرانينـا كحقيقـة فاعلة.

وعلى أي حال فهنالك بعض المسائل حول حقيقة الرأي، أتمنى على الآخرين أن يشـاركوني فيها الرأي، إن كان لنـا رأي حول الرأي. قـد يكون في بحثهـا ما يفسح الطـريق أمـام المهتمين بـدراسة الـرأي العـام لاستقصاء كنهـه، ومعالجة مـا استعصى علاجـه من مظاهــره. ولعل من أبـرز تلك المســائل مـا يتعلق بتحـديـد قسماتـه ومحددات وجـوده وعـوامل بعثـه وشروط تأثيره. ولنعـــرض لملامح من بعـض تلك المسائل، التي منها مـاله علاقة بـ: طبيعـة الرأي العام العربي في مـوضوعه وخصـوصية مضامينـه المرتبطة بنـوعية معطيـات بيئته. قـد يكـون من ملامح هـذه المسألـة مـاهـو كـامن في السمات النفسيـة للجمـوع العربية والخصـائص الثقافية والاجتماعية لـلأوساط المحيطة بها بما تحويه من أنظمة إدارية وأبنية اقتصادية وتكـوينـات سيـاسيـة، الموروث منهـا والمكتسب والأصيل والـوضيع، وهـذا بـدوره يتطلب ضرورة الإلمام بحقائق حول:

١) مـدى قـرب أو بعـد الـرأي العـام العـربي في مـوضوعـاته من مطـالب وتطلعات واهتمامـات بل

معاناة جموع الناس، الثابت منها والمتغير.

٢) مستوى الاستنارة فيه على صعيد الممارسة والتعبير.

٣) الصلة بين الرأي العام المستنير والحرية في التعبير. وهل بالضرورة أن وجود رأي مستنير مرهون بحرية التعبير. كيف، ومتى، وما الضوابط والموانع أو العقبات؟.

دفاع أم استسلام؟

وعلى افتراض وجود رأي عام خاص بجموع العرب له سماته وقسماته، ما علاقة هذا الرأي بالواقع المعيش للجماهير العربية. هل هو في ظاهره ميكانزم دفاعي ضد واقع مأساوي، وفي جوهره تسليم بواقع مرير، واستسلام أمام اجتياح قوى التأثير والتي غالبا ما تكون قوة تأثيرها فوق ما يحتمل بحيث لا يستطاع لها دفع، سواء كان المؤثر من بني جلدته أو ممن هم غرباء عنه؟ ما تأثير أساليب السلطة في معالجة الرأي على طبيعة الرأي الجمعي للجماهير؟ هل ما نلاحظه من هشاشة وسطحية في آراء الناس حول الموضوعات المختلفة في بيئاتهم وليد تأثير هذه الأساليب في المعالجة؟.

القاعدة الأدبية تقول: أليس منكم رجل رشيد؟ لكن المفارقات المشاهدة في المجتمعات العربية على صعيد القول والعمل ونوعية العلاقة بين القادة والمقودين والمفيدين والمستفيدين توحي بغياب الرشد على صعيد المجموع ماذا عن مظاهر التنافر وعدم التطابق بين مخرجات مؤسسات المجتمع المختلفة في تأثيراتها المتباينة على سلوك الفرد والمجموع؟ ومسئولية من تلك الممارسات السلبية، من تذبذب وازدواجية؟ ماخطورة ذلك على حاضر ومستقبل الأمة؟ وما طبيعة الصلة القائمة بين هذه الحال وبين احتمالية توافر رأي عام مستنير في أوساطنا العربية، جدير بأن يعول عليه في استقراء واقع الحال وابتكار الحلول؟

تؤكد النظرية على أن الإجماع النسبي على رأي معين دليل توحد ورمز اتحاد للقائلين به، ومؤشر على مستوى الولاء والانتماء إلى أي مدى يعكس الرأي العام العربي حقيقة هذا القول في صلته بإرهاصات واقع العربي الراهن؟

هنالك من ينادي بضرورة حصر قنوات التأثير في من هو مستنير من أبناء الصفوة العاقلة، ومثل هذا القول تسنده شواهد من التراث العربي والعالمي، حديثه وقديمه، المدون منه والمنقول. هل في هذا بلوغ ما نطمح له من رأي مستنير وتأثير إيجابي له مطلوب ومرغوب؟.

لاشك أن البحث عن إجابة لمثل هذه التساؤلات قد يفضي إلى حقائق ومضامين تتعلق بالتأثيرات السلبية للنظم القائمة على نوعية الرأي العام في مضمونه وأسلوبه.

بنية العقل العربي

ومن المسائل ما يرتبط بالسمات النفسية ـ الاجتماعية للجمهور العربي وتأثيراتها على نوعية الرأي:

أ) بنية العقل العربي ونمط التفكير العربي في تأثيرها على فاعلية الرأي.

ب) النمطية والآلية في مضمون الرأي العام: هل الرأي العربي في مضامينه وأساليب التعبير عنه وليد نمط التفكير العربي في واقعه المحتر وتبعيته المقيتة، أم أن المسألة على النقيض، للرأي الشائع تأثيره على بنية العقل العربي، لاسيما عندما نقدر نوعية مصادره، حيث أضحى من خلالها الرأي العربي أسير نمطية في التفكير تبدو عقيمة، وآلية في التعبير تبدو بليدة، أملتها طبيعة القيود التي تحكم الرأي السائد، فأضحى معها في موضوعه أبتر وفي أدوات تفكيره مجترا.

ج) هل لما يبدو من ملامح غياب الهوية في الذات العربية، انعكاس على نوعية الرأي العام في مضمونه واستنارته، ومدى وضوحه واستقراره؟ وهل بالضرورة أن غياب الرأي العام المستنير تعبير صريح عن عمق الضياع في بنية التشكل ومعالم التكوين للهوية العربية؟.

د) علام تشير مظاهر عدم الاتساق والتنافر بين الرأي العام العربي وسلوكيات الفرد العربي؟ ومسائل أخرى لها ارتباط مباشر بنوعية مصادره وتأثيراته. أي المصادر المعرفية تلعب دورا أكبر في بلورة الرأي العام العربي وصياغته؟ ما وجه الشبه والاختلاف بين هذه المصادر وغيرها من المصادر في المجتمعات الأخرى

غير العربية، إلى الدرجة التي يمنح فيها خصوصية التفرد في مواضيعه ومضامينه ومصادره وآليات التعبير عنه، وكذلك طبيعة تأثيراته؟.

إن مما يميز جماهيرنا العربية انسياقها بشكل ملحوظ وراء كل دعاية أو إشاعة مع أن المأثور من قيمها قد حذر كثيرا من مغبة اعتماد مثل هذه الأساليب كقنوات لتناقل المعلومات والجزم بها. ما صلة مثل هذه الممارسات بالسية المعرفية والمحال الإدراكي لأفراد مجتمعاتنا؟ وهل للتنشئة الاجتماعية بوكالاتها وأساليبها المختلفة دور في هدا التميز؟ ما نطاق الاتهام الدي قد يرمى به المؤسسة الإعلامية لاعتمادها مثل هده الأساليب في الاتصال، مناهج لتعميم الرأي وشيوعه؟.

غياب الرأي المستنير

ومما يؤخذ على ما يطرح من برامج وآراء عبر قنوات التأثير الجمعي وصمه بالغفلة والاستغفال والسطحية مع عدم الاهتمام، علام الإصرار على هذا التهميش والتسطيح للرأي والرأي العام؟.

إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات قد تفيد في شخيص مستوى العمق في الرأي ونوعية مصادره ومدى الاتساق بين مخرجات هذه المصادر، وقوة تأثيره، ومدى علاقته بالاهتمامات الرئيسية والمعاناة الجوهرية للأمة، ومستوى الانحراف فيه، وبالتالي، إمكان تحديد مدى اعتمادنا عليه كمؤشر لرسم مسار النهوض.

الحقيقة، أن عمق الإشكالية يكمن في غياب الرأي المستنير والذي هو سبيل الإصلاح والصلاح. إذ إن فاعلية تأثير الرأي محكومة بمستوى الاستنارة فيه. بما تعنيه من قدرة على التعقل ومهارة في التدبر. فالآراء الغارقة في الوجدانية وأساليبها المتسمة بالغوغائية لا تمثل رأيا مستنيرا مهما تقول المتقولون. ومع الأسف أنها أضحت ديدنا لنا في التعبير عن مواقفنا. وإذا حدث أن الرأي العام العربي، في عمره الحاضر، لم يكن في أي مرحلة من مراحل عمره ذا فاعلية في التأثير، فلأنه لم يتصف خلالها بالاستنارة في طرائقه ومراميه. ومن هنا صعب التعويل عليه كموحه لما يرسم من استراتيجيات ويقرر من سياسات ويتخذ من قرارات ويبنى من كيانات.

والخلاصة، أن المشكلة ليست فقط في كيفية قياس الرأي أو طرائق قياسه بقدر ماهي مشكلة قائمة في ذات الرأي: مضمونه وآلياته. ونحن مع القائلين بأن السبر الناجع للرأي سوف يسهل علينا التعرف على حقيقته واكتشاف كوامنه، ومن ثم السير على هدي الصالح من معطياته. ولعل في الاستجابة لما أوردنا من أفكار ما يقود لحسن الاستبار وتحديد لنوعية المرجو من مسار.□

حتى أصدقك

* كان بول كوهلر يعطي درسا في الطبيعة لأحد التلاميذ، وبدا أنه لن يستطيع تصور فكرة الوزن أبدا، وخاصة بعد أن حاول المدرس إقناعه بأن رطلا من الريش يساوي في وزنه رطلا من الحديد، ويئس بول كوهلر من تلميذه حين قال له: قف أنت في فناء المنزل وسألقي على رأسك من الطابق الثاني رطلا من الريش ثم ألقي رطلا من الحديد، فإذا قلت لي بعد ذلك إنهما متساويان في الوزن فاني سأصدقك.



جمال العربية

□ صفحة لغة

بقلم: فاروق شوشة

«فصحى عصرية»؟!

يحرص علماؤنا اللغويون المعاصرون على التمييز بين مستويين من الفصحى التي نستعملها الآن، المستوى الأول هو فصحى التراث أو الفصحى التراثية التي هي عنوان على الصحة اللغوية ونموذج رفيع لسلامة التعبير وفصاحته، كما أنها السجل الذي يضم صفحات التراث العربي في مجالاته الأدبية والدينية والمعرفية المختلفة.

أما المستوى الثاني فهو فصحى العصر أو الفصحى العصرية وهي بدورها السجل الذي يضم علوم العصر الحديث ومعارفه، وتتنوع مجالاتها بتنوع حضارة المجتمع واتساع معارفه وغناها، في مجالات العلم والفن والإنسانيات والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد فصلا عن الصحافة والإذاعة والتلفزيون.



ويرى البعض أنه إذا كانت فصحى التراث أعلى في السلم اللغوي من حيث الصحة مقارنة بفصحى العصر، فإن فصحى العصر أكثر غنى واتساعا ووفرة في المفردات والصيغ، والقدرة على استيعاب ما يدخل في جسم العربية من مفردات وتعابير ـ عن اللغات الأجنبية ـ نتيجة للترجمة أو التعريب، فضلا عن اتساعها المستمر لكل ما يضاف إلى المادة اللغوية نتيجة للاشتقاق والقياس والتوليد، من خلال الجهد الدائب للمجامع اللغوية العربية، في العمل على إثراء لغتنا العصرية وإمدادها بكل ما يجعلها قادرة على الوفاء باحتياجات العصر واستيعاب منجزاته وما يحمله من جديد لا يتوقف.

والطريف أن كثيرا مما نستخدمه الآن من تعابير هي في حقيقتها تعابير مستحدثة تمثل جانبا من ابتكارات المترجمين، لم يعد يستوقف أحدا للسؤال عن عروبتها أو أصول صحتها اللغوية بعد أن أصبحت جزءا من التراث العربي، بينما كانت هذه التعابير موضع استنكار عدد من علمائنا منذ حوالي نصف قرن، عندما جمع الأستاذ محمد كرد علي ـ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ مجموعة من التراكيب التي وصفها بأنها: «ما أنزل الله بها من

سلطــان»، وقــدم لها بهذه الكلمات المؤثــرة لعلــه يستعدي عليها أعضاء المجمع قائلا:

«لا أكتمكم يا سادتي أن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه عند سماع لفظ أو إضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم الترجمة، فنسبوا إلى التربية «التربوي» وأتوا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ما صدقوا ولا آمنوا».

ثم يقول: «جاءنا متفاصحو المترجمين بتركيب: النزعة الواقعية، القوة الوجدانية، الذاتي، الموضوعي، الإقليمي، الطريقة الاعتباطية، من حيث الأساس، ضرب الرقم القياسي، النزعات السياسية السائدة، عمل على ضوء كذا، رفع رأس أمته عاليا، يذرف دموع التماسيح، تكهرب الجو بينهما، يحيطها بهالة من الرهبة، السوق السوداء، ذر الرماد في العيون، فشلت المناورة، يضحي على مذبح أغراضه، طلب يد فلانة، رحل الساعة، ظهر على مسرح السياسة، تم الأمر بحسب الخطة المرسومة، حقول العلم والأدب، الشخصيات البارزة، فقيد الواجب، تلطيف الجو الاحتفال، المركز الاستثنائي، التربية الإيجابية العالية، ليس سلبيا بل إيجابيا..» وغير ذلك.

وما كان يرفضه ذوق بعض علمائنا، منذ نصف قرن صار اليوم مقبولا وشائعا، ومحكوما له بالصحة والصواب، بل لم يعد من المتصور أن تقوم لغة عصرية بالتعبير عن احتياجات هذا الزمان من غير أن تستعين بهذه المفردات والتعابير، وما دمنا نستورد - حتى اليوم - مظاهر الحضارة ومبتكرات العلم من صناع الحضارة الغربية، فلا مفر من اقتراض العديد من المصطلحات والمسميات الأجنبية التي وضعت لهذه المخترعات والمبتكرات في مهدها الأصلي، ويوم يكون لدينا علم عربي، ومخترعات عربية، وإضافة إلى سجل الحضارة المعاصر، نستطيع أن نخلع عليها من المسميات العربية ما نشاء، من غير أن نجد أنفسنا مضطرين إلى الترجمة أو التعريب أو الاقتراض، وهو اقتراض لا يتم - عندما يتم - دون رقيب أو حسيب، فهناك دائما الرأي العام اللغوي المناهض لمبدأ الاقتراض من الفصحى، وهناك سدنة المجامع اللغوية في العديد من الأقطار العربية وجهدهم الحريص على ألا تفقد العربية المعاصرة شخصيتها الأصيلة والمتميزة وسط طوفان الدخيل، وبين الانفتاح على جديد يغني العربية عن طريق الاقتراض، والوقوف في وجه هذا الاقتراض من بعض الأفراد والهيئات يتحقق التوازن المنشود في مسيرة لغة العصر يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل.

ولعل الشاعر والفيلسوف المهجري جبران خليل جبران أن يكون أسبق أدباء العصر في الدعوة إلى التجديد، التجديد في اللغة وطرائق التعبير والإبداع، فالشاعر عنده هو كل مجدد يضيف جديدا إلى اللغة، لونا جديدا إلى ألوانها وشراعا جديدا إلى «أشرعتها» وليس ذلك الذي يكون همه تقليد ما مضى وترسم خطى السابقين عليه بالمحاكاة واقتفاء الأثر، فالمبدع الحقيقي - في اللغة وباللغة - يغامر في طريق لم يعبدها سواه، وينشر أجنحته على آفاق لم يكتحل بنورها غيره، ويعود بكنوز جديدة تضاف إلى ما تحويه لغتنا الجميلة من كنوز.□

التغلـــــب على القلـــــق

- انشغل عن القلق بالاستغراق في العمل، فالعمل هو خير علاج.
- اعرف نفسك ولا تحاول التشبه بغيرك.
- انس نفسك واسع لتوفير السعادة لغيرك.



جمال العربية

□ صفحــة شعــر

«بكــاء شيــزر»

للشاعر الفارس أسامة بن منقذ

بين الشام ومصر كـانت حياة الشاعـر الفارس أسامـة بن منقذ الـذي ولد في شيـزر قرب حماة سنة أربعمائة وثماني وثمانين هجـرية، وكـانت وفـاته في دمشق سنـــة خمسمائة وأربع وثمانين. وهـو واحــد من فرسان بني المنقذ المعـدودين أصحاب قلعة شيزر ومن علمائهم وأدبـائهم، وقد خلف أسـامـة ديوانـا كبيرا في مجلدين، وعددا من المصنفات الأدبية في فنون مختلفة

وقــد لمع اسم أسـامــة بن منقــذ في زمن الحروب الصليبيـة، حيث تألقت شـاعريتـه وعـرفت فروسيتـه وبطولته

وفي أثنـاء غيابـه عن بلدتـه شيـزر ـ التي اشتهـرت بقلعتها المنيعـة ـ أصابها زلـزال قضى على جميع سكانها ولم يبق من آل منقذ إلا من قدر له أن يكون بعيدا عنها، ويبكي أسامة أهلـه، وبلدته في قصيدة عامرة بـالمشاعر الإنسـانيــة والتـوهج الشعـري، والنفس الأسيـانــة. ويقول:

حمائم الأيك هيجتـن أشجــانـــــا
فليبك أصـدقنـــا بثـا وأشجـانـا
مـا وجـد صادحـة في كل شـارقـة
تـرجع النــوح في الأفنـــان ألحانـا
كما وجـــدت على قـــومي تخوّفهم
ريب المنـون ودهـر طـال مـا خـانـا
إذا نهى الصبر دمعي عنــد ذكـرهمو
قال الأسى : فض وجـد سحا وتهتـانا
قـالـوا : تأسّ، ومـا قـالـوا بمن؟ وإذا
أفـردت بـالـرزء مـا أنفك أسـوانـا
مــا حــدثتني بـالسلـوان بعــدهمو
نفسي، ولا حـــان سلــواني ولا آنـــا
وفـــاجأتهم من الأيـــام قـــارعـــة
سقتهمـو بكئـوس الموت ذيفـانـا (١)
ماتـوا جميعا كرجع الطرف وانقـرضوا
هل مـــا تـــرى تـارك للعين إنســانـــا
لم يترك الـدهــر لي من بعــد فقـدهمو
قلبـــا أجشمـــه صبرا وسلـــوانـــا
فلـو رأوني لقـالـوا : مـــات أسعدنـا
وعـــاش للهم والأحـــزان أشقـــانـــا
لم يترك الموت منهــــم مــــن يخبرني
عنهم، فيـوضح مـــا لاقــوه تبيـانـــا
بـادوا جميعـا، ومـا شـادوا، فـواعجبـا
للخطب أهلـك عمارا وعمـــرانـــــا



هـذي قصـورهمو صـــارت قبـورهمو
كــذاك كـانـــوا بها من قبل سكـانـــا
ويح الـــزلازل أفنت معشري، فإذا
ذكــرتهم خلتني في القــوم سكـرانـا
لم يحمهم حصنهـم منهـــا ولا رهبت
بأســـا تنـاذره الأقـــران أزمـــانـــا
أتـــاهمو قـــدر لم ينجهـم حـــذر
منــه، وهـل حـذر منج لمن حـــانـا
إن أقفـرت «شيزر» منهم فهم جعلـوا
منيع أسـوارها بيضـا وخـرصانـا (٢)
همو حوهـا فلـو شـــاهــدتها وهمو
بها، لشـاهــدت آسادا وخفــانـا(٣)
كـانـوا لمن خـاف ظلما أو سطـا ملك
كهفـــا، وللجـارم المطلـوب جيرانـا
علــوا بمجـدهمو سيف بن ذي يــزن
كما علت شيـزر في العـز غمـدانـا(٤)
تـراهمو في الـوغى أسـدا، ويـوم نـدى
غيثـا هتـونـا، وفي الظلماء رهبـانـا
حــاولـت كتمان بثي بعــد فقــدهمو
فلم يطـق قلبي المحـــزون كتمانــــا
كـانـــوا سيـوفي إذا نـازلت حـادثـة
وجنتي (٥) حين ألقى الـدهر عـريانـا
فكيف بـالصبر لي عنهم وقــد نظمـوا
دمعي لفقـــدهمو درا ومــرجـــانـا□

---

(١) الذيفان : السم القاتل.
(٢) البيض : السيوف. الخرصان: الدروع والرماح.
(٣) الخفان : مكان السباع
(٤) غمدان : قصر باليمن.
(٥) الجنة : الوقاية والغطاء.

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

فبرايـــر ١٩٩٤م

الشفاهية والكتابية

تـأليـف: والتـر ج.اونـــج

تـرجمة: د. حسن البنا عز الدين

الكتـــاب ١٨٢

٧٥٠
فلساً

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ص.ب. ٢٣٩٩٦ الكويت

طب

الروبوت جراح مخ وأعصاب!



□ الروبوت: هل يغني عن كل هؤلاء الجراحين؟

● تقوم حاليا شركة بريطانية صغيرة ببناء ما يمكن أن يقال عنه: إنه أول إنسان آلي «روبوت» في العالم يمكنه إجراء عمليات جراحية معقدة في الدماغ البشري.

وقد أنزلت هذه الشركة إلى الأسواق أخيرا أول روبوت طبي عبارة عن منظار مزود بكاميرا ذاتية الحركة تمكن الجراحين من استكشاف العالم الداخلي لأجسام مرضاهم، ويتراوح ثمن هذا الروبوت المستكشف ما بين ١٥ و٢٥ ألف جنيه استرليني.

وتسعى الشركة المعنية لجعل إنسانها الآلي جراح المخ والأعصاب الإلكتروني هذا، يتمكن من استئصال أورام المخ بعد أن يأخذ منها عينات يقوم بتحليلها ومقارنة نسيجها المريض بأنسجة المخ السليمة.

وللحصول على ذلك الأداء سيقوم جراحو المخ والأعصاب البشريون بتزويد الروبوت بمعلومات وافية مصورة عن تكوين المخ السليم، للمقارنة بالتكوين المريض وسوف يكون للروبوت برنامجه «الذكي» الخاص به، حتى أنه سيقترح على الجراحين البشريين في بعض الحالات أفضل الطرق للدخول في المخ كي يمسكوا بالورم دون إيذاء يذكر للأنسجة السليمة.

هذا ولا تزال بريطانيا تقود العالم - إلى حد ما - في صناعة الإنسان الآلي الطبي، رغم أن التشريع البريطاني يعفي الجراحين البشريين من مسئولية ارتكاب الأخطاء ماداموا لم يهملوا في أداء عملهم، في حين أن أي خطأ ترتكبه «الآلات» الطبية لا يغتفره هذا القانون، ويظل يلاحق المصممين حتى لو كانوا قد اعتمدوا أفضل الممارسات الهندسية والتكنولوجية المتقدمة لإنجاز «آلاتهم» الطبية.



□ تمثيل لكيفية غزو فيروس الإيدز لخلايا الجهاز المناعي.

الكشف عن أحد أسرار الإيدز

● بعد عقد من اكتشاف فيروس HIV المسبب لمرض الإيدز على يد الدكتور لوك مونتاني في معهد باستير في باريس، عادت مجموعة من الباحثين في نفس المعهد لتعلن تحقيق انتصار مهم في الحرب المعلنة ضد هذا الفيروس القاتل. فقد أعلن الفريق الذي يترأسه الدكتور هوفانسيان أنه نجح في عزل أنزيم يمثل وجوده شرطا أساسيا لنجاح الفيروس في مهاجمة خلايا جهاز المناعة وتدميرها، وبالتالي فإن التوصل إلى طريقة لكبح هذا الأنزيم المسمى CD26 يمكن أن يمنحنا سلاحا فعالا في حربنا ضد فيروس الإيدز.

والأنزيمات بشكل عام عبارة عن جزيئات بروتينية معقدة تنتجها خلايا تستثيرها تفاعلات كيميائية حيوية معينة. وقد عرف العلماء منذ فترة ليست بالقصيرة أن أنزيما آخر، هو أنزيم CD4، يلعب دور «المستقبل» لفيروس الإيدز ويساعد في عملية اقتحامه للخلايا السليمة في جهاز المناعة. لكن أنزيم CD4 لا يمكن أن يفعل كل ذلك وحده. وهكذا، دخل العلماء في سائر أنحاء العالم سباقا مع أنفسهم منذ مطلع الثمانينيات لاكتشاف «مستقبل مساعد» آخر على سطح نوع من الخلايا الليمفاوية تسمى خلايا T (وهي خلايا في جهاز المناعة تعتبر هدفا خاصا لفيروس الإيدز) وخلايا أخرى.

وقد وصل الدكتور هوفانسيان وفريقه إلى خط نهاية السباق قبل أقرانهم، واكتشفوا لأول مرة الكيفية التي يصيب بها فيروس HIV خلايا T السليمة. فبعد أن يدخل فيروس الإيدز إلى الدم، يلتصق البروتين الجزيئي الموجود على سطحه، كالخطاف بمستقبل CD4 الموجود على سطح خلايا T السليمة وما أن يلتصق به حتى يبرز هذا البروتين أحد أجزائه، الذي يسمى أنشوطة V-3، لتتصل بمستقبل آخر، هو أنزيم CD26، يوجد أيضا على سطح خلايا T، وأنشوطة V-3 عبارة عن خيط من الأحماض الأمينية يختلف تركيبها في الفصائل المختلفة لفيروس الإيدز، وتعمل كمفتاح كيميائي حيوي، يفتح المدخل المغلق للـCD26. وفي هذا المدخل، يذيب الفيروس جدار خلايا T ويدخل الخلية ليهيمن عليها ويدمرها ويبدأ في التكاثر.

ومنذ أكثر من عام وفريق الدكتور هوفانسيان يحاول إثبات أن أنزيم الـCD26 هو «المستقبل» لأنشوطة V-3 وباستخدام مركبات تكبح نشاط أنزيم الـCD26، أجروا العديد من التجارب على الفئران، وعلى خلايا بشرية في المعمل، لقياس مستوى اختراق الفيروس للخلية ويقول الدكتور هوفانسيان

«من الواضح أن هذه المركبات المضادة للـCD26 تمنع نشاطه الأنزيمي من على سطح الخلايا وتحول دون اختراق الفيروس لها، بينما تمنع الأجسام المضادة الـ3-V من التفاعل مع الـCD26». ولم يتمكن الفيروس من غزو الخلية عندما كان أنزيم الـCD4 موجودا وحده على سطح الخلية.

ويتمثل الهدف التالي للفريق في إنتاج مركبات مشابهة لها نفس التأثير على المصابين بفيروس الإيدز، لكن تتبدى هنا عقبات كبيرة. فالباحثون لا يعرفون الأدوار الأخرى التي يلعبها أنزيم الـCD26 بالنسبة للخلايا السليمة، وهم لا يريدون سوى منع نشاطه الأنزيمي في خلايا T. وبالنسبة للآخرين، قد يفسر أنزيم الـCD26 سلوك فيروس الإيدز في الدم، لكنه لا يفسر كيفية انتقال الفيروس عبر الأغشية المخاطية عند الاتصال الجنسي، وهو الطريق الأكثر شيوعا للإصابة بالعدوى. وهكذا، يبقى حل لغز الإيدز مراوغا، لكن العلماء يدركون أن أفضل بحث هو الذي يطرح أفضل التساؤلات.

سياحة

اليابانيون يعيدون بناء العالم



□ إحدى اليابانيات أمام نموذج لقصر برمنجهام.

في مقدور اليابانيين الآن أن يطوفوا بالعالم دون أن يتجشموا عناء السفر للخارج، بكل ما يعنيه ذلك من خوض حوارات عقيمة مع ضباط الجوازات والهجرة في المطارات البعيدة، والاضطرار للوي الألسنة حتى ينطقوا باللغات الأجنبية، وتخبئة المحافظ تحت الملابس خشية السرقة، كل هذا العناء لم يعد مطلوبا خاصة لمن لا يقدر عليه جسديا أو ماديا، فقد أحضر اليابانيون العالم إلى بلادهم: باريس، وفينيسيا، ونيويورك، والأهرام، وبرج إيفل، وتاج محل، والميدان الأحمر، كل هذه المدن والمعالم يستطيع الياباني أن يراها في بلاده، وهي أيضا آمنة ونظيفة، بل لعلها أنظف منها في أماكنها الأصلية، وإن كانت صغيرة بعض الشيء.

بداية هذه الظاهرة كانت إنشاء مدينة ديزني لاند طوكيو التي حققت نجاحا هائلا بمجرد افتتاحها عام ١٩٨٣، قبل ديزني لاند الفرنسية بتسعة أعوام، لكنها كانت أمريكية جدا بالنسبة لأذواق اليابانيين، رغم أنها أخذت من الروح الياباني فرط النظافة



□ نموذج من الهرم الأكبر وجزء من صحراء الجيزة، ولكن.. في اليابان.

والدقة، فاليابانيون يقولون «كيري» بمعنى «الجميل»، لكنها تعني «النظيف» أيضا، ومن ثم طعمت ديزني لاند بالكثير من الذوق الياباني من مرشدين مدربين على آداب الحديث باليابانية، ولطف الانحناء والابتسام، وصارت ديزني لاند طوكيو صيغة يابانية مغرية للسياحة بدون سفر، مما شجع على تكرارها.

بعدها بنيت القرية الهولندية المسماة «هديس شن بوش» أي «بيت الغابة» الذي يطلق على المقر الملكي في لاهاي، وافتتحت هذه القرية في مارس عام ١٩٩٢، وتضم نسخا من عشرات المباني الهولندية القديمة مشيدة بالمواد نفسها التي استخدمت في بناء الأصل وبدرجة مذهلة من الدقة، ورغم أن القرية مخصصة لسياحة اليوم الواحد، إلا أنه توجد بها فيللات على شواطىء البحيرات وفندق يضم ٣٢٩ غرفة ـ وهو نسخة من فندق هولندي عريق ـ للزوار الذين يريدون الاستغراق في الوهم الجميل وقضاء يوم هولندي في قلب طوكيو.

على نفس المنوال، أقيمت قرية ألمانية في جزيرة هوكايو الشمالية وتحمل اسم «جلكس ـ كانيجريتش» أي مملكة السعادة، وتبعتها قرية كندية في الجزيرة نفسها، ثم قرية على طراز الغرب الأمريكي في مقاطعة توشيجي، وقرية إسبانية في هيروشيما، أما في ناحية «توبو وورلك» التي تقع إلى الشمال من طوكيو على بعد ساعتين بالقطار فقد أقيمت قرية تضم نماذج مصغرة بنسبة ١:٢٥ لأشهر معالم الدنيا بدءا من الهرم الأكبر وحتى مركز التجارة العالمي في نيويورك مرورا بالبارثيون وساعة بج بن.

ولقد وصل عدد هذه المزارات إلى ٤٥ مزارا تتوزع على أنحاء مختلفة من اليابان، وتجتذب سنويا حوالي عشرين مليون زائر، ولعل هذا يبرر ضخامة الإنفاق على مثل هذه المزارات التي تكلف أحدها (وهو «بيت الغابة») ١ر١ مليار جنيه استرليني في المرحلة الأولى، بينما المرحلة الثانية تتضمن مشروعا لبناء قرية تكفي لاستضافة عشرة آلاف شخص وينتظر افتتاحها عام ١٩٩٨.

بيئة

ري الصحراء... من الهواء

● الصحراء معضلة الأرض، ومعضلة الصحراء الماء. فهذه البحار المترامية من الرمال، التي تغطي مساحتها ٢٠٪ من مساحة الأرض غير المغطاة بالجليد إضافة للأراضي الأخرى التي تتصحر جميعها ينقصها الماء. وليس غاية الماء هنا إحالة الصحراء إلى حدائق وحقول، ولكن الغاية هي منع مزيد من الأرض من الانزلاق إلى مصير التصحر، بإقامة واحات بشرية هنا وهناك في بحر الرمال الشاسع، وبما يسمح لمزيد من البشر بالحصول على غذائهم من هذه الأرض الضائعة.

لقد استولى هذا الأمر على تفكير المهندس الدنماركي «ستوارت كلينز» الحاصل على الدكتوراة من جامعة كمبريدج. وكان يدرك مدى ارتفاع تكاليف الحصول على مياه للزراعة في الصحراء عن طريق المضخات، لسحب المياه الجوفية من تحت الأرض، أو لجرها عبر الأنابيب من تجمعات الماء البعيدة. لهذا وجه تفكيره نحو الكائنات الصحراوية التي تواصل الحياة بنجاح رغم جفاف الصحراء، واستنتج أنها لابد تحصل على الماء بطريقة ما. وكانت ملهمته مجرد خنفساء تعيش في الصحراء الناميبية واسمها «الخنفساء جامعة الضباب».

ففي مناطق الصحراء الساحلية ينتقل بخار الماء المتصاعد على سطح المحيط الأطلنطي ويعبق به الجو فوق الرمال، وعندما يهبط الليل وتنخفض درجة الحرارة، يتكاثف بخار الماء مكونا الندى. في هذه الأثناء تقوم الخنفساء المذكورة بالوقوف على رأسها، وبأرجلها الخلفية تأخذ في ركل الضباب بسرعة فيتكاثف وينزلق على جسمها ويتجمع تحت رأسها لتشرب منه، ثم تقوم بعد أن ترتوي بدفن نفسها في الرمل المبتل قبل سطوع النهار حتى لا تتعرض للموت بالجفاف إذ تبلغ درجة الحرارة في هذه الصحراء القاسية ٩٠ درجة مئوية في بعض أيام الصيف.

هذه الطريقة العبقرية البسيطة التي تحصل بها خنفساء الضباب على الماء من الجو، أوحت إلى المهندس الدكتور «ستوارت كلينز» بابتكار جهاز يحاكي ما تفعله الخنفساء، فكانت أداة جمع الماء من الهواء فرشاة دوّارة قطرها نصف متر وبها آلاف الشعرات من الألياف الزجاجية التي تقدر مساحتها السطحية بمئات الأمتار المربعة التي يتكاثف عليها الماء. ويقدر الماء الذي يمكن أن تجمعه



□ محاكاة تكنولوجية لخنفساء الصحراء الناميبية.

شعرات الفرشاة بـ٥ ـ ١٠ لترات من الماء في اليوم الواحد تبعاً لحالة الجو. هذا أثناء الليل، أما في النهار فإن الفرشاة يتم رفعها لتدخل في اسطوانة مدهونة باللون الأسود مما يرفع درجة الحرارة داخلها إلى ١٠٠ درجة مئوية تحول ما تجمّع من الماء داخلها إلى بخار يدخل في تجاويف الأرجل المعدنية البيضاء حاملة الجهاز، ولأن درجة حرارتها منخفضة فإن البخار يتكاثف ويهبط فيها لينضم إلى ما تم جمعه من ماء أثناء الليل وتشبعت به الرمال تحت الجهاز.

إن هذه الوسيلة واعدة بتحويل ٢٠ كيلو مترا مربعاً من الصحراء إلى واحة باستخدام ٢٠٠٠ جهاز ولمدة عشر سنوات، وهذه الواحة بدورها تعمل على خفض درجة الحرارة ومن ثم استقطاب الأمطار لتتكاثف خضرة الواحة أكثر فأكثر. وليس الهدف هو تحويل الصحراء إلى وديان خضراء، فالصحراء بيئة لها دورها في النظام البيئي، لكن الهدف هو خلق واحات من الأمل يحتمي بظلها وثمرها بعض البشر الذين دفعهم قدرهم إلى هجير الصحراء.

فنون تشكيلية

بعد خمسين عاما يعود لورنس

● شهدت صالة عرض مجموعة فيليبس في واشنطن أخيرا حدثا فنيا فريدا تمثل في عرض كل اللوحات الستين لـ«مجموعة الهجرة» التي أبدعها الرسام الأمريكي جاكوب لورنس، وهو حدث بالغ الأهمية لكل المهتمين بالثقافة الأمريكية السوداء وبتاريخ الرسم الأمريكي.



□ عاملة المغسلة. تأثيرات الفن المصري القديم.

وقد مرت خمسون عاما منذ أن رسم لورنس هذه اللوحات الصغيرة، التي لا تتجاوز أبعاد الواحدة منها ٣٠سم×٤٥سم، في استوديو ملحق بمكتبة عامة في هارلم بنيويورك، وتتوزع المجموعة على نصفين، النصف الأول في مجموعة فيليبس، والنصف الثاني يدخل ضمن مقتنيات متحف الفن الحديث في نيويورك، وهي المرة الأولى التي يقتني فيها هذا المتحف العريق أعمال فنان أسود، ويعود هذا في المقام الأول إلى أن «مجموعة الهجرة» تعبر عن امتزاج فريد بين خبرات السود والرسم التاريخي واللغة الفنية الحديثة، وتتناول لقطات تصور هجرة السود من الجنوب الزراعي إلى الشمال الصناعي في مطلع هذا القرن هربا من قوانين الفصل العنصري وإرهاب عصابات الكوكلوكس كلان، وتناول لورنس موضوعاته بلغة أبعد ما تكون عن التحريض، ورغم أن المجموعة مليئة بصور العنف والحزن ـ السجون، القرى المهجورة، تجمعات الفقراء في المدن، معسكرات العمل، الإعدامات ـ إلا أن كل صوره اتسمت بالانضباط



□ المهاجرون.. امتزاج الفن الزنجي المعاصر في أمريكا بجذوره الإفريقية.

والحدة والرهافة، ففي لوحة «الإعدام» أغفل رسم الجثة المتدلية والحشد الصاخب: صور فقط أرضا جرداء، وغصن شجرة، ومشنقة فارغة، وكتلة متكورة لامرأة حزينة.

إن مجموعة الهجرة تمتلك التأثير البصري للأنشودة الروائية، وتمثل كل لوحة منها مقطعا مستقلا: مقطعا مشدودا، وكثيفا، يلخص الحكاية بأسرها، وفي لوحة تحت عنوان «كانوا فقراء جدا»، تلخيص لحياة فلاحي الجنوب الفقراء إلى أقصى درجة من السكون: رجل وامرأة يحملقان في وعاءين فارغين على لوح بني عار، وسلة فارغة معلقة بمسمار يذكرك بمشهد الصلب، وقد سمى لورنس أسلوبه هذا بـ«التكعيبية الديناميكية» ورغم أنه يدين بشكل واضح للتكعيبية المتأخرة إلا أن أسلوبه ليس ديناميكيا على الإطلاق، فهو أقرب إلى الأسلوب السكوني للفنان المصري القديم، يصور كائنات جامدة وساكنة حتى لو أدركت بوعيك أنها في حالة حركة، مثل ذلك الحشد المندفع بين عربتي سكة حديد.

ويعطي أسلوبه الصور جاذبية لا تقاوم، تتبدى بوضوح في لوحة «العاملة كانت أيضا بين آخر المجموعات التي غادرت الجنوب» حيث تظهر في اللوحة شخصية واحدة لامرأة تعمل في مغسلة، وتستخدم عصاها الخشبية للتقليب في حوض المغسلة ـ أزرق وأسود وأصفر وأحمر قرنفلي ـ وهو تكوين كثيف شديد الإحكام، يفترض الاستمرارية والمقاومة، وهما موضوعان يتكرران كثيرا في تلك المجموعة العظيمة التي أبدعها لورنس.



□ برولكس: إنني أؤمن أنه بالتصوير الجيد لخلفية الحدث سوف تخطو الشخصيات خارجة منه وتمارس حياتها الخاصة.

أدب

جوائز عديدة لكاتبة الأنباء المشحونة

● حصلت الروائية الأمريكية آني بروكلس الشهر الماضي على الجائزة الوطنية للكتاب في الولايات المتحدة عن روايتها «الأنباء المشحونة»، ويبدو أن هذا العام هو عام السعد لتلك الكاتبة التي ظلت مغمورة وتم تجاهلها لسنوات طويلة، فقد حصلت على جائزة فولكنر الأدبية، وجائزة هيرتلاند الأدبية، وجائزة القصة التي تمنحها جريدة التايمز أنترناشيونال الأيرلندية.

وكانت برولكس قد ولدت في فرمونت منذ ٥٨ عاما، وعاشت تجارب قاسية، فقد تركت الدراسة في سن مبكرة، وعبر رحلة طويلة انتهت الآن إلى العيش مع صديق لها في كوخ ناء في الطرف الشمالي للولاية، حيث يعيشان على الصيد والقنص وقطف الثمار البرية، وتقول: «إن العيش بهذه الطريقة يعلمك اليقظة الشديدة والوعي بكل ما حولك، بدءا من فروع الأشجار وثمار الفطر البري، حتى فخاخ الحيوانات، وهو تدريب ممتاز للعين، فمعظمنا يتخبط هنا وهناك أعمى وأصم».

وقد تولت أيضا تعليم نفسها الكتابة بطريقة لم تعد شائعة اليوم، وتقول: «أعتقد أنك إذا امتلكت الرؤية الصحيحة، فستخرج الشخصيات منها لتحتل مكانها الصحيح، وستجيء القصة من الرؤية». وتفضي القسوة التي يعانيها الإنسان في حياته أيضا إلى القصة، ربما مباشرة وربما على نحو مراوغ.

وتبدأ روايتها «الأنباء المشحونة» بهجوم شرس على بطلها، رجل لزج اسمه كوايل، بوصفه «كلبا يرتدي بدلة رجل من أجل التقاط صورة كوميدية» يمتلك جسما مخروطيا ضخما وزوجة غير مخلصة «رقيقة وندية وساخنة..» لكن مع رحيله إلى نيوفاوندلاند لكي يعمل صحفيا وتلمسه للحياة هناك، تبدأ الرواية في التفتح وتتسامح المؤلفة قليلا مع شخصياتها.

وهذه هي الرواية الثانية لآني برولكس بعد روايتها الأولى «البطاقات البريدية» وكانت قد نشرت قبل ذلك مجموعة قصصية بعنوان «أغاني القلب» وتعكف الآن على إتمام رواية من روايات الجريمة تحت عنوان «الأسود والقرمزي».

رياضة

هل تفوز أمريكا بكأس العالم القادمة؟

● في السابع عشر من يونيو / حزيران المقبل، ستعلن صافرة حكم مباراة افتتاح كأس العالم الخامسة عشرة، التي ستقام على ملعب سولجرفيلد في شيكاغو، انطلاق أول بطولة كأس عالم تقام خارج قارتي أوربا وأمريكا الجنوبية، وفي الأسابيع الأربعة التالية ستتنافس على البطولة فرق

٢٤ بلدا في ٥٢ مباراة ستقام في شيكاغو، دترويت، أورلاندو، بوسطن، واشنطن، نيويورك، دالاس، سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس. وستقام المباراة النهائية على ملعب روز باول في باسادينا.

وكان قرار الاتحاد الدولي لكرة القدم ــ الفيفا ــ إقامة كأس العالم في الولايات المتحدة قد أثار ردود أفعال تراوحت بين الخوف والسخرية، وتركزت تخوفات المحافظين على روح اللعبة بينما تخوف البعض من العزوف الجماهيري عن متابعة المنافسة، وهما أمران ثبت عدم صحتهما، فاللعبة لن تتغير، والمدرجات لن يكون بها مقعد خال، وسيصل العدد الإجمالي لتذاكر المباريات إلى ٦ر٣ مليون تذكرة، علما بأن كل التذاكر التي طرحت في الأسواق حتى الآن قد بيعت في لحظات.

لكن نقل كأس العالم من موطنه في أوربا وأمريكا الجنوبية كان مغامرة بكل المقاييس، ويظل السؤال هو: ما هي الاعتبارات التي دفعت الفيفا إلى القيام بهذه المغامرة؟

يعود الاعتبار الأول إلى أن الولايات المتحدة هي التي طلبت بنفسها استضافة كأس العالم، بينما يعود الاعتبار الثاني إلى عدم وجود منافسة حقيقية إلا من المغرب والبرازيل، وبالتالي كان التصويت لصالح الولايات المتحدة أمرا سهلاً.



□ فريق كرة القدم الأمريكي.. هل يكون مفاجأة؟

وكان رئيس الفيفا البرازيلي، أنطونيو سامارانش، قد طاف آسيا وإفريقيا عشية انتخابه عام ١٩٧٤ حيث وعد بتخصيص المزيد من الأماكن لمنتخبات بلدان القارتين في مقابل ضمان أصواتها، ونجح بالفعل في زيادة عدد الفرق المشاركة من ١٦ فريقا إلى ٢٤ فريقا، لكن كان عليه أن يدبر تكاليف تغطية هذه الزيادة الكبيرة، فلجأ إلى فكرة الرعاية والتسويق بمساعدة نصير الرياضة العالمية السيد هورست داسلر، صاحب شركة أديداس، وفي المسابقة الأخيرة التي أقيمت في إيطاليا عام ١٩٩٠، وصل ثمن رعاية الدورة ــ وهو ما يعني وضع شعار الجهة الراعية إلى جانب الشعار الرسمي للدورة ـ إلى عشرين مليون دولار.

وإذا علمنا أن شبكة تليفزيون إن.بي.سي ستدفع ٤٥٦ مليون دولار لنقل الدورة الأولمبية التي ستقام في أتلانتا عام ١٩٩٦، لأدركنا الأهمية التي يعلقها الفيفا على عملية توسيع شعبية كرة القدم في أمريكا، وبالتالي ضمان النجاح والربح لكأس العالم القادمة.

والواقع أن الظروف مواتية تماما لذلك، فكرة القدم أصبحت الآن هي اللعبة الثانية التي يمارسها الشباب في أمريكا بعد كرة السلة وقبل البيسبول «كرة القدم الأمريكية» وفاز فريق السيدات الأمريكي لكرة القدم بأول كأس عالم للسيدات والتي أقيمت في بكين عام ١٩٩١، ووصلت المنتخبات الأمريكية للناشئين إلى كل بطولات كأس العالم للناشئين التي نظمها الفيفا منذ عام ١٩٩٠، وهو إنجاز لم يتحقق إلا لإيطاليا، ومع وجود خمسة ملايين أمريكي

يلعب كل منهم أكثر من ٣٠ مباراة سنويا، ومع زيادة مبيعات أدوات اللعبة بمقدار ١٥٪ سنويا، تتوافر إمكانات كبيرة لقيام سوق حقيقية لكرة القدم في الولايات المتحدة.

لكن هل سيعني هذا ازدهار كرة القدم في أمريكا أم أن المشاهدين سيتحولون إلى البيسبول ثانية بعد نهاية كأس العالم؟.

يتوقف هذا على عاملين: العامل الأول هو ضرورة أن تكون مباريات كأس ١٩٩٤ أفضل من مباريات كأس ١٩٩٠. والعامل الثاني هو مستوى الفريق الأمريكي نفسه.

وقد أعدت الولايات المتحدة فريقها جيدا، فمدرب الفريق الصربي بورا ميلوتينوفيتش سبق أن حقق نتائج ممتازة عندما درب المكسيك وكوستاريكا قبل ذلك، وفي نفس الوقت حصل اللاعبون الأمريكيون على خبرة كبيرة نتيجة للعبهم في أوربا: فهاركس وويجلر يلعبان في الدوري الإنجليزي، وراموس في الدوري الإسباني، ودولي ووندالا في الدوري الألماني، وعليهم جميعا يتوقف الرهان الكبير، فإما النجاح في الوصول إلى الدور ربع النهائي أو نصف النهائي وانتعاش كرة القدم في الولايات المتحدة أو الانتكاسة وعودة الأمريكيين إلى البيسبول ثانية.



□ العرض الأول في التلفزيون هل يهدد صناعة السينما؟

سينما

العرض الأول .. في بيتك !

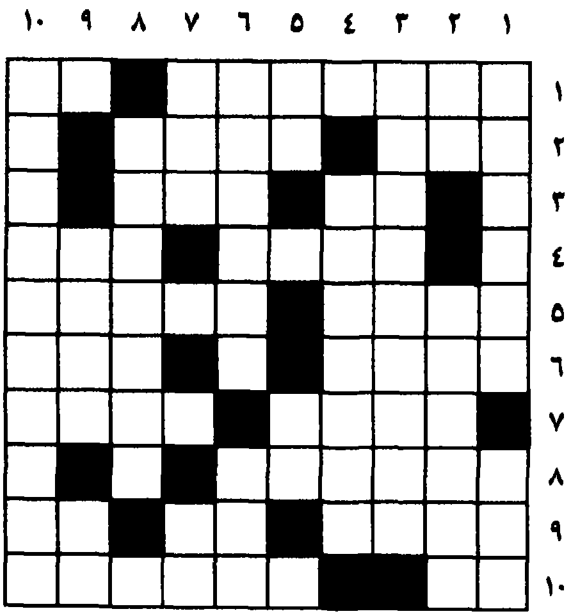
● كم يمكن أن تدفع لكي تشاهد أحدث الأفلام، قبل أسبوع من عرضها في دور السينما وأنت مسترخ في منزلك؟ قد يظن البعض أن سؤالا مثل هذا هو مجرد سؤال أكاديمي رغم أن الحقيقة عكس ذلك تماما.

ففي أعياد الكريسماس هذا العام أصبح بإمكان ملايين الأمريكيين المشتركين بنظام الكابلات في شبكات التلفزيون أن يدفعوا حوالي ٣٠ دولارا لمشاهدة أحدث أفلام استوديوهات «كارلوكو» وهي شركة إنتاج سينمائي ضخمة اشتهرت بإنتاج أفلام النجم العالمي أرنولد شوارزينجر، وبحملة تسويق جيدة، يمكن لفيلم واحد أن يحقق إيرادا يصل إلى خمسين مليون دولار في ليلة واحدة، وسيذهب جزء من هذا المبلغ إلى شبكة التلفزيون الأمريكية العملاقة «تي.سي.آي» التي وقفت وراء هذا المشروع.

ومن المتوقع أن يؤدي نجاح هذه الفكرة إلى ظهور «سينما تحت الطلب»، وتفكر شبكات التلفزيون الأخرى في اتباع نفس الفكرة، لكن أصحاب دور العرض السينمائية يعارضون بالطبع هذا المشروع باعتباره يهدد السينما الأمريكية لأنهم يحققون معظم أرباحهم في الأسابيع الأولى لطرح الفيلم في الأسواق. □

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالإضافة إلى إثراء معلومات وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع المهمة والمطلوب إجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



كلمات أفقية:

١ ـ أحد ملوثات البيئة التي لا ترى بالعين، حرف نداء.

٢ ـ هاج وأكثر من الجلبة، إعلان.

٣ ـ حرفان متشابهان، ندم ورجع عن المعصية.

٤ ـ مؤذن الرسول «ﷺ»، ضمير المتكلم

٥ ـ قاما بحصد المزروعات، زعرور «مبعثرة»

٦ ـ بحور «غير مرتبة»، قتل بأداة حادة

٧ ـ زاجر، سد أو يملأ.

٨ ـ بلدة سوفييتية حدثت بها مأساة كانت مصدرا للتلوث على نطاق واسع.

٩ ـ عقدن النية، مادة كلسية، غير ميت

١٠ ـ حب يعمل منه القهوة، عامرة بالسكان.

كلمات عمودية:

١ ـ من أضرار البيئة ينجم عن زحف الصحراء، شارب.

٢ ـ تمادى في الخصومة، يتسمون بالصبر.

٣ ـ مزيج من الضباب والدخان يظهر كملوث في المدن الصناعية الكبرى.

٤ ـ طبقة جوية تفقد قدرتها تدريجيا على وقاية الأرض من أشعة الشمس الضارة.

٥ ـ حيوان زاحف أشبه بالحرذون، كرع الماء دون تنفس.

٦ ـ خطر يهدد البيئة، لاذ بالشيء واعتصم به.

٧ ـ حروف متشابهة، اسكت.

٨ ـ ملوث خطر يتساقط عقب التفجير النووي.

٩ ـ نقدم العبادة، جواب لمسألة.

١٠ ـ أمطار ضارة ناجمة عن التلوث. □

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ب	ل	ا	ن	ش	ا	ر		ح	س
٢		ب	و	ش		ى		ك	و	خ
٣	س		ا	د	ى	س	و	ں		ى
٤	ب	ى	ن		ش	ت			و	
٥	ي	د		س	ي	م	ب	س	و	ن
٦	ف	ا	ش		ب	ا	س	ت	و	ر
٧	ن	و	ب	ل		ں		ر		
٨	س	ي	م	ں	س		ح		ب	ل
٩	و	هـ			د	ا	ل	ت	و	ن
١٠	ن		م	ا	ر	ك	و	ن	ي	

حل مسابقة العدد ٤٢٢

يناير ١٩٩٤

مسابقة العربي الثقافية

العــــدد ٤٢٣ فبرايــــر ١٩٩٤

جــــوائز المسابقــة:

الجائزة الأولى	٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية	٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة	٢٠ ديناراً

٨ جـــوائز تشجيعيـــة قيمـة كل منهـا ١٠ دنـانير

١

يطلق علماء علم الإنسان «الأنثروبولوجيا» على شعوب العالم جمعاء اسم «النوع الإنساني»، ولما كان الناس لا يشبهون بعضهم البعض شبها تاما فإن هؤلاء العلماء يقسمون النوع الإنساني إلى مجموعات طبيعية هي:

* البيضاء والسوداء والصفراء
* القوقازية والزنجية والمغولانية.
* البيضاء والسوداء والملونة

٢

يستند تصنيف الإنسان إلى مجموعات وأجناس إلى معايير مستمدة من علم الوراثة، وعلم التشريح ووظائف الأعضاء، كما يأخذ هذا التصنيف في الاعتبار النشأة الجغرافية، وبناء على ذلك فإن

* البيض نشأوا في الشرق الأوسط وأوربا.
* السود نشأوا في إفريقيا وأمريكا الجنوبية.
* الصفر نشأوا في آسيا وبلاد الإسكيمو.

٣

يقدر العلماء أنه منذ مليون سنة كان البشر كلهم متشابهين، ومع بداية الزمن الجيولوجي الرابع أدى انهيار الكتل الجليدية الضخمة إلى انسحاق كثير من الكائنات وهروب الحيوانات. ومن بين الكائنات تمكن البشر من الهرب، وقادتهم خطاهم إلى أماكن متفرقة حيث عزلتهم الجبال أو الأنهار أو المحيطات أو الصحاري، ومن العزلة الطويلة لآلاف السنين نشأ تكيف البشر المعزولين مع بيئتهم، لهذا تلاحظ أن:

* الإسكيمو والمغول طوال ونحاف لمواجهة البرد.
* الإسكيمو ممتلئون وقصار لمواجهة البرد.
* الإسكيمو معتدلو القامة كالمناخ الذي يعيشون فيه.

٤

المجموعة القوقارية تنتشر في القارة الأوربية وكلما اتجهنا نحو جنوبها مالت ألوان الأجناس المختلفة فيها إلى سمرة البشرة والشعر، لكن هناك جنسا من المجموعة القوقازية يسمى الدرافيدي ويضم بعض سكان الهند الذين يلاحظ اختلاف لون بشرتهم.

* تبعا للديانة والمعتقد.
* تبعا للنظام الطبقي والاجتماعي.
* تبعا لنوع الطعام السائد.

٥

يعتبر كثير من علماء الإنسان أن سكان أستراليا الأصليين الأبوريجينز من المجموعة البيضاء (رغم كبر أسنانهم وغلظ شفاههم والوجه المفلطح ذي الأنف الكبير نسبيا) وذلك:

الشروط:

الإجابة عن تسعة أسئلة من الأسئلة المنشورة، ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي «مسابقة العربي العدد ٤٢٣» وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو أول مارس ١٩٩٤ م . والرجا كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين، ورقم الهاتف إن وجد.

ترسل الإجابات على العنوان التالي: العربي: ص.ب ٧٤٨
رمز بريدي13008 الصفاة ــ الكويت

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٤٢٣

---

* لأنهم يتكلمون لغة قوقازية.
* لأن بشرتهم بيضاء، وقوامهم متوسط.
* لأن عيونهم ملونة.

٦ تصم المجموعة السوداء في إفريقيا عدة أجناس، منها شعوب النيل في إفريقيا الشرقية وهؤلاء يتميزون بالطول والنحافة وذلك:
* يمكنهم من الاحتماء في الأدغال الكثيفة.
* يوفر لهم مساحة جلد كبيرة تيسر تنفسهم وترطب أجسادهم.
* يجعلهم يجيدون تسلق الأشجار الصنوبرية.

٧ ليست كل أجناس المجموعة السوداء من طوال القامة، فهناك أقزام إفريقيا الوسطى الذين يسمون الزنوج الصغار، وأقزام إفريقيا الجنوبية الذين يسمون «الخوازن» لأنهم يتميزون بصفات منغولية تتمثل في:
* لون بشرتهم البنية المائلة إلى الاصفرار.
* عيونهم المائلة كعيون الصينيين.
* أجسامهم الضخمة كأهل الشمال.

٨ تعتبر المجموعة الصفراء أكبر المجموعات البشرية عددا، وتشمل أجناس مغول الشمال ومغول الوسط ومغول الجنوب، «وهم المغول الأصليون، والصينيون، والتيبتيون»، أما الأجناس السيبيرية والتركستانية فهي في موقع وسط بين البيض والصفر رغم انتمائها للمجموعة الصفراء، وهي تصم:
* سكان شبه الجزيرة الهندية.
* بعض شعوب الشرق الأوسط.
* شعوب جنوب شرق آسيا.

٩ يعتبر إسكيمو أقصى الشمال وهنود أمريكا من أجناس المجموعة الصفراء، ويتفق معظم علماء الإنسان على أن السكان الأصليين للأمريكتين قد أتوا من:
* الساحل الغربي لإفريقيا عبر المحيط الأطلسي.
* سيبيريا عن طريق آلاسكا.
* غرب القارة الهندية.

١٠ في واقع الأمر لا توجد اختلافات في القدرات الكامنة للبشر إذ لا يوجد جنس أرقى وجنس أدنى، وإنما ترجع الاختلافات في الشكل إلى أسباب عضوية، فاختلاف ألوان البشرة على سبيل المثال مرجعه إلى مادة تعرف باسم الميلانين:
* إذا زادت في الجلد يميل إلى السمرة.
* إذا زادت في الجلد يميل إلى البياض.
* إذا قلت في الجلد يميل إلى البياض. □

مسابقة العربي الثقافية



حل مسابقة العدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣

١ الجودو فن من فنون المصارعة اليابانية وهو حديث العهد نسبيا، خلافا للجوجتسو، التي انبثق الجودو منها، فقد قام المدعو جيكودو كانو «١٨٦٠ ـ ١٩٣٨» بجمع المعلومات عن مدارس الجوجتسو القديمة وأسس مدرسة كودوكان للجودو سنة ١٨٨٢، واتخذ بذلك الخطوة الأولى لرياضة الجودو في حلتها الجديدة، التي تعتبر بحق الأوسع انتشارا في العالم ككل بين شتى فنون المصارعة اليابانية جميعها

٢ الجوجتسو طريقة من طرق القتال، تعتمد على الأيدي أو بالحد الأدنى من السلاح، وهي تستهدف استكمال قدرة المقاتل وكفاءته في استعمال السيف، وترمي إلى شل حركة الخصم أو قتله، وهذا لا يتعارض طبعا واعتماد الجوجتسو على الضرب أو الرمي أو الركل

٣ المصارعة الحرة، سموها بهذا الاسم لأن أكثر المسكات أو القبضات المعروفة في المصارعة مسموح بها في المصارعة الحرة، يستثنى من ذلك القبض على الحلق والخنق الشديد والركل أو الرفس والنطح بالرأس وشد الملابس، ويحظر في المصارعة الحرة المسكات الموجهة إلى ما تحت الخصر.

٤ المصارعة الرومانية ظهرت في فرنسا لا في الدولة الرومانية الغربية ولا الشرقية، وذلك في القرن التاسع عشر، بيد أنهم راعوا في إنشائها، إن لم نقل حاكوا، فنون المصارعة التي كانت مألوفة في روما وأثينا وسائر مدن العالم الكلاسيكي، وقد راجت المصارعة الرومانية كثيرا في الدول الاسكندنافية فيما بين ١٩١٢ ـ ١٩٤٨.

٥ الأيكيدو هي المصارعة اليابانية التي تعتمد على الضغط على مراكز الأعصاب، وتشترط السكون العقلي وسيطرة المصارع على جسمه باعتبارها الوسيلة الكفيلة بسيطرته على خصمه، والمهم في الأمر هو أن الأيكيدو أسلوب دفاع لا هجوم، وقد بلغ من خلوه من مبادرات الهجوم أن تعذر إجراء مباريات تنافسية بين المصارعين.

٦ مصارعة السومو هي المصارعة التي يعتمد الفوز فيها على الحجم وثقل الوزن في المقام الأول، أي أن عنصر المفاجأة وعنصر السرعة يلعبان دورا ثانويا بالمقارنة مع عنصر الوزن، لا عجب إذن أن حرص مصارعو السومو على مضاعفة أوزانهم بالإقبال على وجبات غنية بالبروتينات وفق تعليمات خبراء التغذية في اليابان، فمن شأن هذه



الـوجبـات أن تزيد وزن المصارع نحو ٣٠ رطلا أو يزيد.

٧ كونفو Kung-Fu هو الاسم الشعبي لفن صيني، فن في القتـال غير المسلـح، نشأ في القرن السادس وبتأثير هندي.

٨ الجودو هـو المصارعـة اليـابانيـة التي لها روابط مختلفة في البلدان المختلفة، ولها اتحاد عام يجمع بين تلك الروابط، ومقره باريس، وهي المصـــارعـــة التي أدخلت ضمن الألعاب الأولمبية اعتبارا من سنة ١٩٦٤.

٩ الكـاراتيـه هـو المصـارعـة التي يستطيع اللاعب المحترف والمدرب تـدريبا جيدا بها تحطيم لـوح من الخشب يبلغ سمكـه عـدة بوصـات وذلك بضربة واحـدة من قبضته العارية أو قدمه الحافية.

١٠ لفظة «جـو» تظهر في اسم الجودو واسم الجوجتسو ولـربما في أسماء غيرهما من فنون المصارعة اليـابانية وهي تعني «اللطيف» أو «الرقيـق» وتجدر الإشارة إلى ما يعنيه اسم «كاراتي» واسم «أيكيـدو».. إذ يعني الأول اليد الفـارغة «من السـلاح طبعـا» ويعني الثاني «سبيل المجابهة العقلية». □

أسماء الفائـــزين في مسابقة العـــدد ٤٢١ ـ ديســمبر ١٩٩٣

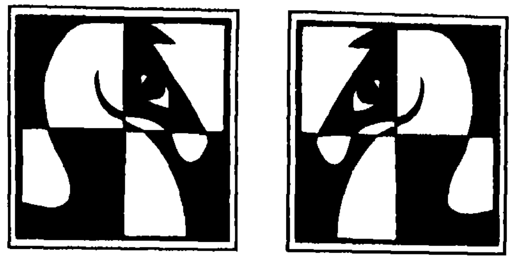
الفـــائز الأول: دانيـــا عصـام الحلبي ـ بيروت / لبنان

الفائز الثـاني: حسام عـاطف المعـايقة ـ سلطنة عمان

الفـــائز الثـالث: صـــالح خيري علي ـ الشرقية/ مصر

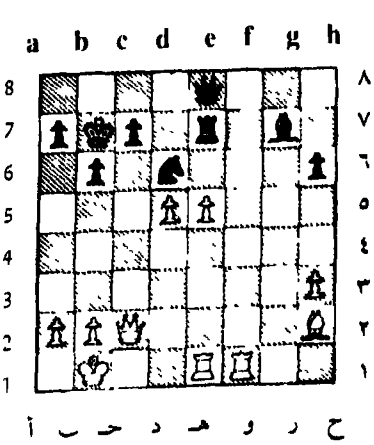
الفائـــــزون بالجوائـــز التشجيعيـــة

١ ـ ثريا زكريا بيلا ـ مكة/ السعودية
٢ ـ وليد حاج حاج سيدي/ باكستان
٣ ـ يـاسر جمعة عبـدالله ــ مدينـة عيسى/ البحرين
٤ ـ طالب غلوم طالب ـ دبي/ الإمارات
٥ ــ ايت الحسين إبـراهيم ــ ورزازات/ المغرب
٦ ـ ناصر بن عـامر بن يـوسف السميش/ تونس
٧ ــ حسني حمودة عطـا الله ــ بلجـرش/ السعودية
٨ ــ محمـد عبـدالعليم مـرسي المهـدي ـ القاهرة/ مصر



معركة بلا سلاح

حفلت بطولة العالم لمحترفي الشطرنج بين بطل العالم المعزول جاري كاسباروف الروسي الجنسية ومتحديه على اللقب الأستاذ البريطاني الكبير نايجل شورت والمقامة في لندن في الربع الأخير من عام ١٩٩٣ بالأدوار المشوقة والمثيرة، وكانت كفة الصور تميل بوضوح منذ البداية لصالح كاسباروف الذي كان يقول باستخفاف قبل عقد المباراة بوقت طويل بأن لقاءه مع شورت سيكون شورت «أي قصير»، وقد تكونت المباراة من ٢٤ جولة وكان من المقرر أن يحتفظ بطل العالم بلقبه بحصوله على ١٢ نقطة والتي حققها منذ الجولة التاسعة عشرة، ولكن منظمي الدورة اشترطوا عليه رغم انتصاره متابعة المباراة حتى نهاية الجولة الرابعة والعشرين، وكان كاسباروف قد اقترح بدلا من ذلك إقامة أنواع أخرى للشطرنج، كالشطرنج السريع «نصف ساعة للجولة» والشطرنج الخاطف «خمس دقائق للجولة»، وغير ذلك من المباريات الاستعراضية التي تشوق الجماهير وتشدها للعبة



(الشكل ١)

ومن الجدير بالذكر أن مباراة أخرى لبطولة العالم ينظمها الاتحاد الدولي للعبة كانت تجري في نفس الوقت بين بطل العالم السابق الروسي أناتولي كاربوف والذي أصبح البطل الرسمي للعالم بعد عزل كاسباروف لخروجه على قوانين الاتحاد الدولي وبين متحديه الأستاذ الهولندي الدولي الكبير جان تيمان في العاصمة الأندونيسية جاكرتا.

وفيما يلي الجولة ١٥ من مباراة لندن والدور من جامبيت الوزير المرفوض:

□ كاسباروف	■ شورت
١. د ٤	د ٥
٢ جـ ٤	هـ ٦
٣. حص - حـ ٣	حص - و ٦
٤ جـ× د ٥	هـ × د ٥
٥. فل - ز ٥	فل - هـ ٧
٦ هـ ٣	ت ت
٧. فل - د ٣	حص (ب) - د ٧
٨. حص (ر) - هـ ٢	ر - هـ ٨
٩ ت ت	حص - و ٨
١٠. ب ٤	أ ٦
١١. أ ٣	جـ ٦
١٢. و - جـ ٢	ر ٦
١٣ و ٣	حص - هـ ٦
١٤. فل - ح ٤	حص - ح ٥
١٥. فل × هـ ٧	ر × هـ ٧
١٦. و - د ٢	ب ٦ ؟

نقلة خاطئة تجعل من هذا البيدق هدفا سهلا.

١٧. ر (أ) ـ د ١	فل ـ ب ٧
١٨. فل ـ ب ١	حص (ح) ـ ز ٧

لاحظ تركيز الأبيض للهجوم على جناح الوزير.

١٩. هـ ٤	ر ـ حـ ٨
٢٠. فل ـ أ ٢	الأبيض يبدأ بالصعط على الوسط
٢٠	ر ـ د ٧
٢١. حص ـ و ٤	حص × و ٤
٢٢. و × و ٤	حص ـ هـ ٦
٢٣ و ـ هـ ٥	ر ـ هـ ٧
٢٤. و ـ ز ٣	و ـ جـ ٧
٢٥ و ـ ح ٤	الأبيض يرفض العرض بالمبادلة.
٢٥	حص ـ ز ٧
٢٦ ر ـ جـ ١	و ـ د ٨
٢٧. ر (و) د ١	ر (جـ) ـ جـ ٧
٢٨. حص ـ أ ٤	د × هـ ٤ ؟

غلطة حاطئة مكنت الأبيض من الربح بسهولة.

٢٩. و (البيدق) × هـ ٤	و ـ هـ ٨
٣٠ حص ـ جـ ٣	ر ـ د ٧
٣١. و ـ و ٢	حص ـ هـ ٦
٣٢. هـ ٥	جـ ٥
٣٣ ب × جـ ٥	ب × حـ ٥
٣٤. د ٥	حص ـ د ٤
٣٥ حص ـ هـ ٤	و ـ د ٨

البدق في (هـ ٥) لا يؤخذ خشية الشوكة بالحصان.

٣٦. حص ـ و ٦ +	م ـ ز ٧
٣٧ حص × د ٧	ويفوز بالفرق.
٣٧.	ر × د ٧
٣٨ ر × جـ ٥	حص ـ هـ ٦
٣٩ ر (جـ) ـ جـ ١	يستسلم (الشكل «١») □

حل مسابقة العدد ٤٢٢
يناير ١٩٩٤م

١. و × حـ ٦ +	م ـ ز ٨
٢. حص ـ و ٦ +	م ـ و ٨
٣. و ـ حـ ٨ +	م ـ و ٧
٤. و ـ ز ٨ «مـات»	

الفائزون في مسابقة الشطرنج
العدد ٤٢١ ـ ديسمبر ١٩٩٣م

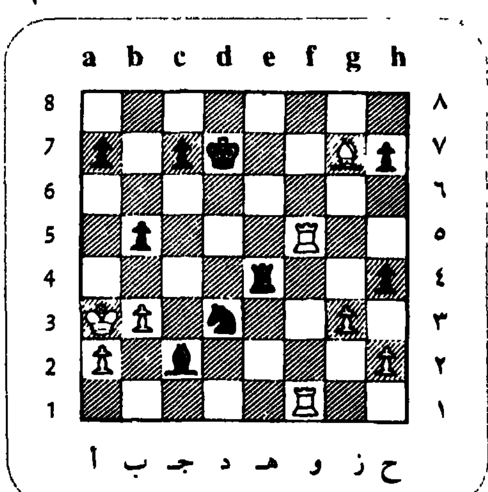
الفائزون باشتراك سنة كاملة:

١ ـ الشيخ ولد سيد المحجوب/ موريتانيا
٢ ـ عمار زعزع ـ حلب/ سوريا
٣ ـ محمد فرج الدسوقي ـ القاهرة/ مصر
٤ ـ رياض بن محمد الأحمدي ـ الدار البيضاء/ المغرب
٥ ـ سالم بن مرزوق بن راشد المسكري ـ سلطنة عمان

الفائزون باشتراك ستة أشهر:

١ ـ غريب محمد حسن عمير ـ الهرم/ مصر
٢ ـ خليل حسن المصري ـ داريا/ سوريا
٣ ـ سمير محمد قائد ـ الإسكندرية/ مصر
٤ ـ محمد نجيب عساف ـ حلب/ سوريا
٥ ـ إسلام أحمد عبدالمقصود ـ بنها الجديدة/ مصر

مسألة العدد ٤٢٣ ــ فبراير ١٩٩٤م



الأسود يميت في نقلتين

من إهداء أحمد عزاوي «دير الزور»

■ من المكتبة العربية

موسوعة العلوم السياسية

عرض: الدكتور محمد محمود ربيع*

تفتقر المكتبة العربية إلى موسوعة عربية متخصصة رغم الحاجة الماسة إليها وسط عالم سريع التطور، وليس هذا سوى الجانب المرئي في المشكلة، وإنما الهدف المهم والعاجل هو الحاجة إلى توفير أحد مصادر البنية التحتية لأي تقدم علمي وذلك بتزويد الدارسين والباحثين بمثل هذه الموسوعة المتخصصة، ولعل الموسوعة التي نعرف بها اليوم تكون خطوة على الطريق.

إن إحراز أي تقدم علمي على الصعيد النظري ضرورة أساسية للانطلاق نحو التطبيق العملي للمعرفة المتراكمة، وهذا بدوره يفتح آفاقا أوسع لمزيد من التنقيح والتأصيل النظري، وهكذا دواليك في سلسلة من عمليات التفاعل الجدلي الصاعد التي مرت بها الدول المتقدمة واستطاعت من خلاله أن تبهر العالم بإنجازاتها العلمية والتقنية، وغني عن البيان أن هذه الإنجازات ليست مقصودة لذاتها، وإنما لتوظيفها في رفع مستوى معيشة شعوبها ماديا ومعنويا، والقيام بدور مؤثر فعال في السياسة الدولية لحماية مصالحها. ولم يعد من قبيل المبالغة ذلك القول المأثور الذي يتنبأ بأن نصف القرن القادم سيشهد ظاهرة مأساوية جديدة إذ ستتسع الفجوة بين الشعوب المتقدمة والمتخلفة حتى تماثل الفجوة التي تفصل بين الإنسان والحيوان.

وفيما يتعلق بهذا الإصدار الجديد بدأ تكوين فريق عمل في ٢٩ أبريل ١٩٨٦ لوضع قاموس للعلوم السياسية يراعى فيه بقدر الإمكان مشاركة كل عضو في مجال تخصصه الدقيق لرفع المستوى العلمي للمصطلحات، لهذا طرحت الفكرة على أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية في المشرق والمغرب وكذلك على أعضاء مراكز البحوث والمنظمات الإقليمية والمتخصصة، وبعد استبعاد الفترة التي ضاعت بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت يكون إنجاز المشروع قد استغرق حوالي خمسة أعوام، وبلغ عدد المشاركين فيه اثنين وستين زميلا وزميلة ينتسبون إلى عشر جامعات عربية وبعض مراكز البحوث والمنظمات المتخصصة والهيئات الدبلوماسية، شاركوا في وضع ألف مصطلح تضمها الموسوعة المكونة من مجلدين يقعان في ألفي صفحة قامت بطبعها دار الوطن بالكويت.

وقد تغير اسم المشروع من قاموس إلى موسوعة بعد ارتفاع نسبة المشاركة نوعيا وعدديا، واكتمال الضوابط العلمية التي يتحتم توافرها قبل إطلاق هذه التسمية ونظرا لما يمثله تغيير الاسم من أهمية بالنسبة لتقويم

* أستاذ بكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة الكويت.

حجم الإنجاز الذي تم، نلخص فيما يلي الضوابط التي روعيت قبل إطلاق اسم موسوعة:

ـ الالتزام بمناهج علمية واضحة في عرض المعلومات «أي باستخدام مفاتيح تزيل الغموض وتساعد على الاستيعاب والاعتماد على النفس مما يحد من هيمنة الكهنوت «العلمي» في بعض التخصصات الذي يستأثر بمثل هذه المناهج».

ـ توافر مصداقية المعلومات باتباع أسلوبي تحكيم الاسهامات وتذييل المداخل بمصادر من الدرجة الأولى بقدر الإمكان.

ـ مراعاة العلاقة بين قضايا علم السياسة وارتباطها بكليات هذا العلم وفروعه.

ـ شمول معظم مقولات العلوم السياسية تبعا لأهميتها والحاجة إليها.

هذا وقد تحددت أهداف المشروع في النقاط التالية:

ـ وضع موسوعة علمية للمصطلحات السياسية برقى إلى مستوى مثيلاتها في الدول المتقدمة.

ـ ضمان حد أدنى من وحدة التفكير العلمي بين علماء السياسة الناطقين بالعربية.

ـ تضييق الثغرة الكبيرة الناجمة عن التفاوت الشديد بين مستوى العملية التعليمية ومستوى الطلبة في الوطن العربي من جهة، وبين المستوى المتقدم الذي بلغته دراسة العلوم السياسية في الخارج من جهة أخرى.

ـ التقليل من الآثار الضارة للاستخدامات المتباينة للمصطلحات بسبب تعدد الثقافات التي نهل منها الباحثون وأعضاء هيئات التدريس، وكذلك تقليص آثار اختلاف وجهات النظر الأيديولوجية حول نفس المصطلح.

الموضوعية في التصنيف

وسعيا لتحقيق هذه الأهداف، وُزّعت نشرات غير دورية على المشاركين لضمان التجانس بين فريق العمل، والاتفاق على الوسائل المستخدمة، ومن بين أهم الوسائل التي جرى التركيز عليها ما يلي:

ـ الالتزام بأكبر قدر ممكن من الموضوعية والدقة والوضوح وخاصة عند معالجة المصطلحات المثيرة للجدل المرتبطة بالأديان والمذاهب والأيديولوجيات والزعامات الروحية والسياسية.

ـ عدم الاقتصار على مجال العلوم السياسية حيث اشتمل المخطط العام على مصطلحات تخدم العلوم البيئية، وكل ما له علاقة بالظاهرة السياسية في حقول الاقتصاد والاجتماع والمناهج والإدارة والحاسب الآلي والمستقبليات وبحوث العمليات والرياضيات والإحصاء والجغرافيا والتاريخ.

ـ الاسترشاد بالتصنيف الدولي الذي أقره علماء السياسة في إطار مظمة اليونسكو عام ١٩٤٨، والتعديلات التي طرأت عليه.



□ غلاف الموسو

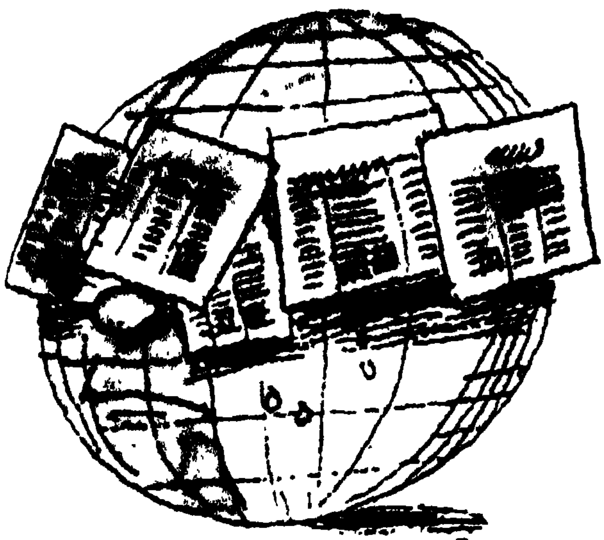
ـ إدخال تصنيفات إضافية على هذا التصنيف الدولي تتلاءم مع الخلفية الحضارية العربية الإسلامية.

وقد وجدت هذه الوسائل تعبيرا عنها في إبراز الطابع المميز للظاهرة السياسية من حيث استقصاء علاقة كل مصطلح بمنهج ما أو أيديولوجية أو حزب أو فرقة أو جماعة مصالح أو نظام سياسي أو منظومة دولية، وعلاوة على معالجة المصطلحات المحورية في كل فرع من العلوم السياسية وتغطية أحدث الاتجاهات الفكرية والتطبيقية، فإن جانبا مهما من الإسهام تركز على التصنيفات الإضافية المشار إليها، والمقصود بهذه الأخيرة التقسيمات الفرعية التي دعت الحاجة إلى إدراجها ضمن هيكل الموسوعة مثل الدراسات الإسلامية والعربية التي لم تدرج في التصنيف المبكر لليونسكو، وكذلك تحليل وتفسير التغيرات الجذرية التي طرأت على العلاقات الدولية والنظم السياسية بعد تلاشي الاتحاد السوفييتي وانهيار المعسكر الاشتراكي وغزو دولة الكويت وظهور وضع دولي جديد، بالغ البعض، فأسموه النظام الدولي الجديد، وتوضح الأسطر التالية بعض تفاصيل هذه الإضافات:

حظيت مناهج ومداخل البحث السياسي باهتمام متوازن في أول الموسوعة تجلى في معالجة كثير من المناهج الكمية والكيفية، ومن المعلوم أن المشكلات السياسية بحكم طبيعتها الخاصة تعتمد بصورة أكبر على المناهج الكيفية حيث توجد صعوبات عملية أو يستحيل تماما تجزئة بعض هذه المشكلات أو إعادة تقسيمها إلى وحدات أصغر تسمح بالوزن أو العد أو القياس الذي تستلزمه المناهج الكمية. ولم تكن الاستفاضة في شرح هذه المناهج بدون مبرر، فقد زاد الاهتمام بها منذ منتصف القرن الحالي في معالجة الموضوعات السياسية المرتبطة أساسا بالوحدات النمطية الكبيرة مثل الناخبين واستفتاءات الرأي، انعكس ذلك في تطوير أساليب جمع البيانات وتمثيلها وتحليلها سواء عن طريق العينات الاحتمالية أو غير الاحتمالية، واستخدام الجداول والأشكال والرسوم البيانية في التحليل السياسي، وابتكار المقاييس والتوسع في عمليات الاستشراف والتنبؤ، وإزالة اللبس الشائع بين التنبؤ والاستقراء الإحصائي. ولما كانت إسهامات المشاركين قد غطت كلا من الاتجاهين الكمي والكيفي فإن الموسوعة تكون بذلك قد تفادت قصور المفهوم المضمحل للوضعية المنطقية الذي لا يرى أبعد من التكمية تعبيرا عن فصله التعسفي المعروف بين الحقائق والقيم، في حين تكشف وقائع الحياة في كل من الطبيعة والمجتمع عن تكامل فذ بين مختلف الظواهر والعلوم والمناهج.

تصنيف النظريات السياسية

وقد أضيف تقسيم فرعي ضمن تصنيف النظرية السياسية لعرض أهم انعكاسات الفكر السياسي



الإسلامي على المناهج والمفاهيم والشخصيات والفرق والمذاهب والأحداث، ثم تقسيم ثان ينبثق منه لبعض نماذج من رواد الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر، ثم تقسيم ثالث لنماذج أخرى من رواد الفكر العربي الحديث الذين نشأوا في بوتقة البيئة الإسلامية وتبادلوا التأثير معها.

في تصنيف العلاقات السياسية الدولية الذي يضم تقسيمات أصلية عن الأمن والاستراتيجية والقضايا السياسية والدبلوماسية، والقضايا الاقتصادية، دعت التطورات المتلاحقة عربيا وعالميا إلى تخصيص معالجات مستقلة لهذه التطورات وتأثيرها المتوقع في الأفكار والمناهج وأساليب الممارسة والمؤسسات السياسية، وقد أدرجت هذه المعالجات في تقسيمات إضافية هي: غزو

دولة الكويت، وأمن الخليج، والوضع الدولي الجديد، والقوى الكبرى والعالم الثالث، وحقل المستقبليات، هذا علاوة على مصطلحات تتمتع بالجدة والأصالة تعالج علاقة ما يسمى بالنظام الدولي الجديد بالإسلام، والعلاقة بين الإنسان والحاسب الآلي وغيرها من قضايا التنمية والبيئة. وفي تصنيف القانون الدولي العام، أضيف إلى تقسيماته التقليدية تقسيم فرعي مؤقت يضم اجتهادات ما بعد إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي وخاصة تعريف ماهية القانون الدولي العام الإسلامي وما يرتبط به من مفاهيم ومنظمات وقضايا، ومشروع محكمة العدل الدولية الإسلامية. وفي تصنيف الأطر القومية والإقليمية تناولت المصطلحات النظم السياسية لدول العالم مرتبة هجائيا حسب القارات مع تخصيص تقسيم فرعي مستقل للعالم العربي، تتصدر كل قارة خارطة توضيحية لها ثم خارطة سياسية لكل دولة على حدة وفوقها العلم المميز للدولة ثم إحصاءات معتمدة عن المساحة وتعداد السكان وأهم أوجه النشاط الاقتصادي والدخل القومي الإجمالي ومتوسط الدخل السنوي للفرد واسم العملة المتداولة، تعقب ذلك دراسة تفصيلية للنظام السياسي لكل دولة وفقا للمنهج الموحد الذي يبدأ به ذلك التصنيف. وإضافة إلى التصنيف المستقل الخاص بالمعالجة النظرية لمناهج ومداخل البحث السياسية زودت التصنيفات الرئيسية بخمسة نماذج من مناهج البحث توخى محرروها أن تكون سهلة الفهم والتطبيق لمعظم قارئي الموسوعة.

التوثيق والفهرسة

هذا وقد نال التوثيق قدرا كبيرا من الاهتمام إذ ذيلت كل المصطلحات في المتن نفسه بمصادرها الأجنبية فقط اعترافا بفضل أصحاب السبق في وضع أسس المادة العلمية للمصطلح، وفي الوقت نفسه روعي الاحتفاظ بحق المشارك في الإشارة إلى كتبه أو بحوثه ذات العلاقة بالمصطلح وذلك في فهرس خاص بالمصادر العربية، أما الدراسات العربية والإسلامية التي وضعت أصلا باللغة العربية، فيتم توثيقها في المتن بالعربية، وبعدها يشار إلى المصادر الأجنبية إن وجدت، وبهذه الوسائل مجتمعة المشار إليها سابقا والتي تلخص مفهوم التقيد بالضوابط العلمية، يمكن القول إن موسوعة العلوم السياسية تختلف اختلافا جذريا عن الموسوعات والمعاجم والقواميس العربية المتوافرة في هذا الحقل سواء من حيث المنهج أو التحرير أو التوثيق أو التحكيم، من جهة أخرى أتاحت المشاركة الواسعة لأكاديميين يتقنون مادتهم العلمية بلغات أخرى غير مطروقة علاوة على العربية أتاحت إمكان الاستفادة بمصادر أجنبية من الدرجة الأولى أشير إلى معظمها أسفل المصطلحات، وقد بلغت اللغات المستعملة في تحرير المصطلحات ثماني لغات تشمل العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية والإسبانية واليونانية القديمة واللاتينية.

بالمثل، حظيت الفهرسة العلمية بعناية فائقة من جانب أحد المتخصصين بجامعة الكويت، ورغم دقة وفعالية الأسلوب العلمي التقليدي في التكشيف والفهرسة عن طريق الكروت، فقد كان من الممكن اختصار جانب كبير من الجهد والوقت باستخدام الفهرسة الآلية عن طريق الأجهزة والبرامج المتطورة لولا تعرضها للنهب أثناء الغزو، ومما يقتضي التنويه أيضا أن مشروع الموسوعة قد حصل على تقويم إيجابي أشارت إليه الدورية الإقليمية للمركز الدولي للمعلومات المصطلحية في فيينا.

ومما يدعو إلى الاعتزاز أن نجاح جامعة الكويت في إنجاز هذا المشروع لا يقتصر فقط على الجوانب الدراسية والبحثية، وإنما يتعدى ذلك إلى خدمة قطاعات مجتمعية واسعة ستجد في الموسوعة كل عون وخاصة في مجالات الإدارة العليا والإعلام والدبلوماسية، لا يقل عن ذلك أهمية تحقيق بعض الطموحات المعلن عنها منذ بداية المشروع إذ أمكن من خلال التعاون العلمي المثمر إرساء سلوكيات جديدة في واقعنا العربي ليس أقلها التخلي عن جانب كبير من الفردية والإسهام في جهد جماعي هو الأول من نوعه على هذا المستوى في حقول الدراسات الاجتماعية الإنسانية، وإضافة إلى قبول المشاركين الأكاديميين إدخال تعديلات التحكيم على بعض المداخل عن طيب خاطر ودون حساسيات ومنهم أساتذة أجلاء تكن لهم الأوساط العلمية كل احترام وتقدير. □

العربي - العدد ٤٢٣ - فبراير ١٩٩٤ م

كتاب الشهر

الأساطير والميثولوجيات السياسية

تأليف : راءول جيرارديه

عرض: خليل كلفت

المؤلف هو راءول جيرارديه RAOUL GIRARDET أستاذ التاريخ المعاصر في معهد الدراسات السياسية بباريس وقد أصدر قبل هذا الكتاب العديد من المؤلفات، منها «النزعة القومية الفرنسية ١٨٧١ ـ ١٩١٤»، و«فكرة الاستعمار في فرنسا ١٨٧١ ـ ١٩٦٢» والكتاب الذي نعرضه يقدم بحثا من نوع جديد وفريد عن مجموعة الأساطير الفرنسية السياسية خلال القرنين الأخيرين.

يعرض المؤلف في هذا الكتاب «ثيمات» THEMES وأساطير كتابه من خلال توثيق «اقتباس» واسع النطاق من أعمال الأدباء والمؤرخين والفلاسفة الفرنسيين طوال القرنين. وتمهيدا لإيضاح الفكرة الرئيسية لكتابه يسجل راءول جيرارديه أن المؤلفات الكثيرة التي يجري تأليفها منذ أجيال عديدة في إطار ما يسمى «بتاريخ الأفكار السياسية» تحصر استكشافها، باستثناءات قليلة وحديثة جدا، في «مجال الفكر المنظم، المصوغ صياغة عقلانية، والمتسلسل منطقيا، دون سواه» والمقصود بسواه هنا هو على وجه التحديد عالم الخيال L'IMAGINAIRE.

ويرى المؤلف أن هذا النهج مفهوم ومشروع فهو متوارث عن تلك الأولوية التي توليها الحضارة الغربية، منذ ثلاثة قرون تقريبا، لما هو عقلي: فقط في إطار المواجهة بين المذاهب، في إطار اشتباك أو تصادم «الأنساق الفكرية» يتم إدراك وفهم المناظرات الكبرى التي تجابهت فيها تاريخيا الرؤى المتعارضة لمصير الأمم. ولا يجادل المؤلف في مشروعية هذا النهج ولا يرغب بحال من الأحوال في إعادة النظر فيه فهو النهج السائد على كل حال في تاريخ الأدب، أو تاريخ الفن، أو تاريخ العلوم. ويتمثل الهدف الجوهري للكتاب في توسيع مجال ما يسمى بتاريخ الأفكار السياسية ليمتد فيشمل عالم الخيال، فالكتاب إذن محاولة لاستكشاف شكل بذاته من أشكال عالم الخيال هو في حالتنا عالم الخيال السياسي، بدلا من الحالة الراهنة التي يصفها المؤلف كما يلي:

«الواقع أن كل ما يستعصى على الصياغات الجازمة، كل ما ينبع من الأعماق الخفية للقوى الحلمية، يظل مستبعدا في منطقة ظل يندر حقا من يجرؤ على التوغل فيها. وقلما يؤخذ الحلم في الاعتبار إلا حينما يتم التعبير عنه في الشكل التقليدي الذي يتفق على تسميته باليوتوبيا، أي نوع أدبي محدد تماما، له غايات تعليمية مؤكدة بوضوح، يخضع لترتيب صارم في العرض، ويسهل فهمه بالذكاء المنطقي وحده».

ويشدد المؤلف على «التأثير التاريخي» للأفكار السياسية وخاصة «لعدد من المؤلفات السياسية العظيمة» مثل مؤلفات لوك، أو روسو، أو مونتسكيو، أو ماركس،

فلولا هذه المؤلفات لما كانت مجتمعات أواخر القرن العشرين بصورتها الراهنة.

غير أن هذا لا يمكن أن يستبعد «التأثير التاريخي» لعالم الخيال السياسي، للأحلام الجمعية والمخاوف الجمعية، للأساطير والميثولوجيات السياسية. والواقع أن الاضطرابات السياسية خلال القرنين الأخيرين من التاريخ الأوربي كانت مصحوبة بفوران ميثولوجي مذهل. فضح لمؤامرة شريرة ترمي إلى إخضاع الشعوب لسيطرة قوى غامضة ولعينة، تصورات عن عصر ذهبي مفقود يجدر بنا أن نستعيد نعمه أو ثورة منقذة تتيح للبشرية أن تدخل الطور النهائي لتاريخها وتكفل أن يسود العدل إلى الأبد، تطلع إلى الزعيم المنقذ، مصلح النظام أو القائد المظفر لعهد جديد من العظمة الجماعية، وغير ذلك.

وهناك أيضا حقيقة أن بعض هذه «الثيمات» ماثلة «في خلفية بعض المذاهب العقائدية الكبرى للقرن الماضي، بما فيها تلك التي تستند بكل قوتها إلى دقتها في البرهنة وإلى الطابع «العلمي» بصفة جوهرية لفرضياتها»، غير أن الألفيات الثورية، ونزعات الحنين إلى الماضي، وعبادة الزعيم الملهم، والهواجس الشريرة، يمكن أن تتخذ الشكل المباشر للأسطورة: «وعندئذ تفرض الأسطورة نفسها بكل استقلالها، فتتشكل في نسق متماسك وكامل من المعتقدات. وفي هذه الأحوال، لا تعود الأسطورة تستند إلى أية شرعية أخرى سوى شرعية مجرد تأكيدها، ولا إلى أي منطق آخر سوى منطق انتشارها الحر».

الأسطورة السياسية

والأسطورة عند علماء الأنثروبولوجيا تتمثل في سرد يتعلق بالماضي («في سالف العصر والأوان..»، «كان يا ما كان..») «لكنه يحتفظ في الحاضر بقيمة تفسيرية بالغة الأهمية بقدر ما يوضح ويعلل بعض الانقلابات في مصير الإنسان أو في بعض أشكال التنظيم الاجتماعي». وينقل المؤلف عن ميرسيا إلياد قوله: «تروي الأسطورة تاريخا مقدسا، إنها تسرد واقعة جرت في الزمن السحيق القدم، زمن البدايات الخرافي. وبعبارة أخرى، تروي الأسطورة كيف جاء واقع ما إلى الوجود سواء أكان هذا الواقع كليا، الكون، أم مجرد جزء ليس إلا: جزيرة، نوع من النبات، سلوك إنساني، مؤسسة». وعند آخرين، يختلط مفهوم الأسطورة بمفهوم الخداع، ذلك أن الأسطورة ـ باعتبارها وهما أو توهما أو تمويها ـ تبدل معطيات الملاحظة التجريبية وتتعارض مع قواعد الاستدلال المنطقي، وهذا تقوم كحاجز بين حقيقة الوقائع ومقتضيات المعرفة. وعند آخرين غيرهم، هم قراء جورج سوريل «تمثل الأسطورة نداء إلى الحركة، وحثا على العمل، وهي تبدو في نهاية المطاف حافزا لطاقات ذات قوة استثنائية». وهذه الأبعاد الثلاثة لكل



□ غلاف الكتاب

أسطورة بوجه عام نجدها ماثلة كذلك في كل أسطورة سياسية. «حقا إن الأسطورة السياسية تلفيق، أو تشويه أو تفسير للواقع يمكن الطعن فيه موضوعيا. غير أن من الصحيح أنها، كسرد خرافي، تؤدي أيضا وظيفة تفسيرية، فتقدم عددا من المفاتيح لفهم الحاضر، وتشكل شفرة رموز يمكن للفوضى المحيرة للوقائع والأحداث أن تبدو متسقة من خلالها. كما أن من الصحيح كذلك أن هذا الدور التفسيري يتضاعف بدور تعبوي. بفضل كل ما تقوم بتوصيله من دينامية سوئية، تشغل الأسطوره مكانا رئيسيا بين أسباب الحملات الصليبية وكذلك بين أسباب الثورات».

بين سيولة ومنطق الخطاب الأسطوري

والأسطورة، كالحلم، لا يمكن حصرها أو تحديدها أو حسها داخل حدود صارمة، فذلك لا يؤدي إلا إلى تشويه الأسطورة وإفقارها وبترها وتجريدها من ثراتها وتعقيدها. كما أن من الجهل التام، كما يقول كلود ليفي - ستروس أن نحاول أن نطبق على دراسة «الواقع الأسطوري» مبادىء «التحليل الديكارتي».

وهذه السيولة الجوهرية للأسطورة بوجه عام هي أيضا سمة أكيدة للأسطورة السياسية التي تتميز ثيماتها بشبكة مرهفة وقوية من الصلات التكاملية: «فالحنين إلى الماضي إلى العصور الذهبية المنصرمة يصب عادة في الانتظار والتبشير النبوئي بعث تلك العصور. وبالمقابل فمن النادر حقا ألا تقوم الحركات الخلاصية الثورية بإثراء رؤيتها للمستقبل بصور أو إحالات مستقاة من الماضي. ومن جهة أخرى فسرعان ما يتم قطع الخطوة الفاصلة بين فضح المؤامرات الشريرة والتطلع إلى نداء المخلّص، إلى الزعيم المنقذ، ذلك الذي تنتظره مهمة تخليص الأمة من القوى الشريرة التي تريد بسط سيطرتها عليها»

على أن الصلات بين ثيمات الأساطير السياسية لا تتمثل في صلات التكامل فحسب، فهناك في كثير من الأحيان صلات تناقض

ونحس بين مستكشفي عالم الخيال من يفوته الإلحاح على هذا الخلل بين الأضداد، فالأسطورة مزدوجة كما توضح سلسلة من الأعمال الرائعة التي كرسها جاستون باشلار للتمثلات السيكولوجية للعناصر الطبيعية الكبرى: «فالبيت حلم المأوى، والتلاقي، والأمان، يمكن أن يغدو صورة الزنزانة، ورمز الاضطهاد في السجن، ورمز الدفن، وحتى رمز القبر».

والأسطورة السياسية لا تخرج عن هذه القاعدة، قاعدة انقلاب الأسطورة إلى العكس.

والقرين الخرافي الذي يصاحب دائما تقريبا وجود أو ذكرى البطل التاريخي شاهد على ظاهرة مماثلة. إن الإجلال أو اللعن يتغذيان على نفس الوقائع، وينموان انطلاقا من نفس الحبكة. وبين صورة نابليون العظيم وصورة غول كورسيكا لا تعارض سوى في زاوية الرؤية. وسواء أكان مكللا بهالة المجد أم بسحب عاصفة مكفهرة فإننا نعثر في نهاية المطاف على نفس الوجه الواحد. إن غرابة الأصول، وسرعة الصعود، والإراده المسيطرة، وطبيعة الانتصارات، وضخامة الكوارث، إن كل ما يساهم - في حالة - في صنع صورة العظمة، يشكل - في الحالة الأخرى - وصمة العار.

وفيما وراء سيولة الخطاب الأسطوري وازدواجه، هناك منطق للخطاب الأسطوري. فكما أن الصور التي تفرزها أحلامنا تخضع لقوانين بذاتها للتكرار والتداعي «يبدو أن الآليات التوليفية للخيال الجمعي لا تملك تحت تصرفها سوى عدد محدود نسبيا من الصيغ».

هناك إذن، على حد تعبير كلود ليفي - ستروس، «نحو» SYNTAXE للأسطورة، حيث تظهر عناصر بناء السرد الذي يتألف من سلسلة أو توليفة من الصور «مجمعة في مجموعات متماثلة، ومنتظمة في تداعيات ثابتة».. وهكذا فإن «ثيمة» المخلّص، الزعيم مبعوث العناية الإلهية، ستظهر مرتبطة دائما برموز تطهيرية. البطل المنقذ هو الذي يخلص، ويحطم القيود، ويصرع الغيلان، ويجبر القوى الشريرة على التقهقر.

ميثولوجيا المؤامرة

والمؤامرات الأسطورية التي استحوذت على عالم الخيال الجمعي الفرنسي خلال القرنين الأخيرين هي: المؤامرة اليهودية، المؤامرة اليسوعية، المؤامرة الماسونية.

والهدف النهائي لكل مؤامرة من هذه المؤامرات لا يقل عن السيطرة على العالم.

فاستنادا إلى «خطة منهجية» تهدف المؤامرة اليهودية إلى «غزو واستعباد الكرة الأرضية».. و«سيدور الصراع على المستوى الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، والديني. وستستخدم كل الاستراتيجيات، تلك الخاصة بالمضاربة المالية وكذلك تلك الخاصة بالاستيلاء على السلطة الحكوميه أو بوضع اليد على وسائل التعليم والإعلام».

أما الرهبانية اليسوعية ذات السلطة الهائلة والتي تعمل على بسط هيمنتها على العالم فقد أقامت شبكة هائلة من المراكز السرية للجاسوسية والتخريب في مواقع لا حصر لها على الكرة الأرضية. وهدف المؤامرة الماسونيه «هو «التعجيل بدمار النظام الملكي والمسيحي القديم، والإعداد لقيام السيادة العالمية للحرية وللمساواة» من خلال «خطة منظمة ومنهجية للتدمير» يستغرق تحقيقها عشرين سنة، وكان الأب باروبل ـ أحد أبرز مروجي هذه الأسطورة ـ يرى منذ ١٧٩٧ أن «منشأ ومسار الثورة الفرنسية يمكن إرجاعها من الناحية الجوهرية إلى مساعي الماسونية، وهي الوارثة لتراث طويل من الضغائن إزاء الملكية والكنيسة».

وهناك بطبيعة الحال أسس تاريخية موضوعيه أكيدة لأساطير المؤامرة والتآمر مهما قامت هذه الأخيرة بتحريفها وتشويهها كما تفعل كل أسطورة. فلا أحد يجهل دور الماسونية خاصة في تاريخ الجمهورية الثالثة «١٨٧٠ ـ ١٩٤٠» كمجموعة ضغط سياسي وأداة للسيطرة الأيديولوجية.

على مدى قرابة قرنين من الزمان يدوي في تاريخ فرنسا بلا انقطاع صوت الاستغاثة بالمخلص. ومن نابليون بونابرت إلى بيتان وديجول، مرورا ببولانجيه أو بوانكاريه أو دوميرج، تتشكل كوكبة بذاتها من الصور حول شخصية موهوبة. إن المسألة تتعلق هنا إذن «بالظهور المفاجيء لمخلص على رأس السلطة، لبطل يستأثر بكل حرارة الأمل الجمعي».

ويستقصي راءول جيرارديه أربعة نماذج لهؤلاء المنقذين أو المخلصين، وهي نماذج قد تتطابق أو تتراكب غير أنها قابلة أيضا للعزل والفصل والتعريف المستقل.

فنموذج سينسيناتوس (وهو روماني اشتهر بالبساطة والزهد، تولى منصب الحاكم المطلق مرتين ثم عاد في نهاية المطاف إلى محراثه) فهو نموذج رجل الدولة الذي تتمثل مهمته في الطمأنة والحماية والإصلاح والاستقرار، وينعكس هذا النموذج الأصلي في نماذجه الجديدة الفرنسية في السيرة الأسطورية لكل من دوميرج ١٩٣٤ وبيتان ١٩٤٠.

ونموذج الإسكندر هو نموذج القائد الشاب، المعامر الجسور، المتقد الحماس، المندفع إلى المجد، والذي يشق طريقه عبر التاريخ بسرعة برق خاطف. وصورة نابليون الشاب ضمن الأسطورة النابليونية هي التجسيد الحديث لهذا النموذج الأصلي الذي ينتمي إليه أيضا «الرأس الذهبي» بطل القصيدة الدرامية الطويلة بهذا العنوان لبول كلوديل.



والنموذج الأصلي الذي يمثله صولون المشرع هو نموذج نابليون باعتباره المشرع المؤسس لنظام جديد من المؤسسات، والماريشال بيتان، المؤسس «لنظام جديد»، والجنرال ديجول في ١٩٥٨ «وهو يرسي مبادىء وقواعد جمهورية جديدة» (الجمهورية الخامسة).

وتحيل أساطير العصر الذهبي دوما إلى «أيام زمان» وهي أزمنة عاشها الناس

فعــلا قبل أن يحلموا بها، فهي باقية في ذاكرة الجماعة المعنية وكذلك في الـذاكـرة الفـردية غير أن هنـاك مـاضيـا يتعلق بما يعرف بـذاكـرة التـاريخ. والماضي الذي تشير إليـه «أيام زمان» هذه لم يعـرف قط بصفة مباشرة، غير أن ظهوره خارج الزمن المنقضي يمنحه قوة إضافية على قوته كنموذج أصلي.

وفي مواجهـة صورة حاضر يسود الإحسـاس بأنه لحظـة انحطـاط، يقف المطلـق المتمثل في مـاض من الكمال والصفاء. وتتبلـور حول تصـور «أيام زمـان» كل الاندفاعات، وسـائر قوى الحلـم، وتتحول إلى أسطورة.

فنحن إذن إزاء صـــور لماض تحول إلى أسطـــورة، ورؤى لحاضر أو مستقبل وفقا لما كان، أو لما يفترض أنـه كان في الماضي ولن يكـون سـوى تاريخ متـــور للعابة لـلأيديولوجيات الفـرنسية ذلك الذي يحجب وجود هذه الصور، أو ينسـى وفرة هذه التصورات، أو يهمل سلطانها على الأرواح والقلوب.

ويشير جيراردبـه إلى ذلك التأرجح الـدائم الأليم الذي يميـز ميثولـوجيات العصر الـذهبي جميعا «بين العجـز عن إعادة تشكـل مـا كان وبين قـوة الرجـاء الذي تحتفظ به الذكرى على الدوام».

ومن هنا تلك النداءات التي لا تحصى ـ الدائمة في مجرى الحياة السيـاسية الفرنسية والقـادمة من مختلف الآفـاق الأيديـولـوجيـة ـ إلى الصب مـن جديـد في الماضي، إلى العودة إلى الزمن المتسامي للبدايات

ميثولوجيا الوحدة

ومع العصر الحديث، مع اتجاه الـروح الاجتماعيـة إلى الانشطار إلى شظايا، وتآكـل التضامنات القديمة، وتـدهور الأشكـال القديمـة للحياة الجماعيـة، تتسع الهوة بلا انقطاع بين مختلف المجمـوعات الاجتماعية، وتنغلق كل مجمـــوعـــة منهـــا على نفسهـــا، وعلى مصالحها، وعلى آرائها المسبقـة، وعلى أساليب حياتها وفكــرهـــا، وتـأتي التغيرات التي تقلب أوضـــاع الأشكـال التقليـديـة للعمل البشري، في أثناء قـدوم حضـارة تقنية جـديدة لا يكـون فيها الشغيل سـوى تـرس منعـــزل. وإلى جـانب ذلك هنـــاك «الفجـوة» المترايـدة العمق، والقائمـة منذ قدوم عصر التنـوير، بين ما يتعلـق بنسق المعرفـة العلمية وما يتعلـق بعالم صلوات الإيمان»، وسـود «شعور قـوي بالتـوجس إزاء المجـــاهة المحســـومـــة بين نسقين محددين ومتعـــارضين من القيم سرعـــان مـا يتجســـدان في كنيستين، كنيسـة العلماء وكنيسة الكهنـة، تـدعي كل منهما العصمة المطلقة».

العرب والأساطير السياسية

بعد أن استعرضنـا بإيجاز شديد الخطـوط الرئيسية لكتاب الأساطير والميثولوجيات السياسية يحق لنا أن نتساءل عن مغزى قراءة مثل هذا الكتاب بالنسبة لنا هـل هناك مغزى يخصنا نحن العرب فيما وراء القيمة التـــي لا جدال فيها لمعرفة حاضر أو تاريخ فرنسا؟ وبعبـــارة أخرى: هل هناك وجود لأساطير سياسية تناظر الأساطير السياسية الفرنسية في ثقافتنا الراهنة، بكل ما يعنيـه وجودها المحتمل من أبعـاد التحريف والتفسير والتعتمة كما سبق أن رأينا؟.

وبطبيعة الحال، ليس هنا مجال مثل هذه المناقشة.

ولهذا سنكتفي بالإشارة إلى رأي كاتب فرنسي آخر، وهو المستعـرب ريشار جاكمـون. ففي مقدمة تـرجمته لمجموعـة من مقالات الـدكتور فـؤاد زكريـا، بعنوان: «علمانية أم إسلامية ـ العرب في ساعة الاختيار»، يشير الأستـاذ جاكمـون إلى النزوع إلى الانطـواء على النفس ورفض الآخر لدى ثقـافة عربية ـ إسلاميـة عاجزة عن تجاوز الميثولـوجيا السيـاسية الأصليـة للعصر الذهبي، والمؤامـرة، والـوحـدة، والمخلّص «المنقـذ»، ويحيل في الهامش إلى كتـــاب راءول جيراردبـه الـــذي أتينـا على عرضـه منذ قليل، موحيا بـذلك بانطباق مبدأ ونظـرية الأسـاطير والميثـولـوجيـات السيـاسيـة، بنفس ثيماتها ومجموعـاتها الأربع الكبرى، فيما يتعلق بثقافة عـربية ـ إسلاميـة راهنـة، وهـــو انطبـاق ينبغي بحـث مـداه واستقصاء خصوصياته.□

مكتبة العربي مختارات

الكتاب : كتب نادرة من التراث الإسلامي
المؤلف محمد خير يوسف
الناشر : دار طويق للنشر والتوزيع الرياض ـ الطبعة الأولى ١٩٩٣

اختار المؤلف عددا من كتب التراث لكي يقدمها إلى القارىء ملخصة وحاوية لأهم ما جاء فيها بغير إخلال ولا إملال، بحيث يمكن للقارىء أن يستغني بكتاب واحد عن كتب كثيرة، وتنوعت الاختيارات ما بين كتب في اللغة والشعر وأخرى في الزهد والرقائق، وثالثة في طرائف العلوم. من هذه الكتب: ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار لابن القطعة، والاتباع لأبي الطيب اللغوي، ورءوس القوارير لابن الجوزي، والقول في البغال للجاحظ، والكنز المدفون والفلك المشحون للسيوطي.

□□□

اسم الكتاب : ملامح الوعي الاجتماعي عند المرأة الخليجية
المؤلف : د.نضال حميد الموسوي
الناشر : دار سعاد الصباح ١٩٩٣

يهتم الكتاب بجانب من النادر أن تعرضت له الدراسات الميدانية في مجال بحوث علم الاجتماع وهو محاولة توصيف الوعي الاجتماعي للمرأة الكويتية في الفترة الحالية أي فترة ما بعد النفط، ويهدف هذا الأمر إلى إعادة تقويم عملية التنشئة الاجتماعية القائمة بهدف إزالة الجوانب التي تسهم في تزييف وعي المرأة الكويتية بنفسها. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن أن تكون دليل عمل تسترشد بها الجهات التربوية والجمعيات النسائية المهتمة بتحسين أوضاع المرأة. كما أنها تسهم أيضا في إنضاج الوعي العام عند المرأة الكويتية وإعطاء دفعة قوية لعجلة التنمية في المجتمع الكويتي. والدراسة تسد نقصا كبيرا في الدراسات الحالية حول المرأة بشكل عام والكويتية بشكل خاص.

□□□

الكتاب : حبات الزهر (ديوان شعر)
المؤلف : عزالدين الإدريسي
الناشر : مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء

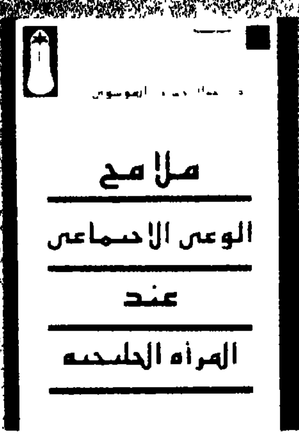
يقع هذا الديوان في (٧٢٠) صفحة من القطع المتوسط، ويضم ما يزيد على ٢٦٠ قصيدة لا تلتزم بوزن ولا بقافية، ويغلب عليها النثر بشكل واضح تماما.

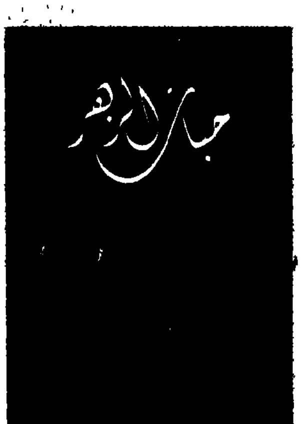
ومهما يكن فإن هذا كان اختيار الشاعر، مع مجموعة أخرى من الشعراء اختارت نمط الشعر المنثور الذي بدأ ظهوره في أدبنا العربي منذ أوائل هذا القرن ولكنه ازدهر في العقود الأخيرة وكثر أعلامه في المشرق والمغرب.

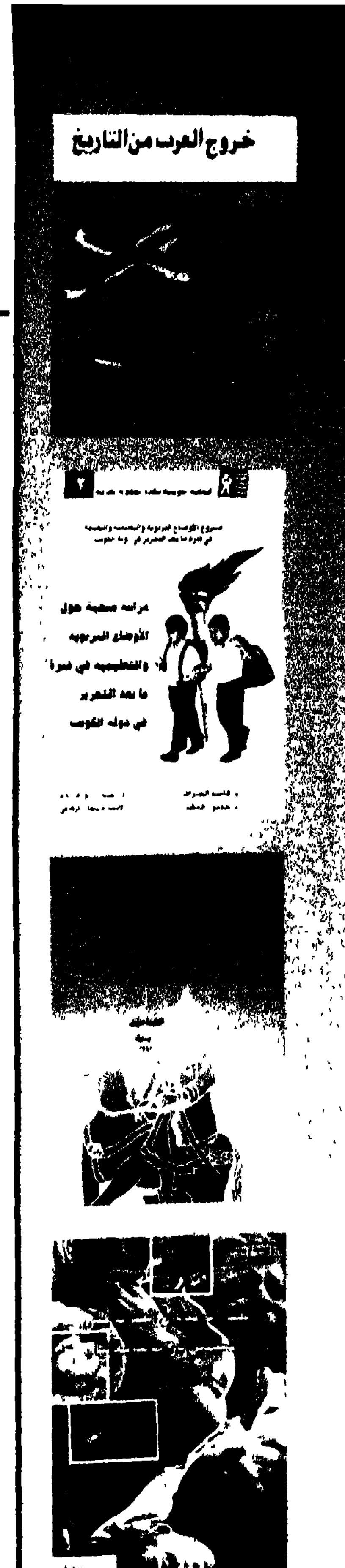
غير أن القصائد في معظمها، تتدفق بصور مفعمة بالجمال، تتولد فيها الصور والمعاني ويتم توظيفها بطريقة جيدة.

□□□









مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : خروج العرب من التاريخ
المؤلف : د.فوزي منصور
الناشر : مكتبة مدبولي ـ مصر

يثير هذا الكتاب عددا من الأسئلة المهمة، التي تدور في المرحلة الحالية، التي وجد فيها الوطن العربي نفسه، وهو لايزال يعاني من فشل مردوج، في سعيه إلى «تحديث» نفسه بالطريق الرأسمالي التقليدي وفي الشروع في تنمية نفسه بطريقة وحدوية تقدمية تتجاوز الرأسمالية انطلاقا من استعادة استقلاله السياسي.

□□□

الكتاب : الأوضاع التربوية والتعليمية في فترة ما بعد التحرير في دولة الكويت (دراسة مسحية)
المؤلف : د قاسم الصراف وآخرون
الناشر : الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ـ الكويت

عندما تنهض المجتمعات من رماد الكوارث فإن هاجسها الأول هو تشخيص وتقويم أوضاعها التربوية والتعليمية بهدف استيعاب الدروس والاستفادة من العبر. وفي هذه الدراسة يقوم الباحثون بمسح آراء واتجاهات الطلبة والمعلمين والنظار والوكلاء والموجهين وأولياء الأمور نحو الأوضاع التربوية والتعليمية في الكويت في فترة ما بعد التحرير، وذلك ببناء إحدى عشرة استبانة في إطار ستة محاور أساسية شملت النظم والبرامج الدراسية، والمناهج وطرق التدريس، والكتب والمباني والمرافق المدرسية والأجهزة التعليمية والأنشطة المدرسية.

□□□

الكتاب : تاريخ الملك العادل نورالدين محمود
المؤلف : يحيى حسين عمار
الناشر : المؤلف ـ بنطا ـ البقاع ـ لبنان

في ثمانية فصول تنقسم مادة هذا الكتاب، الذي يتناول بالدراسة شخصية أحد ملوك العرب العادلين، استطاع مواجهة الأخطار والتغلب عليها بعد أن تصدى للفرقة بالوحدة وعامل المسلمين برحمة شملت البريء والمسيء فتوحدت القلوب على محبته، والسيوف بطاعته، وتصدى للأعداء بالأمة الموحدة والفكر العسكري المبدع. واستطاع أن يرسم لدولة الصليبيين طريق نهايتها ومسار زوالها.

□□□

الكتاب : تطورات عدوان الصرب على المسلمين في يوغسلافيا
المؤلف . د.سامي الصقار
الناشر : دار الشواف للنشر والتوزيع ـ الرياض

دخلت أزمة البوسنة والهرسك منعطفاً خطيراً عقب استيلاء المعتدين الصرب والكروات على معظم أراضي الجمهورية المسلمة، وقيامهم بتحدي المشاعر الإنسانية بالاعتداء على الأعراض وتدمير وحرق أماكن العبادة وممارسة التطهير العرقي على أوسع نطاق عند سكان البوسنة من المسلمين.

يحاول هذا الكتاب كشف الغطاء عن المؤامرة التي يتعرض لها المسلمون

في يوعسلافيا، والدعوة لكل مسلم للتقدم لنصرة إخوانه المظلومين.

□□□

الكتاب : الثورة الفرنسية
المؤلف : فرانسوا فوريه ـ ديني ريشيه
ترجمة : زياد العودة
الناشر : وزارة الثقافة ـ دمشق

على الرغم من مرور قرنين على الثورة الفرنسية، إلا أنها مازالت تثير الخلاف بين فريقين أحدهما يرى أن هذه الثورة شكلت انحرافاً مرضياً لايزال الشعب الفرنسي يعاني منه حتى اليوم وربما لزمن طويل، بينما يرى الفريق الآخر أن الثورة كشفت عن وجه فرنسا الأصيل الذي كان الحكم الإقطاعي قد طمس معالمه.

يطرح هذا الكتاب تساؤلا حول مدى قدرتنا على تجاوز هذا التعارض الحاد وإلقاء نظرة موضوعية على موضوع خلافي، فالثورة الفرنسية رغم ثغراتها الكبيرة، شكلت منعطفا تاريخيا ووضعت أسس الدولة الحديثة.

□□□

الكتاب : أيام القهر الكويتية (الثاني من أغسطس ١٩٩٠ حتى ٢٧ فبراير ١٩٩١)
المؤلف : دلال فيصل سعود الزبن
الناشر : دار سعاد الصباح ـ الطبعة الأولى ١٩٩٣ ـ الكويت

أبرز ما يميز هذا الكتاب هو امتزاج الشخصي بالعام، فالكاتبة التي عاشت فترة الاحتلال العراقي داخل الكويت حرصت على أن تسجل يوما بيوم لحظات المعاناة والقهر، بنفس الدرجة التي حرصت فيها على أن ترصد ملامح الصمود وقسمات البطولة والتضحية التي تجلت كأروع ما يكون في تلك الأيام الصعبة.

بين صفحات الكتاب تتقافز خلجات الكاتبة ونبضات قلبها ويلهث القارىء خلف كلماتها المتدفقة ليتابع هذه المعايشة والمعاينة الصادقة لمجريات أحداث الغزو، وكذلك لأيام القتال وأفراح النصر.

□□□

الكتاب : لا إكراه في الدين
المؤلف : محمد ناصر الطويل
الناشر : دار طويق للنشر والتوزيع ـ الرياض

يسجل هذا الكتاب قصص عدد كبير ممن أشهروا إسلامهم، مركزا على اللحظة الحاسمة التي دعتهم لاتخاذ هذا القرار ويشير المؤلف إلى الغرائب التي صاحبت إسلام البعض من أهل الفن والرياضيين وعامة الناس في الغرب والشرق.

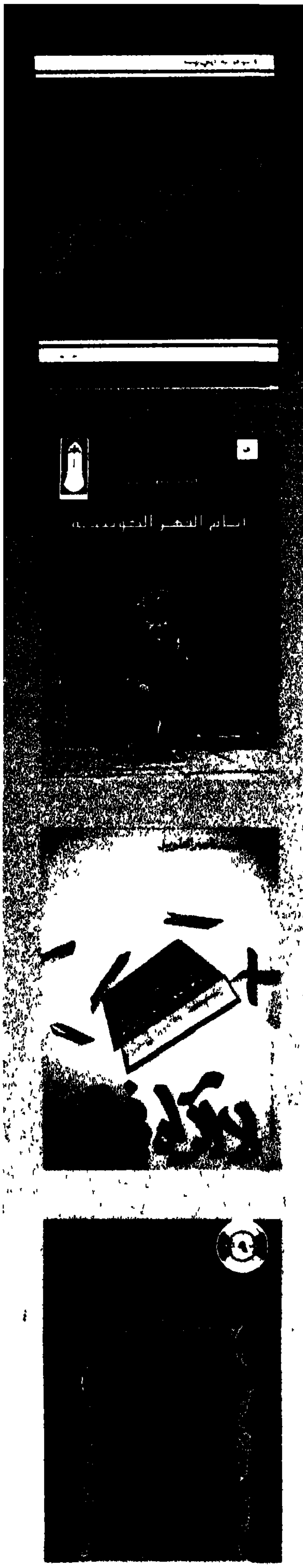
في هذا الكتاب يحكي الإسلاميون الجدد اللحظة الأولى والسجدة الأولى وما يصاحبها من مشاعر، ويذهب إلى حقيقة أن هؤلاء دخلوا الإسلام بمحض إرادتهم وبقناعة تامة.

□□□

الكتاب : حقوق الإنسان.. والاحتلال العراقي للكويت
المؤلف : إدارة المعلومات والأبحاث في «كونا»
الناشر : وكالة الأنباء الكويتية «كونا»

يأتي هذا الكتاب ـ الوثيقة تتويجا لجهد سابق قدمته وكالة الأنباء الكويتية وتمثل في كتابين أو ملفين هما: «الاعتداء على البيئة» و«غزو الكويت ووقفة لا تنسى» يقول الأستاذ يوسف محمد السميط رئيس مجلس إدارة «كونا» في تقديمه للكتاب: «غير أن أشد جرائم الغزو العراقي فظاعة وفظاظة تمثلت في انتهاك حقوق الإنسان». وأهم ما يميز هذا الكتاب أنه حفل بالعديد من الصور والوثائق الدامغة التي تكشف بجلاء بشاعة ما ارتكبه النظام العراقي في حق الإنسان الكويتي وغير الكويتي على أرض الكويت.

□□□



إلى أن نلتقي

«رفيعة هانم» تشغل أمريكا

«رود أيلاند» هي ولاية أمريكية، وفي هذه الولاية تقوم عاصفة من النقاش الساخن تجتاح باقي الولايات السبب هو أن إحدى محاكم الولاية أصدرت حكما على الحكومة المحلية يقضي بأن تدفع تعويضا لإحدى السيدات يصل إلى ١٠٠ ألف دولار. لماذا؟ لأن وزن السيدة يصل إلى ١٤٥ كيلوغراما، ولأن حكومة الولاية المحلية رفضت توظيف السيدة «رفيعة هانم» بسبب وزنها.

القاضي العادل اعتبر أن السيدة تعرضت إلى ما يسمى «التمييز السمني» ـ نسبة إلى السمنة ـ وهو مثل التمييز العنصري الذي يعتمد اللون، ومثل التميز الجنسي الذي يعتمد الذكورة والأنوثة، ومثل التمييز المذهبي الذي يعتمد المذهب.

الحكومة المحلية استأنفت الحكم، ومحكمة الاستئناف رفضت مبدأ دفع التعويض، ولكنها أوصت بتعيين السيدة البدينة «مشرفة» في إحدى المصحات العملية«!».

ولكن القيامة التي قامت لم تقعد بعد، فالسابقة قد وقعت و«اللوبي السمين» بدأ نشاطه في الكونغرس، بينما رجال القانون بدأوا مناظرات حول تعريف «السمين» أو «البدين» أو «التخين»، بعضهم طرح أن شرط «السمنة» هو أن يكون صاحبها ضعف الوزن العادي قياسا لطوله، فلو كان طوله مثلا ١٥٠ سنتيمترا لكان وزنه الطبيعي ٥٠ كيلوغراما، أما إذا بلغ ١٠٠ كيلو غرام فإنه يستحق تعريف «السمين» بحكم القانون.

آخرون رأوا أن السمنة تشكل إعاقة، وهذه الإعاقة تبدأ عندما يزيد الوزن بمقدار النصف وليس الضعف.. كما أن هؤلاء المعوقين يستحقون أن تشملهم تعويضات الإعاقة التي تدفعها الحكومة، ويحتاجون إلى برامج إعادة تأهيل تصرف عليها الحكومة، وبالطبع فإن إعادة التأهيل تعني أن ينتسبوا إلى النوادي ودور التجميل كي يستعيدوا رشاقتهم.. وعلى حساب الدولة«!».

وهنا طرح بعضهم السؤال: ولكن كيف تستطيع الحكومة أن تميّز بين «السمين بالولادة» و«السمين بالإرادة»، بين واحد يشكو من أمراض في الغدد، أو أمراض نفسية «!» تدفعه لالتهام علبة كاملة من الشوكولاتة في جلسة واحدة، وبين آخر لا يستطيع أن يقاوم إغراء الآيس كريم فيندفع للغرق فيه؟

.. والسجال ما زال مستمرا، وأعتقد أنه سوف يفتح أبوابا أخرى غير محسوبة، فالقصير مثلا قد يقوم بمقاضاة نادٍ لكرة السلة لأنه لم يوظفه في فريقه، والأصلع يمكن أن يشكو الكوافير أو الحلاق إذا رفض أن يستخدمه في عروضه أو كاتالوجاته، أما السيدة «رفيعة هانم» فيمكن أن تطلب تعويضا من دار عروض الأزياء إذا رفضت مواهبها. وهكذا يمكن أن يتحول كل أمريكي إلى مضطهد ـ بفتح الهاء ـ أو.. معاق. □

أنور الياسين


رمضان ١٤١٤هـ - مارس (آذار) ١٩٩٤م
العربي
AL-ARABI
March 1994
اسكتلـ[illegible]
مهرجان
التقاليد
العريقة
جنوب لبنان
الحياة تحت
وطأة الخطر
ملاحون عرب
يواجهون
قراصنة البحر

عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق

أسرى
الكويت
والمفقودون
في العراق

ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين


اختيارك.. حتماً لدينا
معرض بيت التمويل للسيارات
كلّ المعارض في معرض واحد
ان والاطمئنان
بيت التمويل ال

العدد ٤٢٤ السنة السابعة والثلاثون - مارس ١٩٩٤

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارىء للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمّد الرميحي
مدير التحرير
أنور الياسين

تأسست عام ١٩٥٨
رأس تحريرها:
د. أحمد زكي (١٩٥٨-١٩٧٥)
أحمد بهاء الدين (١٩٧٦-١٩٨٢)

AL - ARABI

A Cultural Monthly Arabic Magazine
in Colour Published by: Ministry of
Information - State of Kuwait.
Issue No. 424 March. 1994.
P.O. Box: 748 Al Safat Kuwait.
Tel: 4845134 - 4844164 - 4847582
Fax.: 4842251

عنوان المجلة

العربي
ص ب ٧٤٨ - الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13008
مبنى وزارة الإعلام رقم (٢) شارع الصحافة - الشويخ
تلفون ٤٨٤٥١٣٤ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢
فاكس التحرير ٤٨٤٢٢٥١
المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات
تلفون ٤٨١١١٦٦ — فاكس الإعلان والتوزيع ٤٨١١٢٢٥

الاشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات — الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك
بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً باقي دول العالم ١٠ د.ك أو ٤٠ دولاراً
SUBSCRIPTION: ALL COUNTRIES $ 40, OR THE EQUIVALENT

ثمن النسخة

الكويت	٥٠٠ فلس	تونس	١ دينار	سوريا	٢٠ ليرة
الأردن	٥٠٠ فلس	الجزائر	٥ دنانير	الامارات	٧ دراهم
البحرين	٥٠٠ فلس	السعودية	٧ ريالات	المغرب	١٠ دراهم
مصر	٧٥ قرشاً	اليمن	٣٠ ريالاً	ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	١٠٠ جنيه	قطر	٧ ريالات	أوروبا:	جنيه استرليني ونصف
موريتانيا	١٢٠ أوقية	سلطنة عمان	٥٠٠ بيسة	فرنسا	٢٥ فرنكاً
		لبنان	١٥٠٠ ليرة	أمريكا	٣ دولارات

PRICE: USA $ 3 -U.K. £ 1.50- FRANCE 25 FF. OTHER COUNTRIES: THE EQUIVALENT

طبع بمطابع الوطن بالكويت

عزيزي المحرر

راجعات



الإسلام والمرأة

□. رئيس التحرير

في مقال «المساواة في الإسلام» المنشور بالعدد ٤٢٢ يناير ١٩٩٤ راح الدكتور محمد عمارة يقارن بين المنحى الخيالي لمفهوم المساواة لدى بعض المذاهب والفلسفات وبين المنحى العقلاني لمفهومها في الإسلام.

وكم كنت أود أن يتعرض الباحث لموضوع المساواة بين الرجل والمرأة، ذلك أن أهمية هذا الموضوع تنبع من كون بعض المثقفين قد أقروا بأن الإسلام رفع من مكانة المرأة وأعطاها كثيرا من حقوقها، إلا أنه لم يساوها بالرجل، وهم في سبيل ذلك يعتمدون على بعض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الإرث وحق التملك والحكم وبعض قضايا التعاملات الاقتصادية.

كنت أتمنى لو تناول المقال هذا الموضوع مبينا أن هذه النصوص لا يمكن أن تقرأ وتفهم إلا في الإطار الزماني والمكاني الذي وجدت فيه وبالتالي وفق معطيات وحيثيات الواقع المعيش للمرأة آنذاك، ناهيك عن أن بعض هذه النصوص كانت مشروطة بوجود علل، وبزوال هذه العلل نتيجة لتغير القيم الفكرية والاجتماعية لكل عصر يبطل المعلول. إلا أن هذه النصوص قاطبة تمتد بإشعاعاتها المعرفية لكل مكان وزمان، وبالتالي فهي تقرأ وتفهم وفق معطيات الواقع المعيش بكل متغيراته ومستجداته.

وبذلك يمكن أن نستبين أن الإسلام لم يبخس المرأة حقها ولم يفرق بينها وبين الرجل في الحقوق بل وضعهما في سوية واحدة والدليل قوله تعالى **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

شعلان مندو

حمص ـ سوريا

النساء والسلطة

□. رئيس التحرير

أعاد مقالكم «إشكالية النساء والسلطة» المنشور في العدد ٤٢٢ يناير ١٩٩٤ طرح هذا الموضوع المهم والمثير للجدل، في وقت ترتفع فيه الأصوات التي تطالب بعزل المرأة بعيدا عن المجتمعات ووقف عملية تعليمها ومساهمتها في جميع المجالات العلمية والثقافية وحتى التربوية.. لا السياسية فقط.

.. إن ظاهرة صعود ثلاث نساء إلى سدة الحكم في ثلاث دول إسلامية يصل تعداد سكانها إلى ٣٠٠ مليون نسمة، لأمر يستحق التوقف قليلا، خصوصا أن وصولهن إلى الزعامة قد تم بطريقة ديمقراطية، وبإرادة شعبية جارفة.

لكن هذه الظاهرة لم تكن الأولى في تاريخنا، فهناك شواهد معروفة وأسماء نعرفها جميعا ويضرب بها الأمثال، وقد حدثنا القرآن الكريم في سورة «النمل» عن قصة «بلقيس» التي حكمت «سبأ»، زمنا وامتدح الحق تبارك وتعالى فيها قوة إرادتها وذكاءها، إضافة إلى غنى دولتها وشعبها، **﴿وأوتيت من كل شيء﴾** الآية ٢٣، كما تحدث عن عظمة ملكها بقوله تعالى **﴿ولها عرش**

ظيم﴾، وهذا يدل على قوة ملكها
عنى شعبها خلال فترة حكمها له،
ما نجد أن القرآن مدحها حين
ستشارت الملأ حولها فيما تفعل مع
سليمان، فهي تمارس الديمقراطية
لا تنفرد برأيها على الرغم من
كائها وحكمتها، ﴿قالت يا أيها
للأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة
مرا حتى تشهدون﴾ الآية ٣٢، كما
ن هناك إشارة لذكائها، فقد
سلمت عندما تأكدت من نبوة
سليمان ﴿وأسلمت مع سليمان لله
ب العالمين﴾ الآية ٤٤.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم لم
قدح في كونها حاكمة قومها، بل
دحها، ومن هنا يتضح أن الإسلام
لا يمانع في تولي المرأة الحكم في
بلادها، ما دامت تتوافر فيها
متطلبات الحكم من إرادة وقوة
وعزيمة، وذكاء ومشورة وحرص
على مصالح الشعب.

جمال مصطفى شتا
المحلة الكبرى ـ مصر

المرأة والسلطة بين البيت والعالم

□ .. **رئيس التحرير**

كانت سياحة ذهنية صافية عبر مقالكم الموسوم «إشكالية النساء والسلطة: هل من المحبب أن تحكم المرأة العالم؟».. بالعدد رقم ٤٢٢ يناير ١٩٩٤، لقد كانت افتتاحية واعية لعام جديد، تناولت بحكمة وحنكة مشكلة الصراع بين الرجل والمرأة على القيادة، من البيت إلى العالم، إنها كما قلتم: أقدم أشكال الصراع. وقفتم فيه برؤية علمية تستقصون تاريخا وتطلون على حاضر ثبتت فيه المرأة قدميها على خريطة الحياة الاجتماعية والسياسية بتميز وقدرة غير منكورة، ويكفي إنصافا للمرأة رأيكم أنها وصلت إلى الحكم في كثير من البلدان عن طريق صناديق الاقتراع وليس على جنازير الدبابات، المقال يحتاج إلى نقاش وجدل طويل ولعله حجر يحرك دوائر الماء في بركة حياتنا الاجتماعية الراكدة في بعض مجتمعاتنا العربية.. فشكرا لقلمكم العادل ولرؤيتكم النبيلة.

هيام عمر محمد
كلية الحقوق ـ جامعة
عين شمس / مصر

بطاقة

□ .. **رئيس التحرير**

يسرني أن أهدي لكم أصدق التهنئة على العدد الرائع من العربي ٤٢٢ يناير ١٩٩٤.

لقد تفوقت أسرة العربي على نفسها في هذا العدد الممتاز جدا، والذي تفخر به الصحافة العربية جميعها، الأمر الذي دفعني لأن أكتب لكم هذه الرسالة «العاجلة» مباركا ومهنئا، داعيا الله أن يوفق على طريق النجاح خطاكم.

عبدالعزيز صادق
مدير تحرير مجلة أكتوبر ـ
جمهورية مصر العربية

ذكرى وفاة علي مبارك

□ .. **رئيس التحرير**

في العدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣ ورد خطأ بعنوان مقال «١٠٠ عام على ميلاده.. ذكرى علي مبارك»، وكان يفترض أن يكون «١٠٠ عام على وفاته» لأن علي مبارك توفي عام ١٨٩٣.

د. محمد لطفي عوض
مستشار جراحة العظام
القاهرة ـ مصر

المحرر : تستحق التحية، على هذه الملاحظة، ولعلك ترى معنا أن هذا الخطأ ورد سهوا بالعنوان فقط، وأن صلب المقال يحمل تاريخي الميلاد والوفاة.

تأثير النفط

□ .. **رئيس التحرير**

.. في مقاله المنشور بالعدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣ «العرب ومستقبل النفط» أكد الكاتب عامر ذياب التميمي أن سلاح النفط لم يعد مؤثرا في الآونة الأخيرة، كما أن قوته تتضاءل من سنة لأخرى.

غير أن هذه المقولة إذا كانت تصدق على المواقف الفردية لبعض الدول المنتجة، فإنها لا تنطبق على الموقف الجماعي لها إذا ما تم التنسيق بينها، فتأثير «أوبك» لا يزال قويا حين يتفق أعضاؤها فيما يكون للفشل في الوصول لاتفاق نتائجه السيئة

عزيزي المحرر

على سعر البرميل ودرجة تأثير النفط دوليا.

جهاد مصطفى
Bechgards gade U.U.
2100 Kbh
DANAMARK

رباط عنق

☐ رئيس التحرير

في العدد ٤٢٢ يناير ١٩٩٤ وفي راوية «وجها لوجه» قام رسام العربي برسم شخصية الأديب نجيب محفوظ وهو يرتدي رباط عنق أحمر اللون.

بينما يعرف قراء أديبنا الكبير عنه عدم ارتدائه لأي نوع من أربطة العنق، لأنها تسبب له حساسية شديدة في العنق والوجه

جمال عبدالغني
جامعة المنيا - مصر

شريط فكري .. لحديقة الديناصورات

☐ .. رئيس التحرير

بالعدد رقم ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣ ودعنا العام المنصرم مع مقالكم «من انكسار الأجنحة.. إلى عودة الديناصورات» المقال شريط سينمائي فكري حوى مشاهد متعددة، ثورات الطبيعة، ألاعيب السياسة، حسون الإرهاب، أحمار القارة السوداء المقهورة، فصلا عن مشاهد احتماعية منتشرة وحتام رياضي شيق، لقد انتاب القارىء - رغم المتعة الذهنية - شعور بالأسى لما آل إليه عالمنا من تفكك وضياع، حيث اعتمد المقال على حصر وإحصاء السلبيات والخسائر التي خلفها عام ١٩٩٣، ومنها المتاعب الاقتصادية والمشكلات السياسية ونفاقم العنصرية بكل صورها وظلم الأقليات.. وغير ذلك.. إلا أن المقال كان واقعيا، يبقى أن المقال بأسلوبه الشفاف مرثية لعام مضى.. فضلا عن كونه مرجعا مهما وفهرسا متميرا حسد أهم أحداث العالم بصفة عامة، وما ألم بعالمنا العربي والإسلامي على وجه الخصوص.

حنفي عبدالوارث محمود
أسيوط - مصر

ترجو المجلة من كتابها في مصر والذين تنشر مقالاتهم في العربي الاتصال بالمركز الإعلامي في القاهرة ١٠٦ شارع قصر العيني، عمارة كايرو سنتر، لتسلم مكافآتهم بعد نشر المقالات.

تأمل العربي من جميع كتابها أن يرفقوا مع مقالاتهم الاسم الثلاثي مع العنوان البريدي الكامل ورقم الفاكس إذا أمكن وذلك تسهيلا لمهمة الاتصال والمراجعة.

د واقتراحات

أخطاء إملائية

☐ .. رئيس التحرير

اعتاد مدرسو اللغة العربية ومؤلفو كتب الإملاء منذ عهد بعيد على تعليم بعض قواعد الإملاء بما يخالف أصول اللغة ومنطق العربية في نحوها وصرفها وصوتياتها بدافع التقليد فحسب، من ذلك حذف ألف «ابن وابنة» في الرسم والكتابة وربط هذا الحذف بمجموعة من القواعد المصطنعة، كوقوعها «بين علمين الثاني أصل للأول، ويشترط أن يكون أولها.. كما يشترط في ثانيهما.. وإذا وقعت بعد «يا» النداء..» ويطيلون كذلك في رص القواعد المتعلقة بمواطن إثباتها، كوقوعها «في أول السطر.. وإذا جاءت مثنى.. وإذا لم تقع بين علمين، وإذا وقع بعد لفظة ابن أو ابنة كلمة..» وذلك في جهد بدني يدعو إلى الإشفاق.

والصواب أن ألف «ابن وابنة» لا تحذف البتة حيثما وقعت لأنها عوض من حرف أصلي محذوف من كلتا الكلمتين، فكلمة «ابن» ورنها «افع» أصلها «بنو»، وحذفت لامها «الواو» وعوض عنها بهذه الألف، فلا يصح حذف العوض والمعوض منه معا، وهو مذهب سيبويه، وانظر اللسان «بني»، ولا صحة لحذفها بحجة

سقوطها في النطق كقولنا «حضر زيد وابنه» أو كقولنا «حضر زيد ابن سعيد» لأننا لا نحذف مثل هذه الألف في حالات مشابهة كقولنا «اقرأ واكتب وافعل الخير».

فليسترح مدرسو اللغة العربية من حشر القواعد المتعلقة بألف «ابن وابنة» وليريحوا طالبي العربية منها، فلغتنا صافية نطقا ورسما.

د. محمد علي سلطاني
دمشق - سوريا

[redacted]عات سريعة

الأصدقاء : **أحمد ميمون الشاذلي** «حلب / سوريا» شكرا على مشاعرك النبيلة وإن كان اقتراحك غير قابل للتنفيذ بسبب طبيعة هذه المجلة واهتماماتها. **جلال الحسيني** «المركز الثقافي الإسلامي / إيران» المجلة في الطريق إليك. **سعيد الزواوي** «أجدانيا / الجماهيرية الليبية» المسابقات التي تقدمها العربي مفتوحة لجميع الأعمار والأجناس. **إسحاق بن سعود البوسعيدي** «مسقط / سلطنة عمان» العربي ترحب بكل الموضوعات التي ترد إليها وتنتقي منها ما يضيف جديدا للقراء. **بير حنا ايواز** «حلب / سوريا» شكرا على بطاقة التهنئة.

الصديقة **جيهان السمني** : خواطرك النثرية على درجة عالية من الشفافية ورهافة الحس والشاعرية، وأسلوب راق متميز ينبىء بكاتبة ومبدعة قادمة على الطريق، نأسف لعدم النشر لعدم تخصص المجلة بهذا النوع من الكتابة الأدبية، مجلات أخرى تفتح ذراعيها لك.□

وتريات

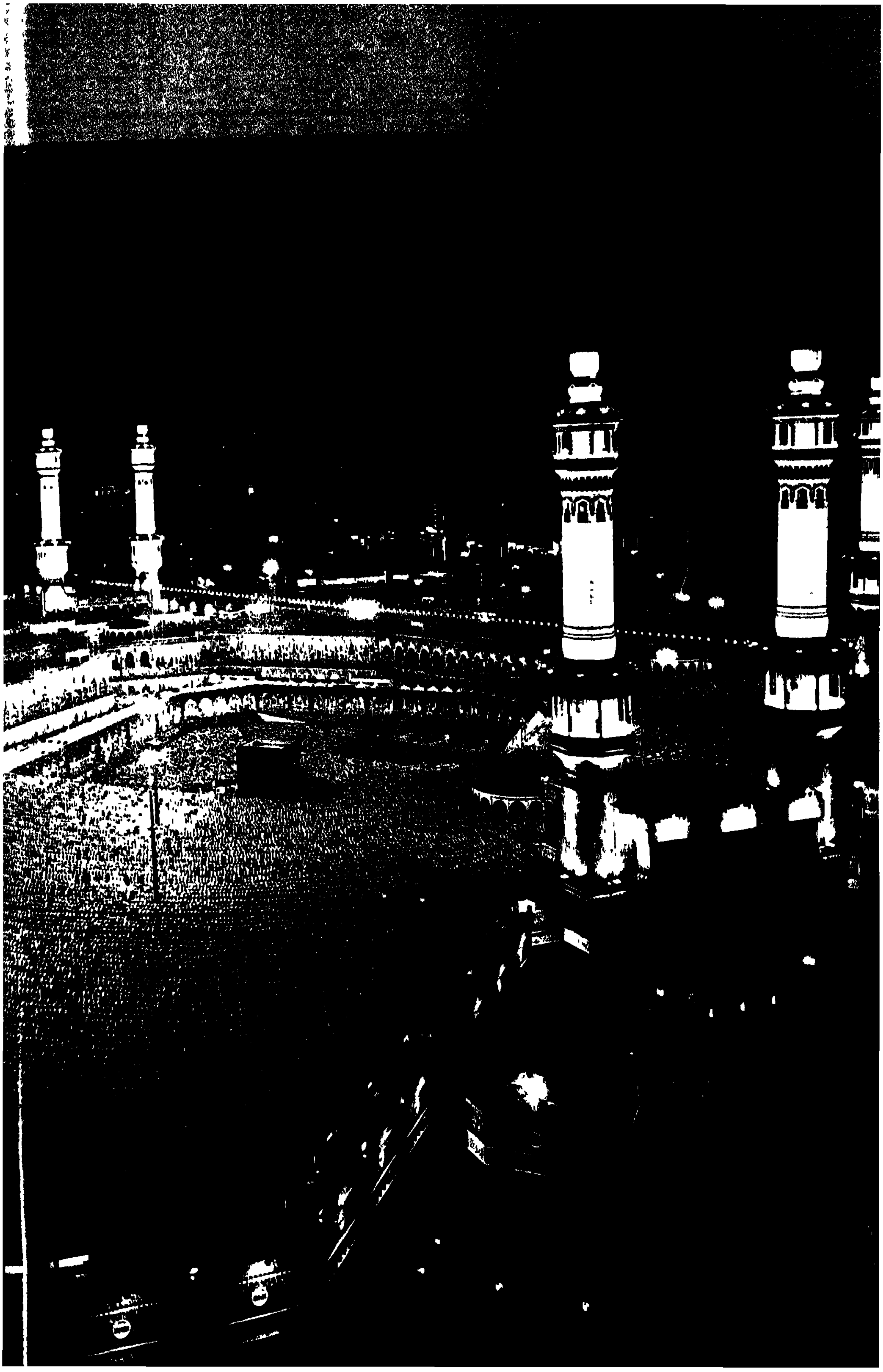
تكلمي



طوى المدى ما بيننا فتكلمي
فضعي سيوف الصمت في أغمادها
خوضي مواضعي، أجيبي، اسألي
عيشي معي فكرا، وعيشي جملة
عن أي شيء حدثيني واسهبي
أشياؤك الأنثى .. طفولتك .. أنا
لا تبقني في موقف صعب فما
إن السكون تخيفني لمساته
شفتاك والصمت المحير فيهما
وأنا انتظرت ولم أزل أن تفتني
فإلى متى يبقى حوارك بسمة
موضوعنا والصمت لن يتلاقيا
لا تنظري لي هكذا في حيرة
ما جئت أنشد نظرة مشبوهة
عقلي معي والقلب رهن إشارة
لا أشتكي جرحا ولا نارا ولا
فأنا معافى والطريق معبد
كل الذي أرجوه أن تتكلمي

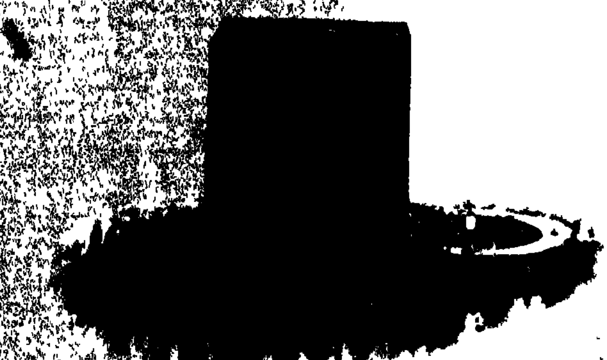
إني أخاف من الجواب المبهم
وابني من الحرف الجميل وهدمي
ابدي ملاحظة، ولو لم تفهمي
أنا لا أريدك لوحة في مرسمي
كلي آذان حلوتي فترنمي
أمل يراودك .. قلمي وتلعثمي
من عادتي رصد الجمال الملهم
والظل يثلج في براءته دمي
كالوردة الحمراء قبل الموسم
أذني بصوت واثق متنغم
مجهولة التعبير من هذا الفم
فالعرس لا يذكيه صمت المأتم
وتردد كالسائح المتوسم
أو جملة تعزو فؤاد المغرم
منه وما حبي بشيء مؤلم
أحتاج منك لحقنة أو مرهم
ورجولتي ملكي وطبع المسلم
لنرى إذا كنا معا في المنقم

عبدالله الأسطى - البرازيل

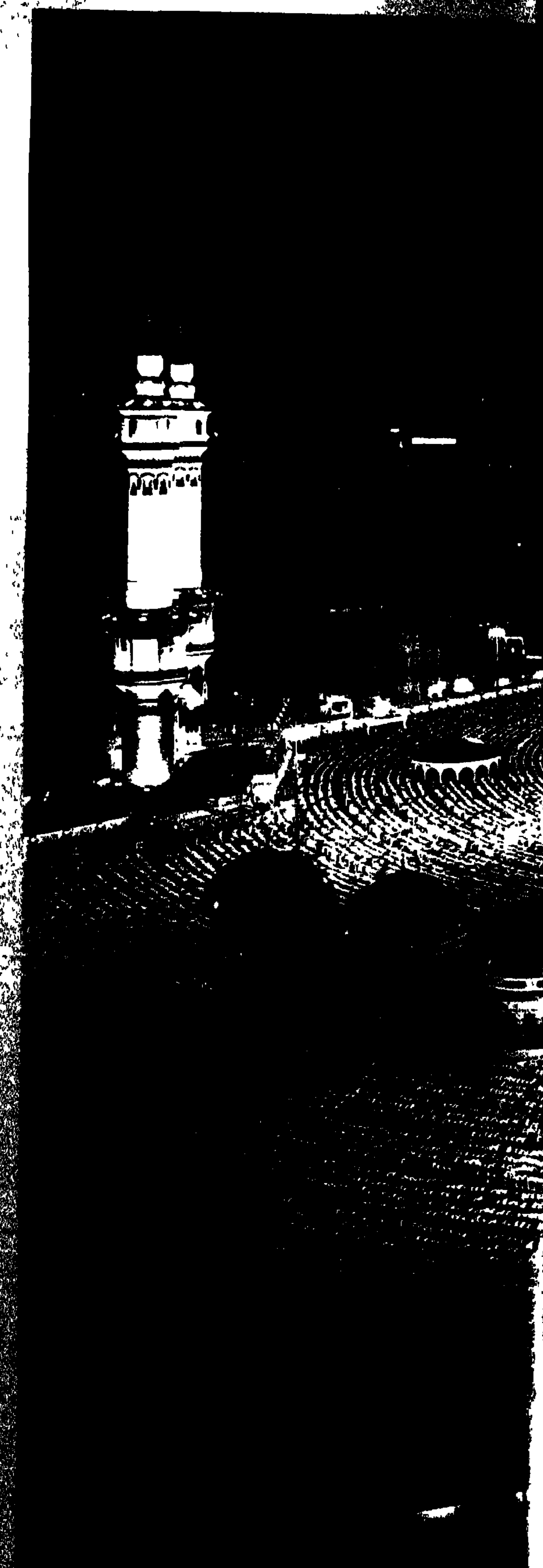


ة إلى مكة المكرمة . تبدأ معنا .

في كل عام تنقل السعودية، الخطوط الجوية العربية السعودية، أكثر من [illegible] مسلم لأداء فريضة الحج والعمرة إلى مكة المكرمة. وكل رحلة من رحلاتنا تقدم لكم تجربة لا تنسى، بدءا من دعاء السفر خلال الإقلاع إلى تلاوات من القرآن الكريم وانتهاء بالتنويه عن ميقات الإحرام .



الكعبة المشرفة



وبينما تسترخون على مقاعدكم الوثيرة في راحة تامة، يقدم لكم طاقم الخدمة الجوية بالطائرة كل ما تحتاجونه من خدمات وأنتم في طريقكم إلى الديار المقدسة . وعندما يحين وقت العودة فإن مكاتبنا في مكة المكرمة وجدة توفر لكم إمكانية الحصول على بطاقة الصعود إلى الطائرة قبل ٢٤ ساعة من موعد الإقلاع .
أهلا وسهلا ومرحبا بكم على متن طائراتنا

السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية

نعتز بخدمتكم



صورة الغلاف:

□ اسكتلندا.. مهرجان التقاليد العريقة
طالع الاستطلاع [٤٠ ـ ٥٣]

مكاتب العربي

الكويت - وزارة الإعلام
مبنى وزارة الإعلام رقم ٢ شارع الصحافة ـ الشويخ.
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة - الرمز البريدي 13008
هاتف ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢.
فاكس التحرير: ٤٨٤٢٢٥١
جمهورية مصر العربية: ١٠٦ شارع قصر العيني ـ مبنى كايرو سنتر الطابق الخامس ـ القاهرة ـ فاكس: ٣٥٥٤٩٠٦
هاتف: ٣٥٦٢٨٢٢ ـ ٣٥٤٦٨٦٩.
المملكة العربية السعودية: جدة، ص.ب ٤٥٥٦. رمز بريدي ٢١٤١٢
الجمهورية العربية السورية. دمشق، ص.ب ٣٣٣٠، تلكس: ٤١٩١٧٢، هاتف: ٣٣٧٥٦٠، فاكس: ٣٣١٠٧٩

محتويات العدد:

ـ ونقد وفنون



□ وجـهـــــا لــــوجـــه :
ـ سليـــمان مـــاجـد الشاهـين وأنـــور اليـــاســـين [ص ٦٦]



□ مـلاحـون عـرب يـواجهـون قـراصنـة الـبـحـر
[ص ٩٨]



□ جنـوب لبنـان.. الحيـاة تحت وطـأة الـخـطـر
[ص ١٣٨]

منتدى العربي:

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي:

ابواب ثابتة:



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



□ الطفل الثاني متى يأتي؟

[ص ١٦٦]

عزيزي القارىء

الصحافة والأدب

عزيزي القارىء...

في إحدى مقابلاته المتسمة دائما بالجاذبية وذكاء اللمح وطزاجة الفكرة، عبّر الروائي الأشهر - في الربع الأخير من قرننا العشرين - جابرييل جارسيا ماركيث ،عن رأيه في صحافة هذه الأيام، فقال إنها تدهورت لأنها ابتعدت عن الأدب، وثمة كثير من العارفين بأمر الصحافة، يدركون هذه الحقيقة بألم، ويستعيدون ذكريات الأيام الخوالي حين كانت الصحافة العربية تقودها أقلام الأدباء الكبار: طه حسين، والعقاد، والمازني، وخليل مطران، ومحمد كرد علي، وبشارة الخوري، وسعيد عقل، وغيرهم.. لقد كانوا أدباء وصحفيين في الوقت ذاته، وكانت قراءتهم منحة من المتابعة المتألقة والمتعة، حتى في حقل الحروب السياسية التي كانوا جرءا منها ومعبّرين عنها.

«الأسلوب هو الرجل» عبارة شائعة، لكنها عندما تطبق على الأداء اللغوي للإنسان، سواء بمناهج النقد الحسي أو البنيوي، تكشف عن الأهمية القصوى للأسلوب كضرورة حيوية في التعبير وليست مجرد زخرفة وبلاغة خاوية، والتسطيح اللغوي الذي يسود الكتابة الصحفية، بزعم التسيط، إنما هو تبرير كاذب لأداء قاصر في نوع من النشاط الإنساني يمارسه كثيرون ممن لم يُخلقوا له، ولولا تلك «المطابخ» التي يعاد فيها طهي الركاكة لتكون أطباقا سريعة على موائد الصحف، لكانت الصورة أبشع. وفي محاولة من العربي لحصار أقصى ما يمكن من البشاعة، فإن ثمة اتفاقا بين أسرة تحرير المجلة، وكتّابها القريبين، على مفهوم أنها مجلة كُتّاب، وبمعنى آخر، مجلة تسعى إلى أصحاب الأقلام، ولا شك أن هذا طموح عسير المنال في المطلق، لكن شرف المحاولة يُلهم ويُنجز إلى حد ما.

كل هذه التصورات أحاطت بنا ونحن نهم بنشر مقالة الشاعر الدكتور بديع حقي عن الشاعر عمر أبي ريشة «سيمفونية العشق والإبداع»، فنحس بحنين ساحق إلى زمن مفقود، كانت الكلمة تحرص فيه على أن تكون ذات طعم وعبق، أن تُمتع وتُشبع، ومن ثم علينا أن نتشدد، فإذا كان العالم المعاصر آخذا في إدراك مخاطر العجلة الاستهلاكية على الحياة البشرية، فإن عالم الصحافة والنشر ينبغي أن يدرك كارثة التسارع الخاوي لعجلة صحافة تعجز عن التأدب.

وعندما نقرأ - بمتعة - مقالة دبلوماسي أديب عن دبلوماسي شاعر، نحس بعذوبة الذكرى وقد منحتها روح الأدب رحيقا واسع الانتشار، يتجاوز الذكرى إلى الرؤيا، ويحلق بفن السيرة في أجواء الجمال، ونعتقد أن هذا ما سوف تحس به - عزيزي القارىء - عند قراءتك لهذه المقطوعة، التي وإن كنا توقفنا أمامها للتذكرة، فإننا لم نكل عن السعي في الانتصار للأدب الغائب والمُرتجى عودته إلى فن الكتابة الصحفية، ولعلها ليست مصادفة أن تكون افتتاحية هذا العدد عن فن مهم من فنون الأدب هو «الرواية». وعلى الرغم من التنوع والتنقل بين حقول الثقافة، غايتنا، سواء كانت علما أم فنا أم اقتصادا أم سياسة أم تاريخا، نعدك - عزيزي القارىء - بأن يظل الطموح إلى الأسلوب في الكتابة - كضرورة حية للتوصيل والتأصيل - أفقا نرنو إليه ونسعى. □

«المحــرر»

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الرواية ذلك الفن المراوغ .. هل تعلن موتها؟

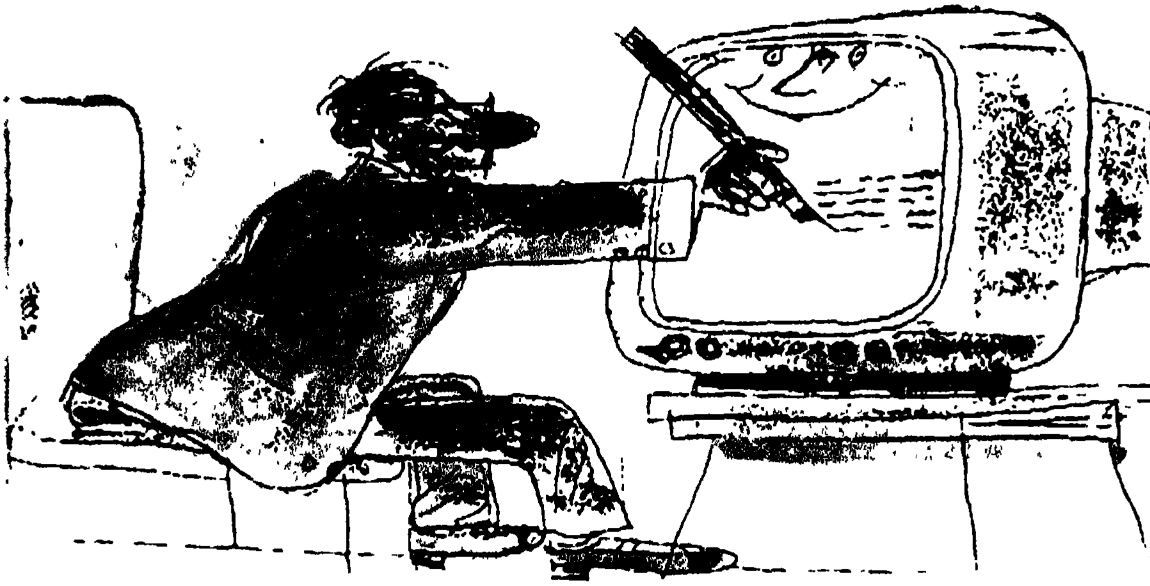
■ «هو الآن في طريقه إلى قاهرة الثورة، قاهرة جمال عبدالناصر، اضطربت مشاعره بعنف وهو يتخيل نفسه مع جمال عبدالناصر في مدينة واحدة، من يدري فقد يضمه يوما معه شارع واحد، قد يراه رأي العين، وقد يصافحه ويتحدث معه، ولم لا؟! ألم يجب جمال عبدالناصر على كل الرسائل التي أرسلها إليه طلاب المدرسة الثانوية في البحرين؟ ألم يهدهم صوره حسب طلبهم، صحيح أن التوقيع كان مجرد ختم، ولكنه توقيع جمال عبدالناصر، لا بد أنه يكون قد وقع الأصل بنفسه..».

سطور من الصفحات الأولى من «شقة الحرية».. رواية السفير والشاعر غازي القصيبي التي وضع فيها تجربة شبابه في القاهرة، وأحلام شاب مسافر تختلط فيها السياسة والمشاعر العامة بخلجات نفسه، فقد اجتمع مع شلة من الشباب في شقة تحولت إلى جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، تداخلت متاهات السياسة مع أحاسيس العشق وتجسدت في هذه الشقة كل تناقضات الفكر العربي، وتخبطه بين الانتماءات المختلفة.

وعلى الرغم من أن المؤلف يؤكد في سطوره الأولى أن جميع أبطال الرواية، وجميع الأحداث من نسج الخيال، إلا أن الحقيقة الكامنة وراء سطور الرواية، وتلك الفترة التي سجلها من الزمن العربي لا يمكن إلا أن تكون حقيقة مهما بلغت درجة الإخفاء والصراحة فيها، وهذا هو سر الأدب العظيم، إنه سجل غير رسمي، وتاريخ صغير لكل أحداث المجتمع، وهو يكشف عن حركته وتطوره أكثر مما تؤديه أي غاية أخرى.

■ سر الأدب العظيم أنه سجل غير رسمي وتاريخ مصغر لكل أحداث المجتمع

ولعلي أفهم سر لجوء السفير الشاعر إلى شكل الرواية، فهو يريد أن يبوح بالعديد من المشاعر والذكريات المختزنة في أعماقه دون أن يقع في فخ



السيرة الذاتية، فهو لم ينس بعد أنه مثقف عربي، خرج من بيئة محافظة، ويسعل منصبا سياسيا حساسا، لذلك فإن الرواية التي يفترض أن تعتمد على الخيال هي الحل الأمثل حتى يبوح ولا يبوح في الوقت نفسه.

لقد غرقت في تفاصيل هذه الرواية المتشعبة الكثيرة الصفحات (٦١٨ صفحة من الحجم الصغير)، وأوصيت أكثر من صديق بقراءتها - كما أفعل مع كل كتاب جيد يقع تحت يدي - ولكن الجواب كان يفاجئني في كل مرة إنها طويلة وتحتاج إلى وقت وإلى نفس طويل في القراءة.

ولا أريد أن أخوض هنا في تقاعس عدد كبير من القراء العرب عن قراءة الموضوعات الطويلة وخاصة الروائية بعكس الشعوب المتقدمة التي نرى أفرادها وهم يحرصون على حمل الروايات الضخمة معهم خاصة في المطارات وأثناء الرحلات الطويلة والعطلات، لقد أصبحت الرواية الطويلة جزءا من المتعة، وأحد مصادر المعرفة والوعاء الذي يمكن أن تقدم من خلاله آراء السياسة والفلسفة، والمصدر الذي يستمد منه علماء الاجتماع معلوماتهم عن أي مجتمع.

■ بدأت الرواية في الغرب على يد فارس حالم .. وبدأت عندنا بخروج فارسها من قبره

الفرسان يحاربون طواحين الهواء

ولكن، كيف نشأت الرواية الحديثة وتطورت واحتلت تلك المكانة الأدبية التي تحتلها الآن؟.. لقد بدأت على يد فارس حالم، لم يكن إلا شيخا عجوزا قضى الشطر الأكبر معزولا داخل مكتبة في منزل معزول في مقاطعة معزولة، غرق في صفحات الكتب حتى تداخلت الأزمنة في ذهنه واختلطت الأوهام بسطور الكلمات، فقرر أن يخرج ليكون فارسا يحارب المردة والشياطين وينصر الضعفاء، كان درعه قديما، وحصانه عجوزا،

ورمحه مكسورا، والأهم من ذلك أن الزمن لم يعد هو زمن الفرسان، وهكذا أخذ يحارب طواحين الهواء وينازل الوهم ولم يدرك أن هزيمته الحقيقية تكمن في أنه خرج في زمن غير زمنه.

إنه الفارس الشهير «دون كيشوت دي لا ميشا» الذي فاقت شهرته كشخصية روائية شهرة الكاتب الذي ابتدعه، فقد اكتسبت هذه الشخصية قوتها الدافعة من أنها تحولت إلى رمز يحوي كل سعي البشرية الخائب وتوقها إلى العدالة، وقد كانت هذه الرواية التي ألفها الكاتب الإسباني ميجيل سيرفانيس تحمل بعضا من تراث ملامح العصور الوسطى الذي تركه العرب في هذه الأرض، وكانت أيضا عنوانا على انتهاء عصر الإقطاع والأرستقراطية القديمة وسيادة مفاهيم الطبقة الوسطى أو البرجوازية التي أصبحت الرواية هي التأريخ غير الرسمي لصعودها.

■ الرواية مرآة المجتمع ومهمتها تجسيد الانسان في صراعاته الاجتماعية المختلفة

تطور فن الرواية على أيدي العديد من الكتاب، واستقلت تدريجيا عن ملاحم القرون الوسطى كي تصبح فنا يعتمد على الجدة ومحاربة التقليد والخضوع للأفكار السلفية القديمة، وكانت كلمة novel الإنجليزية تعني ذلك البحث عن الجديد والابتكار، على الرغم من أن الرواية تحولت إلى الاتجاه الواقعي واتخذت من الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه مرجعا لها.. ومع ذلك فلا يمكن اعتبارها صورة فوتوغرافية عنه.. لقد اعتمدت على مبدأ الشك الديكارتي الذي لا تأخذ فيه الحواس ما تراه من العالم الخارجي، وما تعتقده على محمل الثقة، ولكن عليها أن تهب نفسها للبحث عن الحقيقة دون أي أفكار مسبقة، وقد أكدت على بحث الإنسان المفرد عن هذه الحقيقة، وهي نفس الفلسفة التي أكدت على فردية الإنسان التي كانت الحافز الأساسي وراء نهضة الطبقة البرجوازية وصعودها في أوربا.



ومثلما خرج فارس الرواية الغربية من عزلته إلى زمن غير زمنه، خرج فارس الرواية العربية من قبره ليكتشف أيضا أنه في زمن غير زمنه. ففي رواية «حديث عيسى بن هشام» أو «فترة من الزمن» التي ألفها محمد المويلحي عام ١٩٠٧ يكتشف الراوي قبرا مفتوحا يخرج منه شخص كان من المفروض أنه من الذين شبعوا موتا ليرى الحياة المعاصرة وينقدها. لقد كان مؤلف الرواية محمد المويلحي أديبا وصحفيا، درس في الأزهر وشارك في الثورة العرابية، واضطر لمغادرة مصر بعد الاحتلال البريطاني وعاش عمرا مضطربا بين المنافي المختلفة، من باريس إلى الآستانة، وحين أراد أن يوجه سهامه اللاذعة لما حدث في بلاده عقب الاحتلال لجأ إلى هذا الشكل مستغلا شكل المقامة العربية القديمة، وكأنه بذلك الهدف قد استن سنة لكل الذين يعانون من الظلم والعسف والاضطهاد أن يلجأوا إلى الرمز والتورية.

إن الرواية هي أحد الأسلحة البشرية لمقاومة كل صنوف

ظلم وقهر الإنسان، وقد ارتدت كل الثياب وحملت كل الفلسفات كي توم بهذا الغرض، وإذا كان فن الرواية الآن في ازدهار فلأنها أشد الأشكال الفنية مرونة، وأكثرها ملاءمة لروح العصر الذي تعيش فيه، ففي مثل هذه الظروف التي تتشابك فيها مصائر البشر وظروف السياسة والاقتصاد وتختلط فيها الفلسفات بأفكار التطرف والعنف تصبح الحاجة ملحة لإيجاد وعاء مرن يحتوي كل هذه التناقضات، وليس هناك أفضل من الرواية في هذا المجال.

مبدع واحد ومهام عديدة

إن مهمة الرواية متعددة، والهدف منها يختلف حسب الكاتب الذي يستغل هذا الشكل ليسعى من خلفه، ويرى «روجيه دوبريه» في كتابه عن الرواية أنها ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم بدور المرآة في المجتمع، أي أن مادتها هي الإنسان في صراعاته الاجتماعية المختلفة، صراع الفرد ضد الآخرين، وينتج عن هذا الصراع خروج القارىء بفلسفة ما أو رؤية عن الإسانية، ويمكن في هذا القول التأكيد على أن الرواية تعالج الواقع أكثر من معالجتها للأفكار والنظريات المجردة.

وتتسع مهمة الرواية عند «البير يس» الناقد الفرنسي المعروف فيطالبها بالتعبير عن القلق البشري والسرائر الداخلية والمسئوليات التي كانت فيما مصى موضوع الملحمة والتاريخ والبحث الأخلاقي والتصوف والشعر في جانب منه، وذلك أن الإنسان الحديث يرغب في أن يجد في الرواية كل شيء، وكأن الرواية ملتزمة بأن تؤمن لكل مجموعة فكرية قوتها الفضلى، فهي تقدم للأذهان الوضعية الدراسات الاجتماعية، وتقدم للنفوس الحساسة ألعاب التحليل النفسي المرهفة والمخيفة، وتقدم للباحث عن مصيره تساؤلا دائما عن الوضع البشري أو لا إنسانية العالم، كما تقدم للجميع المتع الطفولية التي يثيرها عنصر القص والتشويق والحكاية المؤثرة والمغامرة، وكأن على الرواية أن تقوم بدور الكاهن والمشرف السياسي وخادمة الأطفال وصحفي الوقائع اليومية والرائد ومعلم الفلسفة، وهي تؤدي هذه المهام جميعها في شكل فني متعارف عليه يهدف إلى أن يحل محل الفنون الأدبية كلها.

الرواية في أساسها إذن عمل إبداعي، وهي تبين أيضا القدرة الإدراكية للإبداع عند البشر. وتقول جين. س. بروز في دراستها حول الإبداع: إن ردود فعل الأفراد إزاء أي عمل إبداعي يتمثل في شيئين: المفاجأة الفعلية لهذا الفرد، ثم الصدمة التي تتبع إدراكه لخفايا العمل الإبداعي. إن الأذواق تتعدد في إدراكها للعمل الروائي، وعلى الرغم من كل الدراسات والنظريات فلا توجد قواعد ومعايير موضوعية يمكن الحكم بها ـــ نهائيا ـــ على الأعمال

■ يجب أن نثق أكثر مما ألفنا في قدرتنا على الادراك الإبداعي وتمييزها بين الإنتاج الابداعي الجيد والرديء



الإبداعية، ولكن البحوث قد أثبتت أنه يجب علينا ان نثق أكثر مما ألفنا في قدرة عقولنا، لأن القدرة الإدراكية تجمع على أن الناس لديهم استعدادات فطريه تسمح لهم بالتمييز بين الإنتاج الإبداعي الجيد والرديء، وهذا يعني أيضا أننا مجهزون من قبل ببذور الإنتاج الإبداعي.

الرواية العربية

هل تقوم الرواية العربية بنفس هذه المهام؟.

إنها نفس الأهداف لأنها تنبع من ذات احتياجات النفس البشرية، والفرق بين رواياتنا العربية ورواياتهم هو أننا نطالع حيواتنا نحن، ففي رواية الأرض لعبدالرحمن الشرقاوي نرى ريف مصر، وعند نجيب محفوظ نغوص وسط حواري القاهرة الضيقة، ويأخذنا حنا مينا إلى القرى الساحلية حول ميناء اللاذقيه، ونعيش مشكلات التحرر والمعاناة من الأنظمة القمعيه في رواية «شرق المتوسط» لعبدالرحمن منيف، ونصطدم بالصراع بين الحضارات والثقافات المختلفة والبحث عن الهوية أو الذات المفتقدة في أعمال الطيب صالح، خاصة «موسم الهجرة للشمال» وكلها أعمال تعكس دوران القضايا التي تمور في وطننا العربي، وتبحث عن صدى للإجابات على امتداد صفحات كل رواية.

■ المجد للرواية العربية لأن مبدعيها جعلوها لسان حال الأمة وديوانا جديدا للعرب



المجد للرواية العربية .. ولكن

إن الناقد الشهير الدكتور علي الراعي يهتف بعد حصيلة جهد واسع في جمع صنوف الأدب العربي: «المجد للرواية العربية، فقد جعلها أفضل المبدعين فيها لسان حال الأمه وديوانا جديدا للعرب، ومستودعا لآمال وآلام أمتنا العظيمة المقطعة الأوصال».

ففي كتاب ضخم يستعرض الدكتور الراعي أشهر نماذج الرواية العربية فيقدم لنا سجلا حافلا، حوالي ٩٠ رواية من مختلف أقطار الوطن العربي، وهي لا تمثل كل الروايات ولكنها تمثل نموذجا واحدا من أعمال كل كاتب وعلينا أن نتخيل حجم ما أنتجه كل هذا العدد الضخم من كتّاب وما قدموه من شهادات معاصرة، وسواء كان أصل الرواية العربية يعود إلى رواية المويلحي «حديث عيسى بن هشام» في بدايات هذا القرن، أو يعود إلى رواية محمد حسين هيكل «زينب» التي نشرت عام ١٩١٤، فمن الواضح أن الطفرة في تلك الفترة القصيرة كانت كبيرة جدا، فنجيب محفوظ نفسه ـ وهو الروائي الأمثل ـ يملك هرما ارتفاعه خمسون رواية أضف إلى ذلك جهود حنا مينا وعبدالرحمن منيف وفتحي غانم وأمين معلوف ومحمد شكري وغيرهم.

إن هناك نغمة مشتركة تتوحد وتتصاعد من خلال سطور كل هذا العدد الكبير من الروايات، يقول الراعي إنها تحاول أن تقاوم القهر الموجه للإنسان العربي، فهو يرى الإنسان العربي مقهورا، «مضيق عليه في

ـرزق والرأي والمسكـن، تقهره الأنظمـة وتستعبـده الأعـراف الباليـة، ـسكن روحـه وتعشش فيهـا أشبـاح أنـاس وأصـداء أقـوال عـاشت ، صدرت في الماضي السحيـق ولا تزال تجد طريقهـا إلى عصرنا وكـان من حقها أن تبيد من زمان طويل».

مهمة الروايـة العربية إذن أن تخلص هذا الإنسـان العربي من قهره، ومن التشـويهات التي يمكن أن يحدثهـا هـذا القهـر في نفسـه، كما أن عليهـا أن ترشده إلى من يمارس هذا القهر ضده وترشده إلى طريق الخلاص.

مهام صعبة يختلـط فيها دور الروائي بالمصلح الاجتماعي بـالسياسي كما قلنا من قبل، لذا فإن الرواية العربية ـ مثل بقية روايات العالم الثالث حافلة بالهموم الجماعية، كل كاتب يحمل قضية قومه فـوق كتفه، ولا يغرق في خصوصياته أو ـطرته الفرديـة إلى الأمور إلا فيما ندر، لذا يوجه الكثير من النقـاد اتهاما شائعا إلى كل الروائيين العـرب وهو أنهم من خلال إبداعهم لا يخلقـون شخصيات متفردة بقدر ما يكتفون بصنع أنماط بشرية ذات خصائص عامة.

وباستثناء نجيب محفوظ لا يـوجد روائي عربي محترف، أي متفرغ لتنمية هذا الفن الصعـب، بل وحتى نجيب محفوظ نفسه قضـى الردح الأكبر من عمره وهو أسير الـوظيفة الحكومية وهو يُعد بـذلك أشهر موظف مصري على الإطلاق، فلا يوجد روائي عربي يعيش من عمله كروائي، ولكن عليه أن يمارس أي أعمال أخرى كي يستطيع أن يوفر قوته اليومي.

وفي الوقـت الذي تـوفر الروايـة للكاتب الغـربي مصدرا كبيرا للـدخل ووضعا مميزا للعيش، يعجز الـروائي العربي عن أن يصل إليه، ويبقى أسير «الهواية» التي تقتطع جزءا كبيرا من موهبته.

ولأن الشروط مختلفـة في الغـرب فقـد تطـورت الـروايـة كثيرا، بل إن الكتّـاب العـرب الـذين عـاشـوا في الغـرب قـد استفـادوا كثيرا من هـذه الشروط، واستطـاعوا أن يتطـوروا ويصلـوا إلى آفـاق جديـدة، ولعل أمين معلوف الذي فاز أخيرا بجائزة جونكور خير مثال على ذلك.

والمبدعات يصرخن

النساء اللاتي لم يجدن منذ زمن طويل مكـانا يصرخن فيه، وجدن مكانا في شكل الـرواية، تكره المرأة السينما كثيرا لأنها طـالما استغلت جسدهـا بشكل تجاري غير منـاسب، ولا تـرتـاح للفن الحديث لأنـه استبـدل بأحـاسيسهـا الخاصـة تكـوينـات مجردة تسبح في الفـراغ، ولا تفهم الشعـر الـذي أصبح مستغلقا عليها، لـذلك فإن الرواية أصبحت واحدا من أهـم الميادين الأدبية التي تمارس فيها المرأة إبداعها الخاص، أو بالأحـرى هو البيت الذي تجد فيه راحتها.

يقول الشاعر روبرت مارت: «إن العصور القديمة لم تنشىء الرواية لأن المرأة كانت مستعبدة. الرواية هي تاريخ المرأة».

ويبدو في هذا القول الكثير من الحقيقة. لقـد مرت المرأة بمراحل جديدة حتى أفلتت من استبداد الرجل بها، ففي البداية كانت جارية عنده، وعندما

■ الـروايـة هـي أكثـر الميـاديـن الأدبيـة التـي تمارس فيها المرأة إبـداعهـا، أو بـالأحـرى بيتهـا الذي تـرتـاح فيـه

■ الروائية العربية تكتب ضد القهر ومحاولة لكسر القيود الاجتماعية حولها

تحررت لم يعد يراها، وبذلت الجهد الأكبر حتى يجعله يراها أولا ثم يقبلها شريكة له ثانيا.

وقد ربطت الروائية الفرنسية والمؤرخة مدام دي ستايل بين حقيقة انعدام الرواية عند الحضارات القديمة مثل اليونان والرومان، وحقيقة عدم إضفاء هذه الحضارات أي أهمية على العلاقات العاطفية بين الرجال والنساء، وذلك بسبب المركز الوضيع الذي كانت تحتله المرأة في تلك الحضارات، ولم تنشأ فكرة الحب العذري، واعتبار العلاقة بين الجنسين قيمة سامية للحياة على الأرض إلا في القرن الثالث عشر، في مقاطعة «بروفانس» الفرنسية، وتدريجيا أخذت هذه الفكرة في التكيف مع الواقع الديني والاجتماعي والنفسي، وأثر هذا على التراث الروائي، فبدأت قصص الحب والعشق وحدث التصالح التقليدي بين الحب العذري ومؤسسة الزواج وصار الاختيار الحر بين الفردين هو القانون السائد.

لقد انطلقت رواية المرأة من أسر هذه الأغلال الاجتماعية والفكرية، وامتلأت رفوف المكتبات بالروايات التي لا تقدر على كتابتها غير المرأة. ويقول بعض النقاد إن المرأة مؤهلة لذلك أكثر من الرجل، فهي تمتلك القدرة على التقاط تفاصيل الحياة الدقيقة وإعادة نسجها وصياغتها من جديد. ولكن لا يبدو هذا القول صحيحا على إطلاقه، فمن بين عدد يربو على التسعين كاتبا فازوا بجوائز نوبل للآداب لا نجد من بينهم إلا تسع نساء فقط.

وتختلف ظروف الروائية العربية كثيرا عن زميلتها الغربية، فهي لم تظفر ـ حتى الآن ـ بهذا القدر من الحرية، وما زالت كتاباتها هي محاولة منها لأن تكسر القيد الذي يحيط بها ويحدد وظيفتها الاجتماعية، حتى تقتصر على رعاية المنزل والطفل، بل إن النظرة تخلط أحيانا ـ بسوء نية في أغلب الأحوال ـ بين ما تكتبه المرأة وسيرتها الذاتية بل وتقدم لها الانتقادات الأخلاقية قبل الفنية. وواقع الحال أن ظروف المرأة العربية المبدعة صعبة لأن معوقات الإبداع كثيرة جدا، وعلى الرغم من ذلك فلا بد من أن نذكر العديد من المبدعات العربيات اللاتي اقتحمن هذا الفن الصعب، ولعلنا مازلنا نذكر آثار الضجة التي بدأت عام ١٩٥٨ حين صدرت روايتان هما «أنا أحيا» للكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي، و«أيام معه» للكاتبة السورية كوليت خوري، وقد كانت مقدمة لاقتحام كل القضايا التي تخص المرأة من رفض التقاليد وسيطرة الأب والتمرد على العائلة بجرأة وقوة، ومنذ ذلك الحين ما زالت رواية المرأة العربية تشق طريقها وسط بحر مليء بصخور التقاليد القديمة، إن كاتبات مثل: منى جبور، وإقبال بركة، وحنان الشيخ، وحميدة نعنع، وسحر خليفة، ولطيفة الزيات، ورضوى عاشور قد وضعن علامات فارقة لا على تاريخ الرواية النسائية فقط، ولكن على مسيرة المرأة العربية من أجل تحررها.

منفيون داخل اللغة

ربما كانت قوت القلوب الدمرداشية هي الأولى من الأدباء العرب الذين نشروا روايات وقصصا باللغة الفرنسية في القرن العشرين، أو



بالأحرى أول أديبة تنشر كلماتها بلغة أجنبية، وقد عكست هذه القصص التي كتبتها أجواء الشرق والحياة الاجتماعية التقليدية في مصر، وخاصة مصر الإسلامية. إنه تقليد نبعت جذوره وتأصلت من رغبة الغرب العارمة في اكتشاف سحر الشرق الخفي وظل ساريا إلى الشكل الحالي الذي نجده في روايات أمين معلوف.

وعلى الرغم من أن هذه السيدة التي ولدت عام ١٨٩٢ وتنحدر من سلالة أحد أمراء المماليك ورائدة في التصوف إلا أنها سبحت عكس التيار، فقد ترك لها أبوها ميراثا ضخما، وأسس واحدا من أضخم مستشفيات مصر وهو مستشفى الدمرداش أو كلية طب عين شمس الآن، إلا أن اهتمامها الرئيسي كان الثقافة، لذا فقد أقامت أول صالون للناطقين باللغة الفرنسية، وألفت روايتها الأولى بها، وأطلقت عليها اسم «حريم -HAR EM» عام ١٩٣٧ وأتبعتها برواية «زنوبة ZANOBA» عام ١٩٤٩.

ثم توالت الأسماء التي لجأت إلى الثقافة الفرنسية.. البير قصيري وأندريه شديد وجويس منصور من مصر، ومحمد ديب ومالك حداد ورشيد بوجدره من الجزائر، والطاهر بن جلون من المغرب، وجورج شحاده وأمين معلوف من لبنان.

وفي الإنجليزية هناك أكثر من اسم، ولكن أشهر هذه الأسماء على الإطلاق هو الشاعر خليل جبران الذي اختلطت في كلماته تعاليم المدينة الفاضلة بسحر الشرق وروحانياته.

لقد هاجر الأدباء من أوطانهم ومن لغاتهم إلى أوطان ولغات أخرى تحت وطأة ظروف عديدة، منها ظروف الاستعمار، والهجرة من أجل

■ هاجر الأدباء من أوطانهم ومن لغاتهم إلى أوطان ولغات أخرى بحثا عن أرض جديدة خالية من القمع

■ تقام المآتم للرواية في فترات التحولات الاجتماعية والتغيرات السياسية الكبرى

الرزق، والسعي إلى أرض جديدة خالية من القمع، ولكن المؤكد أن هؤلاء الكتاب قد ظلموا في أوطانهم، فهم يواجهون مشكلة الازدواجية الأد... ففي بلادهم العربية ينظر إليهم على أنهم كتاب أجانب يعيشون في بلد أجنبي، كما ينظر إليهم في أوربا نفس النظرة.

ومعظم هؤلاء الكتاب لا يزالون أسرى الواقع الذي خرجوا منه، فهم يكتبون عن الأوطان التي اضطروا لمغادرتها والناس الذين هجروهم. لم يبرحوا أبدا المكان الذي «هاجروا» إليه، وحتى عندما كانت تضيق بهم مساحة التعبير كانوا يتخيلون وطنا مجردا وأرضا رمزية يلجأون إليها.. لقد وصف الأديب الجزائري نفسه وزملاءه بأنهم «منفيون في اللغة».

ولكن علينا ألا نرثي لهم قليلا، فقد أعطاهم هذا المنفى قدرة فائقة على التعبير وحرية في تناول الأدوات الإبداعية. بل إن البعض منهم قد لعبها ببراعة أيضا، ولعل أصدق مثال على ذلك هو المؤلف اللبناني الأصل أمين معلوف، فهو لم يركز على جوانب القبح والسلبية والأشياء الغرائبية في بلاده، بحيث يقدم الشرق بنفس الصورة التي تعود عليها المستشرقون من كتّاب الغرب ولكنه يقدم شرقا آخر ساحرا مليئا بالفعل والتحقق والعشق ورغبات السمو وانكسارات الهزيمة، إنه يعود إلى تاريخ الشرق المفعم بالحيوية من غرناطة إلى بيسابور ويعيد تجسيد التاريخ، لا كما حدث ولكن كما يجب أن يكون، وهو يتعامل مع نفس الشخصيات القديمة التي لعبت على هامش الحضارات المختلفة، أو بالأحرى نقاط التماس بيننا وبين الحضارة الأوربية، فشخصيات مثل عمر الخيام أو ليون الإفريقي لم تكن مجرد رموز في الحضارة الإسلامية فقط، ولكنها أخذت ثقلا ثقافيا وسط المركزية الأوربية، والبراعة هنا تكمن في إضفاء رؤية فنية جديدة لحركة هذه الشخصيات في الزمان والمكان. (وقد أفردت العربي صفحات طويلة في عددها الماضي بمناسبة فوز هذا الكاتب بجائزة جونكور الفرنسية عام ١٩٩٣).

هل تعلن الرواية موتها ؟

على الرغم من كل هذه الإيجابيات التي تتحدث عن الرواية ودورها وأهميتها.. فإن هناك سؤالا قاسيا يطرح نفسه علينا: هل تموت الرواية؟.

إنها قضية ليست مطروحة في ثقافتنا العربية فحسب، بل هي مطروحة في كل الثقافات بما فيها الثقافة الإنجلوسكسونية التي أنتجت وما زالت تنتج من فن الرواية، أغلب نماذجها وأكثرها انتشارا، فقد شهدت الصحافة الغربية في الأشهر الأخيرة نقاشا قاسيا حول وضع الرواية، أزمتها وموتها كما ذهب البعض.



■ الرواية هي فن الــزمن الصعب، وهي فن مــراوغ قــادر على البقــاء طـــويـــلا

ليست هـذه المرة الأولى التي تقام فيهـا المآتم للروايـه في الغرب بين المرة والأخرى خـاصة في أزمنـة الصراع الاجتماعي العميق والتغيرات السياسية العظيمة، وهذا النقاش الـذي يثور كثيرا لا يدور حول الرواية فقط، وإنما حول كيف يفهم المعـاصرون زمنهم، وفي كل الحالات تتخذ حالة الـرواية شكـلا يجسـد الواقع المعيش، وإن حكمنـا على ما تكتبه الصحافة الغربيـة فإنه لا حالة الرواية ولا حـالة الزمن المعيش في وضع جيد على الإطلاق.

وفي كتـاب صدر أخيرا للكـاتب البريطـاني «دي. جي. تيللور» بعـوان «الرواية وإنجلترا بعـد الحرب العالمية الثانية» حاول محاولـة جادة اكتشاف العلاقة بين المجتمع والرواية، ولقد وجـد الكاتب تراجعا مستمرا في عمق وحيوية الرواية الإنجليزية منذ الحرب العالمية الثانيه، وربط ذلك بالتراجع السريع للمجتمع البريطاني نفسه منذ ذلك الحين.

وفي رأي تيللور أن الرواية فقدت اتصـالها الاجتماعي وحبها لشخوصها وإبداعها الفني ولغتها الحيويـة، وباختصار كل الأدوات التي كانت تشكل قوتها وأصبحت صيقـة الأهداف تهتم بقطاع أحادي وضيق من قطـاعات المجتمع، متشائمة، ولا تؤمن بنفسها، ويؤكـد الكاتب أن الرواية تعاني من حالة احتصار طويلة تمتد من العصر الفيكتوري..

إن هناك شعورا متناميا في الأوساط الأدبيـة أن الرواية الغربية أصبحت بضاعة غير مرغوب فيها، بالمقارنة بالانتشار الذي تحققه كتب السير الذاتية التي دأب كبـار المشهـورين في الحيـاة العــامـة في السيـاســة أو الفن على إصدارها، كذلك فإن هناك عـددا كبيرا من الروائيين الآن يتحولون من فن الكتـابـة إلى محاولـة إيصـال أفكـارهـم بـواسطـة التلفـريـون على صـورة المسلسلات التي أصبحت تستقطب عددا كبيرا من المشاهدين، وتدر عائدا أكبر على المؤلف من كتابة الرواية، وكل هذه الأشيـاء تؤثر على فنية الرواية وطريقة كتابتها.

ولكن الملاحظ أن كل هذه الكتـابات تنعي مـوت الرواية الغـربية، كأن الغرب ما زال هـو محور العالم كما تعود أن يكون، ولكن الـرواية تثبت دائما أنها فن مراوغ وغير قابل للموت بسهولة، فمن أمريكا اللاتينية ينبعث تيار روائي جديد تختلط فيه الأسطورة بالـواقع ويؤسس تقنيات جديدة للسرد الروائي وإبداع الشخصيـات، وهـو الاتجاه الـذي يطلق عليـه «الواقعيـة السحريـة» ويمثله كتاب كبـار أمثال جارسيـا ماركيـز وكوتازار وإيـزابيلا الليندي.

وهـم بهذا يثبتون أن الروايـة هي فن الزمن الصعب، وهي الأقدر على رصد التحـولات الاجتماعية التي تمر بها الأمم. وإذا كـان الأدب الغربي يمر بمـرحلة من التشوش حيث لم تعـد هناك ثوابت علمية أو أخـلاقية موثـوق فيهـا، فإن الــروايــة هي أجــدر الفنـون بـرصــد أدق هــذه التـــشوشــــات.. وكـــذلـــك عندنـا. □

محمد الرميحي

القطار

شعـــر: الـــدكتـــور أحمد محمـــد المعتـــوق

ماذا يكون ! هو القطار تدحرجت عجلاته الزرقاء
مزقت السكون
فكأن عفريتا تلمظ ثم هاج يصارع الليل الحرون
وكما الصخور تحدرت زعقات تيمور تقاذفها
السيول
فتلوت الأرض الحزينة تحت أقدام المغول
وسرى القطار كأن شيئا ما جرى
والسكة العمياء تلهث وهو يعدو
عبر أنفاق الزمان
ماذا يكون !
سنابك الريح الجموح تهز قنطرة الوجود
ورنين أضلاع الجسور تردد الأصداء
تهدر كالرعود
النائمون كما الكراة رءوسهم ظلوا هناك يدندنون
وعيونهم غرثى تفتش في تخوم الليل عن نجم بعيد
وهنا الجريدة في يد كسلى تحملق في العيون
تتثاءب الكلمات فيها
والأسى يمتص في خدر تهاويل الحروف
وكأنها تتمدد الأشباح في ليل الخريف
الثلج يقبع في القرى، ينمو على شرف البيوت !
والغول يبتلع المسافات المديدة، والعويل
وخطاه في عجل تجلجل في الفضاء كما الطبول
وعلى الوجوه نوافذ حيرى تنام بلا جفون
ومضات حلم متعب تنداح في غيب الظنون
وتناثر الضوء الحزين كما الغبار
على وجوه المتعبين
وتناثر الصمت الحزين

***

ماذا يكون وأيّما نجم تكور في غيابات الظنون !
من أين تعلم ما سيجري أو يكون !
ليست على الأبواب إلا تمتمات الراكبين
حدقات أعينهم تلوب كما الطيور
تلوب بحثا عن يقين
سود الحقائب رعشة سكرى ترنحهم
وصوت كالأنين
نزق يمر الصوت
حنجرة تزمجر خلف أبواب القطار
وأصابع تمتد، تقرض مثلما الفئران في جوف الظلام
ـ هات، وأومأت العيون إلى العيون
وهاج طوفان السكون !



كأن قرصانا يهب إلى سفين البائسين
ـ أسفا فشباك التذاكر كان مكتظا
وعجلان أتيت فليس يتركني القطار
كانت قناديل العشية تختفي خلف الستار
والأفق مشدوه العصابة، والدوار !
قد كاد يقتلني الدوار !
ومشيت عبر سلالم الدهليز
ترهقني السلالم إذ تدور بلا جدار !

***

وحدي أنا جئت المحطة، مفردا
وركضت عبر طريقي اللهفان يزكمني الغبار
حلفت بأن تأتي تودعني ولكن المساء!!
قبلاتي العطشى على فمها المدور راح يخطفها القطار
وزنابق الضوء التي هتفت تحييني اختفت
وذوى النهار
ورأيتها طيفا وراء الليل، ما أشجى الحوار !
شبكت يديها : عائد! ألقاك؟!
ـ لا أدري! سيحملني القطار إلى هناك
إلى الديار!!
لا شيء أعلم، لا خطى ليلي ستعرفني
جناح في فضاء الصمت مشدود
على سور المساء!
وتكسر الضوء الدفيء على الجفون
تباعد الطيف الغريب.. سرى القطار !
زمر النجوم تراكضت فزعا
وراء الغيم زائغة القرار □



حول حقوق الإنسان: هل فشل مؤتمر فيينا ؟

بقلم : الدكتور محمد السيد سعيد

منظمة العفو الدولية وصفت مؤتمر الأمم المتحدة العالمي لحقوق الإنسان في فيينا بأنه مؤتمر «الفرص المهدرة»، أما الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان — وهي منظمة دولية غير حكومية تتخذ من باريس مقرا رئيسيا لها — فقد ذهبت أبعد من ذلك، إذ شبهت برنامج العمل الذي صدر عن المؤتمر بـ«الحديقة الفارغة» وشجبت فشل المؤتمر في اتخاذ إجراءات إيجابية، وذات الخط نفسه التي تمت بها صياغة بيان فيينا.

■ عقد المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان بفيينا خلال يومي ١٤ و١٥ حزيران / يونيو ١٩٩٣، وذلك بعد خمسة وعشرين عاما من المؤتمر العالمي الأول لحقوق الإنسان في طهران عام ١٩٦٨، وهذه الفترة الطويلة كانت بالطبع كافية لنضج الوعي العالمي بأهمية حماية حقوق الإنسان وتوفير الآليات والضمانات الدولية المناسبة لحث الدول والحكومات على احترام المواثيق والعهود الدولية لحقوق الإنسان، وكذا، فإن

حضير لهذا المؤتمر والتخطيط لـه كـان ممتـازا بكل معايير، وبـالمقارنـة مثلا بمـؤتمر الأمم المتحـدة العالمي حـول البيئة، حيث قـامت الجهـات المسئولـة في الأمم المتحـده بجهـود مستميتـة في الإعـداد للـوثـائق والاتفـاقـات الأولية والتنسيق مع الهيـاكل الإقليمية الحكومية وغير الحكومية والإشراف على عدد هـائل من الأنشطة السياسية والفكرية والـدعائيـة، ويكفي للتـدليل على امتيـاز الإعـداد الشكلي للمـؤتمر أن جميع مـناطق العالم الكبرى قـد شاركت في التحضير لـه من خلال مـؤتمرات عقـدت تحت إشراف لجان إقليميـة، وضمت المستـويين الحكـومي وغير الحكـومي، بل ويكفي أن هذا المؤتمر الذي يعقد في ظل مؤسسة عالمية حكـوميـة صرفة قـد شمل مشـاركـة واسعـة من قبل منظمات غير حكومية: عالميـة وإقليمية ووطنية من كل أرجاء المعمورة، وهو مـا يحسب للقائمين على الإعداد للمـؤتمر الـذين استبسلـوا دفـاعـا عن هـذا الحق في المشـاركة لجميع المهتمين والمـناضلين من أجل حقـوق الإنسان في العـالم، وباختصـار فإن هذا المؤتمر مثّل أول مناسبة حقيقية تظهر فيها مقـولة كوكبية العـالم بنطاق وفعـاليـة غير مسبـوقين من قبل، وذلك حـول قضيـة كوكبية بالفعل وهي ضمانـات حماية حقـوق الإنسان، ويختلف ذلك كليـة عن الممارسات السيـاسيـة الدوليـة حتى الآن، حيث تعـالج قضـايـا كـوكبيـة بمشـاركـة الحكـومـات فقط، ويحسم نتـائجهـا عـدد محدود من الدول الكبرى.

وهذا الاستنتاج بأن مؤتمر فيينا هو مناسبة «للفرص المهدرة» تبرره بوضوح مضاهاة «إعلان فيينا» وبرنامج العمل المتضمن فيـه مع المطـالب والتـوصيـات التي برزت من أكثـريـة البيـانـات التي صـدرت عن لجان العمل الإقليميـة في سياق عملهـا التحضيري للمؤتمر، وتلك التي خرجت بها أكثـرية ساحقة من الـدراسات والتقارير العلمية والفنية التي عكف على إعدادها عدد هائل من المختصين والمهتمين بشئـون حقوق الإنسان، وكذا تلك التـوصيات التي روجت لها منظمات عـالمية غير حكـوميـة عمـلاقـة مثل منظمـة العفـو الـدوليـة والفيدراليـة الدولية لحقـوق الإنسان واللجنة الـدولية للحقوقيين.

إن تحليل الانطباع السـائد بفشل مؤتمر فيينا هـو أمر مهم من زاويتين على الأقل، فمـن زاويـة النضـال من أجل ضمان احترام حقـوق الإنسان والمواثيـق الدوليـة الأساسية التي قننت هـذه الحقوق يهمنا أن نعرف السر في انطباع أغلبية المشتغلين بحقوق الإنسان بفشل مؤتمر فيينا، حيث يـرى هؤلاء أن مؤتمر فيينا قـد يكون نكسة لعملية تراكميـة وكفاحية طويلـة المدى تستهدف إقرار وتقنين الحقـوق الأسـاسيــة للشخص الإنسـاني، وللجماعات والشعوب من ناحيـة ووضع آليات دولية لضمان احترام هـذه الحقـوق ومعـاقبـة القـائمين على انتهاكها من ناحية أخرى.

الفشل والنجاح في فيينا

والواقع أن الانطباع السائد بفشل مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان ليس هـو الانطباع الـوحيد، فمن وجهـة نظر الحكومات ربما لا يكـون المؤتمر قد فشل على الإطلاق، بل ومن وجهـة نظـر بعـض المتخصصين وقليل من المنظمات الدوليـة وبعض مراكز البحوث قـد لا يكون مـؤتمر فيينـا فشل فشلا كـاملا، فهنـاك بعض مجالات وجوانب النجاح وبعض مجالات وجوانب الفشل.

القائلون بـالفشل يستندون إلى حجة مركزيـة قوية، يمكن صياغتها كما يلي: إن جوهر جدول الأعمال الذي قـامت عليه فكـرة عقـد مـؤتمر الأمم المتحدة في فيينـا يـرتكـز على مسألـة آليـات الحمايـة الـدوليـة لحقـوق الإنسان، وذلك في نطاق الأمم المتحدة وخارجها.

فقد توسع التشريع العالمي لحقوق الإنسان على نحو مـرض إلى حد كبير، بحيث صـار هـذا التشريع يغطي المجالات الأساسية والمهمة للحقوق بأبعادها وأجيالها المختلفـة، أي الحقـوق والحريات المدنيـة والسيـاسيـة الشخصية «الفردية» والجماعيـة «مثل حق تقرير المصير وحق التنمية» وحقـوق الفئات المضطهدة أو المظلـومة تاريخيا بحكم عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية مختلفة مثل الشعـوب الأصليــة، والمرأة والطفل والمسنين.. وغير ذلك.. ولكن يبقى أمـام المجتمع الـدولي البـارغ المسألـة الحاسمة في أي تشريع، وهي تطبيقـه على نحو منسجم وأمين وبروح النزاهة والحياد المطلوبين لضمان العدالة، وبحيث يكون القانـون ـ ولا تكون السياسة ـ هو العامل الحاسم في التطبيق.

وتكتسب هـذه المسألـة أهميـة مضـاعفـة بسبب أنها تتضمن مشكلـة مزدوجـة، فهي تدخل ضمن الإطـار العام لمشكلة تطبيق القانون الدولي وضمانات الانصياع العام لـه من جـانب الحكـومـات والمؤسسات الـوطنية

التي تحتج قولا وتلتزم عملا بمبدأ السيادة، فالسر الأعمق وراء الفشل المتوالي للتشريع الدولي حتى الآن، والسر المكشوف وراء النكسات المتوالية لفكرة إنشاء نظام دولي حقيقي وفعال هو الافتقار إلى آليات مناسبة لتطبيق القانون الدولي بالمقارنة بالقانون الوطني أو المحلي الذي تتوفر على تطبيقه آليات قضائية وإكراهية، ويصدق ذلك أيضا على التشريع الدولي لحقوق الإنسان، حيث يفتقر حتى الآن إلى آليات للتنفيذ



وضمانات لمعاقبة انتهاك نصوصه والتزاماته، ومن ناحية أخرى، هناك مشكلة خاصة بتطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان لأن القائم على انتهاك هذا القانون هو الدولة، أو بالأحرى النظام السياسي الوطني في أكثرية دول العالم، وهذا النظام ينظر إلى القانون الدولي لحقوق الإنسان نظرة عدائية في الحقيقة، لأن هذا القانون يقيد سلوكه في مجالات وعلى مستويات تتعلق بما يراه هذا النظام ضرورة للاستقرار السياسي، وبعض النظم السياسية، وربما أكثرها، قد لا يستمر في تولي السلطة العامة في بلاده إذا توقف عن انتهاك الحريات والحقوق المدنية والسياسية الأساسية، وكأن القانون الدولي لحقوق الإنسان يسأل النظم بانتهاكه أن يقوم على تطبيقه بروح من النزاهة والاستقامة، مما قد يؤدي إلى خسارته لميزته الأساسية وهي بقاؤه في الحكم!.

آليات عالمية محايدة

ولهذا السبب فإن ضمانات وآليات احترام حقوق الإنسان والتشريع الدولي الكاشف عن هذه الحقوق يجب أن تكون عالمية بطبيعتها، وألا تخضع للعوامل السياسية حتى لا تتلاعب بها أهواء الحكام والحكومات، مهما كانت قوتها أو سطوتها، ومن هنا تحدد جدول أعمال مؤتمر فيينا بتلك المطالب الأساسية التي صاغتها الحركة العالمية لحقوق الإنسان والتي تتركز على التنفيذ والتطبيق من خلال أو بواسطة آليات محايدة سياسيا.

ومن أبرز هذه المطالب ما يلي:

١ ـ إنشاء محكمة جنائية دولية لحقوق الإنسان تكون مفتوحة لأهلية الأفراد والمنظمات في تحريك الدعوى الجنائية ضد القائمين على انتهاك حقوق الإنسان والقانون الدولي للإنسان، وتكون قادرة على إصدار أحكام قابلة للتنفيذ بخصوص جرائم مثل الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية والانتهاكات المستمرة والجسيمة ضد حقوق الإنسان، وتكون هذه المحكمة دائمة وتتمتع بشتى الضمانات القضائية ضد عسف أي حكومة أو سلطة تنفيذية فردية أو جماعية.

٢ ـ إنشاء منصب المفوض السامي لحقوق الإنسان في إطار الأمم المتحدة يتمتع بالاستقلال عن الإرادات الحكومية بما في ذلك إرادة مجلس الأمن، ويكون من صلاحيته التحقيق مع المخالفين والقائمين على انتهاك الحقوق، إلى جانب الرصد والمتابعة ووضع التقارير.

٣ ـ إنشاء منصب المقرر الخاص عن العنف ضد المرأة في إطار منظومة الأمم المتحدة كتعبير مؤسسي عن المطلب العام والخاص بدمج حقوق المرأة في القانون الدولي لحقوق الإنسان، وكذا إنشاء منصب المقرر الخاص للحقوق الإنسانية للمرأة عموما.

٤ ـ اتخاذ منظور شمولي للحق في التنمية بما في ذلك ضمان أن تأتي شتى البرامج الاقتصادية ـ بما في ذلك برامج التكيف الهيكلي التي يضعها صندوق النقد

١ ..ولي ـ متماشية مع حقوق الإنسان الاقتصادية و لاجتماعية.

٥ ـ إنشاء مجموعة عمل خاصة في إطار لجنة حقوق الإنسان العامة لحماية حقوق الأقليات «الدينية والعرقية والثقافية.. وغير ذلك»..

٦ ـ الاعتراف بالحق الشامل للشعوب الأصلية كحق جماعي بما في ذلك حقها في تقرير المصير والتنمية.

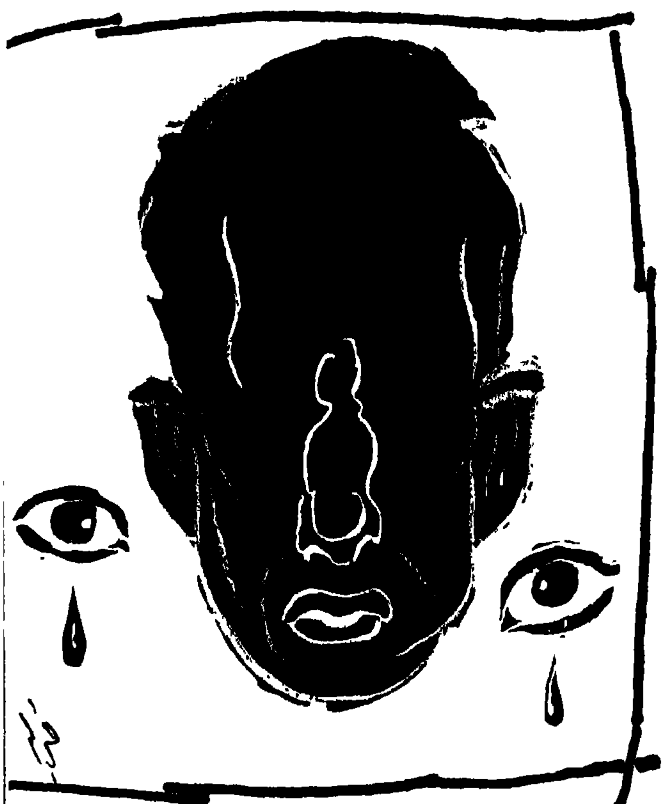
٧ ـ مجموعة مطالب تتصل بتكثيف الطبيعة الإلزامية للمواثيق الدولية الأساسية لحقوق الإنسان واستصدار ما هو ضروري من تشريعات لضمان هذا الإلزام، وخاصة القبول به والتصديق على البروتوكول الاختياري الملحق بالعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وميثاق المرأة، والبروتوكول الاختياري الملحق بميثاق مناهضة التعذيب، وهو بروتوكول يشمل نظاما عالميا للتفتيش المبكر والدوري على السجون وأماكن الحجر.

هذه المطالب الجوهرية تمتعت بإجماع عالمي ـ على المسوى غير الحكومي ـ لأنها تمثل مفاتيح مهمة لضمان تماشي سلوك الدول مع المواثيق والعهود والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان وتقطع مشوارا كبيرا على طريق ضمانات التنفيذ وآليات الحماية.

جوانب مضيئة

ومع ذلك فمن وجهة النظر الأخرى لم يكن المؤتمر فشلا كاملا، بل لقد سجل بعض النجاحات المهمة التي ينبغي الإشارة إليها حتى نصل إلى رؤية متوازنة لأعمال ونتائج هذا المؤتمر الذي مثل حدثا عالميا ضخما، ومن أهم جوانب النجاح ما يلي:

١ ـ المشاركة المدهشة من جانب المنظمات غير الحكومية، فكما سبق أن ألمحنا يعد هذا المؤتمر هو أول حدث عالمي يعبر حقيقة عن فكرة المواطنة العالمية، فلم تعد الحكومات هي الفاعل الوحيد على الساحة الدولية، بل وصارت إرادات هيئات ومنظمات غير حكومية أكثر أهمية في تخليق ثقافة عالمية إنسانية، وبالتالي يجب عدم النظر في أعمال الشق الحكومي من المؤتمر وحده، بل يجب أن نهتم بالشق غير الحكومي بما هو جدير به من الاهتمام، فقد شارك نحو ثلاثة آلاف مندوب وممثل لنحو ١٥٠٠ منظمة غير حكومية لحقوق الإنسان من جميع مناطق العالم منها ٢٠٢ منظمة من إفريقيا، ١٧٨ منظمة من أمريكا الشمالية و٢٣٦ منظمة من أمريكا اللاتينية، و٢٧٩ منظمة من آسيا، و٤٢٦ منظمة من غرب أوربا، و١٧٩ منظمة من شرق ووسط أوربا. وتعد مشاركة النساء أيضا أحد أهم أوجه نجاحات هذا المؤتمر، وخاصة في شقه غير الحكومي، إذ جاءت مشاركة المرأة مساوية تقريبا لمشاركة الرجل، بل ولاحظ المراقبون والمهتمون أن المنظمات النسائية غير الحكومية كانت هي الأكثر فعالية بكثير، واستقطبت الاهتمام والاحترام معا باعتبارها



محرك أكثر النشاطات في المجال غير الحكومي، وقام هذا الجمع الهائل من الممثلين والمنظمات غير الحكومية بكم مذهل من الأنشطة الإعلامية والدراسية والتفاوضية بالتفاعل معا، وعبر هذا التفاعل عن عملية بطيئة ولكنها لا تفتقر لقوة دفع معقولة عن مجتمع عالمي حقا، لا مجرد ضمير إنساني مجرد.

٢ ـ إن الشق الحكومي من المؤتمر لم يتجاهل كلية كل المطالب الكبرى والخاصة بالتشريع الدولي لحقوق الإنسان وآليات تطبيقه، إذ تبنى البيان الختامي من المؤتمر وثائق مهمة مثل البروتوكول الاختياري للعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والمعاهدة الخاصة بالمرأة وحث على القبول المبكر، بالمعاهدة

الخاصة بمناهضة التعذيب وإنشاء منتدى دائم للشعوب الأصلية، كما حقق المؤتمر مكسبا مهما لحقوق المرأة بأن أقر ضرورة إدماج هذه الحقوق في التيار الأساسي للتشريع الدولي لحقوق الإنسان، وأشار البيان إشارات متفرقة لبعض المطالب العملية الأخرى والخاصة بآليات التنفيذ والتطبيق.

وكذلك قبل المؤتمر بفكرة الحق في التنمية واعتبار هذا الحق «حقا عالميا غير قابل للتصرف وجزءا عضويا من الحقوق الأساسية للإنسان» بما في ذلك الدعوة لعلاقات اقتصادية عالمية أكثر عدالة، واهتم المؤتمر - بشقه الحكومي كذلك - بإدانة ممارسات التطهير العرقي والعنصرية، وأصدر بيانا مستقلا عن البوسنة



والهرسك بناء على طلب الدول الإسلامية، كما أعطى المؤتمر اهتماما وافرا بحق الطفل والأشخاص المعاقين والتشريع لحقوقهم.

العملية السياسية ومستقبل الرسالة

حان آخر للتقدير المتوازن لمؤتمر فيينا يتعلق بالنواحي السياسية الدولية، وهنا ينبغي أن نتعرض قبل كل شيء للسؤال الذي طرحناه في البداية. إذا كانت الحكومات الغربية الكبرى قد صارت تحتكر القوة والنفوذ في النظام الدولي فلماذا فشلت في إقناع أو الضغط على عدد من حكومات العالم الثالث للموافقة على صيانات حقوق الإنسان؟ الواقع أن مفتاح الإجابة عن هذا السؤال هو شرح الخطأ الكامن في السؤال نفسه، أو بالأحرى في الانطباع السائد لدى الصحافة الشعبية في بلادنا العربية وفي العديد من دول العالم الثالث الأخرى بخصوص طبيعة حركة حقوق الإنسان والمصادر السياسية للتشريع الدولي لحقوق الإنسان.

فمن الخطأ البالغ القول بأن الحكومات الغربية هي المصدر السياسي لهذا التشريع وللتجديدات المطلوبة في مجال التنفيذ، ولا أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة ذاتها لم تصدق على العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ولا العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية وهما قلب ما يسمى بالشرعية الدولية لحقوق الإنسان، فالمصدر السياسي الحقيقي للتشريع الدولي هو في واقع الأمر حركة عالمية تستهدف أن تكون غير سياسية أو على الأقل محايدة سياسيا، هذه الحركة تدعمها حكومات مختلفة من العالم الغربي ومن العالم الثالث، والآن من حكومات العالم الشرقي «أي أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي المنحل»، وهذا الدعم متفاوت في طبيعته ومشروعيته ودرجة الحماسة فيه، والمهم هو أن هذه الحركة تطورت بفعل تطور المجتمعات المدنية في أرجاء متفرقة من العالم، وتدعمت بفعل الازدهار غير المسبوق للمنظمات الكفاحية على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية لحقوق الإنسان أساسا في المجال غير الحكومي.

فالواقع هو أن السجال الرئيسي لم يتم بين الحكومات بعضها البعض، وإنما بين الشق الحكومي من المؤتمر في مجمله والشق غير الحكومي من المؤتمر في مجمله أيضا، ولذلك فإن المنظمات غير الحكومية اختلفت وقاومت أطروحات معينة لبعض الحكومات الغربية، واختلفت وقاومت أطروحات أخرى لبعض حكومات العالم الثالث وخاصة الآسيوية، فمثلا حاولت الولايات المتحدة أن تصوغ فكرة إنشاء منصب المفوض السامي لحقوق الإنسان بحيث يخضع لمجلس الأمن، وقاومت المنظمات غير الحكومية تلك

.ـياغة وأصرت على فكرة أن يكون هذا المفوض .يدا سياسيا، أي مستقلا عن مجلس الأمن، ورفضت الولايات المتحدة وحكومات غربية أخرى المطلب العالمي الخاص بإقرار الحق في التنمية كحق أساسي للإنسان، وهناك قائمة طويلة من المطالب التي واجهت فيها الحركة العالمية لحقوق الإنسان وخاصة في شقها غير الحكومي حكومات غربية مختلفة، وخاصة الإدارة الأمريكية، ويصدق الأمر نفسه بالنسبة للمواجهات بين هذه الحركة من ناحية وحكومات من العالم الثالث من ناحية أخرى.

ويجدر بنا التأكيد أيضا على أن حكومات كثيرة من العالم الثالث وخاصة في أمريكا اللاتينية وإفريقيا حسوب الصحراء ذهبت إلى مدى بعيد ــ أثناء مداولات المؤتمر ــ في تدعيم مطالب الحركة العالمية لحقوق الإنسان، وأن المواجهة التي شهدها الشق الحكومي من مؤتمر فيينا لم تكن بين الشمال والجنوب بقدر ما كانت بين جهات سياسية من الطرفين، ويجدر بنا التأكيد أيضا على أن الصراع لم يكن هو شكل التفاعل الوحيد، ذلك أن جبهتي التفاعل كانتا أيضا متوافقتين حول موقف سلبي من مطالب مهمة لحركة حقوق الإنسان، وجاء البيان الختامي تعبيرا عن صفقة شملت الاستبعاد المتبادل لمطالب من الشمال والجنوب.

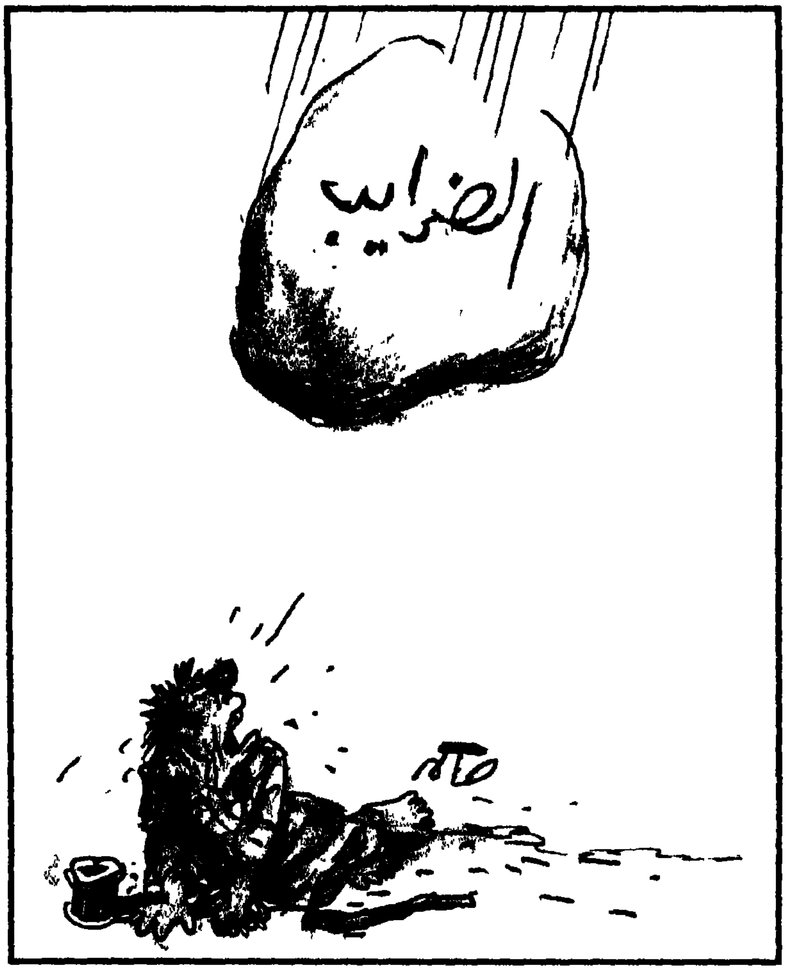
الثقافة الخصوصية

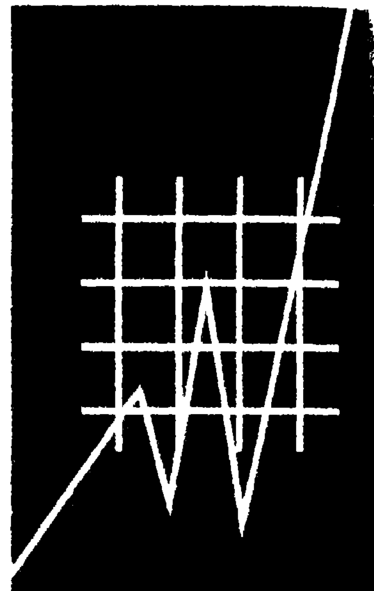
ومع ذلك كله فإننا لا نستطيع أن نهمل أهمية الصراع بين جبهة معينة تكونت من دول في العالم الثالث وخاصة من آسيا والوطن العربي من ناحية، وجبهة الدول الديمقراطية وخاصة في شمال العالم وأمريكا اللاتينية من ناحية أخرى، الجبهة الأولى بقيادة الصين طرحت مفهوم الخصوصية الثقافية والحقوق الجماعية وخاصة حق التنمية أساسا لمقاومة عالمية حقوق الإنسان والإلزام التشريعي والقضائي للمواثيق والعهود، أما الجبهة الأخرى بقيادة أوربا العربية فكانت تطرح عالمية حقوق الإنسان ولكنها صاغت هذه العالمية على نحو غير مجرد سياسيا، وذلك بربط آليات التنفيذ بالهيئات السياسية التي تسيطر عليها الدول الغربية، وخاصة مجلس الأمن.

ويمكننا تصوير هذا الصراع في النقاط التالية:
أولا : الحكومات الديمقراطية العربية طرحت تصورا يقوم على أن الإقرار بحقوق الإنسان هو جزء لا يتجزأ من دعوة النظام العالمي الجديد، ولكن صاغاتها النظرية والعملية لآليات هذا النظام تفتح الباب واسعا أمام احتكار السلطة في النظام الدولي وانتقائية أو ازدواجية المعايير على أساس سياسي مصلحي، وهو ما لا يتفق مع جوهر حقوق الإنسان.
ثانيا : في مواجهة الطرح الغربي أصرت جبهة معينة من دول العالم الثالث بقيادة الصين على عدم تمرير أي آليات تنفيذية قوية لضمان إلزامية حقوق الإنسان، كجزء من رفضها لأطروحة النظام العالمي الجديد أصلا.

وفي الوقت الذي تذعن فيه حكومات تسلطية كثيرة في العالم الثالث لضغوط الدول الغربية الكبرى من مجلس الأمن وخارجه ــ في إطار العلاقات الثنائية ــ فيما يتصل بقضايا أخرى، فإنها قاومت بضراوة أي تجديدات تنفيذية ومؤسسية في مجال حقوق الإنسان، وهو المجال الأكثر تماسا باستقرارها السياسي: أي بإمكان التغيير السلمي والمنهجي لسلطة الحكم، واستطاعت فعلا جبهة المعارضة هذه أن تجهض المطالب التجديدية والمهمة المتعلقة بإلزامية التشريع الدولي لحقوق الإنسان في مؤتمر فيينا، والسبب في ذلك يعود قبل كل شيء إلى أن الدول الغربية الكبرى لم تجد في ذلك ضررا شديدا بمصالحها، إذ إنها قد تجد في المطالب الخاصة بإلزامية حقوق الإنسان قيدا على سياستها الخارجية لأن هذه المطالب تتعلق بأسبقية القانون على السياسة وبالحياد السياسي لآليات تنفيذ حقوق الإنسان، وهذا يحرم الدول الغربية من مجال واسع لحرية التصرف ويقيد ممارستها للكيل بمكيالين والتعامل على أساس انتقائي في مجال الإلزام.

وهذا يعني في الجوهر أن مستقبل التشريع والإلزام الدوليين لحقوق الإنسان قد خرج تاريخيا من أيدي الحكومات ـ شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ـ وصار رهنا بنضال عالمي غير حكومي، أي أن التقدم في مجال الإلزام بالتشريع الدولي لحقوق الإنسان قد صار أمانة في عنق الناس كافة: المنظمات غير الحكومية والمجتمعات المدنية والفعاليات الثقافية وذات النفوذ المعنوي والأخلاقي.. في أعناقنا جميعا. □





خارج السيطرة

بقلم: عـــامـــر ذيـــاب التميمي

هل أصبح الاقتصاد العالمي خارج سيطرة السياسيين؟ قد يكون هذا السؤال من أكثر الأسئلة محورية خلال السنوات القليلة المتبقية من هذا العقد أو هذا القرن، لم يعد بالإمكان التحكم بمعدلات النمو أو مستويات التضخم أو مستويات البطالة، وقد يكون للتطورات التكنولوجية المتسارعة دور رئيسي في الوضعية الحالية التي يتميز بها الاقتصاد الدولي.

■ إن الافتراضات الكمية والنوعية قد لا تأخذ بعين الاعتبار إمكانات التحسن في الأداء الناتج من التحديث التكنولوجي، ولذلك فإن علم الاقتصاد قد يتطلب مراجعة شاملة بحيث يواكب ما حدث خلال هذا القرن من تحولات، وخصوصا في العقود الأخيرة. فلم يعد بالإمكان استخدام أدوات القياس التي طورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أو العقود الأولى من القرن العشرين.

من أهم العناصر التي تأثرت، من حيث القدرة في العملية الاقتصادية، دور الدولة في تحديد المسار الاقتصادي. كما هو معلوم فإن الإدارات السياسية في الدول الرأسمالية تتدخل بقوة عندما ترى أن هناك انكماشا أو ركودا يمكن أن يتحول إلى كساد مزمن، وتستخدم هذه الإدارات ما يطلق عليه بالأدوات المالية مثل: زيادة الإنفاق أو تقليص الضرائب بمختلف أنواعها وإجراء تعديلات تشريعية على القوانين لتحفيز نشاط أصحاب رءوس الأموال. وقد اتبعت هذه



الوسائل في اليابان خلال السنوات الأخيرة ورصدت عشرات البلايين من الدولارات لتنشيط القطاعات الاقتصادية المختلفة، ودفع المستهلكين لزيادة إنفاقهم الشخصي والعائلي، لكن النتائج ـ حتى الآن على الأقل ـ لم تبين مردودا مناسبا يوازي التكاليف المالية الحكومية

ولم تخل إدارتا الرئيسين ريغان وبوش في الولايات المتحدة خلال اثني عشر عاما من حكمهما باستخدام الأدوات المالية، خصوصا أداة تخفيض الضرائب، لإنجاز التحفيز المنشود، إلا أن النتائج كانت متواضعة في أغلب الأحوال

مطلوب فكر اقتصادي حي

ويبدو أن الأزمة الاقتصادية التي تواجه العالم اليوم بعد نهاية الحرب الباردة، قد تتطلب فكرا اقتصاديا حيا يمكن أصحاب القرار ورجال الأعمال من الوصول إلى نماذج اقتصادية قادرة على الحيوية والنشاط، وقد مر النظام الرأسمالي العالمي في فترة الثلاثينيات من هذا القرن بأزمة حادة تم تجاوزها بفضل العديد من العوامل وجاءت ظروف الحرب العالمية الثانية لخدمتها. بيد أنه يجب عدم إغفال دور الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز الذي تجاوز النظرية الرأسمالية الكلاسيكية وحدد أساليب جديدة للمعالجة وأهمها استخدام أدوات الإنفاق الحكومي العام. في ذلك الحين كان الكساد ـ ومن نتائجه البطالة السافرة ـ من أهم الأسباب التي دعت إلى التفكير مليا في الأوضاع الاقتصادية، وتجاوز أدوات المعالجة التقليدية، لذلك فقد استخدمت الأموال العامة في إقامة مشاريع تهدف أساسا لخلق فرص عمل وتوسيع دائرة الإنفاق، وبذلك تمكنت الحكومات في الدول الرأسمالية الكبرى من تجاوز أزمة كان يمكن أن تعصف بالنظام، خصوصا، أن الحركة الاشتراكية في ذلك الحين كانت قوية ومؤثرة في الأوساط الثقافية وفي تجمعات العمال والكسبة.

بيد أن الظروف الراهنة تختلف كثيرا عما كان سائدا في ثلاثينيات هذا القرن، ففي الكثير من الدول الصناعية تواجه الحكومات عجوزات مزمنة في الموازنات وتضطر للاقتراض من الأسواق المالية لتمويل التزاماتها المتعددة، ولذلك يصبح التوسع في الإنفاق العام كابوسا ثقيلا على الحكومات، بل إن هذه الحكومات تعمل في الوقت الراهن على تخصيص العديد من المرافق التي كانت، حتى في ظل الرأسمالية، ملكية عامة للدولة ومنها مرافق الطرق والخدمات الكهربائية والمواصلات والاتصالات وبعض مرافق العلاج والتعليم، وإذا كان العديد من المرافق المذكورة مملوكا من القطاع الخاص في الولايات المتحدة، فالحال ليس كذلك في الدول الأوربية.

و ضاف إلى تلك المرافق ومسألة تخصيصها أن هناك بوامل سوف تدفع نحو المزيد من تقليص الإنفاق العام، على سبيل المثال فإن نهاية الحرب الباردة قد بدأت في حبير الحكومات على وضع حد للإنفاق الكبير على لتسلح والمؤسسات العسكرية، وتقليل أعداد العساكر، وإغلاق القواعد العسكرية المحلية والخارجية.. ولا ريب في أن هذا التوجه سينجم عنه انخفاض في الطلب على الأعتدة والمعدات والأسلحة من قبل المؤسسات العسكرية في هذه الدول ويدفع الجهات المنتجة إلى إعادة النظر في خططها وبرامجها وأعداد العاملين فيها، وبذلك يدفع بعض هؤلاء العاملين إلى جيوش العاطلين. ولن يكون أمام هذه المنشآت العاملة في الصناعات العسكرية، إلا تنويع قواعدها وخطوطها الإنتاجية كي تتمكن من الاستمرار، والحفاظ على قدرتها في تحقيق الأرباح المناسبة لمساهميها

من جانب آخر كانت السياسة النقدية في الدول الرأسمالية من الأدوات الحيوية للتعامل مع الأوضاع الاقتصادية المتغيرة. ففي الوقت الذي يحدث فيه انكماش وركود تقوم البنوك المركزية بتخفيض أسعار الخصم ومن ثم أسعار الفائدة للأجلين القصير والطويل من أجل تحفيز رجال الأعمال على الاستثمار وتمويل مشاريعهم عن طريق الاقتراض بأسعار معقولة.

كما أن السلطات النقدية تعمل على تقليص الأموال في قنوات الاقتصاد عندما تبرز ظاهرة التضخم، ولقد حاولت مختلف الدول الصناعية استخدام الأداة النقدية المذكورة لتحفيز النشاط الاقتصادي، خلال السنوات الماضية، بيد أن ما حدث هو الأموال ـي إافرت مستثمر وظفت قتناء سهم شركات أو لسندات لمدرجة في الأسواق لمالية، مما يعني اقتناء أصول موجودة ولذلك



لم يحدث ذلك التوسع المنشود في القطاعات الإنتاجية والخدمية، والذي ينتج عنه خلق فرص عمل، ويخفف من ضغوط البطالة وما ينتج عنها من تكاليف على الخزينة العامة في هذه البلدان، أو ما يترتب عليها من معضلات سياسية للإدارات الحاكمة.

المأزق المهم في السياسة النقدية هو تحقيق التوازن المعقول بين التضخم والبطالة، حيث إن تخفيض سعر الخصم ومن ثم سعر الفائدة قد يؤدي إلى التصخم، لكن رفع السعر ربما ينتج عنه بطالة، ولقد برزت ظاهرة جديدة خلال السنوات المنصرمة وهي أنه بالرغم من انخفاض سعر الخصم إلى مستويات قياسية في الولايات المتحدة، إلا أن معدلات التضخم لم ترتفع كثيرا، فمثلا كانت الفائدة لفترة ثلاثة شهور على الأموال المقترضة بالدولار الأمريكي في حدود ٣ر٢ في المائة في نهاية الربع الثالث من العام الماضي في حين كان معدل التضخم ٢ر٣ في المائة أيضا في العام المذكور، مما يعني أن التكلفة الحقيقية للأموال قصيرة الأجل تعادل صفرا، وهذا الأمر يؤكد أن التكاليف المنخفضة للأموال لم تحفز المستهلكين والمنتجين على زيادة الإنفاق والاستثمار ومن ثم لم يحدث تضخم في أسعار السلع والخدمات بمختلف أنواعها، بشكل يؤدي إلى فزع سياسي. لكن معدلات البطالة ظلت تحوم بين ٥ر٦ إلى ٧ في المائة، وهي نسبة لا تثير القلق، إلا أنها جديرة بالاهتمام خصوصا في ضوء عمليات إعادة الهيكلة الجارية في العديد من المنشآت الصناعية الكبرى، وفي ظل التكاليف الاقتصادية لبرامج التعويضات الخاصة بالعاطلين.

الوظائف أم الأجور؟

ولقد برزت في السنوات الأخيرة ظاهرة تستحق التوقف، وهي أن النقابات العمالية النشطة في مختلف القطاعات أخذت تركز في مفاوضاتها على حماية العاملين

من الفصل بدلا من المطالبة بزيادة الأجور. ولقد أدت ظروف الركود إلى تراجع المطالبات وأصبحت مسألة الحفاظ على الوظائف أهم من كل زيادة في الأجر. من جانب آخر، حدث تحول في مقاييس البطالة المناسبة، فقبل سنوات كان معدل الخمسة في المائة من العمالة كنسبة للبطالة هو المقبول أما اليوم فإن الدول الأوربية تتحدث عن معدل العشرة في المائة.

هناك أيضا حديث في بعض الدول الأوربية لمواجهة أزمة البطالة من خلال تقصير أسبوع العمل من خمسة إلى أربعة أيام وتخفيض الرواتب والأجور، بحيث يصبح هناك إمكان لاستيعاب عدد أكبر من العاملين وضمن تكاليف محتملة من قبل الشركات والمنشآت.

وتشير هذه التطورات الاقتصادية الناجمة عن الركود إلى إمكان حدوث تحولات وتبدلات في القيم المجتمعية، وتغيرات في الأعراف الاجتماعية السائدة.. لقد كان من نتاج التحولات الصناعية في أوربا وبقية الدول الصناعية منذ بداية هذا القرن أن أصبح نمط العائلة هو العائلة النووية الصغيرة، التي ينحو فيها الأبوان إلى إنجاب عدد محدود من الأطفال الذين لا يتجاوزون الثلاثة. لكن السنوات الأخيرة أضافت ظواهر اجتماعية جديدة مثل تأخر سن الزواج لدى المرأة، بعد انخراط الكثير من الإناث في سوق العمل، وكذلك تأخير الإنجاب بعد الزواج، لذلك فإن معدلات الإنجاب انخفضت كثيرا، وأصبح معدل النمو الطبيعي في العديد من البلدان الصناعية لا يتجاوز الصفر. بيد أن التطورات الأخيرة قد تضيف ظواهر اجتماعية أخرى ومنها العزوف التام عن الزواج أو التوقف عن الإنجاب لكي لا يتحمل الأبوان التكاليف المتوقعة لرعاية الأطفال وتربيتهم.

يضاف إلى ما سبق ذكره أن موارد التأمينات الاجتماعية أصبحت تعاني من الانخفاض نتيجة لزيادة أعداد السكان الذين تجاوزوا سن التقاعد، في ذات الوقت فإن أعداد العاملين الذين يؤدون أقساط التأمين تتناقص بفعل التغيرات الاقتصادية والديمغرافية. ولاشك أن هذه المسألة ستكون من القضايا الشائكة التي ستواجهها الولايات المتحدة على وجه الخصوص، وعدد آخر من الدول الصناعية التي تعاني من عوامل مشابهة. فهل ستضطر الحكومات إلى زيادة الضرائب لتوفير الأموال اللازمة والكافية لتغطية معاشات التقاعد وتوفير مخصصات للتأمينات الاجتماعية ورعاية المسنين صحيا؟ يبدو أن هذا الاحتمال هو أكثر الاختيارات واقعية أمام حقائق الماليات العامة في تلك الدول الصناعية، وإذا كان واقع الدول الصناعية المتقدمة يدل على صعوبات اقتصادية واضحة فماذا هو الحال في العالم النامي؟ لا بد من التأكيد على حقيقة وهي أن العالم بأشمله أصبح يمثل وحدة اقتصادية متكاملة، هناك أطراف تتمتع بظروف أفضل من الأطراف الأخرى، وهناك بلدان تتوافر لديها إدارات اقتصادية جيدة، في حين تعاني بلدان أخرى من سوء الإدارة. إلا أنه من المؤكد أن بلدان العالم الثالث أو الدول النامية تعاني من صعوبات اقتصادية شديدة الوطأة قياسا بما تعانيه الدول الصناعية.

الاقتصاد وافتقاد الديمقراطية

لا تقتصر معاناة الدول النامية على البطالة، أو انخفاض معدلات الاستثمار في المشاريع الجديدة، لكن هناك مشكلات هيكلية لا يمكن تجاوزها خلال العقود القادمة دون إصلاحات رئيسية وقد تكون مؤلمة. ومن أهم المعضلات التي تواجه معظم الدول النامية عدم توافر المناخات الديمقراطية التي توفر الإشراف على



الأداء الاقتصادي بصورة فاعلة.. قد تكون بعض الدول الآسيوية وعدد من دول أمريكا اللاتينية قد قطعت أشواطا جيدة في تعديل التركيبات السياسية لتتلاءم مع الإصلاحات الاقتصادية المنشودة ومن ثم توفير الرقابة السياسية الضرورية، بيد أن الكثير من بقية دول العالم الثالث لا تزال تعاني من ديكتاتوريات غاشمة، وإدارات فاسدة.

هناك أيضا معضلة النمو السكاني الرهيب في هذه الدول التي لا تسمح بتحسين ظروف المعيشة فيها حيث لا يتواكب النمو الاقتصادي مع الزيادة السكانية المطردة. وإذا كانت عوامل نمو البطالة في الدول الصناعية ناجمة من التطور التكنولوجي وتبدل أساليب الإنتاج بما يخفف الحاجة للعمالة البشرية، فإن عوامل النمو السكاني في الدول النامية تساهم في زيادة طوابير الراغبين في الحصول على العمل دون أن تتمتع فرص حديدة أمامهم لقصور قدرات برامج التنمية.

لقد جاءت ظروف الدول النامية في السنوات الأخيرة لتعقد عملية التنمية بشكل يثير اليأس أحيانا.. فلقد تدهورت أسعار المواد الأولية التي اعتمدت عليها لسنوات طويلة من أجل توفير موارد مالية لمواجهة التزامات تلك البلدان، كذلك فإن توسع الإدارات الاقتصادية في البلدان المذكورة في الاقتراض من الأسواق المالية الخارجية أدى إلى تراكم ديون كبيرة لا تستطيع مواجهتها دون إهمال متطلبات التنمية، لذلك تعجز البلدان الإفريقية وعدد من الدول الآسيوية وأخرى من أمريكا اللاتينية عن تحقيق تطورات في برامج التنمية بسبب تلك العوامل.. ولهذا تضطر هذه الدول إلى الاستعانة بمؤسسات التمويل الدولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير من أجل مساعدتها على إصلاح أوضاعها المالية والاقتصادية وتمكينها من مواجهة معضلاتها المزمنة.

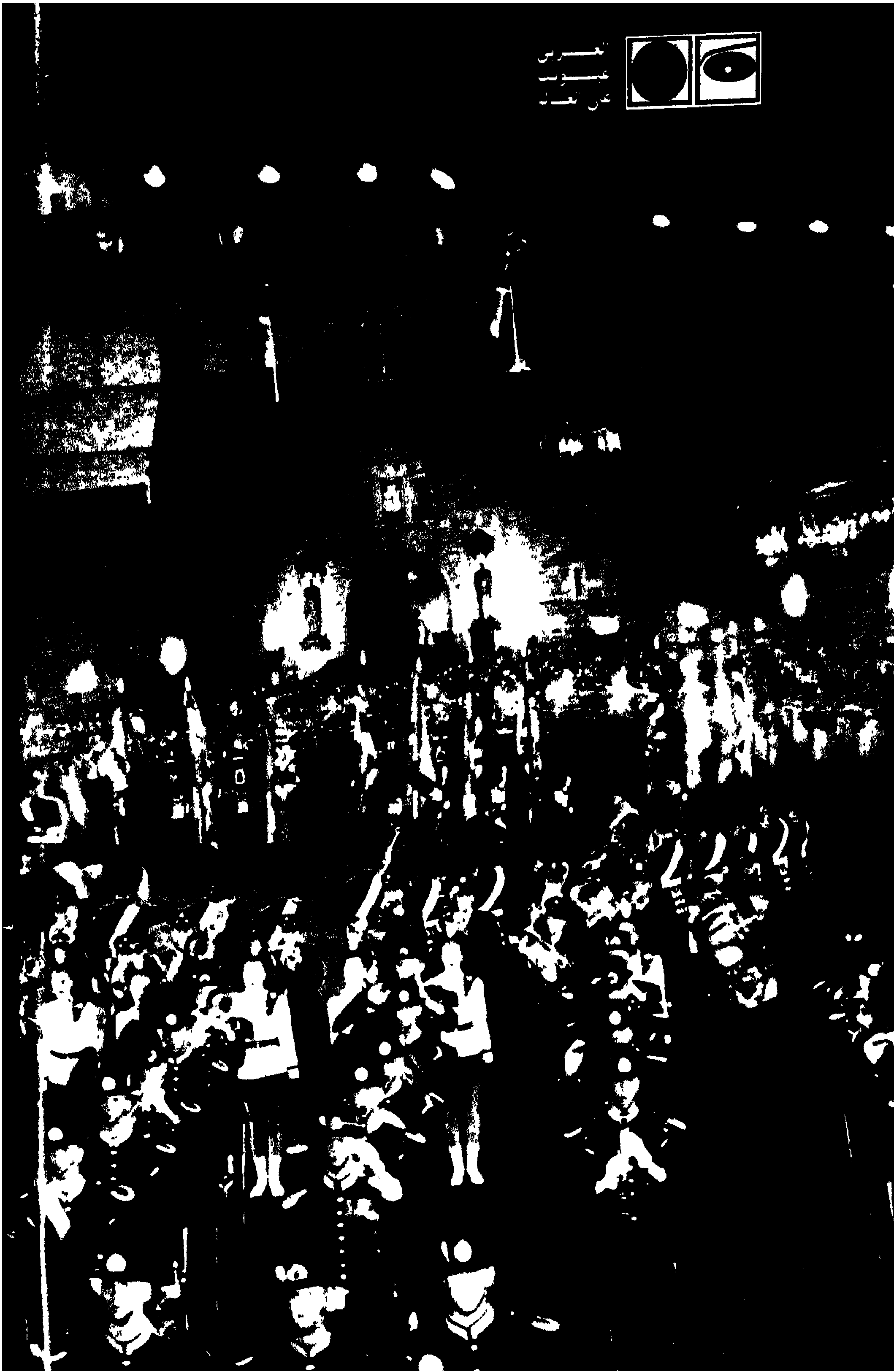
مأزق التمويل الدولي

وقد لا يتمكن العديد من دول العالم الثالث من مواجهة متطلبات التنمية وتسوية التزامات الديون الخارجية في آن، وربما يتطلب الأمر أن يوفر العالم المتقدم أموالا طائلة لدعم الاقتصادات النامية وتمكينها من النمو وتحسين عوامل المعيشة. لكن هل يمكن للدول الصناعية في ظل أزماتها وعجز موازناتها أن توفر الأموال، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر عن طريق مؤسسات التمويل الدولية، لمساعدة الدول النامية؟ هناك الآن مطالبات سياسية لتقليص الأموال المخصصة للمساعدات والمنح والقروض الميسرة في الكثير من المجالس النيابية في الدول الصناعية، ويثير هؤلاء أن الأموال يجب أن تخصص لتطوير المشاريع والبنى التحتية في مدن وقرى بلدانهم، بدلا من أن تذهب إلى بلدان بعيدة، بيد أن هذه المواقف السياسية، بالرغم من وجاهة بعضها، تفتقر إلى النظرة الشمولية حيث إنه مثلما ذكرت أن العالم أصبح وحدة اقتصادية متكاملة لا يمكن إهمال جزء منه دون التأثير على بقية الأطراف، ولا شك أن هناك مصلحة للعالم الغني في مساعدة الدول الفقيرة لمواجهة عوامل الضعف الاقتصادي الهيكلي لديها.

قد يقول البعض إنه يجب إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واسعة في الدول النامية حتى يمكن تبرير دعمها اقتصاديا. ذلك قول حكيم، ولكن لا يمكن القبول بمقولات العزلة وعدم الاكتراث بما يجري في أي دولة من دول العالم، وإذا قررت الدول الصناعية أن توقف مساعداتها لهذه الدول النامية، وإذا توقفت تدفقات المساعدات والمعونات والقروض الميسرة فإن إمكانات التطرف السياسي وعدم الاستقرار ستصبح مؤكدة، ولن تستطيع دول العالم الصناعي وضع حد لها من خلال دعم الأنظمة الحاكمة في تلك البلدان النامية سياسيا وعسكريا.. بل إن الدول الصناعية قد تشهد موجة من الهجرات من العالم الثالث لن تتمكن من وقفها دون أن تتجنى على قوانين وقيم حقوق الإنسان التي تتبناها.

الركود ومخاوف الكساد

ويبدو الآن أن العالم ما زال بعيدا عن وضع تصورات عقلانية وواقعية للمعضلات التي تواجهه، ويتطلب الأمر تسخير أفضل العقول البشرية للمساعدة في رسم البرامج الاقتصادية والسياسية من أجل وضع حد للركود قبل أن يتحول إلى كساد قد لا نتمكن من مواجهته أو تحديد مدته.. لقد تحدث العديد من المفكرين الاقتصاديين عن أرباح السلام بعد نهاية الحرب الباردة، وحلموا بعالم يستفيد من موارده من أجل بناء التنمية في ظل السلام، لكن هذا الأمل ما زال بعيد المنال في ظل التداعيات الاقتصادية في السنوات القليلة المنصرمة.. وقد نتساءل: هل أصبحت الأمور خارج السيطرة بحيث لا يستطيع العالم مواجهة أزماته ووضع حلول لها؟!. □


العربي
عيون
على العالم

اسكتلندا

مهرجان التقاليد العريقة

استطلاع : ماضي الخميس
تصوير : سليمان حيدر

يعتقد أهل اسكتلندا أنه لا توجد مدينة في العالم مثل أدنبرة في التاريخ والعراقة. ومازال بعض سكانها يعيشون في بيوت عمرها ٤٠٠ عام، حتى أنهم إذا أرادوا هدم أي مبنى أبقوا على الواجهات القديمة كما هي.. إنها بلد التقاليد والمحافظة على التراث وإحياء الماضي من خلال الحاضر.



في صباح الخامس عشر من شهر أغسطس ١٩٩٣، وصلنا مطار أدنبرة في اسكتلندا، كان الجو باردا، وكان المطار مزدحما على غير عادته، مئات الأشخاص موجودون في المطار الذي يبعد عن وسط المدينة حوالي خمس عشرة دقيقة، والأمر الذي أثار دهشتنا أكثر، هو ما نراه من وجود جنسيات مختلفة بأعمار متفاوتة يعج بها المطار، وبنظرة سريعة على مدارجه وجدت العديد من الطائرات التابعة لخطوط طيران دولية مختلفة.

اقتربت من مكتب الخدمات السياحية في المطار، ووقفت في الطابور الممتد حتى جاء دوري، سألت الموظفة عن فندق تقترحه لنا للسكنى، قالت: أنتم هنا للسياحة أم للعمل؟ قلت: بل نحن صحفيان جئنا لعمل استطلاع عن اسكتلندا. قالت: وهذه أفضل أيام السنة هنا. قلت: وما يميز هذه الأيام عن غيرها؟ قالت: ألا ترى هذا الكم الهائل من البشر الذين يتوافدون إلى هنا من شتى أنحاء العالم؟ قلت: بلى، ولكن ما هو السر في وجود هذا العدد الكبير من السائحين؟ قالت: إن أدنبرة يا سيدي بلد لا توجد بها أسرار، فنحن نحتفل في هذا الشهر «أغسطس» من كل عام، ولمدة ثلاثة أسابيع بمهرجان أدنبرة الدولي الذي يقام في مثل هذا الموعد سنويا، ولقد أصبح هذا المهرجان واحدا من أهم وأكبر الأحداث الثقافية في العالم، ويتوافد سنويا عشرات الآلاف من السياح من داخل وخارج بريطانيا. شكرت محدثتي بعد أن أعطتنا عنوان أحد الفنادق التاريخية في وسط أدنبرة. ونحن في طريقنا إلى الفندق أدركنا ما للطبيعة من سحر، وما للتاريخ من عبق، وما للماضي من حضور، وبينما سيارة الأجرة تسير بنا في طريق تحفه الأشجار والخضرة على جانبيه بامتداد البصر، وقد بزغت بينها قصور مشيدة ينطق بنيانها بما شهدته من أحداث

□ منظر عام لمدينة أدنبرة.



لماضي وتقلبات الحاضر، قصور كانت للسكنى فصارت ليوم مدارس ومراكز ودور رعاية ومقار هيئات وفنادق، ن اسكتلندا تحاول دائما ربط الحاضر بالماضي، وأن تذكّر الشعب الاسكتلندي بما كان له من تاريخ عريق عراقة حذور الأشجار المتناثرة، والجبال المتآزرة، تاريخ مليء بالأحداث والروايات التي ما زالت تردّد، والتي سيظل الاسكتلنديون يرددونها على مر العصور.

الطبيعة شيء مختلف

لقد تمنن الاسكتلنديون في إبراز جمال الطبيعة واهتموا بإظهار المدينة وكأنها لوحة جمالية من المستحيل تقليدها، هضاب كثيرة وجبال شاهقة الارتفاع. ففي اسكتلندا يوجد ٢٧٩ هضبة مميزة، يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٣٠٠٠ قدم، أو ٩١٤ مترا، كما يوجد ٥٤٠ قمة جبل، منها ١٢ قمة جبل يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٤٠٠٠ قدم، أي ١٢١٩ مترا، ويعتبر جبل «بان فير» أعلى جبل في اسكتلندا، ويبلغ ارتفاعه ٤٤٠٦ أقدام، أي ١٣٤٤ مترا، وتبعد قمته عن ساحل البحر «أربعة أميال»، أو ستة كيلومترات ونصف، وتقع أعلى قرية في اسكتلندا وهي «دان لو كهاد» على ارتفاع ١٣٠٠ قدم، أو ٣٦٩ مترا عن سطح البحر، وتقع في القسم الجنوبي من اسكتلندا.

أما الساحل الغربي لاسكتلندا فيمتد إلى حوالي ٤١٦ كم في خط مستقيم، ولكنه يمتد إلى ٣٢٠٠ كم إذا ما قيست التضاريس الساحلية التي لا تعد ولا تحصى، كما يوجد في اسكتلندا ٧٩٠ جزيرة، منها ١٣٠ جزيرة مأهولة فقط.

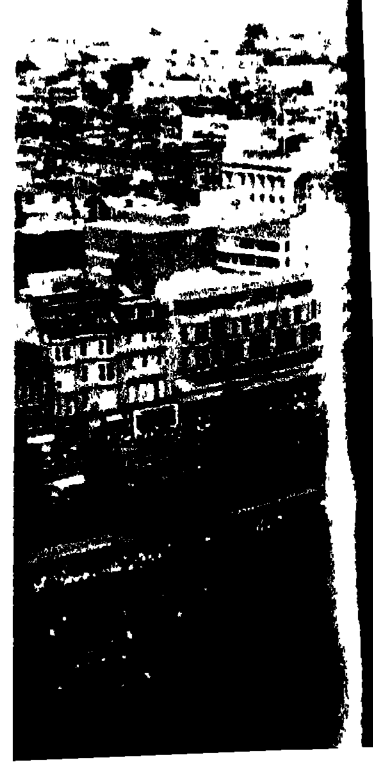
من شرفة في الفندق الضخم المتربع وسط أدنبرة، والمشيد قبل حوالي مائتي عام، جلست أنظر للعاصمة

□ ملامح المدينة العريقة كما تبدو من أعلى مبنى فيها



□ أحد المقاهي الموجودة بكثرة في أدنبرة

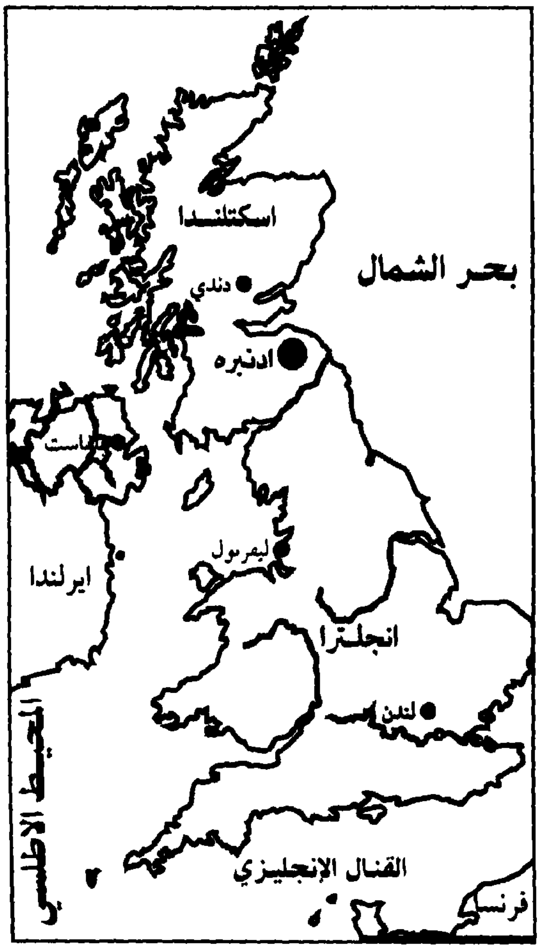






أدنبرة بكل معالمها الجميلة، القلعة الكبيرة، والجسر الممتد بمحاذاة البحر بطول عشرة كيلومترات، وشارع الأمير «البرنس» الذي يقطع أدنبرة من المنتصف، وقصر الملكة وساحة الاحتفالات. جلست أتابع حركة الناس في الشوارع. مدينة هادئة بكل المقاييس تجذبك جذبا لتسير في شوارعها ما زال الوقت مبكرا، الساعة العاشرة والنصف صباحا، ونحن لدينا موعد مع مرافقتنا السياحية في تمام الواحدة والنصف، قلت لزميلي المصور: لا أستطيع انتظارها، دعنا نتجول في هذه الشوارع الجميلة حتى يحين موعدنا. وانطلقنا مشيا على الأقدام. وكانت روعة الجمال أفضل من تخيلها وأعظم من اعتقادنا، قلت لزميلي: سبحان الخالق، قبل فترة كنا في أيرلندا الشمالية، ثالث أضلاع المثلث المكون لبريطانيا العظمى، بلد يعج بالمشاكل وتجتاحه القلاقل ويكدر صفوه الاضطراب وعدم الاستقرار، واليوم نحن هنا لا تفصلنا عن أيرلندا الشمالية مساحة تذكر، ولكننا في بلد هادئ وادع جميل آمن.

أنهينا جولتنا، بل انتهت قبل أن ننهيها، فالوقت يحكمنا ولا نحكمه، وقد أجبرنا على العودة أدراجنا بأسرع وقت، لنكون موجودين عندما تقف عقارب الساعة عند الواحدة والنصف لنكون بانتظار مرافقتنا. في الوقت المحدد تماما، كانت سيدة في أواخر عقدها الخامس تتقدم نحونا وتعرّفنا بنفسها ونعرّفها بأنفسنا. قالت: هل أنتما مستعدان للانطلاق؟ قلت: نعم قالت: هل لياقتكما البدنية عالية؟ قلت في نفسي قبل أن أجيبها بلساني: ذات الخمسين عاما



□ خريطة توضح موقع اسكتلندا بالنسبة للمملكة المتحدة



□ جمهور غفير حضر إلى أدنبرة لمشاهدة عروض المهرجان الدولي

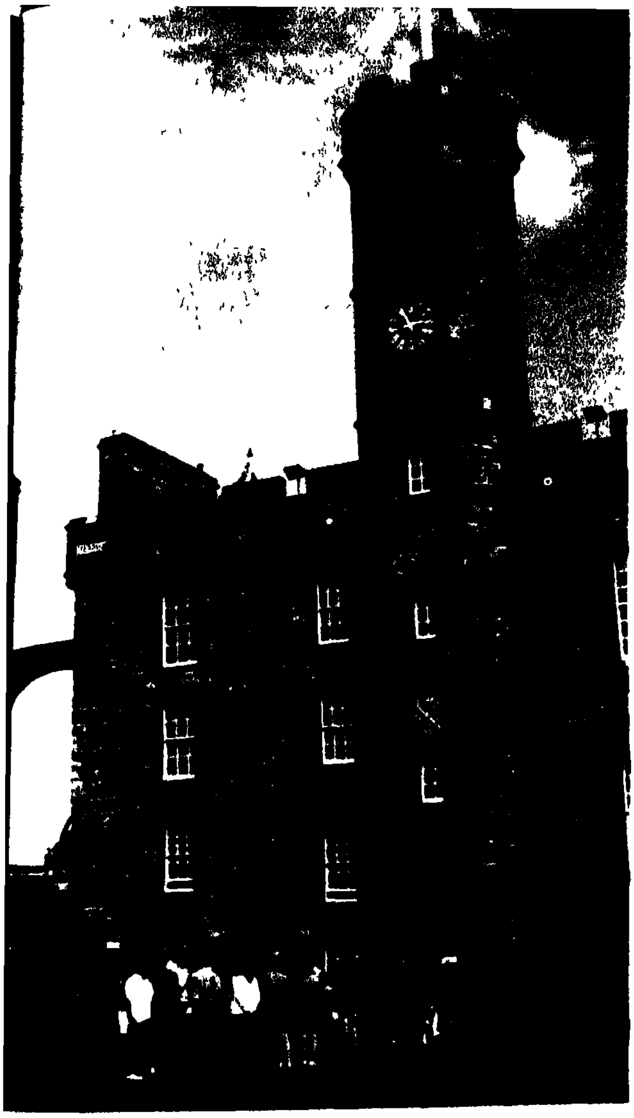
تسأل من هـو في نصف عمرهـا، إذا كـانت لياقتـه البدنيـة عـاليـة، ليستطيع مسايـرتها في المشي؟!. فقلت لها: وهل تشكين في شبابنا الطبيعي؟ ضحكنا وبدأنا المسير.

في وسط سـاحة ضخمـة وقفنا. وكـان يتجمع بها آلاف البشر، فهذه السـاحة الرئيسية لعـروض الاحتفالات التي يقدمها أناس قدمـوا من أماكن مختلفة.. رقصات شعبية من دول مختلفـة، حـركـات بهلـوانيـة وعـروض من السيرك، ومهرجـون وألعاب سحريـة، والناس قد تحلقـوا حول كل عـارض أو عـارضين، وصرنـا نتجول بينهم ونشـاهـد مـا يقدمـون وبينما أنا أستمتع بأحـد العروض أثار مشـاعري وداعب سمعي صوت منبعث مـن مكان ما بـالقرب مني، صوت فيـه شجون، تابعت مصـدر الصوت حتى وصلت إليه، وجلست أمـامه طربا بما أسمع، اقتربت مني مـرافقتنا وقـالـت لي: هل تحب هـذه الموسيقى؟ قلت: إن مـوسيقى البيرو هـذه أشـد مـا يحرك أحـاسيسي، فلهـا طعم خـاص وعـذوبـة لا تجدينهـا في غيرهـا من مـوسيقى العـالم، وقـد اعتدت على سماعها منذ أن كنت في البراريل

جلسنا فترة من الوقت نشاهـد العروض، قلت للمرافقة: نريد أن نشاهد متحف اسكتلنـدا قالت: وأي متحف تريد؟ فـاسكتلندا يـا عـزيزي كلهـا متـاحف. قلت: نريـد متحف رسومات وتاريخ وصناعات، أي نريد متحفا شاملا. قالت: لا بأس، سـرور أحـد المتـاحف، ولكن لا بـد الآن من أن نذهب إلى زيـارة قلعة. قلت: وأي قلعـة؟ وأين هي؟ قالت. انظر إلى أعلى الجبل هـناك، هذه هي القلعـة، وقد كـانت مقر ملك اسكتلندا لسنين عديدة قلت: وكيف سنصلها؟ قالت: لا تقلق.. سنصل، ولكن الأمر يحتاج إلى لياقة بدنية

باتجاه القلعة

صعدنـا باتجاه القلعـة القابعـة في أعلى قمة الجبـل، ومئات الأشخاص مثلنـا يصعدون بـاتجاه تلك القلعة التـي شهدت حـوادث تاريخيـة كثيرة، والتي تـوالى عليهـا ملوك اسكتلنـدا واحدا تلو الآخر، فلقد توالى على السلطة في اسكتلندا ثلاثون حـاكما منذ أن تـولى السلطـة ملك اسكتلندا الأول في القـرن التاسع الميلادي، حتى آخر ملك في القرن السابع عشر. ولقد شهـدت هذه الفترة الطـويلـة العـديد من الاضطرابـات في البـلاد، وبعـد أن اتحدت اسكتلندا مـع التاج البريطـاني عـام ١٦٠٣ للميـلاد، أصبح الملك مشتركـا بين البلـدين. تـركنـا القلعـة أو القصر المتعـدد الممـرات والأروقـة، والـذي يحظى حاليـا باهتمام ورعـاية قـد تفوق اهتمام ورعـاية مـن شيده في الأصل، وبـرنا نسير في الشـوارع المحـاذية لها حيث تعـرض التحف والمصنوعـات الاسكتلندية القـديمة، قصور عـديدة وكثيرة مشيـدة، بعضهـا استُغل وبعضهـا الآخـر بقي على وضعه وبينما نحن نسير لاح لنا من الأفق البعيد قصر غاية في



□ ازدحام شديد للدخول إلى أحد القصور القديمة في مدينة أدنبرة

الجمال وروعة البنيـان، قالت مـرافقتنا: إن هـذا القصر واحد من أجمل القصور القديمـة في العالم، ومازالت ملكة بـريطانيا تسكن فيه كلما جاءت في زيارتها السنوية لأدنبرة.

السـاعة قـاربت السابعـة والنصف، ونحن مازلنـا نتنقل مشيـا على الأقـدام من مكـان إلى مكـان، الإرهـاق والتعب وصلا بي قمتهما، وكذلك زميلي بـدا عليه التعب والإرهاق، أما مـرافقتنا فمازالت تحتفظ بثلثي طاقتها ولـديها القدرة على الاستمرار في التنقل حتى الغد. قلت لها: لقد أدركنا الوقت، وأعتقـد أنه مـن الأفضل أن نعود أدراجنـا لأخـذ قسط من الراحـة. قالـت: ولكن أيها الشاب.. ألا تـريد الـذهاب إلى المتحف؟ قلت: بلى، ولكن في الغد، فالمتحف يحتاج إلى راحة في الجسد والعقل كي نستطيع الاستمتاع بما سنرى. عدنا إلى الفندق، وبعد أن أخذنا قسطا من الراحة، خرجت إلى شرفة الفندق المطلة على أجمل ما رأت عيني من مناظر، الجو ساكن هادىء، بارد نوعا ما، المطر يتساقط بهدوء وانتظام، الليل قد حل والنهـار انبرى، الإضاءة الموزعـة على الجبـال بشكل هنـدسي دقيق تـوحي بقـدرة هـذا الشعب على الإبـداع،



☐ حديقة أدنبرة

حلست أستمتع بالنظر إلى هذا المنظر البديع، وأقرأ ما سُطِّر ي الكتاب الذي أمسكه بيدي عن اسكتلندا.

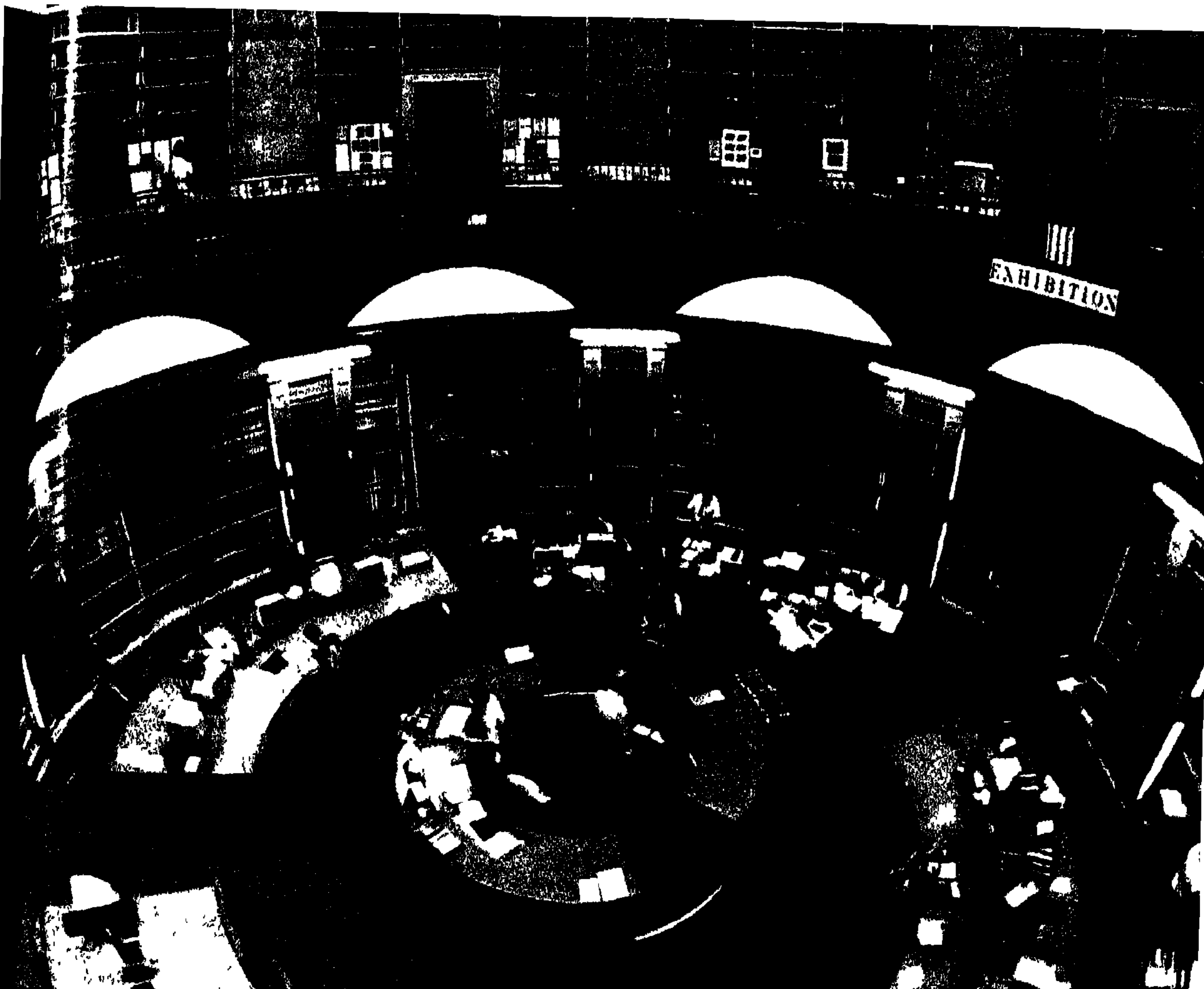
لمناخ والجغرافيا

تشكل اسكتلندا جزءا أساسيا من المملكة المتحدة، والتي لف من إنجلترا وويلز وأيرلندا الشمالية، وتحتل حوالي ث أراضي بريطانيا العظمى، وتبلغ مساحة اسكتلندا ٢٩٧٩ ميلا مربعا، أو ٧٧٠٠٠ كيلومتر مربع، وهذه ساحة تمثل أكثر من ثلث مساحة بريطانيا العظمى، وتبعد ن أقرب نقطة من أيرلندا الشمالية اثني عشر ميلا فقط، ىلغ المساحة الصالحة للزراعة في الأرياف حوالي الربع فقط ن جملة مساحة البلاد، وبقية الأراضي غير زراعية، لاسكتلندا ٧٢ مقعدا في مجلس العموم للمملكة المتحدة. تحاط اسكتلندا بثلاثة من البحار من ثلاثة جوانب، والبحار ن الجهات الثلاث دافئة، وعموم الطقس بارد، فالشمس تشرق بمعدل يتراوح ما بين ثلاث وأربع ساعات في اليوم وذلك على مدار السنة.

وتتراوح حرارة الطقس ما بين أبرد يوم وأحر يوم في السنة بمعدل ١٨ درجة فهرنهيت فقط، أي أن أبرد يوم في يناير «كانون الثاني» يصل إلى ٣٩ درجة فهرنهيت، «أو عشر درجات سنتغريد»، في حين أن أكثر الأيام حرارة يصل إلى ٥٧ درجة فهرهيت، «أو ١٤ درجة سنتغريد»، ويقال إن العصر الجليدي في اسكتلندا قد انتهى منذ حوالي عشرة آلاف سنة مضت. ويبلغ عدد السكان في اسكتلندا حسب إحصائية ١٩٨٨ «٥٫٠٩٤٫٠٠٠» نسمة، ومن أهم مدنها «غلاسكو، أدنبرة، أبردين، داندي».

منذ أن وصلت إلى اسكتلندا وهناك سؤال يراودني: ما هو معنى اسم اسكتلندا؟. ولقد وجدت الإجابة عن سؤالي هذا في ذلك الكتاب الذي كنت أقرأ فيه.

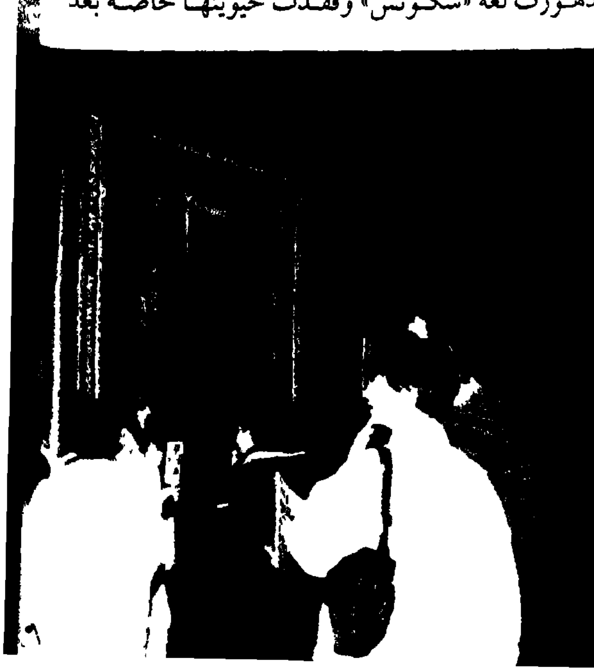
إن اسم اسكتلندا مشتق من كلمة «سكوتي» وهي قبيلة من قبائل «السلت» الدين أتوا من أيرلندا واستقروا في



□ صورة من الداخل لقاعة مكتب السجل والوثائق في أدنبرة

اسكتلندا في القرنين الخامس والسادس للميلاد، وقد استقرت قبيلة «السلت» على الساحل المعروف حاليا باسم «أرغيل» بأعداد كبيرة لدرجة أنها كونت مملكة عرفت باسم «دارياد»، ويتكلم أبناء القبيلة لغة تدعى «غاليك». ولقد علمت أنه في القرن العاشر للميلاد كانت لغة اسكتلندا هي «الغاليك» وأن هذه اللغة تقلصت خلال الألف سنة الماضية، وأصبحت مقتصرة على سكان الأراضي الجبلية، وأنه خلال القرون الماضية بدأت اللغة «الغاليكية» تتقلص لصالح نمو اللغة الإنجليزية، وقد كان أكثر انتشارها في هضاب اسكتلندا، وقد تم ذلك في الوقت الذي أفرغت فيه الهضاب من سكانها الأصليين، أما في الوقت الحاضر فإن لغة «الغاليك» لايزال يتكلم بها السكان في غرب اسكتلندا والجزر الغربية من تلك البلاد

أما اللغة الأخرى في اسكتلندا فهي «سكوتس»، وهي عبارة عن شكل من أشكال الإنجليزية التي نمت من لهجة «نورثمبري» وهي متعلقة بـ «نورثمبريا»، وهي «مملكة إنجليزية قديمة» تقع في شمال شرق إنجلترا، وهي في الأساس لهجة «إنجلوسكسونية» مثل لهجة وادي «التايمز» في إنجلترا التي تطورت عبر الزمان وأصبحت تعرف الآن باللغة الإنجليزية، ولقد استوعبت لغة «سكوتس» ذاتها اللغتين الفرنسية والألمانية وتأثيرات المجموعة الاسكندنافية من اللغات الجرمانية، وكانت اللغة الفصحى في المحكمة عندما ورث جيمس السادس الاسكتلندي العرش البريطاني عام ١٦٠٣م، وانتقل إلى إنجلترا. وقد تدهورت لغة «سكوتس» وفقدت حيويتها خاصة بعد





□ قاعة للصور من الداخل في أحد متاحف أدنبرة

طاعة الكتاب المقدس الذي أطلق عليه طبعة «جيمس» باللغة الإنجليزية، وليس بلغة «سكوتس»، إضافة إلى أنه ومع قيام البرلمان الاتحادي في عام ١٧٠٧م، أصبحت اللغة الإنجليزية لغة الإدارة الرسمية. وعلى الرغم من جميع المحاولات التي بذلت للقضاء على اللغة الاسكتلندية الأصلية إلا أنني لاحظت أنه لا يزال هناك من يتحدث بها



□ مسئول مكتب السجل الاسكتلندي باتريك كاديل



□ جمهور غفير حضر ليشاهد ما يعرض في متاحف اسكتلندا

من الشعب الاسكتلندي، خصوصا ما بين المزارعين وصيادي السمك في شمال وشرق اسكتلندا.

بلد عريق

إن اسكتلندا بلد عريق، أما أدنبرة «العاصمة» فهي مدينة تاريخية بكل ما تحمل كلمة التاريخ من معنى وأحداث وأيام وسنين. لقد بدأ التاريخ الاسكتلندي منذ عام ٨٤٣م عندما تولى (كنث الأول) أول ملك اسكتلندي السلطة في بلاده، وانتهت هذه المملكة العريقة في عهد آخر ملك اسكتلندي، وهو (جيمس السادس) الذي حكم ما بين (١٥٦٧ ـ ١٦٠٣)، ومما يجدر ذكره أن هذا الملك حكم اسكتلندا أولا ثم أصبح بعد ذلك ملكا على بريطانيا العظمى وأيرلندا ما بين (١٦٠٣ ـ ١٦٢٠)، ولقد أقر انتهاء استقلال الحكم في اسكتلندا في البرلمان الاتحادي عام ١٧٠٧م.

إن أدنبرة مدينة التناقضات، فهناك شوارع وأزقة قديمة تعود إلى القرون الوسطى، وشوارع عصرية بنيت حديثا، عريضة وتحفها الأشجار على الجانبين، إضافة إلى وجود حدائق وساحات ومتنزهات وتلال ومرفأ وشاطىء



□ صور مختلفة من أكبر مهرجان تعيش فيه أدنبرة سنويا ويجمع كل الفنون المعروفة من مسرح إلى موسيقى وحتى فنون السيرك.



بحري. وفي أدنبرة من الممكن أن تسمع أكثر من لغة واحدة، فهناك اللغة الإنجليزية الأصلية، واللغة الاسكتلندية التي تسمعها عادة في المناسبات، وهناك لغات أخرى يتكلم بها الوافدون والمهاجرون الذين استقروا بها وأدنبرة مدينة تتجدد كل عام، وتتزين بأحلى وأجمل زينتها في أغسطس من كل عام، لاستقبال السائحين الوافدين إليها من شتى بقاع المعمورة، لحضور مهرجان أدنبرة الدولي، وفي هذا المهرجان تقام عروض غنائية ومسرحية ورياضية، وأهمها العرض العسكري الذي يقام يوميا طوال فترة المهرجان الذي يسمونه (تاتو)

لقد بدأ مهرجان أدبرة العسكري أعماله عام ١٩٥٠، عندما ساهم الجيش الاسكتلندي في مهرجان أدنبرة الدولي، وأصبح اليوم بما فيه من موسيقى مميزة وكذلك عروض مسرحية وترويحية، أصبح أحد أعظم المهرجانات العالمية، ويحضره في كل عام ما لا يقل عن مائتي ألف شخص يشاهدون هذا المهرجان، ويأتي هؤلاء من شتى أرجاء المعمورة (منهم ٣٥٪ من بلدان أجنبية)، إضافة إلى هؤلاء يشاهد ما لا يقل عن خمسين مليون شخص من جميع أرجاء العالم برامج المهرجان عن طريق البث عبر الأقمار الصناعية. وعادة ما يستضيف المهرجان العسكري فنانين عسكريين ومدنيين من ثلاثين دولة، وتشترك في العرض فرق مختلفة الأحجام، منها فرق للرقص، وأخرى تلوح بالأعلام، وطلبة مدارس وفيلة وجمال وكلاب، وفرسان وراكبو دراجات نارية، ورجال شرطة وسلاح الجو الملكي البريطاني، ويعتبر الطبل والمزمار من أبرز موسيقى المهرجان العسكري، ومما يجدر ذكره أنه في عام ١٩٨٠ ساهمت فرقة سلطنة عمان في المهرجان، كما ساهمت فرقة جنوب سلطنة عمان في مهرجان عام ١٩٨٤ وتعد أدنبرة مدينة ثقافية من الدرجة الأولى، والاسكتلنديون شعب يحب الثقافة والمرح، ويوجد في أدنبرة العديد من المسارح ودور السينما وقاعات الموسيقى والمعارض الفنية بجميع أنواعها، كما توجد معارض لعرض لوحات كبار الفنانين في العالم، بالإضافة إلى الفنانين الاسكتلنديين مثل (بيكاسو ورورفائيل وهنري مور.. وغيرهم)

٨٠٠ سنة من السجلات

ومن أهم المعالم الثقافية التي تميز أدنبرة (الأرشيف الاسكتلندي الوطني)، الذي تحتفظ فيه اسكتلندا بجميع سجلاتها العامة منذ ١٣٨٦م، ولقد وضع حجر الأساس لمبنى الأرشيف الحالي في ٢٧/٦/١٧٧٤، وانتهى العمل به في شهر (مايو/ آيار) ١٧٧٨، كما يوجد في أدنبرة معلم آخر من المعالم الثقافية المهمة، وهو (مكتب السجلات الاسكتلندي)، الذي يعتبر مخزنا أو مستودعا للسجلات العامة الاسكتلندية، ويضم تقريبا جميع

السجلات الإدارية للمملكة الاسكتلندية القديمة، أي ما قبل الوحدة مع بريطانيا عام ١٧٠٧، كما يضم سجلات الوزارات والدوائر الحكومية والوكالات في اسكتلندا، وخصوصا منذ تكوين المكتب الاسكتلندي عام ١٨٨٥، وهو يضم سجلات المحكمة المركزية والسجلات العامة للوثائق الرسمية وحقوق التملك، وسجلات الصناعة الوطنية، وتعداد السكان والولادة والوفيات والزواج ومعلومات عن أشخاص وشركات وخلافه. وتحتل هذه السجلات أعدادا كبيرة من الأرفف تبلغ خمسين ألف متر، وتضم سجلات لما قبل ٨٠٠ عام منصرمة، وذلك ابتداء من المواثيق العائدة للملك ديفيد الأول (١١٢٤ ـ ١١٥٣م). ولقد سألت السيد (باتريك كادل) مسئول مكتب السجلات في أدنبرة عما يحتويه المركز من وثائق وسجلات، فقال: إن الأرشيف يمتلك وثائق الحكومة في اسكتلندا منذ القدم، ومعظم المواد التي تستحق الحفظ من المكتب الاسكتلندي، وجميع الجهات في اسكتلندا منذ عام ١٦١٧ إلى يومنا هذا، ومازال عدد كبير من المحامين يأتون إلى هنا للاستشارة، كما توحد لدينا أكبر مجموعة للمخطوطات في جميع المجالات سواء الخاصة بتحديد الخرائط وأماكن الأراضي أو الخاصة بالمعالم والأشياء النادرة. وأضاف قائلا: إن مكتب السجل الاسكتلندي كمنظمة أو جهة رسمية لا يحتفظ بالوثائق باسم المكتب بل باسم المسئول، فيتم تسجيل جميع الموجودات باسم المسئول شخصيا لتكون في عهدته، ويتم تزويده بصفته الشخصية بالموظفين والأموال اللازمة والمباني وكل ما يتعلق بالعمل.

* ماذا لو حدثتنا عن تاريخ العاصمة الاسكتلندية أدنبرة؟.

ـ إن موقع أدنبرة جاء بسبب القلعة المبنية على حجر كبير منذ القدم، فأصبح ذلك شعار المدينة، ولقد كبرت مدينة أدنبرة، وكانت تحت القلعة، ولقوتها وأهميتها أصبحت تدريجيا أكبر مدينة في اسكتلندا، لتتحول في القرون الوسطى إلى العاصمة، ولقد زاد وجود البحر من أهميتها، ولعب دورا في حمايتها وصد الأعداء حيث أصبح كالسد المنيع، كما أن جانبا كبيرا من أهميتها يعود لتطورها في مجال العلوم الحية والآداب. وتعتبر الفترة من ١٧٦٠ إلى ١٧٨٠ عصر تطور الفنون والآداب، خصوصا مع وجود الفلاسفة من أمثال آدم سميث وديفيد هيوم، وفنانين من أمثال الن رمزي، وعلماء مثل كولن وجوزيف بلاك، لقد كان ذلك العصر هو عصر بناء سمعة اسكتلندا على المستوى العالمي، وأصبحت جامعة أدنبرة من أهم الجامعات في دراسة العلوم الحية والطب والأدب. ولكن الحال لم تستمر







□ قصر محافظ جلاسكو



□ زواج اسكتلندي تقليدي

وبدأ الوضع في التراجع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولكن المدينة استعادت مجدها من جديد. وأما شخصيا أعتقد أن أدنبرة الآن ثالث أكبر مركز مالي بعد لندن وفرانكفورت، وهذا ليس بسبب تبادل العملات، ولكن بسبب كبر حجم التعامل العالمي في أسواق اسكتلندا، وهو شيء شجعت عليه أدنبرة منذ القدم.

* ما هو الوضع القانوني لأدنبرة خاصة في ضوء العلاقة فيما بين اسكتلندا وبريطانيا؟

- كل ما هو متعلق باسكتلندا يسري ويطبق على أدنبرة، ففي عام ١٧٠٧ تم توقيع معاهدة بين بريطانيا واسكتلندا تقوم على أساس المساواة، ولقد نصت على أن يكون لاسكتلندا كنيستها الخاصة ونظامها القانوني والتعليمي، وأن يمنع نقل الوثائق الخاصة بها خارج البلاد، ولكن هناك دوائر تعمل في نطاق بريطانيا مثل وزارتي الخارجية والدفاع وبعض الوزارات الأخرى كالتأمينات الاجتماعية وغيرها

* هل تطالبون بالاستقلال عن بريطانيا؟.

- المشكلة التي نعاني منها هي أنه لو كانت لنا حكومة مستقلة عن ويست منستر (مقر الحكومة البريطانية في لندن) لاخترنا حكومة أقرب إلى اليسار، لذلك فنحن

□ تمثال للملك إدوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا «١٩٠١ - ١٩١٠»



□ مقصلة معروضة في متحف أدنبرة كانت تستخدم قديما في معاقبة الخارجين على القانون.







يضطر لقبول أشياء كثيرة بتردد، وهنا تبرز أهمية التحرك نحو المطالبة باستقلال اسكتلندا، ولكن المتكلة هي أن الحزب الوطني في اسكتلندا له هدف واحد هو الاستقلال، ولكنه بعد تحقيق الهدف لا يعرف موقفه السياسي فيما إذا كان مع اليمين أو اليسار.

جلاسكو مدينة الحياة الجديدة

كان علينا أن نترك أدنبرة لنكمل رحلتنا في مدن اسكتلندا، وكانت محطتنا التالية هي مدينة جلاسكو

□ قرية «شمال برويك» الهادئة كثيرا ما تجتذب السياح.





□ محافظ جلاسكو اللورد روبرت يرحب بالزميل ماضي الخميس.

التي تبعد خمسين دقيقة بالقطار عن أدنبرة، استقللنا القطار باتجاه هذه المدينة المذهلة حقا، نزلنا من القطار واتجهنا رأسا إلى مقر محافظ المدينة السيد (روبرت أبيس)، الذي كان بانتظارنا ليصحبنا في جولة ميدانية في مدينة العهد الجديد، والذي قال لنا: تقع مدينة جلاسكو في مكان مميز من كل جهة وصوب، فهي مدينة الحياة الجديدة منذ عام ١٩٩٠، كما أصبحت مدينة أوربا الثقافية، وتعد أكثر المدن حيوية وازدهارا ونماء بعد مدينة لندن في المملكة المتحدة.

أضاف قائلا: أتعلم أنك لو وصلت إلى جلاسكو بالطائرة فإنك سوف تندهش لا محالة من قرب الريف من المدينة، كما أن الجبال والتلال تحاذي حدود المدينة الشمالية والشمالية الغربية. ويصل عدد سكان جلاسكو إلى ٧٠٠ ألف نسمة بما يجعلها رابع مدينة في المملكة المتحدة، وأكبر سوق استهلاكي في اسكتلندا، وتعد أكبر مركز عمل أيضا حيث يعمل فيها (٣٥٠,٠٠٠) عامل وموظف. وتعد جلاسكو العاصمة الثقافية لأوربا الجديدة (أوربا الموحدة)، حيث عقدت فيها احتفالات ثقافية أوربية في عام ١٩٩٠، ولقد نمت مدينة جلاسكو في السنوات القليلة الماضية بشكل لافت للنظر، ويعتبر مطار جلاسكو الأكثر ازدحاما بعد مطار لندن، حيث يمر فيه ٤٫٦ مليون مسافر في العام، كما يوجد لدينا ثلاث جامعات، واثنتا عشرة كلية للتعليم العالي يدرس فيها ٧٠ ألف طالب وطالبة.□

قال الضابط العراقي في مطار بغداد: «انظر إليهم هؤلاء اليهود الذين أسقطت جنسياتهم، ليس أمامهم إلا أن يخرجوا. لقد مر ٣٧ ألفا منهم هنا ولا يزال هناك ٧٠ ألفا ينتظرون، وسوف يجيء اليوم الذي نستريح فيه منهم، فيخرجون من هنا ويلحقون بإخوانهم هناك في الدولة التي أقاموها على الباطل»(!)

العرب الذين رفضوا .. والذين ساعدوا

على أي شيء نفاوض إسرائيل ؟

بقلم: شوقي رافع

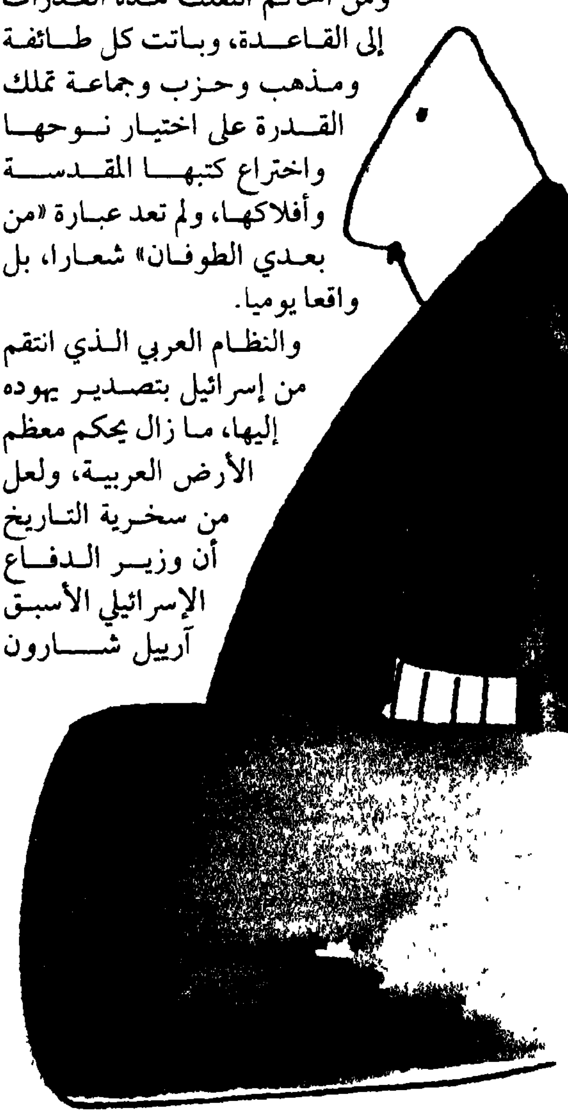


كان نظام العراق في ذلك الوقت «١٩٥١» يثأر لفلسطين، ويفخر عبر وسائل الإعلام العربية بهذا الثأر(!).

وكان عرب آخرون يهللون.. ولكن الضابط العراقي لم يرتح! إذ إن حروب فلسطين أطلقت سلالات جديدة من «اليهود» تحت أسماء مختلفة، فهم رجال العهد البائد، وهم قوميون، وهم شيوعيون، وهم إخوان مسلمون، وهم فرس، وهم أكراد، وهم عميلون، وهم جهويون، وهم حزبيون، وكان يتم إلحاق هؤلاء ليس بإخوانهم في الدولة التي أقيمت على الباطل، بل بالملأ الأعلى، وكان النظام العربي ينتحل لنفسه قدرات «رب نوح» يغرق بالجملة، ويبيد بالجملة، ويهلك الزرع والضرع بالجملة، وكانت مساحة «الفلك» العربي تضيق يوما بعد يوم.

ومن الحاكم انتقلت هذه القدرات إلى القاعدة، وباتت كل طائفة ومذهب وحزب وجماعة تملك القدرة على اختيار نوحها واختراع كتبها المقدسة وأفلاكها، ولم تعد عبارة «من بعدي الطوفان» شعارا، بل واقعا يوميا.

والنظام العربي الذي انتقم من إسرائيل بتصدير يهوده إليها، ما زال يحكم معظم الأرض العربية، ولعل من سخرية التاريخ أن وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق آرييل شارون



كان هو أول من اقترح احتلال الكويت لإنهاء قضية فلسطين مرة واحدة وإلى الأبد، وبالتأكيد لم يخطر لمخطط مجزرة صبرا وشاتيلا أن يكون النظام العراقي في بغداد أكثر حماسة منه لتنفيذ المهمة.

إن إلغاء المواطن يلغي الوطن، ويجعلنا يهودا فيه(!).

اليهود يعودون

قال الحاخام السوري اليهودي إبراهيم حمرا «إن حوالي ١١٠ يهود سوريين عادوا إلى البلاد بعد أكثر من عام أمضوه في الولايات المتحدة»، وأضاف الحاخام في تصريح نقلته وكالات الأنباء يوم ١٠ يناير/ كانون الثاني الماضي قوله: «إن أكثر من ثلث اليهود السوريين، أي حوالي ١٢٥٠ شخصا من أصل عدد إجمالي يقدر بنحو ٤ آلاف بقوا في سوريا، علما بأن دمشق سمحت للأشخاص الراغبين في التوجه إلى الخارج بالسفر مع عائلاتهم»، ونقلت وكالات الأنباء عن اليهودي السوري يوسف جاجاتي، وهو تاجر يملك محلا لبيع الملابس الجاهزة في دمشق، قوله إنه لا يعتزم مغادرة سوريا، وأكد «نتمتع هنا برفاهية لن نجد مثيلا لها في أي مكان آخر».

سبق هذه التصريحات تظاهرات واتهامات أطلقها قادة اللوبي الصهيوني في أمريكا أكدوا فيها أن سوريا تستخدم يهودها ورقة سياسية للضغط على إسرائيل.

وهكذا، فإن دمشق التي تعاقب على حكمها منذ عام ١٩٤٨ أنظمة حكم مختلفة ومتباينة، وخاضت جيوشها أشرس الحروب ضد إسرائيل، واستضافت في الوقت نفسه ما يزيد على ٣٥٠ ألف لاجيء من فلسطين، نجحت وعلى مدى نصف قرن في تكريس الفصل بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كدولة معادية، وحرمت العدو من قوة بشرية يزعم أنها تخصه وحده، ومن مبدأ أيديولوجي أقام عليه دولته، ولم تذبح يهودها، ولم تطردهم أو تعتقلهم، وحفظت لهم حقوقا متساوية مع باقي المواطنين، وهو ما دفع ببعضهم إلى العودة حتى من أمريكا التي يفيض خيرها على كل يهود الأرض.

أولويات «الموساد»

هذا ما حدث ويحدث في دمشق، أما في بغداد فالصورة هي على النقيض تماما. وعودة إلى التفاصيل،

ونعتمد هنا مصدرين: الأول. كتاب «الموساد» من تأليف ثلاثة من اليهود، هم: دينيس ايزنبرج وإيلي لاندو وأوري دان. والثاني: مجلة «آخر ساعة» المصرية، في عددها الصادر تحت الرقم ٨٥٨ ـ ٤ أبريل/ نيسان ١٩٥١م.

يقول المؤلفون في حديثهم عن جهاز المخابرات الإسرائيلية السري «الموساد» إن هذا الجهاز يضم فرعا خاصا يحمل اسم «علياه بيت» ومهمة هذا الفرع هو مساعدة اليهود على الفرار من الدول العربية المعادية، ومن بين العمليات التي سعى هذا الجهاز لاستغلالها عملية اغتيال وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الأوسط اللورد موين خارج منزله في القاهرة عام ١٩٤٤، على يدي شابين يهوديين، ويقول المؤلفون: «وقد عمت مشاعر القلق في مصر السكان اليهود البالغ عددهم حوالي ٣٠٠ ألف نسمة... ولكن لما حاول الصهاينة الاستعانة بيهود مصر قوبل طلبهم بالرفض والاستياء معا، وحين قامت إحدى العميلات في الموساد وهي «روث كليفر» بزيارة أحد التجار البارزين في منزله، قال لها وهو يعظها: خير لليهود التزام جانب الهدوء، والبقاء في منأى عن عيون الناس، كما قال لها. إن الكلاب سوف تتعقبها إذا هي حاولت التماس المساعدة مرة أخرى».

ووفقا للكتاب فإن ما يسمى «فضيحة لافون»، حيث قام عملاء الموساد عام ١٩٥٤ بنسف منشآت بريطانية وأمريكية في القاهرة والإسكندرية، هي التي نجحت في دفع معظم من تبقى من يهود مصر إلى الهجرة عبر شبكة «عوشن» السرية التابعة للموساد.

المهم في هذا، أن أولويات جهاز الموساد في تلك المرحلة التي تلت قيام إسرائيل كانت دفع اليهود العرب إلى الهجرة للكيان الصهيوني، ولو عبر عمليات إجرامية تؤلب الرأي العام ضدهم في البلاد التي يعيشون بها. وهذا لا يعني أن هؤلاء اليهود العرب كانوا مع دي لإسرائيل، ولكن كان من الممكن تحييدهم على الأقل. كما فعلت دمشق، ومثلها المغرب وربما اليمن.

في بغداد التي كان يحكمها الوصي على العرش الأمير عبدالإله، ورئيس وزرائه نوري السعيد، لم يكن «الموساد» بحاجة إلى بذل تلك الجهود، إذ قامت الحكومة العراقية بهذه المهمة.

خطة شارون لاحتلال الكويت

في مطلع عام ١٩٨٣ وضع الفريق سعد الدين الشاذلي دراسة تحمل عنوان «خطة شارون لغزو منطقة الخليج»، واعتمدت الدراسة على مقال نشرته صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، نسبت فيه إلى وزير الدفاع الإسرائيلي ـ في ذلك الوقت ـ آرييل شارون، بعد اجتياح لبنان، قوله: «لكي ننهي القضية الفلسطينية نهائيا، ولكي نسقط ورقة البترول التي في يد العرب، فإنه على الجيش الإسرائيلي أن يتقدم ويحتل الكويت مرورا بالأردن، وأن احتلال عمان سوف يؤدي إلى سقوط الملك حسين، وانتخاب ياسر عرفات من قبل البرلمان الأردني رئيسا للجمهورية الفلسطينية، إن الرحلة من عمان إلى الكويت تستغرق يومين فقط، وما من قوة على هذا الطريق يمكنها أن توقف زحف رتل الدبابات الإسرائيلية، وبعد أن تحتل إسرائيل الكويت لن يعود النفط سلاحا عربيا، وسيصبح نفطا إسرائيليا».



ويقول الفريق الشاذلي في بداية دراسته العسكرية الجادة: «إننا لا نرى أي جنون فيما قاله شارون، بل إن الجنون هو ألا نصدق هذا الكلام، وألا نعمل على زيادة قدراتنا القتالية، لكي نجعل هذه المغامرة غير قابلة للتنفيذ» وبعد أن يعدد الجيوش التي يمكن أن تشارك في تنفيذ هذه التهديدات، ويعزز تحليلات بخرائط عسكرية دقيقة، ينقل عن أحد المهتمين بقضية الشرق الأوسط، قوله إنه في

ـمال وقوع احتلال من هذا النوع «فإن العرب قد ـنجأون إلى مقاومة هذا الاحتلال بإحراق آبار النفط، فيتج عن ذلك أزمة طاقة ويلقي العالم باللوم على إسرائيل بصفتها هي المسئولة عن ذلك»(!).

وفي ٢ أغسطس/ آب ١٩٩٠ قامت قوات نظام بغداد باجتياح الكويت، ومع اقتراب المواجهة العسكرية مع قوات التحالف، طرح النظام حل القضية الفلسطينية باعتباره شرطا لإعادة قواته إلى بغداد.

ومع اشتعال العمليات الحربية، قصفت بغداد بعدد من صواريخ سكود تل أبيب، بالإضافة إلى الرياض ومدن أخرى في المملكة العربية السعودية، ولم تغادر قوات نظام بغداد الكويت إلا بعد أن أشعلت آخر بئر للنفط فيها، فيما أطلق عليه بحق «كارثة العصر»، وبدأ فعلا حل القضية الفلسطينية ولكن على حساب العرب وأهل فلسطين.

إن هذه العودة إلى بعض المحطات المظلمة في تاريخنا تبدو أقرب إلى إعادة فتح بطن المريض لإخراج المشرط الذي نسيه الطبيب في داخله، بدلا من الفيض عليه بعبارات التطمين والدعوة له بالصحة والعافية، فالمفاوضات القائمة حاليا حول مستقبل فلسطين والوطن العربي أكثر خطورة من حرب عام ١٩٤٨، ففي ذلك العام قامت دولة إسرائيل على جزء من فلسطين، أما اليوم فإن ما يتم التفاوض حوله هو ما إذا كان هذا الوطن العربي سيحتفظ بجزء لا تقوم فوقه دولة إسرائيل(!)، وليست المشكلة أن المفاوض العربي لا يحل علينا بعبارات التطمين فحسب، بل إن بعض المفاوضين يكاد يعتمد قاعدة «ومن بعدي الطوفان» طريقا لتحرير فلسطين، ولكن سلما هذه المرة، فيستعجل السباق إلى تل أبيب(!)، ولعل أخطر ما في هذا النمط هو أنه في عجزه عن المواجهة مع العدو الفعلي، يجتهد في اختراع الأعداء الوهميين في الداخل وفي الخارج، ويعمل على تحويل العواطف الدينية والإنسانية والقومية ـ وهي أجمل ما في حياتنا ـ إلى غرائز تفيض بالحقد على «الآخر» في الداخل والجوار، وبالتالي يصبح الانتماء المذهبي أو القومي أو القبلي أو الجهوي أو الحزبي هو ما يحدد هوية المواطن، وتتحول الجماهير إلى قطعان متحاربة لا يصعب على «القائد» ترويضها(!).

وهي ليست قضية فلسطين وحدها ولكن قضية العرب أجمعين. □

في رحاب الباب العالي

يورد كتاب «بريطانيا والخليج» لمؤلفه «جون كيلي» الواقعة التالية التي تكشف عن مدى النضج السياسي الذي كان يتمتع به حكام الإمبراطورية العثمانية مقارنة مع بعض حكامنا اليوم في تعاملهم مع الانتماءات الدينية والقومية لمواطنيهم:

«في شهر مارس/ آذار عام ١٧٩١م، تقدمت الجالية اليهودية في البصرة بشكوى إلى المتسلم «العثماني» مضمونها أن أحد زملائهم قد اغتيل من جانب أحد المسيحيين. وعلى أثر هذه الشكوى ألقى المتسلم القبض على عدد من المسيحيين، أربعة منهم لم يكونوا مشمولين بالحماية البريطانية، وقد احتج المقيم البريطاني صمويل مانستي على اعتقالهم، وتمكن من الإفراج عنهم مع الآخرين المشمولين بالحماية البريطانية، وبعد ذلك بوقت قصير أبلغ المتسلم العثماني المقيم البريطاني بأن أحد هؤلاء المفرج عنهم هو المتهم بالقتل، وينبغي تسليمه لمحاكمته، ولقد قام مانستي بتسليم المتهم، ولكنه طلب من الموظف المختص أن تجرى له محاكمة عادلة.

وفي الوقت نفسه فإن الجالية اليهودية التي أثارها تدخل مانستي قام أفرادها بمظاهرة هددوا فيها المقيم، وقد طالب مانستي بتوقيع العقوبة على اليهود، غير أن المتسلم دعا مانستي إلى تناسي الموضوع، ولكن هذا لم يكن آخر إجراء يفكر فيه المقيم، ومن هنا قرر الاتصال بسليمان باشا مطالبا إياه بمعاقبة الجالية اليهودية وفرض غرامات جماعية عليهم ومطاردة زعمائهم، ومضت الشهور دون أن يتحرك الباشا لتلبية طلب المقيم، ولهذا قام مانستي في فبراير/ شباط عام ١٧٩٢ بتوجيه رسالة إلى السفير البريطاني في القسطنطينية يطالبه فيها بإقناع الباب العالي بتوجيه خطاب إلى سليمان باشا لإرضاء مانستي، ورغم إرسال الباب العالي للخطاب فإن سليمان باشا لم يفعل شيئا لتلبية مطالب المقيم، وفي النهاية أنزل مانستي علمه عن المركز البريطاني في ٣٠ أبريل/ نيسان ١٧٩٣ وانسحب من البصرة إلى الكويت».

أسئلة

شعـــــر : صـــالح العـــاقل*

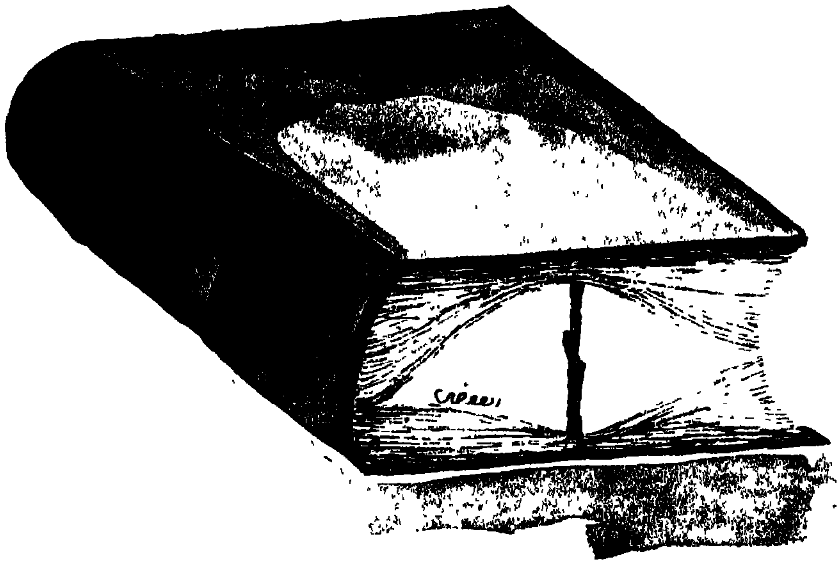
مـــــا لي أرى اللغـــــة الحرون كسيرة والقلـب مـــرتج الهوى أسيـــانـــا ؟
مـــا لي أرى اللغـــة الفـــراش حـــزينـــة حينـــا ومـــربكـــة الخطى أحيـــانـــا ؟
أهـــو اشتعـــال النـــار في الـــوطن الـــذي أغفـى على وجع أقـــام زمـــانـــا ؟
أهـــو الـــرحيل المر يـــا تفـــاحـــة الـــ ـــقلب التي شطـــر الغـــزاة أوانـــا ؟
أم أنـــــه الـــــرمـل الحبيب يقضني بتـأوهـــات من صـــدى أسرانـــا ؟

***

ظـن الطغـــاة بـأن طـــائر عشقنـــا سهل المنـــال وشعبنـــا مـــذعـــانـــا
فتكـــالبـــوا وتنـــاهشـــوا الحلـم الـــذي دمنـــا سقينـــا، والهوى قحطـــانـــا
ولشـــد مـــا عـــال العـــروبـــة غـــزوهم فتنـــاثـــرت وتقـــوضت أركـــانـــا
ظنـــــوا بـأنـــــا رهـط وردة غيب وبـأننـــا سنسلـم الأوطـــانـــا
لكـن مـــــا بعث العظيم عظيمـــــه شعب تســـامى للعـــلا عقبـــانـــا
نـــادى من الظلمات في أصحـــابـــه فتـــوافـــدوا وتحالفـــوا إخـــوانـــا
هـــذي الكـــويت فـــلا مكـــان لغـــاصب حملت لـــواء، مجدهـــا النشـــوانـــا
طلعت كصبح بعـــد ليل، قـــامـــة جـــذلى وأجـــرت للهـــوى عـــذرانـــا
رفلـت بحبرات الخليج حضـــــارة ونضـــارة وطـــراوة وحنـــانـــا
لكنهـــا يـــوم الكـــريهة فـــرّقت جمع الغـــزاة وشتتت أحـــزانـــا
كـم بـــاسل ورث الجنـــان بخـــافق [illegible] الكـــويت ولـــوّن الشطآن



* شاعر من سوريا



التربية العربية وعصر المعلومات

بقلم: الـــدكتـــور نبيل علي*

ادت التحديات التربوية الهائلة التي يطرحها عصر الكمبيوتر والمعلومات الى مراجعة شاملة ودقيقة للأسس التربوية، لقد عاد مفهوم التربية يطرح نفسه من جديد كشاغل رئيسي لعلماء التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، بل وكإشكالية جوهرية للفلاسفة.

عاد الحديث مرة ثانية عن حاجتنا إلى «إنسان جديد»، يوقن الجميع بصعوبة تحديد «مواصفاته» حيث لم تتحدد بعد ملامح هذا العالم الجديد، مجتمع المعلومات الذي يصنع هذا الإنسان من أجله، على الرغم من ذلك فهناك شبه إجماع على تعذر تحقيق ذلك دون أسس تربوية مغايرة وبشدة عن تلك التي أفرزت هذا الكم الهائل من جحافل جيوش الأغلبية الصامتة، هذا البشر أحادي الأبعاد فاقد الهوية، صاحب النزعة الاستهلاكية المتضخمة، قليل الحساسية تجاه الغير، الذي يشكو من الجدب الروحي والعزلة والضياع. وإنساننا الجديد ليس هو بالحتم «جنتلمان» إنجلترا القرن التاسع عشر، ولا ذلك «البدائي النبيل noble savage» حلم جان

* متخصص في علوم الكمبيوتر وكاتب من مصر

الـ روسو، ولا المثالي الهارب من واقعه أو العملي يد التربية الأمريكية البرجماتية، ولا المتمرد شديد تحرر المتمركز حول ذاته لجيل ما بعد الحرب في رسا، وهو أيضا ليس العالم الدءوب ساكن الأبراج عاجية المنكب على علمه المنعزل عن واقعه.

وجهات تربوية

إزاء هذه الحيرة لا يسعنا هنا إلا طرح بعض التوجهات التربوية العامة:

ـ إن هدف التربية لم يعد هو تحصيل المعرفة، فلم تعد المعرفة هدفا في حد ذاته، بل الأهم من تحصيلها هو القدرة على الوصول إلى مصادرها الأصلية وتوظيفها في حل المشاكل. لقد أصبحت القدرة على طرح الأسئلة في هذا العالم المتغير الزاخر بالاحتمالات والبدائل تفوق أهمية القدرة على الإجابة عنها.

ـ إن تربية الغد لابد أن تسعى لإكساب الفرد أقصى درجات المرونة وسرعة التفكير وقابلية التنقل mobility بمعناه الواسع، التنقل الجغرافي لتغير اماكن العمل والمعيشة، والتنقل الاجتماعي تحت فعل الحراك الاجتماعي المتوقع، والتنقل الفكري كنتيجة لانفجار المعرفة وسرعة تغير المفاهيم.

ـ لم تعد وظيفة التعليم مقصورة على تلبية الاحتياجات الاجتماعية والمطالب الفردية بل تجاوزتها إلى النواحي الوجدانية والأخلاقية وإكساب الانسان القدرة على تحقيق ذاته وأن يحيا حياة أكثر ثراء وعمقا.

ولابد للتربية الجديدة أن تتصدى للروح السلبية ية عادة التفكير الإيجابي وقبول المخاطرة وتعميق وم المشاركة، فلا وجود في مجتمع المعلومات ول بالمسلمات والإقناع السلبي الذي هو ـ في ـ نوع من الجبر، إنه عصر التجريب وقبول ايا الخلافية والتعلم من خلال التجربة والخطأ، عامل مع المحتمل والمجهول، والاحتفاء غموض واستئناس التعقد، وعدم الاستسلام م البساطة الظاهرة.

ـ إن علينا أن ننمي النزعة الايبستيمولوجية لدى إنسان الغد ـ كما طالبنا سيمور بابيرت ـ بحيث يدرك كيف تعمل آليات تفكيره وذلك بجعله واعيا بأنماط التفكير المختلفة، وذا قدرة على التعامل مع العوالم الرمزية بجانب العوالم المحسوسة دون أن يفقد الصلة التي تربط بينهما، فكما نعرف تتضخم أهمية الرموز والمجردات مع تقدم الفكر الإنساني بصفتها وسائل لا غنى عنها لإدراك حقيقة الظواهر وتنمية الفكر وتمثل المعارف والمفاهيم المعقدة.

ـ ولم يعد هدف التربية هو خلق عالم من البشر المتجانس المتشابه بل بشر متميز متمسك بهويته الحضارية وبقيمه، قادر على التواصل مع الغير، يتقبل الواقع المختلف عن واقعه والرأي المغاير لرأيه. إن التمادي في عملية التجنيس الحضاري التي نشهدها حاليا تهدد خصوصية الإنسان التي سرعان ما يفقدها تحت وطأة الشائع والغالب الذي يكتسب سلطته من شيوعه وعلته لا من أصالته وتميزه.

الإنسان.. سلعة نادرة

إن على التربية المرجوة أن تهيىء الفرد لعالم سيصبح فيه العمل سلعة نادرة، حتى توقع البعض أن تصبح فرص



العمل أحد مظاهر الرفاهية الاجتماعية في عالم الغد. إن الغاية العظمى للتربية هي أن ينعم الإنسان باستقلاليته ليصبح قادرا على أن يخلق عمله بنفسه، وأن يشغل أوقات فراغه التي تنحو إلى الزيادة المطردة بما يثري حياته ويعود بالخير على أسرته ومجتمعه وعالمه.

بعد هذا الاستعراض السريع للغايات التربوية في مجتمع المعلومات لابد أن القارىء قد أدرك مدى الفرق الشاسع بينها وبين واقع الأمور في وطننا العربي، وجسامة التحدي الذي تواجهه نظمنا التربوية على جميع الأصعدة، فالفلسفة التربوية السائدة لدينا تنظر إلى التربية كأداة للثبات والاستقرار، وتركز ـ كما يقول د. عبدالله عبدالدائم ـ على انتشار التعليم لا نوعيته، ورغم ما يزخر به الخطاب التربوي الرسمي من شعارات الحرية والديمقراطية والمشاركة وتكافؤ الفرص وتنمية الانتماء القومي والتمسك بالوحدة العربية، إلا أن الواقع العملي وأساليب التعليم والتقويم وأهداف المناهج ومضمونها وأسلوب الإدارة المدرسية والتعليمية أبعد ما يكون عن هذه الشعارات، فما زال أسلوب التلقين والحفظ هو نهج التعليم السائد، وهناك قيود عديدة تحد من مشاركة الطالب في عملية التعليم ومساهمة المدرسين في عمليات الإصلاح والتجديد التربوي، والتحليل الكمي والكيفي لمضمون الكتب الدراسية الموجهة لطلاب التعليم الأساسي فيما يخص مفهوم الفرد والسلطة، في مصر كمثال، يكشف بشكل سافر ـ كما خلصت الباحثة أماني قنديل ـ عن كيف يمجد هذا المضمون دور الحكومة ويتجاهل دور الفرد، وتؤكد هذه المناهج الأسس والممارسات التربوية القائمة على الطاعة والضبط والربط، وهناك إغفال لأهمية الحوار والمشاركة وتهميش لقيمة الحرية، وقد خلت المناهج من مفهوم المساواة وتحاشت الخوض في القضايا الخلافية، ولا تهتم معظم المناهج بالأمور المتعلقة بالانتماء القومي والوحدة العربية بل على العكس تنزلق في مواضع غير قليلة نحو تنمية النزعات القطرية وشبه الإقليمية، إننا نشكو من غياب فلسفة تربوية عربية، ربما يكون السبب الرئيسي وراء ذلك ـ كما خاض البعض ـ هو حقيقة أن هذه الفلسفة التربوية لابد أن تنبثق من فلسفة اجتماعية محددة المعالم، وهو الأمر الذي لم يتحقق في معظم مجتمعاتنا العربية التي مازالت تعاني من عدم الاستقرار الاجتماعي، وقد سعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى وضع إطار عام لفلسفة تربوية عربية إلا أنها لم تتبلور في صياغة نهائية في هيئة استراتيجيات وخطط محددة، واقترح هنا المنظور المعلوماتي كنقطة انطلاق أساسية لبلورة هذه الفلسفة وذلك لقدرته على إبراز القضايا المختلفة بشكل أوضح وأعمق.

نوعية التعليم أولا

إن هدف التربية العربية لم يعد مقصورا على نشر التعليم بل الاهتمام بنوعيته وآفاقه، قبل موارده ووسائله وقنواته ولتكن ركائز فلسفتنا التربوية هي ثالوث العقلانية والحرية ووحدة الفكر والحضارة الإنسانية، ولابد أننا قادرون على إضفاء طابعنا الخاص على هذه الغايات العامة بتمسكنا بروح تراثنا دون الانغلاق في نصوص جامدة وتأويلات قاصرة، وإدراكنا العميق بأن إيماننا بوحدة المجتمع الإنساني لابد أن يرتكز على تمسكنا بوحدتنا العربية. إن تمسكنا بهويتنا وقيمنا وانتمائنا العربي يجب ألا يتعارض مع كون الإنسان العربي مواطنا عالميا قادرا على أن يتعايش مع الآخرين ويتفاعل معهم.

إن علينا أن نحسم التناقضات الزائفة بين قيمنا الراسخة وعصر المعلومات، عصر العلم الذي احتفت به كتبنا السماوية وعصر تنمية المهارات التي أوصى نبينا بتعليمها لأولادنا، وعصر الاكتشاف والتجريب ونحن رواد العلم التجريبي وأحفاد السلف العظيم الذي خرج إلى البادية يجمع مفردات لغته وقواعدها من لسان أصلاء الناطقين بها، عصر التعلم المستمر ونحن أصحاب شعار التعلم «من المهد إلى اللحد»، وأود أن أنقل هنا ما أورده د. أسامة الخولي في أطروحته المثرية الملهمة عن «تنمية التفكير العلمي لدى الطفل العربي» عن الإمام محمد الغزالي، يقول إمامنا الغزالي: «دين الله لا يقدر على حمله و حمايته الفاشلون في مجالات الحضارة الإنسانية الذكية، الثرثارون في عالم الغيب، الخرس في عالم

ا شهادة»، لقد ذهب إلى غير رجعة عصر التربية القائمة على الطاعة والضبط والربط، إن تربية عصر المعلومات تؤكد على مفهوم المشاركة والتحرر ولا تستهجن العصيان ما دام دافعه هو نشدان الأفضل والأصدق والأنفع والأنسب. يجرنا ذلك إلى ضرورة اهتمام التربية بالتنشئة السياسية وتنمية وعي الأفراد، فالوعي هو وسيلة التمسك بالحرية وتعميق الممارسات الديمقراطية، وهو الدرع الواقي أمام حملات التضليل المنبثقة من داخلنا وحملات الغزو الثقافي الوافدة إلينا من خارجنا. إنني أشعر بالحسرة وأنا أرى الجامعة الأمريكية وبعض المدارس الأجنبية في بعض الدول العربية تورد فى مناهجها حلقات نقاش لنموذج جامعة عربية مختلفة Model Arabe League ونموذج مغاير لمنظمة الأمم المتحدة Model United Nations، بينما هجر حديث السياسة لدينا قاعات الدرس ونوادي هيئة التدريس.

تقاليدنا غير ملائمة



تمثل بعض التقاليد الاجتماعية الراسخة لدينا، مثل سطوة الكبار على الصغار، والتفرقة بين الذكور والإناث تناقضا أساسيا مع توجهات عصر المعلومات الذي سيتضخم فيه دور صغار السن ذوي القدرة

العالية لاكتساب المهارات والمعارف الجديدة والتكيف السريع مع متغيرات المجتمع، في نفس الوقت الذي ستتضاءل فيه الأهمية التي كانت تحظى بها خبرة الكبار والتي ستحل محلها ــ إن آجلا أو عاجلا ــ النظم الخبيرة في عصر المعلومات، ومن جانب آخر سيتعاظم الدور الذي تلعبه الأسرة، والمرأة بالتالي، في تنمية القدرات الإبداعية لدى الأطفال، وستتيح تكنولوجيا التعليم بوسائلها العديدة للتعلم الذاتي في المنزل فرصا جديدة للمرأة العربية لكي تلحق بالركب في عصر المعلومات، هذا لو أردنا لها نحن ذلك.

ولا شك أن عدم توافر المناخ التربوي المواتي عامل مقيد في كل مراحل التقدم الاجتماعي إلا أن تأثيره يصبح أكثر جسامة في مجتمع المعلومات، حيث الإبداع والابتكار مطلب أساسي لتحقيق التقدم، وحيث التعلم العفوي من خلال الاحتكاك المباشر بالواقع الاجتماعي هو أحد المصادر الأساسية لاكتساب المعارف والخبرات، بجانب أن هذا الاحتكاك يعمل على تقوية وترسيخ مايتم تلقينه من معارف ومهارات من خلال وسائل التعليم الرسمي وغير الرسمي، لذا علينا أن نعيد للعلم هيبته وهو هدف لن يتحقق مالم يساهم هذا العلم مساهمة جادة في تنمية المجتمعات العربية، وتوفر تكنولوجيا المعلومات فرصا هائلة للعلماء العرب لكي يعمقوا دورهم الاجتماعي ولكي يقيموا وشائج الصلة بين علمهم وواقع مجتمعاتهم، إن لهذه التكنولوجيا بحكم طبيعتها دورا حاسما في ترسيخ مفهوم العلاقة الوثيقة بين العمل اليدوي والعمل الذهني وبين التفكير المجرد والتفكير المحسوس.

عوائق لا يستهان بها

أس المشكلة أن التربية العربية عليها أن تنفذ هذه المهام الجسام بأقصى سرعة في مواجهة عوائق مادية وبشرية لا يستهان بها، ولا ينكر أحد أن مواردنا البشرية والمادية المحدودة لا يمكن أن تفي بكل آمالنا وطموحاتنا، وقد قدر حجم الإنفاق التربوي على مستوى الوطن العربي

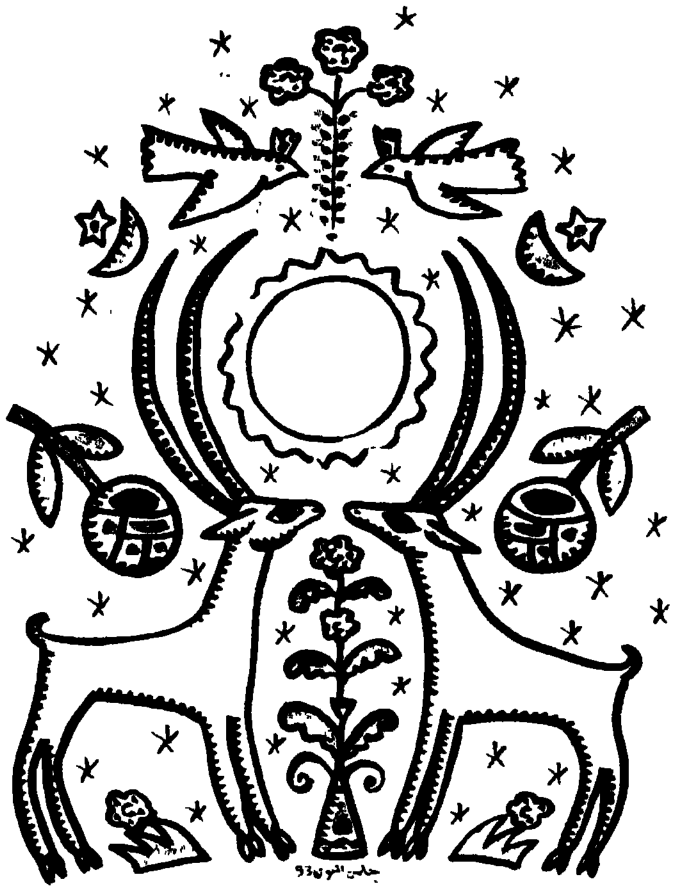
عام ٢٠١٥ بـ ١٥٤ مليار دولار، وتشكو معظم البلدان العربية من عدم توافر الحد الأدنى من الإمكانات المادية لدعم الخدمات التعليمية التقليدية، يزيد الأمر صعوبة أن حجم الإنفاق التعليمي يزداد مع النمو السكاني وارتقاء أساليب التعليم وتعدد مطالبه، حيث تحتاج جهود الإصلاح والتجديد التربوي للدخول في عصر المعلومات إلى توافر الدعم المادي اللازم لتجهيز معامل الكمبيوتر وإعادة تأهيل المدرسين وتطوير المناهج، يتطلب ذلك اتخاذ قرارات حاسمة في أولويات توجيه الموارد القومية لمجالات التنمية المختلفة، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هناك بعض الاقتصاديين الذين يعارضون في أولوية الإنفاق التعليمي بصفته استثمارا طويل الأجل لا يحقق عائدا إلا بعد حين على الأجل، ولذا فهم يفضلون عليه الاستثمارات قصيرة الأجل سريعة العائد، ونود أن نذكر هؤلاء أن هناك كثيرا من مشاريع التنمية كمجمعات الصلب ومحطات توليد الكهرباء تحتاج إلى فترات أطول أحيانا، وأن نعيد عليهم ما يؤكده الكثيرون من أن صناعة البشر في مجتمع المعلومات هي أولى الاستثمارات بالرعاية، وعلينا بالتالي أن نحدد أولوياتنا بأقصى درجات الموضوعية والمنهجية واستشراف المستقبل، وأملي ألا تكون هذه الأولوية من قبيل تلك التي حددها جون آدمز موفدا من الجمهورية الأمريكية الوليدة في خطابه لزوجته عام ١٧٨٨ وقد بهرته ثقافة باريس وفنونها عندما كتب يقول: «عليّ أن أدرس فنون السياسة والحرب كي يتمكن ابني من دراسة الرياضيات والفلسفة والجغرافيا والعلوم الطبيعية وبناء السفن وعلوم الملاحة والتجارة والزراعة، وذلك حتى يكون لأحفادي الحق في تعلم الفن والشعر والموسيقى والعمارة والنحت وفنون الخزف والمنسوجات».

إن جاز لنا أن نعلق فنقول: إن غايات التربية في عصر المعلومات، عصر تكامل المعرفة وتلاقح العلوم وتداخل المجتمعات وتحاور الثقافات، أبعد ما تكون عن هذه النظرة البرجماتية، وتنمية فكر الإنسان ووجدانه لا يمكن تحقيقها من خلال هذه الخطية الصارمة، وهل فينا من هو راض كل الرضا عما يفعله «أحفاد جون آدمز» بنا وبأنفسهم؟!. □

عشرة ملايين شخص يموتون بالإيدز حتى عام ٢٠٠٠

● **تتوقع منظمة الصحة العالمية في تقرير لها أن يتسبب مرض الإيدز في وفاة نحو عشرة ملايين شخص حتى عام ٢٠٠٠، كما تقدر المنظمة عدد الذين سيصابون بذلك المرض حتى ذلك العام بما يتراوح بين ثلاثين وأربعين مليون شخص، وقد وردت هذه الأرقام في التقرير الذي عرضه المدير العام للمنظمة هيروتشي ناكاجيما في يناير الماضي على المجلس التنفيذي لها في جنيف. وتأمل المنظمة في تنسيق نشاطات المؤسسات المختلفة التابعة للأمم المتحدة المعنية بمكافحة الإيدز. ويكشف التقرير عن أن الإيدز لا تجري مكافحته بالقوة اللازمة في كثير من الدول وخصوصا في الشرق الأوسط وآسيا. من ناحية أخرى قررت الحكومة اليابانية السماح لمرضى نقص المناعة المكتسبة «الإيدز» والحاملين لفيروس الـ«H.I.V.» المسبب له بدخول البلاد لحضور المؤتمر الدولي حول الإيدز والمقرر عقده في مدينة «يوكوهاما» اليابانية خلال شهر أغسطس المقبل. ومن المتوقع أن يحضر المؤتمر ما يقرب من ألف مريض أجنبي من المصابين بالمرض، وكانت اليابان قد وضعت قيودا للهجرة إليها بسبب الخوف من الأجانب المحتمل إصابتهم بالإيدز. ويأتي قرار الحكومة اليابانية استجابة لنداءات بعض الهيئات التي طالبت اليابان بعدم إغلاق الأبواب في وجه حاملي هذا الفيروس للاستماع إلى النصائح والإرشادات والدراسات التي سيبحثها هذا المؤتمر.**

شمس محمد



شعـــــر :
محمد علي شمس الدين

لمحمدْ
لغة الأرض
وميزان الحقيقهْ
ومحمدْ
رفة العشب على جفن الحديقهْ
وله الباب الذي يفضي إلى السرِّ
ومفتاح السماءْ
وله وردة عينِ الفقراءْ
ومحمدْ
دائما يبدأ من أول سطرٍ
في الخليقه
ليدور الفلك الأعلى به
والنيّرانْ
كغزالين على رمل الجزيره
يرسمان الضوءَ
في سهل يديهْ
كان ياما كانَ
في بدء الزمانْ
ظلمةٌ تسبح فوق الظلماتْ
رفع الله غطاء السنواتْ
فجأةً
عن شفتيهْ
ورمى بين يديهْ
كرة الشمس الكبيرهْ
آه يا شمس محمد
لا تغيبي عن فضاء الروحِ
يا شمس محمدْ □

وجهاً لوجه



سليمان ماجد الشاهين

■ النظام العراقي يسعى باحتجاز أسرانا لتحقيق اهداف سياسية

■ على دول مجلس التعاون مسؤولية رفع قدراتها العسكرية للدرجة التى تمكنها من التصدى لاي عدوان خارجي

واجهت الدبلوماسية الكويتية تحديا هائلا، خلال فترة العدوان الذي شنه نظام صدام حسين في الثاني من أغسطس / آب ١٩٩٠. وبشكل غير متوقع ولا مسبوق في العلاقات العربية - العربية خلال العصر الحديث ثم واجهت هذه الدبلوماسية تحديات ما بعد التحرير من براثن هذا الغزو. وفي كل الأحوال نجحت السياسة الكويتية المرنة والمتوازنة في ضم المزيد من الاصدقاء لتأييد الحق المشروع لهذا البلد

في البداية كان الأمر غريبا ومشحعا أيضا، ولكن التحرك السريع المتوازي مع عدالة القضية، استطاع حشد دول العالم في مواجهة بشاعة الجريمة الغادرة، وهو ما كان له الأثر في إصدار سلسلة من قرارات مجلس الأمن الدولي التي دانت العدوان بشدة، وحاصرته في كل المجالات دوليا وعربيا أيضا، إلى أن وصلت ذروتها بقرار استخدام الوسائل العسكرية ضد المعتدي لطرده وتحرير الكويت، بعد استنفاد كل الطرق والوسائل الدبلوماسية معه. وعقب التحرير كانت ذيول الغزو ما زالت باقية، تحمل آلاما مريرة لأسر كويتية قام النظام الصدامي باحتجاز بعض افرادها في تحد سافر للقوانين والأعراف الدولية، فكان التحرك السياسي الكويتي



و

أنور الياسين

يذكر العالم بهذه القضية الإنسانية ودعوته للعمل من أجل إنقاذ هؤلاء الذين لا ذنب لهم، من سجون نظام ضرب عرض الحائط بحقوق الإنسان ولا يزال سادرا في غيه.

وسط تلك التحديات التي واجهت رجال الدبلوماسية الكويتية وأداروها باقتدار لتأكيد حق بلدهم، وحققوا فيها مسارات باهرة تشهد بقدرة السياسة الكويتية على تجاوز الصعاب وبكفاءة نادرة، كان وكيل وزارة الخارجية سليمان شاهين الذي تستضيفه العربي شعلة من النشاط لا تهدأ وعلامة بارزة في مسار هذه الدبلوماسية، وتاريخه حافل منذ بداية حياته الدراسية والعملية، فقد تدرج في مدارس الكويت، وكان مع أول دفعة من الطلبة تدرس في مدرسة الشويخ وتخرج في كلية الآداب بالإسكندرية بمصر، وحصل على دراسات إضافية من جامعة صوفيا بطوكيو. وكان ضمن أول وفد للكويت في الأمم المتحدة، وكان أول سفير مقيم في أبوظبي بعد قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، وأول سفير لدى دولة البحرين ثم عين سفيرا في القاهرة، وحاليا يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية بدولة الكويت وهنا يلتقي الدبلوماسي الكويتي وجها لوجه في حوار مع مدير التحرير أنور الياسين

*** تحدث سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح أمام مجلس الأمة الكويتي في أكتوبر ١٩٩٢ بمناسبة افتتاح دور الانعقاد الثاني للفصل التشريعي السابع حول قضية عودة العلاقات مع الدول التي وقفت مع النظام العراقي، وعقد المصالحة بشروط جديدة ملخصها. أن الكويت لن تعيد علاقاتها مع هذه الدول مادامت لم تعترف بقرارات مجلس الأمن الدولي بخصوص حرب تحرير الكويت، وهي القرارات (٦٧٨، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨). هل نستطيع أن نستوضح آلية هذا الاعتراف، وما هي دول الضد؟ وما هو الحد الأدنى الذي تقبل به الكويت لأي مصالحة عربية؟.**

ـ العلاقات الدبلوماسية لم تنقطع مع تلك الدول التي وقفت أنظمتها موقفا مشينا من العزو والاحتلال، والتي نشعر بمرارة كبيرة من مواقفها بعد أن قامت الكويت ودول الخليج باستضافة مواطنيها، وكان لهذه الدول وشعوبها النصيب الأكبر من مساعداتنا ودعمنا ودعم الأشقاء في دول مجلس التعاون ولكن بطبيعة الحال فإن الأنظمة في هذه الدول لم تخدش الصورة الرائعة للعالم الوفي الذي ضم أكثر من ١٧٦ دولة وقفت معا سياسيا في جميع القرارات الصادرة عن مجلس الأمن، ومنها ٣٢ دولة شاركت في حرب التحرير، ومن هنا نعرف أي مكانة تلعبها الكويت في المجال الدولي، ومدى صلابة حمها كدولة صغيرة ناميه في الحياة الحرة المستقلة.

وكي نتعرف على هذه الأنظمة ما علينا إلا أن نتلفت حوالينا لنجدها الأكثر تمزقا سياسيا والأقل أمنا واستقرارا، و﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾.

أما ما يسمى تطبيع العلاقات القائمه، فذلك يعتمد على الموقف الذي يمكن أن تسلكه هذه الأنظمة ومدى استجابتها للإيمان بالمقررات الدولية، فقرارات مجلس الأمن صدرت وأصبحت نافذة وبضمانات مؤكدة من مجلس الأمن، وفي المقدمة الدول الدائمة العضوية، ولا يهم الكويت إن أعلنت هذه الأنظمة النشار استجاباتها لهذه القرارات أم ظلت على عيها وضلالتها، فالقضية محسومة سياسيا وقانونيا وعسكريا، ويبقى الموضوع الأدبي الأخلاقي إن صح التعبير، فإن أعلنت إدانتها لمبدأ العدوان على الكويت واستجابات لمنطوق ومضمون قراري مجلس الأمن ٦٨٧ و ٨٣٣ وطالبت النظام العراقي بإطلاق سراح أسرانا، عندها يتو..ن موقفها مع بقية دول العالم الشريفة، وعندها ستت..ر الأرضية الواقعية لتطورات إيجابية مع هذه الأنظمة

من المراقبة إلى حفظ السلام

*** التعزيزات التي قامت بها قوات الأمم المتحدة «اليونيكوم» على الحدود الكويتية العراقية أخيرا، هل لها علاقة بالتحرشات العراقية على الحدود، ومحاولة الاجتياز التي قامت بها المجموعات العراقية لمنطقة المزارع في أم قصر والعبدلي؟.**

ـ القرار الصادر من مجلس الأمن بشأن إنشاء قوات مراقبة دولية على جانبي الحدود الدولية بين الكويت والعراق بعمق خمسة كيلومترات في الأراضي الكويتية، وعشرة في الأراضي العراقية توافرت لتنفيذه الظروف المواتية إذ ذاك.

ومع ازدياد حالات التسلل والعداء تجاه الكويت والقوات الدولية من قبل النظام العراقي، قررت الأمم المتحدة ضرورة تحول تسمية ومهام تلك القوات من قوات مراقبة إلى قوات حفظ السلام، واستتبع ذلك تغييرا في مهامها وأهدافها وتسليحها وزيادة عددها. وهناك أكثر من ١٧ جنسية تشارك في هذه القوات، وقوامها الأساسي الآن من الأصدقاء في بنغلاديش، كما تتميز هذه القوات بوجود ممثلين مباشرين عن الدول الخمس الدائمة العضوية بمجلس الأمن، مما يعطيها الوزن والأهمية والحسم بصورة أكبر.

***كم حجم التعويضات التي عرضتها الكويت لأصحاب المزارع العراقيين الذين**



دخلت مـزارعهم في القسم الكـويتي بعـد الترسيم؟.

ـ كلفت الأمم المتحدة مؤسسة من السويد تـدعمها أخرى من نيوزيلندا لإجراء حصر بالمساحات والمنشآت والجهـود في الأراضي التي استعـادتها الكـويت بعـد استغلال النظـام العـراقي لها، ابتداء من عـام ٧٣ بعـد عدوانه على مطقة الصـامتـة وذلك بهدف وضع تقييم لتلك المنشآت، ويأتي تشكل هـذا الفريق استجـابـة من الأمين العام للأمم المتحدة لمقترح كـويتي يأخذ بالاعتبار الجوانب الإنسانية لهؤلاء الذين زج بهم النظام العراقي الى هذه المناطق. وعلى الرغم من معـرفتنا بأنهم موظفون لدى هذا النظـام، إلا أن الكويت تعـالت على جراحهـا وابدت استعدادها للتعويض. هـذا وقد رفع السيد هامر تقريره إلى الأمم المتحـدة ويشتمل على أكثر من سبعمائة صفحة، ولحرص الكـويت على الانتهاء من ذيـول هـذا الموضوع فقد أبـدينا الاستعداد لدفع التعـويض المطلوب ولكن مـن المضحك المبكي أن التقـديـــرات وضعت بالدينار العـراقي وتواجه اللجنة الدولية المكلفـة بالمتابعة مشكلة إيجاد البنك الذي يقبل بإيداع هـذه المبالغ بالعملة العراقية التي فقدت سعر صرفها تماما.

قبعات زرقاء

* ما هـو حجم المبالغ التي تقدمهـا الكويت لقـوات الأمم المتحـدة مسـاهمة في صنـدوق اليونيكـوم، وما هي التسهيلات اللـوجيستية التي تقدمها الكويت؟.

ـ يفترض أن تتحمل الكـويت نصيبهــا من تكـاليف عمليـة المراقبة وحفظ السـلام كأي دولة عضـو في الأمم المتحـدة، ولكن مسـاهمة من الكـويت في دعم عمليـات حفظ السـلام المتعـددة في العـالم فإنها تـولي اهتمامـا أكبر للقوات التي جـاءت من دول العالم كي تـراقب وتحفظ السلام على جانبي الحدود. ومن هنا فإن الكويت وفرت لها معسكـرات الإيـواء وتحملت نصف أسعار الـوقـود، وهيأت الكثير من التسهيـلات لهؤلاء الـرجال الـدوليين ذوي القبعات الزرقاء، وقـد بلغت مساهمات الكويت ما يقـرب من ثلثي ميـزانية تمويل هـذه القـوات، وهي الآن مـوضع تقـدير كبير مـن الأمم المتحدة ورجـالها، وهـذه المساهمة بمثابة رمز لامتنان وتقـدير الكويت للدور الذي قامت وتقوم به الأمم المتحدة في حفظ الأمن والسلام في هذه المنطقة المهمة من العالم.

أهداف سياسية

* أين وصلت اجتماعـات دول التحـالف في جنيف فيها يتعلـق بتطبيق قـــرارات مجلس الأمن بخصوص حرب الخليج؟.

ــ اجتماع دول التحالف في جنيف لا عـلاقة لـه بتطبيق القرارات الدولية مباشرة، فاللجنة الممثلة لقوات التحالف الأساسيـة وهي السعودية وفـرنسا وبـريطانيا والـولايات المتحـــدة والكـويت، اجتمعت هنـــاك لبحث مـوضـــوع الأسرى الكويتيين لدى النظـام العراقي، ومن المؤسف أن يصر هذا النظام على التغيب عن حضور هذه الاجتماعات تهربا من المواجهـة، وإمعانـا في الاحتفاظ بأسراهـا، وعدم الكشف عن مفقـودينا، تحقيقـا لأهدافـه السياسيـة ودون اعتبار للظروف الإنسانية لهؤلاء الأسرى وعائلاتهم.

مرتكزات أساسية

* السياسـة الكويتيـة الخارجية بعـد العدوان العـراقي والانقســام الحاد الـذي حـدث في الجسم العربي.. مـا هي توجهاتها وعنـاصرها ومرتكزاتها؟.

ـ من المؤكـد أن هناك أولـويات في سياسـة أي دولة

■ الأحـداث التـي داهمت الكـويت أثبتت الـدور الفـاعل لـدول مجلس التعـــاون اجتماعيـــا وأمنيـــا وسيـــاسيـــا

■ غزو الكويت كـان امتحانا عسيرا لمن وقّعوا على اتفاقيـة الدفاع العـــربي المشترك ولم يلتـــزمـــوا بـــالـــوفـــاء بها

[illegible]



*** ما هو الدور الـذي يمكن أن تلعبه منظومة مجلس التعـاون الخليجي في حماية أمن منطقـة الخليج من أي تهديـد خـارجـي لـه شـاكلـة العدوان العراقي؟.**

ـ في البـدء لا بد من القـول إن دول مجلس التعاون ليست وحـدهـا المسئولـة عـن أمن الخليج، فجميع الدول المطلة على هـذه المياه أو القريبة منهـا تقع عليها مسئولية أمن المنطقـة واستقـرارهـا بما فيهـا إيـران والعـراق، ولكن عنـدما يصـدر العـدوان من النظـام العراقي الذي يفترض أنه يمثل دولة تطل على الخليج العربي وتحمل مسئولة أخلاقية في الحفاظ على العهود مع جيرانها وعلى احترام السيـادة والأمـن في المطقـة، فإنها بـذلك تنسف معنى الأمن الجماعـي في حمايـة المطقـة، وتدفعنـا للبحث عن أمننا من خـلال الصيغ الدولية، وهذا مـا يحدث الآن في المنطقة. وبالطبع فإن على دول مجلس التعـاون مسئـوليـة رفع قـدراتها العسكريـة للدرجة التي تمكنهـا من الوقـوف أمام أي عدوان خـارجي، وحتى تصل إلى تلك الـدرجة فإنها تحتاج لجهود متواصله من البناء البشري والتقني وهي بوضعهـا الحالي تحتـاج إلى دعم ثـاني مع دول ذات قـدرات عاليـة إلى حين تمكنهـا من الـدفاع عن نفسهـا مجتمعة وضمن قيادة موحدة وتنسيق كامل.

مبادىء إعلان دمشق

*** ماذا بخصوص إعلان دمشق، هل ما زالت الدول الثماني متمسكة بمبادىء هذا الإعلان، أم أن هنـاك رأيـا ووجهـة نظـر بهذا الخصوص؟.**

ـ إعلان دمشق صيغة متقدمة للتعاون العربي تقوم على أسس ومبادىء تتحاشى بعض الثغرات في ميثاق الجامعة العربيـة، وذلك ليس قصـورا في الميثاق عنـدمـا وضعـه المؤسسون الأوائل، ولكن عـدم تطوره أو تطويـره مع ما استجد على الحياة السياسيـة والاقتصادية عبر نصف قرن جعل إعـلان دمشق صيغـة متقـدمـة، أو محاولـة عـربيـة لاحتـواء عناصر جـديدة في مفـردات المبـادىء العربيـة، الميثاق بحد ذاته ليس بديـلا عن مبادىء الجامعة العربية إنما هو روح جديدة يفترض أن تـؤثر في ميثاق الجامعة، هذا ما نصت عليه كثير من الفقرات في هذا الإعلان.

ولعل محنـة الغزو العـراقي واحتلالـه لدولـة عربيـة جارة كبلدي، والممارسات البشعة التي عانى منها شعبنا بصورة لم يسجلهـا التاريخ العربي عبر عـدوان من دولة كـانت الكويت تنتظـر منها أن تكـون سندا وظهـرا لها وللخليج العـربي، تلك الصـدمـة أوضحت المواقف وامتحنت مقولات المبادىء فكانت سوريا ومصر وهما القلب والتـاريخ العـربي مع دول مجلس التعـاون في مـوقف واحـد تجاه العـدوان، ورفض مـبدأ الغـزو وعنجهية الاحتـلال، ولعله امتحان عسير لمن تعـاقدوا على اتفاقية الدفاع العربي المشترك ولم يلتزموا بالوفاء بها في هذه المحنة التي ابتليت بها الكويت والمطقة بأكملها.

وإني أعتقـد بأن هـذا الإعـلان المتضمن للمبـادىء والأهـداف والإطـار التنظيمـي للتنسيق والتعـاون يفترض أن يتسع ليتكامل مع ميثاق الجامعة في تطلعاتها عند البدء في دراسـة إدخال التعديلات عليـه، فإعلان دمشق لا يفترض ولا يمكن أن يشكل تكتـلا ثالثـا بين الجامعـة ومجلس التعاون بل يمكن أن يكـون جسرا للتعاون الأوثق وصولا للصيغة الواحدة.

ترتيبات ثنائية

*** إيران.. هل سيُنظر إليهـا كدولة شريكة في أمن الخليج، أم هـي خـارج هـذا الإطـار؟ ولماذا؟.**

ـ إيـران كغيرها من الدول المطلـة على الخليج العربي سـواء دول مجلس التعـاون الست أو حتى العـراق شريكـة في أمن الخليج، إذ لا يمكن أن أتصـور أمنـا متكـامـلا في المنطقة دون إيـران أو العـراق، ولكن أي إيـران وأي عـراق، فـالأمن هـو المسئـوليـة المتكـافئـة والرغبة الصادقـة في بناء مستقبل آمن للأجيال يستطيع فيـه الفرد أن يـوظف كل طاقـاتـه بحريـة ومسئوليـة، يستظل بنظام يقوم على احترام الفرد يشارك فيه الجميع دون تفرد أو تحكم حزبي أو فردي أو أيديولوجي، بهذا الأسلوب تتعايش الشعوب لتبني حاضرها ومستقبلها بثقـة وفـرح وفكر وإيمان، ولكن هل النظـام العـراقي الحالي يمكن أن يكـون مـؤتمنـا على هـذه المبـادىء والتـوجهـات؟ إنـه لم يوفـر الأمن لشعبـه أو جيرانـه، فكيف يستطيع أن يشترك مع الآخـرين في بناء منطقـة آمنة، وفي غيـاب هذه المعادلـة يصبح أمن كل دولة من دول الخليج غير مكتمل تمامـا، ومـن هنـا بحثت دول مجلس التعاون عن ذاتها محاولة إيجاد تـرتيبات أمنها من

خلال المجلس والترتيبات الثنائية إلى أن يهيء الله سبحانه وتعالى الظروف لقيام أنظمة تحترم المبادىء الدولية في علاقاتها وتعاملها مع شعوبها أو جيرانها.

قضية الأسرى

*** قضية الأسرى الكويتيين لدى النظام العراقي.. لماذا تركت الحكومة لجهات أخرى في الدولة مهمة متابعتها، وهل القضية لها أولوية في السياسة الكويتية الخارجية؟.**

- أسرانا لدى العراق هم الجرح النازف في كل بيت كويتي وهم الامتحان الذي كاد أن يسقط فيه جميع مدّعي الفكر العربي ودعاة حقوق الإنسان العرب، إذ كيف نصمت عن مصير أكثر من ٦٤٠ أسيرا ومفقودا لدى نظام يتعامل مع هذه القضية الإنسانية على أساس أنها سياسة بينما نشهد الكثير من رحالات وبرلمانات العالم الأجنبي ممن يهتم بهذه القضية، ومن الطبيعي أن نفرغ لجنة وطنية خاصة لمتابعة تلك القضية وطنيا ودوليا، وذلك لا يعني أي طرف أو فرد من حمل هذا الهم وتلك المسئولية.

كما أن قضية أسرانا ومفقودينا هي أحد محاور الجهود الرئيسية في سياستنا الخارجية والداخلية، إذ إنها وغيرها من القضايا المهمة التي يحدد إطارها قرارات مجلس الأمن والقرارات اللاحقة في المنظمات الدولية والعربية والإقليمية. ونظرا لحساسيتها فيتم التعامل معها رسميا بأسلوب يفصل فيه البعد عن الأضواء.

غزة وأريحا

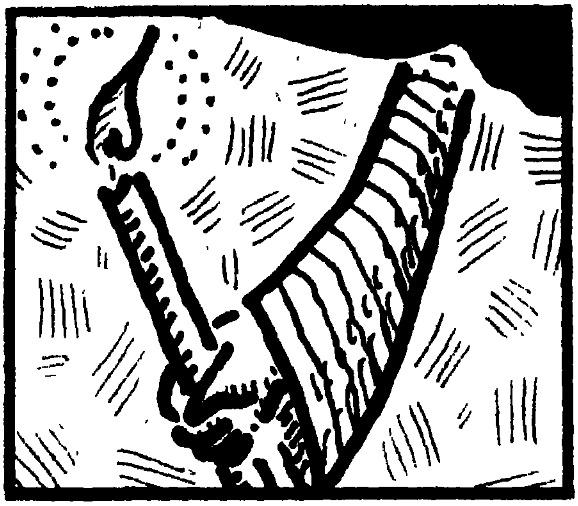
*** اتخذ مجلس التعاون الخليجي - والكويت عضو فاعل في هذه المنظومة - اتخذ قرارا بتأييد ما يسمى في السياسة باتفاق «غزة - أريحا» هل الكويت ستكون من الدول الأولى التي ستعترف في حال قيام دولة فلسطينية أو بمجرد إعلانها، بهذه الدولة، وأيضا هل ستعترف بإسرائيل كدولة لها كيانها وسيادتها؟.**

- القضية الفلسطينية عشناها كما عاشها أي عربي ومسلم مخلص واستضفنا مشرديها ولاجئيها في مراحل اللجوء الثلاث، وصدمنا بموقف قيادات المنظمة في دعمها للاحتلال العراقي دون أخلاق أو وفاء. ولكن الكويت تتعامل مع القضية والشعب وليس مع هذه النوعية من القيادات، من هنا كان الثبات على الموقف والمبدأ المتمثل في دعم ما يتفق عليه الفلسطينيون فهي قضيتهم أولا وأخيرا، ولا يمكن أن نتخذ موقفا يتعارض مع قرارهم. ومن هنا بادرنا في مجلس التعاون وفي الأمم المتحدة ومن خلال الجهود الدوليه للتأييد السياسي والدعم المادي، ومن الطبيعي أن نكون بين المؤيدين لقيام الدولة الفلسطينية، لأن ذلك هو الهدف الذي ساهمنا من أجله في كل الجهود العربية والدولية، أما قضية الاعتراف بإسرائيل فإن موقفنا منها هو الدعم للموقف الفلسطيني، فعندما تقوم الدولة الفلسطينية بعد نواة غزة - أريحا وقلبها بيت المقدس الشريف، ويتم الاعتراف المتبادل بين الدولتين العربية والفلسطينية تصبح علاقتنا مع إسرائيل كعلاقتنا مع أي دولة أخرى في العالم وعندها تصبح العلاقات الدبلوماسية من عدمها قضية ثنائية، وتتحدد معها طبيعة العلاقات على ضوء احترام السيادة والتعايش والمصلحة.

رفع المقاطعة

*** لقد أثير في الصحافة الغربية وأيضا في بعض الصحف العربية أن الكويت قد رفعت شروط مقاطعة البضائع الإسرائيلية، ما مدى صحة ودقة هذه الأخبار، وإلى أي حد خفضت الكويت من قيود المقاطعة على هذه البضائع؟.**

- قضية المقاطعة لإسرائيل هي حق سياسي لنا كعرب يأتي في سياق تدعيم الموقف الفلسطيني والسوري واللبناني، وهي الدول المتضررة مباشرة من الاحتلال الإسرائيلي، ويطبق على عدد من الدول الخارجة على القانون، كما كان الحال مع جنوب إفريقيا، وكما هو الحال مع النظام العراقي، أو يتخذ إقليميا كمقاطعة أمريكا لكوبا، وهكذا.. وقرار المقاطعة هو قرار الجامعة العربية، ودولة الكويت ودول الخليج هي - بلا منازع - في مقدمة من يحترم التزاماته تجاه المقاطعة، ولم ولن يطرأ أي تغيير على موقفنا منفردين، هذا هو موقفنا قولا وعملا، وما عدا ذلك فإنه أمر لا يستحق التعليق. □



١٢٠ عاما على وفاة الطهطاوي : من التنـــويـــر إلى الحريـــة

بقلم : الـــدكتـــور جـــابـــر عصفـــور

ـاعة رافع الطهطاوي «١٨٠١ ــ ١٨٧٣» رائد التنويـر بلا منـازع، وبشير ـتقدم، ومؤسس النهضة العربية الفكرية الحديثة بلا جدال، يتردد اسمه منذ ـشهر في الأوساط العربية التي تهتم بالتنوير وتدافع عنه، في مواجهة حـائل الإظلام، وذلك بمناسبة مرور مائة وعشرين عامـا على وفاته.

احتفلت طهطا موطنه الأصلي في الصعيد «الحواني» بهذا المولد، تذكرت المكتبة التي ـمت باسمه في قصره، وتم تزيينها، وإعادة ـسيسها، وتحركت فرقة مسرحية واعدة، تقدم ـسرحية نعمان عاشور عن «بشير التقدم»، وهي سرد ـلحمي لحياة الشيخ رفاعة الطهطاوي، وتذكرت ـعواصم العربية كلها الرجل الذي استهل الاستنارة ـسدما وضع أول لبنة في صرح التعليم الحديث، ـانبعث أول جريدة ـ مجلة واعدة، وأسس مدرسة ـلألسن، وتخرّج على يديه عشرات من المترجمين ـلأكفاء الذين تحولوا إلى أعلام النهضة، وكتب في كل فروع المعارف الحديثة التي رأى فيها وسيلة للنهوض بأوطان العرب، والانتقال بها من وهاد التخلف إلى ذرى التقدم، وصاغ ثمرة أول لقاء حدبث بين الشرق المتطلع إلى النهضة والغرب المتقدم، وذلك في عمله البديع «تخليص الإبريز في وصف باريز»، وترجم أول رواية حديثة إلى اللغة العربية، وهي رواية سياسية، تهدف إلى تنوير أولي الأمر، وتثقيفهم بأصول الحكم العادل، وهي رواية «مغامرات تليماك» للكاتب فنلون «١٦٥١ ـ ١٧١٥» التي أصدرها في باريس عام ١٦٩٩ ليعلّم ولي عهد فرنسا مسئوليات الحاكم وواجبات الملك، بواسطة

استعداد تاريخ اليونان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ١٨٥٠ - ١٩٠٣ [illegible]
[illegible]

آفاق عصر جديد

[illegible]


حلمى التونى
94

الظلم، وكانت البداية يوم أن جلس في غرفته المتواضعة، في مدينة باريس، بيده قلم، وفي صدره حماسة الخارجين من الثورة الفرنسية، وأمام عينيه وثائق يتعلم منها معنى العدل في سوس الأمم، هكذا، ترجم ما عرفه عن تدبير الدولة الفرنسية هدية إلى شعبه العربي المسلم، ووصية إلى ولي النعم محمد علي الذي أرسله ليتعلم من الفرنسيس أسباب تقدمهم.

أول دستور باللغة العربية

ولم يكن من المصادفة ـ والأمر كذلك ــ أن يكون أول «دستور» باللغة العربية هو الدستور الذى ترجمه



رفاعة الطهطاوي في أواخر الثلث الأول من القرن التاسع عشر، قبل عودته إلى مصر عام ١٨٣١، وهو الدستور الذي يؤكد أن ملك فرنسا ـ ومن ثم كل ملك ـ ليس مطلق التصرف، وأن لويز الثامن عشر «بضم اللام وكسر الواو» الذي ألّف هذا الدستور القانون الذي أسماه «الشرطه» La Sharte يمكن أن يكون مثالا يحتذى، هذا الدستور وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى، يؤكد أن العقول البشرية يمكن أن تهتدي بذاتها إلى أن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد، فالعدل أساس العمران، ولا عمارة إلا بالعدل، وأنفع الأشياء في تدبير المملكة تسديدها بالعدل، وأول مادة في هذا الدستور أن البشر متساوون أمام القانون، وأن من حق كل واحد منهم الوصول إ أي منصب أو رتبة، ويعني ذلك أن الدعوى الشرع تقام على الملك وتنفذ عليه الحكم كغيره، وأن معن الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الأحكـ والقوانين، بحيث لا يجور الحاكم على إنسان، وأ حرية كل إنسان مباحة، وحقه مكفول في أن يظه رأيه وعلمه وسائر ما يخطر بباله، مما لا يضر غيره، فيعلم الإنسان سائر ما في نفس صاحبه خصوص الورقات اليومية المسماة بـ«الجورنالات» و«الكازيطات» «الأولى جمع «جرنال» (جريده)، والثانية جمع «كازيطة» (مجلة)». فإن الإنسان يعرف منها سائر الأخبار المتجددة سواء كانت داخلية أو خارجية، أي داخل المملكة وخارجها.

وإذا كانت الترجمة هي قناع الشيخ رفاعة الذي تخفى وراءه ونقل كل ما كان يريد توصيله إلى من يطالع ما كتب، تأكيدا لحلمه الجميل في أن ينقل أمته من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية، فإن الكتابة الذاتية كانت وسيلة موازية لهذا القناع، لقد بدأت رحلته التنويرية بالرحلة إلى فرنسا وقبل الرحله نبهه أستاذه الجليل الشيخ حسن العطار إلى ضرورة تدوين مشاهده في كتاب، هكذا انبثقت فكرة «تخليص الإبريز في وصف باريز»، وذلك بالمعنى الذي جعل الكتاب استخلاصا لأسباب تقدم الفرنسيين، ووصفا للمظاهر الفعليه لهذا التقدم، وكما كان السفر «مرآة الأعاجيب» على نحو ما قال الشيخ حسن العطار في تقديمه كتاب تلميذه بعد أن فرغ منه وعاد إلى مستقره، كان السفر تحولا للوعي، وتغيرا في الفكر، وارتحالا من منظور إلى منظور، وكانت الكتابة تسجيلا لهذا التحول، خطوة، خطوة.

حث ديار الإسلام

ويبدأ «تخليص الإبريز» حركته من القاهرة، ومن ولي النعم الذي سهل الدخول في وظيفة واعظ في العساكر الجهادية، ثم منها إلى رتبة مبعوث إلى باريس صحبة الأفندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية، وقبل أن تنقلب الصفحة الأولى من الكتاب، ونغادر القاهرة، يؤكد لنا الشيخ الشاب الواعظ الذي صار مبعوثا أن هدفه

من الكتاب هو حث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع، فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع، والحق أحق أن يتبع، ويعلن الشيخ الشاب في حسرة خلاصة الرحلة، من قبل أن تبدأ أوراق وصفها، كأنه يستبق النتيجة التي لا يصبر عليها، وبقول مقسما: «ولعمر الله إنني مدة إقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الإسلام منه». هذه العبارة هي مفتاح الكتاب كله ومفتاح جهد رفاعة في حياته كلها.

كيف نصل ببلاد المسلمين إلى التقدم الذي وصلت إليه بلاد الفرنجة؟ ذلك هو السؤال الذي استهل به رفاعة الرحلة، وكان «تخليص الإبريز» هو البداية، و«وصف باريز» هو المنطلق، وكان أول الإجابة مرتبطا بإعمال العقل - لا النقل - في تحصيل المعرفة، وإطلاق سراح العقل في التجريب والإبداع دون حجر عليه، ودون تعلل بالقشور، أو الجمود الذي يعوق حركة العقل ويشله، وتمضي الإجابة التي تقرن العمل بالعلم الذي لا يفصل بين المصنع والمعمل، ويتأسس بالمكتبة والمحرر، ويسمو بالأكاديمية الحرة والمؤسسة التعلمية المستقلة، ويتضافر العقل والعلم مع العدل والمساواة في معاملة الحاكم للمحكوم، ومعاملة المواطن للمواطن، ويتأسس ذلك كله بالفصل بين السلطات وخضوع الجميع إلى الدستور والقانون، وحين تتأكد الحرية بوصفها القيمة التي تنطوي عليها قيم العدل والمساواة والعلم والعقل تتأكد التقدم في المجتمع، وتكتمل إجابة رفاعة عن السؤال.

ولم يكن مصادفة أن يبدأ رفاعة الفصل الأول من المقالة الثانية «من تخليص الإبريز» ساخرا دون أن يعلن سخريته، وينهي الكتاب في الخاتمة مهاجما دون أن يعلن هجومه، وفي كلا الحالين، كان يؤكد قيمة العقل في أكثر سياقاته حساسية لعصره، يتوقف قبل أن يصف دخوله إلى مدينة مرسيليا، أي وهو في الأعراف الفاصلة بين شرقه المتخلف والغرب المتقدم الذاهب إليه، يتوقف رفاعة، والسفينة تنتظر في الحجر الصحي «الكرنتينة» ليذكر ما قيل له عن مناظرات بعض فقهاء المغرب، فقد وقعت الواقعة بين العلامة الشيخ محمد المناعي التونسي المالكي المدرس بجامع الزيتونة ومفتي الحنفية العلامة الشيخ محمد البيرم، وذلك حول الحجر الصحي «الكرنتينة» أمباح هو أم حرام؟ أما الأول فذهب إلى التحريم مؤكدا أن الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء، وذهب الثاني إلى الإباحة والوجوب مستدلا على ذلك من الكتاب والسنة، ويصمت رفاعه عن التعليق لكن وصفه للكرنتينة يغني عن كل تعليق.

النساء عند الإفرنج

وتغادر سفينة رفاعة الأعراف ويصل إلى باريس، ويتعلم، ويسجل خلاصة ما تعلم، لكنه، وهو يختم كتابه، يتوقف عند المرأة الفرنسية، فينصفها، ويؤكد صورتها الجميلة في إبداع الفنون وإتقان العلوم، ويقول لنا إن السؤال يقع كثيرا من جميع الناس على حالة النساء عند الإفرنج، ويجيب رفاعة عن السؤال بقوله: «إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين»، ولا يعلن رفاعة عن من تقع عنده «اللخبطة» لكن سياق كتابه يوضح المقصود، وأهم من ذلك يوضح حلمه في أن تصبح النساء في وطنه «حسان المسايرة» لا يختلفن عن الذكور في تحصيل المنافع والفوائد، خصوصا بعد أن علمته باريس «أن للنساء تآليف عظيمة، ومنهن مترجمات للكتب من لغة إلى أخرى، مع حسن العبارات وسبكها وجودتها»، كما تعلم أنه لا يليق للمرء أن يسأل عن جمال المرأة وحده بل «عن عقل المرأة وقريحتها وفهمها وعن معرفتها».

ولم تكن مصادفة - والأمر كذلك - أن أول كتاب يترجمه رفاعة في باريس يحمل عنوان «قلائد المفاخر في عريب عوائد الأوائل والأواخر»، ونقرأ فيه أنه «كلما كثر احترام النساء عند قوم كثر أدبهم وظرافتهم، فعدم توفية النساء حقوقهن، فيما ينبغي لهن الحرية فيه، دليل على الطبيعة البربرية»، ولم تكن مصادفة أن آخر كتاب أخرجه قلم رفاعة كان «المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين»، وهو الكتاب الذي طبع في العام الذي افتتحت فيه أول مدرسة لتعليم البنات، وهو العام نفسه الذي توفي فيه رفاعة الطهطاوي رائد التنوير الأول عام ١٨٧٣. □

أرقـــــام

بقلم: محمود المراغي

العالم يتثاءب!

يوما بعد يوم تتزايد الصيحات: نحن أمام عالم واحد، الحدود أصبحت وهمية، والاتصال لا بد أن يكون وثيقا، ليس من خلال التكتلات الاقتصادية فقط، ولكن من خلال حدود مفتوحة بين كل دول العالم.

آخر هذه الصيحات اتفاقية التجارة والتعريفات الجمركية المعروفة باسم «الجات» التي استمرت مفاوضاتها ثماني جولات حتى نهاية ١٩٩٣، وتم الاتفاق في الجولة الأخيرة على أن يتم التوقيع في أبريل ١٩٩٤.

حينذاك قال قادة المؤتمر الذي ضم «١١٧» دولة: «إننا أمام منعطف مهم، فحرية التجارة وتخفيض الرسوم الجمركية أو إلغاؤها، سوف يكون أداة لتحريك الركود الذي يسود العالم».

هكذا كان التصور في نهاية ١٩٩٣، فهل كان صحيحا؟ هل يتحرك العالم.. أم أنه يمضي في تثاؤبه؟.

الرجوع للخلف

يقول تقرير التجارة والتنمية الصادر عن الأمم المتحدة في النصف الثاني من عام ٩٣ إن متوسط النمو في الناتج العالمي كان «٣ر٢٪» سنويا في الثمانينيات، لكن التسعينيات شيء آخر، هبطت نسبة النمو في عامها الأول «٩١» إلى أقل من نصف في المائة «بالتحديد ٤ر٠٪»، ثم ارتفعت قليلا في العام التالي لتصبح ٤ر١٪، وهو نفس الرقم المتوقع لعام ١٩٩٣

في التفاصيل، نجد أن اليابان كانت تقف على رأس الدول المتقدمة فارتفع ناتجها لأكثر من ٤٪ في الثمانينيات وبداية التسعينيات، لكنها سرعان ما تراجعت حتى أصبحت نسبة النمو المتوقعة لعام ٩٣ «١٪».

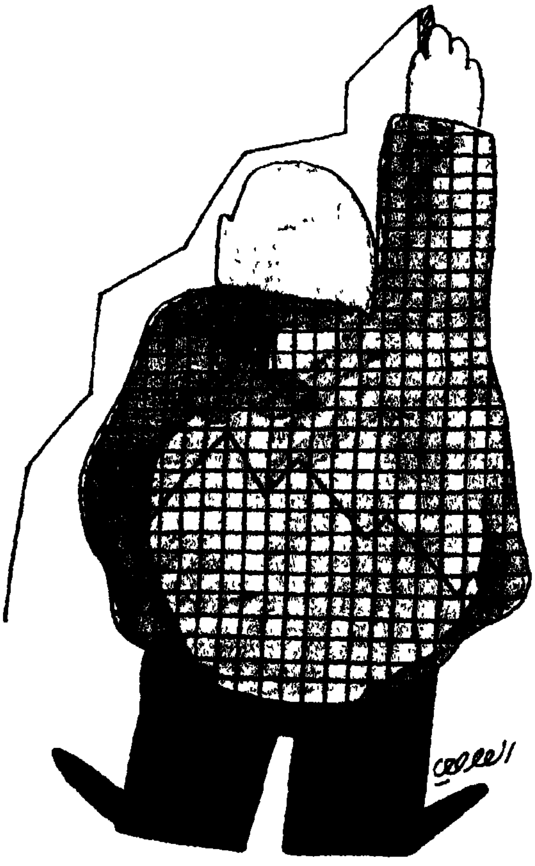
وعلى الجانب الآخر كان الأكثر هبوطا: وسط وشرق أوربا، فبعد أن كان النمو إيجابيا في الثمانينيات، أصبح النمو سلبيا في التسعينيات، فسجل هبوطا قدره «٩ر١٥٪».. وبين الاثنين الأكثر نموا في الدول المتقدمة، والأقل نموا، تقف الولايات المتحدة التي يتحسن اقتصادها وتقف أوربا الغربية التي ذهبت التوقعات لأن يكون نموها بالسالب عام ١٩٩٣.

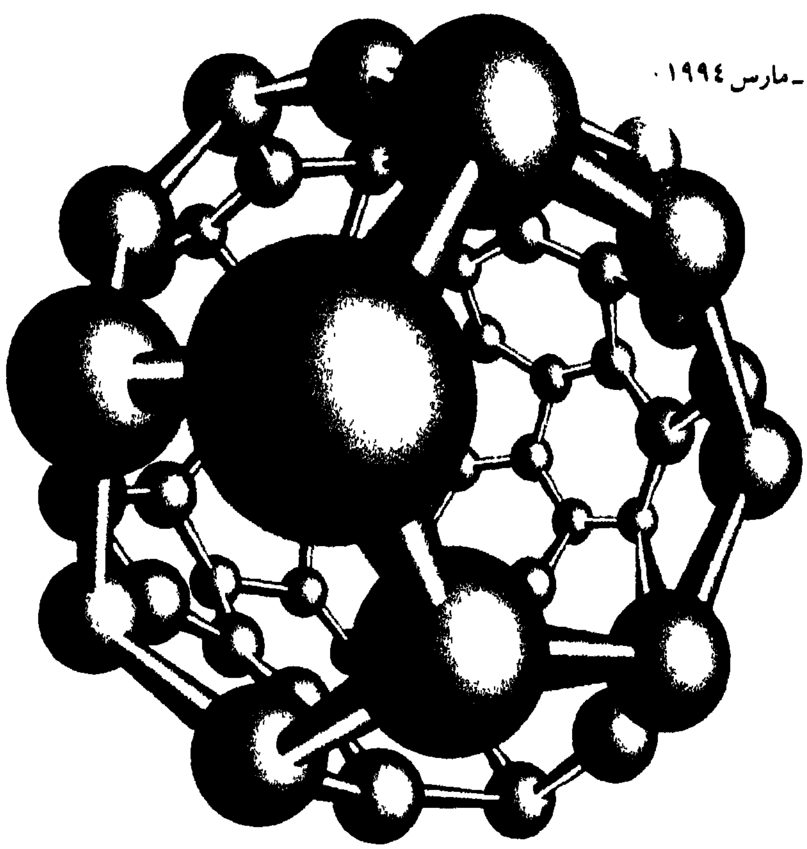
الدول النامية ـ وإذا أخذنا بالنسب المجردة ـ أفضل حالا فنسبة النمو المتوقعة لذلك العام هي: ٦ر٤٪.. وأعلى نسبة للنمو كانت للصين عام ٩٢: «٨ر١٢٪». ولكن لأن الدول الصناعية المتقدمة تحوز وحدها ٥٤٪ من حجم إنتاج العالم، فإن مركز الثقل هناك في الشمال، إذا بدأ الركود فيه ساد العالم، وإذا بدأ الانتعاش انطلق العالم كله.

في التفسير، تصبح حالة أوربا الشرقية واضحة، فعدم الاستقرار السياسي صحبته حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي، والتحول لسياسات اقتصادية جديدة صحبه تراجع في الأداء لمختلف القطاعات الاقتصادية.

نفس الشيء في مواقع التوتر مثل الجمهوريات السوفييتية وجمهوريات يوغسلافيا السابقة، وأفغانستان وبلدان إفريقيه عديدة.

في الدول المتقدمة تختلف الأسباب، ولكن تطفو على





□ كرة باكي أو الجزيء السحري ك - ٦٠

جزيء الكربون السحري

بقلـــم: رءوف وصفـــي

تحدث في الـــوقت الحاضر ثـــورة في الكيميـاء، قـوامهـا جـزيء عجيب من الكربـون اكتشف منذ عـدة سنوات، وفي كل يوم يتضح ان له استخدامات مذهلة، إنـه الجزيء الضخم الـذي أطلق عليـه رسميا «باكمينستر فلورين» وذلك تيمنا باسم المهندس الأمريكـي الذي ابتكر قبة ذات شكل هنـدسي تشبـه تمامـا تجسيما هـــائلا لهذا الجزيء الجديـــد.

■ يطلق الكيميائيـون على هذا الجزيء الجديد «كـرة بـاكي» Bucky Ball اختصـــارا أو ك - ٦٠، إذ إن هـذا الجزيء العمـلاق يتكـون من ستين ذرة ذات تـركيب هندسي فـريـد ومستقـر يشبه كـرة القدم المجوفة، ومنذ اكتشافه وهو في بؤرة الاهتمام في الأوسـاط العلمية، إذ تبين أنـه يمكن استخدامـه في صنـاعـة بطـاريـات بـالغـة القـوة ووقـودا جبـارا للصواريخ ومركبات الفضاء وفي الرقاقات المتطورة للكمبيوتر ومـوصلات فائقة وفي اللـدائن الصناعية وحتى في عـــلاج السرطـــان، والعـــديـــد من الاستخدامات الأخرى، وفتح ذلك الباب على مجال جديد تماما في علم الكيمياء.

لقد جاء اكتشاف نوع جـديد من الكربون مفاجأة

مدهشة لمعظم العلماء، فالكربون أكثر العناصر التي خصصت للبحث العلمي المكثف لأنه الأساس في معظم الجزيئات العضوية. ولتقدير مدى أهمية هذا الاكتشاف الحديث، سوف نلقي الضوء أولا على الجرافيت والألماس كصورتين من صور الكربون النقي.

الجرافيت أكثر صور الكربون شيوعا، ويوجد في شكل صلب أسود ناعم الملمس حيث ترتب ذراته في شكل طبقات مسطحة، يمكن أن تنزلق على بعضها البعض. ومن ثم يمكن استخدام الجرافيت بكفاءة في تشحيم الآلات. ويصنع من الجرافيت الأقلام الرصاص، ولأنه موصل للكهرباء فهو يصلح لصناعة الأقطاب الكهربائية. كما يوصل الجرافيت الحرارة ولا يتحد بالمواد الكيميائية الأخرى إلا في درجات الحرارة العالية، ومن ثم فكثير من الأوعية التي تصهر فيها المعادن، تصنع من الجرافيت. وكذلك يستخدم الجرافيت في المفاعلات النووية لبطء من سرعة النيوترونات ومن ثم تعمل المفاعلات بكفاءة أكثر.

أما الألماس فيتكون من بلورات فائقة الصلادة متلألئة وعديمة اللون. والألماس جزيء عملاق تتكون من ذرات كربون، كل منها يلتحم بأربع ذرات أخرى. لتكوين أركان التركيب الهرمي المسمى «الهرم الرباعي المنتظم». ولا يذوب في الأحماض، ولكنه لو تعرض لحرارة عالية ومع وجود الأكسوجين يحترق ويتحول إلى ثاني أكسيد الكربون، وإذا سخّن دون وجود الأكسوجين فسوف يتحول الى جرافيت. وأصبح الألماس يستخدم في بعض أجزاء محركات السيارات والطائرات الحديثة بسبب صلادته الشديدة التي تنتج عن تركيبه الذري الفريد.

واتضح للعلماء أخيرا تركيب جزيء الكربون العملاق الجديد، الذي نتج من التحام ٦٠ ذرة كربون (ك ـ ٦٠) مع بعضها البعض لتكوين هيكل كروي الشكل ذي ١٢ مضلعا خماسيا و٢٠ وجها سداسيا على سطحه يشبه كرة القدم المجوفة. كما ثبت أيضا أنه عند وجود عدد كبير من مثل هذه الجزيئات الضخمة، فإنها تتبلور (أي تتحد شكلا محددا) في كيان صلب ذي شبكات متكدسة منتظمة مكونة من جزيئات ك ـ ٦٠ أي كرات باكي، وتكون له درجة عالية مدهشة من التماثل. والاسم الشائع لهذا الكيان هو كرة القدم ذات الستين رأسا (رأس واحد لكل ذرة كربون في الجزيء ك ـ ٦٠) وكل ذرة كربون ترتبط كيميائيا بثلاث درات كربون أخرى، بحيث تكوّن كل رابطة حافة في سداسيين كما تكوّن كل رابطتين حافتي خماسي وسداسي.

وجميع ذرات الكربون متكافئة من حيث التماثل وتشكل سطحا مغلقا، مكونا من مجموعة من الأضلاع الخماسية والسداسية المنتظمة.

وتصنع كرات باكي عندما تصطدم ذرات كربون ساخنة جدا وشظايا الجرافيت بعضها بالبعض. وتلتف شظايا الجرافيت لأن الذرات الموجودة في الحواف المتآكلة لطبقاتها الرقيقة، تكون متلهفة للالتصاق بأي شيء. فإذا قُدّر لأي ذرة كربون واحدة أن تصطدم بالحافة، فيمكنها أن ترتبط بطرفين سائبين لتكوين شكل خماسي. وهذه الأشكال الخماسية تميل لجعل السطح أكثر تقوسا.

أما طبقة الأشكال السداسية ـ في شظايا الجرافيت ـ فتميل لجعل السطح مسطحا، وعندما تختلط الخماسيات والسداسيات، فإن الخماسيات تبتعد عن بعضها البعض لأن وجودها متجاورة يجعلها غير مستقرة، ومن ثم يلتف السطح إلى أعلى حتى يغلق تماما، حيث تفصل السداسيات بين الخماسيات وكذلك بين بعضها البعض. وهكذا يبدو جزيء ك ـ ٦٠ مثل كرة القدم المجوفة، وهو الجزيء الوحيد لأي عنصر منفرد يتخذ شكلا كرويا.

اكتشاف الجزيء السحري

إن القصة وراء اكتشاف كرة باكي لا تقل غرابة عن تركيبها. ففي عام ١٩٨٤ كان فريق عمل يرأسه ريتشارد سمالي الأمريكي، يدرس خواص بعض العناقيد الذرية Atomic Clusters (أكبر من الجزيئات

ولكنها أصغر من الأجسام الصلبة المرئيه) لعدة عناصر بجهاز يستخدم أشعة الليزر والموجات فوق الصوتية، واقترح عليهم أستاذ جامعي إنجليزي زائر هو هارولد كروتو، إضافة الكربون إلى قائمة العناصر تحت الدراسة، إذ كان يبحث في الأصول الممكنة لجزيئات الكربون طويلة السلسلة الموجوده في الفضاء بين النجوم، والتي ربما تكونت في أفران النجوم المعروفه باسم «العمالقه الحمر» Red Giants الغنية بالكربون.



□ أول صورة لجزيء ك ــ ٦٠ توضح كيفية ترتيب الذرات به، وتم إيقاف دورانه المروع بواسطة ذرة الأرميوم (باللون الأصفر)

وكان من رأي كروتو أن الجهاز الذي يستخدمه سمالي، قد ولّد درجات حرارة تصل إلى عشرات الآلاف من الدرجات المئوية ـ وهي تزيد على سخونه سطح العملاق الأحمر ــ كان طريقه معملية مناسبة لمحاكاة هذا الفرن الكوني، ومن ثم اختبار صحه نظريته التي كانت تتلخص في أن جزيئات الكربون الدقيقه المنتشرة بين النجوم، تمتص الضوء بطريقة مثيرة يمكن أن تساعد على فهم الكون بطريقة أفضل.

وعندما نجح فريق العمل في تحطيم الكربون، نتجت عناقيد ذرية عديدة. ولكن كان هناك شيء عجيب في «العناقيد» ذات الـ ٦٠ ذرة كربون، إذ كانت تزيد في كميتها بمقدار ثلاثة أمثال على أي عناقيد أخرى ذات عدد زوجي من الذرات.

وتساءل سمالي في دهشة: لماذا نتج هذا العدد الكبير من «عناقيد» ك ـ ٦٠؟! وكان أحد التفسيرات أن هذه العناقيد تكوّن «شطائر» كربونية أي طبقات رقيقة مستوية من المادة تحتوي على أعداد كبيرة من الذرات وتشتمل على مجموعات سداسيه شبه جرافيتية

وبمزيد من الدراسة اتضح أن ك ــ ٦٠ ليس «عنقودا من الذرات» ولكنه «جزيء» Molecule (أصغر جزء من المادة يوجد مستقلا ويحتفظ بخواص هذه المادة) وبالتحديد جزيء على شكل كرة قدم مفرغة ولعل هذه الطبقات الرقيقة المستوية، التفت حول نفسها لتكوين هذا الشكل الكروي المميز.

ولكن بعد إعلان هذا الاكتشاف المذهل في عام ١٩٨٥، وجد سمالي وكروتو وفريق العمل أنفسهم في ورطة، فلم يكن لديهم سوى أجزاء من المليجرام من الجزيء الجديد ك ــ ٦٠، وهذا لا يكفي حتى لإثبات وجوده! واستمرت الأبحاث العلمية على كرات باكي.

وفي أوائل عــام ١٩٩١ تمكن بعض الكيميائيين من إنتاج كميات كبيرة نسبيـا من الجزيء ك ـ ٦٠ تصلح للأبحاث العلميـة، تبلغ نحـو جرام واحـد يوميـا، ولكنهم يتـوقعون أنـه خلال عشر سنـوات فقط من العمل المتواصل، سـوف توحد مصـانع كبيرة لإنتاج هده الجزيئات السحرية بكميات كافية، بحيث يصل سعـر الكيلـو جـرام من كـرات بـاكـي إلى بضعـة دولارات فقط.

والطـريقـة الجديدة لاستخـلاص كـرات بـاكي، تتلخص في استخدام قوس كهربائي لتسخين قضيب كـربـوني رقيق إلى درجـة حـرارة عـاليـة في جـو من الهليـوم تحت ضغط منخفض، مما يؤدي إلى تكـوين مسحــوق نــاعم يطلق عليــه (ســاج) Soot، من الكـربون النقي يمكن منـه استخـراج جزيئـات ك ـ ٦٠. وقد أمكن أيضـا صنع تكوينـات أصغر تسمى «كـريــات بـاكي» تضـم ٣٢ ذرة فقط، ولكن لأنها تحتـوي على أشكــال خماسيــة متجــاوره فإنها أقل استقرارا بكثير. وإذا أضيف إليها عـدد من الأشكال السـداسية يمكن صنـع كمية كبيرة من الجزيئـات الأضخم ذات العـدد الزوجي من الـذرات مثل ك ـ ٧٠، ك ـ ٧٦، ـ ك ـ ٧٨، ك ـ ٨٢. وتختلف أشكال هذه الجزيئات عن ك ـ ٦٠ الفـريد، فعلى سبيل المثال الجزيء ك ـ ٧٠ يمتلك حـزاما زائدا مكـونا من ١٠ ذرات حـول خط استـوائه، مما يجعلـه ذا شكل شبـه كروي أكثـر استطالـة (بيضاوي). واتضـح أن هناك عائله كبيرة من هـذه الجزيئات الكربونيـة العملاقة، أطلق عليهــا «الفلـــوريـــات» Fullerenes تتميــز بخواص كهربية ومغناطيسية وبصرية غريبة.

وفي ربيع عـام ١٩٩١، تمكّن الكيميــائيـون لأول مـرة من التقاط صـورة لجزيء كرة بـاكي، بواسطـة الأشعة السينيـة، وبمساعدة الكمبيـوتر. وانضح من تركيبه البلـوري كيفية ترتيب الـ ٦٠ ذرة كـربون به، والتركيبات الخماسية والسداسيـة المتجاورة، كما تأكد شكله الهنـدسي الكروي الـذي يتصف بصـلابة غير عادية.

ولأغراض الـدراسة، كان لابـد من الإمساك بهذا الجزيء العجيب بواسطة مقبض كيميائي من عنصر الأزميوم ـ الذي يثبت الجزيئات في أماكنها ـ لإيقاف دورانه المروّع حـول نفسه، إذ إنه يـدور بمعدل ألف مليون مرة في الثانية الواحدة!.

استخدامات مذهلة

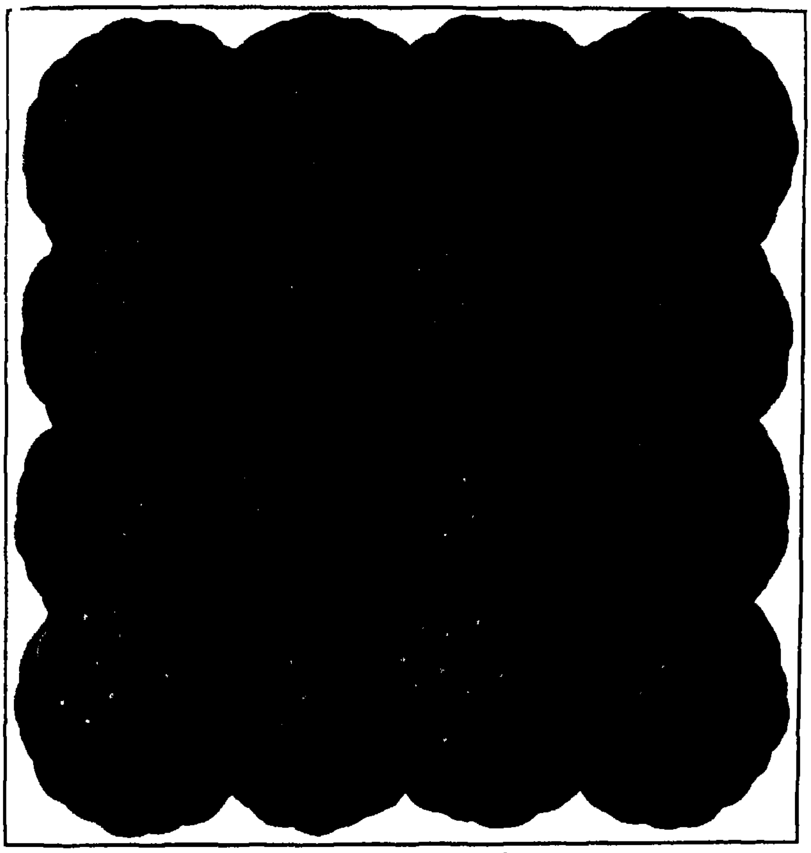
تسـاءل العلماء: عندمـا نحصل على كرات بـاكي، ماالذى سوف نفعله بها؟.

إن الطــرق الكيميـائيــه تصل إلى الحلــول ببطء شـديد، ومع ذلك فقـد حققت العبقريـة الكيميائية نجـاحـا سريعـا فيما يتعلق بـاستخـدامـات جـزيء الكربون العملاق ك ـــ ٦٠، إذ اتضح أنه مستقر تماما ومقـاوم للنشـاط الإشعاعي، والتـآكل الكيميـائي، ويتقبل الإلكتروــات بشراهـة ولكنــه لا يمانع في إطلاقها، كما أن له صفات كهربية عجيبة.

وبعـد دراسـة هـذه الخصائص الفـريـدة لكـرات بـاكي، أخذ العلماء يطلقـون لأفكارهم وتصـوراتهم العنـان لبعض التطبيقات، مثل قيـامها بنقل النظـائر المشعــة الى داخل الجسـم البشري بهدف تشخيص الحالات المرضيـة أو نقل الهرمـونات أو أي عقـاقير لعلاج بعـض الأمراض، وأحـد الأفكار المطـروحة للعــلاج بـالمواد المقـاومة لـلأورام السرطـانيـة، هي إدخـال نظـائر مشعـه في كـرات بـاكي، حيث يعمل الحاجز الكربـوني على حفظ سلامة هـذه النظائر بعد حقن مريض السرطان بها.

كما يمكن تصميم بطـاريـة فـائقة القـوه وخفيفـة الوزن، وذلك بتغليف ذرات عنصر الليثيوم والفلور (التي تُـولّد طـاقـة عند اجتماعهما معـا) داخل قفص جـزيء ك ـــ ٦٠، لحمايتهــا من تأثير الأكســوجين الجوي عليهــا، وإذا أمكن ربط سلسلـة من كــرات باكـي معا، فإنها تشكل الأسـاس لأنواع جديـدة من اللدائن الصناعية ذات خصائص متفردة.

ووجـد العلماء حـديثـا طـريقـة لاستخـدام هـذه الجزيئات الكـربونيـة الضخمة، كأقفـاص لاقتناص ذرات بعض العناصر ـــ كالهليوم ـــ ومن ثم تستخدم



□ وضع ذرات من عناصر أخرى بين كرات باكي لتحويلها إلى موصّلات فائقة

كمتتبعات كيميائية رائعة، لمراقبة انتشار المواد الملوثة من نقطة تصريفها في أحد الأنهار. ويمكن الكشف عن أي مقادير ضئيلة جدا من الهليوم، لأنه لا يوجد حولنا في الجو مركبات منه. وعلى سبيل المثال إذا أذيب مليجرام من الهليوم في حوض سباحة، وقلّب جيدا، فيمكن الكشف عن ذرات الهليوم وكرات باكي، في نقطة واحدة من الماء. وتعتبر كرات باكي والهليوم أكثر ملاءمة للاستخدام من المتتبعات المشعة التي تستعمل في الوقت الحاضر.

وفي إحدى التجارب على جزيئات ك ـ ٦٠، تم إطلاقها داخل جدار من الصلب الذي لا يصدأ بسرعة تبلغ ٢٤ ألف كيلو متر في الساعة، فارتدت إلى الخلف دون أن يصيبها ضرر، ومن ثم اتضح أنها مرنة أكثر من أي جزيئات أخرى معروفة حتى الوقت الحاضر. وهذه الخاصية تجعلها صالحة لاستخدامها وقودا للصواريخ ومركبات الفضاء، حيث يمكنها أن تتحمل ضغوطا هائلة.

ويخطو علماء فيزياء الجوامد خطوات كبيرة لا تقل أهمية. فقد وجدوا أن المواد الصلبة المكونة من كرات باكي، تتميز بخواص مدهشة فعندما تتبلور هذه الجزيئات العملاقة، فإنها تندمج مع بعضها البعض، وتصبح مثل كومة من البرتقال لدى بائع الفاكهة، وترتبط جزيئات ك ـ ٦٠ بعضها بقوى ضعيفة مثل تلك التي بين طبقات الجرافيت.

وأي كتلة من كرات باكي يمكن ضغطها إلى ٧٠٪ من حجمها الأصلي عند ضغط يبلغ ثلاثة آلاف ضغط جوي. وعندما يرفع عنها هذا الضغط فإنها ترتد إلى شكلها العادي، لكنها إذا ضغطت بقوة تجاه بعضها البعض، فإن ذرات الكربون في الكرات المتجاورة تبدأ في التنافر بشدة فيما بينها، وتصبح المادة شديدة الصلادة كالألماس. وإذا ازداد الضغط بسرعة وبقوة هائلة، فإن كرات باكي تتحول إلى ألماس بالفعل، وهذا التحول يمكن أن يكون مهما في الأغراض الصناعية.

والقوى الكيميائية الضعيفة بين كرات باكي، هي أكبر نقطة ضعف فيها. إذ يمكن تمزيق هذه القوى بالحرارة العالية، فعند درجة حرارة تبلغ ثلاثمائة درجة مئوية أو نحو ذلك، تبدأ الكتلة الصلبة من كرات باكي في «التبخر»، ومن ثم لا يمكن استخدامها كمواد تشحيم ـ كالجرافيت ـ إذ لابد أن تتحمل درجات حرارة مرتفعة.

وقد اتضح أنه لو وضعت بعض ذرات من عناصر أخرى بين كرات باكي ثم خفضت درجة الحرارة جدا، فإن شيئا غريبا سوف يحدث، إذ وجد العلماء أن تبريد خليط من كرات باكي والبوتاسيوم

إلى ٢٥٥ درجة مئوية تحت الصفر، يجعله موصلا وسا Super conductor أي أن التيار الكهربائي يمر خلاله بدون أي مقاومة أو فقد للطاقة. ويمكن تشبيه هذا الخليط من ك ــ ٦٠ والبوتاسيوم (أو أي مواد أخرى)، بأن بائع الفاكهة الفنان قد «حشر» بعض المشمش في الفراغات التي بين كوم البرتقال لديه.

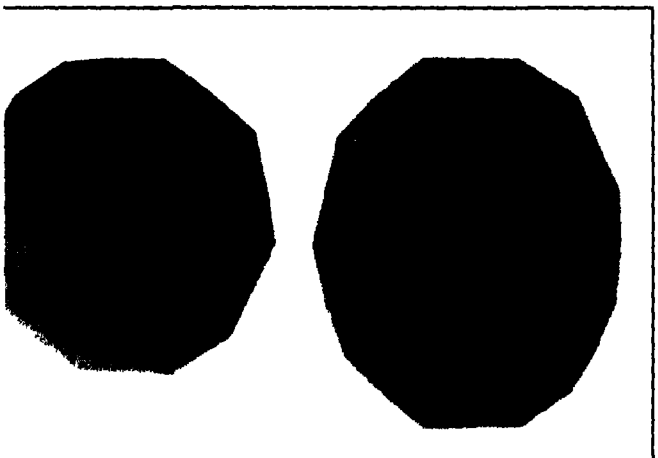
آفاق المستقبل

لاشك أن المستقبل يحمل بين طياته الكثير من الاحتمالات الجديدة المثيرة، سواء من حيث المعرفة العلمية الأساسية أو من حيث الاستخدامات التكنولوجية للجزيء العملاق ك ــ ٦٠.

إن العلماء منبهرون بإمكانات الفلورينات عموما، وأثناء دهشتهم يتحدث بعضهم عن التطبيقات المستقبلية، ومنها استخدام الأخ الأكبر الأقل انتظاما لكرات باكي، وهو الجزيء ك ــ ٧٠. إذ اتضح أن وضع طبقة رقيقة من هذه الجزيئات على سطح من السليكون، وتعريضها لغازي الميثان والهيدروجين الساخنين، يزيد من تحفيز نمو طبقة من الألماس، بمعدل ملايين المرات. ومثل هذه الطبقة الألماسية تصلّد أسطح العدد والأدوات أو تستخدم في عزل الدوائر الإلكترونية الدقيقة عن بعضها البعض، ومن الممكن أيضا صنع الألماس من الفلورينات مباشرة وإن لم يتحقق هذا عمليا حتى الآن.

وإذا أضيف ك ــ ٦٠ وك ــ ٧٠ إلى البولمر (سلسلة طويلة من الجزيئات المتكررة) المناسب، يمكن تكوين مادة ذات موصلية ضوئية أي أنها توصلّ الكهرباء فقط عندما تتعرض إلى ضوء، وتستخدم في أجهزة إنتاج الصور الإلكترونية. وبالنسبة للفلورينات الكبيرة يمكن إنتاج موصلات ضوئية منها تعمل في مجال الأشعة تحت الحمراء من الطيف، وهذا أمر لم يكن ممكنا من قبل.

ونظرا لمرونة جزيء ك ــ ٦٠، يرى بعض العلماء أن له دورا أساسيا في تكوين المادة، فإذا كانت هذه الجزيئات قد تشكلت منذ آلاف الملايين من السنين في داخل نجوم العمالقة الحمر، ونظرا لكبر حجمها بما يكفي لجمع الجسيمات الصغيرة في أثناء الاصطدامات بينها، فلعلها كانت الأنوية الأولية التي تجمعت حولها الجسيمات الدقيقة الصلبة، الغبار الكوني المنتشر بين النجوم، فتكونت الصخور والكويكبات ثم الكواكب ذاتها.



□ مقارنة بين الجزيئين ك ــ ٦٠، وك ــ ٧٠ (يلاحظ الشكل البيضاوي للجزيء ك ــ ٧٠)

كما يمكن استخدام الفلورينات عموما كأوعية لحفظ المواد التي تتفاعل بشدة مع بخار الماء والأكسوجين وتتحلل في الهواء، وكذلك تستعمل للاتحاد مع العناصر الخاملة جدا ـ التي لا تتفاعل مع أي عناصر أخرى ـ وأيضا في تجميعها وحمايتها، إذ يجد الكيميائيون صعوبة في الإمساك بهذه العناصر الخاملة.

ونظرا للتقدم المستمر في أبحاث الجزيء العجيب ـ ٦٠، فإن هذا المجال ينبيء عن توقعات مدهشة، والأمر الوحيد الذي يتفق عليه جميع الخبراء هو أن معظم ما هو معروف في الوقت الحاضر من استخدامات فريدة لهذا الجزيء السحري، سوف يصبح متقادما بعد عدة أشهر، وهذا هو النوع الفعلي من المواقف التي تجعل العلم مفيدا، وفي نفس الوقت سببا للمتعة والبهجة، إذ إنه يبشر بالأمل في المستقبل. □

واحة العربي

إعـــداد:
محمد مستجاب



الكلب

رمز الوفاء في البراري والشوارع والبيوت: صديقا وقـائدا وحـارسـا مع احتمال تسليمك للشرطـة!

■ أعترف بأني شغـــوف بالكلب شغفا لا يقل عما تكنه له الغواني والصيادون والصافرات والباحثات عن العزاء، وقد كتبت عنه مرتين، ودبجت عنه رواية وقصصا قصيرة حتى أنه وقع علي لوم كثير من الأصدقاء وأصحاب الشأن وذوي الآذان المشرعة مع أنك لو زرعت ما في كلب معدوم النسب من صفة كالوفاء مثلا على الذين حولك، لأصبنا بحالة حادة من الإنسانية الدافقة، وهو كلام معروف رصد كثيرا من وقائعه الدميري والجاحظ ودوائر المعارف المختلفة، واشتهر كلب هو المصاحب لأهل الكهف في القرآن الكريم، والكلب المصري هو الذي أصبح علما على كلاب الشرطة، يحسبون بأنف هذا الكا[illegible] والمخدرات والمطلوبين من الأشرار، وكتاب [illegible] الأطفال الذي [illegible] الأصدقاء [illegible] على [illegible] فقط الذي [illegible] هولمز في رواية [illegible] دويل، والكلب الملعون الذي [illegible] أحيانا كل ساعة ـ على

ـ ن البشر وصفا تعسفيا عدائيا لآخـريـن من البشر، وكلب السلطة: نـوع من المخلـوقـات الانسانية يفسر كل ما يحدث من أمور بطريقة خاصة تصلح لأن تكون وشـايـة جيدة للسلطة، وصوت سيده: عـلامـة تجارية ظلت راسخـة على اسطوانـات الحاكي في شكـل كلب غـاص بوزه في البوق وقد أقعى مشرعا أدنيـه، وقـد احتـق كلب صـوت سيـده تحت مـداهمة شرائط المسجلات الحديثة.

والكلب أكثـر فصـائل الحيـوانـات تعـددا في أنـواعـه وأحجامه وأشكـاله، حتى أن ثمة نوعـا منه ذا شكل معين لو قـارنته بنـوع آخـر لما استطعت أن تضع الاثنين في فصيلة واحـدة، ولـذا فقد كادت فصيله الكلاب تحتوي داخلهـا عـددا لا بـأس بـه من فصائل أخرى من المخلـوقـات: أمـاء السر، نقاد الأدب، خـدم الحريم، المؤرخين الـرازحين تحت وجهة نظر واحـدة، صبية الورش والمقاهي والنـوادي، ناضـورجية المهربين «أي هـؤلاء الذيـن يكون عملهم مـراقبة الطرق والمسـالك بـالنظـر»، ونـاضـورجيـة قـواد الحمـلات قبل عصر التقـدم العلمي المذهل، ونـاضـورجـة الـزوجـات ذوات الأزواج الغـائبين، وكل هـدا غير أنـواع الكـلاب ذاتها، السلوقي وأصله من بلـدة سلـوق بـاليمن، والأرمنتي وتشتهـر بـه منطقـة أرمنت أعلى صعيـد مصر، وكلب الصيـد ويطلق عليـه علميـا كلب الـدتب الـروسي، وكلب الغنم ـ أي كلب الـرعاة ــ وهو المشهـور بكلب سـان برنـارد، وبتفـرع من كل ذلك جنسيـات متعـددة مثل كلب الصيد الأفغـاني، والصني، والمصري البلـدي، والقـوقـازى، والإسباني.

وأصغـر أنـواع الكـلاب مـا يسمى بـالـربـرب. صغير الحجم جـدا ـــ أقل من أرنب ـــ قصير القـوائم، ويمـاز بـالتهـور والشجـاعـة والذكـاء، ويـربى في البيوت حيث لا ينصم إلى الأنواع الضـالـة الهائمـة في الشـوارع والسـاحـات وحـول المذابح والسلخـانـات ومعـامل تفـريخ البيض وتربية الكتاكيت.

وكل أنـواع الكـلاب قـابلـة للاستئنـاس والتدريب، وتحظى ـ عند تدريبها ـ بقدرتها على الإمتاع واللهـو وإثـارة المرح، ويمكنهـا ـ حينئـد ــ أن نفـوق الإنسـان في الخداع والمنـاورة، لكنهـا تفعل ذلك خالية من الشر، والذي يظل الإنسان وحـده صاحـب الامتياز فيه، والـذي يسلم قياده ــ بشكل أو بآخر ــ لكلب يقوده من قضية إلى قصية، ومن سعادة إلى سعادة، ومن بؤس إلى بؤس. فـإدا كان قد فقـد بصره تماما فعليـه أن يعتمـد على كلب أمين يخترق بـه الشوارع والمسـالك، العصـا وحـدهـا لا تكفي. □



كلمات لها معنى

● [illegible]

● لـوركـان الآخـر يترقف عند حدود أنني أعرفك فلذا المشكلة أن آخرين يعرفونني ــ أنا ـ أيضا.

● يمتـاز الإنسـان بأربع خصـال نـادرا مـا تجدهـا مجتمعة في مخلـوق آخر: أنثاه تحيض، وكفه بخسـة، ولسـانه أعمى، وقلبه مريض.

● الأنثى أخطـر عناصر إشعـال الإبـداع فينا، مرة أو مـرتين ــ أو ثـلاثـا، ثم بعض الـوقت كي تنطبق المقـولـة على أنثى جديدة.

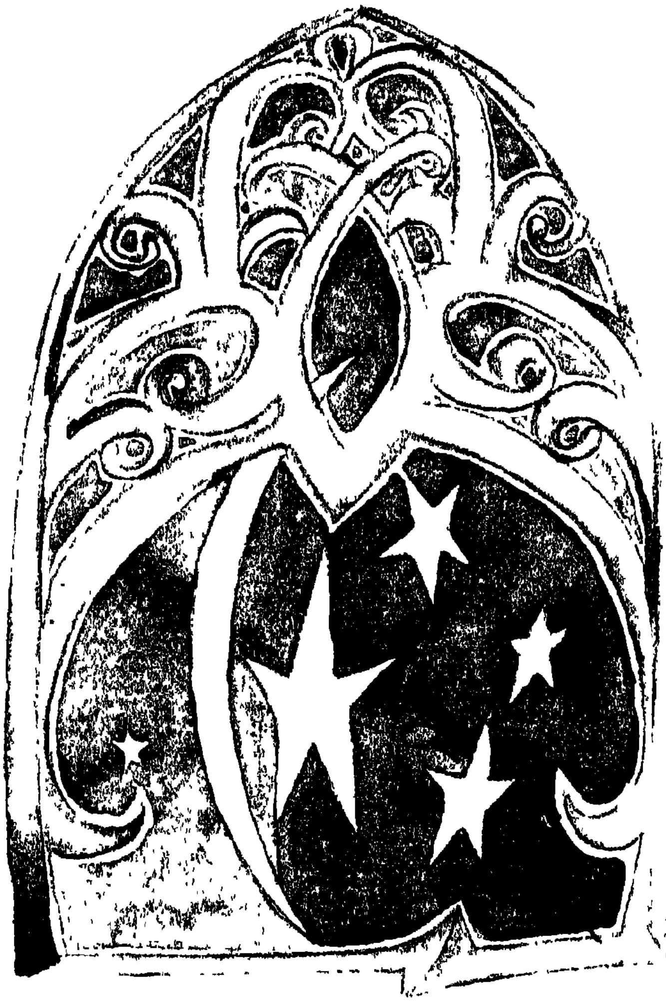
● الثقـافـة الشـديـدة تفسـد في المرأة أجمل مـا فيها: تلقائيتها

● نـار الله الموقـدة أن يكـون أحـدهم بليـدا: زوجتـك أو رئيسـك في العمل، جهنم أن يكـون الاثنان.

● يصمم الأطبـاء الشرعيـون وعلماء التشريح على أن مخ المرأة أصغر من مخ الرجل، إنهم يستبعـدون من مخ المرأة طبقة المساحيق.

● في القطـارات التي تستغرق زمنا طـويـلا بالـذات: الزوجـة بجوار زوجهـا أمـا العشيقـة فأمامه.

● نتمتع نحن الفقـراء بخيـال واسـع، وإلا فكيف نكمل بـاقي أصناف المائدة؟.



تأملات في رياض التراث العربي الإسلامي

بقلم: عبدالرزاق البصير

أحدثت معي شدة سامعتي لما تنشره الصحف المحلية وغير المحلية ولما تذيعه وسائل الاعلام العربية وغير العربية حول ما يقع من أحداث دامية في الشرق والغرب ضيقا شديدا لم أجد بدا من أن احفف عن نفسي بعضه. وذلك باللجوء إلى تراثنا العربي الإسلامي وبغلب على ظني أن ذلك شأن كل من يصاب بمثل ما أصبت به من التضايق ليس له من تمكن من متابعة الأحداث الجارية الدامية. فجاء هذا المقال.

■ قرأت منذ مدة طويلة نخبة صالحة من شعر عبدالله بن عمر بن عمرو ابن الخليفة الثالث رضي الله عنه، وقد وجدت في قراءة ذلك الشعر عذوبة وحلاوة تجعل الإنسان لا يمل من الوقوف عليها ومن تذكر ما أحيط بها من قصص وروايات

لقد وجدت نفسي تهفو إلى التعرف على هذا الشاعر بصورة مفصلة، أريد أن أعرف شيئا عن والديه وعن سيرة حياته، ولقد وجدتني سعيدا حينما وجدت مؤرخي الأدب لم يبخلوا علينا في الحديث عن حياته كما هو الحال حين يؤرخون كثيرا من أدبائنا المشهورين فنحن لا نجد

ما ـرفنا بصورة كـافيه حين نأتي إلى ترجمة الشاعر المغلق ـ ر المهدي» هـذا الشاعر الذي جـرى حوار بينه وبين معـاويـة بن أبي سفيـان وفيـه تستبين قـوة تعبير «جيـار ـمهدي» وذلك حين سألـه معاوية: ما صنع بك الـدهر؟ وهـو سؤال يحتـاج الجواب عنـه إلى مـا ينعكس في نفس المسئول من تجربـة عميقة في الحياة، فكان جـواب الشاعر المهدي: «صدع قناتي وشيب سـوادي وأفنى لذاتي وجرأ علي أعدائي.. ولقد بقيت زمانا آنس بالأصحاب وأستأنس وألف الأحباب، فبـادوا عني ودنا الموت مني» ثم انشده أبياتا في ذم الخمر وإذا بحثت عن تـاريخ هـذا الشاعـر فإنك لا تجد عند مؤرخي الأدب حديثـا فيه أي عناء.

ويقـال مثل ذلك في أبي سليمان الـداودي، فإنـا لا نعرف عن هذا الاديب الا أنه يحفظ جملة صالحة من شعر ابي العلاء المعـري وأنه برع في الأدب. وأنت واجد مثل هـذه الحالـة في أدبـاء كثيرين، ولكن مـؤرخي الأدب حفظوا لنـا الكثير من حياة العـرجي، ولم أكـد أمضي في الوقـوف على تاريخ أسره العـرجي حتى وجـدت نفسي تغبط ذلك الجيل الذي أنفق حياته في تلك الأيام الزاهرة، لأنها حياة بعيدة عن التكلف في كل شيء، فهي لا تتكلف مـا يكلفه نحن إذا أراد أحـدنا الاقتران بشريكـة حياتـه، فإن الله قد أنعم عليهم بخليفة عظيم يعرف معنى الأمانة حق المعرفة ويقدرها أعظم التقدير.

فلنتأمل ترويج حـدة هذا الشاعر لأبيه، فـإننا إن فعلنا ذلك فسنجـد ما ذكـرناه من تقـدير الأمانـة ومن بسـاطة الحياة

الزواج ببساطة

هاجر جنـدب بن حمة الدوسي إلى المدينة أيـام خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه ،وأقام فيها مدة صح عزمه فيها أن يذهب مجاهدا إلى الشام وترك ابنته «أم أبان» أمانة عند الخليفة وقـد فوضه في تزويجها فيمن يراه أهـلا لذلك ومضى لسبيلـه حتى نال كـرامة الشهـادة في سبيل الله وبقيت «أم أبـان» في كنف الخليفة عمر تـدعوه أباها ويدعوهـا ابنته، لما كانت تجده من عطف وحنان من قبل الخليفة.

وبقيت أم أبـان في عيشة راضيـة تنعم بعطف الخليفـه الأبوي عليهـا وبما كان يروي لها من أحاديث الـرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن قصص أنستها حبها لوالدها حدث حتى جاء يوم أراد الله لها أن تنتقل فيه إلى ما تحلم به كل فتـاة وتتمنـاه، وذلـك حين خطـر للخليفـه عمـر تـزويجهـا وإذا بـه يقـول على المنبر: «من لـه في الجميلـة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممه، وليعلم إمرؤ من هـو! فقـام عثمان فقال. انا يـا أمير المؤمنين، فقـال: أنت لعمـر الله! كم سقت إليهـا؟ قـال: كذا وكـذا، قال قـد زوجتكها معجلة فإنها معده.

ونزل عن المنبر، فجاءه عثمان ـ رضي الله عنه ـ بمهرها فأخذه عمر في ردنـه فدخل به عليها، فقال. يـا بنية مدي حجرك فبتحت حجـرها فألقى فيه المال، ثم قـال: قولي اللهم بارك لي فيه، فقالت. اللهم بارك لي فيه».

وهكذا اقترنت بعثمان بن عفان وعاشت معه في أسعد حال، ولقـد وجد فيها ذو النورين كل مـا أحبه من المرأة، مما جعله يطيل المكث عنـدها أيـاما لا يخرج إلى النـاس، حتى أن سعيد بن العـاص دخل عليه نبدي له استغـرابه من طول لبثه مع زوجه الجديدة، فأجابه ذو النورين «أما أنـه مـا بقيت خصلـة كنت احب أن تكـون في امرأه إلا صادفتها فيها»

وهكذا أنجبت للخليفـه عثمان ولدا أسماه عمـر، وهو جد شاعرنا العرجي، ومن ذلك يتبين لنا أن أسره شاعرنا أسرة ناعمـة تسري في دمائها القيم الإسلاميـة السمحة، فكان مـراح العرجي مراحا شـاعريا يشبه مـراح عمر بن أبي ربيعـه، فهو شـاعـر غزلي يصـور في شعـره جمة دمـه وميله إلى الجمال، يصور ذلك بصراحه تجعل الواقف على شعـره يشعر بمتعـه عامـره لأن شعر العـرجي واضح لا تكلف فيه، مثل قوله

بـــاتـــا بأنعـم ليلـــة حتى بـــدا
صبح تلـــوح كـــالأغـــر الأشقـــر
فتـــلازمـــا عنـــد الفـــراق صبـــابـــة
أخـــذ الغـــريم بفضل ثـــوب المعسر

ولقد جـرت حول هذين البيتين قصة طـريفة تبين لك كيف يبلغ الشعـر في بعض النفـوس مبلغـا عظيما يـدفع سامعه إلى أن يكون مسلكه مسلكا يستكره من يراه.

أهل المدينة وشعر الغزل

«يـروي مصعب بـن عبـدالله عن أبيـه قـال: أتـاني أبوالسـائب المخزومي ليلـة بعدمـا رقد السامر فأشرفت عليه، فقال: سهرت وذكـرت أخا لي أستمتع به فلم أجد سواك، فلو مضينـا إلى العقيق فتناشدنـا وتحدثنا، فمضينا فأنشـدتـه في بعض ذلك بيتين للعـرجي (البيتـان المذكـوران). فقـال: أعده علي، فأعـدتـه، فقـال: أحسن

والله! امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته، فلقينا عبدالله بن حسن بن حسن، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم، ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال له

فتلازما عند الفراق صبابة
أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي فقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت: منذ الليلة، فقال: إنا لله وأي ذهل أصيب منه قريش! ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالا له على بغلة ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال

فتلازما عند الفراق صبابة
أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليّ فقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت آنفا فلما أراد المضي قلت: أتدعه هكذا؟ والله ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق! فقال: صدقت، يا غلام قيد البغلة. فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يرى أنه يفهم عنه قصته، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه: يا غلام احمله على بغلتي وألحقه بأهله، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره، فقال: قبحك الله ماجنا! فضحت شيخا من قريش وغررتني»

وهذه القصة إن صحت فإنها تدل على مقدار ما تفعله الشعر بقارئه أو سامعه إذا استحسنه، وإن لم تصح فإن كاتبها يريد أن يصور ما يفعله الشعر بقارئه أو سامعه إذا أحسن فهمه، فإن أبا السائب شيخ من شيوخ قريش معروف بالأريحية والفهم

أما هذان البيتان اللذان قال عنهما الرواة إنهما فعلا بالشيخ ما ذكرناه فإنهما من الشعر الجيد ولا سيما البيت الثاني، حيث يرسم صورة طريفة وهي ما يفعله الغريم بالمدين الذي أخلف وعده بوفاء الدين حلها حعل غريمه يقنط من وفاء ما عليه، فما هي إلا أن أخذ بثوب غريمه مقسما ألا يدعه حتى يأخذ حقه منه، غير مبال بما يحاول غريمه أن يتخلص منه بالقسم والترجي، وأنه سيؤدي ما عليه

أما البيت الأول فإنه يرسم صورة للعاشقين حين يجود الزمان عليهما بالوصال من دون رقيب، وليس شيء ألذ لدى العشاق من التواصل وهما في حالة أمن لا يكدره واش أو عاذل ثقيل

على أن مؤرخي الأدب ذكروا عددا لا بأس به من القصص لشاعرنا عبدالله بن عمر بن عمرو ابن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان منها ما يشيع ... [illegible] راجين أن يصح للقارئ بعض ... [illegible] أهل ... في القرن الأول والثاني للهجرة ... [illegible]
عبدالله بن عمر العرجي قال «... [illegible]
امرأة جميلة تتكلم بكلام ... [illegible]
ثم قلت لها: يا أمة الله، ألست حاجة؟ ... [illegible]
فسفرت عن وجه ... [illegible]
ثم قالت: من عباد الله ... [illegible]

أماطت كساء الخز عن حر وجهها
وأدنت على الخدين بردا مهلهلا
من اللائي لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها: ... [illegible]
بالنار، قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: ... [illegible]
لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقلت ... [illegible]
الله! ولكنه من ظرفاء ... [illegible]

فإذا عرفنا أن سعيد بن المسيب ... [illegible]
الفقهاء السبعة بالمدينة ... [illegible]
عمر بن الخطاب ... [illegible]
عرفنا هذا كله ... [illegible]
وكيف أن ... [illegible]



أن الفقهاء لا يعجلون برمي المتطرفين بأنهم فساق [illegible] العقاب من الله عز وجل.

[illegible] والشعر الندي

[illegible] من الافضل لنا ونحن في هذا العصر أن نقتدي [illegible] الفقهاء الاعلام وذلك بأن نعمل ما نجود به [illegible] دون الغوص في هذا [illegible] أن يكون فيها خلل وخطل [illegible]، وعلى كل [illegible] من شعر الشاعر [illegible] على ازخمه [illegible]

[illegible] تطرب شوقا الى حجر
لا [illegible] في ذلك الحجر
[illegible] انا الخطر
[illegible] نبات الارض بالمطر
[illegible] والخصر [illegible]
[illegible] اسنوا من القمر
[illegible] الخمر [illegible]
[illegible] رأى [illegible] سوى الشجر
[illegible] الطير من طرب
لما [illegible] على وتر
[illegible] فلي لنا
[illegible] لاي سكن ام ليلى من البشر

[illegible] الاداء السليمة تخلو [illegible] وربما يمسي [illegible] فان المعنى بالشعر تجعله [illegible] المعنى موهوبا في الأداء [illegible]

[illegible] نهاية الشاعر

[illegible] «العرجي» فلأنه كان يسكن العرج [illegible] حسب ما ذكره صاحب خزانة [illegible]

[illegible] أردنا أن نعرف على نهاية هذا الشاعر فانا نجد [illegible] الاسلام من محتفظ على أقوال مؤرخي [illegible] وهو أنه شبب بالجيداء أم محمد بن هشام [illegible] والي المدينة المنورة بأبيات مرقصة شاعت على [illegible] وليس من شك أن الشاعر العرجي يدرك بأن [illegible] يغضب والي المدينة عليه أشد الغضب، وأي [illegible] أعظم على المرء من أن يكون حدثت أمه على ألسنة الناس في قطعة شعرية تقرأ للتسلية والاستمتاع، ومما يزيد الإنسان في استغراب هذا العمل، قول المؤرخين إنه نسب بأم الوالي لا عن كلف بها وإنما قصد النكاية بالوالي، فلو كان عن حبّ لكان للشاعر شيء من العذر، ولكن أن تكون النكاية بالوالي هي الغرض المقصود، فذلك هو العبث الذي لا معنى له، بل هو التهور في واقع الأمر، وكانت نتيجة هذا التشبيب بأم الوالي وزوجته واسمها «جبرة» أن اتهمه الوالي بأشنع التهم فكان أن أخذه وقيده وضربه وأقامه للناس ثم حبسه وأقسم: لا تخرج من الحبس مادام لي سلطان، فمكث في حبسه نحوا من تسع سنين حتى توفي.

ولم تخبرنا المؤرخون بسنة مولده، أما سنة وفاته فإنها سنة «١٢٠» للهجرة حسب رواية الزركلي في الأعلام. على أن دم الشاعر العرجي لم يذهب جبارا فقد أخذ الخليفة الاموي الوليد بن يزيد بن عبدالملك بحق الشاعر حين أذاق محمد بن هشام نفس الكأس المرّ الذي سقى الشاعر به والممثل في الجلد والتنكيل وكان محمد بن هشام توسل إلى الخليفة قائلا: أسألك بالقرابة، قال: وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت إلا من أشجع؟! قال: فاسألك بصهر عبدالملك، قال لم تحفظه، فقال له: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حدّ، قال ففي حدّ أضربك وقود، أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر.

وهكذا يصدق المثل المعروف على محمد بن هشام «بيت الظالم خراب ولو بعد حين»

وقد يكون من تمام الحديث عن هذا الشاعر أن نروي شعر الغزل الذي قاله الشاعر في «جيداء» أم محمد بن هشام والذي أدى به إلى ما ذكرناه من ضرب وتعذيب:

عـوجي علينا ربـة الهودج
إنـك إن لا تفعلي تحرجـي
إنـي أتيحت لي يمانيـة
إحـدى بني الحارث من مـذحج
نلبث حـولا كـامـلا كلـه
لا نلتقـي إلا على منهـج
في الحج إن حجت ومـاذا منى
وأهلـه إن هـي لم تحجـج

فلما سمع عطاء بن رباح البيت الأخير قال: الخير كله بمنى وأهله! حجت أم لم تحج.

وقد صدق عطاء فيما قال ولكنها مبالغة الشعراء. □

منتدى العربي

قضية

هل انتهى عصر التوظف الكامل؟

بقلم: الدكتور رمزي زكي

الآن وسط قوانين السوق التي لا ترحم والرغبة في الربح والاعتماد على الميكنة الحديثة وتوفير الآلاف من الأيدي العاملة. هل تقول الرأسمالية وداعا لعصر التوظف الكامل أم أن تزايد البطالة سوف يرغمها على تغيير أسلوبها؟

كان الاقتصاديون الكلاسيك في القرن التاسع عشر يعتقدون أن النظام الرأسمالي تسيره قوانين طبيعية خالدة، وأن احترام تلك القوانين، أي عدم التدخل لإعاقة مفعولها، سيقود النظام دوما نحو التوازن عند مستوى التوظف الكامل FULL EM-PLOYMENT، وهو ذلك المستوى الذي تكون عنده جميع الموارد البشرية والطبيعية والمالية موظفة إلى أقصى طاقة ممكنة، وأنه لا يوجد توازن مستقر قبل الوصول إلى التوظف الكامل. ولهذا لم يكن واردا في منطق الفكر الاقتصادي الكلاسيكي احتمال أن تتعرض النظام الرأسمالي لأزمات اقتصادية عامة يتعطل فيها البشر والطاقات الإنتاجية، وإن كانوا قد افترضوا احتمال طروء أزمات إفراط انتاج جزئية، ينجم عنها بطالة محدودة ومخزون سلعي غير مرغوب وتدهور في الأسعار والأرباح في صناعة ما. لكن افتراضهم لحالة المنافسة الكاملة وآليات السوق الحرة واليد الخفية جعلهم يذهبون إلى القول بأن تلك الأزمات الجزئية ذات طابع مؤقت وتقضي على نفسها بنفسها. فالبطالة التي ستحدث سوف تختفي حالما يتمكن العمال المتعطلون من التدريب على مهنة أخرى، أو حينما تنخفض الأجور وتنخفض من ثم تكلفة العمل وتغري رجال الأعمال بإعادة توظيفهم مرة أخرى. كذلك لم يكن من الوارد عند الكلاسيك أن تحدث أزمات اقتصادية عامة بسبب الاختلال الذي يحدث بين الادخار والاستثمار، فقد افترضوا أن كل ادخار يتحول إلى استثمار، لأنه توجد دوما فرص لا نهائية لتثمير رءوس الأموال، ومن ثم فليس من المتصور أن يحدث تباين بين قوى الطلب الكلي وقوى العرض الكلي، فالتوازن بينهما أمر حتمي. وكان الاقتصادي الفرنسي جان باتست ساي J.P. Say قد توصل إلى صياغة قانون مهم، صار أساسيا عند الاقتصاديين الكلاسيك، وهو القانون الذي ينص على «أن العرض يخلق الطلب

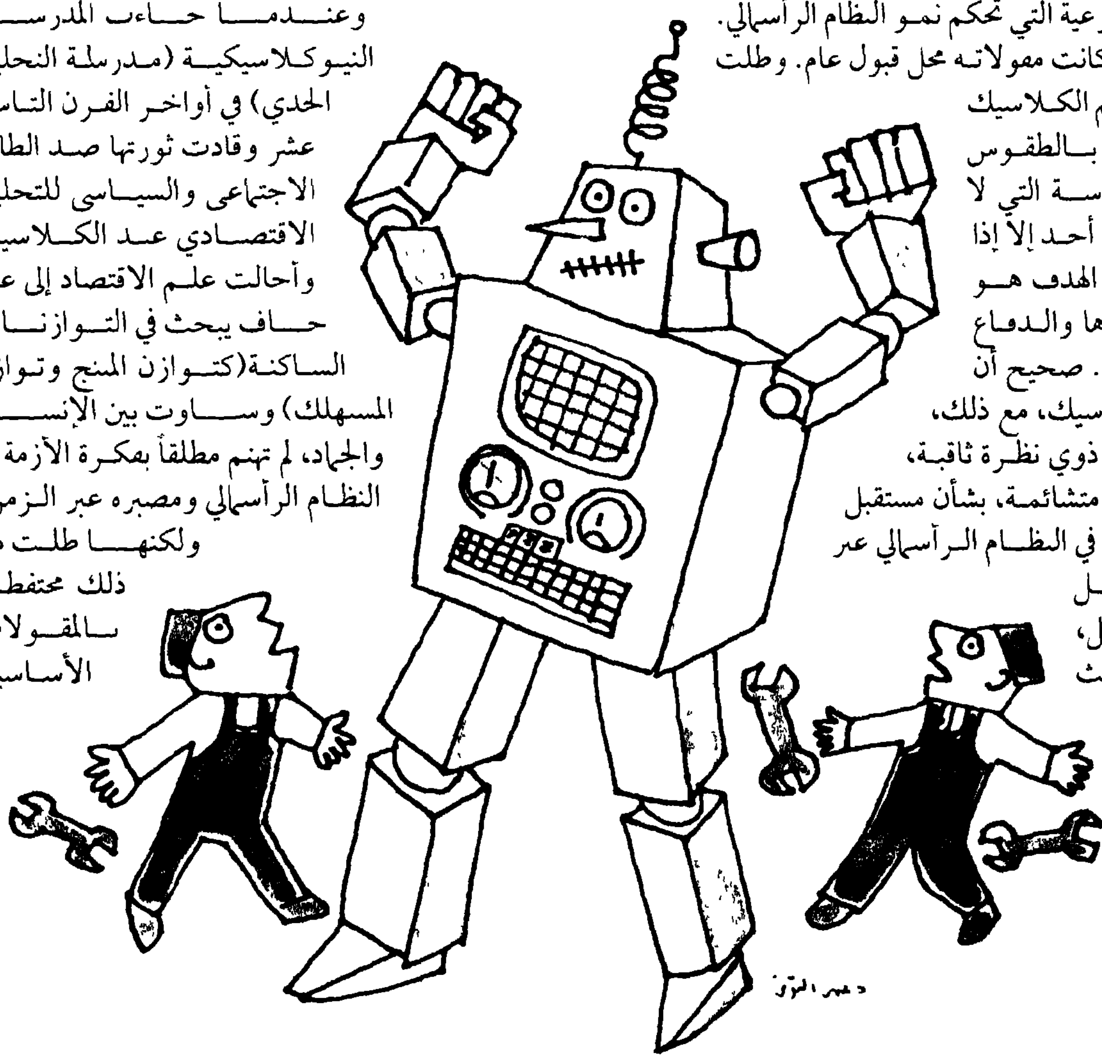
ساوي له». فالناتج المحلي الإجمالي الذي أنتج في فترة معينة تقابله دخول موزعة في شكل أجور وأرباح وفوائد وريوع يعاد إنفاقها كلها لمقابلة قيمة هذا الناتج. ومن ثم لا توجد أزمة تصريف أو نقص استهلاك يعرض النظام للاختلال ولحالات واسعة من البطالة.

طقوس مقدسة

والواقع أنه حينما ظهر الاقتصاد الكلاسيكي الذي أرسى دعائمه آدم سمث وبلغ ذروة نضجه عند دفيد ريكاردو، كانت التطورات الاقتصادية والاجتماعية تسير لصالح النظام الرأسمالي الوليد باعتباره يمثل نقلة حضارية في التطور الإنساني من المجتمع الإقطاعي الاستبدادي إلى مجتمع جديد يموج بالنمو والعقلانية وبازدهار الإنتاج الصناعي. وقد نجح الاقتصاد الكلاسيكي في اكتشاف كثير من القوانين الموضوعية التي تحكم نمو النظام الرأسمالي. ولهذا كانت مقولاته محل قبول عام. وظلت تعاليم الكلاسيك أشبه بالطقوس المقدسة التي لا يمسها أحد إلا إذا كان الهدف هو تبريرها والدفاع عنها. صحيح أن الكلاسيك، مع ذلك، كانوا ذوي نظرة ثاقبة، ولكن متشائمة، بشأن مستقبل النمو في النظام الرأسمالي عبر الأجل الطويل، حيث كانت وجهة نظرهم هي أن مآل النظام لابد وأن يكون هو الركود الدائم. وقد أسسوا وجهة نظرهم في هذا الخصوص على أساس أنه مع زيادة عدد السكان، ومع خضوع الإنتاج لقانون الغلة المتناقصة، فإن أسعار السلع الزراعية، وبالذات الغذائية، تميل للارتفاع بشكل مستمر، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة أجور العمال وزيادة نصيب الريع الزراعي من الناتج المحلي، بينما يقل، في المقابل، نصيب الأرباح، ويضعف، من ثم، تراكم رءوس الأموال، وينخفض معدل النمو الاقتصادي، ويتردى النظام بالتدريج نحو مهاوي الركود.

وعلى الرغم من تلك النظرة التشاؤمية لمستقبل النظام الرأسمالي إلا أن أحدا لم يهتم بها كثيرا آنئذ (باستثناء روبرت مالتس). فهي نظرة تتعلق بالأمد الطويل بينما الرأسمالية كنظام اجتماعي وليد كانت في تلك الآونة في شرخ الشباب وتشق طريقها صعدا في مجال النماء ولم تكن قد عرفت بعد ظاهرة الأزمات الاقتصادية العامة.

وعندما جاءت المدرسة النيوكلاسيكية (مدرسة التحليل الحدي) في أواخر القرن التاسع عشر وقادت ثورتها ضد الطابع الاجتماعي والسياسي للتحليل الاقتصادي عند الكلاسيك وأحالت علم الاقتصاد إلى علم جاف يبحث في التوازنات الساكنة (كتوازن المنتج وتوازن المستهلك) وساوت بين الإنسان والجماد، لم تهتم مطلقاً بفكرة الأزمة في النظام الرأسمالي ومصيره عبر الزمن. ولكنها ظلت مع ذلك محتفظة بالمقولات الأساسية



التي استخلصها الكلاسيك في تحليلهم وهي: الإيمان بفلسفة الحرية الاقتصادية والتنديد بالتدخل الحكومي، والاعتقاد في فاعلية القوى التلقائية للسوق في تحقيق التوزيع الأمثل للموارد، والإيمان بصحة قانون ساي وإنكار إمكان حدوث أزمة اقتصادية عامة في النظام الرأسمالي، والإيمان بقدرة الرأسمالية على تحقيقها المستمر للتوظف الكامل.

الكساد الكبير

وظلت هذه المفاهيم تسيطر على أذهان الاقتصاديين وعلى صناع السياسات الاقتصادية في دول الغرب الصناعي إلى أن جاء زلزال الكساد الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٣) فأطاح بشدة بهذه المفاهيم ومزقها تمزيقاً عنيفاً، سواء على صعيد الواقع الأليم الذي كشفت عنه أحداث الكساد الكبير أو على صعيد الفكر النظري الجديد الذي قدمه اللورد الإنجليزي جون مايرد كينز.

فقد أثبتت أحداث الكساد الكبير فساد المنطق النظري الذي استندت إليه النظريات الكلاسيكية والنيوكلاسيكية في عدم إمكان تصور حدوث الأزمات الاقتصادية العامة وأماطت اللثام عن البون الشاسع بين الفكر الاقتصادي السائد والواقع الأليم. ففي سنوات الكساد الكبير حدثت بطالة على نطاق واسع في مختلف أنحاء المعمورة، قدرت بنحو ١٠٠ مليون عاطل، وانخفض حجم الناتج القومي في كبريات الدول الصناعية بنسب تتراوح مابين ٤٥ - ٦٠٪، وأغلقت العديد من المصانع وأفلست كثير من البنوك والشركات وانهارت البورصات وتدهورت قيم المعاملات الوطنية، وانهار نظام النقد الدولي وانكمشت حركة التجارة الدولية. وفضلا عن هذا وذاك دب الفقر والجوع والبؤس بين جموع غفيرة من السكان في مختلف أنحاء العالم. وآنذاك وقع الفكر الاقتصادي الرأسمالي في محنة كبيرة وورطة لا مثيل لها إذ ساد الشعور بعدم صحة الافتراضات التي قامت عليها النظرية الاقتصادية الرأسمالية. فافتراض التوظف الكامل لجميع الموارد الاقتصادية، والإيمان بصحة قانون ساي للأسواق وبفاعلية القوى التلقائية للنمو، والتوافق التام بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، والاعتقاد في الهارمونية التامة التي توفرها آليات الأسعار لعلاج الأزمات.... كلها بدت حينئذ أموراً ميتافيزيقية تدور في الهواء وفي عقول الاقتصاديين دون أن تكون لها أي علاقة بالواقع.

وفي عام ١٩٣٦ خرج اللورد كينز بنظريته العامة في التوظف والفائدة والنقود ليضع حداً لأوهام الاقتصاديين ونظريتهم الشائعة. وكانت نظريته أشبه بالانقلاب الفكري الذي أعاد النظر بجرأة شديدة في صحة ما كان ينظر إليه على أنه من الأمور المقدسة. وقد هاجم كينز قانون ساي للأسواق،



[illegible] ان حالة التوظف الكامل التي ادعى الكلاسيك [illegible] الوضع العادي والمألوف للاقتصاد القومي ليست [illegible] حالة خاصة جدا، وان التوازن الاقتصادي يمكن أن [illegible] مستويات مختلفة تقل عن مستوى التوظف [illegible] الأساسية لكينز أنه أعاد [illegible] «الأزمة الاقتصادية» في النظام وحتميته [illegible] قوى السوق لتعمل بشكل تلقائي [illegible] حكومي فعال وانتهى في نظريته إلى نتيجة [illegible] التدخل الحكومي يزداد الميل [illegible] (وبالتالي ينخفض الميل للاستهلاك) وفي الوقت [illegible] تنخفض الكفاية الحدية لرأس المال (معدل الربح [illegible]) وهنا تنشأ في الأسس بوادر عدم التوازن بين [illegible] والاستثمار ومن ثم ظهور الكساد والبطالة [illegible] معدلات النمو الاقتصادي. وللخروج من [illegible] الأزمة، التي هي في التحليل النهائي، وجود فجوة [illegible] الطلب الكلي الفعال وقوى العرض الكلي، [illegible] دور التدخل للدولة في حجم الطلب [illegible] الدولة هي الجهاز الوحيد القادر على احداث [illegible] وهكذا فإن جوهر نظريته يعتمد على التدخل [illegible] انتهاء عصر المنافسة الكاملة وسياسة دعه [illegible] Laissez Faire Laissez Passer. [illegible] سلطة جديدة، انه حينما تلوح [illegible] أزمة كساد مع ما يترتب عليه من بطالة واسعة، [illegible] ان تطبق حزمة من السياسات [illegible] دون وقوع الكساد. فدعا إلى خفض الضرائب وزيادة الانفاق العام وتشغيل العمال في الأعمال العامة، حتى ولو ادى ذلك إلى حدوث عجز في الموازنة العامة للدولة، وان تخفض البنك المركزي من سعر الفائدة لكي تزيد الطلب على القروض والاستثمارات، [illegible] ومن ثم مستوى الطلب الكلي. أما إذا لاحت في الأفق مخاطر التضخم بعد وصول الاقتصاد القومي إلى مرحلة التوظف الكامل، فإنه دعا إلى تطبيق سياسات انكماشية (خفض الإنفاق العام وزيادة سعر الفائدة وزيادة الضرائب) لكي ينخفض الطلب الكلي ويتوازن مع العرض الكلي عند مستوى التوظف الكامل. وبذلك قدم كينز «صك غفران» لخطيئة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وهي الخطيئة التي كانت لا تغتفر لدى الكلاسيك والنيوكلاسيك.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تبنت الدول الرأسمالية الصناعية الفلسفة الكينزية القائمة على التدخل الحكومي. ولم تعد مسئولية الحكومات مقصورة فقط على وظائفها التقليدية، بل شملت تلك المسئوليات جوانب اقتصادية واجتماعية مختلفة. وكان تحقيق التوظف الكامل هدفا عزيزا على السياسات الاقتصادية في هذه الدول، سعت إليه بكل السبل باعتباره ركيزة الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للرأسمالية. وكان هناك شبه إجماع بين الاقتصاديين وصناع السياسة على أنه لما كانت القوى التلقائية الداخلية للرأسمالية عاجزة عن تحقيق معدلات النمو التي تكفل تحقيق التوظف الكامل عبر الزمن فقد ذهبوا إلى ضرورة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي. وخلال الفترة الممتدة مابين ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠ توسع الإنفاق العام الحكومي توسعاً هائلا، وزادت الخدمات الحكومية ذات الطابع الاجتماعي (التعليم، الصحة، الإسكان، مصروفات الضمان الاجتماعي ودعم الفقراء والتوسع في إعانات البطالة...إلى آخره). كما زاد الإنفاق العسكري والتوظف الحكومي بل وتملكت الحكومات بعض المشروعات الأساسية، كالنقل والمواصلات والفحم والحديد ومشروعات الطاقة. وظهر ما سمي بـ«الحجم الكبير للحكومة». وكل ذلك شكل في الواقع الأسس التي قامت عليها نظم الاشتراكيات الديموقراطية بدول غرب أوربا والنظام الاجتماعي للسوق و «دولة الرفاه». إن ظهور التدخل الحكومي ونمو القطاع العام هي مسائل لا علاقة لها إذن بالاشتراكية أو بالأيديولوجيات .. بل كانت ضرورة أملتها ظروف نمو الرأسمالية واستقرارها في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

محنة الكينزية

حقا، لقد شهدت مجموعة الدول الرأسمالية الصناعية خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٧٠ ازدهارا لامعا، حيث ارتفعت فيها الإنتاجية وزاد التقدم العلمي والتقني وزادت معدلات النمو الاقتصادي، ولم يتعد معدل البطالة فيها عن ٣٪ من مجموع القوى العاملة. وحققت استقرارا نقديا ملموسا، حيث لم يزد متوسط معدل التضخم فيها على ٣٪ سنويا. وآنذاك ساد الاعتقاد، بأن الرأسمالية تستطيع أن تنمو بشكل مستقر وتكفل الرفاه للجميع، وأن الأزمات الاقتصادية العامة وحالات البطالة الواسعة أصبحت من مخلفات الماضي.



لكن الأمـــور تنقلب رأساً على عقب مع دخول حقبة السبعينيات، فقد دخلت المنظومة الرأسمالية في أزمة هيكلية عميقة (مازالت مستمرة حتى الآن) حيث شهدت دول المراكز الصناعية لأول مرة في تاريخها في العقد السابع ظاهرة الارتفاع المستمر للأسعار المصحوب ببطالة واسعة وبركود اقتصادي شديد. وهي الظاهرة التي عرفت تحت مصطلح «الكساد التضخمي» Stagflation. كما انهار نظام النقد الدولي (نظام بريتون وودز) حينما أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية قابلية صرف الدولار إلى ذهب في أغسطس ١٩٧١، وعومت أسعار الصرف واضطربت أحوال التجارة الدولية وتفاقمت نزعة الحماية، وارتفعت الأسعار في الأسواق العالمية (بما فيها أسعار الفائدة) وزاد عجز موازين مدفوعات البلاد النامية، وهو العجز الذي مول بالقروض الخارجية وخلق فيما بعد أزمة مديونية عالمية شديدة المراس.

إزاء هذه الظروف دخلت الكينزية في محنة، فلم يعد جهازها النظري قادرا على تفسير ما حدث، وعجز الكينزيون عن تقديم وصفات أو سياسات لمكافحة البطالة والتضخم والركود، بعد أن بات من الواضح أنه يستحيل في ظل التطور المعاصر للرأسمالية، الجمع بين هدف التوظف الكامل والاستقرار النقدي والتوازن الخارجي وآليات السوق وهكذا تهيأ المناخ لظهور فكر اقتصادي جديد وحينئذ انتصر تيار المدرسة النيوكلاسيكية مرة أخرى (تيار مدرسة شيكاغو) حيث شن أنصار هذا التيار هجوما عنيفا على سياسة تدخل الدولة وعلى توسع الإنفاق العام والملكية العامة ونادوا بضرورة العودة لآليات السوق الطليقة وبيع مشروعات القطاع العام وخفض مصروفات الضمان الاجتماعي وإعانات البطالة، والتخلي عن هدف التوظف الكامل. وهي الأمور التي بلورت سمات الليبرالية الجديدة التي تكتسح الآن مختلف أنحاء المعمورة

على أن ما يهمنا الإشارة إليه في هذا السياق، هو موقف الليبراليين الجدد من قضية البطالة بعد التخلي عن هدف التوظف الكامل. وأخطر ما في الأمر هو القبول الضمني لليبراليين بأن حل أزمة التضخم لن يتم إلا في ضوء القبول بالبطالة والارتفاع بمعدل البطالة الطبيعي. وبالفعل كانت لآرائهم صداها في هذا الخصوص، حيث نجحت معظم الدول الرأسمالية الصناعية في العقد الثامن الماضي في التغلب على مشكلة التضخم، ولكن على حساب نمو البطالة من خلال السياسات الانكماشية التي أوصوا بها (زيادة أسعار الفائدة، تقييد عرض النقود، خفض معدلات نمو الإنفاق الحكومي، بيع المشروعات العامة..).

مشكلة كبرى... البطالة

والواقع أن مشكلة البطالة في دول الغرب الصناعي أصبحت الآن هي المشكلة رقم واحد، حيث يصل معدل البطالة فيها إلى ٩٪ من مجموع القوى العاملة. ويوجد في دول أوربا الغربية الآن ٣٢ مليون عامل

اطل (طبقا لبيانات ١٩٩٢). وإذا أضفنا إلى الرقم ـطالة الموجودة الآن في دول شرق أوربا والاتحاد سوفييتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية، فإن لرقم يمكن أن يصل إلى أكثر من ٦٠ مليون عاطل. أما عن البطالة في العالم الثالث فلا تقل عن ثلاثة أمثال هذا لرقم وخصوصا بعد أن تفاقمت أوضاعها الاقتصادية بعد تطبيق برامج التثبيت والتكيف الهيكلي لليبرالية.

والمعضلة الأساسية التي تواجهها البلاد الرأسمالية الصناعية بشأن مشكلة البطالة، هي أن الصناعات التي ستعتمد عليها موجة التوسع الرأسمالي القادمة هي من ذلك النوع الذي لن يوفر العمل الثابت للعمالة التي اعتمد عليها الإنتاج الصناعي الضخم في أوربا واليابان والولايات المتحدة في الماضي. فالتصنيع كثيف العمالة يتراجع الآن أمام الفنون الإنتاجية الموفرة لعنصر العمل. والإنتاج في الصناعات الجديدة يعتمد على فنون مستحدثة كثيفة المعرفة. وأصبح العمل يدار من خلال أجهزة الإنتاج والإدارة المبرمجة التي يقل فيها العمل الإنساني إلى أدنى الحدود، خصوصا بعد ابتكار «الروبوت» الذي جاء بعد التطور المذهل الذي حدث في صناعة الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصال والآلات الدقيقة. وإذا كان دخول العمل الآلي المبرمج قد أدى إلى زيادة البطالة في كثير من الصناعات، فإن الأمر زاد حرجا حينما دخل هذا النوع من العمل في قطاع الخدمات. وهو القطاع التقليدي الذي كانت له قدرة عالية على امتصاص البطالة في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن. صحيح، أن الموجة الجديدة للصناعات عالية التكنولوجيا ستخلق فرص عمل جديدة للعمالة الماهرة جداً، لكنها في جميع الأحوال لن تستوعب ذلك القدر من قوة العمل التي توجد الآن أو ستوجد في المستقبل. بل إنه نظراً لسرعة التقدم الفني، فإن هؤلاء الذين سيجدون فرصة العمل اليوم سيكونون معرضين في الغد للبطالة إذا لم يواكبوا الحاجات المتغيرة لمهارات العمل والإبداع المطلوبة.

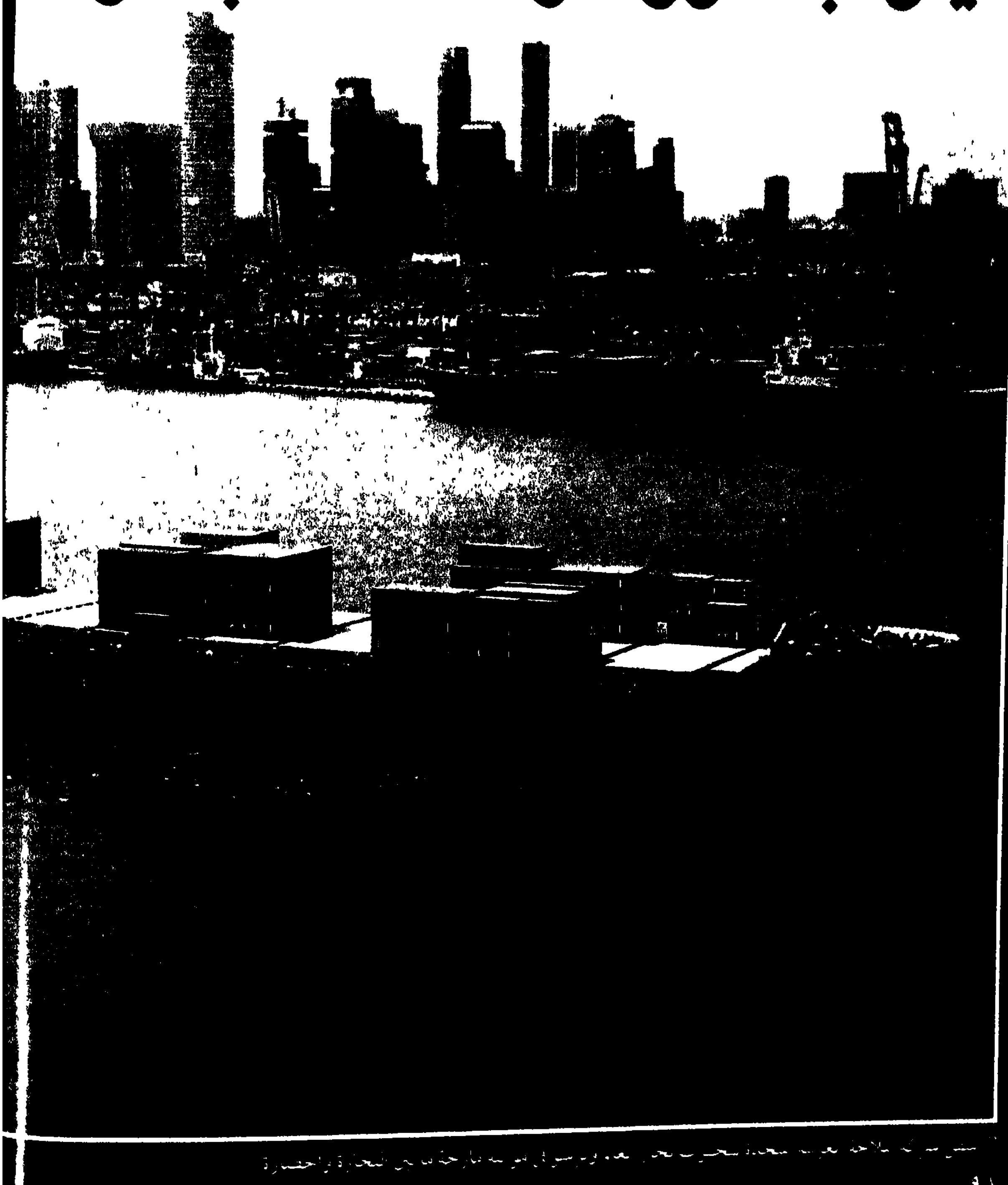
كما أن الورطة الرئيسية في هذا الخصوص، هي أن شغل فرص العمل الجديدة لن يكون ممكنا إلا أمام هؤلاء القادرين على دفع نفقة التعليم وإعادة التدريب والتعرف المستمر على مهارات الثورة العلمية والتقنية، هذا في الوقت الذي أصرت فيه السياسات الليبرالية الجديدة على تقليل الإنفاق الحكومي الموجه للتعليم والتدريب، وجعلت التعليم خاضعا لاقتصاديات السوق، ومن ثم وقفاً على من يقدر على تحمل نفقاته المرتفعة. والرأسمالية الجديدة بهذا الشكل حكمت على القاعدة العريضة من العمال والفنيين والموظفين وشرائح كثيرة من الطبقة المتوسطة، حكمت عليهم بالبطالة المستديمة.

وداعا للتوظف الكامل

وخلاصة ما تقدم، هي أن مشكلة البطالة أصبحت الآن في الدول الرأسمالية الصناعية أزمة هيكلية، لا تجدي أمامها الوصفات الكينزية التقليدية، ولا الوصفات السطحية (النقدية والمالية) التي تعتمد عليها الليبرالية الجديدة. ومشكلة البطالة إذن ستصبح هي القنبلة، دائمة الخطر، التي يتعين على المراكز الرأسمالية الصناعية أن تضع لها ألف حساب، نظراً للأخطار المحدقة التي ستنجم عنها (العنف، التطرف، العنصرية، الجريمة، حوادث الشغب.. إلى آخره). ولكنها في جميع الأحوال ستعيد من جديد انبعاث الحركة العمالية التي كان الغرب الرأسمالي قد راهن على موتها إبان فترة النمو الذهبي لرأسمالية عالم ما بعد الحرب (١٩٤٥ ــ ١٩٧٠). ومن المتوقع أن تحتدم الأوضاع الاجتماعية والسياسية في مراكز المنظومة الرأسمالية، خصوصا بعد التضحية بدولة الرفاه والتخلي عن هدف التوظف الكامل والقبول الواسع للبطالة. بيد أنه لن يكون بإمكان أي دولة رأسمالية أن تتحمل على المدى الطويل هذا الضغط الاجتماعي والتوترات المتزايدة التي سببتها البطالة وتفاقم أحوال الجيش الاحتياطي للعمل واستمرار عمليات الإفقار المطلق لأقسام واسعة من العمال والموظفين (فقدان فرص العمل والدخل، والغلاء، تلاشي كثير من بنود الضمان الاجتماعي...).

هكذا قالت الدول الرأسمالية الصناعية: وداعاً للتوظف الكامل. وفي النهاية يمكن بلورة ورطة الرأسمالية في مرحلتها الراهنة في التناقض التالي: أنه في الوقت الذي أصبح فيه ممكناً زيادة الإنتاج زيادات هائلة ومستمرة، إلا أن هذا الإنتاج أصبح يتم بأعداد قليلة جداً من العمالة، مما يعني التزايد المستمر للعاطلين. وهو مأزق خطير، لا حل له، فيما أتصور، إلا بتجاوز الرأسمالية نفسها. □

ملاحون عرب يواجهون قراصنة البحر



[illegible]



استطلاع : الدكتور محمد المخزنجي
تصوير : حسين لاري

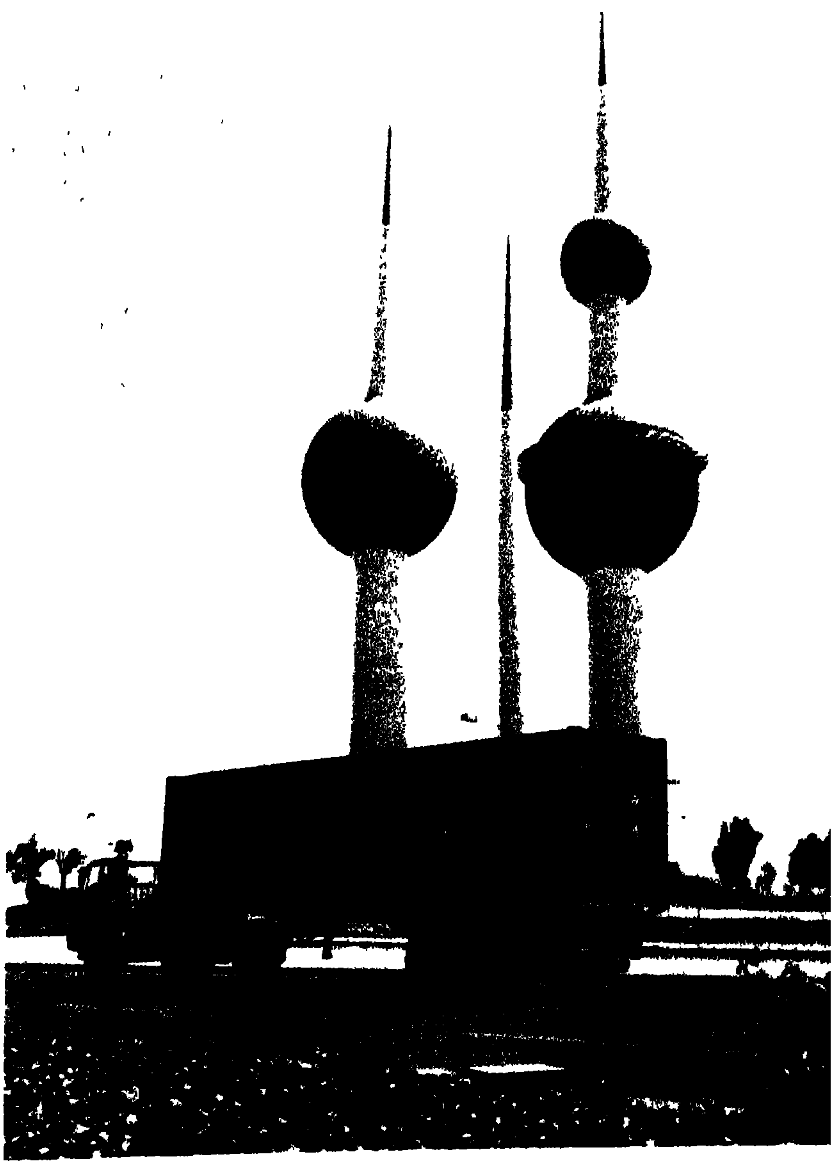
كما في الحياة تحت سطح الماء يكون الوجود قوة. فإن لم نكن كبيرا أُكلت كما يُؤكل الصغار، والمسألة هنا لا خيار فيها، فالوطن العربي الذي توشك أن تطوقه مياه البحر من كل جانب، ينبغي أن نحسن التعامل مع البحر كما أحسن الأسلاف. خصوصا أن القرصنة البحرية ما زالت تعيث في بحار الدنيا وإن تغيرت ملامحها، وهذه لمحة عن حوت عربي - بالمعنى الاقتصادي والتقني - يجوب بحار العالم في اقتدار، وإن في هدوء، مواجها قراصنة البحر في عصرنا، وقابلا التحدي.

في الطريق إلى مبنى شركة الملاحة العربية المتحدة الضخم بطريق المطار بالشويخ، تداعت إلى الذاكرة صورة رأيتها منذ سنوات عديدة حين كنت طبيبا للحجر الصحي بقناة السويس، وقناة السويس لمن ينظر من إحدى زواياها تشبه معرضا تتعاقب في مجراه سفن الدنيا، عارضة ضخامتها أو هزالها، فخامتها أو بؤسها، وكان مشهد العرض يتجلى مع مرور القوافل أو عند الرسو، حيث تتبدى السفن كعمائر أو جبال أو جمال تجري على صفحة الماء أو تطفو راسخة عليه. وبينما كنا ندور في قلب ميناء القناة مفتشين على السفن الراسية، إذ بسفينة ضخمة من نوع الحاويات «التانكرز» تقف على حافة المرسى القريب من الشاطىء، وتحت جسمها الفولاذي الهائل عند

مدخل سلمها الخارجي كانت زوارق البمبوطية (تجار البحر) تتأرجح في جذل، ومن أحد الزوارق كانت نغمات السمسمية تتصاعد صانعة لحنا ـ لا بد أنه كان تلقائيا ومن بنات أفكار اللحظة ـ وعلى إيقاع اللحن كان البمبوطية يغنون رافعين وجوههم التي لوحتها الشمس وقد تعلقت القبعات القماشية عريضة الحواف عند قذال رءوسهم، كانوا يغنون للسفينة ولبحارتها الذين يطلون من عند حافتها العالية البعيدة، وعلى الرغم من أن اللحن كان يعزفه زورق واحد إلا أن كل الزوارق كانت تشارك في الغناء، وكانت الأغنية المتقافزة على إيقاعات السمسمية السريعة الفرحة تقول:

«مركبنا والله .. عربي
وقبطانه والله .. عربي
وكلامنا كله .. عربي
وحضرة نبينا .. عربي
صلي وكبر .. صلي
الله أكبر .. صلي
ومركبنا والله .. عربي»

لم أنتبه لكون السفينة الهائلة عربية حقا، إذ طالما كانت تصيبني بالأسى سفننا العربية، فعلى الرغم من أننا أصحاب تاريخ عريق في ترويض البحر، وأننا من أسلاف أسد البحار وجوابي البحار العرب، ومع أن البحر يوشك أن يكون عربيا لفرط ما تحيط مياهه من كل صوب ببلاد العرب، إلا أن السفن العربية التي كنت أراها تمر أو ترسو في قناة السويس كانت تشي ببؤس الحال، في أغلب الأحوال، فهي على الأرجح ضئيلة وتوشك أن تكون صدئة، لهذا عندما صعدت إلى السفينة لاستكمال إجراءات الحجر الصحي على ظهرها لم أقرأ الكتابة العربية على جسمها، ثم إن الصواري التي تحمل أعلام السفينة كانت تختفي من الجانب الذي رحنا نصعد عليه، كنت أظن أن البمبوطية يغنون كنوع من ترويج بضائعهم التي يحملونها في بطون الزوارق، وتذهب بالحبال إلى ظهر السفينة، وتعود أثمانها إلى الزوارق بالحبال، لكنني اكتشفت وأنا على ظهر السفينة أنها عربية حقا، وقبطانها عربي، وأغلب بحارتها من العرب، وأنها كانت في رحلة طويلة قادمة من المكسيك، ومتجهة إلى



□ صندوق من صناديق حاويات شركة الملاحة العربية المتحدة عند أبراج الكويت.







□ المهندس/ محمد حسن الريس
رئيس مجلس الإدارة

□ السيد/ عبدالله ماضي الماضي
المدير العام.

□ السيد/ شاكر جاسم الصانع
نائب المدير العام.

يقودون بهدوء أضخم خط ملاحي وطني عربي لدول الخليج. شركة الملاحة العربية المتحدة.

الكويت. كانت تلك إحدى سفن شركة الملاحة العربية المتحدة التي توقفت عند بوابتها في شارع المطار وكنت على موعد مع القائمين عليها للاستضاءة بآرائهم في مسألة ظلت تؤرقني طويلا منذ أيام عملي العيدة في الموانيء، فلقد اكتشفت حينها أن القرصنة البحرية - في جوهرها - لم تنته في بحار ومحيطات العالم وعلى شواطئه، وأن البحر غابة يفترس فيها الكبار الصغار، فإن لم تكن حوتا لقيت مصير الأسماك الصغيرة، ولقد كانت شركة الملاحة العربية المتحدة - في ذهني - منذ ذلك الزمن البعيد، حوتا عربيا يجوب بحار العالم في ثقة واقتدار دون أن يعلم عنه كثير من العرب شيئا، حوتا من فولاذ وإلكترونيات وعنفات جبارة، يقوده ملاحون عرب يصارعون - دون ضجيج - في خضم بحار العالم ومحيطاته التي لا تعرف الهدوء أو السكينة.

للقرصنة وجوه أخرى

ولقد أدهشني ذلك الهدوء الذي يتحلى به قادة هذا الحوت العربي الجبار، فهم يواجهون تحديا يوشك أن يكون صراعا عاتيا مع إمبراطوريات النقل البحري العالمية، لكنه هدوء - بحجم الإنجاز والأداء وقوة الشركة - يعبر عن طمأنينة الواثقين، وقد كان سمة كل من التقيت بهم: المهندس محمد حسن الريس رئيس مجلس الإدارة، والأستاذ عبدالله ماضي الماضي المدير العام، والسيد شاكر جاسم الصانع نائب المدير العام.

لم يبخل بالإجابة عن أسئلتي أحد ممن التقيت بهم في الشركة، سواء في الإدارة، أو الأقسام الفنية، أو إدارة العلاقات العامة والإعلام، خصوصا الأستاذ عبدالرحمن الحمود مدير العلاقات العامة والإعلام، والأستاذ سالم العجمي من القسم الصحفي، إذ كان لهما فضل تنسيق اللقاءات، وفتح أبواب الميناء لنا، وتسنُّم أبراج سفن الشركة في الخليج، وإحالتنا بعد ذلك إلى أعداد مجلة المرساة العربية التي تصدرها الشركة، وملف ندوة الاحتيال البحري العالمية التي نظمتها الشركة من قبل، ومن مزيج كل الإجابات التي حصلت عليها توافر المداد الذي أعالج به هذا الموضوع الخفي عن عيون القراء القابعين على البر، ولعل المدخل يكون في الإجابة عن أول الأسئلة التي كنت أطرحها في ذلك الخضم:

ما هي القرصنة البحرية وهل انتهت؟.

تتجمع كل الأصوات التي أصغيت إليها في جولتي بمبنى الشركة وعلى ظهر السفن لتقول إن القرصنة PIRACY ـ البحرية خاصة ـ هي كل نهب أو عنف ينتهي إلى غايات خاصة دون مرجعية للهيئات المسئولة، وخارج كل قانون دولي أو محلي، ولهذا فإن





□ لا تكتفي الشركة بالنقل البحري بل تتبعها خدمات للنقل على البر وفي الجو تغطي مساحة كبيرة من العالم، وصناديق حاوياتها في ثلاث صور بالإمارات ولندن وسنغافورة.

لا بد أنه باعها لمشترٍ آخر، ويقال إن تجار الأخشاب السنغافوريين فقدوا في نصف عام فقط ما يقارب ١٣ مليون دولار في حوادث اختفاء سفن شحن أخرى.

ومن الشائع في هذا الصدد أن تذهب السفن بحمولتها إلى مكان آخر، غير الذي ينتظر فيه المشتري الأصلي، عندئذ يتم بيع الشحنة مرة ثانية لمشترٍ جديد، ويتم تسريح بحارة السفينة في هذا الميناء ويستأجر المالك بحارة غيرهم يذهبون بالسفينة إلى المياه العميقة حيث يجري إغراقها عمدا لتختفي آثار الجريمة وليقبض المالك قيمة التأمين من الشركة التي يستحيل عليها حشد بعثة من الغواصين والخبراء لتبين الحقيقة في متاهة المياه العميقة تلك.

صور غريبة من التحايل تقطع بوجود حقيقة واضحة مؤداها أنك عندما تضع طعامك في يد غيرك، فإنك تصبح عرضة لاحتمالات عديدة: ألا يصل هذا الطعام إلى فمك من الأصل، أو يصل منقوصا أو مغشوشا أو متأخرا.. إذن.. ما دمت تحيا على شاطىء البحر، تورد وتستورد، فلا مفر من أن تكون يدك أنت هي التي تأتمنها على ما تحمله إلى فمك، ويدك أنت هي التي تأتمنها على ما تريد نقله إلى العالم.

وشركة الملاحة العربية المتحدة، كخط ملاحي عربي وطني، هي يد الخليج العربي التي يمنع وجودها حدوث الاحتمالات المريرة للتحايل البحري، الصورة العصرية من القرصنة القديمة التي انقرضت. فهل لنا أن نتعرف على قدرة هذه اليد التي تكافح - بمجرد أنها موجودة - تلك القرصنة البحرية.

يد الخليج العربي عبر بحار الدنيا

في شهر يوليو عام ١٩٧٦ اشتركت دول الخليج في تأسيس هذه الشركة برأسمال مصرح به قدره ١٧٧١ مليون دولار أمريكي، وكان القصد الأول لمهمتها الأساسية كخط وطني لدول الخليج العربي هو تلبية احتياجات النقل البحري لمنطقة الخليج العربي، إضافة لذلك فإن توسعها للمشاركة في خدمة التجارة العالمية، أخذاً وعطاء، كان طموحا حيثما كان ذلك ذا جدوى اقتصادية تعود على المنطقة وتعود على الشركة ذاتها لتطوير إمكاناتها.

ولم تخذل السنوات التالية حلم المؤسسين، فقد قفزت الشركة لتتبوأ بجدارة - إذ لا سبيل آخر غير الجدارة في بحار لا تعرف إلا قيم العمل وقوانين العرض والطلب والسباق على الأفضل والأوفر - مركز الناقل الأكبر للحمولات البحرية الجافة إلى منطقة الشرق الأوسط، وهي تقدم لمناطق الخليج العربي / البحر الأحمر ومن مختلف مناطق التجارة في العالم، خدمات أكثر من أي خط ملاحي آخر بمفرده، ولم تتوقف خدماتها الحيوية



للمنطقة رغم اشتعال نيران الحرب في الخليج مرتين، بل إن الشركة خلال الفترة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٢ زادت حمولة الحاويات بها إلى ٧٥٪ لتشمل خدمة الحاويات لديها النشاط التجاري العالمي بين شرق أوربا والبحر الأبيض المتوسط والشرق الأقصى وأمريكا الشمالية، وجنوب وشرق إفريقيا.

وحتى تشغل هذا المركز، بإجمالي حركة مبيعات سنوية تزيد على نصف بليون دولار، وبأصول إجمالية تزيد على بليون دولار، فإن الشركة تعمل بأسطول تمتلكه مائة بالمائة ويتكون من ٤٧ سفينة بينها ٣١ سفينة لنقل الحمولات العامة وتتم صيانتها جميعا طبقا لأرقى مستويات الصناعة العالمية وتصنف في درجة لويدز 100A1 المرموقة.

ومن بين سفن الأسطول الذي تمتلكه شركة الملاحة العربية المتحدة تبرز سفينتان من طراز «فيودوسيا»، الطاقة التحميلية لكل منها ٨٦٠ حاوية نمطية، ٤ سفن من طراز A1 طاقتها التحميلية ١٢٤٠ حاوية نمطية، ٩ سفن من طراز A2 الطاقة التحميلية لكل منها ١٨٤٦ حاوية نمطية، بالإضافة إلى عدد ٧ سفن مستأجرة من الحجم ذاته وحتى نتخيل حجم كل من هذه السفن نشير إلى أن أبعاد الحاوية النمطية الواحدة هي ٢٠ أو ٤٠ قدما × ٨ أقدام، أي أن أصغر سفينة من سفن الحاويات تشبه جبلا يجري على الماء. لقد كانت السفينة التابعة لشركة الملاحة العربية المتحدة التي رأيتها في قناة السويس منذ سنوات بعيدة جبلا يجري على الماء، لكنني في مياه الخليج شاهدت جبالا أخرى، ورحت أراجع أسماء هذه السفن الجبال التي يبلغ حجم أسطولها من صناديق الحاويات ٩٢ ألف حاوية نمطية، وقد كانت كلها جبالا عربية تجري على الماء، ولنقرأ هذه الأسماء لبعض من سفن شركة الملاحة العربية المتحدة: ابن خلكان، ابن قتيبة، ابن حزم، ابن رشد، حجاز، ابن زيدون، ابن الأثير، ابن حيان، ابن النفيس، تبوك، ابن الرومي، ابن بسام، ابن مالك، ابن المعتز، ابن العيار، ابن بطوطة، صلاح الدين، ابن طفيل، ابن الهيثم، ابن عساكر، فتح الخير، جبل علي، الاحساء، حورابي، قطري بن الفجاءة.

شيء مدهش، وكأن هذه الجبال العربية العائمة، التي تقطع بوجودها الطريق على القراصنة الجدد في بحار عالمنا المعاصر، أي المتحايلين، إنما تقوم بنوع من التظاهرة الثقافية العربية وهي تتنقل بين موانيء الدنيا حاملة اسم حكيم عربي، أو فيلسوف عربي، أو قائد عربي، أو طبيب عربي، فكأنها تذكر الدنيا بأننا أصحاب حضارة فلا تستكثروا علينا أن تكون لنا ذراعنا الخيرة الطويلة التي تمتد بالخير وللخير عبر بحار العالم.

خدمات الشحن البحري

	١٩٩٠		١٩٩١		١٩٩٢	
	عدد الرحلات	الحاويات النمطية	عدد الرحلات	الحاويات النمطية	عدد الرحلات	الحاويات النمطية
تحميل الحاويات النمطية	١٢٠	١٦٨,٥٦٤	١٣٢	٢٤٧,٤٧٣	١٥٢	٣٣٢,٥٦١
	الفراغات المباعة		الفراغات المباعة		الفراغات المباعة	
تحميل الفراغات المباعة		٢١,٤٨٠		٢٧,٣٠٥		٥٨,٥٣١
المجموع الكلي	١٢٠	١٩٠,٠٤٤	١٣٢	٢٧٤,٧٧٨	١٥٢	٣٩١,٠٩٢

□ عمليات خدمات الحاويات ـ الرحلات، الحمولات والفراغات المباعة خلال ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢

الخدمة	١٩٩٠		١٩٩١		١٩٩٢	
	عدد الرحلات	الطن الشحني (بالألف)	عدد الرحلات	الطن الشحني (بالألف)	عدد الرحلات	الطن الشحني (بالألف)
أوروبا الشمالية/ الخليج العربي	٢٠	٥٣٠	٢٧	٨٦٩	٣٠	٨٦٧
الشرق الأقصى/ الخليج العربي	١١	٢٢٣	٩	٢٠٠	١٥	٣٢٠
الولايات المتحدة الأمريكية/ الخليج العربي	٣	٤٩	١١	١٨٧	١٥	٢٤٦
أمريكا الجنوبية	١٦	٢٨٥	١٥	٢٦٥	١٧	٢٦٩
المجموع الكلي	٥٠	١,٠٧٨	٦٢	١,٥١٢	٧٧	١,٧٠٢

□ خدمات الحمولات العامة ـ الحمولات والرحلات خلال ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢.

نعم.. إنها تظاهرة ثقافية، وحس عروبي يزهو بجذوره عند مرافئ العالم، فعلى سبيل المثال تتردد السفينة خالد بن الوليد بين لندن وأرمير ويوكوهاما، وابن جبير بين فينيسيا وبومبي وخورفكان، وابن سينا بين نيويورك وفينيسيا، وابن زيدون بين بالتيمور وناجويا، وقطري بن الفجاءة بين لوهافر ويوكوهاما.

لقد وقفت في أحد أبراج القيادة بواحدة من سفن الشركة في ميناء الشويخ، وكان الربان عربيا يشرح لي التطور الإلكتروني الذي أدخل في بناء السفن، فنقلها إلى مستوى دقة الطائرات الحديثة الضخمة ورهافتها، وكنت أتطلع إلى بعض من الجبال العربية العائمة التي كانت جميعها من سفن شركة الملاحة العربية المتحدة، وخطر لي أن العمل الصحيح يحمل كل سمات الصحة في أصغر أجزائه وأكبرها، فعندما اختارت الشركة أن تكون خطا وطنيا عربيا للملاحة البحرية في الخليج، مانعة في شموخها تسلق أفاقي التحايل البحري على جدران التجارة العربية البحرية، فإنها أيضا كانت تتشبث بأصولها الحضارية العربية وتزهو بها أينما ذهبت. □



ذلك الأثر

قصـــة بقلــــم:
أبـــو المعـــاطـــي أبـــو النجـــا

كنت قد انتهيت من ارتداء ملابس الخروج في ذلك الصباح، وكالمعتاد وقفت أمام المرآة ألقي نظرة أخيرة على هندامي، فوجدت يدي تمتد إلى المشط الموضوع فوق التسريحة، وتمضي به في حركات شبه محفوظة في شعري تبدأ من مفرقه جهة اليسار إلى جانب رأسي الأيمن.

في ذلك الصباح فوجئت بحفيدي الذي كان يقف خلفي تماما دون أن أشعر به، يقول:

ـ جدي.. أنت ليس عندك شعر يا جدي!.

حملت الصغير بين يدي، وقبلته وأنا أقول له:

ـ متى صحوت أيها العفريت؟.

حاولت بتوجيه سؤالي الواضح له أن أهرب من سؤاله المضمر، ولكن الصغير لم يلبث أن نسي السؤالين معا حين وقعت عيناه على لعبة كانت قد ضاعت منه خلف أحد المقاعد، فانحشر خلف المقعد ليصل إليها.. أما أنا فقد وجدت نفسي ـ وربما دون قصد ـ أعود إلى التفكير في ملاحظة حفيدي التي نسيها!.

لم أكن أجهل طبعا أنه ليس عندي شعر ولكني تعودت أن أتعامل مع ما تبقى منه كما كنت أتعامل معه حين كان غزيرا وأسود، وقتها كنت أسرحه أيضا من اليسار إلى اليمين، فقد كانت تلك هي الطريقة المناسبة لإخفاء تلك البقعة المستطيلة من جلد رأسي التي تخلو تماما من الشعر، والتي سوف تظهر لا محالة لو سرحت شعري إلى الوراء، مع أن تلك كانت هي «المودة» في تلك الأيام تأسيا بالنجم أنور وجدي، كنت حريصا منذ أيام الشباب الباكر على أن أخفي ذلك الأثر الذي أحمله في مقدمة الجبهة من آثار الكي بالنار الذي تعرضت له وأنا طفل صغير كمحاولة أخيرة لإنقاذي من مرض حار فيه طب تلك الأيام فكان آخر الدواء الكي! وفي الواقع أنه لم تكن تلك البقعة المستطيلة الخالية من الشعر في مقدمة رأسي هي الجزء الوحيد الذي تعرض للكي بالنار من رأسي، فقد كانت هناك بقعة أخرى مستديرة في حجم القرش في قمة رأسي تماما قد تعرضت للكي بالنار، وأصبح جلدها ميتا لا ينبت فيه شعر، ولكنها في موقعها الحصين العالي لم تكن تسبب لي أية مشكلة، فلا أحد يمكنه أن يراها هناك، ولهذا فلم تكن تؤثر على طريقة تسريحي لشعري.

ولأول مرة أجد نفسي ــ بقصد هذه المرة ـ أطيل التفكير في معنى سلوكي الذي أمارسه كل صباح بدرجة من الآلية، وكأنني لا أزال أخاف أن يرى أحد ذلك الأثر الباقي في مقدمة رأسي، نعم ذلك الأثر الذي لا يكاد يبين حتى لعيني، فمن يمكن أن يلاحظه الآن؟ أو من يهتم بأن يلاحظه؟!.

ومع ذلك فكل هذه البديهيات لم تنجح في إنقاذي من عادة قديمة حتى جاء حفيدي ليفتح عيني على ما لا أريد أن أراه!.

أين اختفى الصغير؟.. كان لا يزال يجاهد في البحث عن لعبته التي لاحت لعينيه من مكمنها خلف المقعد إثر نظرة عابرة!.

كان ما لا أريد أن أراه بحق هو سؤالا آخر تولد عن السؤال المضمر في ملاحظة حفيدي.

أكانت هذه البقعة الخالية من الجلد في مقدمة رأسي هي الأثر الوحيد الذي تخلف عن حادثة الكي بالنار، والذي أحرص على إخفائه، أم أنه كانت هناك آثار أخرى ربما أخطر.. ربما أغزر، تركها هذا الحادث ليس في جلدي بل في شخصيتي وفي سلوكي؟!.

ترى كيف كنت أشعر بها؟ وهل كنت أسعى إلى

إخفائهـا؟ وبأي الطرق؟ وهـل كنت أنجـح في لعبة الإخفاء تلك أم أن الآثار على هذا الجانب كانت أكثر خفاء وتعقيـدا من أن أراها في حجمهـا وفي حقيقتها مثلما كنت أبصر بقعة الجلد المستطيلـة؟! وبالتالي فلم أفعل شيئا لإخفائها، ربما يراهـا كل الناس ما عداي، وربما يدركـون ما تعنيه دون أن أدركـه؟! وانصرفت جهـودي الرائعـة لإخفـاء بقعـة الجلد المستطيلـة في مقدمة رأسي!.

السؤال الدليل

وجدت سؤال حفيـدي ـ الذي نسيه تمامـا ـ يقودني هـذه المرة دون هـوادة أو رحمة إلى رحلـة كنـت ـ دون سبب واضح ـ أتجنب السير في طريقها!.

لماذا كنت أتجنب التفكير في هذه الواقعة برمتها، لماذا ظلت ذكرياتي عنها شاحبة وباهتة؟ لقد عاش أبي حتى رأى أولادي وكذلك عاشت أمي، وكلاهما من شهود الواقعـة ومن العـارفين بكل مـا يتصل بها دون شـك، فكيف لم أصـارح أحدهما أو كليهما بما كـان يختلج دائما في داخلي حول هذه الواقعة؟!.

كيف قنعت بثرثـرة أمي حـول إخوتي الثـلاثة الـذين جاءوا قبلي إلى الدنيـا ثم رحلوا عنها قبلي، وكـانوا يخافون علي من مصيرهم، ثم تقفز أمي في حديثها عن الواقعة من أسبابها إلى نهايـاتها، فتقول إنني طللـت بعد حادثـة الكي أملأ حجر حلبابي بالأحجار وأقذف بها باب بيت الرجل الذي كواني بمسمار النار مع أن تلك كانت مهنته في القرية يقوم بها مع الصغار والكبار والحيوانات بكل أنواعها.

لم يكن ما أهتـم له هو الأسباب أو النتـائج ولكن ما كـان يهمني هـو الواقعـة ذاتها، كيـف حدثـت؟ وحين سألت عنها أبي ذات مرة لم يجب، بل انخرط في البكاء، فلم أعـد أبدا لسؤاله مـرة أخرى! ما كان يهمنـي بحق هو كيـف مر طفـل عمره أربعـة أعوام بهذه التجـربة؟ كيف أمسكوا بي. يقينا لم يكن أبي هو الذي فعلها، قلبه أرق مـن أن يفعـل هـذا بأي طفل..! دعك من كـونـه أبي؟ هـل



كنت أدرك على أي نحو مـا أنا مقدم عليه؟ أو مـا يراد بي؟ هل كانـوا يهتمون بإخفاء ما يـريدون أن يفعلوا بي حتـى اللحظـة الأخيرة على الأقل؟ ومـع ذلـك فكـم ياترى دامـت لحظة الإدراك القاسية تلـك؟ ومن الذي فعلها؟ أقصـد من الـذي أمسك بي، لقـد حدث فعـل الكي مـرتين، ومعنى ذلـك أنه كـان هناك وقـت ممتد، وإدراك ممتد، مـا الذي دار في رأس الطفـل الذي كنتـه بعد المرة الأولى، بعد الصدمـة الأولى لو بقيت في رأسه قـدرة على التفكير..! ثم بعـد المرة الثانيـة؟ هل تصـور الطفـل الـذي كنتــه أنـه ستكـون هنـاك ثـالثـة وربما رابعة؟!.. إذ ما الفرق؟ وما المعنى؟ وما المنطق؟.

شغلني دائما أمر الرجل الـذي أمسك بي، لا بد أنه كان عملاقا، قادرا على أن يوثقني بيديه فلا أفلت منه طوال هذه المدة!.. لم يحدثني أبدا أحد عنه، والغريب أني لا أتذكر أبدا صورته! لا بد أنه كان أحد أعمامي، لابد أنـه كان شخصـا أثق بـه، وأطمئن إليـه لأمضي معه بهدوء إلى مـا يراد بي.. كانـت تلك أول خبرة لي مع دنيا الخداع والمخاتلة، مع انهيار الثقة فيمن تحب! مع اختلاط الخير بالعذاب والألم، مـع الذين يقولون لك: إن كل هـذا العذاب لا مفر منه.. لكـي تنجو.. لكـي تعيش.. كنـت أعيش لأول مـرة وأنا طفـل في الرابعة من عمري خبرة المشي على الصراط فوق النار لكي أصل إلى فردوس الحياة؟!.

كيف فهمـت وقتها معنـى أن أبي لم يكن مـوجودا؟ معنـى أنـه تركنـي لهم أو قـادني إليهـم، ولم يحضر حين ناديته صارخا وملهوفا؟.

كيف فهمـت معنى جهله أو تـواطؤه أو عجـزه عن إنقاذي من أيديهم؟!.

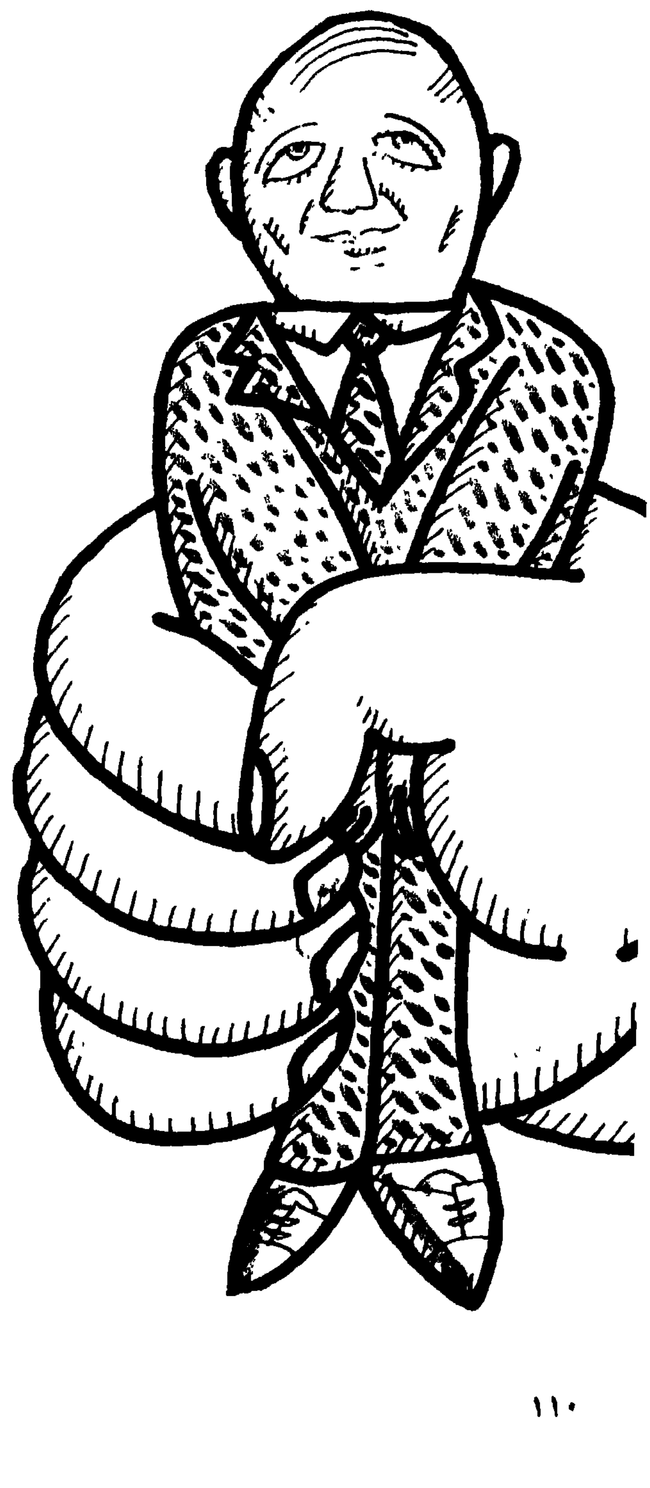
أين وكيف أخفيـت كل هذا الرعـب الذي تفجر في داخلي عبر تلك اللحظات المرعبة؟ أين وكيف أخفيت شكي فيمـن وثقت بهم، وكراهينـي لمن أسلموني لهم، لمن عجزوا ـ رغم محبتي لهم ـ عن إنقاذي مما يحدق بي؟ ثم كيف عـدت أحبهم من جديـد دون حقد أو ضغينة أو بهما خافيين ملتبسين!!.

وفجأة تراءى لي في وضوح قـاس أن كثيرا ممن كنت أظنـه بعض صفـاتي الطيبـة طـوال سني عمـري ربما لم يكن سوى أسلوبي الطفـولي في تجنب الهول الذي كنت أخشى أن يأتيني فجأة ممن أحبهم وأثـق بهم؟! وكيف حـدث أن تصالحت عبر الأيـام والسنين مع أبي وأمـي وأعمامي؟ وماذا كـان الثمن الذي دفعته أو دفعـوه هم


حلمي التوني 93

أيضا من أجل أن يتم هذا التصالح؟ ومرة أخرى خيل إليّ أنني أرى في وضوح قاس، وربما لأول مرة ثمن ذلك التصالح في ألوان من سلوكي ما كان بمقدوري أن أنجح في إخفائها تحت أي شعر أو شعار؟!.

المخاوف اللامعقولة التي كانت تظهر فجأة على السطح حين تلوح أمامي فرص للنمو وللمغامرة، فتخطفني من أمام الفرصة أو تخطف الفرصة من أمامي حين أتردد في اتخاذ المبادرة التي قد تكون مجرد كلمة أو خطوة أو ابتسامة أو قرار!.



ذلك الغضب في ذلك البلد

لم أشعر أبدا بالخجل في أي يوم مما كنت أعتقد دائما أنه جزء من صفاتي الطيبة حتى ذلك اليوم الذي سمعت فيه ذلك الإطراء لبعض هذه الصفات من رجل غريب في بلد غريب، وربما كانت هذه الغربة هي التي دفعت الرجل لكي يقدم تأسيسا لهذا الإطراء، فقال:

ـ إن فيك تلك الطيبة التي تميز الكثير من المصريين.

ولأول مرة لم أسترح لهذا الإطراء، ورحت أخفف من غضبي بملاحظة ملابسات خاصة أحاطت بموقف الرجل الغريب في البلد الغريب.

رؤية

لا أدري ما الذي جعلني أتذكر فجأة هذه القصة التي وقعت منذ وقت بعيد في ذلك البلد الغريب في هذا الصباح.. لا أدري ما الذي جعلني أشعر حين تذكرتها بأنني أشم رائحة شيء يحترق، كأنه شعر رأسي، واختلطت تلك الرائحة بصورة غريبة غامضة لعملاق أمسك في قبضته الخرافيه التي تحتوي على آلاف الأصابع بأعناق كل المصريين، وراح يكويهم في جباههم بالنار بحجة أنه يقدهم من هلاك محقق أو يقودهم لخير عميم، وليتعمد ذلك الشعب بطيبة الخائفين!.

الحفيد يصرخ

صراخ حفيدي هو الذي أيقظني من هذه الرؤية المرعبة. حفيدي الذي كان يحاول استخلاص لعبته الضائعة، لقد نجح في الوصول إلى لعبته، ولكنه أصبح عاجزا عن الخروج من المأزق الذي وضع نفسه فيه لكي يصل إلى لعبته، خلف المقعد، ولم أشأ أن أتعجل في تقديم العون له، كنت مطمئنا إلى أنه سوف ينجح في تخليص نفسه، وأنه يستحق بعد ما فعله بي أن يعاني قليلا، ما دامت هذه المعاناة لن تفقده القدرة على التذكر! .□


العربي الصغير
رسالة إلى كل الأطفال العرب
وإلى كل الآباء العرب
العربي الصغير
يعود إليكم قريباً
العربي الصغير



□ إيما تومسون كما تبدو في «بقايا النهار»

السينما تعود إلى ينـ

بقلم: محمـــد رضـــا

قبل نحـو عام، تـردد في الأوسـاط النقديـة السينمائيـة في الغـرب أن مـؤرخـا سينمائيـا هولنـديا وجـد في بعض أسواق الخردوات و«الأنتيك»، علبـة فيلم قديم مـا أن فتحها حتى وجـد فيهـا مادة مصـورة. بـالفحص اللاحق تبين أنها فيلم تم إنتاجه عام ١٩١٢ مدته خمس دقائق ومقتبس عن «الملك لير».

يمكننـا أن نسأل لا عن كيف يستطيع مخرج مـا تحويل مسرحية ويليـام شكسبير هذه إلى فيلم من خمس دقـائق، لأن الفيلم كـان عبـارة عن مشهـد ممسرح واحد من صفحـات «لير»، بل لماذا انصب اهتمام المخرج المجهول على العمل الأدبي لتقديمه فيلما؟.

في المعاينـة الأولى يبدو اهتمام المخـرج بنقل «شيء ما» عن شكسبير مشروعـا. في المعـاينة الثـانيـة ومـا بعدهـا يتبدى لنـا أن نقل أي شيء عن أي أديب ليس الموضوع الـذي يبحـث حتى في إطـار فيلم تم تحقيقـه مع مطلع القرن، بل مـا توحي بـه العمليـة من عـلاقة عضـويـة أسـاسيـة بين الفيلـم، كفن تعبيري، وبين المجـالات والفنون التعبيرية الأخرى، كالمسرح والأدب الروائي، من دون التقليل من شأن الأعمال السينمائية التي أنتجت على مر العقـود نقلا عن سيناريوهـات كتبت خصيصا،

وبـذلك منحت السينما المزيـد من استقـلاليـة التعبير والفكـر والثقافـة. ولم يكن الفيلم الشكسبيري الهولندي الأول في تاريخ الاقتباسات السينمائيـة على الشاشة. ففي العام ١٩٠٢ قام المخرج والمنتج الفرنسي فرديناند زيكا «zecca» بتكثيف روايـة أميل زولا l'assomoir في خمس دقائق سينمائية تحت عنوان جديـد هو «ضحايا الكحول» Les Victimes d l'Alcolisme.

وكان زيكا «١٨٦٤ ـ ١٩٤٧» ممثلا قبل أن يتحول إلى الإنتاج والإخراج لحساب شركة باثي الفرنسية.، وكانت دوافع زيكـا حينهـا هي اهتمامه بتعريض الحيـاة التحتيـة للمجتمع للضـوء. وفي هـذا الهدف حقـق بضعـة أفـلام يمكن أن يقال عنها اجتماعية من بينها «ضحايا الكحول» وقبله بعام فيلم بعنوان «تـاريخ الجريمة». لكن زيكا كان متعدد الاهتمامات، فهـو أيضاً ـ وفي الفترة نفسها ـ أقدم على إحراج «كوفاديس» و«علي بـابا والأربعين حرامي»، واحـد من أولى الأفـلام التي قـدمت شخصيـة عـربيـة رئيسية.

بعـد ذلك انتشرت الاقتبـاسـات ممهـورة بمخـرجين أمثـال أدوين س. بـورتــر وجـورج ميلييـه وويليـام د. غـريفيث، كـذلك من ســواهم الأقل شهـرة اليـوم مثل توماس بنتلي وفيغو لارسن.

سابع الأدب

والفكـرة المتــوارثـة والمنتشرة حتى بين العــديـد من المثقفين هي أن السينما في السنـوات الصامتة كـانت مجرد حقل تجارب لكل الأنـواع والاتجاهـات السينمائيـة، بينما الحقيقـة هي أن السينما انتبهـت منـذ البـدايـة على تعـدد وشمولية المصادر التي تستطيع تقـديمها على الشاشة من الفيلم الخيالي «ويدرج تحت هذا كل نوع من أنواع الفيلم الخيالي» إلى الفيلـم التاريخي القـائم على الحقيقة، إلى الفيلم الأدبي المقتبس من مــادة منشــورة إلى سينما الـرســوم المتحركة الكرتونيـة الأولى. والفارق شاسع بين أن تكون حقل تجارب وبين أن تكـون حقل عمل لكل الأنـواع في حماس ملحـوظ للتـواصل مـع جمهـور لم تكن الأوبـرات والمسـارح وحتى الكتب بـالمتـاحـة لكل الأذواق ولكل الطبقات منه.

ولم تنقطع علاقة السينما بـالأدب في أي عقد أو مرحلة تطور عـرفتها السينما من مطلع القـرن وإلى اليوم، بل يجد صانعو الأفلام أن الروايـة الأدبية مصدر اهتمام على أكثر من نحو. فهي مشروع سينمائي تسبقه شهرته، وهذه تعني تسويقا تجاريا سهـلا إلى حد ما. كما أن المادة القصصية في معظم الأعمال المتحـولـة إلى أفلام من تلـك المكثفـة لما تعـرضـه من أحـداث أو شخصيــات، وهـذه مـا زالت المشكلة الأسـاسية في معظم ما يكتب خصيصا للشـاشة. من ناحية ثالثة، فإن العديد من المخرجين يرون أن تقديم عمل أدبي هـو امتداد لحالاتهم الفنيـة والثقافيـة الخاصة. ممارسة أقرب إلى الـواجب الفكري والاجتماعي يقوم بها تقديرا للرواية أو الأديب الذي أقدم على كتابتها.

عصر الأدب

وفي العـامين الماضيين «٩٢، ١٩٩٣» تنوعت المصـادر الأدبية بشكل ملحوظ. الأفلام المنتجة عادت إلى فورستر وشكسبير ودستـويفسكي والبرتـو مورافيـا وتشيخـوف واستعــارت من مــؤلفين جــدد مثل الأمــريكيين بيتر ماثييسن ونـورمان مـاكلين. وفي مجال المصادر الإنتـاجية فإن الأفـلام المعنية كـانت أمريكية وفـرنسيـة وإيطاليـة وهنـديــة وبـريطـانيــة من بين أخـرى. أمــا من حيث النجاحات التجاريـة لها فإن ذلك اعتمد على السوق التي نفذ إليها كل فيلم على حدة.

طبعا .. هـذه الأيام لن يتمكن أي فيلم أدبي من تحقيق نجـاح يـوازي مـا يحققـه فيلم تــرفيهي من مستـويـات «جوراسيك بارك» أو «ستارترك» أو «المؤسسة» (المنقول عن رواية لجون غريشهـام، لكن ليس كل نقل روائي هو المقصود بالاقتباس الأدبي الـذي هو مجال هذا التحقيق)، لكن هنـاك عـددا كبيرا من الأفـلام الأدبيـة التي لم تخسر والأخرى التي لم تـربـح. المشكلـة، في تلك التي لم تحقق نجاحا تجاريا أو حتى تحظى بإثارة الاهتمام من حولها على أي صعيد، أحيانا مـا تكمن في حتمية وضرورة المسببات التي دعت للاقتبـاس، وأحيانـا في سوق الفيلم المغلـوقة بفعل اللغة وحـدود إمكانـاتها تجاوز العقبات التـوزيعية لخارج حدودهـا. وفي أحيان أخرى لمجـرد أن الجمهور لم يكن مــوجـودا في الــوقت الــذي احتـاج الفيلم هــذا الجمهـور. وبـالطبع هنـاك العـامـل المتكـرر في كثير من الحالات وهــــو فشل الفيلـم في نقل المادة، كما يجب أو يتوقع نقلها.

الفيلم الأمثل في تحقيقـه القدر الأقل من النجـاح على صعيد نجاح الاقتباس، وبـالتالي إثارة الاهتمام النقدي ثم الجماهيري بـه، هـو «الأحمق» المأخوذ عن روايـة فيـودور دستــويفسكي الشهيرة. هـذا فيلـم هنـدي من إخــراج سينمائي قليل الخبرة هــو مـاني كــول «وإنتـاج إحــدى المحطـات التلفـزيـونية الهنـديـة» يلتمس اقتبـاس روايـة دستويفسكي البليغـة بالبقاء محاذيا لنصهـا. هذا يعني أن

تصورات المخرج بالنسبة لعملية النقل كانت الحرص على الأمانة الأدبية عن طريق عدم المخاطرة في تلوين عملية النقل ذاتها على أي نحو. النتيجة، ومن دون مناقشة شروط النقل الأدبي هنا، فيلم مثرثر وطويل ذو نفس ثقيل. المخرج ــ على الرغم من مشروعه الالتزامي بالنص ـ يسمح لنفسه بنقل الأحداث من محيطها الروسي إلى محيط هندي وهذا يبدو على الشاشة كمن يقرر ارتداء ملابس السهرة الرسمية السوداء في مباراة فروسية تقع في منطقة صحراوية. لا شيء في الأصل يركب صحيحا على الفيلم، ولا العكس وينتهي الفيلم إلى تقريرية وصفية بالغة الملل.

والهند عرفت اقتباسات شكسبيرية ودوستويفسكية وتشيخوفية تماما كالسينما العربية. لكن أنجح من شق طريقه في هذا المجال هو المنتج إسماعيل مرشنت الذي ترك الهند واستقر في لندن ليدير منها سلسلة أعماله المأخوذة، في معظمها، عن الروايات الأدبية: «موريس» عن رواية أي. م. فوستر ـ ١٩٨٠، «حرارة وعبار» عن رواية روث براور جابفالا ـ ١٩٨٣، «غرفة بمنظر» عن رواية أخرى لأي. م. فوستر ــ ١٩٨٧، «نهاية هوارد» وهو اقتباس آخر لرواية من محيط فوستر ـ ١٩٩٢، وذلك من بين جملة من الأعمال التي دارت في أجواء كلاسيكية سواء في العصر الفيكتوري (كما الحال في «نهاية هوارد» أو «غرفة بمنظر») أو في الأجواء الأمريكية الأرستقراطية في شرقي الولايات المتحدة المتأثرة بالثقافة الكلاسيكية الأوروبية (كما في «البوسطونيون» الذي أنتج عام ١٩٨٥ نقلا عن رواية هنري جيمس).

وكل هذه الأفلام من إخراج أمريكي ذي طابع وتغريب أوربي أيضا هو جيمس أيفوري.

والاثنان، أيفوري ومرشنت وكاتبة سيناريوهات كل هذه الأعمال المذكورة، روث براور جابفالا، لديهم ما يحتفلون به حاليا. فبعد النجاح النقدي والجماهيري الكبير لفيلم «نهاية هوارد» في العام الماضي، ها هو فيلمهم الجديد «بقايا اليوم» يتسلل صوب ذات المستوى من النجاح.

إنه فيلم ذو صياغة أدبية أيضا إلا أنه يدور في الخمسينيات. على الرغم من ذلك، لا يخفق الفيلم في تقديم المجتمع محافظا، وتقليديا، مؤطرا بتاريخه وماضيه وممارسا فيه حب الانتماء إلى الأمس. هذا الحب مزدوج إذ هو في الفيلم، تبعا لشخصياته، وعلى الشاشة تبعا لمعالجة المخرج أيفوري له.

والرواية مأخوذة عن عمل أدبي منشور للكاتب الياباني غازو أيشيعورو (الذي درس ولايزال يعيش في بريطانيا ويكتب عنها) نشرت عام ١٩٨٨ ونالت جائزة بوكر الأدبية عام ١٩٨٩. وتنتقل أحداث الرواية ما بين الثلاثينيات والخمسينيات وبطلها رئيس الخدم (يؤديه بتقليد دقيق أنطوني هوبكنز) في بيت كبير بملكه أمريكي



□ من فيلم مارتن سكورسيزي «عصر البراءة» من اليمين وينونا رايدر، جيرالدين شابلن وميشيل فايفر.

«كريستوفر ريف». والموضوع هنا عاطفي لكن له امتدادات في ميادين إنسانية أخرى. فالخادم الأمين كان اكتشف، حينما كان يعمل عند لورد بريطاني قبيل الحرب العالمية الثانية، أنه أضاع أفضل سنوات شبابه معتقدا أنه إذ يقوم بمهامه التقليدية العريقة على خير وجه إلى أن اكتشف أنه يعمل في الحقيقة عند متعاون مع النازية. الآن، وهو يقوم برحلة عبر الريف البريطاني، يكتشف أن خدمته لدى الأمريكي كلفته، طوال العشرين سنة الماضية، إهمال والده الذي قضى نحبه وحيدا، ثم إهمال عاطفته الصادقة تجاه مربية القصر (إيما تومسون). من ناحيتها، مارست المربية ذات النوع من كبت العواطف إلى أن قررت أنها لا تستطيع الاستمرار في ذلك فتزوجت من رجل آخر.

إنها قصة حب من النبع الاجتماعي البريطاني العريق. ذلك المحاط بالعقبات العاطفية والميل الشهير لدى البريطانيين لكبت العواطف والمشاعر المتوقدة التي - في حالة بطلي الرواية/ الفيلم - لم تؤد إلا إلى تدمير فرص سعادتها الذاتية.

وكان أنطوني هوبكنز وإيما تومسون لعبا حول ذات العواطف في فيلم «نهاية هوارد» أيضا. هناك، تتزوج إيما تومسون من أنطوني هوبكنز محاولة التغلب على مشاكل الفاصل الطبقي الذي بينهما. من ناحيتها - كما من ناحية كل من يأتي من طبقة متوسطة ومادون - ليست هناك من مشكلة في التأقلم مع طينة الحياة في أعلى السلم الاجتماعي في العهد الفيكتوري، الذي تقع خلاله الأحداث. لكن المشكلة تقع على الطرف الآخر، طرف الزوج أنطوني هوبكنز، المتمسك بتقاليد وتصرفات تنبع أساسا من إيمانه بالتميز الاجتماعي.

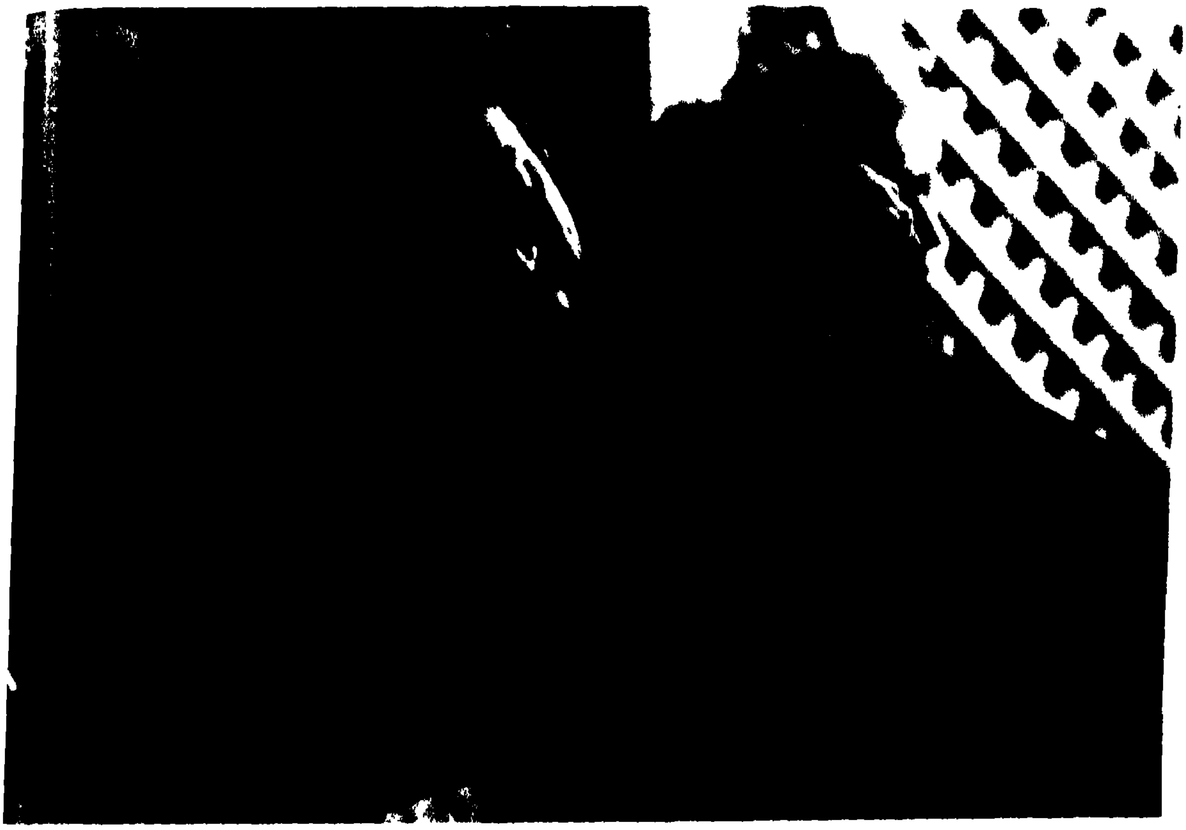
خارج المعتاد

وهناك فيلم أدبي أخر معروض حاليا كذلك، وربما بنجاح تجاري ونقدي أعلى من ذاك الذي يحيط بفيلم «بقايا اليوم» بل أعلى بقليل مما يستحق في الرأي المتواضع لهذا الناقد.

الفيلم هو «عصر البراءة» /Age of Innocence وفيه يقتبس المخرج مارتن سكور سيزي رواية الكاتبة أديث وورتون «حائزة على جائزة بولتزر الأدبية» التي تقع أحداثها في سبعينيات القرن الماضي. الرواية، التي يؤكد المخرج أنه قرأها خمس مرات قبل أن يقتنع بها فيلما من إخراجه، ليست ما اعتاد سكور سيزي تقديمه في أفلامه سابقا من نوع الدراميات الفردية القابعة في محيط المدينة السوداوي («سائق التاكسي»،«بعد الدوام»، «الثور الهائج»، «أصاحب طيبون»). وحتى حينما خرج أحيانا من طينة تلك الأفلام ليحقق «نيويورك، نيويورك» الموسيقي أو «العشاء الأخير» الديني، لم يحاول اعتماد



□ «الفرسان الثلاثة» نسخة جديدة من رواية الكسندر دوما



□ «الطاعون» فيلم فرنسي من إخراج أرجنتيني عن رواية ألبير كامو.

الرواية الأدبية المكتوبة أساسا لعمله. هنا يخرج عن المعتاد وعن خارج المعتاد إذن ليسهب في رسم الصورة التي يرتئيها لنيويورك ذلك العصر وللأجواء الأرستقراطية التي اعتادت عليها بتأثير ميولها الثقافية الأوروبية. بذلك يترك في النفوس تأثيرا عاطفيا وهو يبحث في طبيعة علاقات مركبة تدور بين ثلاث شخصيات (هي تلك التي تلعبها ميشيل فايفر وأخرى تلعبها وينونا رايدر وشخصية دانيال ـ داي لويس الموزع بين حبه للأولى وتقديره للثانية).

وفي خضم انتعاش السينما المقتبس عن الروايات الأدبية خرج الفيلم البريطاني/ الأمريكي «وذرينغ هايتس» المأخوذ، بالطبع، عن رواية أميلي برونتي الشهيرة. وهو ليس الاقتباس الأول بل واحد من حفنة بينها اثنان عرفا توزيعا تجاريا واسعا. الأول هو نسخة مترو غولدوين ماير عام ١٩٣٩ التي أخرجها ويليام وايلر من بطولة لورنس أوليفييه والتي يعتبرها النقاد الغربيون أفضل الاقتباسات (أما هذا الناقد فإنه لا يستطيع سوى مقارنتها باقتباس مصري ورد في الخمسينيات بعنوان «الغريب»، بطله يحيى شاهين، وبالمحاولة الجديدة التي سيرد الحديث عنها بعد قليل).

المرة الثانية وردت عام ١٩٧٠ وهي من إخراج روبرت فاوست وبطولة تيموثي دالتون.

مشكلة نسخة ١٩٩٢ هي أنها أخفقت من شدة حرصها على تقديم الحكاية العاطفية ضمن إطارها السوداوي الخاص. أخرج الفيلم السينمائي الجديد بيتر كوزمنيسكي بثقل ودقة في التنظيم بحيث أفقده انطلاقته وسبل تواصله مع أي قطاع من المشاهدين قد يقبل عليه لسبب أو لآخر.

نفس الأمر يمكن أن يقال عن النسخة الفرنسية من رواية ألبير كامو، «الطاعون» التي أقدمت شركة غومون على إنتاجها من بطولة متنوعة (بين ممثليها الفرنسية ساندرين بونير والأمريكيان روبرت دوفول ووليام هيرت) وإخراج الأرجنتيني لويز بوينزو. قام المخرج بنقل مكان الأحداث من الجزائر إلى الأرجنتين وزمانها من الأمس إلى اليوم مما فرض بالتالي متغيرات درامية أخرى ناء بها الفيلم.

وعام ١٩٩٢ شهد قيام المخرج الكندي دافيد كرونبيرغ بنقل رواية ويليام بوروز «الغذاء العاري». في الستينيات، عندما خرجت هذه الرواية للنشر، كان الأمريكيون في تيار متغيرات اجتماعية مختلفة كان له

تأثيره في رواج هذه الرواية وإحاطتها بهالة كبيرة كعمل غير تقليدي يناسب التفكير «الهيبي». ويليام بورروز، الذي قاد حياة شخصية غريبة إلى حد الشذوذ، وضع نصا لأحداث تنطلق من زيارته للمغرب ومعايشته جوا غير صحي خالط فيه كتابا أدمنوا المخدرات مثله.

الرواية ليست قصة حياة، بقدر ما هي سجل لحياة شبيهة لحياة المؤلف وجد فيه المخرج المعروف بأفلامه البيولوجية (تعبير يمكن استحدامه على أفلام الرعب التي تتمحور حول وحوش ومخلوقات تخرج من أنحاء مختلفة من الجسد، وهو النوع الذي اشتهر به المخرج عادة) مجالا لإضافة تصوراته الخاصة.

اقتباس جيد

وفي إيطاليا قام المخرج المخضرم مورو بولينيني بتقديم رواية البرتو مورافيا «فيلا يوم الجمعة» في فيلم بعنوان «أزواج وعشاق»، وبولينيني له خبرة واسعة في مجال تقديم القصص الأدبية ولو أنه لم يستطع أن يسد الفراغ الذي خلفه رحيل لوتشيانو فيسكونتي في هذا المجال.

وعن رواية أنطون تشيخوف «الشقيقات الثلاث» أقدم المخرج المجري أندرو لوكاتش على إخراج فيلم، تحت نفس العنوان ناقلا فيه الأحداث من محيطها الرسمي والاجتماعي المعروف إلى محيطه الخاص في أواخر الثمانينيات عندما انهارت الدولة الشيوعية. المحاولة جديرة بالتقدير والاحترام، لكن ذلك وحده لم يصنع فيلما جيدا إذ لم يعرف المخرج كيف يوفق بين الأصل وما يطمح إليه من إضافة.

وهناك ثلاثة أفلام أمريكية جيدة من اللون الأدبي نفسه توالت خلال العامين الأخيرين.

أولها، زمنيا، «اللعب في حقول السيد» At Play in the Fields of the Lord، وهي رواية لبيتر ماثيسن صرفت هوليوود نحو عقدين من الزمن في محاولة للتغلب على مصاعب تحويلها إلى فيلم سينمائي وعندما فعلت (بتنفيذ من المخرج هكتور بابنكو) أخفقت في ترويج الفيلم فلم ير النور إلا في الولايات المتحدة وبعض العواصم القليلة الأخرى. الرواية تدور حول مبشر يصل إلى الأدغال البرازيلية (الأحداث معاصرة) للقيام بمهمته التبشيرية لعله يستطيع تغيير ديانات القبائل التي تسكن الأمازون إلى المسيحية. لكنه لاحقا ما يتبنى هو التغيير وينتمي ــ هو ـ إلى الثقافة والتقاليد التي جاء داعيا لنبذها.

الاقتباس الجيد الثاني هو عن رواية جون تشاينبك «عن الفئران والرجال» التي حولها الممثل والمخرج غاري سنيزي إلى فيلم آثر قد لا يرتقي إلى الدرجة الكلاسيكية التي لنسخة لويس مايلستون عام ١٩٣٩، لكنه يقترب كثيرا من هذه الصفة. أداء ممتاز من غاري سنيزي نفسه وجون مالكوفيتش مع توسيع دائرة الشخصيات الأخرى في تلك الحكاية التي هدف منها الكاتب البحث في علاقة شقيقين مع الذات والعاطفة في محيط متقلب من العواطف والرغبات.

ثم جاء «نهر يجري خلاله» Ariver Runs Through It: دراما مقتبسة عن رواية نورمان ماكلين تحت العنوان نفسه، كان وضعها بين طيات مجموعة قصيرة من الروايات الأخرى. ليس فقط أنها أكبر تلك القصص، بل أكثرها قربا لقراءة الكاتب لحياته الخاصة. ما فعله المخرج روبرت ردفورد «الذي لم يمثل هنا» هو فهم المنطقة الذاتية التي عند الكاتب والدفاع عنها. هذا التفهم فرض بالتالي فيلما ينقل تأثير الحياة الريفية والجبلية ثم الأسروية على الكاتب من دون أن يتحول الفيلم إلى تجربة من النوع التسجيلي.

وأخيرا، وإلى جانب «بقايا اليوم» و«عصر البراءة» الحديدين والمعروضين حاليا، ينطلق فيلم آخر مقتبس عن رواية الكسندر دوما الشهيرة «الفرسان الثلاثة». هذه المرة تقوم شركة وولت ديزني الأمريكية التقليدية بتقديم الحكاية المعروفة حول آراميس وآثوس وبورثوس، الفرسان الثلاثة الذين يرفضون التوقف عن خدمة الملك لويس الثالث عشر ويحاربون من أجله. إليهم ينضم شاب يبغي الفروسية أيضا هو دارتنيان. لكن في حين أن الرواية تتحمل الكثير من التطوير في مجال الشخصيات، نجد أمامنا هنا فيلما لا يريد أن يتوقف عن الحركة والمغامرة. صحيح أن التنفيذ التقني لـ «ستيفن هاريك» جيد، لكنه أقرب إلى إطار لامع لصورة مشتتة. فلا الشخصيات متبلورة ولا سرعة الأحداث تستطيع التعويض عن البناء الدرامي المفقود تماما من هذا العمل.

ما هو موجود على سطح هذا العمل وما هو مفقود هو الفارق بين الرغبة في تطويع العمل الأدبي ليخدم نجاحا تجاريا ما، وبين توظيفه لتوسيع أفق الرواية وما تحتويه من غايات أدبية أو سواها.

لكن الأساسي بعد هذا الاستعراض، الذي لا يدعي رصده لكل ما حملته السينما العالمية من أفلام مقتبسة عن روايات كلاسيكية، هو أن النقل عن الأدب لم يكن «موضة» توقفت أو تيارا راج لحين ثم انقطع. السينما بحاجة لكل أنواعها وهذا النوع بالذات عليه أن يتوجه إلى المثقفين الذين كثيرا ما يتهمون السينما بأنها تأخذ من طريق الأدب أو لا تفيه حقه. □

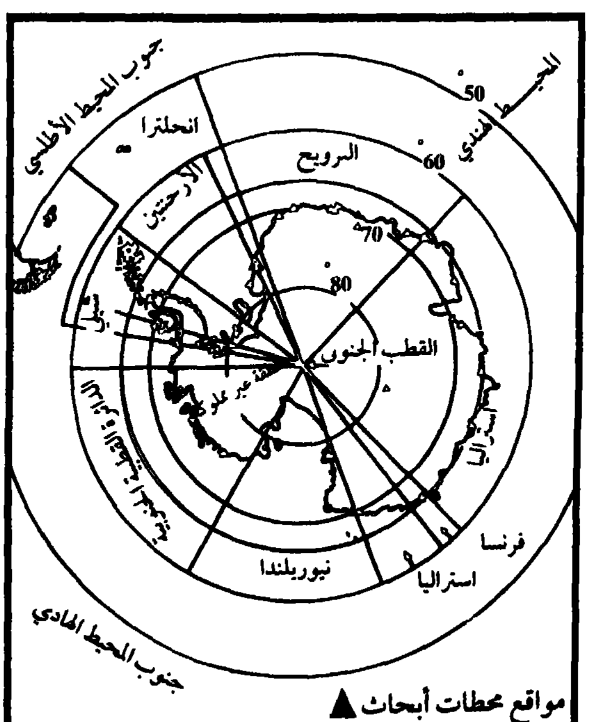
ينتهي آخر أمل في آخر بيئة طبيعية مستقرة على سطح الأرض. ويتبنى هذا الفريق فكرة بديلة عن هذه الاتفاقية، تتمثل في الدعوة إلى تحويل القارة إلى (حديقة عالمية) يحرم فيها أي نشاط آدمي غير البحث العلمي، ورحلات سياحية محدودة. وترفض فرنسا واستراليا ـ وهما دولتان لهما (حضور) كبير في القارة (الفريسة) ـ ترفضان فكرة الحديقة الدولية، كما رفضتا التوقيع على اتفاقية ولنجتون. وثمة أصوات في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى عدم مساندة الاتفاقية (لماذا؟!).

وإلى أن ينتهي الجدل، فليس ثمة استراتيجية متفق عليها لحماية القارة من أنشطة التعدين (فهل هذا هو المطلوب؟!). وفي نفس الوقت، فإن بعض الأضرار التي حلت فعلا بالنظام البيئي للقارة، لن يكون من السهل إزالتها، وقد تكون لها ـ على المدى الطويل ـ عواقب وخيمة، ليس على البيئة في القارة فقط، ولكن على أحوال العالم كله. وعلى سبيل المثال، فقد ظلت مصانع الدول الكبرى، لسنين طويلة، تطلق في الجو مركبات الكلوروفلوروكربون الغارية، غير مدركة أو غير عابئة بالتدمير الذي تلحقه هذه الغازات بعلالة الأوزون التي تحيط بالغلاف الجوي وتحمي الأرض من الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة. وقد عملت أنظمة التيارات الهوائية في الغلاف الجوي، على دفع هذه الغازات، الفائقة القدرة على الاحتفاظ بفعاليتها لسنين طويلة، إلى أقصى جنوب الأرض. فكان أول اكتشاف للضعف الذي حل بطبقة الأوزون قد تم فوق القارة القطبية الجنوبية في عام ١٩٨٣، وتصاعدت أصوات العلماء تنبه إلى، وتحذر من، هذا الخطر القادم الذي سيتركز تأثيره على القارة الجليدية، غير أن العالم كله سيتعرض لنتائج هذا التأثير التي لا يعلم مدى أضرارها إلا الله، وفي مقدمتها ذوبان الغطاء الجليدي للقارة وامتلاء المحيطات بكميات إضافية من المياه، تزيد على طاقتها، فتطغى على اليابسة وتغرق السواحل التي هي، في العالب، مراكز حضارية.

ويقول عالم البيئة البحرية (سيد السيد)، وهو مصري/ أمريكي، عضو البعثة العلمية العاملة بمحطة الأبحاث الأمريكية (بالمر)، الواقعة على طرف اللسان الأرضي الممتد في أقصى غرب القارة.. يقول: لقد وجدنا أن مستويات الأشعة فوق البنفسجية في القارة عالية، وهي تدمر مادة اليحضور في الكائنات النباتية، ومنها الهائمات البحرية النباتية، ولا غنى عن اليخضور في عملية التخليق الضوئي لغذاء النبات. من هنا، فقد تأثر معدل نمو هذه النباتات البحرية الدقيقة، وانخفض بنسبة ٣٠٪. ولهذا مردوده المعاكس على الكائنات البحرية الحيوانية التي تتخذ من الهائمات



□ ماذا يفعل هذا العالم في هذه البقعة المنعزلة؟ هل تفتح له الأنتاركتيكا مخزن أسرارها وثرواتها؟!



□ خريطة توضح حدود ادعاءات الملكية في القارة القطبية الجنوبية.

● إنهم يقتسمون الكعكة الجليدية.

النباتية غذاء لها، مثل (الكربل)، وهو عبارة عن قشريات بحرية تشبه الجمبري، ويمثل حلقة أساسية في سلسلة الغذاء في البحر، فهو الغذاء الرئيسي لبعض الأسماك والطيور والثدييات البحرية.

ويعتقد العلماء أن للقارة تأثيرا كبيرا على مناخ العالم، وإن كانوا لم يتفقوا بعد على ملامح هذا التأثير. إن ثلوج القارة الجنوبية تعكس حرارة الشمس إلى الفضاء، فتبقى كتلة الهواء المغطية للقارة جافة باردة، وتتحرك بسرعة شديدة إلى البحار المحيطة، حيث تتحول، بتأثير حركة دوران الأرض، إلى زوابع



□ فقمات بحرية أوشكت على الانقراض نتيجة مذابح الصيادين والمغامرين في الأنتاركتيكا

وعواصف شديدة، كانت مصدر رعب للبحارة القدماء الذين أطلقوا عليها اسم الرياح الخمسينية، لأنها تسود في المنطقة بين خطي عرض ٤٠ درجة و ٦٠ درجة جنوبا. ويحاول العلماء حاليا الربط بين نشاط هذه الزوابع وأنظمة الرياح على سطح الأرض.

أضخم خزان للمياه فوق صحراء

وتثير القارة القطبية الجنوبية حماسة علماء الحفريات والجيولوجيا، ويرون فيها فصلاً خلاباً في تاريخ الأرض. وثمة نظرية ينتصر لها بعض هؤلاء العلماء، تقول بأنه قبل مائتي مليون سنة، كانت القارة القطبية الحالية جزءاً من قارة أخرى ضخمة أطلقوا عليها اسم (جوندوانا لاند)، وكانت مستقرة شمالا في المنطقة المعتدلة، تحت خط الاستواء. أي أن القارة (الثلاجة) كانت، قديما، ذات مناخ أقرب إلى الاستوائي، وكانت مكسوة بالغابات وتغص بالزواحف والثدييات البدائية والطيور!. ومنذ ١٦٠ مليون سنة، بدأت الجوندوانا في التفكك، فأعطت وحدات منفصلة احتفظت بمواقعها الدافئة، هي: أمريكا الجنوبية، وإفريقيا، والهند، واستراليا. ولم يبق إلا جزء أطيح به إلى أقصى الجنوب، متحولا إلى الكعكة الجليدية الحالية المعروفة باسم القارة القطبية الجنوبية. وسبحان مغير الأحوال!.. من بقعة خضراء ذات مياه جارية وأمطار، إلى ١٤ مليون كيلومتر مربع من الوحشة والعزلة والجفاف، حتى أنها تعد من أشد (صحراوات) العالم جفافا. هذه حقيقة، لكنها ـ القارة ـ وفي نفس الوقت، تعد أضخم خزان للمياه العذبة في العالم. هل يبدو ذلك متناقضا؟. لقد تراكمت الثلوج فوق القارة على مر القرون، دون فقد، إذ لا يذوب منها ما يمكن ذكره، فتوافر للقارة غطاء ثلجي دائم، ينتظم ٩٨٪ من مساحتها، يبلغ متوسط سمكه سبعة أقدام. هل يمكننا ـ إذن ـ أن نتصور مدى ضخامة هذه الكتلة الثلجية «١٤ مليون كم² ×١٥٥ر٢متر»!. إن هذه الكمية تمثل ٩٠٪ من ثلوج العالم و ٦٨٪ من مياهه العذبة التي يفتقر إليها بعض سكانها ويتقاتل البعض الآخر من أجلها!.

وقد وقع حادث غريب في عام ١٩٨٧، حين انفصل عن ثلوج الأنتاركتيكا جبل جليدي يبلغ طوله ٩٦ ميلا، يحتوي على كمية من الماء تكفل لكل فرد من سكان هذا العالم كوبين من الماء يوميا لمدة ١٩٩٧ عاما!.

وكانت فرصة سانحة للعلماء لتتبع تحركات هذه الكتلة الجليدية الضخمة ومراقبتها بواسطة الأقمار الصناعية، لتساعدهم في تفهم اتجاهات التيارات البحرية التي تلعب دورا مهما في نقل الحرارة من وإلى القارة القطبية الجنوبية.. ويمكن أن يسهم ذلك في تفسير كثير من أحوال المناخ في الأرض.

والغريب، أن الشمس تكاد لا تغيب طوال شهور الصيف، غير أن أشعتها لا تدفىء الجو ولا تذيب الثلوج، لأنها تسقط بزاوية حادة جدا. إن أقصى درجة حرارة سجلت صيفا كانت «-٦ر١٣» درجة مئوية. أما أقل درجة حرارة، فقد سجلت شتاء في محطة الأبحاث الروسية «فوستك»، وبلغت ٢ر٨٩ درجة



□ بعض سائحي الأنتاركتيكا يداعبون طيور البطريق

مئوية تحت الصفر. أما أدفأ منطقة في القارة القطبية الجنوبية، فهي شبه الجزيرة التي تمتد إلى الشمال، في أقصى غرب القارة، وعلى مسافة ٩٦٥ كم من أمريكا الجنوبية، حيث تصل درجة الحرارة فيها إلى ١٥ درجة مئوية. لذلك، فإن النوعين الوحيدين من النباتات الزهرية الموجودين في تلك القارة يستوطنان هذه المنطقة. وتحيط بشبه الجزيرة بيئة بحرية غنية، تشتمل على «٣٥» نوعا من الطيور البحرية، وستة أنواع من الفقمات و ١٢ نوعا من الحيتان، وما يزيد على مائتي نوع من الأسماك.

مغامرون وصيادون

لقد كان غنى الحياة البحرية هو الدافع الرئيسي وراء تدافع الرحالة والمغامرين إلى القارة الجنوبية. ويذكر التاريخ أن أول هؤلاء المغامرين كان الإنجليزي جيمس كوك، الذي ارتاد القارة فيما بين عامي ١٧٧٢ و١٧٧٥، وسجل في مشاهداته حشودا من الفقمات على الجزر المتناثرة حول القارة. ثم تقاطر الصيادون والمغامرون الباحثون عن الثروة والشهرة، وكانت النتيجة أنه في بدايات القرن العشرين، أوشك رصيد القارة من بعض الأنواع الحيوانية على النفاد، واقتربت أفيال البحر وفقمات الفراء فيها من حافة الانقراض، وفقد مخزن المياه القطبية الجنوبية ما يزيد على مليون حوت من مختلف الأنواع.

وكما شهدت القارة شراهة وجشع الصيادين والتجار، استقبلت، أيضا، نوعية أخرى من البشر لا يطمعون إلا في تحقيق متعة الاستكشاف والارتياد وتسجيل أسمائهم وأسماء أوطانهم في دفتر التاريخ، مقرونة بالمجد وفضل الريادة. من هؤلاء الرجال، المستكشف البريطاني جيمس كلارك روس، الذي كان أول من سعى للوصول إلى القطب الجنوبي في عام ١٨٤١، غير أن ذلك لم يتحقق إلا بعد مرور سبعة عقود، من خلال السباق المأساوي الشهير بين المستكشفين: البريطاني «سكوت» والنرويجي «رولد أماندسين». لقد اعتمد الأول على خيول منشوريا لجر الزلاقات بينما فضل الثاني الزلاقات العادية التي تجرها الكلاب. وخذلت الخيول «سكوت»، إذ غاص بعضها في الشقوق الثلجية، وتعرض البعض الآخر لقسوة البرد والجوع ونفق.. بينما تمكنت الكلاب من سحب أماندسين إلى نقطة القطب الجنوبي في ١٤ ديسمبر ١٩١١. وقد وصل سكوت إلى نفس النقطة، ولكن بعد شهر كامل من وصول المستكشف النرويجي الذي لم ينس أن يرفع علم بلاده فوق النقطة الهدف، مؤكدا انتهاء السباق لصالحه. فعاد سكوت يجر أذيال الخيبة، تلاحقه الطبيعة القاسية، كأنما تعاقبه على تخاذله، فهبت عليه عاصفة ثلجية شديدة، وقف ـ مع اثنين من رجاله ـ مستسلما لها، وعلى بعد ١٨ كيلو مترا من أقرب نقطة إمداد وتموين، بلا طعام ولا وقود، فكانت النهاية!.

وبعدما يقرب من عشرين سنة من وصول زلاقات الكلاب إلى القطب الجنوبي، طار إليه المغامر الأمريكي «ريتشارد بيرد» في عام ١٩٢٩، فكان أول آدمي يصل إلى القطب الجنوبي طائرا، في رحلة بدأت من الشاطىء الغربي للقارة، واستغرقت ١٦ ساعة. وفي بداية الثلاثينيات، افتتحت ألمانيا النازية الأطماع الاستعمارية في القارة القطبية الجنوبية، عندما طار فوقها مجموعة من الطيارين الألمان، وألقوا فوق أجزاء منها أوتادا تحمل علامة الصليب المعقوف، معلنين ملكية «الرايخ الثالث» للأراضي التي سقطت فوقها أوتادهم!. وقد انتهت المزاعم الألمانية بانتهاء الحرب العالمية الثانية، وحلت محلها ادعاءات أمم أخرى هي: الأرجنتين، وشيلي، وفرنسا، ونيوزيلندا، وبريطانيا، والنرويج، واستراليا. وثمة خلافات بين بعض هذه الدول حول حدود «السيادة» على مناطق في تلك القارة البعيدة. وعلى سبيل المثال، فإن كلا من شيلي وبريطانيا والأرجنتين، تدعي ملكيتها لشبه الجزيرة الواقعة في أقصى غرب القارة. ورغبة في تأكيد تلك السيادة، قامت بعض الدول بإنشاء مكاتب بريد، واستقدمت إلى القارة أطفالا أنشأت لهم المدارس على أرضها «!!». أما أغرب ما يمكن ذكره في هذا المجال فهو ما قامت به الأرجنتين، إذ نقلت بطائرة خاصة امرأة حبلى إلى قاعدة لها في القارة تسمى «مارامبيو»، حيث ولد أول طفل أرجنتيني على أرض القارة، مؤكدا ملكية بلاده لها!!.

لم تعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن أطماع واضحة في أجزاء من القارة ـ ويبدو أنها تطمع في الكعكة كلها!! ـ فهي ترفض الاعتراف بحق أي دولة من الدول في أي جزء من أجزاء القارة الجنوبية. وقد قامت ـ في الوقت نفسه ـ بإيفاد العديد من البعثات إلى القارة المتصارع عليها. وحملت أضخم تلك البعثات اسم «عملية الوثب العالي» ـ (هل ينقل إليك الاسم دلالة معينة؟!). وقد تمت هذه العملية في عام ١٩٤٦، في أعقاب الحرب العظمى الثانية، واستفادت بكل المعطيات التكنولوجية التي أفرزتها تلك الحرب، وضمت ١٣ سفينة، و ٥٠ طائرة عمودية، وحوالي خمسة آلاف فرد!. وواضح أن الأمريكيين ـ في نشوة انتصارهم في الحرب ـ كانوا يريدون أن يوجهوا رسالة إلى الأمم المتنازعة حول القارة: نحن لا ندعي ملكية أي جزء من القارة، ولكن لدينا القدرة على تحقيق ما نريد!.

ويبلغ تعداد البشر في الأنتاركتيكا أقصاه في فصل الصيف، فلا يزيد على أربعة آلاف، لا يقيم منهم إقامة شبه دائمة إلا العلماء ومساعدوهم، وأغلبهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين، لتكون لديهم القدرة على تحمل المعيشة في أشد بقاع العالم برودة ووحشة. وقد لا يصدق بعضنا



□ وصلنا إلى نقطة القطب الجنوبي. وهذا هو علمنا يرفرف!.

أن هذا العدد الضئيل من الآدميين يمكن أن يسيء إلى البيئة في قارة كاملة مترامية الأطراف، ولكن الحقائق تقول إن الصالح للسكنى من القارة لا يزيد على ٢ ٪ من مساحتها، وهي مجموع البقع التي يذوب عنها الجليد في بعض أوقات السنة، فيحتلها هذا العدد. وبحساب الكثافة، تصبح المناطق المأهولة شديدة الازدحام. وإذا تزاحم البشر أنّت البيئة!.

إن الأنتاركتيكا قد تبدو في الخريطة بعيدة عنا، وإن كانت وسائل الاتصال الحديثة قد أحالت العالم كله إلى قرى متجاورة.. ولكن الحقيقة أننا أقرب ما نكون إليها، إذا أخذنا في اعتبارنا ارتباط مستقبلها بأحوال البيئة والمناخ في عالمنا الصغير!. □

العربي ـ العدد ٤٢٤ ـ مارس ١٩٩٤ م

قراءة نقدية

صراع «الراوي» و«الفيلسوف» في قصص يوسف الشاروني

بقلم الدكتور: أحمد درويش

يعد الكاتب القصصي «يوسف الشاروني» واحدا من أبرز كتاب القصة القصيرة في الوطن العربي في نصف القرن الأخير، ويعتمد بروزه على ركائز من الكم والكيف، واتساع مجال المناورة أمام قلم قصصي موهوب، ومثقف.

■ بين النصف الثاني من الأربعينيات والنصف الأول من التسعينيات، وعلى امتداد نحو نصف قرن ظل القارىء العربي يتابع إنتاج الشاروني الذي قد تتنوع مناخاته ووسائله الفنية وموضوعاته المثارة بتنوع مناخات وأذواق العقود الخمسة التي عبرتها، ولكنها تلتقي رغم التنوع حول محور الجدية في التناول، وعدم الاستسلام للأنماط المألوفة، وتداخل الموهبة العفوية مع الثقافة المكتسبة والتخطيط الواعي في صراع ليس من الضروري أن يصل بالقصة في كل المرات إلى درجة الكمال، ولكنه يعكس الطموح والحلم والمحاولة والمشارفة والإحفاق أحيانا، ولعله من خلال هذه الدرجات يعكس بصدق ملامح التجربة الإنسانية ذاتها.

والشاروني، شأنه في ذلك شأن الأقلام القصصية الكبيرة، لديه القدرة على أن يفجر «القابلية للقص» في الأشياء المألوفة المطفئة، وربما كان هذا في ذاته يمثل تطورا فنيا أساسيا في تاريخ القصص المحلي والعالمي، ففي القديم كانت «قابلية القص» تنبع من غرابة الحدث وقدرته على الإدهاش من خلال مخالفته للواقع أو تباينه معه ومن ثم كان «الحدث الغريب» هو البطل، بصرف النظر عن راويه الذي يمكن أن يكون فردا أو جماعة، وكان النص الغريب يظل مفتوحا ويتم تناول طرف الخيط في كل جيل ليتم النسيج عليه.

الالتقاط البصري

لكن القاص المعاصر ربما شأنه في ذلك شأن الشاعر المعاصر أيضا، يحاول أن يفجر الدهشة في الحدث

عادي، أو في بعض جوانبه لتتولد أمامه «قابلية القص» دون أن يتابعها بالضرورة إلى نهاية الشوط، وربما يتم تفجير الدهشة من خلال كسر الألفة، وقد يتحسد ذلك عبر الاقتراب الشديد أو الابتعاد الشديد، فتتجسد في الحالتين رؤى قد لا تلتفت إليها أنفاس الحياة اليومية مع أنها جزء منها، إن حاسة الالتقاط البصري مثلا تستيقظ عند أحد أبطال الشاروني مجهولي الاسم، وما أكثرهم، في قصة «الطريق إلى المعتقل» فإذا بالصبي الصامت الذي لا يستطيع أن يكسر حاجز الصمت مع والده الذي يصطحبه يقترب بنا من أشياء لا نكاد نلمحها، فعندما يدخلان محطة السكة الحديدية لاستقلال القطار يتراءى المكان من خلال عينيه على النحو التالي: «ارتقينا الدرج، ودلفنا بين الأعمدة، الكثيرة المتصبة، وعرج والدي جهة النافذة الحديدية الضيقة، وامتصته الزحمة وسمعنا صفير القطار، ونفذنا من باب إلى باب، ثم انخفضنا في دهليز رطب مستطيل ثم عدنا فارتفعنا على سطح الأرض ونفذنا من باب ثم من آخر، وشاهدت الرصيف يعج بالحمالين والحقائب والمتعانقين والأطفال والسيدات، ثم ازدحم القطار بحيث بدا كأنما عزم على ألا يزدرد آخر، واحتشدت في نوافذه وممراته وأبوابه رءوس وأيد ومجموعة من المناديل المترنحة القذرة، وبدا بعرباته الست الضيقة المنخفضة ونوافذه الكثيرة المتعددة وسطحه المقوس كأنما هو سلسلة فقرية لحيوان جيولوجي هائل بائد قد علاها فجأة جيش كبير من النمل».

إن المعالجة البصرية هنا لم تكتف برصد ما يتسرب إلى الحدقة من خلال المشهد «العادي» وإنما حولته إلى محاولة احتواء ما تتسرب إليه الحدقة من خلال المشهد «القصصي» ومن خلال ترسيب العناصر الجزئية للموقف الواقعي قادتنا في انسياب إلى الموقف «المجازي» من خلال التشبيه الذي ظهرت خلاله الحيوانات الجيولوجية البائدة إلى جانب جيوش النمل الزاحفة، أي أن الحدقة اتسعت لتشمل في لقطة واحدة أكبر مخلوق متصور، وأصغر مخلوق واقع، بعد أن امتلأت جوانبها بصور المشهد العادي.

وربما قادتنا هذه الملاحظة الأخيرة إلى ملاحظة يحيى حقي التي أبداها بصدد قلة استخدام يوسف الشاروني التشبيه في كتاباته القصصية، حتى أطلق عليه عبارة «شماوي التشبيه»، وقد لا يتفق القارىء مع يحيى حقي في هذه الملاحظة حيث تظهر أدوات التشبيه في أماكنها الملائم في كتابات الشاروني، ففي قصته الشهيرة «دفاع منتصف الليل» والتي كتبها في أوائل الخمسينيات، نجد مواقف تتزاحم فيها التشبيهات. بل إن التشبيه ليوظف أحيانا لتجسيد لحظة مجردة تتراسل من خلالها الحواس، كما حدث في قصة «سرقة بالطابق السادس» حيث تصور الجلسة الرتيبة في مقهى بلدي «وقد التصق الناس بمقاعدهم والتمعت وجوههم وتركوا أقدامهم أمامهم مدلاة كأنهم ملل متكاتف أسود، أو كأنهم ذباب أليف قد اطمأن إلى قضاء ليلة في هذا المكان»، أما الطرقات الضيقة بمنازلها العالية في نفس القصة «فكأنها أخاديد حفرتها أظافر مجنونة».

والالتقاط السمعي

إن حاسة الالتقاط السمعي تبدو أقل ورودا، مع أنها تكون أكثر توقعا في بعض المواقف القصصية عند الشاروني، فبطل قصة «سرقة بالطابق السادس» وهو موظف صامت منعزل تكاد تذكرنا علاقاته برفاق العمل ببطل قصة «المعطف» لجوجول «أكاكي أكاكي فيتش»، هذا الموظف الذي يسكن غرفة بالطابق السادس ولا يتحدث إلى جيرانه ولا إلى أهل الحي، ويكتفي بأن يعيش في عالمه الداخلي على أصداء قصة حب قديمة باهتة بدأت تتآكل أطرافها، وتتحول إلى حب صوفي، تتغير الحياة من حوله فجأة حين يكتشف



وقوع سرقة بمحتويات غرفته الفقيرة ويتزايد اهتمام الجيران والزملاء به تزايدا يكاد يزعجه، بل إن جارته الإيطالية لتقترب منه في لمحة خاطفة اقترابا ينعش الصورة الباهتة للمرأة في خياله، ولقد كان عالم الصمت المحيط به مغريا على أن تلتقط أذنه تنويعات لعالم المسموعات من حوله، ولقد فعلت ذلك بجدارة في مرات قليلة، عندما دخل مركز البوليس للمرة الأولى فوقعت عينه على كثير من الأشياء التي رصدها، ووقعت أذنه على «صفوف من السلاسل والقيود المعتمة البيضاء حتى لكأنها هناك صلصل خافت يملأ المكان»، لكن الموقف هنا وفي كثير من لحظات أبطال الشاروني المتفردين كان يتطلب مزيدا من رهافة السمع.

إن «المكان القصصي» الذي يصوغه الشاروني، يبدو غير منعزل عن المكان الواقعي، وغير مطابق له في آن واحد، وهو إذا كان يستعين على تشكيله حينا بالرصد وحينا بالربط المباشر من خلال أدوات التشبيه، فإنه يلجأ أحيانا إلى وسائل الربط غير المباشر من خلال تجاور المشاهد التي تساعد على خلق انطباعات متماثلة دون التعليق عليها، وقد لجأ الشاروني إلى هذا التكنيك في فترة مبكرة، ربما قبل شيوع طريقة «تيار الوعي» في الكتابة القصصية العربية، وقصة «الوباء» ـ التي كتبها سنة ١٩٥٠، والتي تتحدث عن امرأة شابة اضطرت لأن تتاجر بجسدها، وقد عزمت على أن تطهر نفسها من خلال رحلة حج لولا حصار وباء الكوليرا للمدينة التي تعيش فيها ـ خير مثال على ذلك.

الاستدعاء الفني

إن الصراع بين الفنان «اللاواعي» والمثقف المخطط «الواعي» ربما يتبدى في قصتين شهيرتين للشاروني، كتبت أولاهما في أواخر الأربعينيات، وكتبت الثانية في بداية الخمسينيات، وهما «زيطة صانع العاهات» سنة ١٩٤٩، و«مصرع عباس الحلو» سنة ١٩٥١، وقد أهديتا معا إلى نجيب محفوظ، صاحب «زقاق المدق» لأن «زيطة» و«عباس» هما في الواقع من شخصيات رواية «زقاق المدق» التي كانت قد نشرت سنة ١٩٤٧، وقد أراد الشاروني أن يستدعي الشخصيتين من «أرشيف» نجيب محفوظ لكي يفتح ملفاتهما من جديد، ناسجا بذلك لونا من الكتابة القصصية، بدا محيرا لبعض النقاد مع أنه ينتمي في جملته إلى فن كتابة «قول على قول» وهو فن عرف الأدب العربي من قبل بعض صوره في أعمال مثل «رسالة الغفران» التي قد تمثل من هذه الزاوية صورة من صور استدعاء «ملفات» الأعشى ولبيد وزهير وعلقمة وغيرهم من الشعراء والعلماء والرواة الأقدمين، وإن كان الاستدعاء يتم هذه المرة من وثائق تاريخية لا تخلو من الالتباس بملامح قصصية أسطورية، والاستدعاء في الحالتين قديما وحديثا يراد منه إعادة انطلاق مجرى الرواية الذي كان قد توقف على لسان الراوي الأول، والتحكم في تشكله وتشعبه من جديد، وليس هذا المنزع الفني أيضا بعيدا عما شاع فيما بعد في الأدب العالمي والمحلي. وعرف باسم «التناص» Intertextualite حيث يستدفىء النص بنصوص سابقة عليه، ويستعين بروحها في ضخ دماء جديدة، ومذاقات مختلفة في النص الأدبي المستلهم والمستلهم منه على سواء، بل إن فكرة «إعادة التوزيع الموسيقي»، ليست بعيدة عن هذا المجال، حيث تختلط النغمات التي تصحها موهبة المبدع الأول والمبدع الثاني.

إن «زيطة» و«عباس الحلو» عندما تم إعادة تناولهما على يد الشاروني تم اللجوء في معالجتهما إلى فكرة «المروحة» من خلال توسيع الدائرة المكانية والزمانية وأيضا، تمت محاولة إلباس الفكرة الفنية أثوابا جديدة أو التطريز على الأقل على أثوابها القديمة، فزيطة الذي توفي في السجن منذ أيام يتقدم القاص بالتماس إلى الجهات المختصة مطالبا بأن يصنعوا له تمثالا ويقيموه على رأس زقاق المدق، راجيا أن يفصل حضرات المختصين كل الفصل بين ذلك العمل الإضافي الذي أدى به إلى السجن، وأخذ جزاء عنه، وبين هذا العمل



البطولي الذي وقف زيطة حياته عليه، والفهم الرائع لمعنى العاهة الذي كان يدركه بحدسه وعبقريته، وكيف استطاع وحده أن يواجه مدينة صاخبة ضاجة، وأن يلبي لها في إخلاص حاجة ملحة ضرورية، ومن خلال هذه النظرة الفنية وتأثرا بمناخ الحرب العالمية الثانية التي ازدهرت صناعة زيطة في صنع العاهات خلالها، تتسع الدائرة لكي ينضم إلى زيطة آخرون، عُدّوا زعماء وأبطالا على حين عُدَّ هو مجرما.

قابلية القص

إن هذا الزخم القصصي المكثف الذي تسانده شبكة من التخطيط المحكم، يتحقق على نحو جيد في كثير من قصص الشاروني، حيث يستفيد «الراوي» من حبرة «الفيلسوف» دون أن يستسلم له، وربما تكون قصة «الأم والوحش» التي كتبت سنة ١٩٧٠، واحدة من النماذج الجيدة المحكمة عند الشاروني، فالقصة تتحقق فيها عناصر «قابلية القص» بشكليها القديم والمحدث، فعرابة الحدث وهي منطلق الشكل القديم تتحقق من خلال قصة الأم الشابة الشجاعة التي تجد نفسها وحيدة مع طفلها في حقل ناء وتتعرض لهجوم من ضبع فتقاوم بشراسة حتى تنجو بطفلها بعد أن تفقأ عيني الضبع وتفقد ثلاثا من أصابع يدها، لكن هذه العرابة في الحكاية، تشكل مجرد خميرة يمكن أن تصاغ على مستويات متعددة، فيمكن أن تكون مجرد خبر صحفي ينقله مراسل الصحيفة في ثلاثة أسطر، ويمكن أن تكون أسطورة مقتضبة أو ممتدة تلوكها ألسنة العجائز على أعتاب المنازل في القرى قتلا للوقت، ويمكن أن تتحول كذلك إلى نص «قابل للقص» من خلال الوسائل الفنية التي أشرنا إلى بعضها في صدر هذه الدراسة، والقاص يتنبه إلى هذه الإمكانات من خلال العناوين الداخلية التي وضعها في قصته، وأولها عنوان «لقطة قريبة»، وقد اندرجت تحت المعالجة الفنية الحديثة، ثم عنوان «لقطة بعيدة» الذي اندرجت تحته الصورتان الأخريان، لكن هذا التنبه لا يفسد عليه المسح الفني الذي يتطلبه «الراوي» بل ربما زاده تألقا من خلال إظهار الفرق بين «القص العادي» و«القص الفني»، فمراسل إحدى الصحف أبرق إلى صحيفته يقول عن الحادث: «وقعت مساء أمس معركة ضارية بين أم بقرية الكرنك مركز الأقصر وضبع ضخم دفاعا عن طفلها، وقد استطاعت الأم في النهاية أن تصرع الوحش بشجاعتها دون أن تصاب إلا بخدوش قليلة».

وجوهر الحكاية التي نقلها المراسل في أربعة سطور، حكاها القاص في مائتين وعشرين سطرا، دون أن يحس المتلقي بأي قدر من التزيد، بل إنه ربما أحس بلون من العطش الفني يتطلب الارتواء من خلال اقتراب أكثر من أعماق النفس، إن المكان يكاد يلعب الدور الرئيسي ويحقق خصوصية الموقف وأرض الصراع التي تواجه عليها الأم ضبعا يتأهل لافتراس طفلها: «الجسر بعيد عن القرية، واقتراب الشمس من نهاية الأفق الغربي، يزيد المكان وحشة ووحدة وسكونا، والحيوان يقف متربصا، لعله تأهل لاقتناص فريسته ثم اكتشف عنصرا دخيلا فتريث يستوثق من قدرة هذا الخصم».

إن تهيئة المكان المتفرد، مضافا إليه الزمان الذي يقترب من حافة الغروب استعدادا للإيغال في وحشة الليل، يجعلنا في مسرح مغلق، لا تقع فيه الحواس إلا على الخصمين الرئيسيين، ومن ثم فمجال اقتراب الحدقة في اللقطة القريبة لن يكون الرصد البصري أو السمعي كما رأينا من قبل في «الطريق إلى المعتقل» أو «دفاع منتصف الليل»، أو «سرقة بالطابق السادس» وإنما سيكون الاقتراب اختراقا لرؤية الداخل سواء في الأم أو في الوحش، ومحاولة لرصد التأهب والتأهب المضاد، واحتساب الخطوة القادمة، والوقوع في فخ المفاجأة غير المتوقعة، والاقتراب من حافة الهاوية، والإفلات بمزيج من المصادفة ـ المعجزة، والشجاعة الخارقة وتحسس دقات القلب وابتلال الجسد ووهن الأعضاء وتيقظ الروح خلال ذلك كله، ومن الطبيعي أن ينشط «الوعي» خلال هذه الثواني التي تمر بطيئة ويتدفق تياره، فيرفد الموقف برؤى تساعد على التماسك أو تزيد الخوف، وكثير من هذه الرؤى يتحكم فيه الراوي، وقليل منها يقترحه الفيلسوف.

من الحكاية إلى الرصد

إن الحديث عن التطور الذي تم في فن القصص من «الحكاية المتميزة» إلى «الرصد المتميز» ربما يقترب بنا من نقطة أخرى هي مفهوم «الجمال» في العمل الأدبي، ولا شك أن تطورا جذريا قد حدث في الفن القصصي والشعري بل في الفنون عامة حول معنى أن يكون المشهد «جميلا»، وعلى حين كانت تستأثر

بعض الأشياء بمفهوم المشهد الجميل كالقمر والبحيرة وخضرة الريف، والوجه الحسن، ولحظة الفجر أو الأصيل. وغير ذلك، فإن الأدب والفن منذ القرن الماضي بدأ يبحث عن الجمال في الأشياء العادية وحتى في الأشياء القبيحة، ولم تكن رؤية «الأزهار» في «الشر» عند بودلير إلا مظهرا لفلسفة الجمال تلك، وكذلك كان جاك ريفير يبحث عن الشعر في مداخل المناجم وغبار الفحم، ودخان السجائر وزحمة الأسواق، وأرصفة الطرق، وأصبح من المألوف أن يقال: «إن لوحة محكمة لخنفساء، خير من لوحة غير محكمه لوجه حسناء»، ولعله من هذه الناحية أقدم يوسف الشاروني على تجربة البحث عن الجمال في القبح الخالص في قصتين متميزتين هما «اعتراف ضيق الخلق والمثانة» سنة ١٩٨٠، و«المقرف المضحك أو من تاريخ حياة مؤخرة» سنة ١٩٨٣، ومن اللافت للنظر أن الأفكار الفنية المبتكرة عند الشاروني، تقدم في شكل ثنائيات كما حدث في تجربة «التناص» في «زيطة» و«مصرع عباس الحلو»، وقد يكون حظ التجربة الأولى من الثنائية أقرب إلى روح «الراوي» بينما تكون الثانية أقرب إلى روح «الفيلسوف»، وربما يكون ذلك لأنها تكتب بقدر أكبر من الوعي بعد أن تتلقى التجربة الأولى، صدى طيبا، ولقد لاحظنا ذلك في الثنائية التي علقت على «زقاق المدق»، ويمكن أن تلاحظ ذلك أيضا هنا في ثنائية «القبح الجميل»، فالصبي الذي خلق بعيب خلقي في المثانة، كان يدفعه إلى التبول اللاإرادي في صباه، وكثرة الاستئذان من مدرسة الفصل للذهاب إلى دورة المياه، وسط سخرية زملائه وسخرية المدرسين فيها بعد، هذا الصبي سيختلف مع صديقه «ابن عسكري النقطة» فيقذفه بطوبة تشج رأسه، وحين يهرب خوفا من «العسكري» تهدىء أمه الأمور وتطيب خاطر زوجة العسكري، لكن الصبي سوف يبل الفراش هذه الليلة دون أن يتعرض لكثير من التأنيب، وفي صباه سوف يميل إلى الثقافة ويكتب الشعر والقصة ويجرب الرسم والنحت، وبعد التخرج سوف يعمل في مجال الاقتصاد في «شركة التأمين العالمية» ولكنه سوف يعاني في كل مراحله من مشكلة تنظيم «إخراج» القدر الزائد على طاقة المثانة، وسيدفعه ذلك إلى تتبع نظم دورات المياه على مستوى الأسر والبيوت والشوارع والدول، وسوف تنتهي حياته في الزنزانة لأنه قتل «الشاويش» عرفه عبده زيدان، الذي يقاسمه الشقة لخلافه مع زوجته على استخدام دورة المياه، أليس لافتا للنظر أن يكون الخلاف مع ابن «العسكري» في الصغر، وقتل «الشاويش» صادرا من «المثقف» الذي يعمل في مجال «الاقتصاد» والذي يعاني من مشكلة تنظيم «الإخراج» والتنفيس الضروري لسلامة البدن؟ أليس هذا تعبيرا من بعض الزوايا عن الأزمة الكامنة بين الاقتصاد والثقافة والنظم العسكرية حول تنظيم «التنفيس» في مجتمعاتنا؟ ومع ذلك فالقصة لم تقل ذلك، ولو أنها قالته لأفسدت كثيرا من الأشياء، فلقد كان «الراوي» هو الذي يتحرك على مداره فيرمز ويعالج ويحكي ويشغلنا عن كثير من الأشياء إلا عن متابعة المسكين «ضيق الخلق والمثانة».

ومع أن منهجا قريبا يتبع في قصة «تاريخ حياة مؤخرة» فيتم التركيز على لون آخر من «الإخراج» ويتجه التفكير إلى المؤخرة بدلا من الرأس، وإلى الاهتمام بأوراق الصحف لا من أجل ما تكتبه من أخبار سياسية أو اجتماعية، بل من أجل فائدتها في دورات المياه، ولا يكون للحرب من نتائج بالنسبة للبطل إلا أن مؤخرته نحت من شظية كادت تطيح بها، وأن أوراق «التواليت» ارتفع سعرها وكادت تختفي من الأسواق، مع أن «القاص» ينجح في تركيز الاهتمام حول هذه البؤرة، فإن جانب الوثائق الذي ازدحمت به «مؤخرة» القصة، التي جمعت من العصر المملوكي واليابان وكوريا وسان فرانسيسكو والهند وسحون مصر، أثقل الحركة القصصية، ومال بالميزان قليلا لصالح الجانب الفلسفي التأملي.

الرغبة في التجريب

إن هذا الصراع المستمر بين «الراوي» و«الفيلسوف» في كتابات يوسف الشاروني القصصية، يشف عن رغبة مستمرة في «التجريب» وعن أمل في إحكام دورة العلاقة بين الثقافة والموهبة، وهي رغبات وآمال لا يتم تحقيقها بين يوم وليلة، وغالبا ما يدفع الرواد الذين يطرحون التجربة جانبا كبيرا من الثمن، من خلال انطفاء البريق عن بعض أعمالهم، وازدهار بعضها الآخر، ولكنهم يمهدون الطريق أمام أجيال تالية، لطرح محاولات ترتكز على تجربة الرواد بكل جوانبها، وكذلك فعل الشاروني وجيله من الرواد مع القصة القصيرة العربية على مدى نصف قرن متصل. □



عمر أبوريشة والذكريات: سيمفونية العشق والإبداع

بقلم : الدكتور بديع حقي

عمر أبا ريشة الدبلوماسي لم يكن سفيرا لبلده في دول شتى فحسب، بل كان سفيرا
للكلمة العربية الشاعرة، الملهمة، التي قدر لها أن تمرع على شفتيه، كما ولا أروع، لتزهى
سورية، معتزة بأن ممثلها في هذا البلد أو ذاك، هو قمة باذخة في الشعر العربي المعاصر.

كنت أشارف العشرين من عمري حين التقيته، في أوائل الأربعينيات، في مقهى «البرازيل» بدمشق، وكان يرتاده بعض الكتّاب والشعراء، وتنعقد حول طاولاته - على ضيق رقعته - حلقات شتى، تتشقق فيها مختلف الأحاديث والتعليقات الأدبية اللاذعة، الطريفة، ولفت نظري حين أطل، قامته الفارعة وجمال هندامه ومحياه المؤنس، وعيناه الشهلاوان المؤطرتان بنظارة أنيقة مذهبة، تنسرب من زجاجها الصافي نظرات تقطر رقة وعذوبة، وتنساق من شهد عينيه، شفافة واهبة لمن يروق له أن يتذوق ملاوتها بعض أسرارها الخفية.

وعرفته بنفسي، حين اتخذ مجلسه، قريبا من الطاولة التي تحمل فنجان قهوتي، ولمحت على شفتيه بوادر ابتسامة تتمم بعض معاني نظراته المترقرقة، ومثّل في وهمي، فيما كنت أرنو إلى عينيه الصافيتين كالسماء أنهما تضمان شيات من الزرقة الناعمة، التي قد تفسر عشقه لمراقي السماء المنسرحة أمام ناظريه، وبدا لي أن النظارة الأنيقة المترفة الجاثمة أمام عينيه أكثر زهوا وتيها بذوب النظرات المتحدرة من رفيف جفونه وأكثر ألقا من بريق ذراعيها المذهبتين، قال لي: «قرأت بعض ما نشرت في صحيفة «الصباح» فأعجبني، هات ما عندك مما نظمت مؤخرا».

أجبت: «لا أجرؤ على أن أبسط بضاعتي المتواضعة، أمام سيد الكلمة الشاعرة».

واتسعت على شفتيه ابتسامته المرحبة، الودود، وقال: «لا عليك، هات ما عندك».

وخيّل إليّ في مسنح لحظة خاطفة، أنني أجوز امتحانا عسيرا، أمام معلم متشدد صعب المراس، وانجاب ترددي أمام ابتسامته المتواطئة مع قلبه السمح، الحنون، وأنشدته بعض ما قرزمت آنذاك من أبيات ادخرتها ذاكرتي، وقال لي رحمه الله: «تعجبني صورك، وحسن انتقائك للكلمة، أنت بلا ريب شاعر، وسيكون لك شأن ذات يوم».

الحياة بدون شعر مستحيلة

وترادفت الأعوام، وكلماته المشجعة الحلوة، تظل ماثلة في خاطري، وفي ذات يوم صائف من عام ١٩٤٩ - وكنت أعمل آنذاك سكرتيرا بسفارتنا ببرن «سويسرا» - أطل عليّ عمر أبوريشة بقامته المشيقة كأنها الرمح السمهري، ونظراته تنثال من عينيه مسربلة بخلجات قلبه الطاهر، ليصيب المتطلع إليها ناعما بنقلاتها الحانية، شهدها السائغ الشهي، ولم أكتم فرحتي الصادقة بلقائه، وكانت تصحبه زوجته الكريمة السيدة منيرة مراد، «كانا في طريقهما إلى البرازيل، رئيسا لبعثتنا في عاصمتها»، والتقينا يومذاك حول مائدة الصديق الدكتور عمر الجابري، القائم بأعمال سفارتنا ببرن، رحمه الله، الذي دعا عمر وزوجته، كما دعاني إلى الغداء، وسألني عمر: «علام لم أعد أقرأ لك في مجلة الأديب اللبنانية، كما ألفت أن أقرأ فيها دوما نتاجك الشعري؟».

وأجبت: «مشاغل العمل، وعكوفي على أطروحة الدكتوراة التي أعدها عن قضية فلسطين، هو ما يثنيني حاليا عن النظم، ولعلي أن أعود إلى جنة الشعر فور الانتهاء من تقديم أطروحتي للمناقشة في كلية الحقوق بباريس، في العام القادم، إن شاء الله».

وأذكر أن زوجته السيدة منيرة قالت لي: «كيف تستطيع أنت الشاعر أن تعيش من دون الشعر»، قالت ذلك لأنها تعرف بلا ريب أن زوجها، هذه القمة الشامخة في الشعر العربي المعاصر، لا يستطيع أن يلهث، بله أن يسيغ الحياة من دون الشعر، ولم أحر جوابا على سؤالها، متواريا بابتسامة خجلى خلف صمتي الحائر، ولما انتهى الغداء قال لي عمر: «دعنا نتجول وحدنا لأطلع على بعض معالم برن»، فزرنا متحفها الشرقي، ثم عجنا إلى مقهى قديم، يعود طراز بنائه إلى أكثر من ثلاثة قرون، ويرتاده بعض الفنانين والكتاب والشعراء، لما يسبغه جوه الظليل من حميمية وألفة، وأفضينا إلى طاولة لنحتسي القهوة، فأجال عمر عينيه في فضاء المقهى، نافضا بنظراته المستطلعة جنباته الرحيبة، تجثم فيها عتمة مؤنسة، وقال لي بلهجة واثقة: «لقد شاهدت هذه القاعة نفسها من قبل».

وسألته مستوضحا: «وهل زرت مدينة برن من قبل؟»

فأجاب: «لا، ولكنني أشعر بأنني رأيت هذه القاعة نفسها، إنه شعور غريب مفاجىء، جاذبني وحل في كياني الآن متقمصا روح إنسان عاش في هذا البناء منذ أقيم، وأنا أستعير في هذه اللحظة نظراته التي صافحت هذا المكان، وعاشت تحت سقفه وظلت حبيسة كامنة في طيات ذاكرتي، الملتئمة مع ذاكرة هذا الإنسان منذ قرون».

وتبسمت مستظرفا كلماته، وقلت في ذات نفسي: «هذه إحدى شطحات عمر الصوفية، القريبة من مناهل الشعر»، أذكر هذا الآن، مقدّرا أن هذه الشطحات ربما تحدرت إليه من أمه خيرات الله اليشرطية، وكانت رحمها الله معروفة بتقواها ونزعتها الصوفية.

وقال لي عمر: «أسمعني يا بديع، آخر ما نظمت».

أجبت: «لقد نظمت منذ ثلاثة أعوام قصيدة، خرجت بها عن المألوف في تقسيم البيت إلى صدر وعجز، ولا أجرؤ على أن أرددها أمامك، إلا إذا سمحت، فهي مما يدعوه الفرنسيون بالشعر الحر، وتتكىء القصيدة برمتها على التفعيلة وحدها، إنها تجربة جديدة أتمنى أن تظفر بإعجابك».

وقرأت له مقاطع من قصيدة «خريف غابة بولونيا» التي عدتها الشاعرة نازك الملائكة في كتابها «قضايا الشعر المعاصر» أولى إرهاصات الشعر الحر المعاصر، قبل أن تمضي هي مع بدر شاكر السياب رحمه الله في هذا المنحى المجدد.

وقال لي عمر إما فرغت من قراءتها: «إنها جميلة صورها وموسيقاها، بيد أنني أصارحك بأنني لا أحب ـ على الرغم من حماستي للتجديد في صياغة القصيد ـ أن أحدث شرخا في بناء القصيدة العربية الأصيلة، وقد جربت أنا لونا من الخروج على نمطية الأشطر المتساوية في تفعيلاتها، بقصيدة واحدة نظمتها منذ أمد قريب، ولكنني لم أعد قط إلى مزالق هذه التجربة».

وتلا عمر مقاطع منها، استبقت ذاكرتي منها صورة عينين وحشيتين، فلعلها قصيدة الخزان الأكبر التي يستهلها بهذا البيت:

عيناك سوداوان وحشيتان
أقرأ في طرفيهما عمري

وهي قصيدة من مجزوء الكامل، ربما تندرج في سياق الشعر الحر، في أشطرها المتفاوتة في عدد تفعيلاتها، ويتجاوب في أبياتها أيضا منحى عمر في الاعتقاد بالتقمص.

طاغور بالعربية

ويغادرنا عمر وزوجته إلى البرازيل، بيد أن طيفه الحبيب ظل يغازل ذاكرتي دوما، ولما شرعت بنقل آثار الشاعر الهندي العظيم طاغور إلى العربية، كان عمر سفيرا لسورية في نيودلهي، وكنت آنذاك مديرا للشئون الإدارية بوزارة الخارجية، فبعثت إليه بنسخة من ترجمتي لديوان طاغور: جيتنجالي، وبعث إلي برسالة رقيقة ذكر لي فيها «إنه ينبغي لمن يتصدى لترجمة طاغور إلى العربية، أن يكون شاعرا ملهما، يعرف كيف ينتقي اللفظة الملائمة بموسيقاها وحلاوة جرسها، لقد ظفر طاغور أخيرا بالشاعر العربي الذي يعرف كيف يؤدي معانيه إلى لغتنا، وأرجو أن تبعث إلي ضمن الحقيبة الدبلوماسية بنسختين من هذا الديوان، لأقدم نسخة هدية إلى الرئيس «جواهر لال نهرو» ونسخة ثانية إلى العلامة أبي الكلام أزاد..» وبعثت إليه فورا بما طلب، وتلقيت بعد أمد قصير من كلا الرجلين العظيمين كتابين رقيقين، يشكران لي هديتي التي وجدا فيها إسهاما طيبا في توطيد العلاقات الثقافية ما بين الهند وسورية.



قصيدته بهذا السؤال يتجه به إلى فتاته:

من أنت ردي على سؤالي؟
ولا تحدي مدى خيالي
أتنكريني وتعرفيني؟
وتسأليني وتمنعيني؟
ويح يقيني.

عندما يذوي الجمال

وكان لعمر في ثنايا سيمفونية صوره التي تعكس جمال المرأة، جولات مبتكرة، مستحدثة، وكان إلى هذا مولعا بتصوير الصبا المستحير، الذابل، مغلفا بالحسرة، فلعله



دوما، لولا هذا الزمن المتبدل العابث، الذي لا ينِي يتحيف من الجمال الذاوي عاما بعد عام، فقد عرف ذات يوم امرأة كانت مثلا أعلى للجمال، ثم التقاها بعد عشر سنوات فإذا بجمالها يبدو أثرا بعد عين، وعاد إلى بيته فوقع طرفه على تمثال «فينوس» وغمغمت شفتاه، أسفا، متحسرا:

حسناء هذه دمية منحوتة من مرمر
عريانة، سكر الخيال، بعبقريها المتكبر
ومشى بها إبداع ناحتها، الجمال العبقري

فلا معدى لفتاته من أن تتحجر، حتى تحتفظ، كهذا التمثال، بجمالها، لتبقى مطمحا لعينه الرانية، خلدا في إزميل ـر المبدع، مسكا بآخر ـورة حلوة، ادخرتها ذاكرته من محيا فتاته، فأوقف حركة جمالها، لئلا يغيض ويستحير بهذا البيت الرائع:

أخشى تموت رؤاي أن
تتغيري، فتحجّري

بيد أن عيني عمر الرهيفتين اللتين تعرفان كيف توقفان حركة الجمال وتحجرانه لإرضاء حسه الجمالي، تعرفان نقيض ذلك، تعرفان كيف تبثان رعشة الحياة في الصخر

الصلد، هكذا أتمثل عمر مجيلا عينيه الظامئتين، نشوان، في التماثيل المنحوتة من معبد «كاجوراو» في الهند، هذا المعبد ـ كما يقول عمر في مقدمته للقصيدة ـ يمثل الإنسان في شتى مجاليه، بين تساميه وتدنيه، في مئات من التماثيل المعبرة، بكل جرأة، عن الأهواء الجنسية الطبيعية، والشاذة والخيالية، وتبتدىء القصيدة بمطلع مذهل، يسأل فيه الشاعر هذا المعبد: من وهب الأمان لأخيه، هو أم الزمان، فكأن هذا المعبد الرائع ند للزمان في خلوده:

مـــن منكما وهـــب الأمـــان
لأخيـــه، أنـــت أم الـــزمـــان؟
شقيـــت على أعتـــابـــك الغـــ
ـــارات، وانتحـــرت هـــوانْ
وتمزقـــت أمـــلاكهـــا
تـــاجـــا وفضـــت صـــولجانْ
وبقيـــت، وحـــدك فـــوق هـــ
ـــذا الصخـــر وقفـــة عنفـــوانْ

وكأني بالشاعر كان يود أن يكشف خلف الأحجار المليسة، تلك الأهواء الجامحة، الغامضة التي كانت تقود إزميل الفنان الملهم الذي تأتى له أن ينفضها ويخلفها بعده، ملتزمة آخر حركة كانت تعصف بذرات الحجر المتماسكة، كما لو أنه كان يخاطبه آمرا: تحرك، على نحو ما فعل المثال العبقري «ميكلانج» حين عصفت به نشوة إبداعه فخاطب تمثاله «موسى»: تحرك، فكأن لهاث المثّال كان ينسم في هذا البيت:

وتكلمـــت أحجـــارك الصـــ
ـــماء، مشرقـــة البيـــان

هكذا تسلسلت كلمات عمر في قصيدته تجلو هذه التماثيل وهي تحكي الأهواء الجنسية الجريئة، ولكن.. من دون أن تمازجها كلمة نابية واحدة تجرح الحياء، تنتفض القصيدة لوحة ناطقة، معبرة عن تماثيل توشك ن تتكلم، غاصة بالصور الموحية الأخاذة:

غـــويـــة ظمـــأى تفنـــ
ـــن في رضـــاهـــا ظـــامئـــان
ـــامـــا بها اقتسما فكـــل
عنـــد مـــورده استكـــان

هـــذا مطـــاويها استطـــا
ب، وذا نـــوافـــرهـــا استـــلان

ويجمح الخيال في استشفاف هذه الصورة اللماحة، تتضمن دلالات غائمة شتى، دون أن يتبذل اللفظ في إيمائه الخفي وإيحائه المستتر.

إلقاء نادر

ولم أجد عمري كله شاعرا يخضوضر المنبر على كلماته مثله، كان يحفظ قصائده ويتلوها من الذاكرة، مترنما بها، منتشيا، في إلقاء نادر، ساحر، لم أجد من يماثله أو يضارعه بين شعراء عصره، حتى ليطيب لي أن أقرنه في خاطري، بأدائه المتميز لقصائده، إلى محمد عبدالوهاب، سيد الإبداع الموسيقي في هذا القرن، فيما كان يؤدي هذا الفنان العبقري أغانيه بصوته الرخيم، ويترجع فيها، هازجا بها، موشيا إياها بصبغة ألحانه التي أبدعها من أجل صوته.

ولقد سمعت عمر ذات مرة يردد قصيدة «هكذا» لا على منبر، بل على سطيحة منزل، في مزرعة صديقي الدكتور أمين شريف رحمه الله، الذي دعاني وعمر مع نخبة من الأصدقاء في الأشرفية «وهي ضاحية من ضواحي دمشق»، وانساب صوت عمر خفيضا دافئا، كما لو كان يغازل ضوء القمر الشفاف، السابغ، في ليلة ساجية من أحلى ليالي العمر، كان هذا، منذ قرابة سبعة وثلاثين عاما، وما يزال صوت عمر ـ رحمه الله ـ يناسم سمعي، مذ سمعت صوته الحبيب، يردد هذه القصيدة في تلك الليلة الساجية، وكأن صداها ما يزال يسكن في ذاكرتي حتى الآن، بل كان صوته يترفق خفيضا، دافئا مضفيا على الطبيعة المسربلة بضوء القمر، سحره وألقه وحنانه.

وأذكر أن عمر قال لنا بعد أن أنشدنا قصيدته:

ـ إنني أسعى في كل ما أنظم من شعر، إلى أن أعتصر حروف كلماتي وأهتصرها حرفا حرفا، كما يستصفي صانع العطر كل ما يكمن في أفواف الوردة من شذا، لأريقه في رئة قصيدتي.

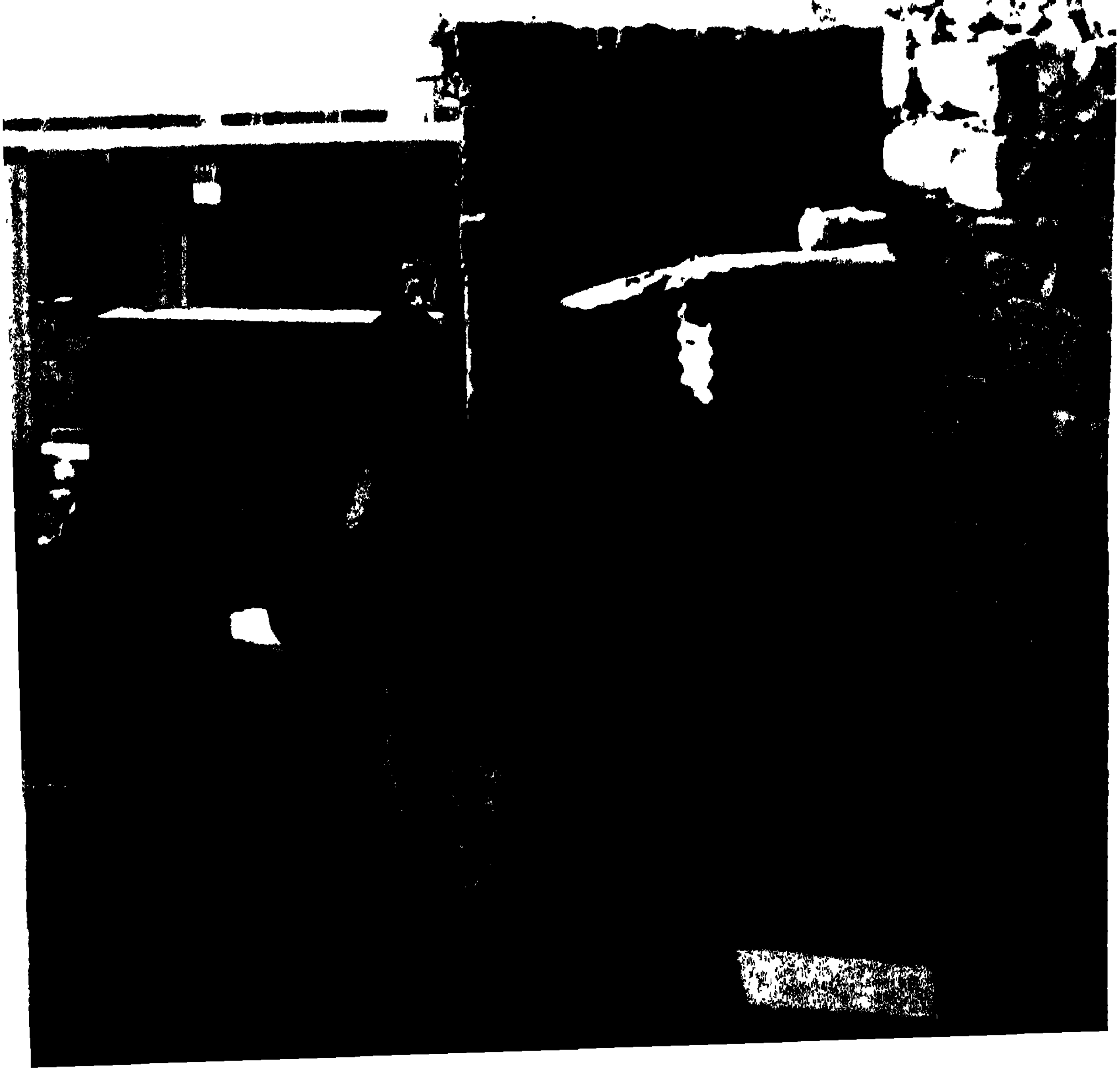
أجل، لقد تسنى لعمر أن يستصفي في تلك القصيدة، كل ما يكمن في كلماتها القليلة، المشذبة، المنتقاة، من عطر مكثف، ليسطع ويضوع، فاغما في حناياها، كما ولا أطيب، كما ولا أعذب. □

جنـــوب لبنـــان

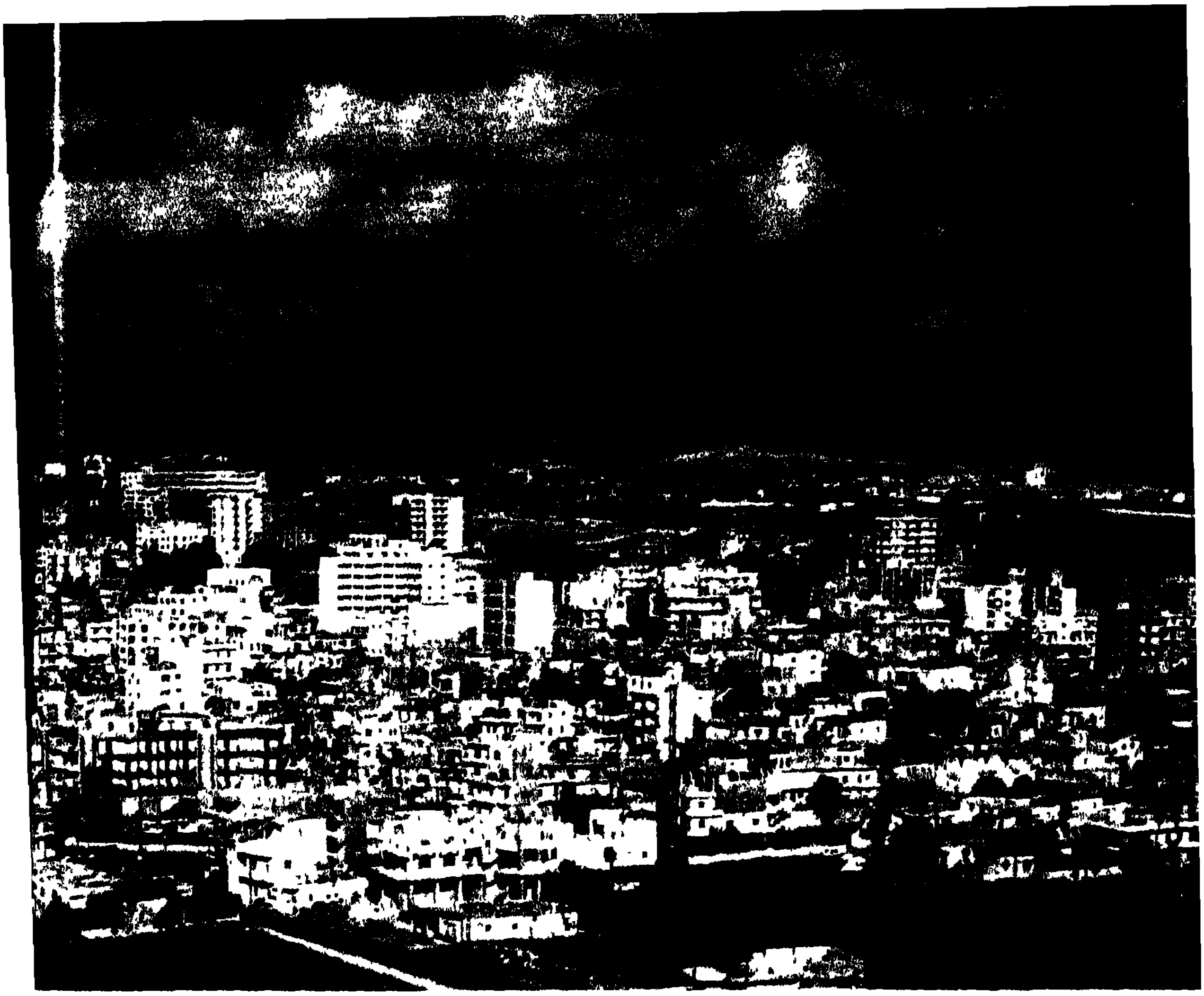
الحياة تحت وطـأة الخطر

استطـلاع : صـادق يلي / تصـويـر : فهـد الكـو

بين أنقاض البيوت المهدمة وأشجار الزيتـون المحترقة يعيش الجنوب اللبناني ...
النزيف المستمر، لقد تعودوا على الحياة تحت وطأة الخطر. على الرغم من أن ...
الإسرائيلي لم يكف عن شراسته، كانوا يدركون أن هدفه الأساسي هو اقتلاعهم ...
هـذه الأرض، لـذا فقـد ظلـوا قـابضين على تـرابها كـالقـابـض على الجـ...







جبل عامل هذا الاسم الذي اشتهرت به هذه البقعة من أرض لبنان، يشدك إليه جماله المتواضع، وتأسرك سمة الخشوع في تلاله الهادئة الارتفاع، ووديانه القليلة الأعماق، ومنبسطاته المحدودة المدى، فلا عجب أن أصبح الاعتدال والتواضع سمة مميزة لهذا الجبل، انعكست على وجوه أهله قناعة وارتياحا، إلا أن هذا الجبل غامض التاريخ، منسي ومهمل في مفاخر لبنان، وهو اليوم يجتاز أصعب ظروفه التاريخية التي تلحق مصيره، أو تمتحن وجوده، فقد كان هذا الجبل الطريق الذي عبرت منه وتفاعلت فيه أعرق حضارتين في الدنيا، وأوسعهما انتشارا على الأرض، وهما المسيحية والإسلام، فقد لعب دورا حضاريا بارزا ومميزا لفترات طويلة في الفكر والثقافة العربية الإسلامية.

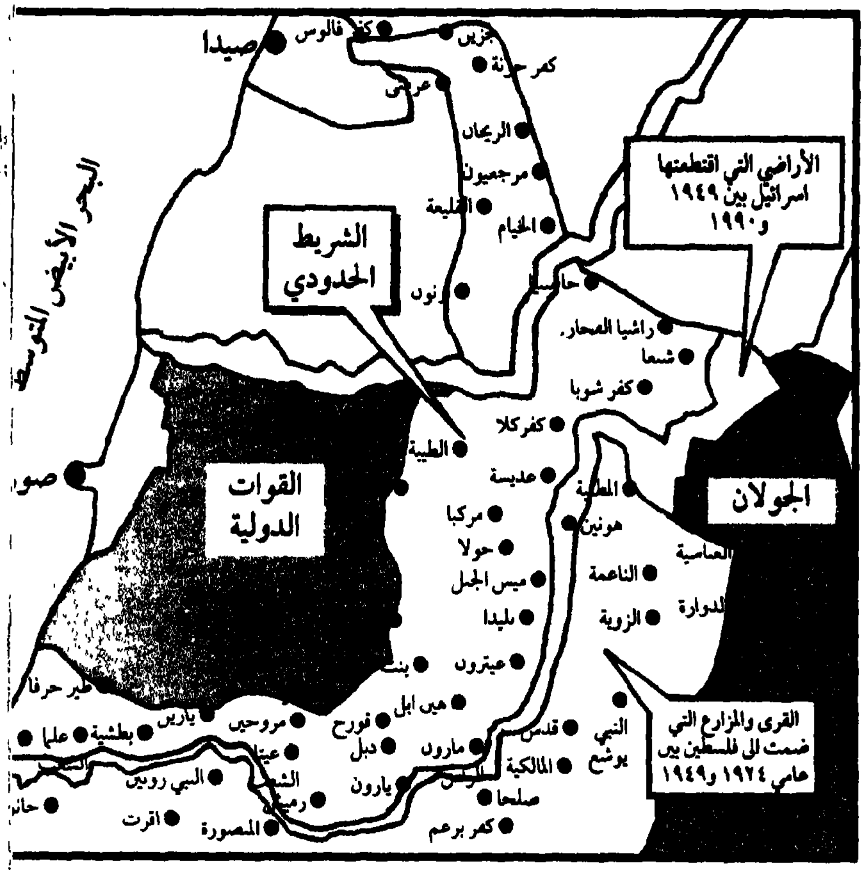
يقول الأستاذ حسين شرف الدين وهو من الشخصيات الأدبية والفكرية في جبل عامل: أنجب جبل عامل العديد من العلماء الأعلام في الفقه والتشريع والفلسفة والعلوم، وبحكم تشيع أبناء الجنوب فقد اتصل علماء جبل عامل بالحورات العلمية في كل من الكوفة وإيران، وقد ترك هؤلاء العلماء آثارا جليلة في الفقه وعلم الأصول والفلك والرياضيات، تشكل جزءا لا يستهان به من التراث اللبناني، كما كانت لعلماء جبل عامل رحلات علمية مشهودة إلى الهند وحيدر آباد، حيث نالوا المكانة الرفيعة في العلم والحكم.

لقد كان نتاج الفكر العاملي متنوعا ومتعدد الموضوعات، فخلال عشرة قرون نبغ في جبل عامل أكثر من مائتي شخصية علمية، فالفكر العاملي بذل وأعطى في دنيا الشعر والنثر وفي حقول الفقه والتشريع والفلسفة والمنطق والعلوم، وقد أسهم علماء جبل عامل إلى حد بعيد في حضارة الشرق ولم يحصروا نشاطهم في جبلهم ووطنهم فقط، بل انطلقوا إلى العراق وإيران وأفغانستان والهند ينشرون فيها اللغة العربية ويبثون شعرها ونثرها، ويتولون فيها أعلى المناصب.

أما في العصر الحديث فهناك مجموعة من العلماء نادوا بالوحدة الإسلامية وعلى رأسهم الإمام عبدالحسين شرف الدين صاحب كتاب «المراجعات»، الذي ناظر الشيخ سليم البشري عندما كان شيخا للأزهر عام ١٩١٧، وبعد هذه المناظرة كان له كتاب المراجعات، ثم سطر كتابا أسماه «الفصول المهمة في تأليف الأمة»، وقد سمي بفقيه



□ جنوب لبنان أو جبل عامل، جبال متواضع وتلال هادئة ووديان قليلة الأعماق ومنبسطات محدودة المدى.. وإلى أسفل خارطة توضيحية لقرى ومدن الجنوب اللبناني



الوحدة بين المذاهب الإسلامية، وكذلك الشيخ محمد مهدي شمس الدين في دراسته التي قدمها عن الجوانب الأصولية فيما يقال في فقه الخلاف وفقه الاتفاق، ومن هذه المحاولات الوحدوية كذلك الرسالة التي خرجت من السيد موسى الصدر للمرحوم الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية يدعوه في كتاب مفصل ليبرز إمكان التوافق فيما بين الاجتهادات المختلفة.

هذا الجنوب الذي تقدر مساحته بنحو ألفي كيلومتر مربع، تعرض لاجتياحين إسرائيليين، كان الأول عام ١٩٧٨، أما الثاني فكان عام ١٩٨٢، أما الشريط الحدودي الذي تحتله إسرائيل منذ عام ١٩٧٨، فيبلغ نحو ألف كيلومتر مربع، أي ما نسبته عشر مساحة لبنان، يمتد هذا الشريط الحدودي، أو ما تطلق عليه إسرائيل الحزام الأمني من بلدة الناقورة على ساحل البحر مرورا بالقطاع الغربي حتى قرية عديسة ومنها إلى كفركلا مرجعيون وصولا إلى حاصبيا في القطاع الشرقي ثم صعودا الى جبل الشيخ. ويتراوح عمق المنطقة المحتلة ما بين ٥ كيلومترات عند معبر الحمراء قرب بلدة الناقورة، و١٥ كيلومترا في القطاعين الأوسط والشرقي، وحتى ٤٠ كيلومترا في منطقة جزين. ويتميز هذا الشريط الحدودي بجغرافيته الاستراتيجية، وقد حولتها القوات الإسرائيلية إلى مواقع عسكرية حصينة منها الشريفي والسويداء وعلي الطاهر والشومرية وقلعة الشقيف، أما القرى المحتلة التي تقع في الشريط الحدودي فهي قرى من قضاء صور، وقرى من قضاء بنت جبيل، وقرى من قضاء مرجعيون، وقرى من قضاء جزين، وقرى من قضاء حاصبيا، وقرى من قضاء النبطية وحتى قرى من قضاء صيدا، وبالإضافة إلى هذه القرى توجد في الشريط الحدودي أكثر من ٧٥ مزرعة، وهي تجمعات سكنية تضم عشرات المنازل، ويعيش سكانها على الزراعة.

رحلة خطرة

وكان لا بد لنا أن نقترب من هذا الشريط الحدودي ونواجه خطوط التماس أو المواجهة حتى نعطي صورة صادقة لمعاناة أهالي هذه القرى، وكيف يعيشون تحت القصف المدفعي اليومي، فتوجهنا إلى مدينة النبطية بعد مرورنا بعدة نقاط تفتيش بعضها يتبع الجيش اللبناني

والبعض الآخر يتبع القوات الدولية أو ما يعرف باليونيكوم، والنبطية مدينة تحيط بها المواقع الإسرائيلية المنتشرة على التلال، وتتعرض للقصف الدائم وخصوصا عندما يكون هناك وضع سياسي متوتر، وهي مركز المحافظة السادسة للبنان، ويتبعها قضاء حاصبيا، وقضاء مرجعيون، وقضاء بنت جبيل، وهذه الأقضية تقع الآن تحت الاحتلال الإسرائيلي، أو ضمن ما يسمى بالشريط الحدودي المحتل، ويتبع مدينة النبطية نحو ٤٥ قرية تقع خارج الشريط الحدودي، لكن هناك أكثر من ١٥ قرية تابعة للنبطية تتعرض يوميا للقصف المدفعي الإسرائيلي، بل إن هناك قرى مثل قرية كفررمان وقرية تبنين يمر الشريط الحدودي وسطها، والغريب أن نصف بيوت هاتين القريتين متهدم والنصف الآخر يعيش فيه المواطنون بثبات وصبر وأناة، تطلق إسرائيل عليهم النار فتقتل من تقتل



□ يتمثل صمود أبناء الجنوب في إعمار ما تقوم به إسرائيل من تخريب لبيوت الله



□ الأستاذ حسن فقيه رئيس جمعية التنمية الاجتماعية في مدينة النبطية



□ الأستاذ غازي زعيتر محافظ النبطية

وتجرح من تجرح، فيدفنون موتاهم، وفي اليوم التالي يخرجون إلى حقولهم وإلى أعمالهم بشكل طبيعي لأنهم يريدون أن يثبتوا للإسرائيليين ولكل العالم أنهم أصحاب حق وأصحاب الأرض وأن إسرائيل لابد أن تغادر المكان. ورافقنا في الرحلة المحفوفة بالمخاطر أحد أبناء النبطية، الذي يعرف الطرق والمسالك الآمنة، للوصول إلى قرى التماس أو المواجهة وهو الأستاذ حسن فقيه رئيس جمعية التنمية الاجتماعية والثقافية بالنبطية الذي قال: بداية أقول لكم إن الجولة التي سنقوم بها اليوم رحلة خطرة، ربما تحدث عملية مفاجئة على أحد المعابر، أو قد يكون هناك قصف مدفعي قد يصيب الطريق لا سمح الله. قلنا له: نحن مصممون على الاقتراب من قرى المواجهة لنصور معاناة أهالي

هذه القرى. قال: توكلنا على الله، واقرأوا معي هذه الآية الكريمة ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾. صدق الله العظيم.

وتسير بنا السيارة في طريقها إلى القرى المتاخمة للشريط الحدودي، عبر طريق شبه معبد كثير المطبات. ونصل إلى قريتي زوطر الشرقية التي يسكنها نحو ستة آلاف نسمة، وزوطر الغربية التي يسكنها نحو أربعة آلاف نسمة، كنا نقف أمام موقع إسرائيلي يسمى موقع الشومرية، والمسافة التي تفصلنا عن الموقع لا تتجاوز ٤٠٠ متر فقط، ويصعد زميلي المصور ليقوم بتصوير القرية والموقع الإسرائيلي ويختار أعلى مبنى في القرية، وفجأة تنطلق أصوات المدافع الإسرائيلية من الموقع المواجه للقرية، وتتعالى أصوات النساء والأطفال مذعورة تبحث عن ملجأ أو أي حائط

حتبىء خلفه، ويصرخ مرافقنا في زميلي المصور: لقد شاهدك الإسرائيليون وأنت تصور، انزل من المبنى بأسرع وقت وإلا أصابتك قذيفة من قذائف العدو لعنه الله. فامتثل زميلي لصراخ المرافق وانضم معنا إلى البيت القروي، وقد استمر القصف المدفعي قرابة الدقيقتين، نزلت خلالهما أكثر من خمسين قذيفة.

يقول الحاج خليل أبوزيد وهو أحد مزارعي قرية روطر. هذه حالنا مع إسرائيل، قصف مدفعي يومي أو شبه يومي، وأنا مزارع أعيل عشرة أفراد، وفي الكثير من الأحيان يقضي القصف العشوائي على مزروعاتي، وأنا مدين للناس، ومثلي من المزارعين الكثير الذين لا يستطيعون جني محاصيلهم، أو حتى الاقتراب منها، وإلا تعرضوا للمدافع الإسرائيلية، إن ثمار الزيتون والعنب والتين وجميع المحاصيل التي نزرعها لا نستطيع الاستفادة منها، لقد سقط من قريتنا هذه نحو عشرة



□ إحدى نقاط الحراسة للقوات الدولية «اليونيكوم» المنتشرة في الجنوب

شهداء أثناء محاولتهم جني المحصول، إن إسرائيل تقصف الجوامع والحسينيات ودور العبادة، وخصوصا أيام الجمع والأعياد، لأنهم يعرفون أن الناس يجتمعون في هذه الأمكنة لأداء صلواتهم، أو أثناء تشييعنا لأحد الموتى من أهالي القرية، لقد تهدمت مدرسة القرية جراء القصف، وطلابنا موزعون بين مدارس النبطية ومدارس أخرى في قرى بعيدة.

وفي طريق عودتنا إلى النبطية مررنا على قرية تبنين، التي يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف نسمة، معظمهم يمارسون الزراعة، وهذه القرية يمر فيها الشريط الحدودي، فهي مقسمة بين الإسرائيليين واللبنانيين، وبها نحو ٦٠ منزلاً مهدما كليا، ويشرف على هذه القرية موقع علي الطاهر الذي يتحكم فيه الإسرائيليون. يقول لنا الأستاذ حسن فقيه: إن الطريق الذي يمر بمحاذاة هذا الموقع يتعرض يوميا للقصف بشكل دائم ومستمر، والطريق الذي نسير فيه الآن لا يمكننا أن نسير فيه ليلا، وغالبا ما تستخدمه الطائرات المروحية الإسرائيلية للهجوم على أي سيارة مشتبه بها.

النبطية وزراعة التبغ

ويسكن النبطية ما يقرب من المائة ألف نسمة، وهناك نحو مائة ألف آخرين موزعون في شتى بقاع المعمورة، وخصوصا المغتربات الإفريقية، كما أن هناك اغترابا جنوبيا في دول الخليج العربي. يقول الأستاذ حسن فقيه: إن أهل الجنوب لا ينسون بلدانهم وقراهم فكل قرش يحصّله هذا المغترب يرسله إلى قريته أو مدينته ليحسن وضعها ويساعد أهله في إعمار ما تتلفه إسرائيل.

وفي النبطية مدارس لجميع المراحل بالإضافة إلى فرع للجامعة اللبنانية، وقبل سنوات قليلة كانت خدمات المنطقة شبه معدومة، إلا أن مجلس إنماء الجنوب يقدم الآن خدمات جليلة حيث يقوم بإصلاح الشبكة الكهربائية، وإصلاح الآبار الارتوازية التي يشرب منها الأهالي، ويعبد الطرقات، ويبذل جهودا كبيرة لتدعيم صمود المواطنين.

ومع أن زراعة الحمضيات والكروم والتفاح والزيتون هي أهم الزراعات المشهورة في الجنوب اللبناني، إلا أن زراعة التبغ لها صفة خاصة، وتحتل جانبا كبيرا من الدخل الفردي، ويقبل عليها الكثيرون، فهناك نحو ألفي مزارع يزرعون التبغ، بالإضافة إلى ألفين آخرين يقومون بتصنيعه ورعايته، ويصل إنتاج التبغ إلى نحو المليونين والنصف من الكيلوات الذي يصدر إلى الخارج، وقد أثرت سنوات الحرب سلبيا على هذه الزراعة، فبعد أن كان الإنتاج يصل إلى نحو عشرة ملايين كيلو جرام قبل الحرب انخفض الإنتاج إلى نحو ٢٠٠ ألف كيلو فقط، وعلى الرغم من أن زراعة التبغ تعد من الزراعات المرة، بمعنى أنها تحتاج إلى جهد كبير مضنٍ، إلا أنها تدر أرباحا جيدة على أصحابها، وهناك خطة حكومية لإعادة تطوير هذه الزراعة باعتبارها عاملا من عوامل صمود أهل الجنوب.

حدثنا الأستاذ غازي زعيتر محافظ النبطية قائلا: إن جنوب لبنان يعيش تحت احتلال غاشم يمارس فيه العدو الإسرائيلي كل أنواع الجرائم بحق الشعب اللبناني وأهل الجنوب بصورة مستمرة، وأعتقد أنكم عايشتم ولو للحظات هذه الممارسات اللا إنسانية، إن أهالي الجنوب

يعيشـون تحت وطأة الاحتـلال كما يعيشـون تحت وطأة الأزمة الاقتصادية التي تمر بها لبنان.

فهم يـواجهـون هـذه الأزمـة أكثر من غيرهم لأنهم يعيشون هذه المرحلة الخطرة، وهذه الحالة من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة، إنني أتقدم بتحية إكبار وإجلال لهذا الشعب البطل الـذي يعيش على الـرغـم من كل هـذه الظروف القـاسية والاعتداءات الإسرائيليـة، يعيش بعزة وإبـاء لمواجهة هـذا الاحتـلال عبر المقـاومة البطلـة التي تمارس حقها الطبيعي والمقدس.

جمعية التنمية الاجتماعية

في حـالات الأزمـات والكـوارث والحروب وغيـاب السلطـات الرسميـة تبرز جمعيـات ونـواد يكون هـدفهـا المسـاعـدة وتقـديم أعمال جليلـة للمـواطنين، ومن هـذه الجمعيات التي برزت أثناء سنوات الحرب اللبنانية: جمعية التنمية الاجتماعيـة والثقافية في النبطية،ومن أهم أهـدافها إنماء مدينـة النبطية، ومسـاعدة المحتاجين والمعوزين، ثم التوجيه والإرشاد الاجتماعـي والاهتمام بالشئون الصحية والثقـافية، ومنـد انطلاقتهـا عـام ١٩٨٥ باشرت بإنشـاء مستشفى مجاني يضم ٧٥ سريـرا لتأمين الـدواء والطبـابة لأهل الجنـوب الـذين لا يستطيعـون ارتيـاد العيـادات والمستشفيـات الخاصـة، كما قامت بـدعم المستـوصفـات الموجودة في القرى، وفتح مستوصفات في قرى المواجهة، وقامت بدعم المؤسسات الرسمية والخاصة بما يلزمها من احتيـاجات لكي تستمـر في تقـديم الخدمات للمـواطنين كمصلحة الكهربـاء ومصلحة مياه نبع الطاسـة، وتعاونية مـوظفي الـدولـة ودائرة النفـوس، ودائرة تسجيل السيـارات، كما قامت بشق عـدد من الطـرق الزراعيـة في عدد من قـرى المنطقة، وتعبيد بعض طرق مـدينة النبطية، ومن المشاريع الكبيرة التي تبنتها تأسيس الجمعية التعاونية الاشتراكية، التي أطلق عليها تعاونية الشهيد محمود فقيه، وكذلك الصيدلية التعاونيـة في النبطية، كما قامت الجمعية بتشييد خزان لمياه الشرب في قريـة عدشيت، بالتعاون مع أهـالي البلـدة من أجل تـأمين ميـاه الشرب، وغيرهـا من المشاريع الخيرية.

مجلس إنماء الجنوب

يعـد الجنـوب اللبناني هـو خط المواجهـة الأول مع العدو الإسرائيلي، ولذلك فإن أبنـاء الجنوب هم الذين يدفعون ثمن الاعتـداءات المتكررة، فتهدم منازلهم على رءوسهم ويتعرضـون للقتل والتشريد، ولقـد لقي هذا



الجنـوب الكثير مـن الإهمال والنسيـان مـن قبل الحكـومات التي تعـاقبت على لبنان، إلى أن قيّض اللـه لهذا الجنـوب رجـالا أيقنوا أن بقـاء لبنـان هـو في دعم الجنـوب وصموده أمـام تعنت إسرائيل وصلفهـا، من هنـا جاءت فكـرة إنشاء وزارة خـاصة بـالجنوب تـولى أمورها أحـد رجال الجنوب الغيورين هـو الأستاذ نبيه بري، ثم تحولت هـذه الوزارة إلى مـؤسسة كبيرة أطلق عليهـا «مجلس إنماء الجنوب»، هـدفهـا تأمين مقومـات الصمـود أمـام أطماع إسرائيـل، فمن أهم أعمال مجلس إنماء الجنوب المباشرة ترميم وتعمير مـا تهدمه إسرائيل من منـازل أو مشـاريع تخص البنية التحتيـة للمنطقـة، وتعـويض الأهالي مـاديـا عن الأضرار التي تلحق بهم نتيجة القصف اليومي.

هدف العملية تهجير الناس وإرباك السلطة السياسية، وتكبيد لبنان أكبر عدد ممكن من الخسائر حسب تصريحات قادة العدو الإسرائيلي.

أما على مستوى الترجمة الميدانية لنيران الإرهاب الإسرائيلي فقد تركت وراءها مئات الجرحى والمعاقين، وخلفت دمارا كبيرا على مستوى البنية التحتية في شبكة الكهرباء والمياه والمدارس والمؤسسات الرسمية.

ونسأل الدكتور حسن يوسف عن تأثير الاعتداءات الإسرائيلية على الإنتاج الزراعي والصناعي في الجنوب، ثم تأثير هذه الاعتداءات على الاستيراد والتصدير، فيجيبنا قائلا: الاحتلال الإسرائيلي للجنوب في حد ذاته يشكل عنصرا غير مساعد من النواحي الأمنية والسياسية والاقتصادية والتجارية، وهنا أريد أن أوضح أن الاحتلال لأي جزء من الجنوب يؤدي إلى حالة استعمار حقيقية لهذه المنطقة، كما يؤدي إلى فرض قيود على أهلنا، ويؤدي إلى عدم الاستفادة من ثرواتهم الزراعية أو الحيوانية، واستحالة إيجاد أي إمكانية صناعية، أما على المستوى الاجتماعي فأهلنا في الجنوب يعيشون حياة صعبة لأن المشروع الإسرائيلي يهدف إلى تهجيرهم من هذه المنطقة.

أطماع إسرائيل في مياه الجنوب

وكان سؤالنا الأخير للدكتور حسن يوسف عن حقيقة أطماع إسرائيل في مياه الجنوب وخاصة مياه نهر الليطاني؟ فأجابنا قائلا: هذا سؤال مهم، والحديث يطول فيه، إلا أنني أحاول أن أختصر، فأقول: إن أطماع إسرائيل في مياه الجنوب حقيقية وليست أطماعا وهمية، كما يدعي بعض الغيورين على مصالح إسرائيل!! فمصادر المياه موجودة في الأراضي اللبنانية بصورة أكثر وفرة نسبيا من تلك الموجودة في فلسطين المحتلة، ولما كانت إسرائيل لا تحترم أي شرعية لحقوق الإنسان، ولا تجد إلا أسلوب القوة حلا لمشاكلها فقد وضعت يدها على مياهنا، علما بأن هذه المياه لا تفي بحاجتنا، وكل كلام عدا ذلك هو ادعاء.

الزراعة

تؤكد الإحصاءات التي تصدرها الحكومة اللبنانية أن ثلث أهالي الجنوب يعملون بالزراعة، أما الذين يعيشون على الزراعة وخدماتها فهم نحو ٧٠٪ من السكان، والجنوب من أهم مناطق الزراعة في لبنان، حيث تجود زراعة الحمضيات والكروم والتفاح والزيتون والموز، بالإضافة إلى زراعة الحبوب، إلا أن العدو الإسرائيلي



□ قامت إسرائيل بسرقة آثار مدينة صور التاريخية وتدمير أجزاء من هذه الآثار باعتداءاتها المتكررة، وإلى اليمين أحد أبناء مدينة النبطية يحمل بقايا قذيفة سقطت على أحد الأحياء السكنية

وكان لنا لقاء مع الدكتور حسن يوسف رئيس مجلس إنماء الجنوب الذي يحمل هموم أهل الجنوب، سألناه أن يحدثنا عن حجم الدمار الذي أصاب البنية التحتية للجنوب نتيجة الغزو الإسرائيلي في تموز / يوليو الماضي، فقال: إن الجنوب والبقاع الغربي يعيش حفلات إرهابية إسرائيلية بعدة أشكال، الشكل العادي وهو ما نسميه الحفلات اليومية، حيث تقوم إسرائيل بقصف وتدمير القرى الجنوبية، ويذهب نتيجة هذا العمل العديد من الشهداء والأطفال والممتلكات والبنية التحتية، وهناك ما نسميه بالحفلات الموسمية، وكانت الحفلة الأخيرة في شهر يوليو الماضي، فيما سمي بحرب السبعة أيام، وكانت هذه الحرب من أصعب الاجتياحات الإسرائيلية السابقة، فقد هجر أكثر من ٣٥٠ ألف مواطن من الجنوب والبقاع الغربي ديارهم في يوم واحد، وكان

يعمد إلى قصف المزارعين، وإطلاق القذائف الفوسفورية لإحراق المزروعات وخصوصا محصول القمح، وهو بهذه الأعمال الإجرامية يحاول أن يركع الشعب، ويضرب مورد رزقه واقتصادياته، لأنه يعرف أن الزراعة هي العمود الفقري للمنطقة، وهو يعتقد أنه بتجويع الناس يستطيع أن يركعهم وأن يمرر مخططاته ومؤامراته، ويعمد بالإضافة إلى الاجتياحات اليومية المتكررة، والقصف المدفعي للمناطق الزراعية وخصوصا تلك التي تقع على خطوط المواجهة إلى توتير الجبهة أثناء فترة قطاف المحاصيل، وهو يمنع أهالي الجنوب من استغلال مياه نهر الليطاني في الري، فأي مشروع يتم في الجنوب فإن مصيره القصف المدفعي والتدمير، كما يقوم العدو الإسرائيلي بإغراق السوق بمحاصيله ومنتجاته الزراعية المدعومة في محاولة لضرب المنتجات الوطنية.

ونسأل الأستاذ محمد حروس رئيس نقابة الزراعيين في الجنوب عن العمل المضاد الذي تقوم به النقابة ضد الممارسات الإسرائيلية، فيجيب: إن الخطوة الأساسية هي مقاومة الاحتلال مهما كان الثمن، فقد بدأنا بتنبيه وإرشاد المزارعين والمواطنين إلى عدم شراء الإنتاج الإسرائيلي ومقاطعته تماما، وأن وطنيتنا وقوميتنا وديننا تحرم علينا التعامل مع العدو الإسرائيلي، وقد يندهش الإسرائيلي أن يجد أناسا يواجهون الاحتلال بالإعمار والبناء والزراعة والتمسك بالأرض، حتى لو خسرنا في إنتاجنا فيجب أن نعمر ونزرع، وعندما يجد العدو هذا العمل فسيشعر بأن هناك شعبا لا يقهر، ومن هذا المنطلق نطالب إخواننا في الإسلام والعروبة بأن يساعدونا في تصريف إنتاجنا الزراعي وأن يميزوه عن بقية المنتجات الأخرى التي تصلهم من بقية دول العالم حتى نستطيع الصمود في أرضنا.

ويضيف الأستاذ محمد حروس قائلا: إن نقابة الزراعيين تعد من أكبر النقابات في لبنان، ويقدر عدد المنتسبين لها بنحو ٧٥٠٠ عضو، أما الأضرار التي أصابت الزراعة أيام الغزو الإسرائيلي في تموز الماضي فقد كانت كبيرة، لقد خسر المزارعون موسما كاملا، فلم يستطيعوا أن يجنوا نتاج الموسم، وتركوا الثمار على الأشجار دون أن تقطف، كما أن هناك عددا كبيرا من المزارعين الذين أسروا أو قُتلوا، ويقدر عددهم بالمئات، بالإضافة إلى وجود عدد من العمال الزراعيين في المعتقلات الإسرائيلية.

ترجع مطامع إسرائيل في مياه لبنان إلى مطلع الخمسينيات، عندما خططت للاستيلاء على المياه العربية، سواء بتحويل روافد نهر الأردن، أو وضع اليد على المياه الجوفية في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان، أو في العمل على تحويل مياه نهري الليطاني والوزاني، وتقول



□ تحتل زراعة التبغ في الجنوب اهتماما خاصا لدخلها الجيد للمزارع



□ الدكتور حسن يوسف رئيس مجلس الجنوب



□ قاسم غبريس رئيس مصلحة مياه صور

دراسة صادرة عن المؤتمر الدائم للحوار اللبناني: إذا كانت الحركة الصهيونية قد عرفت تيارات سياسية ودينية متباينة، إلا أن ثمة إجماعا لدى مختلف قادتها ومنظريها وساستها، على أن حاجة إسرائيل إلى المياه مسألة يتوقف عليها مصير الدولة العبرية نفسها، مما يوجب تلبيتها مهما كانت الأحوال والمترتبات، وتؤكد الأخبار أن الحكومة الإسرائيلية لن تتخلى عن منطقة الحزام الأمني الذي تحتله في جنوب لبنان ما لم تتلق تأكيدات بأنها ستحصل على حصتها من مياه نهر الليطاني.

يقول البروفسور توماس ناف أستاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة بنسلفانيا: إن هذه الأخبار



□ الجنوب اللبناني من أهم مناطق لبنان الزراعية حيث تجود زراعة الحمضيات والزيتون والكروم والتبغ

والتصريحات الإعلامية، ومواقف إسرائيل في حالة التفاوض مع لبنان عندما تطرح مسألة الانسحاب من لبنان، ما هي إلا صدى لمواقف ترجع إلى بداية القرن عندما بدأ تيودور هرتزل وغيره من كبار دعاة الصهيونية الضغط بشكل جدي بضم نهري الليطاني والأولي إلى المناطق التي يفترض أن يقوم عليها الكيان الصهيوني.

مياه الجنوب مشكلة

ونهر الليطاني الذي يتمتع لبنان بالسيادة الكاملة عليه، يقع مجراه المائي بأكمله داخل حدود لبنان، وهو مصدر إغراء لإسرائيل، فهذا النهر يمتاز بكميات مياهه الوفيرة، إذ يقدر معدل تدفقه بنحو ٩٢٠ مليون متر مكعب في السنة، كما يتميز نهر الليطاني بعذوبته مما يجعل مياهه صالحة لري أي نوع من المحاصيل، وقد جذب اجتماع هذين العنصرين مطامع إسرائيل التي طورت نظاما لاستخدام تدفق مياه الليطاني لرفد نهر الأردن ولتوليد الكهرباء، كما أن هناك خطة يتم فيها الاستفادة من مياه الليطاني، وذلك عن طريق تحويل مياهه بواسطة قنوات أنفاق وأنابيب اصطناعية لتزويد شمال إسرائيل بمياه الري والطاقة الكهربائية.

ومع بروز اتساع دائرة العمليات الحربية الإسرائيلية ضد المقاتلين في الجنوب وضد سكانه ازداد بروز قضية المياه في الجنوب، فمشروعات التنمية المائية التي كانت المنطقة في أمس الحاجة إليها، قد توقفت أو أخذت تراوح مكانها، وانخفضت نسبة الزراعة المروية لبعض المحاصيل كالتبغ بنحو ٦٠٪، ومن المشاكل التي خلقتها إسرائيل أثناء اجتياحها للجنوب عام ١٩٨٢ أنها قامت بتدمير شبكات المياه لمحطات منطقة صور، وخصوصا محطة رأس العين، فقد قصفت المحطة ودمرت بقصد تعطيش الناس وصد عزيمتهم عن الصمود، لترك المنطقة والنزوح إلى مناطق أخرى، إلا أن أهل الجنوب تحملوا الأذى والإرهاب وقرروا الصمود، فأخذوا يستعينون بمياه الآبار الجوفية والتجمعات القديمة، وقد قامت منظمة اليونيسيف مشكورة ببناء محطة رأس العين فقدمت عشر مضخات، وعن طريق المساعدات التي حصل عليها لبنان من بعض الدول تم بناء مشروع رأس العين وافتتح في نهاية شهر ديسمبر الماضي.

يقول الأستاذ قاسم غبريس رئيس الدائرة الفنية في مصلحة مياه صور: إن مشروع رأس العين يغذي نحو ٤٥ قرية في منطقة الجنوب، ومعظم هذه القرى محاذية للشريط الحدودي، إن هذا الإنجاز الكبير الذي تبنته منظمة اليونيسيف وقام مجلس الجنوب بتنفيذه، دلالة على أن أهالي الجنوب عاقدون العزم على الصمود في أراضيهم، ولن يتركوها مهما بلغت وحشية وجرائم إسرائيل. ويضيف الأستاذ قاسم غبريس قائلا: إننا لا نستطيع أن نوصل مياه رأس العين إلى القرى التابعة لصور والواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، لأن إسرائيل





□ أسرة من قرية زوطر المحاذية للشريط الحدودي

دمرت خزان كفرا بقصد عدم حصول أبناء هذه القرى على كفايتهم من الماء، ومع ذلك قامت الحكومة اللبنانية بحفر آبار في وادي جيلو وبناء محطة لتوليد الكهرباء، والآن بإمكاننا توصيل الماء إلى نحو ٢٥ قرية لسد الثغرة التي أحدثتها إسرائيل بتدمير خزان كفرا الرئيسي الذي يغطي المنطقة الشمالية وقراها.

وهنا لا بد أن نذكر دور المؤتمر الشعبي لدعم صمود أهالي الجنوب، فنتيجة للعدوان الإسرائيلي المتكرر لقرى ومدن الجنوب دمرت البنية التحتية، فكل الطرق وشبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي لم تعد صالحة للعمل، ونتيجة لقيام المؤتمر الشعبي واتصاله بالمسئولين في بيروت والذين أحسوا بما يعانيه الجنوب من مشاكل أمكن ترميم جانب من شبكات الصرف الصحي وتعبيد بعض الشوارع، كما يقوم المؤتمر الشعبي بصيانة كل المشاريع والمصحات ومساعدة عمال البلدية في جمع القمامة وكل الدوائر التي تطلب المساعدة.

مؤسسات الإمام الصدر الخيرية

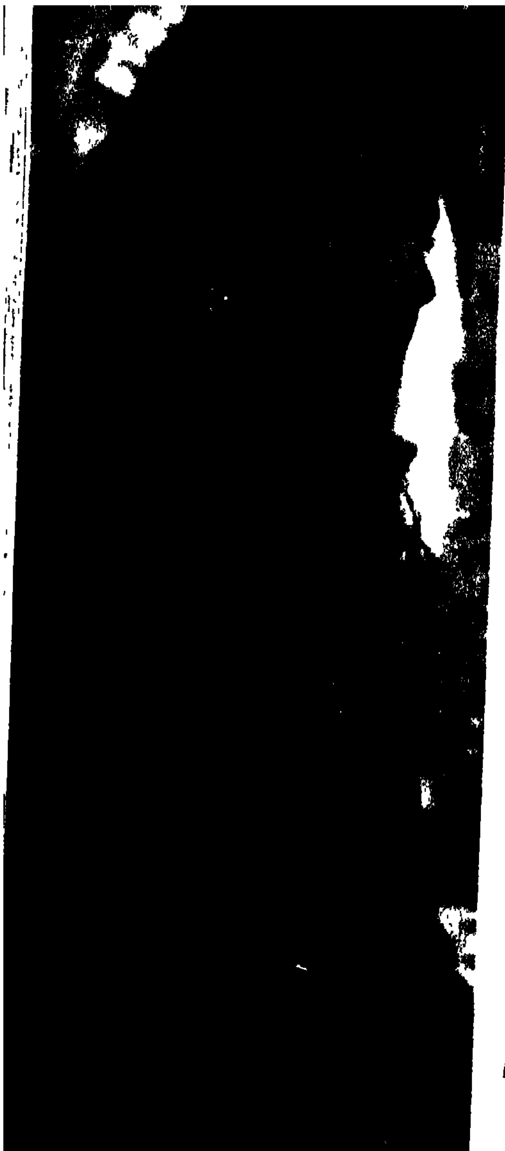
ومن المؤسسات الرائدة لصمود أهل الجنوب أمام الاعتداءات الإسرائيلية مؤسسات الإمام موسى الصدر الخيرية، وينحصر نشاطها في الجوانب الاجتماعية والثقافية والتربوية والاهتمام بالفتيات اليتيمات، وقد بدأ نشاط هذه المؤسسات مع بداية الستينيات بمدرسة بيت الفتاة لتعليم الخياطة والتطريز والمهارات اليدوية ومحو الأمية وتوضيب وتصنيع الزهور، إلا أن أهمية هذه المؤسسات قد تعاظمت بعد الحرب اللبنانية والاجتياحين الصهيونيين للبنان، وما ترتب عليهما من انهيار اقتصادي ثم الاستهداف الشرس من الداخل والخارج.

تقول السيدة رحمة الحاج المسئولة عن المجمع الثقافي لمؤسسات الإمام الصدر في صور: نظرا لما آل إليه الوضع في لبنان في السنوات الأخيرة، ثم المآسي التي صاحبت سنوات الاحتراب، برزت أهمية هذه المؤسسات الخيرية لتحتضن أيتام لبنان وخصوصا أيتام الجنوب، وتقوم برعايتهم حتى يكبروا ويعتمدوا على أنفسهم.

يضم المجمع الثقافي الآن أربع مدارس وهي مدرسة رحاب الزهراء لليتامى، وبها نحو ٣٠٠ طفلة يتيمة، تبدأ بعمر الخمس سنوات إلى ما فوق العشرين سنة، وتعد المؤسسة بيتا لهن، وتتكفل المؤسسة بنفقات التعليم والمعيشة، حتى تكبر الفتاة وتتزوج، وتقوم المؤسسة بتهيئتها لعمل مهني إذا لم يكن عندها الاستعداد لمتابعة الدراسة العامة. وتضم المؤسسة كذلك مدرسة للتمريض، وهي مدرسة مهنية تخرّج ممرضات قانونيات،



□ مجموعة من الطالبات اليتيمات في مؤسسات الإمام الصدر الخيرية يتناولن وجبة العشاء



□ وجه من الجنوب بملامحه العربية الأصيلة

أما المدرسة الثالثة فهي مدرسة الخياطة والتطريز والمهارات اليدوية، تؤهل خريجاتها لحياة عملية مستقرة، وتمنح الفتاة التجهيزات الآلية عند التمكن من مزاولة المهنة، أما المدرسة الرابعة فهي مدرسة دار الحضانة، وهي مدرسة مشتركة للإناث والذكور.

ويحتوي المجمع كذلك على مطعم خيري مجاني يقدم سبعة آلاف وجبة مجانية ضمن منطقة صور.

شاكل الصيد والصيادين

يزاول حرفة صيد السمك في الجنوب اللبناني قطاع ـير من السكان، يقدر بنحو أربعة أو خمسة آلاف عائلة، هم يعتمدون في معيشتهم على الصيد البحري، وليس ديهم أي مورد آخر غيره، وقد تضرر هذا القطاع من ـراء الاجتياحات الإسرائيلية المتكررة للجنوب، فلم يعد للصيادين حرية الإبحار في المياه الإقليمية اللبنانية كما يشاءون، وإنما حددت السلطات الإسرائيلية مسافة تقدر بنحو كيلومترين عن سواحل مدينة صور للصيادين في الليل، بينما تتسع هذه المسافة لتصل إلى أربعة كيلومترات في النهار.

يقول الأستاذ محمد البواب، رئيس نقابة صيادي الأسماك في صور: إن المساحة التي حددتها إسرائيل لصيادي الأسماك لا تتسع لهذا العدد الكبير من الصيادين الموجودين في صور، وقد خلق هذا الطوق الأمني الإسرائيلي مشاكل اجتماعية على حياة الصيادين، لأن الإنتاج الذي يحصل عليه الصيادون من الأسماك تدنى إلى أقل مستوى بعد أن كان المردود جيدا في الماضي، فأصبح دخلهم محدودا لا يساوي الجهد الذي يبذلونه، وبالإضافة إلى ذلك لا توجد أي ضمانات اجتماعية ولا طبابة ولا تعليم، ولا تقدم الدولة أي مساعدة لهذه الفئة منذ بدأت



□ ميناء صيدا ومجموعة من سفن الصيد تستعد لرحلة صيد محفوفة بالمخاطر





□ الشختور هي سفينة صيد الأسماك في الجنوب، وإلى اليسار أحد الصيادين في مدينة صيدا يصلح شباكه

الحرب عام ١٩٧٥ . ويتعرض الصيادون إلى ملاحقة الدوريات الإسرائيلية التي تجوب سواحل صور، ولا يستطيع الصياد أن يتجاوز المسافة التي تقررها القوات الإسرائيلية، وإلا تعرض لإطلاق النار والقتل وتقطيع الشباك، أو مصادرة الزورق.

في نفس الساعة التي كنا نجري فيها هذا الحوار مع رئيس نقابة الصيادين، جاءنا من يخبره بأن القوات الإسرائيلية قد أطلقت النار على أحد الصيادين في وسط البحر، وقد أدى ذلك إلى إصابة الصياد بطلق ناري في فخذه، وقد قمنا في الحال بزيارة هذا الصياد في المستشفى، وصوّرناه، وسألنا الطبيب الذي قام بعلاجه عن حالته، فقال: إن الصياد أصيب بتهشم في عظام فخذه، ويحتاج إلى عملية جراحية دقيقة، وسوف ينقطع هذا الصياد عن عمله مدة ثلاثة أشهر على أقل تقدير.

وفي صيدا

أما صيادو مدينة صيدا فليست حالتهم بأحسن من حالة إخوانهم في صور، وإن كانت المساحة التي يصطادون فيها أوسع من المساحة المتاحة لصيادي صور، إلا أنهم أيضا مهددون من الدوريات الإسرائيلية، بل إنهم يمنعون من مزاولة الصيد عندما تكون هناك أحداث أو عمليات فدائية، يقول أحد الصيادين: إن إسرائيل حصلت عندما اجتاحت لبنان عام ١٩٨٢ على قوائم بأسماء الصيادين الذين يزاولون هذه المهنة في كل من صور وصيدا، بل إن لديهم أسماء السفن أو «الشختاتير» وأرقامها. يقول هذا الصياد: حدث مرة أن استوقفتني دورية إسرائيلية وكان معي أحد الصيادين الجدد، ولما عرفوا أن هذا الصياد لم يرد اسمه في سجل الصيادين أخذوا يستجوبونه، ثم سجلوا اسمه وعنوانه. ويضيف هذا الصياد قائلا: إن مشاكلنا كثيرة، فنحن نطالب الجهات الرسمية بتنظيف السواحل لأن هناك نفايات تعيق عملنا، وكثير من الأحيان تمزق شباكنا. إن إسرائيل تلقي بنفاياتها في البحر مما يؤدي إلى موت الأسماك، كما أن القصف المدفعي المتواصل يوميا يؤدي إلى هروب الأسماك إلى المناطق البعيدة، فوضعنا الحالي صعب للغاية.

إن قطاع الصيادين قدم العديد من الشهداء والضحايا، ففي السجون الإسرائيلية نحو ٢٥ صيادا اعتقلوا هم وأولادهم وتهمتهم أنهم يتعاملون مع القوى الوطنية، كما أن هناك مجموعة كبيرة من المعاقين جراء تعرضهم لنيران المدفعية الإسرائيلية أثناء قيامهم بتأدية أعمالهم وسط البحر. □



... الصيادون للدوريات الإسرائيلية ولتمزيق شباكهم لتجاوز المساحة.



ضوء يعالج السرطان

بقلم: الدكتور محيي الدين لبنية *

الليزر، تلك الحزمة الدقيقة من أشعة الضوء، هل تقوى - على رقتها - أن تقاتل أعتى أمراض عصرنا.. السرطان، إنه حديث عن بعض من الضوء ينير كثيرا من الأمل.



□ الليزر العامل في مجال الطب هل يوجه ضرباته للسرطان أيضا؟.

أصبح ممكنا الآن استخدام أشعة الليزر بدلا من مشرط الجراح لاستئصال الأورام واستغلال قدرتها الحرارية على تبخير الخلايا السرطانية وتقليص مساحة الورم لتخفيف شدة الإصابة للمرضى الذين يخشى عليهم من المضاعفات الصحية السيئة للجراحة التقليدية، كما أمكن بواسطة التسخين الموضعي بحرارة الليزر والعلاج الكيموضوئي بمركب حساس لهذه الأشعة قتل الخلايا الخبيثة، وهذا ما سوف يستعرضه هذا المقال بعد التعرف على الخواص العلاجية لليزر والتغيرات الخلوية التي يحدثها في الأنسجة.

تتكون أشعة الليزر نتيجة إثارة عنصر أو جزيء من مادة معينة بواسطة طاقة عالية، فتصطدم ذرات المركب المثار ببعضها وتتحرر الفوتونات التي تمر عبر مرآة شبه نفاذة في عمود الضوء داخل الجهاز، ثم تنطلق أشعة الليزر في شكل حزمة ضوئية ضيقة وملتحمة ذات طول موجي واحد يمكن توجيهها بدقة إلى الهدف المطلوب وتركيز تأثيرها على مساحة صغيرة جدا من الأنسجة الحية، وتختلف أنواع الليزر حسب نوع المادة المثارة داخل جهاز توليد الأشعة ومن ثم تتباين أطوال موجات الضوء المنبعث منها، وتتوقف قدرة هذه الأشعة على إحداث تغيرات حرارية في الخلايا ودرجة فعاليتها وعمق اختراقها للأنسجة على طول موجتها، لذا تتوافر أنواع من الليزر تفيد إما في التسخين الموضعي للأنسجة فقط أو في القطع كالمشرط في غرف العمليات الجراحية أو في إحداث تغيرات كيماوية في الخلايا الخبيثة بعد حقنها بمركب حساس لهذه الأشعة.

التغيرات الخلوية بفعل الليزر الجراحي

تصل درجة الحرارة في بؤرة حزمة أشعة الليزر من النوع الجراحي إلى أكثر من عشرة آلاف درجة مئوية،

* طبيب جراح بمستشفى الملك فهد بالمدينة المنورة.

ـمكنها تبخير مكونات الخلايا عند سقوطها عليها ولا تتأثر المناطق المجاورة لها، ويؤدي التسخين الشديد في منطقة سقوط الليزر إلى تكوين مصل غازي gaseous plasma وحدوث تغيرات في طبيعة المادة الخلوية وتكون موجة ضغط كبيرة قادرة على إحداث مزيد من الاضطراب في تركيب النسيج الحي، وقد يصل مقدار الضغط في بؤرة الأشعة إلى حوالي ألف ضغط جوي، لكنه ينخفض عند الابتعاد عنها ولو ملليمترا واحدا إلى أقل من ثلاثين ضغطا جويا، ويفيد هذا الضغط في قطع النسيج الذي يصبح هشا نتيجة الجهد الكبير الواقع عليه. ويؤدي سقوط أشعة الليزر على الهدف المحدد إلى تكوين طاقة مرتفعة جدا في مساحة صغيرة خلال وقت قصير، وقد تسبب الحقول الكهرومغناطيسية المرتفعة الناتجة عن الليزر تحللا في الجزيئات الخلوية في النسيج، وتشابه هذه الحالة ما يحدث عند تأين الغاز ويسميها علماء الطبيعة بالمصل plasma، وتنبعث خلال فترة العلاج القصيرة بالليزر طاقة عالية تنتقل عن طريق نظام توصيل خاص إلى الهدف المحدد الذي قد يصل قطره بين ٥ و٥٠ ميكرونا فقط.

استئصال أنسجة الورم

يستطيع الجراح استخدام الليزر بدلا من المبضع لاستئصال أنسجة الورم الخبيث، ويستعمل فيها أحد الأنواع الرئيسية لأجهزة توليد الأشعة ذات التأثير الجراحي مثل ليزر غاز الأرجون وليزر نيوديمم ــ ياج Neodymum - YAG وليزر ثاني أكسيد الفحم، وتتجمع فيها الأشعة بشكل حزمة ضيقة جدا من الموجات الضوئية تقع في مجال طيف الضوء المرئي والأشعة تحت الحمراء وبعدها بقليل، وتتفوق الليزر في دقتها البالغة في القطع على مشرط الجراح ولا تسبب نزيفا دمويا عند قطعها للأنسجة أو حرقها، كما لا يؤدي استعمالها إلى حدوث وذمة Oedema أو التهاب جرثومي نتيجة تأثيرها التعقيمي، كما لا تنتشر الحرارة الناتجة عنها في المناطق المجاورة لموقع سقوطها على الأنسجة.

وتستخدم أحيانا الحرارة الشديدة لأشعة الليزر في تبخير الخلايا السرطانية في منطقة الورم التي تتركب أساسيا ـ مثل غيرها من الخلايا الحية ـ من الماء الذي تتراوح نسبته فيها بين ٨٠ و٩٠٪ من وزنها، ويؤدي الضغط المرتفع المتكون في منطقة سقوط هذه الأشعة إلى حدوث مزيد من الاضطراب في تركيب نسيج الورم الخبيث، يقلل تماسكه، ويمكن بواسطة الليزر تبخير النموات السرطانية التي تسبب انسدادا جزئيا في المريء أو في فتحة الفؤاد بالمعدة أو في القولون، أو في المستقيم، وعلاج سرطان متقدم في الرئتين واستئصال ورم خبيث من المثانة بمساعدة المنظار الطبي، ويفيد ذلك في تحسين نوعية الحياة الباقية للمريض وتخفيف آلامه ومعاناته، فمثلا يستطيع المصاب بسرطان المريء بعد العلاج بالليزر بلع الطعام ومن ثم الحصول على مقدار كاف منه ويستعمل في هذه الحالة ليزر نيوديمم ــ ياج أو ليزر الأرجون في وجود منظار طبي خاص للوصول إلى المناطق البعيدة المصابة بالورم داخل الجسم، ومن ثم تعريضها لهذه الأشعة في صورة جلسات متتالية يختلف عددها وطول فترات الراحة بينها حسب



□ عينة من سرطان الثدي تنتظر العلاج.

شدة الإصابة المرضية، وهذه الطريقة مفيدة في علاج مرضى السرطان من كبار السن أو البدناء الذين لا يستطيعون تحمل المضاعفات الصحية للعملية الجراحية التقليدية لاستئصال الورم.

التسخين الموضعي للورم

اكتشف العلماء حديثا قدرة أشعة الليزر ذات القوة الضعيفة من نوع Neodymum Yttrium alu-minum garmet على إتلاف أنسجة الورم الخبيث الصلبة الموجودة داخل الجسم بواسطة التسخين الموضعي لها بحرارة هذه الأشعة، وتستعمل فيها إبر رفيعة مجوفة تمر بداخلها أشعة الليزر ذات التأثير

الحراري تخترق أعماق منطقة الورم تحت توجيه ألياف بصرية أو المراقبة بالموجات فوق الصوتية أو بوسيلة أخرى، وتتلف خلال هذه العملية بعض الأنسجة السليمة المحيطة بمنطقة الورم ثم تشفى بعد ذلك وهي لا تسبب نفس المقدار من الضرر الناشيء عن العلاج بالإشعاع أو بالأدوية الكيماوية القاتلة للخلايا، ولقد استخدمها الأطباء في علاج الإصابة بأورام خبيثة غير قابلة للجراحة في الكبد والثدي والبنكرياس، كما استعملت في علاج الأورام المتكونة في الغدة الدرقية والبروستاتا وغدة



□ سرطان الرئة الذي تظهره الأشعة هل يصل إليه الليزر؟

الكظر. ويشترط قبل استخدامها توافر أنسجة سليمة وكافية حول المنطقة المراد علاجها لضمان شفائها بعد تحطيم أنسجة الورم بالليزر، وهذه الطريقة تفيد في علاج الأورام غير المنتشرة والمتجمعة صغيرة الحجم وشفائها تماما، واستعملت حتى الآن للمرضى الذين يستحيل علاجهم بالطرق التقليدية أو بالجراحة أو عند عدم نجاحها، وهي لا تسبب آلاما للمريض لأن الإبر تدخل منطقة الورم في وجود تخدير موضعي، ويبلغ ثمن الجهاز المستعمل فيها نحو ٤٠ ألف جنيه إسترليني، ويمكن استخدامه أيضا في العلاج المخفف Palliative treatment لأنواع أخرى من الأورام الخبيثة كسرطان المستقيم وسرطان المريء، وفي الوقت الحاضر يقوم علماء من الولايات المتحدة وفرنسا واليابان بتقييم نتائج هذه الطريقة، وأكدت تقاريرهم الأولية فائدتها الكبرى في علاج الأورام الخبيثة من النوع الصلب المتكونة داخل الجسم.

اكتشاف العلاج الكيموضوئي

في أواخر الثمانينيات من هذا القرن اكتشف الدكتور ستانلي براون من جامعة ليدز بالمملكة المتحدة بمحض المصادفة خلال أبحاثه على الأمراض الوراثية أن أحد مركبات البورفيرين Porphyrins الحساسة للضوء تفيد في علاج بعض أنواع الأورام الخبيثة كسرطان المثانة والمريء، ولاحظ وجود عيب في الأنزيم المسئول عن وضع الحديد في جزيء الهيم Haem في دم المرضى الحساسين للضوء يؤدي إلى تجمع البورفيرين الخالي من الحديد والحساس للضوء في دمائهم، وتوجد مستقبلاته في جميع خلايا جسم الإنسان لكن أعدادها تكون أكبر في الخلايا الخبيثة عنه في الخلايا السليمة، فتمتص الأنسجة السرطانية كمية أكبر من البورفيرين الخالي من الحديد ذي التأثير غير الضار، الذي ينشط عند تعرضه إلى موجات ضوئية معينة فيتحول إلى مركب سام للخلايا. ولقد أدت هذه الاكتشافات المثيرة إلى تطوير طريقة تماوجية جديدة للسرطان سميت بالعلاج الكيموضوئي.

وفي عملية العلاج الكيموضوئي لبعض أنواع السرطان تستعمل مركبات كيماوية لها القدرة على امتصاص أشعة الليزر كالبورفيرينات مثل «DHE» المعروف تجاريا بـ فوتوفرين ـ ٢ - 2- Photofrine وهو أحد مشتقات الهيماتوبورفيرين البشري، ويحقن هذا المركب للمريض عن طريق الوريد، فتحتفظ الخلايا الخبيثة بمقدار أكبر منه يصل نحو ضعفي أو ثلاثة أمثال الموجود في الخلايا السليمة، فيتولد عن ذلك اختلاف في مستوى تركيزه في كلا النوعين من خلايا جسم المريض، ويستهل الضوء الأحمر الذي يتبعثر بدرجة جيدة في أنسجة الجسم ليصل إلى عدد كبير من الخلايا الخبيثة ويكون ليزر الصبغة dye laser ذا ضوء أحمر شديد وطول موجته ٦٣٠ ميللي ميكرون، وليس لهذا النوع من الليزر تأثير جراحي ولا تتبخر بواسطته محتويات الخلايا، كما لا يسبب تجمعا في بروتيناتها أو تخثرا فيها، ويعمل الضوء الأحمر اللامع على تنشيط عقار الفوتوفرين ـ ٢ الذي يقتل بدوره الخلايا الخبيثة، ويستعمل المنظار الطبي المزود بمصدر أشعة الليزر في الوصول إلى مناطق بعيدة داخل

جسم المريض، ويحدث انتفاخ في مواقع سقوط الأشعة ثم تتحول الخلايا السرطانية بعد ساعات قليلة أو أيام إلى ندبة سوداء ثم تنسلخ الخلايا الميتة وتنفصل، وتظهر بعض التأثيرات السيئة على الخلايا السليمة المجاورة لمنطقة الورم، لكن هذه الطريقة أقل ضررا لجسم المريض من تناوله الأدوية القاتلة للخلايا السرطانية أو علاجه بالإشعاع، وعادة يعاني المريض بعد العلاج الكيموضوئي من الحساسية للضوء فترة من الزمن تصل إلى شهر، يتحتم عليه خلالها عدم تعريض جسمه لأشعة الشمس المباشرة تفاديا لإصابة جلده بحروق شديدة، كما نجح حديثا فريق من الأطباء الصينيين في مدينة شنغهاي في تحطيم الخلايا المصابة بابيضاض الدم «اللوكيميا» Leu-kemia بعد حقن المريض عن طريق الوريد بعقار الفوتوفرين - ٢ ثم سقوط أشعة الليزر من نوع هليوم - كادميوم He-Cd laser ذي طول موجة مقدارها ٤٤٢ ميللي ميكرون على تيار الدم.

ضبط مقدار جرعة العقار

يجري بعض العلماء حاليا تجاربهم على الاختلافات الاختيارية للخلايا في امتصاص ضغوط الليزر ومقدار تلف الأنسجة الطبيعية لتحديد مقدار الجرعة الفعالة من هذه الأشعة على الخلايا الخبيثة، ولقد عرفت خاصية مركب الفوتوفرين - ٢ في عدم اختراقه للحاجز الطبيعي بين الدم والمخ، لكنه يستطيع ذلك عند وجود ورم خبيث داخل المخ، ويصل تأثيره على أنسجة الورم الخبيث في المخ نحو عشر مرات ما يحدث في الأنسجة الطبيعية، وهذا يعني فائدته في علاج الأورام الخبيثة في المخ، ويتركز تأثيره الرئيسي على الجذع الوعائي Vascular stroma المسئول عن توفير الدم لأنسجة الورم، وتستمر جهود العلماء لتطوير هذه التقنية الحديثة لعلاج السرطان، واستعمل بعضهم أخيرا مركزا آخر حساسا لأشعة الليزر يمتص كمية تزيد ٢٠ مرة أو أكثر قوة امتصاص مركبات البورفيرين مما يجعل تأثيره متخصصا بدرجة أكبر على الخلايا الخبيثة، وتوفر هذه الطريقة الجديدة فرصة جيدة للأطباء لتطوير وسيلة سهلة وفعالة، ونتائجها مشجعة لاستعمالها على نطاق واسع في علاج مرض السرطان.

وهكذا يبدو أن الإنسان يتنبه شيئا فشيئا إلى ضرورة استخدام منجزات العلم في إزالة آلام البشرية، لا التسبب في مزيد من الألم. فالليزر الذي أعيا أباطرة الصناعات العسكرية لاستخدامه في الحروب يتقدم ليشغل مكانه الخير في ساحة الطب الحديث.□

التلفزيون وألعاب الفيديو خطر على القلب

قال خبراء الصحة البريطانيون إن الأطفال الذين يقضون ساعات طويلة أمام التلفزيون وألعاب الفيديو سيتعرضون للإصابة بمشاكل في القلب في مرحلة متقدمة من أعمارهم.

وسجلت رابطة المستهلكين ورابطة القلب البريطانية شريط فيديو حث فيه الأطفال الذين اعتادوا الاستلقاء بالساعات على الأرائك أمام أجهزة التلفزيون على الخروج والتريض في الهواء الطلق.

وأظهرت الدراسات أن أطفال التسعينيات لا يتسمون بنفس درجة نشاط الأجيال السابقة، وقال ديفيد ديكسون رئيس تحرير المجلة الصحية إن مشاهدة التلفزيون والانغماس في ألعاب الكمبيوتر احتلت مكان أنشطة أخرى مثل ركوب الدراجات ولعب الكرة واللعب في الحدائق.

وأضاف قائلا: إن نقص التدريبات يؤثر على القلب، ويتوقع بعض الأطباء البريطانيين أن يصاب الأطفال الذين لا يمارسون أي نوع من الأنشطة بأمراض قلب أسوأ من تلك التي أصيب بها آباؤهم.



متحف الإرميتاج

أنشأته الإمبراطورة .. واختار الفلاسفة لوحاته

بقلم : الدكتور هشام حمادي*

هتف الرحالة الإسلامي مرتضى حان وهو يتجول في أرجائه: «لا شك أنني في الجنة!»

فهذا المتحف هو نسيج وحده من حيث البناء، ومن حيث النفائس الغنية التي يحتوي

بين أرجائه، إنه متحف الإرميتاج الذي يعد واحدا من أضخم متاحف العالم

* صحفي وكاتب من سوريا



ـف الإرميتاج من الخارج يطل على نهر النيفا.



□ بعض روائع الفن العالمي الغربي

تعود ولادة الإرميتاج إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عهد ازدهار الإمبراطورية الروسية، من القيصرة الشهيرة كاترين الثانية، فخلال أقل من ـشر سنوات أنجز المعماري الإيطالي المعروف راستريللي ء هذا القصر الشتوي بأسلوب الباروك الروسي، لكن ـى هذا القصر الذي استخدم مقرا للأسرة القيصرية، لم ـن كافيا لاستيعاب ذلك الكم الهائل والمتزايد باطراد، النحف الفنية، فشيد الإرميتاج الصغير، ثم ظهر ـرميتاج القديم، فالإرميتاج الجديد.

ـى عام ١٧٦٤ ـ عام تأسيس الإرميتاج ـ اشترى ـصر الشتوي ٢٢٥ لوحة، يعود معظمها إلى المدرسة ـلامانديرية والهولندية، ومنذ ذلك التاريخ بدأت ـائس والتحف الفنية تتدفق بغزارة على الإرميتاج من ـلف البلدان الأوربية والشرقية، عن طريق الدبلوماسيين الروس، أو عن طريق المبعوثين الخاصين الذين كان القياصرة يوفدونهم لهذه الغاية.

ففي عام ١٧٦٧ ـ ١٧٦٨ اشترى السفير الروسي في باريس عشرات اللوحات لمشاهير الرسامين الأوربيين، وبعد أربع سنوات جاء من باريس أيضا زهاء ثلاثمائة لوحة لا تقدر بثمن، وفي عام ١٧٧٩ رفد مخزون الإرميتاج بمجموعة اللورد أولبول، وتضم ١٩٨ لوحة، بما فيها لوحات لفان ديك وأيوردانس ورمبرانت.

وهكذا.. فحتى عام ١٧٨٥ وصل عدد لوحات الإرميتاج إلى ٢٦٨٥ لوحة، ساهم في انتقائها للقيصرة كاترين فيلسوفاها المحببان فولتير وديدرو والبارون غريم المعروف بذوقه الفني الرفيع.

ولم يقتصر الأمر على اللوحات، بل بدأ مخزون الإرميتاج يرفد بالصور المحفورة والتماثيل والمنحوتات

القديمة والجواهر الثمينة والكتب والمخطوطات النادرة، يكفي أن نقول إن مكتبة المتحف التي تأسست منذ مائتي عام تضم الآن قرابة نصف مليون مجلد من الكتب القيمة في تاريخ الفن والثقافة.

الإرميتاج يفتح أبوابه

في بداية عهده لم يكن الإرميتاج متحفا بالمعنى المعروف للكلمة، حتى تسميته ERMITAGE تعني المكان الذي ينفرد فيه الإنسان بنفسه، وينعزل عن الآخرين، وكان التمتع بمشاهدة نفائسه حكرا على الإمبراطورة وأقرب أفراد حاشيتها، حتى أنها كتبت في إحدى رسائلها إلى البارون غريم تقول: «كل هذا لا يتمتع برؤيته أحد إلا الفئران وأنا..».

ومع مطلع القرن التاسع عشر بدأ الإرميتاج يكتسب بالتدريج ملامح المتحف، لكنه لم يتحول إلى متحف عام إلا في أواسط القرن التاسع عشر، وإن كان أغلب زواره من فئة المثقفين.

وفي العهد السوفييتي - السابق - رفد الإرميتاج بمجموعات المتاحف، التي كانت منتشرة في ضواحي بطرسبرج، وبالمجموعات الخاصة، التي جرى الاستيلاء عليها وتأميمها، فتضاعف مخزون المتحف زهاء أربع مرات.

واليوم يوجد في الإرميتاج ما يربو على ٢,٥ مليون تحفة فنية، بما فيها أكثر من ١٥ ألف لوحة و١٢ ألف تمثال و٦٠٠ ألف قطعة أثرية، ومليون قطعة من المسكوكات والميداليات.

رحلة المعرفة والمتعة

ما إن تطأ قدماك عتبة البوابة الضخمة، المواجهة لنهر النيفا، الذي يخترق بطرسبرج، ويقسمها إلى مئات الجزر، حتى تجد نفسك في صحن مترامي الأطراف، ينتهي بك إلى السلم الرئيسي، الذي يعتبر آية من آيات الروعة، ومن هنا تبدأ رحلة المعرفة والمتعة، وتجد نفسك بعد لحظات محمولا على أجنحة الخيال، تضرب في أغوار الماضي البعيد والقريب، وتمتع ناظريك بمشاهدة أمهات اللوحات وعيون التحف وروائع التماثيل الخالدة.

فيضم القسم اليوناني والروماني زهاء مائة ألف قطعة من العاديات الأثرية والتحف الفنية، لعل من أهمها:

* تمثال جوبيتر، حامي الدولة الرومانية، بحجمه الهائل، وتنفيذه الرائع، الذي يعود إلى القرن الأول الميلادي، عصر ازدهار الإمبراطورية الرومانية، وتشييد





□ مقتنيات نادرة من البورسلين الفاخر كانت في قصور القياصرة

الأبنية العملاقة «الكوليزيه - قوس تيتوس وغيرهما».

* النواويس الرومانية التي كانت تستخدم كشواهد على القبور، وتوضع على الطرق المؤدية إلى الأديرة والمعابد، وهي ذات جدران خارجية مزدانة بالنحت البارز والزخرفة النافرة، وعلى أحدها تطالعنا صور تمثل حفل زفاف بحضور الآلهة.



□ الإمبراطورة كاترين العظمى التي أسست الإرميتاج.

* تمثال أثينا، وفيه تتجلى لنا أثينا بهيئة امرأة حسناء، ومحاربة جبارة، ترتدي خوذة، يزينها رأس الغولة غورغونه، واللباس الرسمي اليوناني، وفي يدها رمح طويل، رمز الشجاعة والإقدام.

يحتوي الإرميتاج على قسم للفن الأوربي الذي واكب ظهوره تأسيس الإرميتاج نفسه، بل إن بالإمكان القول إنه يشكل اللبنة الأساسية الأولى التي أرسيت عليها دعائم هذا الصرح العملاق، فلا غرابة أن يكون غنيا ـائسه، التي يربو عددها على ٦٣٠ ألفا، ولا غرابة أن ـكون هذا القسم وكنوزه الرائعة محط أنظار جميع زوار ـرميتاج، وأكثر الأقسام ازدحاما، وأغناها، إن من ـث عدد الصالات، وإن من حيث سعتها ورحابتها، عمود الإرميتاج الفقري وجوهرة تاجه.

ـن الإيطالي

ـ متحف الإرميتاج واحد من المتاحف النادرة في ـالم، التي تضم مجموعاتها الأعمال الأصلية ـاردو دافينشي، الفنان الذي طبقت شهرته الآفاق، ولا يزال اسمه على كل شفة ولسان، ففي الصالة رقم ٢١٤ لاتكاد تجد لنفسك موطىء قدم، بسبب الازدحام الشديد أمام اثنتين من لوحاته «العذراء والزهرة» أو «عذراء بينوا» نسبة إلى مالكها السابق، و«عذراء ليتا» نسبة إلى عائلة أصحابها الإيطاليين سابقا.

صحيح أن «العذراء والزهرة» تعود إلى المرحلة المبكرة من حياة الفنان الإبداعية، لكنها تجسد بشكل جلي موقف الفنان الجديد من العالم والإنسان، وتطرح المبادىء الفنية الجديدة، التي نذر ليوناردو حياته وفنه لها، وجسدها في أعماله المختلفة، والواقع أنه لا شيء في هذه اللوحة يوحي أننا أمام العذراء ويسوع الطفل، فالعذراء ترتدي اللباس، الذي كان دارجا في عهد الفنان، وتستخدم التسريحة الدارجة، أما لماذا هذه التسمية فلأن العذراء تداعب طفلها بزهرة صغيرة بالكاد نراها، إن هذه اللوحة تجسيد للحب الأمومي بكل روعته وعظمته.

ولانكاد نغادر لوحتي ليوناردو حتى تطالعنا لوحتا عملاق إيطالي آخر، إنه رافائيل سانزيو، أما لوحتاه فهما «عذراء كونيستابيليه» و«العائلة المقدسة»، اللتان تعودان إلى المرحلة المبكرة من إبداعه.

وبالإضافة إلى هاتين اللوحتين يضم الإرميتاج نسخة عن رواق رافائيل، وهي مجموعة من الرسوم الجدارية والسقفية، كانت الإمبراطورة كاترين الثانية قد كلفت مجموعة من الفنانين بنسخها ونقلها إلى بطرسبرج، لتأخذ مكانها في الرواق، المعد سلفا، وقد كرس الفنان كل هذه اللوحات الاثنتين والخمسين لمواضيع دينية مستوحاة من الكتاب المقدس.

أما مايكل أنجلو فيطالعنا في الإرميتاج بتمثالين رائعين «الصبي المتلوي ألما» و«العبد المغلول»، ومما يميز هذين التمثالين كبقية أبطال أنجلو، أن الإنسان يتصدى للشر، ويكافح، ويتعذب، لكنه غالبا ما يجد نفسه أضعف من القوى التي تواجهه، غير أنه لا يضعف ولا يستكين.

وإذا كان دافينشي ورافائيل ممثلين في الإرميتاج بإبداعهما المبكر فإن معظم لوحات الرسام الإيطالي الكبير تيتسيان في هذا المتحف تعود إلى المرحلة المتأخرة من إبداعه، ومن أشهر هذه اللوحات «دانايا»، «القديس سيباستيان» و«توبة مريم المجدلية».

أما المجموعة الإسبانية في الإرميتاج فتتصدرها لوحات «الرسولان بطرس وبولس» للفنان إل غريكو، و«الفطور» للفنان فيلاسكيس، ثم لوحة

«الصبي والكلب» و«صعود العذراء» للفنان موريليو.

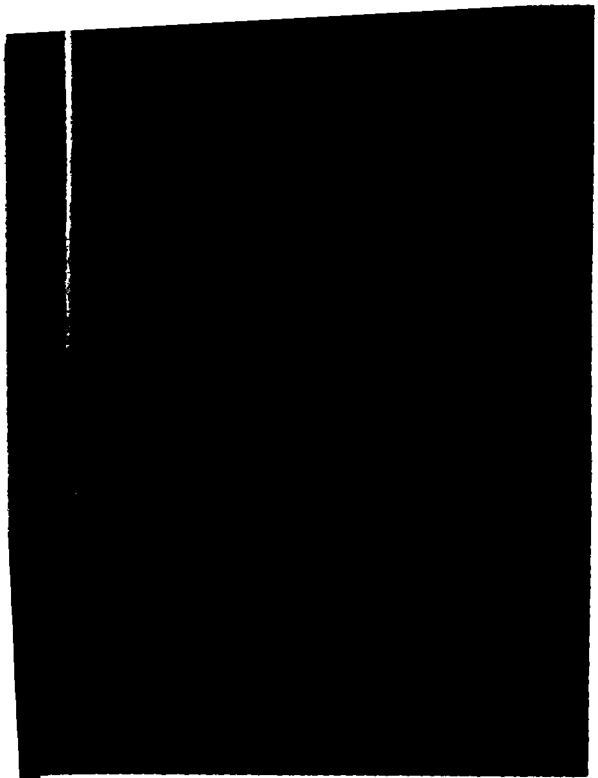
أعمال رمبرانت الأصلية

من المعروف أن فناني فلاندريا وهولندا لعبوا دورا بارزا في تطور فن الرسم الأوربي في القرن السابع عشر، ومن أوسعهم شهرة فان ديك، روبينز شيدرز، غالس، شتين، ريسدال ورمبرانت، ومن هنا جاء اهتمام القيمين على متحف الإرميتاج على مر العصور، برفد مخزونه بنفائس هؤلاء العمالقة، حتى أن عدد لوحات رمبرانت الأصلية هنا يصل إلى خمس وعشرين لوحة، هذا عدا الكثير من الرسوم المحفورة، التي تركها هذا الفنان الهولندي البارز، نذكر من لوحاته «دانايا»، «عجوز يرتدي الأحمر»، «الانزال عن الصليب»، «بورتريه العالم» و«المحارب العجوز». وفي نهاية حياته يبدع رمبرانت واحدة من أفضل لوحاته «عودة الابن الضال»، وهي لوحة تمور بالمغزى الإنساني العميق، وتنادي بالفكرة الإنسانية الداعية إلى تعاضد الناس وتعاونهم وتآلفهم.

الفن الفرنسي

عشرات الصالات الواسعة خصصت في الإرميتاج لعرض روائع الفن الفرنسي خلال القرون الخمسة الماضية، وليس أدل على مدى غنى متحف الإرميتاج بعيون الفن الفرنسي من أنه يعتبر الثاني في العالم - بعد المتاحف الفرنسية طبعا - الذي يضم بين جدرانه هذا الكم الهائل من التحف الفرنسية التي تعطي صورة بانورامية حية للحياة الفنية في فرنسا منذ القرن الخامس عشر وحتى يومنا هذا، بدءا من عاجيات ليموج والأيقونات والأواني الخزفية، التي اشتهرت بها مدينة سان بورشير في القرن السادس عشر، وانتهاء بلوحات شاردين «الصلاة قبل الغداء»، «الغسالة»، بورشيه «مشهد رعوي»، فاتور «العنيدة»، مينيار «رأفة إسكندر المقدوني»، «صباح في المرفأ»، «صباح»، بوسين «تانكريد وأيرمينيا»، لويس لينيان «عائلة الحلابة»، خويه «صورة امرأة أوللبغورية»، بالإضافة إلى تمثال من المرمر لفولتير، «جالس في كرسي» للفنان غودون.

أما الفن الإنجليزي فقد كرست له خمس صالات لعرض لوحات مشاهير الرسامين الإنجليز أمثال رينولدز، غيسورو، لورنس وغيرهم، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن انتشار الفن الإنجليزي يكاد يكون



□ رجل عجوز للفنان رمبرانت.



□ نساء تاهيتي واحدة من أشهر لوحات الفنان جوجان.

مقصورا على المتاحف الإنجليزية، ولا يطالعنا في متاحف العالم إلا فيما ندر.

أما في الصالة، المسماة بصالة الفرسان، فتطالعنا مجموعة نادرة من الأسلحة، التي كانت تستخدم في كل من فرنسا وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، وهي عبارة عن مجموعة من الخنا-

والمدى والدروع البدائية فالقوطية، التي يتراوح وزن كل درع منها بين ١٦ و٢٠ كيلو جراما، وثمة أسلحة فلاحية وسيوف ضخمة «٤ ــ ٧ كيلو جرامات» والكثير من السلاح القديم: القوس والنبال وغيرهما.

ثقافة العصور القديمة والفن الشرقي

يضم هذا القسم الذي تأسس في الإرميتاج في عام ١٩٣١، زهاء ٤٠٠ ألف تحفة، تؤرخ للثقافة البدائية في أراضي ما كان يعرف باسم الاتحاد السوفييتي منذ أقدم



□ إحدى الأميرات للفنان جويا.

عصور «الباليوليت» وحتى قيام الدول الأولى، مع تركيز بخاصة على ثقافة السيثين، الذين سكنوا حوض البحر الأسود الشمالي في الألف الثانية ق.م. وثقافة البدو الرحل في جبال الطاي في الفترة نفسها.

ويضم قسم الفن الشرقي زهاء ١٥٠ ألف أثر وتحفة من موروث شعوب الشرق «مصر ــ الصين ــ اليابان ــ آسيا الوسطى»، ففي الإرميتاج يوجد واحد من النماذج النادرة والمشهورة للأدب المصري غير الديني، والذي يعود إلى القرن التاسع عشر ق.م. إنه «حكاية عن السفينة المنكوبة»، هذا بالإضافة إلى ما يعرف باسم بورتريهات الفيوم، التي اكتشفت منذ عهد غير بعيد في واحة الفيوم، في أحد المدافن، فعلى المومياء عثر على هذه اللوحات المرسومة على الخشب أو القماش، ويوجد في العالم اليوم حوالي ٤٠٠ من هذه البورتريهات، التي تعود إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين، بما فيها أكثر من «٣٠ بورتريه» في الإرميتاج ومتحف بوشكين في موسكو.

أما بالنسبة لفنون شعوب آسيا الوسطى الإسلامية فإن اللقى التي تمثلها في الإرميتاج كثيرة، بما فيها أفريز ايرتام، الذي يعود إلى القرن الأول الميلادي، والذي يذكرك بالآثار السورية القديمة في تدمر، ولا غرابة في هذا، فقد تركت الثقافة الهلنستية بصماتها هنا وهناك.

ومن بين الآثار المهمة الأخرى المرجل البرونزي العملاق، الذي يعتبر تحفة فنية فريدة في ميدان السبك، حيث يصل قطره إلى ٢٫٤٥ متر، ووزنه إلى ألفي كيلو جرام، والمرجل مزخرف بالنقوش والكتابات العربية، التي تدل على أنه مخصص لوضع الماء، وهو مقدم من تيمورلنك إلى مسجد الحاج أحمد، وهو من صنع المعلم الإيراني عبدالعزيز بن شرف الدين التبريزي في ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٣٩٩.

وقبل أن نغادر هذا القسم، العزيز على قلوبنا، نتوقف بخشوع أمام التربيعات من مجموعة مسجد بيبي هانم «نسبة إلى إحدى زوجات تيمورلنك»، كان هذا المسجد يتسع لجميع سكان العاصمة من الذكور البالغين «حوالي عشرة آلاف من المصلين في وقت واحد». ويقال إنه كان من أضخم مساجد العالم، وإن بناءه استمر ليلا ونهارا، واشترك فيه آلاف العمال المحليين والأجانب، ومن أجل نقل الصخور الضخمة جيء من الهند بـ ٩٥ فيلا، وبعد خمس سنوات من العمل المضني والنفقات الباهظة أنجز بناء المسجد، ومما يؤسف له أن أعمدته العملاقة تداعت بسبب زلزال قوي أتى على المسجد، وحوّله إلى أطلال دارسة، لا تزال تشهد على عظمة وروعة الفن الإسلامي.

الفن الروسي

إن عمر هذا القسم قليل نسبيا، فهو لا يزيد على نصف قرن، ومع هذا فهو يضم زهاء ٢٠٠ ألف تحفة، تؤرخ للفن الروسي على مدى قرنين من الزمن، بما فيها فاز «حفر على العاج»، وساعة على شكل بيضة، وبورتريه من الموزاييك، تمثل القيصر بطرس الأول للعالم الروسي ميخائيل لومونوسوف، ثم تمثال نصفي للقيصر بطرس الأول «من البرونز» وضريح الكسندر نيفسكي «من الفضة». □

سهرة الخفاش

قصة بقلم: خلف الحربي

ـ١ـ

في غرفة التحقيق، تمر الصراصير فوق «الموكيت» المتسخ، تبدو كأنها تحك رءوسها.. إبريق الشاي الكهربائي يكشف عن بعض ملامح المأمور الخبيث، والأوراق المبعثرة في فضاء المكتب متسخة بسواد الكربون الناسخ. كل شيء في هذه الغرفة الضيقة يبدو كأنه نسخة أخرى!!.. حتى وجه المأمور أقسم أني قد رأيته من قبل.

ـ «بعد اليوم لن تدخل غرفة الحبس الانفرادي، وإذا أخطأت في أي شيء فسأعلقك في مروحة السقف».

ـ «خفاش؟!!»

ـ «أنت أحقر من خفاش. إن الخفافيش لا تعشق الخرائب والظلام قدر عشقك المهووس لهذه الغرفة الرطبة المعتمة. هل يمكنك أن تقول لي ماذا تفعل هناك؟!».

ـ «..................»

ـ «ولد!!.. قل لي هل تتناول مخدراً معيناً؟!. سأفتشك إن لم تقل الحقيقة!»

ـ «..................»

ـ «قل لي.. ماذا دهاك؟!.. ما الذي قلب حالك هكذا. لقد كنت أفضل سجين هنا. كنت ستخرج بثلاثة أرباع المدة؟! .. فلماذا تفتعل الشجارات مع أي كان؟!»

ـ «..................»

ـ «هل تفعل ذلك كي يأخذوك إلى غرفة الحبس الانفرادي كما يقول العسكر؟!»

ـ «..................»

ـ «هل أنت على خلاف مع زملائك؟، هل تريدني أن أنقلك إلى عنبر آخر؟!»

ـ «..................»

ـ «هل تريد أن أعلقك في هذه المروحة؟!»

في غرفة التحقيق بقع شاي قديم.. ومأمور لا يكف عن الصراخ.. وعصا طويلة مزينة بشريط أصفر لاصق.. وورقة كتب في أسفلها «نسخة لمأمور السجن وأخرى لصاحب العلاقة»، وصراصير تحك رءوسها، تبدو كأنها تفكر، أو كأنها تتدبر أمرها!!.

ـ٢ـ

أن يحرم سجين ما في هذا العالم من اقتناء أي آلة حادة، فذلك أمر بديهي جداً كي لا يموت وفي ذمته شيء من السجن!.

وحين يحرم من الجرائد .. فتلك هي البداهة بعينها، فإذا كانت فكرة السجن تتلخص في منع مخطىء ما من الخروج إلى العالم، فإن إلغاء الفكرة من أساسها يكمن في إخراج العالم إليه. ولكن حين يحرم سجين من ممارسة سجنه بشكل مركز فيمنع من دخول غرفة الحبس الانفرادي فهذا هو الظلم بعينه.. والجبروت بأظلافه الصلبة القذرة.

ليتني قلت للمأمور حقيقة تلك الغرفة، وأرحته وارتحت. ولكن هل كان سيصدقني. وإن صدق فهل سيصدق معي ويبقيني في تلك الغرفة إلى الأبد؟.

تأملت في الممر الطويل الذي يفضي إلى غرفة المأمور وبدأت أتخيل كوميدية المشهد، خصوصا حين أقول للمأمور إنني ذاهب لتلك الغرفة للحاق بموعد عاطفي!.

ـ٣ـ

أذكر تماما أول مرة دخلت فيها غرفة الحبس الانفرادي، «كان أول لقاء بها!!»، وأذكر أن السجاد لم يتقن ركلته فارتفعت عن مؤخرتي وتكومت وجعا لعيناً أسفل ظهري.

قال بصوته الأجش: «ستجلس هنا إلى ماشاء الله حتى لا تتشاجر مع أحد مرة أخرى»!.



عد سيجارتين أو ثلاث اختفت آخر خيوط النور كانت تتسلل من الشباك الصغير، وهبط الليل ثقيلا تتهاوج وحشته على صدري.

جأة ظهرت!!.

حيث لا مكان، ظهرت، أشرقت بلا نور محدد، ءت الغرفة الصغيرة دون أن تحل بالعتمة، قت نظراتها الساحرة الأخاذة قلبي.

هها ليس بالجميل ولا بالقبيح، ولكنه شيء غير . أبدا. ملامح من فضة تتناثر فوقها خصلات الخالص، عينان سوداوان إلى مالا نهاية، وشفتان من جمر هادىء. دعكت عيني طويلا علني أخلصهما من هذا الحلم، ولكنها كانت شاهرة في صحوي كحقيقة عريقة.

ـ «من أنت؟!».

ـ «قرينتك!!».

ـ٤ـ

وعلى الرغم من أن «الحبسة» الأولى في الانفرادي لم تتجاوز ثلاث ليال، إلا أنها كانت مزدحمة كالعمر ومليئة بالصور والأسئلة والحكايات، لا أدري كيف اطمأن قلبي لها بهذه السرعة، ولكننا تحدثنا طويلا،

الحربي ـ قاص من المملكة العربية السعودية.

تحدثنا كصديقين أليفين ثم كأخوين ثم.. كحبيبين!!، كانت مشتعلة الأفكار.. فاتنة الضحكات.. سريعة البديهة.

قلت لها إنني مللت حياتي.. فقالت وهي تتجول بنظراتها في أرجاء الغرفة:

ـ «الحياة مثل رماد البارحة!!.. يحتاج إلى نفخة واحدة كي يتطاير في الهواء.. ولا يحتاج إلى أكثر من هذه النفخة كي يكشف عن نار متقدة».

ـ «لم أفهم».

ـ «انفخ!».

ـ «في الرماد؟!».

ـ «في الحياة».

ـ «ستتطاير».

ـ «وقد يشتعل ما تحتها».

ـ٥ـ

هل أحببتها؟!.. لا أدري ولكنني لا أحتمل هذه الدنيا الهائلة بدونها، كلما حاولت أن ألمسها.. أن أتحقق من كونها حقيقة لا حلما محبوسا.. ارتفعت في الأعالي وقالت بغنج العفاريت:

ـ «لن تلمسني.. دون زواج»

ويحها..وهل يتزوج المرء جنية؟، وإن فعل فهل سيكون سعيداً فعلاً بحبه وجنيته؟ أم أنه «سيتمرمط» بين قبائل الجان؟!.

قررت ألا أكون غبياً في زيارتها الثانية وأن أتزوجها فوراً ولكن بشروطي.



ـ «هل أنت متزوج؟!».

ـ «في هذا السجن.. هل يتزوج المرء إلا سريره!!».

احمر وجهها خجلا وتمتمت: «بايخ!».

سكتنا للحظات ثم همست:

ـ «أقصد خارج السجن؟».

ـ «لا...».

ـ «إذن ستذهب معي إلى دنيا الجان».

ـ «لا.. أنت التي ستبقين معي في دنيا الناس».

ـ «الناس، رمل حساس، أجراس تقرع أجراسا. الناس حراس اللهو الفارغ، هل تسمع لغط الحراس؟!».

ـ «أنا الرجل وأنا الذي أحدد أين سنعيش.. ثم إنني لا أستطيع مغادرة هذا العالم.. هل تفهمين، أنا لا أعيش بلا عالم».

ـ «العالم.. عرس الظالم».

ـ «لا أقبل إلا هذا العرس!».

ـ «أنت حر!».

ـ «أنا سجين!!».

ـ «اتركني وشأني إذن».

ـ «وهل تظنينني قد ربطتك بحبل من مسد؟.. إنني أنا الذي أبحث عمن يتركني وشأني».

اللعنة.. لقد غادرت مرة أخرى، تركت دمعة حية في زاوية الغرفة توارت فجأة فبكيت كما لم يبك رجل من قبل.

أذكر أنني توسلت لكل جدار في تلك الغرفة كي يعيدها إليّ، تشاجرت مع زملائي عشرات المرات، كي يعيدوني إلى الغرفة الرطبة. ناديتها ألف مرة، صليت حتى أوائل الصباح دون جدوى.

وصرخت كالمعتوه:

ـ «يا أرض.. لا تحفظي ما عليك.. اضربي الشوارع بالشوارع، تزلزلي، اقذفي بالسلال الكهربائية في الممرات، اغرقي محطات الكهرباء ببحارك العظمى، تزلزلي، احفري ذاتك المهولة، افصحي عن امرأة واحدة فقط، جنية واحدة، واقتلي كل الناس».

ـ «يا منادي، لقد كبلت الأرض بقيد الجاذبية، ومنذ أن أطلق نيوتن كذبته تلك، تنازلت الأرض عن طموحها القديم بأن تكون سماء ثامنة»!.

إنه صوتها، نعم صوتها، نظرت إلى الأعلى، كان وجهها المضيء الباسم يملأ الشباك الصغير فصرخت فرحاً وأنا لا أصدق عيني: «يا الجنية!!...أين كنت؟!». □

البيت العربي

■ الطفل الثاني .. متى؟

□ الفيتامينات تحمي قلبك

■ جاك بريفير كاتبا للأطفال



الطفل الثاني .. متى ؟!

يأتي قرار إنجاب الطفل الثاني محيرا وصعبا، فمتى يأتي الطفل الثاني وما هو التوقيت المناسب لقدوم هذا الزائر الجديد؟!.

لا بد لتحديد هذا التوقيت أن نضع في الاعتبار مصلحة الأسرة الصغيرة، بدءا من مصلحة الأم وانتهاء بمصلحة الطفلين الأول والثاني.

يحدد معنا هذا التوقيت، أصحاب الخبرة من الأطباء في مجال المرأة والطفل.

يأتي الثاني حين يعتمد الأول على نفسه

نسأل د. رونيه عدلي أخصائية الأطفال، من وجهة نظرك، ما هو التوقيت المناسب لإنجاب الطفل الثاني، فتقول:

ـ لا بد أن يأتي الطفل الثاني في وقت مناسب لجميع أطراف الأسرة، ومن المهم أن تكون الأم قد استردت صحتها بعد الولادة الأولى وبعد انتهاء فترة الرضاعة، إذ إن عملية الرضاعة عملية فسيولوجية تحتاج إلى اهتمام الأم بغذائها حتى يتلقى الطفل الرضيع غذاء بشكل سليم، ولا يتأتى ذلك قبل مرور سنتين ع الولادة الأولى وح لا تتعـ ... المضـ عف ... جب



كنقص المعادن والفيتامينات والبروتينات وحتى لا تضعف صحة الجنين الجديد. وتضيف د.رونيه قائلة: أرى أن تكون الأسرة مستعدة ماديا لاستقبال هذا المولود الجديد، فتستعد لإعداد برنامج غذائي للأم خلال فترة الحمل ثم تكاليف عملية الولادة واحتياجات الطفل الثاني أيضا.

كذلك لابد أن تتأكد الأم قبل اتخاذ قرار إنجاب الطفل الثاني أن طفلها الأول قد أخذ الاهتمام الكافي، وأن عمره ليس أقل من سنتين حتى يتعود هذا الطفل الاعتماد على نفسه في بعض احتياجاته اليومية التي كانت تساعده فيها الأم مثل: عملية التبول، أو تناول الطعام، وارتداء الملابس مثلا.

كذلك شعور الطفل الأول بالغيرة حين يأتي الطفل الثاني، يؤدي لتعرضه لعملية «ارتجاع» فيعود ويتبول لا إراديا من جديد، أو يتلعثم في الكلام، ويحاول جذب انتباه الأب والأم ويصبح وكأن عمره سنة أو ستة شهور، ويتأثر نفسيا بهذا الأخ الجديد. وتقول د.رونيه إن حدة هذه التأثيرات تقل حين يتم الطفل سنتين ويصبح ذا ...ن اجتماعي إلى حد ما ويأخذ ...ـه من الرضاعة الطبيعية إذ لا ...ـر الرضاعة مع الحمل وهنا ... الأم إلى استخدام وسائل ... لتأجيل الحمل.

الفترة يعطي الطفل حقه

...ـد ناقش الباحث محمد محمد بجامعة عين شمس في رسالة ماجستير الترتيب الميلادي وعلاقته بالنضج الاجتماعي للطفل، وأكد ضرورة إطالة الفاصل الزمني بين الإخوة في الأسرة، وذكر الباحث أن ذلك من مصلحة الأطفال الصغار، وكلما تأخر وصول الأطفال الجدد زاد نضج بيئة الأسرة التي يدخلون فيها وينمون بين أجوائها، فيأخذ



الطفل القسط الوافي من الرعاية النفسية والصحية من قبل الأم.

ويطول الفترة الزمنية يأخذ الطفل حقه في المأكل والملبس والمسكن واللعب والأدوات اللازمة مما يزيد فرص نموه ونضجه، إذ يأتي الطفل الأول ولا منافس له ويستمتع بهذا الشعور لفترة تطول أو تقصر حسب موعد مجيء الطفل الثاني، وإذا طالت الفترة بينهما يتعود الأول على وضع الطفل الوحيد ولا يشعر بالتهديد من الزائر الصغير. وإذا كان الفارق مناسبا فإنه يشعر بالمشاركة مع شقيقه، إلا أنه تبقى لديه سمة مميزة بأنه الأفضل وهو وضع يميل إلى التمسك به باستمرار. وتوصل الباحث إلى أن فارقا يتراوح بين سنتين إلى أربع سنوات بين الإخوة يكون له أكبر تأثير يهدد الطفل الأكبر.

وإذا بلغ الأول ثلاث سنوات عند ولادة أخ جديد له فإنه يصبح قلقا حول إمكانية فقدان الحب. أما إذا بلغ الأول عاما واحدا فإن الوليد الجديد لا يشكل له تهديدا كبيرا أو منافسا لأن صورة ذاته تكون غير واضحة وغير متبلورة. وإذا وصل الأخ الجديد بعد أن يصبح الأول في الرابعة أي بعد أن يحصل على استقلاله قل احتمال ظهور الغيرة بين الإخوة، بل إن الطفل الأكبر يسعد بمعاونة الرضيع.

الحمل بعد الفطام

ويشدد د.علي عليان أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية طب جامعة عين شمس على أهمية تأجيل الحمل بعد انتهاء فترة الرضاعة فيقول: تعتبر فترة الرضاعة فرصة لالتقاط الأنفاس بالنسبة للأم، وفي المعتاد تقوم الهرمونات المدرة للبن بوقف عملية التبويض، فتقل فرصة حدوث الحمل أثناء الرضاعة بدرجة كبيرة، وهناك نوعان من التعرض للحمل أثناء الرضاعة:

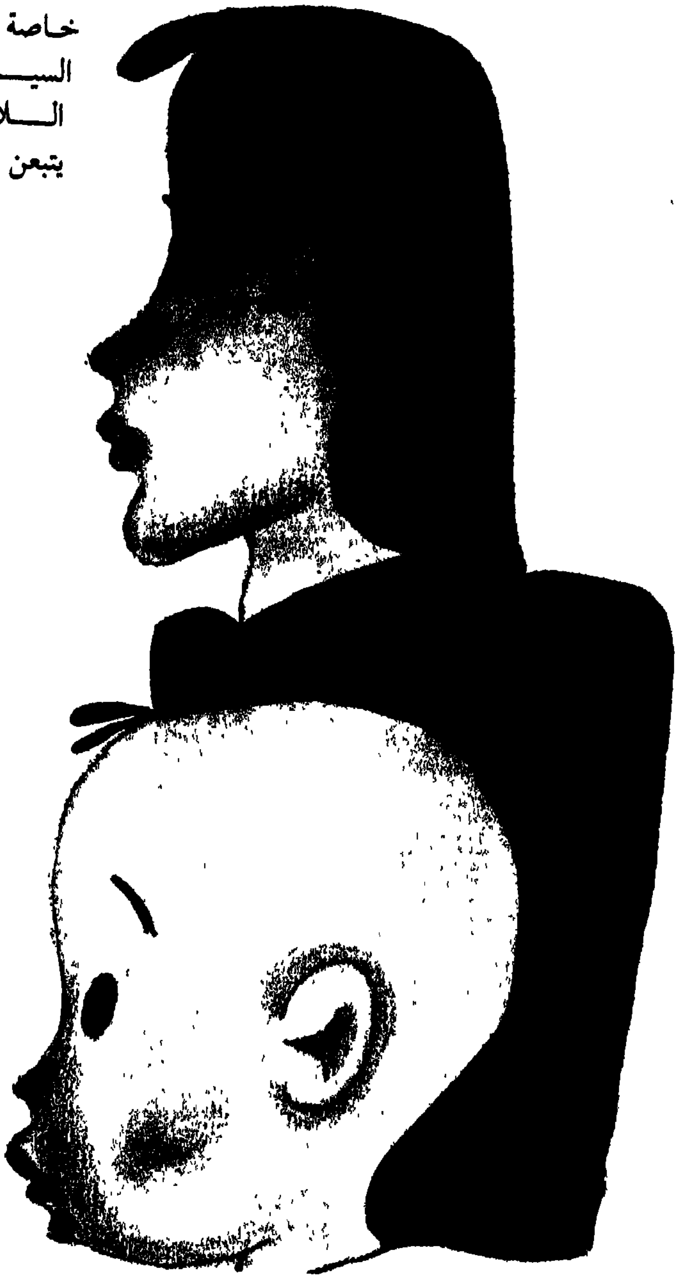
أولا : رضاعة بدون دورة شهرية ونسبة حدوث الحمل فيها ٥٠٪.

ثانيا : رضاعة تنتظم خلالها الدورة الشهرية وهنا تصبح المرأة أكثر عرضة للحمل، وتتساوى مع السيدات غير المرضعات في فرصة حدوث الحمل. وتعتبر فترة الرضاعة فترة راحة للجسم،

ولا يعني ذلك أن الرضاعة تحمي من حدوث الحمل ١٠٠٪، ولا بد من وجود وسيلة لمنع الحمل وتفضل الوسائل الطبيعية في هذه الفترة.

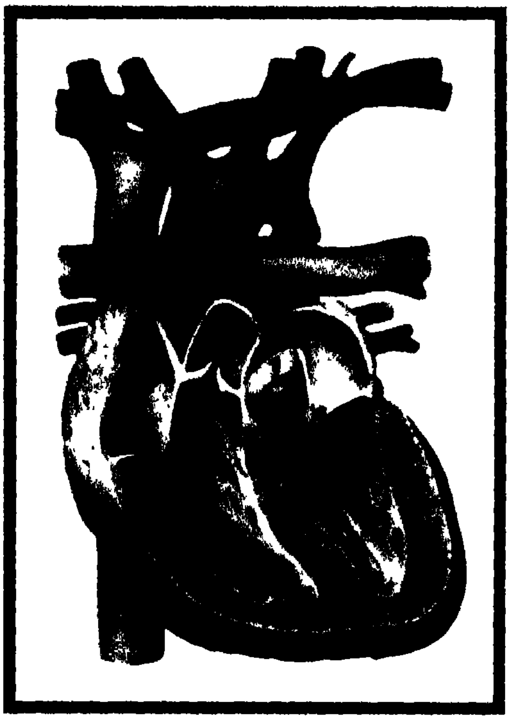
بعد انتهاء فترة الرضاعة أي بعد حوالي سنة ونصف السنة أو سنتين يستعيد جسم الأم قدرته على الإنجاب مرة أخرى. وذلك إذا اتبعت نظاما غذائيا معينا خلال هذه الفترة وهو نفس النظام المتبع خلال فترة الحمل. فتركز السيدة على البروتينات والمواد السكرية والمعادن وعلى الفيتامينات. ونسأل د.علي عليان: الطفل الثاني متى؟ فيقول: أرى أنه من الأفضل تأجيل الحمل بعد الولادة لفترة لا تقل عن ثلاث سنوات خاصة عند السيدات اللاتي لا يتبعن النظام الغذائي المفروض. وحول ما الذي يمكن أن تعانيه السيدة من تتابع الحمل في فترة قصيرة، يقول: قد تعاني من مشاكل عدة من جراء الولادات المتكررة منها:

- تزايد احتمال حدوث إجهاض.
- ازدياد نسبة حدوث نقص في الهيموجلوبين والكالسيوم مما يؤثر على أداء الجهاز العظمي خصوصا في منطقة الحوض المهمة في عملية الولادة.
- ازدياد نسبة حدوث خلل في وظائف الكلى مع احتمال التعرض لنزيف قبل الولادة وبعدها مما يشكل خطورة بالغة على الأم الحامل نتيجة لعدم انقباض الرحم بصورة طبيعية، الأمر الذي يشكل خطورة على حياتها.
- كذلك قصر المدة بين الولادات قد يؤدي لحدوث عسر في الولادة فيزيد من احتمال الولادات القيصرية حيث تقل نسبة الألياف العضلية بعد كل حمل وولادة مما يعرض الأم لمضاعفات صحية. وأرى أن الله جعل فترة الرضاعة فترة راحة للسيدة من عملية الحمل والولادة، والسيدة التي لا ترضع رضاعة كاملة لديها فرصة أكبر لحدوث حمل، ويفضل أن يكون هناك فاصل بين كل طفل وآخر ثلاث سنوات.



***

في النهاية نجد أنه من القسوة بمكان أن يأتي الطفل الثاني مباشرة بعد الطفل الأول دون أن يفصل بينهما فاصل زمني كاف، وفي ذلك قسوة بالغة على الأم أولا ثم قسوة مزدوجة على الطفلين الأول والثاني ثانيا.□



أمل جديد لمرضى القلب

الفيتامينات تحمي قلبك

بقلم: الدكتورة سهير سيد

هل يمكن استخدام العقاقير لوقف أمراض القلب وتصلب الشرايين؟.

إن الفيتامينات تقدم لنا حلا سحريا أصبح مؤكدا كما تقول التجارب.

اتقاء أمراض القلب ليس أمرا سهلا كما تعود خبراء القلب أن يذكروا لنا في كل مناسبة دون تعب أو ملل. كانت النصائح المعتادة تشمل في العادة الامتناع عن التدخين وأداء تد ينات منتظمة بحيث لا تجهد سلة القلب (رياضة المشي مثلا) بتعاد عن الأطعمة الدسمة عتماد أساسا على الطعام ذي سل النباتي.

لكن أخصائيي القلب ـون الاعتماد على أقراص ـواء أيضا. فلقد توصل حثون إلى اعتقاد جازم بأن سامين هـ (E) وغيره من الفيتامينات التي يطلق عليها غير مؤكسدة مثل (بيتا كاروتين Beta Carotene وفيتامين جـ Vitamin c) يمكن أن تساعد في منع ترسب مادة الكولسترول على الأوعية الدموية التي تصيبها بالتصلب. وقد أجريت تجربتان مؤكدتان على الأقل بالنسبة لاستعمال فيتامين هـ (E) أثبتا ذلك. ففي التجربة الأولى شملت الاختبارات حوالي ١٢٠ ألف شخص تناولوا الفيتامين بانتظام وقد وجد أن أمراض القلب قد تناقصت لدى تلك المجموعة بنسبة ٤٠٪ عن الذين لم يتعاطوا هذا الفيتامين. وحتى الآن لم تكتشف الأسباب التي تؤكد ذلك أو تأثير العقار ولكن الاكتشاف الجديد يؤكد أنه قد أصبح لدينا أخيرا سلاح نواجه به أخطر مرض يواجه البشرية ويحدث بينها أكبر قدر من الوفيات.

الأكسدة والتفاعلات الضارة

ومنذ بعض الوقت أدرك الباحثون أن ترسيب الكولسترول على الأوعية الدموية ليس كل المشكلة، فقد اكتشف الدكتور دانيال ستيبرج أخصائي القلب في جامعة كاليفورنيا منذ أكثر من عقد من الزمن أن عملية الأكسدة التي تحدث في الجسم لها صلة

ض جمال العربية

بقلم: فـاروق شوشـة

«قـراءة في قصيـدة للمتنبي»

■ يقول أبوالطيب المتنبي:

بـم التعلـل لا أهـل ولا وطـن
ولا نـديم، ولا كـأس، ولا سكـن
أريـد مـن زمني ذا أن يبلغني
مـا ليس يبلغـه من نفسـه الـزمن
لا تلق دهـرك إلا غير مكترث
مـا دام يصحب فيـه روحك البـدن
فما يـدوم سرور مـا سررت بـه
ولا يـرد عليك الفـائت الحزن
ممـا أضر بـأهل العشق أنهمـو
هـووا، ومـا عـرفـوا الـدنيـا، ومـا فطنـوا
تفنى عيـونهمـو دمعـا، وأنفسهم
في إثـر كـل قبيح وجهـه حسن
تحملـوا، حملتكم كل نـاجيـة
فكـل بين عليّ اليـوم مـؤتمن (١)
مـا في هـوادجكم من مهجتي عـوض
إن مت شـوقـا ولا فيهـا لها ثمن (٢)
يـا من نعيت على بعـد بمجلسـه
كل بما زعـم النـاعـون مـرتهن (٣)
كم قـد قتلت وكم قـدمت عنـدكمـو
ثـم انتفضت فـزال القبر والكفـن
قـد كـان شـاهـد دفني قبل قـولهمـو
جماعـة، ثم مـاتـوا قبل من دفنـوا
مـا كل مـا يتمنى المرء يـدركـه
تجري الـريـاح بما لا تشتهي السفن
رأيتكم لا يصـون العـرض جـاركمـو
ولا يـدر على مـرعـاكمـو اللبن
جـزاء كـل قـريب منكمـو قلل
وحـظ كـل محب منكمـو ضغن
وتغضبـون على من نـال رفـدكمـو
حتى يعـاقبـه التنغيـص والمنن (٤)
فغـادر الهجـر مـا بيني وبينكمـو
يهماء، تكـذب فيهـا العين والأذن (٥)
تحبـو الـرواسم من بعـد الـرسم بها
وتسأل الأرض عن إخفـاقهـا الثفن (٦)
إني أصاحب حلمي ـ وهـو بي كـرم ـ
ولا أصـاحب حلمي وهـو بي جبن
ولا أقيم على مـال أذل بـه
ولا ألـذ بما عـرضي بـه درن (٧)
سهـرت بعـد رحيلي وحشـة لكمـو
ثم استمـر مريري وارعـوى الـوسن (٨)
وإن بليت بـود مثـل ودكمـو
فـإنني بفـراق مثلـه قمن
أبلى الأجلـة مهـري عنـد غيركمـو
وبُـدّل العـذرُ بـالفسطـاط والـرسن
عنـد الهمام أبي المسك الـذي غـرقت
في جـوده مضر الحمـراء واليمن (٩)
وإن تأخـر عني بعض مـوعـده
فما تـأخـر آمـالي ولا ت
هـو الـوفي ولكني ذكـرت لـه
مـودة، فهـو يبلـوهـا ويمـ



غاية ما يقال عن المتنبي إنه الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ولايزال يشغلهم، وإنه الشاعر الذي قتله طموحه، وامتلأت حياته بأيام السراء وأيام الضراء، فتوهج شعره في الحالين، وحملت سنوات عمره الإحدى والخمسون بين عامي ٣٠٣ و٣٥٤ هجرية آثار العاصفة التي تركها على معاصريه وعلى فرسانه، واستمرت أصداؤها على امتداد مسيرة الشعر العربي حتى اليوم.

وقد قيل في شعر المتنبي كلام كثير، قاله شراح ديوانه، وقاله المفسرون لشعره، وقاله الدارسون لشاعريته والباحثون عن مواطن العبقرية في كلماته وأبياته والخارجون على إجماع الذوق العربي هجوما على المتنبي الإنسان والمتنبي الشاعر.

يكاد هذا الإجماع ينعقد على تفضيل المتنبي وتقديمه ثم ينفرط عقد هذا الإجماع عند البحث في أسباب هذا التفضيل والتقديم، فمن قائل لأنه شاعر الحكمة، يبثها في ثنايا قصائده، وتلتمع بها أبياته، فتهتز لها نفس مستقبلها اهتزازا عظيما، ومن قائل بل هي صياغته المحكمة، وحسه العربي الأصيل، تجود به طبيعة شربت فصاحة البادية ورصعت لبانها عندما دفع به أهله إلى البادية صغيرا، حيث صحب الأعراب، وعاد إلى الكوفة عربيا صرفا، ومن قائل بل هي معانيه التي تجيش بها قصائده، وتفيض بها أبياته في شتى مجالات إبداعه الشعري، خاصة مجالات الحماسة والفروسية والحديث عن النفس، والتغني بمكارم الأخلاق، والثناء على الممدوحين الذين رأى فيهم - كما رأى في سيف الدولة الحمداني - نموذج الفارس العربي الشهم الجواد البصير بالشعر وفنونه، والعالي الذوق في نقده وتقييمه:

عليم بأسرار الديانات واللغى
له خطرات تفضح الناس والكتبا

غير أن المتأمل في شعر المتنبي، وفيما يتردد منه على ألسنة الناس وأقلامهم - ذاكرين ومستشهدين في مناسبات عديدة مختلفة - سرعان ما يكتشف أن وراء هذا الدوران اليومي لشعر المتنبي وذكره الدائم الذي لا يتوقف ولا ينقطع، نجاحه الفذ في التعبير عن النفس الإنسانية، في كل حالاتها، ومواقفها، انقباضا وبسطا، تفاؤلا وتشاؤما، حزنا وسرورا، سخطا ورضا، يأسا وأملا، ثقة وشكا، إقداما وتراجعا، ومن هنا كان استدعاء شعره والتمثل بأبياته كلما طرأت حالة أو عنّ موقف أو تفجر شعور أو إحساس، ومن هنا أيضا كانت هذه العلاقة الحميمة بين الذاكرة العربية وشعر المتنبي، فهي دائمة الترديد له، دائمة الاهتزاز له - إعجابا وإكبارا، دائمة الإضفاء عليه من مخزونها هالة تتسع وتضيء كلما كان الواقع الشعري من حولنا مجدبا وخاويا وكئيبا.

المتنبي إذن شاعر النفس الإنسانية التي عدم طموحها ونشدانها عالما لا يتحقق وآمالا تناطح المستحيل، وهو عبقري هذه اللغة الجميلة التي هدته فطرته إلى أدق أسرارها وأعمق خفاياها، وهو موسيقارها الفذ الذي شحن تجلياتها الشعرية بألوان موسيقاه الهادرة الصاخبة أحيانا، الحزينة الهادئة أحيانا أخرى، وتجلت براعته الموسيقية - أكثر ما تجلت - في لون من التقطيع الموسيقي، عرفه قدماء البلاغيين باسم «التفويف» وبحثوا عنه في «جمال تقسيم الكلام» وأشاروا إلى أنه ثمرة لتدفق الطبع ورقة التعبير و... الديباجة وصفاء العبارة وتآخي الكلمات وتوازن أجراس مطردة عذبة، مطربة.

هذا التقطيع الموسيقي وهذا الجمال في ... الكلام، و«إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد ...



يكون كل من هـذه الأسماء له معنى قـائم بذاتـه» ـ كما يقول هؤلاء البلاغيون ـ نطالعه في قصيدة المتنبي التي بين أيدينا منذ البيت الأول فيها:

بـــم التعلــل، لا أهـــل ولا وطـــن
ولا نـــــديم، ولا كـأس ولا سكـن

ثم تتابع التقابلات والتقسيمات ـ النفسية واللغوية ـ في القصيـدة، فالزمن يبلغ الشـاعر ما لا يبلغـه الزمن من نفسه والسرور لا يدوم كما أن الحزن لا يرد ذاهبا أو فائتا، هكـذا تمضي الأبيـات، وهكـذا يستمر السيـاق الشعري، حتى يستوقفنا بيت القصيد:

مـــا كل مـــا يتمنى المرء يـــدركـــه
تجري الـــريـــاح بما لا تشتهـي السفن

ولا شك أن الصـورة التي تفجرهـا عنـاصر التجربـة الحية في الشطر الثاني من البيت هي التي تضفي ماء الحياة والتجدد على الفكرة التي يحملها الشطر الأول، لقد نجح المتنبي في أن يجعل من كل منـا ربـان سفينة تـلاطم الموج وتعصف بها الـريح، وهي تحلم بالـريـاح الرخـاء والمرفأ الآمن والـوصــول السـالم، فأي تجسيـد وأيـة استثـارة للتحدي الإنساني وقدراته على التحمل والصمود؟!.

ثـم نمضي مـع جمال التقسيــم، والتقطيـع النفسي والموسيقي في القصيــدة، إنه يصـاحـب حلمه عنـدما يكـون الموقف مـوقف كـرامـة وشرف وكبريـاء ولا يصـاحب عنـدما يكـون الموقف مـوقف ذلـة وجبن وخسة، وهو لا يقيم على مال يجلب له المذلة ولا يلذ بعرض تلطخ واتسخ، لا يــزال المتنبي مـولعـا بهذه التقسيمات التي تفعل فعلها في متلقي شعـره قارئا أو مستمعا، وهـي تقسيمات يتضافر فيهـا عمل المنطق ـ الذي استوعبه المتنبي من خـلال ما ترجم عن حكماء اليـونـان وفـلاسفتهم ـ وعمل الشعــور الـواعي بالوجـدان الفـوار، وعمل الإحســاس الموسيقي القـادر على الاستجـابة أو التجاوب، واختيـار المفردة والصياغة المعبرة، والصورة الشعرية التي تشبه صيدا نافـرا ومستحيلا أمكن اقتناصه. فـإذا ما التفتنا إلى طبيعة المعجم الشعـري الذي تمتلىء بـه القصيدة، وجـدنا النـديم والكأس، ووجدنـا الروح والبـدن، ووجدنـا السرور والحزن، ووجدنـا القبيح والحسن، ووجـدنا القبر والكفن، والـريـاح والسفن، والمرعى واللبن، والعين والأذن، والكـــــرم والجبن، والمال والعرض، ومضر الحمراء واليمن، وهو معجم يحمل مـلامح نفسيـة المتنبـي العـاصفـة المتقلبـة، وقسمات شاعريته التي تنتظـم البادية والحضر في سياق محكم، وتضع المرء دائما أمـام قدره ومصيره دون تـواكل أو استخذاء:

لا تلق دهـــــــــرك إلا غير مكترث
مـــا دام يصحب فيــــه روحك البـــدن

فما يــــدوم سرور مـــا سررت بـــه
ولا يـــــرد عليك الفـــائت الحزن

ثم لا يخفى على المتأمل في بنيـة القصيدة، وصـورها الشعرية، ومعجم مفرداتها، وجيشان موسيقاها، وشدة إحكـام صيـاغتهـا وقـوة أسرهـا، لا يخفى عليـه تلك الروح الشجيـة الأسيانة التي تخلع ظلهـا على القصيدة ابتداء من البيت الأول فيهـا، وكان المتنبي يعيش حـالة وداع مع كل مـا هـو مـؤنس ويبهج في حيـاتـه، الأهل والوطن والنـديم والكأس، والسكن الذي يـأنس إليه وترتاح نفسه، والسكن هنا هو شريك الحياة أو المحب الـذي تسكن إليـه النفـس، ولا يبتعـد المتنبي كثيرا عن وصلنـا بهذه الحال حتى يبادرنـا بالسبب الأسـاسي في حدوثها، إنه يريـد من زمنه الكثير بل أكثر مما يستطيعه الزمن لنفسه: أي شهوة لامتلاك الحياة وأي طموح؟!.

***

لا أعتقد أن الأمر يتطلب دعـوة القارىء الكريم إلى إعـادة قراءة هـذا النص الشعـري الثري من نصوص المتنبي، فسوف يعاين ـ بنفسه ولنفسه ـ لوحة بديعة من جمال العربية.□

سلوا ارتحلـوا، الناجية : النـاقة المسرعـة، البين : الفراق
سعاد
ادح جمع هودج : مركب النساء، المهجة : الروح.
عون جمع الناعي، من يأتي بخبر الميت.
ند العطاء
ء الأرض الجرداء لا حياة فيها.

(٦) الرواسم : الإبل السريعة المشي، الثفـن : جمع ثفنة : وهي ما يمس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين.

(٧) الدرن : الوسخ.

(٨) استمر مريري : استحكم أمري، الوسن : النعاس.

(٩) أبو المسك : كـافور الإخشيـدي، حاكم مصر الـذي قصده المتنبي بعد رحيله عن سيف الدولة الحمداني.

من شهر إلى شهر
لمحات من جديد العالم

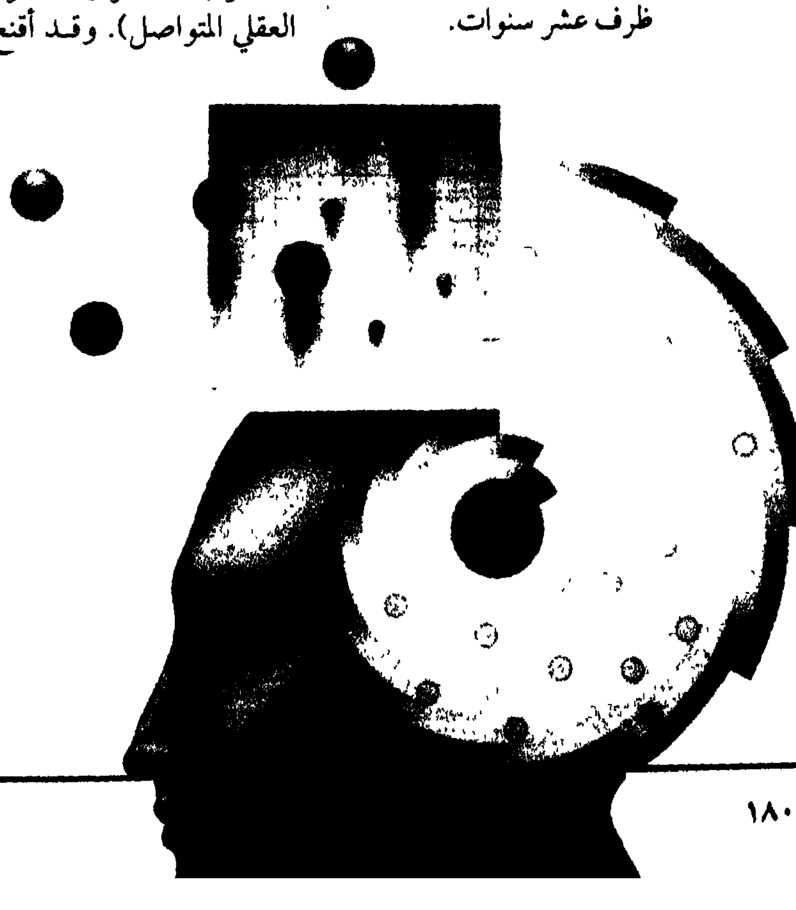
طب

أقراص الذكاء.. في الأسواق

في عام ٢٠٠٤، سيحتفل العالم بذكرى مرور عشر سنوات على ظهور عائلة جديدة من الأدوية - هي مقويات الإدراك. وتعتبر هذه «الأدوية الذكية» بمثابة نقطة الانطلاق نحو علاج يؤدي إلى تحسين الذاكرة والذكاء في ظرف عشر سنوات.

وكانت هناك مصاعب عدة تواجه قدرة هذه الأدوية على إثبات جدارتها. لكن بعد عقد من البحوث والتجارب المعملية المتكررة، نزل إلى الأسواق أخيرا عقار COGNEX من إنتاج شركة وارنر لامبرت في الولايات المتحدة. وهذا العقار مخصص لعلاج مرضى الزهايمر (وهو من أمراض تدهور القدرات الذهنية وغير معروف السبب ويؤثر على الجهاز العصبي المركزي، ومن أعراضه التشوش وعدم استقرار المشاعر والتدهور العقلي المتواصل). وقد أقنع العقار أكثر الأوساط محافظة في الدوائر الطبية والتشريعية بإمكان تحسين قدرات الذاكرة والإدراك بوسائط كيميائية. وسيفتح هذا الباب أمام ١٨٢ عقارا آخر لتقوية الذاكرة تنتظر الترخص الآن وفقا لما ذكرته مجلة سكريب الطبية. ويعاني مرضى الزهايمر كما هو معروف من العجز الذهني نتيجة لنضوب بعض المركبات الكيميائية الحيوية المخية. وترمي مقويات الإدراك إلى دعم هذه الناقلات العصبية NEU-ROTRANSMITTERS، وبالتالي استعادة الذاكرة والقدرة على التركيز. ويزيد عقار كوجنكس من مستويات الاسيتيل كولين، وهي مادة أساسية بالنسبة لتكوين الذاكرة. لكنه يؤدي إلى بعض الآثار الجانبية، إذ يتزايد أيضا مستوى الاستيلكولين في بقية الجسم، الأمر الذي قد يسبب تلف أعضاء حيوية أخرى مثل الكبد.

لذا يجري تطوير جيل جديد من هذه العقاقير ليكون تأثيره أكثر دقة. عة



الأوندانسترون ON-DANSETRON، الذي تجربه شركة جلاكسو، يعمل على زيادة مستوى السيروتينين SEROTONIN وهو ناقل عصبي حيوي آخر للإدراك، من خلال العمل في ماطق معينة في المخ، وهو ما يقلل الآثار الجانبية إلى أبعد الحدود. ويتم اختباره الآن على مصابين بمرض الزهايمر ومجموعة من رجال الأعمال المتوسطي العمر الذين يشتكون من فقدان متزايد للذاكرة. وقد أدركت شركات الأدوية أن هناك استخداما آخر لاختراعها الفريد.

وإعطاء مقويات الإدراك ات الآثار الجانبية المحدودة أساس من غير المصابين العجز الذهني سيؤدي لا انة إلى رفع مستوى هم. وفي نفس الوقت، بعض الدوائر الطبية ات الخاصة لمقويات ، فهي تفترض أننا لم لإدراك بعد لكي ه، وأن المخ وذجي لا يمكن أن لمجرد أن نلقي فيه «المفاتيح الكيميائية».

لكن ما هو هذا «المخ النموذجي»، وإذا كان شديد التعقيد بحيث نعجز عن فهمه أو قياسه، فكيف نعرف أنه لن يتحسن إذ إن المخ عندما يفقد خلاياه النشطة، مع التقدم في السن، يعوض ذلك بتحسين الاستراتيجيات الفكرية. ويمكن تحسين الذاكرة «النموذجية» من خلال الاستعانة بفن تقوية الذاكرة، وهي طريقة صناعية مثلها في ذلك مثل المواد الكيميائية التي يمكن ابتلاعها داخل قرص دواء. والسؤال الحقيقي هو لماذا نقوي المخ النموذجي؟ وإذا كان بعض المعارضين يشككون في ذلك مستندين إلى اعتبارات أخلاقية، فهل سيقاومون أيضا تقوية الإدراك من خلال الأساليب الصناعية الأخرى مثل التعليم والغذاء ـ وهي «مفاتيح كيميائية» أخرى إذا كان هناك فعلا مفاتيح كيميائية. وربما تنضم الأدوية الذكية هذه إلى قائمة المركبات الثمينة التي تقوم بأعمال جليلة رغم عدم فهمها جيدا.

بيئة

الرياح تكسب في العام القادم

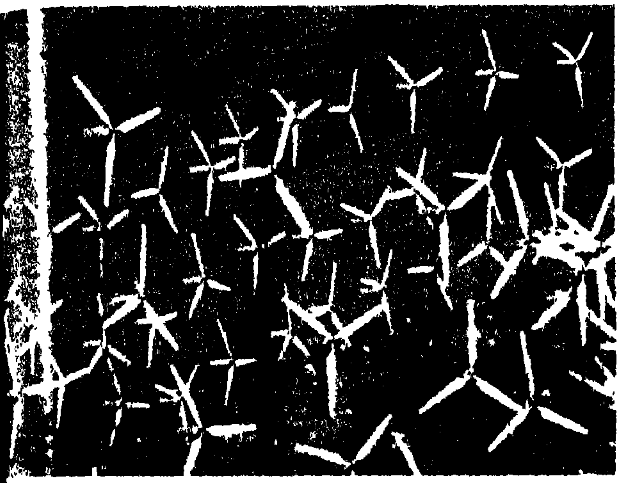
● ستصل الكهرباء المولدة من الرياح إلى سن الرشد في العام القادم. وعلى الرغم من أن طرح الفكرة منذ عدة عقود كان كافيا لإثارة السخرية والاستهزاء، إلا أن الوضع تغير تماما اليوم. ومن المتوقع أن تصبح طاقة الرياح هي أكثر مصادر الكهرباء رخصا واستعمالا.

وبحلول هذا العام (١٩٩٤)، ستصل كمية الكهرباء المولدة من الرياح إلى ٢٦٥٠ ميجاوات، تستغل الولايات المتحدة وحدها ٧٠٪ منها، أي كمية تكفي لسد حاجات سكان بوسطن وواشنطن معا. وتشتري شركة كهرباء وغاز الباسيفيكي كهرباء مولدة من الرياح أكثر من غيرها من الشركات في وقت الذروة في الصيف، وتستمد الشركة ٧٪ من إنتاجها من

الكهرباء المولدة من الرياح.

وتؤكد لجنة الطاقة في ولاية كاليفورنيا أن الرياح ستصبح المصدر الأكثر اقتصادا لتوليد الكهرباء مع نهاية التسعينيات ولتقريب الأمور إلى الأذهان، فإن تكلفة إنتاج الكيلووات/ساعة في المحطة الجديدة المدارة بالفحم كانت ٧ سنتات في عام ١٩٨٠، بينما كانت تكلفة إنتاج الكيلووات/ ساعة من الرياح حوالي ٣٠ سنتا. وفي عام ١٩٩١، كانت تكلفة إنتاج الكيلووات/ ساعة في المحطة المدارة بالفحم ١٠ سنتات، بينما انخفضت تكلفة الكيلووات/ ساعة المولد من الرياح إلى ٦,٥ سنت فقط. ومن المتوقع أن تنخفض التكاليف بمقدار النصف في السنوات العشر القادمة. ويتوقع خبراء معهد وورلد وتسن أنه يمكن لطاقة الرياح توفير ١٠٪ من كهرباء العالم بحلول منتصف القرن القادم.

وفي أوربا، تخطط الجماعة الأوربية لتوليد أربعة آلاف ميجاوات باستخدام الرياح بحلول عام ٢٠٠٠ ومائة ألف ميجاوات بحلول عام ٢٠٣٠ وهو ما يعني استثمار ٣,١ مليار دولار في سوق



□ مزارع الرياح حقول تكنولوجية لتوليد الطاقة النظيـ

الكهرباء المولدة من الرياح في السنوات السبع القادمة.

وسيؤدي هذا إلى خلق فجوة تنافسية جديدة بين الدول التي تمتلك طاقة الرياح الكافية لتوليد الكهرباء وبين تلك التي لا تمتلك هذه الطاقة.

وتتمتع بريطانيا بأكبر قدرة على توليد الطاقة من الرياح بين بلدان الجماعة الأوربية، على الرغم من أنها تتقدم ببطء على مضمار الاستفادة منها. كذلك تحتفظ الصين والهند والمكسيك بثروات ضخمة من هذه السلعة غير المرئية. وتعتبر الدول النامية هي المستفيد الأكبر من عملية تطوير الاستفادة من هذه الطاقة. إذ إن الطلب على الكهرباء يزداد فيها بمعدل

٧٪ سنويا، بينما لا تتجاو[ز] هذه الزيادة ٢٪ سنويا [في] البلدان المتقدمة.

ويقول جون كونز، رئيس شركة نيو وورلد باور، إ[ن] الانخفاض الكبير في تكلفـ[ـة] الكهرباء المولدة من الريا[ح] يعود في المقام الأول إ[لى] «التحسن الذي طرأ على تكنولوجيا توربينات الريا[ح] وعلى أساليب ترتيبهـ[ـا] وتشغيلها». فبحـو[ث] التوربينات تركزت في عقـ[ـد] الثمانينيات على التوربينا[ت] الضخمة القادرة على إنتاج [...] ميجاوات لكل منها. لكـ[ـن] المشكلة أن هذا النوع م[ن] التوربينات غير عمـ[ـلية] اقتصاديا. وقد أثبتـ[ـت] توربينات الرياح الدمـ[ـجة] كفاءتها العالية. وتستخـ[ـدم] اليوم توربينات تنتج [...]

كيلووات لأنظمة الطاقة في المناطق النائية في أنحاء مختلفة من العالم.

أما على المستوى البيئي، فإن الكهرباء المولدة من الرياح هي الأنظف بكل المقاييس. ففي ولاية كاليفورنيا، وفرت محطات توليد الكهرباء من الرياح انبعاث أكثر من ٢,٨ مليار رطل من غاز ثاني أوكسيد الكربون في عام ١٩٩١، كما أنتجت كهرباء تعادل طاقتها طاقة ٤,٨ مليون برميل من النفط هذا العام.

لكن بعض أنصار البيئة ينظرون إلى الموضوع من زاوية مختلفة. فمحطات توليد الكهرباء من الرياح تقتل الطيور وتشوه بقبحها جمال الطبيعة. وعلى الرغم من تباين وجهات النظر، تظل الحقيقة الساطعة هي أن حلم الأمس قد أصبح حقيقة اليوم. وتبشر الكهرباء المولدة من الرياح بأن تكون بديلا اقتصاديا لمصادر الطاقة القابلة للنفاد، مثل البترول والفحم.

تكنولوجيا

قطار إلكتروني تحت الماء

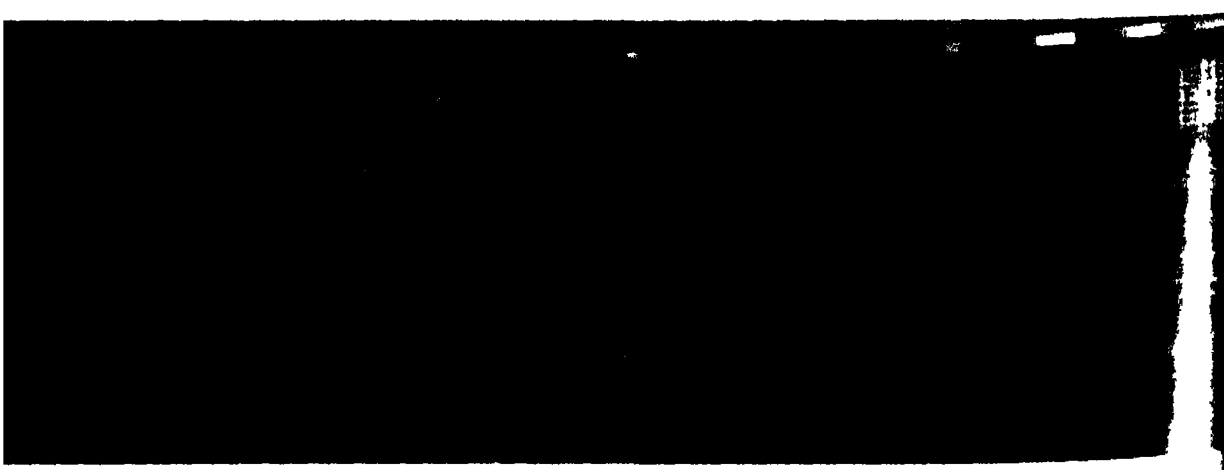
• في السابع من هذا الشهر سيشهد العالم افتتاح المرحلة الأولى من خط السكك الحديدية داخل أطول نفق تحت مياه البحر، وهو النفق الأوربي تحت مياه بحر المانش ما بين بريطانيا وفرنسا، وينتظر افتتاح المرحلة الثانية من هذا الخط في مايو القادم.

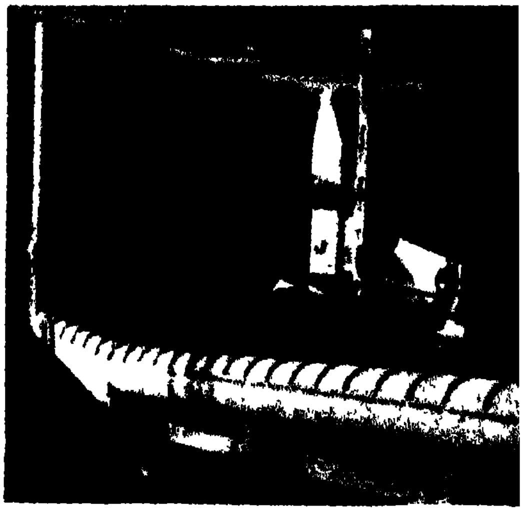
يبلغ الطول المنتظر لهذا الخط حوالي ٢٠٠ كيلو متر، وتستخدم في إدارته والإشراف عليه أكثر أجهزة الكمبيوتر تطورا، بحيث تستطيع هذه الأجهزة رصد أي خلل طارىء في عمل القطار وبسرعة فائقة.

ويتم عرض كامل الصورة لمسار القطار وحركته وحركة أي جسم غريب في مجاله، على شاشة كمبيوتر ضخمة طولها ١٠٠ قدم وارتفاعها ٢٠ قدما ويراقبها فريق من خبراء الكمبيوتر على مدار ٢٤ ساعة دون توقف.

إضافة الى ذلك فستكون

□ أكبر شاشة كمبيوتر لمراقبة قطار نفق المانش





□ رحلة القطار تحت الماء ستستغرق ٣٥ دقيقة

هناك أجهزة أخرى متطورة لمراقبة النفق تحملها سفينة خاصة ترابط على الساحل البريطاني في مدينة فوكستون وبها شاشة كمبيوتر مماثلة للشاشة الأولى.

أما الصورة على شاشتي المراقبة فسترسمها أضواء خضراء تمثل ثمانية أرصفة، بينما الأضواء الحمراء تحدد مواقع الخلل أو الحرائق بدقة بالغة، مع مجموعة قليلة من المفاتيح للإنذار الدقيق في حالات الطوارىء.

سيسير القطار بسرعة ١٦٠ كيلو مترا في الساعة قاطعا المرحل داخل النفق خلال ٣٥ دقيقة، وسيتألف القطار من ١٣٢ عربة يمكن تحميلها جميعا خلال ٨ دقائق.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المشروع ستكون تكلفته الإجمالية حوالي ١٢ بليون جنيه إسترليني.

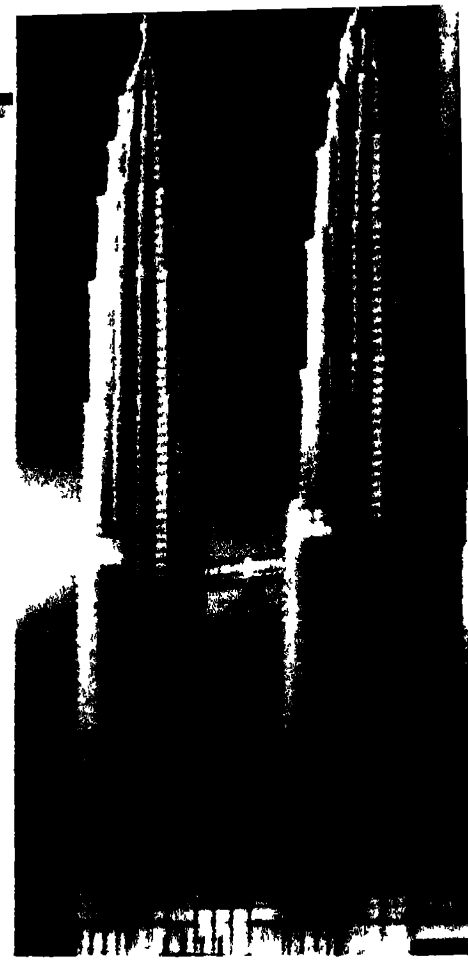
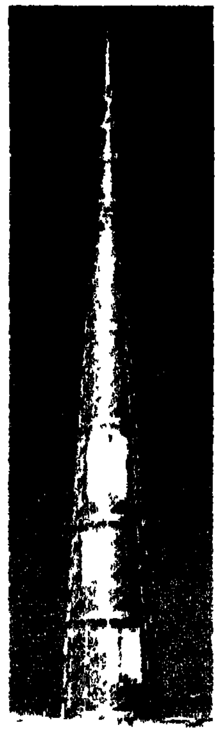
عمارة أبراج المستقبل.. آسيوية!

تقول الحقيقة العلمية إن البناء كلما ازداد ارتفاعا ازدادت مشاكله، وينطبق هذا بالطبع على ناطحات السحاب، فالبناء يصبح أثقل كلما ازداد طوله. وبدون اتخاذ إجراءات وقائية دقيقة ومفصلة، تتعرض ناطحات السحاب للتمايل مع الرياح على نحو مرعب. وتتمثل المشكلة الحقيقية في المصاعد التي يجب أن تخدم ذلك الأنبوب العمودي البالغ الطول الذي قد يصل ارتفاعه إلى ربع ميل، وفي رفع إمدادات المياه والطاقة إلى قمة هذا الأنبوب الطويل الضيق.. وهكذا، فإن المساحة المكتسبة نتيجة لصعود البناء إلى أعلى تفقد لحساب سمك البناء والحيز الذي تشغله المصاعد والخدمات.

إن ناطحات السحاب العملاقة قليلة العدد، وبالتالي فهي محط أنظار الجميع، وقد ظل برج سيرز في شيكاغو، الذي اكتمل بناؤه في عام ١٩٧٤، هو أعلى بناء في العالم كله، رغم أن الثمانينيات قد حفلت بتدشين مشاريع لبناء أبراج أعلى في نيويورك وهيوستن وشيكاغو ودولي في إنجلترا.

وتعود الجاذبية الشديدة لناطحات السحاب (وربما السبب الوحيد لبنائها) إلى شموخها، وقدرتها على تجسيد طموح الإنسان وقوته وعنفوانه، لذا كان من المنطقي أن تقدم نيويورك الفتية إلى العالم في العشرينيات سلسلة من ناطحات السحاب العملاقة، وهو ما فعلته شيكاغو ونيويورك في سبعينيات ما قبل صدمة النفط.. وفي الثمانينيات، شيدت فرانكفورت ولندن أعلى وثاني أعلى بناءين في أوربا. وكان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو طوكيو الحديثة، حيث يصعب بناء ناطحات السحاب في منطقة زلازل نشيطة.

والحقيقة أن اقتران بناء ناطحات السحاب بالصعود الاقتصادي والاجتماعي يفسر انتقال مراكزها من نيويورك إلى شرق آسيا، مع وجود بضعة براعم في أمريكا اللاتينية، فأعلى بناء في آسيا هو سنترال بلازا في هونج كونج، الذي وصل ارتفاعه بعد اكتمال بنائه في ١٩٩٢ إلى


□ إلى أقصى اليمين برج ماليزيا الذي سيحطم الرقم القياسي عام ١٩٩٦ ويليه الإبرة اليابانية ثم برج أوروبي تقهره الأبراج الأسيوية.

٣٧٤ مترا، وهو يتفوق في ارتفاعه على أعلى مبنى في أوروبا. لكن هذا المبنى العملاق سينتقل إلى احتلال المرتبة الثانية في الارتفاع في عام ١٩٩٥ عندما يكتمل بناء برج سكاي سنترال بلازا في ـوانجو في الصين، الذي ـل ارتفاعه إلى ٤٠٢,٥ وقد وضع المعماري بيلي، وهو أحد أشهر ـمي ناطحات السحاب ـر أنحاء العالم، مشاريع سلسلة من ناطحات ـاب العملاقة في ـو سيتي، وبيونس وطوكيو، وفوكوكما، وكوالالمبور. ويظل أروع هذه المشاريع هو مشروع برجي بتروناس التوأمين في كوالالمبور، المقرر اكتماله في ١٩٩٦، ليحطم في آخر المطاف الرقم القياسي لبرج سيرز. ويجيء هذا المشروع معبرا عن اقتران اقتصاد وطني نام ومتطور (أكثر من ٨٪ معدل نمو سنوي في الأعوام الستة الماضية) بطموح شركة عملاقة ناجحة ورغبة في تسجيل علامة بارزة. ويقول الدكتور ماهاتير، رئيس وزراء ماليزيا، الذي ارتبط بالمشروع منذ بدايته، إنه يرى فيه رمزا لخطته الرامية إلى جعل ماليزيا قوة صناعية كبرى بحلول عام ٢٠٢٠.

وقد تستحضر كوالالمبور صورة معينة في أذهان البعض، لكن برجي بتروناس سيغيران هذه الصورة بالتأكيد. واللافت للنظر أن مهندسي المشروع يزعمون أن كسر الرقم القياسي كان على هامش المشروع وأن العملاء لم يلحوا على ذلك. ويقول أحد مهندسي المشروع إن كل ما أرادته شركة بتروناس هو «بناء شديد الجمال، لأنهم يدركون أن مبنى أعلى سيظهر خلال السنوات الخمس أو

العشر القادمة». وهكذا، سيعتمد تنفيذ واجهات البرجين على الهندسة الإسلامية مع إضفاء طابع إنساني على التصميم الداخلي للأدوار والمكاتب بحيث يسمح ذلك بزوايا نظر رائعة للخارج.

وعلى نفس المنوال، سيكتمل في عام ١٩٩٦ تشييد مبنى البنك التجاري في شتوتجارت، وهو من تصميم السير نورمان فوستر. وعلى الرغم من أنه صمم لكي يكون أعلى مبنى في أوربا، إلا أن مصمميه يتحدثون عن تشكيل «عناقيد من الفراغ أقرب إلى القرية». إذ ستطل المكاتب على «حدائق معلقة في الفضاء تتصاعد لولبيا حتى قمة البرج»، وستستخدم هذه الحدائق مصدر تهوية طبيعيا أيضا.

ويقوم السير نورمان أيضا بتصميم برج آخر في طوكيو، هو برج الماتي عام، سيضع كل الأبراج الأخرى في الظل. ويقترن في هذا التصميم الارتفاع الشاهق ـ سيصل إلى ضعفي طول برج سيرز ـ مع خلق مساحات كثيفة من الفراغ. وسيضم المبنى، الذي يوصف بأنه «بلدة صغيرة»، مساحات للمعيشة والاستجمام ومكاتب ومتاجر.

ثقافة

ندوة حول الغزو العراقي للكويت.. هدفها العلم.. والموضوعية



□ د. سليمان العسكري ـ الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون

● يعقد في التاسع عشر من هذا الشهر في الكويت وعلى مدى ثلاثة أيام ندوة مهمة يشارك فيها باحثون متخصصون كويتيون وعرب هدفها تأليف كتاب يعالج موضوع الغزو العراقي للكويت وآثاره المدمرة معالجة علمية موضوعية تكشف زيف المزاعم والادعاءات العراقية لغزو الكويت وتلقي الضوء على النتائج السلبية للغزو العراقي على الكويت ومنطقة الخليج والمنطقة العربية على المستويات الاقتصادية والسياسية والفكرية.

وقد بدأ الإعداد لهذه الندوة منذ وقت مبكر حيث تشكلت لجنة للإشراف والمتابعة برئاسة الدكتور سليمان العسكري الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب انتهت فيه إلى تحديد محاور الندوة وأسماء المشاركين فيها سواء الذين يقومون بتقديم الأبحاث أو بالتعقيب عليها.

وسوف يشترك في هذه الندوة جمع كبير من المفكرين العرب والمتخصصين. وسوف تجمع أبحاث هذه الندوة كي تنشر في كتاب شامل ضمن سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

استئناف ضد الاستئناف

كان الزمن دائما يعاند الروائي وليام جاديس. ففي الخمسينيات ساعدت روايته الأولى «الإدراكات» على تشكيل تيار أدبي عرف باسم «روائيو الكتابة الصعبة». وبينما استفاد من جهده كتاب مثل بينكون وجاس وكوفر ـ كتاب تبنوا نفس الرؤى السوداوية وتخلوا عن أسلوب السرد الروائي التقليدي ـ بقي هو في الظل نسبيا.

وبعد عقدين من الزمان نشر روايته «جي آر». وتحديدا، كان على قمة المنحنى. فقد كان فضح عالم رجال الأعمال هو القصة المثالية في عقد الثمانينيات. لكن رواية جاديس ظهرت مع الأسف في عام ١٩٧٥. على الرغم من أن النقاد استقبلوها استقبالا جيدا فإن مبيعاتها كانت هزيلة، وفي عام ١٩٨٥، لاقت روايته «قوطي النجار» نفس المصير.

والآن ينشر جاديس روايته «أضحوكة من صنع ...»، وهي أهجوته لأساليب التقاضي الأمريكية، ولا يوجد موضوع جاء في وقته مثل هذا الموضوع.

وهي رؤية متشائمة للحياة الأمريكية الحافل بالجشع والانتحار والانكباب على الذات.

لكن هناك بعض الاضطراب في الرواية. صحيح أننا رأينا من قبل هذه «الشقلبات» الأدبية وسمعنا هذا النوع من النكات كثيرا، إلا أن مستوى جاديس، الذي ساعد في تكوين هذا المنحى الأسلوبي، لم يكن هو نفس أسلوبه الرفيع. فهناك كثير من الاستسهال في هذه الرواية. وسخريتها تبدو غير مسموعة، وتداعياتها غير مبررة.

ويحكي جاديس في هذه الرواية قصة أوسكار كريز، الأكاديمي الذي يهوى الأدب ويسعى لدى إحدى شركات الأفلام لكي تنتج مسرحية كتبها عن الحرب الأهلية. وتتراكم تعقيدات الرواية وتتراكم كذلك الدعاوى المرفوعة أمام القضاء، التي يجري استئنافها دون توقف ودون حسم، وهي تبدأ بالإحباط وتنتهي باليأس، وبينهما، نسيج مزركش من الحكي، ونجد أوسكار ومحاميه وأفراد أسرته لا يكفون عن الثرثرة، لا ينصتون إلا قليلا ولا يتعلمون أبدا. وبين حين وآخر، يقحم جاديس مذكرات قانونية ومقاطع من مسرحية أوسكار، «حدث مرة في أنتيتام».

وصفحة وراء صفحة، يطالعنا الكثير من الكتابة العبقرية. فجاديس يمتلك قدرة رائعة على الإنصات للناس وهم يتحدثون إلى بعضهم البعض. ويمكن محاكاة حديث مندوب شركة تأمين أو الأحاديث

□ الروائي وليم جاديس الذي يوصف بأنه صاحب الأذن المدهشة لقدرته الفائقة على الإصغاء إلى أحاديث الناس ومن ثم كتابتها.



الاجتماعية العابرة بدقة متناهية. وقرب النهاية، يصف حب قاض قديم للقانون واللغة: «لأنك عندما تصل إلى هذه النقطة، فإن القانون هو اللغة قبل أي شيء، وأي حب آخر أفضل من هذا يمكن أن يشغل الرجل طوال الليل» وهي واحدة من أفضل فقرات الرواية قربا من القلب. لكن جاديس يشغل نفسه في معظم الرواية بجعل أطراف القضية يبدون أغبياء وحمقى أو يضجرون القارىء بالألقاب المضحكة، مثلهم في ذلك مثل شخصيات جوناثان ليفنجون سيجال.

وكان جاديس، في مؤتمر الكتاب عام ١٩٨٥، قد أراد أن يميز أسلوبه عن أسلوب الروائية دانييل ستيل فقال «إنها تكتب كتبا بينما أكتب أدبا». وكان من الممكن ابتلاع هذه العنجهية الشديدة لو كان جاديس قد قدم لقرائه المزيد عن متاعبهم. لكن عندما تنتهي من صفحات روايته الجديدة الخمسمائة وستة وثمانين ستتساءل هل فاز جمهور السيدة ستيل بالجانب الأفضل من الصفقة؟.

رياضة

أميرة الثلوج .. أفقر وأفضل !

● صدم المهتمون بالرياضة في العام الماضي عندما قام مهووس ألماني مغرم بلاعبة التنس الألمانية شتيفي جراف بطعن منافستها اليوغسلافية مونيكا سيلش حتى تستعيد جراف صدارة لاعبات التنس على مستوى العالم. وفي الشهر الماضي، تابع عالم الرياضة بقلق بالغ جريمة الاعتداء على بطلة التزلج الفني نانسي كيريجان. وكانت الصدمة الكبرى عندما حامت الشكوك حول منافستها تونيا هاردنج (بطلة الولايات المتحدة لعام ١٩٩٤) التي يشتبه أنها وقفت وراء هذا الاعتداء من أجل إبعاد كيريجان (بطلة عام ١٩٩٣ وصاحبة الميدالية البرونزية في الأوليمبياد الشتوية في عام ١٩٩٢) عن بطولة هذا العام وعن الألعاب الأوليمبية الشتوية التي ستقام الشهر القادم. وبدا أن الوجه الجميل للرياضة سيتلطخ إلى الأبد بمسلسل العنف والجرائم والمنشطات الذي اجتاح العالم أجمع طوال الفترة الماضية، وأن الرياضة التي اخترعها الإنسان لتمجيد قيم الجمال والسرعة والقوة والرشاقة والمنافسة الشريفة ستهوي إلى الدرك الأسفل وستستسلم لمكاتب المراهنات وصائدي الجوائز ووكالات الإعلان.

لكن على الجانب الآخر من العالم، تضرب الأوكرانية الصغيرة أوكسانا بيول، ابنة الستة عشر ربيعا، مثالا من نوع آخر. فهي بطلة العالم الحالية في التزلج الفني على الجليد والمرشحة للفوز بالميدالية الذهبية في الألعاب الأوليمبية الشتوية المقبلة. وهي تتدرب في منشأة رياضية فقيرة أرضيتها الثلجية هشة وغير مستوية. لكن تلك ليست هي المشكلة الوحيدة التي واجهتها، فعندما كانت في الثالثة عشرة، فقدت أمها التي ماتت بعد إصابتها بالسرطان وكان والدها قد ترك الأسرة عندما كانت في الثانية من عمرها. ولم يكن بجانبها طوال هذه الفترة سوى مدربها ستافسلاف كوريتيك. وكان يقف إلى





□ بطلات التزلج على الجليد من اليمين هاردنج المتآمرة، وكيريجان الضحية، وأوكسانا. أميرة الثلوج

حانبها في جنازة أمها. ويقول عن شعورها في تلك اللحظة: «أحسست أنها تريد الانطلاق على الثلج. وكانت أثناء التدريبات تتزلج وتبكي، تتزلج وتبكي».

وبعد عام واحد من فقد أمها، أصيبت أوكسانا بخيبة أخرى. فمع تدهور الاقتصاد الأوكراني، لم يجد ...ربها بُداً من الهجرة إلى ... حتى يعيل أسرته. لكنه ... أن يرحل سلم أوكسانا ...ميلته جالينا زمفسكايا. ... مدربة قديرة تولت ...ريب فكتور بترنكو، ... على الميدالية الذهبية ...ـردي في الألعاب الأوليمبية الشتوية في عام ١٩٩٢. واعتبرت أوكسانا ابنتها الثالثة.

وسرعان ما قفزت الفتاة الصغيرة من المرتبة الثانية عشرة في الاتحاد السوفييتي السابق لتحتل المرتبة الثانية بين لاعبات أوربا كلها. ثم حققت قمة مجدها في براغ. وهي تمتلك كل المواهب التي تجعل منها أميرة الثلج: ساقان طويلتان، ورشاقة راقصي الباليه ووجه جميل. وتؤدي القفزات الثلاثية بطريقة رائعة. وتقول إن سبب نجاحها يعود إلى إيمانها وإلى التدريب المستمر. وهي تصف نفسها بأنها «فتاة لا يمكنها أن تجلس ساكنة». ويساعدها أصدقاؤها في تصميم الأزياء التي تقدم بها عروضها، ويتدرب بترنكو على التزلج معها. بل إن زمفسكايا نفسها تذهب إلى صالة التدريب مبكرة والجاروف في يدها لكي تنظف ثلج الصالة. فلماذا يستمرون هناك بينما بالإمكان اللجوء إلى بريق الغرب؟ وتعلق زمفسكايا على ذلك بقولها «نريد البقاء في أوديسا. فلن نملك أبدا المال الذي نحتاجه لشراء كل شيء في أمريكا. فهنا ينعم الراقصون بالحرية، وهم أفقر وأفضل الراقصين في العالم كله». □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٤٢٤ مارس ٩٩٤

جوائز المسابقة:

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

على الرغم من الشعبية العالمية الجارفة للعبة كرة القدم إلا أن نشأتها غير معروفة، ويروى أن الرومان عندما غزوا بلاد الغال أدخلوا معهم لعبة كان اسمها هارياستوم، يستخدم لاعبوها أقدامهم لركل كرة مصنوعة من:
* الخشب المجوف.
* ثمار القرع المجففة.
* مثانة بقرة محشوة بالتراب.

تعتبر لعبة «الكالشيو» الفلورنسية التي ظلت تمارس حتى عام ١٧٠٠ هي أقرب ألعاب الكرة شبها بما نعرفه اليوم حيث يتنافس فيها فريقان من الشبان كل منهما يجتهد في إيصال كرة منفوخة بالهواء إلى:
* معسكر الفريق الآخر.
* مرمى الفريق الآخر.
* سلة الفريق الآخر.

شهدت لندن وضع القواعد العامة الأولى للعبة كرة القدم في مقهى بشارع الملكة، وكان ذلك يوم ٢٦ أكتوبر ١٨٦٣ لكن أول كأس لإنجلترا حصل عليها فريق الواندرز بعد ذلك بـ:
* ربع قرن.
* تسع سنوات.
* خمسين سنة.

جرت أول دورة لكأس العالم في أورجواي عام ١٩٣٠ بعد خمس وعشرين سنة من تكوين الاتحاد الدولي



لجمعيات كرة القدم «F.I.F.A.»، وقد أطلق عليها دورة كأس جول ريميه، تكريما لمن بذل الجهد الأكبر في إقامة الدورة، وهو:
* المدير الفرنسي للاتحاد الدولي.
* رجل أعمال إسباني ثري.
* أحد رؤساء أمريكا اللاتينية.

٥

أبحرت الفرق الأوربية المشتركة في أول دورة لكأس العالم على ظهر باخرة واحدة هي «الكونت فردي» حاملة معها كأس الدورة التي كانت عبارة عن:

ﻗﺺ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻜﻮﺑﻮﻥ ﺑﺎﻟﺤﻞ

كوبون مسابقة العربي

العدد ٤٢٤

الشروط:

الإجابة عن تسعة أسئلة من الأسئلة المنشورة، ترسل الإجابات على العنوان التالي: مجلة العربي «مسابقة العربي العدد ٤٢٤» وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو أول إبريل ١٩٩٤ م. والرجا كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين، ورقم الهاتف إن وجد.

ترسل الإجابات على العنوان التالي: العربي: ص.ب ٧٤٨ رمز بريدي13008 الصفاة ــ الكويت

* كرة فضية قطرها ٥٠ سنتيمترا.
* تمثال من الذهب الخالص ارتفاعه ٣٠ سنتيمترا.
* نخلة ذهبية طولها ٢٥ سنتيمترا.

٦ كانت المباراة النهائية للحصول على أول كأس للعالم في كرة القدم بين الأورجواي والأرجنتين سببا لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بسبب شغب الملاعب والمدرجات، وكان الفوز من نصيب:

* الأرجنتين التي فازت بأربعة أهداف لهدفين.
* الأورجواي التي فازت بأربعة أهداف لهدفين.
* الأرجنتين التي فازت بضربة جزاء ترجيحية.

٧ نظمت إيطاليا كأس العالم الثانية عام ١٩٣٤، وكانت ميدانا مثاليا لهذه المنافسة الضخمة، حيث جرت المباراة النهائية في استاد الحزب الفاشستي الوطني وحضرها موسوليني بنفسه وكانت بين:

* المملكة المتحدة وفرنسا.
* إيطاليا والولايات المتحدة.
* تشيكوسلوفاكيا وإيطاليا.

٨ عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية أقيمت مباريات الكأس الثالثة في باريس عام ١٩٣٨، وكانت ألمانيا الهتلرية قد عقدت العزم على اكتساح منافسيها على أرض ملاعب حديقة الأمراء لكن المفاجأة جاءت من:

* فرنسا التي هزمت ألمانيا في المباراة النهائية.
* سويسرا التي قهرت ألمانيا في دور الأربعة.
* الكاميرون التي أعاقت ألمانيا في الدور الأول.

٩ جرت مباريات الكأس الرابعة في البرازيل عام ١٩٥٠ بعد فترة طويلة من التوقف بسبب الحرب ومآسيها، وكان فريق «كاريوكا» البرازيلي لا يشك في النصر مع تشجيع ١٨٠ ألف متفرج احتشدوا في استاد «ماراكانا» وتهيأوا لعمل مهرجان انتصار من مهرجانات ريو الحافلة، ولكن:

* المطر المدرار أوقف المباراة.
* فريق الأورجواي فاز بالكأس.
* تمكن البريطانيون من التفوق عليهم.

١٠ نظمت سويسرا مسابقة كأس العالم الخامسة عام ١٩٥٤، وكان لها فضل إخراج إيطاليا من الأدوار الأولى ومع ذلك لم تفز بالكأس التي فاز بها الفريق الذي لعب المباراة النهائية تحت وابل من الأمطار وهو فريق:

* ألمانيا.
* البرازيل.
* المجر. □

مسابقة
العربي
الثقافية



حل مسابقة
العدد ٤٢٢
يناير ١٩٩٤

القشريات التي توصف بأنها الحشرات متنفسة الماء تنتمي إلى رتبة الأرثروبودا التي تنتمي إليها الحشرات. ومن سماتها المشتركة الرئيسية امتلاكها لقرون استشعار مزودة بخلايا فائقة الحساسية ترشدها في التعرف على البيئة من حولها.

يعد سرطان العنكبوت الياباني أكبرها حجما إذ يبلغ طوله (شاملا أطرافه الأمامية المفتوحة) حوالي ثلاثة أمتار، بينما أطرافه الخلفية تبلغ المترين طولا.

معظم السرطانات تعيش في البحار أو على شواطئها وبعضها يعيش في الأنهار. وفي المناطق الاستوائية يعيش الكثير منها على الأرض الجافة بل إن بعض أنواعها يتسلق الأشجار.

السرطانات التي تعيش على البر من بينها سرطان يسمى الناسك لقبوعه في صدفة قوقعة مهجورة، وهو يقضي معظم حياته على البر متغذيا على بقايا المواد النباتية والحيوانية، لكنه يعود إلى البحر ليتناسل في الماء حيث تنشأ صغاره.

السرطان الناسك، يتخذ من ذراعه اليمنى الأطول والأثقل والأكثر فلطحة وتدريعا بابا متحركا يحمله معه أينما ذهب ليسد به فوهة القوقع الذي يسكنه.

تشترك السرطانات والقريدس والاستاكوزا في أنها تمتلك عشر أرجل، خمس منها في كل جانب، ولقد تحور الزوج الأول منها ليأخذ شكل ذراعين طويلتين تنتهيان بكلابات، بينما بقـ... الأزواج الأربعة الأخرى كأرجل شـ...



□ القريدس أو الجمبري أو الروبيان من القشريات الشهيرة



□ أم الروبيان النوع الشائع من الاستاكوزا في الخليج.

عليها هذه القشريات التي تبلغ سرعات كبيرة.

٧ الاستاكوزا في شكلها الحي تأخذ لونا رماديا مزرقا أو بنيا حتى تتماهى مع لون رمال القاع الذي تعيش فيه، لكنها تنقلب إلى اللون الأحمر بعد طبخها. وهي كائنات بحرية (كنّاسة) تقتات من الحيوانات البحرية الميتة ولا تقدر على الافتراس.

٨ ثمة قشريات دقيقة تشبه القريدس تعد غذاء للكائنات البحرية العملاقة مثل الحيتان وأسود البحر وطيور النجوين، ويلتهم الحوت الواحد من نوع الحيتان الزرقاء ما يعادل ٤٨٠ طنا في العام الواحد أو ٤٠ طنا في الشهر.

٩ السرطان عازف الكمان الذي يعيش في الوحول المالحة بالمناطق الاستوائية يستخدم مخلبه المتضخم الملون حين يرفعه لإنذار الذكور الأخرى حتى لا تقترب من منطقته، في نفس الوقت لدعوة الإناث للاقتراب منه. أما المخلب الأصغر فإنه يستخدمه كملعقة يجرف بها الطحالب الخضراء وبقايا النباتات ليتغذى بها.

١٠ السرطانات البحرية قادرة على السباحة بشكل جيد لأن الأزواج الأربعة الخلفية من أرجلها تفلطحت وكأنها مجاذيف، تضرب بها الماء بتسارع فتدفعها هذه الضربات قدماً بسرعة معقولة. □

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٢٢ - يناير ١٩٩٤

الفائز الأول: محمد إبراهيم عبداللطيف أسوان/ مصر.

الفائز الثاني: حسين عبدالله حسين الدوحة/ قطر.

الفائز الثالث: عبدالرحمن جاسم علي الرفاع الشرقي/ البحرين.

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - **ياسين إبراهيم الشريف** - دير الزور/ سوريا.

٢ - **محمد دراع** - الدار البيضاء - المملكة المغربية.

٣ - **وليد الفقي** - فرنسا.

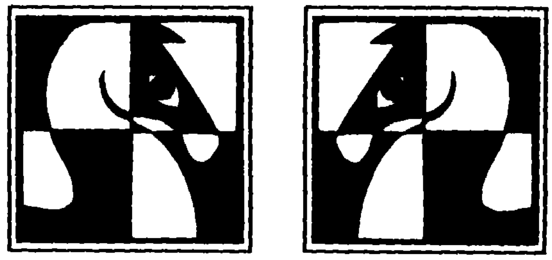
٤ - **مها صالح ياسين** - صور/ لبنان.

٥ - **فادي عبدالعزيز** - نواكشوط/ موريتانيا.

٦ - **أحمد إبراهيم مفلح** - منطقة الباطنة/ سلطنة عُمان.

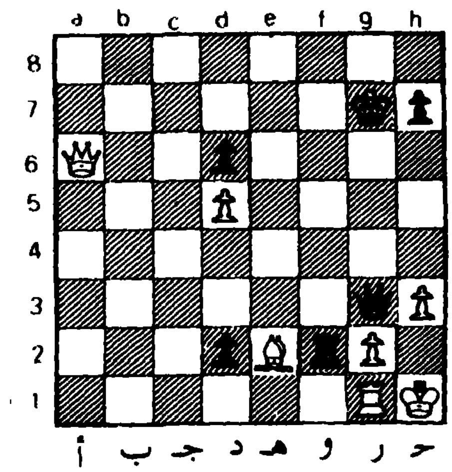
٧ - **حاتم عبدالله عبدالحميد** - مشرف/ الكويت.

٨ - **مؤنس محمد البخاري** - دمشق/ سوريا.



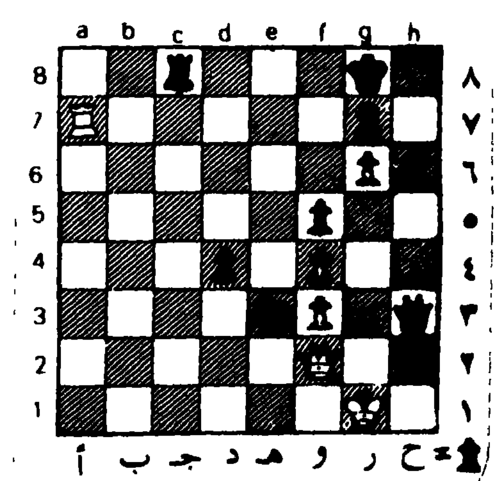
معركة بلا سلاح

الميتة الفاسدة stale mate التي تعرف أيضا بالباطة أو التعادل لم تكن تعد تعادلا تاما في جميع العصور ففي إنجلترا مثلا قبل عام ١٨٠٨ كانوا يعدونها نصرا غير مشرف للأسود وعلى العكس من ذلك في البلاد العربية وإسبانيا حيث كانت تعد نصرا غير مشرف للأبيض. أما في فرنسا فقد كان اللاعب الأسود يكتفي بالتنازل عن نقلة واحدة وأحيانا كانوا يلجأون إلى إبعاد القطعة التي تعيق حركة الملك وأحيانا كان يجب إعادة النقلة الأخيرة التي تسببت في الميتة الفاسدة مرة بعد أخرى إلى أن ينتهي الدور بالتمويت Mate وكانت إيطاليا هي البلد الوحيد الذي تعد فيه الميتة الفاسدة تعادلا منذ القديم حتى الآن، أما اليوم فإن الميتة الفاسدة تعد تعادلا لدى جميع اللاعبين وفي جميع البلاد. وتتسم التضحيات المؤدية إلى التعادل بالطرافة والجمال في حين أن الفشل في رؤية اللعبة المنقذة للدور والمؤدية إلى التعادل تجربة مريرة حقا وبخاصة في أيامنا هذه.

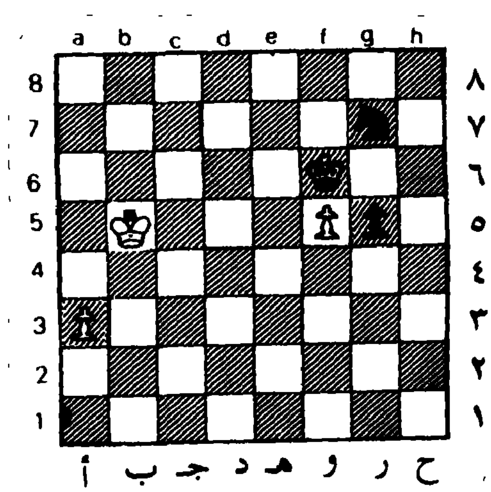


(الشكل ٢)

ففي الموقف التالي بين الأستاذين الكبيرين إينح وأيفل «ميونيخ ١٩٨٩» كانت النقلة للأسود «الشكل ١» وما كان عليه للفوز بالدور سوى نقل



(الشكل ١)



(الشكل ٣)

حصانه إلى «د٥» ولكنه بدلا من ذلك نقل رخه إلى حـ ٨ فجاءت نقلة الأبيض البديعة:

١. ر - أ ٨	ر × أ ٨ «مضطرا»
٢. و - أ ٢ +	ر × أ ٢ «مضطرا أيضا»

وتمكن الأبيض بذلك من إنقاذ دوره والوصول إلى التعادل.

وفي الموقف التالي «الشكل ٢» الذي توره مجلة الشطرنج البريطانية في عدد أغسطس ١٩٨٥ فإن جميع الدلائل تشير إلى أن خسارة الأسود محتمة ولكن نقلته المبدعة م - ح ٦ أنقذت الدور كما يلي .

١. و - د ٣	د١=و
٢. و × د ١	و×ح٣+
٣. ر × ح ٣	ر-ح٢+

٤ م × ح ٢ وينتهي الدور بالتعادل، إذ لم يعد للملك الأسود مربع يلجأ إليه وليس لديه قطعة أخرى يمكن أن تتحرك.

وتشير جميع الدلائل في «الشكل ٣» من نهاية دور بين الأستاذ الكبير أفرباخ وأحد الهواة من مباراة بالتتابع إلى أن خسارة الأبيض محتمة، ولكن الأستاذ الكبير يتابع اللعب بهدوء كما يلي:

١ أ ٤	حص - هـ ٨
٢. م - جـ ٦	ز ٤
٣ أ ٥	ز ٣
٤ أ ٦	ر ٢
٥. أ ٧	ز ١ = و

مرقيا البيدق إلى وزير بفرح لأنه يعلم بأنه سيأخذ الوزير الذي سيرقيه الأبيض مجانا بالكش

٦ أ ٨ = و	و-ز ٢+
٧ م - د ٧	و × أ ٨

.. ما انقلبت فرحة الأسود إلى غم بسبب الميتة الفـ..دة الغريبة التي نجمت عن ذلك.□

حل مسألة العدد (٤٢٣) فبراير ١٩٩٤م

....	ر- أ ٤ +
ب × أ ٤	ب ٤ +(مات)

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد ٤٢٢ ـ يناير ١٩٩٤م

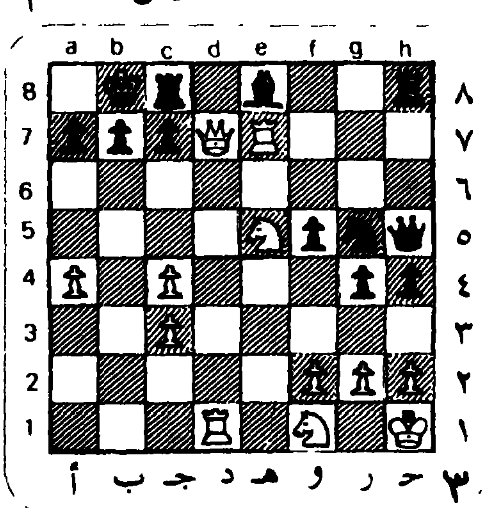
الفائزون باشتراك سنة كاملة:

١ ـ عبدالله يوسف ـ جدة/ المملكة العربية السعودية.
٢ ـ نسرين فوزات صعب ـ محافظة السويداء/ سوريا.
٣ ـ حسام السيد صالح سليمان ـ القاهرة/ مصر.
٤ ـ الصفوي حميد ـ المملكة المغربية.
٥ ـ أبو بكر حسن محمد ـ الخبر
المملكة العربية السعودية.

الفائزون باشتراك ستة أشهر:

١ ـ غسان أحمد سليم ـ الكويت.
٢ ـ علي أحمد فتيح ـ جامعة المنصورة/ مصر.
٣ ـ دليلة بن عثمان ـ تونس.
٤ ـ محمود حسن شديد ـ الدوحة/ قطر.
٥ ـ سيد رضا سعيد إبراهيم ـ كرباباد/ البحرين.

مسألة العدد ٤٢٤ ـ مارس ١٩٩٤م



مات ٣
من إهداء القارئة
ماري كوسيان
(لبنان)

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك واسعادك بالاضافة إلى اسـ
معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحـ
الجاد الميسر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجـ
المهمة والمطلوب منك الاجابة عن اسئلة هذا الـ
ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد التـ

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢				■			■			
٣		■					■			
٤		■								
٥					■		■		■	
٦			■	■		■				■
٧									■	■
٨	■			■						■
٩		■			■					
١٠								■		

كلمات أفقية:

١ ـ أشهر حصان في التاريخ.
٢ ـ من أشهر المعارك التي هزم بها نابليون ـ طري.
٣ ـ اتصل بالهاتف ـ غير هازل.
٤ ـ أشهر لوحة في التاريخ.
٥ ـ واحة «غير مرتبة».
٦ ـ مثيل ـ طعام.
٧ ـ أشهر ساعة في العالم.
٨ ـ ضمير النسوة ـ صاحب أشهر عنزة في التاريخ.
٩ ـ منذ ـ ثبات على وتيرة واحدة.
١٠ ـ أشهر عصا في التاريخ ـ حرفان متشابهان.

كلمات عمودية:

١ ـ أشهر حوت في التاريخ ـ إله الشمس عند قدماء المصريين.
٢ ـ تجدها في صاح ـ إحدى الأدوات.
٣ ـ تسبّب له التخمة ـ أمنع «معكوسة».
٤ ـ تتحرك في نفس المكان ـ عكس الحمد.
٥ ـ تقدمن بالطلب ـ أصبح نابغا.
٦ ـ جارور «معكوسة» ـ سراج «معكوسة».
٧ ـ ابنة لي.
٨ ـ أشهر لوحات ليوناردو دافنشي.
٩ ـ من أشهر ملاحي البرتغال دار حول الرجاء الصالح وفتح طريق الهند ـ يحسن إلى والديه مثلا.
١٠ ـ حسن القد واعتداله ـ قط. □

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	ل	ص	و	ض	ا	ء	■	ي	ا
٢	ل	ح	ب	■	ب	ل	ا	غ	■	م
٣	ت	■	ا	ا	■	ت	ا	ب	■	ط
٤	ص	■	ب	ل	ا	ل	■	ا	ن	ا
٥	ح	ص	د	ا	■	و	ر	ر	ع	ر
٦	ر	ب	خ	و	■	ث	■	د	ب	ح
٧	■	و	ا	ر	ع	■	ي	ر	د	م
٨	ش	ر	ن	و	ب	ل	■	ي	■	ص
٩	ن	و	ي	ل	■	ج	ص	■	ح	ي
١٠	ب	ل	■	■	م	ا	هـ	و	ل	ة

حل مسابقة العدد ٤٢٣
فبراير ١٩٩٤



■ من المكتبـة العـربيـة ■

المجتمع المدني في الوطن العربي

ودوره في تحقيـق الـــديمقـــراطيـــة

تأليـف: نخبـــة من المثقفين العـــرب

عـرض: خـليـــل عـــلـي حـيـــدر

هـــذا الكتـاب هـــو حصيلـة تجمع نحـــو تسعين مثقفـا عـــربيـا في نـــدوة شاملـة في ينـاير ١٩٩٢ أي بعـد عـام من انتهـاء حرب تحرير الكـويت وكـان السـؤال المهم الـــذي طـرح نفسـه عليهـم: مـا هي التحــديـات التي تحـول دون قيـــــام المجتمع المدني بـــــــدوره مـن أجـل تحقيـق الديمقـراطيـة؟.

يستعـرض الكتاب الصـادر في سبتمبر ١٩٩٢، في ٨٨٠ صفحـة، مجموع الأوراق التي قـدمت ـده النـدوة فيحتـوي القسـم الأول، ومـوضـوعـه ـمع العربي في الفكـر والممارسة، على بحـوث سعيد ـعيـد العلــوي وعبـد البـاقي الهرمــاسي ووجيـه ـي ومعن زيادة والطـاهر لبيب وغيرهم. ويتناول ، الثاني، المجتمع المدني ومـؤشرات البناء، بحوث ـذة مسعود ضـاهر وعبـد القادر الـزغل وحيدر ـ وباقر النجار وآخرين. أما القسـم الثالث، وهو ـ المجتمع المدني آفـاق المستقبل، فيضم دراســة للسيـد ياسين، والنقـاشـات الختاميـة التي دارت تحت عنوان «مالعمل؟».

ولكن ما هو «المجتمع المدني» الـذي اجتمع كل هذا الحشد من العقول العربيـة لتبادل الأفكار حوله؟ ولماذا اكتسب هذه الأهمية ضمن هذه الظروف؟.

ثمـة مجموعـة تعـريفـات للمجتمع المدني لا مجال لعرضها. ويمكن اعتباره خلاصة «كل المؤسسات التي تتيح للأفراد التمكن من الخيرات والمنافع العامة، دون تدخل أو توسط الحكومة».

وقد لاحظ بعض المشاركين في النـدوة، أن مقومات

المجتمع المدني في الشرق الإسلامي تختلف تماما عنها في الغرب الأوربي «ففي حين هي في الغرب أحزاب سياسية، وكنائس، ونقابات عمالية، ونقابات مهنية، وجمعيات اجتماعية وثقافية، نجد أنها في المجتمع العربي الإسلامي فعاليات اقتصادية واجتماعية تتحلق حول المسجد. إنها أسواق الحارات، والجماعات الحرفية، والملل المذهبية، والطرق الصوفية. ومع عهود التفاعل غير المتكافىء مع الغرب، في إطار التبعية له، قامت أحزاب سياسية ونقابات وجمعيات اجتماعية وثقافية.. وغير ذلك.»

وقد لاحظ د. محمود عبد الفضيل جانبا آخر من واقع المجتمع المدني في الدول العربية.

ذلك أنه «نظرا للنشأة الغربية لمفهوم المجتمع المدني، لم يلتفت معظم الباحثين العرب حول قضايا ومشاكل المجتمع المدني إلى أنه لا يوجد في مجتمعنا العربي مجتمع مدني واحد، بل عدة مجتمعات: الأول هو ذلك المجتمع المدني، الظاهر للعيان، والذي تمتلىء الدنيا بمطبوعاته ونشراته واجتماعاته الرسمية وندواته، إنه ذلك المجتمع المدني الذي تتحرك في إطاره الأحزاب والنقابات والمنتديات، وتسهر على إدارته النخبة المثقفة والتكنوقراطية ووجهاء القوم. وفي المقابل، نلاحظ أن هناك مجتمعا مدنيا آخر تحتيا صامتا، يلف الأرياف وأحياء القصدير في المدن الكبيرة. هذا المجتمع المدني الآخر له أيضا مؤسساته وتنظيماته غير الرسمية».

ويرى الباحث أن نجاح «تيار الإسلام السياسي» مثلا، عائد أساسا لتغلغله في هذا المجتمع التحتي، والالتحام به.

وحاول د. وجيه كوثراني تلخيص التجربة العربية والإسلامية، فقال إنها أنتجت «دولة سلطانية» لا مجال فيها لتداول السلطة.. «لكنها بالمقابل شهدت مجتمعا أهليا تخللته تعبيرات من المبادرات والحريات والمشاريع الاجتماعية والعلمية ومواقف معارضة وممانعة في إطار العصبيات والقبائل أو في إطار الملل والمذاهب أو في تنظيمات الحرف وطرق الصوفية» ويبحث د. كوثراني عن أزمة الديمقراطية العربية في مكانين: «في عقل أهل الدولة العربية المعاصرة الذي يأبى فكرة التداول، وفي عقل المعارضة العربية على اختلاف اتجاهاتها التي تستعجل أمر الاستيلاء على السلطة».

لا يزال السؤال مطروحا

على الرغم من هذا التحديد لموضوع الندوة، ظلت فكرة «المجتمع المدني العربي» غير واضحة ولربما عبرت د. فريدة العلاقي عن انطباعات بعض المشاركين في الندوة قائلة: «استمعنا إلى ما يقارب عشرين بحثا ومداخلة، حتى الآن، ولا يزال السؤال





حول معنى المجتمع المدني مطروحا». فتعريف مركز دراسات الوحدة العربية لهذا المجتمع أنه «هو مجموع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادين مختلفة في استقلال عن سلطة الدولة». ولربما كان هذا التحديد نفسه ـ تضيف د العلاقي، مديرة إدارة المرأة والطفل في برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائية ـ هو الذي أوقعنا في المأزق. فمثل هذه المؤسسات لا وجـ د لها في الوطن العربي ما لم تحصل على موافقة ومـ كة رسمية، وبالتالي «ليس لها استقلال عن مؤ ات الدولة».

كك د. مصطفى كامل السيد فيما ذهب إليه د. ي بصدد ضم النشاط الأهلي لمفهوم المجتمع فيعتبره في الواقع «أقرب إلى المؤسسات ات التي كانت تميز المجتمع الإقطاعي في أوربا ها الوسيط، وقد جاء مفهوم المجتمع المدني فضا لها ومحاولة لتجاوزها».

لك أن ملاحظات د. العلاقي ومصطفى ي محلها. ذلك أن المجتمع المدني في الغرب، الولايات المتحدة، ظاهرة حية طاغية. وثمة نشاطات أهلية واسعة، غير مرتبطة بالدولة. وقد استرعى انتباه المفكر الفرنسي المعروف «الكسيس دي توكفيل» Alexis de Toqueville في زيارته للولايات المتحدة ولع الشعب الأمريكي بتأسيس الجمعيات، فكتب يقول:

«إن الأمريكان من جميع الأعمار، ومن جميع المنازل ومن مشارب مختلفة نجدهم يكونون الجمعيات. ليست لهم جمعيات اقتصادية وصناعية فقط حيث الكل يشارك فيها، بل لهم أيضا أنواع كثيرة أخرى، من دينية وأخلاقية، ومهمة وغير مهمة». وبهذه الطريقة أيضا «يؤسسون المستشفيات والسجون والمدارس».

وأضاف مقارنا: إنك تجد على رأس مؤسسة جديدة ما «في فرنسا حضور الدولة، وفي إنجلترا حضور رجل إقطاعي أما في أمريكا فلا ترى إلا الجمعيات».

لو شئنا لقلنا إن التنوع في الحياة العربية قد يساعد على ازدهار مثل هذه الجمعيات دون أن تتفكك الحياة الاجتماعية أو الفكرية أو تتشتت الجهود. وقد لاحظ د. مسعود ضاهر أن التنوع السكاني في الوطن العربي ذو غنى يندر وجوده في أماكن أخرى من العالم «وهو يحتضن في داخله تنوعا بالغ الأهمية من حيث تعدد الأعراق مع وجود أكثرية واضحة للعنصر العربي، وتعدد الأديان مع وجود أكثرية ساحقة للدين الإسلامي، وتعدد الحضارات مع وجود تأثير بالغ للحضارة العربية الإسلامية بالدرجة الأولى».

بعد ستين عاما

وقد تناقش المتندون حول: لماذا اهتم المثقفون العرب بإثارة قضية المجتمع المدني في بداية التسعينيات، بينما توقف الفكر الغربي عن الحديث عنها منذ ستين عاما؟.

وهو سؤال، يجد د.علي الكنز، أستاذ علم الاجتماع الجزائري جوابه في الشعور بخيبة الأمل بين المثقفين العرب بعد أن أخفقت الدول العربية الراديكالية في تحقيق تطلعاتهم إلى تغير اجتماعي واقتصادي جذري في المجتمعات العربية، لذلك تطلعوا إلى فاعل اجتماعي آخر تصوروه في «المجتمع المدني».

ويجد د. مصطفى السيد جوابا آخر: «فقد أظهر المجتمع المدني درجة عالية من الحيوية والفعالية في عدد كبير من بلدان أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا وإفريقيا السوداء، وفي بلدان شرق أوربا، فقد سقطت

حكومات سلطوية في كل هذه البلدان، وحلت محلها حكومات تحترم حقوق الإنسان المدنية والسياسية بدرجة أكبر. وجاء هذا التحول نتيجة ثورات أو انتفاضات شعبية ساهمت فيها منظمات المجتمع المدني».

أما الباحثون الغربيون فيعزون تخلف المجتمع المدني في البلدان العربية والإسلامية إلى التقبل العام للسلطوية وعدم إعطاء أولوية أساسية للقيم الديمقراطية في المجتمع بشكل عام



لا بد من الدكتاتورية

لم تكن كل الأوراق المقدمة بنفس الدرجة من الجودة. كما علق على بعضها صعوبة اللغة وغموض التحليل. وقد اشتكى د. محمد المتوكل، من اليمن، من توغل أعمال الندوة «في العمل الأكاديمي التنظيري على حساب تحليل الواقع المعيش»، وأن بعض البحوث «أوغلت في الحذلقة اللفظية».

حمل بعض المثقفين العرب معهم مخاوفهم حول التآمر الدولي إلى الندوة. وقد رد على هؤلاء بعض المشاركين في الندوة بالقول إنه «من التبسيط الشديد وصف ما حدث من تحول باتجاه التعددية السياسية وإقامة نظم تحترم الحقوق السياسية والمدنية في عدد من دول العالم الثالث في أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا وإفريقيا.. بأنه استجابة لمشروع أمريكي. فقد حدثت هذه التطورات في الثمانينيات في وقت لم تكن ترفع فيه الإدارة الأمريكية تحت رئاسة رونالد ريجان شعار حقوق الإنسان، وإنما كانت تؤكد ضرورة مكافحة الشيوعية في كل مكان، وتساند بذلك كل النظم الدكتاتورية في العالم الثالث».

واندفع محام عربي ضمن تعليقه على أحد البحوث، فراح يدافع عن ضرورة قيام أنظمة دكتاتورية في الوطن العربي لأن «الدولة المركزة المتسلطة، خيار وحيد مفروض، من طرف النظام الأمريكي الكوني، على نخبات بيروقراطية وعسكرية في دول المواد الخام والأسواق المستهلكة». ولكن المحامي عيسه عاد فناقص نفسه في تعليق آخر متحسرا على «لا ديمقراطية التنظيمات الحزبية العربية»، وطالب بتشكيل «كتلة تاريخية» على المستوى القطري والقومي، فنسف بذلك الكثير من متطلبات استقلالية وتلقائية مؤسسات المجتمع المدني العربي المنشود. وقد فاض بمثقف عربي الكيل، فوقف يتساءل: «لماذا لا يزال الفكر العربي يطرح الإشكاليات والقضايا نفسها التي طرحت منذ قرنين من الزمان، وكأنه لم يحدث تقدم على صعيد مواجهة أي من القضايا الكبرى مثل: العلاقة بين الدين والدولة، والعلاقة بين الإسلام والغرب، وطبيعة النظام السياسي والاجتماعي؟ لماذا يعيد الفكر العربي اجترار وإعادة إنتاج هذه القضايا وكأن عجلة الزمان قد توقفت؟».

حضور كويتي ملموس

كان للكويتيين والخليجيين في الندوة حضور ملموس حيث شارك د. باقر النجار، من جامعة البحرين، ببحث حول «المجتمع المدني في الخليج والجزيرة العربية»، وساهم أساتذة آخرون من الكويت وغيرها بالحوار.

وقد تحدثوا في تعقيباتهم عن المقاومة الوطنية والتماسك الاجتماعي الباهر الذي أبداه المجتمع الكويتي في ظل الاحتلال البغيض. كما بين الأستاذ جاسم القطامي عمق الصلة المتبادلة في الكويت بين مؤسسات المجتمع المدني والديمقراطية من حيث كون الديمقراطية أساسا سياسيا لوجود وتطور هذه المؤسسات.

ختاما، لقد أظهرت البحوث المقدمة في هذه الندوة وما أثارت من تعقيب وتعليق، أهمية الموضوع وغموضه في الوقت نفسه وبينت أحيانا أن الكثير من جوانب الصلة بين المجتمع المدني العربي والديمقراطية، بحاجة إلى دراسات جادة وصريحة □

تاريخ كمبردج للأدب العربي الحديث

إعداد : الدكتور محمد مصطفى بدوي
عرض : الدكتور حمدي السكوت

صدر أخيرا عن جامعة كمبردج المجلد الرابع في سلسلة: تاريخ كمبردج للأدب العربي وهو المجلد الخاص بالأدب العربي الحديث والذي قام باعداده الدكتور محمد مصطفى بدوي الأستاذ بجامعة آكسفورد. واشترك معه في كتابة فصوله عشرة باحثين وباحثات من جامعات مختلفة.

صدر المجلد بقائمة تاريخية مفيدة لأهم الأحداث التي وقعت في الوطن العربي منذ ... القرن الثامن عشر وحتى إجلاء الجيش العراقي ... كويت في عام ١٩٩١. كما تصدرت المجلد أيضا ... ة لأقطار الوطن العربي موضحا بها عدد السكان ... قطر منها باستثناء موريتانيا والصومال وجيبوتي، ... م إسهام أبنائها في الأدب الحديث إسهاما يعتد ... كنها أيضا لم تشر إلى فلسطين ولا إلى سكانها مع ... صيها وشعراءها قد خصص لهم حيز ملائم في ... لكتاب المختلفة.

... تاب يبدأ بمقدمة للدكتور بدوي توضح الخلفية ... ية لفترة النهضة في الوطن العربي، ثم بفصل تمهيدي آخر عن حركة الترجمة والاقتباس من عام ١٨٣٤ إلى عام ١٩١٤ يقدمه المستشرق الكبير الدكتور بير كاكيا الأستاذ بجامعة كولومبيا.

الشعر العربي

ثم يبدأ الحديث عن الشعر العربي، الذي خصص له المجلد ثلاثة فصول: أولها عن شعراء المدرسة الكلاسيكية، يقدمه المستعرب الإسرائيلي ساسون سومخ الأستاذ بجامعة تل أبيب، وثانيها عن الشعراء الرومانتيكيين، ويقدمه المستعرب البريطاني روبن أوسل، الأستاذ بجامعة أكسفورد، وثالثها عن شعراء التجديد

وتقدمه الشاعرة الفلسطينية سلمى خضراء الجيوسي.

كما يخصص الكتاب للرواية ثلاثة فصول أيضاً، أولها عن بدايات الرواية العربية حتى صدور رواية زينب للدكتور هيكل عام ١٩١٣، وثانيها عن الرواية العربية، بعد نضجها، في الأقطار العربية خارج مصر، ويقدم الفصلين الدكتور روجر ألين الأستاذ بجامعة بنسلفانيا.

ثم تقدم المستعربة البريطانية: هلري كلبترك الأستاذة بجامعة برن، الفصل الثالث الخاص بالرواية في مصر منذ عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩٨٠.

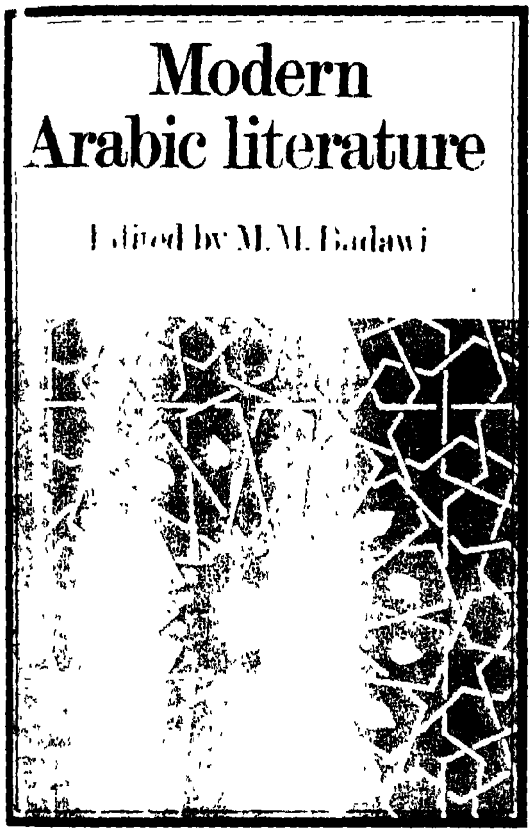
أما القصة القصيرة فيقدمها الباحث المصري الدكتور صبري حافظ الأستاذ بجامعة لندن. وأما المسرحية فيخصص لها فصلان، الأول للدكتور بدوي عن بدايات المسرحية ــ من مارون النقاش حتى عشرينيات هذا القرن ــ والثاني للناقد المصري الكبير الدكتور علي الراعي الذي تغطي دراسته المسرحية في الوطن العربي منذ الثلاثينيات وحتى الآن.

ويختم الكتاب بأربعة فصول، أولها عن «الأسلوبيين» أي كتاب النثر الفني بدءا من كتاب «الإنشاء» للشيخ حسن العطار، ومرورا بالرافعي والمنفلوطي ومي زيادة وطه حسين وغيرهم، وثانيها عن «النقاد»، وهذان الفصلان يقدمهما الدكتور كاكيا.

أما الفصلان الأخيران فيدور أولهما حول «أدب المرأة العربية»، وتقدمه المستعربة الأمريكية مريام كوك الأستاذة بجامعة ديوك. ويدور ثانيهما حول «الشعر العامي» وتقدمه المستعربة الأمريكية مارلين بوت، الأستاذة بجامعة اليسوي. ثم يختم الكتاب بالمراجع والفهارس.

حيز ضيق رغم ضخامته

والكتاب الذي يغطي كل هذه الموضوعات يقع في أقل من ستمائة صفحة من القطع المتوسط. وهو حيز لا يساعد على تحقيق ما تطمح إليه دراسة مرجعية كهذه من شمول وإحاطة. ولست أدري لماذا تخصص جامعة كمبردج أو قسم النشر بها مجلدا واحدا للأدب العربي الحديث بكل أشكاله الأدبية والنقدية، على تنوعها وثرائها وعلى امتداد مائة وخمسين عاما أو يزيد، مع أن نفس الجامعة قد خصصت في سلسلتها عن تاريخ



الأدب الإنجليزي مجلدين كاملين ــ على سبيل المثال ــ لفترة لاتتجاوز سبعة عشر عاما فقط من تاريخ هذا الأدب وهي الفترة من ١٨١٥ إلى ١٨٣٢.

وقد أدى تقليص حجم الكتاب على هذا النحو إلى سلبيات مختلفة، منها على سبيل المثال ما يخبرنا به الدكتور بدوي في مطلع الكتاب من أنهم اضطروا إلى حذف الهوامش كلية من عدد من فصول الكتاب! ومنها أن الدكتور صبري حافظ يكتفي أو يضطر ـ فيما يبدو ـ إلى مجرد ذكر أسماء مائة من كتاب القصة القصيرة، ومنهم في مصر مثلا أهم عشرة قصاصين من جيل الستينيات في رأيه وهم: سليمان فياض ومحمد حافظ رجب وعبدالحكيم قاسم وبهاء طاهر وإبراهيم أصلان ومحمد روميش ومحمد البساطي ومحمد مستجاب ومجيد طوبيا ويحيى الطاهر عبدالله ومحمد مبروك و [illegible] الغيطاني.

أما القصاصون العرب التسعون فمن بينهم [illegible] كبيرة كالطيب صالح والطاهر وطار وعبدالرحمن



□ يحيـــى حقـــي



□ د علـــي الـــراعي

الربيعي وغالب هلسا وغيرهم. وهذه القائمة نفسها تجعل القارىء يتساءل: أكان من العدل لهؤلاء القصاصين وللدكتور حافظ أن يلقى على عاتقه وحده عبء دراستهم وتحليل أعمالهم، بالإضافة إلى الأجيال الكثيرة التي سبقتهم منذ العشرينيات وما قبلها، والتي تناولها هو أيضا بالدراسة؟.

يبدو لي من تصفح هذا الفصل أن الدكتور صبري حافظ لم يكن يتوقع أن تكون هناك مشكلة حيز، وإلا كتب شيء من التفصيل عن أدباء كثيرين مثل يحيى حقي و... ...ق يوسف عواد ومحمود البدوي وأبو المعاطي أ... ...حا وكثيرين غيرهم. وفي ظني أنه لو كان يدرك ... الحيز تماما لقدم الفصل على نحو أكثر توازنا.

... افع أن ختام هذا الفصل بمجرد ذكر أسماء مائة ق... ... ليعمق إحساس القارىء بشيء من فقدان ... الذي يبرز في جوانب من الكتاب، فالبدايات ... طى بمساحات كبيرة، وبعض الفصول تبدو ترفا ... ق مشكلة الحيز هذه، فضلا عن أن بعض ... ي يتوقف عند الخمسينيات، والبعض عند السبعينيات، والبعض الثالث يتناول الثمانينيات، وهكـــذا. ومسألة أخرى تفرض نفسها على قارىء الكتاب. وهي التفاوت الواضح في المنهج وأسلوب العـــرض، فبعض المسهمين في الكتـــاب يتميـــزون بالموضوعية والحياد الأكاديمي على حين يتأثر البعض بالمذهب الاجتماعي الذي يعتنقه، أو بالقضية التي يتحمس لها، بل في حالات نادرة، بالعلاقة الشخصية، فضلا عن أن بعض الفصول تعكس وضوح الرؤية والقدرة على توصيل الرأي النقدي في اقتصاد لغوي يتلاءم مع مشكلة الحجم التي جابهت الكتاب، والبعض الآخر يعرق في التفاصيل ويرهق قارئه دون أن يمنحه في النهاية صورة مبلورة ومميزة لوضع القالب الأدبي موضع الدراسة في الوطن العربي.

ولاشك أن القارىء يتوقع من مثل هذه الأعمال المرجعية أن تسود فيها نغمة منهجية متجانسة وأن تقل أو تنعدم فيها هذه الفوارق، كما أدى بعد معظم المسهمين في الكتاب عن الساحة التي ينتج فيها هذا الأدب ويناقش إلى الوقوع في بعض الأخطاء التي تفاوتت ما بين ذكر تاريخ وفاة أديبة عربية كبيرة، مع أنها لاتزال حية ترزق وتنشر مقالا واحدا كل أسبوع على الأقل، أو غمط حق الدور النقدي البارر لبعض النقاد العرب الكبار، كالأستاذ محمود أمين العالم، الذي توقفت الدراسة عند نتاجه المبكر في أوائل الخمسينيات، حين كان متأثرا بعقيدته الاجتماعية، ولم تشر إلى تغير منهجه ولا إسهامه النقدي الغزير فيما تلا ذلك من عقود، وهو إسهام رائد وأصيل ومواكب لأساليب النقد المتطورة بأي مقياس.

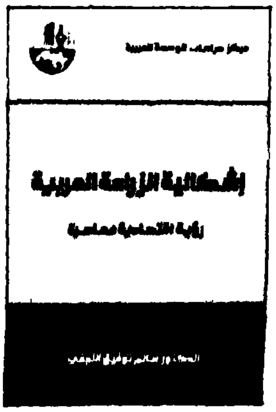
وبعد، فعلى الرغم من الملاحظات السابقة، ومن كثير غيرها، فإن هذا المجلد المهم يسعد بظهوره كل مهتم بالأدب العربي الحديث. وهو وإن لم يقدم جديدا للمتخصصين ـ كما هو المتوقع من مثل هذه الدراسات ـ إلا أنه يجمع لهم بين دفتي كتاب واحد مسحا أكاديميا يوثق به لكل الجوانب والأبعاد التي تغطيها الدراسة، والتي ذكرت في مطلع هذه المراجعة.

أما الفائدة الحقيقية فيجنيها القراء الأجانب، بما أن الكتاب منشور باللغة الإنجليزية، كما يجنيها ـ في الوطن العربي ـ طلاب الدراسات العليا بصفة خاصة، إذ يوفر لهم الكتاب منطلقا جيدا لدراسات أكثر تخصصا وأكثر عمقا. □

مكتبة العربي

مختارات







الكتاب : صيد الفوائد.
المؤلف : مهدي سعيد رزق
الناشر : دار طويق للنشر والتوزيع ـ السعودية.

تناول المؤلف في كتابه الذي يقع في ١٦٠ صفحة عددا من المعارف والفوائد في العلوم الدينية المهمة للمسلم، ويقتصر الكتاب على دور التذكير وإبراز الجوانب التي غابت عن بعض الناس، وهو سرد سريع لأحكام مهمة تخص حياة المسلم، ويتطرق المؤلف إلى الفوائد في القرآن الكريم وعلومه وفي الإسلام والأديان الأخرى.

□□□

الكتاب : إشكالية الزراعة العربية ـ رؤية اقتصادية معاصرة.
المؤلف : د.سالم توفيق النجفي.
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية / ١٩٩٣ ـ بيروت.

يعالج المؤلف في هذا الكتاب مسألة التشويه في الاقتصادات الزراعية في الدول النامية عموما، والوطن العربي خصوصا. ويرى المؤلف أن هذا التشويه ناتج عن تطبيق نماذج تنموية متباينة في بعض الأقطار العربية، تضادية في البعض الآخر، وقد أدى ذلك إلى اتساع «الفجوة الغذائية العربية»، وربما ستعاني بعض الأقطار العربية «المجاعة» مع قدوم القرن الحادي والعشرين.

□□□

الكتاب : ضوء ضعيف لا يكشف شيئا (مجموعة قصصة)
المؤلف : محمد البساطي.
الناشر : دار شرقيات ـ القاهرة.

في خصوبة وتنوع يطل عليـ وجه المبدع القاص الروائي محمد البساطي بمجموعته القصصيه السادسة التي تضم عشر قصص قصيرة تفيض بزخم إبداعي راق. سبق نشرها منجمة في الدوريات المصرية والعربية ومنها العربي.

ومحمد البساطي كاتب له تجربته وهجرته الخاصة، بساطته خادعة، وصوته هامس عميق يأتي من القرار بالغ التكثيف، حواسه ترصد مفردات الواقع وشخوصه رصدا يبدو محايدا لكنه يكشف في العمق منه عن هموم الوطن، وانكسار الحلم، وتبدو أشواق الإنسان البسيط العادي.

□□□

الكتاب : الصراع الفكري والاجتماعي حول عجز الموازنة العامة في العالم الثالث.
المؤلف : د.رمزي زكي
الناشر : دار سينا للنشر ـ القاهرة

الدكتور رمزي زكي يعرفـ المثقفون العرب، وقراء العربي على وجه الخصوص، باحثا اقتصاديـ دءوبا، تتميز بحوثه بعمق الأفكـ ودقة التناول وبساطة الـ وحـ وكتابه هذا يكشف عن أ حـ

الصراع الحقيقي «الفكـري والاجتماعي» بين هاتين الرؤيتين في ضوء ما تقدمه الخبرة النظرية والعملية في هذا المجال. يلبي هذا الكتاب احتياج الساحة الاقتصادية لمثل هذه البحوث في زمن أصبح فيه التصدي لعلاج العجز بالموازنة العامة للدولة من الأمور الجوهرية التي تتصدر أي برنامج جاد لمكافحة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها بلدان العالم الثالث، إذ ثبت ان استمرار هذا العجز له علاقة وثيقة بانفجار قوى التضخم، وبأزمة المديونية الخارجية، من هنا لا يوجد خلاف حول ضرورة علاج هذا العجز، لكن الخلاف الجوهري يتمحور حول كيفية العلاج ووسائله وعلى من يقع عبء هذا العلاج.

□□□

الكتاب . الجزيرة القرمزية.
المؤلف : ميخائيل بولغاكوف.
ترجمة . د.نزار عيون السود.
الناشر · سلسلة الحياة المسرحية ـ دمشق.

عندما عرضت هذه المسرحية في ...نهاية ١٩٢٨ في مسرح الحجرة ...موسكو، لاقت إقبالا منقطع النظير، غير أنها لم تدم لأكثر من ثلاثة شهور، إذ تدخلت الرقابة ...ومنعت استمرارها لأكثر من ...عقد ...من بعد أن رأى فيها النقاد ...ل هجاء وسخرية وانتقادا ...ح من حيث الشكل، وطعنا ...من حيث المضمون. ...ـا أخذت هذه المسرحية ...مكانتها اللائقة في العروص السوفييتية، وفي النشر، إلى روائع الأدب السوفييتي التي قدر لها أن تبدأ حياة

□□□

الكتاب : في الغزو الفكري «سلسلة كتاب الأمة».
المؤلف : د.أحمد عبدالرحيم.
الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر.

يلقي المؤلف في كتابه الذي يقع في ثلاثة فصول بعض الأضواء الكاشفة على وسائل الغزو الفكري وأهدافه في بلاد المسلمين، ويحاول التعرف إلى جذورها ومظاهرها، ويبين أن الأمة الإسلامية هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار، وأن سوق الأفكار من أخطر أسواق المنتجات وأكثرها تقبلا للتزييف والإفساد.

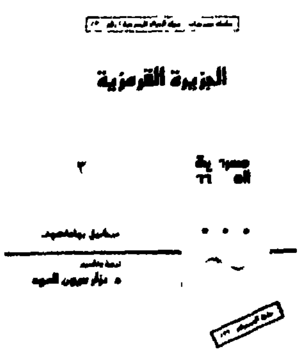
□□□

الكتاب : تاريخ الدولة العثمانية.
إشراف : روبير مانتران
ترجمة : بشير السباعي.
الناشر : دار الفكر للدراسات والنشر ـ القاهرة

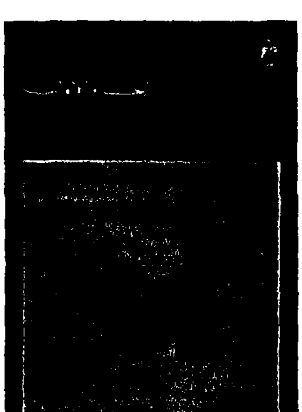
سفر صحم يقع في جزأين يشغلان أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير، قام بكتابة كل فصل فيه مؤرخ متخصص تحت إشراف المؤرخ والمستشرق الفرنسي روبير مانتران، وهو الأول من نوعه الذي يتناول الدولة العثمانية منذ البدايات الأولى في القرن الرابع عشر حتى مولد تركيا الحديثة على يدي كمال أتاتورك. والجديد في هذا السفر أنه يأتي وقد أصبح في وسع الباحثين الاطلاع على الأرشيفات العثمانية والوثائق، بعد أن أتاحت الحرب العالمية الثانية هذه الفرصة، فاغتنم الباحثون وفرة المعلومات والوثائق ليقدموا تلك الأضواء المهمة على تاريخ هذه الإمبراطورية من الداخل تنظيما وإدارة واقتصادا وثقافة.

□□□











الكتاب : الأربعون حديثا في الأخلاق.
المؤلف : د.أحمد معاذ حقي.
الناشر : دار طويق للنشر والتوزيع - السعودية.

يستعرض الكتاب أربعين حديثا في الأخلاق مع شرحها، جمعها المؤلف من الأحاديث الصحيحة، التي روى معظمها الشيخان، ويمضي المؤلف في منهجه على منهج عبدالله بن المبارك كأول من صنف الأربعينيات من الأحاديث، ثم محمد بن أسلم الطوسي ومرورا بأبي عبدالرحمن السلمي، وانتهاء بالنووي والذهبي.

قسم المؤلف فصول كتابه إلى أربعين بابا تضمنت باب حسن الخلق، باب مصدر الأخلاق، والتخلق بأخلاق القرآن، وباب حب الله ورسوله، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وزهد الدنيا، واستعان في كتابه بحوالي ١٦٩ حديثا شريفا، وحوالي ١١٠ آيات كريمات من القرآن الكريم و٤٥ مرجعا أساسيا، وآثر المؤلف من إيراد هذه الأحاديث والآيات الكريمة أن يستظل بظل الكتاب والسنة، واستشهد بأقوال العلماء الأجلاء والسلف الصالح، واقتطف صورا من حياتهم، لما لها من وقع في النفوس.

ومن خلال هذا الكتاب استطاع المؤلف أن يجمع باب الأخلاق بين دفتي كتاب بعد أن ظل فترة طويلة مشتتا بين فصول وأبواب الفقه.

□□□



الكتاب : الشجرة التي غرستها أمي «سيرة ذاتية».
المؤلف : د. بديع حقي.
الناشر : دار أشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع - دمشق.

في هذه السيرة الذاتية، ينطلق الكاتب من مشهد شجرة نارنج زرعتها الأم الطيبة في حديقة الد[ار] عام زواجها إلى الحديث بلغة ر[قيقة] يمتزج الحزن بالبهجة فيها، [عن] حارات دمشق القديمة، وعادات أهلها وتقاليدهم وأنماط الحياة [فيها] حينذاك.

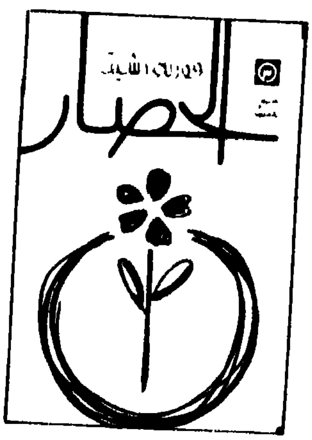
□□□



الكتاب : بستان الأزبكية «مجموعة قصص».
المؤلف . محمد عبدالسلام العمري.
الناشر : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣.

مجموعة فريدة من القصص. والاسم لا ينطلق على مكان معين في وسط القاهرة القديمة بقدر ما يتحدث عن بستان واسع يمتد من المحيط إلى الخليج، وقصص المؤلف سواء جاءت من الواقع العربي أو الواقع المصري تؤكد حقيقة واضحة هي أن ما كان استثنائيا بل مستحيلا في كل أنواع الخيال الأدبي القديم قد أصبح عاديا ومألوفا في الواقع وإن لم يكن كذلك في وجدان الكاتب ولا وجدان أي واحد من القراء.

□□□



الكتاب : الحصار «رواية».
المؤلف : فوزية رشيد «البحرين».
الناشر : دار سينا للنشر - القاهرة.

الرواية الثانية للكاتبة البحرينية فوزية رشيد؛ سبق أن نشرت روايتها الأولى بعنوان «تحولات الفارس الغريب في البلاد العارية» .. وتلجأ فوزية رشيد إلى الشعر وتقنيات الفن القصصي المعاصر: المنولوج الداخلي، تداخل الزمان والمكان، تعايش الماضي والحاضر ولكن ركيزتها الأساسية هي شديدة الحس وعاطفة دفاقة ... تتعذب بالفعل وتقتطع من ... قطعا تصنع منها قصصها.

□□□

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

مارس ١٩٩٤م

الطاغية

دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي

تأليف:

الدكتور إمام عبدالفتاح إمام

الكتاب ١٨٣

ت: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ص.ب. ٢٣٩٩٦ الكويت

إلى أن نلتقي

ضحايا و.. أبطال

«أنت لا تستطيع أن تكون ضحية في الشارع وبطلا في السرير» العبارة أطلقها عميد الأطباء النفسانيين في البرازيل «موسير كوستا» الشهر الماضي، تعليقا على استبيان طرحته وزارة الصحة بالمشاركة مع وزارة الداخلية، وكان هدف الاستبيان معرفة مدى تأثير الأزمة الاقتصادية وأحداث العنف التي ترتكبها العصابات في الشارع على الحياة الجنسية لدى المواطنين، وبالتالي على مستوى الخصوبة لديهم.

وتبين، نتيجة لهذا الاستبيان، أن معدل تواصل الأزواج مع زوجاتهم قد انخفض من ٥ مرات أسبوعيا، قبل عقد من الزمن، إلى معدل وسطي لا يزيد على مرة و«نصف» في الأسبوع.

وتوقع أصحاب الاستبيان انخفاض نسبة الولادة في السنوات المقبلة، مقابل ارتفاع عدد المرضى الذين يلجأون للعيادات النفسية.

وهذا الربط بين «الفحولة» وبين الشعور بالأمن والحرية ربما يكون قاعدة علمية تستحق منا أكثر من وقفة.

في الهند مثلا هناك طائفة من الناس تولد في مواسير المياه الأسمنتية، وتتزوج فيها، وتلد فيها، و.. تموت فيها، ولا أعرف إذا كانت تلك المواسير الهندية تمنح من الأمن لساكنيها أكثر مما تمنحه بعض أنظمة الحكم البوليسية، ففي نهاية المطاف هناك برلمان في الهند، يقوم على مبدأ الانتخاب الحر، وربما كان هذا المبدأ وحده يثير في الهنود «فحولة» مميزة، لا تعرفها إلا الأمم الديمقراطية.

أما في الصين حيث يعيش المرء على حفنة من الأرز يوميا، فإن الحكومة تبذل جهودا كبيرة وتسن عقوبات صارمة لمنع المواطن من إنجاب أكثر من طفل واحد، ومع أن الصين يحكمها الحزب الواحد، إلا أنه ربما كان في عدد السكان الذين يزيدون على مليار و ٢٠٠ مليون نسمة، يتوزعون على مساحات شاسعة من الأراضي، ولكنهم يعيشون في ظل دولة واحدة، متساوين في الحقوق والواجبات من دون حروب أهلية، عرقية أو دينية.. ربما كان في وحدة تلك البلاد وكثافة سكانها ما يمنح المواطن فيها فحولة تجهلها الجماعات المتحاربة داخل الوطن الواحد.

أما في وطننا العربي، فإن هناك نموذجين على الأقل يؤكدان صحة هذه القاعدة، الأول في العراق، حيث دعا حاكم نظام بغداد شعبه إلى ضرورة زيادة المواليد، وهي دعوة تكشف عن مدى العقم الذي يمكن أن يصيب الإنسان في ظل القمع والاستبداد وانعدام الأمن، أما الثانية فهي دعوة السلطان قابوس المواطنين إلى تحديد عدد أفراد الأسرة بخمسة بدلا من سبعة أفراد، وهو ما يكشف عن فحولة إضافية لدى أهلنا في عُمان نتيجة للشعور بالأمن و.. الحرية.

... وتبقى سلبية واحدة لهذه القاعدة الذهبية، وهي أن بعض فرسان السرير تضيق بهم الساحة المحلية فيوسعونها باتجاه الشرق الأقصى. □

أنور الياسين

شوال ١٤١٤هـ - أبريل (نيسان) ١٩٩٤م

العربي

AL-ARABI APRIL 1994



تركيا

لوحة البحار الأربعة

• هل هناك حقا أدب مهجري؟


اختيارك.. حتماً لدينا


السيارات

العدد ٤٢٥ السنة السابعة والثلاثون - أبريل ١٩٩٤

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

تأسست عام ١٩٥٨
رأس تحريرها:
د. أحمد زكي (١٩٥٨-١٩٧٥)
أحمد بهاء الدين (١٩٧٦-١٩٨٢)

رئيس التحرير
د. محمّد الرميحي
مدير التحرير
أنور الياسين

عنوان المجلة

العربي

ص ب ٧٤٨ - الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13008.
مبنى وزارة الإعلام رقم (٢) شارع الصحافة - الشويخ
تلفون ٤٨٤٥١٣٤ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢
فاكس التحرير ٤٨٤٢٢٥١
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI

A Cultural Monthly Arabic Magazine
in Colour Published by: Ministry of
Information - State of Kuwait.
Issue No. 425 April. 1994.
P.O. Box: 748 Al Safat Kuwait.
Tel: 4845134 - 4844164 - 4847582
Fax.: 4842251

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: **قسم الاشتراكات — الإعلام الخارجي**
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك
بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً باقي دول العالم ١٠ د.ك أو ٤٠ دولاراً

SUBSCRIPTION: ALL COUNTRIES $ 40, OR THE EQUIVALENT

ثمن نسخة

الكويت	٥٠٠ ملس	تونس	١ دينار	سوريا	٢٠ ليرة
الأردن	٥٠٠ ملس	الجزائر	٥ دنانير	الامارات	٧ دراهم
البحرين	٥٠٠ ملس	السعودية	٧ ريالات	المغرب	١٠ دراهم
مصر	٧٥ قرشاً	اليمن	٣٥ ريالا	ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	١٠٠ جنيه	قطر	٧ ريالات	أوربا:	جنيه استرليني ونصف
موريتانيا	١٢٠ أوقية	سلطنة عُمان	٥٠٠ بيسة	فرنسا	٢٥ فرنكاً
		لبنان	١٥٠٠ ليرة	أمريكا	٣ دولارات

PRICE: USA $ 3 -U.K. £ 1.50- FRANCE 25 FF. OTHER COUNTRIES: THE EQUIVALENT

طبع بمطابع الوطن بالكويت

عزيزي المحرر

راجعات

٣ سنوات من التحرير

□ .. رئيس التحرير

.. أثار مقالكم «حتى لا تموت فاطمة مرة أخرى» المنشور في العدد «٤٢٣» فبراير ١٩٩٤ في النفس شجونا، بعد ثلاث سنوات على تحرير الكويت من احتلال غادر أصاب فكرة «الوحدة العربية» التي حلمت بها أجيال عديدة في مقتل.

إن هذا الاحتلال الذي كبّد الأمة العربية ما يقارب من ٦٥٠ مليار دولار قد أنهكنا نفسيا ومعنويا أيضا، بعد أن شق الصف العربي وأهال التراب على ما يسمى بأسس الدم والجوار واللغة الواحدة، التي طالما بحّ صوت المخلصين من مفكري هذه الأمة لتأكيدها.

فبعد هذه المغامرة البشعة لذلك المقامر بأرواح شعبه وإمكانات أمته، أصبح الحديث عن التضامن أو حتى المصالحة في ظل وجود أمثال هذا الديكتاتور، أمرا أقرب إلى التسرع منه إلى الحكمة والمنطق.

مازن أحمد السويدي

ميت سلسيل ـ دقهلية/ مصر



إشكالية النساء والسلطة

□ .. رئيس التحرير

.. قرأت مقالكم المنشور في العدد «٤٢٢» يناير ١٩٩٤ بعنوان «إشكالية النساء والسلطة»، وأود أن أشير هنا إلى أن وضع المرأة في بلادنا يختلف عنه عند الغرب، فهذه أوربا وأمريكا تعاني المرأة فيهما من الذل والهوان، ورغم ذلك أود أن أسأل ماذا فعلت الدول العربية أو الإسلامية بعد ذلك، هل صنعت صاروخا أو مدفعا أو قنبلة نووية؟! هل صنعت سيارة أو طائرة أو باخرة؟ وهل تقدمت الدول العربية في شيء حينما تحررت المرأة؟

ماذا يعنينا من ادعاءات الغرب في أن المجتمعات الإسلامية تميل إلى قهر المرأة وإبقائها خلف الحجاب.

عجيب أمر الكثيرين من إخواننا العرب الذين يطالبون بكل ما يختص بالمرأة وكأنهم يريدون أن يجعلوها في متناول اليد مثل «الهامبرجر» وبثمن بخس، لماذا لا نطالب الأمة بالتصنيع وأقصد بالتصنيع «الأسلحة والطائرات والسيارات وغيرها» وليس مصانع البسكويت والحلوى وغسيل الملابس، أليس ذلك أجدى؟!.

عادل بن خالد الشريف

جدة ـ السعودية

*** المحرر: المقال كان رصدا لظاهرة يتحدث العالم عنها هذه الأيام، ففي الوقت الذي يتم فيه اتهام العالم الإسلامي بقهر المرأة، تصعد ثلاث نساء بطريقة الانتخاب الحر في تركيا وبنغلاديش وباكستان «٣٠٠ مليون نسمة» إلى سدة الحكم ولسنا ندري ما هي العلاقة بين هذا الواقع، وتحويل المرأة إلى «هامبرجر» كما تقول؟**

□ .. رئيس التحرير

.. أصابني مقالكم ...

«إشكالية النساء والسلطة» بغضب شديد، فوصول النساء الآسيويات الثلاث إلى حكم بلادهن، ليس يعني غض النظر عن عشرات النماذج من النساء اللواتي حكمن في مختلف مراحل التاريخ ولم يخلفن سوى الخراب والفضائح والقلاقل من ماري انطوانيت وكليوباترا، شجرة الدر، الإمبراطورة إيرين إلى زوجة تشاوشيسكو.

إن المشكلة أصلا هي أن المرأه أصبحت بلا هوية منذ أن فقدت دورها الذي خلقت من أجله.. وخرجت للعمل.

وكم كنت أتمنى لو كان مقالكم موجها لكل النساء كي يعدن إلى بيوتهن، وأطفالهن.

خالد مصطفى
ماجستير في العلوم الزراعية
الجيزة - مصر

□ **رئيس التحرير**

أعجبت جدا بمقالكم «إشكالية النساء والسلطة» والذي ...دتم فيه على مرونة الإسلام ...عظم وإتاحته الفرصة للمرأة كي ...شـ...ك الرجل في بناء المجتمع ...تط...ه.

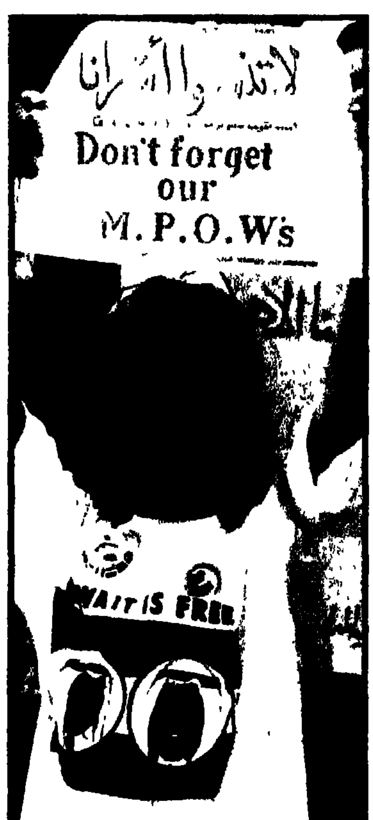
...رأة هي نصف المجتمع، فكـ... ...رك هذا النصف مهملا، ...يد ...لطاقات، أليس غريبا أن ...ض ...بعض المرأة بتعطيل عقلها ...ت الذي يحفل فيه العالم ...ت الفضاء والذرة ...ت؟.

محمد أديب عروس
اللاذقية - سوريا

لا تنسوا أسرانا

□ .. **رئيس التحرير**

.. وقع في يدي عدد سابق من مجلة العربي «أغسطس ١٩٩٣» وتألمت بشدة حين قرأت فيه استطلاعا عنوانه «الكويت ما زالت تصرخ: لا تنسوا أسرانا»، فوالله لم أكن أعلم قبل أن أقرأ هذا الاستطلاع أن هناك أسرى كويتيين يحتجزهم النظام العراقي بعد أن غزا أرضهم وأحرق آبار النفط فيها، ومارس أبشع أنواع الظلم ضد أهلهم، إنني أندهش حقا، فلم أتصور يوما أن يعتقل عربي ومسلم أخا له في العروبة والإسلام،



وأندهش أكثر لاستمرار هذا الاعتقال طيلة هذا الزمن الذي انقضى منذ تحرير الكويت.

إنني أدعو كل عربي شريف للتحرك من أجل إطلاق هؤلاء الأسرى، فالكويت عربية ومسلمة، وهي منا ونحن منها ولا يمكننا بأي حال السكوت عن هذا الظلم والمعاناة التي يتعرض لها أبناؤها في السجون العراقية، فالقضية إنسانية ولا بد من مساهمة كل الأيادي والقلوب الشريفة في توقف هذه المأساة.

عبدالرحمن زيتوني
ش علي برباش - عين الحجر
سطيف - الجزائر

سياحة فكرية في اللوفر

□ .. **رئيس التحرير**

.. استمتعت كثيرا بالرحلة التي اصطحبت فيها «العربي» قراءها في العدد «٤٢٢» يناير ١٩٩٤ إلى متحف اللوفر.

لقد كان استطلاعا ممتعا جدا بقدر ما منحنا سياحة فكرية رائقة، استطاع أن يثير انتباهنا إلى آثارنا المفقودة والتي تتناثر في متاحف الدنيا، لدرجة أن سدس محتويات متحف كبير كاللوفر هي من الآثار المصرية «الفرعونية» القديمة.

وكم كنت أتمنى لو تطرق د. محمد المنسي قنديل بتفاصيل أكثر للحديث عن مقتنيات هذا المتحف من الآثار الإسلامية.

عبدالناصر عبدالحميد
أخميم - سوهاج - مصر

عزيزي المحرر

راجعات

٣ سنوات من التحرير

□ .. رئيس التحرير

.. أثار مقالكم «حتى لا تموت فاطمة مرة أخرى» المنشور في العدد «٤٢٣» فبراير ١٩٩٤ في النفس شجونا، بعد ثلاث سنوات على تحرير الكويت من احتلال غادر أصاب فكرة «الوحدة العربية» التي حلمت بها أجيال عديدة في مقتل.

إن هذا الاحتلال الذي كبّد الأمة العربية ما يقارب من ٦٥٠ مليار دولار قد أنهكنا نفسيا ومعنويا أيضا، بعد أن شق الصف العربي وأهال التراب على ما يسمى بأسس الدم والجوار واللغة الواحدة، التي طالما بحّ صوت المخلصين من مفكري هذه الأمة لتأكيدها.

فبعد هذه المغامرة البشعة لذلك المقامر بأرواح شعبه وإمكانات أمته، أصبح الحديث عن التضامن أو حتى المصالحة في ظل وجود أمثال هذا الديكتاتور، أمرا أقرب إلى التسرع منه إلى الحكمة والمنطق.

مازن أحمد السويدي
ميت سلسيل ـ دقهلية/ مصر



إشكالية النساء والسلطة

□ .. رئيس التحرير

.. قرأت مقالكم المنشور في العدد «٤٢٢» يناير ١٩٩٤ بعنوان «إشكالية النساء والسلطة»، وأود أن أشير هنا إلى أن وضع المرأة في بلادنا يختلف عنه عند الغرب، فهذه أوربا وأمريكا تعاني المرأة فيهما من الذل والهوان، ورغم ذلك أود أن أسأل ماذا فعلت الدول العربية أو الإسلامية بعد ذلك، هل صنعت صاروخا أو مدفعا أو قنبلة نووية؟! هل صنعت سيارة أو طائرة أو باخرة؟ وهل تقدمت الدول العربية في شيء حينما تحررت المرأة؟

ماذا يعنينا من ادعاءات الغرب في أن المجتمعات الإسلامية تميل إلى قهر المرأة وإبقائها خلف الحجاب.

عجيب أمر الكثيرين من إخواننا العرب الذين يطالبون بكل ما يختص بالمرأة وكأنهم يريدون أن يجعلوها في متناول اليد مثل «الهامبرجر» وبثمن بخس، لماذا لا نطالب الأمة بالتصنيع وأقصد بالتصنيع «الأسلحة والطائرات والسيارات وغيرها» وليس مصانع البسكويت والحلوى وغسيل الملابس، أليس ذلك أجدى؟!.

عادل بن خالد الشريف
جدة ـ السعودية

*** المحرر : المقال كان رصدا لظاهرة يتحدث العالم عنها هذه الأيام، ففي الوقت الذي يتم فيه اتهام العالم الإسلامي بقهر المرأة، تصعد ثلاث نساء بطريقة الانتخاب الحر في تركيب وبنغلاديش وباكستان «٣٠٠ مليون نسمة» إلى سدة الحكم ولسنا ندري ما هي العلاقة بين هذا الواقع، وتحويل المرأة إلى «هامبرجر» كما تقول؟**

□ .. رئيس التحرير

.. أصابني مقالكم - ...

«إشكالية النساء والسلطة» بغضب شديد، فوصول النساء الآسيويات الثلاث إلى حكم بلادهن، ليس يعني غض النظر عن عشرات النماذج من النساء اللواتي حكمن في مختلف مراحل التاريخ ولم يخلفن سوى الخراب والفضائح والقلاقل من ماري انطوانيت وكليوباترا، شجرة الدر، الإمبراطورة إيرين إلى زوجة تشاوشيسكو.

إن المشكلة أصلا هي أن المرأة أصبحت بلا هوية منذ أن فقدت دورها الذي خلقت من أجله.. وخرجت للعمل.

وكم كنت أتمنى لو كان مقالكم موجها لكل النساء كي يعدن إلى بيوتهن، وأطفالهن.

خالد مصطفى
ماجستير في العلوم الزراعية
الجيزة - مصر

☐ **رئيس التحرير**

أعجبت جدا بمقالكم «إشكالية النساء والسلطة» والذي كدتم فيه على مرونة الإسلام عظم وإتاحته الفرصة للمرأة كي شـ لك الرجل في بناء المجتمع نهـ ره.

المرأة هي نصف المجتمع، كـ تترك هذا النصف مهملا، الطاقات، أليس غريبا أن البعض المرأة بتعطيل عقلها الوقت الذي يحفل فيه العالم بـات الفضاء والذرة ت؟.

محمد أديب عروس
اللاذقية - سوريا

لا تنسوا أسرانا

☐ .. **رئيس التحرير**

.. وقع في يدي عدد سابق من مجلة العربي «أغسطس ١٩٩٣» وتألمت بشدة حين قرأت فيه استطلاعا عنوانه «الكويت ما زالت تصرخ: لا تنسوا أسرانا»، فوالله لم أكن أعلم قبل أن أقرأ هذا الاستطلاع أن هناك أسرى كويتيين يحتجزهم النظام العراقي بعد أن غزا أرضهم وأحرق آبار النفط فيها، ومارس أشنع أنواع الظلم ضد أهلهم، إنني أندهش حقا، فلم أتصور يوما أن يعتقل عربي ومسلم أخا له في العروبة والإسلام،



وأندهش أكثر لاستمرار هذا الاعتقال طيلة هذا الزمن الذي انقضى منذ تحرير الكويت.

إنني أدعو كل عربي شريف للتحرك من أجل إطلاق هؤلاء الأسرى، فالكويت عربية ومسلمة، وهي منا ونحن منها ولا يمكننا بأي حال السكوت عن هذا الظلم والمعاناة التي يتعرض لها أبناؤها في السجون العراقية، فالقضية إنسانية ولا بد من مساهمة كل الأيادي والقلوب الشريفة في توقف هذه المأساة.

عبدالرحمن زيتوني
ش علي برباش - عين الحجر
سطيف - الجزائر

سياحة فكرية في اللوفر

☐ .. **رئيس التحرير**

.. استمتعت كثيرا بالرحلة التي اصطحبت فيها «العربي» قراءها في العدد «٤٢٢» يناير ١٩٩٤ إلى متحف اللوفر.

لقد كان استطلاعا ممتعا جدا بقدر ما منحنا سياحة فكرية رائقة، استطاع أن يثير انتباهنا إلى آثارنا المفقودة والتي تتناثر في متاحف الدنيا، لدرجة أن سدس محتويات متحف كبير كاللوفر هي من الآثار المصرية «الفرعونية» القديمة.

وكم كنت أتمنى لو تطرق د. محمد المنسي قنديل بتفاصيل أكثر للحديث عن مقتنيات هذا المتحف من الآثار الإسلامية.

عبدالناصر عبدالحميد
أخميم - سوهاج - مصر

عزيزي المحرر

د واقتراحات

إشـــــادة من الصين

□ .. رئيس التحرير

.. أود أن أعبر لكم عن إعجـابي الشديـد بالأعـداد الأخيرة للعربي، فهذه الأعـداد شهدت قفـزة نوعيـة كبيرة في الشكـل والمضمــــــون، وسـاهمت في ريـادة ارتبـاطنـا بهذه الموسوعة العربية الممتازة.

إنني أتـابع العربي بـانتظام ومنـذ فترة طــويلــة، ولكنـي أكتب لكـم الآن.. لأحييكـم وأدعـــــو لكـم بالنجاح والتقدم.

سليم ليو يوان بي
القسم العربي لإذاعة الصين الدولية
بكين - الصين
رمز بريدي ١٠٠٨٦٦ تليفون ٦٠٩٢٥٥٥

المحرر : أهلا وسهلا بك، وترجو العربي أن تظل محل ثقتك وثقة القراء الأعزاء، وبـالنسبة لـلإجابـات التي أرسلتهـا والخاصـة بمسابقـة العـدد «٤١٤» فقـد وصلت متأخرة جـدا، نرجـو متابعـة إرسال الحلـول عقب وصول الأعداد إليك مباشرة.

العربـــي الصغـــير

□ .. رئيس التحرير

توجـد في مكتبتنا جميـع الأعداد التي صـدرت من مجلـة «العـــربي الصغير» إلى جـانب الملاحق التي كانـت تصدرهـا «العربي» شهـريا وتتعلق بـالطفل. وقـد انتظـرنـا طـويـلا عـــودة «العـربي الصغير» للصـدور، ولكن انتظـارنـا طـال، لـذلك فإننـا نناشـدكم الإسراع بإصـدارها، فقـد كانت تشكل لنـا زادا ثقافيا لا غنى عنه.

الأشقاء: لمامة / لانة / لونة
حسان أسامة رجوب
حمص - سوريا/ ص.ب ٢٤٨٩

العربـــي في المهجر

□ .. رئيس التحرير

.. بدأت عـلاقتي بمجلـة العربي في أواخـر السبعينيـــات واستمـرت بانتظـام حتى انتقالي للغربـة في نهاية الثمانينيـات فكــان الانقطـاع، حتى عـدت والتقيتها في غـربتي وكـ ت فرحتي بذلك كبيرة.

والآن أنتهز هذه الفرصة، لأ... جهود القائمين على هذه المجلة ... ظلت نافذة الإنسان العربي أينم... على تراثه الباهر وثقافة عصره

عباس علي مراد
ARNCLIFE 2205 N.S.W
SYDNEY - AUSTRALIA

ترجـو المجلة مـن كتابها في مصر والــــذيـن تنشر مقــالاتهم في العـــــربي الاتصال بالمركـز الإعلامي في القـاهــرة ١٠٦ شـارع قصر العيني، عمارة كـايرو سنتر، لتسلم مكافآتهم بعد نشر المقالات.

تأمل العـــربي من جميع كتـــابها أن يـرفقـــوا مع مقالاتهم الاسم الثلاثي مع العنـوان البريـدي الكـامل ورقم الفـــاكس إذا أمكن وذلك تسهيـــلا لمهمـــة الاتصال والمراجعة.

عات سريعة

الأصدقـاء : محمـد النذيـر عمر «كـانـو / نيجيريـا»، محمـد فضل الرحيم المجددي «جامعـة الهداية / الهند»، إبراهيـم السالم «القامشلي / سـوريـا»، حسين أحمد العـوى «القطيف / السعودية».

يسعـدنـا تـواصلكم مع العربي وأهلا وسهلا بكم.

الأصدقـاء . من الجزائر: محمد التاجر بلخير - ولاية الجلفة، يعقوب حشـاني - حي بـاب سعـد، محسن معمري - ورقلة، عاصي سعيد - مسعد، محمد حوكو بن السعيد - ولايـة جيجل، الـزهـرة يلمداني - ولاية غـراوية، طويل بـن يوسف - معسكر، ياسين عبـاس - الرابطة الوطنيـة للطلبة، التاجر سخرى - ولاية بسكرة.

يسألـون عـن كيفيـة الاشتراك في المجلـة والحصـول على أعـدادها ونقول لهم إنه لأسبـاب خارجـة عن إرادتنا لا توزع العربي بالقطر الجزائري، لكـن يمكنهـم الا... عن طـريق حوالـة مصرفيـة أو شيك بـالـدينـار الكـويتي بـاسم وزارة الإعلام.

الأصدقاء : منير السعدي «Sweden»، جمال الحيدري «Germany»، غسان الشامي «Italy».

للاشتراك في العربي يمكن الرجوع إلى الصفحة الثالثة من هذا العدد.

الأصدقاء : صديق محمد البلوشي «جدة / السعودية»، أحمد فرحات «ولاية فالمة / الجزائر»، الشربيني مجاهد «المنصورة / مصر»، غياث حوجة «حلب / سوريا»، محمد معتوق «الإحساء / السعودية»، رباب كيلاني «حماة / سوريا»، عبدالفتاح بن حمودة «كلية الآداب / جامعة تونس»، ممدوح رزق «المنصورة / مصر»، منى بن عبدالرحمن «الدار البيضاء/ المغرب»، حبيب حرب «كفرحاتا / لبنان».

أهلا وسهلا بكم أصدقاء، ومرحبا بما ترسلونه.

الصديق : بلي آدم باشر «ترهونة/ ليبيا»، تصلنا منك مع مطلع كل شهر عشرات الرسائل التي تحمل الشكاوى من عدم النشر، والعديد من «المحاولات» المطولة لكتابة الشعر، وبقدر ترحيبنا بالخطابات بقدر أسفنا لعدم التمكن من العثور على قصيدة واحـ ـدة تصلح للنشر، أو حتى محاو ـ نشتم منها أنك قد بذلت جهـ بكتابتها بشكل يمكن معه أن تنسـ إلى «الشعر»، خذ مثلا هذا البـ " من محاولتك المعنونة نجمة في سـ العمر»:

ماورد ر كوني سلاما وبردا

ـ الحياة روح وليس «روحان» ؟!

ـسن بك العودة لقراءة عيون

العـ ـعربي، وقبل ذلك قواعد

ـ ـصرف؟ □



وتريات

مفتتح الحريق

هذا فضاء ميت
والشمس تلهث في سباق
الانفلات
نسيت أمومتها
وباعت فرخها للريح
أنكرت البراءة في عيون الفجر
يتمت النهار
الشمس تعطي فرصة أخرى
لطير الليل كي يملي القرار
وأنا أسجل موقفي
لا الليل قديس
ولا القمر انتصار
***
أحلامي الحيرى على رأسي تفور
لم لا أسلم ناقتي للريح
قارعة المسير ؟!
ألأنني أرق الرمال / البيد ؟!
أم حلم النخيل ؟!
ألأنني لغة
تورثها السواقي للحقول ؟!
وقبلة أخرى
لنار العشق
والشعر الجحيم ؟!
ماذا يؤرخ صوتنا المذبوح
في وتر الربابة
للهلالي المحنط في الأغاني
والقصيد؟!
هذا ظلام عاثر الخطوات في درب
يطول
ماذا يخبيء ليلنا الموتور ؟
قنديلا ؟!
أم الشمس استقرت في ميامنها
ونامت في الأفول؟!
***
للشعر ميراث التوجس والحريق
فبأي فجر
سوف تشرق في القفار مدائني ؟!
وبأي أنباء تفيق ؟!
وشواهدي ...
الأرق المدلى
من سماء الموت
فوق صحائف اللغة / الذبول
«هذا جناه أبي عليّ»
وليس ما جنت المغول
فاهبط ببيدائي ..
صباح الخير
أو صنو النهار
فأنا أسجل موقفي
لا الليل قديس
ولا القمر انتصار
***

أحمد صلاح كامل
إدكو - مصر



صورة الغلاف:

□ تركيا.. لوحة البحار الأربعة طالع الاستطلاع [ص ٣٨ - ٥٥]

مكاتب العربي

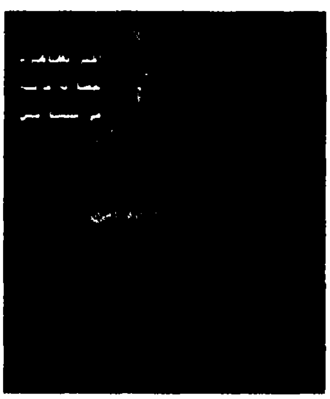
الكويت - وزارة الإعلام مبنى وزارة الإعلام رقم ٢ شارع الصحافة - الشويخ.
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة - الرمز البريدي 13008
هاتف ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢.
فاكس التحرير: ٤٨٤٢٢٥١
جمهورية مصر العربية: ١٠٦ شارع قصر العيني - مبنى كايرو سنتر الطابق الخامس - القاهرة - فاكس: ٣٥٥٤٩٠٦
هاتف: ٣٥٦٢٨٢٢ - ٣٥٤٦٨٦٩.
المملكة العربية السعودية: جدة، ص.ب ٤٥٥٦. رمز بريدي ٢١٤١٢
الجمهورية العربية السورية: دمشق، ص.ب ٣٣٣٠، تلكس: ٤١٩١٧٢، هاتف: ٣٣٧٥٦٠، فاكس: ٣٣١٠٧٩

محتويات العدد:

دب ولغة وفنون:



□ وجـه الـوجـه : عبدالعزيز الصرعاوي وعبدالله غلوم صالح [ص ٦٤]



□ سورية، ذاكـرة وحضارة. [ص ١٢٨]



□ الشباب والتربية الإسلامية [ص ١٠١]

منتدى العربي:

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي:

أبواب ثابتة:



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



□ سيدة البيت الأبيض

[ص ٧٠]

عزيزي القارىء

ربيـــــع آخــــــــــر

عزيزي القارىء...

يأتيك هذا العدد بينما الربيع يبلغ أوجه، عافية خضراء، ومهرجانا من الألوان، لكننا نخبىء لك ربيعا آخر بين صفحاتنا، عافيته أحد العقول العربية المتوقدة، وألوانه طيف واسع من ثقافات متنوعة يدخرها هذا العقل.

نحن إذن نحدثك عن الربيع العقلي، رغم أن الجسد قد يكون مثقلا بملامح الخريف. فعندما تبدى الدكتور شاكر مصطفى بخطوه المتمهل الوئيد، بين أروقة العربي، حف إليه محررونا الشبان كي يصحبوه إلى غرفة رئيس التحرير، وثمة همسات ترددت حينئذ تقول: «يا الله، كم كبر الرجل».. «لقد كبر الرجل». لكن، بعد أن ترك الرجل ـ للنشر ـ مقالته الموسومة «هل هناك حقا أدب مهجري»؟ تخطفت أيادي أسرة التحرير تلك الصفحات المكتوبة بخط جميل دقيق، بالغ الدقة، مما استدعى تكبير الصفحات لتتيسر قراءتها في مراحل الطبع المختلفة، وبعد أن تمت قراءة نص المقالة ترددت همسات أخرى تقول: «يا الله ما أصبى عقل الرجل، ما أشد فتوته».

فالمقالة تلك، وهي التي ستراها منشورة في عددنا هذا، إنما تمثل لمحة من فتوة العقل العربي وتألقه، أي ربيع هذا العقل. فالربيع الحقيقي يكمن في القدرة على الطلوع بالجديد، رغم ركام القديم وسيطرته، والمقالة في هذا الجانب تحمل قدرة ربيعية لا شك فيها، إذ إنها تشق ركام المسلمات التي اعتدناها طويلا في موضوع «أدب المهجر وشعر المهجر»، بل إن هذه المقالة تنسف هذه المسلمات، وتضعنا وجها لوجه أمام صورة جديدة تماما، جريئة وجذرية، فهل هناك ربيع أكثر فتوة من ذلك؟ إن خطورة سيطرة المألوف، والمعتاد، والذي تم اعتماده، على العقل العربي الحديث، إنما تشكل الحاجز الأكبر والأغلال الرئيسية التي تعوق هذا العقل، وتقعده عن النهوض للحاق بعصر يخضع فيه كل شيء للمراجعة، أو على الأقل إمكان المراجعة.

وملامح هذه المراجعة الواجبة في هذا العدد عديدة: فهناك استطلاعان يركزان على الثقافي والحضاري كمدخل صحيح للحوار الإنساني، أحدهما عن تركيا التي تمتزج على أرضها أزمنة شتى وتلتقي أماكن عديدة، والآخر عن سو[illegible] الذاكرة والحضارة كما جاء في احتفاء معهد العالم العربي بها ومراجعة لشوقي رافع عن «عصر الجنرالات»، [illegible] إلى ذلك هناك مراجعة للدكتور عدنان مصطفى في موضوع «الرعب الكهرونووي والجنوب»، ومراجعة [illegible] الحجي «حقيقة اليهودية» ومراجعة الدكتور رمضان بسطاويسي «أثر التكنولوجيا على الفن». ومن [illegible]ت المصادفات أن لوحة «الصرخة» المنشورة في عددنا هذا ضمن موضوع «صرخة غيرت وجه الفن» تمت [illegible] بعد إعداد الموضوع للنشر، ثم أذيع أن وسيطا طلب مليون دولار لإعادة هذه اللوحة. وقد يكون ذلك [illegible]كيد على أن المراجعة واجبة دائما.

[illegible]نا بتقدير هذه الروح، نتلامس مع جوهر الربيع، الذي نتمنى دوامه للعقل العربي، ونتمنى لك فيه ـ عزيزي [illegible]ـ الانتعاش والبهجة.□

«المحرر»

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

العودة إلى الله

«العودة إلى الله» هو اختياري لترجمة عنوان الكتاب الذي وضع له مؤلفه الفرنسي جيليه كيبل Gilles Kepel عنوانا أكثر إثارة هو «ثأر الرب»، والكتاب صدر بالفرنسية سنة ١٩٩١، ثم ترجم إلى الإنجليزية وصدر سنة ١٩٩٤. وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في تقديم الكتاب هنا

أولى الملاحظات الرئيسية التي تواجه الكتابة في مثل هذا الموضوع هي مشكلة «المفاهيم»، فإن كانت أقرب إلى الدقة وأكثر تأطيرا في اللغات الحية الأخرى فإنها في اللغة العربية قد تأخذ مستعملها إلى مداخل لا يريدها ولا يقصدها، إلا أن الأمانة العلمية تدعو دائما إلى أن نتقيد بما جاء به المؤلف في مفاهيم مثل «الأصولية» أو «التطرف» أو «الأسلمة» و«التمسيح» و«التهويد» «بمعنى العودة من جديد إلى هذه الأديان» من قبل معتنقيها.. وهذا الأمر يضعنا في نوع من التناقض، فإن كان مسلما فلماذا «العودة» إلى الإسلام؟ وإن كان مسيحيا فلماذا العودة إلى المسيحية؟ وإن كان يهوديا فلماذا العودة إلى اليهودية؟ المعنى بالطبع هي «العودة» إلى الأصول أو الرجعة المعاصرة «للأصول» كما يراها الجيل الحالي.

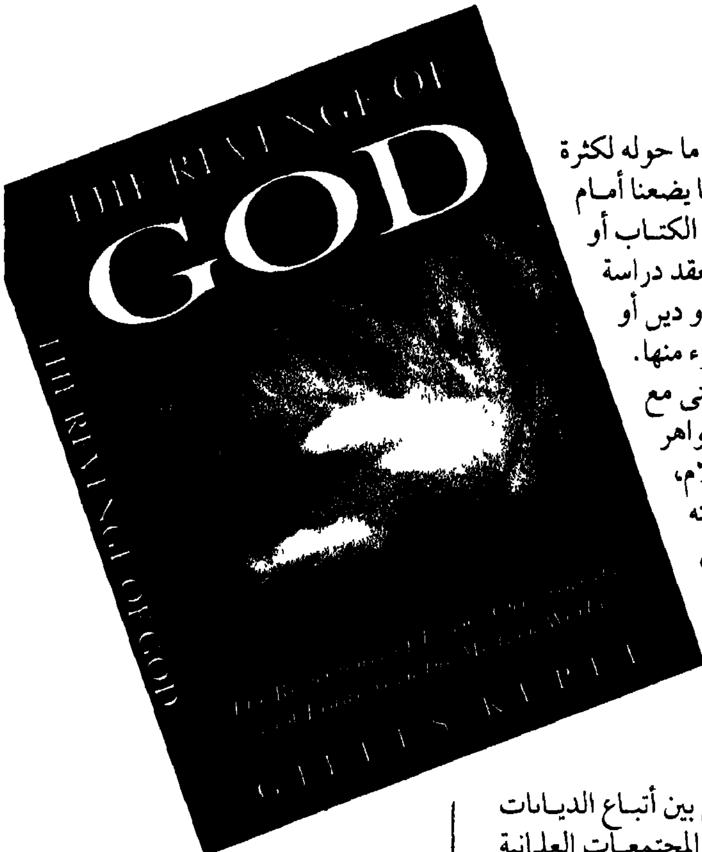
حسب ما هو متوافر فإن الكاتب يحاول تفسير العودة من جديد إلى الدين بشعائره وتطبيقاته على فترات زمنية متفاوتة قبل عصر الصناعة، وفي عصر الصناعة وما بعد الصناعة، وهي ظاهرة كما يراها الكاتب «عالمية» في كل الأديان ولها تماثلها في بعض الجوانب وخصوصياتها في جوانب أخرى.

وعرض الكتاب ومفاهيمه وانطلاقاته لا يعني إلا الإشارة إلى أهم ـته، وبالتالي لا يعني الإحاطة بما يريد، فهو كتاب يجلب لقارئه تداعيات ـثيرة ويطرح قضية من أهم قضايا العصر الفكرية والسياسية في عالم يـ ـوج بالمتغيرات والتبدلات، عالم السنوات الأخيرة من القرن العشرين، فبـ ـد سارت البشرية في تطورها خطوات كبرى، يعود الإنسان من جديد ـرى



نفسه «حائرا» يقلب بصره ويشحذ بصيرته ليتعرف على ما حوله لكثرة المتغيرات التي يواجهها كماً وكيفاً.. ولكنه كتاب أيضا يضعنا أمام مسئولياتنا، فليس من المهم أن نوافق على ما جاء في الكتاب أو نختلف معه، المهم أن يثير فينا ملكة التفكير، فهو يقوم بعقد دراسة مقارنة بين ظواهر عالمية ليست مقصورة على وطن أو دين أو ثقافة بل هي عالمية بشمولها، ونحن المسلمين والعرب جزء منها.

عودة ظهور الإيمان بالدين واتساعها في مجتمعات شتى مع ظهور المعاناة والصراع الاجتماعي والسياسي وبمقارنة ظواهر هذه العودة ومسبباتها في ثلاث ديانات سماوية هي الإسلام، والمسيحية، واليهودية هو محور الكتاب وموضوعه، ولكنه يدعي ــ دون أن يفعل ــ أن نفس الطواهر تنتشر في الهندوكية والشنتو والبوذية، فهي ظواهر تلخص «أزمة العصر».



□ غلاف كتاب العودة إلى الله

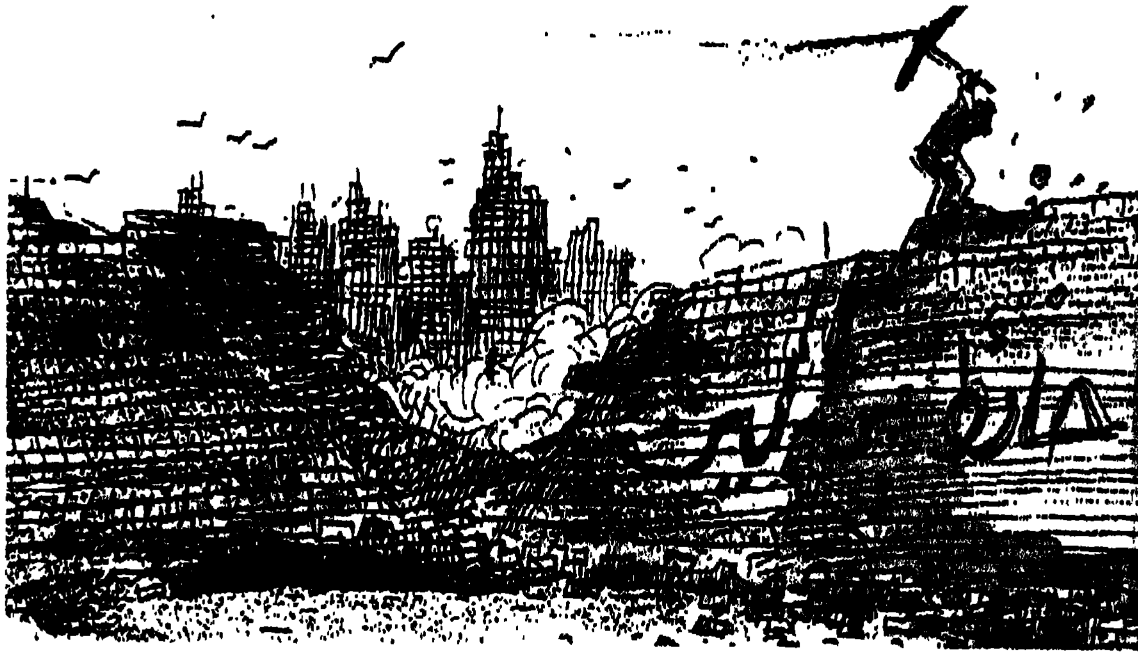
الأصولية في مواجهة العلمانية

ويفترض الكاتب أن هناك تماثلا في العودة إلى الدين بين أتباع الديانات السماويه الثلاث، فالجميع «يعارض» القيم التي أفرزتها المجتمعات العلمانية والتي أنجبت الليبرالية والديمقراطية والروح الفردية، وأن العودة إلى «الأصولية» في الديانات الثلاث قد استفادت من الشعور المنامي لدى جمهور واسع بعدم الرضا واستحالة التكيف مع الأيديولوجيات السياسية التي أفرزها القرن العشرون وسادت لفترة طويلة. ويعترف الكاتب أن هذه العودة في الديانات الثلاث وكل على حدة، هي ليست واحدة بل إنها حركات تتنوع في كل واحد منها، وتتعدد كألوان الطيف، فهناك حركات «ثورية» تريد التغيير «من أعلى» وهناك حركات دعوة «سلمية» ترغب في التغيير «من أسفل»، هناك من يريد القفز على السلطة لتغيير الواقع غير المرغوب، وهناك أيضا من يريد أن يستخدم المؤسسات التشريعية للوصول إلى أهدافه، وأخرى ترى أن دعوة الجماهير الى الطريق القويم وتحويل حياتهم اليومية إلى طريق الهدايه هو ما سوف يقود في النهاية إلى إصلاح المجتمع.

■ بعد أن سارت البشرية خطوات كبرى يعود الإنسان حائرا ليبحث عن كل ما حوله

قسمة الكتاب أنه ينظر إلى الظواهر هذه من منظور «محايد» وليس له موقف مسبق مع أو ضد، كما أنه يتابع بشكل تاريخي قريب إلى الدقة فترة الحضانة لهذه الحركات الداعية إلى العودة إلى الأصول والدين، وهي فترة حضانة قصيرة في بعض المجتمعات، وأطول نسبيا في أخرى، ولكنه بشكل عام يعتقد أن عقد السبعينيات من هدا القرن هو عقد التئام العلاقة بين الدين والسياسة، بعد انفصال بدا للبعض أنه نهائي ولا عودة عنه، بين الاثنين في العقود الأولى من القرن العشرين، نتيجة تراكمات طويلة سعى اليها فلاسفة التنوير منذ القرن «التاسع عشر» وأصبح تأثير الدين أو «نفوذه» على السياسة ضعيفا في السنوات اللاحقة للحرب العالمية الثانية، وانحصر تأثيره في المجتمعات على السلوكيات الفردية والعائلية، وفي مجتمعات أخرى «مثل المجتمعات التي تدعو إلى الشيوعية» انحسر الدين بعد أن حاربته الدولة التي تسعى إلى ... بل وأعلنت انها ملحدة أيضا إلى أقل نقطة ممكنة..

التوجه العام في فصل الدين عن السياسة الذي واكب الحداثة وانتصار التكنولوجيا الحديثة وأصبح يعرف بعنوان عريض اسمه «التقدم» كانت له



استهلاكية أنانية في الغرب، وإلى شمولية وقمع في الدول الاشتراكية وإلى فقر واضطهاد وحرمان في العالم الثالث.

المعارضة الاجتماعية / السياسية التي تبنتها الحركات الدينية ليست معارضة «ملحقة» أو «ذات ملابس صورية» لحركات قديمة حتى لو تماثلت مفرداتها بمفردات حركات سابقة كالحديث عن المضطهدين، والمضطهدين بمفهوم المستضعفين والمستكبرين، إنما هي حركات ذات مفاهيم جديدة.

علامات مميزة

سنوات ٧٧، ٧٨، ١٩٧٩ شهدت تغيرا في التوجه لدى الحركات الدينية في الأديان الثلاثة، ففي مايو سنة ١٩٧٧ لأول مرة في تاريخ الدولة اليهودية ـ إسرائيل ـ يفشل حزب العمل الذي واصل حكم الدولة الإسرائيلية منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ لأول مرة في الحصول على أغلبية في الكنيست الإسرائيلي وأصبح مناحيم بيجن اليميني رئيس وزراء إسرائيل.

وصول تحالف الليكود اليميني إلى الحكم جاء على خلفية من نمو حركات يهودية في داخل وخارج إسرائيل تدعو للعودة «إلى اليهودية» والمفاصلة مع المجتمع العلماني وعدم الاختلاط بالآخرين «غير المؤمنين» والتي هي التهديد الأكبر «لشعب الله المختار» حركة العودة انتشرت بدرجات مختلفة وتستها فئات تيارات متدرجة في التعصب لدى الشعب الإسرائيلي، وأصبحت حركة «جوش أمونيم» وهي حركة تعني «جهد المؤمنين» هي العمود الفقري للتيارات اليهودية الدينية / السياسية المتعصبة، وقد ظهرت الحركة إلى العلن مباشرة بعد الحرب العربية / الإسرائيلية سنة ١٩٧٣، والتي اعتبرت «هزيمة نفسية لإسرائيل»، وتحولت هذه الحركة إلى حركة إرهابية من جهة وداعية إلى إقامة مستوطنات يهودية في الأرض المحتلة من جهة أخرى، داعية إلى تحويل مفهوم «دولة إسرائيل» إلى «أرض إسرائيل»، وقامت هي أو مجموعات

■ كان هدف التجديد في الفكر المسيحي هو إعادة النظام والأخلاق إلى مجتمعات انهارت فيها كل اليقينيات

■ تحولت الجماعات الدينية إلى مجموعات ضاغطة تهدف إلى التأثير على القرار السياسي

متعصبة أخرى مماثلة بالعديد من الهجمات الإرهابية على المدن والتجمعات الفلسطينية واستهدفت المؤسسات الإسلامية والعربية، ولعل المذبحة التي حدثت يوم الجمعة الخامس والعشرين من فبراير الماضي في الحرم الإبراهيمي والتي قامت بها عناصر من حركة «كاخ» اليمينية المتطرفة جزء من هذا التيار المتشدد، وبعد عشر سنوات من وصول الليكود الى الحكم تم في إسرائيل في ربيع ١٩٨٧ استطلاع رأي عن أفضل شخصيات إسرائيل منذ ١٩٦٧ «منذ حرب الأيام الستة» فكان مناحيم بيجن والحاخام موسى لينفجر ــ رئيس حوش أمونيم ـ على رأس القائمة.

في الجو الذي أعقب حرب ١٩٧٣ العربية / الإسرائيلية تساءلت قطاعات واسعة من اليهود في إسرائيل حول معنى وهوية اليهودية، والعديد من اليهود أعادوا حساباتهم بشكل نقدي حول شمولية التقاليد الصهيونية التي جاءت بهم إلى إسرائيل، والتي كان محتواها اشتراكيا / علمانيا، وكانت مسيطرة على السياسة الإسرائيلية في ذلك الوقت، وبدأت الأحزاب الدينية الإسرائيلية تستقطب أعدادا أكبر من الأنصار، وتراوحت في توجهاتها بدءا من الرفض القاطع «للصهيونية» حيث تتبنى أصولية مغرقة في الفهم الديني القديم، وجماعات تتبنى الاحتفاظ بأرض إسرائيل كما جاءت في التوراة لكنها جميعا رفضت مفهوم أن اليهودية انتماء بسيط ومباشر وهوية عامة ذات محتوى تحديثي، لقد صممت هذه التيارات والأحزاب على التمسك بالتقاليد اليهودية مع التشدد في فهم الذات، وممارسة الطقوس بحذافيرها، من أقل ما يقوم به الفرد في حياته اليومية تجاه جسده إلى تنظيم الحياة الاجتماعية. حركة العودة انتشرت بدرجات مختلفة ليس في إسرائيل فقط ولكن في التجمعات اليهودية في الخارج، وتحالف الدين والسياسة في إسرائيل للوصول إلى الحكم في سنة ١٩٧٧، وقد نجح.

إلا أن ذاك التحالف لم يستمر وخسر الليكود أغلبيته في سنة ١٩٩٢، ولكن تبقى الأحزاب الدينية اليهودية عنصرا مهما في التكوين السياسي الإسرائيلي لا تقوم حكومة الا بالتحالف مع بعضها على الأقل.



الأصولية المسيحية ضد الشيوعية والليبرالية

أما الحركة الأصولية المسيحية خاصة الكاثوليكية فقد سلكت طريقين في العودة من جديد إلى الدين، طريق محاربة الشيوعية في أوروبا الغربية والشرقية على السواء، والآخر محاربة «البرجوازية الليبرالية» في المجتمعات الغربية خصوصا، ولقد التبست هذه الدعوة في بعض شعاراتها مع شعارات يسارية، وبرزت مشكلة استخدام «المصطلحات» فهي في بعض الأوقات تعني استخداما معينا وفي بعض الأوقات الأخرى تعني المعنى المضاد تماما، فبعض الأحزاب الدينية تتبنى فكرة القفز

على السلطة من أجل صلاح المجتمع وهي بذلك تتبنى مصطلحات «ثور... أو «انقلابية» وبعضها يعمل لتشكيل مجتمعات من المواطنين المؤمنين، ال... يفاصلون بينهم وبين ملذات الحياة الدينية لينذروا حياتهم للرب، ومن... يصلح المجتمع.

هذه الحركات الأخيرة تنشط اليوم في الكاثوليكية والبروتستانتية، و... تشابها لها حركة «التبليغ» في الإسلام، هذه الحركات «الدعوية» تزداد ... الوقت ـ في الحجم والأهمية، ولأنها تعتمد الإنقاذ الشخصي والبعد عن تعاطي السياسة فهي عادة ما تترك لذاتها دون مضايقات من السلطة القائمة. هذه الدعوات بدأت لدى الأقليات التي تعيش في وسط ديني أكثر معـ يره. فقد بدأ اليهود في الولايات المتحدة وفي فرنسا بدرجة أكبر يحافظون على هويتهم من الذوبان خاصة في فرنسا ـ التي تسمح قوانينها الليبرالية بالذوبان ـ فقد أكدت الأقليات اليهودية تصميمها على الاحتفاظ بـ«الجيتو» فيها لأنه الأقرب إلى عزلهم عن المجرى العام، بل وصل بهم الأمر إلى إدانة «تحرير اليهود» بمعنى دمجهم في المجتمع، تلك الفكرة التي يدعو لها الليبراليون والمثقفون الفرنسيون، وكذلك حركة «التبليغ» التي نشأت بين المسلمين في الهند. وفي سبتمبر ١٩٨٧ عندما انتخب الكاردينال البولندي «كارل فوجتابل» ـ الشهير بيوحنا بولس الثاني ـ بابا جديدا في روما، قرر إنهاء مرحلة التردد والمراوحة التي تمثلت بتعاليم المجمع المسكوني الثاني ودعوته «الأجرامنتو» التي حاولت التوفيق بين التعاليم الكاثوليكية وقيم المجتمع العلماني، تلك الدعوة التي شوشت على عدد كبير من القساوسة الكاثوليك والتي حاولت أن تتخلل طقوسهم ببعض مظاهر الحداثة التي لم يكونوا يرغبونها أو يفهمونها.

لقد رصد يوحنا بولس الثاني الحركة الصاعدة للقساوسة من أهل اليسار

■ ما بين «تعريب» التعليم في الجزائر و«فرنسة» الوظائف تضاعفت أعداد العاطلين



والذين كانوا في مقدمة المتصدين للفساد والفقر خاصة في مجتمعات أمريكا اللاتينية التي كانت الصحافة تطلق عليهم لقب «القساوسة الحمر» والذين كانوا يعتبرون أنفسهم ضمير الكنيسة، رصد هذه الظاهرة وكيفها على أنها سوف تؤدي في نهاية المطاف إلى انتصار ليس لتعاليم الكنيسة بقدر ما هو انتصار للأفكار اليسارية والتي هي قد فشلت في أماكن أخرى في التطبيق خاصة مسقط رأسه «بولندا»، وأن انتصارها ولو المؤقت سوف يعزز من العلمانية والإلحاد المتمثل في المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية. إن القساوسة الحمر يتبعون نظرية السببية في الوقت الذي يجب أن يتجهوا فيه لإنقاذ البشرية عن طريق العودة إلى تعاليم الرب، تبنى يوحنا بولس الثاني نظرية معاكسة لذلك وهي الفصل بين العلمانية وبين تعاليم المسيحية، ويهدف من هذه الدعوة إلى إعادة النظام والأخلاق إلى مجتمعات ما بعد الحداثة خاصة بعد انهيار كل اليقينيات التي بنيت عليها.

في الغرب فرضت إعادة «الهيكلة الاقتصادية»، و«أزمة الطاقة»، و«اتساع البطالة» و«التلوث» و«سباق التسلح»، فرضت كل هذه الأزمات والمشاكل بعض التساؤلات حول مسيرة هذه المجتمعات، واهتز اليقين الذي كان مشروعا منه في المجتمع الصناعي، في الوقت الذي جلبت فيه ثورة المعلومات وشبكات التلفاز الدولية مستويات من القيم الأخلاقية لم تكن منتشرة بهذا القدر من قبل، وتهددت سلامة العائلة ووحدتها، وعلاقتها بالآخرين، وأصبح العديد من الأفراد عديمي القدرة على التأثير في مسار هذا التغير الكاسح. وفي أوربا الشرقية وبعد سقوط حائط برلين وانحسار الشيوعية وظهور مساوىء تطبيقاتها الإنسانية، حررت عقول الملايين من الأفكار القطعية الماركسية، كما حرر سقوط وتفكك الاتحاد السوفييتي العقيدة الكاثوليكية في بولندا، والإسلام في الجمهوريات الإسلامية، ففرض أول رئيس ووراء كاثوليكي في بولندا سنة ١٩٨٩. بولندا كانت أحد أهداف البابا بولس الثاني في دعوته لربط الكاثوليكية بالممارسة السياسية، والتنصير الثاني لأوربا. بعض رجال الكنيسة، وجدوا في هذه المظاهر الجديدة دليلا على «نهاية العصر الحديث» الذي بدأ منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر، والذي كان من نتائج فلسفاته المختلفة فصل الدين عن الدولة.

أحد الأسباب التي جعلت من الحركة الدينية في أوربا وفي الولايات المتحدة أقل تأثيرا في المجتمع، هو ممارسة الديمقراطية والتي تتيح مجالا للنشاط السياسي الذي يعطي فرصة أكبر للتيارات المختلفة، ويكون للتيار الديني موقف تنافسي وليس قطعيا حول حلول للمشكلات الاجتماعية والنفسية السائدة في المجتمع.

■ الحركات الدينية أصبحت مثل الحركات السياسية لها قدرة أحادية لإظهار أمراض المجتمع

ا[illegible]صير الثاني لأوربا في نظر دعاته هو تقديم «أخلاق كاثوليكية» لعالم صا[illegible] بلا هدف، والأخلاقيات الوحيدة التي لها مستقبل هي الأخلاقيات الدي[illegible]

[illegible]دة المسيحية إلى أوربا هي ردة فعل على التشاؤم المنتشر حول مستقبل العا[illegible] الخوف من أن التقدم العلمي والتقني سوف يبعد سيطرة الإنسان على مقد[illegible]، وهو من جانب آخر رفض عبودية الإنسان للإنسان، ووضع مخلوق في م[illegible] الخالق.

[illegible]ان هو عبد الله فقط، والمسيحية الجديدة أو العودة إلى الدين تدعو إلى [illegible] الرجال والنساء اليوم مهددون بالعبودية، العبودية للمادة وآليات [illegible] والعرض والطلب، ولا توجد آلية لإنقاذهم إلا العودة إلى تعاليم

وتنظيما عن أصولها التي بدأت في زمان سابق كحركة الإخوان المسلمين
مصر ١٩٢٧، وكي نتتبع جذور الأصولية الإسلامية المعاصرة لا بد
العودة إلى الستينيات عندما حصلت العديد من الدول العربية والإسلا
على استقلالها وكانت حركات التحرر قد جنبت الحكام الجدد أي تعقيد
عن طريق تغطية أو التقليل من مخاطر الصراع الاجتماعي بالصراع
المستعمر، فقد كانت النخبة الحاكمة تدعو إلى الحداثة والتغيير استناداً إلى
قاعدة الشرعية الثورية بسبب دورهم في الصراع ضد المحتل. ولكن المشاكل
بدأت عندما فشلت هذه النخبة في إدارة الاقتصاد والقفز خارج حلقة الفقر،
بل وورطت نفسها في صناعات ثقيلة غير ناجحة، امتدت من صفاف النيل إلى
عمق الصحراء، في الشمال الإفريقي ولقد مهد فشل النخبة العسكرية
والسياسية ـ على الرغم من كل التجارب التي قامت بها ـ لظهور الحركات
الإسلامية السياسية. ولعل مصر والجزائر وهما من أكثر الدول العربية معاناة
لمشاكل التطرف، تعطينا صورة لبعض أسباب انتشار هذه الظاهرة ففي
الجزائر عندما كانت الفرنسية هي لغة التعليم الجامعي كان الطابع اليساري
غالبا على الاتجاهات الفكرية، وجاء تعريب الجامعات كي يخرج أعدادا كبيرة
من الطلاب الذين تواجههم مشكلات الوظائف التي لم تتخلص بعد من
الآثار الفرنسية، وما بين «تعريب» التعليم، و«فرنسة» الوظائف تراكمت
أعداد كبيرة من العاطلين كانت وقودا مناسبا لحركات التطرف.. وفي مصر
ساعدت بعض الجهات الحاكمة في صعود الجماعات الدينية المتطرفة حتى
تقف في وجه اليسار الجديد الذي كانت موجاته تغمر الجامعات المصرية في
السبعينيات، وكانت النتيجة ـ بعد أن ضرب اليسار ـ أن انفردت هذه
الجماعات المتطرفة بالساحة وبدأت تمارس دورها الإرهابي.

إلا أن عقد السبعينيات جاء بالحركة الإسلامية إلى وسط المسرح السياسي
من ماليزيا حتى السنغال، ومن ضواحي المدن الأوربية ذات التجمعات
الإسلامية حتى الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق، يلاحظ
الكاتب الظن الخاطىء لبعض الكتاب الغربيين أن العودة إلى الإسلام هي
ظاهرة صورية وشكلية، فهو يعتقد أنها تمثل ـ كمثيلتها في الغرب ـ الطلاق في
النظرة والدافع مع العلمانية الحديثة والتي تحملها هذه الحركات كل أسباب
تخلف المجتمعات الإسلامية وفي العالم والتي من مظاهرها عدم المساواة
الاجتماعية والاضطهاد والبطالة المزمنة والفساد الواسع.

عدد كبير من أعضاء هذه الحركات مؤهلون تأهيلا عاليا خاصة في العلوم
التطبيقية والبحثية، وهم يهدفون إلى فصل التقنية المتطورة الحديثة والتي
يرغبون في فهمها والسيطرة عليها وتسخيرها، يفصلونها عن قيم العلمانية التي
يستبدلون بها قيما نابعة من تعاليم الدين، قيما فرضها الله.

في العالم الثالث ككل في جل سنوات القرن العشرين، وخاصة بعد الحرب
العالمية الثانية، نظرت قطاعات من أبناء هذه البلدان المنبهرة بالحداثة إلى الدين
على أنه معوق للتقدم، أي معوق للتحديث من أجل التصنيع و عصـ
واستنفار المجتمع خلف قياداته الجديدة. إلا أن هذه الفكرة لم تكن سـ دة في
جميع الأحيان والأماكن، فقد كان هناك احتياج للدين لتحفيز الرأي العام
الشعبي ضد المستعمر، واستخدام الشعور الديني ولو لفظيا كسلاح بيد
«التقدميين» المطالبين بالاستقلال، فهو يوحد المواطنين، ويبرز الهوية الـ طنية
إلا أن هذا الاستخدام ظل في إطاره المنفعي لدى الوطنيين والقوميين، حـ ـ
يصل هؤلاء إلى سدة الحكم حتى يزجوا بالدعاة في السجون. و ـ سرك



ال سياسية / الدينية التي واكبت القوى الجديدة في طريق الاستقلال سرعان ما يضطهد أو تحطم، عبدالناصر مثال واضح فقد استفاد من حركة الإخوان المسلمين في مصر، وأحل حتى حلهم كحزب سياسي، ولكنه سرعان ما أطاح بهم، ولم تقم لهم قائمة فكريا الا بعد ١٩٦٧ سنة هزيمة النظام الناصري بها متبه، ثم تنظيما بعد وفاته سنة ١٩٧٠.

التغييرات التي أصابت المجتمعات الحديثة في الربع الأخير من القرن العشرين، نوقشت نتائجها بتوسع وإسهاب، ولكن أسبابها ليست بالصرورة مدركة كليا بل تحتاج هذه الأسباب إلى دراسة وإعمال فكر.

إذا أردنا أن نأخذ هذه الحركات كما في ظاهرها على أنها حركات «منفعية» و حركات «أخلاقية» ففي كلتا الحالتين علينا أن نأخذ بجدية كل ما تدعو اليه هذه الحركات، ونتمحص الخيارات المجتمعية التي تريد بناءها، إن «التشوش» الذي تشعر به هذه الحركات ليس مقصورا عليها في عالم معالمه التي نعرفها تكاد تختفي ليظهر عالم آخر لم نتبين معالمه بعد.

افتراضات الكاتب، أن ما تقوله هذه الحركات وما تفعله له معنى وهي لا تنطلق من التخلص ومحاربة العقلانية والذرائعية والدنيوية، وهي ليست مكونة من قوى اجتماعية ضعيفة بل إن وجودها وانتشارها في حد ذاته شاهد عبر مشكوك فيه على وجود انحراف عميق في المجتمع، لا يمكن تفسيره بالصورة التي تعودناها تقليديا حسب التقسيمات المعروفة والموضوعة مسبقا.

أخذ هذه الحركات بالجدية كما يقول الكاتب لا يعني أن نقف مدافعين عن وجهة نظرهم أو تجعلنا نسارع لإدانتهم، بعض من يؤمن بهذه الحركات هو شخص تفتحت عيناه على مشكلات يواجهها، وهو ليس بالصرورة أن يكون عضوا في حرب إرهابي، العالم اليوم يترك العصر الصناعي الثاني خلفه، ويدخل عصرا جديدا تختلط فيه العلاقات الاجتماعية بالعلاقات الدولية وتتعقد هذه العلاقات إلى درجة يصعب فيها تصنيفها أو فصلها، وربما ظهور الحركات الدينية / السياسية تجعل من التصنيف أكثر قربا في الفهم - إنهم أبناء شرعيون لزماننا - ربما هم أبناء لعصر الكمبيوتر، والبطالة والانفجار السكاني وزيادة الأمية وسكنى المدن، ومدن الصفيح، والأحياء العشوائية. وشكواهم في السنوات الأخيرة من القرن العشرين أنهم يبحثون عن آبائهم وعن يقينهم.

مثل الحركات العمالية بالأمس الحركات الدينية السياسية اليوم، لها قدرة حادية لإظهار أمراض المجتمع، والتي هي عندهم لها تشخيص محدد، هذا التشخيص يظهر فكرة العلاج التي علينا أن نختبرها ونتحقق منها.

دون أن نفعل ذلك فإننا نسير مع القائلين - دون إثبات أو نفي — إن القرن القادم سيكون إما قرنا دينيا أو عكس ذلك!.

***

وبعد..

هذا كتاب مشبع بالأفكار الجديدة، بعضها ناضج، وبعضها يحتاج إلى ... وتمحيص، مثقل بالدروس والعبر بقدر ما فيه من المعلومات ... لقد درس المجتمع من منظور جديد وفي صيرورة متحولة، مرتكزة ... عودة إلى الله في ديانات سماوية ثلاث فيها من الاختلاف وفيما بينها من ... والتسامح ما يحتاج إلى توافق، ولكنه تعبير عن قناعة بحث عنها ... المثقفون، قناعة البحث عن ثوابت ويقين جديد في عالم متغير وعلى ... قرن جديد..□

محمد الرميحي

■ تحتاج أسباب التغييرات التي أصابت المجتمعات الحديثة إلى دراسة وإعمال فكر.

اتفاقية غزة ـ أريحا مرة أخرى

كيف تفكر إسرائيل استراتيجيا؟

بقلم أمين هـــويـــدي

إسرائيل دائما تفكر وتفكر وتفكر ثم تضع ما تفكر فيه على الأرض لرسم الأمر الواقع دون إعلان، فمن أهم نظرياتها الأمنية أن «الضم دون إعلان أفضل كثيرا من الإعلان دون ضم

هذا الكلام الذي بدأنا به المقال كلام ثقيل و«نشاز» وسط أحاديث «السلام» و«السوق الشرق أوسطية» واللقاءات العلنية والسرية التي تتم بين الأطراف المختلفة هنا وهناك في محاولات شرسة لتطبيق ما تم التوقيع عليه في اتفاقية ١٣ سبتمبر / أيلول ١٩٩٣، وقد يدهش الكثيرون للمشاكل التي تثيرها إسرائيل بعد التوقيع في البيت الأبيض، فما كان يجوز أن يحدث ذلك، ولكن الفكر الإسرائيلي لا يجد أي تناقض بين توقيع أي اتفاق ثم المناقشة حوله بعد ذلك منطلقا من الاتجاهات الآتية:

ـ الفصل بين الاتفاق السياسي الذي يتم وبين الضمانات الأمنية التي يتحتم توافرها عند التنفيذ، الأمر الذي يدعوها إلى عدم وضع خط فاصل بين الحدود السياسية والحدود الآمنة، وبذلك تعطي لنفسها حق فرض ترتيبات معينة داخل الحدود السياسية للدول المجاورة، ففي اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ بين إسرائيل ومصر لم يكن هناك خلاف حقيقي على الحدود السياسية الدولية، ولكن كان الكلام عن الحدود الآمنة التي استقر الرأي على أن تبدأ غرب قناة السويس بمسافة ١٥ كم، وفي المسافة بين الحدود الآمنة والحدود السياسية حددت القوات المصرية من ناحية العدد والنوع وأوجدت قوات متعددة الجنسيات ومحطات إنذار في جبل الراحة واتفاقيات خاصة بدخول الإسرائيليين إلى سيناء وغير ذلك.. وكذلك الحال مع اتفاقية ١٣ سبتمبر (أيلول) بين الإسرائيليين والفلسطينيين، فقد تم الاتفاق على منطقتي غزة وأريحا لبدء تجربة الحكم الذاتي، وهذا اتفاق سياسي، لكن بعد ذلك تبدأ ترتيبات وجود المستعمرات وإعادة نشر القوات والسيطرة على الطرق وكيفية الدخول إلى المناطق المتفق عليها سياسيا والخروج منها وإعادة نشر قوات جيش الدفاع الإسرائيلي، بل تعطي إسرائيل نفسها الحق في اختراق الحدود السياسية للدول المجاورة في نطاق ما تحدده لحدودها الآمنة، ويتم ذلك أفقيا كعملية غزو لبنان وإقامة الشريط الأمني في الجنوب، أو رأسيا كضربها المفاعل «أوزيراك» بالقرب من بغداد في ٧ يونيو (حزيران) ١٩٨١. أو عملية «البرق» التي قامت فيها القوات الإسرائيلية الخاصة بالإغارة على مطار «عنتيبي» في «كمبالا» عاصمة أوغندا يوم ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٦.

ـ المقياس المعترف به للأمن الإسرائيلي يعتمد على عاملين:

الطبوغرافيا Topography أي الجغرافيا من طرق العسكرية.



والقوات المتضادة Correlation of Force.

وبمرج العاملين بقواعد حسابية دقيقة تتقرر لترتيبات الأمنية لإعطائها على سبيل المثال أطول فترة بدار ممكنة أو تتيح لها خطوطا دفاعية تتحكم في طرق قتراب القوات المعادية برا وجوا وبحرا، ولا دخل لاعتبارات الرأي العام أو القرارات الدولية أو الضغوط الخارجية على اتخاذ القرار، فالأمن الإسرائيلي المطلق Complete Security لا يخضع لأي اعتبار.

ويترتب على ذلك عدم احترامها للتوقيتات المتفق عليها «فهي غير مقدسة» كما يقول إسحاق رابين، والذي يحدد التوقيت هو الاتفاق على ترتيبات الأمن، ما قبل ذلك فمستحيل ويترتب على ذلك أيضا طول سوق ـ الذي تستغرقه المباحثات ثم الدخول في عصر (ات دقيقة تدون في عدد ضخم من الأوراق، تشد تبادل مذكرتين بين الوفد الإسرائيلي والوفد عند سي لحل المشكلات بعد توقيع الاتفاق في ١٠٨ ورقا من كل جانب، وصرح شمعون بيريز في نفس سوق وهو يبتسم: «ما زال هناك طابور طويل من نشك ت يحتاج إلى اتفاق».

ـ ر تطبق إسرائيل التعامل على أساس التاريخ، ولكنها تتعامل على أساس الجغرافيا، فالتاريخ أمر مضى وولى، والتاريخ يتحدث عن الحقوق الضائعة وتاريخها علاوة على ذلك تاريخ أسود من حيث احتلال أراضي الغير وعدم احترام حقوق الإنسان وأنها أداة للغير تنفذ لهم استراتيجيتهم بالوكالة By Proxy، أما الجغرافيا فهي الأمر الواقع المفروض بالقوة ولا علاقة لها بالعدالة أو الحقوق المشروعة وهي فوق كل ذلك ـ أي الجغرافيا ـ الأداة الشرعية لاستخدام القوة الغاشمة، وهذه نقطة مهمة جدا تدفعها ـ كدولة معتدية ـ إلى الحرص على امتلاك القوة التقليدية وفوق التقليدية والنووية للحفاظ على ما استولت عليه عنوة، إلى جانب صناعة حربية تديرها مؤسسة صناعية حربية قادرة - Industry - Military Complex.

وبالنسبة لاتفاق غزة ـ أريحا أولا فإن هناك فروقا أساسية في المنطقتين من وجهة نظر الأمن الإسرائيلي، وعلينا أن نتذكر أن منطقة أريحا جزء من الضفة.

قطاع غزة: الدولة الوحيدة ذات الحدود المشتركة مع القطاع هي مصر التي ألغت حالة الحرب معها منذ أكثر من ١٠ سنوات، والتي تسيطر إسرائيل على منطقة

خطوط مواصلاتها Communication Zone (Cova Z).

هناك أربعة آلاف إسرائيلي فقط يقطنون في ٤ مناطق استيطانية يربطها بإسرائيل طريق واحد رئيسي وطرق فرعية، وفي أسوأ الظروف يمكن نقل هؤلاء إلى مناطق أخرى لصعوبة تأمينهم مع تعويضهم.

لا توجد أماكن مقدسة تثير أي نزاعات سياسية أو أمنية.

لا توجد مشكلة مياه مشتركة بين القطاع وإسرائيل.

ليست لها أي قيمة دفاعية.

الضفة الغربية: يوجد مائة ألف إسرائيلي شرق الخط الأخضر موزعين على عشرات المستوطنات التي يتعذر إخلاؤها، كما أنها تحتاج إلى خطة محكمة لإعادة انتشار القوات بحيث تضمن تأمين المستوطنين في كل الحالات.

في أريحا يوجد مثوى النبي موسى، وكذلك المكان الذي عمد فيه يوحنا المعمدان عيسى المسيح، وفي الضفة ككل توجد أماكن مقدسة أهمها القدس، وهي تسبب مشاكل إقليمية وعالمية.

مخزون المياه يشكل منابع رئيسية متنازعا عليها.

قيمتها الدفاعية حيوية من الناحية الاستراتيجية كما سيتضح بعد ذلك.



من هذا نرى أن إسرائيل يمكنها اعتبار منطقة غزة صالحة لتنازلات كبيرة تغطي على حتمية احتفاظها بضروريات استراتيجية في الضفة الغربية، وإن كانت منطقة أريحا من أقل المناطق في الضفة من ناحية مشاكل الأمن. فقطاع غزة والحالة هذه غير استراتيجي لا يساوي مشاكل الاحتفاظ به سياسيا، في حين أن الضفة الغربية تشكل ضرورة استراتيجية تستأهل الترتيبات الأمنية التي أقيمت والقيود السياسية التي سوف تتمسك بها. هكذا تفكر إسرائيل!!.

في أول لقاء بين الملك حسين والرئيس عبدالناصر بعد نكسة ١٩٦٧ وكان الملك حسين يتأهب للسفر إلى واشنطن لمقابلة الرئيس ليندون جونسون، نصح الرئيس عبدالناصر الملك حسين بأن يقبل أي شيء في سبيل استرداد الضفة الغربية، لأن استرجاع سيناء لن يشكل مشكلة، أما الضفة الغربية فهي مطمع لإسرائيل لن تتنازل عنه إذا ظلت هناك فترة طويلة.

فالضفة الغربية التي أطلقت إسرائيل عليها «يهودا والسامرة» وغيرت معالمها وأقامت المستعمرات فيها وبدلت في ديموجرافيتها لها علاقة كبيرة بالأمن الإسرائيلي، فالمرتفعات على نهر الأردن هي خط الدفاع الرئيسي لها من ناحية الشرق، فالمنحدرات الشرقية للهضبة تتحكم في المنحدرات الغربية للضفة الشرقية لوادي الأردن من ناحيتي المراقبة والنيران، وكذلك فإن سفوحها الغربية تحقق السيطرة من ناحيتي المراقبة والنيران على السهل الساحلي وطرق الاقتراب التي تسلكها أي قوات عربية من ناحية الشرق تنحصر في طرق خمسة أهمها الثلاثة التالية:

١ - الطريق الأول وهو الأقصر من بغداد - H3 - المفرق - الأردن، أو الانحراف إلى الرطبة قبل H3 - دمشق - الأردن.

٢ - الطريق الثاني من بغداد - أبوكمال - دير الزور - دمشق - الأردن.

٣ - الطريق الثالث وهو الأطول من بغداد - الموصل - دير الزور - حلب - دمشق - الأردن.

وواضح أن مرتفعات نهر الأردن تتحكم في نهاية هذه الطرق سواء من ناحية

قبة أو النيران كما تتحكم في الجسور المقامة على
ـر وهي جسر اللنبي الذي يصل إلى أريحا، وجسر
ت عبدالله الذي يصل إلى القدس، وجسر دانيا
الذي يصل إلى نابلس.

خطة آلون

ولتحكم الهضبة في الطرق والجسور كانت خطة يغال آلون التي تعتبر الأساس الذي قبلته أغلب الأحزاب الإسرائيلية ضمانا للأمن الإسرائيلي من ناحيه الشرق تقضي بالآتي:

ـ ضم المنطقة الممتدة بمحاذاة نهر الأردن وبعمق ١٥ كم عرضا.

ـ إنشاء ممر بين جسر اللنبي إلى أريحا حتى يتقاطع مع طريق الون الممتد على المحيط الغربي للمنطقة التي يصير ضمها، وهذا الممر يستخدم حلقة اتصال بين الأراضي التي ستعطى للعرب في الصفة العربية وبين الأردن.

في حين أن خطة شارون كانت تقضي بضم كل الضفة الغربية مع ترك جيب شمال رام الله والمرتفعات التي تبدأ جنوب نابلس حتى شمال جنين في أيدي الفلسطينيين.

وفي اعتقادنا فإن أساس الحل الذي يتمسك به الإسرائيليون ما لم تحدث ظروف غير مواتية لهم سوف يتمحور حول هذا الوضع مع تغييرات لا تمس الجوهر، فالهيكل العام هو محاولتهم تشكيل منطقة الحكم الذاتي على شكل جزر غير متصلة أو إذا اتصلت تكون عن طريق طرق يسيطرون على تحركات عليها كما تفتت كل جزيرة إلى جزر أصغر عن طريق وجود المستعمرات التي يلزمها قوات إسرائيلية للدفاع عن سكانها، ولذلك فلم يكن ...ر» بعيدا عن الصدق حينما قال «إن إسرائيل ... حويل غزة وأريحا إلى محمية هنود حمر، وهذا ... تماما من الفلسطينيين»، ولهذا السبب أيضا ... إسرائيل اقتراح المنظمة بأن تكون مساحة ... ٣ كيلومتر مربعا على أساس رسم خط طوله ... لى امتداد نهر الأردن وبعمق ١٠كم داخل ... يحا، إذ يوجد على خط الطول الجسور الثلاثة ... منطقة أريحا بالأردن، ولن نضيف هنا كثيرا



لأن للجسور تصورا آخر في الخلفية الاستراتيجية الإسرائيلية.

المعابر والجسور والمستعمرات

ينص الاتفاق على أن يكون الإشراف عليها فلسطينيا بحضور دولي وتنسيق إسرائيلي، إلا أن الجانب الإسرائيلي رفض ذلك متمسكا بحق الإشراف، فهي مفاتيح الدخول والخروج ولا بد أن تكون مفاتيح الأبواب في يد إسرائيل، وبذلك تصبح مناطق الحكم الذاتي «جيتو» أو قفصا كبيرا يعيش فيه الفلسطينيون، وعلاوة على ذلك يصر الإسرائيليون على أن تفتش قواتها كل العابرين من وإلى المناطق المحتلة في نقط تفتيش تخضع لسيطرتها الكاملة، ولم تقبل إسرائيل حتى الآن ألا يجري تفتيش سكان غزة وأريحا إلا بالكمبيوتر، كاقتراح المنظمة ولتضرب بذلك تصور إسرائيل لإدارة نقطة عبور رفح على الحدود المصرية:

ـ وجود معبر واحد تسيطر عليه إسرائيل.

ـ للمعبر مساران أحدهما لاستخدام الإسرائيليين والزائرين إلى إسرائيل، والآخر لفلسطينيي غزة والضفة والزائرين إليهما.

ـ الإسرائيليون يشرفون وحدهم على المسار الإسرائيلي، ويشتركون في الإشراف على المسار الفلسطيني.

ـ يفصل بين المسارين لوح زجاجي داكن اللون.

والغرض من هذه الترتيبات المعقدة التحقق من فرض سيطرة كاملة على دخول اللاجئين.

أما الجسور على نهر الأردن فإنهم يتمسكون بالإشراف عليها لاستحالة قيام الفلسطينيين بذلك، لأن الطرق إلى المعابر تمر عبر المجالات الأمنية التي تحوي ألغاما وأسلاكا مكهربة، وكذلك لأن الجسور ليست معبرا لمنطقة أريحا فقط، بل لكل سكان الضفة الغربية، وإذا سيطر الفلسطينيون عليها فقد يعبرها لاجئو ١٩٤٨ و١٩٦٧.

أما عن المستعمرات في الضفة الغربية فغرضها دفاعي تماما، إذ إنها تشكل الخط الدفاعي عن السفوح الأمامية لمرتفعات الأردن ولهضبة الأردن، وواجبها الدفاع لآخر طلقة ولآخر رجل حتى ينضم إليها جيش الدفاع الإسرائيلي، والمستعمرات هنا كثيفة وبها مائة ألف إسرائيلي، وهي من ٦ خطوط دفاعية متتالية في عمق إلى ناحية الغرب وقد بنيت لتحقق الآتي:

١ ـ مناطق تتحكم في الأردن من الوادي.

٢ ـ مناطق تتحكم في طرق الاقتراب من الشرق.

٣ ـ مناطق تتحكم في تقاطع الطرق الطولية الموازية لنهر الأردن وهي ٥ طرق تحد شرقا بطريق آلون.

٤ ـ مناطق تتحكم في المحاور من طريق آلون شرقا إلى سلسلة الجبل.

٥ ـ مناطق تتحكم في الهضبة.

٦ ـ مناطق تتحكم في الهضبة إلى الخط الأخضر من الغرب.

وكخط عام فالأمن الخارجي أي ضد التهديدات الخارجية من مسئولية إسرائيل، أما الأمن الداخلي في غزة والضفة فهو مشترك، أما بخصوص أمن المستعمرات والإسرائيليين فهو من مسئولية إسرائيل، كما تصر إسرائيل على توفير دوريات مشتركة تتكون كل دورية من عربتين إحداهما إسرائيلية والأخرى فلسطينية لحماية الطرق.

وقد سبق أن قلنا إن إسرائيل تعتمد في أمنها على عاملين: الطبوغرافيا والقوات المتضادة، ففي الوقت الذي لا تعترف فيه إسرائيل بالحوار على أساس الوصول إلى استقرار يبنى على توازن المصالح تصر على أن تحتفظ لنفسها بتوازن القوى الذي يضمن لها التفوق على كل جيرانها، وعلى الرغم من أن ميزانيات الدفاع في البلاد العربية أكبر كثيرا من ميزانية الدفاع الإسرائيلية، وعلى الرغم من تفوق الترسانة العربية من ناحية الكم والكيف على الترسانة الإسرائيلية في الأسلحة التقليدية، إلا أنها يمكنها ردع القوة العربية عن طريق: التفوق النوعي في استخدام القرات، الاحتفاظ بالسلاح النووي وفوق التقليدي، مواجهة القوة العربية قطعة قطعة، تميز القيادة، التفرغ للتدريب وعدم استخدام القوة في مشاكلها الداخلية.

حتى لا نصاب باليأس

وبعد.. ماذا نريد أن نقول؟ وهو سؤال مشروع نؤكد قبل الإجابة عنه بأنه لم يخطر ببالنا ولو للحظة واحدة أن نثبط الهمم أو نبث عوامل اليأس، كان هدفنا أن نعرّف القارىء الطريقة التي يفكر بها من هم على الجانب الآخر من التل، وأن الحوار الدائر في ظل اتفاقية إعلان المبادىء يدور بين طرفين أحدهما يصر على الاحتفاظ بالوضع القائم والآخر يريد أن يغير الأمر الواقع.. أحدهما يريد أن ينفذ الاتفاق في إطار اقتصادي أمني، والآخر يريد أن ينفذ الاتفاق في إطار سياسي يهدف إلى الاستقلال، أحدهما يريد أن يستحوذ على السلام والأرض مضافا إليها سوق المنطقة واقتصادها والآخر يريد أن يقايض السلام بالأرض، أحدهما يريد التطبيع الفوري والشامل والآخر يريد حل القضايا في إطار العدالة قبل إجراء أي تطبيع.

وبذلك فالحوار الدائر معركة شرسة تدور بين عقيدتين مختلفتين وبين أغراض متناقضة، فهل ينجح «أبوعمار» في أن يقرص أنف «إسحاق رابين» ليخرج لنا «حمامة»، أو يشد أذن «بيريز» ليخرج لنا «أرنبا»؟! وإذا نجح «أبوعمار» في أن يقدم لنا «الأرنب» و«الحمامة» فسوف يكون أعظم ساحر في القرن العشرين..!!! □

العربي

في عـدد مـايـو ١٩٩٤

وجها لوجه :

■ «الـولـد الشـقـي» تاريخ وذكريات مشتركة بين محمود السعدني ومحمد مساعد الصالح

■ مـن نقـد العقـل إلى نقـد الفعـل
د.فهمي جدعان

■ الـوحـدة العربيـة والليبراليـة
منح الصلح

■ المقاصد الكليـة للشـريعـة
د.نصر حامد أبوزيد

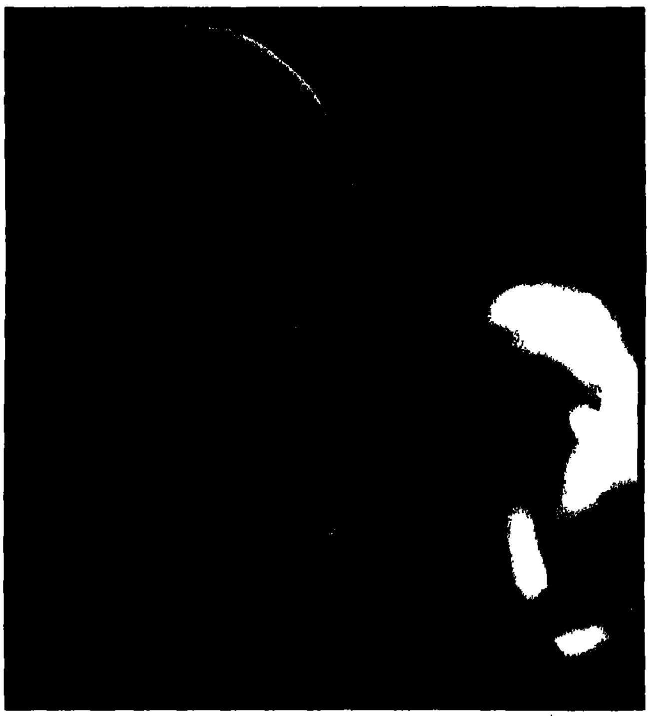
■ عمليـة جراحيـة لتلسكـوب الفضـاء
سعد شعبان

■ قـراءة نقدية لرواية «شقـة الحريـة»
تأليف : د.غازي القصيبي
بقلم د.محمد حسن عبدالله

■ آفاق جديدة للعلم
د.عبدالله العمر

■ حمـامـة بيضـاء وسيف عتيق «قصـة»
المرسي البدوي

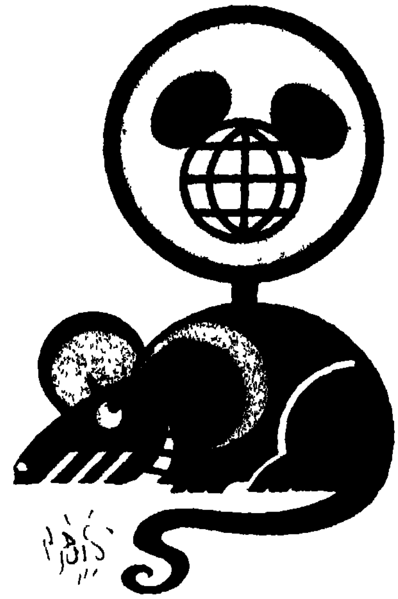
استطـلاعـات مصـورة



■ الجزائر.. متى تتخلص من مخاوفها؟
ماضي الخميس

■ بندر عباس.. إطـلالـة إيـران على الخليج
أنـور الياسين

د.محمد الـرميحي ـ عامر التميمي ـ د.سعـاد عبدالـوهاب ـ الطيـب بوعـزة ـ دنيـا الأمل إسماعيل ـ د.أنـور طاهـر رضـا ـ د.جابـر عصفور ـ شوقي رافع ـ د.لمى حـداد ـ د.إليـاس خليل ـ أحمد سـويلم ـ د.عـواد جـاسم



الجات وتحرير التجارة الدولية

دورة أورجواي هزيمة للعالم النامي

بقلم : مجدي صبحي*

أخيرا تم إنهاء الجولة السابعة للاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات) وهي ما عرفت باسم دورة «أورجواي» لتحرير التجارة الدولية. والواقع أنه حتى ١٣ ديسمبر الماضي أي قبل الموعد المحدد لإنهاء الدورة بيومين، راودت الكثيرين الشكوك في إمكان إنهاء الدورة في موعدها المحدد، فالخلافات كانت لاتزال محتدمة بين الأطراف الفاعلة الرئيسية حول العديد من الموضوعات. لكن وبشكل مفاجىء تمت تسوية الخلافات بين المجموعة الأوربية ولا سيما فرنسا من جانب وبين الولايات المتحدة من الجانب الآخر.

حينما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فكرت البلدان الكبرى في كيفية إعادة بناء ما دمرته الحرب، بل وكيفية الحئول دون نشوب الحرب من جديد. ولأن هذه البلدان كانت قد شهدت حربا تجارية ضروسا فيما بينها خلال عقد الثلاثينيات وهو ما يعرف باسم «حرب إفقار الجار» إلى الحد الذي دفع البعض إلى القول بأن هذه الحرب غير المسلحة كانت من بين الأسباب التي دفعت للحرب العالمية، ولذا فقد تم الاتفاق على إنشاء منظمة تجارية دولية تحول دون الممارسات التجارية الخاطئة التي أدت إلى خراب اقتصاديات هذه الدول. وبدأت من ثم اتفاقية «الجات» الدولية اجتماعاتها في العاصمة الكوبية في نوفمبر عام ١٩٤٧ ووقعت ٥٣ دولة على ميثاق هافانا في مارس عام ١٩٤٨. وقد تأسست الجات على أساس عدة مبادىء رئيسية هي:

أولا: مبدأ الدولة الأولى بالرعاية. حيث ينبغي أن تتم التجارة على أساس عدم التمييز، فكل البلدان المتعاقدة عليها أن تقدم للأطراف الأخرى معاملة تفضيلية متساوية في مجال إدارة وتطبيق الرسوم والجمارك على الصادرات والواردات.

ثانيا: أن تقوم حماية الصناعة المحلية على أساس التعريفات الجمركية وحدها. وذلك بهدف جعل مدى الحماية واضحا ولأجل جعل المنافسة ممكنة.

* باحث بمركز الدراسات الاستراتيجية جريدة الأهرام ـ مصر

ثالثا: أن الأساس اللازم لتحقيق استقرار ونمو التجارة يتم من خلال الالتزام بمستويات التعريفة الجمركية التي يتفق عليها البلدان الأطراف. وهذه المواد الملزمة مسجلة في حدول التعريفات الذي يعد جزءا لا يتجزأ من الاتفاقية العامة. والعودة إلى فرض تعريفات أعلى أمر لا يشجع عليه بالنص، على أن أي زيادة ينبغي أن تقابل بدفع تعويضات مقابلها وإن كان هذا الشرط نادرا ما تحقق. كما أن التشاور لتجنب الأضرار التي يمكن أن تصيب مصالح البلدان الأطراف يعد مبدأ أساسيا آخر من مبادىء الجات. ومن حق هذه الأطراف الاتصال بالجات للتدخل في الحالات التي ترى أنها تشكل أضرارا بمصالحها الناجمة عن تصرفات وممارسات الأطراف الأخرى. وأخيرا فإن الجات تقدم إطارا يمكن من خلاله أن تتم مفاوضات لخفض التعريفات الجمركية، وكذلك القيود والعقبات الأخرى أمام انسياب التجارة، وكذلك توفير هيكل لوضع نتائج مثل هذه المفاوضات في شكل مواد قانونية ملزمة.

مفاوضات وجولات

تتكون معظم أعمال الجات من مشاورات ومفاوضات في مشكلات تجارية معينة تؤثر على سلع محددة تهتم بها جميع البلدان الأطراف أو بعضها على الأقل. ومن وقت لآخر تتم مفاوضات رسمية متعددة الأطراف في ظل رعاية الاتفاقية العامة. وفي هذا الإطار تمت سبع جولات من المفاوضات هي:

١ ـ دورة جنيف في عام ١٩٤٧.

٢ ـ دورة فرنسا ١٩٤٩.

٣ ـ دورة إنجلترا ١٩٥١.

٤ ـ دورة حنيف مرة أخرى ١٩٥٦.

٥ ـ دورة «ديلون» وتمت في جنيف أيضا خلال الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.

٦ ـ دورة «كينيدي» بجنيف أيضا في الفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧.

٧ ـ دورة «طوكيو» التي استغرقت سبع سنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٩، وقد سميت كذلك لأن المفاوضات لهذه الدورة على المستوى الوزاري تم افتتاحها في العاصمة اليابانية.

ثم كانت الدورة الأخيرة ١٩٨٦ ـ ١٩٩٣ وهي المسماة بدورة أورجواي، وذلك لأن افتتاحها تم في مدينة «بونتا دل ايستا» بدولة أورجواي.

تمت الأعمال التحضيرية لدورة أورجواي خلال ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ وافتتحت رسميا في سبتمبر ١٩٨٦ وكان من المأمول أن تنهي أعمالها في أربعة أعوام.

ومنذ البداية اتضح وجود معارضة كبيرة من جانب الدول النامية لوجهة نظر الولايات المتحدة الداعية إلى إدراج قضية تحرير التجارة في مجال الخدمات (مثل السياحة والبنوك والتأمين) وهو مجال لم تكن تغطيه اتفاقيات الجات من قبل. ويعود إدراج هذا المجال في مباحثات التجارة الدولية إلى ازدياد أهميتها في الدول الصناعية المتقدمة، فأكثر من ٦٠٪ من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي في تلك الدول ينتج في هذه القطاعات، إضافة إلى أن أكثر من ٢٠٪ من إجمالي التجارة العالمية هو عبارة عن تجارة في منتجات هذا القطاع.

وقد تم في النهاية التغلب على هذا الخلاف بالاتفاق على أن تتم مناقشة الخدمات في إطار لجنة منفصلة تشرف عليها الجات ولكن تبقى خارج الاتفاق القانوني للاتفاقية. والخلاف الآخر الكبير هو الذي نشب بعد إدراج اقتراح الولايات المتحدة ودول مجموعة الكارينز (١٤ دولة مصدرة للمواد الزراعية) بمناقشة قضية الانحرافات في



التجارة في المواد الزراعية عن طريق دعم الصادرات وسياسات دعم المزارعين، إذ عارضت المجموعة الأوروبية منذ البداية هذا الاقتراح. ويعد هذا الخلاف هو المسئول عمليا عن تأخر المفاوضات كل هذا الوقت.

وحتى منتصف عام ١٩٨٩ كانت قد تحققت النتائج التالية:

اتفاق على تحرير التجارة في المنتجات الاستوائية، وتأسيس آلية لحل المنازعات ومراجعة السياسات التجارية. وقد قام وزراء التجارة بمراجعة الدورة وما نجم عنها في ديسمبر ١٩٨٨ ثم أبريل ١٩٨٩، ووافق الوزراء على أن خفض التعريفات الجمركية يجب أن يتم بشكل ملموس وبحيث يتساوى على الأقل مع ما تحقق في دورة طوكيو (أي أكثر من ٣٠٪). وكان عدد الدول المشاركة في المفاوضات قد بلغ ١٠٧ دول في سبتمبر ١٩٩٠.

وحلال عام ١٩٩٠ كانت أمام المفاوضات عدة خلافات خطيرة هددت بفشل الدورة، منها الاتهام بالاستغلال الخاطىء للإجراءات المضادة للإغراق (وهي الإجراءات التي تتخذ للحئول دون تصدير المنتجات بأسعار تقل عن الأسعار التي تباع بها نفس المنتجات في السوق المحلية للدولة المصدرة) وذلك لحماية الصناعات المحلية للبلد المستورد. كما كان هناك الخلاف الأهم بين الولايات المتحدة ومجموعة الكارينز من جانب والمجموعة الأوروبية من جانب آخر حيث طالبت الأطراف الأولى بإزالة المعونات التي تقدمها المجموعة الأوروبية للصادرات الزراعية والحد من عملية تقييدها للواردات من نفس المنتجات. هذا إلى جانب الخلاف حول اتفاقية التجارة في المنسوجات والمعروفة باتفاقية «الألياف المتعددة».

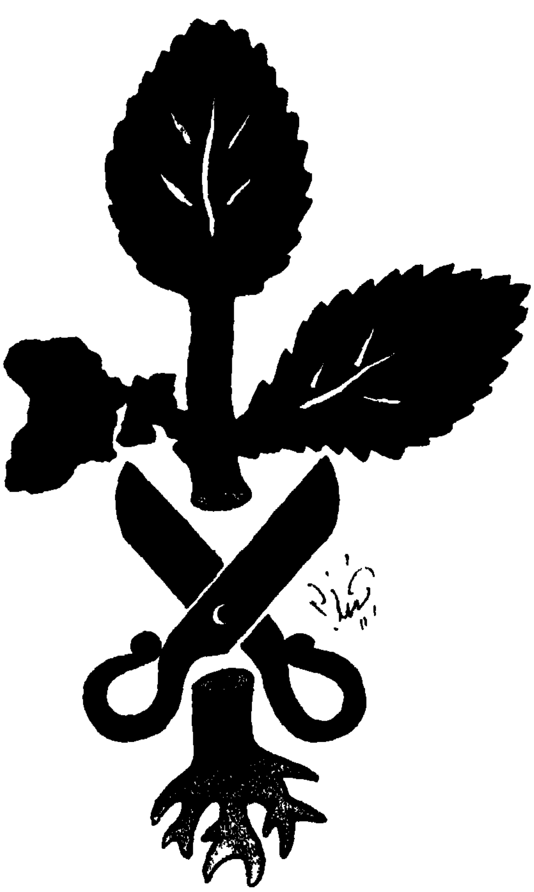
وفي ديسمبر ١٩٩٠ التقى وزراء التجارة مرة أخرى بهدف إنهاء الدورة، وكان قد تم الاتفاق على خفض التعريفات الجمركية على مدى خمس سنوات تبدأ من تاريخ إنهاء الدورة، ولكن استمرار الخلاف حول مسألة دعم السلع الزراعية أدى إلى قرار بتمديد الدورة حتى نهاية عام ١٩٩١، ثم تكرار هذا التمديد مرتين أخريين لتنتهي الدورة بالفعل في ١٥ ديسمبر ١٩٩٣.

وقد شهد عام ١٩٩٢ بوادر لانفراج الخلاف بين المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة بالتوصل إلى ما عرف باتفاق «بلير هاوس» والذي نص على خفض الدعم الأوروبي للسلع الزراعية والمقدر بنحو ٢٠ مليار دولار سنويا بمقدار ٣٦٪ وعلى مدى زمني ... ست سنوات.

نتائج الجات.. حلول وسط

بدت الشهور الأخيرة قبل الميعاد المحدد لإنهاء الدورة وهو ١٥ ديسمبر الماضي محمومة بالمفاوضات بين المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة. فقد عادت فرنسا لإنكار اتفاق بلير هاوس وأضافت إلى ذلك رفضها لتحرير التجارة في مجال المنتجات السمعية والبصرية (المسلسلات وبرامج الإذاعة والتليفزيون والأفلام السينمائية.. وغير ذلك) وذلك لتخوفها من أثر الغزو الثقافي الأمريكي على الهوية الثقافية الفرنسية.

وبعد عدة مفاوضات جرت بين المفوض التجاري الأوروبي ووزير التجارة الأمريكي تم التوصل إلى حلول وسط اعتبرها كل من الطرفين انتصارا له.



..د وافقت الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية على ..ن يتم تنحية موضوع الإنتاج الثقافي (المنتجات السمعية والبصرية) لمناقشته في مفاوضات تجرى لاحقا، ويمثل ذلك قبول أمريكا بمطالب المجموعة الأوروبية «بالاستثناء الثقافي» وهو ما أدى بوزير الاتصالات الفرنسي إلى التعليق بقوله «بهذا الاستثناء الثقافي نكون قد حصلنا على ما كنا نريده من البداية».. وهذا الاستثناء انتصار جميل لكل الذين يريدون الحفاظ على هوية ثقافية أوروبية.

أمريكا تقود العالم

ومع التوصل أخيرا إلى حل لمشكلة دعم السلع الزراعية رأت الولايات المتحدة في ذلك نصرا كبيرا ..ما إلى الحد الذي دفع الرئيس الأمريكي إلى القول بأن الاتفاق يعد دعما لأمريكا لقيادة الاقتصاد العالمي. ورغم هذا يصعب القول بأنه تم التوصل إلى حلول وسط في شتى المجالات، فلم يتم الاتفاق على تحرير التجارة في النشاطات المصرفية والمالية، بل تم التوصل إلى صيغة مرنة تمكن الولايات المتحدة من مبدأ المعاملة بالمثل في السنة المقبلة أي حينما توضع اتفاقات الجات موضع التنفيذ في الأول من يناير ١٩٩٥. والواقع أنه لا يمكن اعتبار أن هذه القضية تعد موضع خلاف كبير بين الطرفين، إذ إن الاتفاق نفسها قائم للضغط على اليابان ودول جنوب شرق آسيا ودول كبيرة في العالم الثالث مثل الهند والبرازيل.

ولم يتم الاتفاق على تحرير التجارة في مجال الملاحة البحرية، وكان هذا يعد أمرا حيويا لأساطيل كل من السويد والدانمرك، إذ لم تقدم الولايات المتحدة أي تنازلات للسماح للأساطيل الأجنبية بالقيام بنشاطها في الموانىء الأمريكية. وتمكنت الولايات المتحدة من استبعاد هذا القطاع من نطاق المفاوضات المتعددة الأطراف.

وأ.. فإنه لم يتم إدخال صناعات الطيران المدني .. الا..ـات متعددة الأطراف وحصل الأوروبيون على ..ل أمريكي وهو مواصلة العمل بالاتفاق .. ..يما بينهما منذ عام ١٩٩٢. وكانت الولايات المتحدة ..رغب في دمج الطيران المدني في الاتفاق لمنع .. ..ت الحكومية بأمل أن تعود شركة بوينج الأمريكية للسيطرة على الأسواق العالمية بعد أن نجحت شركة «ايرباص» في توسيع حصتها من السوق في الأعوام الأخيرة.

وأخيرا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي استفادة دول العالم المختلفة من هذا الاتفاق؟.

قبل الاجابة عن مثل هذا السؤال ينبغي أولا أن نذكر أن الاتفاق الحالي يعد أضخم اتفاق تجاري دولي، إذ شاركت فيه ١١٧ دولة استوعبت مواده نحو ٥٥٠ صفحة. أما عن أهم المكاسب والخسائر فهي تتمثل في زيادة الدخل العالمي بنحو ٢٠٠ ـ ٢٧٠ مليار دولار سنويا تتحقق بعد نحو ١٠ سنوات من تنفيذ الاتفاق أي في عام ٢٠٠٥ ويتوزع هذا الدخل كالتالي:

المجموعة الأوروبية ٦١ مليار دولار.

الصين ٣٧ مليار دولار.

الكتلة السوفييتية السابقة ٣٧ مليار دولار.

اليابان ٢٧ مليار دولار.

الولايات المتحدة ٣٦ مليار دولار.

دول العالم الثالث ١٦ مليار دولار

أوروبا غير الأعضاء في الجماعة الأوروبية ٨ مليارات دولار.

كندا ٤ مليارات دولار.

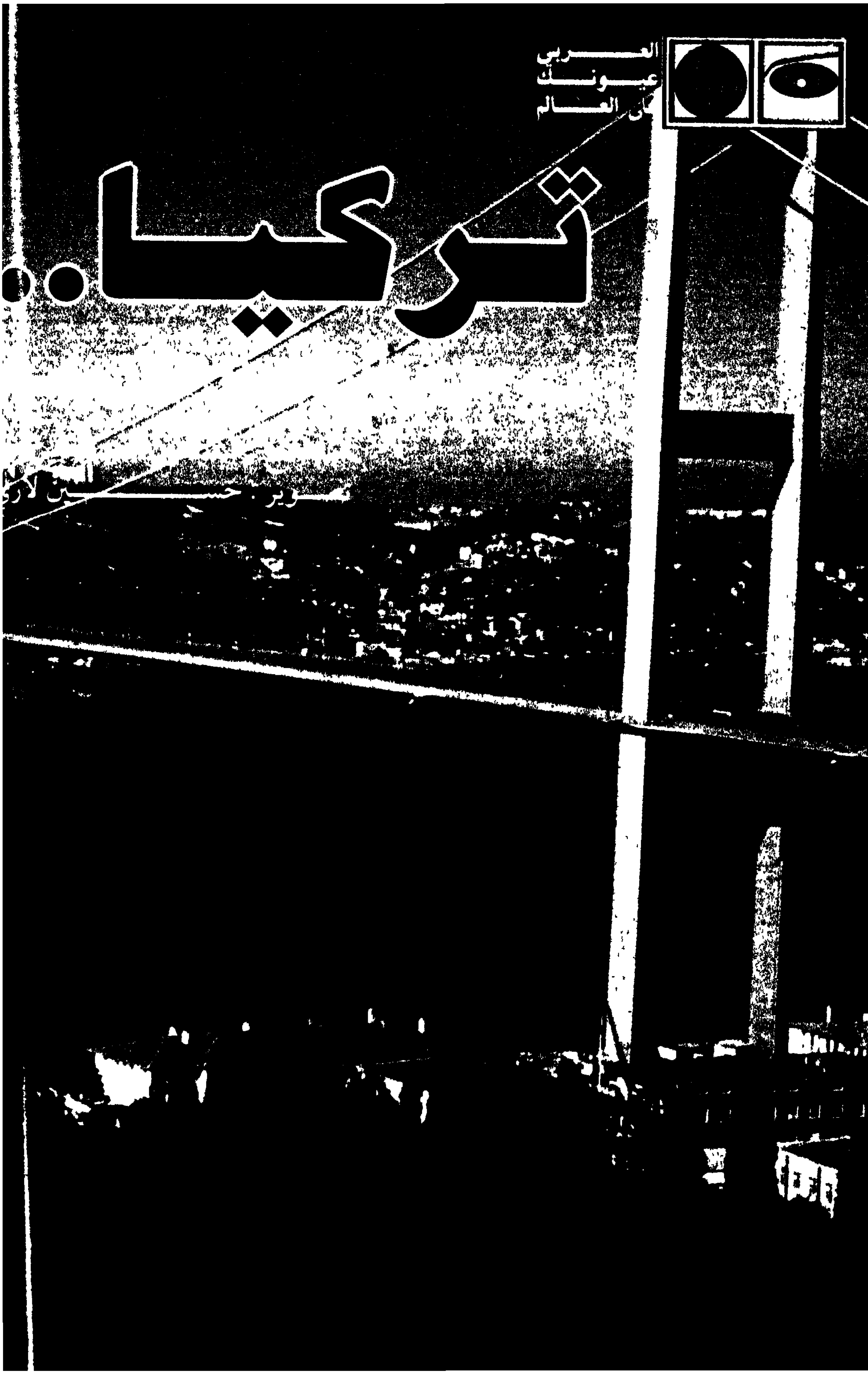
استراليا ونيوزيلاند مليارا دولار.

آخرون ١٩ مليار دولار.

إلى جانب ذلك ينبغي ذكر أن دول القارة الإفريقية ستخسر نحو ٢٫٥ مليار دولار نتيجة فقدانها بعض المزايا التفضيلية التجارية. أما الوطن العربي فلاجدال في خسارته من هذه الاتفاقية إذ نتيجة لتقدير ارتفاع أسعار السلع الغذائية بمقدار ١٠٪ ــ ١٥٪ وحيث تقدر الواردات العربية الغذائية بما يزيد على ٢٢ مليارا فإن الخسائر العربية في هذا المجال وحده تتجاوز ملياري دولار على أقل تقدير. هذا ناهيك عن أثر تحرير التجارة في مجال الخدمات.

وربما يلخص موقف العالم النامي ما صرح به سفير الهند لدى الجات بأن «هناك خللا كبيرا في ميزان تبادل الامتيازات وخاصة في المجالات التي تكمن فيها مصالح الدول النامية وبالتحديد المنسوجات والزراعة».

فبعد إنهاء الدورة لاتزال الحواجز التجارية كبيرة أمام المنسوجات ومنتجات المناطق الاستوائية والسلع التي تعتمد على الموارد الطبيعية وهي بعض من أهم الصادرات الأساسية للدول النامية.□


العربي
عيونك
العالم
تركيا..



هل بدأ استطلاعنا ونحن بعد في الجو؟. نعم، فمن نافذة الطائرة وعندما دخلنا المجال الجوي التركي، رأينا سلسلة جبال «آرارات» من ارتفاع ثلاثين ألف قدم، ولم تكن هناك تحتنا غير سحابات شفيفة شاردة، مما أتاح لنا أن نمتلىء بكامل المنظر المفعم بالجلال والرهبة، أبصرنا الأخاديد التي صنعتها تدفقات «اللافا» الملتهبة في القرون السحيقة قبل أن تخمد البراكين، ولمحنا الفوالق التي شقتها تململات الأرض قبل أن تهدأ.

أحسسنا برهبة الإنسان أمام جبروت الطبيعة، وبالجلال لمنظر الجبال التي تتعرق بالثلوج، ثم إن العقل الباطن ــ لا بد ـ كان يحمل في أغواره رهبة وجلال قصة الطوفان، وسفينة نوح التي يقال انها رست في اليوم السابع عشر من الشهر السابع بعد مائة وخمسين يوما من فزع الماء فوق واحدة من قمم آرارات، وما زال بعض المأخوذين بالمقولة يحاولون الصعود بحثا عن هذه القمة المجهولة، لعلهم يعودون بقطعة من خشب السفينة الضائعة، التي انتشلت الحياة على أرضنا من موت داهم.. إلى ميلاد جديد.

عبرنا جبال «آرارات»، وجاءت جبال أخرى، وسهول، وحقول، وقرى، ثم دخلنا في نطاق مدينة اسطنبول، وكنا نستطيع بنظرة أن نطل على قارتين في آن واحد.

كنا فوق الجزء الآسيوي الذي ذكرني بجزر الأميرات التي لا تعرف وسيلة للمواصلات غير الخيول، وبينما مقدمة الطائرة متوجهة غربا صوب الجزء الجوبي من القسم الأوربي لاسطنبول، كان يمكننا الإطلال على مضيق البوسفور عند الجناح الأيمن، وبحر مرمرة تحت وإلى اليسار. ووجدنا أنفسنا بعد اجتياز حدود الماء نهبط باتجاه المطار كأننا نهبط في جزيرة، الأرض البنية والخضرة الداكنة والبيوت المسقوفة بالقرميد الأحمر علامة بيوت اسطنبول المميزة.

لم نستغرق وقتا طويلا في استيفاء إجراءات الدخول، إذ إن مطار اسطنبول يكتفي فيه ضابط الجوازات بالاطلاع على جواز السفر، ونقل بياناته إلى الكمبيوتر ثم تسليمه للراكب وإعطائه خاتم الدخول دون ملء أوراق أو مزيد من الأسئلة، وهذا طبيعي في دولة تعتبر السياحة موردا مهما وسمة من سمات نشاطها التجاري والثقافي.

ضاحكنا ضابط الجوازات مرددا عدة عبارات بالعربية: «يا مرحبا.. أهلين أهلين».. وأشار لنا بالعبور، فوجدنا من ينتظرنا حاملا لوحة باسمينا، زميلي المصور وأنا، كان ذلك هو علي حيدر الذي أرسلته وزارة السياحة لمرافقتنا في رحاب اسطنبول وبورصة، وكان معه السائق الطيب سليم.

وبعد الخروج من دائرة المطار انطلقنا على حافة بحر مرمرة، نسيم العصر الرطيب الرائق، وأسواق السمك الفضي الطازج المزينة طاولاته بخضرة الريحان والنعناع، والسفن المتجهة عبر البحر إلى المضيق، ثم لفتت أنظارنا بقايا من أسوار المدينة القديمة تنتصب على الرصيف الداخلي للكورنيش.

كان الجزء الذي رأيناه من السور سميكا وعتيقا، هدّه القدم وضربته الشروخ التي نبتت من ظلمتها جنبات العشب وبعض الأشجار، والسور في واقع الأمر يتضمن عدة أسوار وأبراج متداخلة، وخارج كل هذه الأبراج والأسوار كان هناك أخدود يُملأ بالماء عرضه ١٨ مترا وعمقه ٧ أمتار..

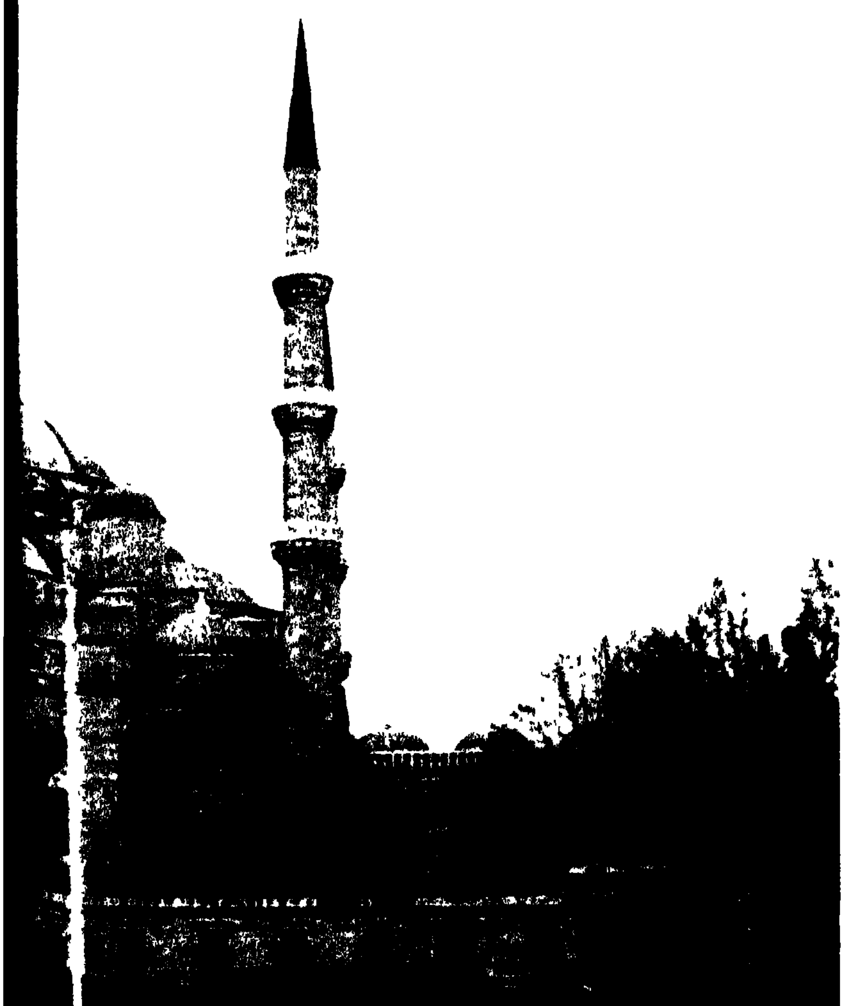


□ تركيا تطل سواحلها على البحر المتوسط جنوبا، ثم بحر إيجة بينها وبين اليونان، فبحر مرمرة في قلبها.. وأخيرا البحر الأسود في الشمال. لوحة غنية التضاريس تطل على بحار أربعة.

□ «من بنى لله مسجدا بنى الله له قصرا في الجنة» مكتوبة بالعربية وبماء الذهب على مدخل مسجد «السلطان أ... ب»









ولم كان ذلك كله؟ جغرافية المدينة وتاريخها يخبرانا بسر حاجتها إلى ذلك التحصين القديم، فقد كانت ـ ولا تزال ـ بوابة الغرب إلى الشرق كما انها منفذ الشرق إلى الغرب، لهذا كانت عاصمة لثلاث إمبراطوريات كبرى: الرومانية، والبيزنطية، والعثمانية. واتخذت خلال ذلك ثلاثة أسماء أولها البيزنطية، وثانيها كونستانتينبول ثم اسطنبول، ولقرابة ألف عام ظلت المدينة الأهم في العالم الغربي وفي الشرق الأدنى، ولم تتحول عنها قوتها السياسية متجهة إلى أنقرة إلا عام ١٩٢٦ بعد إعلان أتاتورك قيام الجمهورية التركية، وإن ظلت المحرك الأكبر ـ من بين كل المدن التركية ـ للنشاط التجاري إن استيرادا أو تصديرا.

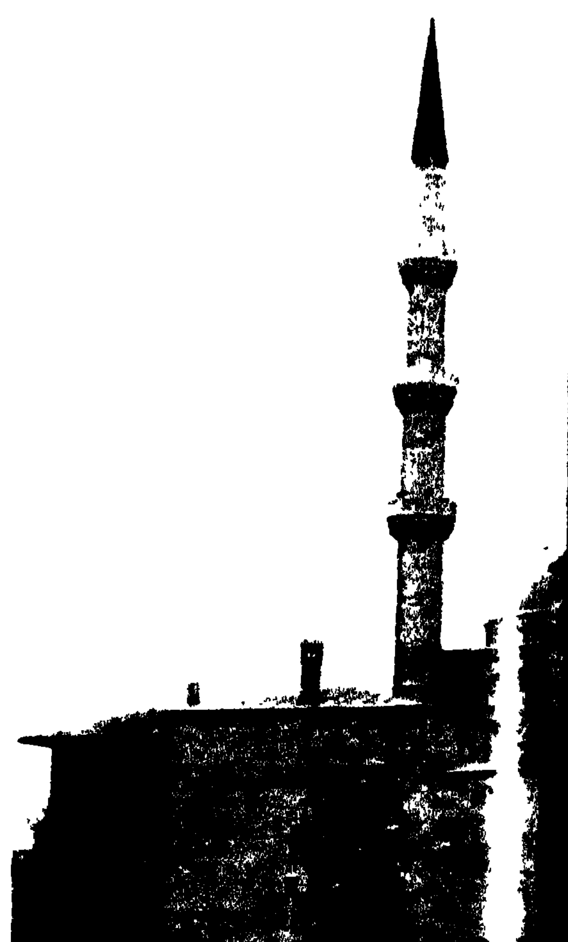
عادرنا سور الأزمنة العابرة، فكانت الأزمنة التالية تلاحقنا ونحن ندور حول قصر توب كابي متجهين إلى سراي بورنو عند مدخل «القرن الذهبي» الذي يأتي كممر مائي ممتد من مدخل مضيق البوسفور، شاقا الجزء الأوربي إلى قسمين جنوبي تقع فيه معظم عمارة التاريخ العثماني وأسواقه العريقة، ويسمى اسطنبول القديمة، وشمالي يمتد بامتداد البوسفور ويطل على مياهه وتحتشد فيه أبنية اسطنبول وأحياؤها الأكثر عصرية.

مررنا بميناء البواخر الداخلية، فهالنا الزحام الذي تنقله، وعرفنا من مرافقنا علي حيدر أن المدينة يتضاعف عدد سكانها كل خمسة عشر عاما منذ بدء النزوح المكثف من الريف في الخمسينيات، ومن المتوقع أن يصل تعدادها عام ٢٠٠٠ إلى أكثر من ١٠ ملايين نسمة.

لمحنا مسجد أمين أونو وأسراب الحمام التي تحوم حوله وتحط على أفاريزه وقبابه وأعتابه. وانعطفنا داخلين في جسر «جالاتا» ومن وراء الجسر أوغلنا صاعدين وملتفين حتى وقفنا أمام بناء راسخ لونه فيروزي ونوافذه بيضاء وتلوح من هيئته سمة القدم، وقرأنا على اللافتة: PERA PALACE -1892.

كان اقتراحا ذا مغزى، ولفتة ثقافية من وزارة السياحة التركية التي اختارت لنا هذا المكان لنقيم فيه ليلتين، فقد كنا نقيم داخل قطعة من التاريخ التركي ـ بل العالمي ـ الحديث، الذي تلعب فيه اسطنبول دور المركز الذي





□ طابور المتشفعين على باب ضريح الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري. ورقصة شعبية بسمات آسيا الوسطى (أعلى) ثم «فتاة الشاي» في مقهى يطل على البوسفور. ومسجد السلطان أحمد (أسفل). صور عديدة لبلد واحد.



دارت حوله تحركات وتطلعات وآمال ومخاوف، ولم يكف أبدا عن النبض كمعبر كبير بين الشرق والغرب، وكانت قائمة الأسماء التي استقبلها الفندق ـ كما قرأناها على أبواب الغرف والأجنحة التي أقاموا فيها ـ تقول الكثير: كمال أتاتورك، رضا بهلوي، فاليري جيسكار ديستان، الخديو عباس، ماتا هاري، سارة برنارد، جريتا جاربو، زازا جابور، أجاثا كريستي، جوزيف بروز تيتو، خوليو اجليسياس، ثيو دراكيس.. وكثيرون.. ملوك ورؤساء وفنانون وجواسيس وكتّاب، وانضممنا إلى هذا الحشد المتنافر، وكانت غرفتي تجاور غرفة «زازا جابور» من ناحية وأجاثا كريستي من ناحية أخرى بينما جوزيف بروز تيتو أمامي..

في «بيرا بالاس» كان كل شيء قديما قدم قرن من الزمان: البلور والأفاريز النحاسية والمرمر والأبسطة الحمراء والمصعد الذي ننادي عليه بجرس نحاسي يجلجل، فيصعد أو يهبط بنا بهدوء راسخ بينما جوانبه من البلور والنحاس المشغول تكشف عن حركة هذا الصرح القديم الذي ما زال يضج بالحياة خاصة في الليل.

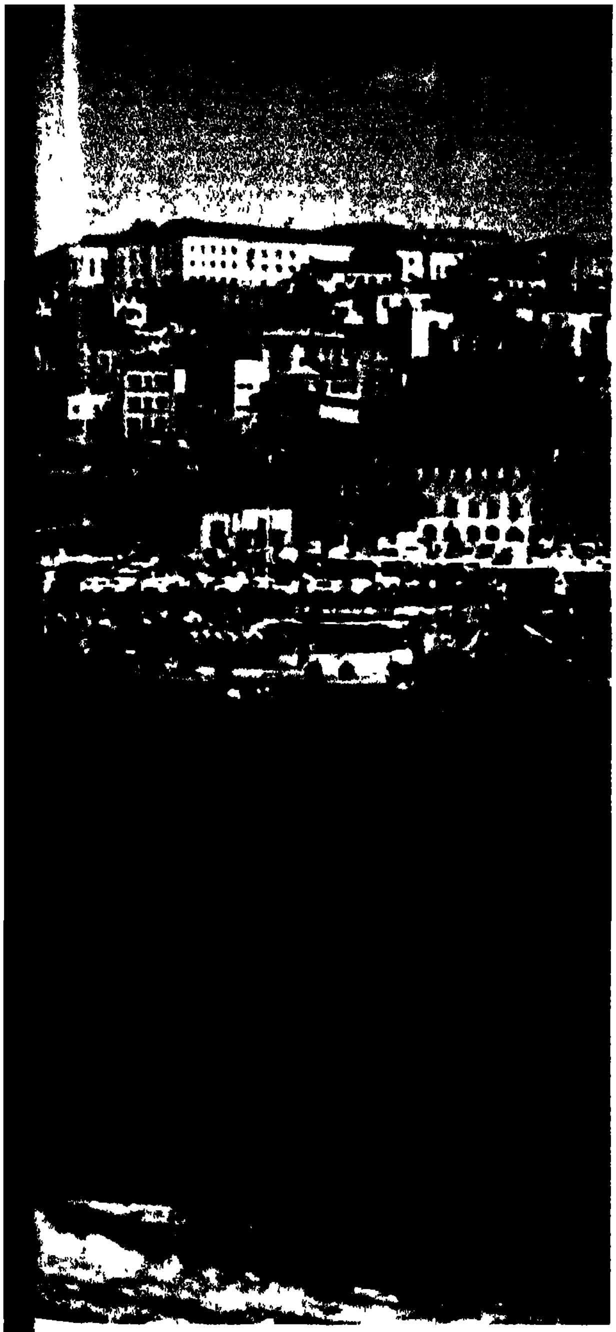
وحتى يجن الليل في قلب بيراء اغتسلنا وغيرنا ملابسنا وآثرنا أن نمضي في جولة حول الفندق، واكتشفنا أننا على مبعدة خطوات من شارع «الاستقلال» وميدان «التقسيم» (وينطقان بالعربية).

هنا، بدا لنا وكأننا في شارع من شوارع أوربا التجارية العريقة، محال الملابس والمكتبات والترام القديم الأحمر والزينات المضيئة تهيؤا للاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية، و«استاندات» آلاف بطاقات المعايدة ودمية بابانويل وراء زجاج الواجهات، ثم المنظر الذي لفت نظري بشدة: بائعو أوراق اليانصيب الذين يرتدون زيا أبيض وقبعات بيضاء منتفخة ويعرضون أوراقهم على عجلة دوارة تدور دورات الحظ وتتوقف عند يد من يشتري ويحدوه الأمل، ويبدو أن الأمل كان كبيرا حتى أنه كان يغرق كل أرصفة اسطنبول ببائعي «اللوترية» وعجلاتهم الدوارة بالورق، والوعد: جائزة قيمتها ٤٠ مليار ليرة تركية أي ما يعادل ثمن ٢٠٠ سيارة شاهين صناعة تركية، أو ٤٠ شقة في قلب اسطنبول، كما أخبرنا بائع «اللوترية» السمين ذو الشوارب «نديم أوغلو».

المليار رقم يبدو خارقا، أما المليون فهو متاح للكثيرين

□ أزياء وأجيال وصور شتى وعطور متنوعة.. تلك هي ملامح سوق الطيور والزهور عند ساحة أمير أونو







في تركيا، ولقد صرت مليونيرا هناك، فبأقل من مائة دولار حصلت على مليون ليرة تركية، وصرت من أصحاب الملايين في لحظة، لكنها ملايين سريعة التبخر رغم رخص الطعام والشراب والملبس ـ النسبي ـ في تركيا.

وعدنا من جولتنا للقاء أطياف الماضي، ونجوم الحاضر، في ليل اسطنبول، بين جنبات قصر بييرا..

أوربا في ليل بييرا

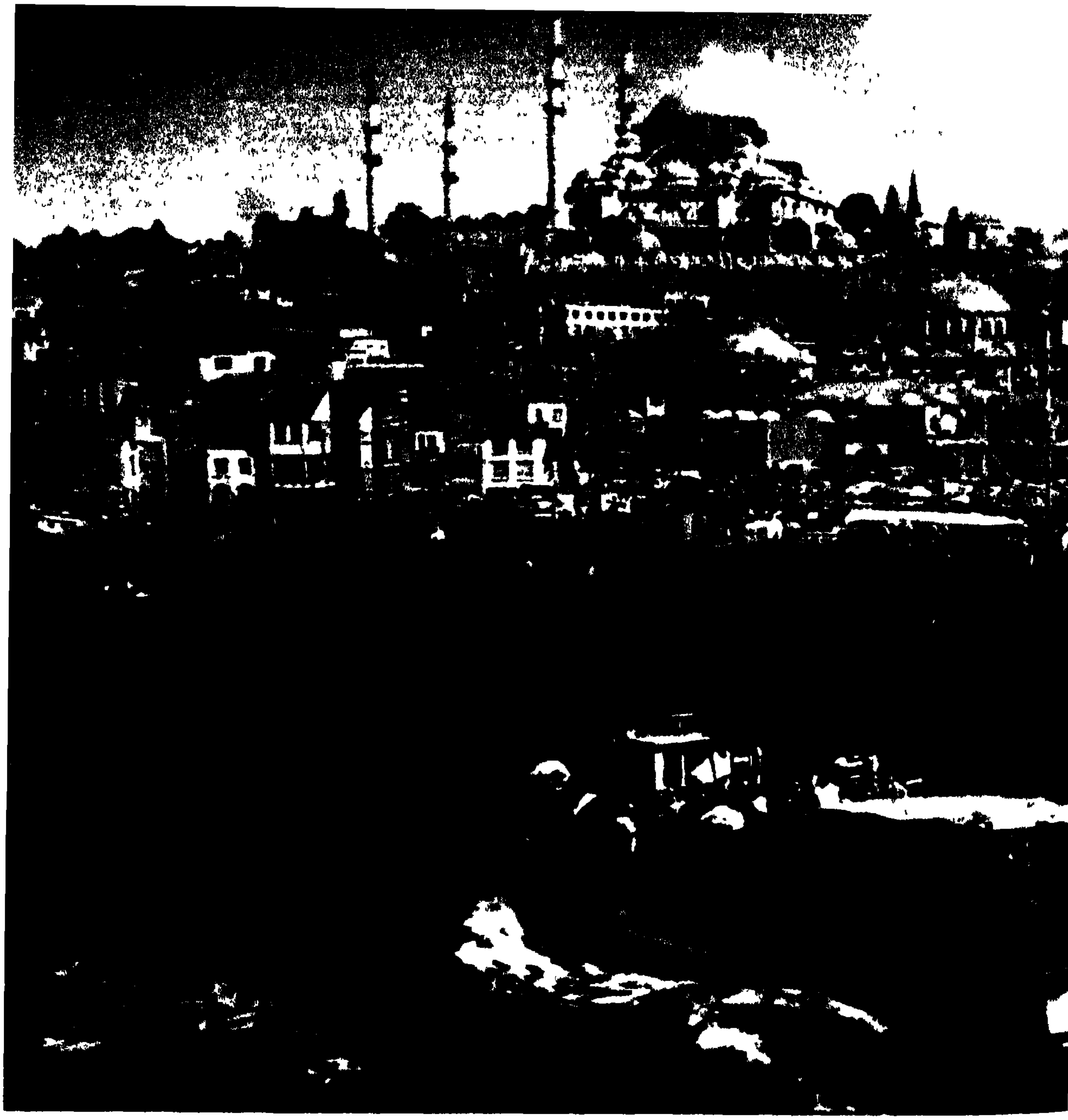
كان هناك عرض عصري وتجمع لنماذج من الأرستقراطية التركية، فساتين السهرة الأوربية والردنجوهات والبيبونات، والتورتة التي ترتفع عشرة أقدام على عربة يدفعها خمسة جرسونات، وعزف على البيانو وكئوس تتقارع، ولولا اننا طلبنا على العشاء طعاما تركيا لحسبت أنني في قاعة احتفالات لندنية أو باريسية.

ومن هذا الجو الأوربي صعدنا إلى غرفنا، وكان طبيعيا أن يكون التلفزيون هو سمير ما قبل النوم، خمسة عشر قناة يقدمها التلفزيون التركي، أربع منها حكومية والباقيات خاصة، ويؤكد التلفزيون على صورة تركيا الأوربية. لولا ذلك الغناء التركي الشرقي الجميل واللغة التركية الغنية بالأصوات العميقة لبدا أن هذا تلفزيون أوربي، وكقنوات الليل الأوربية كانت هناك قناة اسمها SHOW تبدأ عملها بعد منتصف الليل، وخلال ساعتين أو ثلاث تكون قد بثت الصواعق والغرائب.

كان ذلك بعضا من وجه الليل، لكن كان للنهار وجوها أخرى.

بصمات الروح على الجسد

«إنني معني بالتقابل، ولا أريد أن أقول المتناقضات».. قلت هذا لمرافقنا ونحن نعينّ جولة النهار، فاخترت من بين المتاح «مسجد أبي أيوب» إذا أحسست بأنني ربما أجد هناك صورة أخرى، وقد كانت هناك صورة أخرى بالفعل.. لقد لفت نظري وأنا أعد للرحلة بالقراءة قبل السفر أن طقوس ختان الأطفال الذكور في تركيا تشغل حيزا لافتا منذ أيام العثمانيين وحتى أيامنا، ففي قصر «توب كابي» توجد قاعة مستقلة مكسوة بالسيراميك المزخرف تسمى «قاعة الختان» وأمامها نافورة يلقى في



□ اسطنبول العتيقة والمعاصرة في جـوب القـرن الـذهبي (أعلى) وآلاف البطـاقـات للتهنئة بعيد رأس السنة ثم تـركي شـاب تـدور في قلبه الأماني ويـدير راحته حـول ثقب الأمل في أحد أعمدة «آيا صـوفيـا»، حيث غـاص إبهام السلطـان محمـد الفـاتح (أسفل). أجـزاء من اللوحـة التركية الزاخرة.

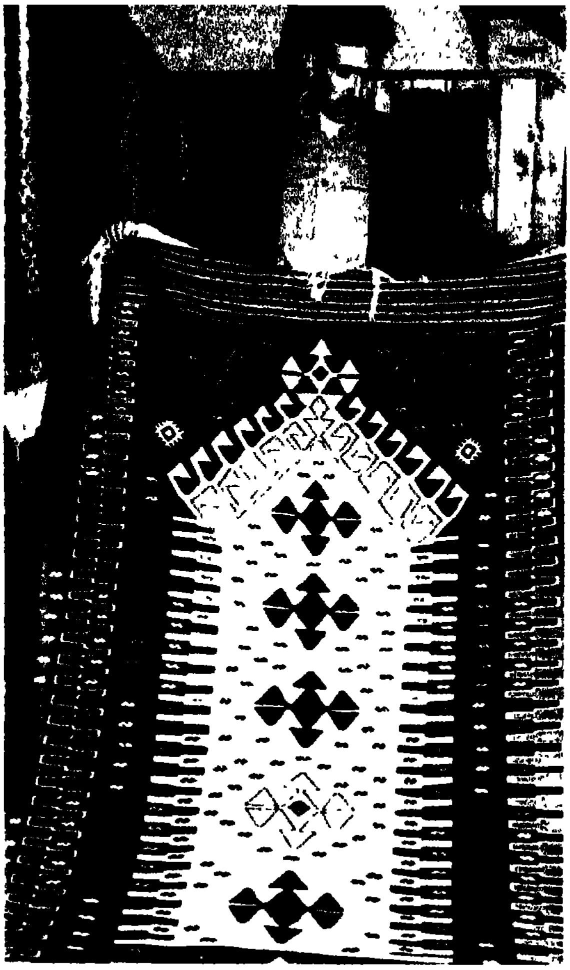




مياهها بالنقود لتحل البركة على المختن، وفي رحاب جامع أبي أيوب قرأت أن طقوسا أخرى لا تزال تمارس، ولقد أثار الأمر اهتمامي فآثرت أن أرى ذلك رأى العين.

الرحلة من قصر «بيرا» إلى ضاحية أيوب تقع كلها على أرض أوربية، على حافة الغرب، لكن ما أن يممنا شطر جسر «جالاتا» باتجاه الجنوب حتى كان الشرق أمامنا. صورة «بانورامية» لا أغنى منها ولا أقوى.. مآذن وقباب عشرات المساجد تربض عالية جلية فوق ذرى هذا الجزء من اسطنبول التي تتكون من سبعة تلال، مساجد وقباب أمين أونو والسليمانية ورستم باشا والسلطان أحمد وآيا صوفيا ومحمد الفاتح وعشرات المساجد الأخرى.. ولقد تعلمت أن أميز في اسطنبول بين نوعين من المساجد: أولهما المساجد السلطانية التي يعتبر كل منها مجمعا دينيا ودنيويا في رحاب الإسلام، فثمة فناء خارجي تحيط به مبان عمومية تضم مدرسة للقرآن، ومستشفى، ومكتبة، ومطبخا عموميا، وحماما تركيا، ثم سورا وفناء داخليا أو باحة داخلية مكشوفة تتوسطها نافورة وتحيط بها ردهات مسقوفة تظللها القباب، ومن ثم البناء الأساسي للمسجد حيث صحن المصلين والمحراب والمنبر إضافة إلى مكان خاص للسلطان على يسار المنبر والمحراب. أما الفناء الخلفي فكان مكانا لمقابر العائلة السلطانية، هذا هو نموذج المسجد السلطاني الذي ترتفع منه عدة مآذن ويستخدم كمكان للاحتفالات الرسمية والدينية والاجتماعية أيضا، غير النوع الثاني من المساجد المسماة في اسطنبول بالمساجد العادية، وهي أصغر حجما وتقتصر على مكان للصلاة وليس لها عادة غير مئذنة واحدة.

ولعل من أبرز المساجد السلطانية التي زرناها فيما بعد ويليق أن نتذكرها في سياق حديثنا جامع السلطان أحمد الذي يقع في شرق «الميدان» مواجها صرح «آيا صوفيا» وله نفس التكوين الشائع للمساجد السلطانية التركية، لكن يميزه - إضافة لزخارفه من السيراميك والخشب المنقوش والعاج والنحاس والقبة العظيمة - وجود ست مآذن، وهو المسجد الوحيد الذي له ست مآذن في اسطنبول، ولذلك قصة طريفة: فقبل أن يتجه السلطان أحمد الثاني على رأس رحلة الحج إلى مكة، أمر المعماري الشهير «سنان» أن يبني «مآذن ذهبية» للمسجد، ومن وجهة النظر الاقتصادية رأى سنان أن ذلك مستحيل، وخرج من هذا المأزق اعتمادا على التشابه القوي بين كلمتي «ذهب»، و«ستة» في اللغة التركية إذ إنهما «آلتين»



□ في بيت السجاد بقلب أنقرة القديم، وعاشق لهذا الفن الشعبي يتأمل (كليما) تركيا

و«آلتي»، وبنى ست مآذن حتى يكون قد نفذ أمر السلطان وخرج - في الوقت نفسه - من منطقة الاستحالة في بناء «مآذن ذهبية».

ولعله يكون مناسبا أيضا أن نتحدث في هذا السياق عن عبقري العمارة الإسلامية «سنان» SINAN الذي عاش في الفترة من ١٤٩٠ - ١٥٨٨، ويعتبر مضارع لمايكل أنجلو في المكانة، وقد تدرج من موقع مهندس في الحرس السلطاني ليتبوأ موقع «المعماري الأول للإمبراطورية العثمانية» في عهد السلطان سليمان الأول بينما كان عمره ٤٩ عاما في سنة ١٥٣٩ في ذروة ازدهار الإمبراطورية العثمانية، وهو «عاشق المساجد» وأول من أدخل القبة في عمارتها، وقد خلّف ٣٢٠ صرحا معماريا تعتبر من آيات فن العمارة الإسلامي على مر العصور من بينها ٨٠ مسجدا سلطانيا، و٥٠ مسجدا عاديا، ومدارس، ومستشفيات، وقصور، وجسور، وحمامات، وخزانات مياه، وأسبلة.

بنى كل ذلك ومات عن ثمانية وتسعين عاما ليدفن في قبر بسيط ضمن قبور الفناء الخلفي للمسجد الذي



□ ليست الصورة في ساحات التزلج بسويسرا، إنها في «يولوداج» التركية

الذي شيده. لكن رغم ضخامة كل مساجد اسطنبول السلطانية فإن مسجدا واحدا يعلوها جميعا من حيث المكانة الدينية لدى الناس، ذلك هو «مسجد أيوب» أو «مسجد السلطان أيوب» الذي يأتي في المكانة الدينية لدى أهل اسطنبول في المرتبة الثالثة بعد مساجد مكة والمدينة والمسجد الأقصى. ففي هذا المسجد توجد رفات الصحابي الجليل «أبو أيوب الأنصاري» وهو أبو أيوب الأنصاري «خالد بن زيد» الصحابي الخزرجي، من أهل المدينة، وقد نزل الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته يوم الهجرة، وتوفي بحصار القسطنطينية «اسطنبول» عام ٥٢ هـ ـ ٦٧٢م.. وقد عثر على قبر أبي أيوب الأنصاري بعد موته بثمانية قرون عندما استولى محمد الفاتح على البلد وبنى المسجد كهدية لروح الراقد الطاهر، ولقد تم تجديد المسجد تماما عام ١٨٠٠ وكانت ساحته موقعا لأداء القسم العثماني لكل سلطان يتولى الحكم كمعادل مراسم تولي العرش لدى ملوك وأباطرة وقياصرة أوربا.

لكنها نصعد حتى انجلى صعودنا عن بقعة الزحام الوجه الآخر لاسطنبول، ولعله الوجه الحقيقي، الزحام والحوانيت التي تبيع الملابس والبخور والعطور والمسابح، والباعة الجائلون الذين تحمل صفوف عرباتهم عطور الزهور الطبيعية والمسابح والمصاحف وكتب الحديث والتفسير. غوطة على القمة ترقد بين أشجارها مقابر المسلمين ويتوسط ساحتها الصغيرة المسجد ذو القبة الكبيرة، والمئذنتان السامقتان في دقة ورقة، والباحة السماوية المحاطة بالبواكي المظللة بالقباب الصغيرة والفناء الخارجي المبلط بالمرمر وأسراب الحمام وأرتال المتشفعين والآتين للصلاة، مشهد يذكر الرائي بساحة الحسين في القاهرة، وإن بنسيم اسطنبول ومدارج أشجارها الكثيفة، النسوة في ملابس داكنة سابغة وقد غطين رءوسهن، ومن ساحة المرمر التي تتوسطها نافورة صافية كان الطابور الطويل يمتد لدخول ضريح أبي أيوب الأنصاري لقراءة الفاتحة وملامسة شباك الرجاء الذي يسيج قبر الصحابي الجليل.

أين الغرب من هذه الصورة؟ سألت نفسي بعلامة استفهام تتضمن الإجابة بالنفي، وسيحدث أن أكرر ذات السؤال بعلامة الاستفهام نفسها وأنا في بهو آيا صوفيا، أتأمل المسلمين البسطاء وقد جاءوا يدخلون إبهامهم في ثقب بأحد أعمدة البهو ويتمنون على الله ما يتمنون ثم يحاولون إدارة أكفهم دورة كاملة بينما إبهامهم ماكث في الثقب، معتقدين أن من ينجح في إتمام الدورة يحقق الله رجاءه، والأسطورة تقول إن «محمد الفاتح» عندما أوغل في اسطنبول ودخل آيا صوفيا التي كانت مركز الحياة الروحية للإمبراطورية البيزنطية، أمسك بهذا العمود فغاص إبهامه في الحجر لأنه حمل ثقل كل هذا البناء الضخم في قبضته ليحوّل اتجاهه بحيث يتجه محوره نحو الكعبة.

أي ملمح غربي في ذلك؟ سألت نفسي، وتجلت الإجابة مرة أخرى في رحاب مسجد السلطان أيوب إذ رأيت موكب الختان، نعم أحب أن أسميه موكب الختان، فالصبي الصغير المقبل على الختان جيء به في حلة بيضاء متوشحا بوشاح من الساتان الأحمر المطرز ومعتمرا بتاج من نفس القماش واللون والتطريز، وما أن يصير الصبي وذووه ـ الأب والأم والأهل والجيران ـ في ساحة المرمر ويتكون الموكب، يضعون الصغير أمامهم ويتبعونه وهو يتقدمهم لدخول ضريح الصحابي الجليل، لقراءة الفاتحة وطلب البركة والسلامة والنجاة، وأن يرعى الله مسيرته في المستقبل.

لقد رأيت في ذلك مظاهرة روحية وإن كان داعيها هو

جرح الجسد، وهيهات أن ينسى الصغير وأن ينسى أهله ذلك الموكب الذي سيثبت في أعماقه مع جرح الختان، وبعد البرء منه، صورة لن تنمحي ـ في ظني ـ مهما انغمس هذا الصغير ـ كلما كبر ـ في طوفان الحياة الأوربية التي تقف اسطنبول على تخومها، أو في داخل هذه التخوم، بصمة للروح على ذلك الجسد، الذي وإن كان صغيرا بعد فقد تمت له التزكية بأن يقود المسيرة ويضمن استمرارها، باتجاه الروح، والروح مسلمة.

هذا ما أحسست به بجلاء وعمق، وأنا في هذه البقعة من أركان اسطنبول المتراصة، فالإسلام روح، وهي روح يسري المعمن بصماتها رغم كل شيء، على كل شيء.. العمارة، والملامح، والطعام، والحزن، والفرح.. ومسيرة الحياة منذ الميلاد وحتى الموت.

وقفلنا عائدين إلى زحام اسطنبول العادي وضوضائها العادية، لكن سليم سائقنا سمح المحيا، كان قد ادخر إحدى مفاجآته، فقد دس في مسجل السيارة شريطا، وأعلى الصوت، فحضرت عطور الدراويش وانسابت أبيات مولانا جلال الدين الرومي، وصدحت موسيقى المولوية.

وكان سليم مواظبا على جلب المسرة إلى نفوسنا بالغناء التركي الشجي الذي كان يدخره لنا في مسجلة السيارة، فعرفنا إبراهيم تالاساس وأجيدا وآيسا «عائشة»، وها هي موسيقى الدراويش ينداح فيها صوت الكمان ويغرد القانون ويتصاعد صوت الناي إلى الأعالي فتغتسل الروح بالشجا ونحن في طريق الرجوع.

قارب بين قارتين

عندما تركب باخرة تبحر بك من بحر مرمرة متجهة إلى البحر الأسود عبر مضيق البوسفور فإنك تحس بثقل التاريخ وهول الجغرافيا، وتحس أكثر بجلال الطبيعة وجمال الكون في إحدى أجمل بقاعه..

مضيق البوسفور، يسمونه أحيانا مضيق اسطنبول، وكلمة بوسفور تعني مخاض البقرة، ومرجع ذلك أسطورة تقول إن أيو كانت معشوقة زيوس، وكانت هيرا زوجته غيورا، فخاف على أيو من بطشها فحولها إلى بقرة، لكن هيرا عرفت ذلك فأرسلت لها نحلة أفزعتها حتى انحشرت في هذا المضيق. يمتد المضيق بطول ٣٢ كيلومترا ويتراوح عرضه بين ٥٠٠ متر في أضيق نقاطه وثلاثة كيلومترات في نقاط أخرى.



□ وجه تركي وسياق أوربي هذه هي ملامح الجيل الجديد في اسطنبول اليوم

صعدت إلى الباخرة وسط حشود البشر في المرسى البحري المواجه لمسجد «أمين أونو» والمجاور لجسر «جالاتا» وهذه البواخر تشبه في حركتها الوافرة أوتوبيسات النقل العام، تزدحم شرفاتها بالراكبين ويزدحم سطحها بالواقفين وراء سياجه، إذ إن المقاعد على السطح قليلة، ولقد فضلت هذه الرحلة بين الناس العاديين على رحلة أخرى للسياح تقوم من مرسى قريب لقصر «توب كابي». وكانت تتوقف كثيرا عند الضفاف.

انطلقت الباخرة كعمارة هائلة بيضاء تنساب على الماء رغم صوتها الأجش وصوت صافرتها الجهير، وعملت بنصيحة أهل الخبرة في التركيز على المنظر من منطقة الذيل، عند حط الأفق، حتى لا تضيع الصورة الشاملة في زحام التفاصيل الصغيرة..

ابتعدنا عن الرصيف المزدحم ببائعي السمك الخارج توا من الماء، وزوارق السمك المقلي التي تتأرجح قرب الشاطىء، ويتناول الآكلون «صندويتشاتهم» السـ حة من بين فتحات السياج. واتسع المشهد على جانبي ممر القرن الذهبي بين الجزأين الأوربيين من اسطنبول، لا البيوت القديمة والمآذن والقباب العتيقة في نا حية، ومدارج البيوت الأكثر حداثة ذات السقوف المـ طاة بالقرميد في الناحية الأخرى، ثم انعطفنا يسارا في اتجاه مدخل المضيق ولاح قصر «دولما باهشا» كعقـ من اللآلىء، ينعكس ألقها على صفحة الماء وتموجاته، ا صر



□ فروة «موهير» يستعرضها بائع في سوق الفراء بأنقرة



□ بائع الكستناء على أبواب سوق بورصة المغطى

الـذي تمتـد واجهتـه بطـول ٦٠٠ متر من المرمـر الأبيض والمعمار المزخرف بطـراز الروكوكـو، ولقد بنـاه السلطان عبدالمجيد عام ١٨٣٤ ليعيش فيه بعدما أحس بالاكتئاب من وطأة العيش بين جنبـات قصر «توب كـابي» العتيق، وهمت نفسـه إلى التغيير، ولعله كان محقـا في التخفف من ثقل تـوب كـابي واللجوء إلى اشراق «دولما بهجـة» ولقـد حذا حذوه سلاطين العثمانيين التالون له، إذ كانوا يجيئون الى القصر المضيء تـاركين «تـوب كـابي» معلقـا هنـاك في الأعالي مثقلا بالتاريخ والظلال.

مررنا بـ«دولما بهجـة» فـدخلت الباخـرة إلى مـرسى «بيشكتاش»، خلف المرسى كان قصر الـواجهة البحرية «سيرجـان سراي» الـذي تم تجديـده ليكـون أحـد أفخم فنادق اسطنبـول. نجتـازه، فينخطف البصر بهول تقنيـة البناء المعاصرة المعلقـة في جسر البـوسفـور الذي يبـدو كقوس خـرافي يطير مفتوحا فوق الماء، رابطـا بين الضفة الآسيوية عن يميننا والضفة الأوربية عن يسارنا.

لـ - تم بناء الجسر عـام ١٩٧٣ ويعتبر ثالث أكبر جسر معلق في العالم.

ـ تحت الجسر فيستديم ظلـه وقتا ونؤخذ بـارتفاعه وامـ ـده، ومـا أن تنجاب دهشـة الجسر المعلق حتى نرى الشـ ـمات الحمراء البـديعة على حـافة الماء عنـد الجانب الأ ـري، دقـائق وتظهر قلعتـان متقـابلتـان على ضفتي البو ـور هما قلعتا «روميلي» و«أنـادولو»، في هذه النقطة يبلغ ـوسفـور أضيق نقاطه إذ لا يزيد عـرضه عن ٥٠٠ متر، عند هـذه النقطة اختار ملك الفـرس «داريوس» أن يبني جسرا من القوارب لينقل عليه جنوده خلال معاركه مع البيزنطيين.

بعد أن يمتلىء البصر ببهجـة الضفاف المكللـة بخضرة الغابات تنعطف الباخرة إلى مـرسى «كامليكا» بعد جسر البوسفـور الثاني المسمى جسر محمد الفاتح وهـو أحدث وأصغر من الأول وتم افتتاحـه عام ١٩٨٧، وهناك ترى بائعي الزبادي الشهير «زبادي كـامليكا» الذي لا ألذ منه ولا أحلى عندمـا يؤكل مع ملعقة من السكـر. ثم تواصل الباخرة سيرها.

نرى في الجانب الأوربي فيـلات حي «طرابيا» البـديعة البيضاء ذات السقوف الحمراء من القرميد والتي توشك أن تحجبها خضرة الأشجار الكثيفـة، ثم تمضي السفينة إلى مرسـاها قبل الأخير عنـد «ساريير» وهـي قرية صيـادين جذابة بيـوتها متطاولة من الخشب أو الحجر لكنهـا ملونة بألوان مختلفة.

هبطنا من الباخرة عند نهاية الخط في الجانب الآسيوي عند «أناضولو كافاجي» لتناول وجبة من الأسماك الشهية في أحد المطـاعم البحريـة المنتشرة هناك، ثـم أطللنا، على المشهد الواسع من قلعـة جينويس على «صخرة الصراع» التي تمثل مـدخل البحـر الأسـود والتي أبحـر عبرهـا جايسـون وأرجونـاتوس في طريقهما للبحـث عن الفروة الـذهبية.. ثم قفلنـا عائديـن بالبـاخرة إلى سـاريير حيث كانت تنتظرنـا دعوة للعودة بالسيارة من هنـاك للإطلال



□ من آسيا الوسطى والوطن العربي.. جاءوا للسياحة في تركيا.

على أحياء ضفة البوسفور الأوربيـة. وكانت أوربية حقا، ببيوتها الحديثـة، ومحالها، وإيقاعهـا، وكثرة الغـرباء فيهـا، ولقد لمحنـا إعلانـا بالعـربية يقـول: «هنا شقـة مفروشـة لـلإيجار».. فكـان الإعلان مفـاجأة ابتسمنـا لها ومضينـا نأوب، ونحهز للخطوة التالية.

بورصة.. الحرير والثلج

جئنا من قارة إلى قارة عبر الجو، وهـا نحن نمضي من قـارة إلى قـارة على الأرض، من اسطنبـول إلى بـورصـة، دخلنـا جسر البوسفـور المعلق فـوق الماء فصارت أوربـا وراءنـا وآسيـا أمـامنا، البيـوت البيضـاء الغـارقـة وسط خضرة البساتين، والمسقوفة بحمـرة القرميد هي هي على الضفتين، لكن الجانب الآسيـوي تبـدو بيـوتـه متعـددة الطـوابق، عمائر لاستيعـاب الكثـافة السكـانيـة الأكبر في قلب تـركيا الآسيـوي، وبدا أن هنـاك شيئا مـا أكثر ألفـة رغم رقـة الحال النسبية لهذا الجانب الآسيـوي، فعبر كتلة البيـوت في القـرى لمحنــا بيـوتـا تـوحي بأن أصحـابها يشيدونها (طوبة على طوبة) فهي لا تعرف بذخ الاكتمال، ثم راحت الأرض تعلـو وتهبط ونحن نصعد بين التـلال الخضر والجبـال الهادئة حتى وصلنا إلى مـرفأ العبـارات، فدخلنـا بسيارتنا إلى إحـدى العبارات التي لا تنقطع عن عبور بحر مرمرة إلى «يـالاوا». كانت متعة احتساء كوب من الشاي التركـي مع بعض حبات من البنـدق على ظهر العبـارة المغمور بنسيم البحـر متعـة طازجـة، بينما البصر يرتحل بعيـدا الي ذرى الجبال الخضر الغـارقـة في الضباب، ومن «يـالاوا» أخـذنا في الصعـود نحـو بـورصة، جبـال خضراء تهجع في أحضـانها قـرى صغيرة، بضعـة بيـوت وساحة ومسجد، والمئذنة ملمح لا يغيب عن العين حيثما كانت هذه القرى، تذكـرني بمآذن البوسنة، فهي اسطوانية كاملة الاستدارة ومدببة بـدقة عند طرفها كأنها قلم مبري بـرهــافـة، يكتب على صفحــة السماء: مسلمـون، نحن مسلمـون، فهل يضير ذلك الآخريـن؟.. وأشعر بأنـا في حـاجة إلى فهم تـركيـا المسلمة بشكل أعمق، فلـو لم تكن تـركيا قـوية ربما قصفت مـدافع التعصب الآخر سمـوق هذه المآذن.

تتفتح ساحـات الجمال أمام أعيننـا، وتفر ونحن نسرع نحو بورصة، عيـون الماء المتفجرة من صخور الجبال على جانبي الطـريق، والجبال الخضر المتعاقبـة يتغير لونها كلما ابتعدت حتى تبدو سحابـا بنفسجيا عند خط الأفق، وفي أركـان الطـريق يعـرض بائعـو العسل البري والفواكه والكستنـاء بضـاعتهم، والقرويـات الجميـلات يـ[illegible]ن في خفـر أمام عـدسـة الكاميرا. ونـدخل بـورصة في [illegible]ائعة النهار.

بورصـة، المأخوذة عن اسـم الملك «بروسيـاس» أحد ملـوك «بيـوثينيـا» التي كـان المكـان رحـابها منذ اثنين وعشرين قرنـا، بورصـة أول عاصمـة للخلافـة [العثمانية] «١٣٢٦» وأول مـدينـة سكت فيهـا نقـود الع[ثمانيين]



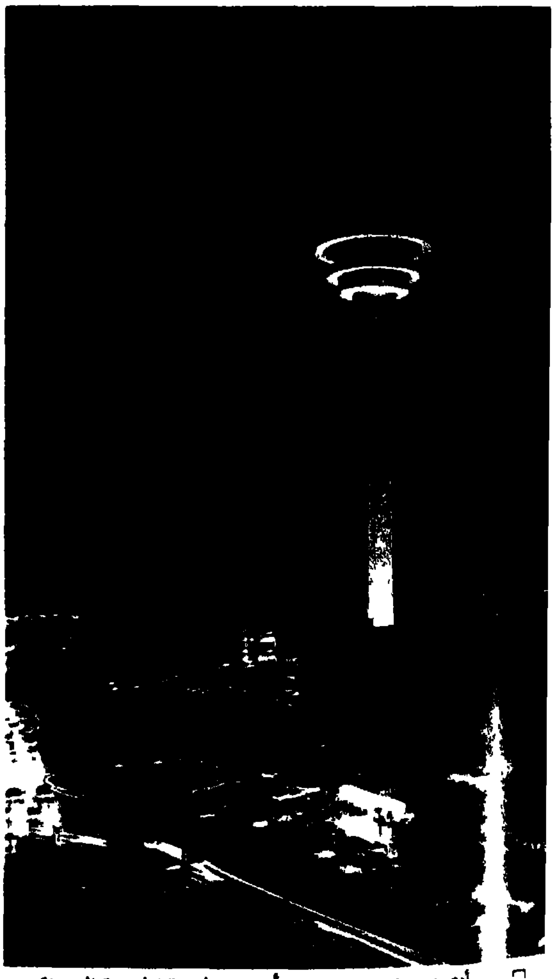
□ المحـرر في لحظة تركية مع عجوز مطربش أمام مسـجد السلطان أحمد باسطنبول. (التركي القديم كان يعتبر ظهور الرجل بدون غطاء للرأس عيبا لا يجوز عند المساجد).

ما زالت زاهرة تتفجر جنباتها بالمياه الحارة فتضرب شهرة حماماتها المعدنية الآفاق، ويعتدل نسيمها فلا يستنشق المرء أصفى منه ولا أرق، وتمر وجوه حسانها كالأطياف والأقمار فتكتمل دائرة الحس مع الإطلال من دراها الخضراء على سكينة خليج كيركابي الذي يرفده في حضنها بحر مرمرة. الماء والخضرة والوجه الحسن، والطعام الحسن، والغناء الحسن، والحرير الذي يمتد حسن صناعته إلى خمسة قرون في عمق الزمان، ولا ينتهي حسن بورصة.

لقد طفنا مسحوري الأرواح في ظلال المسجد الكبير المبنى من الحجارة المسواة برهافة الحرير، عبرنا بواباته الثلاث ومشينا تحت قبابه العشرين، وسمعنا القرآن بصوت تركي صاف لم تخدش صفاءه أصوات النوافير الست عشرة تحت قبة صحنه الهائلة.

«أولو كامي» أو المسجد الكبير، لم يكن هو آية الفن العثماني الوحيدة في بورصة، فقد رأينا هناك المسجد الأخضر المقدود كله من المرمر، والخان المعمول من الطابوق الوردي، والسوق المغطى الذي يعج بروائع نسيج بورصة وأريج عطورها.

غادرنا بورصة الخضراء ميممين شطر قمة «يولودوج»، فكان القلب معلقا في سماء بورصة والعين ترنو إلى القمة البعيدة المغطاة بالثلوج. ثلاثون دقيقة من الصعود في الجبال البكر، ومع كل مرحلة يتبدى فصل



□ أنقرة يرتفع مضيئا بين أضواء المدينة الحديثة العتيقة.



□ أنقرة وأبراجها السكنية العصرية، صورة لا تعكس النمط السائد في اللوحة التركية.

من الفصول تلوح علائمه على أوراق الشجر، أوراق الخريف الصفراء صفرة ذهبية، وأوراق الربيع الخضراء، وأوراق الصيف كثيفة الخضرة، وأغصان الشتاء العارية، ثم ترامت ساحة الثلوج أمامنا، بياضا ناصعا تطرف له العيون وبرودة قارصة لم نكن قد تدثرنا لها بما يكفي، فجلسنا في أحد المقاهي المطلة على ساحات التزلج نحتسي الشاي الساخن ونراقب المتزلجين في ملابسهم الملونة الثقيلة وكأننا نطل على ساحة تزلج سويسرية. نقاط بشرية ملونة تنساب في بهجة الثلج، وتغرينا بالخروج، فخرجنا لكننا لم نمكث إذ أسرعنا إلى جوف السيارة الدافئة نهبط من قمة الثلوج ساعين إلى سفر طويل في اتجاه قلب الأناضول.. في اتجاه العاصمة.

أنقرة .. وصال آخر

في تركيا، فسيفساء تلاقي الأماكن والأزمنة، لا تخطط كثيرا لخطوك، فمع كل خطوة سيتفتح أمامك عالم من سحر الأماكن وصدى الزمان ينادي خطوتك التالية،

لقد كنا ذاهبين الي العاصمة أنقرة لننهي استطلاعنا بشكر نقدمه لوزير السياحة التركي ولقاء نجريه معه، كما كـ على موعد مع مسئول كبير بوزارة الخارجية التركية لإجراء حديث ثقافي سياسي، وكانت الفترة الزمنية ضيقة بينما كان المسئولون في حالة حركة دائبة تهيؤا لانتخابات مارس، شكرنا من يسرّوا مهمتنا من وزارة السياحة التركية، وانتقلنا إلى مبنى وزارة الخارجية العصري الهائل. والتقينا بالمسئول عن العلاقات الخارجية السيد «فرهات إتمان»، تحاورنا حول الاستقرار في المنطقة، والفعالية الإقليمية، والتعددية كشرط حقيقي للتنمية والتحديث، واتفقنا بيقين على أن الثقافة هي بوابة ... حة والسلام الحقيقية ليعبر كل منا إلى قلب الآخر، و ... انت الثقافة هي التي حملتنا إلى قلب أنقرة بعد اللقاء.

وعلى الرغم من أن أنقرة تعتبر إحدى عواصـ ... لعاد الأكثر حداثة، إلا أن الموغل في قلبها يدرك كم هي ... ائرة في الزمان، فبعيدا عن قمتها العصرية حيث الش ... ارع الفسيحة المرصوفة جيدا، والأبراج السكنية، والفـ ... دق، والمطاعم، والمقاصف الأوربية، ومباني السفـ ... ارات



□ بائع اليانصيب على أرصفة اسطنبول.
والجائزة المنتظرة أربعة مليارات ليرة تركية!!

الحديثة، وعمائر الوزارات، ثمة قمم أخرى في تضاريس أنقرة التي تقع في حوض الأناضول مشرئبة على مجموعة من التلال هادئة الارتفاع، فما أن تأخذنا الشوارع الجانبية منطقة «جيسيكوندو» (والتي تعني مأوى الليل) حتى نحس بأننا في أنقرة أخرى، أنقرة القادمين من ريف الأناضول الذين لم يغير الكثيرون منهم أزياء الريف بعد، سلاسل النساء الضافية المزركشة وسراويل الرجال المتضاضة الوسط، حتى البيوت تبين متزاحمة وكأنها لا أن تترك شبرا خاليا على هذا التل، وهي ملونة شتى تحمل بساطة الذوق الريفي لثلاثة ملايين شكلون الثقل العددي الأكبر لسكان العاصمة ن على هذا التل الملون، أما حي القلعة القديم فهو حده في العراقة والعتاقة، يغوص في التاريخ حتى قرون فيما قبل الميلاد وتحوطه أسوار العثمانيين ان. نأكل لقمة شهية عجلى في مطعم عمره أكثر ، وبناؤه من الخشب والرخام، وننطلق في الأزقة الضيقة النظيفة. نحوم حول القلعة العتيقة فنجد أنفسنا في سوق التوابل، وسوق المكسرات والحبوب، ونمر على محال فراء الأغنام فنلمس نعومة أصواف الموهير التركي الشهيرة، ندخل بيت السجاد عند أقدام القلعة فتتألق في عيوننا أبسطة الحرير التركي، وسجادة الحرير دقيقة الصنع تتغير ألوانها مع تغير مساقط الضوء عليها، ومن بيت السجاد إلى بيت المصنوعات اليدوية العريقة: أطباق سيراميك «إزنك» بهية التلوين، ومصابيح النحاس المطروق، والنرجيلات المزوقة، والسماورات، وخرزات الكريستال الأزرق، والصناديق المطعمة بالعاج والأصداف، وتماثيل الدراويش من البورسلين الأبيض.

وعلى مبعدة خطوات قليلة نعثر على متحف الحضارة الأناضولية، ونمضي من زمن إلى زمن، بادئين من آثار العصر الحجري الحديث حتى الرومان، نتوقف طويلا أمام آثار إحدى الحضارتين الأعرق في تاريخ البشرية، أي حضارة ساكني الجبال، (بموازاة حضارة المصريين القدامى التي كانت حضارة وديان).. حضارة الحيثيين التي تعتبر ملمحا زاهرا من ملامح عصر البرونز. ولغتها «الحيثية» تعتبر أم اللغات الهندوأوربية التي خرجت منها اللغات التي تتحدث بها أوربا والهند في عصرنا.

شدهتنا وبهرتنا أعمال النحت الضخمة الرهيفة في الحجر، وفتنتنا أدوات الحياة التي يختلط فيها الجمال بالنفع، حيث الجرار تتشكل في صور حيوانات وطيور، والنصال تزهو بروعة الزخرفة والتماثيل تسجل بدفء القلب البشري لسعي الإنسان في بيئة الجبال الوعرة.

وخارج بوابة المتحف حيث كان النسيم الشتوي باردا ومنعشا، كانت أنقرة هناك، تلالا للقديم والجديد وسط هضبة الأناضول التي ترتفع ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. إطلالة على عالمين يبدوان مختلفين في تركيا، عالم الساحل الغربي الذي تمثله اسطنبول وعالم الهضبة الآسيوية التي كنا نقف في مركزها. وحانت مني التفاتة مندهشة إلى مرشدتنا في أنقرة، لقد قالت إن اسمها «أويسال»، فسألتها عن معنى الاسم، ولما شرحت لي عرفت أن هذا الاسم هو بالعربية «وصال».

طوفت البصر بالأرجاء الرحيبة في أنقرة، وكنت أطالع في خاطري تركيا التي رأينا فيها الكثير ولم نر الأكثر، لوحة فسيفساء تتجاور وحداتها الزمانية والمكانية، لكنها لا تبدو منفصلة، قلت مفكرا بصوت مسموع: إنه «وصال». فظنت مرافقتنا أنني أناديها، لكنني كنت أنادي سر لوحة الموزاييك التركية الفاتنة.□

عصر الجنرالات

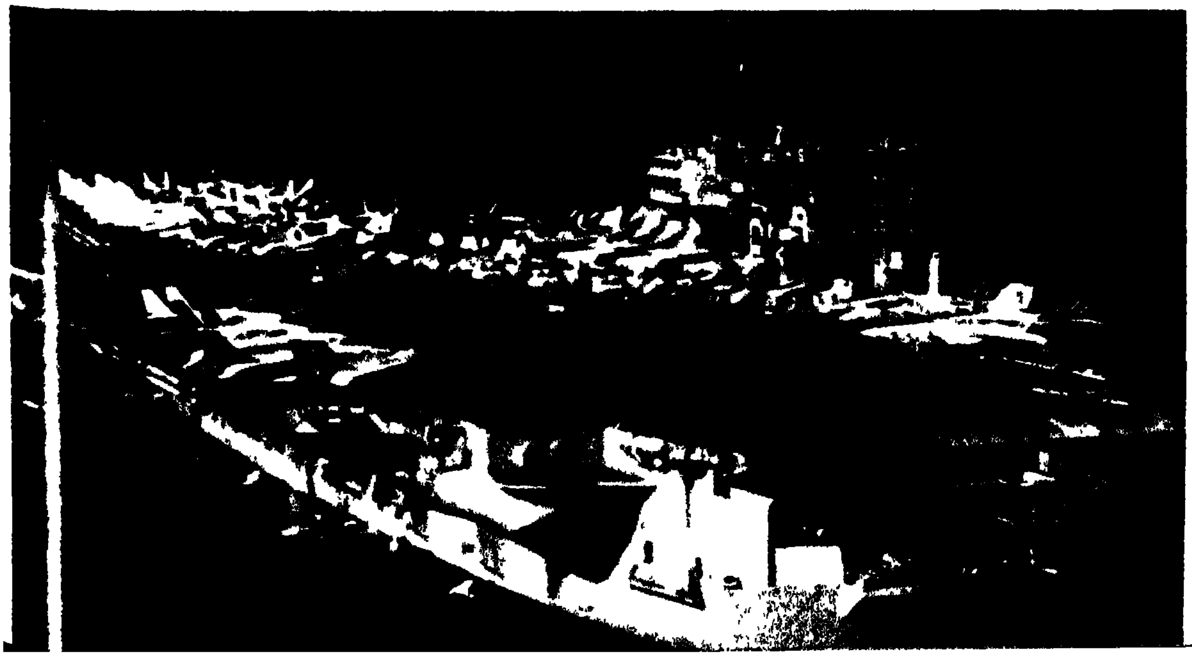
بقلم: شـــــوقي رافع

مبلغ طـائل يـدفعـه المواطن العـربي كل عـام من أجل مـا يمكن أن يطلق عليـه أمنـه وسـلامته.. يـدفعه دون أن يـدري ودون أن يحس أنـه يقتطعه من ضروريـات حياتـه.

يدفع المواطن العربي في كل عام مبلغ ٦٠٠ دولار تقريبـا لحماية أمنه الشخصي والـوطني، وإذا كان هـذا المواطن العـربي يعـول أسرة من ٥ أفـراد، فإن هـذا المبلغ سوف يرتفع إلى ٣٠٠٠ دولار يدفعهـا سنويا ومنذ ٢٠ عاما، كي يأوي مع أسرته إلى فراشه آمنا مطمئنا، وإذا كان هـذا المواطن العربي لا يملـك شروي نقير، فلا مبرر لديه للقلق، لأن حكومته سوف تجد دائما من تستدين منه لحماية مواطنيهـا الأعزاء، أما إذا كان هنـاك مواطن عربي عـزيز لا يصـدق أنـه يـدفع هذا المبلـغ فعلا، بينما هـو لا يستطيع شراء كتاب مـدرسي لابنه إذا توافـرت المدرسة، ويعجـز عن شراء دواء لابنتــه إذا تـوافـر الطبيب أو المستشفى، ولا يـوفـر لحمـه الحي لانتـزاع مـا يكفي من اللحم والخبز لأطفـاله، وهـو قليل، فإن على هذا المواطن العـربي العـزيـز أن يسعى لاستعـارة أو استئجـار كتـاب «السلاح والخبـز» لمؤلفه الـدكتور عبدالرزاق الفـارس، وعنـدئذ ربما يكتشف أن المدفع وليس الخبز ولا المدرسة ولا العـافيـة هو مـا يجعلـه أكثـر المواطنين عزة وكـرامة وإباء.. في العالم كله(!).

ومع أن الكتاب هـو دراسة في الاقتصـاد السياسي عن الإنفـاق العسكري في الـوطن العـربي من ١٩٧٠ وحتى ١٩٩٠م ومع أن صفحاته وهي تـزيد على ٤٠٠ صفحة، لا تتضمن إلا أرقـامـا بـاردة، ورسـوما بيـانيـة جـافـة، وإحصاءات مع مقـارنات مـرهقة بالإضـافة إلى بيـانات ريـاضيــة، فإن هـذا الكتـاب يصلح أن يكــون «ديوان العرب» في خاتمة القرن العشرين، يحكي عن «أيامهم» في ملحمـة سوداء تنبض أرقـامها البـاردة وحروفهـا الهادئة بفيض من المرارة والحزن يعجز حتى أصحـاب المعلقات أن يأتوا بما هو أشد منـه بكاء أو استبكاء ليس على أطلال

□ إحدى حـاملات الطـائرات الأمريكيـة.



ا...ي فحسب وإنما على أطلال الغد أيضا(!). يقول ال...تور الفارس في مقدمة كتابه: «ظاهرتان بارزتان ميزتا الو...ن العربي خلال العقود الأربعة الماضية، الأولى هي ...، أنظمة عسكرية أو أنظمة سياسية مدعومة من قبل المؤسسات العسكرية في العديد من البلدان العربية، والثانية هي ديمومة ظاهرة الحروب والنزاعات المسلحة».

وعن الظاهرة الثانية يقول: «خلال هذه الفترة كان هناك ثلاث حروب بين العرب وإسرائيل، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، عدا عن حرب الاستنزاف التي أعقبت نكسة حزيران ــ يونيو ١٩٦٧، والاحتياح الإسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢، وكذلك الحرب العراقية ــ الإيرانية خلال الفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٨٨، يضاف إلى ذلك مئات الحروب والمنازعات الصغيرة والمناوشات الحدودية والحركات الانفصالية». وحرب الخليج الثانية.

ويضيف. «ونتيجة هاتين الظاهرتين، وعوامل أخرى، مثل الارتفاع الهائل في عائدات النفط، أنفقت البلدان العربية ما يقارب من ١٠٠٠ «ألف» مليار دولار على المؤسسات العسكرية خلال عقدين من الزمن، السبعينيات والثمانينيات..».

هذا هو الرقم الأول في الإنفاق العسكري لحوالي ٢١٧ مليونا يضمهم الوطن العربي، وقبل اقتحام المجاهل السرية لهذا الإنفاق الموصوف في معظم البلدان العربية بأنه من أسرار الدولة العليا، والكشف عنه قد يؤدي إلى تعريض الأمن القومي أو الوطني للخطر، لابد من وقفة عند المصادر التي يعتمدها المؤلف، وأبرزها خمسة مصادر هي: تقديرات صندوق النقد العربي، وتقديرات المعهد الدولي لأبحاث السلام في استوكهولم والبيانات التي ينشرها صندوق النقد الدولي، والإحصاءات العسكرية المنشورة من قبل وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح في الولايات المتحدة، وأخيرا البيانات العسكرية المتوافرة في التقرير السنوي الذي يصدره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن، ويحدد المؤلف حوالي ٣٠٠ مصدر بالعربية والإنجليزية اعتمدها في جمع المعلومات الواردة في دراسته، كما أن الدكتور الفارس يعتمد منهجا «حنبليا» في تأليفه، فهو لا يتعسف بفرض رأيه أو استنتاجه، وإنما غالبا ما يطرح النظرية ونقيضها والمعلومة كما وردت في أكثر من مرجع ويترك الاستنتاج للقارىء.

كارثة العصر وأخواتها

الرقم الثاني هو أن حرب الخليج الثانية أو كارثة العصر كما تسمى أوقعت بالمواطن العربي خسائر وصلت حتى الآن «١٩٩١» إلى مبلغ ١٣٧١ مليار دولار، يضاف إليها مبلغ ٣٠٠ مليار دولار دفعها شعب العراق خلال ٨ سنوات من الحرب مع إيران، ومن دون أن تضيف إلى هذه الفاتورة المرعبة خسائر الأرواح البشرية، وخسائر الحروب العربية مع إسرائيل، وهي هائلة التكاليف وتحتاج إلى مجلدات لإحصائها، ودون أن نحسب أيضا تكاليف الحروب في لبنان وفي السودان وفي صحراء المغرب العربي، فإننا نكتشف أن الوطن العربي وخلال العقدين الماضيين، كان يخصص ما يتراوح بين ٢٣ بالمائة كحد أدنى و٦٩ بالمائة من إنفاقه العام للنفقات العسكرية(!).

□ بطارية صواريخ باتريوت التي كان لها دور فعال في حرب تحرير دولة الكويت

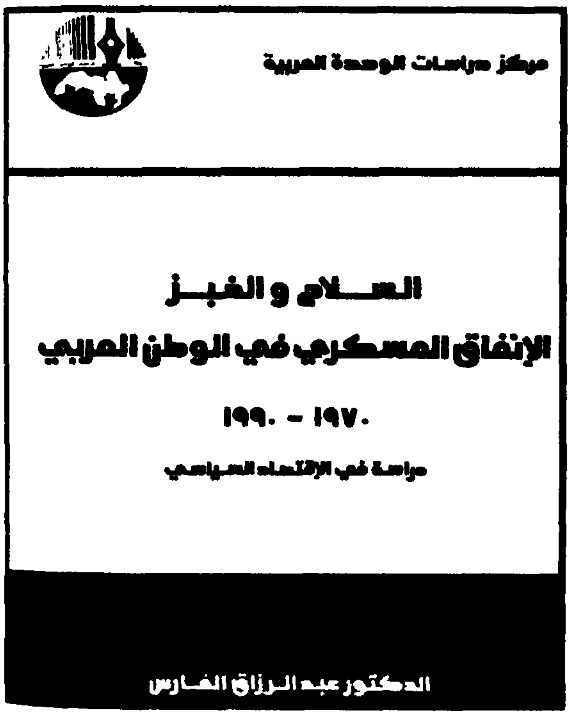


وبالتأكيد فإن هذا التعميم «يظلم» بعض الدول الصغرى التي تنفق وفق إحصاءات الكتاب على التربية أكثر مما تنفقه دول أكبر منها، كما أنه لا ينصف بعض الدول الغنية التي تنفق ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ دولار سنويا لحماية كل فرد فيها.

ادفع سلما و.. حربا

وهذا الوطن العربي يدفع سلما ويدفع حربا، في أيام السلم يبني مؤسساته الحربية، ويعمل على تحديث جيوشه ويشتري أسلحة متطورة بما نسبته ١٥ بالمائة من مجموع نفقاته العسكرية، ومعدل هذه النفقات الوسطى هو ٥٠ ألف مليون دولار سنويا، ثم يحارب فينتصر، كما في حرب العبور المباركة عام ١٩٧٣، أو «ينتكس» كما في حرب عام ١٩٦٧، أو ينتحر كما في «أم المعارك».. وهو في كل الحالات يعيد بناء ما دمرته الحرب، والأهم أنه يزيد من عدد جيوشه، ويرفع من كفاءة أسلحته، ويدفع ثمن أغلى معدات عسكرية في العالم، نقدا أو بالتبادل أو.. بالديون مع الفوائد بالطبع.

هل الأمور تبدو بهذا السوء؟ عبدالرزاق الفارس يكتفي غالبا بتشخيص حال الأمة، وتوصيف الأعراض التي تتنابها في أيام السلم وفي ساعات الحرب مستعينا بعشرات النظريات والآراء في محاولة فهم النتائج والأسباب، وتقديم الإجابات، أو إثارة التساؤلات متى عزت الإجابة، وهو يلاحظ منذ البداية «أن عنوان الدراسة السلاح والخبز / الإنفاق العسكري في الوطن العربي، قد يوحي بأن هناك كيانا اسمه «الوطن العربي» وأن له إنفاقا عسكريا، إلا أن الحقيقة هي أن التجزئة كانت الطابع الغالب على البلدان العربية منذ مطلع هذا القرن، وكانت المصالح القطرية هي المحرك الأساسي للعديد من السياسات الاقتصادية والعسكرية، فغياب التنسيق فضلا عن التوحيد لم يؤد إلى هدر الموارد الاقتصادية فقط، وإنما قاد إلى صياغة توجهات مستقلة من قبل البلدان العربية، أدت في بعض الأحيان إلى أوجه من الصراع العسكري بين هذه البلدان، ونظرا إلى أن أحد أهم أهداف الدراسة هو إبراز مقدار العبء العسكري في البلدان العربية، فقد آثرنا دراسة الإنفاق العسكري لكل دولة على حدة، بالرغم من


مركز دراسات الوحدة العربية

السلاح والخبز

الإنفاق العسكري في الوطن العربي

١٩٧٠ - ١٩٩٠

دراسة في الاقتصاد السياسي

الدكتور عبد الرزاق الفارس

□ الدبابات عماد السلاح البري التي يزداد الطلب عليها في المنطقة العربية

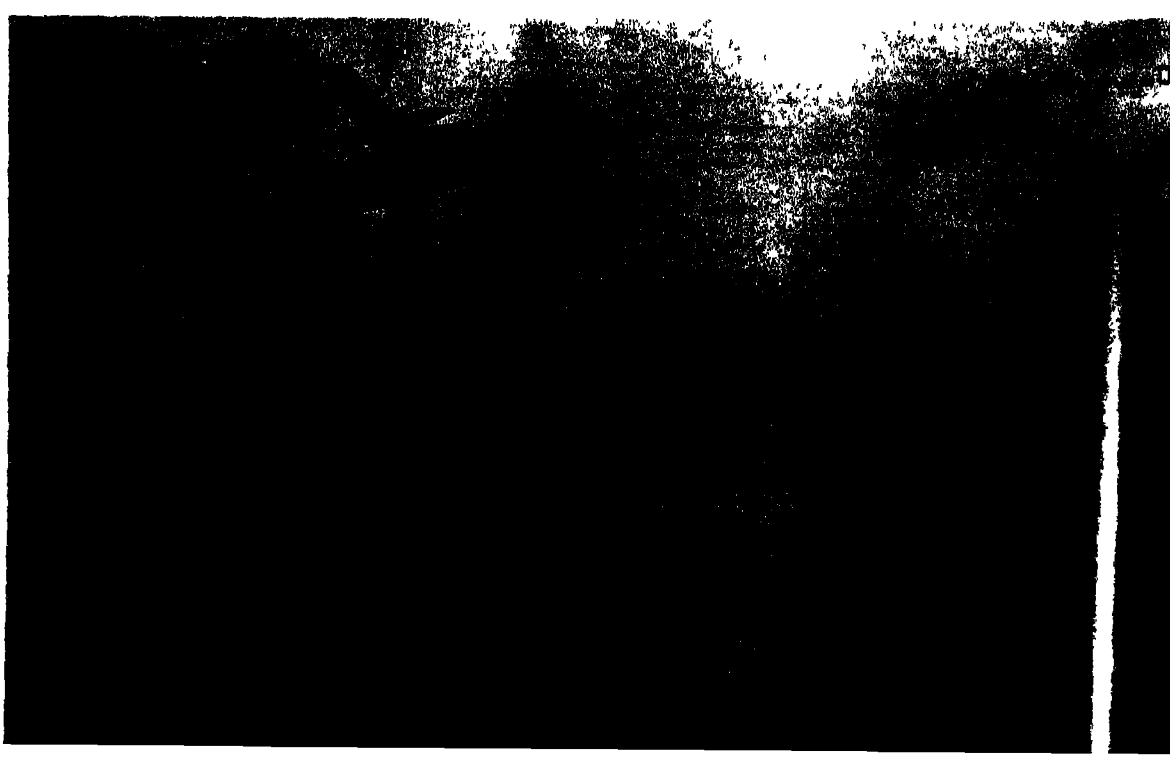


أن الفصل الثالث قد احتوى مقارنة الإنفاق العسكري «للوطن العربي» بالوحدات الجغرافية والعسكرية الأخرى في العالم» كما يلاحظ المؤلف ثان «أن الإنفاق العسكري» ليس ظاهرة اقتصادية بحتة، بل ينطوي على جوانب سياسية واجتماعية واستراتيجية، وإخضاع الإنفاق العسكري للتحليل الاقتصادي التقني البحت قد يقود إلى مزيد من الضلال حول هذا الموضوع، وبالرغم من احتواء الدراسة على جوانب عديدة من التحليل الإحصائي والقياسي، إلا أن ذلك قد قدّم ضمن إطار «الاقتصاد السياسي».

العسكرة والتجنيد و.. المجتمع

وهذا هو الجديد في دراسة الدكتور الفارس، فالأرقام والإحصاءات كما تطرحها المؤسسات الدولية تعنى غالبا بالجانب «التقني» للإنفاق العسكري، حتى عند المقارنة بين ما تصرفه دولة ما على العسكر وما تنفقه على الصحة والتعليم والتنمية، فإن هذه المؤسسات تتعامل مع المواطنين في هذه المجتمعات وكأنهم ـ على حد وصف الفيلسوف جان بول سارتر ـ حبات حمص باردة تتدحرج كل حبة بمعزل عن سواها، ولكل منها حصة من المدافع ومن التعليم ومن العلاج، قد تزيد أو تنقص، ولكن هذه الحبات لا تتفاعل فيما بينها، وهذا هو «الضلال» بالتأكيد، لأن «عسكرة» المجتمع مثلا ليست مسألة اقتصادية تقنية، بل هي قضية سياسية واجتماعية واستراتيجية، ولنأخذ كنموذج مسألة تكوين جيش دائم من خلال التجنيد الإلزامي، أو من خلال التجنيد التطوعي غير الإلزامي. يقول المؤلف «من الملاحظ أن العديد من الدول تلجأ إلى الصيغة الأولى أثناء الحرب فقط، ولكن البعض منها مثل اليونان وسويسرا وإسرائيل وكثير من البلدان العربية تطبق ذلك أثناء فترات السلم أيضا، والقضية محل النقاش في التجنيد الإجباري هي أن الأجور التي تدفع للمجندين أثناء الخدمة تقل كثيرا عن الدخل الذي يمكنهم الحصول عليه عند قيامهم بنشاطات اقتصادية أخرى، فالتجنيد الإلزامي من هنا قد يولد جانبين من جوانب التشوه في الهيكل الاقتصادي، أولا: الخسائر الاقتصادية التي تتمثل في تكلفة «الفرصة البديلة» للقوى العاملة المنخرطة في خدمة الدفاع، وهي تساوي الأجور التي يمكن لهؤلاء الحصول عليها في حالة عدم الانخراط في الخدمة العسكرية. ثانيا: احتمال أن التجنيد الإلزامي يؤدي إلى تدهور أداء المؤسسة العسكرية، حيث إن انخفاض تكاليف هؤلاء المجندين قد يقود إلى ميل المؤسسة العسكرية إلى بناء جيش كبير العدد، ولكنه ضعيف من حيث السلاح، وبالمقابل فإن الجيش التطوعي سيستلزم البحث عن أكفأ الطرق للدفاع والتي قد تعني المزيد من المعدات الحربية، وقليلا من الرجال».

ويضيف المؤلف «ينبغي عدم قبول النقاش أعلاه على عواهنه، فالجيش الدائم المكون من متطوعين قد تعتوره نواقص أهمها: أولا: إن التجنيد التطوعي يؤدي إلى عدم العدالة، فمن المتوقع أن يتجه إلى الجيش الطبقات الفقيرة بسبب تدني مستويات التعلم بين

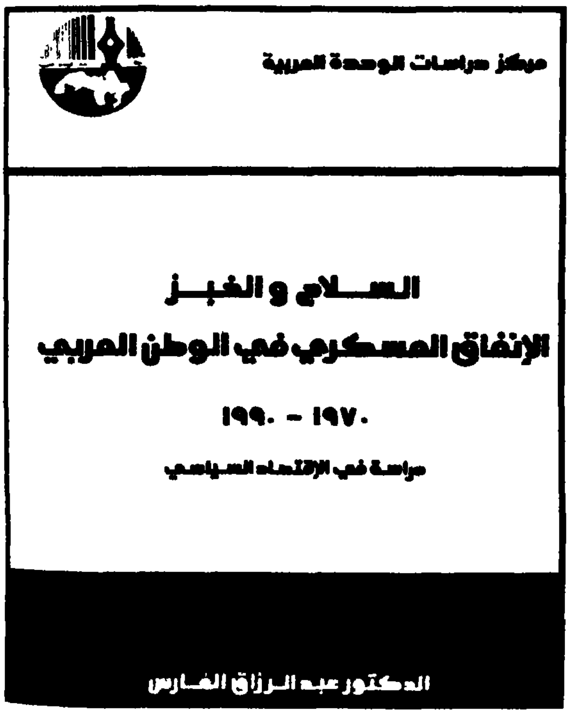


وبالتأكيد فإن هذا التعميم «يظلم» بعض الدول الصغرى التي تنفق وفق إحصاءات الكتاب على التربية أكثر مما تنفقه دول أكبر منها، كما أنه لا يصف بعض الدول الغنية التي تنفق ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ دولار سنويا لحماية كل فرد فيها.

ادفع سلما و.. حربا

وهذا الوطن العربي يدفع سلما ويدفع حربا، في أيام السلم يبني مؤسساته الحربية، ويعمل على تحديث جيوشه ويشتري أسلحة متطورة بها نسبته ١٥ بالمائة من مجموع نفقاته العسكرية، ومعدل هذه النفقات الوسطى هو ٥٠ ألف مليون دولار سنويا، ثم يحارب فينتصر، كما في حرب العبور المباركة عام ١٩٧٣، أو «ينتكس» كما في حرب عام ١٩٦٧، أو ينتحر كما في «أم المعارك».. وهو في كل الحالات يعيد بناء ما دمرته الحرب، والأهم أنه يزيد من عدد جيوشه، ويرفع من كفاءة أسلحته، ويدفع ثمن أغلى معدات عسكرية في العالم، نقدا أو بالتبادل أو.. بالديون مع الفوائد بالطبع.

هل الأمور تبدو بهذا السوء؟ عبدالرزاق الفارس يكتفي غالبا بتشخيص حال الأمة، وتوصيف الأعراض التي تنتابها في أيام السلم وفي ساعات الحرب مستعينا بعشرات النظريات والآراء في محاولة فهم النتائج والأسباب، وتقديم الإجابات، أو إثارة التساؤلات متى عزت الإجابة، وهو يلاحظ منذ البداية «أن عنوان الدراسة السلاح والخبز / الإنفاق العسكري في الوطن العربي، قد يوحي بأن هناك كيانا اسمه «الوطن العربي» وأن له إنفاقا عسكريا، إلا أن الحقيقة هي أن التجزئة كانت الطابع الغالب على البلدان العربية منذ مطلع هذا القرن، وكانت المصالح القطرية هي المحرك الأساسي للعديد من السياسات الاقتصادية والعسكرية، فغياب التنسيق فضلا عن التوحيد لم يؤد إلى هدر الموارد الاقتصادية فقط، وإنما قاد إلى صياغة توجهات مستقلة من قبل البلدان العربية، أدت في بعض الأحيان إلى أوجه من الصراع العسكري بين هذه البلدان، ونظرا إلى أن أحد أهم أهداف الدراسة هو إبراز مقدار العبء العسكري في البلدان العربية، فقد آثرنا دراسة الإنفاق العسكري لكل دولة على حدة، بالرغم من



□ الدبابات عماد السلاح البري التي يزداد الطلب عليها في المنطقة العربية

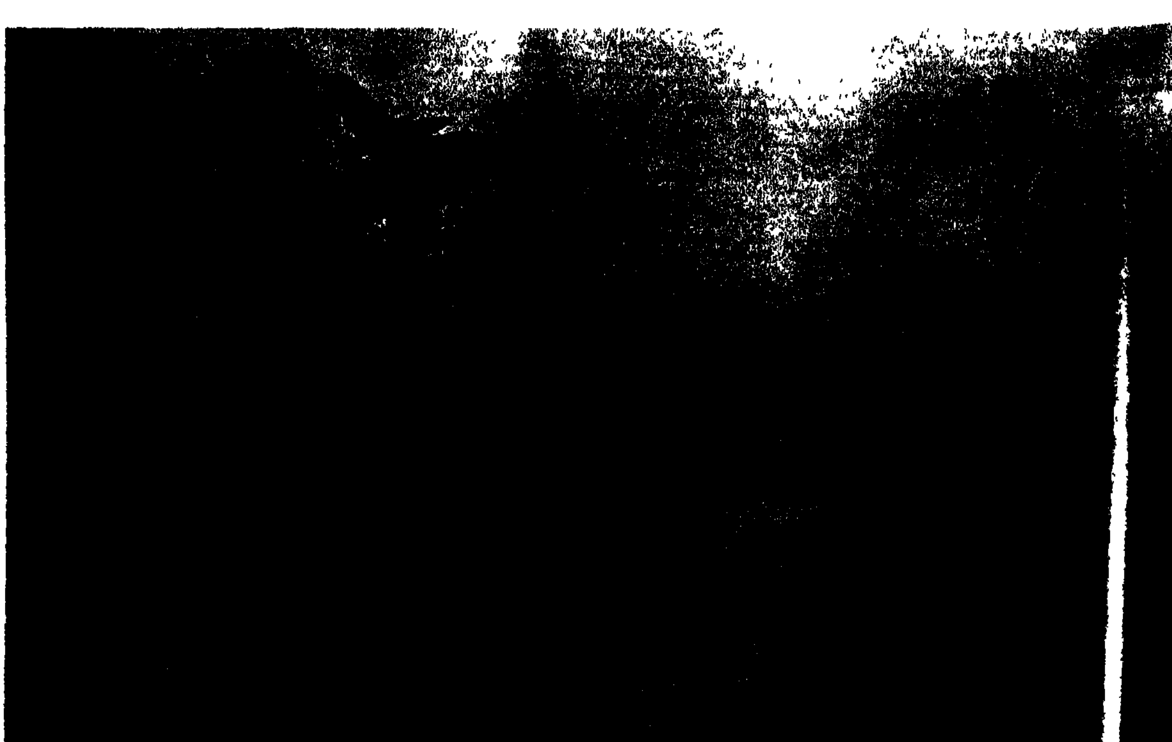


أن الفصل الثـالث قـد احتـوى مقـارنــة الإنفـاق العسكري «للـوطن العـربي» بالـوحدات الجغـرافية والعسكـريـة الأخرى في العـالم» كما يـلاحظ المؤلف ثاني «أن الإنفـاق العسكري» ليس ظاهـرة اقتصادية بحتـة، بل ينطوي على جـوانب سيـاسية واجتماعيـة واستراتيجية، وإخضاع الإنفـاق العسكري للتحليل الاقتصـادي التقني البحت قـد يقـود إلى مـزيـد من الضلال حـول هذا الموضـوع، وبالرغـم من احتواء الدراسة على جوانب عديدة من التحليل الإحصائي والقياسي، إلا أن ذلك قد قدّم ضمن إطار «الاقتصاد السياسي».

العسكرة والتجنيد و.. المجتمع

وهـذا هو الجديـد في دراسـة الـدكتور الفـارس، بالأرقـام والإحصـاءات كما تطـرحهـا المؤسسـات الدولية تعنى غـالبـا بـالجانب «التقني» لـلإنفـاق العسكري، حتى عنـد المقارنة بين ما تصرفـه دولة ما على العسكـر ومـا تنفقـه على الصحـة والتعليم والتنمية، فإن هذه المؤسسات تتعامل مع المواطنين في هذه المجتمعات وكأنهم ـ على حد وصف الفيلسوف جان بـول سارتر ـ حبات حمص باردة تتـدحرج كل حبة بمعزل عن سواها، ولكل منها حصة من المدافع ومن التعليم ومن العلاج، قد تزيد أو تنقص، ولكن هذه الحبات لا تتفاعل فيما بينها، وهذا هو «الضلال» بالتأكيـد، لأن «عسكرة» المجتمع مثـلا ليست مسألة اقتصادية تقنيـة، بل هي قضيـة سيـاسية واجتماعيـة واستراتيجية، ولنأخذ كنمـوذج مسألة تكوين جيش دائم من خـلال التجنيـد الإلـزامي، أو مـن خـلال التجنيد التطـوعي غير الإلزامي. يقـول المؤلف «من الملاحظ أن العديد من الدول تلجأ إلى الصيغة الأولى أثنـاء الحرب فقط، ولكن البعض منهـا مثل اليونـان وسويسرا وإسرائيل وكثير من البلـدان العربية تطبق ذلك أثناء فترات السلم أيضـا، والقضية محل النقاش في التجنيـد الإجبـاري هي أن الأجـور التي تـدفع للمجندين أثنـاء الخدمة تقل كثيرا عن الـدخل الذي يمكنهم الحصـول عليـه عنـد قيـامهم بنشـاطـات اقتصادية أخرى، فالتجنيد الإلـزامي من هنا قد يولد جـانبين من جوانـب التشوه في الهيكل الاقتصـادي، أولا: الخسـائر الاقتصـاديـة التي تتمثل في تكلفـة «الفرصة البديلة» للقوى العـاملة المنخرطة في خدمة الـدفـاع، وهي تسـاوي الأجـور التي يمكن لهؤلاء الحصـول عليها في حـالة عـدم الانخراط في الخدمـة العسكريـة. ثانيا: احتمال أن التجنيد الإلـزامي يؤدي إلى تـدهـور أداء المؤسسـة العسكريـة، حيث إن انخفاض تكـاليف هؤلاء المجندين قـد يقود إلى ميل المؤسسة العسكرية إلى بنـاء جيش كبير العدد، ولكنه ضعيف من حيث السـلاح، وبـالمقـابل فإن الجيش التطوعي سيستلـزم البحث عن أكفأ الطرق للـدفاع والتي قد تعني المزيد من المعدات الحربية، وقليلا من الرجال».

ويضيف المؤلف «ينبغي عـدم قبـول النقاش أعـلاه على عواهنـه، فالجيش الدائم المكون من متطـوعين قد تعتوره نواقص أهمها: أولا: إن التجنيد التطوعي يؤدي إلى عـدم العـدالـة، فمن المتـوقـع أن يتجه إلى الجيش الطبقـات الفقيرة بسبب تـدني مستـويـات التعلم بين



أفرادها، وعدم توافر بدائل أفضل، وتبدو عدم العدالة في أوضح صورها حين وقوع حرب، حيث إن عبء الدفاع سيقع على طبقة واحدة في المجتمع، هي الطبقة التي لا تملك، ومن هنا فإنه من الخطورة بمكان التعامل مع الدفاع كسلعة تحدد قيمتها في السوق، الدفاع هو واجب وطني يبغي تحمله من جميع الأفراد بتباين خلفياتهم الاجتماعية. وثانيا: إذا كان لا يخدم في الجيش التطوعي إلا الأفراد الذين تكلفة الفرصة البديلة لديهم منخفضة، فإن تكوين هذا الجيش وأداءه سيكون ضعيفا بسبب تدني مستويات الأفراد المنتسبين إليه».

الوحش يخرج من قفصه

وبالتأكيد فإن خلق الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي يجعل من نفقات الدفاع العربية «شرا لا بد منه» خاصة وأن هذا الكيان العدواني كان يكرس خلال السبعينيات «ربع قيمة الناتج القومي الإجمالي لبرنامج التسلح النووي، وجهود الاستيطان في الأراضي المحتلة، كما جعل متوسط النمو السنوي لنفقات الدفاع تصل إلى نسبة ٢١ بالمائة وهو من أعلى المعدلات في العالم»، وهو ما دفع أحد الاقتصاديين للقول «إن من شأن الاستمرار في نمط تحقيق الموارد الحالي أن يقود إلى وضع غريب، إذ إنه بدلا من أن يكون لإسرائيل جيش قوي، فإنه سيكون هناك جيش قوي، لكن من دون دولة إسرائيل» أي أن الجيش سيبتلع الدولة(!).

إذن هل يمكن الاستنتاج أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي هو ما أطلق وحش السلاح من قفصه ليلتهم ثروات معظم الوطن العربي؟.

يقول المؤلف: «الحقيقة المرة التي تواجهنا للوهلة الأولى هي أن حوالي نصف البلدان العربية التي يشكل حجم إنفاقها العسكري أكثر من ٥٦ بالمائة من جملة الإنفاق العسكري العربي خلال العقدين الماضيين، هي بلدان لا يحيط بها سوى بلدان عربية أخرى، ولذا فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن جزءا كبيرا من العبء العسكري العربي موجه أساسا إلى بلدان عربية أخرى، وأن الصراعات العربية ـ العربية وسباق التسلح العربي ـ العربي يشكلان عاملا مهما في تفسير تطور الإنفاق العسكري في الوطن العربي، أو على الأقل فإن غياب مفهوم الأمن العربي الموحد أو السياسات التنسيقية بين البلدان العربية يؤدي إلى هدر كبير للموارد الاقتصادية».

تمويل حرب الخليج الثانية وتوزيعه حسب الدول المتعهدة والدول المستفيدة (مليون دولار)

الدول المتعهدة	الدول المستفيدة: الولايات المتحدة	الدول المستفيدة: بريطانيا	الدول المستفيدة: مصر وتركيا	الدول المستفيدة: دول أخرى	المساعدات العينية*	الجملة
العربية السعودية	١٦ ٨	٥٦	٢ ٨٥	١,٧١	٦, ٠	٩٨ ٢
الكويت	١٦ ١٠	١ ٣٢	٢ ٥	٢,١٨٠	—	١٠ ٢١
الإمارات العربية المتحدة	٣ ٥	٥	٨٥٠	٦٢	١٤	٦١
المجموعة الأوروبية	—	—	٨	—	—	١
فرنسا	—	١٧٥	٢	٣٠	—	٥ .
ألمانيا	٦ ٥٧	٦	١ ١٩	٩٤	٥٣	٩ ٨٣
إيطاليا	٤٥	٢٠	٦٥	-	—	١ ٢
دول أوروبية أخرى	—	—	١٩	—	—	١٩
اليابان	١ ٧٤٠	—	٢ ١٣	١ ٠	٤٦	٣ ٤٣٠
كوريا الجنوبية	٣٧	—	١	٢٠	٢	٥١
النرويج	—	—	٢	٨	—	١
سويسرا	—	—	١٢	—	—	١٢
دول أخرى	—	—	١٧	—	—	١٧
الجملة	٥٤ ٤٤	٣١٧٥	١١,٧٧٠	٥٧٤	٧١٥٠	٨٢ ٢٦٥

* تكاليف إمدادات النفط والماء والغذاء والخدمات الأخرى للقوات الدولية

ويقول أيضا: لقد فاقت معدلات نمو الإنفاق العسكري في الوطن العربي معدلات نمو الدخل القومي ومعدلات نمو التكوين الرأسمالي الثابت لكل البلدان العربية، إن هذا يحدث في وقت لا تزال معدلات الأمية بين الكبار في الوطن العربي تتجاوز ٤٤ بالمائة، وبين النساء تصل إلى ٥٦ بالمائة، ومعدلات وفيات الأطفال تقارب ٧٠ لكل ألف طفل مقارنة مع ٨ بالألف في الدول الصناعية، و٣٥ بالألف في دول شرق آسيا ولايزال قطاع واسع من الشعب العربي يفتقد الحاجات الأساسية، مثل توافر مياه الشرب النقية ووسائل التصريف الصحية الحديثة والكهرباء، وكذلك عدم كفاية الخدمات الصحية الحالية للحاجات المتزايدة، ولو أخذنا مؤشرا واحدا لذلك وهو عدد الأشخاص لكل طبيب لوجدنا أن المتوسط للوطن العربي في منتصف الثمانينيات كان ٣٧٠٠ فرد لكل طبيب، في مقابل ٤٥٠ فردا لكل طبيب في الدول الصناعية و٢٤٠٠ فرد لكل طبيب في دول شرق آسيا، و١٢٣٠ فردا لكل طبيب في دول أمريكا الجنوبية(!). وإذ كان هذا العالم يشكو من نقص في الأطباء وفي المدارس فإنه بالتأكيد لا يشكو من نقص في المدافع التي تحولت بفضل مهارة الجنرالات إلى وسيلة شعبية(!).☐

توليد الكهرباء عن طريق المفاعلات النووية تلقى ضربة قوية مع اشتعال المفاعل الكهرونووي الشهير في تشرنوبيل، لكن رد الفعل إزاء الضربة — التي لم تكن قاضية — اختلف بين الشمال والجنوب، وبدا أن الرعب الكهرونووي يخيف جهة دون أخرى، وهذه نظرة لعالم عربي من أهل الاختصاص والرأي.

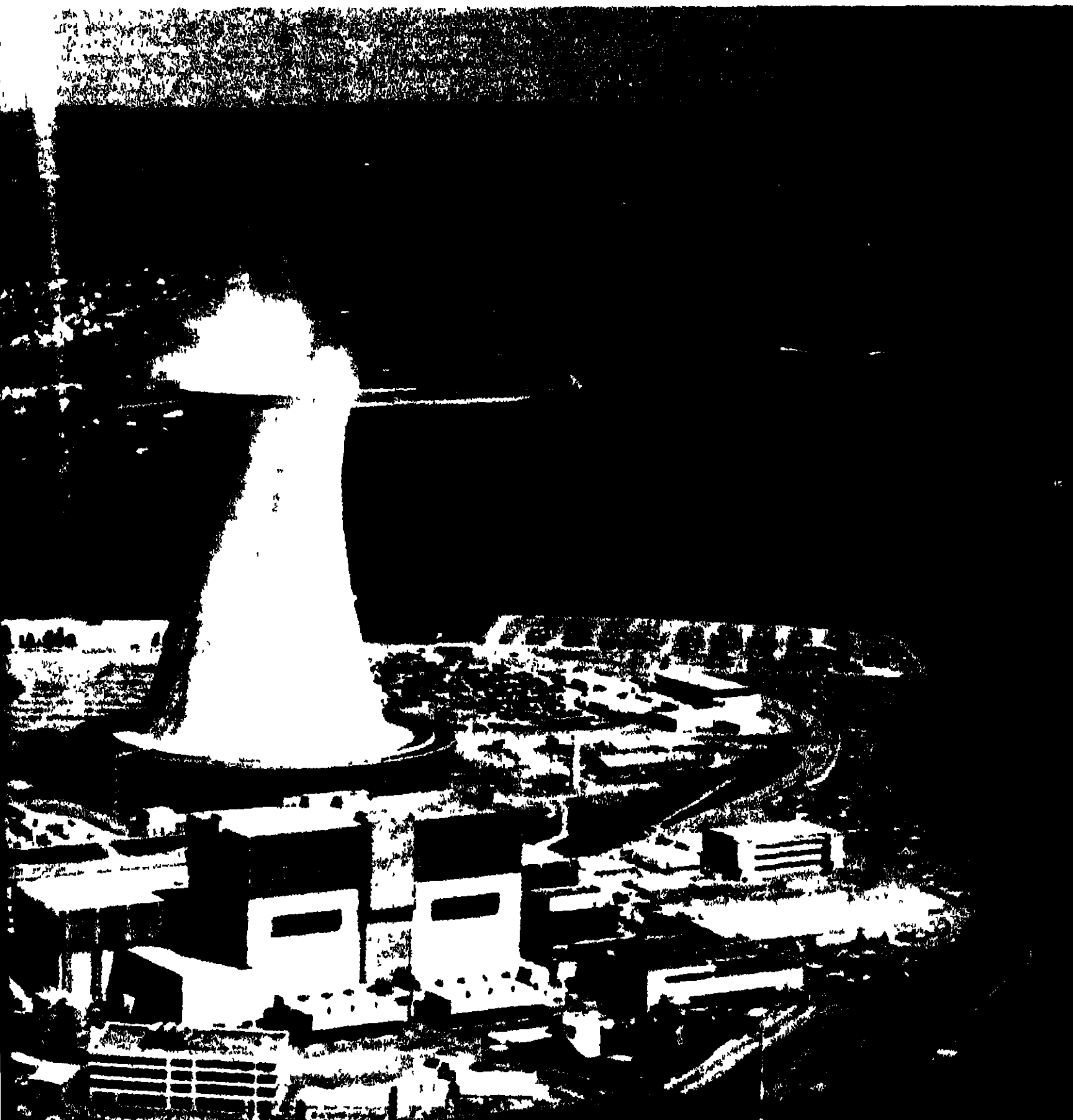
من يخشى الرعب الكهرونووي؟

بقلم : الدكتور عدنان مصطفى*

وقد خمدت رياح حرب الشمال الباردة، بدأت بالانحسار مخاوف الناس من إرهاص السيف نووي المسلط على عنق البشرية، وتولت العديد من شعوب العالم المتقدم ندامة على عدم جسارتها في طوير إمكانات التوليد الكهرونووية المتاحة لديها في سداد الطلب الوطني على الطاقة، وفي الوقت الذي ـعب به الصراع السياسي المحلي والإقليمي والدولي دورا رئيسيا في صنع عدم الجسارة هذه، أضفى عدم حكمة فعله في صنع قزمية إمكان التوليد لكهرونووية لدى عالم الجنوب.

ويمكن الإشارة بصدد ما سبق إلى رأي بعيد النظر بداه ا علامة الفيزيائي الدكتور آلفين واينبرغ حول مستقبـ الطاقة النووية لدى أقطار الشمال، قال فيه: «مستقبل الطاقة النووية هو بالنهاية مسألة سـ واقتصادية ونحن التقنيين يمكننا الإسهام في حلهـ ليس حسمها» (واينبرغ ١٩٨١)، أما إمام عـ العصر الدكتور محمد عبدالسلام فقد عبر فيما يخص عالم الجنوب الذي ينتمي إليه، ولدى استماعنا معه إلى مسئول تحدث مفصلا — في مطلع الثمانينيات بتريستي (إيطاليا) ـ عن خطة عربية طموح يستنهض فيها جهود تطوير التقنية الكهرونووية العربية، فقال متحمسا: «ليشد الله أزر من فكّر في هذا الأمر، فتخصيص خمسة بلايين دولار لإخراج هذا البرنامج إلى حيز الوجود خلال السنين القادمة من الثمانينيات لن يصنع لقاء الطراز الرفيع من علماء العرب والمسلمين حول أمر كبير كهذا فحسب، بل سيقدم من خلاله العرب مجددا عطاء حضاريا جديدا لا يقل عن عطائهم النفطي لصناعة الطاقة العالمية خلال العقود المنصرمة من هذا العصر، ولا بد أن يقود نجاح هذا البرنامج إلى فتح باب أمل جديد لازدهار العلم الإسلامي خلال العقود القادمة من القرن المقبل..» والجدير بالذكر هنا أن الخطة المشار إليها آنفا كانت شهابا عارضا في مطلع الثمانينيات وأفل.

* أستا ـيزياء ورئيس مجموعة المغناطيسية النووية والطاقة ـ جامعة دمشق، ورئيس اللجنة التأسيسية للأكاديمية العربية للعلوم.



□ السباق العالمي على الطاقة في القرن القادم هل يحتم اللجوء إلى المحطات الكهرونووية؟

وفي محاولة لسبر أبعاد ندامة الناس في الولايات المتحدة، قام «مجلس الولايات المتحدة للوعي الطاقي US Council for energy awareness - USCEA»، في شهر آيار / مايو من عام ١٩٩٣ الفائت باستطلاع ميداني استند إلى أسئلة رئيسية ثلاثة، كما فعل تماما في آب من عام ١٩٨٨، فحصل على نتائج تبين منها صعود ثقة الناس في الولايات المتحدة الأمريكية بسلامة وأمن المنشآت الكهرونووية العاملة، وتوقع تعزيز تلك الثقة في المنشآت التي ستبنى مستقبلا، أضف إلى ذلك حدوث ارتفاع في رغبة الناس رؤيتهم صناعة الطاقة الكهرونووية تلعب دورا أكبر في تلبية حاجات الولايات المتحدة الأمريكية من الطاقة، وفي استبيان ترتيب قدر المساهمة الكهرونووية في إمداد الطاقة الكهربائية عالميا، اتضح أن موقع الولايات المتحدة الأمريكية من هذا الترتيب لدى بداية عام ١٩٩٣، الفائت هو الـ(١٧)، في حال احتلت فرنسا المرتبة الأولى بين الدول المستوعبة لأهمية إمكان التوليد الكهرونووي[ة] في ميدان إمداد الطاقة العالمي.

المولدات الكهرونووية تنافس

وعلى الرغم من أن الوطن العربي لم يحظ باستطلاع منظم، كالذي تم اجراؤه في الولايات المتحدة



الأمريكية، فإننا عبر تفاعل فكري ــ عملي أبديناه على
مدى عقد الثمانينيات مع أفراد من الجمهور عامة، ومع
شخصيات علمية ـ تنموية، ومع لقاءات ومؤتمرات
عربية وإقليمية جنوبية تبين لنا أنه:

١ ــ لا يملك الإنسان العربي العادي أي فكرة
واقعية عن أهمية حيازة إمكان التوليد الكهرونووية
عربيا

٢ يجادل الكثير من منظري التنمية العربية بعدم
خيار إمكان التوليد الكهرونووية مقدرة على
تنافس الاقتصادي مع إمكانات التوليد التقليدية
التي ا ـسـاملة على النفط والغاز الطبيعي.. وغير
ذلك.

٣ ـ لا يرغب العديد من صناع القرار العرب في الاقتراب من الخيار النووي ــ التنموي لإرهاصاته السياسية والاستراتيجية، على الرغم من أن العدو الصهيوني قد بدأ بالعمل لهذا الخيار منذ عام ١٩٣٤ وذلك عند تأسيس قسم الفيزياء بالجامعة العبرية في القدس الشريف.

وإذ نترك للقارىء حرية التفكير بالحقيقتين الأولى والأخيرة أعلاه، يمكن لنا مجددا التأكيد على خطل الحقيقة الثانية من خلال استطلاع تنموي قام بتحقيقه أيضا «مجلس الولايات المتحدة للوعي الطاقي US-CEA»، حيث تبين أن مصادر التوليد الكهرونووية منافسة حقا لمصادر التوليد التقليدية، وبناء على نتيجة الاستطلاع الأخير، نجد أن منشأة توليد كهرونووية ذات إمكان توليد «٦٠٠ ميجاواط» تنتج الكيلوواط الساعي بكلفة «٨ر٣ سنت أمريكي»، إضافة إلى أن المنشأة الكهرونووية وهي ذات السلامة الأعلى والأمان الوثيق لا تسهم في تلويث البيئة على النحو الذي تفعله بقية المنشآت التقليدية.

قادرون، ولكن؟!

ولا بد من التأكيد في هذا المقام على أنه خلال انعقاد «المؤتمر العربي للطاقة النووية ــ دمشق ١٩٨١» تبين للقاصي والداني عربيا وعالميا أن العرب قادرون علميا وتقنيا على إنشاء وإدارة وتشغيل محطات كهرونووية متقدمة إضافة إلى توجه العديد من البلدان الأوربية إلى توفير مفاعلات كالعاملة لديها لبدء بعض البرامج الكهرونووية المنظورة وقتئذ لتعمل على إمداد الشبكات العربية قبيل دخول عقد التسعينيات، والسؤال الذي يمكن طرحه الآن في مناخ الانفتاح الكهرونووي العالمي هو: «هل سيعود العرب للنظر في رؤيتهم الحكيمة لإقامة منشآت كهرونووية عربية تحقق للوطن العربي نموا معززا في بنيان طاقته الوطنية وعلى نحو مواكب لنفاد النفط والغاز الطبيعي لدى العديد من أقطار الوطن العربي؟ وما رأي الجمهور العربي العام في التفكير ديمقراطيا بدفع تلك النظرة قدما للأمام؟»

إنها أسئلة لا تحتمل التأخر كثيرا في الإجابة عنها، إن لم نقل لا تحتمل الرد سلبا، فلننظر بالسرعة الواجبة إلى العالم من حولنا، ولنجب بالسرعة الواجبة أيضا. □

وجهاً لوجه



عبدالعزيز الصرعاوي

■ بيت الكويت في القاهرة كان أشبه بمدرسة على رأسها أستاذ فاضل هو عبدالعزيز حسين، وكنا نلتقي فيه بالمفكرين والأدباء والكتاب الكبار.

■ بدأنا العمل بالفعل في دائرة الشئون في مكان متواضع، ومنذ البداية خططنا لكيفية تنظيم العمالة الوافدة إلى الكويت وأدخلنا التنظيمات الحديثة.

إذا أجازت لنا العبارة أن نقول إنه علم من أعلام الكويت، خدم هذا الوطن سنوات عديدة لا نستطيع تحديدها، فلقد قطع الأستاذ عبدالعزيز عبدالله الصرعاوي شو... كبيرا في الحياة الاجتماعية والسياسية لدولة الكويت، وشارك في العديد من مهامها ... بداية الستينيات، وأقام وطوّر وزارة الشئون الاجتماعية بمساعدة زملائه، أرسى ... قواعد العمل الاجتماعي والعمالي لينتقل بعدها للعمل بالسلك الدبلوماسي - ... أجاد فيه أيضا، ولا يزال أحد الشخصيات البارزة في المجتمع الكويتي، وعطاؤه ... ملموسا سواء على المستوى الشعبي من خلال رابطة الاجتماعيين أو على المست...



و

وعبدالله غلوم الصالح

ـ سمي من خلال تكليفه بمهام خاصة في الداخل والخارج، وما زالت مبادراته
ـصة واردة في كل مناسبة. إنه تاريخ حافل وزاخر بالعمل الاجتماعي والسياسي
ـلوماسي.

ـلال هذه المواجهة مع هذا العلم الكبير نحاول أن نلقي شيئا من الضوء على
وإنجازاته وعطائه المتدفق، هذا الرجل الذي أعطى الكويت الكثير ولايزال.

ـجرى معه الحوار عبدالله غلوم الصالح الوكيل المساعد بوزارة الشئون
ـاعية والعمل بالكويت.

*** تلعب المصادفة دورا مهما في حياة كل إنسان، وليس من شك في أن المصادفة لعبت دورا واضحا في حياتك، نحن نريد أن نقف على بدايات هذه المصادفة، متى بدأت وكيف صارت حتى مشارف حياتك العملية؟.**

ـ لا يستطيع الإنسان إلا أن يربط شخصيته بالرباط العام لمجرى التيار الذي يسير فيه لخدمة مجتمعه، إنك تسألني عن المصادفة في حياتي، وأنا أقول لك: نعم لقد لعبت المصادفة دورا كبيرا في حياتي ـ وفي حياة الكثيرين ـ وأتذكر في هذا الخصوص ربما أثناء التحاقي بالدراسة وأنت تعلم أننا قد عاصرنا الكتاتيب والمدارس التي كانت قائمة في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، وكنت في مدرسة حمادة، وهي مدرسة كانت معروفة، وكنت من آخر جيل لحق بأستاذنا المرحوم أحمد حمادة، والأستاذ يوسف حمادة، وفضيلة الأستاذ عبدالعزيز حمادة أيضا، المهم بعد أن أنهيت دراستي في مدرسة حمادة في العام الدراسي ٤٠ ـ ١٩٤١ التحقت بالمدرسة المباركية حيث التعليم النظامي الحديث، وقابلت المدير الأستاذ أحمد شهاب الدين الذي رازني بنظراته ورأى بعد اختباره لي أن يلحقني بالصف الثالث الابتدائي، وبعد أن أعطاني الكتب والكراسات المقررة لهذا الفصل حانت منه التفاتة قبل أن أنصرف، وسألني فيما أذكر عما إذا كنت أعرف طريقي إلى الفصل دون أن يضطر إلى اصطحابي، فقلت له بصورة عفوية بالإنجليزية yes بدلا من كلمة نعم بالعربية، فتبسم ضاحكا مستدركا وقال لي «ما شاء الله» أنت على ما يبدو تعرف مبادىء اللغة الإنجليزية، وعلى أي حال فقد كسبت سنة دراسية إلى أعلى بمحض المصادفة فتقرر لذلك إلحاقي بالرابع الابتدائي، حسب النظام التعليمي المقرر في تلك الفترة.

وربما اقتضى الأمر هنا أن أشير إلى أن المصادفات تواتي العديد من الناس في مجرى حياتهم وهذا فيما أعتقد واضح وملموس لدى كل إنسان، إلا أن الفرق بين إنسان وآخر يكمن في كيفية الحرص على اقتناص الفرصة المواتية وحسن الاستفادة منها مع التوفيق من الله.

وبعد انتظامي بالمدرسة المباركية اجتزت الصفين الخامس والسادس الابتدائيين في الفصلين الدراسيين ٤١ و١٩٤٢، وفي العام الدراسي ١٩٤٣ انتقلت إلى الصف الأول الثانوي، وفي هذا العام قرر مجلس المعارف الكويتي إرسال بعثة مكونة من سبعة عش[ر] طالبا، لم أكن من بينهم في البداية إلا أن القدر تدخل [...] حيث اعتذر أحدهم وأبدى عدم رغبته في الابتعا[ث] خارج الكويت، وهو الأخ المرحوم أحمد ملا عث[مان] عبداللطيف العثمان، فوقع الاختيار حينئذ عليّ لأ[...] مع البعثة بدلا منه، وكانت هذه من المصادفات الحسنة في حياتي شاركت فيها إخواني ممن واتاهم الحظ في السفر الي مصر للدراسة، والانتهال من مائها العذب، وعلمها الغزير، ولقد استقبلتنا بالحب والترحاب، وقالت لنا بلسان الحال ﴿**ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**﴾، ودخلناها وداخلت نفوسنا البهجة والزهو بعد رحلة طويلة شاقة ركبنا فيها السيارات من الكويت إلى البصرة، وبالقطار إلى بغداد، ثم بالسيارات ثانية عن طريق «الجفور» كما يسميها العرب المحليون، ثم المفرق فالزرقا فعمان فالقدس، ومن محطة اللد بالقدس ركبنا القطار إلى العريش فالقنطرة ثم إلى محطة مصر.

*** أعرف أنكم كنتم أول بعثة مدنية خرجت من الكويت للدراسة في القاهرة،ترى.. ماذا كانت أنشطتكم، والتيارات السياسية التي كنتم تعملون في إطارها؟.**

ـ أولا أنا سعيد جدا بأن أسمع هذا السؤال، وهذا شيء منطقي، إن تغير الظروف يصاحبها حتما تغير في الإمكانات والطاقات والاهتمامات، وأنا قبل كل شيء أريد أن أسجل أمرين مهمين، لأقف عندهما حتى أعطي انطباعاتي وأحاسيسي تجاههما.

الأمر الأول: أننا عشنا في بيت الكويت، وقد كان أشبه بمدرسة بكل المقاييس، وكان على رأس هذا البيت أستاذ فاضل ما زلنا نكن له كل الحب والاحترام والتقدير هو الأستاذ عبدالعزيز حسين ـ أطال الله عمره ـ فلا شك أن هذا الرجل أعطى من وقته وأحاسيسه الكثير، وأعطى حنانا متدفقا لزملائه وأبنائه الطلاب، وكان رائدا في هذا الخصوص، وأذكر أن بيت الكويت كان مدرسة وكنا نلتقي بالمفكرين الكبار في مصر، وفي مناسبات عدة ومتنوعة يحض[رون] إلينا بدعوة من مدير البيت الأستاذ عبدالعزيز - [...] لإلقاء المحاضرات أو للتحاور معنا في شتى الق[ضايا] الفكرية والاجتماعية، وأذكر وأنا في بيت الكوي[ت] [...] رأيت وشاهدت رجالا كبارا تركوا بصماتهم على الحيا[ة] الفكرية والاجتماعية ليس في مصر فقط بل في [...]

● وجها لوحه: عبدالعزيز الصرعاوي وعبدالله غلوم الصالح.



□ سمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح والشيخ جابر العلي في لقطة مع عبدالعزيز الصرعاوي وابنه عماد في إحدى المناسبات الاجتماعية

لوطن العربي، منهم الدكتور بل الدكاترة زكي مبارك، والدكتور أحمد أمين الفيلسوف العربي مؤلف كتابي «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» وصاحب مجلة «الثقافة» وغيرها، وأيضا الأستاذ محمد فريد أبوحديد، وهو من التربويين المعروفين، ومن الأدباء والمفكرين، ثم كنا نلتقي كذلك بفضيلة الشيخ عبداللطيف دراز، وهو من مشايخ الأزهر المستنيرين، والأستاذ المرحوم الشيخ أحمد الشرباصي وغيرهم. على أي حال كانت بيت الكويت أشبه بمدرسة، ما كنا منغلقين بل كنا منفتحين على التيارات الفكرية والاجتماعية التي كانت تموج بها مصر خلال هذه الفترة.

الأمر الثاني الذي أريد أن أقف عنده، هو مجلة «البعثة». فلا شك أن مجلة «البعثة» كانت عبارة عن مدرسة أخرى، وكانت سجلا رائعا للبدايات الأولى لطموحات وآمال طلاب البعثة بما كانت تزخر به نفوس ومكنونات تلك البراعم الصغيرة، وكانت أشبه بفترة إعداد جيد ومبكر وتربية مسبقة للتعود على الكتابة ومعالجة الموضوعات الفكرية والاجتماعية والسياسية والقضايا العامة، ولذلك نجد في كتابات طلاب البعثة انعكاسات أثر الدروس التي كان يتلقاها هناك في مدرجات الجامعة وقاعات الدروس، وكانت بكل تأكيد ثرية ودسمة ومليئة بالحوافز الدافعة للعمل والتصورات والأحلام.

***كانت دراستك هي القانون، فأنت خريج كلية الحقوق، لكنك تقول إن العمل الاجتماعي استقطب كل اهتماماتك، فجعل حياتك العملية موجهة فيما بعد كلية إلى العمل الاجتماعي. وهذا لا يعني أنك ابتعدت عن تخصصك، لكن زاوجت بين هذا التخصص وبين اهتماماتك الخاصة بالعمل الاجتماعي، حتى أنك عندما كنت دبلوماسيا كنت تنحو منحى اجتماعيا أكثر منه منحى سياسيا؟.**

ـ صحيح أنني خريج قانون، لكن القانون في أسسه وفي أهدافه ومنطلقاته لا شك أنه استقراء من واقع الجماعة، استقراء الأفكار والتنظيمات والقوانين والقواعد من واقع المجتمع، ويقال إن القانون هو ضمير الجماعة، إذن الاهتمام بالفكر الاجتماعي وبالقضايا الاجتماعية يشكل جزءا مهما للقانون، لكن وكما ذكرت فإن الجانب الاجتماعي عندي قد طغى على الجانب القانوني، وإن كان عملي لا يخلو من الاهتمام بالتشريع القانوني، فنحن مثلا في وزارة الشئون

الاجتماعية والعمل كان الاهتمام في البدايات الأولى بتقنين الحركة العمالية، تقنين الحركة التعاونية، تقنين حركة الشباب والأندية ورعاية الأسرة، ورعاية الفئة الضعيفة في المجتمع بجانب المساعدات التي تقدم للأفراد والأسر المحتاجة، لكن يغلب الطابع الاجتماعي على العمل القانوني، وأنا سعيد بهذا، لأن هذا هو منهجي وتلك طبيعتي، وهذا ما سرت عليه وما زلت أسير عليه حتى الآن.

بدايات وزارة الشئون

*** يحضرني الآن ما أشار إليه الأستاذ حمد عيسى الرجيب، في مقابلة صحفية معه من أن وزارة الشئون عندما كانت دائرة الشئون في عام ١٩٥٤ على ما أظن في بدايتها، كانت عبارة عن «دكان»، شاركتم أنتم الثلاثة، الأستاذ حمد والأستاذ عبدالعزيز محمود وأنت، شاركتم في الإعداد ووضعتم الأسس الأولى في وزارة هي أم الوزارات، فهل من شيء حول هذا الموضوع؟.**

ـ في الحقيقة أن ما أشار إليه أستاذنا الفاضل حمد عيسى الرجيب حقيقة، ونحن بالفعل نذرنا أنفسنا للعمل، وكانت بداياتنا أشبه بثلاثة دكاكين، وكانت ملكا للمرحوم «محمد سليمان العتيبي»، سكنا هذه الدكاكين وبدأنا العمل بالفعل، ومنذ البداية كان التخطيط لكيفية تنظيم العمالة الوافدة إلى الكويت، وكانت الكويت في ذلك الوقت منطقة جذب للعمالة، وكنا مقبلين، نتيجة لوفرة المال والثراء، على تنظيم بلدنا من جديد وإدخال تنظيمات حديثة، وبالفعل كما أشار الأستاذ الرجيب فإن وزارة الشئون هي أم الوزارات بمعنى أن كل من ليس له مسئول نحن مسئولون عنه. فعلى سبيل المثال أنا أذكر ـ وهذا الكلام مسجل في كتاب «التشريعات الاجتماعية» والذي كان ثمرة لتلك الجهود التي بذلناها ـ أن أول شيء فعلناه أن أنشأنا التدريب للموظفين أثناء الخدمة، وقسمناه إلى متوسط وطويل الأجل، وخططنا لهذا التدريب. أيضا كانت هناك البعثات الدراسية، وكنت أنا أول مبعوث أسافر للخارج مثلما أشرت سابقا، فقد سافرت إلى مصر وإنجلترا وسويسرا. ومثل آخر: الإحصاء، أول من فكر في استخدامه وزارة الشئون الاجتماعية، ونحن



□ الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية يرحب بالسفير عبدالعزيز الصرعاوي في إحدى المناسبات عندما كان سفيرا لبلاده في المغرب

أول من نظم الدراسة لإزالة محو الأمية، وأول من فكر في موضوع الرقابة على الأفلام السينمائية وأول من فكر في الإسكان ودور الرعاية، والسياحة أيضا كانت تابعة لنا، لكن حينما ظهرت وزارة الإعلام تم سحبها ـ وهذا حق ـ من وزارة الشئون. أيضا المسارح عادت لوزارة الإعلام، محو الأمية ذهب لوزارة التربية، التدريب ذهب إلى ديوان الموظفين، وهكذا.. نحن بالفعل نعتز بجهدنا، والرئيس الذي كنا نستمد منه العون والدفع هو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وكان في ذلك الوقت رئيس دائرة الشئون، وفي الوقت نفسه عضو اللجنة التنظيمية العليا، كنا نطلق انطلاقات قوية وجديدة بتأييده ودعمه لنا وحسن تفهمه لعملنا ونشاطاتنا.

التاريخ يكرر نفسه

*** ظلت مسئولياتك ودورك الرئيسي في العمل الحكومي على ضوء مواقفك في وزارة الشئون الاجتماعية والعمل، بل تجاوز ذلك خصوصا أنك قمت بمهمتين على جبهة**

● وجها لوجه: عبدالعزيز الصرعاوي وعبدالله غلوم الصالح.



□ حفلة شاي أقامها الشيخ صباح الأحمد في منزله ويرى من اليمين المرحوم أحمد بشر الرومي، المرحوم عبدالحميد الصانع، المرحوم الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي الأسبق وعبدالعزيز الصرعاوي وعبدالوارث كبير من العاملين بمجلة العربي سابقاً

كبيرة من الأهمية والخطورة، كان ذلك عندما طالب قاسم عام ١٩٦١ بضم الكويت، والذي جاء متزامنا مع قبول الكويت عضوا في منظمة العمل الدولية، وبعد عودتك من المنظمة كنت سكرتير الوفد الذي سافر في جولة ضمن الفرق الأخرى التي سافرت، وكرر التاريخ نفسه في عام ١٩٩٠ عندما شاركت أيضا في جولة ضمن اللجان التي شاركت فيها والتي سافرت إلى جميع أنحاء العالم؟.

- الأكثر من هذا ما زلت أذكر أننا كنا في عام ١٩٦١ ونحن نقدم طلبنا للانتساب لمنظمة العمل الدولية ـ ـعة للأمم المتحدة ـ تقدمنا في ذلك الوقت ولم تكن لكويت قد حصلت على استقلالها بعد، وفي هذه الحالة صبح العضو خاضعا لامتحان أمام لجنة ثلاثية، لأن منظمة العمل الدولية تنفرد عن باقي الوكالات الـ المتخصصة التابعة لهيئة الأمم المتحدة بأن تشبه ثلاثي ـ وهذا أكسبها طابعا خاصا ـ وهي: حكـ ة، أصحاب الأعمال، العمال. وحين لا تكون دولتك منضمة لهيئة الأمم فلا تقبل بصورة تلقائية إذ تخضع لامتحان، بينما لو كانت دولتك عضوا حينئذ يكون الانضمام تلقائيا، ونحن تقدمنا إليها قبل الاستقلال، فكان لابد أن نخضع لامتحان كما وضّحت، وأذكر من كان معي ويمثل أصحاب الأعمال خالد الخرافي، ومثّل العمال صديقنا المرحوم صبري سمعان وأنا والمرحوم محمد زيد الحربش، وكان هناك مستشارون وأعضاء آخرون معنا، بعد أن أنهينا الامتحان واستعددنا للانضمام لمنظمة العمل الدولية وتقيدنا بقوانينها وما يصدر عنها من قرارات وتوصيات، وفيما أذكر أنه تم تحديد الموعد، وكان بعيدا بعض الشيء، وفي تلك الفترة بدأنا نحضر الخطب التي سنلقيها، وحتى نكون جاهزين للعضوية في المنظمة، فجأة ودون أن نعرف السبب جاءتنا مذكرة من المنظمة تذكرنا بتقديم الموعد المقرر لقبول الكويت عضوا بالمنظمة، رئيس الوفد العراقي كان أول من بادر وبارك وأيّد وأثنى على الطلب، ثم تتابعت التأييدات من مصر وتونس والمغرب ومن سائر البلدان العربية والأجنبية، وتم القبول وحصلنا على التهنئة، وفي وقت مبكر من اليوم الثاني جاءني المستشار القانوني لدى المنظمة مستر وولف وناداني وكنا في قاعة الاجتماع واختلى بي في الكواليس وراء المنصة الرئيسية، حيث قال لي: هل سمعت الأخبار؟ فقلت له عن ماذا؟ فقال لي: لقد

طالب عبدالكريم قاسم بالكويت، وعلى أية حال لقد تمت الإجراءات على ما انتهينا عليه بالأمس، فكانت مصادفة عجيبة، حتى أنني أذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالوهاب العشماوي رئيس وفد جامعة الدول العربية كان كلما التقى بنا قال: أهلا بالوفد المحظوظ. المهم أن هذه الحادثة كفتنا عن الدخول في نقاش ونزاع ومشادة بين الوفدين الكويتي والعراقي كعضو في المنظمة الدولية، والكثير من رؤساء الدول جددوا التهنئة لوفد الكويت.

وتلك مصادفات عجيبة، الحقيقة أنني كنت في عام ١٩٦١ حين طالب قاسم بالكويت، سكرتير الوفد الذي تكوّن برئاسة الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وكان الأعضاء: المرحوم نصف اليوسف، والمرحوم عبدالحميد الصانع، وعبدالعزيز حمد الصقر، وكان من الشباب يوسف إبراهيم الغانم، وعبدالعزيز الصرعاوي، في الحقيقة كنا نذهب إلى الدول ونشرح لها الموقف، وقبل هذا سبقنا سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد مع نصف اليوسف بالسفر إلى السعودية وبعدما عادا ذهبنا إلى مصر ثم إلى جميع الدول العربية الأخرى وشرحنا لهم الموقف، وبينا لهم بما لا يقبل الشك أن هذه دعوة زائفة ولا تستند إلى أي أساس من الواقع، وليس هناك شك في أننا نجحنا في نيل مؤازرة الدول العربية عن بكرة أبيها لنا، برفض هذا الادعاء، وانتهى الأمر كما هو معروف بقبول الكويت عضوا في الجامعة العربية، ثم قبولها عضوا في هيئة الأمم. وانتهت هذه الصفحة، ثم إذا بالزمن يعود بعد ثلاثين عاما، ويجدد حاكم نظام العراق الحالي دعواه الباطلة تجاه الكويت، بعد أن أعطى للعالم بأسره انطباعا بأن الكويت دولة مستقلة لها كيانها. وكان حاكم النظام العراقي الحالي ينظر إلى الكويت نظرة إعجاب وتقدير، وكان في كل خطبه بل في كل المناسبات التي يدعو لها أو التي يحضرها يشيد بمواقف الكويت، ويعطي المثل على استقلالية الكويت، وعلى عدم تقصيرها تجاه أخواتها العربيات وعلى الأخص تجاه العراق، وأعتقد أن هذا شيء معروف ومعلوم، وتوج كل هذا بإعطائه الوسام لصاحب السمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح، وكان حديثه وهو يعطيه هذا الوسام قصيدة مدح وإطراء، يعبر فيها عن تقديره وإعجابه، وعن إكباره لمواقف دولة الكويت ومساندتها لكل القضايا العربية ويعطي المثل للآخرين بأن يتمثلوا بالكويت، و[illegible] بالرجل يكشف فيها بعد عن نواياه المريضة حـ[illegible] ينطوي على نفس مريرة وعلى غدر وخيانة و[illegible] كذب وادعاء عن كل ما صدر منه، هذا الموقف أذهل العالم بأسره وأذهل الكويت والعرب، ولكن المذهل حقا هو موقف الذين ناصروا هذا الطاغية الذي لم يحسن إلى شعبه وكان يعامله معاملة الأسير لديه، حيث إن الشعب العراقي لا يستطيع أن يتنفس مل[illegible] رئتيه، ولا يرفع صوته بأي نقد أو بأي تعبير يخالف ما يعبر هو وحزبه عنه، وإلا يلقى المصير المعروف والمحتوم والتعذيب له ولأسرته.

على أي حال فإنه في كلتا الحالتين سواء عام ١٩٦١ أو عام ١٩٩١، لاحظت شيئا مؤلما ومؤسفا، وهو أن يكون للحق وجهتا نظر لدى الإنسان الواحد، لكن الحق هو الحق لا يتغير أبدا، من وقف مع الحق في عام ١٩٦١ مثل ملك المغرب ومصر وسوريا ولبنان، وهذا هو التعبير الصادق الحقيقي عما تكنه النفس وتأييدها للحق والشرعية مهما اختلفت الظروف، أما من اختلف، وفي الحقيقة أننا نصاب بيأس وألم ومرارة أن تكون هذه مواقف بعض الدول العربية إلى دول لا ترعى الشرعية ولم ترع إلاً ولا ذمة، خصوصا ونحن دول تظلنا جامعة الدول العربية بمواثيقها وقوانينها، وأيضا تظلنا منظمة المؤتمر الإسلامي، وفوق هذا هيئة الأمم المتحدة التي تمثل الشرعية الدولية، وأعتقد أن ما قام به النظام العراقي قد قسم الأمة العربية، وتسبب في تأخيرها.

العمل الوزاري والعمل الدبلوماسي

*** لقد تركت العمل الوزاري سواء في وزارة الشئون أو في وزارات أخرى لتنتقل نقلة كبيرة أخرى بعيدة عن هذا المجال إلى السلك الدبلوماسي، إذن الحياة مختلفة والعمل مختلف تمارسه لأول مرة، وحياة أيضا تمارسها لأول مرة بعيدا عن الوطن، كيف كان شعورك وكيف كانت هذه الحياة العملية الجديدة عليك؟.**

ــ في الحقيقة قبل أن أعطي رأيي ومشاعري وانطباعاتي أقول إنه في هذه النقلة الكبيرة من العمل الوزاري إلى العمل الدبلوماسي، أحب أن أقف هنيهة

ـد تقلـدي منصب وزارة البرق والبريـد والهاتف، ـ أن أقف هنـا وقفـة قصيرة في هـذا الخصـوص، رة الشئون والعمل أحس بأنني تركتهـا ولم أتركها، ي مـازلت أمـارس نشـاطي مع زمـلائي في نفس لمجـالات، ونفس الأفكـار، ونفس الطمـوحـات والاتجاهـات ومحاولـة النهوض بمجتمعنـا الكـويتي، وحين تقلـدت منصب وزارة البريـد والبرق والهاتف، وكـانت مغـايـرة عن وزارة الشئـون الاجتماعيـة واهتمامـاتها، فـوقفت قليـلا عنـد قـولي لهذه الـوزارة وطـرت إليهـا على اعتـار أنها تمثل الجانب المشرق من القرن العشرين، وذلك من حيث جـوانبهـا المتعـددة، والتي مهدت سبل الاتصـال والتعارف مـا بين الدول، وحاولت أن تقرب المسافات، وتلغي بمعنى آخر البعد الزمـاني والبعد المكاني، للأحـداث والأخبار في مختلف أنحـاء المعمـورة وقد استهـواني العمل في هـذا المجـال فقبلته، وأعتقد أنني قـد وفقت وأصبت بعض النجاح وأن الله هداني لأن أكمل ما بدأه زملائي، فأنا لا أعمل من فـراغ ولكن سبقني الـذين خططـوا لوزارة البريـد فجئت أنا وأكملت المسيرة، وفي نفس الوقت أحسست بأنني قد عملت شيئا في هذا الخصوص، لقد وفقنا الله ولله الحمد بإنجاز ثلاثـة مشاريع مهمة تعتبر من المعالم الرئيسيـة في الكويت فيما أظن وهي مركـز الاتصالات السلكيـة واللاسلكيـة في ساحـة الصفاة، وأول محطة أرضيـة في أم العيش، ومعهـد التـدريب السلكي واللاسلكي في الشـويخ، ومثل هـذه الإنجـازات الحضارية البشريـة في مختلف دول العالم لا شك أنها قد وحـدت المشـاعـر فيما بين البشر وزادت في دفع



أحاسيس الناس للتفكير الجماعي فيما يخدم جميع الناس في كل مكان وفي نشر وسـائل الرقي والتقـدم جماعيا في محاولة لتخفيف منغصات الحياة وتـذليل العقبات أمام البشريـة، حيث إن الفقـر والبـؤس في مكان يـؤثـر في الناس في كـل مكان، وكذلـك التقدم والـرفاه يجب أن يعم كل أنحـاء المعمورة دون أن يكـون ذلك مقصـورا على جزء دون جـزء آخر، ولعـل أول ما نـلاحظه الآن من جهود على سبيل المثـال لمكافحـة التلوث البيئي إنما يمثل مسـاهمة شتى دول العالم دون استثناء، فكـل هده الأحاسيس والمشـاعر أوجدتها وساعـدت عليها زيادة التقارب بين البشر والتواصل فيما بينهم وتبادل الأفكار بين مختلف الأفراد والشعوب.

بعد ذلك رأى المسئولون اختياري سفيرا في العراق، أذكر في هذا الخصوص الأمير المغفـور له الشيخ صباح السـالم وأيضـا كـان سمـو الشيخ جـابـر الأحمد رئيس الوزراء في ذلك الوقت، كنت جـالسا معهما، وقالا لي: إنك وفقت في كـل عمل أديتـه، لكـن هنـاك اختبـارا وتحديـا لك. قلت لهما: وأنـا أقبل التحـدي مـا دام في سبيل وطني. قـالا: أن تترك وزارة المواصلات وتعمل سفيرا للكـويـت. قلت: إننـي أرحب، فـالعمل الدبلـوماسي جميل ويستهويني، ففيـه صقل للذهن، إذ إنك تجد نفسك في ظرف على سبيل المثـال ما يمكن أن تختـزل في سـاعة كـل ما مـر بك من مـآس وتحديـات مختلفة، وفي سـاعة أخرى تحس بأنك قـد عملت عملا في صالح مجتمعك وصالح أمتك، وكنت في عملي دائما لا أجـزىء في نظـرتي بين مصلحـة وطنـي ومصلحـة أمتي، وفي الحقيقـة مـا وجـدت تعـارضـا في ذلك خصـوصا أن الكـويت بما تتبع بمصـداقيـة فيما تقولـه وتفعله وتعمله، وأذكر أن أول تقرير كتبته للكويت من هنـاك هـو أنني ذهلت حيث وجـدت أن الموظف لا يحاول أن يبتكر أو يفكـر لنفسه، هذا أشبـه بالمستحيل، حيث إنه يخضع لتعليمات حـزبية، هـذا بالطبع أكسبني ثقة في بلـدي بينما أنا باستطاعتي أن أجـد وأجتهد، فإن أصبت فلي أجـران، بينما هؤلاء تجد من يشـذ منهم عن التعبير، اللـه وحـده هو الـذي يعلم مصيره، وجـدت شيئـا غـريبـا أن هـذا المجتمع مبني على نظـام وتنظيم حـزبي بحت، وكنت ألمس هـذا التـوجـه، في جميع تصرفاتهم وتوجهـاتهم، تجدهم دائما يحاولون ـ وبخبث ـ أن يـدخلـوا عليك أدنى الموظفين، وكنت أثنـاء وجـودي في بغـداد ـ كـان في وقت مـا قبل الحرب

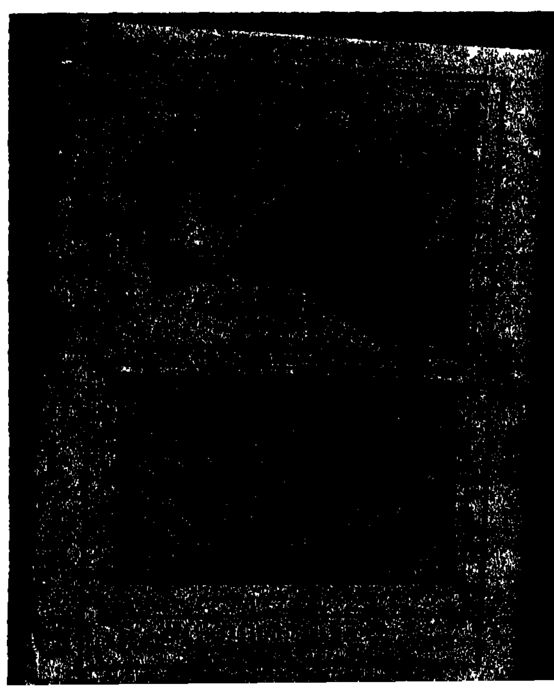
الإيرانية العراقية وبعدها بثلاث سنوات - ألمس أن الكويت محل تقدير ورجاء، لكن في نفس الوقت ما كنا نتبين نواياهم، حيث كانت لديهم قدرة عجيبة في إخفاء هذه النوايا، وهنا أقصد القادة، رئيس النظام ونائبه وبقيتهم.

المهم .. بعد العراق قال لي الشيخ صباح الأحمد الجابر: ما رأيك في المغرب؟ إنني أقدر الشيخ صباح الأحمد وأحيي فيه هذه اللمسة وهذا التقدير ولقد نشأنا في وزارة الشئون وكان رئيسنا ولم يكن هناك حاجز بيننا وبينه، وهو من الناس الذين لديهم القدرة على الاستماع للرأي الآخر. قد تختلف معه في الرأي ولكنه لسعة صدره يتقبله، وهذا مما ساعدني كثيرا على قبولي المنصب، وعندما سألني عن رأيي في المغرب كان رأيي أنه يعد نوعا من الاستجمام والراحة بعد هذا العناء.

رابطة الاجتماعيين ودورها

*** هل من الممكن أن تحدثنا بشكل شامل وموجز عن أنشطة رابطة الاجتماعيين والتزاماتها العربية والدولية، وعن هذه المرحلة المهمة في حياتك وهذه النقلة الجديدة أو المزدوجة بين عملك الحكومي الرسمي وعملك الشعبي؟.**

- شكرا جزيلا.. في الحقيقة أن الوفاء من الزملاء الذين التقينا جميعا على العمل وعلى الارتقاء بحياة المجتمع كان الدافع وراء كل ما بذلناه وما نبذله في سبيل مجتمعنا في سبيل ارتباط حركته في الداخل



بالحركة الاجتماعية والثقافية والرقي والتقدم في سائر البلدان العربية وسائر دول العالم، فنحن جزء من العالم، ولا شك أن كان دافعا أساسيا في بقاء ممارسة العمل منذ أن بدأناه في عام ٦٧.

على أي حال بدأنا مواسمنا الثقافية عام ١٩٦٨ وهذا شيء نعتز به - وهي معلم من معالم رابطة الاجتماعيين، حيث كنا نختار موضوعا معينا نجري التفريعات عليه كأساس للمحاضرات والندوات، وأعتقد أنه لم يسر على هذا المنوال غير رابطة الاجتماعيين، ونحن على سبيل المثال تحدثنا عن الكويت في عصر التنمية، وفرّعناه من النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية والعمالية، وهكذا تكلمنا عن ملامح من تطور المجتمع الكويتي في شتى ظروف الحياة، كما تحدثنا عن الخليج في مواجهة التحديات من ناحية عسكرية، سياسية، من ناحية تكوين الجمعيات، تحدثنا عن أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، وهذا الجهد ما زلنا نواصله من بداية التكوين وحتى الآن.

إن مواسمنا الثقافية يشارك فيها الذين يعيشون في المجتمع سواء كانوا كويتيين، أو من يشاركهم من المواطنين العرب، فالرابطة أشبه ببوتقة تنصهر فيها كل الجهود، فكل من أتى الكويت بصورة أو بأخرى ساهم في الاحتكاك بالرابطة وأعطى ما لديه من أحاسيس وانطباعات وأفكار.

*** أبوعبدالله.. ألاحظ من بداية حوارنا أن هناك حالة من الانبهار تتخلل حوارك. ونحن ننتقل من محطة إلى أخرى في حياتك العملية من الدراسة إلى العمل في مؤسسة اجتماعية إلى العمل في السلك السياسي والعمل على المستوى الشعبي، إن هناك حالة من الانبهار تصاحب باستمرار انطلاقاتك من موقع إلى موقع آخر.**

فهل يمكن في ختام حديثنا أن نسمع منك شيئا في هذا الخصوص؟ لماذا هذه الحالة؟

- إذا كنت بالفعل قد لاحظت هذه الحالة فأنا سعيد جدا، لأنني بالفعل أشعر بحالات الانبهار خصوصا في البدايات الأولى للتخرج، وأنا على سبيل المثال أبدأ من البداية وفي وقت مبكر نسبيا وهو عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤، حين سافرنا إلى مصر أم الدنيا، لا شك أنه صاحبتنا حالة من الانبهار والاندهاش حيث رحت

ن الكويت عن طريق السيارات إلى البصرة، وأحيّي بهذه المناسبة وأذكر بالخير مع الإجلال والتقدير ثلاث شخصيات كويتية عامة كان لها تأثيرها البالغ في نفوسنا بصورة خاصة حيث إننا ونحن نغادر الكويت مبعوثين إلى مصر خرجوا معنا إلى (دروازة الشامية) مودعين لنا، ومتمنين التوفيق والنجاح من عند الله، وقد أشعرونا بذلك بمدى الأهمية والرجاء المعقود على هؤلاء الأبناء، وتلك الشخصيات كانت: المرحوم الشيخ عبدالله المبارك الصباح، والمرحوم عبدالله زيد الخالد عضو المعارف والمرحوم فضيلة الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، وقبل المصافحة والوداع توجه إلينا الشيخ عبدالعزيز حمادة بكلمات نصح وإرشاد مازالت ترن في آذاننا، حيث قال: إننا نستودعكم الله الذي لا تضيع عنده الودائع، ونستشعر جميعا أنكم فلذات أكبادنا، وأنكم إن شاء الله خير سفراء لنا في الأخلاق والسلوك، وتجنب كل ما يسيء إلى بلدكم الكويت والبلد الذي سيستضيفكم للدراسة والتحصيل. وهكذا بقيت الكلمات الطيبة في نفس كل واحد منا يستحضرها دائما، ويعمل بمقتضاها ما أمكن، ونحن لذلك علينا واجب الوفاء أن نذكرهم بكل خير وأن نستمطر على أرواحهم من الله شآبيب الرحمة وحسن الجزاء، إنه سميع مجيب.

كانت الحياة في الكويت في ذلك الوقت هادئة ومستقرة وليست فيها كل هذه التغيرات، وأذكر حين وصلنا إلى مصر اندهشنا بالفعل، وجدنا الحركة والزحام وضجيج الحياة بعكس بلدنا الذي كانت فيه الحياة هادئة وبسيطة، لكن في مصر حين أقبلنا عليها ونزلنا محطة مصر ذهلنا بما رأينا، رأينا العمارة بطرازها وطابعها الإسلامي العربي، وما زال هذا الطابع موجودا حتى الآن، وأذكر أن أحد الزملاء الذين التحقوا بالبعثة فيما بعد وهو الصديق عابدين حبيب حين أتى وصاحبته لمشاهدة معالم القاهرة، كان أول شيء أطلعه عليه: محطة مصر. لأن هذا مثل حي، قلت له انظر يا أخي بنفسك إلى هذا المعمار العربي الإسلامي، لقد صاحبتني هذه الحالة من الانبهار المبكر منذ قدومنا إلى مصر، وأؤكد بكل صدق أن هذا الانبهار الكبير الذي أحسسناه وهذا الشعور بالابتهاج الذي غمر نفوسنا حين وضعنا أقدامنا على أرض مصر في صيف عام ١٩٤٣، ظل هو هو ولا يزال نفس الشعور الذي صرت أنا شخصيا أشعر به وأحس بنبضه، في نفس حلاوة تلك الأيام واللحظات الهانئة الأولى، كلما حللت بمصر بعد غيبة عنها وعودة إليها، فهذه سعادة غامرة في طيات الحشا والفؤاد يستثيرها الحس، فينتزعها من أغوار النفس في أقل من طرفة عين، وهي في الواقع أشبه بخفقة القلب عند الفرح، ولحظة الوصال بعد الفراق وتلذذ القرب بعد البعاد، مصر بالنسبة لنا وطن، ولكل العرب جميعهم، قضينا فيها أحلى سنوات العمر طوال فترة الدراسة الثانوية والجامعية، على أحسن ما يسر الخاطر وتهوى النفس، لم نر إلا طيبا، ولم نسمع إلا طيبا، ولم نأكل إلا طيبا، عشنا فيها دون أن نحس بغربة أو اغتراب.

أما بالنسبة للنقلة الأخرى التي ما زلت أحس بها أو المثل الثاني فهو حين تهيأت لنا الظروف بالانضمام إلى منظمة العمل الدولية وكان أول لقاء لي على مستوى المجتمع الدولي، فالحقيقة أنني ذهلت بما رأيت، لأن منظمة العمل الدولية كما سبق أن أوضحت كان تمثيلها ثلاثيا - أي ثلاثية التكوين - ولا يوجد هذا التكوين في الوكالات الأخرى المتخصصة، التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وكان من مهامها اختزال المراحل الكفاحية العديدة للبشرية والتدخل للتوفيق بين اليد العاملة ورأس المال للعمل على استقرار المجتمع، وأعتقد إلى حد ما أن المنظمة مع غيرها من المنظمات الأخرى ساعدت وساهمت في تكوين الفكر العالمي المعاصر سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق إعداد التشريعات الدولية التي تحاول إخضاع البشرية لها بحيث يكون المستوى عالميا وليس محليا. أنا أعتقد أن هذا جزء من محاولات التقدم في القرن العشرين، والتي تستعملها منظمات متخصصة أخرى تابعة للأمم المتحدة كاليونسكو والصحة العالمية والأغذية والزراعة، والمواصلات.

لا شك أن كل هذه خطوات تحاول البشرية أن تقترب بها من بعضها البعض، حتى يمكن أن تفكر بصوت جماعي موحد بما يخدم المعمورة بأسرها، وهذه هي خلاصة التجربة التي وعيتها ولا زلت أحس بطعمها وآثارها في تفكيري وفيما أمارسه من عمل، وما بالك حين تهيأت الظروف لرابطة الاجتماعيين أن تنضم إلى الاتحاد الدولي للأخصائيين الاجتماعيين وهي منظمة غير حكومية N.G.O تسعى لإرساء قواعد العمل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية ومعرفة ما اكتسبته من خبرات وآفاق مهمة للمجتمع البشري.□

أوراق أدبية

النموذج الأصلي للشاعر في تراثنا

بقلم: الدكتور جابر عصفور

ما هي صورة الشاعر كما يقدمها تراثنا العربي، سائح يترزق من شعره، أم عارف بكل شيء وقادر على كل شيء، أم أن هناك نموذجا أصليا للشاعر يجعله دائما عنصرا من عناصر الإخصاب والتحدد في الطبيعة؟

هناك أكثر من صورة للشاعر في تراثنا، صورة السائح الذي جعل من الشعر حانوتا يدور به على طالبي المديح، وهي الصورة الغالبة التي استمرت زمنا طويلا، نتيجة تعقد العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وصورة الشاعر اللاهي الذي يغنم من الحاضر لذاته دون أن يعبأ بشيء بعد هذه اللذات، احتجاجا على فساد حاضره السياسي الاجتماعي أو احتجاجا وجوديا على الموت، وصورة الشاعر الصانع الذي يرى في كمال إبداعه أو إحكام صنعته غاية مستقلة عن كل غاية، وصورة الشاعر الداعية الذي يوظف شعره في خدمة اعتقاد أعم منه، بالمعنى الديني أو السياسي أو الاجتماعي، على النحو الذي يضع المحتوى الاعتقادي في صدارة النظم الذي يصوغه ذلك الشاعر لإيقاع التصديق بما يدعو إليه.

قد تغلب صورة من هذه الصور في عصر دون عصر لأسباب يمكن تحديدها، وقد تتجاور أكثر من صورة في عصر آخر لأسباب مغايرة، ولكن تظل كل هذه الصور بمثابة نماذج متغيرة لاحقة، متأخرة نسبيا بالقياس إلى النموذج الأصلي الأقدم الذي بدأ به الوعي بالشعر والشاعر عند العرب، وظل يعود إليه كل تفكير في الشعر والشاعر في متواليات تعدد الآراء، وتغير الاتجاهات، واختلاف العصور، وتحدد الوظائف. هذا النموذج الأصلي هو نموذج الشاعر العارف بكل شيء، القادر على كل شيء، وهو نموذج مفارق، يتحدد بالمغايرة التي تمكنه من معرفة ما لا يعرفه الآخرون، ويمتلك القدرة التي يملك معها أن يغير حركة المجموع ومواقف الفرد، والمعرفة والقدرة وجهان للدلالة التي ينطوي بها حضور هذا النموذج على المفارقة التي تجسدها علاقته بغيره، فهو ناء عن البشر العاديين بالمعرفة التي يجهلونها، والتي يستمد منها اسمه، منذ أن أطلقت اللغة العربية عليه اسم «الشاعر» لأنه يشعر «أي يعلم، ويعرف، ويفطن» بما لا يشعر به غيره «أي يعلم ويعرف ويفطن»، وردت جذر الدلالة اللغوية لكلمة «الشعر» إلى العلم والمعرفة والفطنة التي لا تتاح إلا للكائن المتفرد الذي يشعر ويعلم ويفطن إلى ما لا يشعر به غيره أو يفطن أو يعلمه

الشاعر وأفعال السحر

هذا الشاعر النائي عن الآخرين لأنه يعلم ما لا يعلمون، قريب منهم بقدرته على أن يفعل ما لا يفعلون، وأول ذلك أثره فيهم، بما يبدعه من شعر



ينقلهم من حال إلى حال، ومقام إلى مقام، وذلك في فعل أشبه بأفعال السحر، فالقدرة العجيبة على إيقاع التأثير في الآخرين، والتلاعب بهم هي بعض الصفات السحرية التي ظلت ملازمة للنموذج الأصلي للشعر والشاعر، من قبل أن يقول نبينا الكريم «صلى الله عليه وسلم»: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكما» (لحكمة في روايات أخرى) ومن بعد أن قال أبونواس «إن الشعر من عقد السحر».

هذه المفارقة التي يتأسس بها النموذج الأصلي، تراثيا، في دلالته التي تفصله عن الآخرين وتدنيه منهم، تؤكد طبيعته المفارقة، وتجعل منه نموذجا كليا ينطوي على الأوجه المتعددة للكاهن والشامان والساحر والعراف والنبي والعالم والحكيم ولكن على النحو الذي يرد كل هذه الأوجه إلى جذرها الذي يصل بين المعرفة والقدرة، في دائرة الدلالة المتحررة التي تحرك فيها وبها هذا النموذج، تراثيا ورمزيا على السواء، والتي قاربت بينه والكائنات غير البشرية كالجن والشياطين، والأرواح الشريرة أو الخيرة، كما قاربت بينه وعناصر الطبيعة الفاعلة المقترنة بالخصب والنماء.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يشيع الاعتقاد الذي يرد الشعر إلى نوع من الإلهام الذي يصل الشاعر بقوة علوية تنطق على لسانه، وأن يغدو لكل شاعر شيطان أو رئي، يلهمه الشعر، ويغويه على إنشاده، ويعينه حين يجبل عليه النظم، فيروي أبوزيد القرشي «قول الجن على ألسنة الشعراء». ويحدثنا الثعالبي «متابعا الجاحظ» عن الشياطين التي زعم الشعراء أنها تقول الشعر على أفواهها، ذاهبا إلى أن من كان شيطانه أمرد كان شعره أجود، ويحدثنا غير الثعالبي عن هبيد شيطان عبيد وعتيبة تابع «جني» امرىء القيس وعنتر تابع طرفة ومسحل شيطان الأعشى ومدرك شيطان الكميت وعمرو شيطان الفرزدق، ويعابثنا بديع الزمان الهمزاني في مقاماته، خصوصا المقامة الإبليسية التي يلقى فيها عيسى بن هشام إبليس الذي يحدثه عن قومه قائلا: «ما أحد من الشعراء إلا ومعه معين منا»، وينقلنا ابن شهيد الأندلسي، بعد الهمزاني، إلى عالم التوابع «الجن» والزوابع «الشياطين» بعد أن تراءى له تابعه زهير بن نمير من قبيلة أشجع في الجن، وصحبه على فرس أدهم، في جولة يلقى فيها توابع الشعراء والكتاب وزوابعهم، ومن قبل أن يقول حسان بن ثابت بيته:

وقافية مثل السنان رزيته
تناولت من جو السماء نزولها

كنا نقرأ له :

ولي صاحب من بني الشيصبان
فحينا أقول وحينا هو

كما قرأنا لغيره :

إني وكل شاعر من البشر
شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

هذه العلاقة التي وصلت النموذج الأصلي للشاعر بالكائنات غير البشرية إلى المساعدة لم يكن الهدف منها تبرير القدرة المفارقة لهذا النموذج، وتغير طاقاته الإبداعية في مصدرها الذي يجاوز قدرة أقرانه من البشر العاديين، وفي تأثيرها الذي يتسم بقدرته على تغيير حياة البشر ومصائرهم، وكما وصلت هذه العملية التفسيرية للقدرة المفارقة بين نموذج الشاعر الأصلي والكائنات غير البشرية المساعدة، على مستوى الوعي الأسطوري، فإن العملية نفسها وصلت القدرة المفارقة للنموذج نفسه بعناصر الطبيعة المقترنة بالخصب والنماء، في جدلية التحول ما بين قطبي الوجود والعدم، ودورة الفصول، وتقلب عناصر الكون ما بين الميلاد والموت، والربيع والخريف، وذلك من منظور أوسع بكثير من كل ما أطلق عليه محمد عبدالمعين خان: المذهب الحيوي والمذهب الطوتمي في كتابه عن (الأساطير العربية قبل الإسلام).

الشاعر والنبي

لقد كان النموذج الأصلي للشاعر في سياق هذا المنظور عنصرا من عناصر الإخصاب والتجدد في الطبيعة، وكان لإبداعه التأثير المشابه لتأثير هذه العناصر، من حيث القدرة على إيقاع التحول من كل ما تمسه الكلمات أو تقع عليه القصائد، وذلك في دلالة جعلت من القصيدة فعلا من أفعال الإخصاب الذي اتحد وفعل السحر في التأثير المفارق، هذا التأثير الذي هو الذي وصل في النهاية بين النموذج الأصلي للشاعر والعناصر السماوية المضيئة للكون كالشمس والقمر

الدلالة التي تقوم على المفارقة نفسها، وذلك بالمعنى ـذي أصبح معه نموذج الشاعر مجلى للمشبه به في ـيت القديم:

ـالبدر أفرط في العلو وضوؤه
للعصبة السارين جد قريب

ووجه الشبه بين هذا «البدر» والدلالة التراثية للنموذج الأصلي للشاعر يدني بالطرفين إلى حال من الاتحاد، في رمزية الدلالة الكاشفة، حيث يغدو الشاعر شبيه «البدر» الذي يفرط في العلو الذي يباعده عنا، في المكانة والرتبة والمعرفة والقدرة، والذي ضوؤه جد قريب منا، لا يفارق تأثيره الذي تهتدي به كل عصبة من السائرين، هذه الدلالة العربية القديمة غير بعيدة عن الدلالة الأقدم منها، في الحضارة الرومانية القديمة التي نظرت إلى الشاعر بوصفه كاهنا يعلم الغيب وينطقه بواسطة وحي إلهي، وذلك تأكيدا للأصل اليوناني الأقدم لنموذج الشاعر الذي كان ينطق المعرفة التي لا يعرفها سواه من البشر في موحى دلفي، هذه الدلالة نفسها هي التي وصلت بين «الشعر» و«النبي» في التراث العربي السابق على الإسلام، والتي دفعت لغويا مثل أبي عمرو بن العلاء إلى أن يقول: «كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء من الأمم».. وهي الدلالة التي قد ترجع إلى جذور سامية أقدم، ظلت تتردد في التراث العربي الباكر، خصوصا ما يروى عن كعب الأحبار من قوله «إنا نجد قوما في التوراة أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة، وأظنهم الشعراء».

هذا النموذج هو الموازي الاجتماعي للبطريرك في المجتمعات القديمة، أقصد إلى أن الشاعر كان المرآة الإبداعية التي تنعكس عليها، رمزيا، سلطة موازية لسلطة شيخ القبيلة أو السلطة العليا في القبيلة التي كانت بدورها نموذجا لمجتمع مركزي يدور حول قطب الأعلى، أو البطريرك الذي ترتد إليه ـ في النهاية ـ خيوط المصالح والعلاقات بالمعنى الاجتماعي ـاسي والاعتقادي والإبداعي. هذه الصفة ـركية المحملة بلوازم مقاربة اعتقادية أسطورية، المبرر الأول الذي انطوت عليه الثقافة العربية ـة في الدفاع عن الشعر وتبرير وجود الشاعر، وهو مبرر لم يخل من معنى الأسطورة المرتبطة بصنعتي الخلق والتهديم، ومعنى السحر القادر على تغيير الأشياء والوقائع والاتجاهات، ومعنى المعرفة والتجدد على السواء، ولذلك كان وجود الشاعر في القبيلة، من زاوية إعلان ولادته شعريا وتكريسه إبداعيا، لحظة احتفالية من لحظات القبيلة، لحظة يعتني بها الوجود الخلاق الذي يؤكد تميز القبيلة عن غيرها، وذلك في دلالة غير مفارقة للدلالة التي تضمنها ما رواه ابن رشيق في كتابه «العمدة» من أن القبيلةمن العرب:

«كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنأون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج».

ومن المؤكد أن اقتران فرحة ميلاد الشاعر بفرحة الأعراس التي يتباشر بها الرجال والولدان، في كلمات ابن رشيق، تشير إلى ارتباط الشعر بالمعنى الأسطوري للولادة الجديدة، والخلق الدائم، وذلك في الدائرة التي وصلت العرس البشري لتزاوج الذكر والأنثى وأعراس الكون الطبيعية والحيوانية، حيث تتجدد الطبيعة في دورة الفصول، وتتجدد السلالة الحيوانية في دورة الخصوبة، وتتجدد الطاقة الإبداعية في دورة الشعر، وذلك هو السبب في اقتران الفرحة بدلالة الولادة الثلاثية الأبعاد، في كلمات ابن رشيق، حيث الإشارة واضحة إلى غلام يولد، وفرس ينتج «يولد» وشاعر ينبغ «يوجد».

وأحسب أن البعد الجنسي الذي انطوت عليه الرمزية الأسطورية للولادة الجديدة، في هذا السياق، هو الذي وصل بين «فحولة» الشاعر و«فحولة» الحيوان، وأنزل الشاعر المبرز بين من هم أدنى منه شعريا منزلة «الفحل» بين «الحقاق» (الإبل الصغيرة) وهو نفسه الذي وصل بين «القصيدة» و«المرأة» في رمزية المعنى «المقترع» للجدة و«البكارة»، وذلك في الدلالة المتكررة التي ظلت تترجع عبر القصائد، إلى أن لخصها بيت أبي تمام:

والشعر فرج ليست خصيصته
طول الليالي إلا لمفترعه.□

بستان العلماء

قصة بقلم: محمود الورداني

كانوا ينحدرون من محطة «الأوتوبيس» في الطريق الممتلىء بقطع الأحجار الحديثة القطع وجبال الرمل والزلط، بينما انتصبت براميل القار ضخمة على جانبي الطريق، كانت الأم تتطوح بينهما، وقد حمل الولد حقيبة قماشية تضم الشُريك والبلح، أما البنت فكانت تشعر بالبرد مستسلمة لكف أمها، وتتطلع إلى الشواهد الممتدة في حضن جبل المقطم المغطى بالضباب.

وحين وصلوا أسفل ما بدا أنه نفق، استقامت أمامهم صفوف تتداخل من النسوة العجائز المحنيات ببطء والشابات اللاتي كشفن عن رقابهن ونحورهن، فيما كانت شعورهن الطويلة تهتز في رياح الشتاء الخفيفة، وثمة رجال وأولاد صغار يتقدمون هناك حتى يغيبون في ظلمة النفق.

ينقبض قلبها وهم يغادرون النفق، وتحبس دموعها فيجتاحها ألم وانكسار لا تملك دفعهما، تشتد قبضتها على أصابع ابنتها التي تحاول الانفلات من القبضة المضمومة على كفها، ثم تدفع البنت برأسها تحاول أن تتبين أخاها على جانب أمها البعيد، لحظتها شد الولد أمه إلى بائعة الخوص الواقفة في بداية الطريق.

كانت امرأة سمينة تلف رأسها بمنديل أسود وجسمها مبلول، تناولها طفلة بجوارها حزم الخوص المنداة والمشبوكة بها بضع زهور متناثرة.

وتابعوا طريقهم يعاودون الانحدار بعد المطلع القصير على باب النفق، والأم ضائقة بالخوص المبلـ مختلطا بتراب لزج، تحاول منعه من الانفلات من يدها اليمنى، وبيدها اليسرى تقبض على كف البنت.

في الليل كانوا قد ناموا متأخرين بعد حمام العيد. تنازعا حضنها فلم يكد الولد يغمض له جفن، يلفه دوار ونعاس، حاملا حقيبته ويدب بقدميه على الأرض غير المستوية، طوال الوقت يتهيأ خائفا من مفاجأة الأم، حين تتوقف وتأخذ في النشيج مرتجفة تسعى لوقف انهمارها وتكتم الشهقات وقد أغلقت عينيها.

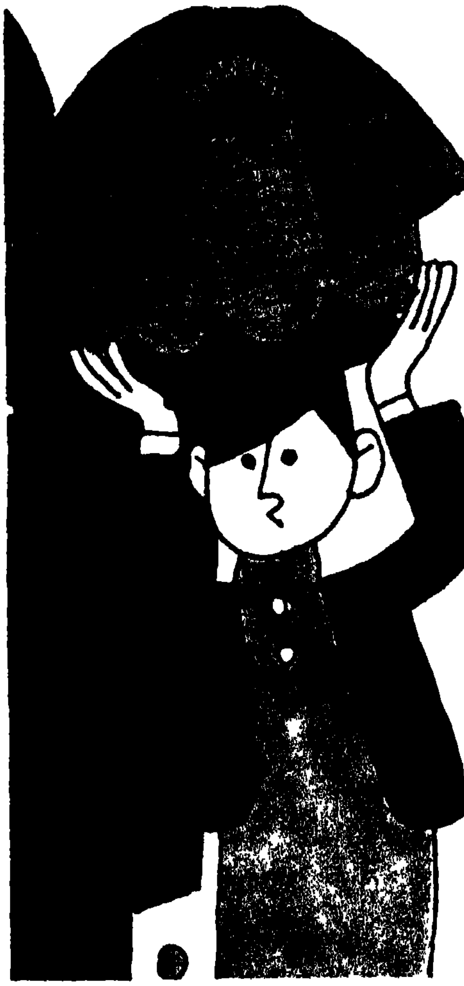
وتذكر الولد، فيما كان يستقبل الحارة الضيقة، حيث يتكأكأ الجميع، بل ويكادون يتوقفون تماما، حتى تتسرب صفوف المتشحات بالسواد، ويدلفن رويدا، تذكر الولد أنهم لم يعودوا يطلعون على أبيه إلا في العيد الصغير والعيد الكبير فقط، في السنين الماضية كانوا يطلعون في رجب وشعبان ومولد النبي، بل إن أمه كانت تحكي أمامه إنها كثيرا ما اصطحبتهما، ويقصون أيام العيد جميعها في الحجرة الخشبية التي تضم شاهد الأب الراقد مع أعمامه وحده وأبناء أعمامه ورجال العائلة الآخرين.

واستقبلوا ضريح إحدى زوجات سلطان مملوكي، وانتاب الأم ذات الخوف على الولد والبنت من ميل القبة الشديد، فحاولت أن تخطو خلفهما وتكاد تدفعهما دفعا بين أجساد النسوة البطيئة، بينما تلفحها الرياح القاسية الخفيفة وتطلم وجهها ورقبتها. زمان.. قبل أن يموت زوجها طلعت معه مرتين أو ثلاثا، في المرة الأولى ترـ أمامه وقد انفجر ضاحكا، لما وجدت نفسها فجأة أسفل الضريح، لحظتها كانت متأكدة أن القبة على وشك السقوط، وحكى هو لها عن الصريح والمرأة الراقدة منذ مئات السنين دون أن تسقط قبتها، ثم ذكر لها اسـ الذي نسيته الآن.

ومن بعيد، تراءى لهم بستان العلماء، رأت البنت الشجر الأخضر يتألق بين الشواهد البيضاء، حيث







دوما: الشيخ عُـلما الضامر الذي يكاد جرمه أن يكون جرم طفل بعينيه الضيقتين ترسمان ابتسامة ماثلة على وشك الانفراج.

بعد أن تضع الأم الخوص على الشاهد الأول في حجرة النساء، حيث يرقد الرجال، وهما يقفان خلفها يرددان الفاتحة، تلتفت هي للنسوة القاعدات على الحصيرة يشددن أثوابهن ليغطين ركبهن الوامضة خلف الجوارب السوداء، فيستديران وتستقبلهما النسو... يطرقعن قبلاتهن على خديهما، عمتهما «أفكار» وحدها تستبقي البنت قليلا في حضنها وهي تشهق مختنقة بدموعها تغطي وجهها، غير أن رائحتها حلوة ... تحتوي جسم البنت الصغيرة. وتذكرت البنت أ... سيدلفون بعد ذلك عبر الحاجز الخشبي نحو الحجـ... الأخرى: حجرة الرجال حيث ترقد النساء، وتضع أم... الخوص وتتراجع لتقرأ الفاتحة عبر باب حجرة النسـ... تدور البنت مع أخيها على الرجال الذين يلامسـ... وجنتيهما بسرعة، وتنتظر أن ينتهوا من ذلك سريعا حتى تركض إلى البستان لتنادي على الشيخ علما.. هو الوحيد الذي تصر الأم على أن يتلو على روح أبيها، يظل الرجل يتلو مقرفصا وهو يهز جسمه يمينا ويسارا، بينما تتعالى أصوات النسوة يثرثرن، والرجال يزجرونهن بين الحين والآخر.

ها هي الرائحة تهل عليهم، رائحة الشجر وصفوف الصبار تحيط بغابة تعج بالشواهد المرفوعة الهامة والمنتهية بطرابيش قصيرة محفورة في نفس لوح الحجر اللامع بكتابة غائرة.

قال الولد، وقد ناء بحمله الثقيل: قبل أن ينصرفوا لقبور أخرى أو إلى بيوتهم، يضعون العيدية في جيوبنا ويمضون بينما نراقب نحن تناقصهم حتى يغيب آخرهم، فآخذ «منى» أختي في يدي وننطلق إلى الخارج لنلعب مع الآخرين في الباحة الواسعة، أمام البيت الخشبي ونترك أمي وحدها. وقبل أن يغادروا آخر البستان، فاجأتها الأم بالتوقف عن السير، ثم مالت تستند على السور، وانخرطت في شهقات قصيرة متتابعة، تحاول كبحها وهي ما تني تهتز.□

الزواج ينخفض في أوربا

● معدلات الزواج تواصل انخفاضها في أوربا، فقد انخفض هذا المعدل في ألمانيا بنسبة ١٢٪ وفي فرنسا وإيرلندا بنسبة ١٥٪، ولم تشذ عن دول الاتحاد الأوربي إلا البرتغال، وقد أكدت إحدى الدراسات الاجتماعية أن الفرنسيين يتأخرون في قرار الزواج أكثر فأكثر، وأظهرت الدراسة أن ٨٢٪ من حفلات الزفاف تتم يوم السبت، ومعظم حالات الزواج تتم في شهري مايو وسبتمبر.



□ التنبؤ بالمناخ ليس سحرا بل أحد معطيات الكمبيوتر

الكمبيوتر والنظم الخبيرة

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

ـسارع خطى صناعة الكمبيوتر في العالم،
ـرى مشارف القرن القادم تقترب آمال
ـضة في أجيال من الكمبيوتر ترى وتسمع،
ـها تلمس وتشم أيضا. ومن ثم، لابد من
ـف أمام أبجديات هذه الصناعة، وهذه
ـي الوقفات.

روى أحد كتاب القصة العربية أنه زامل طالبا في مرحلة الدراسة الثانوية، وكان زميله هذا يتصف بطيبة القلب والخلق الكريم والاجتهاد إلا أنه كان مصابا بمرض لا يستطيع الخلاص منه، فقد كان لا يجيد في فنون كتابة الإنشاء سوى موضوعات الأفراح مهما كان رأس الموضوع ودوافعه، ويوما أراد أستاذ اللغة العربية وضعه في مأزق فجاء برأس الموضوع على أنه ــ أي صديق الكاتب ــ اتخذ طريقه إلى بلد أوربي على متن طائرة لكن القدر لم يمهلها كثيرا فانفجرت فوق الصحراء.. وطلب منه كتابة موضوع إنشاء حول ذلك المضمون، ولم يحتر الطالب فكتب سطرا واحدا عن سفره ومائة سطر عن أن

الطائرة عندما انفجرت سقط حطامها وسقط معها في الصحراء على مقربة من فرح بدوي، وانطلق يصف مظاهر الفرح، واصفا الأغاني والأهازيج والرقص والموائد العامرة، بعدها لم يكلفه أستاذ اللغة العربية بكتابة أي موضوع آخر، وأخذ يقلب كفيه متعجبا من الطالب وذاكرته التي لا تقدر عن الأفراح فكاكا.

البيروقراطية والكمبيوتر

تذكرت هذه الحكاية وأنا أحط هذه الدراسة المبسطة حول علوم الذكاء الصناعي التي غطت واستوعبت أربعة تخصصات مختلفة هي الإنسان الآلي، النظم الخبيرة، والإنسان بلا ورق أو ما يسمى «أتمتة المكاتب»، كما تستوعب تخصصات جديدة في مثل حاسبات إلكترونية ترى وتنطق وتشم وتلمس وتعالج اللغات الطبيعية. والنظم الخبيرة تشبه إلى حد كبير صديق كاتب القصة العربية، فهي ترى الحياة وكأنها كتاب قواعد وتطبق هذه القواعد بدقة شديدة واستعمال صحيح وقدرة مؤكدة، وتتعرض هذه النظم للضياع عندما يعرض عليها أمر ليس موجودا في هذا الكتاب، شأنها شأن طفل صغير ألقيت في ذاكرته خطأ متعمدا أن المسافة بين القاهرة والكويت مائة كيلو متر، والمسافة بين القاهرة والزقازيق ثمانون كيلو مترا، وشب الطفل واستوى عوده وفتل عضده ومازالت ذاكرته تستوعب ما حفظ خطأ، فإن سألته يوما عن المسافة بين القاهرة والكويت انطلق دون تردد أو عوج أو التواء مائة كيلو متر، وإذا عاودت سؤاله عن المسافة بين القاهرة والزقازيق فسوف يلقي السمع ويرد بنفس ما حفظ، وإن حاولت مناقشته كيف والكويت المدينة عاصمة دولة الكويت بينما القاهرة عاصمة مصر وما الزقازيق إلا إحدى مدن مصر، فإنه سوف ينظر إليك متعجبا ذهلا ويحار أمره، ويرتج عليه، فقد أخذ على غرة فكتاب ذاكرته لم يتلق هذا البيان ولا هذه المعارف.

يقول القارىء وهل هذه هي النظم الخبيرة التي تزعمونها؟ رويدا سيدي، فليس من المدهش أن نعرف أن هذه البيروقراطية هي إحدى مميزات الذكاء الصناعي في النظم الخبيرة.. الالتزام.. وسمها إن شئت البيروقراطية الميكانيكية للآلة، فالقواعد هي المادة الأساسية لأجهزة الخبرة وبرامجها، فإنتاج مثل هذه النظم يتطلب الجلوس مع الخبراء كل في مجاله وتشفير معلوماتهم وإدخالها إلى الحاسبات وفق قاعدة محددة لا تحيد عنها قيد أنملة «إذا.. حينئذ..»، لاحظ المغالط اللغوية التالية، التي قد تفوت على ذوي ذكاء وفطن كأن تقول، إذا وجد سحاب في السماء حينئذ يسقط المطر، فالجملة مغلوطة منطقيا، إذ ليس شرطا أن يسقط المطر كلما وجد سحاب، فقد ترصع السماء الد[illegible] بسحاب الصيف أو سحاب الخريف ومع هذا لا تسقط مطرا، ولا تروي أرضا، فلا تهتز الأرض ولا تربو، إنما دقة العبارة التي تتوافق وتناسب هوى الحاسبات ونظم الخبرة أن تتحول الجملة إلى: إذا سقط المطر حينئذ يوجد سحاب.

ولكي يستطيع النظام الخبير تحديد شجرة فإنه يجب أن يتضمن جملة قواعد منها، إذا كان الفصل الجغرافي هو فصل الشتاء والشجرة تحمل أوراقا حينئذ فهي شجرة دائمة الخضرة، وأيضا مثل إذا كانت الشجرة دائمة الخضرة وأوراقها إبرية الشكل، حينئذ فالشجرة شجرة صنوبر، وأيضا مثل إذا كانت الشجرة دائمة الخضرة وأوراقها.. حينئذ فهي شجرة كذا، وهذه القواعد وسواها وسواها كثير يمكن أن تشكل قاعدة معرفية لكل أشجار ونباتات العالم، فإن صادف العلماء نبتا جديدا وغرسا غير معروف بدأوا في أخذ رأي النظام الخبير.

وهذه القواعد يتلقاها داخل الحاسب برنامج Soft Ware من البرامج الجاهرة دعاه مبتكروه آلة الاستدلال، تطبق هذه القواعد على أي حقائق أخرى يغذى بها الجهاز، فإذا تم إبلاغ أي نظام خبرة يضمن هذه القواعد بأن الفصل الجغرافي هو فصل شتاء، وأن الشجرة تحمل أوراقا، فإنه يستنتج أن الشجرة دائمة الخضرة، ثم يحاول بعد ذلك أن يطبق القواعد على الأشجار دائمة الخضرة بالبحث في قاعدته المعرفية الاستدلالية عن شكل الأوراق، وهكذا إلى أن يتم التوصل إلى نتيجة أو يستمر في تطبيق القواعد فإن لم يجدها أضاف المعلومات المدخلة إلى قاعدته المعرفية وأصبحت المدخلات قانونا جديدا.. وهكذا.

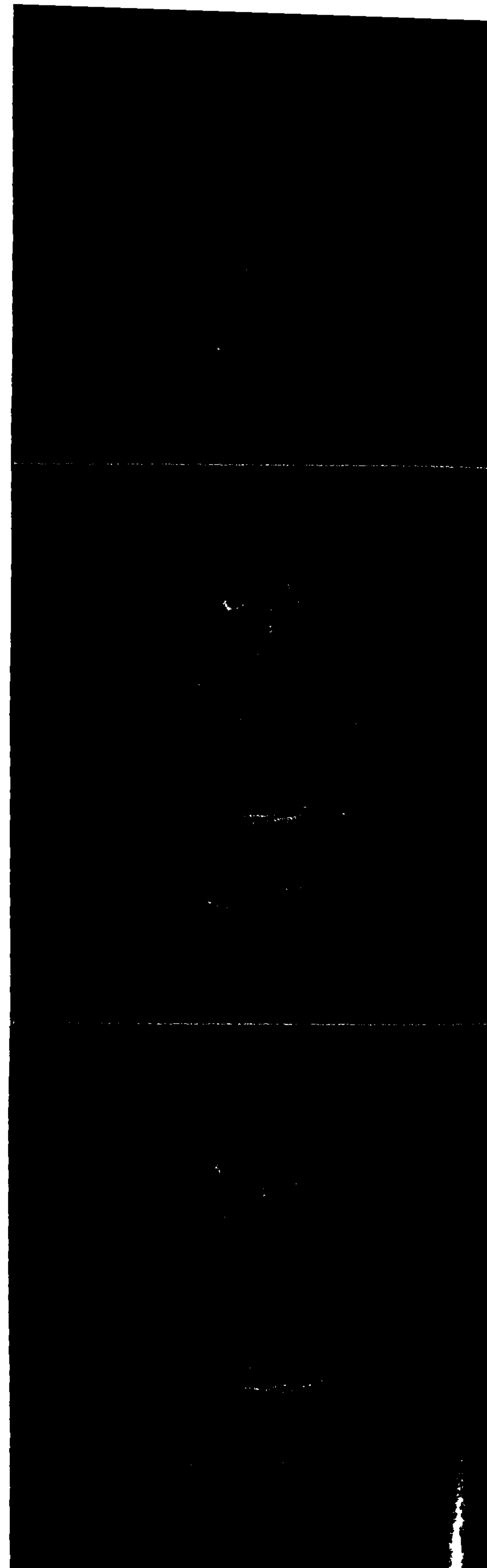
ومثل هذا الاستدلال الآلي قد يصل إلى حد بعيد للدهشة، لكن لكل أمر في دنيا المخلوقات حدودا و[illegible] ولا تفك إلا بمزيد من البحث والتأصيل، فإن [illegible] الخبيرة مشكلة عويصة وهي التفكير أو الاس[illegible]

الحرفي نتيجة ارتكازها إلى الحاسبات الإلكترونية ودوائرها الإلكترونية المعقدة، فإذا لم يتم إبلاغ الآلة ضمنا أن تفعل ذلك فإنها لا تستطيع النظر للموضوع من زاوية تكامل القواعد، مثل، الشجرة خضراء في يناير، ويناير يعني الشتاء، ومع ذلك يختلف الأمر وتعتبرها قاعدة جديدة لا علاقة لها بالشجرة التي تحمل أوراقا في الشتاء، على الرغم من أن أي انسان يعلم أن يناير قلب الشتاء ولبه، مما يتطلب إدخال قواعد جديدة للربط بين الأشهر والفصول، وهنا يحتاج إلى إدخال كم كبير من التفاصيل التي تتعلق بالموضوع ولكل فرضياته حتى يتمكن الحاسب (النظام الخبير) من استخدامها، وهنا تنشأ مشكلة أخرى تتمثل في القدرة على التعامل مع هذا الكم الوافر والهادر من القواعد.

طبقات من المعلومات

ويتطلب الأمر إيجاد طريقة للاختيار بين القواعد المختلفة والربط المنطقي بينها، وهو موضوع يعتبر واحدا من أخطر التحديات التي يواجهها القائمون على تصميم النظم الخبيرة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن معظم هذه النظم لا تستطيع ـ حتى الآن ـ الرجوع إلى نتيجة سبق سحبها عن طريق تطبيق قاعدة خاطئة، إذ إن الحصول على نتيجة صحيحة من أول مرة أمر لازم، لذلك استدعى الأمر تحديد مدى مصداقية القواعد المستخدمة، بحيث تضاف درجة المصداقية إلى كل قاعدة مدخلة إلى النظام الخبير، فإذا كانت المصداقية (١) فهذا يوضح أن النظام يعتقد أن القاعدة هذه حقيقة مطلقة، أما إذا كانت درجة المصداقية قيما سالبة مثل (سالب واحد «-١») فهذا دليل على عدم الاعتماد على تلك القاعدة، والقيم بين موجب واحد وسالب واحد تبين درجات الشك في دقة وصحة ومطلقية القاعدة من الصواب وفي النهاية يتم اختيار النتيجة التي تنال أكبر قدر من معاملات المصداقية.

إن أسلوب معالجة آلة الاستدلال للقواعد المسجلة أمر جدير بإلقاء نظرة سريعة، فقد يجري الاستدلال، كما في حالة الشجرة، بداية من جذورها ثم الأفرع وصولا إلى الأوراق، كأن نقول هذه شجرة عائلة فلان، والد فلان، جد فلان، وقد يكون الاستدلال بأسلوب معاكس يبدأ من الأوراق ثم الفروع وصولا إلى جذور الشجرة، كأن نقول هذا فلان بن فلان بن فلان حفيد فلان، وبهذا

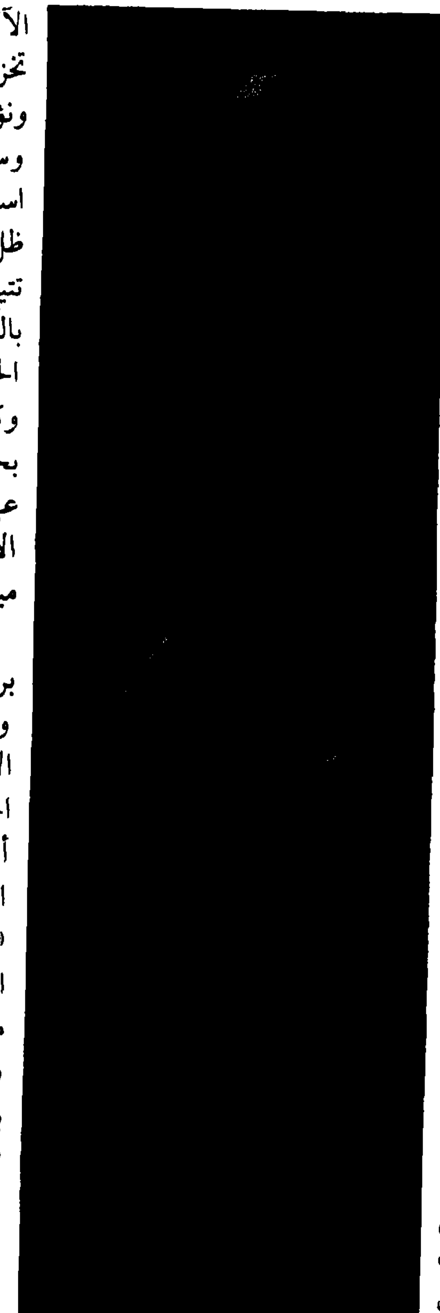


ـطيع النظم الخبيرة استعادة صور الماضي بناء على معطيات والكمبيوتر هنا يتعقب تكوين القارات منذ ٥٨ مليون سنة.

يحاول الجهاز أو النظام الخبير استخدام كل مكونات القواعد الممكنة من أجل الوصول بسرعة إلى النتائج المرجوة، ولكلا الأسلوبين مزايا ونواقص، ولا فضل لأسلوب على الآخر إلا بمدى ما يحقق من حقائق وبمدى سرعة استجابته لمستخدمه. ومع كل إشراقة شمس وانسحاب الظلام أمام ضوء النهار تتطور أجهزة النظم الخبيرة تطورا كبيرا فلم يعد لأسلوبي البحث الراجع أو البحث المتقدم السيطرة الوحيدة على طريقة الاستدلال، إذ طرح أخيرا نظم دعوها أغلفة نظم الخبرة وهي تتيح تطوير الاستدلال في مجالات عديدة، وتشبه الأغلفة طبقات فوق طبقات من القواعد، في أعلاها قواعد عامة تتدرج في التخصص الدقيق كلما انتقلت آلة الاستدلال إلى استدعاء طبقة تالية، وهكذا وصولا إلى عمق الأعماق فيما هو متاح على الجهاز الخبير.

برامج تشرح وتفسر

والنظم الخبيرة إحدى نتائج بحوث الذكاء الاصطناعي وهو العلم الذي نشأ منذ الخمسينيات مع تفكير العلماء في إكساب الحاسات الإلكترونية القدرة على أداء أعمال يتطلب القيام بها ذكاء من الإنسان، لذلك كانت بحوث الذكاء الصناعي خليطا من العلوم جمع بين علم النفس والأعصاب والرياضيات والمنطق والحدس وعلم التشريح وبعد بحوث مضنية معقدة بدأت بشائر هذه الدراسات الشاقة والمجهدة في البزوغ، وكان أبرزها وفي المقدمة منها النظم الخبيرة، وهي ببساطة شديدة استخدام الحاسبات في تكديس مئات



□ اعمق أسرار الخلية الحياة يسعى إليها الكمبيوتر عن طريق النظم الخبيرة

الآلاف من الحقائق والقواعد، ويتم تخزينها وفق المبدأ الذي أسلفنا ونؤكده «إذا.. حينئذ..»، وتخزن على وسائط تخزين الحاسبات ويتم استدعاؤها فور الحاجة إليها، وفي ظل وجود برمجيات تشرح وتفسر ما تتيح للإنسان التعامل مع هذه النظم باللغة الإنجليزية، لذا اكتسبت النظم الخبيرة أرضية مقبولة ومعقولة وكانت انطلاقة وإشارة البدء في بحوث أكثر وأشد تعقيدا سيكون عمادها الجيل الخامس من الحاسات الإلكترونية والذي ينتظر إعلان ميلاده في غضون سنة أو أكثر.

والواقع أنه منذ الستينيات ظهرت برامج كثيرة في مجالات النظم الخبيرة وبذلك تحولت الحاسبات الإلكترونية إلى زمرة من الخبراء أو الخبراء الآليين في فروع شتى، ولعل أظهرها على الساحة وأسبقها إلى الخدمة البرنامج الطبي الخبير «مايسين» والذي أعلن عنه في السبعينيات والذي زود بقاعدة معرفية تناولت إصابات البكتريا والفطريات وأساليب علاجها بالمضادات الحيوية، وركز برنامج «مايسين» ضمن ما ركز على مظاهر المرض، والآثار الجانبية للعلاج والعلاقات المتقاطعة بين مختلف التأثيرات العضوية، وتلاه برنامج آخر دعي Prospector تناول الأبحاث الجيولوجية وطبقات الأرض وأنواع الصخور وتحاليل العينات وكان ولايزال يرشد كثيرا من رجال التعدين والبترول.

ولأن النجاح مثل المرض المعـ في معظم بلدان العالم فما أن هـ الثمانينيات حتى أعلن عن عـ لا نهائي من النظم الخبيرة تناو التعليم والاقتصاد والبنوك وص

سيارات وإدارة النقل وملئت كلها بالحقائق والقواعد كانت مثل مخزن حقائق منظم سريع، لكنها لا تقدر على اكتساب خبرة ومعارف ذاتية، حتى جاء عقد التسعينيات وبدأ الأمل يزداد إشراقا في إمكانها اكتساب خبرات ذاتية نتيجة للتطوير الكبير في معدات الحاسب الآلية والبرمجية وارتكان الأخيرة على أنظمة يطلقون عليها برامج الشرح والتعليم.

طموح الجيل الخامس

والواقع أنه رغم كل فوائد النظم الخبيرة بداية من نظام «مايسين» الطبي، ونظم الإدارة ونظم التصنيع، إلا أنها مازالت محدودة الفائدة بالنسبة للأعمال التي تتطلب قدرة على التفكير والإدراك والإبداع واتخاذ قرارات تشمل مؤثرات بيئية متعددة ومما يؤكد ما أسلفناه تجربة لواحد من أشهر البنوك الأمريكية في العالم إذ غير بطاقته الائتمانية، وأرادت إدارة البنك تحويل بطاقات عملائها المقدرين بعدة ملايين على امتداد رقعة الكرة الأرضية، ووجدت الإدارة نفسها أمام مأزق عويص يتطلب عشرات السنين لإنهائه، ولجأت الإدارة إلى علماء النظم الخبيرة، وطرحت الأمر عليهم، وقدموا للبنك نظاما خبيرا يقوم بتنفيذ ثلثي الإجراءات الروتينية، فإذا وجد الخبير الآلي شيئا غير عادي فإنه يقدم تقريرا يشمل جميع الحقائق إلى الموظف المختص ليتخذ القرار النهائي والخطوة الحاسمة، وكانت أخبارا سارة لفتت أنظار البنك، وتسللت قصة نجاح النظام الخبير عبر الأروقة والقاعات وعلا الحبور والسعادة جباه العاملين إلا المديرين كانوا عابسين قانطين، فالنظام الخبير ليس بشرا يمارسون عليه أساليب الإدارة والقيادة والسيطرة فهو مجرد حاسب إلكتروني معبأ به حزمة برامج لا تدرك ولا تعي البعد البشري والعلاقات الإنسانية بين المدير والموظفين. ويقول الدكتور أيجور الكسندر، أستاذ هندسة النظم في الكلية الملكية بإنجلترا إن إكساب الحاسبات القدرة على الذكاء لن يتأتى من خلال الدوائر الإلكترونية التقليدية مهما بلغت كثافة تركيزها ودرجة تصغيرها، وإن الأمل معقود على الشبكات العصبية وحاسبات الجيل الخامس حيث توجد بلايين التوصيلات الإلكترونية التي تصب في مراكز صغيرة تسمى النيورونات وبالتالي فإن المشغل الدقيق الواحد سوف يضم مئات الآلاف من المشغلات الأصغر والأدق ولكل واحد منها ذاكرته الخاصة، وسيكون لهذه الحاسبات شأن عظيم في التنبؤ بالجو وأعمال البورصة، ويؤكد هذا نتائج تجربة في أحد أضخم بنوك اليابان، حيث ارتكن في تقديراته على حاسب الشبكة العصبية، ونجح الحاسب نجاحا عظيما، وحقق تنبؤات صحيحة بنسبة ٦٠٪ عن حركة الأوراق المالية في بورصة طوكيو خلال النصف الأول من عام ١٩٩٠، في حين لم يحقق أعظم وأبدع خبراء البورصة أكثر من ٥٠٪، وكسب البنك من وراء الحاسب ملايين الدولارات.

أخيرا، أجدني أضم صوتي إلى نداء أطلقته العربي في إحدى معالجتها لمفهوم «عصر المعلوماتية» حيث ورد التمني ألا يمرق من أيدينا هذا العصر كما مرقت عصور البخار والكهرباء والذرة ــ في حينها ــ والله أدعو ألا يفلت عصر المعلوماتية من الوطن العربي، فالمعلومات قوة ومتعة، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!□

برج بيزا لا يميل

● أعلن رئيس فريق خبراء ترميم برج بيزا المائل الشهير أن البرج قد زاد معدل الاستقامة به خلال العام الماضي بمقدار سنتيمتر كامل. وقد تحققت هذه النتيجة الإيجابية بفضل عمليات صب كتل الرصاص حول أساس البرج بصورة تدريجية بدءا من الصيف الماضي، وبلغ وزن هذه الكتل ٦٠٠ طن حتى الآن.

وأشار المسئول إلى أن البرج في حالة طبيعية اليوم لكن لا ينبغي التسرع في الحكم على محاولات إنقاذ هذا الأثر.

قطوف دانية

إلى الذين يودون أن يتذكروا هؤلاء الشعراء

بقلم: أحمد السقاف

«٤» لبيد

الشاعر لبيد بن ربيعة بن جعفر العامري المضري، نشأ يتيما بعد مقتل أبيه فتكفله أعمامه بنو أم البنين وهو في سن التاسعة، أما أمه فهي تامر بنت زنباع من بني عبس، ولما بلغ سن الرشد قصد الحيرة مع قومه العامريين، فلفت اهتمام النعمان بن المنذر فقربه، وكان بين قومه وبين قبيلة بني عبس خلافات وعداوات، وكان الربيع بن زياد العبسي من المقربين لدى النعمان، فاصطهد أعمام لبيد، فصمم لبيد على الانتقام منه، فشاور أعمامه فترددوا لقرابة الرجل من أم لبيد، ولما ضاق بسوء معاملة الربيع وقف بين يدي النعمان، وقال أرجوزته المشهورة التي مطلعها:

يا رُبَّ هيجا هي خير من دعة	نحن بني أم البنين الأربعة
ونحن خير عامر بن صعصعة	المطعمون الجفنة المدعدعة
والضاربون الهام تحت الخيضعة	مهلًا أبيت اللعن لا تأكل معه

إلى آخر الأرجوزة المليئة بالبذاءة، فنفر النعمان بن الربيع وعلت مكانة لبيد وقومه لديه. ويعد لبيد من الشعراء المخضرمين، فقد أدرك الإسلام وأسلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة في وفد من قومه، وحضر معركة حنين ونال من غنائمها، ويكنى لبيد «أبا عقيل»، وفي عهد عمر بن الخطاب هاجر إلى الكوفة وأقام بها وانصرف عن الشعر وأخذ يدرس القرآن الكريم ويتدبره. وقد توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وفي قول إنه توفي في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين للهجرة، وله من العمر أكثر من مائة وخمسين سنة، وقال وقد بلغ السابعة والسبعين من العمر:

قامت تشكي إليّ النفس مجهشة	وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا	وفي الثلاث وفاء للثمانينا



بلْ أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ   طلقٍ لذيذٍ لهوُها وندامها

ـحين بلغ التسعين قال:

ـأي وقـد جـاوزت تسعين حجـة   خلعـت بها عنـي عـذار لجامـي
ـنـي بنـات الـدهـر مـن حيـث لا أرى   فكيـف بمـن يـرمـي وليـس بـرامـي
ـو أننـي أرمـي بسهمـي رميتهـا   ولكننـي أرمـي بغير سهـام

ـيعتبر لبيد من شعـراء الطبقة الثالثة، وكان ذا شرف وكـرم وفصل، وقد تعصب له مـن امتدحوا ـرمه وترفعه عن الدنـايا، وأعطوه منزلـة أعلى من منزلتـه في الشعر، والحقيقة أنـه دون امرىء ـس وزهير والنـابغة الذبياني والأعشـى، أما الكرم فـلا يعلو فيه عليـه غير حاتم الطائي، وهـأنذا ـد ما استحسنته من أبيات معلقته الشهيرة:

ـت الـديـار محلهـا فمقـامهـا بمنـى   تـأبـد غـولها فـرجـامهـا(١)
ـدافـع الـريـان عـري رسمهـا   خلقـا كما ضمن الـوحـيَّ سلامُها(٢)
ـن تجرم بعـد عهـد أنيسهـا   حجـج خلـون حـلالها وحَـرامهـا(٣)
ـت مـرابيـع النجـوم وصـابها   ودق الـرواعـد جـودهـا فـرهـامهـا(٤)
ـل سـاريـة وغـاد مـدجـن   وعشيـة متجـاوب إرزامهـا(٥)
ـفـروع الأيهقـان وأطفلـت   بـالجلهتين ظبـاؤهـا ونعـامهـا(٦)
ـاكفـة على أطـلائهـا   عـوذا تـأجل بـالفضـاء بهامهـا(٧)
ـالسيـول عـن الطلـول كـأنها   زبـر تجد متـونها أقـلامهـا(٨)
ـت أسـألها وكيـف سـؤالها   صما خـوالـد مـا يبين كـلامهـا

عـريـت وكـان بها الجميـع فـأبكـروا   منهـا وغـودر نـؤيها وثمامهـا(٩)

إلى أن يقول :

أقضي اللبـانـة لا أفـرط ريبـة   أو أن يلـوم بحـاجـة لـوامهـا(١٠)
أو لم تكـن تـدري نـوار بـأنني   وصّـال عقـد حبائل جـذامهـا(١١)
تـرّاك أمكنـة إذا لم أرضهـا   أو يعتلـق بعـض النفـوس حمامهـا(١٢)
بـل أنـت لا تـدريـن كـم مـن ليلـة   طلـق لـذيـذ لهوهـا ونـدامهـا(١٣)
قـد بـت سـامرهـا وغـايـة تـاجـر   وافيـت إذ رفعـت وعـز مـدامهـا
أغلي السبـاء بكـل أدكـن عـاتـق   أو جـونة قـدحـت وفـض ختامهـا(١٤)
بـادرت حـاجتهـا الـدجـاج بسحـرة   لأعـل منهـا حين هـب نيـامهـا(١٥)□

---

(١) عفت الديار زالت، ومنى موضع في نجد، تـأبد توحـش، والغول بفتح العين ما انحفض من الأرض، والرجام: موضع قرب منى في نجد

(٢) المدافع الأمكنة التي يسيل منها الماء، والريان واد معروف في ديار بني عامر، والوحي الكتابة والسلام بكسر السين الحجارة

(٣) يقول إن سنوات مرت على هذه الدمن بعد أن تركها سكانها

(٤) المرابيع أمطار تـأتي في أول الربيع، والنجوم الأنـواء، وصابها نزل عليها، والـودق المطر، والجود بفتح الجيم: القوي من المطر، والرهام بكسر الراء: المطر الخفيف

(٥) هذا البيت شرح للبيت السابق فالمطر مستمر صباح مساء

(٦) ارتفع الماء في الـوادي وعطى أعشاب الأيهقان وبلـغ مأوى الظبـاء، والنعام التـي ولدت في جـانبي الوادي، فالجلهتان جانبا الوادي فهما بمنزلة الشطين

(٧) العين البقر الوحشي، عودا بضم العين حاصنة صغارها، والبهام: صغار بقر الوحش

(٨) جلت السيول هذه الطلول فبدت كأنها كتب بعضها واضح وبعضها أعيدت كتابته

(٩) عريت: خلت أبكروا ارتحلوا والنؤي ما صنع لجمع ماء المطر، والثمام نبت يوضع على البيوت

(١٠) اللبانة . الحاجة

(١١) الحبائل هنـا استعيرت للوصل والتـواصل والجذم: القطع فهو وصـال متى ما كـانت وفية حـافظة العهد وقاطع حبال الود متى ما تنكر له

(١٢) يعتلق معطوف على الفعل المتقدم المجزوم والمعنى أنه يعـاف الأماكن التي لا تعجبـه، وأكد المعنى بالشطر الثاني والضمير في حمامها عائد على متقدم لفظا متأخر رتبة

(١٣) الندام بكسر النون الندامى، والليلة الطلق الليلة ذات الهواء الجيد

(١٤) يقصد زق الخمر الذي تعتـق وصار جيدا في لونه ورائحته فهو يغلي شراء هـذا النوع من الخمر ولا غرابة في ذلك فالعصر ذاك عصر الجاهلية والسباء شراء الخمر

(١٥) تعاطيت شرب هذه الخمر عند صياح الديكة بعد أن نهضت من النوم.

كشف حقيقة اليهودية



بقلم: طارق خالد الحجي

عـودة مـرة آخرى إلى مـوضـوع قـديم . ـهــو الكشف عن حقيقـــة التـــاريخ ـيهــودي، لأن معـــالجة هــذا الأمـــر ـسلوب علمي ومعـاصر أمـر ضروري ـن النــاحيتين الـدينيــة والتـاريخيـة في ـواجهـة الأفكــار العتيقـة التي تستنـد ـلى الخرافـات والأســاطير الـوهميــة.

عند الإمعان بدقة في تطورات التاريخ نستنتج منطقيا أن كلمة «يهود» أطلقت في البداية ... العصور القديمة لتعني سكان إقليم «يهوذا» في ... ين دون أن تكون لها دلالة دينية معينة، فكان ... ال كلمة «يهودي» في العصور السابقة للسبي ... له دلالة إقليمية لا دينية كأن نقول اليوم نابلسي أو عكاوي. والأرجح أن كلمة «يهوذا» هي من أصل كنعاني مثل تسمية أورشليم وصهيون ومعظم أسماء مدن فلسطين وقراها وأقاليمها. ولكن بعد تطور اليهودية في بابل ونتيجة لانتشارها كديانة في أقطار مختلفة أطلقت نفس التسمية فيما بعد على كل من اعتنق هذه الديانة دون أن تكون للمعتنقين لهذه العقيدة أي علاقة عرقية أو قومية بيهوذا أو سكانها. وهكذا تحولت هذه التسمية إلى اصطلاح يدل على الديانة وليس القومية أو الأصل ويشمل جميع من اعتنق اليهودية حتى أولئك المتهودين الذين لم تطأ أقدامهم أو أقدام أجدادهم أرض فلسطين ولا علاقة لهم بها من قريب ولا من بعيد، مما أدى إلى اختلاف معنى التسمية اختلافا جذريا.

ولمزيد من الدقة والوضوح نورد هنا وبإيجاز هذه المصطلحات كما تستعمل باللغة الإنجليزية اليوم والتي تساعد على فهم مصدر هذا الالتباس، فمملكة يهوذا القديمة تسمى بالإنجليزية **Judah** أو **Judea** ويسمى سكانها المنقرضون **Judeans** وليس **Jews** وهي التسمية التي تصح على كل من اعتنق اليهودية ديانة في عصور لاحقة، والذين يعود إليهم أصل

غـالبيـة يهود العالم اليـوم، والـذين لا تصح تسميتهم سبـة إلى مملكـة يهوذا المقرضـة. ولـذلك Judeans فمن الضروري التمييز ليس فقط بين يهود اليوم وبني إسرائيل والعبريين، بل بين هـؤلاء المتهودين واليهـود القدماء سكان «يهوذا» الذين لا وجود لهم الآن.

أمـا القول الشـائع بأن تسميـة اليهود مستمـدة من اسم قبيلـة يهوذا بن يعقـوب حسب روايات التـوراة اليهـوديـة وأن هذه القبيلـة استقـرت في تلك المنطقـة فأطلق عليهـا اسم «يهودا» فلا نجد أي دليـل تاريخي يؤيـد صحة هذا الادعـاء، فما هي الأدلة على أنـه كان ليعقوب ابن اسمه يهودا، وأن قبيلة بكاملها انحدرت من صلبـه، وأن هذه القبيلة سكنت في هـذا الجزء من فلسطين؟ هـذا مع العلم أننـا نعلم علم اليقين أن لا يعقـوب ولا أحــد من أبنــائه ينتمي إلى اليهــود أو اليهـودية لا من نـاحية العـرق ولا من نـاحية الـدين. حتى أن التوراة نفسها تشير في روايـات سفر التكوين إلى أن عشيرة يعقـوب كـانت عبـاره عن جماعــة من الآراميين، وأن زوجـاتـه أمهــات أبنـائه جميعهن من الآراميات، فكيف نعتبر الآراميين يهودا؟!.

سيدنا إبراهيم والأسفار المزيفة

إن معظم الأفكـار الشـائعـة عـن سيـدنـا إبـراهيم وسيرته مستمدة من روايات التـوراة اليهودية التي قد ثبت علميـا أنها أسفــار مـريفـة مليئـة بـالأسـاطير والخرافات الوهمية، ومن الواجب عند البحث في هذا الموضوع أن نتذكر أن كتبة هذه الأسفار قاموا بتأليفها بعد عصر سيدنا إبراهيم بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، اعتمادا على أفكار متـوارثة غير موثقة أدت إلى تشـويه سيرة سيـدنـا إبـراهيم وغيره من الأنبيـاء الموحـدين. وسنقدم هنا مـا يكفي من الأدلة التي تؤكـد أن سيدنا إبـراهيم لا يرتبط بـاليهـود أو اليهوديـة لا من ناحيـة العـرق ولا من نـاحية الـدين. وتجدر الإشـارة إلى أن الفهم الصحيح لسيرة سيـدنـا إبـراهيم ودعـوتـه إلى التـوحيـد يتطلب أولا فهم أحـداث التـاريخ القـديم للمشرق العربي وتطـوراته التي تـرتبط ارتباطـا وثيقا بالنواحي الـدينية والفكرية والحضاريـة. ولذلك فإنه يصبح من الضروري إعادة صيـاغة هـذا التاريخ على أسس علميـة وبأسلـوب معـاصر اعتمادا على نتـائج الجديد من الأبحـاث والدراسات العلمية، بـالإضافة إلى الاكتشافات الأثـرية الحديثة وما أسفـرت عنه من آراء حـديـدة مستمـدة مـن المدونـات الأصليـة التي خلفتهـا شعـوب المنطقـة ذاتها بـدلا مـن الخرافات والأفكار التوراتية الملفقة.

ونجـد في القـرآن الكـريم آيـات كثيرة تشير إلى أن سيدنا إبـراهيم كان من أول المسلمين، منها على سبيل المثـال الآيـات (١٣١ ــ ١٣٦) و(١٤٠) من سورة البقـرة. ويستطيع القـارىء مراجعـة الآيـة (٦٧) من سورة آل عمـران التي تحذر من اعتبار سيدنا إبراهيم يهوديا أو نصرانيا. وغني عن القول أن كلا من حقائق التاريخ ومعارف العلم الحديث تؤيد صحة ما جاء في القرآن الكريم من آيات حول هذا الموضوع.

أما القول الشائع بأن سيدنا إبراهيم هو جد العرب واليهـود فـلا أساس لـه من الصحـة، وهي من نوع الخرافـة والأسطـورة المتوارثـة المستمـدة من أباطيل وافتراءات التوراة اليهودية المزيفة.

فـانتماء يهود العــالم العــرقي وأصلهم يعــود إلى أجدادهم الـذين اعتنقوا الديـانة اليهـودية من مختلف الأجناس والقوميات وليس إلى إبراهيم أو أحد ذريته أو إلى عرق واحد معين كما يزعمون. والأدلة التاريخية والمنطقية جميعها تـؤكد عدم ارتباط اليهـود أو ديانتهم بسيدنا إبراهيم أو غيره مـن الأنبياء المرسلين. وعندما نبدأ بكشف حقيقـة اليهودية نجد أنها ليست تـوحيدا



ما يخيل لكثير من النـاس، بل هي ديـانـة كهـنـوتيـة موضوعة نشأت على أيدي كهنة عاشـوا في عصور لاحقة عملوا على تـزييف الدين والتاريخ، ويستحيل نسبتهـا إلى أحد من الأنبياء والرسل الموحـدين مثل إبراهيم وموسى.

وخلاصة القول أن سيدنا إبراهيم ينتمي بأصله إلى الأمة العربية، وهو أحد كبار أنبياء التوحيد والإسلام ولا علاقة له أو أحد من ذريته باليهود أو اليهودية لا من النـاحيـة العـرقيـة ولا من النـاحيـة الـدينيـة على الاطلاق، وإذا اعتبرنـا الفرق الجوهـري الشاسع بين عقيدة التوحيد التي دعا إليها سيـدنا إبراهيم والديانة اليهـودية ذات الطبيعـة الكهنوتيـة فسنجد أن اليهـود وبتأييـد الأدلـة والبراهين بعيدة كل البعـد عن كـونها ديانة سماوية كما يتوهم كثير من الناس الذين انخدعوا بادعاءات اليهود.

موسى والتوحيد الخالص

لاشك أن رسـالـة سيـدنـا مـوسى عليـه السـلام ودعوتـه هي نفسهـا رسـالـة سيـدنـا إبـراهيم وهي التـوحيـد الخالص لعبـادة اللـه الخالق الـواحـد رب العـالمين، وهي رسـالـة الأنبيـاء أجمعين بجـوهـرهـا وطبيعتهـا التي ختمهـا الـرسول العـربي الأمين. إننا اليوم قـادرون على إظهار الفرق الشـاسع والجوهري بين دعوة سيدنـا موسى للتوحيد وبين اليهـودية التي هي في الحقيقـة تزييف للديـن والحق، وبالاعتماد على العلم الحديث وأدلـة التـاريخ ستتضح لنـا الـرؤيـة ونتمكن من التمييز بين دين مـوسى وإبراهيم وعقيدة اليهود النـابعة من التوراة اليهوديـة المزورة التي ألفها كهنة اليهـود بعد زمن سيدنـا موسى بأكثر من سبعة قرون. ونشير في هـذا الصـدد إلى مـا جـاء في كتـاب الدكتور مـوريس بوكاي من أن التوراة اليهـودية التي اعتبرهـا الناس اعتمادا على زعم اليهـود أنها هي كتب سيدنـا موسـى التي تحتوي على شريعتـه وتعاليمـه قد أجمع العلماء المعـاصرون على أنها ليست هي التـوراة الأصلية ولا علاقـة لسيـدنا مـوسى بها. وهـذا يعني بالدرجـة الأولى أن هـذه الأسفـار ليست وحيا إلهيـا كما شـاع بين الناس وكما يـزعم اليهـود، وأنه لا علاقة لسيـدنا مـوسى بـاليهوديـة كديـانة أو بكتبهـا المزورة.

لقـد صـدّق النـاس عـن جهل وبـدون وعي تلك الروابط المزعـومة بين اليهود أو ديانتهم هـذه وسيدنا مـوسى الذي بـزعم اليهـود زورا أنه نبيهم وقـائدهم ومؤسس شريعتهم. ولكن هـذه الادعاءات لا تصمد أمام أدلة العلـم والتاريخ وتبدأ بالانهيار عنـد التدقيق بها بالأساليب العلمية والمنطقيه. فسيدنا موسى الذي ولد وعاش في مصر ويحمل اسما مصريا صميما ينحدر عرقيـا من نفس الأصل الذي كـان ينتمي إليه سـيدنا إبراهيم وذريته من بعده، أي أنه ينتمي عرقيا إلى تلك القبـائل التي نـزحت من الجزيـرة العربيـة إلى منطقـة الهلال الخصيب. هذا من نـاحية الأصل والعـرق، أما من النـاحيه الدينيـة فإنـه حتما كان على دين التـوحيد الخالص، أي أن دعـوته كـانت موجهـة للإيمان بالله رب العـالمين ولإحيـاء دين سيـدنـا إبـراهيم في محيط وثني تحوّل فيـه الملـوك إلى آلهة وسيطـر الكهنـة على عقول الناس بعيدا عن الإيمان السليم.

أما اليهوديـة فهي ديانة كهنوتيـة عنصرية بطبيعتها وجوهـرها، أسـاسها الخرافـات والأباطيل التـوراتية وكتبهــا من تأليف بشر ويستحيل أن تصــدر من أي مصـدر إلهي أو أن يـدعـو إليهـا نبي مـرسل. فعند دراستهـا والتدقيق بها سنجـد أنها بجميع أركـانها من صنع بشر، وبالتحـديد من صنع أولئك الكهنـة الذين عملوا على تـزييف الدين تحت ظـروف نستطيع اليوم دراستهـا بـالأسـاليب المعـاصرة بعـد أن كشف علماء الآثـار الكثير مـن الأمـور المتعلقــة بشعـوب المشرق العـربي القديم وحضـاراتها وتـراثها الأدبي والـديني. والجديـر بعلمائنـا اليوم العمل على فصل هـذه الصلـة المزعومـة بين اليهوديـة وسيدنا مـوسى وإعادة كتـابة التـاريخ القــديم بأسلـوب علمي معـــاصر يتفق مع حقائق العلم والدين والتاريخ.

اليهود .. هل هم بنو إسرائيل؟

من المغالطـات الشائعـة التي نستطيع كشف زيفها اليـوم بـالأسـاليب العلميـة والتحليل المنطقي ادعـاء اليهـود بأنهم من نسـل بني إسرائيل وأن بني إسرائيل كـانـوا يهودا حسب التأويل الخاطىء وسـوء التفسير لنصوص التـوراة ورواياتها. فهـذا الادعاء في الـواقع وهمي لا تسنده الأدلـة التاريخيـة ومصدره زعـم كتبة التـوراة الأوائل بـأنهم من نسل قبيلـــة بني إسرائيل

وادعائهم بأن نسبهم يعود إلى يعقوب وأبنائه، وهو زعم باطل أساسه الكذب والتزوير.

ومع ذلك فقد ظل هذا الاعتقاد سائدا عبر القرون وبعد انتشار اليهودية كديانة واعتناق جماعات مختلفة لها في عدة أقطار، ومن مختلف الجنسيات والقوميات التي لا علاقة لها ببني إسرائيل أو يعقوب وذريته على الإطلاق. فبعد البحث الدقيق يتضح لنا أن اليهودية هي مجرد ديانة انتمى إليها أتباعها بالاعتناق، وليست عرقا أو قومية كما يتوهم كثير من الناس. وعند معالجة هذا الموضوع علميا يتضح لنا أن بني إسرائيل كانوا من قبائل العرب القدماء كما تدل على ذلك تسميتهم، وأن يعقوب وذريته كانوا على دين سيدنا إبراهيم وهو التوحيد والإسلام وينتمون عرقيا إلى القبائل العربية القديمة، إذ إنه لم يكن لليهودية أو اليهود وجود في تلك العصور. حتى أن التوراة نفسها لم يرد فيها ذكر لكلمة يهود أو اليهودية عند ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولكن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين العصور مما أدى إلى هذه الملابسات التي لا يتم كشفها إلا عند التدقيق والبحث المتواصل.

ولو أمعنا النظر في الاسم «إسرائيل» لوجدنا أنه من الأسماء العربية القديمة المركبة من شقين والتي تنتهي دائما باسم «أيل» أي الله أو الإله الأعلى عند بعض القبائل العربية القديمة، وهو على وزن إسماعيل وجبريل وماكئيل وخليل وبابل والتي يستحيل اعتبارها أسماء يهودية بأي حال من الأحوال. وإذا نظرنا إلى الأسماء الثلاثة الأخيرة المذكورة لوجدنا أن اسم ماكئيل يعني «ما ـ ك ـ إيل»، أي لا شيء مثل إيل، وخليل بمعنى خل إيل، وبابل تعني باب إيل. أما اسم يعقوب الذي يدعي اليهود الانحدار من صلبه فهو وبكل وضوح اسم عربي صميم مشتق من فعل عَقَبَ ويعقب. أما الأسماء الأخرى التي يتشدق اليهود بها مثل كلمة صهيون أو يهوذا أو أورشليم وغيرها كثير فهي في الحقيقة أسماء كنعانية قديمة كما تدل على ذلك النقوش والمدونات الأثرية ولا علاقة لليهود بها. فالمعروف أن الكنعانيين العرب هم الذين سكنوا فلسطين منذ آلاف السنين وأسسوا مدنها وقراها ومختلف مظاهر الحضارة فيها وأطلقوا هذه الأسماء عليها.

أما بنو إسرائيل كقبيلة فالأرجح أنهم انقرضوا كما انقرضت قبائل عاد وثمود والعمالقة، أو أنهم اندمجوا بالشعوب من حولهم ويستحيل أن يكون لهم وجود الآن، مما يعني أن اعتبار اليهود المتهودين ـ الذين اعتنق أجدادهم اليهودية ـ هم بني إسرائيل هو اعتقاد خاطىء ملفق لا يستند إلى الواقع أو الحقب التاريخية، إذا نظرنا إلى ما سجله كتبة اليهود من أساطير في توراتهم عن بني إسرائيل بحلهم وترحالهم مع أغنامهم وخيامهم والتي تصور لنا جماعة من البدو التي لا يمكن أن ينتمي أفرادها لأي عرق غير العرق العربي.

وما نريد أن نؤكده هنا لتصحيح المفاهيم المغلوطة أن بني إسرائيل لم يكونوا يهودا أصلا، بل كانوا من قبائل العرب القدماء كما تدل على ذلك تسميتهم نفسها. هذا فضلا عن الحقيقة البديهية من أن اليهودية هي مجرد ديانة ولا يمكن اعتبارها قومية أو عرقا بأي حال من الأحوال. وليس أسهل من إثبات أن يهود العالم اليوم منحدرون من نسل تلك الجماعات التي اعتنقت اليهودية في عدة أقطار وتنتمي إلى مختلف الأجناس البشرية، فمنهم الأوربيون الشقر والأحباش السمر، ومعظمهم من أحفاد الخزر، وآخرون من اليمن وفارس وشمال إفريقيا الذين لا يمتون بأدنى قرابة لبني إسرائيل القدماء.

لا علاقة بين العبريين واليهود

وكما يزعم اليهود أنهم من نسل بني إسرائيل فكذلك يزعمون أن أصلهم يعود إلى العبريين، وهذا كذب وتلفيق مصدره الجهل بتفاصيل التاريخ القديم. فالعبريون حسب ما جاء ذكرهم في السجلات والنقوش القديمة هم قبائل بدوية كانت تغزو المدن العامرة، والأرجح أنها كانت تأتي من الصحراء السورية في شمال الجزيرة العربية لتغزو بلاد فلسطين والشام ومصر. ويمكننا أن نتصورها كقبائل بدوية وثنية أقرب إلى العرق العربي القديم ولا علاقة لها باليهود المتهودين على الإطلاق. فمن الناحية العلمية والمنطقية لا تصح نسبة يهود اليوم إلى العبريين الذين لم يكونوا يهودا ولا تربطهم أي علاقة عرقية تاريخية أو دينية باليهود في أي عصر من عصور التاريخ. فمن الخطأ تسمية اليهود بالعبريين أو العكس.. ومن أجل وضوح الرؤية ووضع الأ[illegible]



إطارها الصحيح بعيدا عن الملابسات والخرافات المتوارثة يجب التمييز بين العبريين وبني إسرائيل وسكان يهوذا القدماء ويهود اليوم المتهودين كأربع مجموعات لا روابط عرقية فيما بينها ولا يشكلون شعبا واحدا أو قبيلة واحدة كما يدعي اليهود. وغني عن القول أن التمييز بين هذه المجموعات البشرية الأربع وعصر كل منها وعدم الخلط بينها يشكل الخطوة الأولى والأساسية لفهم تاريخ اليهودية واليهود في إطاره الصحيح.

داو وسليمان

ـ أوضحنا فيما تقدم كيف أن زعم اليهود بأنهم يحـ .ون من نسل ذرية سيدنا إبراهيم وأنهم على دين سيـ ـا موسى هو زعم باطل مصدره المؤلفات اليهودية المليئة بالمغالطات التاريخية والافتراءات الملفقة. وعند إجراء المزيد من الدراسات سنجد أن نسبة اليهود إلى داود وسليمان، أو نسبة كل منهما عرقيا ودينيا إلى اليهودية والتي صدقها الناس على مدى أجيال هي أوهام وادعاءات باطلة لا تستند إلى المنطق ولا تؤيدها الحقائق التاريخية. فالنبي داود وابنه سليمان كانا على دين سيدنا إبراهيم وهو التوحيد الخالص وليس اليهودية التي بدأت في بابل بعد عصرهما بعدة قرون. ومن الضروري هنا التمييز بين دين التوحيد الذي نادى به الأنبياء المرسلون وبين العقيدة اليهودية العنصرية التي ترتكز على عبادة «يهوه» إله اليهود الخاص.

ولذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأن لداود أو سليمان علاقة دينية أو عرقية باليهودية. فبالتحليل المنطقي سنستنتج أن داود وابنه سليمان ينتميان إلى نفس العرق والأصل الذي ينتمي إليه سيدنا إبراهيم وذريته، وأن عقيدتهما هي نفس عقيدة سيدنا إبراهيم ومن بعده موسى وهي عقيدة التوحيد. هذه هي القاعدة الأساسية لانتماء جميع الأنبياء الموحدين من الناحيتين الدينية والعرقية ولا يمكن استثناء داود وسليمان منها. وإذا سلمنا بأن داود وسليمان عاشا في مملكة يهوذا القديمة فهذا لا يعني أنهما من اليهود أو على اليهودية، لأن اليهودية تكونت بعد عصرهما. هذا مع العلم بأنه لا يتوافر أي دليل مادي تاريخي أو نقش أثري فيه ذكر لداود وسليمان أو ما يشير إلى علاقتهما باليهود المتهودين أو اليهودية.

انتشار اليهودية بالاعتناق

عندما نعالج تاريخ اليهود بالعقل والمنطق لنفهمه بوضوح بعيدا عن الأفكار الخرافية المتوارثة يتحتم علينا التمييز بين يهود اليوم المتهودين من كل جنس ولون ويهود الأمس (سكان يهوذا) وبني إسرائيل والعبريين كأربع مجموعات مختلفة لا روابط عرقية أو تاريخية فيما بينها والتي شاع الخلط بينها اعتمادا على مغالطات تاريخية وافتراءات وهمية بعيدة جدا عن الواقع.

ولتأكيد ما نقوله هنا نذكر أنه قد أجريت بعض الأبحاث العلمية والفحوصات المختبرية على أفراد من الطوائف اليهودية التي كان من نتائجها إثبات أن

يهود العالم لا ينحدرون من أصل أو عرق واحد ولا يشكلون شعبا واحدا أو قومية معينة، بل على العكس تماما فأفراد كل طائفة منهم ينتمون إلى نفس عنصر سكان البلاد التي يعيشون فيها، أي أنهم ينتمون عرقيا إلى نفس تلك الشعوب ولكنهم يدينون باليهودية كالذين يدينون بالإسلام أو المسيحية من مختلف الأجناس والقوميات، فيهود روسيا وبولندا على سبيل المثال من أصل خزري بشكل عام، ويهود اليمن والحبشة من اليمنيين والأحباش، ويهود المغرب من البربر أو من الذين لجأوا إليها من إسبانيا والبرتغال بعد سقوط الأندلس.. وهكذا.. حتى آن التباين والاختلاف العرقي والقومي سهم بديهي واضح للعيان دون الحاجة لإجراء هذه الفحوصات المختبرية، ومع ذلك فهي ضرورية لدحر الادعاءات الصهيونية الملفقة بالبراهين العلمية الدامغة ونسفها من أساسها.

وستطيع اليوم أن ستمد من دراسة التاريخ بأسلوب علمي جميع الأدلة التي تؤكد أن غالبية يهود الغرب الأشكناز ينحدرون عرقيا من قبائل الخزر الذين ينتمون بأصلهم إلى عنصر القبائل التركية. لقد كان لهؤلاء الخزر دولة امتدت أملاكها من سواحل بحر قزين الشمالية إلى البحر الأسود، عاش فيها وثنيون إلى جانب طوائف من المسلمين والمسيحيين واليهود. وبحكم موقع هذه البلاد الجغرافي بين آسيا وأوربا تخترقها شبكة طرق برية وبحرية ونهرية ذات أهمية قصوى من النواحي التجارية والسياسية والعسكرية.

وخلاصة قصة تهود الخزر هي أن أحد ملوكهم اضطر إلى اعتناق اليهودية هو وأسرته خلال القرن الثامن بعد الميلاد تحت ظروف سياسية واقتصادية مفادها الاحتفاظ بكامل الأموال التي كان يحصل عليها من الضرائب والمكوس التجارية، والتخلص من دفع الجزية لإمبراطورية بيزنطة المسيحية أو الخليفة العباسي في بغداد. ونتيجة طبيعية لهذه الخطوة السياسية بدأت اليهودية بالانتشار بين الخزر. ولكن دولة الخزر هذه سرعان ما بدأت بالانهيار لتعرضها لغزو مستمر من قبائل الروس إلى الشمال منها، وكانت نهايتها المحتومة التي أدت إلى انقراضها عندما اجتاحتها جحافل المغول من الشرق فتشتت معظم سكانها المتهودين في بقاع روسيا وبولندا وأقطار أو[...] الشرقية. ولذلك نجد الملايين من يهود الغرب الذ[...] عاش أجدادهم وعلى مدى قرون تعساء داخل أح[...] «الغيتو» الخاصة بهم حياة انعزال وتحجر وكآ[...] ومنهم غلاة الصهاينة ـ يعودون بأصلهم وقوميتهم إلى أجدادهم المتهودين من الخزر ولا تربطهم أدنى علاقة بفلسطين أو سكانها القدماء. وقد انتهى بمعظمهم المطاف بأن هاجروا إلى أمريكا حيث [...] كثير منهم أعلى درجات النفوذ والثراء وأصبحوا سادة البلاد بلا منازع. أما عتاة الصهاينة منهم فإنهم يحتلون فلسطين وقدسها مدعين بكل وقاحة وتبجح أنها وطن أجدادهم التي خصهم بها إلههم الوهمي «يهوه»، وحصلوا على التأييد والدعم من دول الغرب الاستعمارية لممارسة مختلف أشكال العدوان والهمجية في عالم غارق في أقصى درجات الجهل بكل ما يتعلق باليهودية واليهود*.

تهود قبائل اليمن

إن الظروف التاريخية التي مهدت لانتشار اليهودية في اليمن لا تختلف كثيرا عن الظروف التي أدت إلى تهود الخزر. فقد كانت اليمن كذلك ذات أهمية استراتيجية من الناحية التجارية والسياسية لوقوعها على خطوط المواصلات والتجارة برا وبحرا وتحكمها بسواحل البحر الأحمر وبحر العرب. وكانت الحبشة عبر مضيق باب المندب تحت نفوذ بيزنطة التي كانت تطمع بالسيطرة الكاملة على طرق التجارة والمواصلات. وقد قامت الحبشة ـ والتي كانت وقتئذ تدين رسميا بالمسيحية ـ بغزو اليمن واحتلالها عدة مرات بدعم من بيزنطة فارضة المسيحية على اليمنيين. وحتى لا تقع اليمن وسكانها فريسة لنفوذ بيزنطة والحبشة قام ملكها تبان أسعد أبوكرب في القرن الرابع بعد الميلاد باعتناق اليهودية وفرض اعتناقها على كل سكان اليمن. وقد دخل اسمه التاريخ [...] به من حملات اضطهاد وقتل جماعي لكل من [...] يدين بالمسيحية وبشكل خاص سكان نجران [...] كانت أهم مراكز المسيحية في المنطقة مما دفع الأ[...] إلى شن المزيد من الحملات العسكرية لاح[...] اليمن.

* يحتوي كتاب آرثر كوستلر «القبيلة الثالثة عشرة» على معلومات وافية حول اعتناق الخزر لليهودية

واستمـــر الصراع بين الطـرفين، أي بين أتبـــاع ـسيحيـة وأتبـاع اليهوديـة في هـذا الحرء من الجزيـرة ـربيـة حتى عهد ذي نواس يوسف آخـر ملوك حمير ـلدي كان على دين أسـلافـه المتهـودين ولم ينته هـذا ـ صراع الـدامي إلا بهزيمـة الأحباش في نهايـة الأمـر ـو بتشــار الإســلام، ومع ذلك ظل كثير من سكـــان اليمن المتهـــودين على دين اليهـــوديـة التي اعتنقهــا أحدادهم خلال تلك العصور الدامية، هذا بالإضافة إلى اعتناق بعـض الأحباش لليهوديـة والذيـن ينحدر من صلبهم يهود الفـلاشا الـذين نقلهم الصهاينـة إلى فلسطين كما نقلوا يهود اليمن قبل أربعين سنة.

اعتناق البربر لليهودية

نعلم من مـــراجعـة تـاريخ المغـــرب أن قبـائل من «البربر» اعتنقت الديـانة اليهودية في العصـور السابقة لانتشـار الإسـلام في شمال إفـريقيـا تمامـا كما اعتنقت قـبائل أخـرى منهم المسيحيـة نتيجـة لنفـوذ بيـزنطـة المسيحيـة في المنطقـة. ويبدو أن انتشـار اليهـوديـة بين بعض هـذه القبـائل كــان بتأثير من يهود استقـروا في المراكـز التجاريـة التي كـانت تمر بها القوافل المحملـة بـالذهب والعـاج من أواسط إفـريقيـا في طريقهـا إلى الموانيء السـاحليـة. وتكـاثـر المتهـودون من قـبـائل المغرب في المدن العامرة والمناطق النائية على حد سواء حيث تمر هذه القوافل.

ويذكر الدكتور أحمد سوسة في كتابه «مفصل العرب واليهود في التاريخ» نقـلا عن ابن خلدون أسماء بعض هذه القبائل المتهودة ومها قبيلة حراوة وموطنها جبال أوراس وأخرى مثل نفوسة وفندلاوة ومديونة وبهلولة وعيـاتـه. وهـذا هو السبب الـرئيسي لـوجـود يهود في مختلف أنحاء الشمال الإفـريقي، والأرجح أن كثيرا من يهود إسبانيـا والبرتغال إنما يعـودون بأصلهم إلى بعض هـذه القبائل المتهـودة خـلافـا للاعتقـاد السـائد بأنهم قدموا إليها من فلسطين منذ القدم، هذا، ومن المعروف أيضـا أن كثيرا من اليهـود لجأوا إلى المدن المغربيـة بعـد طردهم من إسبانيا والبرتغـال إثر سقوط الحكم العربي في تلك البلاد، كما استقر بعضهم في تركيا.

إن الخيار واضح أمامنا اليوم، فإما أن نستمر بترديد الأفكار التـوراتية الخرافية المتوارثـة أو التسلح بالعلم والمنطق لكشف زيف الأباطيل اليهودية التي جسدتها الادعاءات العـدوانية الصهيونيـة والحد من سيطرتها على عقول البشرية. □

هرمون طبيعي يقاوم الأرق

● ذكرت مجلـة العلوم التي تصدرهـا الأكاديميـة الوطنية الأمـريكية للعلوم في عـددها الأخير أن الأبحاث الأولية أظهرت أن هرمونا طبيعيـا قد يكون فاعلا في دفع الناس إلى النوم وبـالتالي في مكافحـة الأرق واستعادة التوازن بسهـولة لدى الانتقـال من موقع إلى آخر مختلف التوقيت.

وقد نشرت المجلة النتائج الأولية لهذه الابحاث. في عـددها الذي صدر في الشهر الماضي وأشارت إلى أن المرضى الذين يتلقون أدوية تحتوي على الميلاتونين «يخلدون إلى النوم بعد خمس إلى ست دقـائق بـدل ١٥ دقيقة أو أكثـر كما هي الحال بـالنسبـة للذين تنـاولـوا في التجارب أدوية وهمية».

وشملت التجارب ٢٠ طـالبا في معهـد ماسـاشوستس للتكنولـوجيا تنـاولوا جـرعات يحتوي بعضها على مادة الميلاتونين وبعضهـا الآخر على أدوية وهمية. وطلب منهم البقاء لمدة ثلاثين دقيقة في غرفة سوداء عند منتصف النهار وعيونهم مغلقة.

وكانت دراسـات سابقـة اظهرت أن نسبة الميـلاتونين تـرتفع لدى البـالغين خلال الليل بمعدل عشرة اضعاف ما كانت عليه خـلال النهار. واظهرت الدراسات أيضا أن للضؤ والعتمة دورا في هذه التغيرات.

تنبع أهمية فالتر بنيامين (Walter Benjamin ١٨٩٢ ـ ١٩٤٠) من تنبؤه بأثر التكنولوجيا على الفن. ودور وسائل الاتصال في تغير الطابع التفردي للفن. وبالتالي فهو يعايش القضايا التي تثار الآن، ولم تقدم كتابا في اللغة العربية عنه حتى الآن رغم أهميته. وأهمية كتاباته في فهم كثير من الظواهر الفنية والثقافية المعاصرة

«فـــالتر بنيـــامين»

وأثــر التكنــولوجيــا وعلــوم الاتصــال على الفن

بقلم: الــــدكتـــور رمضــــان بسطــــاويسي محمــــد

لقد التفت هذا الفيلسوف إلى جانب في الفن، لم يلتفت إليه الكثيرون وهو أن الفن ممارسة احتماعية، وهو سلعة أيضا، يشترك في إنتاجها ناشرون لتباع في السوق كي تحقق ربحا، ولذلك فإن الوسائط التي تخلقها وسائل الاتصال الحديثة تؤثر في رؤية الفنان وفي تشكيل عمله الفني، ومهمة الفنان أن يعيد النظر في أشكاله الفنية، وفي قوى الإنتاج الفني المتاحة له، حتى يستطيع أن يطور فنه، فالشكل الفني عند بنيامين يتجاوز البنية المهيمنة السائدة في مرحلة اجتماعية معينة، وهذا يجسد قدرة الفن على تحريك الوعي الإنساني لكي يكون مبدعا، ويرى أن تحطيم الفصل بين الأجناس الأدبية يساهم في خلق علاقة اتصال جديدة بين الأديب والقارىء.

لكن قبل أن نستطرد في تحليل آراء بنيامين، يمكن تعريف القارىء به:

ولد في ألمانيا، ودرس في جامعة برلين عام «١٩١٢»، وفرايبورج «١٩١٣»، وركز اهتمامه في الدرس على الأدب والفلسفة، فكان أول عمل منهجي له دراسة عن هولدرلين «١٩١٥» بدأ بها طريقا طويلا في الأدب الألماني الذي نبغ في نقده، وفي جماليات القرن التاسع عشر التي أفرد لها بعض دراساته، ومنها دراسته بعنوان: «مفهوم النقد في الرومانسية الألمانية» وقد نما اهتمامه بالقرن التاسع عشر بقراءاته لبودلير بعد زيارة لباريس التي أحبها ووصفها في دراسة ثرية وممتعة بعنوان. باريس عاصمة القرن التاسع عشر، وقدم دراسة عن شعر بودلير. وقد تأثر بأعمال جورج لوكاتش «١٨٩٨ ـ ١٩٧١»، وتعرف إلى بريخت في عام ١٩٢٩، وقدم خلال هذه الفترة دراسة عن رواية جوته «الميول المنتجبة» «Les Affinfeoelectines»، نقد فيها استيفان جيورج ممثل الاتجاه التقليدي في النقد الأدبي، فثارت عليه الأوساط الثقافية، ولم ينج منذ ذلك التاريخ من سوء فهم الأوساط الأدبية ومعاركها، حتى رسالته التي تقدم بها لجامعة فرانكفورت للحصول على الدكتوراة، رفضت وكانت بعنوان: أصول دراما الباروك الألماني. وانضم بعد ذلك إلى مدرسة فرانكفورت، وهي معهد للعلوم الاجتماعية لا يزال يمارس دوره المهم في نقد الثقافة المعاصرة، وتعرف في تلك الفترة على ماكس هوركهايمر «١٨٩٥ - ١٩٧٣»، وتيودور أدورنو «١٩٠٣ ـ ١٩٦٩»، على أن المعهد كان قد هاجر إلى الولايات المتحدة هربا من الحكم النازي، بينما فضل بنيامين الهجرة إلى باريس، و... دراسته الشهيرة: «الفن في عصر الاستنساخ الآلي» التي نشرت بعد خمسة عشر عاما من وفاته، فقد فارق ... الحياة سنة ١٩٤٠ عندما اختار أن ينهي حياته بالا... حينما هدده موظف الحدود ـ بعد أن فشلت محاولته ... الحدود الإسبانية ـ بتسليمه للنازيين، ولم يسطع نجم... أعلام علم الجمال والنقد وعلم الاجتماع إلا بعد ... فذاعت شهرته، ونشرت جميع أعماله، وظهر ...

دراسات حول كتاباته. ورغم مرور أكثر من خمسين عاما على كتاباته، إلا أنها لا تزال الأعمال المهمة التي تقدم صورة للفن المستقبلي، لأنه كان خارقا في تنبؤاته، بشأن طبيعة الفن المعاصر، وارتباطه بتقنيات هذا العصر، بالإضافة إلى توصل بنيامين إلى فهم عميق لوقع التغييرات التي تعتري المجتمع البشري، وكيف تتفاعل وتؤثر في بعضها البعض لتوليد أشكال جديدة في الفن، فالسينما من الفنون التي ولدت مع أو نتيجة للتقنيات الحديثة، كذلك فن التصوير الفوتوجرافي، مما أدى إلى ظهور أساليب جديدة في إنتاج الأعمال الفنية واستقبالها زلزلت مجال الفن بأسره إلى الدرجة التي تجعله يقطع الصلة بالمراحل السابقة.

فالفن والأدب اللذان كان لهما على وجه الخصوص في القرن التاسع عشر طابع فردي، وكانا يتوجهان للفرد ذاته، تم دمجهما في القرن العشرين بالاتصال الجماهيري بما يسميه هوركهايمر وأدورنو «الصناعة الثقافية»، فلم يعد الفن مقصورا على هاوي الفن الذي يجمع الكتب النادرة، أو على مجموعة محدودة، وإنما أصبح بفضل وسائل الاتصال الحديثة متاحا للجميع، فالحفل الموسيقي «الكونسير» الذي يحضره مجموعة من البشر، يمكن أن يسمعه الملايين عبر الأقمار الصناعية في جميع أطراف الأرض، وهذا مكسب للفن، وتحول الفن - من وجهة نظر بنيامين - من حدث فردي إلى حدث جماعي، وأصبحت الإشكالية هل يمكن أن تستفيد أجهزة الإعلام في تقديمها للأعمال الفنية في أن تقوم بدور في تنمية الحواس لاستقبال الفنون الرفيعة، القادرة على تحريك الوعي في الاتجاه الذي ينمي إمكانات الإنسان الحسية والمادية؟. ولذلك يهتم بنيامين بالإعلان وبالتصوير وبالسينما، لأن هذه الأشكال تخرج عن تقديم العمل الفني المتفرد، وتعتمد على القيمة الاتصالية بين العمل الفني والجماهيري، أكثر من اعتمادها على القيمة الجمالية، التي تجعل للعمل الفني «هالة» أو «عبقا» خاصا ينشأ عن تفرده.

والفن المعاصر الذي نواجهه في ملصقات الشوارع، وفي فن التصوير الفوتوجرافي والسينما هو فن ديمقراطي، تدخلت تقنية إنتاجه لتؤثر في قيمة العرض، ويتضح هذا بشكل واضح حين تحاول السينما نقل عمل أدبي من خلال تقنية السينما إلى المشاهد، فإنها لا تقدم النص الأدبي كما هو حيث تنتفي المسافة بين النص والقارىء، لأنه يعيد إنتاجه من خلال وعيه المتخيل، وإنما تقدم صورة قابلة للترويج وللاتصال لدى ملايين المشاهدين الذين ربما لم يقرأوا النص الأدبي، يشاهدون الفيلم وتساهم المشاهدة الجماهيرية، نتيجة وجود هذه المسافة في إزالة الطابع الخاص للنص الأدبي، وقد استحدث بنيامين مفهوما إجرائيا استتب وشاع في الدراسات السوسيولوجية للفن، وهو مفهوم العبق «aura» أو ما يميز الأعمال الفنية التي يغلفها نوع من الهيبة والقداسة بفعل تفردها وثقل الدور الشعائري الذي تلعبه في المجتمع. ونتيجة للتطور التكنولوجي والاتصال، بدأت الفنون منذ عصر النهضة، بالتخفف من هذا التفرد حتى قضي عليه تماما في العصر الحديث من خلال وسائل الاستنساخ الآلي، وهذا المفهوم الذي قدمه بنيامين يساعدنا على فهم مجموعة من الظواهر المتعلقة باستقبال الأعمال الفنية وتصنيفها وتقييمها إلى جانب تطوير وسائل الإبداع الفني نفسها، والفنون في الماضي كانت مرتبطة بالاستقبال الفردي مما يتسم بنزعة تأملية، بينما ساهمت وسائل التكنولوجيا في



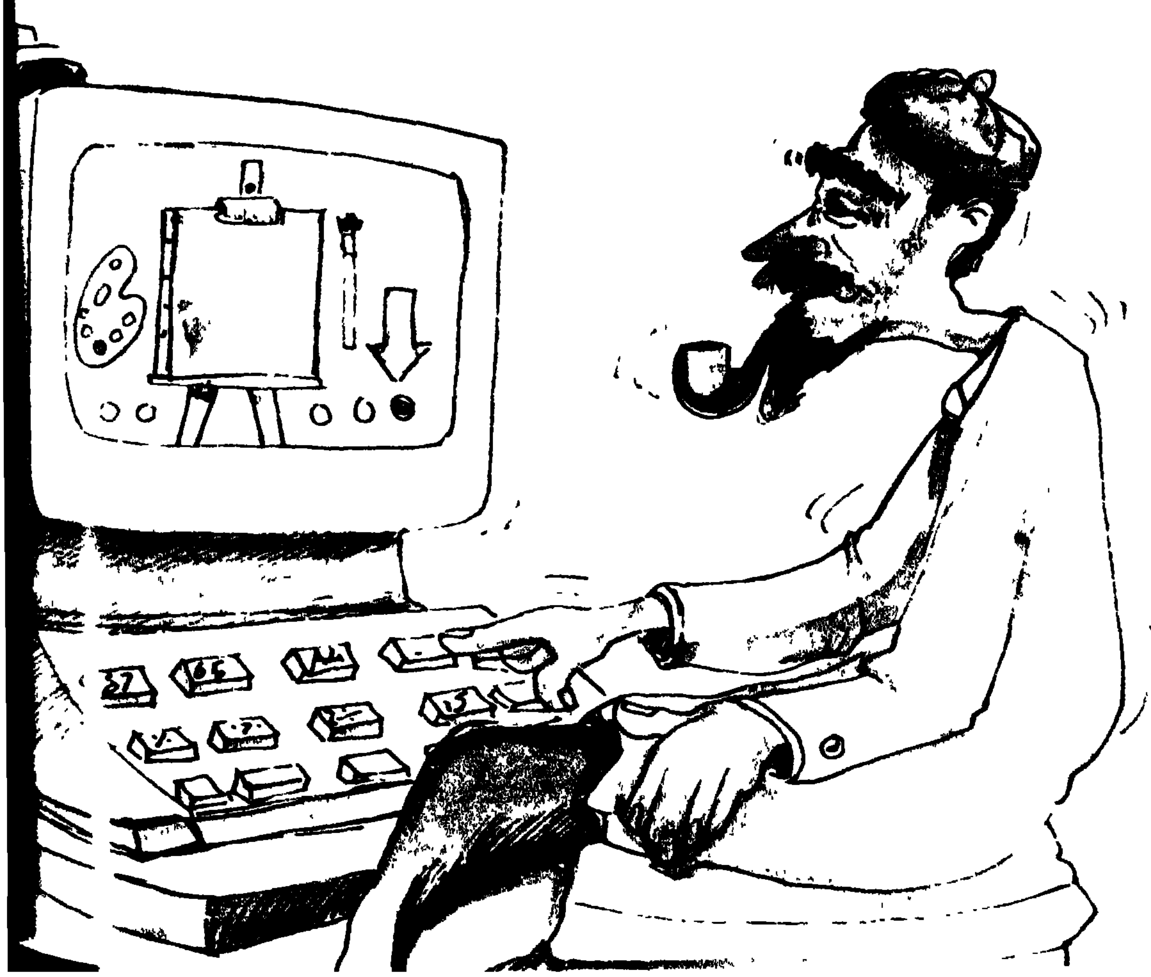
□ فالتر بنيامين

تغيير هذا الاستقبال الفردي ليتحول لاستقبال جماهيري مرتبط بعلاقات المدنية التي يعيش فيها الإنسان المعاصر.

أثر التكنولوجيا على الفن

أدت تطورات تقنيات الاستنساخ الآلي إلى تغيير إنتاج الأعمال الفنية تغييرا جذريا، فاللوحة والتمثال أصبح من الممكن عمل صور شديدة التطابق مع الأصل لا حصر لها، ولكن مهما تصاهت النسخة المنقولة من العمل الفني مع الأصل، فإنها تفتقد عنصرين هما الزمان والمكان، ذلك أن خامات العمل الفني وطبيعته لا تظهر في النسخ المطبوعة التي تشير إلى زمانه ومكانه، وبالتالي تبين ظروف إنتاجه، وموقعه في التاريخ. والزمان والمكان هما محوران أساسيان للتفكير الاستطيقي عند بنيامين، لأن هذين البعدين يحكمان الوضع التاريخي لأي منتج من المنتجات البشرية، فهذا الوجود المتفرد للعمل الفني يظهر من خلال الأصل الذي يعكس التغيرات التي صادفته من وقع الظروف الطبيعية عليها من خلال الزمن، وهذا ما ظهر في الأعمال المصورة التي تنتمي لعصر النهضة مثلا، ولا يمكن التعرف على التغيرات الأولى إلا بالرجوع إلى النسخة الأصلية، سواء بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة، ولا يمكن ـ بالطبع ـ القيام بـ[illegible] التحليلات على النسخ المصورة من الأصل، وقد أد[illegible] استنساخ الأعمال الفنية بكميات ضخمة إلى اختفـ[illegible] مفهوم الأصالة في العمل الفني، لأنه ليس له وجود [illegible] أسلوب الاستنساخ الآلي. ولكن أسلوب الاستنسـ[illegible] قدم إمكانات أكبر للفن، عوضا عن الأصالة، فمثلا يستطيع الاستنساخ أن يبرز جوانب في العمل قد تغفلها العين المجردة، ويمكن عن طريق التكبير والحركة البطيئة للكاميرا أن تتوصل إلى حقائق تجهلها الرؤية الطبيعة. وعن طريق هذه التقنية أمكن اقتراب العمل الفني من المتلقي، فأصبح عن طريق الاسطوانة نستطيع الاستماع إلى عمل موسيقي تم عرفه في مدينة تبعد عنا آلاف الأميال، ورؤية الأعمال المعمارية ـ مثل الكاتدرائيات الضخمة ـ من خلال فيلم سينمائي.

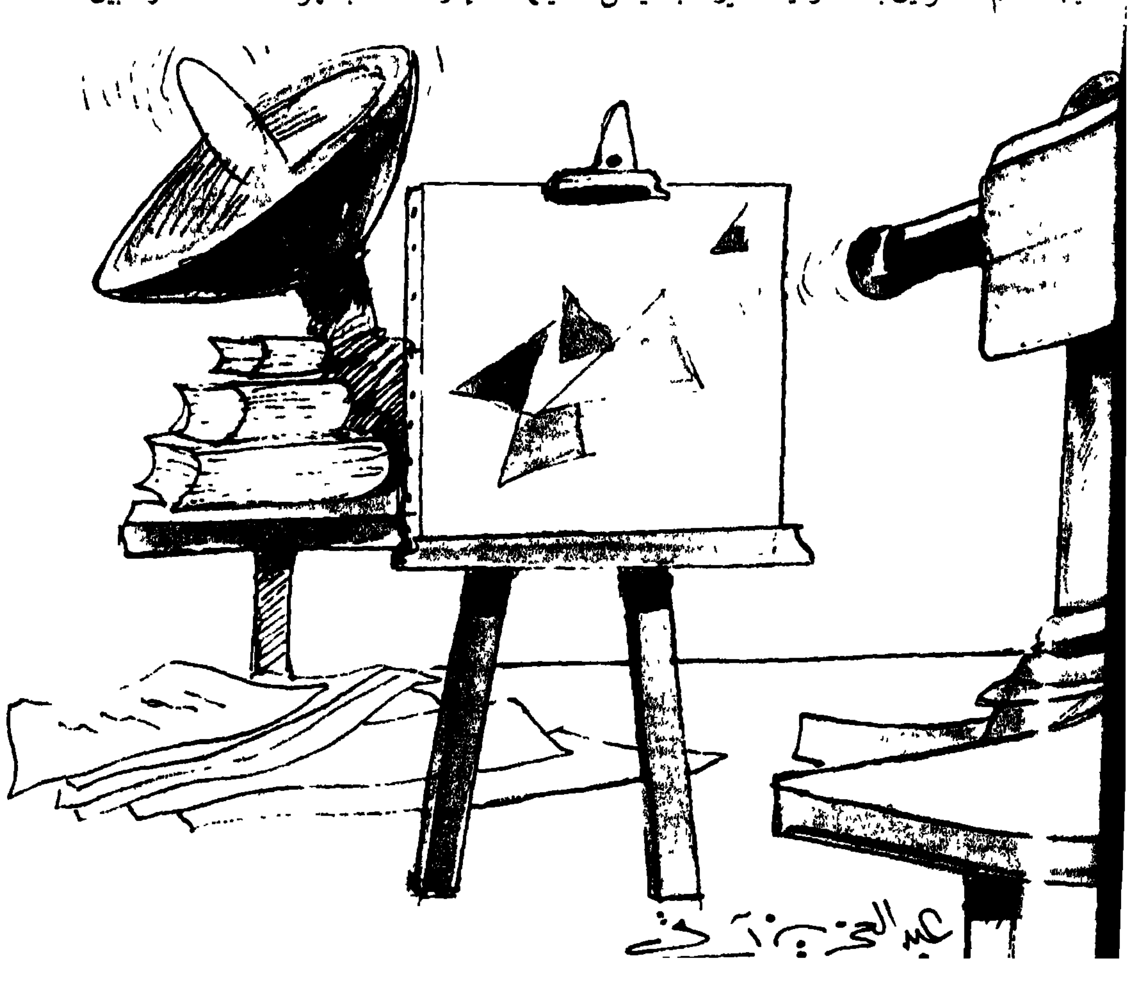
وتعددية النسخ التي يسمح بها الاستنساخ الآلي تؤدي إلى خروج العمل الفني من محيطه الخاص إلى مجال عام يسمح للمتلقي باستقباله في أي مكان، وقد أدى هذا إلى زلزلة عاتية للموروث الثقافي، فهذه الطريقة في إنتاج الأعمال الفنية، لا سيما السينما، تؤدي إلى تصفية العنصر التقليدي في الموروث الثقافي، فحين تعيد السينما إنتاج التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي، فإنها تبعثه وفق



طور الخاص للعصر الحاضر، الذي تسيطر عليه قيم ـرى، غير تلك التي كانت سائدة في هذا التاريخ، و سينما حين تعيد تقديم رحلة كريستوفر كولمبس لجزر ا د الغربية، فإنها تقدمه من منظور المكتشف، بينما هو م منظور الثقافة الوطنية لسكان الجزر غاز لهم، وساعد الا ستنساخ في تنمية النزعة الاستهلاكية لدى الجماهير في السيطرة على امتلاك الأعمال الفنية، التي أصبحت متاحة للجميع، ولهذا تحول إنتاج الأعمال الفنية إلى عملية تجارية، فتستقطب الفنون القابلة للاستنساخ، وتراجعت الفنون غير القابلة للاستنساخ، وأصبحت قيمة العرض - أي إمكان نسخ العمل الفني - تأخذ مركز الصدارة على حساب القيمة الجمالية، وأصبح الفن يستخدم كأداة للدعاية ولترويج أيديولوجيات تبرر الحروب وتؤدي لشيوع منتجات استهلاكية محددة، وأصبح الفن يستخدم من قبل أدوات السيطرة في المجتمع حتى أصبح الإعلام - ذاته - بفضل التكنولوجيا سلطة تعيد صياغة وعي ووجدان الإنسان العادي في حياته اليومية. وقد أدى هذا في واقعنا العربي إلى تقدم فنون التسلية في التلفزيون والسينما على حساب الفنون الأخرى كالأدب والرواية والشعر، ولعل هذه الفنون الأخيرة تحظى بحرية أكثر نتيجة لعلم المسئولين بمحدودية تأثيرها بالقياس للسينما والتلفزيون، التي تعاني وجود رقابة متعددة، وتخلى الفن بذلك عن وظيفته الشعائرية لصالح الوظيفة السياسية، وبالتالي، أصبح الفن أداة للسيطرة والهيمنة بدلا من أن يكون أداة للتحرر.

قيم جديدة في فن المستقبل

أصبح يتم التأكيد على القيمة الاستعراضية للفن، إلى جانب قيمة قابلية العمل الفني للعرض عبر وسائل الاتصال، وهذه القيم لم تكن موجودة في العصر السابق، فالكاميرا التي كانت تتخذ من الوجه والجسم الإنساني موضوعا، أصبحت تهتم بالأشياء، والمدن، واستعراض قدرات الكاميرا في تقديم عالم باهر من الألوان والتشكيل، ونتيجة لهذه القيم الجديدة في الفنون المعاصرة، فإن الفن قد تحرر من أساسه الشعائري، وفقد مظهر الاستقلال النسبي، الذي كان يتميز به، حيث كان يتيح للفن السمو فوق منظور العصر الذي تحكمه علاقات جزئية، يستشرف آفاقا أخرى خفية من خلال التخيل، ولهذا يمكن القول إن تقنية الاستنساخ والاتصال قد غيرت من وظيفة الفن الجوهرية، ويمكن إدراك هذا بسهولة عند المقارنة بين الأداء الفني الذي



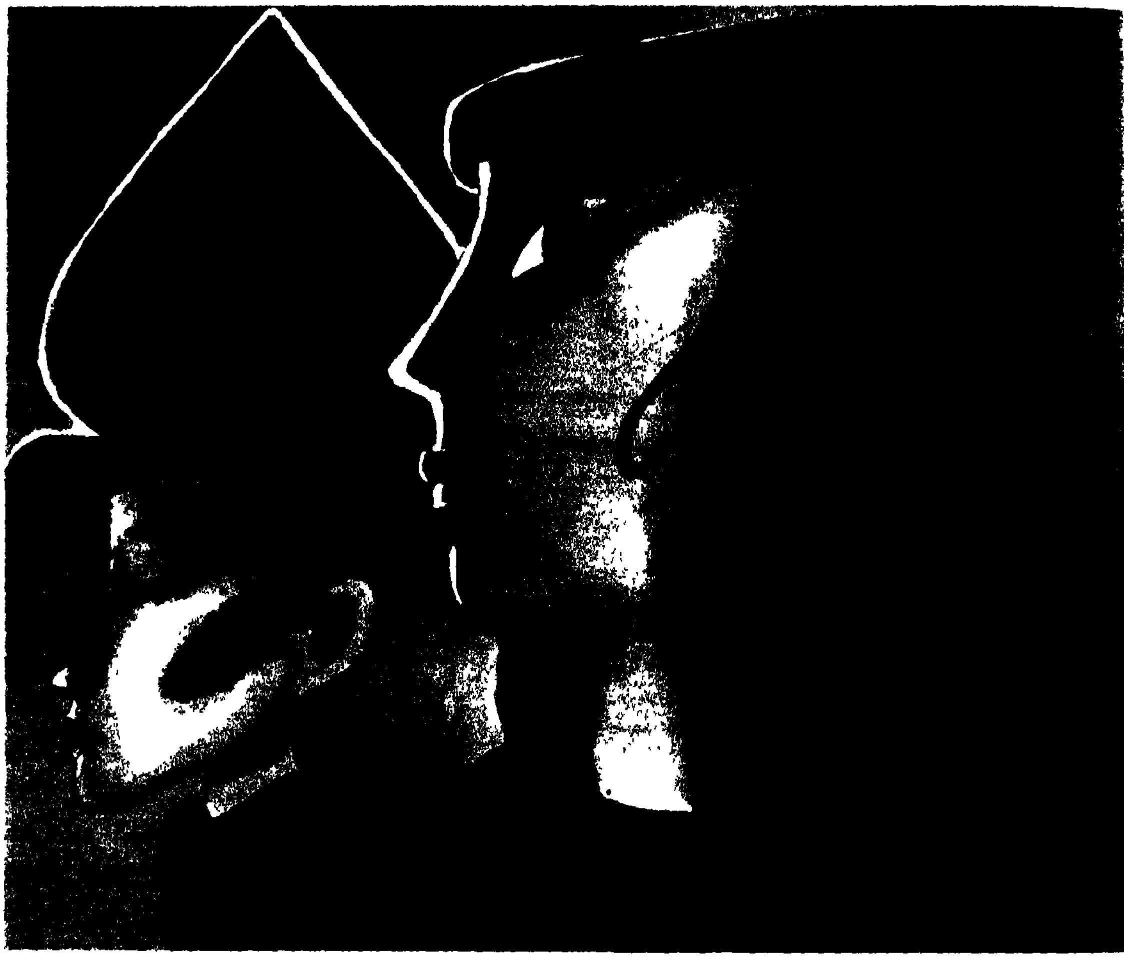
يقدمه ممثل المسرح، وممثل السينما، فالأول يقوم بكل المجهود من خلال اللقاء الحي، بينما الثاني تقدمه الكاميرا من خلال لغة بصرية تقوم على المونتاج، واستخدام عدسات التصوير من زوايا معينة، فممثل المسرح أقرب للقيم الشعائرية للفن التي تقوم على المعايشة، بينما يلتقي ممثل السينما بالجمهور من خلال الكاميرا، فيظهر تفرد ممثل المسرح بحضوره الفني، بينما حضور الممثل يقوم على تقنيات السينما، وقد تنبهت شركات الإنتاج السينمائي لهذا، فتقوم بعمل «هالة» اجتماعية للممثل السينمائي من خلال أجهزة الدعاية، لكي يصدق المشاهد ما يراه على الشاشة، وتحول الممثل إلى أسطورة معاصرة، وهذا ناتج من أن هناك إحساسا عميقا بالغربة يعتري الممثل أمام الكاميرا، وهو نفس الإحساس الذي يشعر به المرء أمام صورته في المرآة، فالممثل أمام الكاميرا يواجه جمهور المستهلكين الذين يمثلون السوق، ويقدم لهم عمله وكيانه ووجدانه، وهو يتصل بهم عبر قنوات محددة للاتصال، ولكنه منفصل عنه، كما تنفصل مصانع الإنتاج عن أماكن المستهلكين، فالسينما تحاول تعويض ضمور «هالة» فنان المسرح في السينما من خلال بناء مصطنع لشخصية الممثل خارج الاستوديو، لتخلق نجومية تحتفظ بسحر الشخصية الآسرة. ونتيجة لهذه التغيرات في التقنية، والتي أثرت على إنتاج العمل الفني، أصبح «الحاسوب» في بعض الفنون يستخدم على نطاق واسع في الإعداد الدرامي، وفي تصميم كثير من الأعمال الفنية، وأدى هذا إلى فقد التمايز الذي يفصل بين المؤلف والجمهور، وأصبح الإنسان العادي ـــ الذي أصبح بمقدوره الحصول على هذه الأدوات التكنولوجية ـــ يتطلع لكي يؤدي دورا في السينما، أو يظهر في الصحف أو يمارس دور الكاتب في الصحيفة، مما أدى إلى ظهور تقييم جديد للكفاءة الفنية لدى المبدع، فهو ليس الذي يحافظ على استقلاله، ويتجاوز المحاكاة إلى الإبداع الخلاق، وإنما هو من كان قادرا على أداء دوره المهني فحسب. ويبقى أن نشير إلى أن تقديم فكر بنيامين يعني إثارة هذه القضايا في واقعنا العربي، الذي لم يلتفت بشكل كاف لطبيعة العلاقة بين الفن والتكنولوجيا وأدوات الاتصال، هذه الأخيرة التي تتيح بدورها كما من المعلومات لم يكن متاحا من قبل، وبالتالي فإن هناك صورة مختلفة للمتلقي في عصرنا الراهن عن المتلقي التقليدي.

فلم تتم دراسة تأثير هذه التقنيات الفنية في توصيل الأعمال الإبداعية على تحديد مساحة التخيل لدى الطفل، التي كانت واسعة في الفنون السمعية مثل الشعر والقصة، وتضاءلت مع فنون التجسيد البصري، وهل يؤدي هذا إلى بنية تخيلية مختلفة عن تلك التي كانت موجودة.. ولماذا لم يهتم الفكر العربي المعاصر بفلسفة التكنولوجيا والاتصال والمعلومات؟ وعلاقاتها بالأنظمة الثقافية السائدة هنا وهناك.. أسئلة كثيرة تطرح نفسها عند تقديم أفكار بنيامين التي احتفظت بقدرتها المتجددة على التخاطب مع عصرنا الراهن.. ولماذا لا تستفيد من إيجابيات التكنولوجيا في الفن، دون الوقوف عند سلبياتها، فهل يمكن التوقف عند إحصاء الأفعال والصفات في الشعر والرواية دون تحليل لجماليات الشعر والرواية؟.□

الأمريكيون يقللون من تناول الدهون

● أشارت نتائج دراسة جديدة نشرت إلى أن الأمريكيين يتجهون إلى الإقلال من تناول مختلف أنواع الدهون عما كان عليه الحال ذي قبل مما أدى إلى هبوط مستوى الكوليسترول في الدم لديهم بصورة ملحوظة. وأوضحت الدراسة التي أصدرها المركز القومي الأمريكي في شهر فبراير الماضي أن مستوى الكوليسترول في دم الأمريكيين هبط خلال فترة الدراسة بين عامي ١٩٧٨ و١٩٩٠، وفي مستهل فترة الدراسة التي استغرقت ١٢ عاما كان البالغون يحصلون على ١٣ في المائة في المتوسط من السعرات الحرارية اللازمة لهم من الدهون المشبعة، وبحلول عام ١٩٩٠ هبطت هذه النسبة إلى ١٢ في المائة. وهبط مستوى الكوليسترول من ٢١٣ إلى ٢٠٥ ملليجرامات في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم. وقال الدكتور كلود لانفان مدير المعهد القومي لأمراض القلب والرئة والدم الذي اشترك في تمويل الدراسة: «إن هبوط نسبة الدهون المشبعة ومجمل الدهون المستهلكة يحمل أنباء سارة لصحة القلب في أمريكا». وقال إن هذا الهبوط استمرار لاتجاه الهبوط الذي بدأ في الولايات المتحدة خلال الستينيات.

إلا أن الدراسة وجدت أن إجمالي السعرات الحرارية التي يستهلكها الأمريكيون زاد أثناء فترة الدراسة.



الشباب والتربية الإسلامية

بقلم : الدكتور تركي رابح عمامرة*

حـ في الجزائر لدينا طموح وأمل في شبابنا ــ جيل ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤، الذي كـ ن أكثر من نصف تعداد سكان شعبنا ــ في أن يحقق لنا النهضة التي نصبو إليها، تـ ـدم الذي نطمح إليه، ولذلك نبذل منذ الاستقلال جهودا هائلة ـل تعليم وتكوين شبابنا حتى يكون في مستوى الآمال المعلقة عليه.

* أ ـ ورئيس البحث العلمي ـ جامعة الجزائر

إن التفكير في توجيه الشباب توجيها علميا صالحا وإعداده لتحمل أعباء الحياة الفاضلة، ليس بأقل أهمية من أعظم المشروعات الاقتصادية والاجتماعية التي تنقذ الأمة من غائلة الفقر والبؤس والتخلف لأن إعداد الشباب القوي الصالح، أخلاقيا وروحيا وعلميا هو في الحقيقة والواقع مشروع الحياة المستقبلية للأمة التي تجد فيه الضمان الحقيقي لصيانة ما بنته. والواقع أن الاهتمام بالشباب وتربيته فكريا ودينيا وتوجيهه توجيها سليما ينفعه وينفع وطنه وأمته، أصبح الشغل الشاغل للعلماء والمفكرين ورجال التربية والدين في مختلف دول العالم. فالتاريخ كما يقول بعض الباحثين في شئون الشباب ومشكلاتهم لم يسجل لنا عصرا من العصور زاد فيه الاهتمام بالشباب في أي بلد من بلدان العالم مثل عصرنا الحاضر، حيث تفيض في الوقت الحاضر الصحف والمجلات العلمية والحوليات، والكتب وكلها تتناول الشباب بالدراسة والتحليل، فالشباب حاليا يعتبر محور اهتمام كثير من الكتاب كما أصبح للشباب في كثير من الدول دوره السياسي الفعال، وتنبىء الدراسات بأن أهمية الشباب الحالية سوف تزداد في المستقبل. ويظهر دور الشباب وأهميته حاليا في البلاد النامية مثل الجزائر التي تتطلع إلى التقدم والتي تتمسك حاليا بحتمية التغيير نحو مستقبل أحسن وأفضل. وقد اعتبر الميثاق الوطني في الجزائر الصادر بتاريخ ١٩٧٦ الشباب القوة الثالثة - بعد العمال والفلاحين - للقوى الاجتماعية للثورة وقال إن الشباب الجزائري لا يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المسئوليات التي تنتظره إلا إذا تشبع بعظمة المهام التي عليه أن يضطلع بها، ورفض أن تكون أفكاره وسلوكه، انعكاسا لأنماط مضرة واهية، فالتقليد الأعمى لأنواع السلوك المستورد من بيئات اجتماعية مختلفة يشكل عامل تثبيط وانحرافا معاديا للقيم الوطنية والأخلاقية في وقت واحد.

إن مما يبين الأهمية البالغة التي يجب أن تعطى للعناية بأخلاق الشباب في الجزائر وتربيتهم تربية إسلامية - وعربية - ووطنية هو أن عنصر الشباب في الجزائر يمثل حسب تعداد السكان العام - الذي جرى في الجزائر نهاية عام ١٩٧٧ - حوالي ٥٥٪ من جملة تعداد سكـ القطر الجزائري البالغ عددهم ١٨,٢٥٠,٠٠٠ نسمة بمن فيهم المهاجرون الجزائريون في أوربا.

فلقد أوضح التعداد النسب التالية: الأطفال من ١ إلى ٥ سنوات يمثلون ٢٢٪ من جملة السكان. ومن ٦ إلى ١٤ سنة يمثلون ٢٥,٥٪ من جملة السكان. ومن ١٥ إلى ١٧ سنة يمثلون ٦٪ من جملة السكان.



أما من تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ و٥٩ سنة فتبلغ نسبتهم ٤٠,١٪. ومن ٦٠ سنة فأكثر فإن نسبتهم ٥,٧٪ من جملة السكان، أي أنهم يمثلون فقط ٤٦,٨٪ من جملة عدد سكان القطر الجزائري.

.. أما الأطفال والشباب الذين يزاولون دروس في مختلف المدارس فقد بلغت نسبتهم العامة ٩٠٪ من الأطفال والشباب الجزائريين في سن التعليم العام

وإذا تساءلنا لماذا التربية الدينية والأخلاقية لل الجزائري؟ فإن الجواب عن ذلك هو: إن التربية والأخلاقية ضرورية لشبابنا لأننا في معركة متو هي معركة البناء والتشييد بعد أن كسبنا معركة المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٢، ولا

بابنا أن يكسب معركة البناء والتشييد اليوم إلا إذا كان ودا ـ زيادة على العلم والمعرفة ـ بطاقة دينية وخلقية لة تساعده على كسب هذه المعركة كما كسب أبطال فمبر معركة التحرير. ثم إن هذه التربية تعد لنا الشباب المن القوي طبقا لقوله تعالى **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾**.

إن العلم وحده لشبابنا ليس كافيا، لأن العلم بدون أخلاق قوية ومتينة ليس شيئا مذكورا، كما أن العلم بدون إيمان قوي بالله ورسوله وبدون تقوى وضمير حي ويقظ قد يقود إلى الشر والمكر، والإضرار بالإنسان كما نشاهد في الجرائم والموبقات التي تجري في بعض أجزاء العالم اليوم.

إن التربية الدينية والأخلاقية تشمل إلى جانب العبادات الصدق في الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان للجار، واليتيم والمسكين، وابن السبيل، وعيادة المريض، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعانة المظلوم كما تشمل كل قول أو عمل قام به الإنسان بنية إرضاء الله والتقرب إليه.

كما تشمل كذلك المحافظة على الأموال العامة للدولة، وعدم أخذ الرشوة من المواطنين، والقيام بالواجب على أفضل وجه ممكن والحضور إلى العمل في الوقت المحدد، ووجود الضمير المهني لدى العاملين في أي مجال كان.

الإسلام عقيدة وعمل

إننا نهدف من دعوتنا المواطنين تربية أبنائهم تربية دينية وخلقية إلى تكوين جيل، قوي وصلب يستطيع مواصلة رسالة الشهداء في بناء البلاد بعد أن استشهدوا هم في سبيل تحريرها من الاستعمار الأجنبي.

إننا نريد أن يتخرج في مدارسنا ومعاهدنا أمثال الأمير عبد القادر بطل الجهاد الجزائري المسلح ضد فرنسا في سنوات الاحتلال الأولى. وابن باديس إمام الجزائر وباعث نهضتها العربية الإسلامية في العصر الحديث. والإبراهيمي والعربي التبسي، وأبطال ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤.

إ هؤلاء الأبطال كانوا قبل كل شيء على خلق طيب، ورج لة، وقوة وإرادة، وإيمان قوي بالله سبحانه وتعالى، نعكس في أعمالهم، وجهادهم، وصلابتهم، في الدفاع عن حقو . الوطن وحريته واستقلاله ومقومات شخصيته الوطنية العربية الإسلامية. إن التربية الدينية والأخلاقية التي تلقاها هؤلاء الأبطال كانت مستمدة من الإسلام دين القوة والشجاعة والبطولة.

فالإسلام في روحه عقيدة بناءة منشئة ترتكز على «المادة» كما ترتكز على «الروح» فهو دولة ودين، سيف وكتاب، ثكنة ومسجد، جامعة وجامع، أرض وسماء، جسد وروح،وتوكل وعمل، إيمان بالعمل المادي من أجل الدنيا وإيمان بالعمل الديني من أجل الآخرة، وإيمان بالمنطق وإيمان بالغيب.

إن الإسلام كفاح لا يهدأ وجهاد لا ينقطع، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة، يبدأ في ضمير الفرد وينتهي في محيط «الجماعة»، وهذا هو سر خلوده. مادة وروح، يسيطر عليه روح المسجد مكانا للعبادة، وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم والتعليم.

معاهد العبادة هي معاهد للتربية

ومما يدل على متانة العلاقة بين الدين الإسلامي والأخلاق، أن معاهد التعليم في التربية الإسلامية، كانت دائما هي معاهد للتعليم والعبادة في وقت واحد، فقد بدأ المسلمون تعليمهم في المساجد ولما بنوا معاهد للتعليم غير المساجد مثل: الكتاتيب، والمدارس، والرباطات، والزوايا لم تختلف المعاهد المذكورة عن المساجد والجوامع إلا بوجود مساكن للمعلمين والطلبة فيها فقط وإلا فالمدرسة هي مدرسة ومسجد في وقت واحد، والمسجد هو مسجد ومدرسة معا. والرباط هو مدرسة وثكنة عسكرية للجهاد، ومسجد للصلاة، وهكذا الحال في بقية معاهد التربية الإسلامية الأخرى. ومن هذا يتضح لنا مدى الارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق في التربية الإسلامية. وقد كانت معظم معاهد التعليم المشهورة في التربية الإسلامية إما جوامع مثل جامع الزيتونة في تونس والجامع الأزهر في القاهرة وجامع القرويين في المغرب، والجامع الأموي في دمشق، أو مدارس ملحقة بمساجد أو مدارس ملحقة بها مساجد مثل المدارس النظامية المشهورة في تاريخ التربية الإسلامية مثل بيت الحكمة في بغداد والقاهرة والقيروان. ويلاحظ أن التربية الإسلامية كانت لا تفرق بين العبادة بالصلاة وبين العبادة بالتعلم والتعليم، ولذلك كان المسلمون طوال ازدهار الحضارة الإسلامية يبنون الأبنية فهي مساجد للصلاة من ناحية، وهي مدارس للعلم والتعليم من ناحية أخرى.

إن الهدف العام من التربية الأخلاقية للشباب هو تحقيق عدة أمور من بينها ما يلي:

١ ـ تبصرة الشباب والإنسان بصفة عامة بأنه جزء من المجتمع يسعد بسعادته، ويشقى بشقائه، حتى يراعي في عمله وأحكامه وتصرفاته المصلحة العامة، ويؤثر مصلحة أمته وشعبه على مصلحته الخاصة.

٢ ـ تنقية العرف العام، والعادات، والتقاليد، مما يشوبها من خرافات، وأباطيل منافية للدين، وكذلك للتطور، والتقدم الاجتماعي، حتى يتكون بدلا منها عرف عام آخر صالح، وعادات وتقاليد صالحة، تحمل الناس على مراعاة الصالح العام، في حكمهم على الأشياء، وفي نظرتهم للأمور، وفي تصورهم للحياة.

٣ ـ تعليم الشباب خاصة والشعب بصفة عامة ونشر الثقافة الصالحة بين أفراده وبخاصة المبادىء الدينية والقومية، حتى تتثقف العقول، وتتهذب النفوس وبذلك تكون أقدر على وزن الأعمال، ومعرفة الصالح منها من غير الصالح، والمفيد من غير المفيد، واللائق منها لحياة المجتمع والأمة من غير اللائق.

٤ ـ العمل على تهذيب الشعور العام لدى الشباب بصفة خاصة، وجميع أفراد المجتمع بصفة عامة، وتربية الوجدان الأخلاقي لديهم، وتقوية الضمير الحي لدى المواطنين، عن طريق تشجيع الفنون الجميلة، وتغذية النفوس بالسير الصالحة لعظماء رجال التاريخ، وكذلك بالمواعظ الدينية، ودراسة سير الزعماء والقادة الذين آثروا مصلحة أمتهم وشعوبهم على مصالحهم الشخصية أو الخاصة وبذلك صاروا مثلا نافعا، وقدوة حسنة في أفعالهم للشباب وجميع أبناء الوطن بصفة عامة.

من أجل حماية الشباب

إن أهم وظيفة تؤديها التربية الدينية والأخلاقية للشباب هي أنها تسلحهم بالإيمان والإرادة، والصبر، والشجاعة على مواجهة مشاكل الحياة، بعزيمة وثبات وأداء العمل الذي يباشرونه بأمانة وصدق، وإخلاص، بدون غش أو تدليس أو خداع، كما تساعدهم على صعوبة الأعمال التي توكل إليهم، والتغلب عليها، وبالتالي السير ببلادهم خطوات واسعة إلى الأمام، في ميدان النهضة والتقدم العلمي، والاقتصادي والاجتماعي. ومما لا شك فيه أن العناية بالتربية الدينية والأخلاقية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، على اختلاف أنواعها ومراحلها، سو[ف] تعمل بالتأكيد على المحافظة على شبابنا من الطي[ش] والانحرافات الخلقية والاجتماعية، ومن التخاذ[ل] وسلوك الطرق غير الصالحة لهم ولشعبهم. و[من] الإدمان على المسكرات والمخدرات وغيرها من الأ[مور] الضارة بهم. ومن هنا قال أحد المربين: «إن التر[بية] الكاملة للشباب هي ما اتخذت الأخلاق أساسا، واعتبرت تهذيب الخلق نبراسا»، ولذلك فإن التربية الدينية والأخلاقية تحتلان مكانة رفيعة في مجال التربية الشاملة للفرد والمجتمع. ولذلك قال أحد العلماء المعاصرين موصحا أهمية التربية الدينية والأخلاقية: إن التربية الروحية أو الدينية والأخلاقية ليست مهمة فحسب، ولكنها الهدف من التربية، فإذا بلغنا بها الغرض نجحنا في مهمة التعليم، وإذا فشلنا في الوصول إليه أخفقنا في مهمتنا، ومتى تعلمنا كيف نؤدي واجبنا في هذا النوع من التربية حلت أكثر المشاكل التي تعترضنا. ومن أقوال المربين: «إن الفضيلة معرفة، وإن التربية أداة للإصلاح الاجتماعي. وإن العدالة والمروءة، والعفة لا تتغير حقائقها على حسب ما يرى الإنسان ويظن، وإنما هي المبادىء الأولوية، والأصول الثابتة التي يجب أن تتضمنها كل أعمال الإنسان، وإن الهدف من التربية هو بناء الأخلاق، وإن من أكبر أغراض التربية تعليم النشء كيف يشق طريقه في الحياة، وإن من أهم أغراض التربية أيضا تزويد النشء بمجموعة من القيم الصالحة، وإن أفضل طريقة لتعليم الأخلاق للناشئة والشباب، هي العمل والنشاط، وما يؤديان إليه من الأمانة، والصدق والتعاون، وخدمة الغير، وإن الأخلاق ينبغي عدم فصلها عن التعليم كما ينبغي عدم فصل العلم عن العمل». ومن الحقائق الثابتة أن ضعف الوازع الديني لدى أي شعب سوف يؤدي إلى طغيان النزعة المادية في كل نواحي الحياة، ويحل عرى الأخلاق بين أفراده عروة بعد عروة. أما إذا ا[نعد]م الوازع الديني انعداما كليا فسوف يترتب عليه ا[نف]لات الغرائز البهيمية من عقالها، ولن يقف حا[ئل] بين الإنسان وبين الإقدام على تدمير كل شيء في [س]بيل مأربه، فطغيان المادة على القيم الروحية، وانهيار [الو]ازع الديني، من شأنه أن يغري كل فرد، وكل [مست]بد باستغلال ما لديه من قوة وسلطان، للاستئثار و[...] وإلى شقاء مواطنيه أو شقاء الإنسانية جمعاء.□

دورق المفاتن

شعر : الدكتور راشد المبارك



سـافري بي .. عن عـالمي .. قـد سئمت
الناس .. والأرض .. قد مللت الطريقا
حلقـي بي .. إلى سما .. من رؤى عينيـك
تخضـل بـــالجمال .. وريقـــا
ارسلي نـاظـريك .. أبحـر في أمـواجهـا
الخضر .. اتــركيـني .. غــريقـــا
غــرقـا تستلــذه الـروح .. والأحــلام
ضجت بها الأمـــاني .. بــــروقـــا
أودعـي كفـك الحريـــــــر بكفـي
أنشق العطـــر فيــه .. مسكـــا فتيقـــا
ادخليني .. في ضمـــــة مـن عنـــاق
تستعيــد الصبـــا .. شبـــابـــا طليقـــا
الصقي دورق المفـــاتن في صـــدري
ليطفي بين الضلـــوع .. حـــريقـــا
اسكـــريني .. من الــرحيـق المصفى
في ثنـــايـــاك لا أرى .. أن أفيقـــا
اتـــرعي الكأس.. مـن دنـان حميـــاك
ليروي الفـــؤاد.. لا ليـــذوقـــا
عللينـي .. أرش في حقـلـك الأطيـــاف
فجـــرا .. ومغـــربـــا .. وشروقـــا □

المنفى الأبيض

قصة : سلافكو جروم *

ترجمة : الدكتورة هناء عبدالفتاح

الظلام داكن هنا، الليل يحتل الغرفة بكاملها، في المرآة يضيء وجهي، كما لو كان ثمة كف أبيض ملتصق به، كلا!، إنها مجرد بقعة بيضاء عاديه، عادية تماما، بقعة عادية.

لم أعان الكثير في الأسفل، هناك.. في الردهة الفسيحة، يرقد الأموات، لا يوجد أحد في البيت، الصمت يحل بالمكان، والسكون.

ومع ذلك ربما أكون متيقنا من مشكلة ما، ربما بمقدوري التحدث عنها بقدر ما.. في هدوء.. دون انفراج العيون، دون صياح!! إنهم ينامون..

أحيانا ما ينامون قليلا في الردهة، ربما لا ينامون و.. ليس لهذا الأمر أهمية!.

يستيقظون، ينهضون، وهكذا مع تلك العيون الغريبة البارزة، يجلسون بلا حراك فوق موائدهم.

كان في الأسفل ثمة رحل، اضطر بسبب الفقر المدقع أن يصوب مسدسه نحو طفليه فقتلهما، ثم قام بنفس الفعلة مع نفسه، كان هناك صبي لم يتعد عمره السادسة عشرة، قفز من النافذة، يرقد فوق المائدة ساكنا، قص حكايته، لم يتوقف عند أي كلمة، لم يصبه الانفعال عند أي فقرة من فقرات حكايته، كان صوته ينساب متساويا كالماء.

في التقرير الذي كتب عنه بالإضافة إلى لقبه ما يلي: تلميذ بالمدرسة الثانوية، قفز من فوق سطح بيته المكون من ثلاثة طوابق، قصة حب يائسة، كان الميت يحكي: كنت أحب زميلتي، سطرت أشعارا عنها، عثر أبي - يوما ما - على مذكراتي التي كنت أدونها في كراسة خاصة وقرأها، سخر مني واستولى عليها، بالأمس كان في بيت[illegible] ضيوف، اتجه أبي إلى غرفته بعد العشاء، وعاد إلي[illegible] وكراستي في قبضة يده، قال متضاحكا: أيها السادة. انظروا! لدينا شاعر في البيت، لم أفكر على الإطلاق في أن ابني سيصبح شاعرا!!. رجوت أبي ألا يقرأ أشعاري، ولكنه بدأ في القراءة، نهضت وقلت له إذا لم تتوقف فسأقفز من النافذة، سخر مني واستمر في القراءة، أما أ[illegible] فقد هرولت صاعدا إلى سطح البيت، هناك استندت على حافة النافذة، وبكيت، شعرت فجأة بوجود أبي، لم أعتقد أنه سيأتي، أردت فقط أن أخيفه، ولكني عندما شاهدته خجلت وألقيت بنفسي فوق قاعدة النافذة، ثم قفزت إلى أسفل.

أما جاره، وهو «خياط» ذو ثمانية عشر عاما، فقد حن[illegible] نفسه، أخبرنا:

ــ منذ عامين مضيا، في «الكشك» الواقع أمام «الأتلنتيدا» اشتريت خمس سجائر، كانت البائعة سيدة كبيرة في السن، ولكنها جميلة جمالا أخاذا، دائما ما كنت أحلم بأن امرأة كهذه يمكن أن تكون أمي، فأمي غسالة تتعفن، تفوح رائحتها صابونا، وباستمرار تتنازع [illegible] ذلك الوقت كنت دائما أهيم على وجهي بالقرب من محل السيدة الجميلة، يوما ما جاءوا إليها بالتبغ محم[illegible] في الصناديق، وشاهدت كيف أن السيدة تحمل بن[illegible] صندوقا بأكلمه، اقتربت منها وساعدتها، نهضت [illegible] ذلك ونظرت إليها، أما هي فقبضت على يدي، و[illegible] لي بين راحتيها عملة معدنية، تركت هذه العملة [illegible] على الأرض وهربت، عدت فيها بعد أدراجي ثم [illegible]

* سلافكو جروم Slavko Grum (١٩٠١ - ١٩٥٩) من ولاية سلوفانيا وهي إحدى ولايات يوغسلافيا السابقة، كاتب قص[illegible] وروائي ومؤلف مسرحي، اكتشفت أعماله بعد موته، فنشرت في أوائل التسعينيات



«أيتها السيدة، لا ينبغي عليك أن تهرولي هنا وهناك مجهدة ومعك هذا الحمل الثقيل، إن يدي السيدة لضعيفتان، أنا الذي سأحمل هذه الصناديق»، انتظرت طويلا ـ فيما بعد ـ مجيء الصناديق، ولأنها لم تأت سريعا، جريت في اتجاه «الكشك»، فوقعت تحت عجلات عربة سيارة، نزفت مني الدماء، حملني الناس إلى داخل «الكشك»، عندما قاموا بتضميد جراحي، وأرادوا أخذي، تعلقت بقدمي السيدة وقبلتها، نقلوني إلى المستشفى، انتظرت حتى تأتي السيدة إليّ لزيارتي، في يوم الأحد التالي زارتني بالفعل، جاءت بالأزهار والحلويات، تحولت هذه الزيارة إلى زيارة مهمة كبرى، جلست فوق السرير وحكت لي قصتها، وقالت إنها تزوجت من ضابط كبير في الجيش، ولكنها طلّقت منه، نشبت الحرب، كل ما تبقى هو سجادتان وستائر، كان الدخول إلى شقتها مثلما يدخل الإنسان مكانا بواسطة سلم، أما الحيطان فبقيت ـ كما هي ـ مغطاة بالورق المقصوص من المجلات المصورة. مارست ـ فيما بعد ـ بيع السجائر، لمست يدي، عندما عادت إليّ عافيتي، ابتعت أنا أيضا السجائر في «الكشك» الذي كانت تملكه، وكنت أحمل بدلا عنها علب السجائر الكارتونية، قصت السيدة شعورها المسدلة، وشاءت أن تضع الأصباغ الملونة على وجهها. قال الناس إن السيدة الرقيقة تغيرت فأصبحت امرأة عجوزا مثيرة للسخرية والرثاء، دعتني للسكنى معها في شقتها، كان كل شيء رائعا في زمن لم يزد على العامين، في حينها تضاحك الناس وسخروا منا، أخرجوا ألسنتهم بين ظهرانينا، وصاحوا: العاشقان المضحكان! قالت السيدة مرة من المرات إنه يجب الانفصال، وإنني سأحيا طويلا، وإنها يوما ما ستُرغَم على أن تتركني!.

كنت أشعر بالأسف من أنها تنفق عليّ، يوميا كنت أقف في صف من صفوف شغل الوظائف الخالية، كي أحصل على أي عمل، وكان الأمر على نفس المنوال في ذلك اليوم، في السادسة صباحا عدت إلى المدينة خاوي الوفاض، كانت السيدة جالسة بـ«الروب»، ناظرة في صمت تمسح الأفق بعينيها، ثم قالت: يا حبيبي، اقتربنا من الفراق. أعرف تماما أنها لم تكن تفكر بشيء يتسم بالسوء، كانت تنتظر مني فقط ردا على قولها يثير في نفسها الراحة والطمأنينة، لم أفعل شيئا غير أن دخلت غرفة النوم ببيتها، وعلقت نفسي بستائر النافذة مختنقا.

عديدة.. عديدة تلك القصص والحكايات التي سمعتها في «المنفى الأبيض» حيث يرقد فقط المتحررون وأولئك الذين يتلقطون من الشوارع، إن أكثر ما ترك في نفسي أثرا، ما تركته فتاة راقدة في صمتها، ففيها قدرة ع محتملة تنعكس في نفسها، لتعطش غير مفهوم لظلام الموت.

رقدت هذه الفتاة.. زرقاء بيضاء.. سطّرت عنها هذه السطور في دفتر الموتى: طالبة، بدون أسباب معروفة لدينا رمت نفسها في النهر، طوال ذلك اليوم شعرت بالعشق نحوها، وتوجست خيفة من أفكار شتات دارت في نفسي حولها، شاهدتها جالسة على حافة «الأريكه»، رأسها مائل في الكتاب المائل أمام عينيها، يبدو وكأنها تستعد للامتحان، لكن ذلك الشعور بالرعب القاتل «بأنها قد لا تنجح في الامتحان»، دفعها إلى الماء، كلا! ليس ذلك الرعب وحده، بل إنه الاشمئزاز من كل تلك العذابات المنبثقة عن الامتحانات، هذا هو ما جعلها تشعر بالإثم، لذلك سقطت في الهاوية.

ربما يكون ذلك سببا لما قالته لها أمها يوما ما: ادرسي جيدا!. ولم تستطع فعل ذلك، ثم تذكرت ما قالته ثانية!!



لا أوافق على الافتراض النابع من الفكرة القائلة بأنها ـرت للماء بسبب الحب، لا يمكن لأحد ألا يحب فتاة ـهـا، إنها فقط أحبت أولئك الـذين احتضنوا خديها و ـمتوا بجوارها صمتا أقرب إلى السكون.

عند حلول المساء أتيت بالأزهار، ورفعت حاجبيها إلى أعلى قليلا.

ــ ماذا يعني هـذا الأمـر؟. خرجت هـذه الكلمات من شفتيها بصعوبة بالغة، لاحظت أنها تحب النوم كثيرا.

ـ أحبك، أتيت لك بأزهار.

أدارت رأسها.

من أنت ـ سألتني.

ـ إنسان مسكين، صديق.

صمت.

ـ ألا تحبين الأزهار؟.

عندئذ قالت والرعشات مست جسدي بكامله: لماذا لم تقطع الحشائش أو حتى تقص شعرك؟. تضيء في المرآة شمعة، وأنا أفكر مليا في مشاكلي، وحيد أنا، ليس عندي شخص أتحدث إليه.

في إحدى ليالي الشتاء، دفع الجليد بقوته «سائرا»، هائما على وجهه، ليوجهه نحو سقف بيتنا، هاهـاها، لا بد أن اللافتة الموضوعة على الباب «المنفى الأبيض» قد خدعته!

كان العمل كثيرا، والزمن متأخرا في الليل، كنت أقوم بتغسيل الموتى في القـاعـة، كـان السكـون مسيطـرا على المكـان، وكنت أثـرثـر مع مـوتـاي، فجأة طـرق شخص الباب، ووقف عنـد حـافتـه، المتسكع ــ ذلك الهائم على وجهه ـ بسترته الممزقة، ينحني أمامي احتراما لي:

ــ آسف!. آسف يـا سيـدي المحترم، لأنني جئت إلى بيتكم، ولم يـدعني أحد، في الخارج صقيع كهـذا، دفعني إليكم، ربما أستطيع رد جميلكم يـومـا مـا، إنني قـادر على القيام بفعل أي شيء، يا إلهي، إن كثيرا من البشر لـديكم يموتون، من المؤكد أنكم أصبتم بمرض عضال.

أفهمته أنه لا يوجد هنا مأوى، بل مشرحة كبيرة، ينقل إليها جميع المنتحرين، وبشر أصيبوا في «حوادث» متباينة، أو آخرون هم ضحايا مدينتنا.

ـ آسف يا سيدي، آسف ـ انحنى أكثر فأكثر معتذرا! ـ ولكـ أبمقـدوري يا سيـدي مساعـدتك؟! أيمكن لي أن أبقى ولـو لفترة معينـة تحت سقف بيت يحميني؟ لا تلق بأحـ ـامك على شخص مثلي من هيئـة مـلابسي، لقـد أصـ ـي أخيرا الفقر المدقع، ولكنني «فنّي عربات» ماهر، يمكـ ـلك يـا سيـدي كـذلك أن تعطيني قلما في يـدي لأكتب مـا تـريده، فلتسمح لي بـالبقـاء يـا سيدي حفـارا للقبور!!.

مـال نحـوي، وانثنى وانحنى بكل مـا أوتي مـن قـوة وبمختلف الصور المتعارف عليها والمجهولة. ماذا أفعل ـ استطـردت قائلا ــ لقد رقت لي، ولكن كيف أجـد لك عمـلا هنـا أيها المتسكع الشريد؟!. طلبت منـه أن يغـادر البيت، فلتذهب من حيث أتيت!.

نظـر «الهائم على وجهـه» إلى زجـاجـة الكحـول غير المقطـر، الـذي يستخـدم لتنظيف الموتى، فصـاح قـائلا: سيدي؟!.

شعرت بـالأسف نحوه، وأعطيته الزجـاجة، احتسى رشفة كبيرة منها، ثم دفعته إلى الباب بعد ذلك.

بعد لحظـات زحف من جديـد بقدميـه فوق الأرض، بـدا وجهه عنـد الباب ضحـوكا خـدوما، وفي يـده يحمل مقعدا دائريا:

ـ عثـرت عليه في الممر، واعتقـدت أنه من الأفضل أن أحمله إليك، يـا سيدي رئيس القسم، فلتقـف على المقعد، كي لا ترهق نفسك، عندما تقـوم بحلق ذقن هذا الرجل الراقد.

نظرت إليه نظرة ملؤها الاحتقار المتعالي، مع أنه راقني كثيرا في أعمق أعماق نفسي، وقف المتسكع في مكـانه بـلا يقين، وعنـدمـا لاحظ أنني أبحث عن شيء، أعطـاني بسرعة «المنشفة»، زاد غضبي.

ـ فلتذهب إلى الجحيم، إنـك تعرف تماما أنني لست في حـاجـة إليك! لا أحـد يأتي إلينا ــ هنا ــ إلا عن طـريق القنوات المائية، اقفز إلى الماء وستكون ضيفا علينا!.

نظـر إليّ نظرة متسمـة بالغبـاء، اتسعت حـدقتا عينيـه مصوبا نحوي نظرتـه الثاقبة، ثم تراجع بظهره إلى الخلف و...

كـانت الساعـة الخامسـة صباحـا، دق جرس البـاب، حملت عـربة الإسعـاف شخصا غـرق في النهر، كـان هو نفسه ضيف الليـل، المتشرد المتسكع الهائم على وجهه، ذا النظرة الثاقبة الخدومة!.

لم أشعر بالمعـاناة من هذا الأمر، لكن شيئـا ما أدركته: هذا أم ذاك، بمقـدوري قوله!! منـذ حلول الليل، أجلس يلفني الظلام، وأفكر.

أحبهـم، أولئك الموجـــــوديـن في الأسفل!، نحـن أصدقاء.

ألمس حدقـات أعينهم، أدفىء بكفي خدودهم، يـأتون إلينا عبر القنوات، نحن أصدقاء، أصدقاء.□

هؤلاء السينمائيون العرب وسيرهم الذاتية

بقلم: أحمد رأفت بهجت

إذا أراد المخرج السينمائي التوغل م
خلال أفلامه في أعماق ذكرياته الخاصة
سيرته الذاتية، فإن عليه الإيمان بأن هـ
الاتجاه سيظل دائما سلاحا خطرا تحك
قدرة الفنان على الكشف عن مكنونا
ذاته. ومدى صدقه. فهو الفيصل بين
يخلق الفنان بنفس الإمكانات تحفة فن
خالدة أو أن يقدم مسخا زائفا

لقد انعكست أصداء «السير الذاتية» على العديد من أفلام بعض أعلام السينما العالمية.. فبينما كان الإيطالي «فيلليني» لا يستطيع أن يهرب من خيالاته السينمائية التي تعمق سيرته الذاتية في أفلامه: «٨ ١/٢»، «روما فيلليني»، «إني أتذكر» «المقابلة»، كان الفرنسي

□ لقطة من فيلم ديسمبر للأخضر حامينا.



سوا تروفو (١٩٣٢ ـ ١٩٨٤) يقدم الكثير من ملامح ة شبابه التعسة من خلال شخصية الفتى «أنطوان نيل» في أكثر من خمسة أفلام منها «الأربعمائة ضربة» «لات مسروقة» «منزل الزوجية»، وكان السويدي «حيار برجمان» والأمريكي «وودي الين» والمجري «ستيفان زاو».. وغيرهم يترجمون رؤياهم الخاصة في «ين والحب والتاريخ والأحداث السياسية المعاصرة في «رهم الذاتية التي احتلت مكان الصدارة في أكثر من ولم من أفلامهم الشهيرة.

ورغم تفاوت التجاوب النقدي والجماهيري تجاه هذه النوعية من الأفلام. فإن الواقع يؤكد أنها كانت تقدم في نطاق سينما متقدمة ومتعددة الاتجاهات، وتملك تنوعا هائلا من الجماهير مختلفة الثقافات والأذواق. وفي النهاية تظهر في نطاق سينما ـ سواء أمريكية أو أوربية ـ تشبعت بالأفلام المأخوذة عن السير الذاتية الخاصة بالقادة والزعماء والعلماء والنجوم والأبطال في شتى مجالات الحياة. بل تمادت إلى حد التعامل مع «السير الذاتية» للمجرمين والقتلة وراقصات الاستربتيز!!.

ومن هنا فإن أول تساؤل يطرح نفسه أمامنا عند الحديث عن الأفلام العربية المأخوذة عن «السير الذاتية» لبعض مخرجينا هو. هل قامت السينما العربية بدورها في تجسيد تاريخ وسير أعلام وأبطال وقادة التاريخ القديم والمعاصر للأمة العربية حتى يتفرغ سينمائيونا لصياغة سيرهم الذاتية؟.

إن «أفلام السير الذاتية» التي يقدمها السينمائي عن ذكرياته ربما تعكس الكثير من حياة شعبه على كل المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما قد تمثل انطلاقة من دائرة الموضوعات التقليدية في السينما العربية، إلا أن أهداف التعامل معها قد تتباين. فربما يرتكز الفنان على سيرته الذاتية لأنها عالبا ما تتحدث عن الماضي الأمر الذي يجعله لا يواجه أي مشاكل رقابية تحد من تعبيره وربما يستشعر الفنان أهمية تجربته مع الفن والحياة وينشد من تقديمها تأكيد ذاته وبلورة رؤيته تجاه قضايا مجتمعه ليحقق الاقتراب ممن سبقوه في هذا الاتجاه في السينما العالمية. وأخيرا هناك ـ وهنا تكمن الخطورة ـ عملية الإدماج المدروسه بين السير الذاتية للفنان وبعض الأنماط والأحداث والرموز السلبية التي تحقق لبعض الإنتاج العربي ـ المشترك مع أوربا ـ مصداقية الوثيقة لتأكيد إدانة المجتمعات العربية بالأيدى العربية في مواجهة المتفرج الأوربي. وهذا النوع الأخير نجد أن تشابه موضوعاته، ووحدة

□ لقطة من فيلم «نابليون بونابرت» ليوسف شاهين



أهدافه، والاشتباه في مصادر تمويله، واحتضان بعض مهرجانات السينما العالمية له بدون أسباب فنية حتمية، كلها أمور تدفعنا إلى البحث عن مدى خطورته خاصة عند تعامله مع قضايا الشعوب والأوطان!.

حامينا.. والبدايات

انبثقت البدايات الأولى في هذا الاتجاه من أفلام المخرج الجزائري محمد الأخضر حامينا. فأغلب أفلامه كانت ترتكز على حياته وذكرياته الشخصية قبل وأثناء وبعد حرب التحرير الجزائرية. ويوضح حامينا في أكثر من مناسبة مدى التشابه بين قصة الأم في فيلمه الأول «رياح الأوراس» ١٩٦٦ وقصة جدته التي ماتت تأثرا بمقتل والدة الأخضر على أيدي الجيش الفرنسي، ويؤكد أن هناك مواقف عاشها في صباه مابين عامي ١٩٣٩ و١٩٥٤ واعتمد على داكرته للوصول إلى الصورة الصحيحة لها في أفلامه «ديسمبر» ١٩٧٢ (الجزائر ـ فرنسا) «وقائع سنوات الجمر» ١٩٧٥ (الجزائر ـ فرنسا)، «الصورة الأخيرة» ١٩٨٦ (الجزائر ـ فرنسا) وجميعها استقبل بحفاوة بالغة في دورات مهرجان كان الفرنسي، حيث فار «رياح الأوراس» بجائزة العمل الأول في كان ١٩٦٧. وحقق «سنوات الجمر» مفاجأة لم يكن يتوقعها أحد عندما فاز بجائزة السعفة الذهبية لمهرجان كان ١٩٧٥.

وربما يرى البعض أن المشاركة الفرنسية في إنتاج بعض هذه الأفلام كانت سببا ودافعا وراء هذا الاهتمام الأوربي، ولكن الحقيقة هي أن حامينا وهو يقدم في كل أفلامه أحداثا تتعلق بالصراع الجزائري ـ الفرنسي كان يتستر خلف شعارات مثل «تجنب الديماجوجية الثورية» «إن جميع الفرنسيين ليسوا من الأوغاد» «إنه من غير اللائق إظهار التعذيب في السينما».. إلى غير ذلك، لكي يخلق أحداثا ربما يسند بعضها إلى وقائع من سيرته الذاتية، ولكنها الوقائع التي تهدف فقط إلى أن تهادن استعمار الأمس القريب، وأن تخلع على بعض أفراده صفات النزاهة والعدالة.

إن فيلم «رياح الأوراس» منذ أن شاهدناه في مصر في نهاية الستينيات ونحن نستشعر تجاهله لفظائع هذا الاستعمار. وجاء فيلمه «سنوات الجمر» ليثير إعجاب العين الأوربية ـ على حد تعبير د. رفيق الصبان في مجلة السينما والمسرح يوليو ١٩٧٥ ـ التي ترى فيه شيئا فولكلوريا ويرضي ضميرها السياسي تردده الوطني وإغفاله إيذاء أوربا المتمثلة في فرنسا. كما يؤكد فكرتها عن العالم الثالث وتخلفه أو بمعنى أدق هو التأويل



□ الأخضر حامينا وبطلة فيلم «الصورة الأخيرة»

الفرنسي عن استعمار الجزائر كما يرى بعض النقاد الجزائريين!! ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يغازل حامينا اليهود والفرنسيين «من خلال قصة مدرسته الفرنسية مسز بواييه» في فيلم «الصورة الأخيرة» الذي يعتبره «إعلان حب تجاه بعض الفرنسيين الذين كنت مغرما بهم إبان تلك الحقبة حوالي عام ١٩٣٩»

لقد بدأ حامينا منذ أن أخرج فيلمه الروائي الأول يعطي السينمائيين العرب ذلك الإحساس المثير. الإحساس بأنهم يستطيعون غزو أوربا بأفلامهم بل والفوز بالجوائز المهرجانية إذا استطاعوا تقديم لون من الموضوعات يهيىء للمتفرج الأوربي تلك الأفكار التي يرتاح إليها عند تعامله مع الشرق العربي. ألا وهي أن يعطي صورة أصيلة في ظاهرها ولكنها ملتوية مشوهة لاتبغي إلا مزج التقاليد العربية بدوافع التخلف والقهر بحيث يجد بطل الفيلم ـ العربي أيضا ـ نفسه غارقا إلى أذنيه في تلك الهموم التي تجعله يدرك أن حياته أهدرت وتتحول نظرته إلى نفسه وإلى مجتمعه فتصبح نظرة شديدة قاسية. وعندما يحاول أن يبحث عن القيم الحقيقية ـ وهو عمل يهدد وبلاشك تقاليد هذا المجتمع ـ لن يجد أمامه سوى الاتجاه إلى الغرب سواء بالهجرة إليه أو الإيمان بقيمه أو التواصل مع العناصر الإيجابية داخل مجتمعه العربي و... العناصر لن يجدها إلا في شخصيات نادرة وغالبا ماتكون يهودية!!.

لقد نجح حامينا في أن يجعل «السير الذاتية» ... تتوارى خلفه مواهب حقيقية من المخرجين في ...

يقيا أو المهاجرين منها إلى فرنسا وكان من نتائجه ـور «السيرة الذاتية» للمخرج الجزائري المقيم في رنسا مهدي شريف في فيلم «الشاي في حريم ئميدس» ١٩٨٤ وفيه يلصق كل الموبقات جتماعية في مجموعة من أبناء المهاجرين العرب، موعة أصبحت غير نافعة للمجتمعات المتحضرة و ير مرغوب فيها، وإذا كان للشباب الفرنسي مآسيه في مجال البطالة والتفكك الاجتماعي والضياع النفسي، فإن العرب أصبحوا جميعا حالات مرضية لاجدوى من إصلاحها.. ويبقى الاستثناء في بطل الفيلم المنشود الذي أصبح أديبا ـ المخرج في الواقع ـ بمساندة بعض اليهود. ويؤكد شريف في حديث له بمجلة سينما توجراف ـ يوليو ١٩٨٥: (إن جميع عناصر فيلمه عن سيرته الذاتية.. ولكن لم أشأ إلقاء اللوم على المجتمع الفرنسي لم أشا أن أقول: إذا كان المهاجرون العرب بؤساء فالسبب هم الفرنسيون. وكنت أريد تفادي هذا «الكليشيه» (الطيبون والأشرار).

وتوالى ظهور «السير الذاتية» لمخرجين من أمثال التوسي «نوري بوزيد» الذي قدم معاناة بطله اللوطي في

□ يوسف شاهين



فيلم «ريح السد» ١٩٨٦، ورشيد بوشارب وبطله الناقم على وطنه الأصلي الجزائر بعد أن عاش نعيم فرنسا في «شاب» ١٩٩٠. وفريد بوجدير الذي يستعيد جزءا من ذاكرته حين كان طفلا في حي الحلفاوين التونسي وذكرياته في أحد حمامات النساء في الحي في فيلمه «الحلفاوين» ١٩٩١.

ولقد أثار «ريح السد» وقت عرضه ضجة بين النقاد العرب لخصها الناقد محمد رضا في مقال له بمجلة الحوادث اللبنانية يقول فيه: «الذين وقفوا مع بوزيد رأوا في هذا التقديم عملا عاديا للغاية. فإن اليهود عاشوا في تونس كما عاشوا في غيرها، قديما وحديثا، ولا يوجد مانع موضوعي واحد يحول دون تقديمهم. لكن الذين عارضوا هذا التقديم لم يفتقدوا كذلك الحجة القوية». حجة المعارضين تقوم على أساس أن الشخصية الوحيدة الطيبة في هذا الفيلم (ماعدا شخصية البطل اللوطي) هي شخصية اليهودي. الذي لجأ ذلك الشاب إليه باحثا عن الفن والوداعة والفهم الإنساني العميق. أما باقي الشخصيات فكلها عدائية.

والبقية مع شاهين

ربما كان الاختلاف الوحيد بين الأخضر حامينا ويوسف شاهين هو أن الثاني جاء تعامله مع سيرته الذاتية بعد عشرات الأفلام الروائية التي تدعمها طبقة مستورة من الأفكار التي تعكس رغبته الدفينة في أن يكون مخرجا لأعماله صدى في الغرب، في البداية نجح في أن يكون متوازيا خاصة عند معالجته لموضوعات جوهرها الصراع بين الشرق العربي والغرب مثل «جميلة» ١٩٥٨، «الناصر صلاح الدين» ١٩٦٣.

فهجومه الصريح على الاستعمار الفرنسي في الفيلم الأول لم يمنعه من أن يجعل الفتاة الجزائرية جميلة تكتسب كيانها ثم حياتها، ليس من المقاومة الجزائرية البطولية ولكن من كتاب «قانون نابليون» الذي أتاح لها الفرنسيون دراسته في الجامعة، وكان سندها في مواجهة جلاديها، وتساعدها عشرات الشخصيات الفرنسية والأوربية (الراقصة القبرصية سيمون، المحامي الفرنسي إملاد، الطبيبة الفرنسية جيانين، السجان الفرنسي.. وغيرهم)، ثم يأتي دور الصحافة الفرنسية الحرة لتتوجها بطلة قومية يتحدث عنها العالم! وبنفس المنطق خلق في الفيلم الثاني توازنا عند تعامله مع الناصر صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، وهو توازن لم يتحقق إلا بتجاهل الفيلم بعض المذابح التي ارتكبها ريتشارد قلب الأسد ضد العرب.

لذلك عندما بدأ شاهين التعامل مع سيرته الذاتية في فيلمه «إسكندرية ليه» ١٩٧٩، كان يعرف جيدا طريقه إلى المتفرج الغربي، ولم يكن غريبا أن يفوز هو أيضا عن هذا الفيلم بالجائزة الأولى في مهرجان برلين ١٩٨٩. رغم أن الفيلم لم يكن أفضل أفلامه التي شارك بها في المهرجانات من قبل، وكان لهذا الفيلم الفضل في استمرار شاهين مع سيرته الذاتية في فيلميه «حدوتة مصرية» ١٩٨٢، «إسكندرية كمان وكمان» ١٩٩١. ومن خلال هذه الثلاثية نستطيع أن نستخلص عدة ملامح أهمها:

١ـ لايمكن أن نتجاهل مقارنة ثلاثية شاهين الذاتية بما قدمه فيلليني وتروفو وبوب فوس خاصة بالنسبة لأفلامهم التي صورت لحظات تعامل المخرج الحرفي والفني والإنساني قبل تصوير الفيلم (٨ ١/٢ لفيلليني) أو مشاكل المخرج أثناء فترة التصوير نفسها (الليل الأمريكي لتروفو) أو تداعيات المخرج الإنسان والفنان أثناء مواجهته للموت، أثناء إجراء عملية جراحية في القلب (كل هذا الجاز لبوب فوس).. كل هذه النماذج وغيرها سنجد صداها في أفلام شاهين عن سيرته الذاتية ولكن هذا لا يصنع خصوصيته ورؤياه الذاتية المحسوبة بوعي.

٢ـ انبثق الجزء الأكبر من «إسكندرية ليه» من ملاحظات شاهين المباشرة تجاه مواقف وشخصيات يبدو أنها لاتدخل في نسيج سيرته الذاتية بقدر ما تعبر عن آرائه في الأحداث المعاصرة في مصر خلال فترة الأربعينيات.. بينما نجده يتعمق في سيرته في الجزء الثاني «حدوتة مصرية» وفيه يؤكد على عوامل القهر والأنانية والتفاهة التي تحاصره: «الحياة كلها قمع في قمع من صغري للجامعة لدلوقت» فالمدرسة يسيطر عليها التزمت الكاثوليكي وتحكم أستاذه الفاشي (الشبيه بهتلر) والمجتمع تنقصه عناصر المرح والثقافة والحرية، والبيت عامر بالبشر (الأب. الأم. الزوجة. الأولاد. الأقارب) ولكن مجرد مأوى له وليس سكنا يشعر فيه بالراحة النفسية والاطمئنان العائلي. والجميع فيه «غرباء عايشين في بيت واحد أنا فشلت مع ولادي وعيلتي زي ما أهلي فشلوا معايا» وفي ظل هذه الحياة عاش يؤجل احتياجاته حتى أصبح على يقين بأنه لن يتمكن من تغيير أي شيء ومع تراكم تأثير الصراعات الكبيرة والصغيرة يكتشف أن قلبه على وشك التوقف بعد أن سدت شرايينه أوتكاد، وفي الجزء الثالث من سيرة شاهين ستتوارى قليلا حياته الأسرية ليتم الدمج بين خيالاته السينمائية أثناء إعداد وتنفيذ بعض أفلامه. وستبقى شخصية يحيى التي تمثله في إطار يبدو فيه وكأنه المدافع الأمثل عن الديمقراطية بين فناني مصر بعد صدور ما سمي بقانون ١٠٣.



□ مهدي شريف مخرج «شاي في حريم ارشميدس»

٣ـ تؤكد ثلاثية شاهين أنه تعلم عن طريق ملاحظاته المباشرة ما تتميز به أنماط الأفلام التي تتقبلها المهرجانات السينمائية الغربية بعد تجاربه في مهرجان كان مع فيلم «ابن الليل» ومهرجان برلين مع فيلم «باب الحديد» ومهرجان موسكو مع فيلم «جميلة» والمحصلة تأتي في الفيلم الأول من خلال محاباته للشخصية اليهودية المصرية «سوريل» وابنته «سارة» باعتبار أن الأب يرفع شعارات مناهضة الإرهاب والتعصب في أعقاب الحرب العربية ـ الإسرائيلية: «إني أرفض الإرهاب أيا كان هدفه. وأدين اغتصاب حق على حساب آخر، الأخ سيقتل أخوه زي بدء الخليقة. أوه يا أورشليم ياقاتلة الأبرياء والأنبياء». ويقيم شاهين في «إسكندرية ليه» علاقة حب حميمة بين الابنة اليهودية سارة وشاب مصري يساري كان محصلتها في اعتقادي فوز الفيلم بجائزة مهرجان برلين مناصفة مع الفيلم الألماني «ديفيد».

ولقد حاول شاهين في الجزء الثاني من سيرته أن يؤكد الهيمنة اليهودية على السينما والإعلام الأمريكي ويأتي هذا التأكيد على لسان زوجته (يسرا) في «حدوتة مصرية»: «للمرة العشرين. يهودي أمريكاني يقول كو... كتير. لكن يفتح الله.. حاتخدوا مخرج عربي ليه؟».

٤ـ حاول شاهين أن يخلق معادلا موضوعيا للعلاقات المثلية داخل أفلامه المأخوذة عن سيرته الذاتية. فالعلاقة بين قريبه الأرستقراطي عادل (أحمد محرز) والجندي الإنجليزي تومي في «إسكندرية ليه» جعلها تـ... بتحول الأرستقراطي من ميوله الدموية تجاه الا... الإنجليزي إلى الوعي غير المعلن بأن كل مكتسب...



□ الطفل بطل «الحلماوين»

الحضارية حققها له الإنجلير وإيمانه بأن هذا الجندي والجيش الذي ينتمي إليه قد لعبا دورا في إنقاد مدينته الإسكندرية من جحافل النازية. وتأتي زيارة هذا الأرستقراطي لمقابر جنود الحلفاء في العلمين بعد مقتل الجندي تومي بسنوات لتؤكد هذه التعادلية المفتعلة والتي يكررها شاهين في «حدوتة مصرية» من حلال علاقة المخرج يحيى بالسائق الاسكتلندي أندرو أثناء زيارته لمدينة لندن لإجراء عملية القلب، لقد أصبح هذا السائق حادما لبعض العائلات المصرية الإقطاعية الهاربة من الثورة المصرية. وللمرة الثانية يرد شاهين الجميل لهذا السائق من خلال علاقة يخرجها من نطاق المثلية إلى حالة من الشعور الخفي بالجميل!!.

ولقد جاء تأثير شاهين حاسما على تلاميذه الذين تعاملوا مع «سيرتهم الذاتية» مثل يسري نصر الله في «سرقات صيفية» ١٩٨٨، وخالد الحجر «أحلام صغيرة» ١٩٩٢، فبؤرة تفكيرهما أحلك الأحداث التي مرت بمصر المعاصرة. والهدف من عرض سيرتهم الذاتية ليس المتفرج المصري أو العربي إنما المتفرج الأوربي الشغوف بكل ماهو سلبي ومهين في حياتنا!!.

بين أحلام المدينة وليالي ابن آوى

لم تتخلف السينما السورية عن ركب أفلام «السيرة الذاتية» لمخرجيها وبعد التجربة المهمة التي قدمها محمد ملص عن سيرته الذاتية في فيلم «أحلام مدينة» ١٩٨٤، قدم عبد اللطيف عبد الحميد فيلمه «ليالي ابن آوى» ١٩٨٨، والفيلمان حققا للسينما السورية العديد من الجوائز. وفي حدود هذا الحيز من الدراسة سنحاول الإلمام بتجربة «ملص» باعتبارها البداية في هذا المحال.

يعبر محمد ملص عن إحدى مراحل سيرته الذاتية في فيلمه «أحلام مدينة» من حلال قصة نشأة الطفل ديب ـ اسمه الحقيقي محمد ـ عاش تعيسا معذبا مرهقا خلال فترة الخمسينيات في طل شراسة جده الذي طرد ابنته الأرملة وأولادها. وبيئة قاسية يهيمن عليها التفسخ والعنف والخمر والمخدرات والشعارات السياسية القاصرة. يرى ديب في هذه الطفولة البائسة شقيقه وهو يودع في ملجأ للأيتام، ويرى جارة يقتل أخاه، ويرى أمه يمارس عليها كل أنواع القهر والقمع.. وجماهير تعيش حياتها السياسية في طل آمال محبطة.

يحاول ديب أن يتمرد على واقعه كصبي مكوجي يعرق ويكد من أحل الحياة، وينجح في الالتحاق بالمدرسة ليواجه بآراء يرددها أساتذته دون أن يعي بعادها. فالبعض يهاجم الشخصيات السياسية القديمة ويتهمها بالجبن في مواصلة الصراع مع الديكتاتورية الشيشكلية. والبعض ينادي بالديمقراطية وبأن الانتخابات هي المعيار الحقيقي لإرادة الناس. ثم يجد ديب نفسه يعيش مرحلة التنافس بين مرشحي الحزب الوطني بقيادة شكري القوتلي ومرشحي البعث بقيادة صلاح البيطار.

وينتهي فيلم «أحلام مدينة» مع إعلان الوحدة بين سوريا ومصر والطفل ديب مازال يراقب ومازال يعاني بينما دمشق في حلة من الأضواء والزينات والأعلام والصور. بعض الشباب يعلق صور عبد الناصر إلى جانب صور شكري القوتلي بينما الليل عاصف والرياح القوية تهز الأضواء!!.

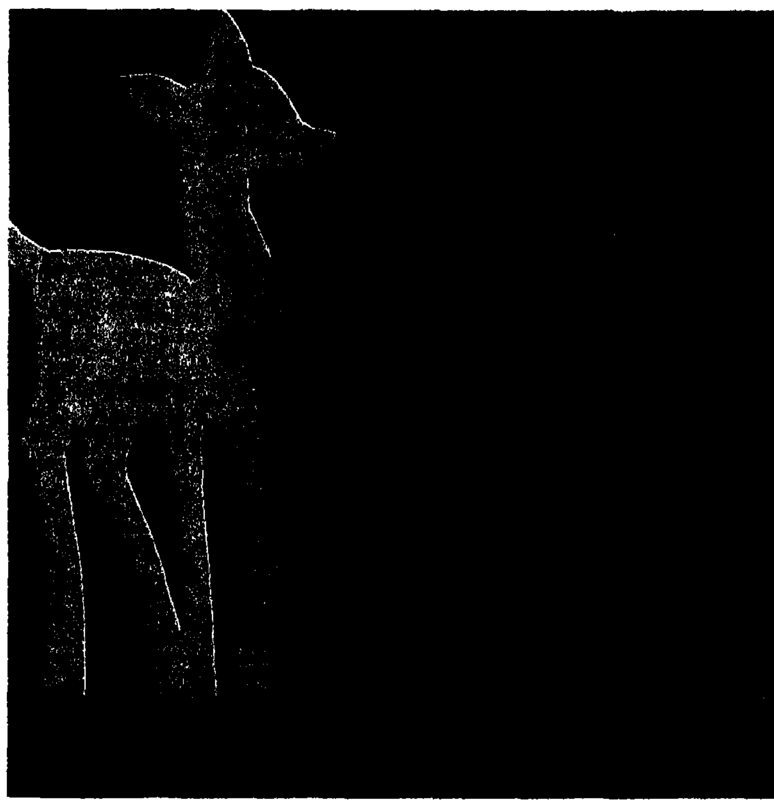
ومع ذلك فإن هذه الصورة الرهيبة التي ينجح ملص في تقديمها بسلاسة وبلغة سينمائية موحية سنجدها تتحول إلى صورة مشبعة بالإنسانية والهدوء والنقاء والرفاهة المتناهية في أربعة مشاهد فقط في الفيلم. وهي المشاهد التي يتعامل فيها الطفل ديب مع السيدة ماري روز وابنتها أنطوانيت.

لقد جسد ملص الأم ماري روز وابنتها باعتبارهما الخيط المضيء في واقع ديب الحالك السواد. فهل فرضت سيرته الذاتية عليه ذلك؟ أم أن هناك دوافع أخرى وراء ذلك؟.

أيا كانت الدوافع والأسباب سواء لملص أو لغيره ممن تعاملوا مع «سيرتهم الذاتية» فالواقع يؤكد أن هذه النوعية من الأفلام كانت في مجملها من الأفلام التي تحسب لصالح مخرجيها من الناحية التقنية. رغم أن جبينها يحسب علينا كعرب من الناحية الاجتماعية والسياسية..!!. □

واحة العربي
محمد المخزنجي

الغـــزال



الجميل الخفيف المتناسق في التكوين والحركة والشعر والمعاني ودمى الأطفال

ينساب الإحساس الجميل بالغزال في نفوس عموم الناس، مع أن بعضهم ـ ومعظمهم ـ لم يروه رأي العين أصلا، يتداخل في خفة حركة المحبوب واتساع عيونه واتساق خطوته ـ مع حناء تصبغ كعبه، ويتمرغ في المواويل وألحان الفراق وشجن النوى، كما أن الشعر العربي ـ منذ بكوره غزلا ـ استعار الغزال ووضع في كل أجزائه وأنواعه من جميع الظباء: قلق النهار وسهر الليالي. وعلماء الحيوان يجعلون الظبي أصلا للفصيلة والغزال فرعا، ثم يردون المجموعة كلها إلى الفصيلة «البقرية» فيسدون علينا كثيرا من المسائل، تماما كما يردون السباع إلى فصيلة القط فيحيلون الشجاعة والبسالة إلى مجرد مواء جائع ممطوط.

ونادرا ما يطلق الناس على مواليدهم «ظبي»، ولا يوجد في الممالك سوى «أبوظبي» في الإمارات العربية المتحدة، لكن الغزال ينتشر اسما لقبائل وأفراد، وكذلك «ريم» ـ مولود الظبي ـ الذي استأثر ـ مع المها ومع الهيثم «وليد الصقر» ـ على كثير من الأسماء الحديثة، ومع ذلك فقد حال عناد الشعر الحديث دون استفادته من كل هذه الألقاب والأسماء، ربما لأن خطى الإيقاع الرباعي للغزال، ثم الخطوات المترنة في سيره الآمن، ثم القفزة الواسعة في الهرب خوفا كانت أصعب ... تتحمل مقاطع الشعر الحديث المتناثرة، ولذا فإن أسرع و... ماركات السيارات وعلامات ... الشيكولاته وزجاجات المشرو...

و كال مؤانسات الأطفال من دمى و ـعاب تأتي على شكل الغزال ا قعد البيوت والأرائك والمهود « ع مهد»، بعد أن ضاقت به ا ـحاري والروابي فزعا من ـ ـقات رصاص هواة صيده الجابرة، إهلاكا للوقت وطلبا للهو، ثم. واستمتاعا بلحمه الجميل الخفيف الخالي من الدهون، والذي يمكن لك أن تترك الغزال في بيدائه لتستعيض عن لحمه بزوجين من الأرانب مع طبيخ الملوخية، في حين يتوقف هواة لحم الغزال عند الشواء فقط. والغزال يستوطن في أعداده القليلة الباقية: إفريقيا وآسيا، ومساحة في برامج الاهتمام بعالم الحيوان في السينما والتلفزيون، وبدايات تلقين الأطفال شيئا من الفنون التشكيلية، في كراسات الرسم، غير أن ثمة «غزالة» ذات شهرة في الشجاعة والفروسية تنام في بطون التاريخ، وتقترب منها فنون الدراما الحديثة «والتي لم تترك حادثا ذا شأن دون تمثيله حتى الآن فيما أعتقد»، وهي غزالة زوجة شبيب الشيباني، خرجت مع زوجها على الخليفة عبدالملك بن مروان، لتواجه القائد العتيد العنيد الجبار الحجاج ابن يوسف الثقفي، الذي فرّ أمامها وتحصن منها، فعيره الشاعر عمران الخارجي بقوله: أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ـ و ـ هلاّ برزت إلى غزالة في الوغى، وقد أوقع بها وقتلها خالد الرياحي في معركة على أبواب الكوفة، وبعدها غرق زوجها، كما أن الغزال يحتاز نهرا في جنوب السودان، وواحة صغيرة في جنوب غرب مصر، وثمة غزال كان ـا ا تشكيليا وخزافا في العصر المملوكي المصري «القرن ١٥»، وله قطع متعددة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وقبله يحيى الغزال شاعر وسياسي أندلسي في القرن التاسع، ثم الغزالي ـ أبو حامد أشهر فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني اجتماعي، وقد عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، والذي يمتد بمدرسته عبر القرون ليصل إلى الشيخ محمد الغزالي: الخطيب والإمام والمتحدث والمفسر المصري المعروف في العصر الحديث.. وربما يكون الغزل ـ أي فن التمهيد المبكر لقيام علاقة دافئة بين الذكر والأنثى ـ يرجع لغويا وتكتيكيا إلى الغزال ذاته: المبادىء والأسس والمناورة وشدة الحنو ومرونة الملاطفة، والقدرة على التجمل، دون أن يتخلى عن المثابرة والعناد والإصرار الجميل لأنه حيوان جميل وجدير بأن نتعلم منه دون أن نتخلى.□

كلمات لها معنى

* للجسد قدرة فائقة على أن يعمل بإتقان دون الاهتمام برعونة اللسان

* الصباح البهي مثل النقود : يستحسن عدم إفساده بالتفكير فيما سوف يليه

* ليس صحيحا أن الناس معادن، لا يزال بعضنا غير قادر على التوصيل أو التواصل بالمرة، الأخشاب ليست معادن

* أجمل فنجان قهوة يمكنك الاستمتاع باحتسائه: تقدمه لأول مرة يد جميلة لا تتقن صناعة القهوة أصلا.

* إذا الشعب يوما أراد الحياة، فعليه أن يقف في طوابير الحضانة والمدارس والجامعات والتجنيد والتوظيف والتموين والمواصلات وإشارات المرور ورخص القيادة والمطارات والبنوك والمعاشات.

* كيف ـ بالله ـ يتسنى لعاشق أن يأكل من صحن الملوخية ـ معها ـ في ضوء القمر؟؟.

* ألم تلاحظ أن أكثر الآلات الموسيقية ترقيصا للجسد ما كانت إيقاعاتها نابعة من آلات معدنية؟؟.

* الرجل الأول الذي تهجره المرأة يصيبك بالألم، الثاني بالسخرية.

* هذا الفرق المذهل بين استيقاظ أبنائك من النوم ليلعبوا الكرة، واستيقاظهم ليذهبوا للمدارس مدخل للندم على توظيف رجولتك.



حضارة الكلور في قفص الاتهام

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

الكلور، يراه الصناعيون عصب التقنية المعاصرة، فهو يتغلغل في باقة شديدة التنوع من المنتجات المهمة أو الضرورية لحياة الإنسان المعاصر، بدءا بالأدوية والمبيدات، مرورا بالأصبغة، واللواصق، وانتهاء بالبلاستيك واللدائن. لكن هناك من يرى للكلور وجها آخر.. فهل هو شيطان أم ملاك؟.

يعني الكلـور لأنصـار البيئـة: ثقب الأوزون، والمذيبات المحـرضة للسرطـان وجميع حوادث الصناعة الكيميائية المفجعـة، التي وقع آخرها ـ حسب علمنا ـ حينما أمطر حي غريزهالم في فرانكفورت بوابل من الكلـور المنتشر من أحـد مصانع شركـة هـوكست «العريقـة» في قمة الاحتفالات بـالتنكر «الكـارنفال أو الفاشينغ، في اثنين الورد» في ربيع ١٩٩٣م.

سجل حافل

لم يشعل فتيل الجدل الحالي غـاز الكلـور، أو فلنقل عنصر الكلـور الحر، على الـرغم من أن عنصر الكلـور غاز سـام اكتسب شهـرته المأساويـة من استخـدامه في ساحات القتـال: ففي ٢٢ نيسان/ أبريل ١٩١٥م سلط الجنود الألمان ١٨٠ طنـا من غاز الكلـور «سمي وقتها غاز الخردل» على القوات الفرنسية المتمركزة على مقربة من بلدة ايبيرن YPERN، وفتحوا بذلـك الباب لسلاح جـديـد من أسلحـة الـدمار الشـامل، بيـد أن مـوجـة الاستياء الحالية تشير بأصابع الاتهام إلى كيمياء الكلور ومنتجاتها النهائية، التي يمثل الكلور مادتها الأولية.

ومن أشهـر هـذه الأمثلـة مـركب د.د.ت، المبيـد للحشرات، الـذي تسلل إلى سلسلـة الغـذاء بكميـات كبيرة، وأضحى بـذلك رمزا لإفنـاء العـديد من أنـواع الطيور، واختفائهـا من البيئة، ويضاف إليـه باقة كبيرة من الفريـونات «مركبات الكلور والفلـور مع الفحوم الهيـدروجينيـة» المتهمـة بتفكيك طبقـة الأوزون في طبقات الجو العليا ومنها مركب لم تكن تعرفه الجماهير من قبل «أورتـو نترو آنيـزول» الـذي أطلق في ربيع ١٩٩٣م سلسلـة من الحوادث في مصـانع شركـة هـوكست العمـلاقـة، ممـا أجج الجدل وقـدم لأعـداء الكلور أدلة لا يستهان بها.

وفي جميع حـوادث الصنـاعـة الكيميـائيـة، وخيمـة التبعـات، والتي وقعت في السنـوات الأخيرة كـان للكلور إصبع بارز فيها:

* ١٩٧٦م، سيفيسـو الإيطـاليـة، حيث خـرجت إحـدى منشآت الإنتـاج عن السيطـرة، وأمطر النـاس والحقـول بسحب من مـادة «دي أوكسين DIOXINE» شديدة السمية.

* ١٩٨٤م، بوبال الهندية، حيث تسربت مادة سامة



«فوسجين، المصنف ضمن الأسلحة الكيميائية» قتلت ٣ آلاف شخص من فورها.

* ١٩٨٦م، قــرب بــازل BASEL الســويسريــة «الشهيرة في الأدبيات العربية بـاسم بال»، حيث اندلع حـريق كبير لمبيـدات أعشــاب حـاويـة على الكلـور، تسللت مـع الماء المستخـدم في إطفــاء الحريق إلى نهر الراين، وتسببت في مجزرة جماعية لأسماكه.

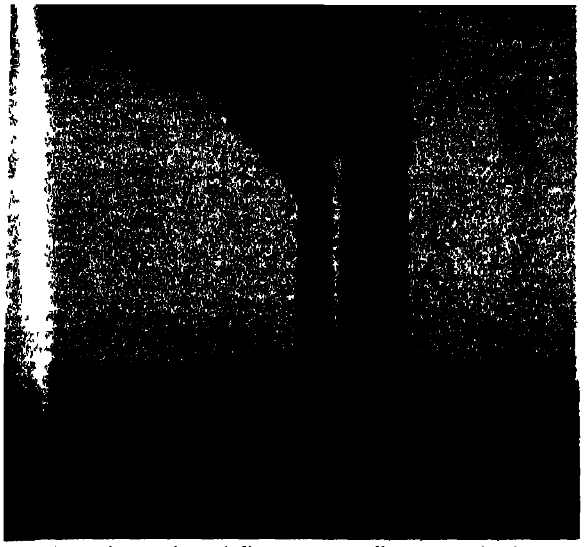
وهنـا يتسـاءل المواطن العــادي: مـا دامت خطـورة الكلـور ومشتقـاتـه كبيرة إلى هـذا الحد، فلماذا لا تـنـزع الصناعة يدها منه، على مبدأ «ابعد عن الشر وغني له»؟.

ويجيب الصناعيـون عن هذا التساؤل بأن أمـر الكلور ليس بـالبساطـة التي اعتادهـا الشارع أثنـاء الجدل حول الانسحـاب من الطـاقـة النـوويـة، فلــو تم وقف جميع المفاعـلات النووية دفعة واحـدة لحدثت «هزة» في تأمين الطاقة الكهربائية، لكن محطات توليد الكهرباء الأخرى ـ مثل تلك التي تحرق النفط أو الفحـم الحجـري أو الغـاز الطبيعي ـ ستستمـر في أداء عملها دون اضطراب يـذكر، لأن الطـاقة النـوويـة «مفصـولة» انفصـالا واضحـا عن مصادر الطاقة الأخرى.

وهنـا يكمن الفارق الجوهـري بين الطاقـة النوويـة وكيمياء الكلور، فلو سحب المرء ـ بين عشية وضحاها ــ ملايين أطنـان الكلور المنتجـة في سـائر أنحاء العـالم «حصـة ألمانيـا وحـدهـا ٣ر٤ مليـون طن» من شبكـة التـوزيع شديـدة التفرع لتـزلـزلت أركان جميع فـروع الصناعة الكيميائية ــ وغير الكيميائية ـ الأخرى: يمثل الكلـور مفتـاحـا رئيسيا لإنتـاج قـرابـة ٦٠ بـالمائة من مجموع منتجات الصناعة الكيميائية.

يـرجع فضل التغلغل الـواسع لكيميـاء الكلـور إلى انطـلاقها من مـادتها الأصليـة الـرئيسية: ملح الطعـام «كلوريد الصـوديوم» الزهيد والمتـوافر بكميات كبيرة، إضـافـة إلى الماء والهواء وبعض الفلـزات إضـافـة إلى النفط، وعند شطـر ملح الطعام «كلوريد الصـوديوم» المذاب في الماء «بـواسطة الكهـرباء» تستحصل كيميـاء الكلور على منطلقاتها الأساسيـة «غاز الكلور والصود الكاوي وغاز الهيدروجين».

ومن هذه الفئـة القليلة يتم استحصـال ٣٠٠ مركب كيميـائي، تمثل اللبنات الأسـاسيـة للتقانـة الكيميائيـة الشاملة، وعنـد معالجة هذه المركبات التي تعـد بالمئات مع الخامـات الكيميائيـة الأساسيـة (الكلور والصـود



□ معظم الصناعات الكيماوية هبتها الكلور ولعنتها تلوث البيئة.

الكــاوي إضــافــة إلى حمض الكبريـت؛ والنشـادر «الأمـونيـا» أو الإستيلين)، يحصـل المرء على قـرابـة ٥ آلاف مادة معقدة.

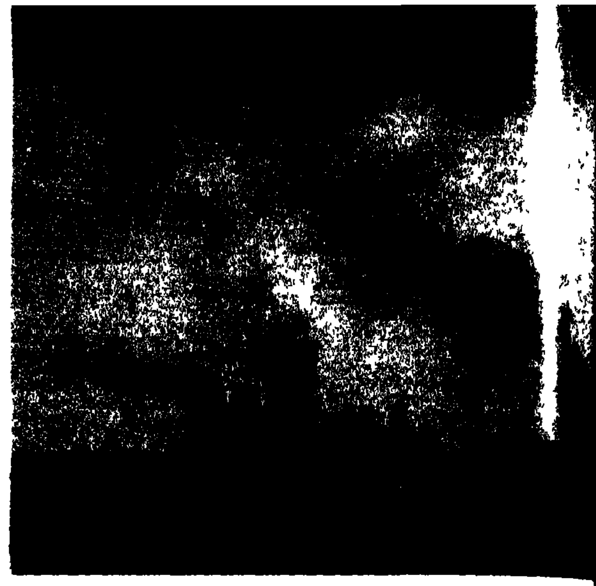
ونتيجة مـزج مواد مختارة من هـذه الآلاف القليلة يتم استحصـال المنتجات التي تغـزو حياتنـا اليوميـة، بحيث يقـدر عـدد أفـراده بحـوالي ٣٠ ألفـا، مثـل اللـواصق، المنظفـات، العقــاقير الطبيــة، وغيرهــا.. وفي كثير من الحالات لا «يشم» المستهلك رائحة المنتجات الكيميائية، بدءا بالسيارة، مرورا بالمنسوجات وانتهاء بالإلكترونيات الترفيهيـة والعـادات الغـذائيـة، التي طبعت بطـابع مميز للصناعة الكيميائية، بما فيها كيمياء الكلور.

وحق لنا أن نتسـاءل هنا: كيف احتل الكلـور الخطر هذه المكانة المرموقة؟.

لا يمثل الكلـور ظـاهـرة نادرة في الطبيعـة، فهـو ينتمـي إلى العنــــاصر العشريـن الأولى في القشرة الخارجية لكـوكبنا الأرضي، ويقارب تركيـزه في مياه المحيطــات، اثنين بــالمائة، ففيم الاعتراض؟ يجيب أنصار البيئـة بأن الكلور في الطبيعـة يلجمه ارتبـاطه بـالعناصر الأخـرى، ويلقون بـاللائمـة على مطلقي سراحــه وتحويلــه إلى المذنب الأســاسي لحضـ ـة الكيمياء المعاصرة.

لكن البراكين ــ على الأقل ــ تطلق الكلور الغـ ـي المتهم، بيـد أن شراهته الشـديـدة للاتحاد مع العنـ ـر الأخرى «لا يبزه بين العناصر غير المعـدنية إلا الفـ ـر» تجعلــه يسعى من فــوره إلى البحث عـن شريك ـثل البوتاسيوم أو المغنيسيوم».

شراهـة ذرة الكلور الشـديـدة للاتحاد هي المسـ ـول الرئيسي عن عدوانيته وآثاره الضارة على نسيج كا ـ من



الإنسان والحيوان والنبات، وكذلك سبب ولع الصناعة الكيميائية به.

ولعل أوضح الأمثلة في هذا المضمار طغيان الصناعة البتروكيميائية على سائر فروع الصناعة الكيميائية الأخرى خلال عقد واحد تقريبا «الستينيات»، التي سبحت على موجة نفط الشرق الأوسط الرخيص، ومن المعروف أن النفط يتكون بصورة رئيسية من الفحوم الهيدروجينية «الخاملة» أصلا، لكن الكلور الشره يتفاعل معها بسهولة، مصفيا عليها شراهة للتفاعل لم تكن تمتلكها، وبذا يمكن تحويلها إلى العديد من لبنات البناء البتروكيميائية، التي تشكل الخامات الأساسية للصناعة المعاصرة.

وأسارع هنا إلى التذكير بأن النفط لم يكن العامل الحاسم في اكتشاف مواهب الكلور وشراهته، بل اقتصر دوره على تحسين مكانة الكلور.

تاريخ متأرجح

إذ بدأ بروز الكلور بصفة عامل اقتصادي معتبر في حضارة التقنية الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر، حينما اكتشف الكيميائيون مقدرته على إزالة الألوان «القصر»، وليس غريبا أن يزداد إقبال صناعة النسيج على مركبات الكلور، التي تختصر زمن عملية القصر «قصار الكلسيوم، ومحاليل تحت الكلور» ومع تنامي صناعة النسيج في القرن التاسع عشر أضحى الكلور ينتج بكميات صناعية ضخمة.

وكما يقول المثل «مصائب قوم عند قوم فوائد» إذ خرج الكلور رابحا من موجة الوعي البيئي لتلك الفترة: ارتبط تصاعد الصناعة النسيجية بتزايد استهلاك البوتاس «فحمات البوتاسيوم»، الذي كانت ضحيته مساحات واسعة من الغابات، لذا أجبر الضغط الجماهيري على الاستغناء عن البوتاس، فاستعاضت عنه الصناعة بقريبه الكيميائي: الصودا «فحمات الصوديوم»، المنتجة من مناجم الملح الصخري العملاقة، ومن فضلات استحصال الصودا «روح الملح» تم إنتاج الكلور على نطاق صناعي «بعملية الأكسدة أو التفاعل مع أكسجين الهواء».

وبدأت نقطة الانعطاف باتجاه الوضع السائد حاليا في أواخر القرن الماضي، إذ أدى ابتكار الكهرباء إلى جعل طريقة التحليل الكهربائي الطريقة المفضلة لإنتاج الصود الكاوي «ماءات أو هيدر ـ كسيد الصوديوم»، وهنا يتم تحليل ملح الطعام إلى كلور وصود كاو بتكاليف أرخص.

وقتها كان الطلب كبيرا على الصود الكاوي «لتغطية الحاجة المتزايدة للحرير الصناعي»، نتج معه الكلور بكمية تفيض على الحاجة بشكل ملموس جدا، وكان لا بد للصناعة من التفكير بطريقة عملية للاستفادة من «فائض» الكلور هذا، فاهتدت إلى ضرورة إدخال المادة الزهيدة هذه في شبكة المركبات الكيميائية، وتسخير الكلور في إنتاج مستحضرات صالحة للتسويق، تضاف إلى الاستخدامات التقليدية للقصر والتعقيم.

وشرع في استخدامه في إنتاج الأصبغة «مثل إنديغو»، بيد أن الموجة العارمة جاءت مع البدء بالاستخدام الواسع للمذيبات المكلورة ولدائن متماثر كلوريد الفينيل PVC. وبذا تحولت كيمياء الكلور من مستثمر صرف للقمامة إلى واحد من أهم موردي الخامات الصناعية.

وبذا أضحى الكلور إحدى الدعامات الرئيسية للصناعة الكيميائية الحديثة، يؤدي انهيارها «على سبيل المثال عن طريق وقف الإنتاج الضخم للمذيبات ومتماثر كلوريد الفينيل» إلى زلزلة معظم أركان الشبكة الكيميائية، ولو اكتفى المرء «بالحد» من إنتاج الكلور لاضطر المرء إلى خفض إنتاج الصود الكاوي، الذي تحتاجه الصناعة بكميات كبيرة حتى يومنا هذا.

وهنا يذكّر أنصار البيئة بأن الصود الكاوي برز أصلا بصفته بديلا عن الصودا «فحمات الصوديوم» في مجالات استخدامها التقليدية، ويتساءلون: فلماذا لا نعيد عجلة التاريخ إلى الوراء ونحل الصودا ببساطة

محل الصود الكاوي؟ ويضيف المعترضون أن قرابة ٥٠ بالمائة من باقة المنتجات المرتبطة باستخدام هذا الغاز الخطر لا تحتوي على الكلور في المنتج النهائي، ويقتصر دوره على المراحل البينية، فلماذا لا نمرر هذه المنتجات على «جسور» أخرى خالية من الكلور؟.

منع أم تحويل ؟

ترد الصناعة عن هذا التساؤل بالإيجاب، وبأن استراتيجيتها الأولى تتركز في التفكير بطرائق إنتاجية «بديلة» خالية من الكلور لاستحصال ٥ آلاف اللبنات



□ أنهار الصودا الكاوية أحد إفرازات حضارة الكلور

الأساسية، وضمن الاستراتيجية الثانية يتم الاقتراب خطوة أخرى نحو المنتج الخالي من الكلور عن طريق الحد من استخدام المواد التي تظهر تبعاتها السمية أو البيئية السلبية أو منعها منعا تاما.

وتتجلى الاستراتيجية الثالثة للشركات في تشديد تدابير الحيطة والأمان، التي ستزيد التكلفة بالضرورة، ويتذمر المنتجون منذ بعض الوقت من قلة أرباحهم من البلاستيك الرائد عالميا: متماثر كلوريد الفينيل VC، والذي يبتلع وحده ربع الكلور المنتج في سائر أنحاء العالم. وهذا يوحي باقتناع الصناعة بإمكان تجاهل جميع الحوادث المؤلمة، والاستمرار في ركوب «النمر» الخطر. ومع أن الساسة غير مطمئنين، إلا أنهم لا يرغبون في كبح جماح النمر أثناء انطلاقه بسرعته القصوى وو[illegible] عن الحركة بطرفة عين، إذ تجعلهم شبكة المواد المتداخلة يميلون إلى الاستعاضة عن «المنع» العنيف بعبارة «التحويل» الطرية: ليست كيمياء الكلور «بابا» مغلقا يفتحه المرء أو يغلقه متى شاء!.

وحسب اعتقادي المتواضع فإن هذه الاستراتيجيات الثلاث: التفكير بلبنات أساسية بديلة، واستبعاد مركبات الكلور الخطرة، وإجراءات الأمان قد تخفف سرعة انطلاق النمر ــ حتى حين ـ بيد أن الإحصاءات تنذر بهبوب العاصفة، ففي السبعينيات كان الإنتاج العالمي للكلور مؤشرا للتقدم والرفاه، لكن الكمية المنتجة من هذا العنصر الأصفر الضارب إلى الأخضر تجمدت عند رقم ثابت، ولو كان مرتفعا.

آفاق المستقبل

تدل هذه النتيجة على الدور الفاعل للشارع العربي الذي يتساءل: هل يمثل الكلور ضرورة اقتصادية لا غنى عنها؟ تتعذر الإجابة عن هذا التساؤل اعتمادا على المسوغات العلمية ـ التقنية وحدها.

فعلى سبيل المثال هناك مبيدات للأعشاب ترتبط مهمتها بوجود ذرة الكلور في تركيبها، وقل مثل ذلك في بعض العقاقير الطبية، المستخدمة في شفاء البشر من الأمراض، كما أن البلاستيك رقم ١ «PVC» يشكل الكلور نصف وزنه تقريبا، وسيعني منعه التحول إلى منتجات مختلفة جذريا، وهذا ما تطلبه حركة السلام الأخضر GREEN PEACE، وتشمل لائحتها البد[illegible] الخشب، والنحاس والجلود، والتي لا تبهج أصحاب المصانع الكيميائية.

وليس غريبا أن تستغل الشركات الغربية ضعف أجهزة الرقابة أو فسادها في اختصار نفقات تدابير الأمان، لتجعل الدول المضيفة تدفع دم الآلاف من أفراد شعبها لقاء امتصاص حفنة من يدها العاملة وما أمر بوبال الهندية منا ببعيد. □

قراءة نقدية

في

«أبوعجاج طال عمرك»

مجموعة قصصية لطالب الرفاعي

بقلم: نـــــذيـــــر جعفــــر*

تتمحور المجموعة القصصية الأولى للكاتب طالب الرفاعي حول المشكلات الجديدة التي طرأت على المجتمع الكويتي إثر التبدل النوعي الذي أحدثته النفط في مجمل العلاقات وأنماط السلوك الإنساني. وهو يحاول أن يصوغ ميول الواقع الموضوعي الحية الخفية صياغة فنية عبر استبطانه لهذه التغيرات ونتائجها على مصائر أبطاله.

تشكل موضوعات الاغتراب والتشيؤ، والعمالة الوافدة، الهواجس الرئيسية التي تشغل بها الكاتب، وبؤرة العمل القصصي لديه، وغايته، ومرماه الحيوي. وسنتوقف عند كل منها على حدة عسى أن نكوّن صورة متكاملة عن المناخات المتعددة لهذه المجموعة التي تمثل في اعتقادنا إحدى العلامات المهمة في مسار القصة القصيرة وتطورها في الكويت شكلا ومحتوى.

تندرج تحت هاجس الاغتراب والتشيؤ ثلاث قصص هي: «شاشة» و«أشياء صغيرة» و«مرساة». تشكل هذه العناوين الثلاثة استباقا سرديا ينفتح على النص، ويحيل القارئ ويوجهه إلى الدلالات الفكرية والنفسية التي تحملها هذه القصص على مستوى النص. فالحياة في عصر التكنولوجيا ومجتمع الرفاه، والخدمات والاستهلاك تحولت إلى مجرد «شاشة»، شاشة «كمبيوتر»، شاشة «تلفاز»، شاشة «فيديو»، شاشة تختصر المسافات البعيدة بين الأمكنة لكنها تباعد في الوقت نفسه بين الإنسان وذاته من جهة، وبين الإنسان والآخرين من جهة ثانية، وبذلك تموت الروح. وتتشيأ أمام الزحف العشوائي للآلة، ويعيش الجسد في عزلته وغربته الموحشة: «بارد.. مستو تماما.. خال من أي نقوش أو حياة هو السقف وكذلك أنا». (ص١٩) إنها الحاجة الملحة إلى حرارة الأنفاس الإنسانية التي لا تعوضها بأي حال من الأحوال كل مظاهر الترف والتكنولوجيا التي تغرق البطلة في جحيمها وتتلظى بنارها.

وتتحول الأشياء الصغيرة إلى حاجز نفسي بين الحبيبين/ الزوجين، إنها «أشياء صغيرة» حقا لكنها في

* كاتب وناقد سوري.

ظل الرتابة اليومية، والعادة، والتكرار، وضغوط العمل، تتفاقم تدريجيا وتتحول إلى جدار من الصمت يفصل بين المتحابين، ويعمق العزلة بينهما، وليست الطباع المختلفة وحدها التي تفعل فعلها هنا، وإنما ذلك الهلاك الداخلي واليومي الذي يكمن خلفها، ويحول كل شيء في حياة الزوجين إلى دراما خفية تمتص طاقتهما على الحب والتفاعل والانسجام، فيعيش كل منهما في غربة عن الآخر وعن نفسه أيضا مفتقرا إلى الحنان والتفاهم والسلام الداخلي.

وهنا تطرح القصة سؤالها المهم: هل بالحب وحده يحيا الإنسان؟. وتأتي خاتمة القصة المفاجئة والمتوترة لتهز ركود الحياة وتجيب بالنفي!! فترمي حجارتها الثقيلة والموجعة في المياه الساكنة، ويكون الانفصال هو الخيار الوحيد: «بعد مرور ثلاث سنوات، فوجيء معظم الأصدقاء عند سماعهم خبر الطلاق». (ص١١).

أما قصة «مرساة» فهي المحطة الأخيرة في حياة رجل أتعبه الانتظار وتبكيت الضمير، بعد أن اكتشف أن نرجسيته كانت السبب في طلاق زوجته، ولم يبق له سوى أن يحط الرحال ويرسو على شاطيء النهاية ثمنا لخطئه، وعقابا يطهر به روحه المعذبة بعد أن خسر حلمه الجميل في حياة عائلية مستقرة وهادئة، ويئس من عودة الحبيبة/ الزوجة إليه طوال ثماني عشرة سنة من الانتظار المر. إنها صورة أخرى من صور الاغتراب والإخفاق والتفكك في مجتمع مفتوح على كل الاحتمالات بفعل التغييرات المفاجئة التي تجتاح كيانه.

إن الصراع في القصص الثلاث صراع داخلي يعتمل في أعماق الشخصية حتى يبلغ ذروته، ثم يكشف عن نفسه في المواقف السلوكية المأزومة لأبطال القصص (حيرة، تردد، تبخيس للذات، نوازع عدوانية..) إنه الصراع بين الفطرة والتكنولوجيا، بين القيم الراسخة في العقل الباطن والقيم التي تفرضها شروط الحياة الجديدة، بين فضاء الحلم وإيقاع الواقع المتسارع والمتوتر.

وقد استخدم الكاتب أكثر من تقنية فنية للتعبير عن هذا الصراع وتصوير مظاهر الأزمة الداخلية عند أبطاله. فالقصص الثلاث تبدأ من نقطة حاسمة متوترة في الحدث بجمل أشبه بالإضاءة المفاجئة لحركة كانت مستمرة من قبل، ويأتي البياض العازل، والحذف والإيحاء الذي يشي به سياق السرد ليعمق هذا التو ويلفت انتباه المتلقي، ويثير فضوله: «... أخيرا تع هذا القلب» (ص٨٠). «... يا عمري...» (ص٥) «تسرع بخطواتها. تدخل سيارتها. تسحب الباب بضيق خلفها. تنقطع في الحال ضجة الشارع (ص١٨). كما تتلاحق الجمل الفعلية القصيرة التي تسرع إيقاع السرد ووتيرته، وتولد فيه حركة نفسية متواترة ومشحونة بطاقة انفعالية كثيفة: «هجرني نومي، عششت بي غصتي، وأقنعت نفسي، قلت ستعود. قلت: مستحيل ينتهي كل شيء بيننا» (ص٨٣).

وتتحول كلمة: «كالعادة» المأهولة وفق سياقها بمقاصد المؤلف البعيدة إلى لازمة التكرار باستمرار في قصة «أشياء صغيرة» لتخلق بذلك فاعلية تعبيرية على المستوى اللغوي محايثة لحالة الرتابة اليومية التي تختزل الحياة إلى مجرد واجبات يغلفها الملل والسأم: «تقبله يرد قبلتها، بينما يرتسم على وجهه بقية انزعاج كعادته لحظة يصل من عمله»، «كعادته يأكل صامتا، وكعادتها تراقبه» (ص٦)، «... يا الله.. كعادته أبدا.. لم ينفض الستارة من الماء العالق بها» (ص٨).

ويأتي استبدال الأسماء الشخصية بالرموز في قصة «شاشة»





ل يق فكـــــرة التشيـــــؤ و غتراب، فنرى الآنسة (ت)، و طفلـة (س)، شأنهما في ذلك شـ أي رقم آخـر على شـاشـة الـ مبيوتر.

كما نجد تنويعـا في أشكـال الإ سان يعكس رغبة الكـاتب في تمثل شتى تقنيـــات السرد، وتـوظيف الأمثل منهـا في بناء حبكته. ففـي «شاشـة» و«أشياء صغيرة» يتوازى زمن الكتابة مع زمن الحدث حيث يتوالى الحدث تتوالي الجمل على الورق في نسق زمني صاعد من البداية إلى النهاية. ويبدو الراوي غير المباشر (ضمير الغـائب) حياديا مما يضفي صفـة (الموضوعيـة) على تنامي الحدث وتطوره. أمـا في قصة «مرسـاة» التي تمثل تجربـة ذاتيـة للـراوي فإن الحدث يروى بشكل مباشر على لسـان البطل (ضمير المتكلم) الـذي يصنع الحدث، ويتفـاعل معـه، ويلـونـه بـرؤاه وانفعالاتـه عبر نسق زمني هابط يبدأ من نهايـة القصة ثم يتـدرج بـالنـزول حتى يصل إلى البـدايـة، وعـدم التوازي هنـا بين زمن الكتابة وزمن القصـة يخلق شيئا من التشويق والتوتر الدرامي في بناء الحبكة القصصية.

ويأتي الحوار المكثـف والمتـوتـر ليلعب دوره في الكشف عـن الأزمـة وأبعــاد الصراع، والــدوافع الغامضـة، عبر تـوظيف الكلمـة في المشهـد الحواري بشكل دقيق بـوصفها الـرد الحي لكلمـة الآخر الـذي يستثير جوابه وتتوقعه، وتتمـوضع باتجاهه، مما يمنحها طاقة إيحائيـة ودلالة كبيرة في تصعيـد الحدث والتأثير على المتلقي:

«ـ لماذا لا تتكلم؟!

يكف عن الأكل. يرفع بصره إليها و:

ـ سؤال كل يوم..» (ص٧).

ويتسربل الخطاب القصصي بين حين وآخـر بغلائل شعرية لا تعكس نـزعـة شكليـة أو رغبة في التـزويق اللفظي بقدر مـا تؤدي وظيفتهـا في مخاطبة الـوجدان، وفي لكشف عن النـوازع الـرومـانسية الـدفينـة أمـام طغيـان الآلة وجبروتها:

« سبح غـرفة نـومها بمـوسيقى عـذبة»، «يحتضنهـا شتعـ لآلىء وياسمين ورغبة» (ص٥).

ولا تخفى على القارىء المتابع عـلاقة التنـاص التي تتحقق بين مشهد من قصـة «مرسـاة» وآخر قصيـدة كتبهـا الشاعـر الـراحل أمل دنقل: «تـراءى لي كل مـا في الغـرفـة أبيـض: ضـوء النهـار، الجدران، الستـــائر، سماعـــة الطبيب، شاشة التلفزيون، كيس المغذي، رداء الممرضة، الأضواء اللاصقة، أغطية السرير، صوت الـدكتور وابتسـامته، واستـدارة ساعته» (ص٨٠).

إن وحـدة المنـاخ في القصص الثلاث تجعل منهـا متتالية قصصية قـوامها الإحساس المتعاظم بالاغتراب والتشيؤ في ظـل علاقات اجتماعية جديـدة تتقدم فيهـا جوانـب الحياة المادية على حساب تـراجع القيم الروحيـة والـوجدانيـة. وبـذلك يرصـد الكـاتب جـانبا مهما من جـوانب التأزم في حيـاة أبنـاء الخليج تحت ضغـوط التغيير المفـاجىء السريع الـذي أحدثه النفط في البنية الاقتصادية والاجتماعية.

العمالة الوافدة

تعـد مشكلـة العمالـة الأجنبيـــة في الخليج من المشكلات الضاغطة التي تترك آثارها على مجمل أوجه النشـاط الإنســاني وتـوجهـاتـه. وإذا كـان الكـاتب الإماراتي عبدالحميد أحمد قـد تناول هـذه المشكلة في: «السبـاحــة في عيني خليج يتـوحش» (١٩٨٢)، و«البيـدار» (١٩٨٧)، كما تنـاولها كل من ليلى العثمان ووليـد الـرجيب في بعض قصصهما، فإن طــالب الـرفاعي هـو الآخر يشاطرهما في حـرائة هـذا الحقل البكر منذ عام (١٩٧٨) في قصته: «بيت العزاب» التي أتبعهـا بسبع قصص أخـرى تشكـل نصف مجمـوعته تقريبا وهي: «الإنسان لا يموت»، «إجازة» «أبوعجاج طال عمرك»، «الموت مجانا»، «ليلـة أخرى»، «مجبور». ولعل اختيار قصة «أبوعجاج طال عمرك» عنوانا لهذه المجموعة لم يكن بمحض المصادفة، بل هو تأكيد على خصوصية البيئة المحلية من نـاحية، وعلى جسامة هذه المشكلـة التي تستأثر دون سواها بـالجانب الأكبر من اهتمام الكاتب من ناحية ثانية.

تطرح هذه القصص مشاكل العمالة الوافدة على عدة مستويات: مستوى المعاناة الفردية، ومستوى القوانين التي تنظم وجود هذه العمالة، ومستوى الانعكاسات السلبية التي تخلفها على المجتمع ككل.

ففي المستوى الأول تكشف القصص عن الصلات السببية بين المحيط الاجتماعي للإنسان ومصيره، فتصور معاناة الفرد في الغربة، وآثارها على سلوكه وحياته، والغربة هنا تتعدى الحيز المكاني إلى الحيز الوجودي حيث المغترب يعيش حالة نفي مستمرة، فهو عاجز عن التكيف مع المجتمع الجديد من جهة، وعاجز عن رفضه من جهة ثانية. إنه مهمش تماما، ومعزول عن محيطه الذي يمنحه الاستقرار والأمان. وهو مع ذلك معرض لأشكال متعددة من القهر والابتزاز.

وفي المستوى الثاني (الحقوقي) تطرح القصص بجرأة مشكلة المواطنة، ومفهوم الوطن، وحقوق الإنسان، والقوانين التي تحمي العامل، وهي لا تخلو في هذا الجانب من المباشرة الخطابية وضغط الخطاب الأيديولوجي ومحاكاته على مستوى الشعارات المطروحة، ولاسيما أن معظمها قد كتب في الفترة التي بلغ فيها المدّ القومي واليساري أوجه.

أما في المستوى الثالث فإن القصص تسلط الضوء على مشكلة الاتجار بالعمالة الوافدة، ونمو شريحة طفيلية، نفعية، لا يهمها سوى الربح، وما تتركه هذه الشريحة من آثار سلبية على مجمل النشاط الاقتصادي والاجتماعي. وبذلك تغوص هذه القصص وراء زبد الواقع ومظاهره الخادعة لتلتقط تياراته العميقة، فتصور لنا برؤية نافذة شرائح من المجتمع، ونماذج من الناس المعمورين، النابضين بالحياة، في تفردهم الإنساني الخاص، ضمن شروط قاسية تحاول أن تستلب حريتهم وكيانهم وإنسانيتهم. لكنهم مع ذلك يقاومون، وينتصبون أمامنا بقاماتهم العالية بكل قوة، فتنطبع صورهم في الوجدان والذاكرة ولا تغادرها أبدا.

فالفرّاش «أبوشاكر» الذي يستغنى عن خدماته بعد ثلاثة وعشرين عاما من العمل المتواصل والمخلص، يحس بالمرارة والألم لكنه لا يهزم، ويردد أمام السائق أبي سليم الذي ينتظره المصير نفسه «الإنسان لا يموت». والعامل «مكني» يكابد مرارة البعد عن أولاده طوال خمس سنوات دون أن يحظى بإجازة واحدة، وحتى عندما يرفض طلب إجازته ويحس بانكسار عميق، يعود إلى متابعة عمله لأنه مصدر عيشه الوحيد، ولا خيار آخر أمامه سوى تحمل المسئولية بشجاعة. و«عبدالزهري» يرى بعينيه كيف تلتهم النار عرفته الخشبية، وجسد أخيه النائم، في بلاد ليست بلاده، وأرض ليست أرضه، دون أن يتمكن من فعل أي شيء. وأبوإسماعيل يموت فوق معوله تحت سياط الشمس اللاهبة رافضا الاستجداء والتذلل إلى رب العمل. ثم الطفل «وليد» بائع الجرائد الذي كبر قبل الأوان ليتحمل مسئولية الأسرة مع أبيه بعيدا عن مدرسته وملاعب طفولته ويبلغ الاستلاب أقصاه في قصة: «ليلة أخرى» حيث العمل من السادسة صباحا حتى السابعة مساء يمتص كل قدرات البطل إلى الحد الذي يحرمه من أي متعة إنسانية مع شريكة حياته.



إنها قصص العمال الوافدين الذين ... من كل مكان بحثا عن «الرفاه الموعود» و ... ما أن تطأ أقدامهم أرض الواقع القاسي ... يتبخر ذلك الحلم اليوتوبي ... ويتلاشى. وحتى هؤلاء ... تواتيهم فرص النجاح و... الثراء المادي سرعان ما يكت... أنهم خسروا أنفسهم، ودا... وربما أوطانهم.

ـ الجانب الآخر من الصورة نجد أنماط السلوك
الـ ـسولي والنفعي، الذي لا يهمه سوى الربح ولو كان
عـ حساب الاتجار بأرواح الآخرين.. فأبوعجاج لا
يتـ ـرع عن بيع قوة العمال إلى الشركات بأثمان بخسة
متـ ـترا وراء كبر سنـه، ومستغلا بعض الثغرات في
قـ ـانين العمالة التي تسمح له بذلك. والمهندس
(المعهد) لا يسأل عن مصير العامل الذي سقط من
الدور الخامس قدر سؤاله عن أجرته اليومية والمبلغ
الذي سيقبضه عنه من التأمينات!! إنه الصراع بين قيم
الحق والعدالة وقيم الأنانية والجشع. والكاتب في
ـصده وتصويره لهذه الحالات والظواهر إنما يحاول أن
ـقدم صورة حية عن أثر التحولات الاقتصادية في
سلوك الناس وميولهم واتجاهاتهم.

على المستوى الفني نجد تنويعا كبيرا في أساليب
ـلسرد، وبناء الحبكة الدرامية، واستخدام مختلف
التقنيات الفنية، ابتداء من تحطيم وحدتي الزمان
ـالمكان عبر العناوين الداخلية، ومرورا بوسائل
التوزيع الخطي والطباعي، وانتهاء بالاستخدام المرن
ـلضمائر السرد، وأشكال الزمان، وتوظيف الوصف في
ـلتفسير والترميز.

ففي قصص: «الإنسان لا يموت» و«إجازة»
«الموت مجانا» و«ليلة أخرى» و«مجبور» ينهض السرد
ـن موقع الراوي الذي يتكيء على واعية الشخصية
ـركزية عبر ضمير المخاطب في محاولة لرصد
ـتداعيات الحرة للبطل التي تتداخل فيها الأزمنة
ـتحيلة أو المتذكرة مع الأحداث المعيشة في نسق زمني
ـتقطع في سيره من الحاضر إلى الماضي، ومن الماضي إلى
ـستقبل: «مازالت تتذكرها ليلتك الأولى هنا في
ـكويت» (ص١٢). «يوم باشرت عملك أرسلوك إلى
ـذه المدرسة، ولم تزل تجلس في الغرفة ذاتها. ثلاث
ـعشرون سنة انقضت وأنت تجلس فيها» (ص١٣).

ويتجاوز الوصف وظيفته في تحديد المكان ومظاهر
لأشياء إلى إلقاء ظلال أخرى تتضافر مع بقية العناصر
ـكتشف عن علاقة الشخصية بمحيطها ومدى التأثير
ـتبادل بين الإنسان والأشياء: «طول يومك وأنت متهالك
ـن ـرسيك، تقابلها: الخزانة التي بهت لونها، وحوض
ـمـاء الأبيض، وخلفها الحائط الأصفر» (ص١٤).

ـو الخزانة الباهتة، والحوض الأبيض، والحائط
لأصـ ـفر، ليست سوى ظلال لشخصية الفرّاش أبي
ـسكـ الذي بات يواجه مصيره المؤلم بعد عمر طويل
قضاه في العمل المتواصل دون أي ضمان لشيخوخته
المهددة بالموت.

أما ضبابية المكان في معظم القصص، وعدم العناية
بتفاصيله، فربما تعود إلى تلك العلاقة الواهية التي
ترتبط من خلالها الشخصيات بعوالم غريبة وطارئة على
ذاكرتها، ولا تمثل لها في النهاية سوى محطة من محطات
الاغتراب والنفي الجديد.

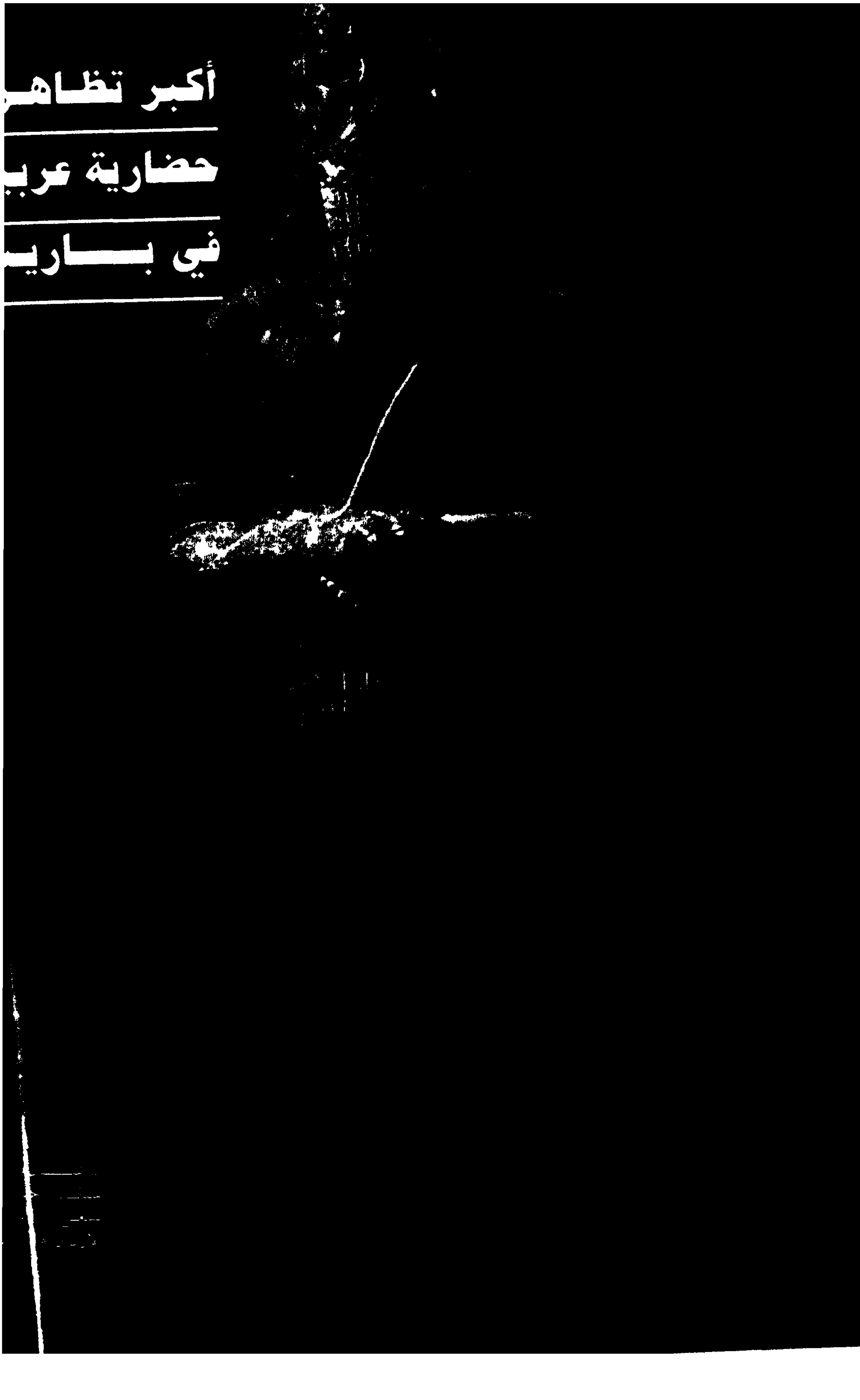
وإذا كانت هذه القصص تقوم غالبا على حبكة
تقليدية قوامها تعلق السابق باللاحق بشكل مطرد،
فإن قصتي: «أبوعجاج طال عمرك» و«تحت الشمس»
تتحطم فيهما الحبكة التقليدية ببعديها الزماني والمكاني
عبر الترقيم الداخلي للمقاطع والعناوين الفرعية التي
تشكل وحدات ارتكاز في تنامي الحدث من جهة، وفي
إضاءة دواخل الشخصيات والكشف عن الصراع
بزواياه المتعددة من جهة ثانية.

فالعناوين الأربعة في قصة: «أبوعجاج طال عمرك»
وهي: «فتحت الإشارة» «منتشيا يتحرك»، «رويدا
أكمل طريقه»، «بسلامة أبي عجاج» تعطي لكل مقطع
محتواه ودلالته الخاصة واستقلاليته الفنية، كما أنها
تشكل بمجموعها وحدة متكاملة توضح تطور
الحدث، وتكشف عن سلوك أبي عجاج ودوافعه
الخفية في مواقف متباينة، وتخلق فاعلية تعبيرية موازية
للفكرة التي تحاول القصة إيصالها إلى القارىء.

وعلى المنوال نفسه تتوزع قصة «تحت الشمس» ولكن
العناوين الفرعية هذه تشكل وحدات بنائية داخل نسيج
القصة دون أن تستقل بذاتها، وتقوم بوظيفة القطع المكاني
والزماني، وتسريع وتيرة الحدث عبر التلخيص المكثف
والانتقال المفاجىء من مشهد إلى آخر.

إن التناغم في هذه القصص بين الشكل والمحتوى،
والبعد عن النزعات العدمية، وعن التصوير الذهني
والفانتازي للواقع، يعطي لهذه التجربة في تناول
مشكلات العمالة الوافدة مكانتها المهمة في تعميق
الاتجاه الواقعي للقصة القصيرة في الكويت.

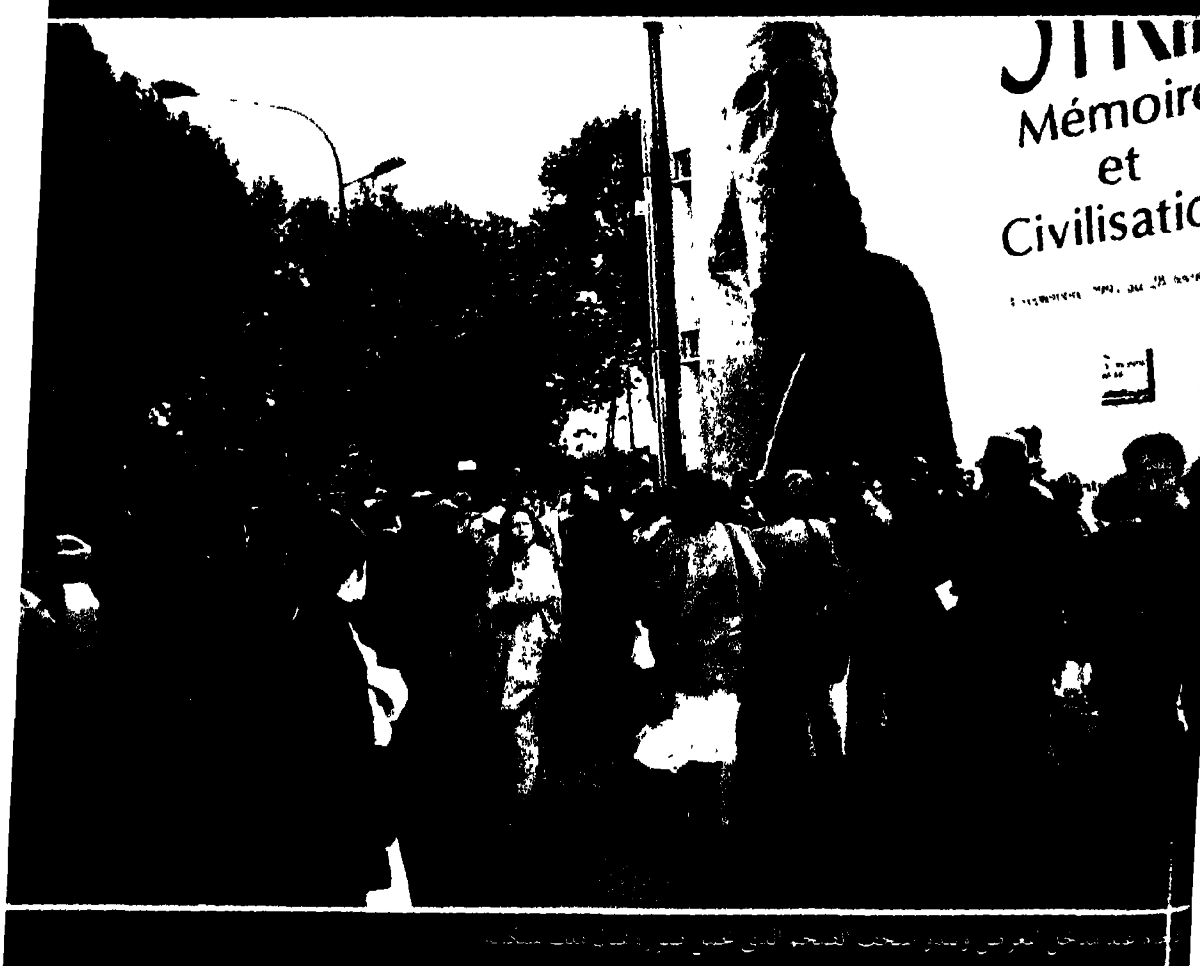
إن التنوع الكبير في التقنيات الفنية، والحرص على
البعد الدرامي، والتكثيف الذي لا يخل بمحتوى
ودلالة النص، وسبر أغوار الواقع عبر رؤية نفاذة
وفنية عالية، والبعد عن المباشرة الفجة والإقحام
الأيديولوجي، كل ذلك يجعل من هذه المجموعة
القصصية علامة ناصعة في مسار القصة القصيرة في
الكويت.□


أكبر تظاهـ
حضارية عربـ
في بـــاريـ

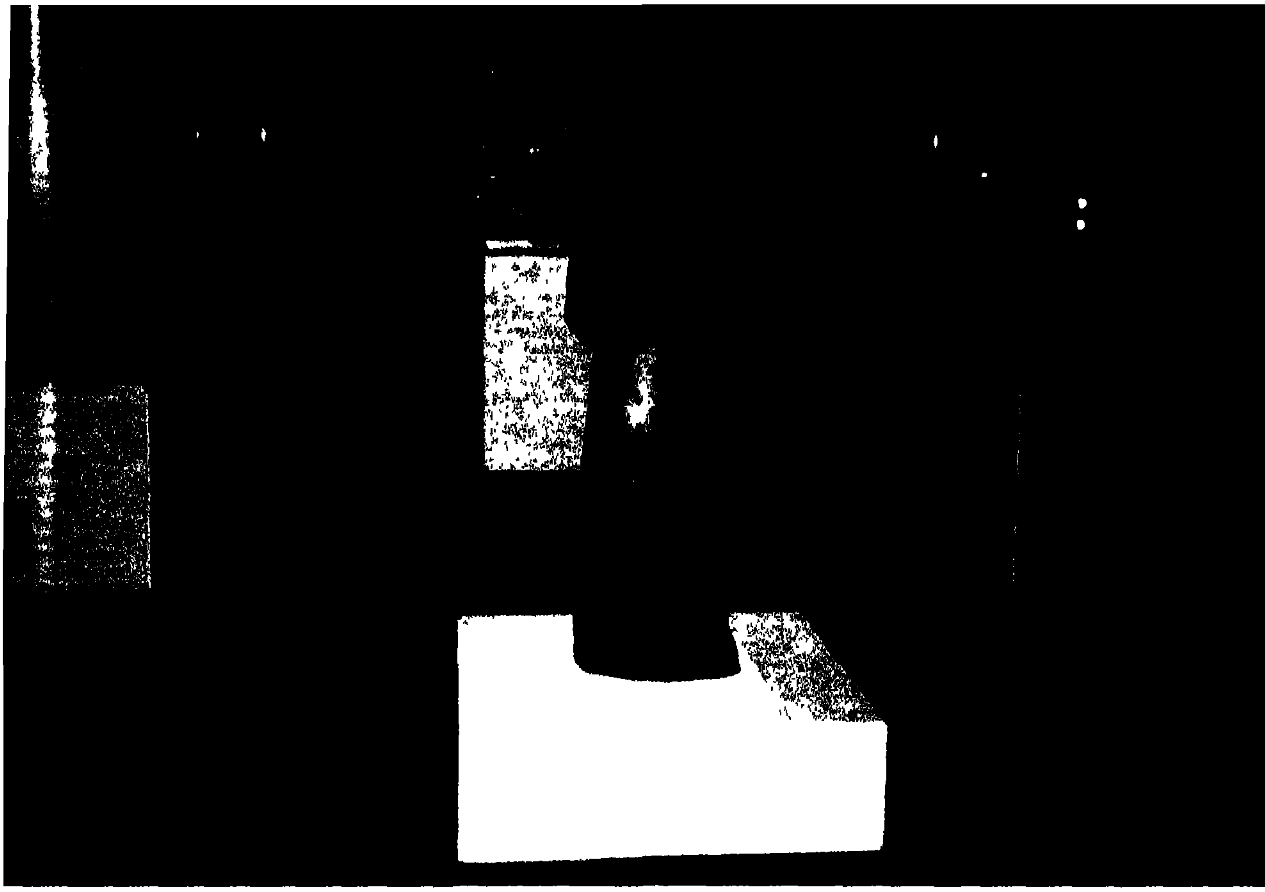
«سورية، ذاكرة وحضارة» أول معرض أثري يمتد إلى مليون سنة

استطلاع وتصوير: صالح الأشمر

لم يكن معرضا أثريا عاديا هذا الذي أقيم في معهد العالم العربي في باريس تحت عنوان «سورية، ذاكرة وحضارة» ولكنه تظاهرة حضارية ثقافية كبرى لم يسبق لمعرض آخر عن سورية أن كان بمثل هذا الشمول والتناسق والغنى في القطع المعروضة على مدى زمني هائل يمتد من مليون عام حتى القرن الماضي.



[illegible]



□ مشهد في المعرض يتوسطه تمثال اشلانوب ـ ايلوم ملك مأرب (الألف الثالث) وعند الركنين أسدا ماري

احتوى ذلك المعرض لا على ذاكرة بلاد الشام فقط ولكنها شملت أيضا ذاكرة بلاد ما بين النهرين في إطار الدائرة الحضارية الكبرى للمشرق العربي القديم، دائرة تفاعلت فيها إبداعات شعوبها القديمة الأصيلة والشعوب الوافدة العابرة منها والمتأصلة، وما أنشأوا من ممالك وأسسوا من عمران، وابتكروا من معارف وحاضوا من حروب: سومريون وحوريون وحتبون وأكديون وآشوريون وآراميون وعرب، بل هي الحضارة المؤسسة لكل حضارات البحر الموسط، وذاكرة الصراع والتفاعل بين الشرق والغرب منذ انتصار الإسكندر المقدوني على الفرس في موقعة إيزوس عام ٣٣٣ قبل الميلاد، وما تلا ذلك من عهود إغريقية ورومانية وبيزنطية حتى قيام الإسلام وتأسيس الدولة العربية معيدة لسورية والشرق العربي كله هويته الأصيلة لتبدأ دورة حضارية جديدة في الاتجاه المعاكس من الشرق إلى الغرب حيث بلغ التفاعل الحضاري أوجه في الأندلس العربية وما تلا ذلك من عهود إسلامية حتى أواخر العهد العثماني.

إذن، هي ذاكرة الشرق والغرب معا ينعشها في هذه الأيام معرض سورية الأثري، هذا الذي يوجز رئيس معهد العالم العربي انطباعه عنه، إذ يقول للعربي بعد جولة تفقدية على المعرض سبقت افتتاحه رسميا مساء الثالث عشر من أيلول / سبتمبر ١٩٩٣ ويستمر حتى نهاية الشهر الجاري في حضور وزيرة الثقافة السورية الدكتور نجاح العطار ونظيرها الفرنسي جاك توبون: «أول ما يستوقفني في هذا المعرض ويدعوني للتأمل هو معنى الزمن في استمراريته، فها هنا حجر عمره مليون عام قطعته يد الإنسان وأحسنت نحته وصقله، فجاء جميلا متقنا، ومذ ذاك ما انفكت تتوالى آثار عمل الإنسان في أرض سورية بلا انقطاع، هناك نشأت المدن، واخترعت الأبجدية، وتبـ ـت الحضارات المتعاقبة في حوض البحر المتوسط، وها هنا تنبثق كترسبات من طبقات متتالية حتى أحدث العصور».

مسار هذه الرحلة الحضارية الفذة يقتفيه على نحو مثير للإعجاب مصمم المعرض فيليب كوفمان ... أبرز مهندسي المعارض والمتاحف الفرنسيين ... هندسة داخلية وتوزيعا للقطع على أحقابها في ...رة متميزة تتناغم وأجواء كل مرحلة حضارية، فالـ...



□ أثناء افتتاح المعرض، ويبدو من اليسار إلى اليمين· وزير الثقافة الفرنسي جاك توبون ووزيرة الثقافة السورية الدكتورة نجاح العطار ومدير معهد العالم العربي ادغار بيزاني وسفير سوريا في فرنسا الدكتور حنين حاتم يتأملون تمثال ملف ماري مستمعين إلى شرح الخبيرة الفرنسية صوفي كلوزان (بين توبون والعطار).

يبدأ برواق ظليل ينساب متلويا كأنما يحكي بزوغ فجر الإنسانية وتقدمها المتعثر على درب التقدم الطويل، وعلى جوانب هذا الرواق تتوزع نماذج من أولى الأدوات التي صنعها الإنسان القديم في سورية متدرجة تنوعا وإحكام صنعة، ومع كل نموذج من هذه الأدوات التي لا يبعد أحدها عن الآخر بأكثر من خطوة مسافة زمنية تعد بآلاف السنين.

ولا تلبث وتيرة تقدم المهارة الإنسانية وتنوع حاجاتها أن تتسارع مع اقتراب الألف العاشر قبل الميلاد لتبدأ مرحلة التحول الحاسم من حياة القنص والالتقاط والتنقل إلى الاستقرار في بيوت من صنع الإنسان لا تلبث أن تشكل قرى تجمع إلى الصيد والالتقاط ممارسة الزراعة وتربية الحيوان مقدمة لنشوء مدن، وتمثل هذه المرحلة مجموعة من القطع الأثرية التي عثر عليها في العديد من المواقع السورية، وبـ صة في موقع «مريبط» تلك القرية التي نشأت على ـ ـت الأوسط منذ ما يقرب من عشرة آلاف سنة وكـ ـ من أقدم الأماكن التي عرفت الزراعة وتربية ـ ـ في العالم ما يجعل سورية وبلاد الرافدين مركز انتشار هذين الابتكارين الحاسمين نحو الشرق والغرب حتى أوربا.

بعد ذلك يفضي المعرض إلى القاعة المركزية التي تحتوي على تحف ونقوش وتماثيل تعود إلى عهد ازدهار المدن السورية القديمة، في الألف الثالث قبل الميلاد مثل ماري وإبلة وأوغاريت وإمار وغيرها من المدن التي كان لاكتشافها تأثير كبير في مجال معرفة تاريخ سورية وبلاد الرافدين كشف عن جوانب كثيرة كانت لا تزال غامضة منه، وحرر تاريخ سورية القديم من مجرد التبعية لما بين النهرين إلى كيان سياسي حضاري متميز وإن لم يخرج عن الإطار الجامع بين كل التعبيرات الحضارية التي شهدتها المنطقة في تلك العهود السحيقة، وقد تم ذلك عن طريق الوثائق التي عثر عليها في كل من ماري وإبلة على شكل رقم منقوش عليها بالمسمارية، وباللغات السومرية والأوغاريتية والآرامية معلومات اقتصادية وسياسية ودينية على جانب كبير من الأهمية، ونرى نماذج من هذه الرقم في هذه القاعة التي يجثم عند ركني عتبتها أسدا ماري اللذان كانا

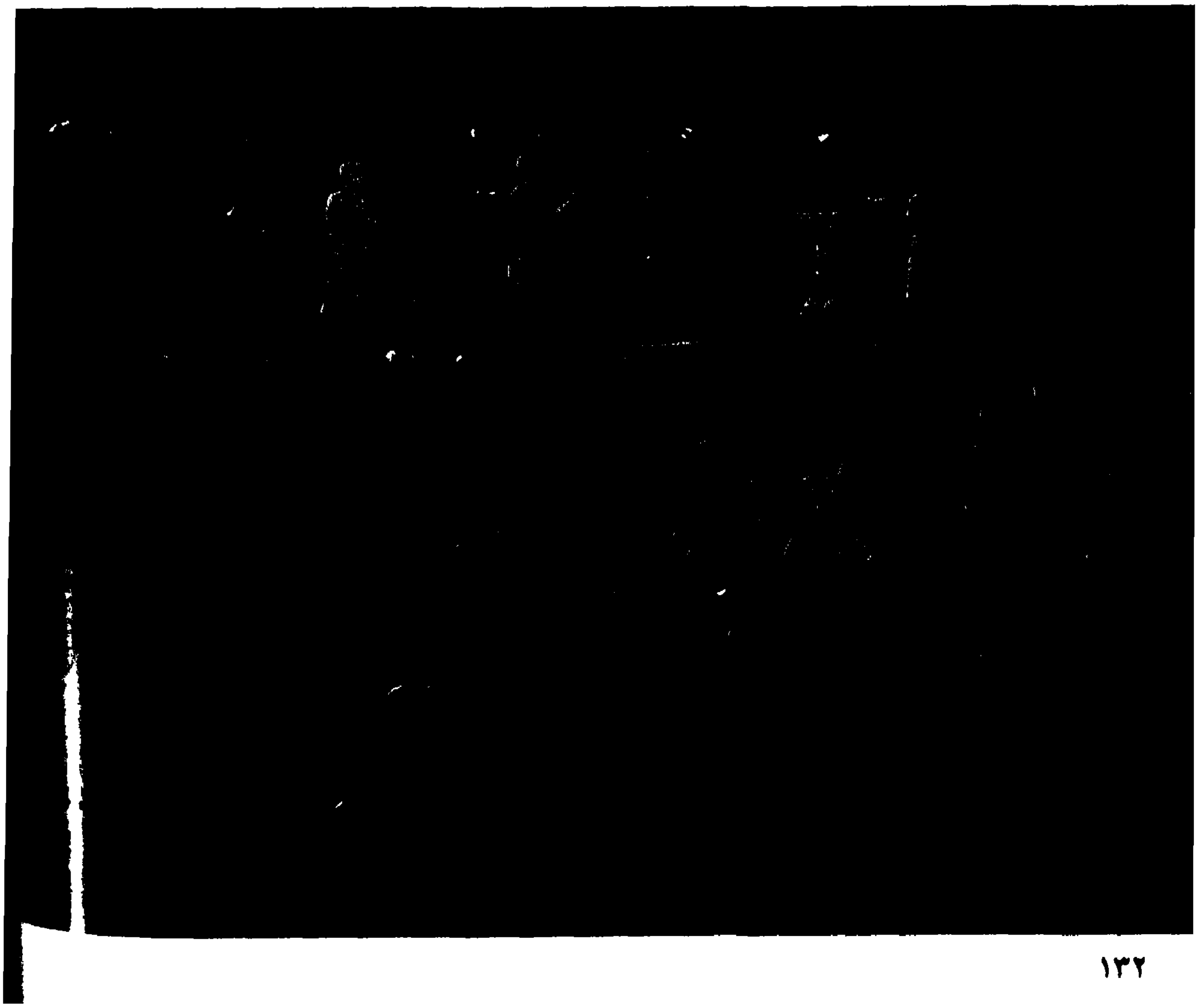
يحرسان أحد معابدها قبل دمارها ونهبها على يد حمورابي عام ١٧٦١ قبل الميلاد، وهما يلتقيان هنا للمرة الأولى منذ اكتشافهما عام ١٩٣٧ في موقع تل حريري ونقل أحدهما إلى متحف اللوفر، والثاني إلى متحف حلب.

وتلي ذلك آثار إغريقية ورومانية، أهمها رأس تمثال فيليب العربي ابن مدينة شهبا في حوران الذي أصبح إمبراطور روما بين عامي ٢٤٤ و٢٤٩ بعد الميلاد والذي اشتهر برد هجمات البرابرة على نهر الدانوب واحتفاله بالذكرى الألفية الأولى لإنشاء روما وتميز بتشجيعه الآثار المعمارية والفنية الرومانية ـ الشرقية وكانت مأثرته في سورية إقامة المدينة المعروفة باسمه «فيليبو بولس» في مسقط رأسه الشهبا، ورأس التمثال مدهش في ملامحه السورية العريقة وبالإكليل الذي يتوج رأسه على شكل عمامة.

وتنفرد آثار مملكة تدمر النبطية العربية بمكانة متميزة في المعرض، تلك العاصمة التي قيض لها أن تلعب دورا خطيرا بقيادة ملكتها زنوبيا «أو زينب» الصحراوية، في تاريخ المنطقة ومحاولتها تأسيس إمبراطورية عربية بسطت سلطتها على سورية ومصر وآسيا الوسطى قبل أن تحشد لها روما جيوشها بقيادة الإمبراطور أورليان الذي هزمها عام ٢٧٢ قبل الميلاد وقادها أسيرة إلى روما، وتتميز آثار تدمر بأسلوبها الفني البديع في فن النحت الذي نجد في المعرض نماذج منه بالغة الجمال والقوة التعبيرية.

وتتوزع الآثار البيزنطية على رواق أو ممر في المعرض كمرحلة انتقالية إلى سورية الإسلامية، ويفضي هذا الرواق إلى القاعة الكبرى الخاصة بالآثار العائدة إلى العصور الإسلامية، وهناك نرى العديد من التحف والخزفيات والأواني الزجاجية والأدوات الطبية والفلكية ومخطوطات قرآنية وكتبا علمية تمثل عهودا إسلامية عدة، وتتميز بوجود قطع نادرة من العصر

□ فسيفساء جدارية تمثل مشهدا طقسيا (الألف الثالث).





□ الدكتور عدنان البني يتحدث إلى العربي

الأموي أبرزها تمثال فقدت بعض أجزائه يعتقد أنه للخليفة هشام بن عبدالملك وقد عثر عليه في قصر الحير العربي.

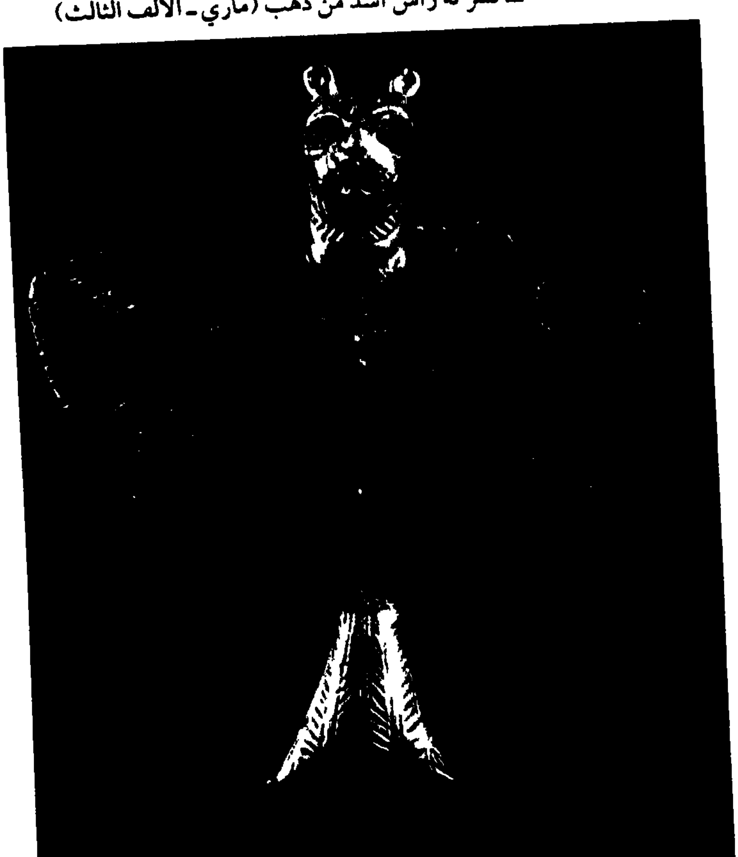
ولإلقاء مزيد من الأضواء على هذا الحدث التقت العربي الدكتور عدنان البني المفوض العام للمعرض ومدير التنقيب والدراسات الأثرية، وعضو مجلس الآثار في سورية، وكانت فاتحة الحديث ما يمتاز به هذا المعرض عن المعرض الذي أقيم منذ عشر سنوات في القصر الصغير «بيتي باليه» في باريس تحت عنوان «في بلاد بعل وعشتار»، فقال:

«ما يميز المعرض الحالي غناه بالمكتشفات الأثرية الجديدة التي تمت منذ عام ١٩٨٣، وزيادة كبيرة في القطع المعروضة التي لم يخرج معظمها من سورية قبل الآن، واستعارة قطع من بعض المتاحف الأوربية والأمريكية لا لنقص في متاحفنا الوطنية ولكن توخيا لحسن التمثيل وبخاصة للفن الإسلامي الذي يحتل في هذا المعرض مكانة كبيرة علاوة على أسلوب العرض المتطور من حيث البساطة في توزيع القطع وعدم اكتظاظها والإنارة الصحيحة التي تبرز جمال المعروضات في أقسام المعرض عبر تسلسل زمني منطقي ومترابط، وقد عنينا بتقديم النوعية على الكمية فلم نقصد إلى تقديم الضخم من القطع ولكن ما يمتاز منها بالمستوى الفني الرفيع وبالمغزى التاريخي، كما توخينا إبراز الدور الحضاري السوري في مختلف أبعاده وأزمنته، وأقصد بالسوري بلاد الشام من حيث إنها وحدة حضارية متكاملة، كذلك يرافق المعرض كثير من

□ تمثال «بعل» من البرونز ورأسه من ذهب (أوغاريت ـ الألف الثاني)



□ نسر له رأس أسد من ذهب (ماري ـ الألف الثالث)



الفعاليات الثقافية والعلميه والفنية السورية ما يجعله تظاهرة ضخمة لها مغزى عميق في هذه الظروف من حيث العودة إلى التعريف بدور العرب الحضاري وبخاصة في سورية ماضيا وحاضرا».

ومن عديد القطع التي تخرج من سورية للمرة الأولى لتقديمها في هذا المعرض يذكر الدكتور عدنان البني التمثال الذي ينتسب عادة إلى هشام بن عبدالملك مشيرا إلى أن ثمة نقاشا فيما إذا كان صاحب التمثال هو هشام فعلا لكنه على أي حال يبدو تمثالا لرجل عربي أموي من المرجح أن يكون خليفة وبخاصة أن على



□ جان كلود مارغرون مع أسدي ماري قبل نقلهما إلى موضعيهما في المعرض

رأسه تاجا على عمامة، وهناك تمثال آخر ملك لمدينة سيكانة في الجزيرة السورية واسمه حدد - يسعي وهو يحمل نصين بالآرامية والمسمارية ويمثل طراز الفن السوري في الألف الأول قبل الميلاد، وتمثال ملك إبلة ولعله أقدم تمثال عثر عليه في الشام حتى الآن، وتمثال إشتوب - ايلوم ملك ماري من الألف الثانية قبل الميلاد وكان قبل زمري ليم آخر ملوكها، ورأس فيليب العربي ابن مدينة شهبا الذي أصبح إمبراطور روما وبنى المدينة المسماة باسمه فيليبو بوليس في مسقط رأسه على الطراز الروماني وبالغ في بنائها وهندستها وفاء منه لبلاده وإعلاء من شأنها. ويتوقف الدكتور البني طويلا عند الإسهامات السورية الكبيرة في الدولة الرومانية والشخصيات العديدة التي لعبت فيها أدوارا مهمة من



□ فيليب العربي (شهبا ٢٤٩ - ٢٤٤ بعد الميلاد)

مهندسين ورسامين وحقوقيين وفلاسفة، فضلا عن خروج عدد آخر من الأباطرة منها وأولهم سيفروس وكان نصفه ليبيا وتزوج سورية اسمها جوليا دومنا كما تزوجت أخوات لها وقريبات من أباطرة وأنجبن أباطرة وكن يسمين «سيدات الجنس البشري».

ونذكر شخصية سورية مهمة أخرى هي إيلا غابال كاهن معبد الشمس في حمص الذي نقل المعتقدات السورية إلى روما، وأبولودور الدمشقي الذي كان بمثابة وزير للأشغال العامة في عهد الإمبراطور تراجان الذي اشتهر ببنائه العمود التراجاني والعديد من المباني في روما، وقد ألف الدكتور عدنان البني كتابا عن أبولودور يروي فيه سيرته ومنجزاته، ويخلص من ذلك إلى التأكيد على أن سورية لم تكن مجرد مستعمرة لروما ولكنها لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والفكرية والعمرانية وهو ما أراد منظمو المعرض التركيز عليه من خلال القطع المختارة من العهد الروماني.

آثار تدمر

وتحتل الآثار التدمرية مكانة مميزة في المعرض والحديث عنها مع العلماء والخبراء السوريين متع في ذاته لفرط الاعتزاز بهذه العاصمة العـ



□ منحوتة جنائزية سيدة مزينة بالحلي (تدمر القرن الثاني).



□ منحوتة جنائزية سيدة تحمل على كتفها طفلا (تدمر القرن الثاني).

الصحراوية التي تحدت روما وأوشكت أن تطيح بسلطانها في سورية والمشرق، وحين يتطرق الحديث إلى مميزات الفن التدمري مع المدير العام للآثار والمناحف في سورية الدكتور سلطان محيسن، يقول: «تدمر عربية في جوهرها وفي شكلها وهي امتصت جميع التأثيرات الفارسية والرومانية لتسكبها في طابعها المحلي الأصيل الذي يشكل مدرسة تدمرية فنية معترفا بها، بحيث يمكن التعرف على أسلوبها من النظرة الأولى، وتدمر محطة القوافل الكبرى تميزت بمحوتاتها التي جسدت الولائم الجنائزية خاصة، وكذلك المنحوتات التي تمثل القوافل، وكذا النائحات والباكيات والقبور التدمرية تحت الأرض وعلى وجهها والقبور البرجية، كل ذلك تدمري أصيل غير معروف في أي مكان آخر».

ويصف الدكتور عدنان البني الفن التدمري بأنه فن بواقع، فن الصحراء السورية وفن القوافل، تأثر من الجهة الغربية بالفنون اليونانية والرومانية، ومن الشرق من فارس والهند وقندهار لكنه حافظ على خصائصه المتميزة التي تتجلى في القسمات الشرقية الصحة والوضع الجبهوي للمنحوتات والعناية بالتفاصيل والزخارف والتأكيد على البعد الروحي أكثر من الحضور الجسدي. ونعود مع العالم الفرنسي جان كلود مارغرون مدير البعثة الأثرية في موقع مدينة ماري إلى استطلاع حقبة أساسية في تاريخ سورية وحضارتها منذ الألف الثالثة حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وقد أدى اكتشاف مدينة ماري في «تل حريري» عام ١٩٣٣ إلى إحداث ثورة في المعلومات عن ماضي سورية وبلاد الرافدين، وذلك بفضل أرشيف هذه المدينة الذي احتوى على أكثر من عشرين ألف رقم أو لوح دونت عليها بالمسمارية لغة سامية هي البابلية القريبة من العربية، وهي الثورة التي أكملها فيما بعد اكتشاف مدينة رباسة وأرشيفها الملكي الذي يرقى إلى الألف الثالثة.

ويوجز مارغرون تاريخ ماري في الألف الثالثة بناء على المعلومات التي وفرتها وثائق إبلة ليقول إن ماري التي هاجمها سرجون الأكدي «٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق.م» وأحرق قصرها «كما هاجم غيرها من المدن السورية القوية آنذاك» عرفت عهودا أقل قوة

فيها بعد ولكنها استمرت مركزا مهما حتى عهد آخر ملوكها زمري ليم «١٧٧٥ - ١٧٦١ق.م» قبل أن يدمرها وينهبها حمورابي البابلي.

وينوه مارغرون أولا بالنتائج الباهرة التي توصلت إليها البعثات السابقة التي قادها منذ عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٧٨ العالم الأثري الفرنسي أندريه بارو قبل أن يخلفه في إدارة البعثة، ويقدم تفاصيل عن استمرار أعمال التنقيب وبخاصة إعادة إظهار عدد من مباني ماري ولا سيما القصر الملكي والمعابد والبيوت والشوارع والقنوات والدراسات المستمرة لمعرفة المزيد من المعلومات عن مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية والدينية في ماري وسورية في تلك الحقبة مما لا يتسع المجال لإيراده في هذه المناسبة، ولكن نكتفي منه بإيجاز ما احتوت عليه وثائق ماري من هذه المعلومات وما يستخلص منها ومن نتائج عمل البعثة في المنطقة.


□ الدكتور سلطان محيسن

والإسهام التاريخي الكبير الذي تمثل في اكتشاف ماري والعثور على أرشيفها توج بين عامي ١٩٧٤ و١٩٧٦ باكتشاف الوثائق الملكية لمدينة إبلة التي أضاءت حقبة متقدمة نحو ألف عام من تاريخ سورية وبلاد الرافدين لتعطي الأولى دورا أساسيا ومتميزا في الحياة السياسية والثقافية والعمرانية للمنطقة كلها، وتبين أن إبلة كانت تقيم علاقات وثيقة مع ماري نحو سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وكانت نموذجا للمدينة - الدولة التي تبسط سلطتها على مناطق واسعة، وكانت لمملكة إبلة آنذاك أرجعية على مملكة ماري، وتتمتع بنفوذ سياسي وتجاري يمتد حتى أسفل بلاد ما بين النهرين.

وهذه الوثائق التي بقيت على الرغم من حريق القصر الملكي على يد سرجون الأكدي تزيد على عدة آلاف رقم أو لوح تمثل مجموعة مذهلة من الرموز المسمارية بما يعتبر أقدم مجموعة وثائقية معروفة في تاريخ العالم، وهي تقدم للمرة الأولى أقدم لغة سامية استعملت في الشمال السوري وهي تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية القديمة مثل الأكادية وإن كانت هذه أحدث منها، وتزخر الوثائق بالمعلومات السياسية والتجارية والإدارية في ذلك العصر، كما تشهد على التطور الذي عرفته على صعيد التنظيم السياسي والمعرفي، بدليل ابتكار كتبة إبلة لأول قاموس في التاريخ يتمثل في تلك الألواح التي تتضمن مطابقات بين لغة إبلة واللغة السومرية، مع قائمة مماثلة تتضمن أسماء نحو ٢٤٨ مدينة أو موقعا.

ويقول الدكتور سلطان محيسن إن وثائق إبلة غيرت المعطيات السابقة على اكتشافها فيما يتعلق بدور سورية القديم في المنطقة حين كان ينظر إليها على أنها مسرح للتأثير السومري والبابلي فجاءت وثائقها الملكية لتدل على دورها المتميز من حيث كونها دولة قوية ذات نفوذ سياسي وتجاري وحضاري كبير.

حضارة إبلة

ويقول الدكتور عدنان البني إن مكتشفات إبلة أكدت للمرة الأولى وجود سلالة سورية فيما كان تاريخ سورية يعرف من خلال تاريخ الرافدين ومصر، والآن تبين أن لبلاد الشام دورا بارزا ومهما جدا في الحضارة القديمة، وكانت إبلة مملكة ضخمة وحضارة متطورة من صناعة وزراعة وصياغة وفنون، كما كانت لها علاقات دولية واسعة لا تقل عن مثيلتها في مصر التي كانت لها علاقات مع ملوكها، كما أن سورية كانت تقوم بدور أساسي في نقل التيارات الحضارية بين الرافدين وعالم المتوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

ويضيف الدكتور البني إن السنوات الأخيرة شهدت اكتشاف مدائن سورية أخرى في أهمية ... وربما أكثر، ومن ذلك مثلا موقع «تل كيلان» ... تبين أنه ظهر في الجزيرة السورية مدينة من ... الألف الثاني تدل على وجود دولة منظمة ولها ... ومحفوظات وتمتد على مسافة تصل إلى الهلال الأوسط.

وكذلك قامت في جهات حلب دولة قوية ...



□ تمثال هشام بن عبد الملك (قصر الحير الغربي)

ملوكها يسمى شمسي ـ حدد وهو من أصل آرامي وعرف بسيطرته على مدينة ماري.

وفي هذا السياق أطرح مع العالم السوري موضوع الدراسة التي وضعها فريق من علماء الآثار والبيئة والجيولوجيا على رأسهم الأمريكي هارفي وايس والفرنسية ماري انياس كورتي بنتيجة البحوث التي اجريت في «تل ليلان» باعتباره موقع مدينة «شحنة» التي كانت من المدن التي سيطر عليها سرجون الأكادي مؤسس الإمبراطورية الأكدية التي غطت على جميع المدن والدول في بلاد الرافدين وسورية ومنطقة الخليج وفارس حتى الهند، واستمرت حتى عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد، لتزول من دون معرفة الأسباب الحقيقية لزوالها المفاجىء، وإن كان البعض يعزوه إلى الاضطرابات والفتن التي اجتاحتها وتخلص الدراسة إلى نتيجة مفادها أن العوامل الطبيعية وأهمها الجفاف الذي تواصل مدة ٣٠٠ سنة هي التي قهرت أول امبراطورية في التاريخ قامت في المشرق العربي.



□ موسيقي يعزف على الناي (أوروبوس ـ القرن الثالث).

ويرد الدكتور عدنان البني بالقول إنه ليس هناك سبب وحيد لبوار المدن، والناس لا تهجر المدينة العامرة نهائيا إلا لتصافر عوامل عدة أهمها انقطاع موارد الرزق، نعم الجفاف والحروب تلعب دورا حاسما، ولكن اذا استمرت مدة كافية ومتواصلة بحيث تمر أجيال عليها، ويضرب أمثلة من الواقع المعاصر ليقول إن بيروت مثلا لم يهجرها أهلها على الرغم من سنوات الحرب الطويلة، وفي المقابل فإن الفلاحين السوريين من حوران إبان سنوات الجفاف كانوا يعملون في لبنان في قطاع البناء خاصة، والبدو عندما يتجولون في الصحاري يتحولون إلى مناطق أخرى، ولكن تبدل المناخ وانقطاع الجفاف يقود إلى العودة لتلك الديار التي هجرت فترة، وإذن، المدن لا تزول إلا لسبب دائم ومتكرر يمنع معه الإنتاج الاقتصادي، والزلازل نفسها ليس عاملا لزوال المدن، فهناك العديد من المدن التي دمرتها الزلازل أو الحروب وأعيد بناؤها، وكذا البراكين تثور فتدمر مدينة ثم تهدأ فتعمر من جديد ما دامت تؤمن الموارد الاقتصادية الكافية، لكن إذا استمرت البراكين ظاهرة لسنوات عديدة فالمسألة مختلفة، وأما عن الإمبراطورية الأكدية نفسها، فبين تأسيس سرجون لها وسقوطها نحو ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة، وهذه مدة كافية لزوال إمبراطورية، وقد رأينا إمبراطوريات زالت وغيرها سيزول، وهذه سنة الحياة، لأن الدولة عندما تعطي الجهد الأعظم ويصبح لديها القوة الأعظم فلا بد أن تبدأ بالانهيار،



□ الزميل صالح الأشمر مع تمثال ايشتوب - إيلوم والفارق الزمني خمسة آلاف سنة.



□ رأس تدمري (القرن الثاني)

لكن الدول التي تستطيع أن تسير الأمور على نحو منطقي ومتوازن وتتوافر لها مقومات الاستمرار بصورة معقولة نعيش أكثر من غيرها فهناك إمبراطوريات وحضارات سادت ثم بادت من دون أن تستمر.

ويبدي جان كلود مارغرون تحفظا واضحا عن نظرية الجفاف التي تقترحها الدراسة منوها في الوقت نفسه بالجهود التي بذلها الفريق المعني، ويدعو في حديثه إلى العربي لمزيد من التروي في استخلاص نتائج أو أسباب لا تلبث المكتشفات الجديدة أن تظهر مدى التسرع في تبنيها، ويضيف أن أعمال التنقيب الأثرية في سورية لا تزال في أوجها وأن ثمة آمالا كبيرة في اكتشاف كثير من المعطيات التي ترد بوضوح وبإشارات لا تقبل الجدل على كثير من المسائل التي لا تزال غامضة أو ملتبسة أو حتى مجهولة من تاريخ هذه البلاد العريقة.

جسور الثقافة

ويقول الدكتور سلطان محيسن في سياق حديثه عن المكتشفات الأثرية الجديدة ومعطياتها التاريخية والحضارية:

«لقد درس تاريخنا القديم في شكل متجزئ



□ قنديل مسجد (نحو ١٣٣٧م)



□ قدح (نحو ١٣٠٠م)



□ قارورة (نحو ١٣٠٠م)

مقطع الأوصال إذا أردت، ونحن نركز من خلال المكتشفات الجديدة على ما نسميه بالأرضية الحضارية الواحدة منذ آلاف السنين، لقد بدأنا نتلمس تشابها ليس في الجانب المادي للحضارات القديمة فقط ولكن بجانبها الروحي أيضا، فالمشرق العربي القديم بدأ يتكشف عن كتلة حضارية واحدة تفاعلت وتشابهت أكثر مما ظن في الماضي، وبتنا لا ندرس تاريخ سورية والمشرق العربي من موقع الهيمنة المبالغ فيها للنفوذ الحضاري الغربي، ولكننا نجد أنه على الرغم من وجود سيطرة سياسية عربية أحيانا فالهيمنة الحضارية للمشرق العربي بقيت هي السائدة، ويمكننا الكلام بثقة عن إطار أو بوتقة حضارية واحدة للمشرق العربي القديم من النيل إلى الفرات ومن العقبة إلى طوروس، مع وجود دوائر حضارية صغرى بحسب مراكز الاحتكاك، وهي تتميز فيما بينها كما يتميز الآن بلد عن بلد أو منطقة عن منطقة».

على أن هذا المعرض كان ثمرة جهود استغرقت نحو عام وساهم فيها عدد كبير من العلماء والمختصين والمسئولين في مجال الآثار والمتاحف، وقد أعربت وزيرة الثقافة السورية نجاح العطار عن أهمية هذا الحدث بقولها للعربي:

«تنامى منا بدور الثقافة الراهن في هذا العالم المضطرب أردنا أن نبني جسورا معرفية للتواصل وأن نحقق ذاتنا عبر إبراز الوجه الحضاري لأمتنا العربية، وفي اعتقادي أننا تمكنا في هذا المعرض الذي هيىء له طويلا وتم اختيار قطعه بعناية أن نقدم صورة واثقة لما صنعه الأجداد في زمن بدأ الناس فيه لا يؤمنون كثيرا بهذا الماضي العظيم الذي نعتز به كل اعتزاز دون أن يحول هذا بيننا وبين أن نقدم في الحاضر وفي المستقبل ما قدمه الأجداد في الماضي، نعتقد أن جذورنا راسخة في الأرض، وأن غصوننا تسمق وتسمو، وأننا سنحقق في هذه المرحلة الكثير الكثير إيمانا منا بالطاقات الكامنة لدى شعبنا العربي وبقدرتنا على حوار العالم بمنظور ثقافي إبداعي نستطيع من خلاله أن نحقق أهدافنا التي نسعى إليها وقيمنا التي نريد أن نسمو بها وتسمو بنا».

.. وكلمة أخيرة قالها رئيس معهد العالم العربي إدغار بيزاني للعربي من وحي المناسبة: «هناك، في مكان من العالم، عند ملتقى ثلاث قارات، إفريقيا وآسيا وأوربا، بقعة من الأرض ولدت عليها الأديان التوحيدية الثلاثة، وتعاقبت فيها كل الحضارات التي أسست العالم الحديث، تلك الأديان والحضارات تصارعت فيما بينها، واستمرت، أما آن الأوان لكي تلتقي لبناء المستقبل؟!» □

تحاورهم، تتحداهم. وقد تمزقهم ولا تسأل. والسؤال الكبير الأول الذي ارتسم في جبيني:

ترى من ذا الذي من شعراء المهجر وأدبائه وصف بعض هذه الطبيعة؟ غلغل في صدرها كالعصفور. تلامس التلامس الحميمي معها؟ من كتب عن زلق المراكب الخشبية في الوديان فإذا هي عجين من دماء وبشر وشوك؟ من ذكر قطاع الطرق وعصاباتها تغير على السابلة، وللتوركو النصيب الأوفى من النهب والعذاب؟ من وصف لهاثه الحار على صخورها المدببة؟ استغاثاته على جارف سيولها؟ دبيب الهول في أعصابه وهو بين الغابات يترقب الضبع والفهد والذئاب من أعلى الأشجار أو أفعى البوا الزاحفة في صمت عند رأسه؟ من حكى عن المراكب النهرية يركبها المهاجرون زاحفة على الماء يوازيها غدقا على الحافتين، ويتكىء متعب من المتعبين على بعض أعمدتها، ويغفو فإذا هو في الماء طعام للسمك؟.

ما عرفت أحدا حكى بعض هذا أو نظمه في قصة أو رواية أو أنشده في ديوان، مر كل ذلك على صفحة خرساء، فأين المهجر في أدب المهجر؟ هل الأدب الذي وصلنا يعكس ولو ملامح باهتة من صورة هذه البيئة الجديدة التي عاش فيها وغاب في ترابها المغترب كالسكين؟ هل كان فيه تنوع الغابات البكر وعفنها الأبدي؟ هل دغدغته ثلوج الأندس الخالدة على القمم السماوية؟ هل حكى صراع الإنسان للوحش والطير والأفعى؟ وللشلالات تهدر هدير الجحيم وللبراري المقفرة مملوءة الأبعاد بالشوك؟ وهل روى قصة السائل كالبحار ذات الموج، والوديان يتدفق فيها الزهر البري ألوان قوس قزح، والنجوم كالربيع الأسود خرساء لا مؤنس غيرها في الليل البهيم إلا الذئاب؟.

أسفا.. ما من شيء من ذلك كان، مرت تلك الطبيعة البدائية بوحشيتها البكر على قبائل مطفأة الجفون، فكأنها لا مرت ولا مروا. ويأتي بعد هذا السؤال الثاني ـ وهو ابن الأول ـ عن تلك الملحمة الرهيبة التي عاشها المغتربون في المهاجر، أقول ملحمة ولو وجدت كلمة أعنف وأضخم لاستعملت، فقد كنت هناك سنين عددا، وباعتباري كنت دبلوماسيا فقد كنت كاهن الاعتراف للكثيرين، وأطوي الصدر عما لا ينتهي من المآسي والأسرار فلن أتحدث إلا عن جانب ضئيل عادي منها.

منذ نيف ومائة سنة بدأت جماعات من المغتربين تتسلل على ظهور البواخر إلى «أمالكا»، كانت في خيالها أرض الذهب والنجاح السهل، وانتشر الخبر كالوباء في القرى الجبلية البخيلة ما بين فلسطين ولبنان وسوريا، المهاجرون الأولون حملوا بعض المسابح والأطواق والأيقونات الزائفة يبيعونها هناك باسم أنها آتية من الأراضي المقدسة، وركض أحد المهابيل في القرى الجبيلة اللبنانية يصيح:

ـ آباؤكم! أولادكم! على البحور! على البحور.

وكانت الصيحات تتردد كأنها دعوة إلى ملمة الذهب. صارت حلم الشباب والمغامرين بعضهم باع قطعة الأرض الموروثة عن جده، والآخر أساور أمه، وثالث رهن بيته وشجرات التين التي حوله، ورابع استغنى عن الكرم والمعصرة، وتدفقت الدريهمات إلى صناديق وكلاء البواخر.. إلى أين؟ إلى «أمالكا». لم يكن أحد من هؤلاء المغامرين على الموج يعرف أين هي «أمالكا» هذه!! كل الذي يعلمونه أنها بعيدة جدا وراء



البحور، بعضهم أنزله وكلاء البواخر في مرسيليا أو على سواحل جزر الأنتيل، وبعض في أراضي السرتـ القاحلة بالبرازيل، وبعض في الأرجنتين، أو على شواطىء نيكاراغوا أو فنزويلا أو كولومبيا، كل وحد ولقد يتجمع جماعة منهم حول واحد يحمل بقايا ر كان تلقاها من قريب له في بعض المواضع فيرك الشاطىء معه، ويسافرون في بر الله قاصدين المجهول الذي قد يفاجأ بهم وقد يرحب في الغالب، يهرب!! فالقاعدة في المهجر «رب.. أسألك نفسي»!.

مع نزول المهاجرين إلى الباخرة التي تعوي شواطىء الشام تبدأ في الواقع الملحمة، كما ت السيمفونية بالمواء، ويبدأ الزحام والمماحكة وت الأكل، فإذا نزلوا على البر الآخر اشتد الضيق حتى

ـع درجة البكاء الأخرس، ولكن من العيب أن يبكي ـرجل إلا في ظلمة الليل، أنهار من الدموع ذرفت لا ـدري بها إلا المحدة الحجرية!! ويضيع المهاجرون في ـراري اللانهائية، والمدن العمياء وراء الرغيف، ـرغيف معلق بالسحاب!.

موجات الهجرة الأولى كانت تتصيدها ما بين أواخر ـرن الماضي ومطالع هذا القرن شركات المطاط ـمريكية، تلمهم على البواخر النهرية جماعات، وتوغل ـبهم في نهر الأمازون الهائل أياما وأسابيع، الماء من حولهم ـحول حتى ينسد الأفق، وتتراءى الغابات أحيانا هنا ـوهناك، ولا شيء غير السماء الممطرة وحفق الدواليب المحركة للمركب النهري، أنصاف عراة يسافرون في ذلك المصهر الاستوائي، تفترس الملاريا حمرة خدودهم والجوع المزمن يطحنهم طحنا، والويل لمن يثور، إن مصيره في معد «البيروا» تلك الأسماك الصغيرة جدا التي تعرق الجثة في دقائق. وتزرعهم المراكب على الشواطىء مع بعض الزاد، بين أحدهم والآخر كيلومترات عدة، مهمتهم الإيغال في الغابة الظلماء مع الوحش والهوام والحشرات يبادلون بالخرز والقماش مع الهنود سائل المطاط، حتى إذا عادت السفينة تلتقطهم وجدت بعضا قد أكله النمل المفترس، وبعضا فتكت به الوحوش، وبعضا اغتالته سهام الهنود!.. وتمضي السفينة لا تأبه.. فمن هم؟ إنهم مجاهيل، أسماؤهم الأصلية عيسى النجار أو حسين اللحام أو علي الريماوي سيت، بدلها لهم منذ وصلوا أصحابهم فهم ليسوا سوى: خيسوس كاربنتيرو، وحاسينتو كارنيرو، وإلياس ريما، فمن يمكن أن يسأل عنهم في تلك المجاهل حتى من أقربائهم؟. المحظوظون الذين يصلون المدن الكبيرة، يتشبثون بأرصفتها وهناك ينفقون آخر فلس من أثمان مسابحهم وأيقوناتهم المجلوبة في الخمر أو القمار الرخيص، أو يأكلهم الذباب في انتظار من يدعوهم لعمل.. ولا عمل إن صح إلا تصيد الفراش كل خمس بقرش، أو العمل في المحاجر بأنفاق الحال العميقة.. ويبدأ المغترب جولة المذلة على الأبواب، من ـباب لباب، يطرد هنا، ويصفق في وجهه المصراع هناك، ـيطارده الصبية في الأزقة:

- توركو! توركو!.

ـإلا طاردته الشرطة، أوراقك؟ جوازك؟ سكنك؟ ـحصتك؟ قبل أن ينالوا منه المعلوم!.

ـذات يوم جاءني صاحب أعرفه من حلب في سوريا، ـك أرمنيا نصرانيا، وقد وصل سان باولو قبل شهرين ـقد. ولكنه جاءني يبكي:

كيف السبيل إلى العودة؟.

وعرفت منه أنه جاء معه بكمية من الدولارات هي حصيلة عمره، صرفها فارتفع سعر الدولار بعد ذلك أضعافا مضاعفة فلم يعد معه ما يكفي ثمنا لبطاقات العودة. وقلت: ولماذا تعود؟.

قال: عندي بنتان في الثالثة عشرة والرابعة عشرة وقد اخترت لهما مدرسة الراهبات، وهما الآن تبكيان في البيت وتصران على العودة إلى كنف حدتهما بحلب، والسبب أن كل البنات يعيرنهما بأنهما ليس لديهما عشاق!!.

من يبكي الغربة الذابحة ؟

ما تناول شاعر مهجري أو كاتب موضوعا من موضوعات هذه الغربة الذابحة فبكى وأبكى، ما تحدث أحد عن الدروب كالثعابين تنزلق في عتمة الغاب، لا شيء عن الكوابيس الرهيبة التي كانت تزور المغترب كل ليله، وإذا ترق تعب بعض الليالي، لا خبر عن العذاب الذي كان يستريح في عروقهم كحيات الغضب، لا كلمة عن أولئك الذين كانوا يدفنون تعاستهم في الخمارات الرخيصة عند كأس مره! وينبش أحدهم من جيبه رسالة اهترأت منذ ثماني عشرة سنة ويقرؤها للمرة الألف، إنها الرسالة الأخيرة من الأهل قبل أن يضيع عنهم ويضيعوا عنه، ويروي بعضهم قصة بيعه للكرم والبيت، وبعد ستة أشهر لم يبق معه شروي نقير فكتب لرفاقه مع مكتوب أمه زجلا يقول:

قول للشباب الـ عالسفر لا يولفوا
وكل واحد بضميره يحلفو
تسعين مرة بقول باليوم القصير
كريستوف كولومبوس يلعن أم الـ خلفو

فيأتيه الجواب بعد فترة من بعض أصدقائه

حنا ابن طنوس، بالله بحلفك
على السفر والبعد شو اللي كلفك؟
كريستوف كولمبوس شو إللي عم تشتمه
عقلك براسك يلعن أم الـ خلفك

كل هذا الذي ذكرت ليس الملحمة الحقيقية، ولكنه بعض الصور الظاهرية منها، وبعض أطرافها الحانية، إنها ألصق بلحم المهاجر وأكثر إيغالا في أعصابه الثائرة مما نتصور، وفي قلبها من المآسي والفواجع ما يتحجر معه القمر وضوء الفجر، وتبهت القبور ويموت الموت!.

واحد فقط من الجيل الثالث للمغتربين كتب الملحمة ولكن بالبرتغالية! فجاءت صغيرة الحجم، عاجزة القوافي عن استيعاب الآلام الجحيمية، فلم يكن لها سوق حتى لدى المغتربين، فلا هم قرأوها ولا وصل الوطن منها

قافية! غرقت بين حيل لا يـريد أن يذكرها، وبين وطن لم تصله منها نسخة! أمـا في الأدب والشعر المهجري القادم من وراء البحـار فـلا خبر! أين آثـار هـذه الملحمـة التي خـرقت عظـامهم خـرقـا؟ أين نـاب الجوع في أمعـائهم كالسكاكين، ونهش القمل، والغـوص في الوحول تعلك بقايـا الأحذية، ورعب كل لحظـة من كلمة تـوركو؟ أين نزيف الدل، عانوه ثم عانوه وعانوه، كمثل مرارة الحنظل أو أشـد نكـرا؟ وأين ذكـر أولئك الـذين لفظهم المهجـر هياكل معروقة مسكونة بالسعال والسل؟ وأين خبر تلك الجماجم التي ألقيت على الطـرقـات وأكلتهـا الطيـور والوحش، وفـرغت أوقاب عيـونها فهي منبت للطحلب الأخضر؟ لا شيء من ذلك في الأدب المهجـري، لم أجـد شاعرا مهجريا أنساح الأمازون في شعره محيط وحل، ولا من استنـزل اللعنـة على ناطحـات السحـاب بـاعتبـارهـا مدقات لطحن الإنسان، ولا من وصف هوانه مع قطعان البشر بـالآلاف في مصـانع حنـرال مـوتـورر أو مـاجم النحاس في شيلي، أو آبار البترول في فنزويلا!.

ثلاث لغات .. ثلاثة آداب

ويأتي بعـد هـذا السـؤال الثـالث: ذهب المغتربـون إلى أمريكا، صربوا في أوسع أرض الله، اضطروا مرغمين أن يتحدثوا بالإسبانيـة والإنجليزية والبرتغالية، وإلا فكيف يتعاملون مع الناس أخذا وعطاء؟ وأولى وصايا السابقين منهم إلى الـلاحقين ألا يتحدثـوا بالعـربية، أنـا لا أتحدث عن الجمهرة الواسعة التـي كان معظمها على الأمية وعلى تعليق الأحـرف فحسب، ولكن عن الشعـراء والأدبـاء، أعني عن تلك الطبقة التـي فرضت نفسها شعـراء وأدباء للمهجـر، وصـدرت إلينـا إنتـاجهـا دواوين شتى وأدبـا ومجلات وصلت المئـات، هـؤلاء نـزلـوا في بيئـات تموج بـالشعـر ألـوانا وبـالأدب غـدقـا وبـالقصص لا ينتهي، ويرفـدها من وراء ذلك أدب إنجليـزي حصيب* وأدب إسباني وآخر برتغالي، ثلاث لغـات عريقة تصب إنتاجها في هـذه البيئـات الجديـدة، وتغنيهـا، كتـاب وروائيـون وشعراء من خمسة قرون كانـوا هم الخلفية الإبداعية لهذه الآداب، وحسبك بشكسبير وبيرون واليـوت وبـرنـارد شـو، وبسرفـانتس وعترتـه التـابعين حتى خيفيتس وساليناس وانطونيو واشادو ولوركا، إذا لم نذكر لوبه دي فيغا البرتغالي ورعيل البرتغال الكبير.

تـرى أين كان أدبـاء وشعراء المهجـر العرب من هـذا الفيض الهائل من الآداب الثـلاثـة؟ أكاد أجـزم أن أحـدا منهم لم يقـرأ حرفـا من هؤلاء جميعـا، ولا مر على مكتـ تبيع ما كتبـوا، اكتفى بالـدواوين العربية التـي تأبطها ـ الـوطن أو حفـظ بعضهـا في جيبـه وراح يهدر بـالشعـ والأدب، وليس في هـذا بأس أبـدا، ولكن أهـذا الشـ والأدب هو ابن المهجر؟ من وجهة نظر الجغرافيا بلى! ـ كتب في أمـريكـا، وأمـا من حيث المضمـون والأجـ الشعرية ولفتة الخيـال وهيمنة الأسرار فهل هو أمريكي؟ هل أخـذ وأعطى مع تلك الآداب الأخـرى فتأثـر بها أو قبس عنها، وأتى منها ببعـض الكنوز؟ ببعض الآثار التي تكشف تفاعلـه معها؟ ترى لو بقي هـذا الأدب المهجـ



في السويد أو روسيا أو ألمانيا يهدر بالقافية العربية عشرين وثلاثين سنة فهل كنـا نسمي هذه القافية شعـرا مهجريا؟ والذين يكتبون الآن قصائدهم في لندن وباريس ومدريد بالعربية ويصدرونها إلينـا منذ ثلاثين سنة لماذا لا نقيم لهم المهرجـان ونحتفل بشعرهم المهجري، أليسـوا والذين ـ أمريكـا سواء؟. شرط العـربة أن يظهـر أثرهـا في الأدب المغترب، أن يشعر القـارىء لها بطعم غريـب خاص، أجـد في الشعـر المهجـري إلا طعم بـلادي، فـاكهته زيتونها، نعناعها، عنبها والقطوف، لا الثمر الثلجي من ولا الاستـوائي، ولا زغـردة عصفـور الليل ولا الـ الأشهب ولا رقصة السامبا على ربـد الأمازون، فهل شعـر مهجري، أم هي بضـاعتنا ردت إلينـا ويرحم

* حديث جبران خليل جبران الذي استعار قلم غيره حديث آخر

ـاحب بن عباد؟!. ويأتي أخيرا السؤال الرابع: هل أثر ـا الأدب المهجري في الأوسـاط الأدبية التي نشأ فيها؟ ـ تـرك طابعـا أو أثـرا أو رمزا أدبيـا هـناك؟ قد يكـون ـواب بديهيا فمن لم يختلط لغـويا بالآداب الأخرى التي ـش في قلبها لا يمكنه أن يترك لمسة منه فيها، قد لا يبقى ـه هنـاك ولا طابع الأقدام في رمـال الشاطـىء، الإصرار ـى الانقطاع اللغـوي حرم أدباء المهجـر وشعراءه لا من ـأثير فقط في الآداب الأخرى ولكن من أن يعرفوا أيضا ـي مهـاجـرهم من قبل الجاليـات الأخـرى، هم هـناك ـكرات من التـوركو والماسكاتـه وباعة الكشـة، لا أكثر، ـحاي إلياس فرحات مرة يبكي قـائلا: تصور حتى ابني لا يعرف أني شـاعر! الأديب المهجري اختـار مع المهجر عربته الكـاملة عنه، فهو عريب كمن يـرطن بالصينية بين الطرشان! أولاده قد يعرفون أنه ينشد في المحافل:

رجعت والأشـواق تكوي الضلوع فلم
يخفف من حنيني الـــرجـــوع
أحس في البعــد وفي القــرب جـــوع
أيـن إذن أهلي وأين الـــربـــوع ؟
واحسرتي تهنا وتاه الدليل!

فيتضاحكون للعحور الـذي يبكي، لا يدركون أن كل مأساته كامنة في هذه الكلمات التي يجهلون.

ويـزين أدبـاؤنـا في المشـارق خـاصـة أدب المهجـر، ويكتبـون فيه ويحللـون، وأتساءل مـا الفرق بين قصيدة قالها أبوماضي في الإسكندريـة وأخرى قالها في نيويورك؟ وشفيق المعلـوف هل كـانت قصيدتـه في عزلـة المشتـاق تختلف لو أنـه قالها في رحلة أو جوبيه؟ والمجلد الضخم الذي يضم تـراث الشاعر القـروي هل هو إلا من وحي بلدته اللبـنانية «البربـارة» ولو أنـه كتب معظمه في سـان باولو؟ وهل كل هذا الـذي جاءنا من شعر وأدب المهجر أكثر من خمر عتيقة في آنية جديدة.. ولعلها عتيقة مثلها؟.

ولكي لا يسيء فهمي الأدبـاء والشعـراء في المهجـر وخارجه أسرع إلى القـول بصراحة ووضـوح إني لا أعتبر الأدب المهجـري شمسا زنجيـة أو أدبا مـزيفا أبـدا، ولعلي بالعكس أطرب لإيقاعاتـه الرائعة وأعجب أكثر حين أراه ـست في صخـر المهجـر العقيـم بهذا الألق الحلـو، ولكني أردت أن أوضح أنه شعرنا وأدبنا نحن هاجر مع المغتربين ليعود مرة ثانية إلينا بأثوابه وأطواقه وتكسر حليه، منبته في المهجر مـا أكسبـه شيئـا، وإن خسر، بلى خسر التجربـة ـرى في اللقاء مع البيئات الجديدة، وفي وصف التجربة ـي عاش، وفي التفاعل مع الآداب الأخرى.

ـيصـوغـون لـلأدب المهجـري المزايـا والنعـوت، ـولون إنه يتميز بالحنين إلى الأوطان، وأسأل: هل نسي الناس أن أول بيـت في الشعر العـربي في أول معلقة لأول الشعراء، و«حامل لوائهـم إلى النار» إمرىء القيس يقول في هذا الحين:

قفـا نبك من ذكـرى حبيب ومنـزل
بسقط اللـوى بين الـدخـول فحـومل

ألم يكن ربع شعر الشعـراء مـا حنينـا إلى الأوطان، من شعر الأقدمين إلى أحمد شوقي؟.

ويقولون إنه سلس اللغة، بسيطها، ترى ألم تتبسط لغتنا وتسلس بعد أن عادرها الرافعي والمنفلوطي وتولاها طه حسين وأحمد أمين، إنها إنما تبسطـت في المهجـــــر لأن معظمهم هناك لم يكـن يملك الثروة العربيـة التي نملك، ولا البيان القرآني الذي يدرج بيننا كل لحظة، ترجمة التوراة إلى العربية والتي تمت في أواخـر القرن الماضي كانت مجال قراءاتهم مع ما يرشح لهم من كتب المشرق.

أين كانوا يعيشون ؟

ويقولون إنهم كانوا يتحاوبون مع أفراح الوطن العربي ومآسيـه وبطولاته الثـورية وهـزاته وأحزانـه، أليس هذا دليلا آخر على أنهم كـانوا يعيشون معنا لا في مهـاجرهم، ويحسـون آلامنـا ألف مـرة أكثـر ممـا يحسـون آلام تلك المهـاجر؟ قلـوبهم وعيـونهم كانت أبـدا معنـا، وما كـان المهجر سوى المنفى الاضطراري لطلـب الرزق، وما كان ترحابنا بهم في جملته سوى تـرحاب بصوت مساند، يردد على البعد شكاوانا وآلامنا ونضالنا وفجائعنا أيام الزحف الاستعماري، ثم الاستقـلالات ومـآسي فلسطين!.. أمـا مشـاكل المهجـر نفسـه وقضـايـاه وعـواصفـه فما مـرت لمهجري ببال أو قافية، كأنما هي تجري في كوكب آخر!!.

.. ثم ذبل الأدب المهجري، وذبلت أعـلامه والمزاهر، كان نسغه منا وحروفه منـا ورائحة قديسيه منا، ولم يخرج أبدا عن المديح الذي نعـرف وعن الفخر والهجاء والغزل والـرثاء الـذي أثقل تاريخنـا الأدبي منذ العصـور الأولى، والآن قد مـات، مات هذا الأدب المهجـري كما لا بد أن يموت رغم بصيـص بعض الجمرات تحت الرمـاد، انطفأ القنديل لأنـه كان مستعار الـزيت، كان بلا جـذور وكان غـريبا في منبتـه، فـلا تبيض عيـوننا من الحزن عليـه، ولا تتحجـر الشفـاه! إنـه أدب عـربي مشرقي نبت جغـرافيـا بسبب هجرة أصحـابه بعيدا عنا عبر البحـار ثم عاد على الأشرعة إلينا، فلنطو هـذا السرادق العالي المنصوب، فقد آن أن نكف عن الصـــلاة في محراب زائف، وأن نصمت عن ترداد القداس الأسود.. للفراغ!.

هل تراني أقنعت أم أن عش الزنابير سيثور؟. □

حين تفرُّ العصافير

«نصوص صغيرة»

شعر: الدكتور إبراهيم البجلاتي*

فرار

ترمي العصافير الصغيرة صوتها
للورد،
وتطير خائفة،
ويكون بُعد.
ويكون ما رسم الفتى من قبعات للشجر
ومن خريف يستعد لرقصة
بين البيوت
ويكون أن يمشي وحيدا،
يهب الشوارع شهوة
أو ذاكرة.

همس

صفصاف يدخل شباكي،
ويطلُ عليّ
(مساءُ الليل)
ليل تركض فيه الخيل
ترقص فيه الجنيات
طعم القبل المشتبهات
لون الشاي،
صوت «نجاة»
ماذا ينقص هذا الليل؟

سيرينادا

في القلب خبأ وردة،
وأقام حفلا في الهواء على دمه
ولدٌ نحيلٌ ـ من هنا ـ
كفاه في بنطاله
«مرت عليه صبية من أهله
رمت بسهم ـ مثلما قال الكتاب ـ وفارقت»
مرت عليه أهلّة :
كفاه في بنطاله
في القلب يحمل وردة
ويقيم حفلا في الهواء على دمه
ولدٌ
نحيلٌ
من هنا

* شاعر مصري يعمل جراحاً بمستشفى شارل نيكول ـ روان ـ فرنسا

وع

ـد التقاء الميتين بأغنية
ـاءت أصابع لينة
ـصف عارية تسير،
وبجهده.
من حافة «البحر الصغير»
إلى الشتاء).
تجمع الوقت الذي ألقته أمواج المساء
بين أفواه الصخور
تمشط الجدران،
تشطر القمر العصيّ،
وتختفي

شجن

(كسرُ الزجاج بقلبه)
قال النديم لثالث: وأشار لي،
- وهناك من يمشي عليه؟
- وهناك من يمشي عليه.
طارت عصافير المدى من راحتيه،
حطت على سطح البناية،
رفرفت،
وحط آخرها عليّ.

مسافة

وما دخلتُ،
وما خرجتُ،
وما رحلتُ،
وما أقمتُ،
وما أمرتُ،
وما أطعتُ سوى دمي
وما قطعتُ سوى خطاي
إلى خواء الأمكنة.□



المكســـور يمشي والقـــزم يطـــول في

جراحة عبقرية

بقلــم: الــدكتــور عماد ســويــد
والــدكتــور خــالــص جلبــي *

أصبح بالإمكان وبطريقة الدكتور اليزاروف إنجاز ما كان مستحيلا التفكير فيه قبل عقد واحد من السنين، فالأقزام يمكن أن يطولوا، والمقعدون يمكن أن يمشوا، والمشوهون يمكن أن تستقيم أعوادهم. إنها جراحة عظام عبقرية لطبيب يوشك أن يكون إنجازه العلمي فلسفيا وروحيا. وهذه المقالة تتأمل في أغوار هذا الإنجاز.

أصيب جراح العظام الإيطالي «كارلو مونرو» بكسر في ساقه، تطور بعد المعالجة إلى اختلاط كريه، هو اندمال معيب متقيح مزمن، مما خلق لجراحي العظام الإيطاليين تحديا في معالجته، وكادت الحالة أن تفضي إلى البتر، وعندما حمل الجراح الإيطالي شكواه إلى زميله، أشار عليه بجراح للعظام، صعب الاسم، غامض الشهرة، يعيش في صقيع سيبيريا، ويقوم بجراحات جديدة مثيرة اسمه «اليزاروف».

استطاع «اليزاروف» أن يسيطر على الحالة، ويصل بها إلى شاطئ السلامة، فزال القيح، واستقامت الساق واندمل الكسر.

هذه القصة كانت السبب في خروج «اليزاروف» وطريقته من الشرنقة السوفييتية، والتدجين الأيديولوجي للعلماء، كما حصل من قبل مع أفيلوف وليزانكو في قصة علم الوراثة والأيديولوجية الماركسية، خرج «اليزاروف» من الشرنقة الضيقة ليطير إلى العالم بجناحي فراشة جديدة، وبذلك ولد علمه في العالم، وكتب له النماء، وسادت طريقته وأصبحت منهجا قائما بذاته في المعالجة. والآن ما هي الإثارة في طريقة «اليزاروف»؟ ما هو الجديد فيها في فن جراحة العظام؟ أية أفكار تسيطر على نواتها؟ أية منهجية توجه حركتها؟ بل لنقل أين الإبداع في هذه الطريقة؟

الحياة مليئة بالأسرار

في جو الصقيع والبرد الرهيب في «كورجان» جلس «اليزاروف» لفترة تزيد على نصف قرن وهو يتأمل الواقع البيولوجي، محاولا اكتشاف أسرار جديد[illegible] وقوى مجهولة، ومعادلات غامضة، وآليات لا تط[illegible] على السطح!!.

كان عليه قبل كل شيء كسر المسلمات السابق[illegible] والأيديولوجيات الدوغمائية في المعالجة الجراحية لا [illegible] مشكلة المشاكل، وجوهر الإعاقة العقلية هو ما أش[illegible] إليه القرآن، عن عقدة الآبائية ﴿ما سمعنا بهذا في آ[illegible] الأولين﴾؟!.

إن جوهر حركة التاريخ هو التطور الفكري، [illegible]

* استشاريا جراحة العظام، وجراحة الأوعية الدموية «على التوالي» بمستشفى الملك فهد التخصصي بالقصيم - المملكة العربية السعود

ـركة المجتمع مـن خـلال أفكـار
ؤى جديدة، ومعـالجات جديدة،
خـلال تنمية روح المبادرة تلك
ي أشار إليها عالم الاجتماع الألماني
ـاكـس فيبر» في كتـابـه «روح
ـرأسمالية» عندمـا اعتبرهـا أحـد
ـاصر انطلاق النهضة الأوربية، إن
حياة مليئة بـالأسرار، والسر يحرك
ـهية المعرفـة، ويفتح روح الفضول
ـلاكتشـاف، ولـو أرسـل خشـب
اشجـار المعمـورة إلى المصـانـع
لاستخراج الأقلام، ولـو أن بحار
الدنيـا السبعة تحولـت إلى مداد، تـم
سحـرت الأقـلام لتكتـب هـذه
الأسرار لفنيـت الأقـلام، وجفـت
البحار، ولم تنته هذه الكلمات ﴿**ولو أن مـا في الأرض مـن شجـرة أقـلام والبحر يمده من بعـد سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾.

عقل فيلسوف وهمة طبيب

كان «اليـزاروف» يرصد الـواقع
البيولوجي لاكتشاف قوانينه، والتي
سخر بموجبهـا، شأنه شأن الـواقع
الكـوني الخاضـع لكلمات اللـه،
فـالكـون يتسخـر أي يخدم مجانـا في
اللحظة التـي يتم فيها الكشـف عن
القانـون الذي يسيطر عليه، وهـو ما
أشار إليـه القرآن: ﴿**وسخر لكـم ما في السمـوات ومـا في الأرض جميعـا منه**﴾.

هـل تـأملـت السحليـة الصغيرة
عندمـا يحاول الطفل العبث بـذنبها
كيف تطرح ذنبهـا متخلصـة منـه
وهـاربـة إلى الحرية؟! ليتراكـم بعـد
ذلك على الذنب المفصول حشد من
النمـل في وجبـة شهيـة؟! لماذا لا
تملك أجسادنـا هـذه القدرة؟ فـإذا
قطع أصبع نما آخر مكانه!
ما الذي يجعل الخلايا السرطانية،
ـ لمانية؟



□ بجهاز بسيط وجراحة ليست معقدة يمكن للعظام أن تطول وتلتئم

لماذا يعلن السرطـان التمرد العام في البدن، ويقـود حملة عصيان مـدمرة لكل أجهزة الجسد؟ إن لعنة مرض الإيدز فجـرت عتبة اكتشافات جديدة للـدخول إلى الكنـز المقدس في الخليـة، لكشف اللثـام عـن تركيـب ثلاثـة مليارات من الجينـات ترقد فيها خواص الإنسان، في أعظـم مشروع عرفه الجنـس البشري هو أعظـم من ثـورة المعلومـاتية، ومشروع نـاسا لارتيـاد الفضاء، لأنه مشروع «اكتشاف الإنسان».

لقـد قبـع «اليـزاروف» هناك في الصقيـع يفكـر بعقـل فيلسـوف، وهمة طبيـب، وروح رائد مكتشف وبعبقـرية نفـاذة، لقد وصـل إلى فهم ثـوري

جريء، يعتبر قلبا لكل مفاهيم جراحة العظام، بل هي تقنية تتجاوز جراحة العظام لتطبق في فضاء الجراحات الأخرى.

في التصور القديم يبقى القزم ضئيلا، لا يرفع رأسا، ويطلب العون، ويستدر الشفقة، تتعثر قدماه في المشي ولسانه في النطق؟! من أصيب بالتشوه أضحى قدرا لا يمكن تغييره، ولا أحد يفكر في تغيير ما استقر عليه الانحراف؟! الاندمال المعيب والتقيح المزمن الكريه مصيره إلى البتر ولو بعد حين؟! المشلول كتب عليه أن يبقى مقعدا مدى الحياة، يتجرع الغصص، ويزدرد الحسرات، وعلى صاحب الكسر أن يجر طرفه الثقيل لأشهر طويلة بجبس أبيض يذكر بالقبور التي يصفّر فيها الريح، حتى يلتئم الكسر، وتتكلس الحواف.

وبذا فهمت العضوية على نحو جامد ثابت لا يتغير، ولكن هل الوجود كذلك والله يقول **﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾**؟؟ إن فهم الوجود على أنه كم ثابت يمثل نصف الحقيقة، ذلك أن الحياة تسبح بين الجمود والحركة، بين الثبات والتطور، بين الوجود والصيرورة، وعندما يتدخل الجهد البشري ليمط قصيرا، أو يصلح تشوها أو يقيم معوجا فإنه يعالج ما يعالجه بقدر الله وضمن سنته التي تسيطر على الوجود المادي والبيولوجي والنفسي والاجتماعي والحضاري والبشري برمته **﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾**.

فكرة الشفاء

دخل دماغ «اليزاروف» إلى مخ العظام لفهم آلية نمو العظام وعلاقته بالأنسجة المحيطة، فقلب المفاهيم السائدة، فقال: إذا كان الكسر ينشّط النمو فيندمل الكسر، أي أن الكسر هو الذي يحرض آلية النمو، فما المانع أن أسخّر هذه الآلية، وأضع يدي على سرها؟ ليس أن أرد كسرا، بل أكسر عظما سليما؟! كي أضع تحت تصرفي هذه «الآلية ـ الميكانيزم» فأوجه النمو بالوجهة التي أراها سليمة، وبذا ما دامت مستودعات النمو موجودة، أستطيع أن أطيل عظما، أو أقيم معوجا، أو أقاوم تقيحا معتدا بأسلحة النمو هذه.

هذا هو جوهر فكرة «اليزاروف»، هي بسيطة ولكنها رائعة وانقلابية، هي جميلة وساحرة، وجمالها يأتي من بساطتها، لأن أهم عناصر الجمال البساطة.

فكرة «اليزاروف» تقوم ليس على تجبير العظام ورد الكسور، بل كسر العظام، وتحريض النمو في العظم والأنسجة المتصلة به، من عصب، وشريان، ووريد، وعرق لمفاوي، وعضلات، وفي النهاية الجلد الـ... يتمطى؟!. إن هذا الشق والكسر للعظم يتولى القـ... الخارجي فقط، أي قص القشرة الخارجية وتثبيتها ... الخارج بحلقات، ومسامير، وأعمدة، بشكل ميكـ... مدروس في الاتجاه المزمع إنشاؤه، ثم شد الطر... المكسورين بعيدا عن بعضهما البعض لتحريض ... النمو، وبذا أمكن إطالة العظم، ومد الشريان، و... العصب، وزيادة الأوردة، وترميم الأنسجة المهـ... وتقويم الأعضاء المعوجة، فهي كما نرى فكرة ر... تعتمد أن يرمم الجسم نفسه بنفسه، فيتم بها تحسين التروية الدموية، وتنشيط السيالة العصبية، ورفع تقلص العضلات، وشد الأوتار، وردم القيح، ومط الجلد. وزيادة الجمال في الأطراف والتخلص من التشوهات تتيح طريقة «اليزاروف» للمكسور الساق أن يمشي على كسره مباشرة، وللمشلول أن يبدأ الأمل في الحركة ـ هناك تجارب الآن على نخاع الظهر عند المشلولين، لتنشيط نموه وهو من مستحيلات العلم اليوم، لأن الطب الحالي بتّ فيه بلا عودة! وفي فقر التروية الدموية بضخ الدم وتحسين الدوران، وفي الأقزام أن يمنحهم بسطة في الجسم، وقد تم ضرب رقم قياسي بتطويل وصل إلى ٣٠ سم، بل إن اليزاروف دفع الرقم إلى ٩٠ سم! بمعدل زيادة ١ ملم يوميا ــ وللمشوهين أن يستعيدوا عافيتهم، وجمال شكلهم، وللمقعدين أن يتفاءلوا بدخول عتبة جديدة في المعالجات.

قال ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا وجعل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله» فهذا الحديث يفتح الباب أمام فكرة الشفاء لأي مرض مهما استعصى واستفحل.

وبعد... فإن طريقة «اليزاروف» ليست سحرا ولا ألغازا، فلا توجد أسرار في العلم، كما أنها ليست فوق النقد ولا دون الخطأ، بل هي فهم لسنة الله في حلقه، والقوانين التي تحكم البيولوجيا، وإذا كان الحديد ثقلا ومن طبيعته أنه يسقط إلى الأرض، فإن الذكاء الإنسا... حوله إلى طيارة تحلق في الأجواء، وصاروخ يخ... الجاذبية، ليس بخرق القانون، بل باستخدام قانون جد... يتخلص به من قانون الجاذبية، فالتشوه، والشل... والعجز، والصمم، والضعف، والتردي حدث بفعـ... قانون «سقوط» ونحن نعالجه بقانون «صعود».

إن الإبداع له واسطة، وأعظم شرط فيه هو عـ... المعرفة، والتجديد ورؤية العلم بدون حدود، لأنه... علم الله الذي أحاط بكل شيء علما، قال ﷺ «لا بور... في طلوع شمس ذلك اليوم الذي لا أزداد فيه علما يقـ... إلى الله تعالى». □

غجرية الوادي

قصة بقلم : ذياب بن صخر العامري*

كنت في السادسة أو السابعة من العمر عندما استيقظت بلدتنا العمانية «حيل العوامر» في صباح يوم بارد من أيام الشتاء على جلبة صادرة من جانب الوادي، وهكذا لم نضع وقتنا في اللعب كعادتنا في أرجاء البساتين المحيطة بدارنا المبنية من الطين، بل هرعت مع صبية آخرين متتبعين الصوت ومتقفين السواقي المائية المنسابة التي قادتنا إلى الجانب الشرقي المطل على الوادي، وهناك بدا «وادي الحيل» أكثر وداعة من ذي قبل حيث كلل الغمام سماءه الرحبة مما أكسبه قدرا كبيرا من السكينة والدعة، ومع ذلك ما أن اقتربنا من السدرة الكبيرة المنتصبة في وسط الوادي التي كانت أحد مراتع لهونا الطفولي البريء الرائع حتى اكتشفنا مصدر تلك الضوضاء التي اخترقت ساتين النخيل والمانجو والجوافة والموز والليمون والعنب والتين، ووصل إلى أسماعنا بعد أن مرق هجوع البلدة الحانية الحالمة، إذ إن الغجر قد حلوا بالبلدة وقرروا نصب خيامهم الصغيرة في ظل السدرة الوارفة الكبيرة.. لا بد أنهم قد أزمعوا الرحيل والانتقال من مكان قصي ليلة البارحة وقد قضوا الليل كله على ظهور حميرهم ميممين وجوههم شطر بقعة أخرى أكثر كلأ ونضارة وأمنا، وقد وصلوا الآن بعدما أيقظوا البلدة بضوضائهم:

أجمعوا أمرهم بليل فلما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

اقتربنا أكثر من السدرة وجلسنا القرفصاء نرقب باهتمام حركات هؤلاء القوم الذين سمعنا عنهم الكثير من أهل البلدة الذين يترقبون مقدمهم منذ سنوات، إذ إن آخر زيارة لهم للوادي كانت قبل خمس أو ست سنوات، ولذا لم يكن أحد منا نحن الصبية يحفظ شيئا عن تلك الزيارة، ولكن أهل البلدة كانوا يروون لنا الأقاصيص عنهم وينسجون حكايات مشوقة عن أسلوب حياتهم المختلف والمتمثل في تنقلهم الدءوب وعدم استقرارهم وسبل كسب رزقهم، مما أثرى لدينا الخيال وجعل صورا متلاحقة عديدة ومختلفة تمور وتدور وتتكون وتتلون وتتشكل في أذهاننا المتعطشة لمثل هذه الحكايات، كانوا يقولون لنا: إن الغجر يأتون إلى البلدة فيقيمون بها يومين أو ثلاثة ثم لا يلبثون إلا مبارحتها والانتقال عنها إلى بقعة أخرى.. وكنا نطلق عنان أخيلتنا العفوية الصافية لتعتمل فيها ضروب شتى من المقارنة والشبه بين حلهم المدهش وترحالهم السريع، فنربط ذلك بإقامة عصافير الصيف القصيرة ورحيلها المفاجىء عند انقضاء الموسم، كما كانوا يخبروننا بأن الغجر مع أنهم يقيمون فترة قصيرة في المكان الواحد إلا أنهم يقومون بأعمال عديدة ومتنوعة من سن للسكاكين والمقاص وأدوات الفلاحة والحراثة المستعملة إلى صنع الجديد منها، وأنهم يقومون بحجامة أهل البلدة بإخراج الدماء الفاسدة من رءوسهم بقصد كسبهم مزيدا من الصحة والنشاط، وانطلاقا من أن آخر العلاج الكي فإن الغجر خبيرون بكي المرضى بمياسم حديدية بعد وضعها في النار، وأنهم عارفون أيضا بختانة الأطفال، كما أنهم يتنبؤون بما سيئول إليه حال الناس خيرا كان ذلك أم شرا، وذلك من خلال قراءة راحات أياديهم، بل إن لديهم مساحيق سحرية لتنشيط إنجاب الأطفال وخاصة الذكور منهم، كل هذا جعلنا نتطلع إلى هؤلاء القوم كأنما هم آتون من كوكب آخر يتعدى الجانب الآخر من وادينا الذي كان مبلغ همنا ومنتهى مدانا المسافي المرئي، أما الآن والغجر يحتلون الشجرة التي كنا نلعب تحتها فقد أصبح وجودهم حقيقة لا خيالا، إنهم الآن ما زالوا في معمعة حل أمتعتهم وإنزالها من

* عر وكاتب وإذاعي من سلطنة عُمان

على ظهـور الحمير التي أشبعـت الـوادي نهيقـا فيما أخـذت دجاجـاتهم تقرقـر وهي في أقفاصهـا التي تم وضعها للتو على الأرض. أسرع أحـد الغجر لالتقاط ثلاث من أثافي الوادي الكبيرة، وبعد أن رسم مثلثا في ذهنـه وضع كل واحـدة في زاويـة من زوايـا المثلث الوهمي، ثم أشعل النـار بينها، ومـا أن بدأ الـدخان في التصاعد حتى بدأ في إخراج الدجاجة تلو الأخرى من الأقفاص الخمسة، وفي كل مرة يخرج فيها دجاجة كان يمسك بها جيدا ويطـوفها حـول الموقد لثـلاث مرات فكأنـه كـان يـرسم بها دوائر وهميـة في الهواء ثم يخلي سبيلها فتنطلق الدجاجات تعدو تحت الشجرة وحولها بعد أن كانت سجينة الأقفاص طيلة الرحلة، والغريب أن الـدجاجـات لم تـذهب أبعـد من مـركـز المخيم، فالغجر يـؤمنون بأن ملامسة دخان الموقد للـدجاج له تأثير فعلي عليهـا، إذ يجعلهـا لا تبرح مكـان إقـامتهم، وبـالتـالي فإنه يسهل عليهم الإمسـاك بها ووضعهـا في الأقفاص ثانيـة عندما يزمعون الـرحيل، كنا مندهشين جدا من تلك الحركات الدائريـة، وفي كل مرة يتم فيها إطلاق دجـاحة نوزع النظرات إمـا على بعضنا أو على الغجـري السـاحـر أو في أغلب الوقت على الـدجاجـة الموهـوبة الحريـة حديثـا، وبعـد أن فرغ الغجـري من إخـراج دجاجـاته من أقفـاصه الخمسـة أرسل بصره نحـوها متفقـدا ومتأكـدا من مـدى ولائهـا وطاعتهـا لعمله السحري فوجدها كلها تدور في فلك طاعته إلا ديكـا واحـدا شـذ عن القـاعدة وآثـر الـذهـاب نحـو الحقول البعيـدة، وهنا استشاط الغجري غضبـا وهرع مسرعا بعد أن أهاب بنا جميعا المبادرة بمساعدته لإلقاء القبض على ذلك الـديك المتمـرد الخارج على قانـونـه السحري، وهكذا انطلقنا راكضين معه وخلفنا الغجر الآخـرون وأحدثنـا ضجة غير معهـودة، ومع ذلك لم نفلح ولم يفلح الغجر في الإمساك بـالديك الهارب، ثم قفلنا عـائدين إلى الشجرة، ووضـع غجري آخـر قدرا كبيرا على الأثافي الثلاث، وبدأ الغجر يعدون طعامهم فتغرغرت القدور وسمع صـوت غليانها من بعيد، ثم قام اثنـان من الغجر بتثبيت كير كبير من الجلـد وأخذا ينفخان بواسطته النار التي اشتد أوارها فتحول الحديد الموضـوع فيهـا إلى قطعـة حمراء من اللهب، وأخـذ أحدهم يطـرقه طرقا شـديدا كان يسمع من مسـافات بعيدة، وحاصل الأمر أن الغجر في ذلك اليوم أحدثوا تعتعة وزعـزعة ونشنشة سمع بها الـداني والقاصي من أهل البلدة، وقبيل أصيل ذلك اليوم عدت إلى الوادي قادمـا من الجهة الجنـوبية أو العلـوية كما كـان يسميه أهل البلدة، وكـان الغجر قد استكملـوا عندئذ نصب خيامهم وجعلـوا أبوابها مقـابل جهة البحـر الشمالية وفي ذلك الـوقت كانـت السماء قد ادلهمت بـالسحب الكثيفـة، فيما أخـذت الريـح ترمجر بشـدة وكـادت أن تسفسف الخيـام الصغيرة وتطير بها، وبينما كنت أسير بين الخيام لمحت فتـاة بديعة الجمال كانت تهم بـالولوج في إحدى الخيام، وأذكر أنـه انتابني وأنا في ذلك العمر المبكر شعور غريب وغامض، وكل مـا أتذكره أنه كان شعورا بالشفقة البريئة على فتاة كنت لم أر بعد مثيلا في حسنها وجمالها ولو أنها كـان تكبرني بعشر سنوات على الأقل، قلت لها مـا معناه: كان من الأفضـل لو جعلت باب خيمتك مقـابلا الناحية العلويـة، لأن الريح الآن تـدخل بسهولـة في الخيمـة، ولكنها أجـابتني بخبث لم أدرك معنـاه في ذلك الـوقـت: لا.. الأفضل أن أبقي خيمتي على مـا هي عليـه الآن لأنك قـد تأتيني، إذا غيرت بـابها، على حين غـرة من الجهـة العلـويـة. وفي صبيحة اليـوم التالي عدنـا إلى السدرة وكان الغجـر قد عقدوا تحتها حلقة مستديـرة رجالا ونساء وقد ضمت الحلقـة أيضـا بعض رجـال البلـدة الـذين جـاءوا للحجامـة، وفي اليوم الثـالث وجدنـا الغجر عـاقدين صفقـة لبيع وشراء ومبـادلـة الحمير بطـريقـة مثيرة للإعجاب، وأحـدثوا أصواتا مرتفعـة وملأوا الوادي ضحكا وقهقهات عاليـة متوالية، وفي عصر ذلك اليوم حـان مـوعـد الـرحيـل واقتربت مني الفتـاة الحسنـاء مودعة وأظهـرت لي ودا حميما لم تظهره لي من قبل كأنها كـانت تعتذر لي عن أمـر بدر عنهـا، ومع ذلك لم أفهم من الأمر شيئا، وفيما كـان أبوها يساعـدها على امتطاء دابتهـا همست لي قائلـة: سأراك في الشتاء القـادم. وفي اليـوم التالي لـرحيلهم عـدنا للعـب كعادتنـا تحت ظل الشجـرة ولكن المكان كـان قـد أقفـر وأصبح خاويا ووديعا كعادتـه ولم يعد للغجر فيه ثـاغية ولا راغية صياح ديك مختال كـان يحاول العودة إلى قفصه بعد شبع من تنسم حـرية الـوادي الطلق، وبقينا في ترقب الغجـر عامـا كـاملا، وفي صبـاح يـوم شتائي معتدل البرودة عـاد الغجـر فعلمنـا في الحال بـوصـولهم وكـالعادة هـرعنـا إليهم فوجـدنـاهم يعملـون ما عملوه في العـام الفائت، كل فرد بدا كسـابق عهده الفتاة.. فلقـد بدت في هـذا العام أكثر جمالا ورشاقة



وإشراقا، وأكسبها الكحل جمالا فوق جمالها الطبيعي إذ جعل حدقتي عينيها تبدوان أكثر اتساعا وبريقا، وقد أمعنت في التزين بالحناء وضمخت وجهها وبدنها بالزعفران والورس والآس والصندل فكان نشرها يضوع على وجه الوادي الجميل كأنها عروس أسطورة شرقية، كما أنها لبست أقراطا كبيرة ودمالج وخلاخيل زاهية، مما أضفى عليها جمالا أخاذا، ومع أن أهلها جعلوا أبواب خيامهم قبالة البحر كعادتهم إلا أنها جعلت بابها هذه المرة مقابل الجهة العلوية «الجنوبية» واقتربت مني وبادرتني قائلة: لقد عملت بنصيحتك هذه المرة، ولكنني مع ذلك لم أسبر غور معناها لأنني كنت لم أزل بعد صبيا صغيرا، وأذكر أنه في يوم رحيلها قالت لي: سأراك في العام القادم، وجاء في العام القادم والأعوام التي تلته أقوام آخرون من الغجر ولكن لم تكن هي بينهم، ثم انقطع الغجر كلية عن الحلول بالوادي ولم يعد لهم ذكر ولم يعرف أحد أين هم سكعوا وأين هكعوا.

ومرت أعوام وأعوام ولم أر غجرية الوادي حتى اليوم، وفي آخر مرة زرت فيها «وادي الحيل» كانت معالمه قد تغيرت كثيرا، قطعت الوادي من جنوبه إلى شماله بالسيارة على طريق حديث مرصوف، أملت شقه مقتضيات الحياة العصرية، ولكن اقتضت الضرورة أيضا أن يكون هذا الطريق على حساب اجتثاث تلك الشجرة الكبيرة التي كانت يوما ملتقى ومرتع عهد الصبا، تلفت نحو جانب الوادي الشرقي لأرى شواهد رموس تضم رفات أناس صا[illegible] طيبين، ثم نظرت إلى الجانب الغربي لأجد البس[illegible] الغناء وقد تحولت إلى أرض يباب ما عدا نخلة وا[illegible] وقفت متحدية ولو أنها في نزعها الأخير لتص[illegible] مصيرها المحتوم الناجم عن ارتفاع منسوب مياه ال[illegible] على حساب انخفاض مستوى المياه العذبة المستن[illegible] لقد أبت تلك البساتين الوفية استمرار الحياة وآ[illegible] اللحاق بأصحابها الذين كانت لهم صولات وجو[illegible] في أرجائها الرحيبة، وأوقفت السيارة قرب هيكل [illegible] محتال كانت قد دهسته سيارة رعناء فتناثر ريشه ال[illegible] الجميل ليعطي وجه الطريق الأسفلتي الكالح، أرحت جثته وواريتها الثرى بجانب الوادي ومشيت صوب النخلة السامقة الوحيدة وحضنت جريدها المحتضر فسالت من العين دمعة حرى، وما أن فرغت من قراءة الفاتحة على الذاهبين حتى عادت بي الذكرى إلى سدرة الوادي الرءوم التي ضمت جمعا في حناياها منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وتذكرت غجرية الوادي بأحداقها النجل وأريجها الزكي وهي تودعني قبل أربعين سنة وقلت في خاطري: لو أنني كنت مطلعا في ذلك الوقت على أشعار العرب لأسمعتها في الحال بيتي شعر للمتنبي لحظة رحيلها الأخير الأبدي:

متعينا من حسن وجهك ما دام
فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا
فإن المقام فيها قليل □

الزهايمر عقار جديد

● بدأت وزارة الصحة الفرنسية بطرح عقار جديد لعلاج مرض «الزهايمر» يحمل اسم «تي. اتش. ايه» أو «تاكرين» في المستشفيات العامة تمهيدا لطرحه على نطاق واسع في الأسواق.

ومن المعروف أن مرض «الزهايمر» يكثر انتشاره بين كبار السن، وقد اكتشفه طبيب يحمل نفس الاسم في عام ١٩٠٧، ومن أهم أعراضه حدوث اضطرابات في الذاكرة واللهجة والسلوك يعقبها ضعف في القدرات الذهنية، ويبلغ عدد المصابين بهذا المرض حوالي أربعمائة ألف مريض.



«صرخة» غيرت وجه الفن

بقلم: سيد هويدي*

ساريخ الفن طويل، يرجع إلى محاولات الإنسان الأول ورسومه على جدران وسقوف الكهوف، حين سجل برأس الخجر الصوان المدبب تخطيطاته التي عكست رغباته سواء في الصيد، أو جيل قصة صراعه المميت مع إحدى ...نسه، أو تصوير أحلامه وأمانيه.

مما لا شك فيه أن هذه الرسوم تكشف عن دوافع الإنسان الأول في التعبير عن ذاته، على الرغم من ذلك يجد الباحثون والمهتمون صعوبة بالغة في تحديد وبلورة الموضوع الذي تحتويه هذه الأعمال، بشكل لا يشفي غليل الباحث، نظرا لصعوبة المهمة، فقد عمل الفنان الرسام الأول تحت وطأة ظروف مضنية، بسبب وجود معظم الكهوف تحت الأرض، وتعذر الوصول إليها، ومنها ما يقع على بعد نصف ميل من المدخل عند المنحدر الصخري، كما أن بعض الكهوف جد منخفضة ومعتمة، مما يدل على أن الرسام لا بد أنه كان يستلقي على ظهره ليرسم أو يلون، وفي أغلب الظن كانت المشاعل هي وسيلة الإضاءة، سواء كانت مشاعل مدخنة أو زيتية

* د. حفي من جمهورية مصر العربية

مترجرجة كإحدى الوسائل البدائية جداً، ناهيك عن أن أغلب السطوح كانت غير مستوية. وإذا كانت المعلومات المتوافرة قليلة عن فن فناني الكهوف فالتساؤلات كثيرة ومتنوعة، وللبحث عن أجوبة مقنعة كرّس الأب «هنري برويل» أفضل سنوات حياته لا للاكتشافات وحسب، بل إلى استنساخ الصور التي اكتشفها عن فن ما قبل التاريخ بدقة متناهية، وأسكها مجلداته الرائعة التي تحتوي على اكتشافات نادرة. والاستنتاجات التي توصل إليها الأب «برويل» أن هذه الصور التي طرحها للعالم لا تمثل الإنجازات الفنية الأولى لرجال الكهوف، لكنها ترجع إلى خمسين ألف سنة قبل الفترة التي كشف فيها إنسان العصر المجدلاني عن موهبته الفنية، بما يفيد أنها تعود إلى مائة ألف سنة. وفي كثير من الصور التي اكتشفها الأب، وجد أن التكوين الصخري كان يعول عليه الإنسان الأول ليجد فيه وحياً بما يريد أن يرسم، فيطوره إلى نماذج أخاذة من اللون والخط، ويؤكد حدس الأب «برويل» قوله: إن أغلب الصور جاءت بشكل غير اعتيادي وتكشف عن أوضاع صعبة في تنفيذها، فهي ليست مرسومة على سطوح ملساء وإنما هي على سطوح شديدة الخشونة، وعلى الحيطان والأرض والحافات المتحررة، بل وفي أماكن يتعذر بلوغها في بعض الأحيان. ويذهب الأب برويل في احتماله هذا إلى أن رجل الكهوف لجأ إلى طرق مبسطة أخرى في الرسم عندما كان يلتقط تكوينات حجرية غريبة، تبدو أشكالها مشابهة لأشكال الحيوانات التي يصطادها، إذ إنه سرعان ما يمسك بهذا الاكتشاف المثير، ومع ما يملك من أدوات بدائية، ثم يعمل على تقريب الشكل من شبيهه، بالإضافة إلى أنه في حالات أخرى كان الإنسان الأول يضع كف يده اليسرى على الحائط ويرسم حدودها، أو يغمس الكف ذاتها بالأصباغ ويضغطها على الحائط لخلق «سيلويت».

الرسم بالحديد

أما المواد التي استخدمها أسلاف ميكل أنجلو، رافاييل، جوجان، فان جوخ، بيكاسو، فقد جاءت بعد



□ بورتريه - رامبرانت.

تجارب متأنية ومضنية، توصلوا من خلالها - كما يقول الأب «برويل» - إلى أن حجر الصوان المدبب، أشد الأدوات ملاءمة لرسم الخط على الوسائط سواء كانت عظماً، أو حجراً أو سطوحاً جدارية، كما استخدموا الفحم للرسوم الكبيرة، أما الأحمر والبني والأصفر فقد أمكن استخراجها من الأوكر «وهو مادة ترابية فيها الكثير من خام الحديد»، وبالنسبة لباقي الألوان المختلفة يتم توفيرها من المواد الطبيعية الأخرى، حيث كانت الأصباغ تخلط مع دهن الحيوانات، ثم تحفظ في عظام مجوفة، والألوان تفرش على السطوح بأصابع الرسام، أو بفرشاة تصنع من شعر الحيوانات المذبوحة، أو بالعيدان الطرية بعد إزالة الألياف عنها.

ومع كل هذا وتحت ظروف حياتية صعبة وبمثل هذه المواد والعوائق كان الفنانون الأوائل ينجزون أول [illegible] خطية حضارية في العالم.

وإذا كان البعض يرجح أن الفن كان قد بدأ [illegible] الفطري للتزين، كالوشم مثلاً أو كرسم النقوش [illegible] الجسد، وبالرسوم المحفورة على حجر الصوان وا[illegible]



□ بورتريه - سيزان

والعظم، والحجر، وكذلك صنع التماثيل من الطين والنحت، أو بالتعبير رقصا عن الحركة والعواطف، إلا أن البروفيسور «بالدوين براون» أستاذ الفنون الجميلة في جامعة أدنبرة، يذهب إلى أن هذه الرسوم استخدمت كضرب من السحر يتفوق فيه الفنان على زملائه!! لكنه يرجع ويتساءل هل كانت الصور الأصغر تستخدم كوسائل في تلك العصور، قبل أن تنشأ الكتابة؟.

بينما م.ج سيبرنغ في كتابه «طفولة الفن» يسوق لنا سا طريفا عن دوافع الإنسان الأول في الرسم حين يعيد إلى أذهاننا أن الكثير من القبائل المتوحشة في الوقت الحاضر تعتبر ظل الإنسان شيئا نابعا منه، وكذلك فهم يعتبرون أن الصورة نابعة من الشيء المشخص، وأن مالك الصورة ينال سطوة على ذلك الشيء المصور، وجريا على هذا الأساس فإن إنسان العصر الحجري الذي يمتلك صورة حيوان متوحش يعتقد بأنها تمنحه السطرة عليه، ويشير سيبرنغ إلى أن الكثير من الحيوانات في رسوم الكهوف تصور بسهم أو برمح يخترقها.

في بحثنا عن موضوع فنون سكان الكهوف في مختلف البقاع، نجده لا يخرج عن تصوير الحيوانات ورحلات الصيد والصراع مع ثور البيسون «يعيش في أمريكا» والذئاب، ومحاولات صيد الخنزير وغزال الرنة، كما صوروا الحصان والماموث. وتتمتع الصور بكل الخصائص كحرية التخطيط والملاحظة الخاطفة، والتعامل العريض مع الخط والتدرج اللوني والتعاطف الشخصي مع الموضوع، وهو ما يجعل هذه الرسوم أعمالا فنية مثيرة جدا.

وفي اتفاقنا على أن الفن نشاط إبداعي من شأنه أن يصنع أشياء أو ينتج موضوعات، لا ينحصر في اختيارها بقدر ما ينحصر في صياغاتها والتعبير عنها، لذلك يمكن استنتاج أن الفنان البدائي الأول كان ينحو صراحة وعن قصد إلى صناعة أشياء أو خلق موجودات فردية يكون وجودها هي غاية تلك الفنون، وهو ما يؤكده علماء علم الجمال المعاصرون أن علم الجمال ليس من شأنه أن يضعنا إزاء فنانين أو مبدعين، إنما يضعنا وجها لوجه أمام «أعمال فنية وموجودات مبدعة»، فلن يكون في وسعنا أن نعد الفن مجرد تفكير شخصي، أو تأمل ذاتي يقوم به الفنان، بل لا بد من التسليم بأن الفن هو مجموعة «الضرورات» التي تفرض نفسها على الفنان، بوصفها معيارا وسندا يستعين بها في صميم تجربته الجمالية، لذلك يأتي الموضوع منطويا على أثر ساكن لمسار حققه النشاط البشري في حركته الحياتية.

بينما يرى فوسيون أن «العمل الفني» ليس مجرد خط بياني يرسم لنا سير حركة ما، كما أنه ليس مجرد ظاهرة مصاحبة للفعل، إنما هو شيء يتمتع بوجود خاص، نظرا لأنه موضوع قائم بذاته.

لذلك يعد الموضوع داخل اللوحة انعكاسا صادقا للانشغالات الفكرية والروحية للعصر الذي يحيا فيه الفنان، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يمكن أن نتقصى تطورا تاريخيا معينا لمضامين ومحتوى العمل الفني؟.

لكن مع الأسف حقا أننا لا نملك أي دليل على تلك الفترات التي أعقبت العصر المجدلاني، تفيد حركة تطور الفن، إلى أن شهد العالم قيام الحضارة المصرية القديمة، فقد غلف هذه الفترات غموض محير، وحين بدأ الفن بالظهور ثانية مع إفرازات فنون



□ تجريد ما قبل التاريخ

الحضارات من بلاد النهرين وسوريا ولبنان وفلسطين، وبلاد الأناضول، وإيران، فإنه من الطبيعي أن يكون قد فقد كل الخصائص الواقعية التي كانت تميز رسوم الكهوف لما قبل التاريخ.

وبحلول «عصر الأسرات» في الدولة القديمة المصرية، أصبح الموضوع في العمل الفني وغايته في خدمة الصفوة والنبلاء والأمراء، وهي سمة اشتركت فيها أغلب فنون الحضارات على اختلافها وتباينها وتنوع مشاربها.

عصر النهضة

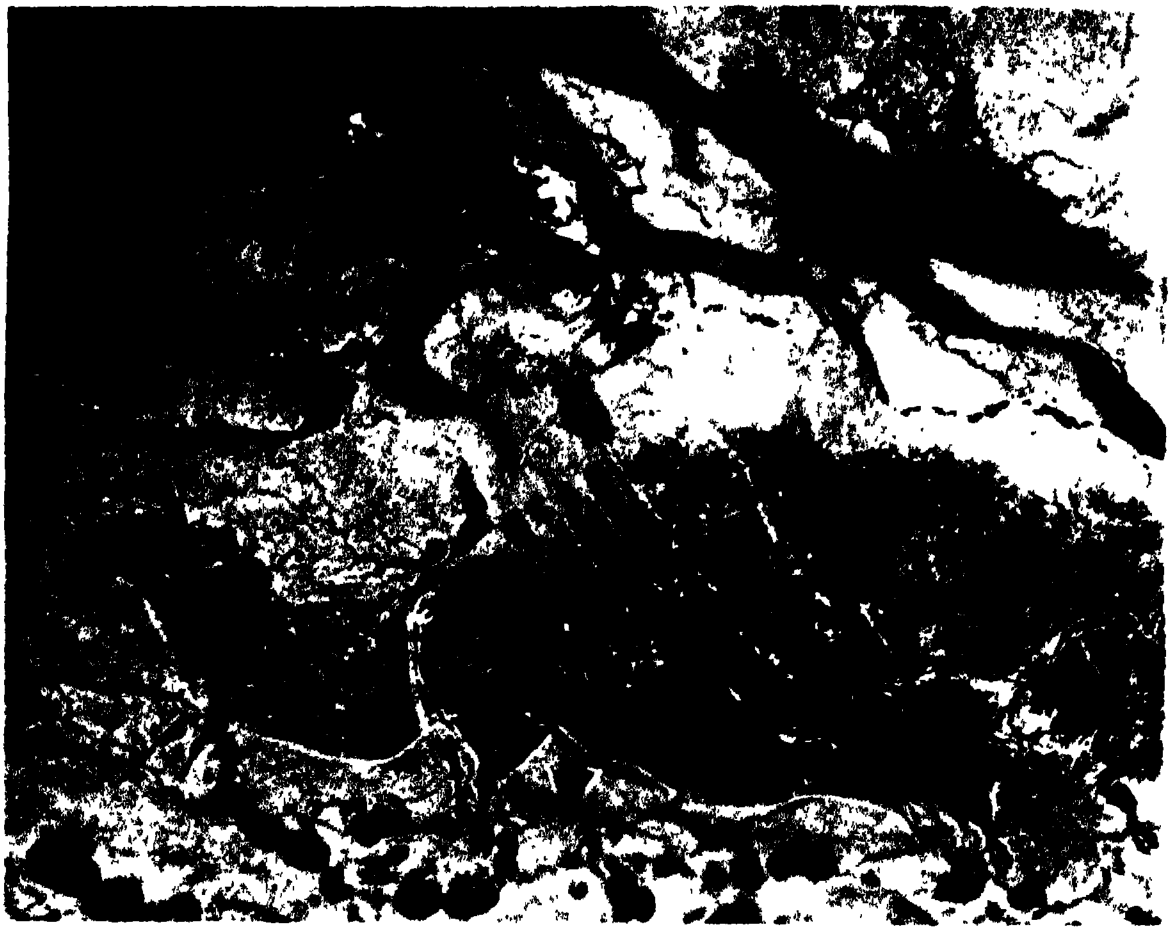
أما العصر الأوربي الوسيط، وتحت تأثير اللاهوت البيزنطي، كان موضوع اللوحة هو عظمة الله وقدسية السيد المسيح، وأمجاد القديسين وأزلية القاعدة الأخلاقية، فقد كان موضوع الفن هو التعبير عما في عمل الخالق من جلالة ومهابة(*).

وفي الوقت الذي اعتلت فيه طبقة التجار في إيطالي الهرم الاجتماعي إحلالا للطبقة الأرستقراطية الإقطاعي ملاك الأراضي اتجه «جيوتو» وأتباعه إلى استنباط النزعة الإنسانية في حياة المسيح.

ومنذ أول شعاع مع عصر النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر وجد المصورون أن موضوعهم هو الإنسان بكل عنفوانه، وعلو مقامه، كدعوة لإحياء التراث الإغريقي، ثم اتسع الموضوع فأضاف عصر الإصلاح إلى اهتمامات الفنان «الإنسان العادي» وقد ظلت هذه التوجهات ردحا من الزمن، إلى أن اتجه فنان القرن السابع عشر إلى الاهتمام بالإنسان فكرا وعاطفة.

ما أن هل القرن التاسع عشر حتى ظهر في ... شعار الثورة ضد كل ما هو قائم ومدروس و... سواء في مجال الفن أو السياسة أو الاجتماع ... العقائد، فقد كان وراء هذه النظرة الجديدة ... فلاسفة مثل جان جاك روسو ووليام جد...

* الفن التشكيلي المعاصر ـ محمود أمهز



□ محاولة سيطرة على الحصان

وشعراء مثل وردز ورث وكوليردج وشيلي وبايرون، بالإضافة إلى المثاليين الألمان، حيث مجدت هذه الحركة الرومانسية الجديدة الفرد وآمنت بقوة الروح فوق المادة، وأحاطت شخصية الإنسان بهالة من القداسة، واحتلت ملكتا الخيال والحدس محل العقل والمنطق، ولم يعد الفن في ضوء فلسفتها مرآة للحياة، وإنما مصباح ينيرها ويضيف إليها عوالم جديدة ورؤى من نفس الفنان ذاته، ولم يعد الفنان مخلوقا اجتماعيا موهوبا بل أصبح فيلسوفا. وتحت تأثير هذه النظرة الرومانيكية في منتصف القرن التاسع عشر، كان الموضوع في الفن يتطور تطورا حثيثا نحو الأجواء الحالمة، فظهر الإنسان الشاعر بطلا لأغلب أعمال هذه الفترة، لكن هذا القرن كان يحمل الكثير من المفاجآت والاكتشافات العلمية، لذلك أصبح الموضوع في الفن هو ما يراه الإنسان من العالم المرئي، واستجلاء جوانب هذا العالم وفقا للقوانين العلمية، وعلى الأخص قوانين الضوء والرؤية البصرية، تلك القوانين التي أصبحت أساسا ومنطلقا للانطباعية.

قد يذهب البعض إلى أن الفن الحديث بدأ مع الانطباعية، ولم تتضح منطلقاته الأساسية إلا في بداية القرن العشرين، بل في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، لكن من المؤكد أن هذا الرأي تناسى تأثير الثورة الفرنسية وما أحدثته من تبدل في المفاهيم العامة، التي انعكست بالتالي على تطور الحركة الفنية في القرن التاسع عشر. فمن غير المتصور أن نبحث عن نقطة محددة تشكل بداية للحركة الفنية الحديثة، وأن نجعل من سيزان مؤسسا للفن الحديث، كما فعل هربرت ريد عندما قال: «لا شك أن في أصل ما سمي بالحركة الفنية الحديثة توجد عزيمة مصور فرنسي ثابتة وعنيدة لرؤية العالم موضوعيا»، بل العديد من مؤرخي الفن وجدوا في عمل سيزان ونظرياته منطلقا للفن الحديث، وهذا ليس تقليلا من شأن فنان كسيزان ودوره(*).

(*) الفن التشكيلي المعاصر - محمود أمهز.



□ أجهزة علمية حديثة لتنمية التفكير العلمي لدى الطفل الكويتي، واكتشاف مواهبه في سن مبكرة لصقلها، ورعايتها.

رياض الأطفال في الكويت من اللعب إلى النشاط الذاتي

استطلاع: فاطمة منصور
تصوير: فهد الكوح

هل حدث تغير في مفهوم تربية أطفالنا بعد الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت؟ إنه سؤال يتردد على ألسنة الأمهات والآباء، وهو سؤال يلح علينا أن نعرف ما هو الدور الذي لعبته الإدارات التربوية بوزارة التربية ودور رياض الأطفال في دولة الكويت، وما هو دور معلمة رياض الأطفال في تغيير المنهج التربوي الذي ساد قبل هذا العدوان مع طفلها الذي تتعامل معه وتقوم بإعداده ليكون مواطنا صالحا في المجتمع الكويتي مستقبلا؟



□ د. مساعد الهارون وكيل وزارة التربية وإلى جانبه منيرة المشعان الموجهة العامة لرياض الأطفال بوزارة التربية الكويتية.

السنوات الخمس الأولى من حياة كل طفل.. ـمة، تترك آثارها العميقة في ـنه على مدى العمر كله، إذ إن ـبة كبيرة من مقومات شخصية الفرد المعرفية، والوجدانية، والسلوكية تتشكل في هذه المرحلة.

والروضة هي البيئة الصالحة التي تتيح للطفل أن ينمو إلى أقصى حد تسمح به قدراته في جميع مجالات النمو العقلي والوجداني والحسي الحركي.

إن خروج الطفل من البيت إلى الروضة مرحلة انتقالية إلى بيئة أكثر اتساعا، ولذا تتطلب الاهتمام بتهيئة الأجواء المناسبة ليكون الانتقال طبيعيا تلقائيا، وأيضا لكي نفتح للطفل باب الحياة، ونمهد له التعلم في حب، وتقبل، ورغبة.

وقد اعتمدت الدراسات المعاصرة على نظرية «بياجيه» التي

ـي التلقائي

تصب كل اهتمامها في النمو العقلي بالنظر إلى تأثيرها على التربية في مرحلة رياض الأطفال، التي تعتمد على عمليات التفاعل بين الفرد والبيئة، فهناك التوافق الداخلي الذي يتم عندما يكتسب الفـ د خبرات جديدة تندمج ضـ ن معارفه السابقة، وتصبح سلـ كا عاما يمكن تكراره، كما أن عمـ ـة التوافق الخارجي تتم عندما تتطلب أحداث البيئة تعديلا وتحويرا فيما سبق تمثله وامتصاصه من المعارف والخبرات. من هذا المنطلق تأتي أهمية الأحداث البيئية التي طرأت على الكويت نتيجة الغزو العراقي الغاشم، ومدى تأثيرها على سير الفلسفة التعليمية لرياض الأطفال بالكويت.. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا، ما المفهوم السائد حاليا لتربية أطفالنا بعد مرور هذا الحدث الأليم؟، وهل حدث تغير في المفهوم الذي كان سائدا قبل الغزو أم لا؟.

رياض الأطفال في الكويت

مرحلة رياض الأطفال هي من أولويات اهتمامات وزارة التربية في دولة الكويت لما لها من طبيعة خاصة. في عام «١٩٥٤» أنشئت أول روضتين في وسط العاصمة.. وهما روضة «المهلب» في منطقة الشرق، وروضة «طارق» في القبلة، وذلك بهدف توفير الرعاية الصحية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية

لـلأطفـال الـذين هم دون سن التعليم الإلزامي.

ثم اهتمت وزارة التربية بزيادة عدد رياض الأطفال في الأحياء، والمنـاطق السكنيـة المختلفـة، وزودتها بـالإمكـانـات الماديـة والبشريـة الـلازمـة، حتى وصل عدد الأطفال الذين تضمهم هذه الـريـاض في الـوقت الـراهن إلى «٣٧٣٤٨» طفلا وطفلة موزعين على «١٢٦» روضة بالإضـافة إلى روضة خاصة بالمعوقين، بينما كان عددهـم عام ١٩٥٤ لا يـزيد على «٣٧٦» طفـلا وطفلــة تتراوح أعمارهم بين ثــلاث سنــوات ونصف إلى ست سنوات.

وفي جولة للعـربي داخل رياض الأطفـال لمسنـا تطبيق أحـدث نظريـات التربية حيث تتم بصورة متكاملـة ومناسبة للطفل معـرفيا، ووجـدانيـا، ونفسيـا، وحـركيـا، وذلك من مواقف واقعيـة يعايشها الطفل فتثير ميولـه، وتحرك دوافعه في مسار تربوي هادف.

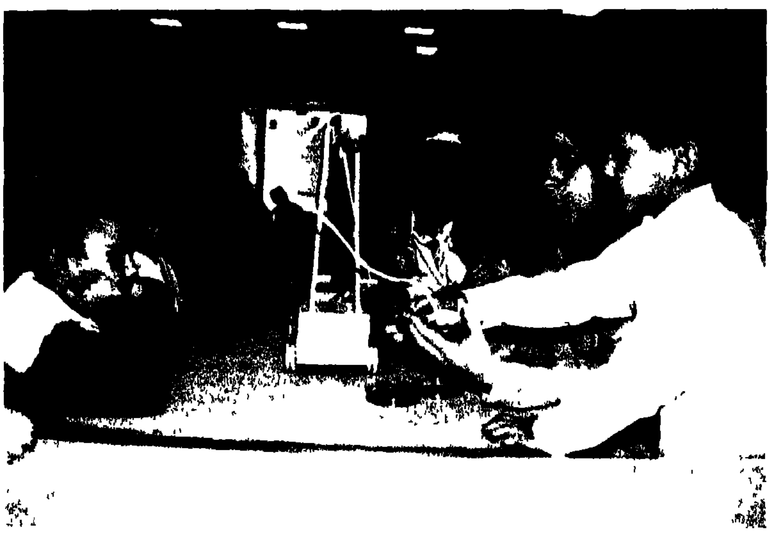
إن فلسفـة ريـاض الأطفـال في الكويت تنبثق من الأهداف العامة للتربيـة التي تـرتكـز على طبيعـة المجتمع الكـويتي، والحاجـات المتغيرة للأسرة الكـويتية في ضـوء التغير الاجتماعي.

ففي روضة «الشـامية» جنوب العـاصمـة طبقت هـذه المفـاهيم التربوية التي تـؤكد احترام فردية الطفل، وتـوفـر الثقــة بـالنفس، والمبادرة، والابتكار، والاستقلال الذاتي، وتكوين المفاهيم.

تقـول «بدريـة المنيع» الموجهـة بـروضـة الشـامـيـة: إن الفلسفـة المطبقـة في روضتهـا كما في سـائر الـروضـات في الكـويت تـراعي التفـاوت بين مستـويـات النضـج والتهيؤ، وتهتم بتوفير بيئـة تر ية مناسبة لتحقيق تكـافؤ الفرص في النمـو بين الأطفال على اختـ بيئاتهم الاقتصادية، والاجتما ة، والثقـافيـة، وتؤمن بأهميـة تـ ـة حـواس الطفل ومـداركـ ـس



□ الكويت انفردت بإعداد معلمة الرياض لمساعدة أطفالها في كيفية تعلم الكتابة.



□ خبرات يكتسبها أطفال الكويت في مرحلة الرياض.

□ بدرية المنيع الموجهة في روضة الشامية.



.. يق المؤثرات الحسية والأنشطة ا.. ـاشرة، والممارسة الفعلية، و.. ادي بتوظيف أساليب التربية ال.. ـائمة على مبدأ اللعب الحر، و.. ـشاط الذاتي التلقائي جنبا إلى جنب مع التربية المقصودة والموجهة، وتؤمن بضرورة ربط الأنشطة والخبرات التي تقدم للطفل بواقع المجتمع وبالحياة، وبالمستقبل المأمول.

ولكن، ما خصائص طفل هذه المرحلة ومطالب نموه؟.

تقول «منيرة المشعان» الموجهة العامة لرياض الأطفال بوزارة التربية الكويتية: إن نمو الطفل قبل بلوغ مرحلة المدرسة الابتدائية يعد من الركائز الأساسية لفلسفة الرياض، وأهم خصائص النمو هو أن نتناول الطفل كوحدة لا تتجزأ، ونأخذ بعين الاعتبار أن ما يؤثر في جانب من جوانب نموه له آثاره البعيدة في نواحي النمو الأخرى، ولهذا يجب أن تحرص برامج التربية المبكرة على تحقيق النمو الشامل والمتكامل للطفل جسميا، وحسيا، وعقليا، واجتماعيا، وانفعاليا، وخلقيا.. خصوصا وأن النمو العقلي لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية يتسم بالسرعة، التي تحدث في السنوات الخمس الأولى من حياته، وخصائصه، وصفاته الشخصية تكون أكثر عرضة للتغير في هذه المرحلة، وبالتالي يكون التعلم أعمق، وأبعد أثرا، كما أن هناك حاجات أساسية يجب العمل على



□ أساليب التربية في الرياض بالكويت قائمة على مبدأ اللعب الحر.

إشباعها لتحقيق النمو، ومن بينها حاجة الطفل للعب والانطلاق، والاستكشاف.

التحصيل التربوي

وفي لقاء مع د. مساعد الهارون وكيل وزارة التربية الكويتية قال: إن التحصيل في مرحلة الرياض يستهدف إكساب الطفل بعض المهارات الحركية عن طريق استخدام الحواس وبعض الخبرات الاجتماعية، والمفاهيم البسيطة (المعرفية) والقيم السلوكية في التعامل مع الأفراد، والقيم الدينية في عملية تنمية شاملة.. جسمية، وعقلية، واجتماعية، ووجدانية.

وفي ضوء ذلك كله يتم وضع منهج تربية الأطفال في مدارس الرياض تمهيدا للنقلة الثانية إلى المرحلة الابتدائية، وقد ثبت أن الخبرات المكتسبة في مرحلة الرياض تمثل خبرات أساسية لا يستغنى عنها في مرحلة النمو التالية في المدرسة الابتدائية، ويشير وكيل الوزارة إلى أن الرياض في الكويت قد بلغت مستوى يضاهي أكثر الدول العربية السابقة في هذا المضمار.

النشاط الذاتي التلقائي

من العبث أن نجبر الطفل على القيام بعمل لا ينبع منه تلقائيا لأنه يكون ضد طبيعته، وبعيدا عن فطرته، لذا فقد ظهر اتجاه يستهدف توظيف أساليب التربية القائمة على مبدأ اللعب الحر، والنشاط الذاتي لمساعدة الطفل على اكتساب بعض المهارات التي لا يستطيع أن يكتسبها من خلال اللعب الحر وحده، وهذا التدخل المقصود في عملية التعلم يتم بطريق غير مباشر، وذلك بإعداد وتهيئة البيئة التربوية المناسبة، والتخطيط المسبق للأنشطة والخبرات، وتوفير الإمكانات، والمواد، والأدوات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة للبرامج والأنشطة المختلفة.

ومثل هذا التنظيم والتخطيط يراعي القدرات، والاستعدادات، والميول الفردية للأطفال حيث إنه لا يفرض منهجا، أو برنامجا موحدا، بل يتيح الفرصة لكل طفل للاستفادة من البيئة التربوية بقدر ما تسمح به قدراته،



□ تجارب علمية لتنمية افكارهم ومواهبهم.



□ نشاط صباحي في الروضة يؤثر ايجابيا على تشكيل الشخصية وتكوينها النفسي والاجتماعي.

واستعداده، وفي هذا تحقيق لمبدأ تكافؤ الفرص.

الثقافة عند الطفل

في لقاء مع خالد ناصر الصليهيم الوكيل المساعد للشئون التعليمية بوزارة التربية يشير إلى أن ثقافة الطفل عامل مهم، ويقول: لكي يستفيد كل طفل من الفرص التعليمية المتاحة لابد أن تصبح الروضة أكثر ارتباطا بحياة الأطفال على اختلاف قيمهم الاجتماعية، وظروفهم المعيشية. ولهذا تهتم البرامج التربوية المعاصرة بدراسة طبيعة الثقافات الفرعية التي يتنمي إليها الأطفال لما لها من أثر على أنماط التعلم، كما تعمل على تطويع مناهجها وأساليبها التربوية لتوائم الحاجات والقدرات الفردية المختلفة للأطفال على اختلاف بيئتهم الثقافية، والاجتماعية.

الواقع أن تأثير التربية في الروضة يبقى محدودا ما لم يمتد إلى ثقافة أسرة الطفل، فالساعات القليلة التي يقضيها الطفل في الروضة لا يمكن مقارنتها بعدد الساعات التي يقضيها بين أفراد أسرته، ولهذا اتجهت البرامج التربوية الحديثة إلى توسيع «دائرة التأثير التربوي» لتصل إلى البيت، واعتبرت اشتراك أولياء الأمور في العملية التربوية أمرا مهما.. إذ يساهمون في التخطيط لها وتنفيذها، ويتأثرون بما يكتسبونه من خلال هذه المشاركة، وبهذا تكون الروضة قد أسهمت في تطوير أساليب التنشئة في البيت، وعملت على ربط برامجها بحياة الطفل.

وفي ذلك تحقيق للتكامل والتوافق في تنشئة الأطفال.

تحديد الأهداف في تربية طفل الرياض

إن الأهداف العامة للتربية لمرحلة رياض الأطفال بالكويت قد حددت الأبعاد ذات الأهمية التي تقوّم هذه المرحلة من حياة الطفل على النحو التالي:

البعد الفكري (الأيديولوجي): الذي يقوم على الركائز الأساسية وهي الإ... الديمقراطية، والوحدة ال...

..عد العالمي: ويتضمن السمات
ا..اسية للموقف العالمي المعاصر
..اده الفكرية، والسياسية،
و..جتماعية، والتربوية.

..عد الاجتماعي والاقتصادي: ويشمل مختلف جـوانب التغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته الكويت الحديثة، ومن أبرزها الجانب المادي، والجانب الثقافي، والجانب الخاص بالمؤسسات الاجتماعية، وأثرها على نمو حركة التربية والتعليم في البلاد.

البعد الفلسفي: ويتضمن هذا البعد اتخاذ الخبرة أساسا للتعلم كما يؤكد أن تقديم الخبرات في رياض الأطفال يرتكز إلى حد كبير على أسس الفلسفة الحسية التي تعتمد على الإدراك الحسي في الحصول على المعارف المتصلة بالعلم الطبيعي.

البعد النفسي: حيث أجمعت الدراسات النفسية المعاصرة على أهمية رياض الأطفال وأثرها على تشكيل الشخصية، وتكوينها النفسي، والاجتماعي، وتعتبر تلك الدراسات، والنظريات المنابع التي تستقي منها رياض الأطفال برامجها، وتصوغ على ضوئها أهدافها، وتضع على هديها خططها وأنشطتها.

وكل هذه الأهداف تسعى إلى مساعدة الأطفال في غرس العقيدة الإسلامية في نفوسهم، وترسيخ الإيمان بالله في قلوبهم، وتنمية اتجاهات إيجابية نحو الـ..ين، والقيم الإسلامية، ومـ..ساعدة الأطفال في اكتساب



□ مساعدة الأطفال في اكتساب مشاعر الانتماء.



□ الروضة ساعدت هذه البرعمة الكويتية على تكوين مفهوم ايجابي عن الذات.

مشاعر الانتماء للأسرة والكويت، والخليج العربي، والأمة العربية الإسلامية، ومساعدة الأطفال لتكوين مفهوم إيجابي عن الذات. وبعد تحرير دولة الكويت من الغزو العراقي الغاشم أضيفت أهداف جديدة تخص التربية الوطنية على الأهداف الخاصة برياض الأطفال، وكذلك أعيد النظر في بعض الأهداف لتغييرها، أو تعديلها وفقا لما استجد من أحداث، وما نتج عنها من آثار.. فوضعت خطة خمسية من عام ١٩٩٢ إلى ١٩٩٧م، وتشمل:

ـ استكمال بناء الخبرات التربوية الخاصة ببرنامج رياض الأطفال، وإعادة بناء خبرة الكويت بإضافة خبرة الكويت حرة لها.. مدعمة بدليل المعلمة، وكتاب وكراس الطفل.

وأيضا.. تعميم الخبرات التربوية على جميع الرياض بدولة الكويت مدعمة بكتب، وكراسات، وأدلة المعلمات، بالإضافة إلى التقنيات اللازمة لكل خبرة ووسائل الحياة، وتعميم استخدام اللغة العربية المبسطة أسلوبا للتخاطب بين المعلمة والطفل، وذلك بعد تدريب المعلمات من خلال دورات خاصة لذلك.

ـ عقد دورات تدريبية للمشرفات الفنيات والموجهات، والمعلمات وذلك في مجال المستجدات، والاستراتيجيات الحديثة في التربية، وتزويد الرياض بالأجهزة العلمية والتقنية الحديثة المناسبة للمرحلة العمرية لطفل الروضة، وذلك لمساعدة الأطفال على تنمية التفكير العلمي لديهم، واكتشاف المواهب في سن مبكرة لصقلها ورعايتها.□



أسرتك وقــرص الأسبرين

دواء رخيص ولكنه جدير بالاحترام

إعــداد : راويــة جمال الــدين

قرص أبيض وصغير ورخيص السعر أيضا، موجود في متناول اليد، ومع ذلك فإن الاكتشافات تتوالى حول فوائده حتى أصبح طرفا فعالا في مقاومة العـديد من الأمراض التي يعاني منها الكبـار والصغار.. إنه قرص الأسبريـن، الاكتشاف القديم والجديـد أيضا في نفس الـوقت.

إننـا نعـرف الآن.. أن الأسبرين يمكن أن يساعد في منع أمراض القلب وهبوطه، ماذا يستطيع أن يفعل أيضا؟

إن الأسبرين يقـوم بـذلك عن طريق التقليل من نسبة تجلط الدم، وبذلك يقلل من حدوث الجلطات، أو من تـرسب كريـاته على جـدران الأوعيـة الـدمويـة، وهكـذا ينصح الأطباء الجميع سواء كـانوا مصابين بـالقلب أم لا، أن يتنـاولـوا يـوميـا نصف قرص من الأسبرين.

لقد أثبتـت الاكتشافـات الحديثة أن الأسبريـن يمكن أن يقـاوم الصـداع النصفي، ويمكن أيضـا أن يقي من الإصابة من سرطان المريء والمعدة والقـولـون والمستقيم، ولا أحـد يعـرف بـالضبط كيف يحدث هـذا، ولكن الشيء المؤكـد أن الأسبرين يشفـي من آلام التهـاب المفاصل عـن طريق منع إنتـاج مادة كيميـائية تـدعى بـروستاج لانـدين Prostag Landins، وهـي مـادة مسئـولـة عن إحـداث الألم، وربما كـانت هـذه المادة هي السبب وراء حـدوث كثير من الأورام التي يمنع الأسبرين حـدوثها لأنها تـدخل مع إنتاج الخلايا المسببة للسرطان.

من الذين يمتنعون عنه ؟

هل يجب على بعض النـاس ألا يتناولوا الأسبرين على الإطلاق؟.

إن النـاس يعتقـدون أنهم مـا دامـوا يشترون من الصيدليات بـدون روشتـة طبيـة فإنـه دواء مأمـون، وفي الواقع أن لـلأسبرين بعض المضاعفـات، فالأطفال على سبيل المثـال يجب ألا يـأخـذوا الأسبرين، فـإن ذلك يعـرضهم لنـوع من المرض يسمى «أعر... راي Reye's Syndnome» و... مرض نـادر الحدوث ولكنه ... وينشأ عـن الحسـاسيـة ض... الأسبرين. وعمـومـا فإن كل ... يشعـر بضيق وسرعـة في الت... وكـذلك وجـود نقـاط حمـ... في



الجلد يجب عليه ألا يتناول الأسبرين مرة أخرى.

كذا فإن الذين ينوون القيام بأي جراحة عليهم أن يمتنعوا عن تناول الأسبرين لمدة أسبوع قبل القيام بها، لأنه يحمي من الإصابة بمرض القلب عن طريق تسييل الدم ومنع التجلط مما يزيد من وقت النزيف، وهو أمر غير مطلوب في أي عملية، وهو نفس الشيء مع الناس الذين ينزفون بسهولة مثل المصابين بالهيموفيليا، وعلى الذين يأخذون الأسبرين للوقاية من أمراض أخرى أن يراقبوا نزيفهم، فإذا استمر لمدة ١٠ أو ١١ ثانية عليهم أن يتوقفوا عن أخذ الأسبرين فورا.

حساسية الأسبرين

أيضا الحساسية للأسبرين محدودة خصوصا بالنسبة للذين يعانون من الربو، وعلى الأقل تبلغ النسبة ١:٥ يمكن أن يسبب لهم عطسا شديدا وضيقا في التنفس، وعلى هؤلاء الناس ألا يأخذوا الأسبرين إلا بعد استشارة الطبيب، كما أن على الذين يعانون من قرح قديمة عدم أخذ الأسبرين. وماذا عن الناس الذين لا يشتكون من القرحة، ولكنهم خائفون من تأثير الأسبرين على معدتهم؟.

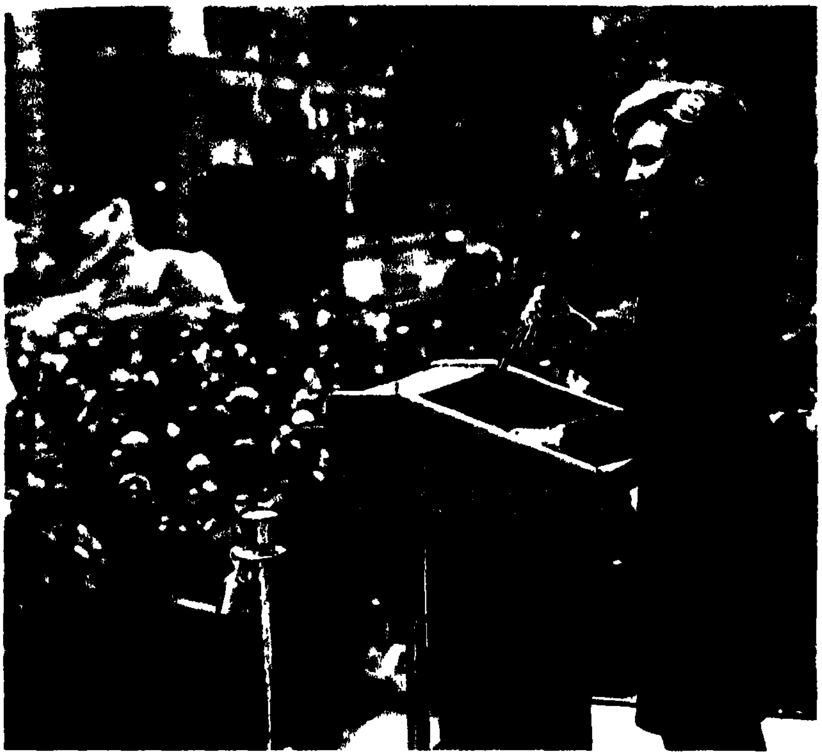
سوف أحدثكم عن إحدى الحالات، هذا المريض الذي كان يتناول يوميا ثلاثة أقراص من الأسبرين كي يقضي على ما يعانيه من آلام، وفي ذات يوم شعر بتعب مفاجيء وتم نقله إلى المستشفى حيث تبين أنه يعاني من نزيف حاد من قرحة في المعدة، وهكذا نكتشف أن ثلاثة أقراص من الأسبرين يوميا أوشكت أن تقتله.

ليس هناك طريقة للتنبؤ كيف يمكن أن يحدث الأسبرين المشاكل للشخص، لكن الأعراض المبدئية للقرحة يمكن أن تشمل عسر الهضم وآلام المعدة والدوار، والألم بعد أكل كمية من الطعام.

هل يمكن أن يتداخل الأسبرين مع غيره من الأدوية، ويحدث تأثيرا سيئا؟.

إذا كنت تتعاطى دواء منتظما فيجب أن تراجع طبيبك قبل أن تتناول الأسبرين، فبعض الأدوية التي تسبب سيولة للدم يمكن أن تكون قاتلة إذا أخذت مع الأسبرين، كما أن الأسبرين يمكن أن يؤثر على أدوية الضغط.

الكحول والأسبرين لا يجتمعان، وتناول الأسبرين قبل الشراب يقلل تأثير ظهور الكحول في الدم، والأسبرين يساعد على إخراج انزام يسمى دهايدرو جينز Dehydro gense وهو يكسر الكحول في المعدة قبل أن يصل إلى الدم وبالتالي يحدث إثارة كبيرة لخلايا المعدة ويجعلها مهيأة أكثر لحدوث القرحة.□



سيدة البيت الأبيض

هيلاري كلينتون امرأة مختلفة

بقلم : مودي بيطار *

من لا يعرفها يجهلها، لكن هيلاري كلينتون لا تهتم كثيرا بتوضيح نفسها أو تجميل صورتها إلا إذا كان الأمر يتعلق ببيل. وبيل العزيز لا يحب أحدا غير نفسه، يقول بعض عارفيه، وربما استثنيت ابنته تشلسي فقط من هذا الحكم الصارم. ما الأمر إذن؟. شركة في السلطة والمال والنجاح على طريقة الحلم الأمريكي، أم علاقة خاصة بين رجل وامرأة أذكى منه «باعترافه» لن نعرف سرها لأنه لا يعنينا؟

أسئلة كثيرة تدور حول الرئيس وزوجته اللذين اختصرا في اسم واحد، بيلاري، وإذا كان الأمريكيون لم يهتموا بخلفيته العائلية التي لا تمنحه الصورة الراقية التي يطلبونها من السياسيين فإنهم غير قابلين للتنبؤ إذا أحكمت الصحافة الطوق حول فضيحة ما، والدة الرئيس التي توفيت في يناير الماضي أيضا، كانت ممرضة مزواجة تصبغ شعرها بالأحمر والأبيض وتقرأ مطبوعات المراهنات في أثناء العمل، لكن أنها أحبت ابنها ما يكفي تضحي وتقبل بالمراهنة في الأسبوع فقط، وكلينتون تعد برود الإنجليزيات عندما أكسفورد وألقى المحاض

* صحفية من لبنان.

أ.. ـة الجنس على من أراد الخروج م.. ، لكن لا يبدو أن هذه الهواية تـ.. ـط بقدرة خاصة بحسب أقوال .. ـر فلاورز التي أجابت عن أسـ..ـلة خاصة جدا وكشفت الكثير مما كان يجب أن تتركه لكتابها ما دام هدفها المتاجرة بعلاقة مع أقوى رجل اليوم في أمريكا والعالم.

أقوى الأمريكيات الأوائل

هيلاري، في المقابل، أقوى الأمريكيات الأوائل حتى الآن. رآها الجمهوريون عدوة الشعب الأمريكي الأولى بعد صدام حسين، وصوروها امرأة متعطشة للسلطة ونسوية راديكالية ذات آراء خطيرة هدامة مثلها مثل الشيوعية. قالوا إنها توازي بين الزواج والعبودية، وتشجع الأطفال على مقاضاة أهليهم. وما يتهدد البلاد، هو الانحلال الأخلاقي وأزمة العائلة وليس انهيار الاقتصاد والعجز في الموازنة والبطالة كما يقول الديمقراطيون «العزال».

«هؤلاء الناس «بيل وهيلاري وربما تشلسي» ليسوا أمريكيين» قال ريتش بوند زعيم الحزب الجمهوري. وخاضت زوجتا الرئيس ونائبه الحرب ضد هيلاري إذ أخذت لبربارة بوش «تركت الكلية لتتفرغ للأسرة» صورة مع أولادها وزوجاتهم وأحفادهم وهم اثنان وعشرون شخصا، وقالت مارلن كويل إنها تخلت عن المحاماة من أجل دان «اللامع الذكاء، تعرفونه» والولدين: «لا يعتقد أحد.. «خمنوا مثل من؟» أن الأسرة تظلم.. المرأة إلى درجة لا تنجح معها إلا.. حها».

لكن هذا الخطاب السلفي لم ينجح بل أثار الجدل في بلاد تعمل ٧٥ في المائة من أمهاتهم اللواتي لا يزال أطفالهن يذهبون إلى المدرسة، علما بأن هيلاري تحرص على تماسك عائلتها، تدافع عن زوجها وابنتها كلما تعرضا للهجوم. وفي أي حال، أظهرت الاستطلاعات أن الحملة على هيلاري لم تعد بفائدة، من الأعباء المنزلية أو حتى تحتقرها. «نسوية مخيفة تريد أن تكون شريكة في الحكم أيضا» رد الجمهوريون فرحين بهذه الذريعة الجديدة لإدانتها. لجأ الديمقراطيون إلى الاستطلاعات فأظهرت أن زوجة مرشحهم تبدو قاسية وحادة. وافقت هذه على الانقلاب على نفسها وصارت تتحدث في المقابلات عن مباهج الأمومة



□ الرئيس بيل كلينتون وهيلاري وابنتها يحيون المؤيدين في الانتخابات الأخيرة.

فعادت بربارة ومارلين وسائر الجمهوريين إلى المعسكر يفكرون في خطة أخرى.

المرشح الانجيلي بات ربرتسون قال إن هيلاري من النساء اللاتي يهجرن أزواجهن ويقتلن أطفالهن ويمارسن السحر ويدمرن الرأسمالية. الكلام سهل، ويكفي أن تتفوه هيلاري بعبارة تعبر حقا عن رأيها من دون أن تدرس أثرها الانتخابي لكي تعطي أعداءها سلاحا ضدها، «كان يمكن أن أبقى في البيت وأعد البسكويت» قالت مرة كما تقول أي امرأة عاملة تتأفف وتحدياتها، كما أنها أعطت مجلة «فاميلي سركل» وصفة تعرفها للبسكويت بالشوكولا.

الدولة بدلا من الزهور

هيلاري رودهام كلينتون امرأة مختلفة وقدوة لأمريكيات كثيرات. ناجحة بفضل جهدها الشخصي، فصيحة، مستقلة و.. طائشة ما يكفي لتقول إنها إذا انتخب زوجها ستغير عمل السيدة الأولى لتنهمك في أمور الدولة بدلا من تنسيق الأزهار «كما فعلت ليدي بيرد جونسون» أو كتابة

مذكرات كلبتها «كما فعلت بربارة بوش التي رصدت ريع الكتاب لمشاريع خيرية»، ولا يشك أحد في أن هذه المحامية المشهورة لا تستطيع الجلوس قرب زوجها أو خلفه والنظر إليه بعبادة وولـه كما فعلت نانسي ريجان التي شكا الأمريكيون من تدخلها في توظيف وطرد كبار العاملين في البيت الأبيض وتلقين الرئيس ما يجب قوله للصحفيين. هيلاري تمثل الحلم النسائي للنساء وربات البيوت معا لنجاحها في التوفيق بين المهنة والزواج والأمومة. لكن هذه «الأمريكية الجديدة» لم تنل المديح الذي تستحقه طوال عام كامل بل بدت خطرا قوميا واجتماعيا لأن الناس يعجزون عن تقبل التغيير الكبير في شخصية المرأة دفعة واحدة، وإن كانوا أمريكيين. مهارتها واعتماد زوجها عليها كمستشارة جعلا كثيرين يقولون إنها هي من كان يجب أن يترشح للرئاسة. قالت مرة «إذا انتخبتم بيل تحصلون علي أيضا» لكن النكتة - ظاهرا - لم ترق للناخبين وأثارت خوفهم من أن يعني ذلك أنها ستشترك في الحكومة. وسارعت مؤسسات الاستطلاع تسأل الأمريكيين رأيهم فرفض ثلثاهم تسلمها منصبا رئيسيا. لكن إذا كان على زوجة الرئيس، تساءل البعض، أن تعرض طوال الحملة الانتخابية قربه لماذا لا يحق لها إذن أن تقول رأيها فيما يحدث؟.

الأمور لا تجري في الواقع بهذه الطريقة. كل زوجات الرؤساء عبرن عن رأيهن في القضايا العامة لكنهن كن حصيفات وتظاهرن بالعكس. هيلاري لا تعرف التمثيل لكنها تتعلمه، كما يبدو، وتتمسك بحياتها الخاصة قدر المستطاع كي لا يوقعها انفتاحها العقلي في مشاكل هي وزوجها في غنى عنها.

ريح الستينيات غيرتها

كانت تريد أن تصبح رائدة فضاء لكن حسر نظرها منعها من المحاولة. كانت أمها امرأة طموحا حثتها على الاستفادة من الفرص المتاحة لها في أمريكا ما بعد الحرب: «لم أرغب لها بالجلوس في مقعد خلفي». وحققت الابنة الرغبة، فها هي اليوم الأمريكية الأولى التي تنال من الأضواء أكثر مما ترغب. كانت تؤيد السياسي الذي يفضله والدها عندما ذهبت إلى كلية ولزلي الشهيرة للبنات لكن ريح الستينيات غيرت وجهتها فاشتركت هناك في تنظيم أول تظاهرة للكلية ضد حرب فيتنام. تخرجت بشرف وألقت كلمة باسم حكومة الطالبات التي كانت عضواً فيها، ونشرت مجلة «تايم» بعض ما جاء فيها: «علينا، أنت وأنا، ان نكون حرتين لا في إنقاذ العالم بواسطة حرب صليبية مجيدة ولكن في استخدام كل مهاراتنا في فن تحقيق الممكن». في جامعة يال كانت مثالية وناشطة سياسية مخلصة وجدية، وذهبت إلى تكساس للمساهمة في حملة المرشح الديمقراطي جورج ماكجفرن. لكنها عملت أيضا لمصلحة المرشح الجمهوري نلسون روكفلر وتساءلت ما إذا كان ممكنا أن يكون المرء «محافظاً عقلاً وليبرالياً قلباً».

في ١٩٧٥ عملت في لجنة مجلس النواب التي سعت إلى إدانة ريتشارد نيكسون بعد فضيحة «ووتر جيت» التي تجسس فيها الجمهوريون على مقر الديمقراطيين. ورد لها نيكسون المعروف عندما أدلى بدلوه في حملة الجمهوريين عليها.

تساءل كثيرون عن مدى يساريتها، وردت هي إن محاولة الناس تصنيفها تسليها. تقول إنها مواطنة تهتم بالفضيلة والمسئولية الشخصية والهدف الأسمى. ويرى عارفوها أنها مزيج من القيم القديمة والمثالية والروح العملية لكن مثاليتها ليست ساذجة كمثالية جيمي كارتر التي تحولت عقدة عند الديمقراطيين وجعلتهم يتحسون الحديث عن الأخلاق منذ انتهاء ولايته. تنتقد هيلاري ضياع المعاني وتحول الناس إلى مخلوقات لا أخلاقية تتخذ القرارات التي قد تعني الكثيرين: «علينا أن نخدم أحدنا الآخر وأن نميز أنفسنا بالفعالية في المجتمع والاهتمام بالغير، وعلى الدولة أن تكافىء أصحاب الفضائل وحاملي المسئوليات. يجب أن تنتهي حقبة الأنا (الثمانينيات) لتبدأ حقبة النحن». ذكرت في مقابلة أن الثمانينيات حملت الرخاء لكثيرين هي منهم لكن موت أبيها جعلها ترى أن الصداقة والوجود مع من نحبهم أهم من المال. تعتبر نفسها محافظة مع أنها تشكّل مع مساعديها نقطة الوصل بين الإدارة والفعاليات غير التقليدية وأولها الحركات النسائية. وإذا كان بيل حاكم الولاية المحافظ سابقا يبدو معتدلا فإنها تبدو ليبرالية بالمقارنة معه، وكثيرا ما يكلفها قول ما يريد تجنبه. و... موظفون في البيت الأبيض أن دورها يلخص بإدخال ... السليم على العمل، لكن كلما ... خطأ ينبري من يتحدث ... «تدخلها في السياسة». قد ... اصرت على تعيين امرأة في م...

ي العام لأنها لم تستطع تولية ...ها، وقابلت المرشحات بنفسها ، أول مرشحتين ما لبثتا أن ...عدتا لأنهما وظفتا في منزليهما ...اجرتين غير شرعيتين. قال الـ...حص إنه لا يمكن مقارنتها ...روزالين كارتر التي كانت تحضر جلسات الحكومة، أو اليانور روزفلت التي نابت عن زوجها المقعد في القيام بالجولات والزيارات وسميت «الرئيس البديل»، أوالسيدة وودرو ولسون كما كانت تحب أن تسمى، التي كانت مساعدة غير رسمية له. فبعدما أصيب بنوبة في الدماغ شرعت تطلع على كل الوثائق التي توجه إليه، وتحدد من يستطيع مقابلته أو لا من الرسميين. وهيلاري أبعد ما يكون عن نانسي ريجان التي استعانت بالمنجمين لتحديد اليوم الأفضل لقمة رونالد ريجان ـ ميخائيل جورباتشوف في أيسلندا، وخافت على حياة زوجها خصوصا بعد اعتداء جون هنكلي المعجب بالممثلة جودي فوستر عليه، لأن الرؤساء الأمريكيين الذين انتخبوا في عام ينتهي بصفر ماتوا اغتيالا. وهيلاري معجبة باليانور روزفلت وتعتبرها «مرشدتها الروحية» وهي تستحضرها بفكرها وتسألها النصيحة كلما واجهت موقفا صعبا.

الأسئلة الخاصة بالمشاعر والحياة الخاصة. كانت تخاف العيش في البيت الأبيض وبعدما انتقلت إليه أحست بأنها مقيدة، لكنه دفعها مع زوجها إلى القراءة عن تاريخه وسكانه، وكلاهما قارىء نهم. اتهمت بالافتقار إلى حس المرح، لكنها تؤكد أنها تحب أن تضحك وإن كانت تعجز عن الضحك عند الطلب. بعد انتخاب زوجها التقت

كبيرة. صبورة دءوبة كالنملة وتعمل طويلا قبل أن تتوقع ظهور النتائج. يقول موظف كبير في البيت الأبيض إنها تخيف الناس حولها وتتحكم بهم من دون أن تقول كلمة واحدة. تتذكر الإساءة وتحاسب عليها عكس زوجها. أهل أركنسو يقولون مازحين إن عليك مخاصمة بيل كلينتون إذا أردت شيئاً منه لأنه يبذل جهده ليجذبك إلى صفه، أما



□ هيلاري تتبنى مشروع الرعاية الصحية

جاذبية خاصة

محدثة لطيفة جذابة ومرحة، تسأل زائرها عن حال أطفاله وتضحك من مفارقات حياتها كسيدة أولى. تجيب بطلاقة عن كل ما تعلق بالسياسة والفلسفة والقيم، لـ...ـها تبقى فطنة وتتجنب كل

أصدقاء لها من الثانوية فتذكرت الشباب الذين خرجت معهم وقلدت حركاتهم في جلسة مرحة. تمزج في حديثها مع السياسيين البحث الجدي بالقصص المضحكة، وأكثر رواياتها إثارة للضحك واحدة عن رجل كلفها بدعوى أصيب بنوبة عصبية عندما وجد فأرة في علبة طعام جاهز.

يبدو أنها لا تزال تحتفظ برواسب من أصلها الإنجليزي، فهي لا تستطيع أن تفتح قلبها لجمهور من ملايين الناس، ويقول أصدقاؤها إن حاجتها إلى محبة الآخرين ليست

هي فتتمسك برأيها بلطف، وتتذكر ولا تغفر.

تعرفت على بيل في جامعة يال وتزوجا في ١٩٧٥. ما كانت اليوم تحمل اسمه لو لم تأخذ هي المبادرة في اللقاء الأول. قال: «عرفت مذ رأيتها أنني سأحبها إذا تعرفت عليها. كنت أستجمع شجاعتي لأتحدث إليها عندما رمت كتابا في آخر قاعة المكتبة الطويلة واتجهت نحوي وقالت: اسمع، إذا بقيت تحدق بي وأنا أحدق بك فعلينا على الأقل أن يعرف أحدنا اسم الآخر». تخلت عن مستقبل مهني وربما سياسي لامع في

واشنطن أو نيويورك لتتزوجه وتساعده على نيل منصب المدعي العام ثم حاكم أركنسو عندما كان في الثانية والثلاثين. ساعدته في كتابة الخطب وجعلته ينام في وقت محدد، لكنه كان يتظاهر بالنوم أحيانا ثم يرتدي لباس الرياضة متظاهرا بأنه يريد الركض ويقصد إحدى صديقاته. كانت ذات شخصية مستقلة واحتفظت باسم عائلتها لكنها دعمته بكل قوتها عندما فشل في التجديد لنفسه حاكما لأركنسو واعتمدت اسمه لترضي ناخبي الجنوب المحافظ. وتابعت في الوقت نفسه اهتمامها بعملها إذ كانت شريكة في مؤسسة كبيرة للمحاماة وأصبحت مرجعا في ميدان حقوق الأطفال والأسرة وواحدة من أهم مائة محام في أمريكا، إلا أنها بقيت مجهولة على الصعيد العام خارج أركنسو.

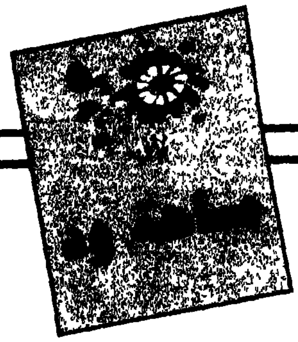
لا حدود للأنا بينها وبين زوجها. كل منهما يفرح بنجاح الآخر كما يبدو ويضحي من أجله مادامت فرصة النجاح أكبر. فكّرت في ١٩٩٠ في ترشيح نفسها لمنصب حاكم أركنسو وكان سيتنحى لها، قال، لو رأى أنها ستنجح. وعندما كشفت جنيفر فلاورز علاقته بها وقفت هيلاري إلى جانبه وكان عليها أن تتحمل امتهان كرامتها واستقلالها بالإجابة عن أسئلة تخصها وحدها. ظهرت معه في برنامج «خمسون دقيقة» الذي شاهده الملايين لأنه كان يسبق «السوبر بول» رياضة الأمريكيين المفضلة. كان أداء كلينتون رائعا ونفى ارتباطه بعلاقة مع أحد، لكنه أقرّ بارتكابه أخطاء وتسببه بآلام في زواجه، وهو تعبير آخر للخيانة. مع ذلك احتفظت هيلاري برباطة جأشها وقالت إن على الزوجة أن تقف إلى جانب رجلها، تماما كما كانت جدتها ستقول على الأرجح.

تغطية للخيانات

لا يمكن القول إن مدحه المستمر لها تغطية لخياناته واعتذار مبطن أو رشوة. يقول إنها أذكى منه وأكثر تنظيما وضبطا للأمور، وهي كانت فعلا مستشارته الأولى عندما كان حاكماً وربما اليوم أيضا. مكتبها قريب من مكتبه في الجناح العربي للبيت الأبيض في حين عملت زوجات الرؤساء السابقين في الجناح الشرقي البعيد من مكتب الرئيس. مهنتها تساعدها في جمع المعلومات واتخاذ القرارات، ويذكر بعض العارفين لها أنها أفضل من زوجها في المجال الاستراتيجي، لكنه مفكر أفضل منها على المدى الطويل، لذا يشكلان معاً ثنائيا قوياً. تجمعهما صداقة واحترام لقدرات الآخر، وعندما كان حاكما لأركنسو رأست لجنة إصلاح النظام التربوي وأدخلت اللغات الأجنبية إليه. وكلفها مهمة الإصلاح الصحي عندما صار رئيساً فتوقع كثيرون أن تفشل كغيرها وأن يؤثر عملها مع زوجها على علاقتهما الشخصية، لكن المشروع مر دون ضجة. يقول أصدقاؤها إنها نزيهة وشجاعة ومتمسكة بما تؤمن به عكسه. ويعترف هو بفضلها كلما حانت فرصة ويتحدث عن إخلاصها في العمل وتفانيها في مساعدته.

عندما يستقبلان الأصدقاء تجلس قربه وتصغي إليه وهي تمسح كتفيه. وردّت على الأنباء المتجددة عن علاقاته السابقة بتقبيله ومسح ظهره عندما غادر البيت الأبيض للمشاركة في تشييع أمه. حركة تشبه مداعبة الأمهات لأطفالهن لتهدئتهم وبث الطمأنينة في نفوسهم. تحـ... على الذهاب إلى مدرسة تشلـ... عندما تلعب كرة القدم. و... مكتبها لتراها عند عودتها بعد السهر وتراجع فروضها أحيانا. وكذ... أم أزعجتها خسارة ابنتها صديقاتها عندما ذهبت إلى واشنطن وسجلت في مدرسة هناك. تقول عنها صديقة إنها أكثر الأمهات اللواتي تعرفهن تقليدية لتمسكها بنظام صارم للسهر والخروج مع ابنتها. صعقت عندما سخر برنامج تلفزيوني من شعر تشلسي وجسر التقويم على أسنانها ومنعت الموظفين من الإجابة عن أي سؤال يتعلق بها. قالت إنه «من المحزن أن ليس لدى الناس ما يفعلونه غير التصرف بنذالة مع الأطفال». ومن الروايات التي سرت عن علاقة الأم بابنتها أن ممرضة المدرسة أخبرت تشلسي يوما أنها تحتاج إلى إذن من أهلها قبل أن تعطيها الأسبرين فقالت الفتاة: «أمي مشغولة كثيراً. اتصلي بأبي».

ففي تموز الماضي رافقت هيلاري زوجها في زيارة رسمية إلى اليابان هناك سألته طالبة في جامعة واسيدا عن رأي الأمريكيين بعمل السيدة هيلاري كلينتون ورأيه هو بـ... كشريك سياسي. نظر كلينتون إلى أعلى وتحرك في كرسيه قبل أن يؤكد إيمانه بالمساواة بين الجنسـ... ويضيف: «كلانا محام ومعظم ... يعرفوننا يعتقدون أنها المحا... الحقيقي». أما هيلاري فبدا وجـ... جامدا كعادتها في المواقف المزعـ... لو كانت طموحا سياسيا لما قـ... بمهمة الإصلاح الصحي التي ... مقبرة السياسيين، قال أصدقا... ربما كانت ترى حقا أن نجـ... نجاحها، وأن تبقى في الظل ... الجميع يعرفون تأثيرها، و... هناك من يقول إنه هو ظلها. □



«زاهيـــــة»

لم يبق أحد من الشهـود.. تبـددوا.. كلهم قبضـوا أعمارهم واستراحـوا.. ولكن الـرواة كثيرون.. ويصورون التفاصيل بدقة، وبثقة كأنهم رأوا ذلك عصر أمس، أو قبله بأيام.

في «عش البلبل»، قرية «زاهيـة» بستان واسع كان يملكه أحد الأعيان وقـد توفي دون أن يحص به أحداً من ورثتـه الكثيرين، اختلف الورثـة وتناحـروا، ولكن الست الكبرى أصرت أن والـدها كتبـه لها بوثيقـة وبحضور شهود، وكان هدية زواجها.

ـ أين الوثيقة؟!

مفقودة مع أشياء أخرى كثيرة وغالية ضمن حاجات ابنها البكر، الذي هاجر إلى أمريكا ولم يعد.. ولا أحد يعـرف عنه شيئا. ونظرا لقـوة عائلة زوجهـا لم يشأ إخوتها الذكور تجاوز ذلك، رغم اتسـاع البستان وجودة تربته، فظل دون ولاية من أحد، نبتت به الأعشاب، وصار مرعى للقرية كلها.

«زاهية» صغيرة تفترش الصهوة دون سرج! وترمح الفرسان، تتحسس كل واحدة منهما الأخرى.

«ابنة عشر سنين، تسابق الفرسان. وتسبقهم. عيب!!»

وفي الصيف نفسه، أو الذي يليه، اختلف الرواة في التاريـخ ولكنهم اتفقوا على ما سمعوه، فقد تناقلت العجائز ـ أولا ـ نبأ مجلجلاً عن «زاهية»! ثم سرى في هشيم القرية:

كـانت تنسحب من تحت النوم، وتتسـلل بين البساتين، كما يفعل جميع نسـاء القـرى لقضاء حـوائجهن مبكرا في مخابىء خـاصة، يـرتدنها مخافة المتلصصين «راهيـة» ذهبت إلى النهر، تغـوص في مياهـه بثيابها، وتلهو بنافورة صغيرة، من صنعها.

تضحك. تضحك «زاهية» ملء روحها، وملء النهر، وملء السواقي، وملء القرية كلها..!!

بعد سبع إشارات، ينكسر غصن ريان، وتدخل أحـد بيوت الجيران عروسا. لم تحالف؛ أنجبت في العام الأول وفي الثاني والثالث، وفي الموسم الرابع يموت الزوج وهي حامل، كان ذلك في موسم حصاد ذهبي، نار «زاهية» وبار التعب والهجير.. تناولـه السطل ليشرب، فيكرع الماء كله، ولا يطلع عليه الصبح فيذهب بشربة ماء...!!

مشوار العناء لم يبدأ من هنا فحسب، ولكنه سد مدارج الـرحيل أيضا. وعندما طرق باب العمر عريس جديد، كان الصغار الأربعة حصنا على قمة قلب «زاهية».

أربعة، وخامسهم أمهم، أفواه فاغرة للطعام والشراب في دنيا عز فيها الهواء..!

وتدخل «زاهية» سباقات من أنواع أخرى: تسابق الشمس لتلحق بالذاهبين إلى الحقول في كل المواسم، وتسابق الغـروب لتعود إلى فراخهـا، وتسابق الليل للهبـوط في الفراش، وتسابق الضـوء والنار والحطب والطعام والهواء. والريح لتسد منافذها وتدفأ مع صغارها.

إشارات كثيرة لا تعد، ووحدها «زاهية» تعرف كيف مرت.. يفر الأولاد إلى تضاريس جديدة اختاروا أمكنتهم فيها، ويظـل الفؤاد المكلس وحيدا.. لا الأيـام تمضي ولا العين تغمض ولا القلب يكف. آه كم هي زاهية نهاراتك ولياليك يا «زاهية».

احتجبت في بيتها منذ عهد بعيد، قيل بسبب عجزها عن الحركة، إنه حكم الزمن. ثم أضاعت ملامح الوجوه ونبرات الأصوات ـ حتى الغالية منهـا ـ قيل المرض، أمراض الشيخوخة تنسى المحروسي المجوس.. ثم كفت عن الكلام فقيل بسبب توقف لسانها عن الحركة.

عندما شـاع نبأ موتها، اجتمع الأحبة، لم يحدث خلاف كبير على أي شيء ولا حـزن كبير أيضا! غسلت وكفنت.. وها هو رتل المشيعين يتعرج كخط العمر في راحة الكف اليسرى، كرأس رمح معوج على شكل هلال يتجه إلى خارج الكف.□

محمد عباس شعبان

جمال العربية

بقلم: فاروق شوشة

الشمس

لشاعر النيل : حافظ إبراهيم

لا يكاد يذكر حافظ إبراهيم إلا ويذكر معه ـ أو قبله ـ أحمد شوقي، باعتبارهما الشاعرين اللذين شغلا الناس طيلة حياتها وبعد رحيلهما في عام واحد هو عام ١٩٣٢ وحتى اليوم، والجمهور الأدبي على اختلاف في تقدير الشاعرين، وتفضيل أحدهما على الآخر.

وقد يكون من المفيد أن نعرض لهذه السطور من كتاب «حافظ وشوقي» للدكتور طه حسين، عندما وجد أنه ليس من هذا الحكم بد: أيهما أشعر من صاحبه؟.

يقول طه حسين: «أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق، ولكن شوقي لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله، ولم يتقن ما أتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير هذا الإحساس وشكوى الزمان.

لم يبلغ شوقي من هذا مبلغ حافظ، وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة، وأغنى منه مادة، وأنفذ منه بصيرة، وأسبق منه إلى المعاني، وأبرع منه في تقليد الشعراء المتقدمين، لأن حافظا كان يقلد الألفاظ والصور، وكان شوقي يقلد فيهما وفي المعاني أيضا، ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها.

شوقي شاعر الغناء غير مدافع، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع، وشوقي منشىء الشعر التمثيلي في اللغة العربية.

يلتقي الرجلان في كثير، ويفترق الرجلان في كثير، ولكنهما على كل حال أعظم المحدثين حظا في إقامة مجدنا الحديث».

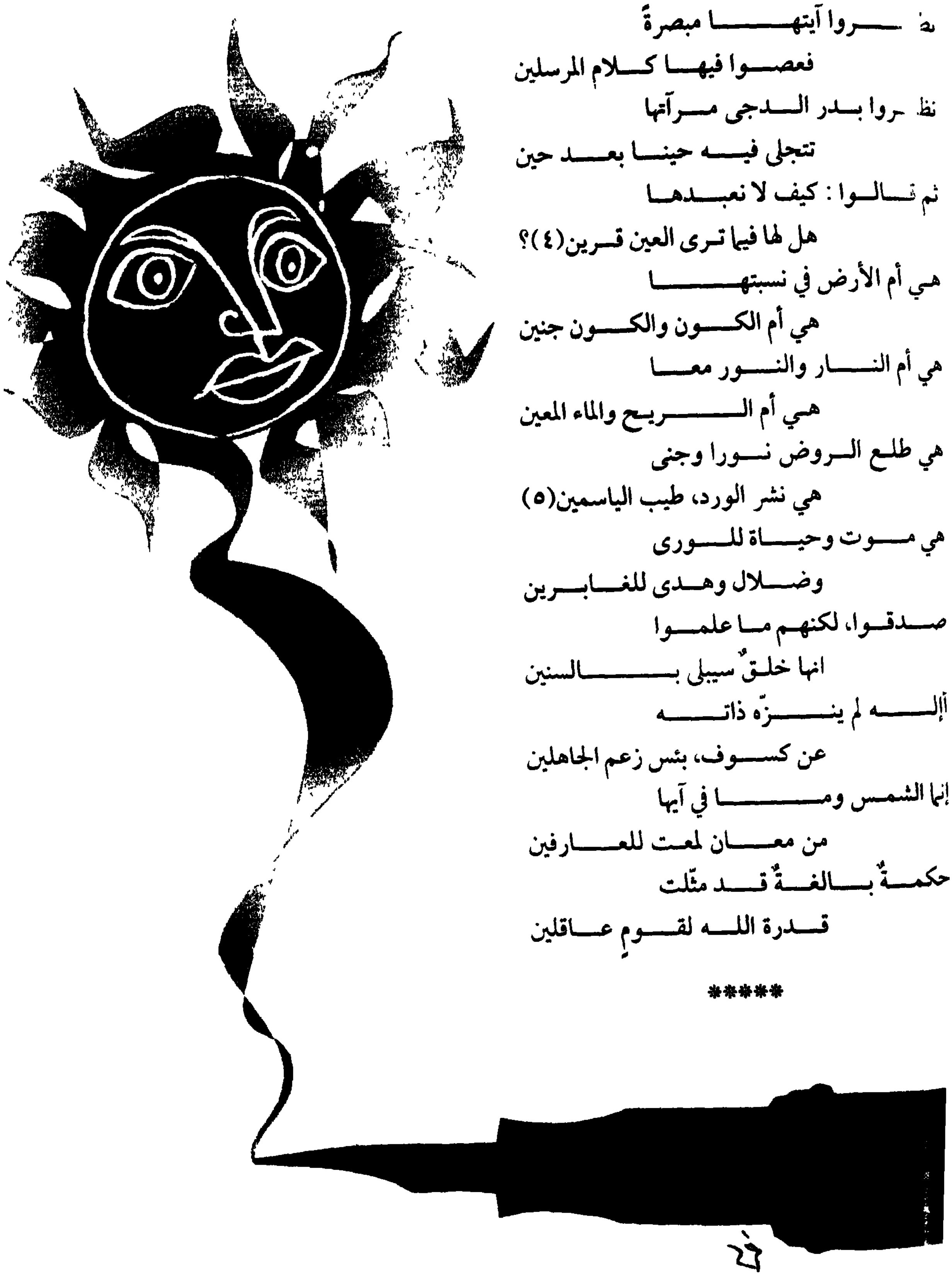
*****

والقصيدة التي نطالعها الآن بعنوان «الشمس»، نشرها حافظ إبراهيم لأول مرة في الخامس عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة، وفيها يقول:

لاح منها حاجبٌ للناظرينْ
فنسوا بالليل وضّاح الجبينْ(١)
ومحت آيتهـا آيتـهُ
وتبـدّت فتنـةً للعـالمينْ
نظـر إبـراهـام فيهـا نظـرةً
فأرى الشك ومـا ضلّ اليقين(٢)
قـال : ذا ربي، فلما أفلـت
قـال : إني لا أحـب الآفلينْ(٣)
ودعـا القـوم إلى خـالقهـا
وأتـى القـوم بسلطـان د ن
رب إن النـاس ضلـوا وغـووا
ورأوا في الشمـس رأي الخاسر· ن

ـ ـت أبصـــارهـم لما بـــدت
وإلى الأذقـــان خـرّوا ســاجـدين
ـ ــــروا آيتهـــــا مبصرةً
فعصـــوا فيهـــا كـــلام المرسلين
نظ ـروا بـــدر الـــدجى مـــرآتها
تتجلى فيـــه حينـــا بعـــد حين
ثم قـــالـــوا : كيف لا نعبـــدهـــا
هل لها فيها تـرى العين قـرين(٤)؟
هـي أم الأرض في نسبتهـــــا
هي أم الكـــون والكـــون جنين
هي أم النـــــار والنـــور معـــا
هـي أم الــــــريح والماء المعين
هي طلـع الــروض نـــورا وجنى
هي نشر الورد، طيب الياسمين(٥)
هي مـــوت وحيـــاة للـــورى
وضـــلال وهـــدى للغـــابـــرين
صـــدقـــوا، لكنهـم مــا علمـــوا
انها خلـقٌ سيبلى بـــــــالسنين
ألـــــه لم ينـــــزّه ذاتـــــه
عن كســـوف، بئس زعم الجاهلين
إنها الشمـس ومـــــــا في آيها
من معـــان لمعت للعــــارفين
حكمـــةٌ بـــالغـــةٌ قـــد مثّلت
قـــدرة اللـــه لقـــومٍ عـــاقلين

*****



تكشف القراءة الأولى لهذه القصيدة عن ثقافة حافظ إبراهيم القرآنية، وعن تمثله للآيات التي عرضت لقصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام، وصراع الحيرة والتردد والتفكير بين الشك واليقين، وصولا إلى شاطىء الاستقرار عند الحكمة البالغة التي مثلت قدرة الله لقوم عاقلين.

واللغة الشعرية التي يفيض النص بها وعنها، لغة طيعة، تنساب في يسر وطواعية، من غير إعنات أو تكلف أو مشقة، وهي لغة تمثل الشاب الشعري لحافظ إبراهيم وهو على مشارف الثلاثين، كما تحمل درجة عالية من القدرة على التصوير، والافتنان في إيراد الصور الشعرية الدالة، خاصة حينما يصور الشمس قائلا:

هي أم الأرض في نسبتها
هي أم الكون، والكون جنين

والإشارة هنا في تعبير هي أم الأرض واضحة إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس، ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاول الزمن.

هي أم النار والنور معا
هي أم الريح والماء المعين

والماء المعين هو الماء النابع والمتدفق من العيون

هي طلع الروض نورا وجنى
هي نشر الورد، طيب الياسمين

ويستعير حافظ إبراهيم من لغة التعبير القرآني مفردات بيته الشعري:

قال : ذا ربي، فلما أفلت
قال : إني لا أحب الآفلين

أما السياق القرآني فقد جاء على هذه الصورة: ﴿**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين**﴾ (الأنعام/ ٧٦).

والفعل : أفل، تدل مادته في العبرية والآرامية على معنى الظلام، وتدل مادته عند «ابن فارس» على أصلين: أحدهما الغيبة، والثاني الصعار من الإبل.

وتقول اللغة : أفل يأفل ويأفل أفلا وأفولا: غاب. يقال: أفل النجم وأفلت الشمس.

يقول البحتري :

قمرٌ أتبعْتُهُ من كلف
نظر الصبّ به حتى أفل

ويقال: أفل نجم فلان: خاب سعيه، وسار حظه. وفي الأساس: فلان كعبه سافل ونجمه آفل.

وقال جرير يهجو :

ولقد خرجت من المدينة آفلا
خرع القناة مدنّس الأثواب

وأفلت المرضع أفلا : ذهب لبنها.
ويقال : أفل نداه : ذهب خيره.
وأفل عن بلده، يأفل ويأفل أفلا وأفولا عاب عنها
وأفل اللقاح أو الحمل في الرحم: استقر في قراره،
ويجمع آفل على أفل وأوافل.
قال البحتري يمدح المتوكل :



ـ ـوا أكفهمّـو بكف خليفـة
نجمت بـدولتـه الحقـوق الأفل

حمت : ظهرت»
لمؤفل : الضعيف، والمأفول: الناقص العقل.
مت النظر في قصيدة «الشمس» لحافظ إبراهيم
أنها ليست القصيدة الـوحيدة التي جاءت من هـذا
البحر الشعري: الرمل، ووزنـه «فـاعـلاتن» ست
مرات، ولا من هـذا الروي: النون الساكنـة في ختام
الأبيات، فالـوزن نفسه والقافية نفسهـا، نطالعهما في
قصيدتين أحريين للشاعر، يقول في مطلع أولاهما:

فتيـة الصهبـاء خير الشـاربين
جـددوا بـالله عهـد الغـائبين

ويقول في مطلع الثانية :

ســورٌ عنـدي لـه مكتـوبـة
ودّ لـو يسري بها الـروح الأمين

والطريف أن حرف النون «الـذي يقول عنه القدماء إنه حرف نوّاح» يحتل المرتبـة الثالثة بين قـوافي قصائد ديوان حافظ، بعد حرفي الباء والراء.

كما أن قصيـدة «الشمس» التي جـاءت قصيـدة وصفية تأمليـة خالصة، لم يماثلها في ديـوان حافظ إلا قصيدتـه الوصفية التأمليـة عن «البحر» والتي جعل عنـوانها «الرحلـة إلى إيطـاليا»، وهي القصيـدة التي يقول في مستهلها:

عـاصـفٌ يـرتمي وبحـرٌ يغير
أنـا بـالله منهما مستجير
وكأن الأمـواج وهـو تـوالي
محنقـات، أشجـان نفس تثـور
أزبـدت ثـم جـرجـرت ثـم ثـارت
ثم فـارت كما تفـور القـدور

لكن الشـاعر في قصيـدته الثـانية لا يقنع بمجـرد الحديث عن «البحـر»، وإنما هو يخصص جـزءا كبيرا من قصيدته للحديث عن إيطاليا وأهلها، وما يكمن تحت أرضها من براكين وزلازل.

لكن نـزعـة دينية روحيـة عميقـة، تظل تجمع بين القصيـدتين في سياق وجـداني واحد عنـد الشاعـر، وتجعلهما تصدران عن موقف المتأمل في مظاهر قدرة الله، وبديع صنعه في الكون والإنسان، وهي سمة لا تخطئها العين الفاحصة في شعر حافظ إبراهيم. □

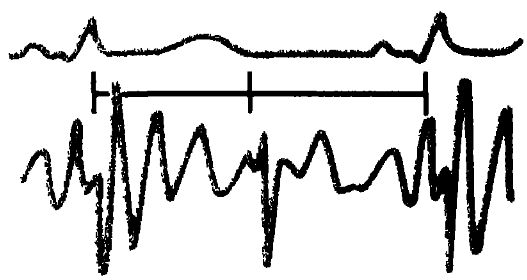
(١) وضاح الجبين : القمر
(٢) إبراهام : لغة في إبراهيم
(٣) أفلت : غابت واختفت
(٤) قرين : شبيه أو مثيل
(٥) الطلع : الثمرة في أول ظهورها.
نشر الورد: رائحته المنتشرة

أكبر معمرة في العالم

● جـان كالمنت هـي أكبر معمرة في العـالم كما ورد في مـوسوعـة «جينس» للأرقـام القياسيـة، وقد احتفلت ببلـوغها سن ١١٩ عـاما في نهايـة فبراير الماضي. ويـذكـر أن «كـالمنت» تعيش حـاليـا في بيت للمسنين في مـدينـة «آرليس» الفرنسية.

من شهر إلى شهر
لمحات من جديد العالم





□ أقطاب جهاز رسم القلب الزلزالي على الصدر (الصورة إلى اليسار) وأسفل الموجات العليا رسمها جهاز رسم القلب الكهربائي التقليدي والسفلى رسمها الجهاز الجديد.

طب

فحص القلب بجهاز كشف الزلازل!

في البحث عن العامل المشترك بين الزلازل والنوبات القلبية، لم يجدوا قديما إلا عنصر الفزع، وأن الأولى قد تتسبب في إحداث الثانية. لكن العلماء اكتشفوا حديثاً وجود عامل مشترك جديد. فالتقنية التي تكشف عن حركة الصفائح التكتونية للقارات يمكن أن تكشف أيضا عن اضطراب أبقاع القلوب التي يمكن أن تؤدي إلى نوبات القلب القاتلة.

وقد أشارت الدراسات إلى أن عملية المزج بين رسام القلب الكهربائي وأجهزة رسم الموجات الزلزالية (السيسموجراف)، نتج عنها جهاز جديد يسمى رسام القلب الزلزالي. وتبين أن هذا الجهاز الجديد أكثر دقة من رسام القلب الكهربائي القديم بنسبة تصل إلى ٨٨٪.

وهذه التقنية الجديدة نالت موافقة هيئة الدواء والغذاء الأمريكية، وتم بالفعل طرح ١١ جهازا تجريبيا لقياس الفعالية بين يدي المتخصصين. وبين هؤلاء المتخصصين من يبدي حماسه للنتائج الأولى لاستخدام هذه الأجهزة، وبينهم من يطلب التريث حتى تتأكد النتائج، لكن هناك إجماعا على أن هذه الأجهزة في حدها الأدنى قادرة على نفي أو إثبات وجود علة في القلب.

وبينما يعتبر جهاز رسم القلب التقليدي بالمجهود مجرد «اختبار توتر» لقياس الشحنة الكهربائية للقلب أثناء انقباضه، ومن ثم يكشف عن آثار النوبات القلبية السابقة والأخرى التي تتطور، فإنه يفشل عن تحديد المراحل المبكرة للنوبات القلبية قبل تطورها، خاصة لدى النساء - ربما بسبب صغر قلوبهن - من ثم يهبط مستوى دقة هذه الأجهزة إلى نحو ٥٠٪.

أما جهاز رسم الـ

إشراف: الدكتور محمد المخزنجي

الزلزالي الجديد، فإنه يقيس النشاط الميكانيكي للقلب، خاصة قوة ضغط البطين الأيسر الذي يعتبر المسئول الأول عن امداد الجسم - وضمنه القلب ذاته - بالأكسجين، ومن ثم يمكنه الوقوف أمام احتمالات «اختناق القلب» التي تؤدي إلى آلام الذبحة الصدرية.

لقد طور هذه التقنية عالمان، أولهما اختصاصي في الزلازل من كاليفورنيا هو «جون زانيتي»، وثانيهما احتصاصي بأمراض القلب يرأس قسم رسم القلب بمركز «مينا بوليس» الطبي وهو الدكتور «دافيد ساليرنو».

ومن المعروف أن جهاز رسم الزلازل عند وضعه على سطح الأرض، فإنه يكشف عن الاهتزازات الناشئة في الطبقات العميقة، أما عند وضعه على صدر المريض — ضمن هذه التقنية الجديدة — فإنه يقيس نشاط القلب. وإذا كان في الحالة الأولى يتعقب كوارث الأرض، فإنه في الحالة الثانية يتعقب كوارث القلب، وفي الحالتين يلعب دور المتنبىء وإن كان في الحالة الثانية يبدو أكثر فعالية مع قلوب البشر، خاصة النساء اللائي نجح الجهاز في التنبؤ بأمراض قلوبهن بنسبة ٨٦٪ من بين ١٢٠٠ مريض أجريت عليهم التجارب الأولى لاستخدام الجهاز بمعهد القلب بمينا بوليس. ومن الجدير بالذكر أن هذه النسبة من النجاح في تشخيص أمراض القلب كانت تتطلب في السابق استخدام أجهزة أكثر تعقيداً إضافة إلى أجهزة رسم القلب الكهربائية بالمجهود، أو بغيره.



بيئــــــــة

بيت يدور مثل عبـــاد الشمس

● كان المهندس المعماري الألماني «تيــدوتير هورست» يقضي إجازته في جنوب فرنسا، ولفتت نظره أزهار عباد الشمس التي تتجه دوما نحو القرص

المضيء، وانتبه إلى أن هذه الأزهار تأخذ دائما الزاوية الصحيحة التي تجعلها تتلقى أكبر كمية من الطاقة الشمسية، ولأنه كان مهتما منذ فترة طويلة بتصميم المباني التي تحقق وفرا في الطاقة، فقد خطرت له فكرة مفاجئة مستوحاة من سلوك هذه الأزهار.

بناء على هذه الفكرة تم بناء أول بيت شمسي دوار في أوربا، في المركز التكنولوجي الألماني «برانيه»، الذي يعمل به المهندس «تيرهورست». ولقد قام هذا البيت على تقنية تشبه تقنية تحويل اتجاهات قطار البضائع، فالبيت ينهض على بلاطة خرسانية تمتد تحتها سكة حديدية دائرية الشكل، وعلى هذه السكة يدور البيت الذي يزن ١٨٠ طنا بمحرك قدرته ٢٠ واطا موضوع في قبو البيت، بحيث يتوجه دوما صوب الشمس، متحركا سنتيمترات قليلة كل خمس دقائق، مما يجعل حركته دون صوت، ويجعل قاطني هذا البيت لا يشعرون بها، ثم إن البيت يعود تلقائيا إلى وضعه الأول في اليوم التالي.

ولقد حال الشكل الهرمي للبيت دون شغل مساحات من حديقته بالبطاريات الشمسية، إذ إن هذه البطاريات التي تلتقط طاقة الشمس توزعها حول سطح البيت توزيعا متساويا بحيث تتعرض مساحة كافية منها للأشعة مع دوران البيت، والطاقة المتولدة عن ذلك تكفي للإنارة ولتشغيل الأجهزة المنزلية الكهربائية، وأيضا لتشغيل ماكينة تحريك البيت، أما الطاقة الفائضة فإنها قابلة للتخزين في جهاز موجود بالقبو وتستخدم لتسخين مياه التدفئة التي تجري في شبكة أنابيب مختفية في الأرض وداخل الجدران.

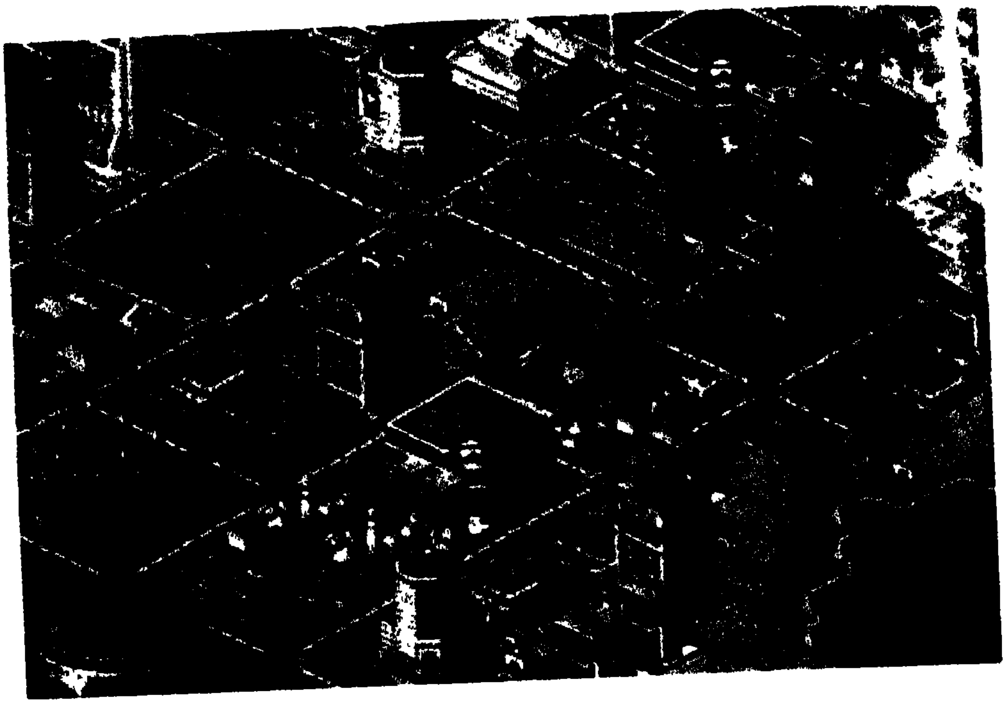
بلغت تكاليف هذا البيت الدوار الملون، الموجود حاليا في «برانيه» حوالي ٤٥٠ ألف مارك ألماني، علما بأن قدرة خلاياه الشمسية تماثل ضعف قدرة الخلايا في المباني الشمسية القديمة، وذلك بفضل فكرة الدوران، كما أن تصميمه يسمح لسكانه بمزيد من فرص الاستمتاع بالجو الطبيعي عند تحسنه، فنوافذ السطح تتحول إلى شرفات صغيرة عند فتحها، وغرفة النوم الموجودة تحت قمة الهرم مباشرة تمكن المرء من النظر إلى قبة السماء عندما يريد.

تكنولوجيا

صحيفتك المفضلة على شاشة الكمبيوتر

● إذا كنت تستبعد صحيفتك عندما تفكر في برامج تسليتك المفضلة، فقد جانبك الصواب. صحيح أن التسلية المستمدة من الصحف ليست بنفس قدر التسلية المستمدة من ألعاب الفيديو. لكنها تخطط لملاحقة تطور العالم الإلكتروني. وفي واقع الأمر، بدأت عدة صحف بالفعل في تقديم أنبائها بهذه الطريقة، بينما تخطط صحف أخرى للحاق بها، لكنها تحاول جميعها وضع تصور دقيق لما ستكون عليه الصحف عندما تختفي أوراقها.

ومن بين أفضل الصحف الإلكترونية تبرز في مركيوري سنتر، التابع لصحيفة سان خوسيه مركوري نيوز، هي صحيفة يومية اشتهرت باستخدام أحدث الطرق التكنولوجية في بث أنبائها

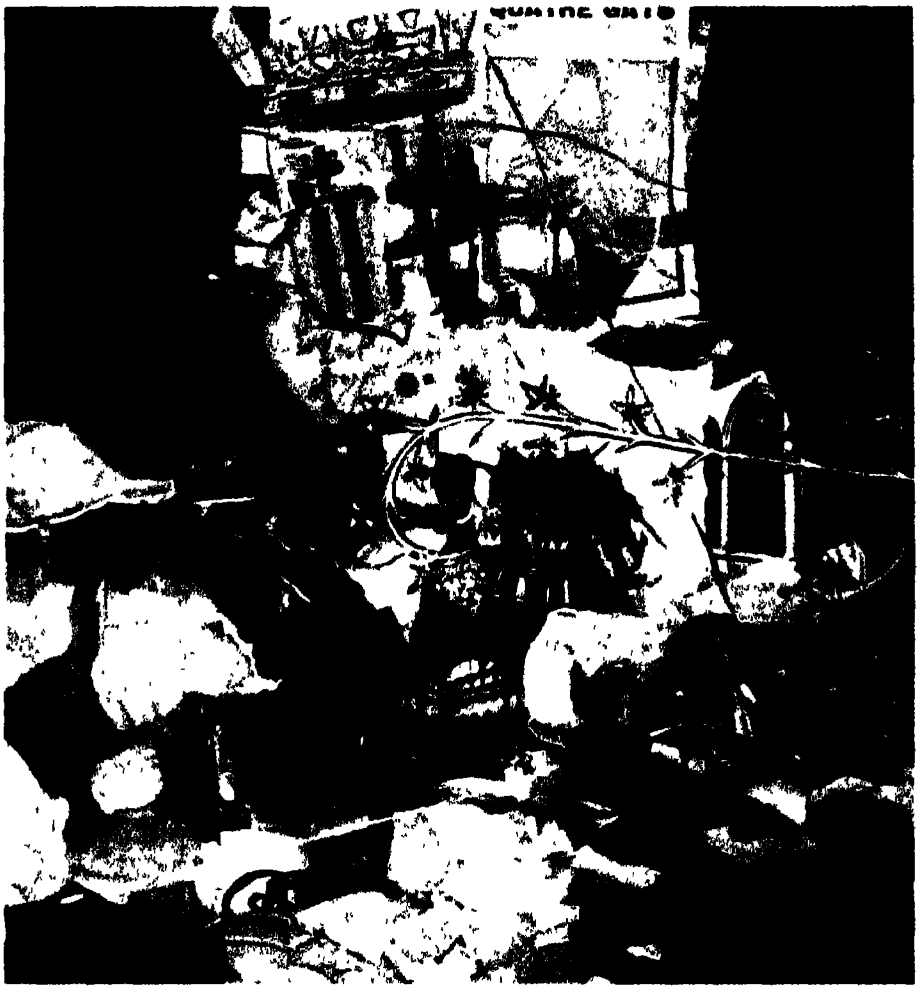


□ في الصحف الإلكترونية يمكنك أن تطالع مقالا أكثر تشويقا عن تخطيط المدن سنة ٢٠٠٠.

ويمكنك العثور على أنباء مركوري سنتر إذا استخدمت شبكة أمريكا على الخط، America on line، تعرف اختصارا باسم AOL، وهي شبكة خدمات إلكترونية تتسع باستمرار ويمكن استقبال برامجها على وحدات الكمبيوتر الشخصي من نوعي آي.بي.إم وماكنتوش وإذا أردت الاطلاع على آخر الأخبار، فكل ما عليك هو أن تدق على رمز معين أو تختار الكلمة المناسبة.

وتوجد في شبكة AOL صحفة أخرى هي شيكاغو على الخط Chicago on line، هي نسخة إلكترونية من صحيفة شيكاغو تريبيون Chicago Tribune وتقسم هذه الصحف وفقا لموضوعاتها، بحيث يمكنك الاطلاع على آخر الأخبار الدولية أو المحلية أو الرياضية أو الثقافية أو الفنية. وتوفر الشبكة سبل الاتصال المباشر بين القراء وهيئتي تحرير الصحيفتين. بحيث يمكن للقارىء عن طريق الكمبيوتر الشخصي الاتصال بهيئة التحرير وطلب معلومات إضافية عن أي موضوع وارد في الصحيفة. ولا يكلف الاشتراك في الصحيفتين أي مبالغ الآن. فالمشترك في شبكة AOLيتمتع بخدمات الصحيفتين مجانا. لكن الصحيفتين لا تتضمنان أي فقرات هزلية أو كلمات متقاطعة. ومع ذلك، فبإمكان القارىء العادي الاستغناء عن ذلك ببرامج الكلمات المتقاطعة التي تقدمها الويندوز والماكنتوش، بينما تتوافر برامج كوميدية أخرى لمختلف برامج الكمبيوتر.

وربما تتمكن الصحف الإلكترونية في وقت قريب من إدخال كل ما تفتقده اليوم من عناصر: الكلمات المتقاطعة، الصور، والقصص الهزلية، وربما ستكف يوما ما عن البحث في الطرقات عن جريدة الصباح.



فنون تصوير بالكلمات وغناء بالألوان

● «برشلونة رؤى متزامنة» هذا هو عنوان العمل الفني الذي يشترك فيه كاتب، وفنان تشكيلي هما «جون سيلشيا» و«جان بيير بوتي»، وهذا العمل جزء من مشروع معرض متنقل يستوحي أعماله من المدن التي يمر بها ويعكسها نصوصا ولوحات تمتزج معا ليشاهدها ويقرأها الجمهور على حوائط المعرض في وقت واحد.
وبرشلونة هي محطة من



المحطات الأخرى التي قف أو سيتوقف عندها مانان، مثل باريس، بكين، نس آيريس، روما، أثينا، نج كونج، وهذه المدن يتم اختيارها طبقا للرغبة في البحث عن حشد الانفعالات الإنسانية اللامحدود في مدن ذات طبيعة خاصة.

«ولماذا لا نحب المدن، نرسمها، ونغني لها، بإيقاعها السريع نفسه، مع إدراكنا التام لإنسانيتها الظاهرة والمختبئة، فالمدن متباينة، متناقضة، غنية وبها عوز، عظيمة ورثة، مثيرة للشكوك، وآسرة دائما»، هذه هي فلسفة المشروع كما صاغها الكاتب «سيلشيا»، وفي تفسير لآليات العمل الفني فإن الفنانين يحددان ذلك بالقول: «إن الاستقبال الشعري للفنان التشكيلي واللمح التصويري للكاتب سيمتزجان معا لتكوين سبيكة تعمل على إثارة مخزون الذكريات لدى من يعرفون هذه المدن، وإثارة العواطف وحب الاستطلاع لدى من لا يعرفونها». أما الأسلوب التشكيلي للرسام فتبرز فيه فنون «الكولاج»، أي تلصق أجزاء من صور ورسوم للمدن، موضوع الرؤية، داخل تكوين اللوحات، وعن ذلك يقول «بـ.ي» إن «الكولاج» يعطي لل حات دفعة إيحائية ونفسا شـ ريا في آن واحد.

مسرح «برودواي» لم تعد وحدها

مضى الزمن الذي كانت فيه ألمع أضواء المسرح الأمريكي تتألق فقط في «برودواي» ضاحية نيويورك الأسطورية التي كانت تضم ٣٦ مسرحا، حيث كانت تولد كل المسرحيات الجديدة، وتتم صناعة النجوم، وتكتشف المواهب المتألقة شاقة طريقها في عالم المسرح النيويوركي الذي كان يتسمى: «الطريق الأبيض العظيم».

تغير كل ذلك خلال عقود قليلة، وشبّت مجموعة من المسارح الإقليمية تشكل تحديا حثيثا ـ وإن كان حقيقيا ـ لبرودواي، من حيث الإبداع والإنتاج والأصالة، مما يجعل من «برودواي» مجرد متفوقة ضمن متفوقين والأمثلة عديدة.

في الغرب الأمريكي يمكنك أن تشاهد على مسرح «سياتل» عرض «وقائع حياة هايدي» التي تعالج إشكالية المرأة في عالمنا المعاصر، وقد ذهبت هذه المسرحية إلى نيويورك فاكتسحت مسارح «برودواي» وفازت بجائزة «بوليتزر» كأفضل مسرحيات الموسم.

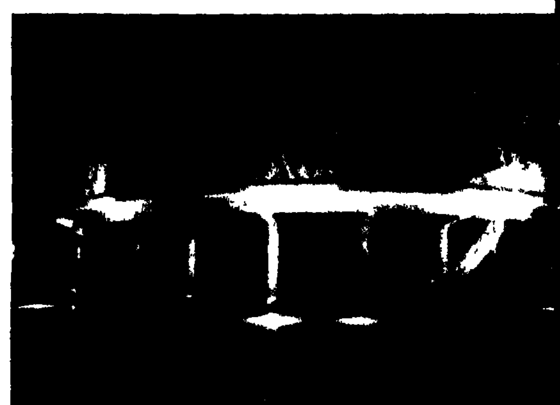
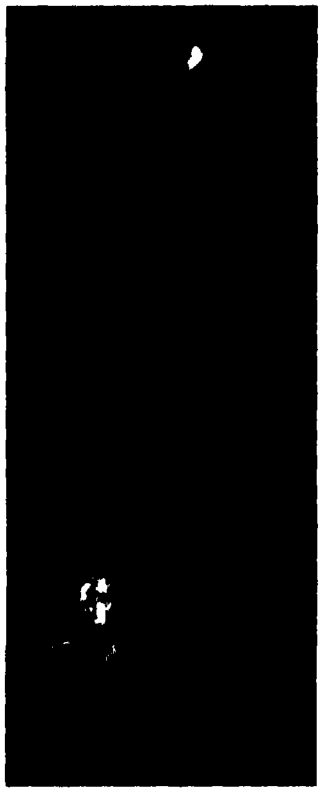
وفي الجنوب الغربي يمكنك أن تشاهد في «هيوستون» مسرحية «العالم المحير» التي نجحت في غزو ١٧ مدينة أمريكية وكندية.

وفي الجنوب، يمكنك أن تشاهد في «ساراسوتا» إحياء عصريا للبيت المسرحي الاسكتلندي، وإن بطريقة أمريكية، وباستخدام أفضل وأحدث تقنيات إضاءة مسرحية في العالم.

هذا إضافة لما يحدث في مسارح إقليمية أخرى في «هارتفورد» و«لوس أنجلوس» وغيرهما، حيث تضرب بعض المسرحيات أرقاما قياسية في مدة العرض مثل كوميديا «نقود الناس الآخرين»، وحيث ترى إنتاجا دوليا مشتركا واستضافة لمسرحيات من



□ مسارح الأقاليم الأمريكية والتجريب بشمل النص والشكل.


☐ بينما تموج مسارح الأقاليم الأمريكية بالحركة (الصور في الوسط وفي اليمين) تطفيء كثير من مسارح برودواي اضواءها (الصورة أقصى اليسار).

خارج الولايات المتحدة، مثل «لغز زهرة بوكوت» للأرجنتيني «مانويل بويج».

إنه تحد حقيقي يعني أن «برودواي» لم تعد قلب المسرح الأمريكي، فمنذ ربع قرن كانت المسارح الإقليمية تعيش على فتات ما تعرضه برودواي إضافة إلى إعادة عرض الكلاسيكيات، الآن يحدث العكس، وتتحول هذه المسارح الإقليمية إلى قاطرة تشد المسرح الأمريكي كله من حيث تقديم الجديد، والضخم أيضا، واكتشاف وصقل تقنيات جديدة ومبدعين جدد.

المسارح الإقليمية الأمريكية خطت بثبات إلى ساحة الملايين من المشاهدين، وخططت لأن يكون في برنامجها ما يصلح للجميع من عمر الطفولة حتى الشيخوخة، وهي تطعم فرقها بمواطنين محليين لإعطاء طعم اجتماعي حميم لعروضها.

هذا، بينما اقتصرت عروض مسارح «برودواي» تقريبا على المسرحيات الغنائية باذخة التكاليف، ولم يعد يرتادها جمهورها القديم العريض من الطبقة الوسطى الأمريكية، إذ حل بمكان هذا الجمهور بعض السائحين وطبقة رجال الأعمال القليلة العدد. لم يعد هذا البذخ الغنائي يخفي حقيقة أن كثيرا من مسارح «برودواي» قد أطفأت أنوارها، وأن أفضل فنانيها وفنييها يتسربون منها إلى هوليوود وإلى التلفزيون، إضافة إلى أن هذا البذخ الشكلي يهدد بمزالق مالية قاتلة، وثمة رؤية مستقبلية تقول إن الأمل الوحيد لمسارح برودواي الباقـ حتى تستمر خلال القـ الحادي والعشرين، هو أكثر العروض شعبية لـ مسارح الأقاليم وإعـ عرضها على مسـ نيويورك!.

أدب

لحظات هادئة وسط الحرب



□ سارتر و سيمون دي بوفوار

● «اليوم سأضع قذيفة في قلمي» هكذا كتب سارتر بدون إدعاء للبطولة الى سيمون دي بوفوار في مايو ١٩٤٠ قبل اسبوعين فقط من وصول القوات الألمانية الى اطراف باريس. كان هذا هو السلاح الوحيد الذي شهره في وجه الحرب. وعلى الرغم من ذلك فهو بلا شك بطل من ابطالها. فقد سود عدة كراسات طبعت فيما بعد منها ثلاثية «طريق الحرية» و«الوجود والعدم» والعديد من الاعمال المسرحية، بالاضافة الى العديد من الرسائل التي واصل ارسالها الى سيمون دي بوفوار في الفترة من ١٩٤٠ الى ١٩٦٣. والتي صدرت اخيرا تحت عنوان «لحظات هادئة وسط الحرب». لم تكن الحرب هادئة بالنسبة له، فقد انضم للمقاومة الفرنسية وقبض عليه حيث أودع أحد معتقلات الأسر الألمانية، ثم أفرج عنه ليعود الى باريس المحتلة. ومن الغريب ان هذه كانت واحدة من أكثر الفترات خصوبة في حياته «في الصباح اخصص نفسي للفلسفة حيث اكتب عن نظرية جديدة للزمن أما فترة بعد الظهر فانني أمارس فيها كتابة الرواية.. أما الآن فوداعا يا حبي».

إن هناك طاقة استثنائية تظهر وسط سطور هذه الرسائل. لعل مصدرها تلك الاشارات الثقافية والفلسفية العميقة التي تدل على اتساع رؤيته وكثافة قراءته. أو لأنها تخاطب امرأة يرى أن حبه لها هو دليل حريته فهو يشرح في هذه الرسائل أبعاد العلاقة بينه وبين سيمون دي بوفوار والتي استمرت طويلا متضمنة نفس الأفكار التي كانت بذورا لكتابها الشهير «الجنس الثالث». وهو يظهر لها أحيانا رقة عاطفية. وأحيانا يكون قاسيا في النقد على نفسه «لم أعرف أبدا كيف أتعامل جيدا مع حياتي العاطفية. أحيانا أشعر مخلصا أنني أشبه حيوانا صغيرا يهوى تعذيب الآخرين.. أو انني نموذج من الدون جوان مثير للتقزز». وهو لا يخفي عنها شيئا تقريبا حتى عندما سافر إلى أمريكا في رحلة طويلة بعض الشيء ووقع في غرام دوريس فانتي.. التي كان يطلق عليها في رسالته «حبي الثاني الكبير». وهو يحكي أيضا عن تجربته مع المخرج «جون هيوستون» الذي أقام خلال هذه الرحلة في منزله وحاولا معا أن ينجزا سيناريو لفيلم عن حياة «فرويد» لم يكتب له الخروج الى النور وربما لم تكشف هذه الرسائل عن معان جديدة في فلسفة سارتر ولكنها تلقي الضوء على المزاج العام لحياته وهي سجل حي يظهر تفاصيل مخيلته الإبداعية وعلاقاته الاجتماعية.

رياضة

ألعاب بيضاء وأخرى سوداء

● بعد تخفيف قوانين الفصل العنصري في جنوب أفريقيا منذ ثلاث سنوات سمح لهذه البلاد بالعودة إلى ساحة الرياضة الدولية، وسرت فيها أحاديث حماسية عن نهضة رياضية مرتقبة، وبرزت بالطبع أسئلة عن مشاركة المناطق السوداء في هذه النهضة، لقد دخل مواطنو هذا البلد في ساحة المنافسة الأولمبية، واعتبر فريق «الكريكت» بها قوة دولية لا يستهان بها، ويجري التجهيز لإقامة بطولة العالم في لعبة «الرجبي» عام ١٩٩٥ بعاصمتها وملاعبها المختلفة، وثمة حديث عن احتمال إقامة الدورة الأولمبية لعام ٢٠٠٤ في أراضيها.

كل هذا يبدو غير مهم بالنسبة لسكان جنوب أفريقيا السود في مناطقهم التي فرضت عليها العزلة قوانين التفرقة العنصرية التي [illegible] نظريا دون تغيير عملي، [illegible] في إقليم «سويتو» الذي يقع على بعد أميال قليلة من العاصمة جوهانسبرج، وعلى الرغم من أن جنوب أفريقيا تعتبر من أغنى دول العالم امتلاكا للمنشآت الرياضية في كل أرجائها، إلا أن المناطق السوداء إما أنها تفتقر تماما لأي من مثل هذه المنشآت، أو أن الموجود بها فقير وبائس إلى درجة الرثاء.

فعلى سبيل المثال، يعيش في «سويتو» وحدها أربعة ملايين إنسان، من بين سكان هذا البلد البالغ عددهم ٣٨ مليون نسمة، ويوجد في «سويتو» لاعبو كرة قدم جيدون، وملاكمون ذوو مستوى عالمي، لكن رياضات مثل الجولف والتنس والقفز الاستعراضي تعتبر من المحرمات التي تخلو منها شوارع سويتو، فأندية «سويتو» في حقيقة الأمر، هي في الشوارع!. ومع الانفراجة الديمقراطية تكون في سويتو ناد «لكرة القدم والرجبي»، رغم أن الرجبي تعتبر لعبة ليست سوداء، «وإن وجد لاعبون سود في الفر[illegible] الوطني للبلاد»، وفي مساء [illegible] أربعاء يقوم مؤسس النا[illegible] «لو ماكس تشا ندو» بح[illegible] لاعبيه الخمسة عشر للتدر[illegible] في ملعب «أورلاندو» [illegible] أرض تملؤها الحفر وبق[illegible]





القصب والبوص وكسر الزجاج، ورغم الظلمة والإصابات والجروح فإن اللاعبين يبدون شجاعة فائقة، وحماسا للاستمرار، على أمل استكمال الفريق الذي ينبغي أن يتكون من ٦٠ فردا للحصول على عضوية اتحاد الرجبي في إقليم «الترانسفال» الذي يتبعونه والذي تتكون كل فرقه من البيض.

إن رياضيي «سويتو» يتدربون شتاء في مناخ قارص في الأماكن المفتوحة، أو في أماكن مغلقة تسودها أدخنة مداقء الفحم الذي يعتبر أساس طاقة التدفئة التي يستخدمها السود رغم توافر الكهرباء التي تفوق طاقتهم الاقتصادية المحدودة، كما أن الملاعب خشنة إلى درجة لا يستطيع احتمالها الرياضيون البيض، وهذه الظروف تعيق الكثير من الرياضيين السود عن الوصول إلى ما يستحقونه من مكانة.

على سبيل المثال فاز «ثيو رافيري» في العام الماضي بالمركز الثاني في الماراثون الوطني للمسافات فائقة الطول ULTRA MAR-RATHON، ومع ذلك لم يطور هذا الفوز من شكل حياته المتواضعة كخفير لأحد المسارح الخاصة بجوهانسبرج، ويعلق «رافيري» على ذلك قائلا: «لو كنت أبيض لحصلت بسبب بطولتي على الكثير، لكن لكوني أسود فإنني لا أستطيع مجرد تغيير مهنتي».

أما «جاك ماتلالا» بطل العالم للملاكمة في وزن «الذبابة» فإنه يتدرب في ضاحية «دوبو» السوداء مع ٦٠ شخصا، في صالة صغيرة تضيئها لمبة نيون واحدة! وعلى كيس ملاكمة ممزق، وفي عدم وجود حلقة للملاكمة، هذا، بينما تشمخ خاوية على مبعدة أميال قليلة «أكاديمية الملاكمة» التي تطوعت ببنائها شركة «تويوتا» للسيارات، وظلت مهجورة لقرب مدخلها من نزل للزولو يجعلها عرضة لأعمال العنف المستمرة، مثلها مثل صالة التنس التي تطوع لإنشائها بطل اللعبة الشهير الأسود «آرثر آش»، وانهارت دون أن يسعى أحد إلى ترميمها منذ سنوات بعيدة. على الرغم من كل ذلك، فإن آمال الرياضيين السود في «سويتو» تنتعش، ليس لأن مجلس الرياضة بها قد عقد العزم على التقدم، ولكن ــ وبالأساس ــ لأن التعددية السياسية المأمولة في جنوب أفريقيا، ستفتح الأبواب لمزيد من العدل الرياضي بين المواطنين البيض والسود في ذلك البلد. □

مسابقة العربي الثقافية

العـــــدد ٤٢٥ أبـــريل ١٩٩٤

جـــوائز المسابقـة:

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جـــوائز تشجيعيـــة قيمـة كل منهـا ١٠ دنـانير

١

الأنـدلس، شبـه جـزيـرة أوربيـة فتحهـا العرب، وأطلقـوا عليها هـذا الاسم، بينما كان اسمها القديم:

* سالونيك.
* كاطالونيا.
* ايبيريا.

٢

مدينـة إسبانيـة اتخذها الـرومان منـذ سنة ١٦٩ق.م عـاصمـة لإسبـانيـا السفلى، وانخرطـت في الإمبراطورية الرومـانية، واشتهرت قـديما بسورهـا المنيع، وأبوابها السبعة، وهذه المدينة هي:

* طليطلة.
* أشبيلية.
* قرطبة.

٣

استطاع الأمير «عبـدالرحمن الـداخل» أن يقتحم الأنـدلس، وكـوّن في الأنـدلس إمـارة جعل مـركـزهـا قـرطبـة، ولقب الداخل يرجع إلى أنه:

* اسم عائلته العربية.
* أول من دخل الأندلس من بني مروان.
* كان شديد الانطواء على نفسه.

٤

كان الفتـح العربي لإسبـانيا بقيـادة طارق ابن زيـاد، حيث التقت جيـوش المسلمين بـآخـر ملوك القـوط، وانتصر المسلمـون انتصارا حاسما، وكان ذلك في:

* سنة ٧١٠ ميلادية.
* سنة ٢٩٣ ميلادية.
* سنة ٨٠٩ ميلادية.



□ السور العربي أثر ما زال يشهد على أيام العرب في الأ...

٥

قـائد عـربي نـزل الجزيـرة الخضراء، وأتم فتح أحصن مـدن الأنـدلس، ومضى إلى أشبيليـة ثم إلى «مـارده»، واقترن اسمـه بفتح بلاد المغرب والأندلس، ذلك القائد هو:

* الوليد بن عبدالملك بن مروان.
* موسى بن نصير.
* طارق بن زياد.

ارفق هـذا الكوبـون بـالحل

كوبون مسابقة

العربي

العـدد ٤٢٥

ا مروط:

لإجابة عن تسعة أسئلة من الأسئلة المنشورة، ترسل الإجابات على
ا حوان التالي : مجلة العربي «مسابقة العربي العدد ٤٢٥» وآخر موعد
ل سول الإجابات إلينا هو أول مايو ١٩٩٤ م . والرجا كتابة الاسم الثلاثي
و عنوان البريدي واضحين، ورقم الهاتف إن وجد.

ترسل الإجابات على العنوان التالي: العربي: ص.ب ٧٤٨ رمز بريدي 13008 الصفاة ــ الكويت



□ قرية إسبانية يحوطها السور العربي القديم

٦ قصر شهير شهد الأحداث التي مرت بغرناطة، وتروي أبراجه وقاعاته قصة هذا الصراع الذي انتهى بضياع الأندلس، واسم هذا القصر:
* الحمراء.
* الزعفران.
* توبكابي.

٧ في عهد «عبدالرحمن الأوسط» وفد المغني «أبو الحسن علي بن نافع» من المشرق إلى الأندلس، وللمغني لقب شهير عرف به من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه، وشبه بطائر أسود غرد، وهذا اللقب هو:
* سحيم.
* زرياب
* الموصلي.

٨ ابن حزم .. من عباقرة الفكر الإسلامي في الأندلس، وكان قمة هذا الفكر في مطلع القرن الحادي عشر، ترك العديد من الكتب في مقدمتها كتاب:
* الامتاع والمؤانسة.
* في الألف والإيلاف
* طوق الحمامة.

٩ كاتب إسباني ولد عام ١٥٤٧م، مؤلف قصة «دون كيشوت» ولد في مدينة القلعة، وبها جامعة معروفة باسمه بالقرب من العاصمة الإسبانية مدريد، هذا الكاتب هو:
* خوثيه ثيلا
* سيرفانتس.
* لوركا.

١٠ سنة ١٩٥٦م فار الكاتب الإسباني حوان رامون خمنيث بجائزة نوبل، وهو شاعر، وله ديوان شهير يعد من الكتب العالمية، تحدث فيه عن قريته وحماره ومروجه الخضراء والضعفاء، واسم هذا الكتاب:
* عرس الدم.
* أنا وحماري.
* حلم ليلة صيف. □



حل مسابقة
العدد ٤٢٣
فبراير ١٩٩٤



١ يقسم علماء «الأنثروبولوجيا» أو علم الإنسان النوع الإنساني إلى ثلاث مجموعات تبعا للون، هي البيضاء «أو القوقازية»، والسوداء «أو الزنجية»، والصفراء «المغولانية»، ومن هذه المجموعات الثلاث تكون الأجناس

٢ تبعا لتشابه الصفات الوراثية من حيث لون البشرة والشعر والعيون والصفات الجسدية، فإن المجموعات الإنسانية يرجح أنها نشأت في أماكن تتناسب مع هذه الصفات، فالقوقازيون «البيض» نشأوا في أوربا والشرق الأوسط والهند، والزنوج السود نشأوا في إفريقيا وماليزيا، والصفر نشأوا في آسيا، وأمريكا اللاتينية «الهنود الحمر» والإسكيمو

٣ أدت عزلة البشر الطويلة بعد توزعهم ومعايشتهم لبيئات مختلفة، إلى تكيفهم مع هذه البيئات، فالإسكيمو والمغول الذين يعيشون في المناطق القطبية، لهم قامات قصيرة بدينة لمواجهة البرد، بينما الأفارقة سود يتناسب لون بشرتهم الداكنة مع شمس إفريقيا الحارة، والأوربيون الذين يعيشون في مناخ معتدل قوامهم أكثر اعتدالا

٤ تمثل الهند حالة خاصة، إذ تعتبر مهدا لأجناس مختلفة ظلت محافظة على تمايزها حتى اليوم، بسبب ما يسودها من نظام طبقي، إذ صارت العزلة الاجتماعية سببا في عزل الأجناس، فأفراد الطبقات العليا لهم بشرة أقل اسمرارا من بشرة أفراد الطبقات الدنيا، كما أن هذا التمييز الطبقي حال دون تزاوج الطبقتين، كما أبقى فروق الألوان واضحة وقائمة حتى الآن.


□ اليابانيون من المجموعة البشرية الصفراء

٥ يعتبر علماء الإنسان سكان استراليا الأصليين من المجموعة البيضاء بسبب بياض بشرتهم وقوامهم المتوسط، وهؤلاء السكان يتميزون بخاصية هي أن الدهون في أجسامهم متراكمة بطريقة تمكنهم من تحمل أدنى درجات الحرارة، وهم غالبا يولدون بشعر أشقر وأجعد يتحول تدريجيا إلى الاحمرار أو السمرة عند البلوغ.

٦ تضم المجموعة السوداء في إفريقيا عدة أجناس، منها السودانيون وشعوب النيل في



□ المغوليون.. منحوا المجموعة الصفراء اسمها.

إفريقيا الشرقية، وهؤلاء بشرتهم شديدة السواد وقامتهم طويلة ونحيفة، مما يوفر لهم مساحة سطحية كبيرة تيسر تنفسهم وترطب أجسامهم، مما يساعدهم على مقاومة الحر

٧ يتميز الأقرام الزنوج في إفريقيا الجنوبية بلون بشرتهم البنية المائلة إلى الاصفرار، وشعرهم المجعد، وآذانهم التي تبدو وكأنها بدون شحمة، كما أن نساءهم يتميزن بأرداف شديدة الاكتناز، وهي ظاهرة تعرف علميا باسم سيتا توبيج، ومعناها «تجمع شحمي على الإلية»

٨ من المجموعة الصفراء تنحدر الأجناس السيبرية والتركستانية، وتشمل الكوريين وشعوب جنوب شرق آسيا كالتايلانديين والبورمانيين.

٩ يتفق معظم علماء الأنثروبولوجيا «علم الإنسان»، على أن سكان أمريكا الأصليين يعود أصلهم إلى سيبيريا التي قدموا منها عبر ألاسكا، ثم انحدروا بعد ذلك نحو جنوب القارة الأمريكية، حيث استوطنوا، ويتميزون بدرجة تشابه عالية، إذ إن لون بشرتهم واحد وشعرهم أسود متين نادرا ما يخطه الشيب.

١٠ لا توجد فروق في القدرات الكامنة للبشر، إذ إن الفروق في الشكل واللون إنما تعود إلى أسباب موروثة، فلون البشرة تحدده مادة اسمها الميلانين، إذا زادت في الجلد مال إلى السمرة، وإذا قلّت يميل إلى البياض، ولا يرتبط هذا بمعدل الذكاء الإنساني ولا مستوى التحضر، فهذه عناصر لا يحددها اللون أو الشكل. □

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٢٣ فبراير ١٩٩٤

الفائز الأول: عبدالله مبارك الدوسري - السعودية/ الرياض

الفائز الثاني: سهير محمد الهنداوي - مصر/ محافظة الغربية

الفائز الثالث: شادي محمد هدى - سوريا/ إدلب

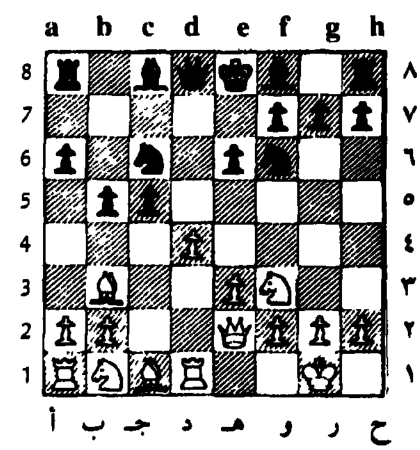
الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - لودي إسماعيل - فنلندا.
٢ - جهاد فوزي مشتهى - الكويت/ ص.ب ٧٦٩ الصفاة.
٣ - السيد عبداللطيف حسين - مصر/ دسوق - كفر الشيخ.
٣ - ندى محمد زياد حماد - لبنان/ طرابلس.
٥ - عامر بهجت صادق - الإمارات العربية المتحدة/ دبي.
٦ - حورية جمعة محمد سلطان - البحرين/ قرية سماهيج.
٧ - عبدالله الرشيد محمد - قطر/ الدوحة.
٨ - نادرة الحاج عمر - سوريا/ حلب.

معركة بلا سلاح

افتتاحات بيدق الوزير ١ : د٤ كثيرة الشيوع في الشطرنج المعاصر لمتانتها وغناها وتنوع تشكيلاتها، ومن هذه الافتتاحات ما هو ذو طابع هجومي، ومنها ما هو ذو طابع دفاعي، وسنقتصر في هذا العدد على افتتاحات بيدق الوزير ذات الطابع الهجومي والتي تعرف بجامبيت الوزير: ١.د٤ د٥ ٢.جـ ٤، وفي الجامبيت كما هو معروف يضحي الأبيض ببيدق «هنا جـ ٤» مؤقتا بقصد الهيمنة على الوسط وفتح العمود جـ لصالح قطعه الضاربة، ويتفرع جامبيت الوزير إلى قسمين رئيسيين أولهما جامبيت الوزير المقبول: ١:د٤ د٥ ٢:جـ٤ د×جـ ٤، وثانيهما جامبيت الوزير المرفوض وله التفريعات الأربعة التالية:

أولا : الدفاع النظامي : ١.د٤ د٥ ٢.جـ٤ هـ٦



(الشكل ١)

ثانيا : الدفاع السلافي : ١.د٤ د٥ ٢.جـ٤ جـ٦

ثالثا : جامبيت ألبين المضاد . ١.د٤ د٥ ٢.جـ٤ هـ٥

رابعا : جامبيت بنوني المضاد : ١.د٤ جـ٥

والدور التالي مثال جيد على طابق جامبيت الوزير المقبول وهو يحتوي علي عدد من الأخطاء المركزية التي ننوه إليها ليعمل اللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبه على اجتنابها:

١. د٤ د٥

٢. جـ٤ د×جـ٤

٣. حص ـ و٣ بقصد منع الأسود من تقديم بيدق الملك إلى «هـ٥».

٣. .... حص ـ و٦

٤. هـ٣ هـ٦

٥. فل×جـ٤ مستعيدا البيدق الذي ضحى به في بداية الدور.

٥. .... جـ٥

٦. ت أ٦ لتعزيز جناح الوزير ومجابهة هجوم الأبيض المرتقب.

٧. و ـ هـ٢ ب٤

٨. فل ـ ب٣ حص ـ جـ٦

٩. ر ـ د١ ! نقلة بديعة تنطوي على تهديد قوي لوقوف الرخ في قاعدة العمود الذي يقف عليه وزير الأسود «انظر الشكل المرفق».

٩. .... فل ـ ب٧

١٠. حص ـ جـ٣ و ـ جـ٧

نقلة ضعيفة وغير محسوبة بدقة تتيح للأبيض فرصة لاختراق الوسط، والصواب هنا:

١٠. .... جـ٤ ١١. فل ـ جـ٢ حص ـ ب٤

١١. د٥ هـ×د٥

١٢. هـ٤ ينفرج الدور الآن ليصبح في صالح الأبيض نظرا لتسمير الملك الأسود بالوزير، ووقوف الرخ الأبيض في قاعدة العمود المجاور.

١٢. .... د٤ مصطرا إذا

١٢. ... ... د×هـ٤ ١٣. حص×هـ٤ حص×هـ٤

١٤. و×هـ٤+ بمركز هجومي قوي بسبب اضطرار الأسود لحجب الكش إما بالحصان أو الوزير.

١٣. حص ـ د٥ حص×د٥

١٤. هـ×د٥ + بالكشف حص ـ هـ٧

١٥. فل ـ ز ه جـ٤

مهددا الفيل الأبيض نظرا لأنه لا يملك دفاعا أفضل فيقدمه له الأبيض عن طيب خاطر.

١٦. ر×د٤ جـ×ب٣

١٧. د٦ مهددا حصان الأسود المسمر ووزيره في آن واحد وهنا يدرك الأسود عدم جدوى متابعة اللعب فيستسلم. □

حل مسابقة العدد ٤٢٤ مارس ١٩٩٤م

١. حص ـ جـ٦ + ب × جـ٦

٢. ر ـ ب ١+ م ـ أ٨

٣. و× حـ٨ (مات)

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد ٤٢٣ ـ فبراير ١٩٩٤م

الفائزون باشتراك سنة كاملة:

١ ـ شحور علي ـ المغرب/ مراكش.

٢ ـ أحمد نظام محمد ـ الإمارات/ دبي.

٣ ـ هيام محمد عبدالدايم ـ سوريا/ حمص.

٤ ـ ماجد محمد آدم ـ مصر/ المحلة الكبرى.

٥ ـ مارك كورش ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

الفائزون باشتراك ستة أشهر:

١ ـ عدنان وديع ـ الكويت/ ص.ب ٥٨٣٤.

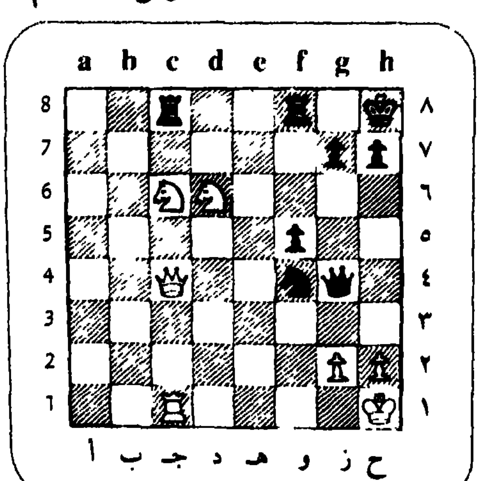
٢ ـ أمل علي شبل ـ لبنان/ بيروت.

٣ ـ عيسى بن ناصر بن محمد ـ سلطنة عُمان/ الخوض

٤ ـ منير سعد بلال ـ المملكة العربية السعودية / عفيف.

٥ ـ صفوت جيلاني ـ سوريا/ حلب.

مسألة العدد ٤٢٥ ـ ابريل ١٩٩٤م



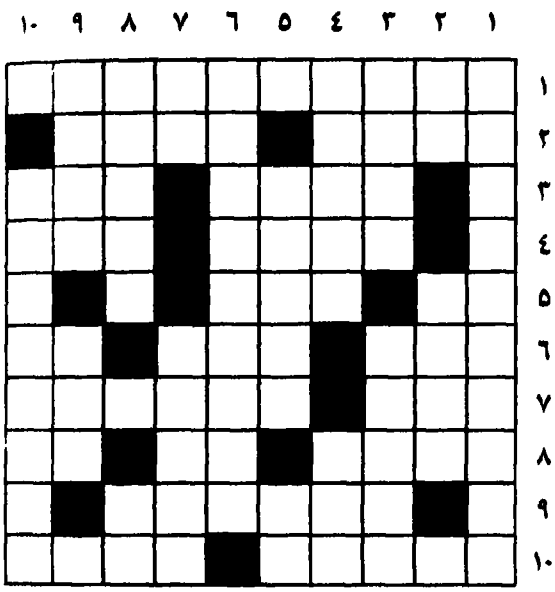
مات ٤

من إهداء القارىء

وانيس كوسايان (حلب)

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق الحاد المتمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المهمة والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذ ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد



كلمات أفقية:

١ ـ منظمة عالمية تنبثق عن هيئة الأمم المتحدة تعنى برفع المستوى الصحي في العالم.
٢ ـ محتال، المختار الخالص من كل شيء.
٣ ـ الاسم المختصر للاتحاد الدولي لكرة القدم، ملأ.
٤ ـ الاسم من رن، تجدها في وبيل.
٥ ـ شرع وبدأ، عكس خذ.
٦ ـ أبو البشر عليه السلام، قطع الشيء قطعا صغيرة، حرف امتناع لامتناع
٧ ـ ظهر من بعيد، تدب فيهم الحياة من جديد
٨ ـ مأوى حيوان مفترس، حرف نداء للندبة خاصة، لمس.
٩ ـ مليونير أمريكي تبرع بالأرض الشاسعة التي تقوم عليها هيئة الأمم المتحدة حاليا.
١٠ ـ تخرج لسانها مع التنفس الشديد عطشا أو تعبا، يركض.

كلمات عمودية:

١ ـ منظمة دولية تعنى بتحسين ظروف العمل تأسست عام ١٩١٩ ولا تزال قائمة حتى الآن
٢ ـ كلام منصوص، ما يدور عليه الشيء.
٣ ـ منتصر، تبعث على الحيرة.
٤ ـ واضحة، نقض أو أخلف العهد.
٥ ـ فيافي، تكلم.
٦ ـ مؤسسة دولية للشرطة الجنائية.
٧ ـ قلب أو جوهر الشيء، رفعة سؤدد.
٨ ـ صديقه، إله الشمس عند قدماء المصريين.
٩ ـ منسوب للحبشة، عتاب
١٠ ـ الاسم المختصر لمنظمة دولية تسعى لـ التعاون بين الأمم عن طريق التربية والثقافة والعلوم. □

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ح	ص	ا	ب	ط	ر	و	ا	د	هـ
٢	و	ا	ت	ر	ل	و	■	ل	ي	ن
٣	ت	■	خ	ا	ب	ر	■	ح	ا	د
٤	ى	■	م	و	ن	ا	ل	ي	ز	ا
٥	و	ا	هـ	ح	■	ح	■	و	■	م
٦	ن	د	■	■	ن	■	ا	ك	ل	■
٧	س	ا	ع	هـ	ب	ح	ب	ن	■	■
٨	■	هـ	ن	■	غ	ا	ن	د	ي	■
٩	ر	■	م	د	■	ر	ت	ا	ب	هـ
١٠	ع	ص	ا	م	و	س	ى	■	ر	ر

حل مسابقة العدد ٤٢٤
مارس ١٩٩٤

■ من المكتبة العربية ■

سلام ما بعده سلام

ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤ ـ ١٩٢٢

تأليف: دافيد فرومكين
ترجمة: أسعد كامل إلياس
عرض: الدكتور محمد حسين غلوم*

إن «العراق وما نسميه الآن الأردن هما اختراعان بريطانيان». هكذا يصف لنا دافيد فرومكين بإطناب في مؤلف ضخم «٦٥٠ صفحة من القطع الكبير» المخاض العسير لولادة الشرق الأوسط الحديث مركزا على الفترة الواقعة بين ١٩١٤ و١٩٢٢، وهما تاريخا نشوب الحرب العالمية الأولى وانتهاء مؤتمرات الصلح، التي أعقبت تلك الحرب، والتي رسمت فيها الصورة النهائية لهذه المنطقة.

يذهب المؤلف إلى أن البريطانيين قلما خطرت على بالهم الإمبراطورية العثمانية وهم يدخلون الحرب إلى جانب فرنسا وروسيا ضد ألمانيا وإمبراطورية النمسا ـ هنغاريا في ١٩١٤. وحتى لو خطرت في بالهم فقد كان الافتراض العام أن ألمانيا قد تحاول إغراءها بالتحالف. لم يخطر في بال القادة البريطانيين أن الأمر هو عكس ما تراءى لهم: أي أن تركيا هي الساعية إلى التحالف وأن ألمانيا هي المتمنعة.

ولم تكن هذه النظرة دون خلفيات. لقد كانت الدولة العثمانية تشهد آخر فصول تفسخها. إذ خضعت إيراداتها في عام ١٨٧٥ إلى إشراف أوربي لسد عجز قدر بألف مليون دولار، فضلا عن وجود نظام «الامتيازات» كانت تمنح بموجبه معاملة خاصة للأجانب. أما أراضيها فكانت في تقلص مستمر. ففي ١٩٠٨ فقدت البوسنة والهرسك لصالح إمبراطورية النمسا ـ هنغاريا، وتوسعت إيطاليا على حسابها

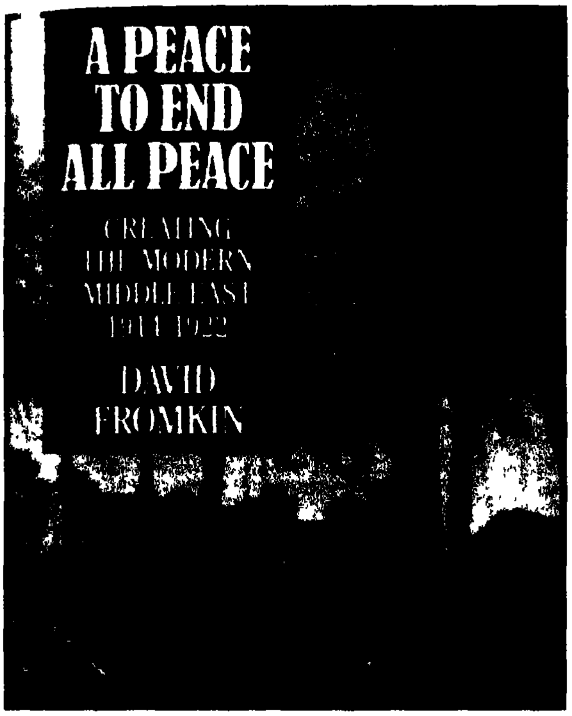
* مدرس بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في جامعة الكويت

بضمها لليبيا ١٩١١ ـ ١٩١٢ واحتلالها لجزيرة رودوس وجزر أخرى قرب الساحل العثماني. وسلب منها ما تبقى من الجزء الأوربي في ١٩١٢ ـ ١٩١٣. وكانت البلاد خربة من الناحية الاقتصادية.

تلك كانت تربة خصبة لانتشار روح التذمر ولنشوء جمعيات معارضة استلهمت أفكارها من جماعات القرن التاسع عشر الثورية في أوربا خصوصا «الكاربوناري» الإيطالية. ووجدت هذه الجماعات أنصارا لها بالذات بين الجامعيين وطلبة الكلية العسكرية. ولأن السلطان عبد الحميد «١٨٧٦ ـ ١٩٠٩» كان مستبدا، فقد نشطت هذه الجمعيات في منطقة سالونيك ـ اليونانية حاليا ـ بعيدا عن رقابة أعين السلطان. وقد أصبحت أبرز تلك المجموعات جمعية الاتحاد والترقي أو حزب تركيا الفتاة بقيادة محمد طلعت «الذي أصبح فيما بعد وزيرا للداخلية». وكان أعضاء هذه الجماعة يقسمون على المصحف والمسدس. وحينما تمكن هذا الحزب من السلطة في عام ١٩٠٨ أخذ يبحث عن الوسيلة لانتشال الإمبرطورية من تخلفها الاقتصادي، ويؤمن لها الحماية من الضواري الأوربية الكاسرة التي كانت تنهش جسدها المريض.

ويبين الكاتب كيف أن الإدارة البريطانية قد عاشت في وهم أن حزب تركيا الفتاة كان واقعا تحت إشراف الماسونيين اليهود. وكان ينظر آنئذ لليهود على أساس أنهم حلفاء للألمان. فقد بعثت السفارة البريطانية في اسطنبول في عام ١٩١٠ تقريرا أكدت فيه هذا الرأي استنادا إلى أن طلعت وزملاءه في الحزب كانوا يتخذون محفلا ماسونيا أقامه المحامي اليهودي أمانويل كاراسو في سالونيك ـ وهي مدينة يكثر فيها اليهود ـ مقرا لاجتماعاتهم تخفيا من شرطة السلطان السرية. ولم يغير رأيهم نتائج انتخابات البرلمان العثماني في ١٩٠٨، الذي لم يكن من بين أعضائه الـ ٢٨٠ سوى أربعة يهود، أما المدعو كاراسو فكان عضوا نكرة في حزب تركيا الفتاة!!.

أعادت برلين تقييمها لقيمة تركيا كدولة حليفة غداة الحرب، لكنها كانت تريد مقابلا لحمايتها خاصة أن تركيا لم تكن راغبة في التورط في الحرب. ما دفعها



إلى تقديم الحماية هو العرض المفاجىء الذي تقدم به وزيرا الحربية والداخلية «أنور وطلعت باشا» للسفير الألماني في أغسطس ١٩١٤: وهو تسليم ألمانيا أضخم وأحدث بارجة حربية «السلطان عثمان الأول» التي كان من المقرر تسلمها في تلك الأيام هي واختها «رشادية» من أحواض صناعة السفن في بريطانيا ويؤكد المؤلف أن أنور وطلعت كانا على علم بأن البارجتين كانتا في سبيلهما إلى الاستيلاء عليهما من قبل تشرشل إلا أنهما أخفيا الأمر على السفير الألماني!!.

في السادس من نفس الشهر حدث تطور مهم يعمل على جر تركيا نفسها إلى الحرب، فقد سمحت الحكومة التركية لسفينتين حربيتين ألمانيتين مطاردتين من قبل الأسطول البريطاني بدخول مضايق الدردنيل، وكانتا أصلا قادمتين لتعزيز الدفاعات التركية، وطلبت بريطانيا من تركيا كدولة محايدة، إخراجهما أو احتجازهما. بيد أن الحكومة التركية ادعت أنها ابتاعتهما بثمانين مليون مارك!!.

يعتقد فرومكين أن مغامرات أنور باشا قد أوردت الدولة العثمانية موارد الهلاك، فيصفه بأنه مغامر



سه قائدا حربيا. أخذ أنور باشا يتطلع إلى الاستيلاء على أراض روسية، خاصة تلك الناطقة باللغة التركية، بعد أن احتمى بالبارجتين الألمانيتين وبعد أن حقق الألمان انتصارات كبيرة على الروس في نهاية أغسطس. وعلى إثر إلغاء الحكومة «للامتيازات الأجنبية» في ٨ سبتمبر وإغلاق مضائق الدردنيل في وجه جميع السفن الأجنبية في ٢٦ منه، أوعز أنور باشا - بالتآمر مع جمال باشا - للبارجتين الألمانيتين بمهاجمة الروس في البحر الأسود فما كان من روسيا إلا أن أعلنت الحرب على الدولة العثمانية في الثاني من نوفمبر، وسبقتها بريطانيا بيومين من ذلك التاريخ، وكان هذا إيذانا برسم خريطة جديدة للشرق الأوسط.

بريطانيا تقتسم الإمبراطورية

بعد أن كان هم بريطانيا منذ حملة نابليون هو الاحتفاظ برجل أوربا المريض حيا، غدا همها الآن هو بغية اقتسام الإمبراطورية بحيث يئول إليها جزؤها الأكبر، لذا شرعت بالتحرك على عدة محاور، كان أحدها إثارة رعايا الدولة العثمانية العرب على الحكم التركي.

كانت بريطانيا تعلم مدى تعاطف سكان تلك المناطق مع الدولة العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية. والحق أنه باستثناء أعضاء جمعيتي الفتاة والعهد اللتين كانتا تطالبان بالانفصال، فإن النخبة العربية - بشكل عام - لم تفكر بالانفصال، وإن كانت ضد سياسة التتريك والمركزية التي كانت تتبعها جماعة الاتحاد والترقي. وعليه، فإن ما كان يفكر به شخص مثل اللورد كيتشنر «حاكم مصر السابق ،وزير الحربية البريطاني في بداية الحرب» هو إيجاد خليفة عربي يحكم المسلمين بدلا من الخليفة العثماني الذي كان يراه وقد خضع كلية «للألمان واليهود». فضلا عن أنه في حالة عدم إيجاد بديل للخليفة العثماني فإن بريطانيا ستلاقي مصاعب مع مسلمي الهند المتعاطفين مع دار الخلافة. وكان الخيار الجذاب هو الشريف الحسين بن علي حاكم مكة، الذي أعطى تعهدا - في حال ثورته - من خلال مراسلاته مع مكماهون «المندوب السامي البريطاني» في القاهرة في ٢٠ أكتوبر ١٩١٥، بأن يصبح حاكما للمشرق العربي. ويؤكد المؤلف أن الحسين كان مضطرا إلى عقد تلك الصفقة مع البريطانيين لأن قادة حزب تركيا الفتاة كانوا عازمين على عزله. غير أن ثورته التي أعلنها في يونيو ١٩١٦ لم تلاق شعبية كبيرة «فقد نظر إليها المسلمون عامة بعين الريبة».

وما أن فرغت بريطانيا من مفاوضاتها مع الحسين حتى ابتدأته مع فرنسا متوصلة إلى اتفاقية عرفت بـ«سايكس - بيكو» في يناير ١٩١٦ تم بموجبها الاتفاق على تقاسم التركة العثمانية. أما اتفاقها مع الحركة الصهيونية فقد أملته اعتبارات «تكتيكية» متعلقة برغبتها في كسب اليهود إلى جانبها انطلاقا من فكرة وجود «تحالف بين اليهود والألمان» ورغبة في تقويض هذا التحالف.

ظلت الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب. ومع حلول الربع الأخير من عام ١٩١٦ أصبح اعتماد الحلفاء عليها غير مقتصر على الإمدادات بل التمويل.

ولقد دفعت سياسة المانيا المتهورة أمريكا دفعا إلى أحضان الحلفاء.

يذهب المؤلف إلى أن تطورين طرآ في مجرى المناورات السياسية والعسكرية كان لا بد أن يؤثرا على مستقبل القرن العشرين، أولهما أن الجيوش الغربية وجدت نفسها في حالة حرب مع روسيا - حليفة الأمس - إثر نشوب الثورة الاشتراكية فيها في أكتوبر ١٩١٧ بقيادة لينين. وكان هذا إيذانا بتغير النظرة إلى المانيا، حيث أخذت الأوساط البريطانية ترى في تدمير المانيا إخلالا بالتوازن في أوربا. ثانيهما هو ازدياد أهمية النفط. فقد كان الأسطول البريطاني قد انتقل إلى استخدام النفط وقودا بفضل جهود تشرشل.

ولم تكن بريطانيا تؤمن باستقلال العرب رغما عن وعودها وتطميناتها. وكان ما استقر عليه الساسة البريطانيون المتعاملون مع الشئون الشرقية قد عبرت عنه أشهر رحالة إلى الأراضي العربية قبل الحرب، حين ترودبل حينما قالت إن «العرب لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم»!!.

الشرق يتحدى

بدأ تحدي الشرق - كما يصفه المؤلف - بثورة مصر المطالبة بالاستقلال ١٩١٩ وبالحرب التي نشبت في ذات السنة في أفغانستان والاضطرابات القبلية في الأردن في ربيع ١٩٢٠ وبثورة العشرين في العراق. كان الاعتقاد هذه المرة في الأوساط البريطانية المتنفذة أن روسيا البلشفية هي المحرك لتلك الأحداث وأنها ضالعة في مؤامرة دولية بعيدة المدى هدفها تقويض الحكم البريطاني.

وخيم هاجس انتشار الثورات البلشفية في أوربا على مؤتمرات الصلح التي ابتدأت أواخر ١٩١٨ و١٩١٩، والتي انتهت «معاهدة سيفر ١٠ أغسطس ١٩٢٠» بفصل الأجزاء الناطقة بالعربية عن الإمبراطورية العثمانية على أن تحتفظ بريطانيا بفلسطين وبلاد الرافدين، وتبقى شبه الجزيرة العربية مستقلة، في الوقت الذي كانت بريطانيا قد أخذت فيه فعلا مصر وساحل الخليج العربي. أما سوريا فقد أصبحت من نصيب فرنسا. إن لويد جورج «رئيس وزراء بريطانيا آنئذ» - يقول المؤلف - قد نجح بإضافة مليوني ميل مربع إلى إمبراطوريته إثر هذه المؤتمرات.

أما أمريكا التي انسحبت من التحالف في المدة ١٩١٩ - ١٩٢٠ لموقف مجلس الشيوخ الرافض لاتفاقية فرساي وعصبة الأمم، فقد نادت بسياسة «الباب المفتوح» وركزت على حرية الحصول على الامتيازات النفطية في المنطقة. وقد دعت حاجة بريطانيا إلى الرأسمال الأمريكي، واعتبارات سياسية أخرى إلى السماح للشركات الأمريكية بالدخول إلى المنطقة، بل والعمل معا مع الشركات البريطانية وبالذات حينما ثبت وجود النفط بالعراق في ١٩٢٠.

تقطيع أوصال الرجل المريض

أما قلب المشكلة - رجل أوربا المريض - فقد تقرر تقطيع أوصاله، إذ فرضت معاهدة سيفر شروطا قاسية على الدولة العثمانية، حيث لم تبق لها إلا أجزاء من الأناضول

وأضحت اسطنبول في قبضة الحلفاء، يحكمها السلطان محمد السادس الذي اعتلى العرش في يوليو ١٩١٨، والذي لم يكن له هم إلا الاحتفاظ بكرسي حكمه.

رفض الضابط كمال أتاتورك - الذي كان خارج العاصمة - اتفاقية سيفر المذلة وأخذ بتنظيم فلول الجيش العثماني المنهار. ونجح في طرد البريطانيين من المنطقة في بداية ١٩١٦. وبدا أن الحظ يحالف أتاتورك في تلك الأوقات الصعبة، فقد جاءت انتخابات البرلمان التركي التي جرت في ١٩١٩ بعد الهدنة لتجلب أنصاره القوميين للبرلمان وبأغلبية. وتقاطر هؤلاء النواب إلى أنقرة - المقر الذي اتخذه أتاتورك ليوقعوا على ميثاقه الوطني بإنشاء دولة تركية مستقلة

وفي نوفمبر ١٩٢٢ قرر المجلس الوطني التركي عزل السلطان وهكذا جاءت نهاية الإمبراطورية العثمانية التي عمرت قرونا. □





انتكاسة:

الحرب غير المعلنة ضد النساء الأمريكيات

تأليف:
سوزان فالودي

عرض:
الدكتور محمود الذوادي*

بعد أن قاد قاسم أمين حركة تحرير المرأة المصرية في نهاية القرن الماضي وهذه الحركة مازالت تلقى مقاومة عنيفة في العديد من المجتمعات العربية. ولكن المدهش أن هذه المقاومة توجد أيضا في أكثر المجتمعات العربية تفتحا وديمقراطية مثل الولايات المتحدة الامريكية

هذا هو موضوع الكتاب الذي بين أيدينا. فعنوانه «انتكاسة: الحرب غير المعلنة ضد النساء الأمريكيات» يفصح بجلاء عن القضية التي تطرحها صاحبة هذا الكتاب الضخم (٥٥٢ صفحة) تقسم الكاتبة كتابها إلى أربعة أبواب تتراوح فصول كل منها بين فصلين وخمسة فصول. يبدأ الكتاب بمقدمة بعنوان: «الذنب يقع على عاتق النسوانية» Feminism. ويحمل الباب الأول عنوان «الأساطير والخلفيات». يتكون هذا الباب من فصلين هما (١) قلة الرجال والأرحام غير المنجبة (٢) الانتكاسة في الماضي والحاضر. أما عنوان الباب الثاني فهو «انتكاسة في الثقافة الشعبية» يشمل هذا الباب خمسة فصول: (١) الاتجاهات ضد الحركة

* أستاذ علم الاجتماع بجامعة تونس

النسوانيـة: وسـائل الإعلام والانتكـاسـة (٢) الـرؤى القـاتلـة والطفليـة Fetal: الانتكـاسـة في الأفـلام (٣) المراهقـات الملائكـة والسـاحـرات Witches غير المتزوجـات: الانتكاسة على الشاشـة الصغيرة (٤) كساء الـدمى: الانتكـاسـة في مـوضـة اللبـاس. (٥) الجمال والانتكـاسـة. تعطي صـاحبة الكتـاب عنـوان «أصـول الانتكاسة: محركـو ومنشطو ومفكرو الانتكاسـة» للباب الثالث من الكتاب. يحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول: (١) سياسـة الكراهية: حرب اليمين الجديـد على النساء (٢) السيدة Ms سميت تغـادر واشنطن: الانتكاسـة في السياسة القومية. (٣) الانتكاسة الفكرية: من المحافظين الجدد إلى النسوانيين Feminists الجدد.

ويـزخر الكتـاب بـالوقـائع من الصحف والمجـلات وبـرامج الإذاعـات والتلفـزيـونات وصنـاعـة الأفـلام وتصريحات رجال السياسة وآراء أصحـاب الفكر التي تناهض تحرر المرأة الأمريكية.

لقـد تبنت صـاحبـة الكتـاب منهجيـة بحثيـة صلبـة اعتمـدت فيهـا على التـوثيق المفصل لمواقف المعـادين للحركـة النسائيـة من جهة، كما أنها استعملت مـن جهة أخرى كل أصناف الـوثائق للرد على المناهضين للمسيرة التحررية للمرأة الأمريكية. ونجحت سوزان فالودي في سبك وجهـة نظر الطـرفين في أسلوب شفـاف، حتى لا يكاد يلقى القارىء العادي أي صعـوبة في فهم مواضيع الكتاب. إذ إن صفحاته مكتوبة بأسلوب صحفي سلس يشير إلى أن صـاحبته لابـد أنها قـد مـارست الكتابـة في الصحف والمجلات الأمريكية الشهيرة مثل: Mother Jones Wall Strees Journal و Ms،The New York Times Magazine. ومـن المنطقي أن تكون هـذه الخبرة سببا لفوزها في الـولايات المتحدة الأمـريكية بجـائزة The National Book Critics Circle for Nonfiction على هذا الكتاب وبفـوزها في عام ١٩٩١ بجـائزة Pulitzer Prize على مقال كتبـه حول التكاليف البشريـة المنحزة عن الشراء من الأسواق الكبيرة Supermarket. ونطرا لأهميـة موضـوع الكتاب فقد سارعت الثقـافة الفرنسية إلى ترجمتـه إلى لغتها. فقد ترجم هـذا الكتاب إلى الفرنسية منـد ربيع ١٩٩٣ ولابد أنـه في طريقـه إلى الترجمة إلى لغـات أخرى مثل الألمانيـة واليابـانية والإيطـالية وغيرهـا. وأرجو أن تقـوم إحدى دور النشر العربية في أقرب وقـت بترجمته إلى لغة الضاد. ولعل هذه المراجعة المختصرة تساهم في إشعار الناشرين العرب بأهمية موضوع الكتاب بالنسبة للثقافة العربية.

المرأة الوحيدة.. حالة عقلية

وكما أشرنـا، فـإن سـوزان فـالـودي لا تكتفي بسرد الـوقائع والمعطيـات بل هي طالما تـرد عليها لتبين مـدى خلـوها من الأمـانـة والمصداقيـة العلميتين. فعلى سبيل المثال تناقش الكاتبـة تفشي الأمراض العقلية المزعوم بين النسـاء غير المتزوجـات والعـامـلات. فأصحاب هـذه المقولة يرون أن نسبة حالات الأمراض النفسية والعقلية تزداد عند النساء الـلائي يعشن فرادى ويرهقن أنفسهن في العمل "burnout" . فترد صـاحبة الكتـاب على ذلك القـول المرعـوم بحقـائق أخـرى تـوصل إليهـا البحث العلمي الـذي ركـز اهتمامـه على فهم ازديـاد ظـواهـر الأمـراض النفسية والعقليـة عنـد النسـاء الأمريكيـات الحديثات. فتذكر الكاتبة أكثر من دراسة تفند بها المقولة المزعـومـة. فدراسـة The Mills Longitudinal Study التي تابعت النساء لأكثر من ثـلاثة عقود وجدت في عـام ١٩٩٠ أن النسـاء «التقليـديـات» يتعـرضن إلى أخطـار أكثـر من النســاء العـازبات بـالنسبة لـلإصـابة بأمـراض عقليـــة وجسدية



كتـــــاب الشهـــــر

أثناء حياتهن مثل الكآبة وصداع الرأس وارتفاع ضغط الدم. وعندما قام باحثا الأمراض العقلية Gerald Kier-man و Myrna Weissman بمراجعة كل ما كتب حول أعراض الكآبة النفسية واختبرا عدة عوامل من بينها العوامل الوراثية وتأثير حبوب ضبط الإنجاب لم يجدا إلا عاملين حاسمين لها علاقة بأعراض الكآبة عند النساء، هذان العاملان هما: المكانة الاجتماعية المتدنية والزواج.

تذكر المؤلفة دراسة أخرى حول علاقة سن المرأة بمقدرتها على الإنجاب. فتورد دراسة لمجلة أكاديمية علميـة هي مجلـة The New England Journal of Medicine. وقد نشرت هذه المجلة في شهر فبراير ١٩٨٢ دراسة تقول فيها إن حظوط المرأة على الحمل تتراجع فجأة بعد سن الثلاثين. فأصحاب هده الدراسة يدعون أن ٤٠٪ من النساء بين سن ٣١ و٣٥ عاما قد لا يكن قادرات على الحمل. إن مثل هذه النتائج لم يسبق لها مثيل. فكل دراسة تقريبا اهتمت بهذا الموضوع حتى ذلك الوقت وجدت أن الخصوبة عند النساء لا تبدأ حقا في التراجع إلا عندما تبلغ النساء أواخر الثلاثينيات أو حتى بداية الأربعينيات من عمرهن. وتضيف سوزان فالودي قائلة إن هذه المجلة العلمية «المحايدة» لم تلتزم بالنزاهة العلمية. فكتبت افتتاحية بثلاث صفحات تطالب فيها النساء «بتقييم» أهدافن والبدء بإنجاب أولادهن قبل الشروع في العمل.

تناقش الكاتبة في الباب الثالث من كتابها موقف العديد من المفكرين والكتّاب الذين هاجموا الحركة النسوانية بالمجتمع الأمريكي، ونقتصر هنا على التعرض لفكر ألن بلوم Allan Bloom الوارد في كتابه الشهير «انغلاق العقل الأمريكي The Closing of the Amer-ican Mind، حيث تقوم الكاتبة بتحليل آراء هذا المفكر في أكثر من خمس صفحات بقليل. فرغم أن مقولة الكتاب عرفت بتمحورها حول النظام التربوي الأمريكي الذي يصفه بلوم بالتدهور والضحالة إلا أن الكاتبة ترى أن الهجوم على الحركة النسوانية نجده في العديد من صفحات الكتاب. فسواء كان بلوم منتقدا لحالة البحث العلمي أو تردي توجهات الموسيقى أو قصر علاقات الطلاب مع بعضهم البعض، فإن جذور كل ذلك تبقى واحدة عند بلوم:«إن التحول النسواني للمجتمع قد ملأ النساء بالمطالب والرغبات وأفرغ الرجال من الطاقة والعزم. إن آخر عدو لحيوية النصوص الكلاسيكية هو الحركة النسوانية». وهو يرى أن الثورة الجنسية ما هي إلا تمهيد للطغيان النسواني «فالرابع عشر من يوليو ١٧٨٩ للثورة الجنسية كان في الحقيقة يوما واحدا يفصل بين قلب نظام الحكم القديم l'Ancient Regime وبداية الرعب».

إن الهجوم على الحركة النسوانية لم يقتصر بأي حال من الحالات على بلوم وحده، وإن كان هو الأكثر شهرة في هذا المجال في أواخر الثمانينيات فالكاتبان كريستوفر لاش Christopher Lasch وروجير كينبل Roger Kimball ساهما في نقد الحركة النسوانية. فبالنسبة للاش فالحركة النسوانية تمثل تحديا للزواج التقليدي وتنادي بالإجهاض غير المحدود. أما كينبل فهو يحذر من انتشار الدراسات النسوانية feminist studies في الجامعات الأمريكية التي سوف تؤدي إلى الضرر بالمستوى الفكري للحياة الأمريكية. ويبدو أن بلوم لم يكتف بنقد الحركة النسوانية بل ذهب إلى القول بأنه لم يقدّر في كتابه القضية حق قدرها، فالحركة النسوانية أصبحت في رأيه أكثر قوة خاصة في الجامعات الأمريكية حيث تحول الفكر النسواني إلى نوع من الفكر الأرثوذكسي الذي يلقى المعارض له الإهانة والتحقير.

يعتقد بلوم والكثير من زملائه المحافظين والليبراليين على حد سواء أن معظم الوظائف الجامعية وحقوق النشر تذهب إلى النساء المتحررات feminist Women. وكعادتها في هذا الكتاب ترد سوزان فالودي على هذه الادعاءات بالحجة والأرقام. فتكتب «ان مثل ذلك الاعتقاد يستند على الخوف وليس على معطيات حقيقية».

فالنساء عموما (متحررات وتقليديات) لا يمثلن سوى ١٠٪ من أعضاء هيئة التدريس المرسمين والمدرسين في المرحلة الأولى الجامعية (٤ سنوات دراسية جامعية). وهي زيادة بـ ٦٪ فقط منذ ١٩٦٠. إن عدد النساء الحاملات لشهادة الدكتوراة واللائي لم يجدن عملا يساوي ٥ أضعاف عدد الرجال ذوي نفس المستوى التعليمي. وليس صحيحا أيضا أن كل

كتـــاب الشهـــر

الجامعات الأمريكية بها أقسام خاصة للدراسات النسائية. فلا يوجد أكثر من اثني عشر مركزا تهتم بدراسة قضايا المرأة. وبالنسبة لطغيان مواضيع المرأة في المنشورات الأكاديمية، فالإحصاء يفيد هنا أن هناك ٤,٧٪ فقط من الدراسات التي تعالج قضية المرأة، وهي زيادة صغيرة ٥٪ مقارنة بما كان عليه الوضع في عام ١٩٦٠».

وعلى الرغم من العراقيل المختلفة التي زادت فيها انتكاسة حركة النساء الأمريكيات، فإن مؤلفة الكتاب لا تبدو متشائمة بمستقبل المرأة الأمريكية في أواخر هذا القرن ومع إطلالة القرن الواحد والعشرين. «إن الانتكاسة أحدثت حملة طويلة وموجعة وغير رحيمة من أجل عرقلة تقدم النساء، ومع ذلك، فعلى الرغم من كل القوى التي استعملتها حركة الانتكاسة، مثل التنديدات الجارحة من طرف اليمين الجديد، والتراجعات القضائية التي عرفها عهد الرئيس ريجان Reagan والمقاومة الكبيرة للمؤسسات الأمريكية، وعمل وسائل الإعلام والصناعة السينمائية لهليوود على بث صورة أسطورية سلبية للمرأة ومحاولة تسويق شارع مادسين (رمز المؤسسة الاقتصادية الأمريكية) للصورة التقليدية الجديدة للمرأة الأمريكية، فإن النساء الأمريكيات لم يستسلمن قط في حقيقة الأمر».

١ـ يدخل كل سنة إلى سوق العمل عدد متزايد من النساء الأمريكيات.

٢ـ تواصل النساء الأمريكيات تأخير سن زواجهن.



٣ـ تستمر النساء الأمريكيات في إعطاء تقييم إيجابي لبطلات الأفلام والمسلسلات اللائي يتصفن بقوة العزيمة والاستقلالية.

٤ـ على الرغم من الصعوبات التي تتعرض لها المرأة الأمريكية بسبب الانتكاسة، فإن الكثير من النساء مازلن مقتنعات بأنه ليس من اختيار أمامهن سوى مواصلة السير إلى الأمام.

تؤكد سوزان فالودي أن الانتكاسة قد أثرّت على رؤى وأفكار النساء الأمريكيات ولكن لم تتمكن أبدا من إخماد ما سمته جان كنج Jan King العاملة بالعمل، «هذا الصوت الصغير في الجزء الخلفي لعقلي». إن هذا الصوت الصغير هو الذي دفع بفرلي لاهاي Beverly Lahaye إلى أن تؤلف العديد من الكتب. فهي تقول بهذا الصدد «فقد شعرت في عمق قلبي أني بحاجة إلى الوقوف على قدمي والتعبير عن نفسي».

تعد، في رأي المؤلفة، ظاهرة المقاومة لآثار الانتكاسة ظاهرة نسوانية جماعية. فهي تشمل ملايين الأمريكيات اللائي يعملن، كل في ميدانها، في العقد الأخير من أجل تهديم الحواجز التي أقامتها حركة الانتكاسة ضد النساء الأمريكيات. تعتقد الكاتبة أن تظاهر النساء بعدد ضخم يشكل استراتيجية فعالة في إشعار الضمير العام بقضايا المرأة. فإضراب النساء من أجل المساواة لعام The 1970 Women's Strike for Equality 1970، وهي أكبر مظاهرة في تاريخ حقوق النساء، أعطى دفعا للحركة النسوانية. الأمر الذي أدى إلى ازدياد عدد المشاركات في المنظمات النسوانية وإلى انتصارات قضائية متعددة. قد أثبتت مثل تلك الاستراتيجية في عقد الثمانينيات لمقاومة الانتكاسة بأن النساء الأمريكيات كن قادرات على تغيير المناخ العام ووضع الأمور وفقا لرؤيتهن والنجاح في تغيير عقول العديد من الرجال. وتنهي المؤلفة كتابها بملاحظات تفاؤلية بخصوص مستقبل وصيغة المرأة الأمريكية. فكتبت «إنه لفي استطاعة النساء أن ينتجن أكثر. إذ إنه ليس هناك في الحقيقة سبب معقول يمنع من أن تكون التسعينيات هي عقد النساء. إن إحصاءات علم السكان وسبر الآراء تشير إلى زيادة وزن النساء أكثر فأكثر في المستقبل». فمهما كانت الصعوبات والعراقيل التي تعترض مسيرة النساء، فسوزان فالودي لا ترى

كتـــــاب الشهـــــر

مجالا للتشـــاؤم الهدام في مصير المرأة الأمـريكيـة «لأنـه لا يمكن لأي كـان أن يفتك أبـدا من المرأة الأمـريكية عـدالة قضيتهـا» بهذه الفقرة تختم صاحبـة الكتاب آخر صفحـة من نص مـؤلفهـا. وهي فقـرة تبرز بكل شفـافية العقيـدة الجيـاشـة للكـاتبـة بخصـوص إمكانات النساء الأمريكيات على كسب الـرهان في قضيـة المساواة والعدالـة مع الرجل الأمـريكي. وهي فقـرة تلخص بإيجاز مكثف مـا قـامت بمعـالجتـه المواضيع المختلفـة التي حفلت بها الصفحـات السـابقـة من هـذا الكتاب الضخم الحجم.



تأملات في مقولة الكتاب

إن اختتام المؤلفـة لكتابها بنبرة تفاؤليـة لا يدعـونا إلى استقباله بترحيب كبير وذلك لثلاثة أسباب على الأقل:

(١) لم تقم صـاحبة الكتـاب بمدنـا برصيـد تنظيري يساعد على فهم أحسن وتسفير أمتن لظـاهرة الانتكاسة التي عـرفتهـا الحركـة النسـوانيـة بـالمجتمع الأمـريكي الحديث. وبغياب الإطار التنظيري نجد أنفسنـا عاجزين ومضطربي الفكر بخصوص طبيعة جذور الانتكاسة من ناحيـة والتنبؤ بمسار أحـداث قضية المرأة الأمـريكية لما بعد الانتكاسة من ناحية أخرى.

فصفحـات الكتـاب تـركز على ظـاهـرة الانتكـاسـة بالمجتمع الأمريكي فقـط. فهل هذا يعني أن المجتمعات الغـربيـة الأخـرى مثل بـريطانيـا وفـرنسـا لا تعـاني من انتكاسة مشابهة بخصوص الحركة التحررية للمرأة؟.

(٢) تتهم سـوزان فـالـودي الحكـومـات الأمـريكيـة المحـافظة بلعب دور في ظـاهـرة الانتكـاسـة. فـالرؤسـاء الجمهوريون ـــ خاصة الرئيس رونالد ريجان ـــ قد أثرت سيـاساتهم الـداخلية على مسيرة الحركـة النسوانيـة ويأتي تراجع المحكمة الأمريكية العليا في تشريع السماح للنساء بـالاختيـار في مسألـة الإجهـاض مثـالا على مـلامح الانتكاسـة للحركـة النسوانيـة في عهد حكم الحزب الجمهوري منذ الثمانينيات في الـولايات المتحـدة الأمـريكيـة. ولا تطـرح الكـاتبـة بشفـافيـة دور العـامل الثقـافي في ظاهرة الانتكاسة. فعلم الاجتماع يشير بكثير من الـوضـوح إلى أن مسيرة تغيير العنـاصر الثقـافيـة (النسق الثقـافي) بـالمجتمع هي مسيرة بطيئة عموما. وهذا ما أدى بعالم الاجتماع الأمـريكي الراحل وليـام أوجبـورن William Og-burn إلى ابتكـار مفهـوم مـا سماه بالهوة الثقافية Cultural Lag. أي أن العقائد والأعراف والقيم الثقـافيـة لا تتغير بنفس السرعـة التي تتغير بها العناصر غير الثقـافية بالمجتمع. لـو أن الكاتبـة استعانت بمثل تلك الـرؤيـة لأمكن لها التعمق أكثـر في أسبـاب ظـاهرة انتكـاسة الحركـة السوانيـة الأمريكيـة وحتى في مجتمعات أخرى مثل مجتمعات الوطن العربي المعاصر.

(٣) تنهي صاحبـة الكتاب، كما رأينا، تحليلهـا بتفاؤل مبالغ فيه. وذلك لاعتقادهـا الشديد في تلازم تقدم المرأة مع وعيها بعدالـة قضيتها. فمسألة توهج الـوعي بعدالة قضية المرأة الأمريكية أو غيرها من نساء العالم ليست من المسلّمات. فهي قضيـة رهينـة ظـروف مجتمعيـة داخليـة وعـالميـة متعـددة المشـارب. فتتغير البنى الاجتماعيـة والاقتصادية والأنسـاق الثقافية (الأيديولـوجيات)، قد تنهـار بين عشيـة وضحـاهـا تحت تأثير عـوامل داخليـة وخـارجية كما حـدث ذلك بصـورة مفاجئـة في خريطـة الاتحاد السـوفييتي سـابقـا وأوربـا الشرقيـة. ففي المجتمعـات الغـربيـة التي لا يـزال ميـزان القـوى فيهـا لصالح الرجل عمـوما وتزداد فيها من ناحية ثـانية حدة معالم الأزمـات الحضاريـة والاجتماعية والاقتصـادية لا يمكن أن نتفاءل بسهـولة ـ مثـل صاحبة هـذا الكتاب ـ ببشائر المسيرة المشرقة والمتواصلة للحـركة النسائية سواء كـان ذلـك في المجتمع الأمريكي المعـاصر أو غيره من المجتمعـات المتقـدمـة أو النـاميـة بما في ذلك مجتمعـات الوطن العربي الحديثة. □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

أبريل ١٩٩٤م

العرب وعصر المعلومات

تأليف:

الدكتور نبيل علي

الكتاب ١٨٤

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ص.ب. ٢٣٩٩٦ الكويت

جامعة الكويت
كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

إعــــلان

عن شغل منصب رئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

بكلية الآداب بجامعة الكويت للعام الدراسي ٩٤/ ٩٥

تعلن كلية الآداب بجامعة الكويت عن حاجتها لشغل منصب رئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها ابتداء من العام الدراسي ٩٤/ ٩٥، ممن تتوافر فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يكون بمرتبة «أستاذ» في مجال العمل الأكاديمي.
٢ ـ أن يكون تخصصه الدقيق في أحد فروع اللغة الإنجليزية وآدابها.
٣ ـ أن يكون له سجل ملموس من الأبحاث المتميزة في موضوع تخصصه، يؤهله لتحمل مسئولية القيادة الأكاديمية للقسم.
٤ ـ أن يتقن اللغة العربية، بالإضافة إلى إتقانه لغة أجنبية أخرى أو أكثر.
٥ ـ أن يكون عمره دون الستين.
٦ ـ يستحسن أن تتوافر لديه الخبرة الإدارية.

مع مراعاة ما يلي :

- تقدم الطلبات المستوفية للشروط المطلوبة، مشفوعة ببيان واف مفصل للسيرة الذاتية ويرفق مع الطلب نسخة من المؤهلات العلمية، وشهادات الخبرة فضلا عن نسخة من الإنتاج العلمي المنشور «وهذه المرفقات غير قابلة للاسترداد».
- ترسل الطلبات ومرفقاتها إلى عميد كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ صندوق بريد ٢٣٥٥٨ الصفاة ـ الرمز البريدي ١٣٠٦٩ ـ تليفون رقم ٤٨١٦٧٨٠ (٩٦٥) ـ تلكس رقم ٤٦٢٢٧ آداب ـ فاكس ٤٨٤٦٥١٢ (٩٦٥).
- مدة التعاقد سنتان قابلة للتجديد لمدة أطول، ويحدد الراتب الشهري حسب سنوات الخبرة.
- يخضع جميع المرشحين للمقابلة الشخصية في الكويت أو خارجها
- آخر موعد لتلقي الطلبات هو شهر من تاريخ نشر الإعلان.

جامعة الكويت
كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

إعــــلان

عن شغل منصب رئيس قسم الإعلام

بكلية الآداب بجامعة الكويت للعام الدراسي ٩٤/ ١٩٩٥

تعلن كلية الآداب بجامعة الكويت عن حاجتها لشغل منصب رئيس قسم الإعلام ابتداء من العام الدراسي ٩٤/ ٩٥ ممن تتوافر فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يكون بمرتبة «أستاذ» في مجال العمل الأكاديمي.
٢ ـ أن يكون تخصصه الدقيق في أحد مجالات الإعلام
٣ ـ أن يكون له سجل ملموس من الأبحاث المتميزة في موضوع تخصصه يؤهله لتحمل مسئوليات القيادة الأكاديمية للقسم.
٤ ـ أن يتقن اللغة العربية بالإضافة إلى إتقانه لغة أجنبية أخرى أو أكثر.
٥ ـ أن يكون عمره دون الستين.
٦ ـ يستحسن أن تتوافر لديه الخبرة الإدارية.

مع مراعاة ما يلي .

- تقدم الطلبات المستوفية للشروط المطلوبة مشفوعة ببيان واف مفصل للسيرة الذاتية ويرفق مع الطلب نسخة من المؤهلات العلمية وشهادات الخبرة فضلا عن نسخة من الإنتاج العلمي المنشور «هذه المرفقات غير قابلة للاسترداد».
- ترسل الطلبات ومرفقاتها إلى عميد كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ ص.ب: ٢٣٥٥٨ الصفاة ـ رمز بريدي ١٣٠٩٦ ـ تلكس وبرقيا ٤٦٢٢٧ آداب كت ـ فاكس ٤٨٤٦٥١٢.
- مدة التعاقد سنتان قابلة للتجديد لمدة أطول، ويحدد الراتب الشهري حسب سنوات الخبرة.
- يخضع جميع المرشحين للمقابلة الشخصية في الكويت أو خارجها.
- آخر موعد لتلقي الطلبات هو شهر من تاريخ نشر الإعلان.

مكتبة العربي

مختارات



الكتاب : مستقبل الخليج
آثار الحرب وتحديات التسعينيات
تأليف : فيصل المزيدي
الناشر : أي. بي. توريس. لندن ـ المملكة المتحدة

التأثير المباشر للغزو العراقي لم يشعر به في أي مكان أكثر منه في الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي

والمؤلف يبحث في كتابه عن السبيل لبناء نظام إقليمي مستقر وقادر على الصمود أمام المتغيرات في موازين القوى المحلية والتحولات في المحيطين العربي والدولي، ثم يتحدث عن أنجح الوسائل لتعزيز القدرات الدفاعية المحلية وما هي الاستراتيجيات الاقتصادية التي تمكن دول مجلس التعاون الخليجي من استغلال ثرواتها النفطية.

□□□



الكتاب : أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل
المشاركون : مجموعة من العلماء
الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت

تضمن الكتاب أبحاث الندوة بالصورة التالية:

أولا : واقع الفكر الإسلامي وتضمن بحثين. الأول للدكتور أحمد كمال أبوالمجد، بعنوان تشخيص واقع العالم الإسلامي. أما البحث الثاني فهو للدكتور علي فهد الرميع وعنوانه إفرازات وتحديات حرب الخليج.

أما القسم الثاني فجاء تحت عنوان «إعادة ترتيب الأولويات» وشمل ثلاثة بحوث.

أما القسم الثالث فجاء تحت عنوان «آفاق مستقبل الفكر الإسلامي

□□□



الكتاب : أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف
المشاركون : مجموعة من العلماء
الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت والتي أنشأت مركزا لأبحاث الوقف والدراسات الإسلامية حاولت أن تقوم بإحياء رسالة الوقف الإسلامي، وإعادة دوره في البناء والإصلاح.

والكتاب يضم محاضرات الندوة العلمية التي قدمها مجموعة من علماء المسلمين والتي عقدت في الكويت في الفترة من ١ إلى ٣١ مايو عام ١٩٩٣، تحت شعار «نحو دور تنموي للوقف» والنقاشات التي دارت حولها.

□□□

الكتاب : نواخذة السفر الشراعي في الكويت
المؤلف : د.يعقوب يوسف الحجي
الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت

بعد أن حلت المحركات محل الشراع، أصبحت السفن الشراعية نادرة الوجود، فتوقف نقل التمور من شط العرب إلى الهند واليمن، ووجد نواخذة السفن الشراعية صعوبة في الحصول على بحارة مستعدين لترك حياة الراحة في المدينة والذهاب في رحلات طويلة ومرهقة تحت الشراع، فتركوا ركوب البحر وأمضوا ما تبقى لهم من العمر في عمل تجاري أو حكومي، حتى أن تاريخهم البحري ضاع ولم تكتب منه إلا صفحات قليلة. وهذا الكتاب محاولة لتسجيل نبذة تاريخية عن نواخذة السفر الشراعي في الكويت.

□□□

الكتاب : مع شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة
المؤلف : مي محمد الخليفة
الناشر : دار رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن

يمثل هذا الكتاب جهدا متميزا في موضوعه بصفة خاصة، وفي التأريخ للحركة الأدبية والفكرية والتعليمية في البحرين بصفة عامة، نظرا لكون الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة المحور الرئيسي لتلك الحركة ومن روادها وشبابها في ذلك الوقت المبكر من عمر النهضة.

وقد قامت مؤلفة الكتاب بدراسة متأنية ودقيقة للوثائق والمراجع الخاصة بهذا البحث واستطاعت استخراج الحقائق والربط بينها والاستنتاج منها بما يتطلبه البحث العلمي التاريخي.

□□□

الكتاب : تدوين السنة
المؤلف : إبراهيم فوزي
الناشر : دار رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن

يقدم الكتاب عرضا تاريخيا للمراحل التي تم فيها تدوين السنة، والملابسات التي قامت حول امتناع الصحابة عن تدوينها، ثم الاقتناع بتدوينها وأهمية هذا التدوين، والطريقة التي اتبعها العلماء في القرنين الهجريين الثاني والثالث لجمع السنة الصحيحة وتنقيتها من الأحاديث الموضوعة.

□□□

الكتاب : العالم في خطر
المؤلف : علي أورفلي
الناشر : دار الشواف ـ الرياض

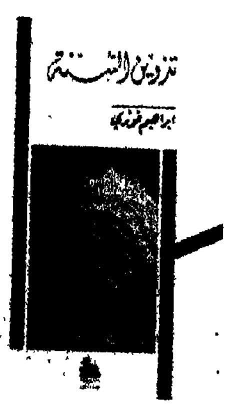
يرى المؤلف أن الإنسان يعيش على كوكب واحد ويتسبب في مكتشفات بيئية وصناعية يعجز هو عن إيقافها بوسائله فيتحدى قوانين الطبيعة دون أن يتوقع العواقب التي تنطوي عليها انتصاراته، والعنف موجود في حياة الدول كما في حياة الأفراد، والوضع الدولي الجديد يتصف بسلسلة من فقدان التوازن المؤثر على السلام الدولي، كما أن مخاطر اتساع الخطر تتزايد في هذا العالم الذي يزداد اضطرابه يوما فيوما، وأن هذا التراكم في التناقضات يزيد اضطراب الأمن خطورة ويشجع على التسارع في سباق التسلح.

والكتاب يتناول كل ما يهم العالم فضلا عن سباق التسلح والعنف والإرهاب وعالم غير متوازن، دول غنية وأخرى فقيرة، وآفة الجوع والبطالة، والمشكلة الديمغرافية والتهديد بنقص المياه وتدهور الوضع في البحر، وآفة المخدرات والأخطار البيئية بالإضافة إلى طاعون العصر «الإيدز».

□□□









إلى أن نلتقي

عن «النكتة»

زعيم عربي غريب - وما أكثرهم - صرح بأنه يجب ألا نضحك على النكتة، بل يجب اعتقال قائلها وتعريضه للعقاب والتعذيب حتى يعترف على من قالها له.

سوف يحتار هذا الزعيم كثيرا، وسوف يبالغ في تعذيب أفراد شعبه إذا أصر على ذلك، فلا أحد يمكنه أن يقاوم الضحك على نكتة جيدة حتى ولو كانت على نفسه، ولا أحد أيضا يدعي شرف تأليف نكتة مهما كانت فتاكته، كل النكت منقولة وخلفها عبقري مجهول، هو الطبيعة الإنسانية التي ترفض الاستسلام للألم وتحاربه بالكلمات، والزعيم العربي إياه من ذلك النوع الذي ملأ حياتنا غما وكمدا، ولكنه في المقابل أدى خدمات جليلة لكل رواة النكتة ومريديها، فقد تولدت من تصرفاته عشرات النكت أصبح هو بطلها الدائم والأوحد.

ليست هذه هي القضية الأولى، فالزعماء يأتون ويروحون والنكت باقية، أشبه نبات سري يظهر دون أصل معروف ثم تبدأ الألسنة في تداولها لتضيف إليها عشرات التفاصيل حتى تصبح «حريفة» على الأذن، جديرة بالقهقهة، وهناك كتاب متخصصون في النكت فقط يضيفونها للمسرحيات والأفلام الثقيلة الظل، وهم لا يؤلفون نكتا جديدة بقدر ما يستفيدون من تراث طويل يحرص فيه الإنسان على مواصلة الضحك حتى يطهر روحه.

وفي إحدى قصص الخيال العلمي للكاتب الشهير إيزاك أسيموف، يجمع أحد العلماء كل النكت على كمبيوتر كي يحللها ويعرف مصدرها، ويكتشف في النهاية أن النكتة لا مؤلف لها على وجه الأرض، وأن سكان كوكب آخر يبعثون بها إلينا كي نضحك وننفعل، ويستطيعون هم بواسطتها قياس كل الانفعالات، أي أنها مجسات اختبار يعرفون بواسطتها نقاط القوة والضعف في نفوسنا.

ولكن دور النكتة لا يقف عند حد النقد اللاذع، فهي تأخذ دورا أخطر من ذلك حين تكون أسلوبا للتطهر والتسامي والبحث عن الجانب «الكوميدي» في المأساة مهما كانت صعوبتها، ولعل هذا هو أبرز ما يحدث في الكويت الآن، فهم يحاولون تذكر الجانب المضحك من مأساة الاحتلال.

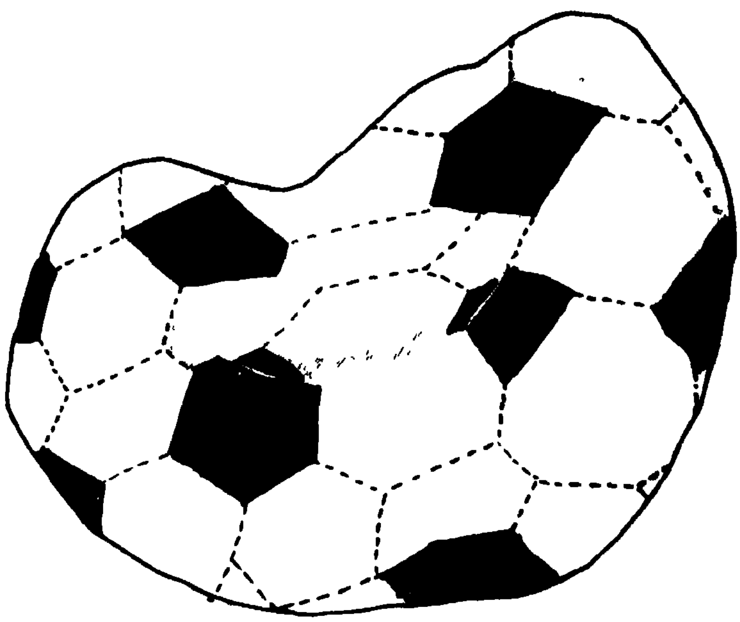
لقد لبثت أوربا وأمريكا أكثر من عشرين عاما كي تكتشف الجانب الكوميدي من الحرب العالمية الثانية، واستغرق الأمر وقتا أطول مع السوفييت، وأصبحنا أخيرا نسمع نكاتا، ونشاهد أفلاما كوميدية يدخل فيها الألمان والحلفاء في حروب مضحكة أشبه بالمقالب منها بالمعارك الحقيقية، ولكن أناس الكويت الذين يتبادلون الطرائف والنكات حول الغزو قد وصلوا إلى هذا التغيير سريعا، إنها رغبة عارمة في نفس كل واحد منهم حتى يتطهر من أدران هذه المأساة وأن يعلو بنفسه على أحاسيس المرارة والكراهية تجاه العدو وأن يضمد جرحه ببلسم الكلمات، فهم لا يريدون أن يتركوا أنفسهم لحدة هذه المشاعر حتى لا تحدث في النفس جراحا أشد غورا، إنها رغبة التسامي لشعب لا يستطيع أن ينسى ولكنه يريد أن يتسامح، ورغم أن المسألة تبدو صعبة إلا أنه قد بدأ الخطوة الأولى حين يتذكر ما حدث.. كل ما حدث.. فيضحك.. □

أنور الياسين


ذو القعدة ١٤١٤ - مايو ١٩٩٤م
العربي
AL-ARABI
■ بندر عباس..
إطلالة إيران على الخليج..
■ من نقد العقل إلى نقد الفعل.

منذ لحظة كانوا يلعبون خلف المنزل

وبعد لحظة اختفوا



اسرى
الكويت
والمفقودون
في العراق

ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

لوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين



فرصة جديدة لتقديم أرفع خدمة من نوعها
في الخليج . فمنذ اللحظة التي تتقدم فيها
لمكتب إتمام إجراءات السفر وحتى آخر
عندما تصل إلى مقصدك النهائي ، فإنك ستلقى
لة تفوق تلك التي يحظى بها كبار الشخصيات .



فإننا لا نعتبرك
شخصاً مهما
فحسب بل
ونعدّك صديقنا
الدائم . وبمجرد
أن تطأ قدمك
الطائرة فإننا
رجة استثنائية من الراحة والعناية مهما كان اختيارك
حات السفر الثلاث .
في مواجهة تحديات الماضي ، ينطلق بنا إلى مستقبل



أكثر إشراقاً نوظف فيه
مجموعة فريدة من الطائرات
الحديثة ، كرم الضيافة العربية
التقليدية ، والخدمة المطورة
التي تتميز بها الخطوط الجوية
الكويتية اليوم .

كل ما عليك أن تفعله هو
الاسترخاء والاستمتاع بالخدمة الرفيعة التي نوفرها لك على
متن طائرات الخطوط الجوية الكويتية إلى أي من محطاتنا
الدولية التي تزيد عن الاثنين والثلاثين . إننا نتطلع
للترحيب بك قريبا في رحلاتنا .

الخطوط الجوية الكويتية

عـزيـــزي المحـــرر

راجعـات

الرواية ذلك الفن المراوغ

□ .. رئيس التحرير

كم أنا معجب بمقالكم الشهري وما يقدمه من إثراء ذهني وثقافي عال ورفيع المستوى لقراء العربي وخاصة مقالكم «الرواية ذلك الفن المراوغ» بالعدد رقم ٤٢٤ مارس ١٩٩٤، الذي طاف وجال حول الرواية منذ مولدها وحتى احتضارها، وخاصة الجزء الذي تحدثتم فيه عن علاقة المرأة بالرواية تحت عنوان «والمبدعات يصرخن» فلا عجب أن كانت «الرواية هي تاريخ المرأة»، كما قال الشاعر روبرت مارت، وكيف لا فالرواية لم تنشأ إلا عندما نشأت العلاقة السوية والسامية والعادلة بين المرأة والرجل وتحررت من عبوديتها له.

والدليل على ذلك أننا إذا نظرنا في أية رواية شرقية كانت أم غربية نجدها لا تخلو من المرأة كونها «أماً أو أختاً أو زوجة أو حبيبة أو صديقة» لأبطال الرواية من الرجال، ذلك إن لم يكن بطل الرواية امرأة كما في رواية «زينب» للكاتب الدكتور محمد حسين هيكل»، والتي تعتبر أول رواية فنية في الأدب العربي حيث بدأ الكتّاب منذئذ يضعون أرجلهم على الطريق الصحيح للشكل الروائي.

محمد أحمد محمد
كلية التجارة ـ جامعة أسيوط ـ مصر

أمانات الرسول

□ .. رئيس التحرير

أذهلني ما قرأته بالعدد ٤٢٢ يناير ١٩٩٤ حول «أمانات الرسول صلى الله عليه وسلم» للكاتب فريد أبو سعدة، لقد كنت أجهل تلك الحقائق التي ذكرها المقال والتي جعلتني أتحسر على أشيائنا المقدسة والجميلة، التي تتناثر في بقاع العالم، بينما بلادنا أحق بالاحتفاظ بها.

وليد أيوب
إدلب ـ سوريا

من شهر إلى شهر

□ .. رئيس التحرير

ورد في العدد ٤٢٣ فبراير ١٩٩٤ موضوع «هل تفوز أمريكا بكأس العالم القادمة»، داخل باب «من شهر إلى شهر» أن رئيس الفيفا هو البرازيلي انطونيو سامارانش، والصحيح أنه البرازيلي جوان هافيلانج وهو يشغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٤ بينما يشغل أنطونيو سامارانش وهو إسباني، منصب رئيس اللجنة الأولمبية الدولية منذ عام ١٩٨٠، والفيفا هي أعلى هيئة كروية في العالم، أما اللجنة الأولمبية فهي أعلى هيئة رياضية في العالم وتشرف على جميع الألعاب الرياضية الأولمبية بما فيها كرة القدم واتحادها الدولي «الفيفا».

طه المرندي
حلب ـ سوريا

د واقتراحات

هونج كونج وفم الأسد

□ .. رئيس التحرير

باسم جميع قراء العربي في موريتانيا، أشكو إليكم بائعي المجلة وموزعيها، فقد قام هؤلاء فجأة برفع سعر العدد من «١٢٠» إلى «٢٠٠» أوقية بعد محو السعر



المطبوع. في الوقت نفسه لديّ ملاحظة على الخريطة التوضيحية التي صاحبت الاستطلاع المنشور بالعدد ٤٢٢ يناير ١٩٩٤ «هونج كونج بين فم الأسد وأنياب التنين»، فقد أوردت اسم مدينة شنغهاي وكأننا في عام ١٩٩٧ الذي ستعود فيه الجزيرة إلى السيادة الصينية.

اسماعيل ولد أحمد
نواكشوط/ موريتانيا

المحرر:

كثيرا ما ترد إلينا مثل هذه الشكوى حول رفع سعر العربي ببعض البلاد، لكننا مع الأسف لا نستطيع أمام جشع بعض البائعين إلا أن نثق في يقظة القراء الأعزاء، داعين إياهم إلى التأكد من أن السعر المثبت في الصفحة الثالثة من كل عدد هو السعر الذي يجب أن يباع به، أما ما ذكرته عن هونج كونج فإن ما ورد بالاستطلاع أكد تماما على أن عودة هذه الجزيرة لن تتم قبل ٣٠ يونيو ١٩٩٧.

العربي في إيطاليا

□ .. **رئيس التحرير**

كم دهشت بعد مطالعتي العربي التي وجدت صفحاتها شائقة وممتعة ومفيدة وهادفة، وليس من باب المجاملة أن أؤكد أنها كنز حقيقي، تماما كالعنقاء الأسطورية المعروفة عندنا باسم «PHOENIX»، وحبذا لو احتذتها المجلات الأخرى في أسلوبها وأهمية مضمونها.

ALDO NICOSIA
VIA BRONTE 41B
GELA - SICILY - ITALY



جابر العلي في ذمة الله

فقدت الكويت رجلا من رجالاتها الكبار الذين ساهموا في وضع اللبنة الأولى في أساس دولتها الحديثة، فقد توفي الى رحمة الله الشيخ جابر العلي السالم في السابع عشر من شهر مارس الماضي عن عمر يناهز السادسة والستين. وقد تولى الفقيد الشيخ جابر العلي السالم المبارك الصباح رئاسة دائرة الكهرباء والماء والغاز في عام ١٩٥٢ ثم أصبح وزيرا لها حتى عام ١٩٦٤ كما كان عضوا في مجلس الدفاع الأعلى واللجنة التنفيذية العليا التي تشكلت عام ١٩٥٤ لتنظيم مصالح ودوائر الدولة. وتسلم الشيخ جابر العلي الذي تلقى دراسته الأولية بمدينة الكويت مقاليد وزارة الإرشاد والأنباء في عام ١٩٦٤، وكان لجهوده الأثر الكبير في تنظيم العمل في إداراتها المختلفة حتى تحولت الى وزارة الإعلام، وتولى منصب الوزارة بها حيث عين في ٣ فبراير من عام ١٩٧٥ نائبا لرئيس مجلس الوزراء وزيرا للإعلام حتى ١٩٨١ ولم يتقلد منصبا وزاريا منذ ذلك الحين، واشتهر الفقيد بعمق ثقافته وسعة اطلاعه وحبه للأدب والفن والشعر ومتابعة ما ينشر في المجالات الفكرية والثقافية. والعربي إذ تنعي هذا الفقيد الجليل تدعو الله أن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان، وأن يكون جزاؤه على قدر ما أدى لوطنه من خير ووفاء.

عزيزي المحرر

عات سريعة

الأصدقاء : أمجد دويكات «نابلس/ فلسطين» يمكنك الكتابة للجهة المختصة بطوابع البريد وهي «إدارة البريد ـ وزارة المواصلات ـ الكويت»، كرم عليوة «شبين الكوم/ مصر» اقتراحاتك محل نظر أسرة التحرير.. شكرا.

سامي عبدالمرضي المشطاوي «ستياجو/ تشيلي» مرحبا بمساهمتك عن أدب «أمريكا اللاتينية».

يوسف سمعان «ANAPOLIS - BRASIL» شكرا لك، وأهلا بك صديقا للعربي.

الأصدقاء : محمد شدو «المحلة الكبرى/ مصر»، عيسى بن نوري «القامشلي/ سوريا»، عبدالقادر سعد «بنزرت/ تونس»، حمدي عبدالحميد «منفلوط/ مصر»، البكوش نور الدين «تطوان/ المغرب»، بن يونس ماجن «لندن/ بريطانيا»، أوريدة عائشة «المسيلة/ الجزائر»، محمد الخضر «حلب/ سوريا»، عمر الأسود «المهدية/ تونس»، ثروت أحمد «قوص/ مصر»، فتحي أبواشميلة «زلينين/ ليبيا»، هاني عبدالعال «بني سويف/ مصر»، ضياء فخر الدين «دمشق/ سوريا»، جمال الزدجالي «ولاية السويق/ سلطنة عمان».

شكرا على تحياتكم والعربي تبادلكم إياها وتتمنى أن تظل عند حسن ظنكم دائما.

وتريات

بحار الهوى

بحران في عينيك هزهما الشراع
يا وشوشات الموج ما أحلى الضياع
إن ضل في بحريك ربان الهوى
صوني هدوء البحر كي يمضي الشراع
بحران برهما النخيل شموخه
من واحة الأهداب فانزاح القناع
هل في العيون عواصف نامت لها
كل الزنابق وانحنت تأبى الرضاع
أم بالعيون فخاخ صيد تختبي
قادت إليها كل أحداق الجياع
بحران في عينيك والكحل احتلى
ينبي على الهدبين ما يهوى اليراع
يا دفقة الأهداب أشعلت الهوى
جاوزت وهج الجمر واستعر الصراع
ظمآن من كأس تلاشى غيثه
واعتل فيه سراب أشواقي وضاع
ظمآن يتبعها الفؤاد مناجيا
أطلال حب لم يمت بعد الوداع
رف الهوى آت بأقواس المنى
وسهام عينيك استغاثت في نزاع
هيا أطلقيها من أراجيح الهوي
وارمي الشقاوة وانزعي هذا القناع
لتفر من صدر الغرام قلادة
ضمت لآلىء ومضها فاق الشعاع
فأنا مع الأحلام أبدو تائها
ومع العيون أجن من عبث الصداع

نقولا نقول
اللاذقية ـ سوريا □


جديد
زيت دوار الشمس الخالص
خال من الكوليسترول
NEW
دلال
DALAL
الآن..!
متوفر
بالاسواق المركزية
والجمعيات التعاونية
طبيعي ونقي حتى آخر قطرة
شركة مطاحن الدقيق والمخابز الكويتية



صورة الغلاف:

□ بندر عباس إطلالة إيران على الخليج

طالع الاستطلاع [ص ٤٠ ـ ٥٥]

مكاتب العربي

الكويت - وزارة الإعلام
مبنى وزارة الإعلام رقم ٢ شارع الصحافة ـ الشويخ.
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة - الرمز البريدي 13008
هاتف ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٧.
فاكس التحرير: ٤٨٤٢٢٥١
جمهورية مصر العربية: ١٠٦ شارع قصر العيني ـ مبنى كايرو سنتر الطابق الخامس ـ القاهرة ـ فاكس: ٣٥٥٤٩٠٦
هاتف: ٣٥٦٢٨٢٢ ـ ٣٥٤٦٨٦٩.
المملكة العربية السعودية: جدة، ص.ب ٤٥٥٦. رمز بريدي ٢١٤١٢
الجمهورية العربية السورية: دمشق، ص.ب ٣٣٣٠، تلكس: ٤١٩١٧٢، هاتف: ٣٣٧٥٦٠، فاكس: ٣٣١٠٧٩

محتويات العدد:

قضايا عامة:

سياسة واقتصاد:

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة:

طب وعلوم:

أدب ولغة وفنون:



□ وجهـا لـوجـه
محمـود السعـدني ومحمـد مساعد الصالح [ص ٦٨]



□ الجزائر بلـد يبحث عن هوية
[ص ١٣٨]



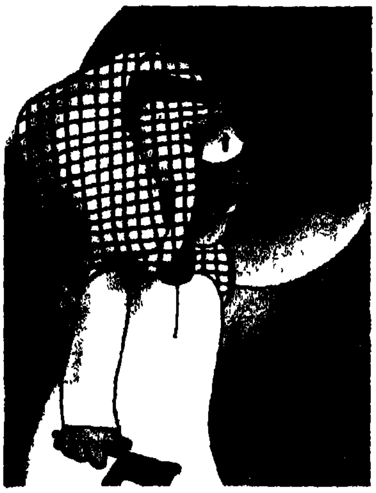
□ عمليـات جـراحيـة لتلسكوب الفضاء
[ص ٥٦]

منتدى العربي:

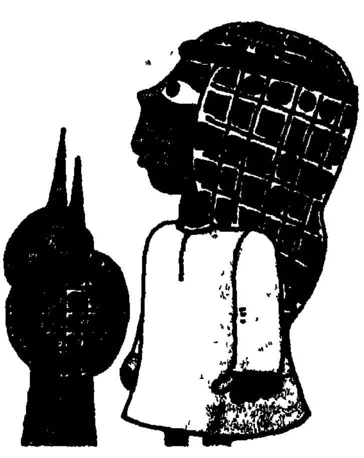
تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي:

أبواب ثابتة:



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



□ هل هناك خصوصية للطفل الكويتي؟
[ص ١٦٦]

عزيزي القارىء

مـــواجهـــات

عزيزي القارىء ..

لا شك أن أفضل طرق المعرفة، تكمن في المواجهة لا الاختباء من احتمالات الحقيقة، بحلوها ومرها، لكننا نضيف أن السوية في المواجهة، هي الضمان الحقيقي للاحتفاظ بالود مهما كانت القضية، فكل شيء يمكن أن يقال بشكل لا يجرح، وهذا يتوقف على طريقة القول. والسخرية فن من فنون القول، لكنه فن للكبار، ليس فقط بالقدرة على إبداعه، بل أيضا بالقدرة على استيعابه وفهمه، لأن ذلك يتطلب درجة متقدمة من الوعي بالذات، والتمييز، والمحاكمة العقلية. إن السخرية تفريج يرد على الإحباط ويلغي التشنج، وسلاح للنقد يواجه الواقع المرير بالوقوف فوقه، ولقد اشتهرت شعوب كثيرة بروح السخرية هذه وخاصة في أوقات الحروب والنكبات ولكن هناك خيطا رفيعا يفصل بين إثارة الفكاهة والتندر على العيوب وبين جلد الذات.

وهذا هو المصير الذي تعاني منه السخرية العربية الآن ويعاني منه ساخروها. فقد اكتسبت الطرفة طابع الأزمة العربية، مريرة وكابوسية، كوميديا سوداء كما يقولون. وليس هناك أكثر من مسئولية الكتاب للخروج بنا من هذا النفق المظلم. وهذه المواجهة يحتفل بها هذا العدد، عندما يستضيف ساخرا مصريا كبيرا هو الأستاذ محمود السعدني، يسأله ساخر كويتي كبير هو الأستاذ محمد مساعد الصالح في باب «وجها لوجه»، أما أبوابنا الأخرى، فإن روح المواجهة تسري فيها وتنبض، فعلى عكس الظن الشائع، تقتحم استطلاعاتنا نقاطا ساخنة أو حرجة لتستجلي الحقائق، في الجزائر: «بلد يبحث عن هوية»، وفي بندر عباس «إجابة جديدة عن سؤال قديم»، ولا تكف ـ في عددنا ـ المواجهات، بداية من افتتاحية رئيس التحرير عن مصير الكتاب «وخير جليس في الزمان شريط» والسؤال الذي يطرحه المقال.. هل سيبقى الكتاب حقا خير جليس. أم أن عوامل التقدم والتقنية الحديثة سوف تنزع عنه هذه الصفة؟. واستمرارا في مقال الدكتور فهمي جدعان «من نقد العقل إلى نقد الفعل»، وكذا مقالة منح الصلح عن الوحدة العربية والليبرالية يضيفان بعدا ثريا للعقول العربية عندما يواجهان بعض القضايا القديمة بأسلحة جديدة تثبت أن الفرسان القدامى مازالوا قادرين على المصاولة، وربما يلاحظ القارىء ذلك التجديد الذي يشمل منتدى العربي. فهو لم يعد يقتصر على قضية واحدة أساسية. ولكنه يحمل دعوة للحوار والاختلاف مع الآخرين وهي دعوة لا نفتأ نكررها على صفحات مجلة العربي. ولا تكف المواجهات في عددنا، حتى في العلم الذي يبحث عن «آفاق جديدة» والطب الذي يكشف «الجديد في القرحة الهضمية».

عزيزي القارىء، لنبحث عن الحقائق في المواجهات، لكن.. دعنا نطمح إلى مواجهات حضارية، نأمل أن تظل محتفظة في كل قضاياها بالود.. كل الود.

«المحرر»

حــديث الشهــر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

وخير جليس في الزمان «شريط»!

عند عودتي من رحلتي الأخيرة إلى مدينة «لندن» حملت في حقيبتي كتبا من نوع آخر، كتبا مسجلة على أشرطة بأصوات مؤلفيها أو بأصوات قراء محترفين يجيدون القراءة والإلقاء، إنها ليست ابتكارا جديدا، فمنذ سنوات وأنا أشاهد هذه الأشرطة على أرفف المكتبات وأقول لنفسي إنها سوف تكون تجربة مثيرة حين أستمع إلى وقع الكلمات وتصارع الأفكار من خلال نبرات الصوت، ولكنني - كرجل تقليدي - نشأ على حب الكتب وملمس الورق وأشكال الحروف، كنت دائما أمد يدي إلى رفوف الكتب وأتناول البضاعة التي تعودت عليها.

ولكن التجربة هذه المرة كانت مثيرة حقا، فقد قضيت ست ساعات من السمع الممتع، كانت الرواية التي جلست صامتا أستمع إليها مضغوطة في أربعة أشرطة، كل وجه مكون من خمس وأربعين دقيقة من الإلقاء الدرامي المتميز، تلك كانت تجربتي مع رواية البطة البرية Wild Swan التي كتبتها المؤلفة الصينية جينج شاينج وهي تحكي قصة ثلاثة أجيال تبدأ بالجدة ثم الأم ثم بطلة روايتنا، وتبدأ أحداث الرواية مع الجدة مع بداية هذا القرن حيث كانت أقدام النساء تحجز في القوالب الصينية حتى تظل صغيرة مرورا بحروب الأفيون والاحتلال الياباني والحرب الأهلية ثم الثورة الشيوعية على تقلباتها.

لقد صنعت التفاصيل الصغيرة والحياتية بانوراما شاملة للصين الشاسعة من خلال مسيرة حياة ثلاث من البنات، أقول صنعت من هذه الرواية واحدة من أشهر الروايات التي احتلت المركز الأول على صفحات جريدة التايمز اللندنية الشهيرة.. وحين أقارن تجربة استماعي إلى الأشرطة



الأربعة بعد أن قرأت الرواية في وقت سابق، أكتشف أنني - ربما لأسباب شخصية بحتة - قد استمتعت بالسماع كما استمتعت بالقراءة من قبل.

وهذه الرواية ليست هي الوحيدة التي يمكن أن نحصل عليها بهذه الطريقة، فقد استمعت قبلها إلى السيدة مرجريت تاتشر التي كانت واحدة من أطول الذين تولوا منصب رئيس وزراء بريطانيا، وهي تحكي بصوتها القوي أحيانا والمتكسر في أحيان أخرى عن سنوات الازدهار والأزمات في «١٠ داوننج ستريت»، البيت الذي شهد سنوات حكمها العاصفة بدءا من حرب الفوكلاند وانتهاء بحرب الخليج، والذي ظهر في كتاب ثم سجل على أشرطة.

كتب وأفكار، روايات كلاسيكية ومذكرات ساسة وأفكار فلسفية، تركت حروف السطور السوداء وتحولت إلى نبرات وإشارات مسموعة مفعمة بالألفة التي يصنعها الصوت البشري الذي يقتحم صمتك ويتغلغل في ثنايا أفكارك كي يمنحك المشاركة في عمق التجربة الإنسانية.



العاهة الحقيقية .. البصر أم السمع ؟

أتذكر أديبنا الكبير طه حسين الذي كان يصر على أن العاهة الحقيقية ليست في فقدان البصر، ولكن في فقدان السمع والصمم، فالأعمى لا يفقد فقط إلا أشكال الحياة الظاهرية، ولكن الأصم يفقد التواصل معها نهائيا، لأنه يعاني هنا من حاجز مزدوج من الصعب اختراقه، فهو أولا يفقد حاسة الاستماع إلى اللغة التي يستطيع التواصل بها مع الآخرين، وبالتالي يفقد القدرة على النطق وإيصال أفكاره إليهم، إنها عاهة تقف عائقا بينه وبين الاستماع إلى أصوات الكون، وتمنعه من عملية تفاعل انتقال الأفكار والمشاعر والأحاسيس، فالعمى لم يمنع طه حسين من أن ينعم بكل ثمار الفكر الإنساني من علم وشعر وموسيقى، ولم يمنعه من تعلم اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية، والأهم من ذلك لم يمنعه من أن يملي كتبه ومؤلفاته وأن يصبح واحدا من أفصح كتاب العربية حديثا، فكيف يمكن لهذه الفصاحة أن تتأتى لأصم؟!!

وافتقاد اللغة يعني افتقاد التاريخ البشري كله، فهو تاريخ تحول الصوت العشوائي وغير المنتظم إلى إيقاعات لها معنى وانتظام، ورحلة الصوت من محاكاة الطبيعة إلى نظم قصائد الشعر يعتبرها بعض الباحثين هي رحلة البشرية كلها، وما تاريخ الهجرات وتشعب السلالات وتكون أشجار القبائل البشرية إلا صورة أخرى من تطورها اللغوي، ففي البدء كانت الكلمة كما تقول الكتب المقدسة.. ولكن من المؤكد أنها كانت كلمة بسيطة.. خالية من القواعد النحوية والإعرابية التي نعرفها اليوم، والبعض يطلق على استخدام اللغة الأول أنها أهم اختراع توصلت إليه البشرية، ولكن هل كانت اختراعا حقا أم أن الإنسان كان مرغما على إصدار هذه الأصوات حتى يعبر بها عن عشرات الأحاسيس التي يشعر بها..

إنها شيء فطري.. غريزي.. مثلما تربض في جسم الطائر الوليد قدرته

■ كتب وأفكار تركت حروف السطور السوداء وتحولت إلى نبرات وإشارات مفعمة بالألفة.

■ هل تعود اللغة كلهـــا إلى أصل واحد مثلما تعود جذور البشر كلهم إلى «جين» واحـد.



على الطيران، ولكن الـذي يثير التأمـل هـو أصل هـذه اللغـة وتطـورهـا واختلاف ألسنتها، فهناك عـدة آلاف من اللغات ينطق بها أربعة بلايين من البشر، فكيف نشأت وحدث لها كل هـذه الاختلافات.. يقـول علماء اللغة إن اللغـات كلها تعـود إلى أصل واحــد، أي أنها جميعهـا تنبثق من حـذر مشترك وهي أبحـاث تشترك في نفس الهدف الـذي تسير فيـه أبحـاث بيـولوجيـا الأجنـاس، أو هي بـالأحرى صـورتها اللغـوية، ففي جامعـة كاليفورنيـا أكد الباحثون في مجال حمض الخلايـا النووي «D.N.A» أن أصل البشر يعودون كلهم إلى امـرأة واحدة عاشت في إفريقيـا منذ مائة وخمسين ألف عام، وهم يطلقون عليها «حواء..» وعلى نفس هذا المنوال يؤكد علماء الفيزياء أن هناك نظرية موحدة عظمى تنظم حركة الكون كله، وما فيه من كـائنـات حية وذرات وجسيمات جـامـدة، وبنفس الطـريقة يـؤكـد علماء اللغات أن اللغة كلها كانت لسـانا واحدا انتشر مع انتشار الجنس البشري، وأن اختـلاف الألسنة وتشـابههـا أيضا هـو حصيلـة عمليـاتٍ طويلـة من الهجرات المستمـرة، وهي هجرات بـدأت وتواصلـت مع انتشار الـزراعة وليس عمليات الغزو.. أي أن اللغة انتشرت مع محراث الزراع، وليس مع أسنة المحاربين..

من الأصوات العشوائية إلى الكلمات

وربما تشكلت الكلمات الأولى عبر محاولات البشر لمحـاكـاة أصــوات الطبيعة، صـوت هبوب الرياح وزقـزقات الطيور ورئير الـوحوش، وربما كانت مجرد تلعثمات عاطفية حاول بها الإنسـان البدائي أن يعبر عن رغباته ويتطهر من مخاوفه، ولكن دور اللغة كـان أكثر تعقيدا من ذلك، فقد ارتبط مع مجمـوع البشر حين يقومـون معـا بعمل جماعي ويحتـاجون إلى نـوع من التنسيق يمكنهم من صيد حيوان أو دحرجـة حجر أو شد حبل، إنها بداية الطقوس الجماعية التي عـرفها البشر، والتي تطورت من همهمات التشجيع إلى تـراتيل وأغــان لها معنى محدد، إنها تعبير عـن كل حـالات البشر من اللعب إلى الفـرح إلى الحزن، وكل واحدة من هـذه الحالات أخذت تعبيرا محددا تطور فيما بعد إلى اللغة..

لقد كـانت المشكلة التي واجهت الإنسان، ومـا زالت تواجهـه بطبيعة الحال، هي كيف يتكيف مع بيئتـه ومع المخلـوقات التـي تشاركـه في نفس هذه البيئـة، ولأنه كـان يمتلك جهازا عصبيـا متطورا بـالنسبة إلى غيره من الحيوانات فقد تمكن جسده من تطـوير الإشارات والإيماءات البدائية، فهو يمتلك رأسا أوسع، وقناة صوتية محسنة، وترابطات عصبية جيدة تصل بين فصي المخ. كل هـذه المهـارات والميـزات العصبيـة ساعـدتـه على الارتقـاء بالإنسـان، ويقول علماء الأنثـروبولوجيـا إن الإنسان تعـرض إلى تطور في الجينات الموجودة في داخله جعلتـه قادرا على التحكم في إخراج الأصوات المختلفة.. فالكلب يواصل النباح وفق حـالته المزاجية السيئة، والشمبانزي يضرب صدره ويصرخ ليعبر عن غضبـه وليخرس الآخرين، أمـا الإنسان

فهو الوحيد الذي يستطيع الكذب ببراءة وبثقة شديدة، دون أن يبدو عليه أي انفعال!! وهو الذي قال إن هناك حسنات للكذب ومساوىء للصدق!!

ولم يكن من السهل على البشر أن يحولوا هذه اللغة الصوتية إلى إشارات مكتوبة، لقد استلزم هذا عددا كبيرا من سنوات التطور والارتقاء، وتطلب أيضا الاستقرار في وديان الأنهار، والاعتماد على الزراعة وبداية بناء المستوطنات الأولى للإنسان، وقد أخذت إشارات الكلام هذه أشكال الطبيعة، رسم العصفور والشجرة ليدل على أسمائها، ثم رسم العين ليدل على الرؤية والفم للكلام واليد للتوسل والضراعة، ثم أخذت الخطوط تأخذ طابعا أكثر تجريدية وتتحرر من أصولها التصويرية لتصبح أكثر رمزية.



كتب الإنسان لغاته البدائية على كل المواد التي تحيط به تقريبا، كتب أهل سومر حروف لغتهم الأولى على ألواح الطين، وحفر المصريون القدماء رسومهم على الحجر، واستخدمت القبائل الإفريقية جلود الحيوانات، واستعان سكان المايا القدامى في أمريكا بلحاء الأشجار، وأولع اليونانيون بالكتابة على الفخار، ولا زال أهل إيران حتى الآن يبثون أشواقهم في ثنايا خيوط السجاد.

وحتى الآن لم يحسم المؤرخون أي الحضارات التي ينسب إليها شرف بداية الحروف الأولى للكتابة، ولكن الافتراض الأكثر شيوعا هو أن الحضارة السومرية التي نشأت على ضفاف وادي الرافدين كانت أسبق هذه الحضارات. لقد تم العثور على العديد من الألواح الطينية في مدينة «أوروك» يعود عمرها إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وقد دلت هذه الألواح ــ وكانت كثيرة لحسن الحظ ـ على تطور الكتابة السومرية من الكتابة التصويرية ـ أي محاكاة أشكال الطبيعة ـ إلى نظام الكتابة الذي يتبع السمات الصوتية، أي الحروف التي تأخذ أشكالا رمزية ويطلق عليها الكتابة المسمارية.

■ **الإنسان هو الحيوان الوحيد القادر على التحكم في إخراج الأصوات المختلفة.**

وقد بدأت الكتابة بطبيعة الحال بدوافع المنفعة والحاجة، فقد أخذوا يدونون بها البضائع والمواشي وبقية المعاملات التجارية، ثم تطورت لتدون بها المعاهدات والاتفاقات، ولم تكتب بها النصوص التعليمية أو القصص والأشعار إلا بعد تطور لاحق، ولعل السومريين كانوا أول من أنشأ نظام المكتبات أو الأرشيف، فقد كانوا يحتفظون بهذه الألواح الطينية داخل المعابد والقصور الملكية في قاعات خاصة أشبه بمراكز الوثائق التي لدينا الآن.. وقد كشفت الحفريات عن وجود فهارس منظمة لهذه الوثائق وكيف أنها كانت مقسمة حسب الموضوع وكل لوحة منها لها رقم خاص.

وعن طريق هذه الألواح وصلت إلينا تفاصيل واحدة من أقدم الحكايات القديمة، هي «أسطورة جلجامش» الذي كان يبحث عن الخلود في أرض ديلمون، وعن طريق هذه الألواح وصلت إلينا أولى القوانين والنصوص العلمية المتعلقة بالبيطرة والرياضيات وغير ذلك من المعارف الإنسانية في تلك الحقبة من التاريخ.

ولكن حرفة الكتابة لم تظفر باحترام بالغ مثل الذي بلغته في مصر القديمة، فقد كانوا يمجدون هذه المهنة، وصنعوا لها العديد من التماثيل أشهرها أو الذي بقي منها حتي الآن ذلك الكاتب الجالس القرفصاء، فقد كانت هذه المهنة هي المثل الأعلى للشباب، وهي التي تمكنهم من أن «ينجولوا في الطرقات بحرية وأن لا تكون ثورا يقوده الآخرون.. بل تقودهم أنت» كما تقول إحدى التعاليم الفرعونية القديمة، ولقد استطاعوا من خلال هذا التمجيد أن يطوروا اللغة الهيروغليفية وأن يكتبوها على أعمدة المعابد وجدران المقابر، لم يكونوا كأسلافهم السومريين يميلون للكتابة على مواد طرية.. ولكنهم كانوا يميلون إلى استخدام المواد النبيلة التي تقاوم الزمن وتبقى طويلا.



ولكنها كانت حضارة تسودها مسحة من الحزن والتفكير الدائم في الموت والتوق إلى البعث من جديد، لذا فقد كانت أشهر الكتب التي تم نسخها وتبادلها وبيعها في الأسواق هو كتاب الموتى. كتبوا هذه النصوص الطويلة على أوراق البردي الذي كان يزرع في أحراش الدلتا، وحفلت هذه الكتب بالتعاليم التي تساعد المرء على مقاومة لحظة الموت العابرة والوصول إلى لحظة البعث الجديد، وقد زينت برسوم تمثل القبر، والآلهة والحياة الأخرى، ويقال إنها أقدم الكتب المصورة في التاريخ.

الكتاب العربي .. أزمة دائمة !!

عندما نتصفح أي كتاب فإننا نتذكر الصينيين الذين كانوا أول من توصل إلى صناعة الورق منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، ونتذكر يوهان جوتنبرج الطابع الألماني الذي استعمل حروف الطباعة المنفصلة عام ١٤٣٦م وأدى خدمة كبيرة للبشرية، ولكنه مات مفلسا واضطر إلى بيع مطبعته، وربما نتذكر أيضا حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م عندما أحضر أول مطبعة حديثة إلى العالم العربي، ولكننا لا نتذكر دور العرب في تلك الرحلة الحضارية العظيمة وأعني بها رحلة تطوير الكتاب.

إن كل ما نعرفه أن الكتاب العربي يمر بالعديد من الأزمات، أزمة في المحتوى لأن عدد الكتب الأصيلة التي تحتوي على موضوعات ذات دقة وعمق وجدة تكاد تتوارى خجلا أمام أعداد الكتب التافهة والتي لا ضرورة لها، والتي تواصل المطبعة قذفها علينا كل يوم، وأزمة في الشكل، فهو يعاني من فوضى جمالية، أي يعاني من ضعف الورق وتعدد أشكال الحروف وطرق التجليد المهلهلة، وكلها أشياء لا تشجع المهتم على قراءة الكتاب، فما بالك بغير المهتم؟

إن نظرة واحدة على أرفف المكتبة تجعلك ترى فوضى الحجم التي يعاني منها هذا الكتاب، أضف إلى ذلك قوانين الرقابة التي لا ترحم وذلك

■ **بدأت الكتابة بدافع الحاجة والمنفعة ثم تطورت كي تعبر عن المشاعر والأحاسيس.**

التحفز الـذي يثيره الكتاب لـدى موظفي الحدود والجمارك في العـديد من البلدان العربيـة ودرجة الأمية المتفشية حتى إن أحد النـاشرين يعلن يائسا. إن نصف الكتب التي تطبع لاتبـاع ونصف الكتب التي تبـاع لا تقـرأ ونصـف الكتب التي تقـــرأ لا تفهم ونصـف الكتب التي تفهم يفهـم عكسها..».

فهل كـان الأمر دومـا كذلك؟ وهل عـاش الكتاب العـربي خلال هـذه الأزمة؟ وكيف تغير موقفنا من حضارة تعشق الكتب وتثقل وزنها ذهبا إلى حضارة تراه زائدا ومطاردا وطفلا لقيطا لا بد من فرص الرقابة حوله؟..

■ كيــف تغـير مـــوقفنــا من حضـــارة تعشق الكتـــب وتثقــل وزنـــه ذهبــا إلى حضـــارة تعتبره طفــلا لقيطـــا؟

المعركة التي جاءت بالورق

بدأت حكاية العـرب مع الكتاب بمعركة حربية.. هكـذا تقول الحكاية والعهدة على الراوي كما يقولون.. وقد وقعت أحداثها في عام ٧٥١م.

كانت هناك قبيلتان متناحرتان في تركيا أو آسيا الوسطى كما كانت تدعى في تلك الأيـام، استعـانت قبيلـة منهما بـالعـرب واستعـانت الأخـرى بالصينيين، ودارت الحرب على القبيلة الأخيرة فـانهزمت وانتصرت القبيلة التي كـان يدعمهـا العـرب ووقع بعض الصينيين في أسر هم، وللمصادفـة التاريخية فقد كـانوا يعرفون سر صناعة الـورق، وهكذا اقتادهم العرب إلى مـدينـة سمرقـد إحـدى منـارات الحضارة الإسـلاميـة في ذلك الـوقت، وأسسوا بمعـاونتهم أول مصنع لإنتاج الـورق، وأكسب هذا الأمر مـدينة سمـرقد شهـرة إضـافيـة فأخذت تصـدر الـورق إلى بقيـة المدن العربيـة،



■ كل المكتبات التي نهضت في الحواضر الإسلامية كان حظها عاثرا ومصيرها تعسا.

واشتهرت بغداد بإنتاج نوع من الورق قادر على تشرب الحبر، وزادت دمشق في تطوير هذا النوع بحيث أصبح أقل سمكا وأكثر مرونة، وأنتجت ما يعرف بـ «الورق الدمشقي» الذي انتقل إلى أوربا، وكتبت عليه العديد من المخطوطات الدينية المسيحية، ثم انتقلت الصناعة بعد ذلك إلى مصر كي تلغي الاعتماد على أوراق البردي، ويقال إن العرب ظلوا يحتكرون هذه الصناعة على مدى ٥٠٠ عام.

ولأن معجزة الإسلام الحقيقية كانت كتابا هو القرآن فقد أحاط المسلمون الأوائل الكتب ومخطوطاتها بنوع من التمجيد، واكتسبت صناعة الخط ـ وهي موهبة كانت تؤهل صاحبها لكتابة القرآن ـ احتراما بالغا بين العامة والخلفاء على السواء، وبدلا من أن تسير القوافل عبر الصحاري الشاسعة تحمل المؤن والبضائع كانت تسير حاملة أسفارا من الكتب، وكان أثرياء العرب يخرجون في رحلات الحج إلى بيت الله لا ينسون أن يكون من بين أمتعتهم جمل خاص يحمل الكتاب كأنه مكتبة صحراوية متنقلة، مثل تلك التي نسمع عنها هذه الأيام.

وقد بدأ الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ٧٦٦ ميلادية هذا الشغف بجمع الكتب واقتنائها، كان خليفة غريبا جمع أطراف النزق والعلم كما يقولون، ومثلما امتلأ بلاطه بالمطربين والمغنين والقيان، امتلأ بالمترجمين والمؤلفين والنساخ، وكان ابنه المأمون متطهرا يعاني من مشاكل في نسبه العربي ومن شرعيته في استحقاقه للعرش فعوض ذلك باهتمامه الشديد بالثقافة والمعرفة فدأب على إرسال الرسل والمبعوثين كي يبحثوا له عن المخطوطات اليونانية واللاتينية القديمة حتى يقوم مترجموه بترجمتها، وقد أنشأ مكتبة دار الحكمة التي حولت محتوياتها فيما بعد إلى جسر في نهر دجلة عبرت عليه أقدام المغول.

وكان اندفاع الفاطميين في مصر نحو عشق الكتاب غريبا، فقد اختلط حب المعرفة لديهم بنزوعهم إلى تكوين عالم آخر يختلف عن النمط السياسي والثقافي الذي صنعته الدولة العباسية، كانوا يبحثون عن شرعية باطنية تحكم عالم الإنسان ونوازعه وأفكاره وقد حاولوا إقامة بناء نظري وفكري يدعم هذه الرؤية، وقد أنشأ خليفتهم الأول العزيز بالله في عام ٩٧٥م أول مكتبة شهيرة داخل قصره، وكانت من الضخامة بحيث إنها ضمت ٦٠٠ ألف مخطوط مقسمة إلى أربعين قسما.. ثم ما لبثت أن أنشئت أيضا «دار الحكمة» القاهرية، وهي لم تكن أرففا لاحتواء الكتب فقط ولكنها كانت تضم داخلها جيوشا من المترجمين والعلماء والنساخين، وكانت بذلك جامعة متخصصة لإنتاج الكتب.

ومثلما شهد العصر الفاطمي ازدهار المكتبات القاهرية شهدت نهاية هذا العصر انهيارها بفضل النهب والحرائق واللامبالاة.. لقد زالت دولة وعصر.. وبقيت المكتبات يتيمة لا تجد من يحميها.

كانت قرطبة أيضا إحدى عواصم الكتاب العربي، قرطبة



الخزينة التي كان البربر يدقون أبوابها والإفرنج يتربصون بأسوارها، جيوش الخطاطين التي كانت أسلحتهم عيدان البوص وريش الطيور لم تجد من يحميها من العصف، لقد أسس الخليفة الأموي الحكم الثاني في ٩٦١م مكتبة ضخمة كانت مجلدات الفهارس فيها فقط تبلغ ٤٤ مجلدا، وكانت محلات الوراقين والنساخين تنافس محلات بيع الأغذية والأقمشة وعندما جاء البربر كان وقودها مستعرا ودخانها قاتما، وزالت واحدة من أندر المكتبات العربية في الأندلس، وسبحان من له الدوام.

واذا كانت المطبعة قد جاءت إلى مصر مع الحملة الفرنسية، فقد سبقتها محاولات بدائية قام بها المصريون من أجل الطباعة بألواح الخشب.. لقد اكتشفت آثار هذه الكتب في مدينة الفيوم في أواخر القرن السابع عشر، ومعظمها كتب دينية بل وفيها نسخ أيضا للقرآن الكريم، فهل انتقلت هذه التقنية من أهل الصين كما انتقلت صناعة الورق، أم إنه اجتهاد عربي أصيل.. وهل كان العالم العربي هو همزة الوصل بالنسبة لأوربا فأعطاها الورق أولا، ثم أعطاها قوالب الخشب ثانيا، من المؤكد أن الأمر كان كذلك..



الكتاب وتقنيات جديدة

ولكن تاريخ الكتاب العربي الزاهر، ومحنته الراهنة يجب ألا تنسينا تلك الثورة الراهنة التي يعيشها الكتاب في الوقت الحاضر.. ففي وقت تتراكم فيه المعارف بسرعة مذهلة نجد أن صفحات الورق التقليدية عاجزة عن استيعاب كل هذا الكم من المعلومات.. لذا فقد تدخل الكمبيوتر كي يعين الكتاب ثم ليقف في موازاته وسوف يحل محله في المستقبل القريب.

لقد انكمشت أجزاء الموسوعات الضخمة كي تصبح مجرد قرص صغير تتوالى صفحاته على شاشة الكمبيوتر، وأصبحت الصحف تصدر بطريقة حية ومباشرة بنفس الطريقة وتبث صفحاتها إلى آلاف المشتركين.

والكمبيوتر لا يتدخل فقط في حفظ مادة الكتاب.. ولكنه يساهم في نشره وترويجه أيضا، وقد شاهدت بنفسي في بعض الدول الأوربية تجربة من هذا النوع تبدو مثيرة بالنسبة لتعامل الكمبيوتر مع الكتاب في صورته التقليدية.

■ لم يعد الكمبيوتر يتدخل فقط في مادة الكتاب ولكنه يساهم في نشره وترويجه.

ففي السنوات الأخيرة ومع ارتفاع تكلفة طباعة الكتاب أصبح الناشرون يعانون من الكتب التي لا تباع وتبقى في المخازن، وتسبب لهم خسائر من الصعب تعويضها، لذلك جاءت فكرة إصدار كتاب عند الطلب، يكفي أن تذهب أثناء جولتك للتسوق إلى أي مكتبة صغيرة في الحي الذي تقيم فيه، وتطلب منهم الكتاب الذي تريده، وتستمهلك العاملة ساعة تكمل فيها جولتك أو تشرب قهوتك، وتقوم هي في هذه الأثناء بالاتصال الإلكتروني بالناشر وبعد دقائق تبدأ صفحات الكتاب في التدفق على شاشة الكمبيوتر في ذلك المحل الصغير، وتضغط العاملة على زر كي تخرج لك نسخة أو أكثر، وتقوم بتجليده بواسطة آلة صغيرة، بل

وتقوم أيضا بكتابة اسمك عليه أو اسم من تريد إهداءه هذا الكتاب.. كل هذا الأمر لا يستغرق أكثر من ساعة تصبح بعد ذلك نسختك جاهزة عند الطلب.

إنه طريقة عملية لا تحدث فائضا في الكتب الصادرة وتقلص التكاليف والأهم من ذلك أنها تتيح لك الكتاب الذي تطلبه في وقت قياسي.



ولكن عشاق الكتب التقليدية مثلي.. وإن كانوا قد استطاعوا التأقلم مع أشرطة السماع فهم يخافون من تلاحق هذا التطور، ومن يوم يأتي تخلو فيه الأرفف من الكتب لتحل محلها اسطوانات الكمبيوتر التي أصبح واضحا أنها يمكن أن تقضي على صناعة الورق، ربما ينقذ لنا هذا التطور آلاف الأشجار التي تنتحر سنويا ولكنه سوف يقضي على صديق عزيز طالما رافقنا في أيام الوحدة والحزن والفرح، وشاركنا رحلة العمر والفكر دون أن يصح أو يتذمر.. فالقراءة والمعرفة هي إحدى الانتصارات القليلة التي يمارسها الإنسان مع نفسه في وقت تكاثرت فيه المعارك الخاسرة، إنني أتذكر دائما قول الشاعر الداغستاني حمزاتوف «لقد خسرنا الكثير من المعارك بسبب السيف.. لكننا لم نخسر معركة واحدة بسبب الكتب..».

كتب غيرت مسار التاريخ

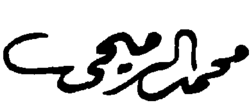
لقد كان الكتاب دائما عنصرا مؤثرا في تطور التاريخ البشري، فهو الوعاء الذي حمل خلاصة الفكر والتجربة الإنسانية، ورغم أن الفعل كان هو الذي أحدث كل هذه التغيرات الحاسمة، إلا أن الفكر كان ضروريا لدفع هذا الفعل لدرجة التحقق، فالكتب بما حوته من أفكار قد غيرت من مسارات التاريخ أكثر مما أحدثته السيوف وكل الثورات العظيمة مهدت لها الطريق أولا أفكار عظيمة، وكل كتاب مهم قد أحدث تحولا بنفس الأهمية في نظرة الإنسان إلى العالم الذي يعيش فيه. ولكن هل يمكن أن نحدد الكتب التي غيرت مسار التاريخ؟.. إذا سمونا بالكتب السماوية عن هذه الاختيارات فإن الجواب يغدو صعبا.. لأن كل إنسان ينظر إلى المراحل التاريخية من زاويته الخاصة.. وعندما يفكر المرء في كل التحولات الكبيرة لا يملك إلا أن يستهدي ببعض الكتب كما نستهدي بعلامات الأميال في السفر الطويل. لقد وضع أفلاطون في كتابه «الجمهورية» أولى تصوراته عن الدولة المثلى كما يراها، تلك الدولة التي يحكمها المفكرون والفلاسفة ويبتعد العسكر عن إدارة السياسة بها وهو الحلم الذي لم يتحقق حتى الآن، وواصل المؤلف الإنجليزي توماس مور نفس حلم المدينة الفاضلة في «اليوتوبيا»، وابتعد أبو العلاء المعري عن مشاكل الحياة الدنيا فطرح أول تصور عن الموت والبعث والعالم الآخر في «رسالة الغفران» وقدمت لنا «ألف ليلة وليلة» صورة عن عالم الخيال

■ هل تختفي الكتب من الأرفف وتحتل مكانها أسطوانات الكمبيوتر؟

■ **كان الكتاب دائما عنصرا مؤثرا في تطور التاريخ البشري.**

والأساطير بصورة حسية لا تفتقد الكثير من مقومات الواقع العربي في تلك القرون، ولا ننسى كتاب «الأمير» لميكيافيللي الذي وضع مبادىء للحكم مازال الطغاة من الحكام يسيرون عليها حتى الآن، وحملت إلينا رياح العصر الحديث الكثير من الأفكار الملتهبة، فكان كتاب الأمريكي توم بين «أفكار عامة» هو الذي بعث برياح الحرية وسط سهوب المستعمرات الإنجليزية في أمريكا فاشتعلت حرب الاستقلال وخرجت واحدة من أقوى الدول في القرن العشرين هي الولايات المتحدة، وتبلورت كتابات جان جاك روسو عن المساواة والحرية والعدالة في «أميل» وكذا أفكار مونتسكيو وفولتير لتوقظ واحدة من أهم ثورات البشر والتي نقلتنا من عصر إلى آخر، وأعني بها الثورة الفرنسية، واكتشف داروين وهو يغوص في حفريات الأنثربولوجيا القديمة لإنسان ما قبل التاريخ نظرية التطور والانتخاب الطبيعي المثيرة للجدل في «أصل الأنواع» وكذا وضع الفيلسوف الألماني كارل ماركس تحليله العلمي لحركة المجتمع وتطوره في «رأس المال»، ولم يقل فرويد عنهما في جراءة البحث حين غاص في أعماق النفس البشرية ليكتشف عالم الغرائز الخفي، ويصر على نظرية الدافع الجنسي التي ما زالت تمثل صدمة متكررة لدى العديد من الناس حتى الآن في كتابه «تفسير الأحلام» وقبل ذلك توصل العديد من الأدباء من خلال تجاربهم وحسهم الفكري العميق إلى أغوار النفس البشرية، فكتب المؤلف الروسي فيدور ديستوفسكي العديد من الروايات عن الشخصيات الروسية القلقة، وقد استعان فرويد برائعته «الإخوة كارامازوف» في تحليله لعقدة قتل الأب، وقام الأدب بدوره الاجتماعي الخلاق في تغيير العديد من القوانين والأنظمة، ودفعت كتابات شارلز ديكنز مثل «أوليفر توست» إنجلترا لتغيير قوانين العمل اللا إنسانية التي كانت مطبقة على الأحداث، وقدم الفيلسوف الألماني نيتشه فلسفته المروعة عن السوبرمان أو الإنسان الأعلى وهي الفلسفة التي استغلها دعاة العنصرية من أجل إشعال نيران الحرب العالمية الثانية، وكتب هتلر على ضوئها كتابه «كفاحي» الذي مزق به أوربا والعالم على مدى خمس سنوات، ووضع سارتر كتابه الشهير «الوجود والعدم»، كي يؤكد على غربة الإنسان عن هذا العالم وعن ذلك الجدل الدائم الذي يخوضه ما دام موجودا على الأرض..

كتب ورؤى وأفكار.. أثرت وما زالت تؤثر.. تصنع ذلك التاريخ الفكري الطويل للعقل البشري وتنير أمامه المستقبل، كتب ضلت طريقها أحيانا.. وحفلت بالأخطاء أحيانا ولكنها في الأغلب الأعم كانت سندا للإنسان في رغبته للمعرفة والتقدم، ورغم كل ما سيحدث من تطورات، وما سوف تضيفه إلينا التقنيات المعاصرة من أدوات التسلية والترفيه، فسوف يظل الكتاب هو خير جليس ورفيق في الزمان. □



ملاك الشعر

شعـــــر : حسن طلب *

هو الملك الذي في ليل وحدته
على البرق استوى
فأقام مملكة الهوى
وأشاع فيها العدل
شيّد ملعبا للمغرمات به
وأيد ملكه بالثيبات من النساء
بنى بآجر الغرام مدينة للعاشقين
وجنة للمؤمنين به
ومن صلى وبايعه من الشعراء
أسس مسرحا للآنسات
وأسكت المتشاعرين
فلم يزل حتى تعرت عن معاطفهم
جلودهم السميكة
فاستضاء بليل وحدته
وآله ظله
الملك الذي جعل القصائد
جيش دولته
وجاء من البعيد
وراءه قمم الصعيد
أمامه الحمم الوشيكة
مر من تحت اللهيب
فلم يهن وقت الثبات
ولم تلن منه العريكة
ثم سار ..
فلم يزل حتى أغار على اللغات
فضم مملكة لمملكة
وصار من الطغاة
سريره الكلمات، والحرف الأريكة
ذاته مشكاته
ودواته دمه
يداه أداته
وبراقه أشواقه
أسرى به ليلا ملاك الشعر
نحو حمى الحبيبة
قال : تلك هي الشريكة
فاقترِب منها
وقرّبها
وكن ملكا على إقليمها الروحي
أحِبْها □

* شاعر مصري





وعود نهايات القرن:

من نقد العقل إلى نقد الفعل

بقلم: الدكتور فهمي جدعان

العقلانيون ونقاد العقل العرب متهمون بأنهم قد تخلوا عن أطروحاتهم وأسلحتهم العقلانية مرة واحدة وأنهم ذاهبون في الطريق المضاد. في هذا المقال إجابة عن هذه المقولات والفرضيات التي نعتقد أنها ستفتح الباب أمام ردود فعل واسعة.

كل شيء يدل على أننا نتقدم نحو السنوات الأخيرة من قرننا العشرين ونحن نشهد نذر الأفول والبوار، ونلمس فشل نفوسنا وذهاب ريحنا، ونجني بأيدينا ثمار حصاد بائس لأعز مشاريعنا. وليس يقدر على تقدير الرزايا التي حلت بنا إلا الله والراسخون في العلم. وهي في جميع الأحوال، تتخطى الفهوم والأحلام وكل الحسابات. نحن، مع ثباتنا عند مواقع أقدامنا القديمة التي اضمحل جليلها وصغيرها، موزعون بين رجاء يتسع ويضيق وبين يأسة تأخذ وترد. والسؤال «الميثي» الذي وضعه رجال النهضة الأوائل: أين مكمن العلة وكيف السبيل إلى البرء منها؟ يثور من جديد ويبحث عن الجواب الشافي. هل مازلنا نحتاج إلى تعليل واقع الأحوال وإلى التوسل بعلاج قوامه رفع العلة لرفع المعلول؟ أم أن علينا أن نتوجه مباشرة إلى المعلول نفسه فنخضعه لعلاج جاهز فوري: بالسلفية الإسلامية عند بعضنا، أو الليبرالية الغربية عند بعضنا الآخر، أو بالمركب منهما عند فريق ثالث، أو بغير هذا كله عند آخرين؟

لا سبيل إلى الهروب. إننا مدعوون، في جميع الأحوال، إلى ضرب ما من ضروب التشخيص، وعلينا

أن نتبين الموضع الذي ينبغي أن يصوب إليه العلاج.

ولقد أرهقنا المفكرون العرب المعاصرون بدعوى القول إن الداء كله يكمن في ما اتجهت الكتابات الإبستيمولوجية المتأخرة إلى تسميته بـ «العقل العربي» تارة وبـ«العقل الإسلامي» تارة أخرى. وسواء أكان مذهب هؤلاء الإصلاحيين أن (العقل) الفاعل المؤثر المغير هو أصل قائم مستقل بذاته - وهو مصادرة المثاليين منهم - أم أن هذا (العقل) أو (الوعي) الفاعل هو وجه خارجي لشروط الإنتاج وقواه المادية - وهو مصادرة الماديين منهم - فإن الإجماع معقـــــد بين الجميع على أن (العقل) أو (الوعي) العربي هو العليل الذي يتعين تطبيبه وعلاجه بالعقاقير أو بإعادة التأهيل والتربية أو بالجراحة والرقية السحرية هنا هي أن يصع كل واحد منا حول عنقه قلادة تتوسطها نتة جافة رسمت على ثناياها صورة: «العقلانية»، وبطبيعة الحال فإنه مقدر لكل من يتمتم بهذه الرقية أن ينجو ويخلص حسنا! ولكن ما هي مضادات العقلانية التي أفضت ومازالت تفضي إلى البوار وعظائم الأمور؟ إنها عند جمهرة المنظرين: إما الخرافة التي تسحر من التفكير العلمي، وإما المنطق الشكلي الذي يحاكم وفقا لقياس الغائب على الشاهد، وإما الاعتقاد الديني الذي يشد الحاضر إلى الماضي ويختزل الوجود الأرضي لصالح وجود ميتافيزيقي أو سماوي. أي أن كل شيء مرجعه إلى العقل وآلياته، وإلى الاعتقاد وأوهامه. ويترتب على هذا التشخيص أن الأمور ستستوي والأشياء ستستقيم والناس سينصلحون إذا ما تناولنا العقل بالترميم والإصلاح وإعادة التشكيل والتوجيه، سواء أتم ذلك بأخذ هذا العقل في داته أو بأخذه بتغيير الشروط الموضوعية التي ينشط فيها، ذلك، بطبيعة الحال هو مذهب الغيارى الذين لم يفقدوا الأمل، أما القدريون القانطون - وحالهم يشبه أن يكون كحال أجنحة الاستشراق القديم المدمرة وأصدائه المعاصرة المبغضة - فقد أقنعوا أنفسهم بأنه ليس ثمة ما يأذن بإصلاح هذا العقل لأن العطب ثاو في ماهيته ذاتها: فهو إما قد استنفد قصارى طاقته، وإما أنه عاجز عن تجاوز أفق المفردات الحسية وفاقد لآليات النشاط التجريدي والتركيبي والإدراكي الراقية، وإما أنه بكل بساطة يشكو من تخلف ذهني صريح. وحصاد دلك كله تعرية كل من تلحقه صفة «العربي» من هذا الإحساس الانثروبولوجي الجوهري، كلبا أو جزئيا.

من إصلاح العقل إلى إصلاح الواقع

والتقصير الحقيقي لا يأتي من هذه الرؤية الثانية - فالواقع وعلوم الإنسان والمجتمع قد حرداها من كل قيمة موضوعية - ولكنه يبعث من جبات الرؤية الأولى - الطوباوية بشكليها المثالي والمادي كليهما - التي روج لها ومازال يعمل فريق واسع من المفكرين العرب الذين طوقنا أعناقهم بحياد دهبية، ودلك إد اعتقدوا أن خالص ما في الأمر هو أن إصلاح العقل يحمل معه بالصرورة إصلاح الواقع. وليست هده النطرة بالنظرة الفلسفية المتدعة. فقد آمن سقراط بوحدة النطر والعمل وظن أن العلم بالفصيلة وبالخير يحمل بالضرورة على العمل بها، وتوح أفلاطون العقل ملكا عا، كل قوى الإنسان الأخرى، وكذلك فعل أرسطو، أما ديكارت فرد المسألة بكاملها إلى «حس قيادة العقل». والقائمة طويلة، إلى يومنا هذا. وكل جندها يلقون عد مصب (العقلانية الموضوعية) التى أبان باسكال عن قصورها وفجر بيتشه وفرويد قواعدها وأطرها التقليدية.

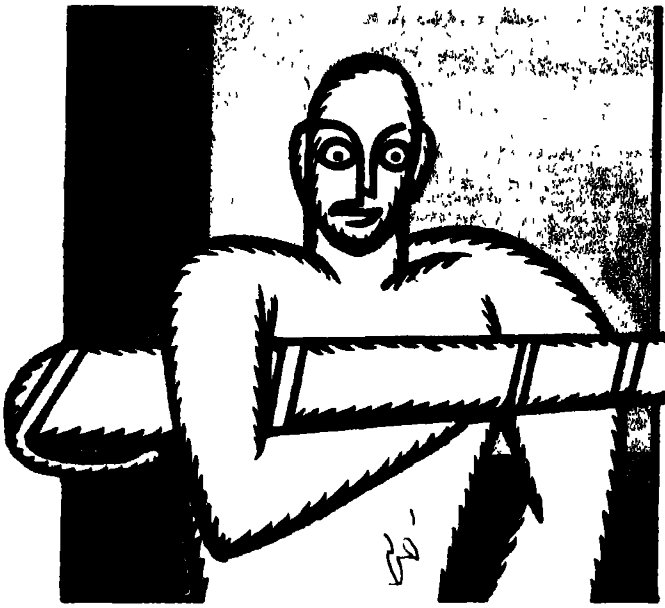
والحقيقة أن عادتنا للعقلانية الموصوعية، ومن بعد للعقلانية الدرائعية أو التقنية هي التي تسر بقدر كبير حاسم عجرنا القديم، المتجدد عن فهم حالة الفصام المانوية في النظر والعمل التي تثقل كاهل هذا الإنسان الذي سميه، بوجه مس وحوه التعميم، بالإنسان العربي، قديما وحديثا. وهي التي تقول لنا «لماذا نقول ما لا نفعل، ولماذا لا نفعل ما نقول»؟ ولم يختص العربي حتى اليوم بهذه الخصيصة المرذولة وهي أنه إنسان قول لا إنسان فعل، وأنه ليس لأحد أن يصدق وعدا ألقاه أو وعيدا توعد به! مما يلوح أنه شُبَهٌ سائرة نتناقلها جميعا بلا حرج ونتبينها في أقوال القدماء من صانعي تراثنا وفي كتاب الوحي نفسه إذ أعلن عن مقته الكبير لأولئك الذين يقولون ما لا يفعلون، وحديثا في أقوال رجال الغرب وقادته ممن أصابتهم آفة التعميم المغالطي فجعلوا العرب أمة غير جديرة بالثقة والتصديق لما يصدر عن أهلها من أقوال ووعود. والحقيقة أن مفارقة النظر للعمل والعقل للفعل لا تجد لها موطنا عند عامة الناس وحدهم وإنما عند خاصتهم أيضا بل وعند صفوة خاصتهم. وقد أبانت وقائع السنوات الأخيرة مثلا عن

أن ثلة «مرموقة» من كبار العقلانيين ونقاد العقل قد تخلت تماما ومرة واحدة عن جميع أسلحتها العقلانية حيث كانت تفرض عليها هذه الوقائع وضع عقلانيتها موضع التنفيذ فلم يكن منها إلا أن وضعتها بين قوسين وذهبت في الطريق المضاد تماما لأحكام العقل ولم يتماسك من أفرادها إلا نفر قليل. وكذلك تكشف بعض الفضائح التي تتفجر هنا وهناك في الأقطار العربية عن أن بعض الذين يتصدرون قضايا الفكر القومي والدفاع عن حقوق الإنسان ضالعون تماما في عملية خرق هذه الحقوق والتنكر لتلك القضايا في ممارساتهم اليومية المتعلقة بنصيب الإنسان العربي نفسه منها. أما «المثقفون الأحرار» الذين يسوغون أكثر أشكال الحكم المضاد للحرية ولكرامة الإنسان وحقوقه الطبيعية فإن عددهم كان في ازدياد مطرد خلال العقود والسنوات الأخيرة.

الديمقراطية والقناع

لا ضرورة لسوق الأمثلة تلو الأمثلة والحالات تلو الحالات. فالظاهرة بينة وانكارها ليس إلا ضربا من العزة الآثمة. وخير لنا أن نقر بها وندمرها من أن نتنكر لها فتدمرنا. ما الذي يثوي خلف هذه المفارقة في القول الصادر عن العقل الناطق وفي الفعل الآتي من الجوارح حيث تفرض العقلانية توافق كل منهما مع الآخر؟ - والكلام هنا لا يتعلق بالانتهازيين والوصوليين والهامشيين اجتماعيا، بطبيعة الحال - ما الذي يفضي بمشاريعنا إلى الإخفاق مع أننا نصوغها وفقا لأحكام العقل ونخطط لها وفقا لأرقى ما أدركه فن التنظيم والإدارة وتسيير المشروعات؟ ما الذي يجعلنا نضع «القناع» ونمارس «الدور» ونعظ بالفضيلة والصلاح وتناضل ألسنتنا من أجل الحرية والعقلانية والديمقراطية والكرامة والعدالة.. ثم نلقي بذلك كله عند «أول قادم» يلوح لنا بخيرات من نوع آخر؟ لماذا نعرف الحق ثم نفارقه؟ ومثل هذه الأسئلة كثير. الجواب السائر الذي يحظى بأكبر قدر من الأصوات هو أن ذلك كله ليس إلا من النفاق الصريح أو الكذب الصراح، أو «ضعف الشخصية» أو «خور الإرادة والعزيمة»، أو الهوى أو الشر والرذيلة. وهي صفات معيارية تسمح لمستخدميها ومطلقيها بأن يصنف بعضهم بعضا أخلاقيا واجتماعيا، لكنها لا «تعلل» المفارقة أو التضاد أو التناقض الوجودي الصريح بين قطاع النظر أو القول العقلي وبين قطاع الفعل أو الممارسة العملية.

والحقيقة هي أن المشكلة كامنة في قوة العقلانية نفسها وفي مدى تأثيرها الفعلي في حراك الإنسان نفسه وفعاليته الزمنية المشخصة. فلو كان النظر العقلي يفضي ضرورة إلى الفعل - مع توافر الوسائل والأدوات والجوارح - لانحسم المشكل ولارتفعت المفارقة. لكن للواقع أحكاما أخرى، وهو يكذب تكذيبا قاطعا أن يكون العقل هو السيد المطاع في حلبة الفعل. ومعنى ذلك أن إصلاح العقل وحده بتجريد «النقد» له هو أمر غير كاف على الإطلاق في توجيه مناشطنا وأفعالنا وإنجاحها. والحقيقة أنه على الرغم من عظمة العقل ومجده في القطاع



التقني أو الذرائعي إلا أن يده في قطاع الفعل الإنساني تظل قصيرة. والواقع يصرخ بأن كل الآيات التي يرتلها بحمده العقلانيون الموضوعيون والذرائعيون المتصلبون لا تكاد تغني من الأمر شيئا. فثمة «نقد آخر» ينبغي أن نتوجه إليه بعد اليوم، وأن نمارسه في جملة مناشط حياتنا الفردية والمجتمعية والإنسانية القابلة. إنه «نقد الفعل».

رصاص الرحمة

لم يعد في الأمر مكان للمماحكة، فقد أبانت لنا علوم الإنسان والبيولوجيا صراحة عن أن اعتقادنا القديم في

الإنسـان وفي عقله ــ وهو الاعتقـاد المنحدر أصـلا من إرث اليونـان وفلسفاتهم ــ ينبغي أن يخضع لتعـديلات جذرية. وصـدق الواقع ذلك تصديقا تـاما. ليس العقل هـو سيد الأحكـام، ونشـاطنـا الحيوي لا تحركـه دومـا مقـدمـات البرهـان والـدليل العقلية المحكـومـة بـآمـر التطـابق بين الأفكـار المجردة وبين الـواقع الموضـوعي الفج. والـوجـود الموضوعـي الذي ينشـد العلم غـزوه وفهمه والعيش فيـه ليس هو كل الوجود الـذي يتحرك فيـه الإنسـان. ونحن لا نحيـا بـالعلم ومن العلم فقط. وليس العقل هـو الـذي ينزل بـالطمأنينـة والراحـة إلى نفوسنـا. وليس هو الذي يجعلنا نتعلق بـالحياة أو نطلب الخير أو نتفـانى من أجل الآخـرين أو نمـوت في سبيل الـوطن أو في سبيل من نحب أو مـا نحب أو في سبيل الله. ومن حق أفـلاطون وأرسطو ـ وهما فيلسـوفان لا يـرى فيهما الكثيرون إلا آثـارا مـن الماضي البعيـد ــ أن يوضعا في جملـة علماء الإنسان المحدثين الذين قـالوا لنا بكل وضـوح إن الإنسـان معـرفـة وإدراك، وهـوى ووجدان، وشهوة وغرائز. ونبّه أفـلاطون، أكثر مما فعل أي مفكر قـديم آخر، إلى أن الحوذي ــ العقـل ــ الذي يوجه عربة الجموح والقـوة والشهوة قد لا يكـون أكثر من مجرد قائد مثالي مكتوب عليه أن يصطدم على الدوام بأحكام الـواقع الشاردة أو المباينة أو المضـادة. أما علوم الإنسان الحديثة فلا تخفي عنـا أن كينونتنا البشرية تتقوّم بمكـونات انثـروبـولـوجية ليست القوة الإدراكيـة إلا واحدة منهـا، وأن الحاجة إلى المعـرفة العقليـة ليست إلا حاجة مـن بين حاجات، فثمة إلى جانـب القوة العقلية، مكـون الثقـافـة الموروثـة، ومكـون الإرادة، والمكـون السيكـولـوجي بأطيـافـه «الشعـوريـة» والعـاطفيـة والوجدانيـة والدافعية الغنية، والمكـون «اللاعقلاني» أو «اللاشعـوري» بما ينطـوي عليـه من رغبـات ودوافع ومنـاشط سـويـة أو غير سويـة، والمكـون البيـولـوجي بمورثاته الصـارمة أو الشاردة التي يمكن أن تذهب كل مـذهب في ضبط أو دفع نشـاطنـا الحيـوي وأخـلاقنـا وطبـاعنا وأفعـالنا وجملـة مصيرنـا. والعالمون بحقـائق الأمور في حقول علوم الإنسان والمجتمع ـ خارج دوائر الفلسفة التقليدية ـ يدركون هذه الأمور جميعا، وغيرها، إدراكا جيدا. ولهم الحق تماما ــ في ضوء معطيات العلوم وتصـديقات الخبرة ــ أن يردوا العقـلانيـة الموضوعيـة وعلـم النفس العقلي إلى أضيـق الحدود. وليـس معنـى ذلك، في أي حال من الأحوال، أن نقع في فضيحة إنكار العقل وأحكـامـه أو أن نطلق عليه «رصـاص الـرحمة»، ولكن معنـاه أن نعي جيـدا أننـا، في فعلنـا اليـومي وفي مناشطنا الحيـوية، نتحرك على الوجـه الأغلب في حدود لا تقع بـالضرورة في مملكة العقل وحـاجاته، وأن قوى المكونات غير العقلانيـة ـ أعنى تلك التي هي من طبيعة غير عقليـة ـ غـالبا مـا تكون هي الأقـوى والأحسم في أفعالنا الحيـوية. وتجربة كل يوم ترينـا إلى أي مدى يبدو حراكنا الفردي والاجتماعي محكوما بالرغبة أو المنفعة أو الحاجة أو الميل أو الهوى، وإلى أي مـدى تبدو العقـلانية المحبوبة مخدوعـة من حبيبها وعاشقهـا، وإذا كان لنا أن نبحث عن تعليل لمفارقة أفعالنا لأقوالنا فليس أمامنا إلا أن نتأمل هذه الـواقعة البسيطـة وهي أننا نتـوهم أننا إذ نقـرر قـولا أو حكما عقليـا سنجـد الفعل العضـوي أو المشخص تـابعـا له على الفـور. وواقع الأمـر أن الـذي يحدث هـو أن مكونـا انثـروبـولوجيـا آخـر: الإرادة أو الـرغبـة أو الشهـوة أو الإرث الاجتماعـي أو الإغـراء السياسي أو عـامل بيولوجـي ما أو شيء ما غـائب تماما عن ساحة الوعي.. يتدخل ويفعل ملغيا إلغاء تاما حكم العقل، فتقع المفارقـة ونفعل خلافا لما قلناه أو لما عقـدنا العـزم عليــه نطقـا وعقـلا. وهــذا الـذي يحدث ليس بالضرورة أمرا رديئـا أو باطلا وإن كان كثير منـه يدخل في هذا الباب. إنـه يعبر أحيانا عن رغبات فرديـة طاغية هي سلطات مناهضة للعقـل وصريحه، مدمرة، والواقع القـريب منا يشهـد بـذلك.. لكنـه يعبر أيضا في أحيـان أخـرى عن رغبــات وحـاجـات مشروعــة تمامـا، هي استجـابة لأحـوال «إنسـانيـة» طبيعية سـويـة تتمثل في أشكـال من الأنشطة الإنسـانيـة الحيويـة التي تستجيب لحاجات في النفس وفي الـوجدان أصيلة، أو لقطـاعات غير قطـاع الإدراك العقلي أو الحسي المجـرد الفج.. وإذا كان ذلك يعني شيئا، فهو يعني أن علينا ألا نتوجه، لرفع الخلل وتبـديـد المفـارقـة، إلى إصـلاح العقل فحسب ـ بالتحرر من الخرافة أو بهجر المنطق الشكلاني القياسي أو بعقلنـة الديـن أو بتحريـر العقل منـه ــ وأن نتوجـه إلى «الفعل» ونحـرره تحريــرا صريحا من الشروط والقيـود والأحكام غير السـوية التي تدفعـه في دروب غير مجدية أو ضالة أو ضارة.

هـذا من وجـه. ومن وجـه آخـر، يقضي واقع الحال هـذا أن نمهـد السبيل إلى تحقيق الحاجـات السـويـة في الإنسان مما تقتضيـه كينونته الأنثروبـولوجية. ذلك أن العقـلانية لا تجسـد إلا مطلبا واحـدا من مطالب هـذه

الكينونة، وهو الحاجة الطبيعية إلى المعرفة الموضوعية المستندة إلى أحكام العقل الموضوعي حينا وإلى متطلبات وضغوط العقل الذرائعي حينا آخر. أما المطالب الأخرى التي يتجاهلها العقلانيون المتصلبون فتتمثل في جملة من القيم والحاجات التي يفضي تحقيقها إلى بناء عالم ذي وجه إنساني نسيجه التعاطف والتواصل والتعاون والرحمة والمحبة والكرامة والحرية والعدالة.. مما لا يستطيع العقل أن يقيم أسسه ويرفع بنيانه أو أن يكون الدافع الفعلي إليه.

فإذا كانت هذه الوجوه «الإنسانية» غائبة من حياتنا العربية اليوم، وإذا كان العطب قد طال النفوس والأرواح وإذا كانت أحكام القلب هي التي تبحث اليوم عمن يؤدي إليها حقوقها، فمن أين للعقل وأحكامه أن يؤديا أي دور في هذه الرسالة «الإنسانية»



من باب نقد العقل وتحليله؟ من الواضح تماما أن «نقد الفعل» هو الباب الذي يتعين علينا الولوج منه لإعادة تشكيل حياتنا وتوجيه مصيرنا.

ما هو الحصاد العربي الذي جنيناه إلى هذه النهايات من هذا القرن؟ وما الذي نعد أنفسنا به لما هو قادم من الأيام؟

ما بعد الحداثة

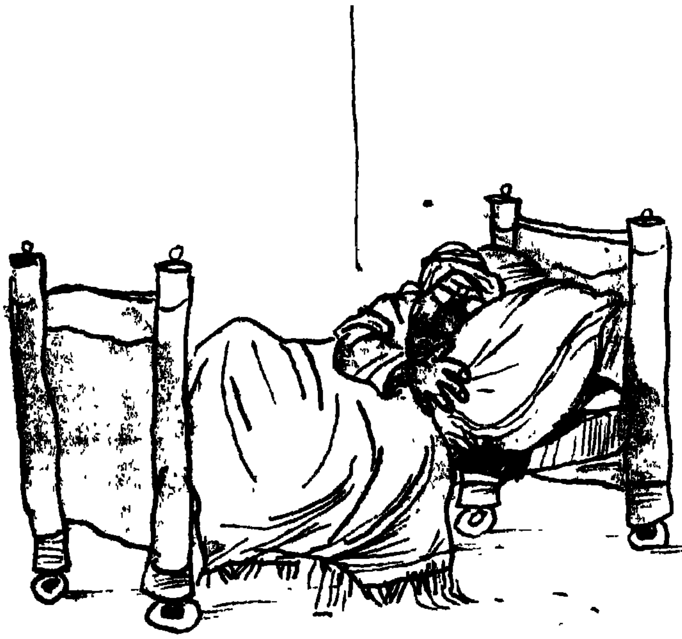
ليس من شيمتي أن أتوسل بطريقة «الكلبيين» من قدماء اليونان، لتذكير كل من ساءت أعماله وناله الإخفاق والبوار بمفصل ما صنعت يداه أو ما تصنع، يستوي في ذلك القوميون والإسلاميون والاشتراكيون والليبراليون والعلمانيون والتوفيقيون أو الانتقائيون أو التغريبيون. لكن اعتبارات الخير العام، أو المصلحة، تفرض علي أن أذكر الجميع بأن ما آمنوا به على مستوى الدعاوى والاعتقاد والقول قد كان دوما أو في أغلب الأحيان محل تجاهل أو تنكر أو احتقار إبان الممارسة والتطبيق، وأن الوقائع الدرامية التي شهدها مسرح الحياة العربي منذ سني الاستقلال وحتى النهايات الحالية لهذا القرن، تبدو مما يقطع الطريق على أي رجاء في أن تتجه الأمور في المستقبل المنظور اتجاها مباينا بشكل صريح، ما دام جميع الذين خبرنا نواياهم وعقائدهم وتبينا أحوالهم المشخصة على مسرح الحياة الواقعية قد خيبوا ظنوننا وآمالنا ولم يورثونا في الغالب الأعم إلا الألم والمرارة والفجيعة. واليوم تبدو صورة الأشياء أدعى إلى القنوط وأكثر إيلاما. فإن ما حرينا على تسميته بـ (النظام العربي) قد تداعى كلية بضربة واحدة من ضربات (الهو) «الشاردة» المدمرة التي حملت معها زعزعة جميع القيم والرجاءات التي كانت حضارتنا وثقافتنا «العالمة» قد غرستها في عقولنا وفي نفوسنا. وقد فاقم الأمور أن هذه الضربة التي نالت منا كل النيل قد جاءت ضيفا ثقيلا على واقع حائر بائر أصلا. ومع ذلك فليس ثمة شك في أن ذلك كله قد لا يكون بالضرورة من طبائع الأمور الأبدية التي لا راد لها. فقد علمتنا علوم الإنسان والمجتمع والبيولوجيا ـ واليوم تعلمنا الهندسة الوراثية نفسها ـ أن أشياء كثيرة جديدة يمكن أن تتدخل وتغير من واقع الأمور والأشياء والبشر فتأذن بتحريرنا من علل كنا نظن أن ليس لها شاف. ومنطق الوقائع الجديدة لهذه العلوم المستحدثة أن ما يسمى ـ بتعميم كبير ـ بالإنسان العربي ليس ماهية ثابتة تستعصي على التغيير والتعديل والتحسين. بيد أن الأمر لن يتم في مدى قصير، والجهود المنظمة التي يتعين بذلها لن تكون يسيرة أو محدودة، وهي تتطلب في كل الأحوال وجود دول ومؤسسات تنشد حقا الخير العام وتتوسل لذلك بالكفايات النزيهة العالية التي لم يطلها العطب والفساد. وأوربا نفسها التي أدركت ما أدركت من أفكار وقيم ونظم ومؤسسات وتقنيات لم تحصل

ذلك إلا بعد خروجها من القرن الثالث عشر واجتيازها سلسلة من الأنفاق المظلمة والعمليات القيصرية التي تمت عبر أكثر من سبعة قرون. ومع أن أوربا الحالية التي تجتاز نفق (ما بعد الحداثة) ليست هي بإطلاق محط الأمل والرجاء فإن الثابت أن جل القيم الكبرى التي ناضلت من أجلها ليست قيما غريبة عنا إذ هي حاضرة بشكل أو بآخر في وجوه كثيرة من موروثنا الثقافي والديني. والثقافات الكبرى ثقافات تتواصل وتتراسل وخصوصيتها ظهير لإنسانيتها. كان ذلك هو حال ثقافة اليونان، ثم حال ثقافة العرب والإسلام، وهو اليوم حال ثقافة الغرب. بيد أن علينا أن نقرّ بأن «التجربة التاريخية» العربية والإسلامية لم تكن عند مستوى القيم والمثل التي كانت وراء نجومها وتجسدها. فهي قد أغضت في واقع تحققها، في فترات ومراحل عديدة ـ ولأسباب لا يتسع المقام هنا للنظر فيها ـ عن إجراء هذه القيم وإنفاذها على نحو يدعو إلى الأسى. وهي لم تتنكر لها مثلما تنكرت لها في هذا القرن الذي يتهيأ للانسحاب. والمشهد ماثل أمام أعين جميع النظارة. ومع أن وعيا الجديد بهذه القيم قد انبعث تحت وطأة الضغط الغربي على عالمنا، وتولد من جديد بأثر قوي من المثال الغربي الحديث إلا أن ذلك ليس سببا وجيها لتسويغ النفور من هذه القيم والتنكب عن تمثلها وربط جهودنا في الإصلاح بها، تجريبيا وعمليا، ما دامت فاعلة ذات جدوى وأن جذورها ضاربة في مرجعيتنا الحضارية الذاتية. وعلينا أن نشدد على «التمثيل التجريبي» لهذه القيم وعلى هجر «الجاذبية الشعرية» لها، وأن نجعل معيار الممارسة العملية لها هو الوجه الوحيد لشرعية وجودها في حياتنا. فليس ينبغي أن يكون للمثقف أو المفكر «العقلاني» الذي يشدو ليل نهار بالعقلانية وبنقد العقل ثم يمارس عند أول «لحظة حرجة» موقفا مضادا للعقلانية، أي مكان «في المدينة» و«المفكر الحر» ـــ أو الليبرالي ـــ الذي ينشد أغاني الحرية والديمقراطية بالعشية والإبكار ثم يسوغ القمع والتسلط والجبروت ونفي (الآخر) لا ينبغي أن يقابل منا بغير الاحتقار. والداعية إلى الوحدة العربية وفقا لمبادىء التحرر والكرامة والتضامن والطواعية والرضى العام ليس له أن يحول ذلك كله إلى نهج يتوسل لإنفاذ هذه الوحدة بتجريد الجيوش وبسلطان العنف والكراهية. لقد حملت إلينا العقود الأخيرة من هذا القرن حالة من «كثافة



الفعل» المعطوبة التي تلقي بظلال الشك على جملة التشخصات العملية لوجودنا الزمني. ولقد بلغت العقلانية والعقلانية الذرائعية المدججة بأسلحة التقنية درجة عالية جدا في تيسير سبل النجاح لقيم الفعل المعطوبة وأصحابها. ومازال هناك من يتوهم أن الخلل كامن في العقل، وكل شيء يشير بأصابع الاتهام إلى الفعل، ويقول إن الرسالة الآتية للمفكر العربي ينبغي أن تتوجه إلى تحليل هذا الفعل ونقده. والمقصود بذلك الذهاب إلى الأسس والجذور والأصول العميقة التي تحكم اتجاه أفعالنا الخلقية والاجتماعية والسياسية، وتعرية هذه الأفعال ـ وبخاصة المعطوبة منها، وهي تستعصي على العد والحصر ـ من الغلائل المزيفة التي تلبسها، من أجل الوصول إلى البنية الأصلية النقية للفعل وإعادة بناء السلوك وتقويم الشخصية بالتأسيس على هذه البنى المحررة.

تلك هي الرسالة الكبرى التي تنتظر مفكري العقود الآتية. وذلك هو الوعد الذي استيقظ عليه وعينا بعد كل ما أفضت إليه تجارب القرن التاريخية، ليس الهدف من تقديم «الفعل» وتسديده هو إذلال العقل النظري وتحقيره ـ فالعقل السديد سيظل ظهيرا للفعل وأداتنا الأولى في المعرفة والعلم ـــ لكن الهدف هو أن نقي أنفسنا خطر الانتحار الأخلاقي والوجودي الذي يمكن أن يجر إليه تفردنا الكهنوتي بالعقل، واحتقارنا لبأس القوى الأنثروبولوجية الأخرى في الإنسان العربي ولحقوق هذه القوى التي لا ينبغي أن يطالها أي حيف أو شك. □



إعادة الهيكلة واقتصاديات دول الخليج

بقلم: عامر ذياب التميمي

في الوقت الذي تقلل فيه الدول المستهلكة للنفط من معدلات الاستهلاك. ما زالت الدول المنتجة تعاني من أمراض الثروة و الإنفاق الشديد.. هذه هي أطراف الأزمة.. مشتر يرشد نفسه، وبائع لا يستطيع المحافظة على سعره، فكيف تخرج الدول المنتجة للنفط من هذه الأزمة وتنجو بأسعارها؟.

لا شك أن الأزمة الراهنة في سوق النفط ليست وليدة اليوم، فهي نتاج لتراكمات مهمة في كل من الدول المستهلكة للنفط والمنتجة له منذ بداية الصدمة النفطية الأولى عام ١٩٧٣.. فقد تطورت الأوضاع الاقتصادية ووسائل التعامل مع استخدام الطاقة في الدول المستهلكة لدرجة أمكن التحكم بمعدلات النمو في الطلب على النفط لدرجة كبيرة، وبحيث لا يتجاوز معدل النمو واحدا في المائة أو أقل من ذلك. هذا وطورت الدول المستهلكة إمكاناتها لتخزين النفط الخام لمواجهة الأزمات المحتملة والمفاجئة لدرجة أن كميات المخزون من النفط تصل أحيانا إلى بليون برميل في الدول الصناعية الرئيسية وهي الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية واليابان. ولا تزال هذه الدول تتعامل بحذر وجدية مع مسائل الطاقة وتجتهد من أجل عدم الوقوع في أزمة إمدادات جديدة، أو التورط في أزمات سياسية أو أمنية نتيجة لاعتمادها على النفط المستورد، ولذلك تعمل المؤسسات العلمية في تطوير أساليب الاستخدام لتقليص الاحتياجات إلى النفط.

من جانب آخر فإن الدول المنتجة للنفط أفرطت منذ الصدمة النفطية الأولى، في الإنفاق العام والإنفاق الاستهلاكي لدرجة أنها لم تستفد من فوائض النفط في

بناء قواعد اقتصادية ذات أنشطة متنوعة قادرة على توليد الدخل، ولا بد من القول أن دول الخليج النفطية عانت من أمراض الثروة ولم تستطع تنويع قاعدتها الاقتصادية نتيجة لأسباب موضوعية تتعلق ببنياتها الاجتماعية والسكانية والاقتصادية، ولأسباب التوسع في الإنفاق والاستهلاك. الآن، تأتي هذه الأزمة في سوق النفط لتفرض مستجدات لم تتوقعها جميع الدول الخليجية بصورة جادة.. فلم يكن ببال أي مسئول خليجي أن تضطر الدول الغنية بالنفط إلى أن تقتصد في الإنفاق، وتقلص في ذلك الإنفاق أو أن تفكر بفرض



رسوم وضرائب على المواطنين.. كما أن المواطنين الذين تعودوا على اقتصاديات الرفاه لم يتوقعوا أن تأتي نهاية هذا الرفاه خلال فترة حياتهم.. هناك مواطنون في عدد من دول الخليج ما زالوا يتذكرون شظف العيش في العهد السابق للنفط، وكيف كانوا يكدحون من أجل لقمة العيش في البحر سواء في مراكب التجارة أو مراكب الغوص.

بيد أن المطلوب في ظل المستجدات الاقتصادية أن تتكيف دول الخليج في العديد من المجالات. فلن يكون الأمر مقتصرا على النواحي الاقتصادية، بل إن من الواجب إجراء تغييرات في السياسات المتعلقة بالهجرة والسكان وسياسات التوظيف، ونمط الخدمات الاجتماعية الأساسية وتكاليفها، وطبيعة الأنظمة التعليمية، وربما اتباع سياسات للحد من النمو السكاني..

وهكذا فإن عناصر التكيف عديدة وشاملة شتى مناحي الحياة.. بطبيعة الحال لن يكون التغيير المنشود يسير التحقيق ولن يكون سريع الإنجاز، فهناك الكثير من العقبات الهيكلية والسياسية التي ستعوق التكيف.. هناك مصالح اقتصادية مهمة مرتبطة بالأنماط والسياسات القائمة في الوقت الراهن، والتي مضى على الالتزام بها في بعض الدول الخليجية أكثر من أربعة عقود من الزمن، ولن يكون هينا نقضها وما ينجم عنه من إضرار بمصالح فئات واسعة من السكان.

فإن أخذنا مسألة الهجرة والسكان حيث تتزايد أعداد الوافدين ويتجاوزون في نسبتهم المواطنين الأصليين، فإن إجراء تعديلات على السياسات القائمة سوف يتضرر منه التجار وأصحاب العقارات، وأصحاب المنشآت الخدمية وغيرهم. هؤلاء الوافدون أصبحوا يمثلون كتلة شرائية مهمة فهم يخلقون طلبا كبيرا على السلع والخدمات، ويشغلون معظم الشقق في العمارات السكنية وبذلك يسهمون في تحقيق فائض القيمة لدى العديد من القطاعات الاقتصادية في بلدان الخليج.. وعندما تتقلص أعداد هؤلاء الوافدين يصبح من المحتم التأثير على أداء مختلف القطاعات غير النفطية، ومن ثم تتضرر المؤسسات والمنشآت الاقتصادية وأصحابها. ولا يعقل أن يتقبل هؤلاء المواطنون أن تتضرر مصالحهم دون القيام بأنشطة سياسية للحيلولة دون أن تنال إجراءات التكيف من جل مصالحهم.

تأثيرات سلبية على السوق

في الكويت على سبيل المثال جاءت نتائج الاحتلال لتضر بالعديد من المصالح الاقتصادية.. فبعد التحرير وانخفاض أعداد الوافدين زادت أعداد الشقق الشاغرة لتصل الي مايربو على خمسين ألف شقة، وتناقصت أعداد المستهلكين وبذلك تقلصت القوة الشرائية.. وتناقص أعداد المستهلكين لم يكن فقط نتاج تقلص أعداد الوافدين، بل أيضا نتيجة

للتغير في تركيبتهم حيث ازدادت اعداد الاسيويين على حساب العرب، وازدادت أعداد الذكور العزاب على حساب العائلات.. ومثل هذه التغيرات أثرت سلبيا على حجم الاستهلاك، وأنماط الطلب على السلع والخدمات.. وقد استثمر القطاع الخاص الكويتي أموالا كبيرة من أجل الاستفادة من وجود الوافدين، وجنوا ثمار الوجود العربي الكبير المستقر والمتسم بالأعداد الكبيرة للعائلات.. ولذلك كانت الشقق السكنية مصممة لصالح العائلات، وهناك الكثير من السلع المستوردة التي تتناسب مع طبيعة الإنفاق العائلي.. وعندما يزداد العزاب على حساب وجود العائلات فإن أنماط الاستهلاك تتبدل ويتقلص الطلب كثيرا على السلع المعمرة مثل السيارات والثلاجات والغسالات وغيرها.



وفي إطار القضية السكانية فإن التكيف الهيكلي يتطلب إحلال العمالة الوطنية في مواقع عمل العمالة الوافدة.. فقد تكرست مواقع العمالة الوافدة في اقتصاديات دول الخليج منذ بداية عصر النفط، ولن يكون من السهل على العديد من المنشآت الاقتصادية الاستغناء عن العمالة الوافدة، وإحلال عناصر وطنية في أماكنها دون إلحاق أضرار بالأداء، على الأقل في المدى القصير، يضاف إلى ذلك أن العمالة الوطنية لن تتمكن من استيعاب الأعمال المنوطة بالوافدين في الوقت الراهن في ظل إمكاناتها التعليمية والتدريب الذي تلقته.. لقد تخصصت المعاهد والجامعات في تخريج موظفي الإدارات العليا وأصحاب الياقات البيضاء والذين لا يعملون إلا في المكاتب وفي الأعمال الرئاسية.. من الطبيعي أن هناك العديد من الخريجين في مجالات الطب والهندسة والإدارة والاقتصاد والمحاسبة والقانون وعلوم الاجتماع الأخرى، وهناك عناصر وطنية بارزة في العديد من المجالات المذكورة في أكثر من دولة خليجية. بيد أن المطلوب هو توفير العناصر المؤهلة لتشغيل مختلف المؤسسات مثل الحرفيين وأصحاب المهن التقنية مثل الحدادين والنجارين والعاملين في قطاعات الكهرباء والمواصلات والخدمات الصناعية، وأعمال الانشاءات والتشييد والبناء بمختلف التخصصات.. إذن فإن المطلوب هو المزيد من أصحاب الياقات الزرقاء ضمن العمالة الوطنية.

طبيعة الهرم السكاني

لكن المعضلة المهمة التي تعاني منها التركيبات السكانية في دول الخليج، والتي يرفض العديد من المسئولين الاعتراف بها، هي طبيعة الهرم السكاني للمواطنين في هذه البلدان.. من الصحيح القول إن هذه البلدان تعاني من ندرة سكانها الوطنيين، لكن تركيباتها السكانية تتحيز باتجاه صغار السن، وتدل الإحصاءات المتوافرة أن السكان الذين تقل أعمارهم عن ١٤ سنة يمثلون أكثر من أربعين في المائة من السكان.. وإذا ارتفعنا في السن قليلا فإن ما يقارب خمسة وخمسين في المائة هم أقل من العشرين عاما، وهكذا حتى نصل إلى الثلاثين. ونجد أن ما يقارب من سبعين في المائة هم أقل من الثلاثين.. كما أن معدل النمو يعتبر من أعلى المعدلات في الدول النامية حيث يصل إلى ٣,٥ في المائة سنويا.

ماذا تعني هذه الحقائق الديمغرافية؟ إنها تعني أن هناك نسبة إعالة عالية بين السكان مما يزيد من الأكلاف الاقتصادية والاجتماعية والمتمثلة بالتعليم والعلاج والخدمات الاجتماعية الأساسية، وزيادة

الاستهلاك، وتتطلب هذه الأعداد من الأجيال الصغيرة توفير العمالة لتوفير الخدمات الأساسية المذكورة لها من مدرسين وعاملين في العلاج الصحي وفي بقية الأنشطة الخدمية وتوابعها.. وعلى الرغم من أن سن العمل تبدأ في الخامسة عشرة إلا أنه ليس هناك في دول الخليج من يزاول العمل في مثل هذه السن المبكرة من المواطنين إلا ما ندر.. كذلك فإن السن الدراسية تمتد في أحيان كثيرة إلى ما بعد الخامسة والعشرين، خصوصا للملتحقين بالجامعات ومعاهد التعليم العالي أو الذين يسخرطون في الدورات الخاصة في المؤسسات العسكرية والأمنية.

يواكب هذه الحقائق السكانية حقائق اقتصادية يلزم تجاوزها من أجل تمكين الدول الخليجية من إعادة تركيب هياكلها الاقتصادية بما يتناسب مع المستجدات.. فكما هو معلوم أن الاقتصادات الخليجية اعتمدت منذ بداية عصر النفط على الإنفاق العام كما أوردت آنفا، وأصبح القطاع الخاص يعتمد إلى حد كبير على ذلك الإنفاق، وما هو مطروح في الوقت الحاضر هو إعادة بناء الاقتصادات الخليجية من خلال المزيد من مساهمة القطاع الخاص.. هل ذلك ممكن؟ هذا السؤال المحوري ينطلق من معضلة التراث الناتج من دولة الرفاه، ومن هيمنة رأسمالية الدولة على الاقتصاد في هذه الدول. وهنا يجب الحذر وعدم التعميم على تجارب القطاع الخاص في مختلف الدول الخليجية، ففي بعض الدول أرسى القطاع الخاص قواعد مهمة لأعماله وأصبح يمثل دورا حيويا في النشاط الاقتصادي.. بيد أن من الجائز القول إن القطاع الخاص استفاد من الإنفاق العام في مختلف دول الخليج سواء من خلال الاستملاكات أو ترسية المشاريع أو المشتريات أو إنفاق جيوش الموظفين في الحكومة على استهلاكهم.

دور للقطاع الخاص

كيف يمكن للقطاع الخاص أن يساهم في إعادة انعاش اقتصادات هذه الدول دون إرهاق الموازنات الحكومية؟ ليس الأمر باليسير، والمطلوب أن يتكيف القطاع الخاص مع المستجدات، ويساعد الحكومات على توفير فرص العمل للعاملين في المؤسسات الحكومية، وللقادمين الجدد لسوق العمل.. وكما هو معلوم فإن القطاع الخاص يساهم بشكل كبير في الاختلال السكاني بين المواطنين والوافدين ذلك أن قوة العمل الوافدة تمثل نسبة عالية من إجمالي قوة العمل في مؤسسات القطاع الخاص في جميع الدول الخليجية، فهل نتوقع أن يعمل القطاع الخاص على تطبيق برنامج للإحلال بحيث يستوعب المزيد من العمالة الوطنية؟ كذلك فإن الأمر ليس هينا، حتى لو توافرت النيات ووضعت البرامج، حيث إن متطلبات العمل في مؤسسات القطاع الخاص تستلزم مهارات وخبرات معينة قد لا تتوافر بشكل كاف لدى قوة العمل الوطنية.. يضاف إلى ذلك أن مستويات الرواتب والأجور والتعويضات للعديد من المهن لا تتوافق مع مستلزمات معيشة المواطنين في دول الخليج.. هناك أيضا العديد من الأعمال والمهن التي يستنكف المواطنون من أدائها.

إذن فإن الأمر يتطلب تغييرا في مستوى الرواتب والأجور، وتأهيلا مناسبا للعمالة الوطنية، وتبدلا في المواقف المجتمعية من العديد من الأعمال.. وقد يكون من الضروري إعادة النظر في برنامج التعليم والتدريب لتتناسب مخرجات التعليم مع احتياجات العمل الفعلية.. وهذه المسألة، تفرض على السلطات الحكومية العاملة في مجال التربية، إحداث نقلة نوعية



في طبيعة المناهج وتغييرات كبيرة في المدرسين والعاملين في سلك التعليم. لقد أثبتت الوقائع أن اقتصادات دول الخليج نمت بطرق غير مخطط لها، وإن تفاوتت الظروف بين بلد وآخر، ولذلك فإن الثروة النفطية غيرت معالم الحياة الاقتصادية بطريقة جذرية، وبعد أن كان المواطنون في الخليج يعتمدون على قدراتهم الذاتية في إدارة عجلة الاقتصاد، اضطروا بعد اكتشاف النفط للاستعانة بملايين البشر من مختلف الدول العربية والآسيوية وغيرها للعمل في مختلف القطاعات الاقتصادية.. ونتيجة للاستعجال في إنجاز المشاريع الأساسية فقد جلب هؤلاء العاملون من الخارج دون محاولة حقيقية للاستفادة من عناصر العمالة الوطنية لإنجاز تلك المهام، أو على الأقل جزء منها.. ولذلك همش دور العمالة الوطنية، وانيطت بعناصرها أعمال إدارية قيادية ومكتبية، ولم تستمر في الأعمال الحيوية. وبات الاعتماد على العمالة الوافدة هيكليا، وأصبحت تلك العمالة وأفراد أسرها جزءا مهما من فئة المستهلكين التي تعتمد عليها اقتصادات المؤسسات العاملة في قطاعات التجارة والعقار، والخدمات وغيرها. ويبدو الآن أن إعادة الهيكلة الاقتصادية تعتمد على محورين مهمين أولهما محور القطاع الخاص وإمكاناته للحلول في مواقع رأسمالية الدولة في العديد من القطاعات الاقتصادية وتحمل أعباء مرحلة التكيف الاقتصادي ومن ثم جني ثمار نتائجها.. والمحور الثاني هو إمكان الاستفادة من عناصر القوى العاملة الوطنية والمتكدسة في الدوائر الحكومية، والمؤسسات العامة، وإعادة تأهيلها لكي تتمكن من العمل في مختلف الأنشطة الاقتصادية.

لا شك أن إمكانات القطاع الخاص في دول الخليج كبيرة ومهمة ويملك العديد من الأفراد والمؤسسات أموالا طائلة موظفة في الخارج.. وهذه الأموال ذهبت إلى الخارج بحثا عن فرص استثمارية مناسبة تحقق العائد المجزي، وكما هو معلوم أن الأموال التي جناها القطاع الخاص بعد ارتفاع أسعار النفط في عام ١٩٧٣، وما بعد ذلك من خلال قنوات الإنفاق العام على المشاريع والاستملاكات في بعض دول الخليج، هذه الأموال لم تجد فرصا استثمارية كافية في بلدانها.. لكن إذا تقرر بشكل جاد إنجاز عمليات إعادة الهيكلة وتحويل مؤسسات عديدة من القطاع العام إلى القطاع الخاص فإن هناك فرصا كبيرة أمام القطاع الخاص لتوظيف جزء من الأموال الموظفة في الخارج داخل الاقتصادات الوطنية.

العمالة الوطنية

أما المحور الثاني المتعلق بالعمالة الوطنية فإن مجهودات كبيرة لا بد أن تبذل ومن مختلف الأطراف.. فمن جانب الدولة عليها أن تعيد النظر بالبرامج والمناهج التعليمية، وفي كل المراحل، لكي يمكن أن تكون مخرجات التعليم متطابقة مع متطلبات العمل في مختلف القطاعات الاقتصادية.. كذلك لا بد أن تبذل حوافز من الدول لتشجيع الخريجين الجدد للعمل في القطاع الخاص، وأهم من ذلك في المهن والأعمال التي تتوافر لدى القطاع الخاص وتشغل في الوقت الحاضر من قبل عناصر العمالة الوافدة.

كذلك على القطاع الخاص أن ينفتح بطريقة حقيقية على العمالة الوطنية ولا يتردد في توظيف أفرادها في مختلف أعماله، فقد كانت الحجة في تردد القطاع الخاص أن الوطنيين لا يعملون بمجهود يذكر، وأنهم يطالبون بأجور تتجاوز كثيرا جهدهم المبذول في العمل.. قد يتطلب الأمر دفع مثل هذه الأجور وتشجيع العمالة الوطنية للانخراط في مختلف الأعمال وتحفيز أفرادها للبذل والابتكار ومن ثم توقع النتائج.. وليس المطلوب توظيف أي من كان ولكن أولئك الذين يمكن توسم العلم فيهم والقدرة على اكتساب الخبرة والمعرفة الفنية في مجال العمل. ولا بد أن نذكر بأن العمالة الوطنية مطلوب منها أن تتفاعل مع المستجدات الاقتصادية وتركن جانبا الترهل الذي اكتسبته خلال سنوات العقود الماضية نتيجة لسياسات الرفاه والتوظيف الذي لايؤدي إلى عمل حقيقي. فقد تعودت عناصر العمالة الوطنية أن تحجز وظائف في العديد من المؤسسات والدوائر الحكومية دون أن تطالب ببذل مجهود عملي حقيقي.. لقد تغيرت الأوضاع كثيرا وأصبح لزاما على كل من يريد أن يستمر في عمله أن يساهم مساهمة فعلية في الأداء والابتكار وتحقيق نتائج اقتصادية ملموسة. وقد لا تتضح نتائج إعادة الهيكلة خلال سنوات قليلة، وربما يتطلب الأمر مرور عقد أو أكثر من الزمن لتبيان تلك النتائج.. أهم من ذلك أن تتخذ الخطوات المبدئية اللازمة لمعالجة الأوضاع الاقتصادية، والبدء في أعمال إعادة الهيكلة. □

على العالم



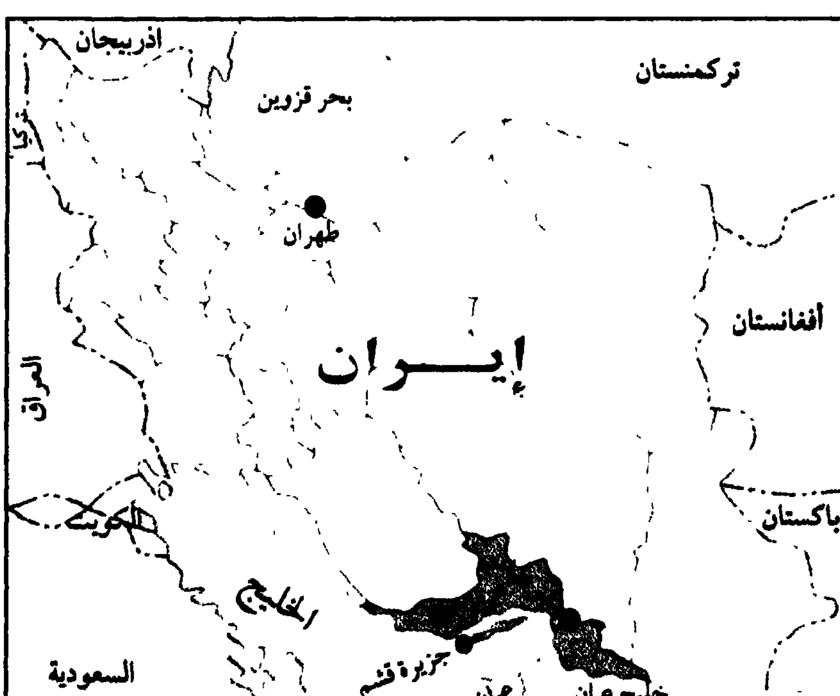
في الطريق إلى بندر عباس كنا مضطرين إلى الخروج عن القاعدة التي تقول إن أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم، وبدلاً عن الإبحار من شاطىء الكويت إلى شاطىء إيران الجنوبي الشرقي (حيث تقع بندر عباس)، وحيث يكون الخط مستقيما والمسافة أقصر. فإننا طرنا شمالاً إلى طهران، ومن الشمال عاودنا الطيران جنوباً وشرقاً باتجاه نقطة الهدف. وهكذا تحول الخط المستقيم إلى خطين يفوق طولهما ضعف المسافة الأقصر، ويصنعان زاوية لمثلث يظل ضلعه الثالث ضائعا في مياه الخليج، وفي قلب المثلث تتوالى الأسئلة المتوجسة وترتسم علامات الاستفهام.

طهران .. ولم لا ؟

قبل أن تهبط الطائرة في مطار طهران حومت حول المدينة التي يظاهرها جبل «البورز» المكلل بالثلوج، وكنت أفكر في احتمال مناسبة الثياب التي نرتديها للمناخ في هذا الوقت الشتوي، لكن الدليل السياحي الأوربي الذي توفر لي كان يتحدث عن الثياب اللازمة للمسافر إلى إيران من وجهة نظر أخرى تماما غير دفعها للبرد أو جلبها للدفء، ففي باب «الملابس» كان الدليل يقول: «منذ لحظة دخولك إلى إيران عليك بمراعاة التقاليد الصارمة لارتداء الثياب فيها، فإن خروجك على هذه التقاليد عند أي نقطة في رحلتك ربما يعرضك لمساءلة قاسية. فالنساء عليهن ارتداء حجاب يغطي الشعر ويؤطر الوجه، والثوب ينبغي أن يكون ضافيا ولا يظهر شكل الجسد ولونه أزرق داكن أو أسود وتحته بنطال طويل. أما الرجال فإن عليهم ارتداء بناطيل طويلة دائما وقمصان ضافية طويلة الأكمام. ورغم أن الملابس الرياضية شائعة بين الشباب إلا أن الشعر الطويل لن يكون مرحبا به أبدا».

انتهيت من قراءة ذلك التحذير فانفجرت في الضحك، من ناحية لأنه مليء بالوجل، ومن ناحية أخرى لأن الشتاء لم يكن الفصل المناسب لاختبار حقيقة ذلك التحذير ولأنني وزميلي المصور لم نكن من هواة إطالة الشعر على أي حال.

هبطت الطائرة وبينما كنا ننتظر حقائبنا التي تأخر وصولها بعض الشيء حانت مني التفاتة إلى جاري الذي كان أوربيا، ولما قرأ نظرات التساؤل في عيني ضحك قائلا «ولم لا؟»، فابتدأ حديثنا الذي أوقفني فيه على رأيه الذي كونه بعد زيارات متعددة إلى إيران، قال: «هناك ثوابت إيرانية رغم التغيرات

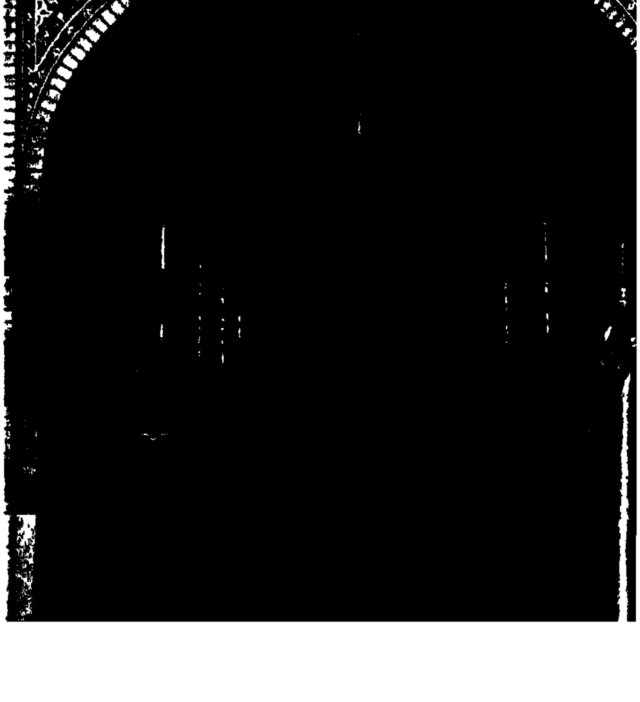


□ خريطة جمهورية إيران الإسلامية.
* عدد السكان ٦٠ مليون نسمة
* المساحة. ١,٦٤٨,٠٠٠ كيلو متر مربع
* عدد المحافظات: ٢٥ محافظة.
* العاصمة: طهران ـ حوالي ١٠ ملايين نسمة.
* بندر عباس. عاصمة محافظة هرمز خان التي يسكنها حوالي مليون نسمة بينهم سكان بندر عباس البالغ عددهم ٤٠٠ الف نسمة.
* جزيرة قشم: عدد سكانها حوالي ٧٠ ألف نسمة معظمهم من السنة ويتحدثون العربية.
* العملة: التومان الإيراني = ١/ ٢٥٠ من الدولار الأمريكي.

السياسية والاجتماعية البارزة بعد قيام الجمهورية الإسلامية. فالخلاف مع بعض الحكومات الغربية لا يحرم الضيف الأوربي في طهران من مودّة الناس وحسن ضيافتهم التقليدية في إيران. كما أن المسلمين لديهم قدرة كبيرة على احترام المعتقدات الدينية لغيرهم، بل حتى السياسية أيضا».

لقد ملأني هذا الحديث العابر بنفحة من التفاؤل، ليس لأنه كان مفاجأة لي، ولكن لأنه تلامس مع سؤال ظل ملازما لخواطري عندما قررت المجلة القيام بالاستطلاع، والسؤال يمكن صياغته في نفس العبارة التي ابتدأ بها الحديث جاري الأوربي العابر في مطار طهران «ولم لا؟». نعم، ولم لا يكون بحثنا عن الثوابت الإنسانية رغم أي اختلاف، ولم لا نؤكد على المشترك أكثر من التفاتنا إلى الفاصل والفارق؟!.

ولم لا، فالعرب تقول: «ليس من رأى كمن سمع»، وقد كنا ذاهبين للسماع وللرؤية معا. وعندما لم نجد في استقبالنا أحدا من المسئولين الإيرانيين اعتبرنا هذا فألاً حسنا كما في عرف الصحافة، حيث ينبغي أن تكون المراقبة خفيفة لتتسع مساحة الحرية في الرؤية وفي السماع. ذكرت ذلك ونحن في سيارة القائم بالأعمال الكويتي في إيران السيد «ناصر المطيري» بينما كنا نخترق شوارع



طهران باتجاه الفندق، فرد السيد المطيري قائلا: «ما تسمعونه عن الوضع داخل إيران يختلف تماما عن الواقع وسوف تشاهدون وتلمسون ذلك بأنفسكم، فالحياة تختلف عما تتناقله وكالات الأنباء... الناس يعيشون في هدوء وكل شيء متوافر».

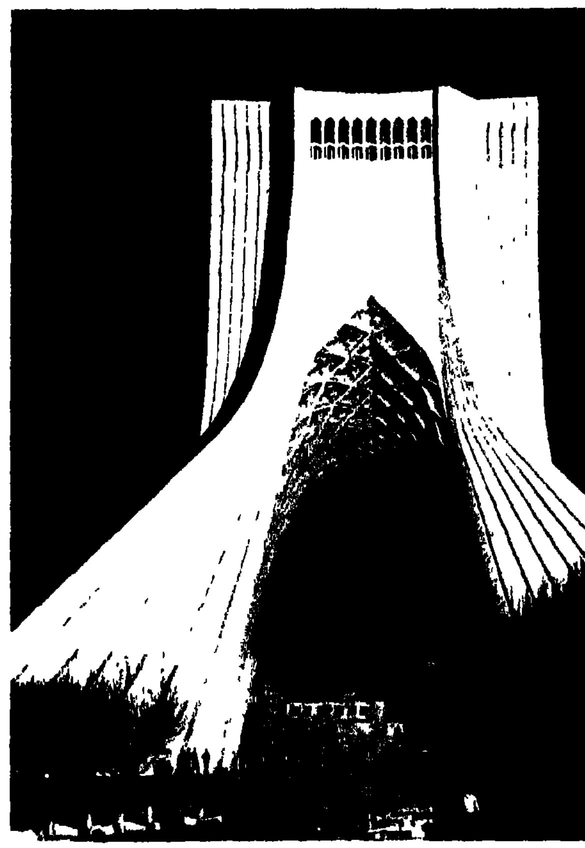
كانت مظاهر الزينة بادية في الشوارع رغم زحف المساء عليها، فقد تصادف أننا حللنا بطهران بينما إيران تعيش احتفالات «عشرة الفجر» إحياء لمرور خمسة عشر عاما على انتصار ثورة الإمام الخميني، وهذه الأيام العشرة تمتد من اليوم الثاني حتى اليوم الحادي عشر من فبراير. ولقد عايشنا في مطلعها ـ صباحا ـ حادث إطلاق النار على الرئيس رفسنجاني في مستهل مراسم عشرة الفجر التي حضرها مئات الآلاف في مرقد الإمام الخميني، وقد بدت أصوات الأعيرة النارية التي انطلقت من الجانب الغربي للميدان خافتة ضائعة بينما رئيس الجمهورية يلقي خطابه عبر مكبرات صوت عديدة تحمل صوته على خلفية من أصوات الحشود الغفيرة مما طمس إلى حد بعيد صوت تلك الطلقات، ولولا الحركة السريعة الهادئة لحراس رفسنجاني الذين أزاحوا بشكل يكاد لا يكون ملحوظا رئيس الجمهورية عن مكانه خطوة أو خطوتين وبرهة خاطفة من الزمن أو برهتين... لولا ذلك الحراك لبدا أن صوت الرصاص كان مجرد إطلاقات احتفالية عابرة. ورغم ذلك فقد واصل رفسنجاني إلقاء خطابه بطمأنينة عجيبة فيما علمنا أن مطلق الرصاص قبضت عليه الجماهير إذ إن حشود الناس بمجرد أن أخرج الرجل المسلح مسدسه من تحت ثيابه أمسكت بيده ووجهت فوهة السلاح الذي كان من نوع مسدس قصير المدى نحو الأعلى ومن ثم انطلقت الرصاصات الأربع لتصيب سقف الحرم ثم اقتيد الرجل إلى خارج المكان حيث قبضت عليه قوى الأمن. ولم يستغرق الأمر كثيرا، إذ سرعان ما رددت الحشود بعض الهتافات واستمر رفسنجاني في إلقاء خطابه.

لم يترك حادث إطلاق النار أثراً ملموساً على إيقاع الحياة في طهران التي انطلقنا في رحابها وبين أركانها، لكن صوت الطلقات كان له صدى يرن في أفق فكرة راحت تتكون لدينا عن إيران التي بدأنا نراها ونسمع منها ونحن داخلها، ومحور هذه الفكرة أن إيران من الداخل

□ الزخارف ذات الطابع الإسلامي والسمة الهندسية والقيشاني الإيراني لمحات من الفن العريق.







ليست «دوجما» معتقدية واحدة صماء، فهي بلد كبير يحمل إرثاً تاريخياً عريقاً وعميقاً ومن ثم فإن التنوع والاختلاف أمور واردة في التركيبة الإيرانية.

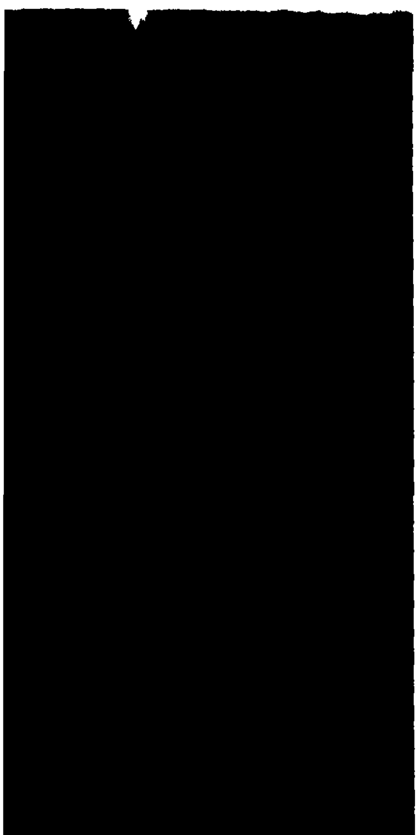
الثابت والمتغير

كان البرد يمسك بأنفاس طهران في ذلك الوقت من أيام شهر فبراير التي صادفت فترة زيارتنا، ولأن الشيء بالشيء يذكر، فإن هذا البرد لفت انتباهنا إلى معنى الاسم الذي تحمله العاصمة «طهران» (أو بالفارسية: تهران)، وهو يتكون من كلمتين «ته» بمعنى ساخن و«ران» بمعنى مكان، وعلى هذا فإن اسم طهران يعني: «المكان الساخن» إشارة إلى موقعها الجغرافي ذي المناخ الحار. لكننا لم نلمس وقت زيارتنا غير برد المناخ في طهران. ورغم هذا البرد فقد كان لافتاً لأنظارنا الزحام الذي تتميز به

● بندر عباس إطلالة إيران على الخليج

□ صـــــور مـن طهران: جـزء مـن المدينـة يظــاهــره جبل البـــورز، وصرح آزادي، ولقطة كبيرة في الســوق المغطى (البـازار)، وإيـراني يحتسي كـوبــا من الشــاي المحلي الشهير.





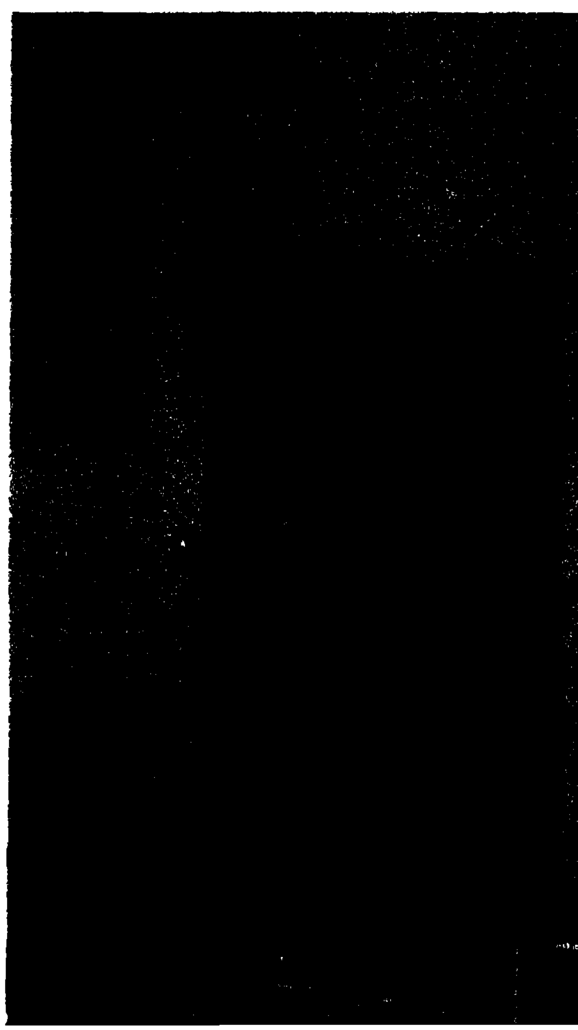
المدينة، والذي فسره مرافقنـا بأنه راجع إلى أن المدينة قفز عـدد سكانها مـن ثلاثـة ملايين إلى قـرابة عشرة ملايين خـلال عقدين فقط من الـزمان. وفي الـزحام استطعنا أن نميز ملامح غـالبة على المدينة. فأبنيتها لا تـرتفع كثيرا، لهذا تبدو غير سـاحقـة لروح المتجـول فيها رغم ترامي أطرافها تصعد شوارعها وتهبط بينها الشجر الـذي عراه الشتـاء من الخضرة يصطف داكنا على الأرصفـة وبين البيـوت التي تبين على امتـداد البصر بسيطة فـاتحة الألوان وكـأنها منمنمات مزدحمة في سجادة إيرانيـة مفروشة تحت أقدام سلسلة جبال البـورز التي تكـون الحائط الشمالي للمـدينـة وتهيمن على البصر بقممها المشرئبـة وسط السحب وكيـاناتها المكسوة بـالثلوج. ولقد تسنى لنا الإطـلال من قرب على جبل «دمـاونـد» الـواقع في شمال شرق طهـران والبـــالغ ارتفـــاعـــه ٥٦٧٨ مترا ويعتبر من أجمل المرتفعات الجبليـة التي رأيناهـا ضمن سلسلـة جبال

«البورز». أما السيارات في شوارع طهران فإن أرتالها تمضي في غير سرعة وتزدحم بها الشوارع الجانبية. والمشاة من الرجال لا يختلفون كثيرا عن أمثالهم في مدننا العربية المعاصرة غير أن ربطات العنق تعتبر ملمحاً ملغياً تماماً من الصورة. أما النساء فإنهن في الشوادير الداكنة الضافية يمضين دون أن تظهر منهن غير الوجوه والأيادي. تبدو هذه الصورة غير مألوفة بعض الشيء في البداية، لكن بعد فترة تعتادها العين وتتحول إلى ملامح مألوفة فينصرف الانتباه عنها باتجاه ملامح أخرى في العمارة والأسواق والمتاحف والمزارات، ونجد أنفسنا مرة أخرى أمام حديث الثابت والمتغير... وكان لابد أن يتطرق الحديث إلى منحى سياسي، فهذا أهم المتغيرات منذ العام ١٩٧٩ عام تغيير النظام الإيراني الشاهنشاهي إلى نظام جمهورية إيران الإسلامية.

في مقابلة بوزارة الخارجية الإيرانية كان اللقاء ودياً مع السيد نوبري مدير الإعلام بوزارة الخارجية. وقال ضمن ما قاله إنه كان ضمن الوفد الإيراني في جولة وزير الخارجية بدول الخليج، حيث عاد الوفد بانطباع جيّد وإدراك أن القيادات في منطقة الخليج تتمتع بروح المودّة والمسئولية تجاه نمو وتطور العلاقات الخليجية الإيرانية. وتحدث عن العيش بمحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان في المنطقة كمدخل للاستقرار. كما أكد أن بعض تخوفات الشارع العربي من إيران ناتجة عن أجهزة الدعاية، وأكد أن أمن المنطقة مرهون بإرادة أهل المنطقة، وأن إيران مستعدة لتوقيع اتفاقات أمنية مع دول المنطقة كافة. أما عن مسألة التسلح فقد بررها السيد نوبري بسببين أولهما الرغبة في وصول الجيش الإيراني إلى مستواه السابق (زمن الشاه) وثانيهما أن التسليح تحكمه أهداف دفاعية.

ولم لا؟ هذا ما خرجنا به من مبنى وزارة الخاجية

□ مدخل بندر عباس واللغة العربية حاضرة في اللافتة.





□ محافظ هرمزخان سيد زادة.



□ مدير الإعلام بوزارة الخارجية سيد نوبري.

□ بندر عباس. إطلالة إيران على الخليج



إلى شوارع طهران، آملين أن تكون روح المودّة حقيقة هي رسول السلام، الذي يدعو إلى استقرار إنساني وحضاري، حول هذا الخليج الذي اكتوى كثيراً بنيران الحروب.

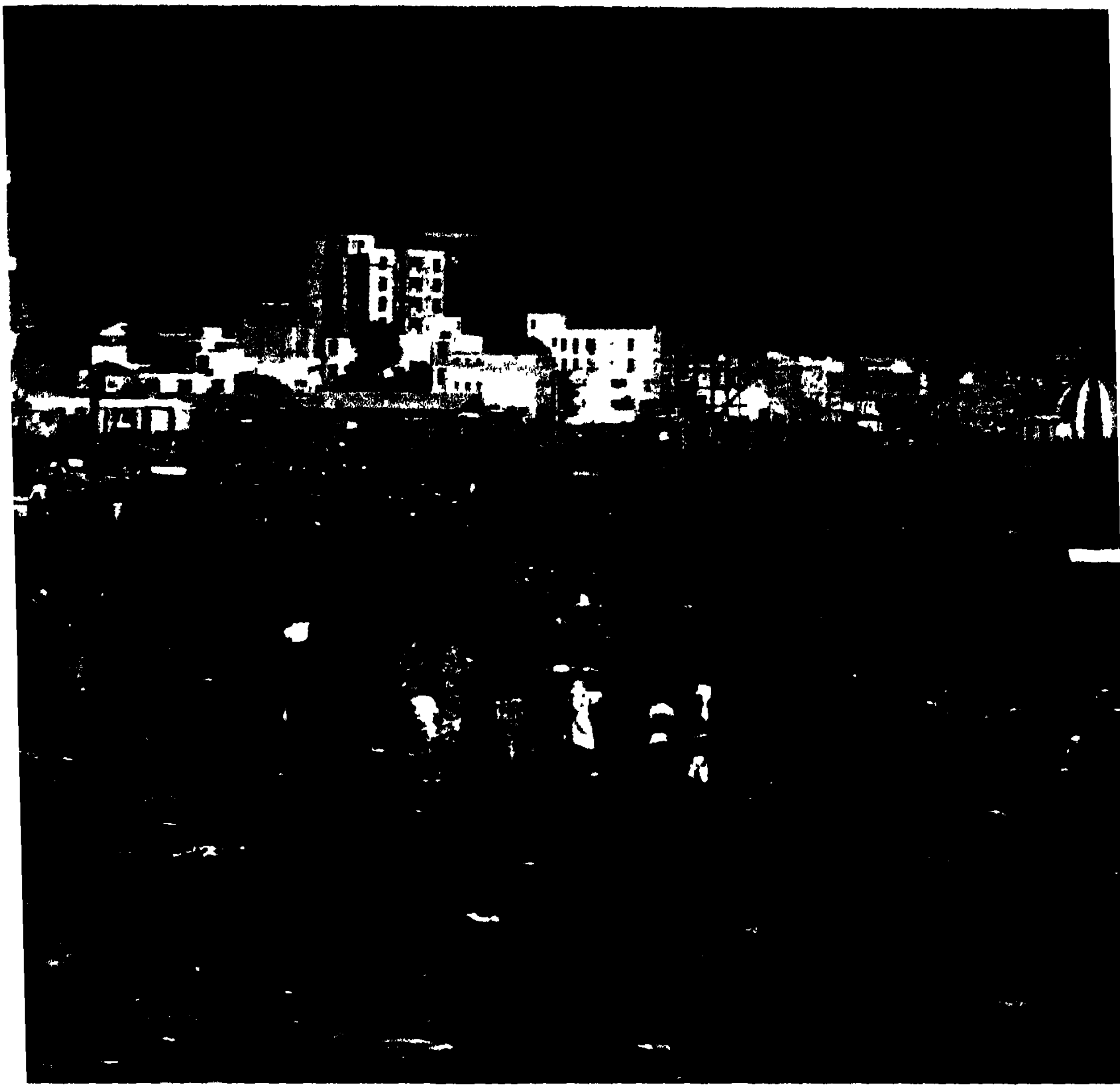
وحتى نطمئن إلى حقيقة الصورة كان لابد لنا أن نبحث عن الملامح الغائبة، عن الشائع الذي نعرفه، ووجدنا ذلك في الكاتدرائية الأرمنية التي توجد في شمال طهران على إحدى قمم «فيلاڤ». فالذي يقرأ ويسمع عن إيران من الخارج يظن أن «الدوجما» أحادية الجانب (أو المعتقدية الجامدة) قد أحالت إيران إلى مكان لا يستطيع الآخرون أن يمارسوا طقوس دياناتهم على أرضه. لكننا وجدنا هذه الكاتدرائية التي تم بناؤها عام ١٩٧٥ تواصل حياتها الروحية المعتادة في حي السفارات الهادىء. ولم تكن مبالغة من الزائر الغربي الذي أشار إلى قدرة الإيرانيين المسلمين على احترام مشاعر أبناء الديانات الأخرى. ورغم أن غالبية المسيحيين في إيران من الأرمن إلاّ أن هناك أيضا اليونان الأرثوذكس والبروتستانت والكاثوليك ولديهم جميعا كنائسهم التي لم تغلق أبوابها في عاصمة الجمهورية الإسلامية.

لقد كان وقوفنا عند قمة «فيلاڤ» في حي السفارات شمالي طهران، في عمق معناه، رغبة في الإجابة عن سؤال مهم حول قدرة التركيبة الإيرانية الحالية على الاعتراف بحق الآخرين في الاختلاف، واحترام عقائدهم، لكن هدفنا الأكثر دقة كان هناك في بندر عباس التي تقطنها أغلبية ـ أو شبه أغلبية ـ سنية، ترى كيف تتعامل معها الجمهورية الإسلامية ذات الطبيعة الشيعية في إيران؟.

ونزلنا عن قمة «فيلاڤ» معاودين السعي في طهران قبل أن نغادرها إلى بندر عباس، وفكرنا في أننا مادمنا قد اختبرنا شيئا من جدل الثوابت والمتغيرات، وأدركنا أن المتغير لم يبتلع الثابت فيما

□ كي لا تخوض النساء في الماء يركبن هذه العربة حتى يصلن إلى درج المراكب التي تنقلهم إلى جزيرة قشم





□ شاطىء بندر عباس يعاني من التلوث والمخلفات.

يخص المعتقد الديني لدى غير المسلمين، وبانتظار الإجابة عن الوضع فيما يخص المسلمين السنة، فإننا سمحنا لأنفسنا بالتجول على بعض من ثوابت طهران الفنية والثقافية والحضارية والحياتية... البازار، ومتحف السجاد، وقصر سعد آباد، ومتحف التاريخ، وقصر الشتاء الشاهنشاهي، ومسجد سيبا سلار، وصرح الأزادي.. باختصار: طهران ذات التقاليد العريقة، والولع بالحرير، والنقوش الهندسية، ومطروقات الفضة الصافية، وأطباق الشواء الشهية التي لابد منها لمواصلة السعي والتجوال... السعي في رحاب الجمال الإيراني المعتق الذي يمثل الثابت في الثقافة والفن الإيرانيين، والتجوال بين أرجاء المتغير الذي تمثله شوارع إيران الراهنة بناسها وبيوتها وحركتها التي بدت لنا آمنة كثيراً على عكس ما يشاع خارجها.

وبعد أن أنهكنا السعي والتجوال، آن لنا أن نستريح حتى الصباح، فقد كنا على موعد مع طائرة من طائرات الخطوط الداخلية الإيرانية لتحملنا إلى بندر عباس، وهي تقلع مبكرا... في وقت الشروق.

طيران مزدوج... إلى بندر عباس

رحلة الطيران من طهران إلى بندر عباس تستغرق ساعة ونصف الساعة ولأن إيران في معظمها ممتدة فوق منطقة زلازل فإن التضاريس الجبلية التي تظهر من نافذة الطائرة تشي بذلك، وكلما اتجهنا شرقاً



□ البطورة (القناع) على الوجه، والشادور (العباءة الإيرانية) حول الجسد. تحفُّظ لا يمنع المرأة من الخروج.

وجنوباً تتبدى الصحراء التي يسمى جزؤها الشمالي صحراء الملح بينما جزؤها الجنوبي يسمى صحراء الرمال الكبرى. ومن ثم فالأماكن المعمورة في الجنوب هي في حقيقة الأمر واحات على هامش صحراء تطل على البحر، والبحر هو الخليج. إذن كنا نمضي من حافة الجبال الشمالية الوسطى إلى ساحل الخليج في الجنوب الشرقي. وبين نقطة الإقلاع ونقطة الهبوط وجدت نفسي مشدودا إلى تاريخ هذه المنطقة التي نسعى إليها والتي تعتبر بوابة الخليج من وإلى المحيط الهندي. فمن أين يبدأ ذلك التاريخ الذي كنا نطير إليه؟.

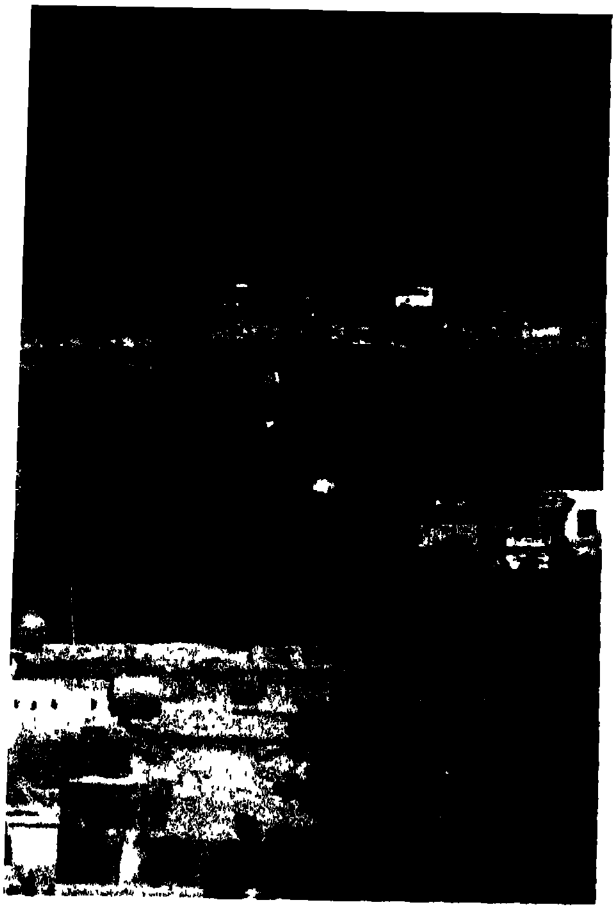
كالعادة، هناك تاريخان... تاريخ لم يدونه أحد وهو يحكي قصة نشوء الحياة وإعمار المكان على أيدي البشر الذين استوطنوه. وتاريخ يبدأ عندما يجيء الغرباء الطامعون في المكان وأهله، وهو تاريخ يدونه الغرباء، لكنه ــ مع الأسف ـ كثيراً ما يكون المرجع الوحيد للباحث عن تاريخ بقاع كثيرة من العالم خاصة في الجنوب والشرق. لهذا لابد لقارئه أن يكون ناقداً وقارئاً في وقت واحد. ولقد كان تاريخ بندر عباس كجزء من تاريخ الخليج الذي دونه «ج. ج. لوريمر» في مؤلفه الضخم «دليل الخليج» واحداً من التواريخ التي يكتبها الغربيون عن الجنوب والشرق.

يرى «لوريمر»، أول ما يرى، أن أول الخطى في تاريخ الخليج تؤخذ من بدء ظهور البرتغاليين فيه سنة ١٥٠٧ حتى تأسيس الشركة الإنجليزية للهند

الشرقية سنة ١٦٠٠.. فيقول إن الدول الأوربية عرفت الخليج للمرة الأولى خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للخلاص من احتكار العرب (في منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط) الوساطة في التجارة بين آسيا وأوربا. فقد كانت التجارة بين الشرق والغرب تسلك طريقين رئيسيين هما: طريق البحر الأحمر ومصر، وطريق الخليج والشام، وكلاهما كانا تحت سيطرة العرب، وكانت المشكلات والخلافات السياسية أحيانا تغلق أحدهما أو كليهما، وحين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فإن مدد البضاعة الشرقية كان ينقطع عن أوربا إلا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلوك طريق وعر غير مأمون عبر آسيا الوسطى.

وكانت الدول الأوربية التي لها أعظم نصيب من تجارة الشرق في مطلع القرن الخامس عشر هي جنوا والبندقية، لكن جنوا فقدت مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك سنة ١٤٥٣، ولم يمض إلا قليل وقت قبل أن تؤدي الشحناء بين مماليك مصر والبندقية إلى تجريد الأخيرة مما كان بقي لها من مزايا، وكان واضحا أن اكتشاف طريق غير مطروق يصل إلى الهند أمر سيعود بثروة ومكانة عظيمتين على الدول التي تستطيع الإفادة منه، وكان البلد الذي كرس نفسه تكريسا مخلصا في البحث عن مثل ذلك الطريق هو البرتغال.

اندفع البرتغاليون بنجاح ناحيتي الشرق والغرب، خاصة في عهد دون جوا الثاني ١٤٨١ ـ ١٤٩٥ الذي كان متشوقا لنشر المسيحية وطامعاً في ارتياد طريق تجاري جديد في الهند واكتشاف الأرض التي يجلبون منها القرفة والفلفل وشتى التوابل. فاكتشف بارثليميو دياز طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ وخرج «جوا بترس دي كوافيلوا وألفونسو دي بيف» للبحث عن بلاد التوابل... فانطلق من عدن إلى كلكتا وجوا وهرمز على الخليج واتجه غربا حتى بلغ القاهرة والتقى مع «لاميجو» الذي كان قد أعد تقريرا عن جزيرة هرمز. ومن ثم احتلت البرتغال عدن وهرمز وملقا لتمسك بعصب التجارة بين الشرق والغرب، كما كان للبرتغال أيضا سلطان على الهند في ذلك الوقت. ولم تكف ثورات الأهالي، ففي عام ١٥٢٢ أدى تعيين موظفين جركيين في

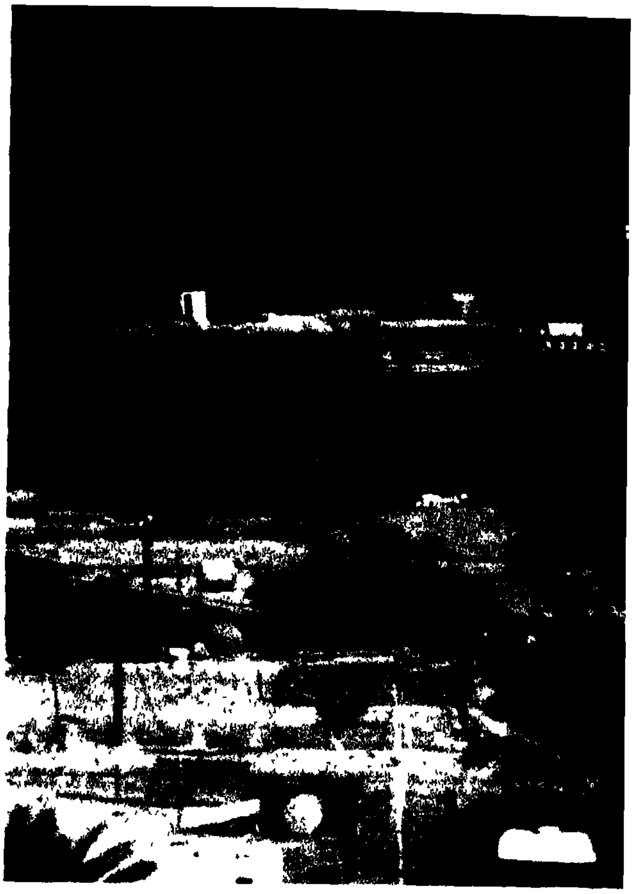


□ جزيرة قشم.. والنخيل هو النخيل كما على الشاطىء العربي للخليج

هرمز إلى سخط الأهالي مما دفع شيخ هرمز إلى شن هجوم بري وبحري على البرتغاليين لخلع نيرهم وعاد بعد الظفر إلى قشم لكنه قتل وأرسلت البرتغال أسطولها في الهند فقمع الثوار وفرض الحماية على هرمز وأخضعها للإشراف الدقيق. وفي ذلك التاريخ صار للبرتغاليين الذين كانت أعلامهم تسود البحار قلاع على البر حيثما حلوا وسيطروا ومازالت إلى اليوم آثار قلاعهم في هرمز وقشم.

وتوالت لعبة الكراسي الموسيقية الجهنمية بين إمبراطوريات أوربا ليحترق بها العالم. سيطرت إسبانيا على البرتغال وبرز الهولنديون في سنة ١٦٠٠ فأسسوا الشركة الهولندية للهند الشرقية لكن في آخر يوم من أيام سنة ١٦٠٠ تأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية. وبين الصعود والهبوط واللمعان والأفول طرد الإيرانيون البرتغاليين من بندر عباس سنة ١٦١٥ وكانت بندر عباس درعاً ضد محاصرة هرمز من البر.

ثم راحت بندر عباس تتطور من مجرد درع بري لجزيرة هرمز الصغيرة في فوهة الخليج إلى قلعة تجارية مشتهاة على طريق التوابل والبهار. ويعود اسم بندر



عباس إلى الشاه عباس الأول الذي أنشأها لمنافسة هرمز، أما الأوربيون في القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد كانوا يعرفونها باسم جمبرون أو كومارون، وقد أطلق عليها البرتغاليون هذه التسمية على سبيل السخرية فهي تعني في لغتهم: «برغوث البحر» أو «الجمبري». لكن هناك من يربط هذه التسمية بالكلمة الفارسية «جيوك» التي تعني ضرائب جمركية، وفي هذا إشارة إلى وظيفة هذا المكان في وعي الناس.

وسواء كانت جمبرون أو جيوك، فإن بندر عباس تعد مثالا ساطعا على الشرق الذي اكتوى ـ دون ذنب ـ بنيران المطامع لدول أوربا الاستعمارية الآفلة. وهي مطامع تقاطعت خطوطها، واختلطت أوراقها حتى أن المتابع لصراع هذه المطامع يعجز عن التمييز بين السياسي والاقتصادي والديني في نسيجها.

لقد تتابع تناطح الأساطيل والشركات الأوربية بشكل يبدو مثيرا للمتتبع، ففي ديسمبر ١٩٢٠ كسر الأسطول الإنجليزي أسطول البرتغال عند هرمز ثم هيمنت إنجلترا على هرمز عام ١٦٢٢، ثم شهد المضيق ملامح لحرب الإنجليز والهولنديين عام ١٦٥٣، وكان من انعكاسات ذلك تأجج الصراع السياسي والتجاري الذي صب نيران المدافع الهولندية عام ١٦٤٥ عندما هاجم الهولنديون جزيرة قشم.

بدا أن إنجلترا البروتستانتية تضرب البرتغال الكاثوليكية ثم تستدير إلى هولندا التي تماثلها، لكن الحقيقة أن الصراع كان صراع تجار واستعماريين على مفصل مهم في طريق التوابل والبهار، فلم تلبث ساحة الصراع أن دخلتها فرنسا التي تحالفت مع الإنجليز ضد الهولنديين حتى عام ١٦٦٧، ثم تحالفت مع الهولنديين ضد الإنجليز عام ١٦٧٨ ثم تحول الصراع بينها وبين الإنجليز إلى حرب سافرة بلا حلفاء من ١٧٠٢ إلى ١٧١٣.

وبين كل هذه التقاطعات كانت بندر عباس وما حولها تشهد تسللات للروس وللألمان أيضا.

إنها صراعات السعار الاوربي على مفرق أسواق الشرق التي شهدها الخليج وعاينها مضيق هرمز وبواباته في بندر عباس وقشم وبندر لنجة وغيرها من جزر فوهة الخليج المفضية إلى المحيط الهندي.

تاريخ طويل، مرير لمن يتتبعه، ولقد آن لنا ونحن في الطائرة المقتربة من ساحل الخليج أن نكف عن هذا التتبع، وننتقل من الماضي إلى الحاضر، فقد كنا في المجال الجوي لبندر عباس.

كل الطرق تؤدي إلى بندر عباس

منذ اللحظات الأولى لهبوطنا في بندر عباس، ومع الدورة الأولى في شوارعها وعلى ساحلها الطويل، كان واضحاً أن هذه المدينة هي مقصد طرق عديدة، ومصب لالتقاء البشر على اختلاف جذورهم. فنظرة ممعنة إلى الملابس تكشف عن تعدد الجذور للبشر المقيمين في بندر عباس أو العابرين بها. فمن عمان نلمح العمائم التي تكونها البشاكير الملونة، ومن البنجاب نلمح السراويل الملونة المطرزة المحكمة حول الأرساغ، والعباءات الإيرانية ترتديها البنات وإن كانت في بندر عباس ملونة وبها زهور. والنقاب على وجوه الشابات والسيدات على السواء وإن كان يأخذ شكل قناع يرتكز على الأنف بقصبة تسمى (البتورة). خليط من الأزياء الهابطة من الشمال (الإيراني) والآتية من الجنوب (العربي) ومن الشرق

دراسته الدينية في الأزهر بمصر. وتوجد الآن في بندر عباس مدرسة دينية لأهل السنة تعلم أصول الحديث والنحو والصرف ويديرها الشيخ محمد الضيائي. كما توجد في بندر عباس سبعة مساجد بنيت على نفقة أهل الخير والناس يتولون الإنفاق عليها بأنفسهم، وأهم هذه المساجد المسجد الجامع الذي تقام به صلاة الجمعة وصلاة العيد.

لقد جعلتنا هذه اللمحة من عدم التفرقة بين أهل السنة والشيعة في بندر عباس نتقدم خطى واسعة في سعينا للبحث عن حقيقة الصورة الإيرانية الحالية من الداخل، ونطمئن إلى تصورنا الأولي عن أن إيران الحالية ليست «دوجما» معتقدية جامدة، فثمة مساحة لحرية العقيدة واحترام الاختلاف.

ومضينا في ظلال الطمأنينة، رغم أن الشمس في بندر عباس كانت حارة في هذا الوقت الذي كانت تتساقط فيه الثلوج على مرتفعات طهران. ولقد جعلتنا الطمأنينة نتذوق أكثر طيب المزيج الإنساني والحضاري في بندر عباس، حيث تتمازج ألوان الثياب، وتطل واحة الصحراء على مياه الخليج، ويتجاور القديم المتمثل في أساليب التجارة البحرية الفردية وتلك التي تقوم بها الشركات الكبرى في عالمنا المعاصر، وعلى صفحة المياه تتناثر الزوارق الصغيرة ـ المتجهة إلى الجزر القريبة من بندر عباس أو العائدة منها ـ إلى جوار السفن العصرية العملاقة القادمة من المحيط الهندي أو الذاهبة إليه. ومن مرسى بسيط ضمن عديد المراسي على الشاطىء الطويل لبندر عباس حيث يبيع الصيادون سمك الخليج الطازج ويتريض الشبان متنسمين هواء الشاطىء الرطيب... كنا على موعد مع زورق بخاري يشق بنا خضم الماء إلى جزيرة تردد اسمها كثيرا في كتب التاريخ ومازال يتردد في رحاب الخطط الاقتصادية لإيران المعاصرة... إنها جزيرة قشم.

منطقة حرة وسط المياه

ركبنا أحد الزوارق البخارية وانطلق بنا على سطح الماء من شاطىء بندر عباس قاصدا جزيرة قشم. وجزيرة قشم هي أكبر جزيرة على الساحل الإيراني في مضيق هرمز، يقع رأسها ومدينة قشم نفسها مقابل بندر عباس ويمتد جسمها المستطيل إلى الغرب في موازاة الشاطىء الإيراني. في الشمال الشرقي منها جزيرة هرمز الشهيرة، وفي الجنوب الشرقي جزيرة لاراك وجنوبها جزيرة هنكام، وهي جميعا جزر صغيرة حتى أن قشم تبدو مثل الحوت، وهذه الجزر من حولها تبدو كأسماك صغيرة تسبح من حول ذلك الحوت الكبير.

مكث الزورق قرابة ثلث ساعة منطلقا فوق سطح المياه الهادئة حتى ظهر شاطىء قشم، وكان أول ملمح لفت أنظارنا هو تلك الامتدادات المستطيلة فوق البيوت والتي تبدو لمن لا يعرف مثلها (إذ إنها جزء من طراز البيوت الخليجية القديمة في الشاطىء العربي أيضا).. تبدو نوعا من الأبراج الصغيرة فوق أسطح البيوت. تلك هي مصايد الهواء المسماة «باجدير». وهي عبارة عن تكوينات في هيئة متوازي مستطيلات مجوفة واجهاتها الأربع مفتوحة لتتلقى الهواء حيثما هب من الجهات الأربع وتنقله إلى داخل المنزل لتبرد جوفه، فهي إذن أجهزة تكييف طبيعي ابتكرها أهل الخليج لينعموا بالبرد والسلام داخل بيوتهم في هذه المنطقة الحارة قبل أن تأتي أجهزة التكييف الكهربائية الحديثة. ولعل هذه «الباجديرات» تتفوق على أجهزة التكييف الحديثة بكونها لا تستهلك طاقة ولا تحدث ضوضاء، فهي مثال لقدرة البشر على ابتكار ما يساعدهم على التأقلم مع البيئة دون آثار جانبية تدمر هذه البيئة.

هبطنا من الزورق إلى شاطىء قشم فأحسسنا أنها قطعة من بندر عباس وسط مياه المضيق «هرمز»، فالسكان الذين يبلغ عددهم من ٦٠ إلى ٧٠ ألف نسمة يكررون الملامح ذاتها ويرتدون خليط الثياب التي رأيناها في بندر عباس. وعرفنا أن معظمهم من المسلمين السنة ويعيشون على صيد الأسماك وإن كان مشروع المنطقة الحرة قد بدأ يظهر على شواطىء الجزيرة التي امتلأت بأكشاك البيع والشراء ومراسي المراكب التجارية. كما لفتت أنظارنا ذؤابات النخيل التي لا تختلف عن نخيلنا العربي ونخيل بندر عباس تبرز هنا وهناك بين البيوت.

طوفنا بأرجاء الجزيرة فرأينا التاريخ ماثلا في أطلال قلعة برتغالية تذكرنا بزمن الغزاة البرتغاليين والمغامرين الباحثين عن طريق التوابل والبهار. ورأينا معبدا هنديا عمره ثلاثة قرون ومازال يحيا مذكرا بزمن سيطرة الهنود الممثلين لشركة الهند

● بندر عباس إطلالة إيران على الخليج

□ مجتمع الصيـــادين وأطفالهم في بندر عباس وسط ميـــاه الخليج، وصيــاد مـازال يـرمم شبـاكـه بـالطـريقـة التقليـــديـــة.





الشرقيـة الإنجليـزيـة على واسطـة التجـارة في هـذه الجزيرة كما في بندر عباس.

تركنـا الجزيرة التي تطمح أن تكـون مركـزاً تجارياً حـراً بين شـاطئي الخليج العـربي والإيـراني. ودرنـا حـولها في طريق عـودتنـا إلى بنـدر عباس فأصبحنـا ونحن نـدور في فـوهـة مضيق هرمـز أو على بـوابـة الخليج، خليج الخير الـذي تشي ميـاهـه الفيروزيـة الدافئة بثراء الكنوز الحية التي يدخرها تحت سطحه.

خليج كل من يطلـون عليـه من هذا الشـاطيء أو ذاك، إطلالات يحدونا الأمل أن تكون خيراً وسلاماً دائماً، حتى ينعم كل سكـان الخليج بـالأمـن الـذي افتقدوه طـويلاً وبالاستقـرار الذي يجلب لهم مـزيداً من الخير. ولعلـــه مع ذلك المنـــاخ المأمـــول تقصر المسـافـات بين الشـاطئين إذ تتكـاثـر خطـوط المودّة والسـلام البحـريـة بين كل النقـاط على شـواطىء الخليج، حـاملـة الخير مـن هـذا الشـاطىء إلى ذاك، ويـومهـا... نحلم... سننطلق مـن شاطىء الكـويت مباشرة ـ عبر الخليج ـ إلى بندر عباس وإلى قشم دون حاجـة إلى مضاعفة المسافة. إنـه حلم إنساني بسيط، لبشر بسطاء على الشـاطئين، يريدون الحيـاة والأمان لهم ولأبنـائهم، وسبل الحياة مكفـولة... كيف؟ إنـه السؤال القـديم. وإجـابته التي أعطتنـا هذه الـزيارة طـرف خيطهـا هي: بـاحترام كل منـا لـلآخـر... بطمـوحنا إلى التعـاون الحيوي والحضـاري، ونبذنـا لأحلام التـوسع وإملاء الشروط، وإدراكنـا أن لكل منا رؤيته التي وإن اختلفت فإن الاختلاف ينبغي ألا يُذهب للود قضية.

وَكم هو عطشان للودّ ذلك الخليج.□

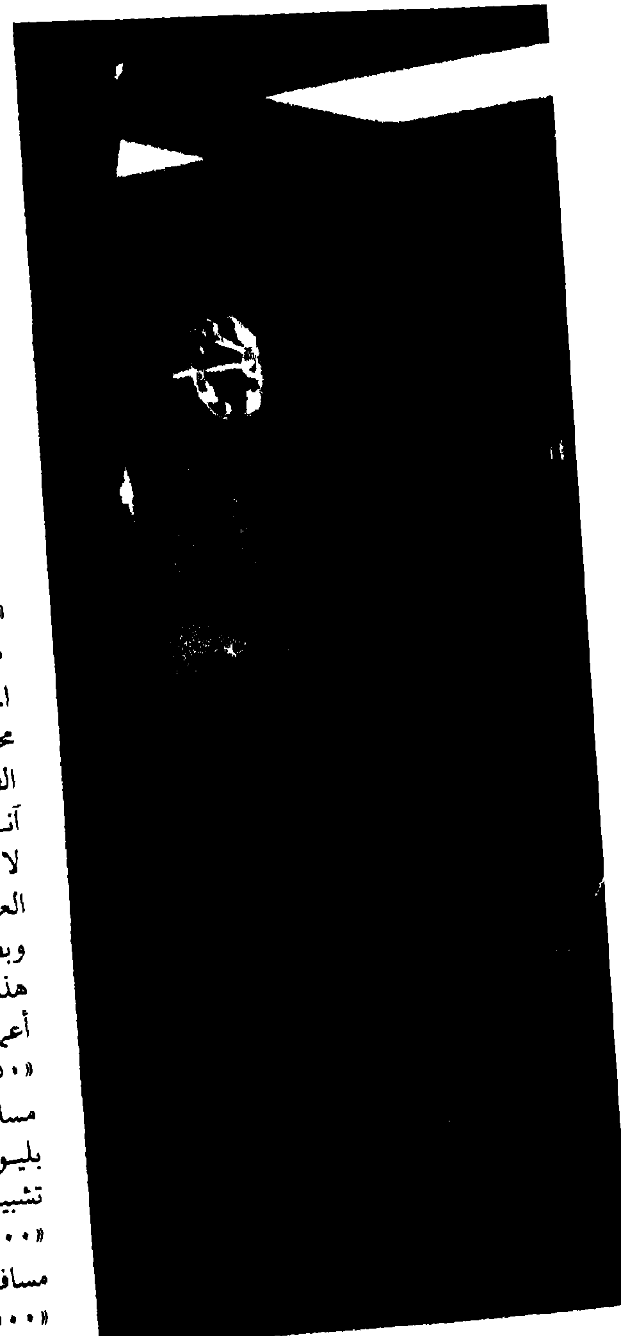
عملية جراحية لتلسكوب الفضاء

بقلم :
المهندس سعد شعبان



□ مرآة التلسكوب

تمت أخطر العمليات الفضائية، لإصلاح عين في عدسات الرؤية لأول تلسكوب فلكي فضائي، وكان قد سبق إطلاقه في أوائل عام ١٩٩٠ ، ليحلق على ارتفاع يقرب من ٦٠٠ كيلومتر، ولكن الصورة التي التقطت على الأرض أتت مشوهة، لذلك صممت وكالة الفضاء الأمريكية على إجراء عملية جراحية لهذه العيون الفضائية.



كان العزم قد استقر علي إطلاق تلسكوب الفضاء الأمريكي «هوبل» في عام ١٩٨٦، غير أن كارثة احتراق المكوك «تشالنجر» التي وقعت في يناير من العام نفسه، عطلت عملية الإطلاق، وكان تصميم هذا المرصد الفلكي الفضائي قد بدأ قبل ذلك بعشر سنوات وأدخلت عليه عدة تعديلات، وعندما عاود المكوك رحلاته تحدد لإطلاق التلسكوب شهر مارس ١٩٩٠ ثم تأجل الموعد شهرا، ولقد اختير للتلسكوب اسم «هوبل» تخليدا لاسم الفلكي الأمريكي «أدوين ب. هوبل» الذي كانت له بحوث عن حركة المجرات في عقد العشرينيات.

وخلال المدة بين ١٩٨٦ و١٩٩٠ اضطرت وكالة الفضاء الأمريكية إلى القيام بعملية تخزين ـ غير مسبوقة ـ للتلسكوب، ليكون في منأى عن المؤثرات الجوية وخاصة الرطوبة، وعوامل التلوث البيئية خصوصا الغبار والتراب والدخان، ومن عجب أن احتياطات التخزين هذه تكلفت أكثر من ثلث تكاليف أجهزة التلسكوب نفسه.

ولقد تم رفع التلسكوب بواسطة المكوك «ديسكفري» في رحلته التي تمت في شهر أبريل ١٩٩٠، حتى ارتفاع ٥٩٣ كيلومترا، وعندما ابتعد المكوك عن التلسكوب بمسافة ٧٠ كيلومترا، بدأت محطات التحكم الأرضية بتعديل وضاعه في الفضاء، وقد مثلت عملية إطلاق هذا التلسكوب آنذاك المرحلة الأولى من خطة أمريكية طموح لاستكشاف ٩٧٪ من مساحة الكون الذي يقدر العلماء بأننا لم نعرف أكثر من ٣٪ من أجرامه، وبطريقة تقريبية، ولذلك صممت مرايا وعدسات هذا التلسكوب، لتغوص من هذا الارتفاع الكبير في أعماق الفضاء بقدرة تفوق المراصد الفلكية الأرضية «٥٠» مرة على الأقل، فهي تستطيع أن تتغلغل إلى مسافة تعادل ١٤ بليون سنة ضوئية، أي حوالي ١٤٠ بليون بليون كيلومتر تقريبا، الأمر الذي يمكن تشبيهه بأنه يستطيع أن يصور ذرة غبار على مسافة «١٠٠» كيلومتر، أو يوضح أرقام لوحة سيارة على مسافة «٢٠٠» كيلومتر، أو قطعة نقود على مسافة «٥٠٠» كيلومتر، ومن ثم فقد كان الأمل أن «هوبل» سيكشف ملايين النجوم الجديدة التي تحويها آلاف المجرات التي لم تعرف من قبل، اعتمادا على قدرته على التقاط الضوء الخافت الذي يصدر من هذه النجوم مهما يكن ضعيفا.

أخف من الريشة

التلسكوب الفضائي له شكل أسطواني ويبلغ طوله ١٣ مترا، وأهم مكوناته هي مرآته الرئيسية التي يبلغ قطرها ٤ر٢ متر، وبه مرآة أخرى مساعدة

قطرها ٣٠ سنتيمترا، ويستمد الطاقة اللازمة لتشغيل أجهزته من آلاف الخلايا الكهرو ـ ضوئية التي وضعت على جناحين يمتد كل منهما لمسافة ١٢ مترا.

وهذا الحجم الضخم الذي يقرب من حجم أوتوبيس، ويبلغ وزنه على الأرض «١٢» طنا، لكن لا وزن له في الفضاء، تحت حالة انعدام الجاذبية، ولذلك فإن محاولة إصلاح بعض أجزائه وخاصة مراياه وكاميراته، لها محاذيرها وطرقها الخاصة بواسطة رواد المكوك.

ولقد كان تقدير العلماء أن التلسكوب سيظل مزروعا في الفضاء لمدة خمسة عشر عاما، ولذلك صممت أجهزته بطرق تستطيع الصمود لإشعاعات وظروف الفضاء الخارجي طوال هذه المدة، ولهذا أتت تكاليفه باهظة حتى بلغت ١ر٥ مليار دولار، وتكونت أجزاؤه من آلات وأجهزة دقيقة، هي:

- كاميرا تصوير ذات مجال واسع.
- كاميرا تصوير الأجرام ذات الضوء الضعيف.
- جهاز تحليل الطيف من الأجرام ضعيفة الضوء.
- جهاز الطيف بمعامل تحليل عال.
- جهاز قياس شدة الإضاءة بسرعة عالية.

ولقد روعي في تصميم التلسكوب أن تكون مكونات هذه الأجزاء الرئيسية مقسمة داخل أدراج، حتى يمكن استبدالها إذا ما تطلب الأمر ذلك عند تعطل أي منها بواسطة رواد المكوك.

ولقد روعي في التصميم أن يقوم جهاز التصوير ذو المجال الواسع والذي وضع في مركز التلسكوب، بتصوير النجوم ذات الإضاءة الخافتة، وذلك بإعادة تكثيف هذه الأضواء بوسائل أليكترونية، حتى يمكن ظهورها بوضوح يزيد بنسبة ٢٠٪ على أكبر التلسكوبات الأرضية.

ولا شك أن ذلك كان سيفتح نافذة على أعماق الكون، لم يمكن التطلع إليها من قبل، وسيعمل على إزاحة الستار عن أسرار «الثقوب السوداء».

كما أن الغرض من جهاز تحليل الطيف لأجرام خافتة الإضاءة، بقياس شدة الأشعة فوق البنفسجية، يعزى إليها إحداث ثقوب في طبقة الأوزون، والتي يرجع إليها حدوث كثير من المتغيرات التي تؤثر على البيئة، ومنها ارتفاع درجة الحرارة في الغلاف الجوي والتي هي السبب المباشر في انتشار كثير من الأمراض، ومنها سرطان الجلد والمياه البيضاء المعروفة باسم الكاتاراكت، وذلك فضلا عن التأثير على بعض الكائنات الحية مثل الأسماك والحيوانات البرية.

كما سيعمل نفس الجهاز على تحليل ديناميكية مصادر الضوء الخافت كالشهب والمذنبات والمجرات البعيدة.

أما جهاز قياس شدة الإضاءة، فسيتابع حركة النجوم ويحدد اتجاهاتها وقياس المسافات بينها، وكذلك الكشف عن الخصائص الفيزيائية للمجرات المتفجرة، وإمداد التلسكوب بالمعلومات اللازمة من كثافة الضوء وتغيراته، وهي أمور لازمة لتحديد مصدر الضوء الصادر عن المجرات.

الإصلاح بذراع وكرسي

بعد إطلاق تلسكوب هوبل بعدة شهور، استقبلت صوره على الأرض فوجدها العلماء مهتزة وخافتة، وتيقن المختصون أن مرآته الرئيسية، قد تعرضت لمصاعب فنية تحول دون أدائها الأمثل، ولأن الإصلاح مستحيل بتحكم من الأرض، فقد استقر العزم على القيام بهذه المهمة بواسطة رواد المكوك.

والمرآة الرئيسية في التلسكوب والتي صممت الرحلة لإصلاح ما فسد من أمرها فريدة في صناعتها، ولم يسبق أن أجريت عمليات تكنولوجية معقدة على مثلها من قبل، فهي فضلا عن كبر قطرها الذي يبلغ «٢ر٤» متر فقد تم صقلها وتلميعها بطرق معقدة بلغت «٢٦» عملية، كما شيدت غرفة تجارب خاصة لإجراء الاختبارات اللازمة عليها على الأرض لمحاكاة ظروف انعدام الجاذبية في الفضاء داخل هذه الغرفة، كما اتخذت احتياطات خاصة لحماية المرآة من الكسر والخدش وتغير القدرة على عكس الضوء، وذلك بكسوتها بطبقة من الألومنيوم اللامع وفوقها طبقة أخرى من فلوريد المغنسيوم.

وتتم عملية الإصلاح بوقوف رائدين من رواد المكوك فوق مؤخرة الذراع التلسكوبي للمكوك، والذي يمكن أن يمتد من مقدمته حتى مسافة تبلغ ١٥ مترا، ويتكون الذراع من ثلاث وصلات تلسكوبية، تتداخل كل منها في الأخرى، ويربط كل

منها بالأخرى مفصل مرن، بينما تنتهي الوصلة الأخيرة بمخلب يمكنه الإمساك بالأجسام السابحة في الفضاء، ولقد صمم هذا الذراع التلسكوبي ليكون بمثابة محاكاة لذراع الإنسان ـ مع الفارق ـ طبعا.

وقد تم تصنيعه في زمن مبكر من الثمانينيات بواسطة بعض العلماء الكنديين، فأتى معجزة من معجزات التكنولوجيا، لأنه يعمل بأشعة الليزر ويتحكم في حركته حاسب أليكتروني داخل المكوك، وقد تمت تجربته في عام ١٩٨٤ وكانت الدكتورة سالي رايد أول رائدة فضاء أمريكية وراء نجاح استخدامه في التقاط حمولة ألقيت في الفضاء متمثلة في صندوق دوائي كبير، فأمكن للذراع التقاطها بنجاح، وتوالى بعد ذلك استخدامه في عمليات إصلاح والتقاط أقمار صناعية معطوبة في الفضاء بمخلب الذراع ووضعت في مخزن الحمولات في المكوك.

ولقد تحققت عمليات إصلاح الأقمار الصناعية المعطوبة في الفضاء عدة مرات، بفضل ما توخاه العلماء من تصميم أجزاء الأقمار وسفن الفضاء في صورة أدراج يمكن نزع كل منها واستبداله بآخر، وكذلك كان الشأن بالنسبة لتلسكوب الفضاء، وفي بعض الحالات التي تعذر فيها الإصلاح في الفضاء، استخدم الذراع في وضع القمر المعطوب داخل مخزن الحمولات في المكوك، ليعود به إلى الأرض حيث يجري الفنيون إصلاحاتهم.

ولقد تضافر على توفير مرونة حركة رواد الفضاء أثناء سباحتهم خارج المكوك، مع الذراع التسلكوبي ما أطلق عليه اسم «المقعد النفاث»، وهو كرسي يجلس عليه رائد الفضاء ويسبح وهو عليه في الفضاء مبتعدا عن المكوك، وهو كرسي ثمين يتجاوز ثمنه عشرة ملايين دولار، لأنه يحكم حركة السباحة خارج المكوك، للابتعاد عنه أو الاقتراب منه، ويتمثل التحكم في خروج غاز النيتروجين المضغوط من ٢٤ فتحة نفث ضيقة موزعة في «٦» مجموعات بحيث يؤدي خروجها بسرعة عالية إلى حدوث رد فعل يدفع الكرسي وفوقه رائد الفضاء في الاتجاه المطلوب بالنسبة للمكوك الذي يكون بمثابة السفينة الأم.

ويستمد الغاز المضغوط من مستودع، يمثل ظهر الكرسي الذي يستند عليه رائد الفضاء أثناء جلوسه،



□ امتطاء ذراع المكوك

ويمكنه التحكم في سرعة خروج الغاز بالضغط على أزرار، على ذراعي الكرسي، وفي أماكن متفرقة من الكرسي توجد أجهزة وحواكم وبطاريات ومصابيح ضوئية تستخدم حسب الحاجة.

ولقد أمكن في رحلات المكوك المختلفة أن يسبح رائد فضاء باستخدام هذا الكرسي النفاث، لمدة ست ساعات متصلة لإجراء إصلاحات في أقمار صناعية معطوبة، كما أمكن الابتعاد به عن المكوك مسافات تدرجت حتى بلغت خمسة كيلومترات، ولأنه مزود بثلاثة من أجهزة الجيروسكوب، فإنه مهما تكن المسافة بين الكرسي والمكوك، فإنه يظل يتابع حركة المكوك في دورانه دون تدخل من رائد الفضاء.



□ عملية اصلاح التلسكوب

ولذلك فإن عملية إصلاح تلسكوب الفضاء تتمثل في فتح باب موجود في الجزء الأسفل منه، وذلك لجذب كاميرا التصوير التي يبلغ وزنها ٢٧٠ كيلوجراما، ثم إحلال أخرى بدلا منها.

هذا بالإضافة إلى عمليات إصلاح أخرى لعلاج عيوب التشوه التي أصابت مرآته الرئيسية، واستبدال ألواح الخلايا الشمسية المثبتة على جناحيه بأخرى صالحة.

خطة البحث عن أسرار الكون

منذ صنع العالم الإيطالي جاليليو «المنظار المقرب» أو «التلسكوب» عام ١٦١٠، أصبح هو العماد الأساسي للعلماء في الكشف عن أجرام الكون القريبة والبعيدة في المراصد الفلكية، ومع تقدم العلم والصناعة أخذت أقطار العدسات والمرايا العاكسة في هذه المراصد تزداد كبرا في أقطارها، وتدخل عوامل التطوير على صناعتها، ولكي ندرك مبلغ الدقة في صناعة العدسات في الفضاء، فإن العالم الفلكي «هرشل» ظل يصقل إحدى هذه العدسات ما يقرب من عشرين سنة دون أن يكتمل عمله، ثم قامت الحرب العالمية وخاف عليها من القصف الجوي، فأخفاها داخل كهف في أحد الجبال حتى وضعت الحرب أوزارها فعاود جهوده لسنوات أخرى.

وكان علماء الفلك يتابعون حركة أجرام الكون، ويرصدون تفاصيلها من خلال «النافذة الضوئية» التي يرون منها هذه الأجرام ويصورونها بسبب ما ينعكس عليها من ضوء الشمس مثل الكواكب والأقمار التي حولها، أو بما يصدر عنها من أضواء كما هو الحال بالنسبة للنجوم.

ولذلك كانوا يقيمون المراصد الفلكية فوق الأماكن المرتفعة، بعيدا عن المدن للابتعاد عما يصدر عنها من أضواء أثناء الليل.

وكان يحد من أداء هذه المراصد الفلكية الأرضية ويقلل من كفاءتها، أنها لا تعمل إلا خلال الظلام الحالك، كما أنها تتأثر ببعض العوامل الجوية مثل السحب أو انتشار الغبار، فضلا عن أن الصور التي

تصل إليها تتعرض لعوامل طبيعية، في الغلاف الجوي المحيط بالأرض، مثل الانكسار والحيود والتشتت.

ولقد ظلت نافذة الرؤية الفلكية البصرية هي الوحيدة التي يستمد منها علماء الكونيات معلوماتهم حتى مطلع عام ١٩٣٠، إذ انفتحت آنذاك نافذة أخرى مع بدء التعرف على التموجات اللاسلكية التي تصل من الفضاء الخارجي، وبدأ علم «الفلك الراديوي» الذي يلتقط هذه الإذاعات عبر هوائيات مستديرة طبقية الشكل، ورغم إقبال كثير من الدول والمراكز البحثية على إقامة هذه الهوائيات، فإن ما تلتقطه من إذاعات حتى الآن، ما زال بلا مدلول اللهم إلا الإشارة إلى الصور، دون الإفصاح عن معنى أو مضمون، وما زالت شفرة هذه الإذاعات مستعصية الحل على الحواسب الأليكترونية حتى اليوم.

ومن خلال هاتين النافذتين البصرية والراديوية لم تزد المعلومات الكونية زيادة كبيرة، بل ما زالت بعض الظواهر الكونية مغلقة بالأسرار، ويتخبط العلماء في تفسير أسبابها.

ولكن مع بزوغ عصر الفضاء، وتوالي إطلاق آلاف من الأقمار الصناعية ومئات من سفن الفضاء، فقد صعدت آمال العلماء إلى التحليق في الفضاء، للتخلص من سلبيات الغلاف الجوي وتصوير الأجرام الكونية بعيدا عنه، والاقتراب إلى حد ما منها رغم مسافاتها الشاسعة البعد، ومن هنا بدأ التفكير في تصوير سطوح القمر والكواكب بكاميرات توضع على متن سفن الفضاء، فأفصحت هذه الصور عن تفاصيل عجزت المراصد الأرضية عن تبينها على مدى مئات السنين، ولذلك اختمرت فكرة التلسكوب الفضائي منذ أكثر من عشر سنوات، ولكن شجع على ظهورها إلى عالم الوجود مرونة الحركة التي توافرت لرواد مكوك الفضاء، بالسباحة خارجه، بامتطاء ذراع التلسكوب وبواسطة المقعد النفاث، كما أسلفنا.

ومنذ أوائل الثمانينيات وضعت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» خطة لاستجلاء المجهول في الكون، ذات خمس مراحل.

وقد بدأ أولها عام ١٩٨٣ بإطلاق أول تلسكوب يعمل على التقاط الأشعة تحت الحمراء الصادر عن أجرام الكون البعيدة على القمر المسمى «إيراس» «Infra Red Astro Satellite I.R A S» وتمثلت المرحلة الثانية في إطلاق تلسكوب «هوبل» الذي تأجل إطلاقه من عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٠، وكان ذلك سببا في تأجيل المرحلة الثالثة وهي إطلاق مرصد فضائي يعمل بأشعة «جاما»، والمرحلة الرابعة وهي إطلاق مرصد آخر يعمل بالأشعة السينية «إكس» كما تأجلت المرحلة الخامسة وهي إطلاق المحطة المدارية «الحرية» (Freedom) من عام ١٩٩٠ حتى عام ١٩٩٥، والتي سيتم من فوقها التحكم في توجيه هذه المراصد الأربعة وتجميع صورها.

ثورة في علم الفلك

لا شك أن إطلاق هذه السلسلة من التلسكوبات سيضع أمام العلماء ثروة علمية ضخمة، ستكون بمثابة نوافذ جديدة على كون مغلف بكثير من الأسرار.

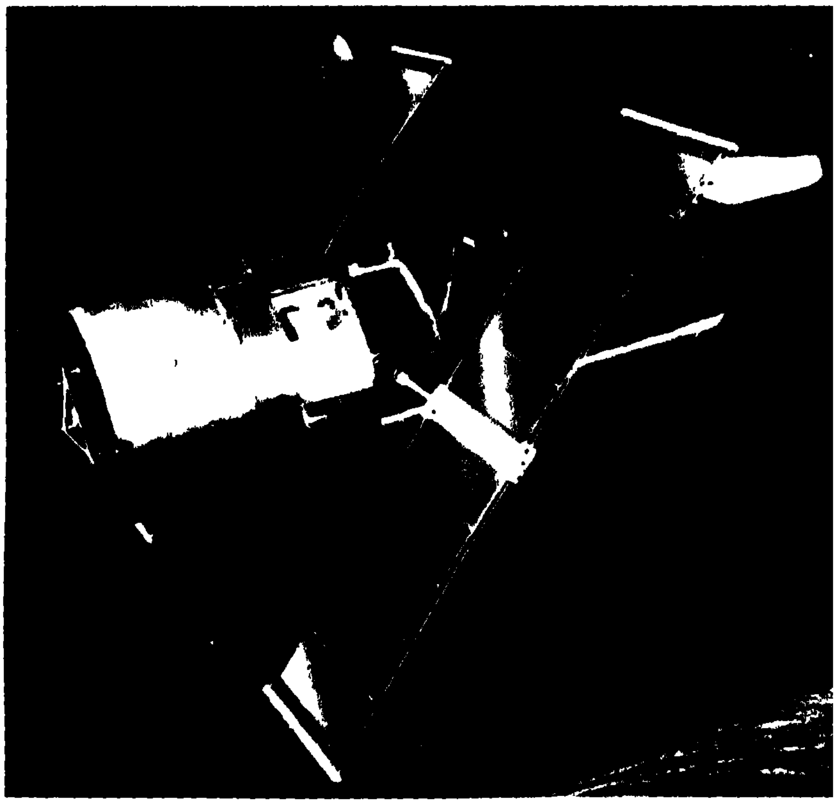
ويقدر المختصون أن كم المعلومات التي يمكن أن تبث من التلسكوب الفضائي «هوبل» إلى الأرض تكفي لملء موسوعة مكونة من «٣٠» جزءا خلال أربعين دقيقة فقط.

فرقعة المجموعة الشمسية المحيطة لشمسنا لا تزيد كواكبها المعروفة لنا على ثمانية كواكب غير أرضنا، ومنذ عام ١٩٣٠ لم يكتشف أي كوكب جديد بعد «بلوتو» وما زال العلماء عاما بعد آخر يرددون بين سنة وأخرى أن هناك كوكبا عاشرا، ولكن لم يستطع أي منهم أن يجزم بوجوده، والحقيقة الخفية أن الوسائل الفلكية المتاحة حاليا أقصر، حتى أنهم نعتوا الكوكب الأخير «بلوتو» باسم الكوكب الآبق، لأن بعده عن الشمس يقرب من ٦٠٠٠ مليون كيلومتر، وذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يتبينوا عدد ما حوله من أقمار، أو يقيسوا مدة دورانه حول نفسه لفرط بعده عنا.

وإذا كان هذا القصور سائدا في «رقعة المنظومة الشمسية» القريبة منا، فإن الأمر أكثر صعوبة فيما بعدها من نجوم، وجزر نجمية وسدم.

وما زالت هناك ظواهر فلكية غامضة لا يعرف الفلكيون أسبابا واضحة لها، منها المذنبات، والنجوم

النـابضـة، والنجوم المنفجـرة، والثقـوب السـوداء، والأمل معقود على هذا التلسكـوب الفضائي الجديد وسلسلـة إخـوتـه في أن يعـرف عن هـذه الظـواهـر الكثير، لتوضع النقط فوق الحروف بالنسبة لتكهنات



☐ تلسكوب الفضاء

لم يستطع العلماء أن يحددوا مقـدارهـا مثل سرعـة اتساع الكـون وتمدده، ومقدار التبـاعد بين المجـرات واتجاهاته.

غير أن أهم مـا يعـول علماء الفلك على معـرفتـه، هـو تحديد عمر الكون والذي تضاربت القياسات في تحديده، اعتمادا على افتراضات مازال حولها كثير من الجدل.

والوسيلة إلى ذلك أن التلسكوب الفلكي «هوبل» بالإضافـة إلى أنه سيقوم بتصوير الأجـرام الكونية في الضـوء العـادي، فإن أجهـزته ستقـوم بإجـراء هـذا التصويـر في مجالات ضوئيـة واسعة لالتقاط الأضواء الضعيفة والخافتة، وإجـراء تحليل طيفي للضوء الـذي يصل من الأجسام البراقة، وتصوير الأجرام المتحـركة بسرعات عـالية. كما ستتمكن أجهـزتـه من اصطيـاد الموجـات الكهـرومغنـاطيسيـة الميكـرومتريـة أو مـا يسميـه علماء الكونيات «الخلفية الإشعاعية» التي تعني السباحة ضـد الزمن أو العودة إلى الماضي.

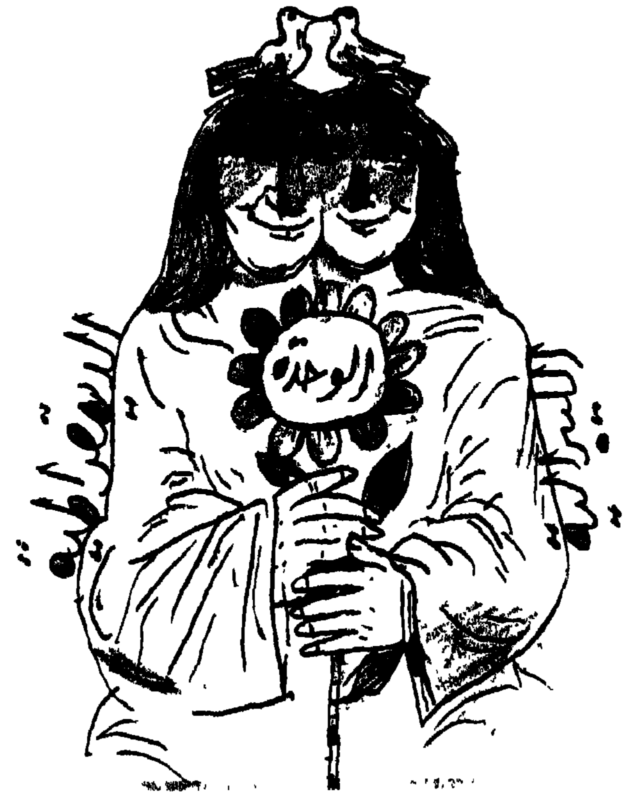
ولذلك فإن التلسكوب يحوي إلى جانـب كاميرات التصـوير المتنـوعة رتـلا من أجهـزة القيـاس والتحليل والتسجيل والإرسـال والاستقبـال الأليكتروني ليمكـن التراسـل مـع محطـات التحكم الأرضي بمعـدل تنظمه الحواسب الأليكترونية بقدرة بالغة الحجم والسرعة.

لـذلك فـالمتوقع أنـه بعـد أن تترى المعلومات من رصـدات التلسكوب الفضائي، ويبدأ العلماء في تحليلها، أن تحدث ثورة في علم الفلك تغير كثيرا من المفاهيم التي استقـرت في الأذهان والكتب عبر مئات السنوات، وربما يكشف عن عوالم باهرة لم تعرف من قبل. ☐

مليون ونصف مليون مصاب بالإيدز في أوغندا

● قال تقرير نشره برنامج الأمم المتحدة للتنمية في مـارس الماضي إن أوغندا مـن البلاد الأشـد معانـاة من الإيـدز في العالم ويحمل ١,٥ مليـون من الأوغنـديين البالغ عـددهم ١١,٥ مليون الفيروس الذي يسبب الإصابة بالمرض.

ويعتقد أن عـدد من توفـوا بسبب المرض المذكـور يصل إلى ستين ألفا وأن عـدد الأطفال الذين تيتموا نتيجة لذلك يصل إلى تسعين ألفا.



الوحدة العربية .. والليبرالية

بقلم : منح الصلح

إن نظره علمية لحساب الخسائر والمكاسب في الصراع العربي ــ الإسرائيلي ترينا كيف استطاع أعداؤنا أن يوحدوا يهود العالم عن طريق الوكالة اليهودية، بينما عجزنا نحن العرب عن أن نجعل حلم الوحدة العربية فوق الحكومات والأشخاص.

قال نجيب العازوري في كتابه «يقظة الأمة العربية» الصادر عام ١٩٠٥ إن ظاهرتين مهمتين متشابهتي الطبيعة بيد أنهما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتضحان في هذه الآونة في تركيا الآسيوية، أعني يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع، ومصير هاتين الحركتين هو أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى، وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم

بأجمعـــه. ولا شك أن المتنورين العرب خليقون بأن يفتخـروا بهذا الفكر الـوقـاد الذي قـرأ المستقبل كمن يقرأ في كتاب، ولكن هل يصح لهم أن يفتخروا بالقدر نفسه بنتيجـة هـذا الصراع وهـم ينظـرون في كتـابـه الطويل الحافل بـالهزائم الجماعية والبطولات الفـردية والفئوية في آن معا؟.

لقد ذهبت أدراج الـريح لا وحدة الأمـة فقط، بل جميع التنظيرات المعتدلة، التي كـانت تطرح ألا يسلـم العـرب بأي شكل من الأشكـال بـالفـرقـة، فحين يعجـزون عن تكوين أداة سيـاسيـة واحدة يقيمـون بدلا منهـا جامعـة دول عربيـة هي في الحقيقـة مؤتمر دائم للحكـومات العـربية ليس إلا، وحين يعـوزهم الهدف الواحد الجامع يكتفون بوحدة الصف، وحين تعوزهم وحـدة الصف هذه يكتفـون بالتخفيف من الخصومات فيما بينهم تحت شعار التضامن.

وقد جربوا خلال مسيرة الجامعة العربية خصوصا في الفترات التي لم يكن يقودهـا رأي واحد، سيـاسة «سيروا سير أضعفكم»، وهـي المنبثقـــة من آداب القوافل في الصحراء التي تقـول إنه إذا كان ثمة شيخ عجوز أو طفل صغير أو جمل أعرج، فإن القافلة كلها ينبغي أن تسير وفقـا لظـروف الـواحـد منهم، ومع ذلك لم تستطع الجامعـة العـربيـة أن تحافظ على حـد معقول من وجـودها وفعاليتها، فهـاجرت من مصر إلى تـونس ثم عـادت منهـا إلى مصر وقـد تغير منهـا وفيها الشكل والروح.

درس ثمين

ولكن الحمـد للــه على ان ليس كل مـا في المسيرة الوحـدوية يـدعو إلى الأسى، فثمة درس ثمين كسباه وهو أن الليبراليـة والوحدة مسيرة واحـدة، وأنه كلما احترم العرب الديمقراطية وأخـذوا بها، كانوا أقرب إلى الوحدة، فإذا رجعنا إلى الفترات الليبرالية السابقة لأنظمة الحكم العسكرية في البـلاد العربية، رأينا أنها خلقت عنـد الشعوب العـربيـة شوقـا إلى الوحـدة، وغـذت فيهم انـدفـاعـة شعبية حقيقيـة بـاتجاه هـذا



الشكل أو ذاك من أشكال التـوحيد، وليس من قبيل المصادفـات أن تأسيس الجامعـة العربيـة عام ١٩٤٥ جـاء في مـرحلـة كـانت فيهـا الحكـومـات في مصر والهلال الخصيب ديمقـراطية كلها، كما أنـه ليس من قبيل المصادفات كذلك أن يكون الحكم الديمقراطي في سـوريا هـو الأكثر حماسـة بين طـرفي وحدة عـام ١٩٥٨ بين مصر وسـوريـا، والتـاريخ يـذكـر أن الأحزاب السـورية كـانت تتنافس في طلب الـوحدة بينما كان الجانب المصري على إيمانه بـالوحدة مترددا، وقد روى الأستـاذ صلاح الدين البيطـار من رؤساء الحكـومات السـورية السـابقين أنه في مقـابلة لـه مع الرئيس جمال عبدالناصر قبل الوحدة أبرز له الرئيس المصري العقبات داعيـا إلى التهيؤ النفسـاني للوحـدة والتـدرب عليهـا قبل إقـامتها، فأجـابـه البيطـار أن الإنسـان يتعلم السبـاحة وهـو في البحـر وليس على اليابسة ممسكا بدليل يشرح العملية.

وبغض النظر عن سـلامة قرار الوحـدة في الوقت والشكـل، فإن العبرة فيــــه هـي أن الليبراليـــة والديمقراطية حببتا للناس الوحدة، بينما عدم ممارسة الديمقـراطية وغيـاب الروح الليبراليـة أوصلا بعـد فترة وحـدة عام ١٩٥٨ إلى الـزوال، كما أوصـلا قبل

ذلك الجامعة العربية إلى مرحلة تونس ثم العودة منها ضعيفة غير قادرة على الفعل في الأحداث.

هذه الرفقة المثمرة بين الليبرالية والوحدة تعيدنا إلى ولادة فكرة الوحدة العربية، فأول ولادتها كان في بيئة الشوام في مصر وهم الذين قدموا في أول هذا القرن وأواخر القرن الماضي مجموعة من المفكرين والمهنيين والصحفيين وأصحاب المؤسسات الذين سادت بينهم الأفكار النهضوية كفكرة الانفتاح على الحضارة العالمية، وفكرة الحرية، وفكرة العلم، وفكرة التقدم، وفكرة الإصلاح الديني، وسائر الدعوات الخيرة المشابهة وبينها فكرة الوحدة العربية.

روح النهضة

وتتشابه هذه الأفكار جميعا بالروح النهضوية، ولكن اثنتين منها كانتا بالإضافة إلى العنصر الإنساني المشترك بينهما وبين سائر هذه الأفكار تتميزان بأنهما وصفة خاصة بالعرب وكيفية توحدهم وتنسيق طاقاتهم، وبالمسلمين وكيفية وحدتهم ونهوضهم.

والسؤال الكبير الذي كان يجمع بين هؤلاء النهضويين هو: لماذا تخلف العرب والمسلمون وتقدم سواهم؟، ومع أن صاحب هذا السؤال بالذات كان الأمير شكيب أرسلان، إلا أن همه كان همهم جميعا.

وفي باب الإجابة عن هذا السؤال، أعطوا النظريات والأفكار المتنوعة، وبينها اثنتان خاصتان بالمنطقة هما فكرة الوحدة العربية وفكرة الإصلاح الديني. إذن فإن الوحدة والليبرالية ولدتا في يوم واحد ومن بطن مناخ نهضوي واحد، فلا عجب أن تكون صحة الوحدة هي من صحة الديمقراطية، وعلتها من علة رفيقتها، خصوصا أن التاريخ ناطق بأن الحرية كانت تبني على طريق الوحدة بينما كان الاستبداد يدمر.

ليس هذا فقط بل إن فكرة الوحدة ولدت ونمت أكثر ما يكون النمو وأسلمه لا في مصر التي كانت مهجر السوريين واللبنانيين على اختلاف فئاتهم ومناطقهم وأديانهم وطبقاتهم، بل إنها ولدت أيضا في غير هذا المهجر.

ففي المهجر الاسطنبولي كان العرب المطالبون بالديمقراطية داخل الدولة العثمانية يصوغون حلم الوحدة على قياس قيمهم الديمقراطية.

وفي نيويورك كان المهاجرون من الهلال الخصيب بنوع خاص يعملون لمصلحة منظومة من القيم الليبرالية بينها الوحدة العربية، وما أمين الريحاني وإيليا أبوماضي وجبران خليل جبران سوى أمثلة على التقاء الليبرالية والوحدة في شعاراتهم وشعارات المهجر الأمريكي الشمالي.



وفي المهجر الأمريكي الجنوبي، والبرازيلي بنوع خاص، اتحدت الأشواق العربية عند المهاجرين إلى الوحدة والديمقراطية معا، فرموز كرشيد سليم الخوري «الشاعر القروي» وإلياس فرحات وحبيب مسعود وشفيق المعلوف هي رموز للديمقراطية والقومية معا.

وفي المهجر الباريسي كان المتنورون العرب يعقدون منذ أوائل هذا القرن الحلقات إثر الحلقات للمطالبة بالحرية والوحدة معا، وفي عام ١٩١٣ عقدوا مؤتمرهم العربي الأول الذي قالوا فيه لا للاضمحلال ولا للاحتلال، والمقصود بالاضمحلال الأسلوب العثماني الشرقي الخالي من الروح الليبرالية، بينما المقصود بالاحتلال الغزو الأوربي الذي كانوا يخشون منه على أنفسهم وعلى الدولة العثمانية من جراء التدهور في الوضع العثماني.

لعبت كل هذه المهاجر أدوارها في تعلق العرب بالوحدة مقرونة بالحرية، والعارفون بأحوال الجزيرة العربية يقولون أيضا إن المهاجر المتنوعة سواء في إفريقيا أو في القارة الهندية أو في سواهما لعبت دورا في تشجيع أهل الجزيرة العربية على إقامة الصيغ الوحدوية بينهم.

فهل يستنتج من ذلك أن العرب كانوا يميلون إلى الوحدة وهم بعيدون عن أوطانهم حتى إذا جاءوا إليها وخاضوا مصاعبها اصطدموا باستمرار بجدار التخلف والاستبداد يمنعهم من تطبيق أحلامهم على الأرض، أو يمنعهم من تحويل ما يتم من بذور الوحدة إلى أغراس يانعة؟.

أضرار نقص الليبرالية

ومن عبر الطريق الوحدوي الطويل فإن الوحدة كانت تصطدم دائما بحسب تحليل بعض الباحثين إما بوحدة أوسع منها أو بوحدة أصغر منها، فقد كان من أسباب انهيار الوحدة المصرية ـ السورية أنها شقت بسبب نقص الليبرالية كلتا الوحدتين الداخليتين السورية والمصرية، فكان في سوريا حزب



هو حزب الوحدة وكان لهذا الحزب خصوم، وهكذا أصبحت سوريا سوريتين، والشيء ذاته حدث في مصر إذ اضطر عبدالناصر بعد انهيار الوحدة إلى تعنيف الصراع الطبقي في مصر عن طريق التدابير الاشتراكية خالقا بذلك مصرين هو الآخر.

أما الاصطدام بين الوحدة العربية والوحدة الأكبر منها فهو ذاك الذي قام بين العثمانية والعروبة. والأتراك يتهمون العرب بأنهم هدموا الوحدة الإسلامية العثمانية، أما العرب فيتهمون الأتراك بأنهم من خلال الوحدة الإسلامية بنوا إمبراطورية تركية الطابع والمقصد.

وعلى الرغم من كثرة عدد الآسفين على زوال الدولة العثمانية ومقدري دورها التاريخي، فإن مر

الصعب تبرئة الحكم العثماني من تفريطه بالوحدة حفاظا على التسلط، ففي الدولة العثمانية كان نقص الليبرالية هو السبب في خسارة الكيان العثماني الواحد، ولو أن الأتراك أخذوا باللامركزية التي كان العرب يدعون إليها لأمكن قيام رحم إسلامي واحد يتعايش فيه التوأم العربي مع التوأم التركي.

بين القاطرة والسفينة الهرمة

وقد كان الأتراك حزبين، حزب الطورانيين، وحزب الائتلافيين من أنصار السلطان، وكان لكل من الطرفين طريقته في هضم الحقوق العربية بقصد أو بغير قصد، فالطورانيون كانوا يتصورون الدولة العثمانية قطارا، الترك فيه هم القاطرة والشعوب الأخرى حافلات، وهذا ما كان ينفّر العرب ويدعوهم إلى الثورة، والحزب الآخر كان يتصور الدولة العثمانية أشبه بسفينة هرمة مشرفة على الغرق وما على قبطانها إذا أراد إنقاذ السفينة إلا أن يرمي بعض حمولته عن ظهر السفينة، فيمكّن السفينة من القدرة على مواصلة الإبحار، وكان القبطان في اسطنبول - أي السلطان - يضطر إلى التضحية بأجزاء ومصالح من دولته الواسعة، ويقع الخيار على العرب وعلى بلادهم ومصالحهم لتكون مادة المساومة مع دول العرب الطامعة أبدا وأبدا بالتوسع على المنطقة العربية من الدولة العثمانية حتى أن مصر والعراق وفلسطين ولبنان بيعت للمصالح الأجنبية وهي لا تزال نظريا أجزاء من الإمبراطورية العثمانية.

والدليل الأكبر على صحة هذا التصور أن التسوية الأخيرة بين الغرب والدولة العثمانية كانت أن تخرج تركيا دولة مستقلة وقوية إلى حد كبير، ويخرج العرب كيانات ضعيفة مسيطرا عليها من الخارج.

وهكذا، بدلا من أن يولد من بطن الدولة العثمانية كيان عربي واحد جامع، خرجت منه عدة كيانات ضعيفة، وكان صاحب المسئولية الكبرى في رأيي هو القبطان في اسطنبول الذي لو تعامل ديمقراطيا مع العرب، فلربما لم يمنعه ذلك من خسارة الحرب ضد الإنجليز والفرنسيين عام ١٩١٨، ولكان على الأقل أورث إمبراطوريته لكيانين كلاهما قوي هما الكيان التركي والكيان العربي.

وهكذا من المهد إلى اللحد إذا صح التعبير، يمكن القول أن مشروع الوحدة العربية كان مرهونا باستمرار برفقته مع الليبرالية يتقدمان معا ويتراجعان معا. □

احذر العدسات اللاصقة أثناء النوم

● أفادت دراسة نشرت في الولايات المتحدة أن وضع العدسات اللاصقة أثناء النوم يزيد ثماني مرات مخاطر الإصابة بالتهاب القرنية التقرحي الخطير.

وقالت الدراسة التي أعدها باحثون من عدد من الجامعات الأمريكية بينها جامعة جون هوبكنز ونشرتها مجلة (أرشيف أمراض العين) المتخصصة الصادرة في مارس ١٩٩٤.. إن الأشخاص الذين يبقون عدساتهم على عيونهم أثناء النوم تكون نسبة إصابتهم بالتهاب القرنية التقرحي نسبة واحد إلى ٣٠٠ في حين تتراجع هذه المخاطر إلى واحد على ٢٥٠٠ لدى الذين ينزعون هذه العدسات أثناء النوم.

والتهاب القرنية التقرحي مرض جرثومي قد يؤدي إلى أضرار في القرنية وإلى تراجع في الرؤية.

وقال الطبيب أوليفر شين من جامعة جون هوبكنز إن كمية الأوكسجين المتوافرة للعيون خلال النوم تقل مما يفسح في المجال أمام البكتريا لتنشط.

جرت الدراسة بين ١٩٩٠ و١٩٩٢ وشملت ٢٢٠ شخصا ممن يضعون عدسات لاصقة سواء من النوع اللين أو القاسي.

وجهاً لوجه



محمود السعدني

■ قد يعتقد بعضهم أن الكتابة الساخرة أمر يتوقف على التجربة فقط، وهذا ظن خاطئ.. المسألة في عظام الشخص ونخاعه.

■ عملت في صحيفة تمتلئ بالقتلة لا بالمحررين، وعندما اطّلع مدير التحرير على كتاباتي الساخرة صرخ: ما هذا الكلام الفارغ؟ اكتب كويّس أحسن لك!.. وطردني!.

محمود السعدنى . كاتب صحفي مصري، اشتهر بقلمه الساحر وأسلوبه المميز وانتقاداته اللاذعة، مما أوقعه مع المسئولين المصريين فى مشاكل متوالية، بلغت ذروتها في عهد أنور السادات، إذ قبض عليه واعتقل في القضية التي عرفت بمراكز القوى. بدأ حياته صحفيا فى جريدة «الزمان» ثم تدرج في المناصب، فعمل في جريدة «الجمهورية» منذ نشأتها مع زكريا الحجاوي وكامل الشناوي، ثم انتقل إلى مجلة «صباح الخير»، وأصبح رئيس تحريرها، قبل أن يقبض عليه ويوضع في السجن وبعد أن أفرج عنه السادات لأسباب صحية، فضّل الهجرة خارج مصر، فاستقر أولا في الكويت حيث عمل في الصحافة، ثم ذهب إلى العراق وليبيا ثم استقر أخيرا في لندن وأصدر مجلة «٢٣ يوليو» لسان حال القوميين العرب، لكنها كانت قصيرة العمر! عاد إلى مصر بعد مقتل السادات، الذي كان قد أصدر



٩

محمد مساعد الصالح

اسرا يسعد من الكتابة سدى الخماد، وبدا يكتب صفحة أسبوعية في مجلة «المصور»، وعمودا أسبوعيا في جريدة «أخبار اليوم» القاهرية. كان من أشد مريدي الكويت. ومنتقدي نظام الدكتاتور صدام حسين. وكتب عمودا يوميا في جريدة «صوت الكويت» طوال فترة صدورها تحت عنوان «ليس إلا». اصدر العديد من القصص والروايات والكتب التي تحكي رحلته في الصحافة. «الولد السني»، «الولد السني في السجن»، «الموكوس في بلاد الفلوس» وغيرها. وقد أجرى الحوار معه محام وكاتب كويتي ساخر. هو محمد مساعد الصالح، الذي أسس العديد من الصحف الكويتية، وتخصص في كتابة الانتقادات اللاذعة في عموده اليومي «الله بالخير»، والذي جمع أهم مقالاته في كتاب تحت نفس العنوان.

*** محمد مساعد الصالح : ما أعلمه أن الأسماء لا تعرّف.. في الكويت مثلا أيام الغوص وعندما كان الفرد الكويتي ينتج أكثر مما هو عليه في مرحلة ما بعد النفط، كان اسم الكنية يسبق بـ «بن» وحتى اليوم هناك بعض العائلات تستعمل «بن» بدلا من «ال» التعريف مثل: بن نصف.. وبن عيسى.. وبن قطامي وهكذا.. ولكن التغير عصف بذلك، فصرت تقرأ عائلة «الحمود» و«اليوسف» و«العيسى».. وهكذا.**

فمن أين لحقت «الـ» التعريف بـ «سعدني»، وما هو أصلك؟ بمعنى أين جذورك الأولى؟

ـ محمود السعدني : أولا، الأصل يمني، ولمعلوماتك، فهناك «السعدني» في فلسطين، و«السعدني» في المغرب، وفي ليبيا، وفي «الشام» وأيضا في مصر، حينما ذهبت إلى اليمن قيل لي «توجد قبيلة السعدني هنا»، وكان ذلك عندما ذهب الجيش المصري إلى هناك، وبعد معرفتهم رغبتي بالتعرف إلى الجذور، اصطحبوني في سيارة «جيب» عسكرية إلى بلدة تبعد عن صنعاء حوالي عشرين كيلومترا، والتقيت «أقربائي» واقفين وكانوا حوالي ألف فرد، يحمل كل منهم سلاحه، وعند وصولي أطلقوا النار في الهواء احتفاء بقريبهم.. الذي هو أنا.

ولأنهم رأوا معي سجائر فقد اعتبروني غنيا، فقلت للعقيد الذي يصطحبني وهو «محمد عبدالله»: حوّد، حوّد.. هم سيأخذون «الجاكيت» الذي ألبسه.. وهو الوحيد الذي أملكه.

أما عن دخول «الـ» ـ التعريف على كنيتي ـ بالرغم من تخلي مصر أخيرا عن ذلك ـ فقد وجدت جذوره في كتاب تم إعداده من قبل باحثي «الحملة الفرنسية» الذين اصطحبهم نابليون بونابرت، فهذا الكتاب يصف مصر في دقائقها وفي مختلف نشاطات أهلها الزراعية والصناعية وفي الوضع الاجتماعي وغيره.. وفي هذا الكتاب جزء عن القبائل العربية، وفي هذا الجزء تقرأ عن «آل سعدني» وتجمعهم.. كذا.. وقد كان تجمعهم الأكبر في بني سويف.

الولد الشقي

*** محمد مساعد الصالح : أستاذ سعدني.. كيف اكتسبت لقب الولد الشقي؟ ولماذا ارتبط هذا الاسم بسلسلة الكتب التي تحدثت فيها عن تفاصيل حياتك؟ هل أنت ولد شقي فعلا؟.**

ـ محمود السعدني : والله يا عم محمد باشا، نحن كنا أشقياء، نحن جيل فتح عينيه على الحرب العالمية الثانية، ففي اليوم الأول من امتحان الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٩ حصلت أول غارة جوية على مصر، كنا نصعد «السلم» وقيل لنا إنه «ضرب حقيقي»، فنزلنا، وتغيّرت الحياة بعد ذلك، فالفتاة التي كانت تعمل خادمة في البيوت عملت راقصة في شارع الهرم للإنجليز، والذي كان «صايع» أو «فتوة» ترك كل هذه الأشياء وبدأ يعمل في سرقة الجيش الإنجليزي، والتعامل معه، فظهرت فئة أغنياء الحرب.

ولقد كنا صغارا آنذاك «١٣ ـ ١٤» سنة، ومع ذلك تعلمنا التدخين، ونظمنا أنفسنا كـ«عصابات» ترتكب الجرائم ضد العسكر الإنجليز والغرباء في مصر.

تصور كنا نبيع «الفضلات وخلافها..» في زجاجات للجنود الهنود والأفارقة على أنها خمرة بمبلغ «٢٥» قرشا.

كنا بعد أن نقضي الساعات في خلط موادها نغلفها بورق فضي، ونقف في شارع التروماي، ونصيح: رم، رم، والذي يمر علينا يشتري.

في إحدى المرات شاهدنا أحد الجنود الذي اشترى من زجاجاتنا قبل ذلك، فطاردنا مسافة طويلة حتى تعب وتعبنا، وكان معي «عبدالمنعم عثمان» الذي أصبح فيما بعد أستاذا في كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة، نظرت خلفي فرأيت الجندي الإنجليزي مثلنا لا يستطيع الجري ـ خلاص تعب ـ وعندما وقفنا، نادى علينا: Come here، فقلت له: Come you، فوقف وكان معه زجاجة «رم» من النوع الذي نصنعه، فقذفنا بها فأصابت كتف عثمان الغزالي، مما اضطره لربط يده ثلاثة أشهر، وفي أحيان أخرى كدنا نموت.

ومن شقاواتنا الكثيرة، أننا أخذنا ـ طوغان رسام الكاريكاتير الشهير وأنا ـ عساكر إنجليزا يركبون عربة مليئة بالشاي يريدون بيعه، إلى محل كتب عليه «عطاالله وشركاه»، وعقدوا الصفقة مع «عطاالله» هذا بوجودنا، فبدأت «أنق»: عم عطاالله.. عم عطاالله.. فأعطانا متبرما خمسة جنيهات، وهي مبلغ كبير، بعد أسبوع عدنا إليه: عم عطاالله.. العسكري الإنجليزي واقف هناك، ويريد الشاي، فطردنا.. ولكنني ألححت عليه:

الإنجليزي واقف هناك، ماذا ستعمل؟ فأخرج عم عطاالله جنيهين وأعطانا إياهما وعندما صرفنا المبلغ.. عدنا إليه.. وقلنا له: الرجل الإنجليزي واقف هناك ويريد الشاي ومعه عربة «بوليس»!! فصرخ بنا: هاتوا فلوسي وخذوا الشاي وخلصوني.. أسقط في يدنا، فطلبنا منه سجائر.. وعندها قام إلينا وهو يصرخ ويسب ويلعن.

طنارة

* **محمد مساعد الصالح : أتفق مع «أبوأكرم»، عمنا محمود آل السعدني من قبيلة «حلو» أن السخرية ليست نابعة من قرارات معينة وإلا لأصبح الجميع ساخرين، ولكنها تولد مع الإنسان، فأنا شخصيا لا أتعمّد الكتابة الساخرة، فكثيرا ما أكون بصدد موضوع جاد، ولكن في منتصف الفكرة أو في نهايتها، ودون قصد، يتنزّل عليّ وحي السخرية..**
لكن المشكلة التي أواجهها في الكويت في كتاباتي الساخرة، أن مجتمعنا مجتمع صغير وضيق، وعندما تسخر من تصرف إنسان تجده في نفس اليوم، إما في الوزارة أو في الديوانية، أو على الهاتف، يعاتبك و«ينيّل صباحك»، مظهرا غضبه من سخريتك و«طنازتك» كما يسمّونها في الكويت! وطبعا هذه المشكلة لا تواجهونها في مصر والتي تعتبر بحق «بلد النكتة»، ألا تقول لي يا عم محمود لماذا تكاد تخلو مصر الآن من الكتّاب الساخرين؟.

ـ محمود السعدني : يعني.. هي «لا تكاد تخلو».. فحاليا يوجد الجيل الجديد، وقد ظهر منه «عيال» على مستوى!! هناك «محمد مستجاب» و«عاصم حنفي» و«حازم..» وآخرون.. يوجد بعض الأدباء يبشرون بالخير، هم لن يكونوا مثل الذين سبقوهم، فالحياة لا تكرر نفسها، قد يكونون أقل شوية، أحسن شوية.. المهم الاستمرارية.. وحين يكون لديك خمسة أو ستة على مستوى فهذا شيء جميل.

ها أنت في الكويت مثلا، منْ من تلاميذك اقتفى خطاك في الأدب الساخر؟.

دخلت الجزائر مع الثوار

* **محمد مساعد الصالح : ليس لدي تلاميذ، فهنا في الكويت التلمذة في المدارس فقط أما على مستوى الكتّاب فالجميع أساتذة وآباء ولا يقبلون صفة التلمذة بل وعليك أن تغدق عليهم بأوصاف طنانة أقلها العبقرية.**
لكن إذا عدنا إلى نسبة الكتاب الساخرين في مصر، فأنا أرى أن عددهم قليل جدا قياسا لعدد السكان الذي ينوف على «٦٠» مليونا.

ـ محمود السعدني : لقد قلت كتّابا «ساخرين».. مثلا إبراهيم المازني وبيرم التونسي كاتبان ساخران، بل أعتبر توفيق الحكيم كاتبا ساخرا في «يوميات نائب في الأرياف» مع العلم أن الكتابة الساخرة كانت «عيبا» في زمانه، يعني الكاتب يجب أن يكون «مبوّزا».. تصوّر.. حينما بدأت عملي في الصحافة والكتابة، بدأته في مجلة اسمها «كلمة ونصف» أسسها شخص فلسطيني، وأعتبر أنها أفضل مجلة ظهرت في تاريخ العرب، كان ذلك عام «١٩٤٧»، وقد رأس تحريرها «مأمون الشناوي» وكتب لها إبراهيم الورداني ورسم فيها جميع رسامي الكاريكاتير، وبعد إقفالها توجهت للعمل في صحيفة تمتلىء بـ«القتلة» لا بالمحررين.. اطّلع مدير التحرير على كتاباتي الساخرة فتوجه إليّ قائلا: «ما هذا الكلام الفارغ.. اكتب كلام كويّس أحسن لك»! وطردني.

ومرة أخرى أعادني كامل الشناوي ـ رحمة الله عليه ـ كان فنانا وفهيما وعظيما.. فمرة قرأت له، وسألني لماذا لا أنشر، فقلت له: لا أحد يريد نشر هذا الكلام، فقال لي: أنا سوف أنشره، وكانت عنده صحيفة بعنوان

■ أنور السادات كان يشتم مجلة «٢٣ يوليو» ويعلن أن «بتوع ليبيا» هم الذين يمولونها.. والمفارقة أن ليبيا والعراق كانتا وراء إقفال المجلة، وكذلك الخلافات العربية ـ العربية.

[illegible] مصر أيام الملك فاروق، ونشر لي في الصفحة الأخيرة، وبعد إقفال الجريدة نشرت هذا اللون من الكتابة في جريدة «القاهرة» بعض الوقت، لكنني كلّفت بالعمل في قسم الشئون العربية، وذهبت إلى «الجمهورية» لأعمل في قسم الشئون العربية، وقد استنفدني هذا العمل تماما، كنت دوما أجوب الوطن العربي، فمن بيروت إلى المغرب إلى الجزائر التي دخلتها عام ١٩٥٩ مع الثوار عن طريق «طنجة» ومن طنجة إلى «وجدة» ومنها إلى الجرائر في الجبال، لقد سجلت ذلك في كتاب سميته: «الجزائر، أرض اللهب والدم».. عناوين كفاح أيام زمان..

ولقد عرفني عملي بكثيرين.. منهم مثلا شخص من الجيزة اسمه أحمد رشدي صالح، وهو أستاذ أساتذة الأدب الشعبي في الوطن العربي، وكان يعمل سكرتير عام الحزب الشيوعي المصري، ويصدر مجلة مع «سيد قطب»! تصوّر.. سيد قطب كان اشتراكيا في ذلك الوقت وكان معهما أيضا شخص أصبح فيما بعد سكرتير عام الحزب الشيوعي المصري اسمه «أبوسيف يوسف».

عندما كنت أروي «نكتة» لأحمد رشدي صالح، كان يقول: قديمة! فأقول له: أين سمعتها؟ يرد: لم أسمعها بل قرأتها! وأسأله: أين قرأتها؟ فيقول: في كتاب لشخص يدعى «ابن سودون المصري» ظهر في العصر الأيوبي بعد الفاطميين وألف كتابا عن «صعيدي» يتعلم في الأزهر ـ بالقاهرة ـ يرسل خطابات في غاية الطرافة إلى أبيه في الصعيد.. تصور هذه الخطابات كلها «نكت» فقد كتب هذا «الصعيدي» لأبيه مرة يعتذر فيها عن تأخره في الكتابة:

الحمد لله، فربنا نجاني من الموت بأعجوبة، وكتب لي عمرا جديدا، وأنا أستحق الحلاوة. والحكاية أنني كنت أنشر جبتي التي ألبسها فوق السطوح، وهبت زوبعة فأطاحت بالجبة في الشارع، والحمد لله يا أبي أنني لم أكن داخل الجبة.. وإلا لكان نهاري «أزرق» ومتّ، فاعمل «حاجة» يا أبي واذبح!!.

وحينما تقرأ كتاب «بيرم التونسي» (السيد ومراته في باريس).. تكتشف أن كثيرا من نوادر و«نكت» الكتاب متداول بين الناس هذه الأيام، بل لقد رأيت في هذا الكتاب ـ وأنا ابن حواري الجيزة ـ ألفاظا لا أعرفها، ولكنها شعبية ومن روح الشعب المصري.

ولقد أحببت التاريخ جدا، فقد قرأت ابن اياس، والمقريزي، وابن خلكان، إنهم يجعلونني أعيش عالم آخر مع أسلوبهم الجميل، بل أحب الخرافات التي يكتبونها، وأعتقد أن المقريزي كتب عن تاريخ الكون وكيف نشأ.

وتصور أن نهر النيل «ينبع من جنات فيها ذهب وفضة»، و«الماء يأتي محملا بالذهب» ـ هي خرافات. لكنها تاريخ يومي.. جريدة يومية.

واحد يكتب يوميات، وآخر يكتب «وفيات الأعيان» فكان يقول. مات فلان، أصله من بادية كذا.. ولقد اشتعل كذا.. عند الشيخ فلان، ثم هاجر إلى مصر، وكان كثير الثراء، كثير العطاء، وكان.. وغير ذلك.

إنني أحب هذا اللون جدا، ولقد ألفت كتابا اسمه «مصر من تاني» وكان أول كتاب في مصر يبيع «٦٠» ألف نسخة في شهر، لأنني كتبت فيه تاريخ مصر كله في «برشامة» ومن وجهة نظر غريبة جدا في مائتي صفحة، وفي رأيي أن هذا الكتاب هو «التاريخ الحقيقي لمصر»!!!.

٢٣ يوليو .. مجلة انتحارية

*** محمد مساعد الصالح : أنا أرى يا عم محمود أن ظاهرة كثرة الصحف والمجلات في الوطن العربي تعتبر نتيجة طبيعية لانعدام الحرية.**

فالأعداد الضخمة من الصحف والمجلات التي تصدر داخل الأقطار العربية تابعة للأنظمة العربية بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن عددا كبيرا من الإصدارات الصحفية اضطرت لمغادرة أوطانها لتصدر في باريس ولندن واليونان وقبرص حيث حرية الإصدار وحرية الكتابة.

كما أن النسبة الهائلة للأمية تؤثر سلبا على توزيع المطبوعات بأنواعها، ويبدو لي أن ضعف التوزيع يتبع أمرا آخر أكثر خطورة، وهو أن هذه المطبوعات لا تقدم للقارىء العربي ما يريد قراءته..

وبصفتك صحفيا كبيرا وذا تجربة أريد منك أن تحدثنا عن الصحف والمجلات التي أصدرتها وخصوصا «٢٣ يوليو» التي أصدرتها في لندن، وكانت تجربة قصيرة العمر، وبصراحة.. إلى أي هدف كنت تسعى؟.

ـ محمود السعدني : بالنسبة لـ «٢٣ يوليو» فقد كانت مجلة انتحارية، بل طلقة، أردتها ضد اتفاقية كامب ديفيد وضد السادات، والشخص الذي كان وراءها وموّلها طلب إبقاء اسمه سرا، ونجحنا بذلك، والدليل أن السادات كان يشتم المجلة ويعلن أن «بتوع ليبيا» هم الذين يمولونها، والمفارقة أن ليبيا والعراق هما اللتان كانتا وراء إقفال المجلة، وكذلك الخلافات العربية ـ العربية.

بيعت المجلة في المغرب ومنعت في الجزائر وليبيا وتونس، ولم يكن للمجلة سوق في أي دولة خليجية.

بعد إقفال المجلة ذهبت إلى العراق لتسلم حقي في التوزيع، لكنهم كانوا قد جهزوا مقلبا «لم يحدث في تاريخ البشرية».

فقد أرسلت لهم «٥» آلاف نسخة، ثم طلبوا «١٠» آلاف، ثم «١٥» ألفا، وكنت أرسل النسخ بالطائرة.

وقد تسلمت منهم تحت الحساب «٣٠» ألف دينار، ثم استلمت «٢٠» ألف دينار..

وعندما قابلت رئيس الدار الوطنية للتوزيع قال لي: هلا، مرحبا بالأستاذ.. ثم أخرج كشف التوزيع، فوجدت «٤» آلاف نسخة توزع شهريا!! فقلت له: أهؤلاء عساكر؟؟ ألم يمت أحد منهم، ألم يتزوج أحد، ويكف عن شراء المجلة؟ ألم ينقص التوريع أو يزيد، كله أربعة آلاف.. أربعة آلاف..

قال بهدوء: يا أستاذ.. نحن حمير في التوزيع، لسنا مثل مصر.

لقد دفع العراقيون ثمن «١١» ألف نسخة فقط!

فكتبت إلى طارق عزيز ما معناه:

تبينّ يا أستاذ طارق عزيز أن الفكرة الوحيدة من إصدار «٢٣ يوليو» هي تمويل شركة الطيران العراقية، «وكنت أنقل الأعداد بطائراتهم».

قلمي أروع وأرفق

*** محمد مساعد الصالح : ما هي أهم الإصدارات التي قدمتها خلال مشوارك؟.**

ـ محمود السعدني : أول صحيفة أصدرتها في حياتي كانت «السحاب» في القاهرة، كنت أنا وطوغان، وعلي جمال الدين طاهر، أصدرنا ثلاثة آلاف نسخة أيام الملك، وكان المرتجع ثلاثة آلاف وأربعمائة، ولم تكن الجريدة ساخرة بل على العكس كانت تحوي افتتاحيات ومقالات، كنا شبابا لديه طموح.

ومما أذكره من تلك الأيام أنني قابلت الأستاذ «التابعي» وكان أهم صحفي مصري وعربي ولا يزال كذلك رغم مضي فترة طويلة على وفاته، إنه أعظم من خط حرفا على ورق الجرائد، لقيته بالمصادفة وطلبت مقابلته، وكان ساخرا وعظيما وأنيقا وغنيا ومشهورا، قال لي: تعال إلى بيتي. وحين ذهبت إلى البيت ردني البواب إلى المكتب.

طبعا لم أذهب إلى المكتب، بل أخرجت ورقة من



□ يا ناس يا عسل السعدني وصل.

جيبي وكتبت له قائلا: «يا تابعي إن لي قلما كقلمك، لكنه أروع وأرفق، وعندما يحين الوقت المناسب سأنشر قصة الذين يسكنون الزمالك ويكتبون عن آلام الناس..»

بعد سبعة عشر عاما، وبعد أن توطدت المعرفة بيننا، ذكّرته بهذه الحكاية، فقال: لست أنا!!! وبعد ذلك، أصدرنا «الأسبوع» واشترك معنا لأول مرة «صلاح جاهين» وكانت تجربته الأولى حيث بدأ برسم الإعلانات.

وفي عام ١٩٤٨ أيام حرب فلسطين، كانت الرقابة تقوم بعمل «اللازم» فتخرج الصحف، وبها من الصفحات البيضاء «الممسوحة» أكثر مما بها من الصفحات المكتوبة.

المهم أننا أقفلنا المجلة بعد أن هربنا من صاحب المطبعة فقد كنا مدينين له بمبلغ «٧» جنيهات.

وفي عام ١٩٥٦ أتيح لي أن أصدر صحيفة «الجمهورية» لسان جمال عبدالناصر، طبعة بيروت، وكان ذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر، هذه الصحيفة انتشرت وبيعت كثيرا، وكنا نلجأ إلى أساليب عجيبة، مثلا: حديث بالتليفون مع عبدالناصر!! وطبعا لم يكن يوجد عندنا تليفون. أو مثلا: القاهرة ـ حديث مع عبدالحكيم عامر!!.

ثم نحضر صورة لأي إنجليزي ونكتب: حديث مع الجنرال «فلان» الذي وقع أسيرا في يد القوات المصرية، وبقينا كذلك حتى آخر تخريفة«!» والتي أقفلت الصحيفة بسببها، فقد كتبنا تحت عنوان «حديث مع ماوتسي تونج»: مليون جندي صيني في طريقهم إلى مصر لرد العدوان..

فجاءنا ممثل وكالة «تاس» السوفييتية، وسألنا: كيف تنشرون هذا الحديث؟

فقلت له: إنه مراسلنا في.. «!!»

والمهم، صدر قرار من عبدالناصر بإغلاق الجريدة.

وجاءنا رجل يدعى «محمد عزت» وكان يعمل مندوب إعلانات في الجريدة.. وحينما أغلقت الجريدة اتضح أن «عم محمد» هذا ما هو إلا مسئول المخابرات المصرية في عموم الشرق الأوسط!! وتصور.. كان جميع السفراء يخافون منه.. وأنا أرسله ليحضر لنا «الأشياء»!! وقد عرفته في القاهرة باسمه الحقيقي «محمد غانم».. وهو الآن رئيس مجلس إدارة شركة النصر بإفريقيا، ثم أنشأت صحيفة أخرى باسم «الفجر» عندما هربت إلى «أبوظبي»، فقد سافرت حاجا من القاهرة عام ١٩٧٤ ولم أعد إليها، كانت «الفجر» تطبع في الكويت، مما دفعني للمجيء إلى الكويت وإصدار ملحق السياسة لمدة ستة أشهر، غادرت بعدها.

أوضاع مقلوبة

*** محمد مساعد الصالح : أبا أكرم.. ما العلاقة بين حالة عدم الاستقرار في نشاطك، والمآسي والأحداث المؤثرة على الكاتب الساخر فيك.. هل ما يمر به الوطن العربي يطلق إمكانات السخرية برأيك.. أم يثبطها؟**

ـ محمود السعدني : أولا عدم الاستقرار ليس بيدي، فقد طردت من «أبوظبي».. وطردت نفسي من الكويت«!» وبالنسبة لأوضاع الوطن العربي فلأنها أوضاع مقلوبة، تتيح للكاتب الساخر إمكانات أرفع، بل وتتيح ظهور عدد كبير من الساخرين لأنها أوضاع عجيبة، بالمناسبة.. هل قرأت «حمار من الشرق»! فقد طبع هذا الكتاب للمرة الثالثة، وبيع كثيرا في مصر «٦٠ ألف نسخة»، وفي لندن رأيت كويتيين يشترونه.. هذا الكتاب مُنع في بعض الدول العربية!.

تركت القصة

*** محمد مساعد الصالح : لقد كنت روائيا وقاصا وكاتبا وأديبا مسرحيا وصحفيا.. لكنني أرى أن الصحافة هي التي غلبت عليك..**

ـ محمود السعدني : إذا كنت لا تعتبر «حمار من الشرق» و«الطريق إلى اليمن» أدبا، فأنا أعتبرهما كذلك. أنا تركت «القصة» لأنها تحتاج إلى مجهود معين، وبال خال رائق، وإذا لم أكتب قصة في مستوى «ليالي القمر» فلن أكتب بعد، وأعتقد أن لي حوالي خمسة أو ستة كتب في السنوات الأخيرة منها «مسافر على الطريق».

كتّاب ولكن لا يكتبون

*** محمد مساعد الصالح : توجد ظاهرة في الخليج، وهي وجود كتّاب كثيرين، ولكن ليس هم الذين يكتبون، ماذا تقول في ذلك**

وما تقول في الصحافة العربية عموما والساخرة منها خصوصا؟.

ـ محمود السعدني : إن بعض الصحف العربية هي جزء من السوقية، وأحد مظاهرها، هناك عشرة آلاف مطبوعة يوميا ومجلات من كل لون، إلا أن الحابل اختلط بالنابل، يوجد عندنا كتّاب وصحفيون أكثر من لاعبي كرة القدم وهذا شيء غير طبيعي ومبالغ فيه، فالأمية أغلبية، والحرية مقيدة.

والكتاب الذين لا يكتبون، ليسوا ظاهرة.. حالة موجودة ولكنها فردية، لقد عرفت واحدا من أشهر الكتّاب الساخرين في مصر والعالم العربي، وكنت من المعجبين به وبكتاباته وهو «أحمد الألفي عطية»، وحينما تعرف إليّ أخذ يتودد ويطرح إمكان أن «نتعاون معا»(!)، فعلمت أنه كسلان ويريد من يكتب له. ولما ترك «أخبار اليوم» حيث كان يكتب تعاقدت معه «دار الهلال» للكتابة لها وبمبلغ كبير جدا، فكتب.. وبعد ثمانية أسابيع اكتشف الكاتب الحقيقي ففصلوه.. فرفع قضية عليهم، بموجب العقد الموقع، فحكم القاضي لصالحه.. ثم رفعت قضية عليه من قبل الكاتب الحقيقي «فتحي الرملي».. وطبعا فتحي الرملي مغمور، في حين كان الألفي مشهورا جدا، تصور أنه كان يكتب إلى جانب مصطفى أمين وعلي أمين وكامل الشناوي ومأمون الشناوي في «أخبار اليوم» وهذا لأنه كان غنيا وله مزارع موز.. من هنا حتى أبوظبي!، ثم إنه كان من عائلة «الألفي».. مصطفى أمين كان يحب أمثال «صاحبنا»، يحب النجوم الفارغين بمعنى أن ذلك الكاتب الساخر كان يجد من يكتب له.. ويصنع مجده.. ألم تسمع بما حصل أخيرا؟ صاحب جريدة في ـدن نشرت ـسمه مقالة رائعة، فاتصل به أصدقاؤه ومعارفه ليثنوا عليه، وعلى آرائه «العظيمة»، فقال لهم: «لا تؤاخذوني فأنا حتى الآن لم أقرأها»(!).

وقد كان لي صديق رائع ومثقف في لبنان اسمه «هشام أبوظهر»، أصدر صحيفة لم تبع أكثر من ١٥٠ نسخة، وعندما توفي في «عز شبابه» استلم مكانه أخوه وليد الذي كان يعمل كندرجيا «جزمجيا»، تصور أصبح بليونيرا وأصدر عشر مجلات، وقد فاوضني أن أكتب عنده، فقلت له: يا وليد.. أنت الرجل الذي أثبت أن الصحفي أصله جزمجي.

خيبة يني !

*** محمد مساعد الصالح : على الرغم من روحك الساخرة، وطريقتك الحلوة في النظر إلى الحياة إلا أنني أرى أنك تتكلم والتشاؤم يغلف كلماتك.. بل و«النرفزة» أيضا، فهل هو الطوفان «أبا أكرم»؟ وكيف تحدد القضية الأساسية في وطننا العربي؟.**

ـ محمود السعدني : توجد قضية أولى وأخيرة في الحقيقة هي «خيبة يني» التي نحن فيها، وهي تقارب حكاية «عاد بخفي حنين».. وهذه الخيبة تندرج تحتها القضايا الأخرى.. نحن يا أخ محمد الرجل الذي فقد ظله.. ففي حياتنا اختلط الحابل بالنابل، لا نعرف أصدقاءنا ولا نعرف خصومنا، حتى رغباتنا لا نعرفها.. يضربوننا ونفرح لأنهم يضربوننا، وهذا هو الطوفان الذي تحدثت عنه.

أما القضية الأساسية في الوطن العربي فهي «الديمقراطية»، نحن في هذه الحالة المزرية نتيجة انعدام



□ محمد مساعد الصالح
والله من وراء القصد.

نحن أمة مهزومة، وهذه آثار الهزيمة.. نحن نطلب أشياء لا نستحقها، فالديمقراطية تحتاج بشرا يفرضونها ويحققونها ويدافعون عنها ويحافظون عليها.

نحن في حالة «استسلام» وليس في حالة «سلام»، فهناك نظرية ثابتة تقول: «لا تستطيع أن تذهب على مائدة المفاوضات أبعد مما ذهبت إليه مدافعك في ميدان القتال».

انقلبت الموازين

*** محمد مساعد الصالح : ولكننا لو نظرنا إلى الأمور من زاوية أخرى فقد نراها بصورة أكثر تفاؤلا، فلنأخذ وضع التعليم في مصر قبل خمسين عاما ونقارنه بعدد الجامعات الآن.. الجسور.. المطارات.. الفنادق.. حتى في الوطن العربي ككل، يبدو الوضع أفضل مما كان عليه. فالأمية «وهي موضوع حساس جدا» في تناقص، ألا ترى كل ذلك؟.**

ـ محمود السعدني : في الماضي كانت «الروح» موجودة.. الآن تلاشت!، وفي الماضي كنت تجد «نماذج».. الآن لا يوجد.. في الماضي كنت تجد «مثلا».. الآن لا يوجد.. كنت تجد أهدافا.. الآن لا.

المسألة أنه كان هناك «مشروع قومي» واليوم أجهض هذا المشروع.. ما قيمة التعليم، والمتعلمون يمسحون زجاج سيارات أو يشوون اللحم أو.. مدرس اللغة الإنجليزية في الماضي كان يصلح للتدريس في كمبردج.. ومدرس اللغة العربية كان مدرسا بحق.. أنا أعرف مدرس لغة عربية له خبرة طويلة، وأتحداه إن كان يعرف العربية، بينما في الماضي.. تصور أن كامل الشناوي الأديب والشاعر العظيم كان مصححا في جريدة الأيام لصاحبها د.طه حسين، اليوم.. يوجد في «أخبار اليوم» عشرون مصححا لغويا، وأنا أصحح مقالتي بنفسي. فلو قام واحد منهم بذلك لجعل «نهار أمي أزرق» من كثرة الأخطاء.

لقد عرفت ـ محمود كامل ـ الذي ترجم آرسين لوبين كله!! ولم يكن يحمل سوى شهادة «البكالوريا» فقط، لم أر أنشط أو أجمل من هذا الرجل.

كنت وزملائي عام ١٩٤٩ نتبارى لكي ننشر مقالة في «روز اليوسف» وكانت المقالة بخمسين قرشا، نعم.. محمود أمين العالم، أنيس منصور، محمد عودة، مصطفى محمود، صلاح حافظ، فتحي غانم، وعشرات من هذا المستوى.

الآن لا يريدون.. الشباب في مكاتبهم، يتصلون بعمرو دياب: ازيّك؟ وأمه تزغرد حين تعلم أن ابنها قد تشرّف بمهاتفة عمرو دياب!.

لقد ضاعت الموازين، ما لم نغيّر ذلك سوف «يروح في داهية».

السماء السوداء

*** محمد مساعد الصالح : دوما ومهما تقدم العمر بالأديب، ومهما تقدم في مراتب الأدب، يظل العمل الأول، الأقرب إلى الروح، ويظل له في النفس وقع خاص، ألا ترى ذلك؟ ما العمل الأول الذي أصدرته أباأكرم؟.**

ـ محمود السعدني : كتابي الأول ـ وأعتز به كثيرا ـ كان «السماء السوداء» وكنت خائفا من نشره، لكن صديقا لي شجعني، بل ودفعني إلى ذلك، وكان ترددي كبيرا فطباعته ستكلف «٣٢» جنيها!!، وبعد أن طبعناه وأحصينا «الثروة» وجدنا أنه باع سبع عشرة نسخة فقط.. هذا الكتاب طبع فيما بعد سبع طبعات..

■ عندما اتصلوا بصاحب الجريدة ليهنئوه على مقالته الرائعة وارائه العظيمة، زلق وقال لهم: لا تواخذوني فأنا لم أقرأها بعد(!).

■ القضية الأساسية في الوطن العربي هي الديمقراطية، نحن في هذه الحالة المزرية نتيجة انعدام الديمقراطية، وما نحن فيه هو «استسلام» وليس «سلاما».

في عـام ١٩٥٤ فكـرت روز اليـوسف التي كـانت تنشر لطه حسين والعقاد ومحمد عبدالحليم عبدالله وأمين يـوسف غـراب ويـوسف السباعي وإحسـان عبدالقـدوس أن تشجع المواهب الجديدة، فـاختارت شابين تنشر لهما.. وكانـا يوسف إدريس وأنا، فطبعت لإدريس «جمهورية فرحات»، ولي: «جنه رضوان».

وحـدد «يوسف السبـاعي» لنا مـوعدا لكي نقـابل «الست» ونتسلم «حقـوقنـا»! ولقد أوصـاني يـوسف إدريس ألا أقبل أقل ممـا يأخذ «أمين يـوسف غراب» و«محمد عبدالحليم عبدالله» مكافأة لي.

المهم دخل يـوسف السبـاعي بنـا إليها، وقـال لها: الشباب الجدد يشكرونك يا ست.. أدامك الله لهم..

فصرخت : «يخرب بيـوتهم».. أولاد الـ «...» هـذه الروايات لم تبع.. لقد خسرنا لأننا نشرنا لهم.

قال لها: طيّب.. ولكن لا بـد من بعض التشجيع.. فردّت عليه غاضبة: لا شيء.. ثم أردفت: اكتب لكل منهما أربعين جنيهـا.. ولا تـدعني أرى وجهيهما مـرة أخرى!.

لقـد عـرفت من الوطـن العربي أشخـاصـا كثيرين وأدباء كثيرين.. أحدهم «أديب نحـوي» وهو سوري وآخر منصب تولاه في بلده «وزارة العدل».

جاء أديب نحـوي في زيارة لمصر سنة ١٩٥٣ ونشر قصة في مجلـة «البوليس» التي كـان سعد الـدين وهبة سكرتيرا لتحريرها، وبعد نشرها رأيته حرينا وغاضبا، ولما سألته عن السبب أجـاب: لقد حـذفوا من قصتي خمسين سطرا، يجب أن أقـاضيهم، ماذا سيقـول القراء الذين سيشعرون بانقطاع القصة؟.

قلت لـه: بل هنـاك حل أفضـل، لن نقـاضيهم، سـنذهب إلى مقر المجلـة ونـروي لهم بقيـة الحكايـة، المجلـة لا تبيع سوى نسخـة واحـدة!!! ولقد عـرفت أيضـا شفيق كمال، وعدنـان الـراوي، عرفت جـورج جرداق وسليمان العيسى وحنا مينا.

الموهوب يحتاج حماية

*** محمد مساعد الصالح : قلت إن الأوضاع الجديدة تساعد على ظهور كتّاب ساخرين.. مَنْ من الكتاب السـاخرين في مصر تستطيع أن تقول إنه يميل إليك؟.**

ـ محمود السعـدني : عاصم حنفي.. لكن المشكلـة عـدم تقبل النصيحـة.. تفتح لهم الباب.. تسـاعـدهم على الصعـود.. تحميهم.. تـذلـل الصعـاب أمـامهم ـ والموهوب يحتاج كل هذه الأشياء مـن أحد ما ـ فلولا كـامل الشناوي كنت تـركت هـذه المهنة، لقـد حماني، وأعادني إلى العمـل بعد أن فصلني أنور السـادات من مجلة التحرير «كان أنور السادات رئيس مجلس الإدارة ونائبا للرئيس جمال عبدالناصر».

لـو كان مكـان كـامل الشنـاوي أحد «القتلـة» فلن يكترث بي ولن يهتم.. لقد بقيت مع هذا الرجل إلى أن طـردوني ومعـي ستــون صحفيــا، من بينهم: بيرم التـونسي، عبدالـرحمن الخميسي، ألفـريد فـرج ونعمان عاشـور.. كان ذلك عام ١٩٥٨ وكنت الوحيـد الذي عملت بعـد الفصل بأسبــوع واحـد، فقـد بعث بي «كـامل» إلى «إحسـان»، وعملت سكـرتيرا لتحـريـر «روز اليوسف». بعـد ثمانيه أشهر قبضـوا عليّ.. وهنا جاء دور كامل مرة أخرى «الحمايـة»! أنا مدين لكامل الشناوي بأشيـاء كثيرة منها: تهمة أني شيـوعي، وأنا لم أكن شيـوعيـا فعلا، لكن أصـدقـائي كانـوا كـذلك، معظم أبنـاء جيلي كـانـوا كـذلك، لكنني كنت مختلفـا عنهم، أنـا لا أنضـوي تحت لـواء أحـد، كنت أسخـر منهم، وكـانـوا يحتملـونني، ولكـن أجهـزة «...» في الوطن العربي أجهـزة غبية.. إما أن تكون مخبرا لهم أو فأنت ضد النظـام، وهو نفس غبـاء الشيوعيين.. أنت لست معنا! إذن أنت من المخـابرات المركـزية وعميل المباحث المصرية.

***

كان من المفـروض أن أشارك الأخ الأستـاذ محمود السعـدني أفكـاره وأطـروحـاتـه وآراءه، ولكن كثـرة تجاربـه والظـروف التي مـر بها والشقـاوة التي عـاش خلالها وكونه ينتمي إلى دولـة عربية ذات حضارة تمتد إلى سبعـة آلاف عام جعلتني أقـف موقف المتفـرج أو التلميذ من أستـاذه، لا أقول هذا مدحا أو تـزلفا للعم السعـدني، فهـو ليس لـديـه مـا يهمني ولا أحتـاج مـا عنده.. كما لا أقول هذا تـواضعا بل الحقيقة التي يجب أن تقال فـالأستاذ محمود السعدني واحـد من الكتاب القلائل الـذين استطاعـوا أن يعالجوا أمـور ومشاكل حياتنا العربية بمظاهرها المختلفة. □



جاليليو القرن العشرين يطلق العقل:

الحياة بعد الموت

بقلم: شوقي رافع

الحياة بعد الموت، كانت ـ وربما ما زالت ـ من مسلمات الإيمان لدى كثير من الشعوب، ولكن العلم الحديث ـ وخاصة علوم الفيزياء ومدارس التحليل النفسي ـ يحاول عبر «التجربة»، واعتمادا على العقل، البرهنة على أن الموت هو بداية لحياة أخرى، وأن لا تناقض بين العلم والإيمان.

الجريمة وقعت قبل ٩ سنوات، في إحدى قرى جبل لبنان، ودخلت ملفات الشرطة باعتبارها جريمة عاطفية ارتكبها «مجنون»، هنا بعض تفاصيلها مع تغيير الأسماء لأن أبطالها ما زالوا أحياء.

«خالد.م» يملك شاحنة للنقل، في شتاء عام ١٩٦٢، تدهورت الشاحنة، وقطعت جثة خالد نصفين، كانت ابنته سارة عندما قتل في الثانية من عمرها، بينما كانت زوجته غالية في الثانية والعشرين. بعد ٦ سنوات تزوجت غالية ثانية، ولكنها لم تنجب أطفالا، وبعد ١٢ عاما دخل فتى بصحبة والديه إلى منزل المرحوم خالد، وقال: «أنا خالد، وقد نطقت».

كانت الأسرة من الموحدين الدروز، وكانت تؤمن بما يسمى بالنقلة والخلقة، أو «التقمص»، ولذلك



استقبلت الفتى بالحب والترحاب، وقال إن اسمه الحالي هو «وهيب»، وبدأ يذكر تفاصيل حياته الماضية، وطلب من غالية أن تذهب إلى «القبو» وأن تبحث عن عشر ليرات ذهبية أخفاها تحت بلاطة في الزاوية اليمنى من القبو، وهلل الجميع عندما رفعت غالية البلاطة لتجد القطع الذهبية تماما كما وضعها خالد في «الجيل الماضي».

ومنذ تلك اللحظة باتت سارة تناديه: يا أبي، مع أنه يصغرها بسنتين. وعلى مدى ١١ عاما توالت زيارات «وهيب» لأسرته «القديمة».. إلى أن قرر زوج غالية أن يبيع قطعة أرض كانت تملكها زوجته، وكان الزوج شيخا طاعنا في السن، احتجت الزوجة، بينما صرخ وهيب: ولكن هذه الأرض هي من حق ابنتي سارة ولا يمكن أن تبيعها(!).. وأصر الزوج، وفي صباح يوم البيع، فاجأه وهيب بثلاث طلقات من مسدسه، أمام زوجته، ثم أطلق رصاصة أخرى على رأسه.. وسقط منتحرا، واحتفظت الزوجة مع ابنته بالأرض التي دفع خالد ثمنها مرتين..

من الفراعنة إلى الهاراكيري

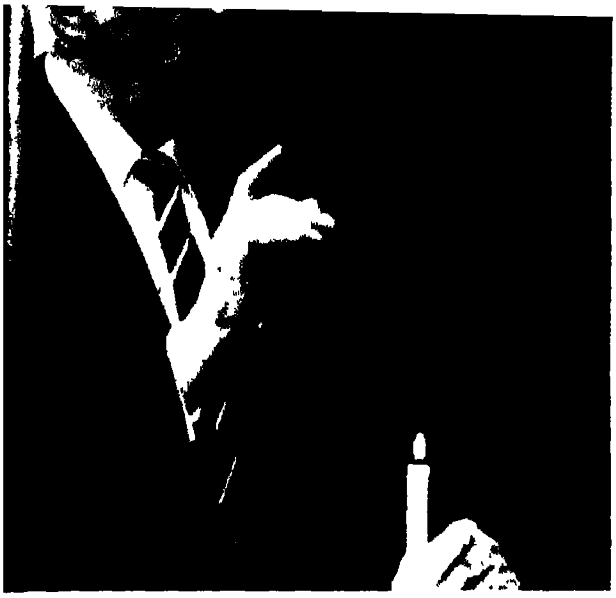
والتقمص هو من المعتقدات الموغلة في القدم، وعرفته الحضارات الفرعونية والهندية والصينية، وورد ذكره في كتاب الموتى عند الفراعنة، كما عند أهل «التبت»، وهو يقوم على تشبيه الجسد بالقميص، فالإنسان يستبدل قميصه القديم عند الموت بقميص جديد عند الولادة، وبالتالي يصبح الموت هو محطة عبور إلى حياة جديدة، وقد استثمرت العسكرية اليابانية هذا المعتقد خلال

الحرب العالمية الثانية، عندما ابتكرت موجات الهجوم الانتحارية «الهاراكيري» فقد كان الطيار الياباني يندفع بطائرته إلى القطع الحربية البحرية الأمريكية فيصطدم بها ويغرقها. وتقول أغنية يابانية في هذا الصدد «نموت في النهر لكننا نولد على الضفة، ونموت في البحر ولكننا نعود إلى الشاطيء»، كما أن طائفة الدروز الموجدين التي تنتشر في لبنان وسوريا وفلسطين استلهمت هذا الإيمان خلال الثورة السورية على الفرنسيين، في العشرينيات من هذا القرن، وأبدى رجالها لا مبالاة مدهشة تجاه الموت، باعتبارهم سيولدون ثانية بقمصان جديدة(!).

أما في الغرب الأوربي والأمريكي، فقد فاجأ معهد غالوب في خريف عام ١٩٩٠ العالم باستبيان تبين فيه أن ما يزيد على نصف عدد سكان أوربا، وأكثر من النصف في أمريكا يؤمنون بأن هناك نوعا من الحياة الأخرى بعد الموت، ويعلق الدكتور جورج غالوب، مدير المؤسسة ومقرها في برنستون - كاليفورنيا على هذا بالقول: «إنها ظاهرة لم نقم حتى الآن بدراستها بشكل جاد، وإذا كان هذا القرن قد تميز بالاكتشافات في حقل الفضاء الخارجي، فإن القرن المقبل سوف يشهد بالتأكيد اكتشافات تتجه نحو الفضاء الداخلي للإنسان»، ويستنتج المؤلف البريطاني «جيفري ايفرسون» أن هناك حياة بعد الموت استنادا إلى حقائق العلم والعقل وليس إلى مسلمات العقيدة والإيمان.

بحثا عن الموتى

«بحثا عن الموتى» هو العنوان الذي اختارته شبكة «بي.بي.سي» البريطانية لحلقات تلفزيونية قامت ببثها في عام ١٩٩٠، وأحدثت دويا هائلا لدى المشاهدين، كشفت خلالها وعبر عشرات التجارب الميدانية والمقابلات العلمية، عن تحالف بين علماء الفيزياء وأطباء علم النفس الحديث هدفه اختراق جدار العلوم والفلسفة التقليدية التي أرسى أسسها نيوتن وديكارت وآخرون والبرهنة علميا على أن ما يسمى العالم المادي هو في الواقع «طاقة»، وأن هذه الطاقة لا حدود لحركتها وأبعادها وأنها يمكن أن تتواجد في مكانين مختلفين في وقت واحد، وبالتالي



□ جوردون هيرنسون رئيس جمعية الأرواح البريطانية في إحدى جلسات تحضير الارواح.



□ يد الروح وقد انطبعت في وعاء من الشمع!

فإن «العقل» لا يموت بعد موت «الدماغ» وأن هناك حياة أخرى بعد الموت الفيزيائي، وأن مهمة العلماء في العصر الراهن وفي الزمن المقبل هي التركيز على ما يسمى «علم العقل» لاكتشاف تلك الغياهب المجهولة والتي لا يمكن تفسيرها في حياة الإنسان وموته.

وقد تحول المسلسل التلفزيوني إلى كتاب صدر عام ١٩٩٢، كتبه جيفري إيفرسون، وتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعا عند صدوره، وجاء في مقدمته على لسان عالم النفس البريطاني الدكتور بيتر فينويك «إن العلم القديم لا يقوم بأكثر من تعريف مكونات الدماغ وكيفية عمله، وهذا العلم يوضح نصف



□ ولد في الجيل الثاني بأصابع مبتورة

الحقيقة فقط عن طبيعتنا، وما نحتاج إليه اليوم هو علم العقل لنعرف الحقيقة كلها».

التخاطر في خدمة .. الشرطة

هل يملك العقل فعلا قدرات تمكن صاحبه من رؤية أشياء تحدث على مسافة مئات الأميال من مكان وجود صاحبه، وهل يحدث أحيانا أن يرى الإسان أماكن وأن يمر بتجارب يشعر أنه شاهدها أو عرفها من قبل؟

التجارب العلمية الميدانية، كما يقول المؤلف، تثبت هذه الحقيقة، ومن هذه التجارب واحدة قام بها الدكتور كيث هاري، مدير مركز الأبحاث النفسية المتقدمة ومركزه سان فرانسيسكو، فقد أحضر فتاة من ويلز في بريطانيا إلى نيويورك، وأقفل عينيها بكرات بلاستيكية، وطلب منها التركيز على هدف، وهو مكان اختاره دون أن يبوح به، وطلب منها أن تعرّف هذا المكان بطريقتين: الكتابة والرسم، وقامت الفتاة بالمهمة، وتبين أن المكان هو حديقة صغيرة في نيويورك، يتوسطها تمثال لرجل بجناحين وقد نجحت الفتاة في رسمه(!) مع أنها لم تكن قد شاهدت نيويورك من قبل(!).

الدكتور هاري يسمي هذه القدرة على التقاط «عقل» الآخر بعلم التخاطر، وقد تم استخدام هذا العلم في مساعدة الشرطة في أكثر من مناسبة على كشف جرائم كان فاعلها مجهولا، أما أبرز المفارقات

الحجرة التي كان يوجد فيها، لم أجده، ثم وجدته في الحجرة الثانية، قالوا إنهم غيّروا مكانه.. ويعلق الدكتور ستيفنسون «إن أهمية هذه الحالة هو أنها يمكن أن تكون شهادة دامغة على انتقال العاهة من جيل إلى جيل، إن من الشائع أن يولد أطفال من دون أصابع في اليدين، وليس في يد واحدة، ومثل هذه الحالة يمكن أن تحدث مرة واحدة من أصل نصف مليون ولادة».

ومن البوذيين والهندوس في آسيا، ينتقل الدكتور ستيفنسون إلى الهنود الحمر في القارة الأمريكية، فيروي شهادة الهندية العجوز إيما ميتشيل التي تقول إن ابن أخيها جيمي كان يلعب قبل سنوات خارج المنزل، عندما بدأت أجراس الكنيسة تقرع حدادا على وفاة أحد الأشخاص، فسأل. لمن تقرع الأجراس؟ فقلت له: حدادا على «دونالد جي» الذي مات اليوم، فقال: هذا هو الشخص الذي استأجر أشخاصا قاموا بضربي ثم بإلقائي في النهر حيث متّ غريقا..» وكان جيمي بذلك يسترجع قصة أحد أفراد العائلة الذي عثرت على جثة مشوهة في النهر الذي يحيط بالقرية، ويتم الاعتراف بالطفل باعتباره «تقمص»، ولكن الشهادة لا تنتهي هنا، إذ إن جيمي يكبر ولكنه يلقى حتفه مجددا غريقا في النهر نفسه(!). ويولد من جديد، ليكون هذه المرة حفيدا للجدة إيما. ويسترجع مرة واحدة حياته في جيلين ماضيين.. ويخشى حتى الموت الاقتراب من النهر(!).

وأخيرا..

كان الفيلسوف وعالم الرياضيات اليوناني فيثاغورث يروي لتلاميذه ذكرياته عن الحياة في «الجيل الماضي» فيزعم أنه كان المحارب «ايغوريوس» الذي قتل في حصار طروادة.. ولم يكن فيثاغورث يشعر بالتناقض بين حقائق العلم ومسلمات الإيمان، وإذا كانت عصور الجهل والظلام قد دفعت بالعالم جاليلو إلى إلغاء «العقل» فإن جيلا جديدا من العلماء يستعيد وحدة الوجود، مستعينا بهذا العقل العظيم الذي لا حدود لقدراته. □

دفن الأعضاء المقطوعة مع أصحابها

يشير الدكتور الأمريكي دوغلاس برايس من جامعة جورج تاون في دراسة عن «معجزة استعادة الأعضاء في تراث الشعوب»، إلى حادثة وقعت في مدينة «أضوا» في الحبشة عام ١٨٣٩، وقام طبيب اسمه انطوان باتيت بتسجيلها، وملخصها أن مجلس الحرب أصدر حكما على ٣ من أسرى الحروب بقطع يد وساق كل منهم وبعد أن تم تنفيذ الحكم، وضعت الأيدي والسيقان المقطوعة في طبق، وطبخت على النار، وبعد أن جف اللحم تماما منها، تم حفظها في قدر من الشحم، ليتم دفنها بعد ذلك مع أصحابها عند وفاتهم، وبذلك يعودون في «الحياة الأخرى» مكتملي الأعضاء(!).

بعثة بريطانية اكتشفت آثار موقع مأهول هو الأقدم في الإمارات

أعلنت بعثة أثرية بريطانية أنها عثرت في إحدى جزر الإمارات العربية المتحدة على آثار موقع مأهول يعود إلى سبعة آلاف عام على الأقل. وقالت البعثة في بيان صدر لها في نهاية شهر فبراير الماضي «إن الفريق تعرف في جزيرة دلما على آثار أقدم موقع مأهول يتم اكتشافه حتى تاريخنا الحاضر في الإمارات».

وأضاف البيان أن البعثة الأثرية عثرت أيضا على آثار مدينة إسلامية في جزيرة أخرى هي جزيرة «بني ياس». وكان أعضاء البعثة البريطانية بدأوا أعمالهم في العام ١٩٩٢ بطلب من رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وتقع جزيرتا دلما وبني ياس على بعد حوالي مائتي كيلومتر قبالة شواطىء أبوظبي.

أوراق أدبية



سحر المعلقة

بقلم: الدكتور جابر عصفور

كان الاقدمون ينظرون دائما إلى المعلقة بوصفها النموذج الأعلى الذي وصل إليه الشعر الجاهلي والذي ظل الشعر العربي يتطلع إليه في مسيرته عبر القرون.. فما هو السحر الكامن في المعلقة الجاهلية؟

كلنا يعرف «المعلقة» الجاهلية، وكثيرون منا قرأوا ما كُتب عنها، لا أقصد إلى الشروح اللغوية لابن الأنباري أو ابن النحاس أو الزوزني أو التبريزي أو غيرهم من القدماء، ولا إلى ما قدمه المحدثون من اجتهادات في التأصيل التاريخي لها، على نحو ما فعل ناصر الدين الأسد وأحمد الحوفي، وبدوي طبانة وعبدالسلام هارون ونجيب البهبيتي وغيرهم، بل أقصد إلى حضور المعلقة نفسها، في سياقها الجاهلي الذي تم اختيارها داخل علاقاته، وفي تجليات الإعلاء الدائم من شأنها، بوصفها النموذج الأعلى الذي وصل إليه الشعر في العصر الجاهلي.

قد يرتفع عدد المعلقات إلى تسع أو عشر، عند بعض القدماء من شراح المعلقات، لكن العدد سبعة يظل قرين النموذج الأصلي للشاعر، والصورة القديمة للمعلقات تلك الصورة التي تومىء «بالعدد سبعة» إلى الأبعاد الاعتقادية الأسطورية التي تولد منها النموذج الأصلي للشاعر عند العرب. ولم يكن من قبيل المصادفة، في سياق تولد هذا النموذج، أن يعدو عدد المعلقات سبعا عند الكثير من الرواة، كعدد السموات والأرضين ومرات الطواف حول الكعبة، والأيام التي تجمع في أسابيع، واكتمال فرحة التعريس بالدخول على العروس البكر، والرقم نفسه يذكر بالمشاهد الأولى للاحتفاء بالشعر الاستثنائي الذي جاور المألوف في إبداعه وتأثيره، ومن هذه المشاهد المشهد الذي يرويه التبريزي «ت ٥٠٢هـ» واصفا ما حدث عندما أنشد الحارث بن حلزة قصيدته المعلقة التي مطلعها:

آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

في حضرة الملك عمرو بن المنذر «حكم ما بين ٥٥٤ ـ ٥٦٩م»، وكان الملك جارا عظيم السلطان، يقال

مسرح احجاره لشدته، وكان الحارث ينشده من وراء سبعة ستور، لأنه كان أسلع، أي أبرص، والملك لا يطيق النظر إلى أحد به سوء، وكان الملك يستمع إلى إنشاد الحارث من وراء الستور السبعة، وإلى جواره أمه هند التي كان يجلها ويعنو لها، فقالت له أثناء الاستماع إلى الشاعر المحتجب: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور، فقال الملك: ارفعوا سترا، ودنا الحارث بقدر الستر، فما زالت هند تقول، ويأمر النعمان برفع ستر، ويقترب الحارث حتى صار مع الملك على مجلسه، وبعد أن انتهى الحارث من إنشاده أطعمه عمرو في جفنته، وأمر ألا ينضح أثره بالماء، وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بني بكر، ودفع النواصي إلى الحارث، وأمره ألا ينشد قصيدته إلا متوضئا، فلم تزل النواصي في بني يشكر بعد الحارث.

الشعراء ومقام الأنبياء

هذا المشهد الذي يرويه التبريزي يعيدنا إلى السياقات التي ارتبط بها النموذج الأصلي للشاعر، وتولد عنها في الوقت نفسه، وهي السياقات التي جعلت الشعراء في الجاهلية يقومون من العرب مقام الأنبياء في غيرهم من الأمم.

وتلك مكانة خلعت على الشاعر صفات الكاهن والعراف والحكيم والمعلم والمؤرخ والداعية، رجل الدنيا والدين الذي ينتسب إلى قوم أناجيلهم في صدورهم، ينطق بالقول الفصل والمعرفة الهادية، وترجع إليه القبيلة في كل شأن من شئونها، ويتقي الناس جميعا غضبته، فقدرة لسانه على إيقاع الأذى لا تقل عن قدرة السلاح على الإيلام، وجرح اللسان كجرح اليد، فيما قالوا، ولم يفارق الإيمان بهذه القدرة التسليم بأن الشعر ضرب من السحر في المعتقدات الجاهلية، ولذلك كان الهجاء ممارسة شعائرية بالكلمات هدفها إيقاع الأذى بالخصم وتعطيل قواه، وكان الشاعر إذا تهيأ لإطلاق هجائه، يلبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن، وينشد شعره الذي كان شكلا من أشكال السحر الرمزي الذي يصور ما يهواه الشاعر أو يرغب فيه، فتتحقق الرغبة في العالم الخارجي من منطلق الاعتقاد بقدرة الكلمات على استدعاء المرغوب وتجنب المرهوب، وإذا كان الرثاء قد انسرب إليه الاعتقاد بالسحر، فيما يقول بروكلمان نقلا عن جولدزيهر وأقرانه، فقد كان الغزل يومىء إلى شعائر اقترنت بمعتقدات الخصوبة التي يشير إليها معبد «دوار» المخصص للعذارى، وهو المعبد الذي تشير إليه قصيدة امرىء القيس التي كانت أولى القصائد التي علقتها العرب على الكعبة، فيما قال الرواة.

والمسافة بين السحر والدين جد قريبة في المعتقدات البدائية التي تدني بالطرفين إلى حال من الاتحاد الذي يصل بدوره بين الأبعاد الاعتقادية والأبعاد الاجتماعية، في القيمة التي عدت بها قصيدة الحارث بن حلزة سابعة المعلقات التي وضعت على جدران الكعبة، فيما روى الذين تحدثوا عن هذه المعلقة من الرواة القدماء، وتكرار نسبة الرقم سبعة في ترتيب التعليق على الكعبة إلى أكثر من قصيدة لأكثر من شاعر، وحالة عنترة شاهد على ذلك، إنما هو تأكيد لأهمية الرقم سبعة، من حيث دلالته في المعتقدات الشعبية التي كان للمعلقات سحرها الجاذب فيها.

ولم يكن من قبيل المصادفة والأمر كذلك، أن شعراء المعلقات لم يكونوا من الشذاذ الخارجين على قبائلهم، أو الصعاليك الذين خلعتهم قبائلهم وأسقطت عنهم حمايتها، أو المهمشين الذين يعيشون خلف أدبار البيوت، وإنما كانوا من أبناء الصفوة الذين هم سادة قومهم، ومصدر فخرهم، وديوان مجدهم، وذلك بما يبدعونه من شعر يعبر عن الوجدان الجمعي للقبيلة ويصوغ الحكمة التي تهتدي بها هذه القبيلة في الوقت نفسه، ولا فارق هنا بين امرىء القيس الكندي ابن الملك الذي كان أول من علق شعره على الكعبة وطرفة بن العبد البكري سيد فتيان قومه وهو ثاني من علق شعره، وتلك مكانة اجتماعية لم ينحدر عنها زهير المزني ولبيد العامري وبقية أسماء الشعراء التي يعددها الرواة الذين نقل عنهم البغدادي في كتابه «خزانة الأدب».

لقد كان النموذج البطريركي لأمثال هؤلاء الشعراء ينطوي على الوجهين الدنيوي والديني في المجتمع الجاهلي، ولم تكن معلقة الحارث بعيدة عن الجانب الدنيوي بل كانت متولدة عنه على نحو مباشر، إذ تحدثنا المرويات أن السبب المباشر للقصيدة يرجع إلى النزاع الذي اشتجر بين بني تغلب وبني بكر، وأن هذا النزاع وصل إلى عمرو بن هند، فأصلح


حلمي التوني

بينهم وأخذ من الحيين رهنا من كل حي مائة غلام، ليكف بعضهم عن بعض، وكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون مع الملك، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم، فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر بن وائل: أعطونا ديات أبنائنا فإن ذلك لازم لكم، فأبت بكر، واشتجر الخلاف مرة أخرى، ووصل إلى عمرو بن هند الذي كان يؤثر بني تغلب، وتنازع عنده سادة الحيين، وتطاول عمرو بن كلثوم التغلبي، فنهض الحارث بن حلزة وارتجل قصيدة في حضرة الملك عمرو بن هند من وراء الستور السبعة، وقد كان الحارث أبرص، وكان عمرو بن هند شريرا لا ينظر الي أحد به سوء، ومضى الحارث في إنشاده إلى أن وقع ما قصته علينا الرواية التي رواها التبريزي والتي انتهت بأن تحول موقف الملك الذي حكم أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث لرهائن تغلب، وانقلب على بني تغلب، وفي المقابل رفع مكانة الحارث اليشكري بين عامة البكريين، وجز نواصي السبعين الذين كانوا في يديه من بني بكر، ودفع النواصي إلى الحارث تكرمة له وتمييزا، ولكن المعلقة التي تولدت على نحو دنيوي مباشرة، وعرضت بني تغلب وعيرتهم بما جمعته من أيام العرب، انطوت على المعتقدات الشائعة في الجاهلية وصدرت عنها في الوقت نفسه، وحقق فعل ارتجالها النموذج الأصلي للشاعر في مجلاه الأسطوري على



نحو ما تمثلته المعتقدات الجاهلية وصاغته، ومن هذا المنظور يمكن أن تلفتنا دلالات متعددة في قصة ارتجال الحارث معلقته، وأولى هذه الدلالات دلالة الرقم سبعة وإلحاحه. إن المعلقة هي «السابعة» في الترتيب بين المعلقات، فيما يذكر صاحب «خزانة الأدب» مرتين على الأقل، والمعلقات بدورها، يشيع بين العديد من الرواة أن عددها «سبعة». وقد بدأ الحارث في إلقاء قصيدته المعلقة وارتجالها، وهو محتجب وراء ستور «سبعة»، ويومىء الرقم سبعة في إلحاحه على هذا السياق، إلى نهاية حدث استثنائي، غير معتاد تكتمل به دورة التعاقب وتنقلب به دورة الأحوال والحظوظ، إن ما نقله الرواة عن ترتيب معلقة الحارث، بين مثيلاتها، يختم دورة من دورات التعاقب التي لها نظائرها في تعاقب الليل والنهار، وتتابع السموات والأرضين في دورة خلق الطبيعة، والوجه الآخر لهذه الدورة السباعية هو دورة الستور السبعة التي اختفت مع فعل الإنشاد، واحدا واحدا، بفعل وقع الشعر على السامعين، وعلى رأسهم الملك عمرو بن هند الذي سحرته المعلقة، فانقلب حاله من الميل إلى التغلبيين إلى الميل عنهم، وأذعن إلى الشاعر الإذعان الذي حمله على أن يرقى به إلى ذروة التكريم.

والأمر الذي أصدره الملك النعمان إلى الحارث بن حلزة بألا يشد قصيدته إلا متوضئا فضلا عما أمر به من ألا ينضح أثر الحارث بالماء إنما هما أمران لا يمكن فهمهما بعيدا عن سياق الدلالات الاعتقادية التي انطوى عليها النموذج الأصلي للشاعر عند العرب في الجاهلية، وهي الدلالات التي قرنت إنشاد القصيدة بقدرات خارقة، مجاوزة لقدرات البشر العاديين، تخلب بسحرها ألباب من يستمعون إليها، فتتبدل أحوالهم وتتغير في ناظريهم الهيئات والأشكال، وما فعله الإنشاد بعمرو بن هند هو ذلك الضرب من السحر الذي أزاح ما كان يحجب بينه والشاعر من ستور سبع مرات، وأدنى بالشاعر إلى حال من القرب لم تكن له من قبل، ووصل المنقطع بين الحاكم والمحكوم، ورفع الشاعر إلى مرتبة مضافة إلى مرتبة الملوك الدنيوية، هي مرتبة القداسة الدينية التي دفعت الملك إلى أن يأمر الشاعر بعدم إنشاد القصيدة إلا متوضئا، كما لو كان فعل الإنشاد شعيرة من الشعائر المقدسة، التي لا يمكن ممارستها إلا على طهارة، وإذا كانت الطهارة تنفي قذى العادة وأدران الجسد، وتضع فاعل الوضوء على أولى

درجات النقاء المادي والروحي، فإن فعل الإنشاد في قصيدة الحارث أزاح خبث مرضه الجسدي الشائه عن عيني الملك، ونقله من حال إلى حال، ودفعه إلى أن يطعم الحارث «الأبرص» من جفنته، ويأمر ألا ينضح أثره بالماء وذلك لأن موضع الأكل قد اكتسب القداسة من الآكل، وانتقلت البركة من الشاعر المنشد إلى كل ما لمسته يداه أو لامس جسده.

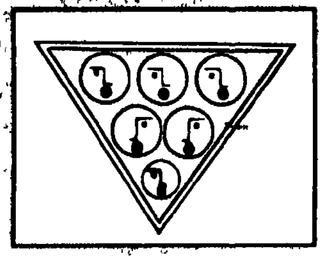
الكائن المبارك

ومن الممكن أن نمضي في تحليل رمزية هذه القصة من خلال معطيات المشهد الذي ترسمه، فنقول إن فعل رفع الستور السبعة، واحدا واحدا، هو الفعل المادي المقابل للفعل الروحي للقصيدة والمترتب عليها، وإذا كانت الستور السبعة لأيام الأسبوع في أن نهايتها هي بدايتها، فإن حضورها ينطوي على المقارنة التي يومىء إلى دلالتي الإظهار والإخفاء في آن، الإخفاء في حالة الستر، والإظهار في حالة الإزاحة، وتلك دلالة موازية لمفارقة سحر القصيدة التي تظهر قدرات الشاعر المجاوزة لقدرة أقرانه من البشر، والتي تحجب الجانب البشري العادي من الشاعر في المقابل، وتخفي كل ما يقترب بهذا الجانب من نقص أو خلل أو مرض، وتبرز نقيضه الغائب بما يلزم عنه من قدرة وكمال وقداسة. هكذا تحولت صورة الشاعر المنشد في حضرة الملك عمرو بن هند مع كل ستار يرفع، وانتقل الشاعر من هيئة الكائن الأبرص المتقزز منه، المكروه المنظر، المحجوب، إلى هيئة الكائن المبارك، المكشوف عنه الحجاب الذي يقترن ظهوره الجديد بالشعائر التي تقتضي الوضوء.

وأحسب أن الارتفاع التدريجي للستور السبعة، واحدا واحدا، يمكن أن يومىء إلى تدرج صاعد في مراتب أحوال الكشف الذي تتحلى به المعرفة الشعرية تدريجيا، في لحظات الإنشاد، إلى أن تصل إلى ذروة اكتمالها وإشراقها، وذلك تدرج يلزم عنه هبوط الملك من ملكه المادي ليغدو عاريا من جبروته الدنيوي، ومن ثم يغدو مؤهلا لملامسة الشاعر على المستوى الروحي، ويلزم عن هذا التدرج بالقدر نفسه مجاوزة الشاعر مكانته الدنيوية، ليغدو قادرا على إيقاع سحره الرمزي بإنشاد الشعر، وبين الطرفين المتقابلين اللذين يفعل فيهما السحر الرمزي للإنشاد فعله التخييلي، ويناقلهما من حال إلى حال، تقف هند أم عمرو زوج المنذر بن ماء السماء، أنموذج الأم الراعية التي تتحمل الابن، فتلقنه تعاليم السلوك الذي يرقى به إلى مستوى سحر الإنشاد الشعري، فيلامس حضوره الرمزي، وينال البركة التي ينطوي عليها هذا الحضور.

ولكي يتأكد معنى قبول هذه البركة، فإن الروايات القديمة تتحدث عن ارتجال الحارث بن حلزة معلقته، وهو ابن خمسة وثلاثين ومائة عام بين يدي عمرو بن هند وينطوي هذا الرقم العمري على دلالتين متداخلتين فيومىء إلى معجزة الارتجال التي تأتي في هذا العمر المتقدم، كأنها فيض عات من قوة غير بشرية، وذلك في سياق لا بد أن نسترجع فيه ما كان يقال من أن لكل شاعر رئيا يعينه أو تابعا يرسل القول على لسانه، وكان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد، ويقول: لو قالها في حول لم يلم. ومن ناحية ثانية، يومىء الرقم إلى المبالغة في اكتهال الحارث بن حلزة، وبلوغه السن التي تجعل منه أكهل كاهل يعتمد عليه قومه في الملمات والمهمات، وتلك دلالة الحكمة التي قرنها العرب بالشيخوخة التي هي ديوان التجارب ومصدر الخبرات، فشيخ القوم أسهم، ومشايخ القوم أقطابهم، كأنهم أشياخ النجوم، وهي الأسناخ والأصول التي عليها مدار الكواكب وسرها، وتضيف الروايات إلى دلالة العمر علامات أخرى لافتة، منها ما يتصل باسم الحارث بن حلزة نفسه، وقد نقل عن الصاغاني أن معنى الحلزة «بكسر الحاء وتشديد اللام» هو السومة التي جعلتها شعوب متعددة رمزا للحكمة، ومنها أن الحارث ارتجل قصيدته وهو متكىء على قوسه التي اخترقت كفه دون أن يشعر، أثناء الإنشاد، وقيل إنه كان يرتكز إلى عصا في قدر نصف الرمح تتكىء عليها، فثبتت في جسده مثل رز السكين في الحائط وهو لا يشعر وتلك دلالة ثانية مضافة من دلالات غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، خصوصا إذا استولى على القلب سلطان عاطفة أو انفعال يفقده الوعي المألوف، ويدخله في حال من الجذب الشعري الذي لم يخل منه معنى الارتجال في هذه المعلقة، والذي أدخل صاحبها فيما تحدث به الصوفية عن «الحال» الذي يغدو به المرء حاضرا بالحق، غائبا عن نفسه وعن الخلق.□

منتدى العربي



قضية

هل يمكن أن تفكر بدون لغة؟

يقلم: الدكتور الطيب بو عزة*

في بداية الدراسات اللسانية المعاصرة تركز الاهتمام على تحليل ظاهرة اللغة داخليا من خلال الكشف عن علاقاتها وبناها الصوتية والنحوية... ونسقها التركيبي... وابتعد التفكير اللغوي وقتئذ عن طرح التساؤلات الخاصة بعلاقة اللغة بالمعرفة

إن العودة السريعة لهذا الموضوع تؤكد أن علاقة اللغة بالفكر علاقة وطيدة، ذات أهمية في فهم ليس فقط طبيعة ظاهرة التفكير، بل أيضا فهم طبيعة ظاهرة اللغة نفسها، لذا لم يكن ممكناً إغفال هذه القضية طويلاً، فانبعثت كموضوع يستفز التفكير والنظر حتى من داخل علم اللسانيات، وذلك جلي في تآليف تشومسكي وجوليا كريستيفا وبلومفليد... وغيرهم.

واستعادة لهذا النقاش الحي نتساءل هذا السؤال الإشكالي الذي عنونا به هذه السطور: هل يمكن أن تفكر بدون لغة؟ سؤال سنحاول معه إجراء مقارنة بين أجوبة التصورات اللغوية القديمة والمعاصرة، قصد الإسهام في إضاءة القضية وتجليتها.

لقد كان التصور الفلسفي القديم يعتبر اللغة مجرد وعاء لفظي يأتي المحمول الفكري ليستبطنه ويحل فيه. فالأفكار حسب التقليد الفلسفي الأفلاطوني، ماهيات وجواهر، وما اللغة إلا أغلفة وقنوات لفظية تستخدم للقبض على الفكرة والتعبير عنها! وجرى تناقل هذا التصور الأفلاطوني معطياً نوعاً من الاستقلالية للتفكير عن التعبير، وللفكرة عن اللفظ... بل تشكل حس لغوي يعطي نوعا من الأسبقية في الوجود للتفكير، حس تعززه تجارب التعبير اليومية نفسها، ألا نقول عادة: «لا أجد الألفاظ للتعبير عن آرائي» أو «لا تسعفني اللغة في نقل مشاعري وأفكاري».

من هنا تشكل ذلك الوعي اللغوي الذي يعتبر اللغة مجرد أداة ووسيلة، يستخدمها التفكير في مختلف عملياته لنقل مقصوده ومعناه. وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني».

وهكذا نلاحظ أن هذا التصور اللغوي الذي يفصل بين فعل التعبير وفعل التفكير، يصفه ابن خلدون أنه من «المتعارف» أي من المتواضع عليه والمتفق على القول به، وفي ذلك دلالة على شيوع هذا التصور وتداوله قديما.

* أستاذ فلسفة من المغرب

لذا تصبح الإجابة عن السؤال: هل يمكن التفكير بدون لغة؟ إجابة بنعم. هذا رغم أن التفكير اللغوي القديم لم يكن بحكم طبيعة انشغالاته المعرفية الموجهة نحو قضايا اللغة النحوية والبلاغية... بقادر على طرح مثل هذا السؤال الذي ينتمي إلى فضاء التفكير المعاصر الحابل بهواجس التجديد والتساؤل، رغم وجود بعض اللمعات الفكرية والفلسفية التي أدركت الصلة بين اللغة والفكر من خلال أبحاثها وجدالاتها المنطقية، مثل محاورة المفكر الإسلامي أبي سعيد السيرافي والمنطقي متّى التي قدمها أبو حيان التوحيدي في كتابه الممتع «الإمتاع والمؤانسة» حيث خلص السيرافي إلى رفض منطق اليونان بحجة ارتباطه باللغة اليونانية! ومن ثم سيكون استنساخه في الفضاء الثقافي العربي استنساخا خاطئا غير مسوغ:

يقول السيرافي مناظرا متّى: «... ولكن إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف. أفليس قد لَزِمَت الحاجة إلى معرفة اللغة؟».

فأجاب متّى: «نعم!».

قال السيرافي: «أخطأت. قل في هذا الموضع: بلى!

قال متى: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.

فقال السيرافي: أنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية...».

لكن هذا الوعي اللغوي المبكر بارتباط اللغة (نظام التعبير) بالمنطق (نظام التفكير) لم يجاوز حدود القول بالعلاقة بينهما إلى الوعي بكون اللغة إنتاجا للفكر، كما ستذهب إليه الاتجاهات اللسانية المعاصرة. وهذا ليس مستغربا، إذ لكل زمن ثقافي أسئلته المعرفية الخاصة به، والتي تشد إليها انشغالات العقول والأذهان.

اللغة والفكر في الثقافة المعاصرة

سيؤدي التساؤل حول وظيفة اللغة من حيث علاقتها بالوعي والفكر إلى تبديل التصورات القديمة، وإرساء تصورات بديلة جديدة! ذلك لأن أهمية اللغة تأتي من كونها تنظيما للواقع بمختلف تجلياته ومعطياته. وتصنيفا لظواهره وتقطيعا



لوحداته، واستدخالها في رموز (أسماء، أفعال، علاقات (حروف)، فيصبح ذلك الواقع منقولا إلى وحدات رمزية مجردة تسهل عملية التواصل، وتجعل عملية التفكير ممكنة. فأفراد المجتمع وحكماؤه ـ كما قال ابن جني قديما ـ يتواضعون على مجموعة من الأسماء الرمزية قصد «الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين».

فلنتصور حال عالم الثقافة وعالم التواصل الإنساني بدون وجود لغة! إن اللغة كما سلف مع ابن حني تغني عن إحضار الواقع المادي بشخوصه وسماته وأعيانه، لأنها تجريد رمزي متواضع عليه، لذا فبدون لغة «يستعصي» التفكير في الواقع، إد يستحيل هدا الأخير إلى شتات من الظواهر وفوضى دامسة لا نميز فيها شيئا. لكننا نذهب بفكرة اس جني ـ تحت تأثير التفكير اللساني ومستجداته المعاصرة ـ إلى أبعد مما سبق، إد لا تكمن وظيفة اللعة في «تسهيل» عملية التفكير بنقلها للواقع وبحريده فحسب، بل إنها أيضا تؤثر فى عملية التفكير ذاتها، لأنها لا تنقل الواقع كما هو، بل تقطعه وتجزؤه وتصنفه على نحو خاص. فكل لعة كما يقول أندريه مارتينيه «تمثل طريقة خاصة في تنظيم العالم» وبما أن التفكير في الواقع يستحيل حصوله بدون لعة، فلاشك أن هذه الأخيرة تؤثر تأثيرا كبيرا على عملية التأمل والنظر في «الواقع»، إذ هي التي تعطي لهذه العملية منظار الرؤية إلى الموضوع (الواقع)، بل هي صانعة موضوع التفكير، وأكثر من ذلك هي صانعته على نحو خاص. فاللعات مختلفة كثيراً في عملية تصنيفها وتنظيمها للواقع، ولتسهيل إدراك ذلك أستحضر للقارىء أمثلة من بعض اللغات البدائية، لأنها أقل تعقيداً، ومن ثم فتأثيرها على التفكير والعيش أكثر وضوحا وبروزاً.

إن اللغة البدائية عادة ما تتسم بطابع حسي مادي، فمفهوم «العدد» عند بعض القبائل البدائية، كقبيلة «التسمانيين» لا يجاوز الاثنين (واحد، اثنان، كثير)، فكل ما يتعدى اثنين هو «كثير» هذا بالإصافة إلى ربط حسي للعدد بالشيء، إلى درجة أن قبيلة دامارا ترفض مقايضة أربعة أكياس من الحنطة بأداتين للصيد (قوسين مثلا)، وتقبل مقايضة كيسين بقوس واحد، على أن تعيد العملية مرة أخرى!!.

من هنا يتضح كيف تؤثر اللغة بمفهومها العددي الحسي المحدود، ليس فقط على عملية التفكير، بل حتى على عمليات الحياة الاقتصادية والاجتماعية بكل شموليتها. صحيح أن اللغة هي طريقة معينة في تنظيم العالم، وبالتالي طريقة محددة في فهمه والتعامل معه. ولذا يذهب كلود ليفي ستروس في كتابه «الانثربولوجيا البنيوية» إلى أن أقصر السبل إلى فهم منطق تفكير شعب معين هو دراسة لغته.

ومن هذا الوعي بخطورة الوظيفة اللغوية وتأثيرها على التفكير سيقرر علم اللسانيات المعاصر «أن هدا المضمون (الفكري) يتعين أن يمر باللغة ويستعير منها أطره، وعلى غير هذا الوحه فإن الفكر سيتحول إن لم يكن إلى لاشيء، فعلى الأقل إلى شيء هو من الغموض وعدم التحدد بحيث لا تكون لدينا أي وسيلة للتمكن منه كـ«محتوى»...]إذن ليس الشكل اللغوي شرطا لإمكان التبليغ فقط، بل هو قبل كل شيء شرط تحقق الفكر».

واستنادا على هذه القناعة يدعوك هذا المقال أيها القارىء العرير إلى محاولة تفنيده، بإيجاد فكرة ما خارج اللغة، حاول ـ دون نطق أو كتابة ـ في داخل نفسك الإمساك بفكرة ما مجردة عن تجاويف اللغة وأسمائها أو أفعالها أو حروفها!! لاشك ستتوصل إلى ضرورة اللعة للتفكير، ضرورة أكيدة!

وخلاصة القول: إدا كان التصور اللغوي القديم يفصل بين المعطى اللغوي والمعطى الفكري، فإن التصور اللساني المعاصر سيوحد بينهما إلى درجة التداخل والتلازم، إن لم نقل التماهي المطلق. ومن هنا بفهم لماذا انمحت في الدراسات النقدية الأدبية المعاصرة تلك الفواصل التقليدية بين الشكل والمضمون، فأصبح المعطى اللغوي كيانا بنيويا تتداخل فيه الأجزاء وتتشابك. ومما لاشك فيه أن لظاهرة اللغة علاقتها الوطيدة بظاهرة التفكير، وإذا كان الإنسان يتميز عن الكائن الحيواني بالتفكير، فإنه يتمير أيضا بفعالية اللغة، بل لعل امتيازه واختصاصه بالتفكير مستحيل بدون اختصاصه باللغة، وربما لهذا كان للغة حضورها منذ أولى لحظات خلق الإنسان فقال الله عزوجل: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾. □

دائرة المعـــارف الإســـلاميـــة

مــــن لها الآن ؟

بقلـم: مصطفى شعبـــــان جـــــاد

في الثلاثينيات من هذا القرن اجتمع أربعة من الشبان المثقفين على مشروع حضاري كبير يستطيعون من خلاله الوصول إلى هوية قومية بصوغ التاريخ الإسلامي العربي من ناحية، وتحقق ذواتهم الفكرية من ناحية أخرى هذا المشروع التاريخي هو ترجمة دائرة المعارف الإسلامية» التي قام على تصنيفها وجمع موادها نخبة من أساتذة الغرب في تخصصات الحضارة الإسلامية المختلفة.

ولعل الدارسين في المنطقة العربية لتاريخ الحضارة الإسلامية بصفة عامة لا يستطيعون حتى اليوم أن يغفلوا الرجوع لدائرة المعارف الإسلامية كمصدر أصيل في هذه الناحية، حيث وجدوا فيها مواد تقوم على التوثيق العلمي الموضوعي لتاريخ المنطقة.. والمتأمل في هذه الدائرة العلمية سيلاحظ أنها اعتمدت اعتمادا كليا على المصادر والمراجع العربية والإسلامية التي تزخر بها مكتباتنا في أنحاء المنطقة.

وقد توسل أصحابها بالترتيب الهجائي المتبع في دوائر المعارف العالمية.

وكان أول إصدار لهذه الدائرة بين عامي ١٩١٣، ١٩٣٨ ظهر في أربعة مجلدات وملحق للفنون، ثم بدأت تتوسع في عدد مجلداتها وتتصدر مكانتها العالمية بعد ذلك، وفي عام ١٩٥٤ بدأت لجنة من المستشرقين المحدثين بإشراف كراموز وجيب وبرنارد لويس في إخراج طبعة جديدة باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ثم توالت الطبعات والترجمات على مستوى العالم، حيث يندر أن نجد دولة لم تسع إلى ترجمتها للغاتها الأصلية. ودائرة المعارف الإسلامية قد توحي من عنوانها أنها تستوعب ـ فقط ـ الموضوعات المتعلقة بالإسلام كديانة وقرآن وسنة، لكنها في حقيقة الأمر أوسع مدى من هذا.. حيث نجد أنها شملت باقي العلوم من فلسفة ولغة وعلوم اجتماعية وفنون وتاريخ وطب وعلوم بحتة وغيرها مما قد يتعلق بتاريخ العرب في العصور الإسلامية، فضلا عن أنها تتعرض أيضا للحضارات والثقافات العالمية التي أثرت وتأثرت بالتاريخ العربي مثل الحضارات اليونانية والهندية والأوربية، وبذلك نجد أنفسنا أمام دائرة معارف إسلامية وعربية وعالمية تاريخا وموضوعا.

وهؤلاء الأربعة الذين تصدوا لترجمة هذا العمل البطولي هم: الدكتور عبد الحميد يونس والأساتذة إبراهيم زكي خورشيد ومحمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي. ولست هنا بصدد سرد التاريخ الطويل لهؤلاء الرواد مع الدائرة منذ عام ١٩٣٣ ويكفي أن أسجل تحمسهم للفكرة منذ اللحظة الأولى حيث البحث عن مكان والبدء في الترجمة ولم يكونوا وقتها قد أتموا عقدهم الثالث بعد. وبدأ المشروع على فكرة إعادة الترتيب الهجائي للنسخة الإنجليزية لتوافق الترتيب

الهجائي للترجمة العربية، واستمر العمل عشرات السنين من خلال «شقة» تم استئجارها في شارع حسن الأكبر بالقاهرة.. وكان هذا المكان ملتقى لقمم أدبية لها مكانتها مثل المازني وطه حسين وغيرهما.

الموسوعة الناقصة

لقد اجتهد الأربعة الكبار في الترجمة حتى وصلوا إلى حرف الـ «عين» في فترة السبعينيات وهم في محاولات مضنية للحاق بسيل المعلومات الجارف الذي يأتي مع كل طبعة جديدة للدائرة. وظهرت في الثمانينيات بعض الكتيبات التي تحوي مواد كاملة مثل «ألف ليلة وليلة».

ولم تتجاوز الترجمة حرف «العين» حتى الآن. وتوقف العمل عند هذا الحد من الترجمة لا يرجع في الحقيقة إلى قصور من هؤلاء الرواد، فقد قاموا بما يمليه عليهم الضمير العلمي لكن عدم وجود دعم مالي خارجي لهذه الدائرة مع مشكلات سعر الورق الذي يرتفع بصورة فلكية وقف حائلا أمام الشبان الذين تجاوزوا عقدهم السابع، فقد كانت المعونات المالية تأتي عن طريق اشتراكات المكتبات المدرسية للحصول على نسخة أو أكثر من هذه الترجمة التي عكفت على نشرها «دار الشعب»، ناهيك عن أن مكافأة الترجمة كانت تحسب من الناحية الرسمية ببضع مليمات للكلمة.



وكان سفر الأستاذ/ أحمد ثابت الفندي ورحيل الشنتناوي ثم رحيل الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد قد جعل من استمرار العمل في الدائرة ضربا من المستحيل، حيث لم يتبق من اللجنة سوى الدكتور عبد الحميد يونس ـ عام ١٩٨٦ والذي ذهب بحافز من الوعي القومي لاستمرار هذا العمل إلى وزير الثقافة السابق الدكتور أحمد هيكل، وقد أبدى الأخير حرصه على إعادة لجنة دائرة المعارف الإسلامية وتكوينها من خلال عناصر جديدة لاستكمال الترجمة إلا أن الدكتور هيكل خرج مبكرا من الوزارة وهدأ الموضوع مرة أخرى وبعد ذلك بسنوات قليلة توفي الدكتور عبد الحميد يونس ـ ١٩٨٨ ـ ثم الدكتور أحمد ثابت الفندي ـ ١٩٩٣ ـ والغريب أن أحدا لم يلتفت ـ بعد رحيل الرواد الأربعة إلى الاهتمام بهذه «الشقة» التي كان يتم فيها الترجمة.. وقد عاش كاتب هذه السطور عدة سنوات في رفقة أستاذه الدكتور عبد الحميد يونس مترددا على هذا المكان العريق الحافل بالموسوعات والمراجع النادرة.. والذي لا يعرفه أحد أن هذا المكان أصبح أطلالا خربة.. حيث استغلت صاحبته موت الجميع وقامت بغلقه ولم تسمح لأحد بارتياده رغم تحرير القضايا ضدها، فلم يستطع الدكتور يونس قبيل وفاته مجرد استرداد المراجع التي عاش وزملاؤه يتوسلون بها في عملهم وبعد وفاته ورحيل الجميع ذهبت إلى هذا المكان لأجده مغلقا تماما على آلاف البطاقات والأوراق والمخطوطات العلمية.. ولا شك أنها الآن آخذة في التلف والضمور، دون أن يتحرك أحد.

لا أحد لها الآن..

وقد قال لي الدكتور يونس ـ رحمه الله ـ إن هذه الدائرة «تعد من الواجبات الأساسية في اعتراف المتعلمين بالتراث الحضاري للعالم الإسلامي ـ وهي التي علمت جيلنا التصنيف المعجمي لدوائر المعارف» ولعلني أذكر كواحد من هذا الجيل ـ أنني وأصدقائي لم نكن نستطيع إغفال دائرة المعارف

الإسلامية والرجوع إليها عندما نواجه دراسة أو بحثا في التاريخ الإسلامي، وأذكر أيضا كيف كانت المراجع التي تنتهي بها كل مادة في الدائرة عونا لنا على تفتيح مجالات البحث العلمي.

وإذا كان العالم بلغاته المختلفة قد بادر بترجمة هذا العمل، ألسنا كأمة عربية أولى بمتابعته والانتهاء من ترجمته لأجيال قادمة من الباحثين، إن تاريخ أمتنا العربية حافل بأمجاد الترجمة من لغات العالم المتعددة، بل هو حافل بالأعمال الموسوعية والتصنيفية العربية منذ بدأ الخليل بن أحمد معجمه اللغوي الشهير وتلاه ابن منظور وابن سيده وحاجي خليفة وجميعهم صاغوا تاريخ وثقافة المنطقة العربية بمناهج علمية رفيعة المستوى علمت غرب العالم كيف يكتبون الموسوعة وكيف يصنفون دوائر المعارف. فكيف لا نستطيع ترجمة هذا العمل الذي يتحدث عنا ونحاول فهمه وسبر أغواره.

ونحن نسمع الآن أخبارا متناثرة في أكثر من مكان عن الشروع في وضع دائرة معارف عربية، ولا ندري ماذا تم فيها، ونصلي من أجل أن تخرج إلى الوجود..

وأحسب أن دائرة المعارف الإسلامية رغم كتابتها بأقلام غربية فإنها تتسم بالموضوعية التامة، وإذا انتبه الباحثون العرب لأهمية استكمال ترجمتها ستكون نواة طيبة لدائرة المعارف العربية التي ظللنا نحلم بها أجيالا طويلة.

فحتى الآن لا تزال دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الأمريكية وموسوعة لاروس الفرنسية وغيرها هي المصادر العالمية التي نلجأ لها في لغاتها الأصلية، وعلى الرغم من احتياجنا لترجمة هذه الأعمال أيضا، فنحن لا نريد أن نحلق في الأفق، ويكفي الاهتمام بتراثنا الذي كتب بأقلام أجنبية، وكل ما نخشاه أن نظل نحن العرب بدون معلم موسوعي يتحدث عنا ويكون واجهة المنطقة عروبة وإسلاما، وأن نبقى هكذا في انتظار الغرب ليكتبوا لنا عنا، ولا نستطيع ملاحقة ما يكتب.

إن دائرة المعارف الإسلامية لا أحد لها الآن.. وفي انتظار تحرك عربي لإنقاذها ومتابعتها.. وكاتب هذه السطور لا يملك سوى التنبيه لهذا الخطر وفي انتظار أن تتحرك المؤسسة الثقافية العربية قبل فوات الأوان. □

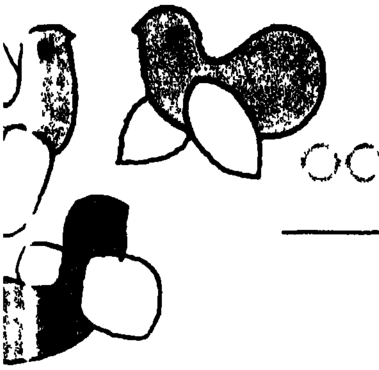
الإيدز أبرز أسباب الوفيات في أمستردام

أفاد تقرير صادر عن مؤسسة الصحة في مدينة أمستردام بهولندا أن الإيدز يشكل السبب الأول للوفاة لدى الرجال بين ٢٥ و٥٤ عاما في هذه المدينة.

وأفادت دراسة أجريت بين عامي ١٩٨٢ و١٩٩٢ في أمستردام التي يصل تعدادها مليون نسمة وتصل نسبة الوفيات بين الرجال فيها إلى ٢٪ سنويا في الإجمالي، إن هذه الإحصائية بدأت تفرض نفسها اعتبارا من العام ١٩٩٠، فقبل هذا العام كانت معظم وفيات الرجال في هذه الفئة من العمر في العاصمة ناجمة عن السرطان والأمراض القلبية والحوادث والعنف والانتحار.

ومنذ ١٩٩٠ تجاوز الإيدز كل أسباب الوفيات الأخرى بسبب انتشار مجموعات معرضة للإصابة بهذا المرض في أمستردام، فنصف مرضى الإيدز الذين تم إحصاؤهم في هولندا يعيشون في العاصمة، و٨٠٪ من الشواذ والمنحرفين جنسيا، و٢٠٪ من المدمنين على المخدرات.

ويصيب الإيدز النساء بنسبة أقل، وتوفيت ٢٩ امرأة من أمستردام بين سن ٢٥ و٥٤ عاما بسبب الإيدز خلال فترة الدراسة مقابل ٦٩٤ رجلا من فئة العمر نفسها وفق التقرير.



حمائم بيضاء.. وسيف عتيق

قصة بقلم : المرسي محمد البدوي*

رفرفت الحمامة بجناحيها، سقطت على الأرض الترابية، اختلط دمها الأحمر بتراب الشارع غير المرصوف، الصبي الذي أسقطها نظر إلى بندقيته بسرور، هزها لأصحابه مزهوا، نظرت إليه والغيظ في عيني، خاف الصبي وانسحب متمتما:

ـ لم أكن أدري أنها حمامتكم.

مضى الصبي وأصدقاؤه، كان يحدثهم عن براعته في الصيد والتنشين، نظر الصبيان خلفهم وهم يبتسمون.

رفعت الحمامة المغطاة بالدم الأحمر الحار من فوق الأرض بحثت فيها عن بقية من الحياة، استقرت الطلقة الصغيرة في قلبها تماما، وطردت الحياة من داخلها.

أصابني اكتئاب شديد، ركزت على ركبتي بجوار المنزل الصغير وحفرت حفرة صغيرة عميقة ودفنت الحمامة المقتولة، لم أكن أتخيل أني سوف لا أراها مرة ثانية.

عصر كل يوم كنت أصعد إلى سطح منزلنا، الشمس من الناحية الغربية من الأفق الواسع، زوج الحمام الأبيض الناصع وقرص الشمس المائل للحمرة، فقدت الشمس حرارة أشعتها، أطلق الحمامتين في الهواء وأرقبهما تدوران في السماء الواسعة، تعكس الأشعة الزئبقية على أجنحتيهما وهما تصعدان تدوران، تتعلقان، أستغرق كلية في هذا المنظر البديع.

زوج واحد من الحمام أصعد معه إلى قلب السماء، أدور به يمينا ويسارا، على يمين منزلنا كانت هناك أبراج كثيرة من تلك الأبراج البيضاء التي يعيش في كل واحد منها مئات من الحمام من كل نوع ولون، يخرجه أصحابه في نفس الوقت الذي أخرج فيه زوجي، مع كل واحد منهم صفارة وراية بيضاء، تنطلق أسراب الحمام تحوم وتدور وتعود بحركات الراية والصفارة.

درجات السلم عالية كئيبة متآكلة، وخيوط العنكبوت في الزوايا، الرطوبة العفنة تنبعث من الجدران ظلمة كاسية تغمر السلم، أتحسس السلم بقدمي وأتعثر من فوق بسطة السلم العليا، جاء صوت أخي منكسر الحروف:

ـ من ؟

ـ أنا.

الطابق السفلي من منزلنا مهجور، خرج أبي الذي كان يعيش فيه منذ عدة سنوات عندما ذهب عقله ولم يعد يدرك شيئا وحلف بالطلاق ثلاثة ألا يدخل البيت مرة ثانية.

أمي صغيرة الحجم صفراء اللون، تربط منديلا فوق رقبتها النحيلة، تحت كل عين من عينيها قوس من السواد المتورم، عندما تضحك أو تبكي تصاب بـ«الشرقة» تلبس السواد منذ خروج أبي عندما سألت الشيخ لما رمى عليها أبي بيمين الطلاق بالثلاثة قال لها:

ـ المجنون لا طلاق له.

حاولت أنا وأخي ذو الصوت المتكسر الحروف أن نقيده بالقوة ليمكث في البيت بعد ذهاب عقله، غافلنا الرجل وهرب من البلدة كلها.

كان الصبية يقذفونه «بالزلط» المبعثر فوق قضيب السكة الحديد الذي يخترق قلب مدينتنا الصغيرة، يملأون جيوبهم بالزلط الصغير ويقذفون الرجل حتى هرب من المدينة كلها، صارت أختي عانسا، تسبب جنون أبي في ذلك، مضت سنوات منذ هروبه، لم تكن أختي دميمة، كان وجهها أبيض مستديرا، عيناها واسعتان ورموشها طويلة مثل حراب سوداء تحرس تلك العينين، حبست نفسها في حجرة من البيت الصغير،

* كاتب قصة مصري

ـقف كلمة «ابنة المجنون» حارسا على باب غرفتها لا يقربها إنسان، دموع أمي مشتتة على أبي الهارب وابنتها التي لم تتزوج.

في المساء وعلى ضوء مصباح يرسل أشعة رمادية لا تير الغرف أو تتركها في الظلام، تجلس أمي متربعة فوق سريرها الحديدي بأعمدته الطويلة السوداء لترتل أوراد الحزن اليومية وهي تهتز، وصوت السرير يعزف أصواتا تصاحب كلماتها الحزينة التي تنتهي بنومها والسرير قد امتل من أنهار عينيها الدامعتين.

قابلني أخي على رأس السلم، الحزن غيوم تكسو وجهه المتغضن..

ـ لقد جنت أختك هي الأخرى..

ـ كيف؟

ـ تضرب رأسها في جدران المنزل منذ ساعات.

ـ لماذا؟

ـ اليوم انفجر صمتها تلك السنوات في انتظار العريس الذي أوهمتها به أمك.

ـ قتل صبي حمامتنا ببندقية.

اندفعت ومعي أخي إلى الداخل عندما هتك صوت أختي السكون القائم على رأس السلم في الحجرة الصغيرة المظلمة، كانت تشد شعرها الطويل وتنزعه من جذوره، لاحظت شعرات بيضاء في وسط قبضات الشعر المنزوع، تدق رأسها في الحائط فيتساقط الجير القديم على الأرض، أمي مستندة إلى كرسي قديم بالحجرة ولا تستطيع الاقتراب منها، فرمى أخي فأرا صغيرا بقدميه، فر الفأر الصغير من شق في جدران الحجرة، سكتت أمي قليلا، بدأت أختي في تمزيق ملابسها، ظهر لحمها الأبيض المترهل

أحضر أخي ملاءة سرير حاول ستر أختي ولكنها رفضت وهي تعاود الصراخ بكل بضعة في كيانها:

ـ أريد أن أموت.

برقة شديدة لمست أمي جسد أختي العريان وربتت عليه:

ـ الله يهديك يا ابنتي.

عاودت أختي الصراخ:

ـ أريد أن أموت..

تهاوت أختي وانتابتها نوبة من البكاء المخنوق، شاركتها أمي البكاء، وقفت أنا وأخي عاجزين لا ندري ماذا نفعل

سمعت أصوات أقدام كثيرة تصعد السلم المتآكل، اهتز البيت الصغير تحت الأقدام، أصوات كثيرة تهتف فوق السلم:

ـ لقد عاد أبوكم راكبا عصا خشبية.

قفزت إلى السلم أطارد الصبية الصغار، كان عددهم كبيرا ومن بينهم الصبي الذي قتل حمامتنا ببندقيته.

تفرق الصبيان على السلم عندما ظهر أخي يحمل عصا غليظة رفعها إلى أعلى مهددا، في أسفل السلم وعلى الدرجة الأولى كان أبي يقف واضعا بين ساقيه عصا خشبية ويمسكها بيده كالحصان، عندما رآني ابتسم وقال:

ـ لقد خطفوني، ولكني غافلتهم وعدت..

ـ من هم؟

ـ الجان، كانوا يريدون تزويجي ملكتهم.

ـ هل ستبقى معنا؟

ـ أنا..

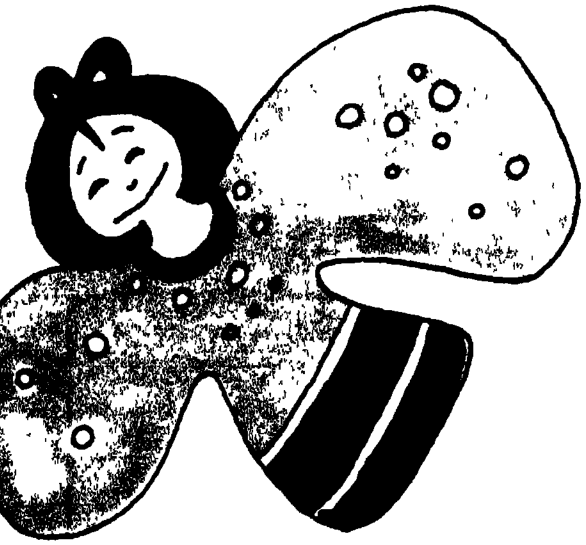
استدار على الفور إلى الخارج مقلدا صوت الحصان، قفزت درجات السلم محاولا اللحاق به وورائي أخي الذي ألقى بعصاه وتبعني، ولكن أبي كان قد اختفى.

على أبواب المنازل وقف الصبية يشيرون إلينا من كل اتجاه، ونحن ننطلق إلى حيث يشيرون فلا نجده، ثم نعود لنسألهم مرة ثانية لنجري في اتجاه آخر.

تبخر أمل العثور على أبي الهارب، صعدت السلم أنا وأخي ونحن نلهث من الجري في كل اتجاه أشار إليه الصبية، صرخات أختي تصعد معنا السلم المتآكل حتى وصلنا، خصلات من الشعر الطويل الذي نزعته من جذوره مبعثرة على أرضية الغرفه.

هدأت أختي تماما ووضعت أمي رأسها بين يديها تنظر إلى الفراغ من الغرفة المظلمة انهار القناع الجليدي الذي كان يكسو وجه أخي دموعا سخية ينزفها من عينيه

جثم الظلام تماما في الحجرة، أرى أخي وأمي وأختي ظلالا تسد فراغ الغرفة، تحسست زر النور من الجدار المتآكل حتى وصلت إليه، ضغطت عليه بقوة ظهر نور



أرقام

بقلم: محمود المراغي

أقزام وعمالقة

ليست مصادفة أن تشهد بعض مناطق العالم من نطلق عليهم كلمة «العمالقة».. وليست مصادفة أن نطلق على آخرين عبارة الأقزام.

صحيح أن هناك عوامل وراثية، ولكن ها هو تقرير أخير للبنك الدولي يقول إن الطول والقصر عند الإنسان، زيادة الوزن أو نقصانه. بل الحياة والموت، كل ذلك يتصل بالغذاء، ووفرته أو نقصه، فسوء التغذية وراء الكثير مما نتحدث عنه.

والأرقام التي يذيعها تقرير «التنمية في العالم» لعام ٩٣ أرقام صادمة.. فسوء التغذية يؤدي إلى نقص النمو في عمر معين، وينعكس على قصر القامة، و.. بالأرقام فإن أربعين في المائة من جميع الذين بلغت أعمارهم العامين في البلدان النامية قصار القامة!.

.. فإذا بحثنا أكثر عما أسماه البنك الدولي ــ استنادا لأرقام الصحة العالمية ــ «توقف النمو» فإن الظاهرة تصيب ٦٥٪ من سكان الهند و٤٠٪ من سكان الصين وأفريقيا جنوب الصحراء، كما تصيب نصف سكان آسيا «عدا الهند والصين».

البداية : سوء تغذية..

ونهاية المطاف : قامة أقصر، ووزن أقل في معظم الحالات، وقد يبدو الطفل طبيعيا، لكن الواقع غير ذلك، فنقص التغذية غير مرادف للجوع، والمظهر العادي للإنسان قد يخفي وراءه الكثير.

هذه المواد الأساسية

والتقرير ليس درسا في الطب، لكنه درس في الفقر وإدارة الحكم، ومع ذلك فإنه يحدد ماذا يعنيه بنقص التغذية.. إنه النقص في استهلاك المواد والأغذية التي تحتوي على البروتين والطاقة، كما أنها مواد تنقصها ما يسمونها المغذيات الدقيقة الرئيسية، اليود، الحديد، فيتامين «أ».

ووفقا لمعايير منظمة الصحة العالمية فإن «٧٨٠» مليون نسمة في العالم يعانون من نقص في الطاقة .!.

فإذا انتقلنا إلى «المغذيات الدقيقة» فإن أكثر مظاهر الخلل فيها يتصل بالأغذية التي تحوي مادة الحديد، وهو خلل يقلل الإنتاجية الجسمانية، كما يقلل قدرة الأطفال على التعلم.

ويأتي تاليا لذلك: نقص اليود والذي يؤدي ــ كما يقول التقرير ـ للتخلف الذهني، وتأخر النمو الحركي، وتوقف النمو بشكل عام، كما يؤدي للاضطرابات العصبية واضطرابات النطق والسمع، بل إنه يؤدي لضعف الذكاء وهو ما حاولت منظمة الصحة العالمية حصره بالأرقام، فقالت إن «٢٠» مليون إنسان في العالم متخلفين ذهنيا بسبب نقص اليود!.

و.. يمتد التشخيص لنقص فيتامين «أ» والذي يؤدي لفقد البصر وانتشار الأمراض المعدية، وكم



تقول الأرقام فإن نحو «١٤» مليونا من الأطفال يعانون من أمراض في البصر بسبب نقص هذا الفيتامين.

إنها أمراض سوء التغذية والتي تتصل بالمكونات الأربع: الطاقة والبروتين، الحديد، اليود، فيتامين «أ».

والأثر واضح في مناطق معينة من العالم، وفي أعمار محددة هي سن النمو.. بما يجعل الانعكاس أكثر على الأطفال.

ولكن.. هناك وضعا خاصا للمرأة.

إنها الأكثر معاناة وتعرضا لسوء التغذية.. نصيبها في الحياة أقل، وقدرتها على البذل والتضحية أكبر، وفي نفس الوقت فإن أعباءها ـ المنزلية وغير المنزلية ـ هي الأكثر في بعض البلدان قياسا لما يؤديه الرجل.

ما زال في أماكن كثيرة: الرجل أولا، وعندما يصل الرجل إلى مائدة الطعام، تنتظر زوجته حتى يفرغ من طعامه، فتكون هي الأخيرة فيمن يحصلون على الغذاء، وإذا كانت في حالة حمل أو رضاعة فإنها تتكبد المشقتين: مشقة التغذية الأقل ومشقة تزويد الجنين أو الرضيع بحاجته من الغذاء.

تقرير البنك الدولي يتوقف أمام هذه الظاهرة، صحة المرأة وعلاقتها بالتغذية، ويقول إن النساء ـ بدرجة أكثر من الرجال ـ معرضات للأنيميا الناتجة عن نقص الحديد.. ومعرضات لتوقف النمو بسبب نقص البروتين والطاقة واليود.



و.. بالأرقام يقول التقرير إن «٢٣٨» مليون رجل في العالم مصابون بأنيميا نقص الحديد.. وذلك مقابل «٤٥٨» مليونا من النساء.. أي أن النسبة «١:٢» تقريبا.. و.. نفس الشيء إذا تحدثنا عن نقص البروتين والطاقة فالنساء أكثر عرضة له، ونساء جنوب آسيا هن الحائزات لأعلى نسبة في العالم من فقر الدم ونقص المواد الغذائية الرئيسية، بل إن ٨٨٪ من النساء الحوامل في الهند يعانين عادة من فقر الدم.. ونتيجة لذلك يعانين من خطر النزف عند الولادة.. والنسبة «٨٨٪ مقابل ١٥٪» فقط في الدول ذات الاقتصاديات المستقرة «الصناعية المتقدمة».

الفقر أولا

هذه النتائج الصحية، كما قلت، لم تأت مصادفة، ليست مصادفة أن يكون الياباني قصير القامة، ومع الجهود القومية والحكومية يزداد الياباني طولا فيعالج خللا تاريخيا.

وليست مصادفة أن يكون الأمريكي طويل القامة فهو الأكثر تمتعا بمواد الطاقة والبروتين.

وفي بحوث ميزانية الأسرة يحتل الغذاء نسبة عالية من الإنفاق العائلي في العادة.. فإذا قل الدخل نقص الغذاء.. وإذا زاد الدخل استكملت الأسرة حاجتها الغذائية ثم اتجهت لأوجه إنفاق أخرى.

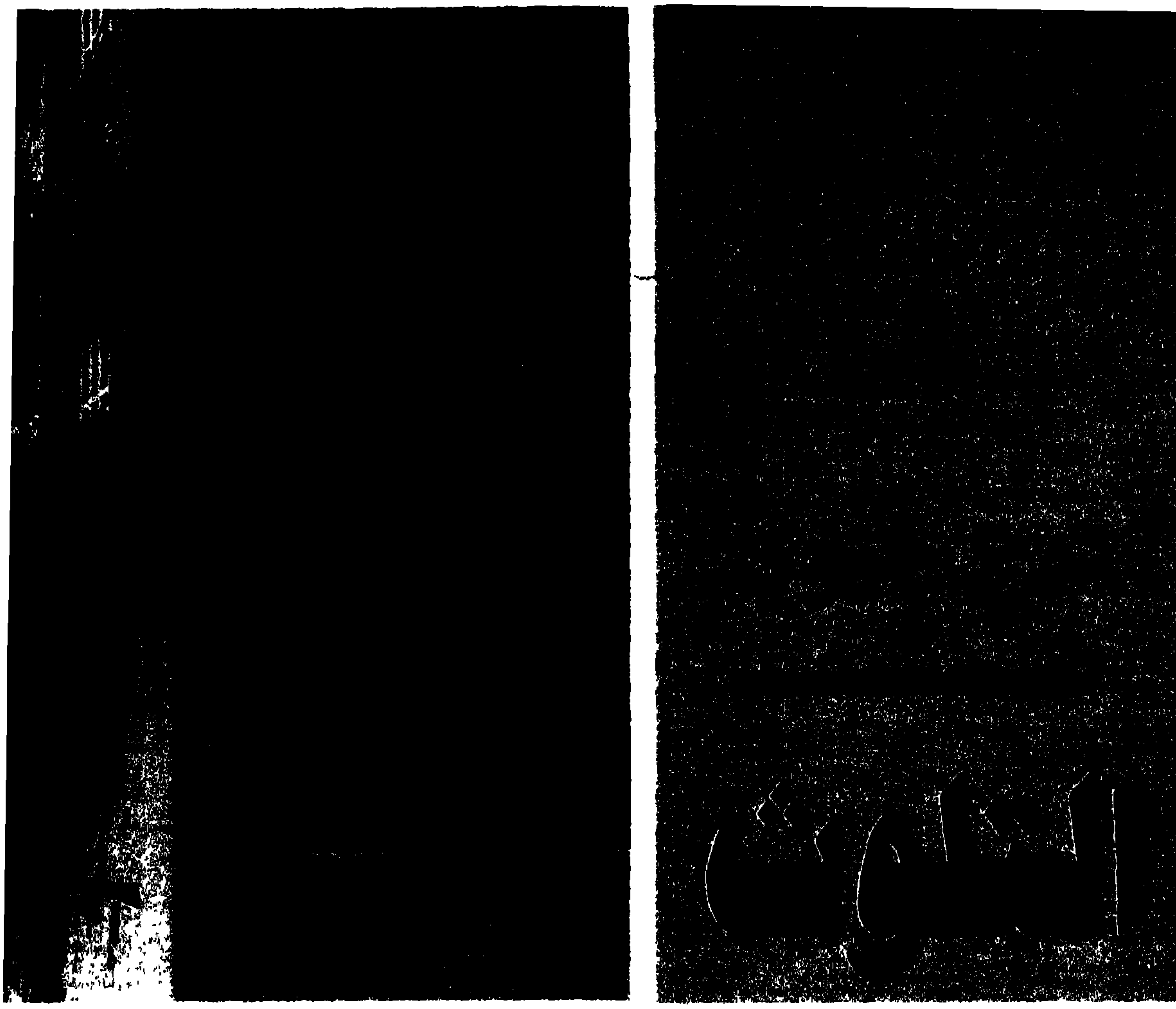
لذا، فإن علاج ما نتحدث عنه هو التخلص من الفقر.. مستوى معيشي أفضل.. غذاء متكامل، و.. إدارة سياسية أفضل.

المطلوب، زيادة دخل الفقراء حتى يحصلوا على الخبز واللحم واللبن.. ولكن، وفي نفس الوقت فإن وعيا أكثر قد يصحح جزءا من المعادلة، فسوء التغذية ليس مرادفا لنقص الغذاء، لكنه ـ وفي بعض الأحوال ـ يكون مرادفا لقلة الوعي بما نأكل أو نشرب.

السؤال : هل توقفت حكومات العالم الثالث أمام هذه الأرقام؟.. هل توقفت أمام الخريطة الصحية في كل بلد ومدينة وقرية، وسألت: ماذا يأكل هؤلاء الناس.. وكيف يعيشون؟.

أشك أن هناك اهتماما تفصيليا على هذا النحو، وأشك أن الجهود كافية للخروج من دائرة الفقر، ذلك الذي يبدو وكأنه قدر، وما هو بقدر.

الحلم.. عالم من الأصحاء.. لكن البداية كما يبدو: إدارة أفضل لنظم الحكم.. وانتباه أكثر لمشاكل الفقراء. □

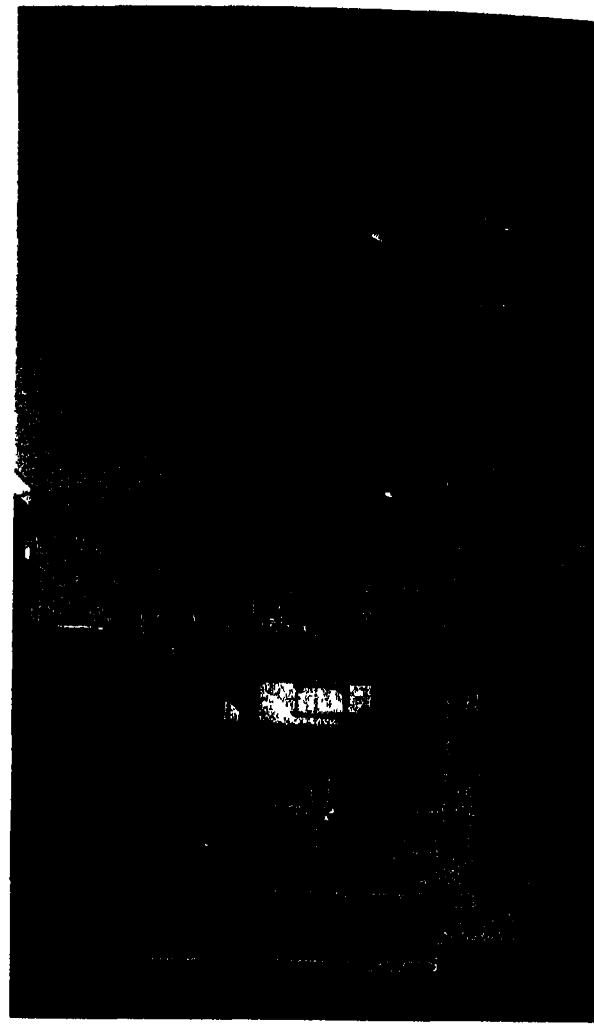


بقلم : الدكتور عواد جاسم الجدي*

من الآثار الجانبية الضارة لفرط النشاط الصناعي للإنسان المعاصر تبرز مشكلة تلوث البيئة، فهل نترك للطبيعة الحية فرصة مقاومة هذه الآثار؟ وهل تقوم بها؟

ظهرت مشكلة التلوث كواحدة من أهم المشاكل البيئية مع بداية هذا القرن، حيث أدى التقدم الصناعي الهائل الذي صحب الثورة الصناعية إلى إحداث ضغط هائل على كثير من الموارد الطبيعية خصوصا تلك الموارد غير المتجددة، كما ظهرت أصناف جديدة من المواد الكيمياوية لم تكن تعرفها البيئة من قبل، فتصاعدت الأبخرة والغازات الضارة من مداخن مئات المصانع ولوثت الهواء، وألقت هذه المصانع بمخلفاتها ونفاياتها الكيمياوية السامة في المجاري والبحيرات والأنهار، وأصبح تلوث البيئة ظاهرة تمسنا جميعا، فلم تعد البيئة قادرة على تجديد مواردها الطبيعية، واختل التوازن بين عناصرها المختلفة ولم تعد هذه العناصر قادرة على تحليل مخلفات الإنسان أو استهلاك

* باحث في تنمية الموارد البيئية الزراعية، جامعة حلب ـ سوريا.



□ النباتات في البيوت ليست مجرد زينة، إنها علاج بسيط للتلوث

النفايات الناتجة عن نشاطاته المختلفة، فتلوث جو المدن بالدخان المتصاعد من المصانع أو عوادم السيارات ولم تسلم التربة الزراعية ولا الأغذية، وحتى المجاري المائية وأجسام الكائنات الحيه أصيبت بهذا الوباء.

ولا تخلو منطقة من مناطق العالم من التلوث الخفيف، إذ تنتشر في الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية دقائق من الجزيئات الملوثة، أما المدن الصناعية الكبيرة فهي موطن التلوث الخطر الذي يذهب ضحيته سنويا مئات الأشخاص يعانون أمراضا مختلفة معظمها تنفسية سببها التلوث.

وقد عانت أماكن أخرى في العالم من التلوث المدمر وما منظر مزارع بولندي بالقرب من الحدود الروسية البولندية يلقي بحليب أبقاره في جدول ماء يمر بجانب المزرعة إلا شاهد على التلوث المدمر الذي أصاب المنطقة إبان حادثة تشرنوبل.

وتسعى البشرية جمعاء ومنذ اكتشافها تزايد ذلك الوباء وآثاره المختلفه على المكونات الحية للنظام البيئي Eco system إلى البحث عن سبل العلاج لتلك المشكلة، حيث تأثرت جراءها الكائنات الحية على مختلف درجات رقيها ابتداء من بكتيريا العقد الجذرية R Japonicum التي تعيش متكافلة مع جذور نبات فول الصويا Soyaben وانتهاء بالإنسان الذي دفع أثمن ما لديه ضريبه للتقدم الصناعي فاعتلت صحته وعانى من أمراض عديده بسبب تلوث الماء الذي يشربه والغذاء الذي يقتات به والهواء الذي يتنفسه

وقد سعت المؤسسات العلمية والاجتماعية جادة في سبيل البحث عن طرق للعلاج حيث أصدرت قوانين وتشريعات مختلفه كتلك التي تمنع بناء المصانع الكيمياوية ومصانع الأسمنت في مناطق قريبة من التجمع السكاني، وإيجاد مناطق لاستيعاب النفايات الصناعيه، والعمل على استبدال وسائل التدفئة التي تعمل على الفحم والبترول بأخرى كهربائية واستغلال الطاقة الشمسية.

كما اعتمدت طريقة المكافحه الحيويه وذلك للحد من استخدام المبيدات حيث تربى حشره غير ضاره بأعداد هائلة للقضاء على الحشرات والكائنات الضارة دون اللجوء إلى استخدام المبيدات الكيمياوية التي تؤدي إلى تلوث التربه، كما أقيمت محطات وشبكات للرصد ومراقبة التلوث بحيث تنذر بالخطر إذا وصل التلوث الحد الضار.

الغطاء النباتي العلاج الواعد

قد يلفت نظرك وأنت تسير بجانب منطقة صناعية نمو بعض النباتات على تربة ملونة بالزيوت السوداء والشحوم والمخلفات البترولية، ويهدئ من روعك تجاه مشكلة التلوث إذا ما سمعت عن نباتات تروى بماء البحر وتستطيع أن تعيش وتتكاثر وتنمو خضراء زاهيه، هذه الملاحظات وغيرها من سلوك الأنواع النباتية المختلفة وإمكان نموها في أجواء وترب ومياه ملوثة تجعل الغطاء النباتي «رعوي - حرجي -

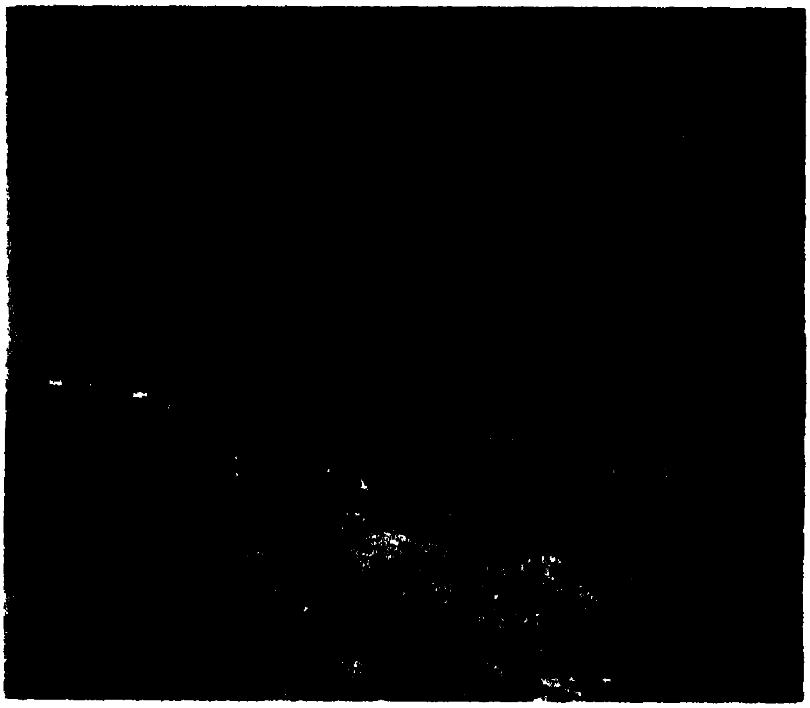
زراعي» في مقدمة الوسائل والطرق المستخدمة لمعالجة التلوث أو الحد منه.

ترشيح بأوراق حية

فعلى مستوى التلوث بالغبار تلعب الغابات والمناطق المشجرة حول المدن وداخلها دورا مهما في تنقية الهواء من الغبار والجزيئات العالقة به خاصة في المناطق الصناعية ويذكر أحد العلماء «Khanbekov ١٩٨٠» أن الغابة يمكن أن تخفض عدد هذه الجزيئات بمعدل يتراوح بين ١٠٠ - ١٠٠٠ مرة.

كما تحتجز كميات من الجزيئات المعلقة تتراوح بين ٤٠ - ٨٠٪ من كميتها الموجودة في الهواء.

وللأنواع النباتية المعمرة والأشجار فعالية نشطة في هذا المجال فالأشجار دات الأوراق الموبرة كالصوبر والسرو والعمص تستطيع احتجاز كميات أكبر من هذه الجزيئات إذا ما قورنت بالأشجار ذات الأوراق المسطحة، وبينت القياسات أن تركيز الغبار في الحدائق العامة أقل منه في الأماكن الجرداء بـ٤٢٪ صيفا و٣٧٪ شتاء.



□ حيثما امتدت الخضرة كان ذلك درعا ضد التلوث

وتمتص الأشجار والنباتات قسما كبيرا من الغازات السامة الملوثة، إما مباشرة أو بعد ذوبانها في مياه الأمطار وتمثلها، وبالتالي تحول دون وصولها إلى التربة وكائناتها الحية الدقيقة ويذكر «العودات محمد»عن Moltchanov أن الهيكتار الواحد من الغابات ينقي ١٨ مليون متر مكعب من الهواء على مدار العام الواحد.

والنباتات المختلفة تمتص غاز SO2 «ثاني أكسيد الكبريت» بدرجات متباينة، وما تمتصه الأشجار والنباتات من غاز SO2 محسوب على أساس ١٥ كغ من الأوراق الجافة للأشجار و٣ كغ من الأوراق الجافة للشجيرات، وذلك في العام الواحد. وتعتبر أشجار الموز من أكثر الأشجار قدرة على امتصاص هذا الغاز بطاقة تبلغ ١٨٠ جراما.

ومن المؤكد أن الدراسات المختلفة ستطالعنا مستقبلا بالعديد من الأنواع النباتية التي تقوم بنفس الغرض، وللأوراق العريضة الملساء قدرة أكبر على امتصاص غاز SO2 من الأوراق الموبرة، وذلك عائد إلى طبيعة تكوينها الفسيولوجي والمورفولوجي.

تحول الأوراق النباتية غاز SO2 الذي تمتصه إلى سولفات مما يخفف من سميته، وينتقل إلى الجذور حيث تفرزه إلى التربة وبذلك ينخلص النبات من هذا الغاز السام.

وتلعب عوامل المناخ المختلفة دورا مهما فالرطوبة المرتفعة تزيد من معدل امتصاصه حيث وجد أن نبات الفاصولياء يمتص هذا الغاز بمعدل عال إذا كانت رطوبة الهواء ٧٠٪ ويتفوق بثلاث مرات إذا كانت رطوبة الهواء ٣٥٪، وتمتص النباتات في الجو المشمس بمعدل أعلى من الجو الغائم، وعند النباتات النجيلية تزداد شدة امتصاص SO2 طردا مع ارتفاع درجات الحرارة.

أما بالنسبة لغاز أول أكسيد الكربون فتمتصه

الأنـواع النبـاتيـة المختلفـة وتتمثلـه في عمليـة الاستقـلاب، حتى النباتـات الصغيرة في مـرحلـة البادرات تمتص هـذا الغاز وبصورة نشطة فيـذكر أن بادرات الشيلم والذرة والفاصولياء تمتصه في الضوء والظلام وتحولـه داخل أنسجتها إلى CO2 حيث تتم الاستفادة منـه في إتمام عملية التمثيـل الضوئي Photosynthis لـذلك فإن امتصـاصـه في الضـوء يتم بمعدل أعلى منه في الظلام، وتشير الـدراسات البيئية إلى أن حزامـا من الأشجار عـرضه ٣٠ مترا، يخفض تركيز CO بنسبة تصل إلى ٦٠٪، وأن كيلومترا مربعا



□ مصادر التلوث هائلة والغطاء الأخضر واق بسيط من التلوث.

من الأشجـار يمتص يـوميـا من ١٢ - ١٢٠ كغ من هذا الغاز.

وكشأن بقيـة الغـازات تمتص النبـاتات أكـاسيـد النيتروجين وخـاصـة NO2 ويـدخل النيتروجين الممتص في تـركيب الأحماض الأمينية في النبـات، كما تقـوم النباتـات بامتصـاص أيون النترات من التربـة الزراعية ضمن المحاليل المائية التي تمتصها من التربة، وتقوم النباتات باستخدام عنصر النيتروجين الموجود في أيون النترات في تـركيب المواد التي تحتاجهـا لبناء جسامهـا وللقيام بعملياتها الحيويـة المختلفة، وقـد يحدث أن تختلف السرعة التي يمتص بها النبات أيون النترات من التربـة عن السرعة التي يحول بها النبـات هـذه النترات إلى الأحماض الأمينيـة وغيرهـا من المركبات الحيـوية فيعمـد النبات إلى تخزيـن الفائض منها في أنسجته وباعتبار هـذه المركبات سامة فيصبح النبـات سامـا خـاصـة الأنواع العلفيـة حيث لـديها القـدرة على تخزين كميـة مـن النترات تتجـاوز حـد الأمان وتتضرر الحيوانات التـي تتغذى عليها ومثالها نبات الـذرة البيضاء «السـورغوم» Sorghum SP في بدايـة مراحل نمـوها، ومـن النباتات التـي تختزن في أجسامها وأنسجتها نسبة عالية من النترات دون الحد السـام بعض أنـواع البقـول والفجل والجزر. وبينت طرق التحليل الدقيقة أن أنسجة هذه النباتات تحتوي على قـدر صغير مـن أيـون النتريت الـذي ينتج من اختزال مركبات النترات ويـوجد مصاحبا لها في كثير من الحالات.

تطلق النبـاتـات وخـاصـة الأشجـار إلى الجو الأوكسجين وغاز ثـاني أكسيد الكربـون وفي مناطق الغـابات والأحـزمة الخضراء وجـد أنه لتكـوين متر واحـد من المادة الخشبيـة الجافـة تستهلك الأشجـار ١,٨٣ طن من غـاز ثـاني أكسيـد الكـربـون وتطلق ١,٢٣ طن من الأوكسجين، وبـذلـك يخفف إنتـاج متر واحـد مكعب من المادة الخشبيـة من وجود غـاز CO2 من الجو، كما يضيف إلى الغلاف الغـازي كمية من الأوكسجين التي تسهم في تنقية الهواء.

أما الكيلو متر المربع الـواحد المزروع بنبات الحور ذي الأوراق المسطحة الملساء والقامة الباسقة والنمو إلى ارتفـاع يصل إلى ١٤ مترا فيعطـي خـلال فصل النمو الواحـد نحو ١٢٠٠ طن من الأوكسجين، وفي نفس الـوقت يقوم بـامتصاص ١٦٤٠ طنا مـن ثاني أكسيـد الكـربـون، والحور نبـات يعيش في المنـاطق الجافـة وشبـه الجافة ويتحمل المنـاطق البيئيـة الحارة بشرط تـوافر ميـاه الـري، إذن فـالأحزمـة الخضراء والغـابـات وجميع أنـواع الغطـاء النبـاتي تعتبر بحق الدرع الحيوي الواقي من التلوث.

إضافة لذلك تلعب الأشجار والمسطحات النباتية والأحـزمـة الخضراء دورا مهما في عمليـة تأين الهواء حيث تزيـد نسبة الأيونات السـالبة في الهواء بمعدل أكثر بنحو ثلاث مـرات في الأماكن المشجرة عنها في المناطق الجرداء، وتنعكس زيادة الأيـونات السالبة في

الهواء إيجابا على نشاط الإنسان والحيوان وعلى مقاومة الإنسان للأمراض. ومن مزايا الغابات والأحزمة الخضراء والمنتزهات والأشجار المزروعة إفرازها مواد مختلفة «Phytocide» ذات تأثير مثبط أو قاتل للبكتريا، فالمواد الطيارة التي تفرزها أشجار الصنوبر تثبط وتميت أحيانا عصيات السل والدفتيريا وغيرهما، كما أن إفرازات الآس Myrtus والكينا Eu-calyptus والعرعر Juniperus والزيزفون Tilia والحور Populus وغيرها لها تأثير على البكتيريا والفيروسات، كما وجد الكاتب فائدة دخان نبات الرمث في الشفاء من الزكام وليس ذلك بجديد، فالشاعر أبو حنيفة قال:

يقولون : ما أشفى؟ أقول لهم :
دخان رمث من التسرير يشفيني

كما أن المواد الطيارة التي تفرزها أشجار الخروع تعد مادة تنفر منها حشرات البعوض.

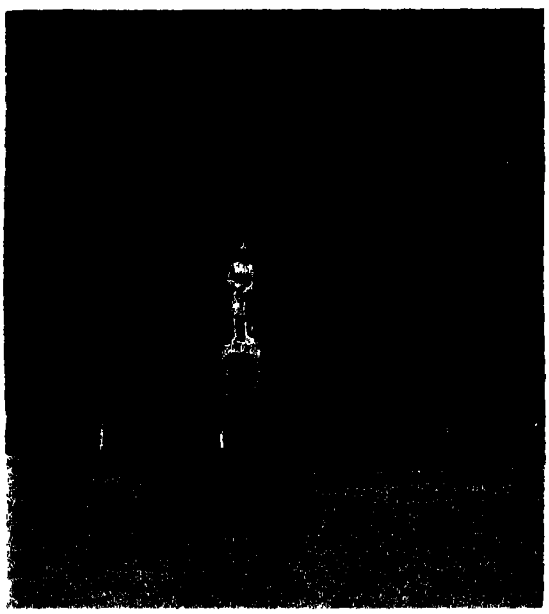
وثمة وقفة أخيرة نقفها عند بعض النباتات التي تقاوم تراكيز عالية من الأملاح المختلفة خاصة أملاح كلوريد الصوديوم والسلفات وغيرها من التراكيز المرتفعة الأخرى من المواد العضوية واللاعضوية في التربة الزراعية ومياه البحر والأنهار.

ومن هذه الأنواع نبات الساليكورنيا Salicornia herbacea حيث يعيش هذا النبات وينمو في السباخ والمالح العربية، ويتحمل تراكيز مرتفعة جدا من الأملاح.

وليس نبات الفاسول «الساليكورنيا» هذا وحيدا في قائمة النباتات الملحية أو التي تتحمل تراكيز عالية من الأملاح والشوارد الكيمياوية الملحية في التربة، بل هناك العديد من النباتات التي تقاوم زيادة تركيز الأملاح والملوثات في التربة.

ولهذه النباتات آلية عجيبة للتخلص من الأملاح الزائدة إذ تجمع هذه المواد السامة في فجوات خاصة تحاط بغشاء هيولي خاص وتبقى داخل الورقة دون أن تختلط بالسائل العصيري الخلوي، أو أن هذه الأملاح تتجمع في أوعية شعرية خاصة تسمى الأوكزالات، وعندما تمتلىء هذه الأوعية بالأملاح تنفجر وتلقي بمحتوياتها على سطح الورقة العلوي وبدرجة أقل على السفلي. وتتجه العلوم الحديثة والأبحاث العلمية إلى إكثار مثل هذه النباتات بالزراعات النسيجية في مخابر خاصة، كما تتجه الهندسة الوراثية إلى تنمية صفات المقاومة هذه وإمكان توريثها لنباتات أخرى أسهل إكثارا وانتشارا.

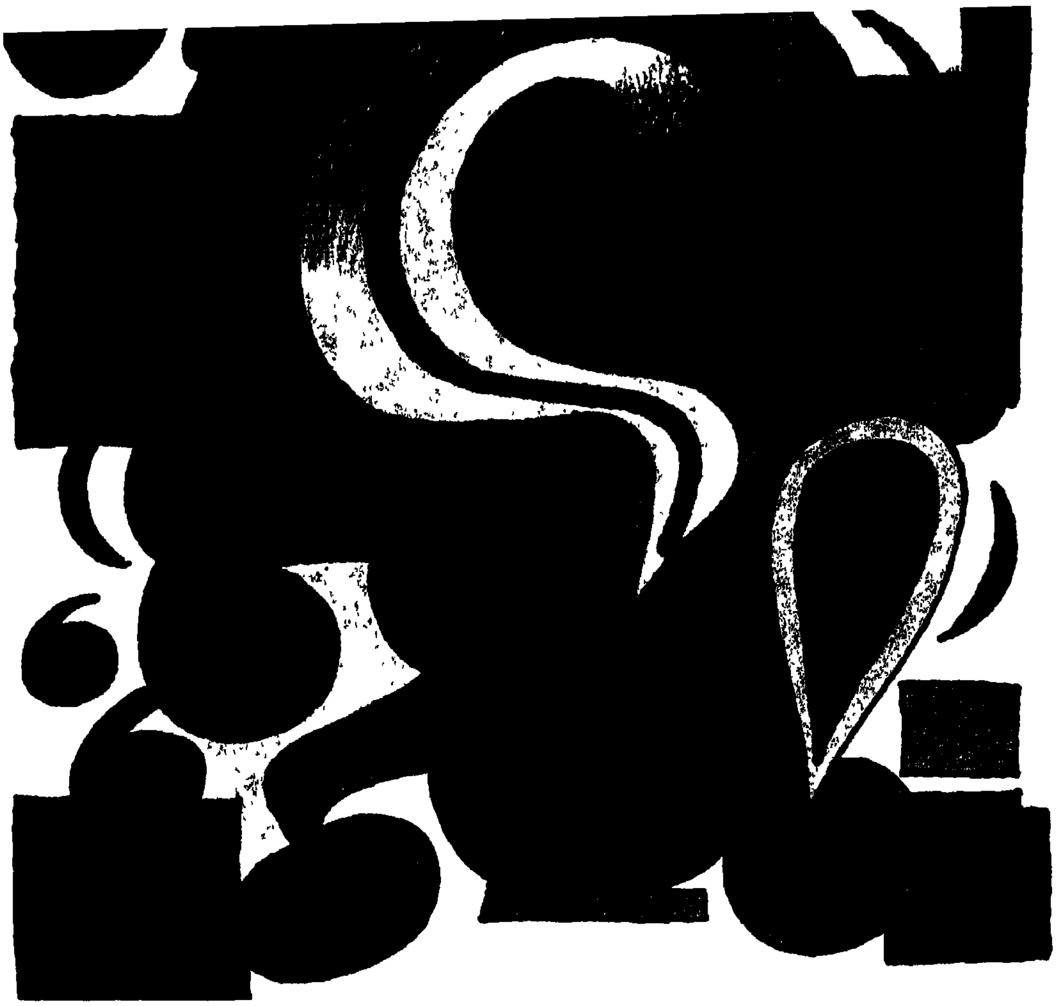
وعلى مستوى محلي فالاهتمام الآن بالنباتات التي تنمو على الترب الملوثة بالبحيرات النفطية قائم على قدم وساق، خاصة تلك النباتات التي تتعايش مع



□ الحدائق رئات المدن ووسائل دفاعها ضد التلوث.

البكتيريا حيث تستطيع بكتيريا معينة تحليل المركبات البترولية إلى مركباتها العضوية الأساسية وبتكسير هذه الروابط تخف إلى درجة سمية هذه المركبات، وتتحول إلى عناصر أساسية تضاف إلى عناصر التربة.

ويبشر اكتشاف صفات مقاومة جديدة في النباتات، باكتشاف أنواع نباتية جديدة تقاوم التلوث النووي وتستطيع امتصاص ذرات الغبار النووي أو ترسيبها، ولا يسعنا هنا إلا التوجه إلى كل المؤسسات العلمية المعنية بصحة البيئة والإنسان للاهتمام بنشر الغطاء النباتي واستزراع الحدائق والأحزمة النباتية الخضراء والتوسع بتكاثر ونشر النباتات ذات الصفات المقاومة للأملاح وبقايا الملوثات المنتشرة في الهواء والماء والتربة.□



الترقيم في اللغة العربية

بقلم: الدكتور عبدالستار العوني*

سبح الترقيم الآن أحد العناصر الحاسمة في إنتاج جماليات النص الأدبي البصرية والأسلوبية ورغم أنها مسألة قد تبدو شكلية بعض الشيء إلا أنها عنصر أساسي من جل بعث النظام في فوضى النص.

الترقيم مصطلح يطلق على مجمل الأشكال الخطية غير الهجائية الموضوعة في غضون السلسلة المكتوبة تنبيهاً للقارىء إلى مدد الوقف ومواضعه من المقروء وضبطاً لنبرات الصوت وإيقاعه ومنحناه. ثمّ إنّ للترقيم وظيفتين أخريين: الأولى نحوية تركيبيّة مناطها الإفصاح عن الوشائج القائمة بين عناصر الجملة الواحدة والحدود الفاصلة بين جمل النصّ بعضها عن بعض. والثانية طباعيّة تنصرف إلى وضع النّص في فقرات وعزل مفرداته ببياضات تميّز اللفظ عن سابقه ولاحقه داخل السّطر المكتوب وإلى تسهيل تناول النّص عقلياً ـ بواسطة

* أستاذ التعليم الثانوي بالمعاهد العمومية التونسية

العنونة والتّبويب والمراوحة بين أفنان الخطوط وما إليها من مواضعات الإخراج السليم ـ وإجرائياً ـ عن طريق ما يفي من الوضوح البصري بإحكام الأداء في القراءة الجهرية وربح الوقت في القراءة الصّامتة.

هذا، إلى أنّ الترقيم أصبح الآن أحد العناصر الحاسمة في إنتاج جمالية النّص الأدبي البصريّة والأسلوبية الكامنة فيما وراء المؤدّى المباشر.

محاولة لتلافي الفوضى

ولئن ألّف أحمد زكي باشا رسالة بعنوان: الترقيم وعلاماته في اللغة العربية من سبع وأربعين صفحة، فقد كان دافعه إلى ذلك تلافي الفوضى التي كانت تضجّ بها كتابات أواخر القرن الماضي ومطالع الحالي على صعيد الترقيم. فتعلّقت همّته بإحالة كل مستخدمي العربية إلى مرجع مشترك وجمعهم حول ضوابط محدّدة دقيقة قارّة يحتكمون إليها في تعيين أوجه استخدام كلّ علامة وأغراضه. لكنّه لم ينشر عمله بحيث يطلّع عليه النّاس كافّة بل آثر الاقتصار على طبع خمسمائة نسخة منه تهيأت سنة ١٩١٢ ووزّعت هدايا على أصفياء المؤلّف من وجهاء مصر والشام ومن أعلام المستشرقين.

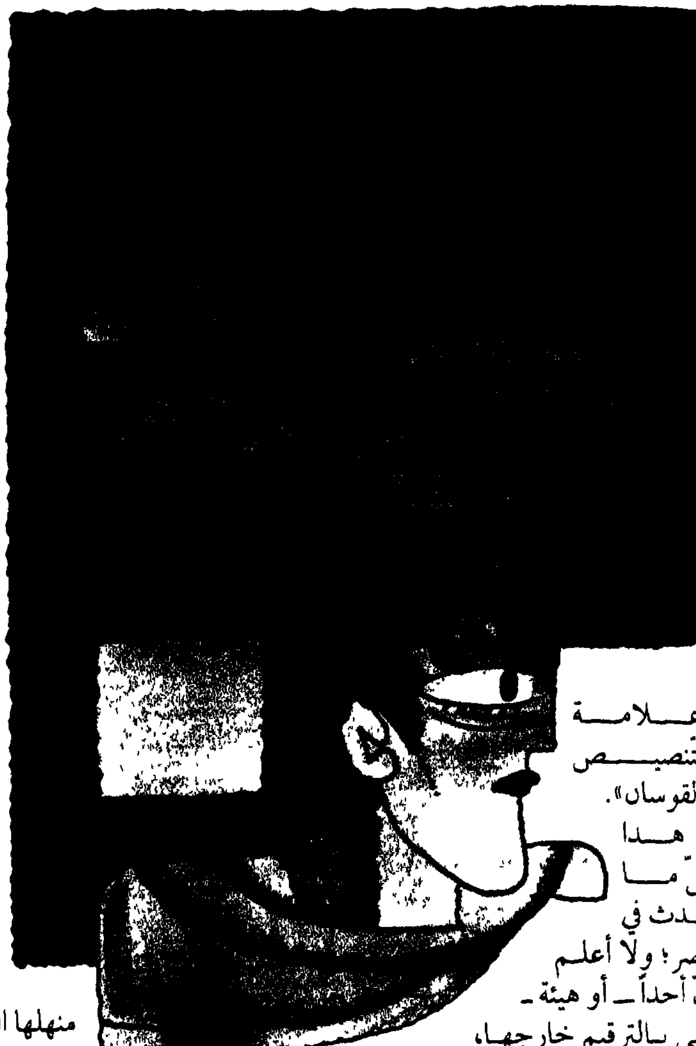
واتّصف بحثه بكونه تقعيدياً صرفاً منطلقه تعريف التنقيط ورصد أبرز علاماته مع الاصطلاح عليها بأسماء من صميم العربية: الشّولة [،] والشّولة المنقوطة [؛] والنقطة [.] وعلامة الاستفهام [؟] وعلامة الانفعال [!] والنّقطتان [:] ونقط الحذف والاضمار [....] والشّرطة [ـ] والتّضبيب [« »] والقوسان [( )]. ثمّ يتّسع البحث في مرحلة ثانية إلى استيعاب حالات استخدام كلّ علامة على وجه التّفصيل مع الاستشهاد لها بجمل من صوغ أحمد زكي باشا نفسه وبأمثلة مقتطفة من القرآن الكريم والحديث الشّريف وأقوال القدماء.

لكن يؤخذ على أحمد زكي باشا خلوّ وطابه من المعلومات الكافية عن التّرقيم في الألسن الأجنبية (حيث اجتزأ منها بما جرت به أقلام الفرنسيين ممن تصدّوا لتأليف الكتب المدرسية والمعاجم المستفيضة بين النّاس) وعدم وقوفه على أبعاد الوقف والابتداء في فصحانا (إذ اكتفى بخلاصة المستشرق الفرنسي دي ساسي لكتاب أبي عمرو الدّاني: البحث المعروف في معرفة الوقوف). لذلك جاء عمله غير واف بالهدف، متضمّناً من الأخطاء المنهجيّة والمعرفيّة أكثرها انتهاكاً لسنن العربية وإخلالاً بخاصياتها التركيبيّة.

فالمستخلص من بحثه أنّه لم يتمعّن في التّطور التّاريخي للتّرقيم ولم يستمرىء نظرياته بالقدر الذي يمكنّه من تمييز الآفل منها بحكم التّطوّر عن الجديد البازغ النّاسخ ما قبله. فترتّب عن ذلك أن باشر تعريف التّرقيم على أساس النّظريّة التنفسيّة التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر بفرنسا. ثمّ ما عتّم أن صدف عنها ليعتنق ـ في مستوى حالات استخدام كلّ علامة ــ مزاحمتها النّظريّة النّحويّة المنطقيّة التي صار معمولاً بها في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر. وإن شئت فعد إلى رسالته المتقدّم ذكرها؛ فإنّك واجد فيها أنّه لم يطوّع عمليّة الترقيم للغاية منها حتّى لقد شاع الجفاء بين النظريّة وتطبيقاتها؛ وقام حاجز متغلغل بين هدف الترقيم في كليته والأهداف المرتجاة من كلّ علامة على حدتها. وفي سنة ١٩٢١ افترع يراع عبدالرءوف المصري عن رسالة من أربع وثلاثين صفحة بعنوان: الترقيم والإيقاع ألمع بمقدّمتها إلى أنّه استنار في وضع خطّتها ومرماها بنصائح أستاذه أحمد زكي باشا. والحقّ أنّه قد وفّق في نزع الطابع التهويلي الذي كان أستاذه أضفاه على مبحث التّرقيم، مع إجراء تعديلات على بعض الأسماء (علامة التّوضيح بدلاً عن النقطتين، علامة التّنصيص أو الشّناتر عوض التّضبيب...) فضلاً عن سلك العلامات في أصناف فرعيّة وعن الاقتباس من «أسلوب كسباي» لهرتمن الألماني.

إلاّ أنّ دراسته، مع ذلك، تبقى موصومة بشائبة الافتقار إلى الشروط المنهجيّة إذ تضوع من ثناياها رائحة التّناقض بين المقدّمة والنّتائج، فكأنّ الباحث أفضى به النّظر والتّحقيق إلى اختتام البحث بنسف ما كان أسّسه عليه في المدخل وتقويضه. هذا، عدا الأخطاء المعرفيّة المعزوّة إلى قلّة الاطلاّع على الأمهات من كتب التراث العربي وعلى أبحاث المستشرقين أمثال جويار ورايت ولين في مجال الإيقاع وعلى ما سوى ذلك ممّا يعدّ بمثابة جواز مرور الباحث بحث استقصاء واستيعاب إلى دنيا التّرقيم.

ثمّ ما لبثت وزارة المعارف بمصر أن ألحقت الترقيم بسائر مواد المناهج والبرامج العموميّة وقرّرت ابتداء من سنة ١٩٣٢ سفر الترقيم والإيقاع لعبد الرءوف المصري على طلبة الصّفين في المدارس. ثم بادر مجمع اللّغة العربية بالقاهرة إلى إيلاء هذا الموضوع ما يستحقّه من عناية وذلك بإعداد مشروع يمد أصوله من قرار وزارة التربية المصرية المتعلق بحروف التاج وعلامات الترقيم المصادق عليه سنة ١٩٣١ ــ ويحض على استعمال علامات الترقيم «على النّحو الذي أقرّته وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٣٢ وعددها عشر: الفصلة والفصلة المنقوطة، والوقفة والاستفهام والتأثر، والنقطتان الفوقيتان، والنقط الثلاث المتجاورة علامة على الحذف، والشرطة أو الوصلة،



وعلامة التنصيص والقوسان».

هذا كلّ ما حدث في مصر؛ ولا أعلم أنّ أحداً — أو هيئة — عني بالترقيم خارجها، حاشا مؤلفي الكتب المدرسيّة وكتيبات الإملاء في سوريا وليبيا ولبنان والأردن فإنّهم لا جرم يعقد الواحد منهم في مصنّفه فصلاً موجزاً عن الترقيم يكون عالة فيه على أحمد زكي باشا وعبد الرءوف المصري، أحدهما أو كليهما. على أنّ دراستيهما لو وزنتا بموازين المنظور اللساني الرّاهن لما صمدتا للنقد والتمحيص، ولتبينّ أنهّما بلا ريب «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً»

ولو رمنا وضع أيّ من تينك الدراستين في سياقها الحضاري لأفضى بنا المطاف إلى أنهّا تشذ كليّاً عن المسار التاريخي الطّبيعي للثقافة العربية. فالترقيم بعامّة إن هو إلاّ موروث خطّي وشاهد علاميّ على الانتقال الحضاري التدريجي من ثقافة الصّوت والأذن إلى ثقافة العين والكتاب. بل في مصر بالذات «كانت العناية بالقراءة الجهريّة واضحة حتّى العقد لأوّل من القرن العشرين؛ وترجع تلك العناية إلى سباب تاريخيّة ولغويّة».

ثمّ جاء العقد الثاني من القرن العشرين وانتقل تعليم القراءة من العناية بالقراءة الجهريّة إلى القراءة الصّامتة. وكان وراء هذا التغيير نتائج البحوث التي أجريت في الخارج. أما الترقيم، على نحو وروده في عمل أحمد زكي باشا ثمّ في رسالة تلميذه عبد الرءوف المصري، فإنّه مؤسّس بالخاصّة على مواضعات القراءة الجهريّة وهو أوثق صلة بالشّفوي منه بالمدوّن. لكن لا تثريب على الرّجلين اليوم، ولا جناح عليهما أن يكون قد جاء في دراستيهما من الهنات مالو تحرّينا أسبابها لعذرناهما كلّ العذر. بل حسبهما فخراً إحراز قصب السّبق في الوعي بقيمة الترقيم، ترقيم العربية.

ألا ما أحوجنا اليوم إلى دراسة للترقيم ترمي إلى الإفصاح عمّا إذا كان هذا الجهاز الرّامز المرافق للكتابة حتميّ الحضور في المكتوب العربي، وتقوم نظريّاً ومنهجيّاً على الأسس اللّسانية السّائدة في الظرف الرّاهن. ولئن تحتّمت على خائض هذا العباب الدراية الحقيقيّة والإحاطة الكاملة بخفايا الترقيم وقضاياه الكبرى في اللّغات الأجنبية، فلا معدى له ـ مع ذلك ـ عن الانطلاق من العربيّة ذاتها اعترافاً من منهلها الثرّ الذي تمثله مصنفات أسلافنا واستنطاقاً لعلامات الترّقيم المنبثة في عرر الأدب العربي المعاصر، مسطورة بأسنّة أقلام الكتّاب الأعلام.

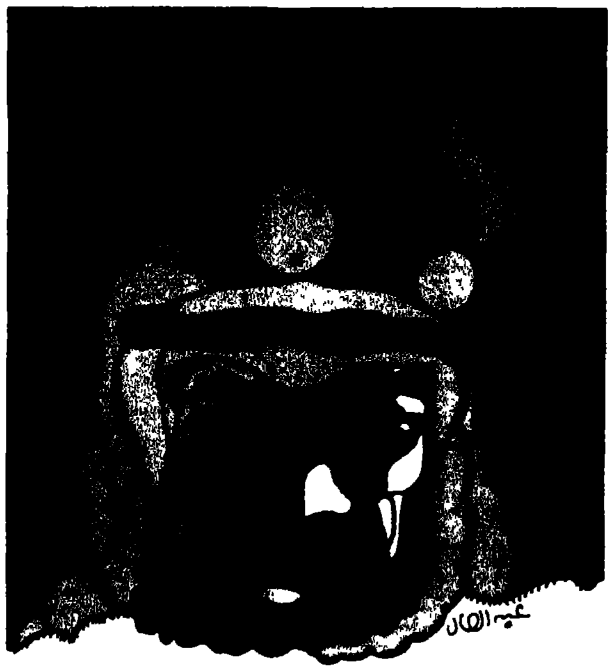
وإن مثل هذا المسعى ليجنبنا التردّي في إسقاط تقاليد ثقافة على ثقافة أخرى ويجعلنا ننتشل الترّقيم — بالتالي — من الاعتباطية التي لم يفتأ واقعاً تحت طائلتها منذ أن ألّف أحمد زكي باشا رسالته المذكورة. ويعصمنا ذلك من إرسال الأحكام في غير محالّها، فلا نسلّط على اللّسان ما ليس من صميمه.

الترقيم وأحرف الربط

والحقّ أنّ جانباً مهمّاً من الترّقيم بمعناه المعاصر كان قائماً في أذهان العرب القدامى، ثمّ فيما جرت به أقلام البعض منهم، وإن ضمنيّاً وبمصطلحات أخرى أو بطريق غير مباشرة. ففي الجاهليّة قال أبو بكر لأعرابيّ عن ناقة «أتبيعها؟» فأجاب «لا عافاك الله»؛ فقال له أبو بكر: «لا تقل هكذا ولكن قل: لا وعافاك اللّه».

وأحرف الرّبط عندهم. والواو منها بالخاصّة، كانت تقوم مقام النّقطة في الكتابي ومقام الوقفة في الشفوي. وهذه الطريقة ليست خصيصة للعربية بل كان شائعاً العمل بها في اللهجات اليونانيّة القديمة ثمّ في لغة الإغريق المشتركة.

وفي الإسلام «حاء رجلان إلى رسول اللّه صلىّ الله عليه وسلّم فتشهد احدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما! فقال رسول اللّه صلىّ اللّه عليه وسلّم: قم أو ادهب بئس الخطيب أنت» وفي رواية أخرى قال له: «بئس خطب القوم أنت؛ قل: ومن يعصهما فقد غوى». ففي الخبر دليل واضح على كراهة القطع، فلا يجمع بين من أطاع ومن عصى، فكان ينبغي للخطب أن يقف على قوله: فقد رشد، ثمّ يستأنف: ومن يعصهما فقد غوى». ولّما كان للوقف في غير مواقعه المضروبة (ولعدم الوقف) مساس بمعنى المنطوق تبديلا أو تشويها فقد خيف على فحوى القرآن أن تتلاشى أو تتردّى كلّما أخطأ قارئ في الوقف ـ وما أكثر ما كان يحدث ذلك ـ فتكرّس الرّاسخون في النّحو والأئمة في القراءات إلى رصد مواقع الوقف في القرآن الكريم حتى بلغت مؤلفاتهم في الوقف والابتداء زهاء المائة كتاب اهمّها الإيضاح في الوقف والابتداء لابن الانباري، والقطع والاستئناف لابن النّحاس، والمكتفي في الوقف والابتداء للدّاني، ووقوف القرآن للسّجاوندي، والاهتداء في الوقف والابتداء لابن الجزري، ومنار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني.



هذا عن الجانب النّفسي من عملية الترقيم؛ أمّا ما يتعلّق منها بالجانب الخطيّ فالظاهر أنّ أوّل علامة ترقيم حفلت بها الكتابة العربية إنّما هي البياض؛ إذ ورد عن العرب الأول في صبح الأعشى للقلقشندي وغيره «أنهم وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف غير منفرق». ثم «فرقه ثبت وهميع وفيدار» وإذا صح هذا الخبر فإن مقدم النقطة وما استوجبته الظاهرة القرآنية من حفظ في السطور كان هو الحافز إلى تفريق الألفاظ دفعا للالتباس وتحسيناً للمقروئية.

على أنّ الكتابة العربية لم تكن بدعاً في ذلك من سائر الأنظمة الخطيّة السائدة في سالف الزّمان. فكتابة اليونانيين كانت خلواً من البياضات بين وحداتها ولم يكن سائداً من أنواع القراءة بينهم غير الجهرية المتردّية غالباً في التهجئة والتعثر. ويعد النحوي الإغريقي أرسطوفان البيزنطي (٢٥٧ ـ ١٨٠ ق.م؛ أمين مكتبة الإسكندرية الشهيرة على عهد البطالمة) أوّل من حاول تفريق المفردات عن بعضها البعض في الكتابة اليونانية حين قام نحو ١٩٦ ق.م. بوضع أول جهاز للترقيم في التاريخ. أما اكتشاف البياض للاّتينية في القرن السابع للميلاد بأيرلندا فإنّه كان بمثابة الثورة التي لا تقلّ أهمية عن اكتشاف الطباعة فيما بعد.

والحقّ أن تصوّر السلف للخدمات المرجوّة من الكتابة كان في غاية الدّقة والصواب. فهم كما ورد في مقدّمة لسان العرب لابن منظور يعتبرون أنّ «الخطّ ينوب عن اللسان». وقد كان لسان حالهم بليغاً في الإعراب عن الوجهة التي قد طالما حاولوا تعيينها لكتابتهم حيث قال: «وإنّما يلزمنا أن نترجم بالخطّ ما نطق به اللسان». فالمكتوب ينبغي أن يكون تبليغاً أميناً وتصويراً خطيّاً وفيّاً كل الوفاء للمنطوق. هذا ما ينبغي أن يكون. أمّا ما هو كائن فعلى خلافه. إذ لا نكاد نعلم بين لغات العالم الحديث لغة تكتب كما تنطق سوى اللغة الصلدية بل إنّ «الكتابة الهجائية كانت وما زالت وسيلة ناقصة للرمز إلى الألفاظ كما تنطق».

ومن هنا اتّجهت النيّة لدى الأمم إلى التزوّد بجهاز خطيّ رامز يفي بتسجيل فوق المقطعي من اللغة كالتنغيم والنبر وما إليهما مما عجزت سائر الكتابات عن تسجيله بوحداتها الهجائية. والترقيم بأدائه هذا الدّور يقوم مكملا للكتابة، ومعاضدا لها في القيام بوظيفتها الأساس، وإن نسبيا وكان العرب قد حفظوا عن جاليبوس قوله: «الكتابة كلام ميّت يتناوله قارئه كيف شاء». وتفطّن بعضهم إلى عدم كفاية الكتابة في الوفاء

بتسجيل الأصوات اللغوية فانتهى بهم التدبّر إلى أنّ «واضع الهجاء لم يحكم وضعه».

بل وأشاروا إلى وجود أصوات عربية ليس لها ما يقابلها من صور الخطّ في رسم لسان العرب «منها أربعة أحرف جارية في العربية على ألسن أهلها ولم يخصّوها بصور وهي النّون الغنّاء والهمزة والواو والياء اللّيّنتان» ـ بل لئن كان العرب، قد اقتصروا في خطهم على ثلاث حركات ـ الفتحة والضمّة والكسرة ـ فإنها في كلامهم أكثر من ذلك ـ قال ابن جنّي: «ومحصولها في الحقيقة ستّ؛ وذلك أنّ بين كلّ حركتين حركة». وقال فخر الدّين الرّازي: «الحركات إمّا صريحة أو مختلسة؛ والصريحة إمّا مفردة أو غير مفردة. والمفردة ثلاث: الفتحة والكسرة والضمّة. وغير المفردة ما كان بين بين وهي ستّ لكلّ واحدة قسمان: فللفتحة ما بينها وبين الكسرة وما بينها وبين الضمة. وللكسرة ما بينها وبين الضمّة وما بينها وبين الفتحة، والضمّة على هذا القياس فالمجموع تسع. وهي إمّا مشبعة أو غير مشبعة، والمجموع ثماني عشرة. والتاسعة عشرة المختلسة وهي ما تكون حركة وإن لم يتميّز في الحسّ لها مبدأ، وتسمّى الحركة المجهولة».

رسوم العربية وأصواتها

وإذن فقد كان باديا لذوي القدم الرّاسخة في قضايا اللسان أن أشكال رسم العربية أقلّ عدداً من أصواتها، فانفسح المجال إلى قيام ثغرة بين الخطي والصوتيّ وحدوث تفاوت بين المنطوق والمكتوب. أضف إلى ذلك طروء علامات خطيّة تكتب ولا ينطق بها مثل واو عمرو وألف عصا ومثل همزة الوصل واللام الشمسيّة. ويعزو الأصفهاني (نحو ٢٥٠ ـ ٣٥٥ هـ) تمكن التّصحيف من كتابة العرب في الصّدر الإسلامي الأول تمكنّا تامّا إلى «أنّ الذي أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمة، ولا احتاط لمن يجيء بعده. وذلك أنّه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة، هي الباء والتّاء والثاء والنون، وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتّى يؤمن عليه التبديل».

وأمّا التصحيف فهو «أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه». وكانت الكتابة العربية من قلّة الضبط بحيث يجوز أن يقرأ الرسم الخطيّ الواحد بطرق شتّى. فالرّسم [س] يتصحّف على ثلاثين مثالا. و«إذا اتّفق على الاسم الثلاثي أن يكون أحد حروفه السّين تصحّف على نحو مائتي مثال».

وتلافيا لهذا النّقص اقتبس العرب النقطة عن السرّيان ووضعوا الإعجام والشكل؛ ثمّ أفردوا الشكل بعلامات خاصّة استحدثوها من صميم خطّهم. لكن الزيادة في التدقيق بالنقد والإعجام والشكل لم تصن الكتابة من أن يعتريها التّصحيف، ـ وإن أسهمت في تخفيض العيوب الحائقة برسم العربي ـ إذ «كلّما أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توفّ الحقوق كلّها من النّقط والإعجام اعتراها التصحيف». ثمّ إن الشكلة المنفصلة عن الحرف كثيراً ما تقع على حرف قبله أو بعده لعدم ضبط يد الكاتب الأصلي أو النّاسخ!...

ولا بدّ أنّ أسلافنا، إيماناً منهم بما نقلوه عن أرسطو من أنّ «ما في الخطّ دليل على ما في القول وما في القول دليل على ما في الفكر، وما في الفكر دليل على ما في ذوات الأشياء» لم يألوا جهداً في مواصلة البحث عن سبل تدقيق أخرى... قال الأصفهاني: «فالتمسوا حيلة أخرى فلم يقدروا عليها». والحقّ أنّه لم تنجز حتّى الآن دراسة سيميولوجية من شأنها الإفصاح عن الحقائق التفصيلية لتاريخ حياة العلامات في المجتمع الذي لسانه العربية كي نقطع بأنّ العرب عجزوا عن إيجاد وسائل خطيّة إضافية لدعم كتاباتهم.

ونحن لا نؤيّد الأصفهاني فيما ذهب إليه. بل إنّ الأصفهاني نفسه أورد في كتابه «التنبيه على حدوث التّصحيف» أنّ أحمد بن الطيب تلميذ الفيلسوف الكندي «لمّا احتاج إلى استعمال لغات الأمم من الفرس والسريانيين والروم واليونانيين وضع لنفسه كتابة اخترع لها أربعين صورة مختلفة الأشكال متباينة الهيئات، فكان لا يتعذر عليه كتب شيء ولا قراءته». ولا ننسى أنّ المسلمين أوجدوا علامات للترّقيم خاصّة بالوقف في القرآن الكريم لا تزال إلى الآن قيد الاستخدام في المصاحف. أمّا في غير القرآن، فقد اكتشف المستشرق جروهمان، لمّا كان يشغل كرسي التاريخ الإسلامي في جامعة القاهرة (١٩٥٤) ويعنى بتحقيق أوراق البردي العربية وفهرستها بتكليف من مصر ـ اكتشف أن العرب كانوا يستخدمون النقطة في مكتوبهم كعلامة ترقيم.

أمّا علماء الحديث فقد أوجدوا الضبّة لفصل كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم عمّا عداه ممّا يسبقه ويلحقه داخل السلسلة المكتوبة. فهي كانت تؤدي وظيفة الشّناتر والأقواس المعمول بها في الترقيم الحاليّ. وإن هذا إلاّ غيض من فيض العلامات الخطية التي قد طالما عاشت وأدّت دوراً ثقافيا في صلب المجتمع الإسلامي والتي تقوم الحاجة الماسة إلى تناولها بالدّرس في بحث لساني وحضاري. □

من أهم إنجازات العلماء المسلمين في مجال قراءة النصوص الدينية ما أنجزه علماء أصول الفقه من تحديـد للمقاصد الكلية للشريعـة، وهي المقاصد التي صاغها الإمام الشاطبي في خمسة مبادىء كلية عامة، هي: الحفاظ على النفس والعرض والدين والعقل والمال.

المقاصد الكلية للشريعة.. قراءة جديدة

بقلم: الدكتور نصر حامد أبو زيد

لقد تم التوصل إلى هـذه المقاصـد الكليـة من خـلال القـراءة التفصيليـة المتأنيـة والعميقـة للنصوص الـدينيـة ذات الطابع التشريعي من خـلال علاقاتها التركيبية بعضها البعض من جهة، ومن خلال علاقـاتها بنصوص العقيدة والأخلاق من جهـة أخرى، والمقصود بالعلاقات التركيبية للنصوص التشريعية:

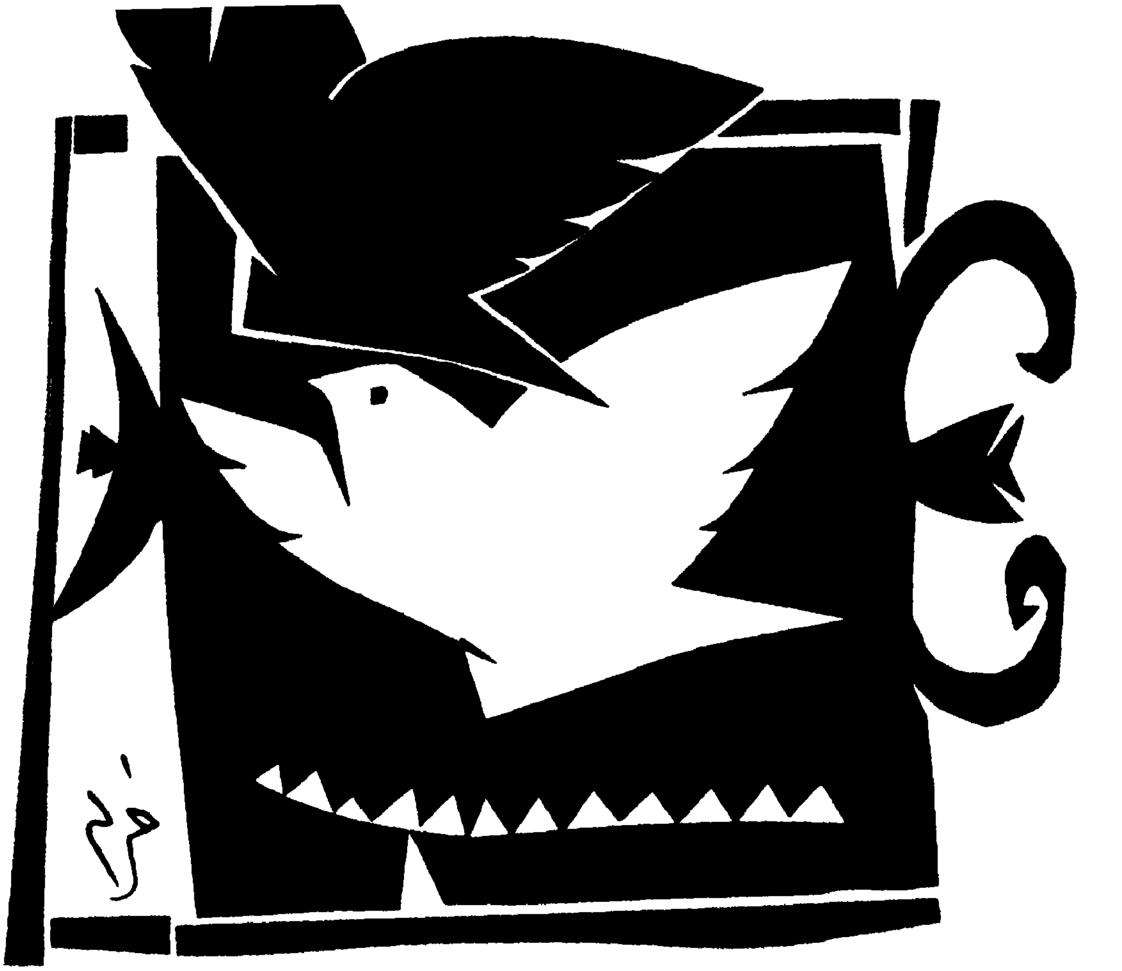
عـلاقـات الإجمال والبيان، والعمـوم والخصـوص، والنسخ.. وغير ذلك. وهي عـلاقـات إنتـاج الـدلالـة الشرعيـة، فما أجمل من نص من النصوص يكون مبينـا ومفصلا في نصـوص أخرى، وكـذلك ما كـانت دلالته عـامة قـد يكون هنـاك نص آخـر يحوله من العمـوم إلى الخصـوص، ثـم هنـاك أخيرا ظـاهـرة نسخ بعض التشريعات واستبدال تشريعات أخرى بها للتخفيف أو التدرج مراعاة لتبدل الأحوال وتغير الظروف.

هذه القراءة المتأنية العميقـة للنصوص ينتج عنها فهم الأحكـام التفصيليـة الشرعيـة، ومن هـذه الأحكـام التفصيلية أمكن لعلماء المسلمين استنباط المقاصد الكلية التي تـوجـه تلك الأحكـام، ولا تنتهي القـراءة عنـد استنباط الكليـات من الجزئيات بالمعنى الـذي شرحناه، أي بـالمنهج الصـاعـد من الجزئي إلى الكلي، وإنما يتم في قراءة أخرى تستخـدم المنهج الهابط تنزيل الكليات على الجزئيـات في محاولـة لإعـادة فهم الجزئيـات ـــ وربما تعديلهـا ـ في ضـوء الكليات المستنبطـة منها، كأن علماء الأصول خاصـة وعلماء الإسلام بصفة عامـة، يدركون أن العـلاقة بين الكلي والجزئي عـلاقـة تفـاعلية وأكثر تعقيدا من أن تكون مجرد علاقـة تراكم أو «جمع» بالمعنى الرياضي.

منهج علماء الأصول

هـذا الإنجاز المهم جـدا والخطير يؤصل منهجـا في قـراءة النصوص نـاجـزا، ولا أعني أنـه ناجـز في مجال قـراءة النصـوص الـدينيـة فقط، لأن ذلك أمـر تحقق بـالفعل، لكنـه منهج ناجـز كـذلك في قـراءة كل أنماط النصوص القانونيـة والفلسفية والأدبية.. وككل منهج نـاجز يظل منهج علماء الأصـول في استباط الكليـات من الجزئيات، ثم إعادة تنزيل الكليات لفهم الجزئيات ـ فهما مجددا ـ منهجـا مفتوحا قابلا لـلإضافة مع تجدد الوعي وتطور أساليب المعرفة وأدوات البحث، خاصة في مجال «قراءة النصـوص» ولعل هذا هو الـدافع الذي يدفعنـا اليوم لاقتراح مشروع قراءة جـديدة للمقـاصد الكلية للشريعة.

هذه القراءة الجديدة تسترشد بمنهج علماء الأصول، ولكن في إطار هموم العصر الذي نعيـش فيه، ولمواجهة



المشكلات التي تمثل عقبة أمام تحقيق وعي إسلامي جديد.

وككل قراءة جديدة من حق المشروع المقترح لقراءتنا أن يضيف إلى منهجيات القراءة السابقة ما أحدثته المنهجيات الحديثة من انشغال بمستويات الدلالة التي تتجاوز حدود الدلالة اللغوية، لقد شغلت القراءة السابقة بفحص الدلالة اللغوية أساسا، ولذلك تركز اهتمامها في الكشف عن آليات هذه الدلالة في حدود علوم اللغة والبلاغة التقليديين، وكان انشغالها منصبا أساسا على الكليات المستنبطة من الجزئيات، دون أن تقف على الدلالات الكلية الناشئة عن طبيعة الحركة المعرفية لنصوص الإسلام في كليتها، والمقصود بهذه الدلالات الكلية علاقة النص الإسلامي ـ معرفيا ـ بالنصوص التي كانت قائمة ومؤثرة وفاعلة في سياق اللحظة التاريخية للوحي، هذه الدلالات تمثل محور الحركة التي سببت الصراع والمقاومة التي واجهت النص الإسلامي خلال السنوات العشرين التي تمثل مرحلة الوحي، بل والتي استمرت بعد ذلك فيما عرف بحروب الردة، وما سبقها واقترن بها من ظاهرة «النبوات الكاذبة» التي استشرت في محاولة لمنازعة «النص الإسلامي» مشروعيته السماوية.

كلية النص الإسلامي

من الطبيعي إذن أن تحاول القراءة الجديدة تجاوز ثنائية الجزئي والكلي دون إغفالها تماما، وذلك للبحث عن الدلالة أو الدلالات الكلية التي لا تفصل بين التشريعي والعقيدي من ناحية، وبين الدلالات المستنبطة من القصص القرآني ووصف الجنة والنار من جهة أخرى، بالإضافة إلى ذلك تدخل هذه القراءة في بؤرة اهتمامها الدلالة الكلية للنص الإسلامي في سياق تفاعله الجزئي والكلي مع الواقع الاجتماعي والتاريخي، وبعبارة أخرى تحاول القراءة الجديدة بمنهجياتها المعاصرة أن تتناول النص الإسلايم في كليته، ذلك النص الذي جزأته العلوم الدينية في التراث الإسلامي فانشغل «علم الأصول» بالأحكام والتشريعات، وانشغل «علم الكلام» بالعقيدة وانشغل «التصوف» بالأخلاق، وانشغلت باقي العلوم كل بجانب من الجوانب.

والاقتراح الأولي لمشروع القراءة الجديدة يعتمد على

إدراك ثلاثة مبادىء نرى أنها جوهرية وأساسية بحيث يمكن القـول إنها تمثل «الكليـات» التي تستـوعب الجزئيات، إلى جـانب أنها تستوعب «المقاصد الكلية» الخمسة التي استبطها أسـلافنا في قـراءتهم العميقة المستوعبة بحسب الإطار المعرفي المتاح لهم، يتعلق المبدأ الكلي الأول بمفهوم «العقـلانية» بوصفها صفـة تضاد «الجاهلية» التي طرح المشروع الإسلامـي نفسه بوصفه نقيضـا لها في كثير من نصوصـه المعروفـة جـدا. وعلى عكس ما أصبح شائعا أخيرا في بعض الكتابات من أن «الحاكمية» هي نقيض «الجاهلية»، فإن نقيض الجاهلية يتحدد من خـلال ملاحظة التـداول الضدي بين لفظي «العقل» و«الجهل» في اللغــة أولا وفي القـرآن ثـانيـا، ونقـول في اللغـة أولا لأن اللغـة العـربيـة هي الإطـار المرجعي لتحديـد الدلالات المعجمية لألفـاظ القرآن، وذلك قبل أن نرى ما أحدثه القرآن من تطوير أو تغيير في هذه الدلالات.

والسيـاق اللغـوي لتداول لفظ «الجهل» ومشتقـاتـه يجعلـه نقيضا لـ «الحلم» بمعنى العقل، ولفظ «الجهل» ومشتقـاتــه يعني «العصبيـة» التي يـرتبط بها نمط من السلوك الهمجـوي العداني غير المتعقـل، يقول الشـاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته الشهيرة:

ألا لا يجهلـن أحــــد علينـــــا
فنجهل فــــوق جهـل الجاهلينــــا

ولا يمكن أن يكون الشـاعر مسخـرا بجهله «نقيض العلم والمعـرفـة»، وإنما يفخـر بعصبيته وقـوة قبيله وقـدرتها على مقابلـة العـدوان بالعـدوان، هـذه «الجاهليـــة» هـي التي أتي الإسلام نقيضا لها على جميع المستـويـات والأصعـده ليـؤسس العقـلانيـه في السلوك والفهم والعـلاقات الإنسـانيـة، من هنـا تـركيـز القـــــرآن على «العقـل» و«اللـب» و«الفكــــــر» و«الفـؤاد»، ومخاطبتـه دائما للـذين يعقلون ويتفكـرون. ولأن «الجاهليـة» نـابعـة من عصبية العرق والدم والانتماء القبلي جـاء غضب الـرسول صلى اللـه عليـه وسلم في قوله للمتفاخرين: «دعـوها فإنها منتنة»، أو في قوله «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

ومن الخطل استنتـاج بعض الصبية من الجهـال من أمثـال هــذه النصـوص معـارضـة الإسـلام لمفهـوم «الوطن» أو مفهـوم «القومية»، وإنما يعـارض الإسلام «التعصب» و«الطـائفية» و«العـرقيـة» ليـؤكد مفهـوم الدعـوة الإنساني، والـذي يقوم على المسـاواة والكفاءة والنـدية رغم كـل الاختلافـات الإثنيـة والعرقيـة، بل والدينية. إن ما يساوي بين البشر هو «العقل» الذي هو كما قال المعتزلة «أعدل الأشياء قسمة بين البشر». هكذا يمكن القول إن الإسـلام يعتمد على مبدأ كلي أساسي هو «العقل» نقيضـا للجهل، وبهذا يدين كل ممـارسات «الجاهليــة» في الفكـر والسلـوك داعيـا إلى «الحلم» وتحكيم «العقل» والاحتكام إلى «اللب» و«الفؤاد».

الحرية نقيض العبودية

المبدأ الكلي الثاني هـو مبدأ «الحرية» نقيضا للعبـودية، وهـو مبـدأ شـديـد الالتصـاق من حيث دلالتـه بمبـدأ «العقل»، ذلك أن الإنسـان الحر هــو الإنسـان العـاقل أساسـا من حيث إن «العقل» هو مـركز فعاليـة النشاط الإنساني. إن الإنسان المتعصب تحركـه مبادىء خارجية في فكره وسلـوكه، مبادىء تتحكم في عقلـه فتمنعه من ممارسة فعاليته الحرة، وهذا منشأ العبودية الحقيقي، لأن العبوديـه الاجتماعية منشـؤها نسق اجتماعي اذا تغير انتفت تلك العبـوديـة، أمـا عبـوديـة «العقل» فهي أشـد خطـرا لسيطـرتها على «جـوهـر» إنسـانية الإنسـان. إنها تـرد الإنسان إلى مستوى البهيمة في حين تظل العبـــوديـــة الاجتماعية عبودية خارجية. ليس هـذا دفاعا عـن النظام العبودي لكنه محاولة لكشف خطر عبودية «العقل» لتأكيد التـواشج والاتصال الـدلالي بين مفهوم «العقـل» ومفهوم «الحرية».



إن النصــوص التي يمكن الاستشهــاد بها لإثبـــات أن «الحريـــة» مبـــدأ كلي في المشروع

الإسلامي لا تتسع لها ولا لتحليلها هذه المقالة. ويكفي هنا أن نشير إلى أن الإسلام قائم أساسا على مبدأ «حرية الاختيار» المطلقة، واختيار المسلم للإسلام دينا لا يمكن أن يكون نافيا لمفهوم الحرية الأصلي، ذلك أن الفرع لا يلغي الأصل أبدا كما يحاول البعض أن يوهموا الناس. إن دخول الإنسان الإسلام حرا طائعا مختارا راضيا لا يحوله إلى «عبد» مجرد من حريته واختياره الأصليين، واللذين هما مناط إنسانيته. إن الذين يوهمون الناس بذلك يخلطون بين مفهوم «العبودية» السابق على الإسلام، والمرتبط بالنسق الاجتماعي العبودي، وبين مفهوم «العبادية» الذي صاغه القرآن الكريم لعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، ويتجاهل هؤلاء أن جمع كلمة «عبد» هو «عبيد»، وهو لم يستخدم في القرآن الا في سياق محدد هو سياق نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى «آل عمران / ١٨٢، الأنفال / ٥١، الحج / ١٠، فصلت / ٤٦، ق / ٢٩». والاستخدام القرآني المتواتر هو الصيغة «عباد» لا «عبيد»، وهو أمر يؤكد تغاير الدلالة رغم اتفاق صيغة «المفرد» للكلمتين، وهذا ينفي مفهوم علاقة «العبودية» بكل دلالاتها السلبية، تلك العلاقة التي يحاول البعض حصر العلاقة الأعمق بين الله سبحانه وتعالى والإنسان داخل أسوارها الضيقة الخانقة، ويتم ذلك كله في ظل تجاهل شبه تام للنصوص التي تتحدث عن بعد «الحب» المتبادل بين الله العظيم وبين عباده.

ولا يمكن الاعتراض على كلية مبدأ «الحرية» في النص الإسلامي بالإعراض السقيم الذين فحواه أن الإسلام لم يلغ العبودية من حيز النظام الاجتماعي،، ومع ذلك فإن مناقشة هذا الاعتراض تكشف عن بعد احترام الإسلام لقوانين الواقع والتاريخ، وذلك بتجنبه عدم المجازفة بالوثب فوقها وتجاهلها. إن الدين الذي حرم الخمر على ثلاث مراحل تدرجا في التشريع، والذي نسخ بعض الأحكام واستبدل بها أحكاما أخرى في فترة الوحي لهو دين واقعي إنساني يؤكد أن الفعل الإلهي اذا تحقق في التاريخ يجري على سنن التاريخ، وهي السنن التي تمثل القوانين الكلية التي عبر عنها القرآن الكريم بـ «سنة الله» التي لن تجد لها تبديلا، ولعل هذا الشرح يرفع عن كلمة «التاريخ» الدلالات السقيمة التي يلصقها بها البعض حين ترد في مثل هذا التحليل مصاحبة لكلمة «الوحي».

لكن احترام قوانين التاريخ والواقع لا يعني أن الإسلام وقف حيالها عاجزا، فمنهج الإسلام هو التغيير الجزئي الذي يؤدي في النهاية إلى «خلخلة» دعائم البنى الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية القائمة والمسيطرة،



وكان هذا موقفه من النظام العبودي الاجتماعي حيث انبثت دعوة الإسلام إلى تحرير العبيد في كثير من النصوص بدءا من «المساواة» بين العبد والحر في الأحكام وفي معايير الثواب الأخروي، والتخفيف عن العبيد في أحكام العقاب الدنيوي ـ في مجال الحدود بصفة خاصة ـ مراعاة للضغوط الاجتماعية التي يتعرضون لها فتجعلهم أقرب إلى الوقوع في الخطأ. علاوة على ذلك فتح الإسلام في كثير من أحكامه باب التحرر بأن جعل «عتق الرقبة» وتحريرها واحدة من أهم الكفارات في حالات كثيرة وأحكام عديدة، والأهم من ذلك أنه جعل الزواج من العبد المسلم أفضل من الزواج من الحر المشرك، وكذلك جعل الزواج من الأمة المسلمة خيراً من الرواج من الحرة المشركة، ومعنى ذلك أن الإسلام جعل معيار «القيمة» معيارا مخالفا للسائد الاجتماعي.

إطلاق مبدأ الاختيار

كل هذه التغييرات على مستوى الأحكام ارتبطت بتأكيد نسق للقيمة يفتح الباب للحرية والتحرر من العبودية كما من عصبية الدم والعرق تماما، لكن الأهم من ذلك والأخطر إطلاق الإسلام لمبدأ حرية العقائد وممارستها من جهة، وإطلاق مبدأ حرية الاختيار للإنسان الفرد من جهة أخرى، وفوق ذلك كله فقد دشن الإسلام مفهوما للإنسانية الحرة الطليقة بأن أعلن رسالته خاتمة الرسالات والكلمة الأخيرة من

السماء إلى الأرض، وهذا معناه الإقرار بأن الإنسانية قد تعدت مرحلة ما قبل النضوج التي تتطلب الوصاية الدائمة إلى مرحلة «الرشد» الكاملة.

هـذه الحرية التي يحاول بعض المتعصبين أن ينال من اتساعها و عمقها تجد جذرها في الخطاب الإسلامي من حقيقة صفة «العدل» الإلهية وهي الصفة التي لا تقف دلالتها عند حدود نفي الظلم فقط، بل تمتد دلالتها إلى إقرار مبدأ «العدل» مبدأ كليا للوجود الإنساني. إن حرص المعتزلة على تأكيد صفة العدل الإلهي هو الذي أفضى بهم إلى تأصيل صفة «التوحيد» فكريا وفلسفيا. إن الله سبحانه وتعالى عادل لأنه ليس صاحب مصلحة ولا تلحقه الحاجة ولا المنفعة التي تدفع البشر إلى الظلم دفعا لضرر أو استجلابا لنفع، ولن يزيد ملكه طاعة الطائعين ولن ينقص ملكه سبحانه وتعالى عصيان العصاة ولا كفر الكافرين. هذا «الاستغناء» المطلق هو جوهر مفهوم «الوحدانية» التي تميز الوجود الإلهي عن الوجود الإنساني، وهو ذاته جوهر مفهوم «العدل» الإلهي، هل بالغ الفقهاء الذين قالوا: حيث يوجد «العدل» توجد شريعة الله؟! وهل بالغوا كذلك حين قالوا: الحاكم العادل خير وأفضل من الحاكم الظالم ولو كان الأول غير مسلم والثاني مسلما؟! لا أظن ذلك، فقد تعمقوا مفهوم «العدل» الإلهي الذي انسرب مبدأ كليا بالضرورة في المشروع الإسلامي.

مقاصد الشريعة

إن هذه المبادىء الكلية المقترحة الثلاث ــ العقل والحرية والعدل ــ تمثل منظومة من المفاهيم المتماسكة المترابطة من جهة، وهي تستوعب المقاصد الكلية الخمس التي استنبطها علماء أصول الفقه من جهة أخرى. إن الحفاظ على النفس والعقل والدين والعرض والمال تبدو مبادىء جزئية بالسبة للمبادىء الثلاث الكلية المقترحة، ويمكن بالتالي أن تندرج فيها، هذا إلى جانب أن تلك المبادىء الثلاث المقترحة تستوعب جميع القواعد الاجتهادية التي أنجزها الأصوليون مثل قاعدة «الاستحسان» و«المصالح المرسلة» و«استصحاب الأصل» و«إباحة الضرورات للمحظورات».. وغير ذلك.. وسيتم قبول هذه القواعد على أسس كلية ترفع الاختلاف المعروف بين المدارس الفقهية حول مشروعية بعض هذه المبادىء. قد تصبح هذه الخلافات موضوع تحليل ودراسة لاكتشاف الأسباب والعلل لفهم تاريخ المذاهب والأفكار، لكننا لن نكون ملزمين ــ في ضوء المبادىء الكلية المشار إليها ـ بالاختيار بين هذا أو ذاك.

ومن المؤكد أن الانطلاق من هدي تلك المبادىء سيجعلنا نتوقف عند قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» وقفة نقدية فاحصة متأملة للسياق التاريخي الذي صيغت فيه وهو سياق حالة الضعف والتمزق والتشتت الذي أصاب بنية المجتمعات العربية الإسلامية، ونحن الآن بصدد محاولة تجاوز هذه الحالة المشار إليها، واللحاق بركب التقدم والمدنية، يصعب علينا تقبل مثل تلك القاعدة، هذا بالإضافة إلى أنها تتعارض مع مبادىء العقل والحرية والعدل، التي هي بمثابة المقاصد الكلية للشريعة. ولا شك أن كل تقدم اجتماعي وعمراني وتقني إنما يرتبط بتطور الوعي الإنساني وبتنامي قدرته على اكتشاف القوانين الطبيعية والاجتماعية، وبعبارة أخرى ليس التقدم إلا تقدما في نشاط «العقل» الذي يمثل مركز المشروع الإسلامي في تناقصه مع الجاهلية. لكن كل تقدم له بعض توابعه السلبية التي تترتب عليها بعض الأضرار، وهي بمثابة ضريبة تدفعها البشرية في سبيل التقدم، فلو أخذنا بقاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» لناهضنا التقدم ووقفنا حجر عثرة في سبيله، أي لناهضنا تطور العقل وتقدمه، وبذلك ننتهك مبدأ كليا من مبادىء الإسلام.

إن دراسة النصوص الدينية وفهمها وتأويلها من خلال تلك المبادىء الكلية الثلاث يمكن أن يكون هاديا لصقل مزيد من آليات الاجتهاد تضاف إلى آليات الاجتهاد التي وصلت الينا من تراثنا الفكري، ومن الممكن بالطبع أن تتفرع عن تلك المبادىء الكلية فروع تنمو وتتزايد مع عملية القراءة المقترحة والتي تحتاج إلى جهود وجهود، جهود تتجاوز حدود إمكانات الفرد وتحتاج إلى إمكانات مؤسسات بحثية جديدة، تحتاج إلى مؤسسات بحثية علمية على صلة بمنهجيات العلوم الإنسانية المتطورة بصفة عامة، وما يتعلق من تلك المنهجيات بدراسة النصوص وفهمها وتأويلها بصفة خاصة. ولا خوف على عقائدنا وديننا من تلك المنهجيات وإجراءات تحليلها، وإنما الخوف من «الجمود» و«التقليد» اللذين يمثلان حصون الدفاع في المؤسسات التقليدية. لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسله للناس يحملون كلامه عز وجل لكي يفهمه الناس، وليست عملية الفهم حكرا على عصر من العصور مهما بلغ إخلاص أهله، بل هي عملية تتشارك فيها كل العصور سعيا لإتمام نور الله سبحانه وتعالى بإبراز الدلالات الكامنة في كلامه. □



□ الحلزون المزدوج حامل الشفرة الوراثية الذي يحمل ثلاثة بلايين من المكونات.. صار أوسع آفاق البحث العلمي في الحاضر والمستقبل القريب.

آفاق جديدة للعلم

بقلم: الدكتور عبدالله العمر

من كشف أسرار الدماغ، إلى البحث في إمكان استنساخ البشر، ثورة بيولوجية كبيرة وخطيرة نعيشها، تحيل خيال الأمس إلى حقائق مذهلة، وتثير من قضايا القانون والأخلاق ما تثير..

بلغت عظمة الاكتشافات العلمية مرتبة متقدمة جدا في عصرنا الراهن، وقطعت تكنولوجيا العلم شوطا بعيدا في كل ميدان، حتى باتت جماعة من العلماء تظن أن فك رموز الطبيعة بأسرها قد بات على الأبواب. والحق أن هناك معطيات تجيز للعلماء أن يذهبوا إلى مثل هذا الرأي الذي قد لا يكون مألوفا لدى الكثيرين أو مستساغا عند بعض الناس، فقد أصبح الإنسان في يومنا هذا يعرف عن نفسه أشياء كثيرة لم يكن له علم بها من قبل، ذلك أن العلماء قد تمكنوا من كشف جانب كبير من الأسرار التي تتعلق بوجوده ومراحل تطوره وغير ذلك كثير، فلقد تيسر للباحثين ــ مثلا ــ أن يعرفوا الطريقة التي تتضافر بها أنشطة الجسم المختلفة، وكيف تقوم الأجهزة المتعددة بوظائفها، وكيف تتم عملية التفكير، وما علاقة الدماغ ـ وهو جهاز التفكير ــ بسائر أعضاء الجسم وأجهزته. ونظرة إلى الأثر العميق الذي واكب كل هذه الاكتشافات العظيمة في ميدان البيولوجيا تطلعنا على أن الإنسان بات يفكر جديا في التحكم بمصيره بنفسه، وأنه صار يتطلع بشغف إلى اليوم القريب الذي يستطيع فيه تشكيل حياته القادمة على النحو الذي يرغب فيه.

ومهما كانت طبيعة النزاع الحاد الذي ما انفك قائما بين جماعات مختلفة حول تحديد شكل الإنسان في المستقبل، وحول شرعية التحكم بخصائصه الوراثية، فإن المحصلة النهائية تتمثل في أننا أصبحنا

اليوم نعيش ثورة بيولوجية بكل ما في الكلمة من معنى، فعلى غرار ما فعل الكيميائيون والفيزيائيون عندما أقبلوا على دراسة المادة اللاعضوية وتوصلوا إلى كشف الكثير من أسرارها، وجدنا البيولوجيين يعملون ـ بشغف شديد ـ على دراسة الخلية الحية ويبحثون في نواتها ومكوناتها، بل لعل الثورة التي صرنا اليوم نشهدها في ميدان البيولوجيا قد فاقت ـ بكثير ـ نظيراتها التي تحققت في ميادين علمية أخرى.

ثورة بيولوجية كبرى

ولعل اللافت للنظر هنا أن كثيرا من العلماء لم يولوا الثورة البيولوجية أهمية كبيرة في بادىء الأمر، ولم يكونوا قادرين على تصور ما يمكن أن تسفر عنه الاكتشافات الجديدة في مجال الجينات، فلقد كان البعض منهم يظن أن الثورة البيولوجية لا تعدو أن تكون نمرا من ورق، أو ماردا من الشمع، بل إن بعض علماء البيولوجيا لم يرهقوا أنفسهم كثيرا في دراسة ما درج بعض كتاب الروايات العلمية على كتابته وتصويره ـ منذ زمن طويل ـ حول الإمكانات الواعدة للأبحاث البيولوجية.

وما أن مضت فترة قصيرة حتى أصبح الخيال حقيقة، وتحول الحلم إلى واقع ملموس بالفعل، فلقد دار في ذهن كل من ت.هـ. مورجان T.H.Morgan، وهـ.ج. مولر H.J Muller مثلا أن يصورا كروموزومات الحشرة، بل وتخيلا إقامة بنك للحيوانات المنوية ـ مثل بنك الدم ـ كيما يستطيع العلماء الاستفادة منه في «إنتاج» فنانين مثل شكسبير، أو علماء من طراز آينشتين، أو عباقرة مثل ابن الهيثم، أو فلاسفة كبار على غرار الفارابي أو ابن سينا، وها نحن اليوم أمام فتوحات عظيمة في ميدان البيولوجيا تحقق بالفعل ما كان يعتبر بالأمس القريب خيالا جامحا. ومالنا لا نلتفت إلى المسار الذي يمكن أن يجسد لنا جانبا من هذه الملحمة العظيمة التي صرنا نلمس آثارها في كل يوم تقريبا، فلقد نشر ألدوس هكسلي Aldous Huxley كتابه الرائع «عالم جديد شجاع» Brave New World في عام ١٩٣٢، وكان التصور الذي طرحه آنذاك حول إمكان مجيء الأطفال وولادتهم بنفس الطريقة التي يتم بها تفريخ الصيصان الصغيرة يعتبر محض خيال في ذلك الوقت، أو قل: إن التصورات التي طرحها هكسلي في كتابه ذاك كانت أقرب إلى الخيال العلمي منها إلى التصور أو الخطة العلمية المعقولة، ولكن العلماء اليوم يؤكدون إمكان تحقيق تلك التصورات التي داعبت خيال هكسلي آنذاك، فليست الهندسة الوراثية حلما أو خيالا بل صارت الوقائع المؤكدة تتوالى علينا في كل يوم تقريبا، وأصبحت المجلات والكتب والدوريات العلمية تتخذ من موضوع الثورة البيولوجية مادة لها، وكذلك لم تعد مسألة تشكيل الإنسان مجرد وهم أو ضربا من الخيال وإنما صار المنظرون والعلماء يرسمون الصفات ويحددون السمات التي يودون أن يكون إنسان المستقبل حائزا عليها، وها نحن نرى الناس في يومنا هذا يؤكدون أهمية استشارة مكاتب الزواج ومراكز تحسين النسل لأجل أن تكون ذريتهم خالية من العاهات أو الأمراض الوراثية المستعصية، وما إقبالهم على



□ هل يشهد المستقبل علاجا يتكون من مجرد حقنة بها شفرات وراثية معدلة؟ علماء الهندسة الوراثية يؤكدون إمكانية ذلك في المستقبل.

مكاتب الاستشارة تلك إلا لأن العلم قد أثبت أن عشرات الأمراض تعتبر اليوم وراثية وأن أسبابها كامنة في جينات الخلية نفسها.

علاج بالمعلومات !!

إن الإنجاز الأكبر في ميدان البيولوجيا والطب الحديث لا يتمثل اليوم في معرفتنا بأن أمراضا كثيرة ترجع في أصولها إلى أسباب وراثية، ومن ثم يمكن وضع الإرشادات وتحديد الضوابط والقيود التي تحول دون الإصابة بها عن طريق استشارة مكاتب الزواج ومراكز تنظيم النسل وتحديده، أقول: إن الإنجاز الأكبر لا يتمثل في اتباع هذا الطريق فحسب بل في ابتكار وسائل جديدة من شأنها معالجة الأمراض الخطيرة والحالات المستعصية عن طريق ميدان جديد في الطب يسمى «علاج الجينات»، فالأطباء يتحدثون اليوم عما يسمى بـ«المعلومات عن السرطان» مثلا، أو عن المعلومات الخاصة بأي مرض وراثي يتم تحديده عن طريق الجينات، ذلك أن الجين نفسه عبارة عن جزيء من المعلومات التي يتم بواسطتها برمجة الأحماض الأمينية في الخلية، وعلى ذلك فإنه لو تيسر للطبيب أن يدخل معلومات تصحيحية أو علاجية إلى الخلية فإنه يصبح ممكنا القضاء على الداء أو تلافيه مسبقا. وحال المرء الذي يخضع لعلاج من هذا النوع يماثل حال المرء الذي يتلقى مصلا واقيا أو طعما يجعله بمنأى عن الإصابة بمرض معين، وكل الفرق هنا هو أن الأمصال الواقية تؤخذ بعد الولادة في حين أن العلاج عن طريق الجينات يعتبر بمثابة تطعيم ضد الأمراض أو العاهات يتلقاه الجنين من قبل أن يولد أو يتشكل في رحم الأم.

أما الأكثر من هذا وذاك فهو أن «الهندسة الوراثية» قد فتحت لنا أبواب عهد جديد في حياة الإنسان وتطوره يصعب على العقل أن يتصور أبعادها وإمكاناتها في كثير من الأحيان، ذلك أنه إذا كانت مكاتب الاستشارة للزواج وأسلوب علاج الجينات مسبقا يهدفان إلى القضاء على الأمراض أو تلافيها على النحو الذي ذكرناه، فإن هندسة الجينات تفوق ذلك باستهدافها إكساب الأجيال القادمة إمكانات جسمية وعقلية متميزة تفوق القدرات التي يتمتع بها البشر عادة في عالمنا المعاصر، أو قل بأن «هندسة الجينات» باتت تكشف أن الإنسان قد أصبح قادرا على التدخل عن عمد وبشكل مقصود في صنع إنسان جديد يتم تحديد سماته وخصائصه



□ عام ٢٠٠٥ يتوقع علماء الوراثة الوصول إلى تحديد كامل لخريطة المورثات البشرية.

بصورة مسبقة، ولقد بلغت أهمية هندسة الجينات أو ما يسمى اليوم بـ «الهندسة الوراثية» حدا فاق بكثير ما كان يسبب بالأمس إلى عمليات الإخصاب الصناعي من أهمية أدهشت البشر جميعا، فما قولك مثلا في أن البشر يمكنهم ـ عن طريق الهندسة الوراثية ـ أن يتحكموا في جنس الجنين، فما يكون على الوالدين اللذين يرغبان في الإنجاب سوى أن يحددا «المواصفات» التي يودان الجنين القادم حاصلا عليها مثل رغبتها في أن يكون الجنين ذكرا أو أنثى، أو تفضيلها أن يكون الجنين ذا شعر أشقر، أو عينين عسليتين، أو طول فارع، أو ذكاء متوقد، أو ما إلى ذلك من صفات كثيرة يختارانها بمحض إرادتها

و«حسب الطلب»، بل إن اللافت للنظر أكثر في يومنا هذا هو إمكان أن «يستنسخ» المرء لنفسه ذرية تماثله تماما في كل صغيرة وكبيرة.

قتل «أ» لصالح «ب»

ولكن الثورة البيولوجية التي صرنا نلمح اليوم جانبا من إمكاناتها العظيمة قد كشفت في الآن نفسه عن إشكالات قانونية خطيرة، وأفرزت لنا معضلات اجتماعية لم يكن لنا عهد بها من قبل، فإطالة عمر الإنسان أصبحت موضوعا يظن العلماء أنه قابل للإنجاز، وما عليك إلا أن تتصور المشكلات التي تنجم عن الوسائل المتبعة من أجل تحقيق هذا الهدف، مثلا، ذلك أن الثورة البيولوجية قد أوحت للعلماء بأن الطريقة التي يعمل بها جسم الإنسان تماثل الطريقة التي تعمل بها الآلة الميكانيكية أو الساعة التي تضبط الوقت بموجب الأجزاء التي تتركب منها، ومن هنا فإن المحافظة على جسم الإنسان أو إطالة مدة حياته تناظر ـ إلى حد بعيد جدا ـ عملية المحافظة على الساعة عن طريق تزييتها، وإجراء الصيانة الدورية لها، واستبدال قطع الغيار القديمة فيها، ولكن المشكلة هنا تتمثل في أن المحافظة على جسم إنسان معين، أو إطالة أمد حياته لا تتحققان ـ في بعض الأحيان ـ إلا على حساب حياة إنسان آخر بطبيعة الحال، ذلك أن «قطع الغيار» اللازمة لإطالة حياة «أ» من الناس لا تكون متوافرة إلا من خلال استئصالها من «ب» الذي سوف يلقى حتفه أو يكون عرضة لمخاطر كثيرة نتيجة ذلك.

وعلى هذا فإن المشكلة هنا لا تكمن في تصورات علمية نظرية أو في تطبيقات تكنولوجية يمكن أن نحقق بها هدفا محددا، وإنما المشكلة تكمن في اعتبارات إنسانية وأبعاد أخلاقية وقانونية على أقل تقدير، ومن المؤكد أن كل هذه الاعتبارات والأبعاد الجديدة للثورة البيولوجية ستظل بحاجة إلى حلول مناسبة على كل صعيد، ودلك من قبل أن يقطف الإنسان ثمار الاكتشافات الجديدة والتطبيقات المبتكرة في ميداني الطب والبيولوجيا، ذلك أن الجدل الحاد الذي يدور اليوم بين فئة من العلماء، وجماعة من رجال القانون، وفرقة من الخبراء في علم النفس والاجتماع، إنما يستهدف الوصول إلى صيغة «إنسانية» للتطبيقات العلمية في هذين الميدانين، وتتمثل الصيغة الجديدة ـ بطبيعة الحال ـ في كيفية تحقيق الآمال المعقودة على منجزات العلم والتكنولوحيا في مجالي الطب والبيولوجيا دون أن يترتب على ذلك تهديد لحياة أي إنسان أو ينجم عنه أدنى امتهان لكرامته. □

لمرضى القلق والاكتئاب.. انسوا الأدوية وعليكم بالشعر

نصحت دراسة أجراها أطباء بريطانيون على الذين يعانون من القلق والاكتئاب بقراءة الشعر بدلا من تناول العقاقير.

وقالت صحيفة ديلي تليجراف في فبراير الماضي إن الأطباء المشاركين في الدراسة في جامعة بريستول بجنوب غرب إنجلترا وجدوا أن بضعة سطور من أشعار ووردزورث أو كيتس أو براونتج يمكنها التغلب على احتياج المريض للعقاقير.

وقالت الصحيفة إنه في بلد يصل فيه الإنفاق على الأدوية المضادة للاكتئاب إلى أكثر من ٨٠ مليون جنيه استرليني «٥, ١١٧ مليون دولار» سنويا، فإن هذه الوصفة الأدبية يمكن أن توفر على خدمات الصحة الحكومية أموالا كثيرة.

وقال الدكتور الكسندر ماكارا رئيس الرابطة الطبية البريطانية عن الدراسة «أعتقد أن الشعر أفضل من أي أدوية، فهو وسيلة علاجية تماما مثل الموسيقى، لكن صناعة الأدوية قد لا يعجبها ذلك بالطبع.



□ لقطة من فيلم «الليل» للمخرج محمد ملص، أكثر من جائزة ذهبية.

السينما السورية

سينما الموضوع وليس الممثل

بقلم: خليـــل صويلـــح *

بدأت السينما في سوريا بمغامرة مبكـرة، إذ يعود إنتاج أول فيلم روائي سوري إلى سنة ١٩٢٨، وقد وقف وراءه شـاب متحمس اسمـه «أيوب بـدري»، لكن المغـامرة وإن كـانت تصنع المبـادرة، فإن الاستمـرارية تتطلب نمطـا آخر من السعي، فكيف كـان سعي السينما السوريـة، وإلى أين وصل؟.

* كاتب وناقد سينمائي سوري.



□ لقطة من فيلم «صهيل الجهات» إخراج ماهر كدو - جائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان دمشق.

كان الفيلم السوري الأول بعنوان «المتهم البريء» ولاقى الفيلم نجاحا باهرا، فتشجع مغامر آخر كان يهوى السينما وأقدم على إنتاج فيلم بعنوان «تحت سماء دمشق»، وكان هذا المغامر هو «رشيد جلال» الذي تعاون مع هاو آخر هو «إسماعيل أنزور»، وقد أنجزا الفيلم سنة ١٩٣٢، مع انتهاء عهد السينما الصامتة، فأضيف إليه بعض المقطوعات الموسيقية المرافقة لأحداث الفيلم، ووجدت السلطات الفرنسية التي كانت تحتل البلاد ذريعة لإلغاء عرض الفيلم، بأن أصحابه لم يدفعوا حقوق التأليف الموسيقي فخسر الفيلم ثلاثمائة ليرة ذهبية، هي رصيد الشركة التي أطلقت على نفسها اسم «هيلوس فيلم».

وفي الأربعينيات بدأت مرحلة جديدة على يد مغامر أكثر خبرة ودراية بالفن السينمائي هو «نزيه شهبندر» الذي أنشأ استوديو خاصا به وجهزه بمعدات أسهم بصناعتها وأنتج فيلم «نور وظلام» سنة ١٩٤٨ وهو أول فيلم سوري ناطق. وظلت المغامرات السينمائية الفردية مستمرة إلى أوائل الستينيات، حتى تأسست المؤسسة العامة للسينما في بداية سنة ١٩٦٤، وبدأت مرحلة جديدة ونوعية في السينما السورية، تميزت منذ أفلامها الأولى بالجدية والعمق والهوية.

والآن بعد مرور ثلاثين سنة على تأسيس المؤسسة العامة للسينما، نلقي نظرة إلى أحدث إنتاجاتها خلال التسعينيات والتي حققها مجموعة من المخرجين المتميزين على مستوى الوطن العربي، وحصدوا عليها جوائز مهمة، من مهرجانات سينمائية عربية وعالمية.

بداية الموجة الجديدة

مع مطلع الثمانينيات، بدأت رياح موجة جديدة في السينما السورية، تمثلت في كوكبة من المخرجين الجدد الذي خاضوا تجارب جريئة في السينما، إن على صعيد اللغة البصرية، أو في اختراقهم لمواضيع أكثر خصوصية في الحياة العامة تجلت بالبحث في مشكلات



□ لقطة من فيلم «شيء ما يحترق» إخراج غسان شميط.

الفرد وتفاصيل الحياة اليومية، والقلق الذاتي ضمن القلق العام. وهذه الهواجس الجديدة رسمت صورة مختلفة للفيلم السوري سواء على الصعيد المحلي أو العربي، أو عبر المهرجانات العالمية بتوصيفها للبيئة توصيفا على درجة عالية من العمق والكشف، وهكذا تعرفنا على سمير ذكري في فيلميه «حادثة النصف متر» و«وقائع العام المقبل»، وعلى محمد ملص في «أحلام المدينة» الذي نهج إلى أسلوبية شاعرية في تناول التاريخ على أرضية من السيرة الذاتية المشبعة بالحنين.

وقدم أسامة محمد في فيلمه الأكثر تميزا «نجوم النهار» رؤية شفافة وعنيفة بآن معا لعائلة تفتقد أواصر الحب والمودة بتكنيك إخراجي أخّاذ.

ومما يلاحظ في تجارب هؤلاء المخرجين ومن تلاهم، اعتمادهم على أنفسهم في كتابة سيناريوهات أفلامهم محققين الصورة المثلى لسينما المؤلف!.

خلال السنوات الثلاث الأولى من عقد التسعينيات، حقق مجموعة من المخرجين تجاربهم السينمائية الأولى في الأفلام الروائية، فكان الفيلم الأول للمخرج عبداللطيف عبدالحميد «ليالي ابن آوى» بمثابة العزف المنفرد في السينما السورية، حيث ذهب إلى منطقة جديدة هي الكوميديا السوداء، من خلال تناوله لحياة عائلة ريفية تعيش في قرية صغيرة: أب متسلط وأولاده والحياة اليومية لفلاح نصف متعلم يريد للحياة أن تسير على هواه، لكنه في النهاية يفقد كل شيء ويبقى وحيدا مع عواء بنات آوى.

وفي فيلمه الثاني «رسائل شفهية» ينهل عبداللطيف عبدالحميد من كنوزه القروية الساخرة موضوعا جديدا وآسرا على خلفية من قصة حب بين شاب بأنف طويل وفتاة وحيدة في القرية تعاكسها الظروف وتتزوج منه لتتكرر مأساتها بأولاده الذين جاءوا بأنوف طويلة أيضا.

يقول عبداللطيف عبدالحميد: «أنا أميل إلى الكوميديا الساخرة، كوميديا الحالة، وأعتمد البساطة في تقديم أفكاري حتى على صعيد الأسلوب

السينمائي، فأنا أكره الرموز الخفية جدا، يهمني أن تصل أفكاري إلى كل الناس بسوية واحدة».

وإذا كان عبداللطيف عبدالحميد قد صوّر البيئة الريفية في الساحل السوري فإن المخرج «ريمون بطرس» لجأ في فيلمه الأول «الطحالب» إلى ضفاف نهر العاصي، ونواعير حماة، من خلال حكاية أسرة وإخوة يتنازعون حول إرثهم في الأرض لينتهي الفيلم بفجيعة جسدها المخرج بمشاهد رؤيوية تحمل من التراجيديا المسرحية ملامحها، ومن التحولات الاجتماعية المعاصرة بؤرتها الجوهرية.

بيئات متنوعة

ومع فيلم «الليل» يعود بنا المخرج محمد ملص في تجربته الروائية الثانية الي مدينة القنيطرة، التي ولد فيها مستذكرا طفولته على خلفية من الأحداث السياسية التي مرت بها سوريا وفلسطين خلال فترتي الثلاثينيات والأربعينيات ليمزج بين السيرة الذاتية والسيرة العامة، بين الحلم والواقع برؤية تشكيلية باهرة تجمع ضمن الكادر الواحد بين «الذاكرة والشاعرية البصرية المليئة بالألم والشجن والحسرة وعدم الرضا»، وبذلك يحقق أسلوبه الخاص الذي بدأه بفيلم «أحلام المدينة» متخذا من السيرة الذاتية موضوعا لفيلميه بإضافة الأحداث العامة إلى نسيجه المتفرد.

ويتناول المخرج غسان شميط في فيلمه الأول «شيء ما يحترق» حكاية عائلة نزحت من الجولان إثر حرب ١٩٦٧، وحلمها في العودة إلى البيت الأول ورفضها التجذر بعيدا عن مطارح الأهل وتصاعد المشكلات التي تواجهها خلال عشرين سنة من فقدان الحلم.

أما المخرج ماهر كدو في فيلمه الأول أيضا «صهيل الجهات» فتلح عليه ذاكرة بدوية في تقديم بيئة ظلت مهملة في السينما السورية، هي بيئة الجزيرة والفرات



□ لقطة من فيلم «رسائل شفهية» سينما الكوميديا السوداء.

الغـارقـة في الـوهـم والحلم. وقد جاء الفيلم بمثابة قصيدة متعددة الأصوات خلال حكاية فتاة تتعرض للاغتصاب في ليلة مظلمة على يد عصبة من الأشرار، بعد أن يُقتل والدها، مربي الخيول الأصيلة، ومكابدات هذه الفتاة خلال رحلة طويلة من السهول إلى الصحاري والجبال بحثا عن قتلة أبيها لإطفاء نارها المشتعلة في الضلوع.

الفيلم يعتمد اللغة البصرية ويقتصد في الحوار، فيكشف عن هواجس الأمكنة المتباينة من الطين إلى الحجر، كما يصل إلى مقولة مهمة عن معنى الاغتصاب بشكله الشامل، اغتصاب الحلم والبراءة والحياة السيطة، وإرهاصات الفرد أمام طغيان الشر.

ويرى ماهر كدو في حوار معه: «أن الفيلم مبني على مستويين، الأول واقعي، والثاني متخيل، وقد حاولت أن أحلق في المستوى الأول حكاية وهذه الحكاية عتيقة من غابر الأزمان، وقد تحدث إلى الآن، وفي مزجي بين الواقع والمتخيل، أعمل ما بين المنطق والدلالة انطلاقا من مقولة صغيرة هي: الحق للوصول إلى الحقيقة».

التأكيد على دور الهامشيين

في سنة ١٩٩٣، أنجز المخرج نبيل المالح فيلمه «الكومبارس» بعد غياب طويل عن الشاشة الفضية، وفيه يتجه إلى منطقة سينمائية جديدة، من الملحمية في أفلام قديمة كالفهد وبقايا صور إلى العزلة والذات في فيلمه الجديد شكلا وموضوعا، إذ تدور أحداث الفيلم في غرفة خلال مائة دقيقة هي المدة الزمنية للفيلم أيضا، ويتناول حياة الهامشيين أو «الكومبارس» في المجتمع.

شاب يدرس الحقوق ويعمل «كومبارس» في المسرح القومي، يلتقي بحبيبته الأرملة في بيت صديقه، ويحاول أن يتخلص من الخوف وأن يرفع صوته عاليا في الدفاع عن كرامته بتجسيده أدوارا متنوعة في مسرح متخيل للخروج من الهامش إلى المتن في الحياة، لكنه يظل محاصرا وأسيرا لحالة الإحباط والفزع من العالم الخارجي.

يريد المخرج نبيل المالح التأكيد على دور الهامشيين وحقهم في الحياة والكرامة والحلم عبر لغة بصرية ثرية باللون والحركة والتشكيل تتناسب مع قصة حب شرقية، محاصرة ومحبطة، وقد حاز هذا الفيلم على جائزة أفضل إخراج في مهرجان القاهرة السينمائي الأخير.

يلاحظ في هذه التجارب السينمائية خصوصيتها في تناول البيئة وفي تقديمها موضوعات جادة، بعيدا عن التسلية والتوابل التجارية، ومحاولتها التأصيل لسينما عربية تقول كلمتها الخاصة وصورتها التعبيرية المتميزة وإن تنوعت أساليبها في الطرح والمعالجة، كما يلاحظ أن صانعيها يحملون هموما عميقة في تشريح أورام المجتمع العربي المعاصر بكاميرا غير محايدة ولا تضع في ذهنها المتطلبات الآنية للسينما.

إن النجم في السينما السورية الجديدة هو الموضوع وليس الممثل، ومن هنا لجأ جميع المخرجين في أفلامهم إلى وجوه جديدة غير معروفة، في تقديم أفكارهم، كيلا تختلط الصورة في ذهن المتلقي.



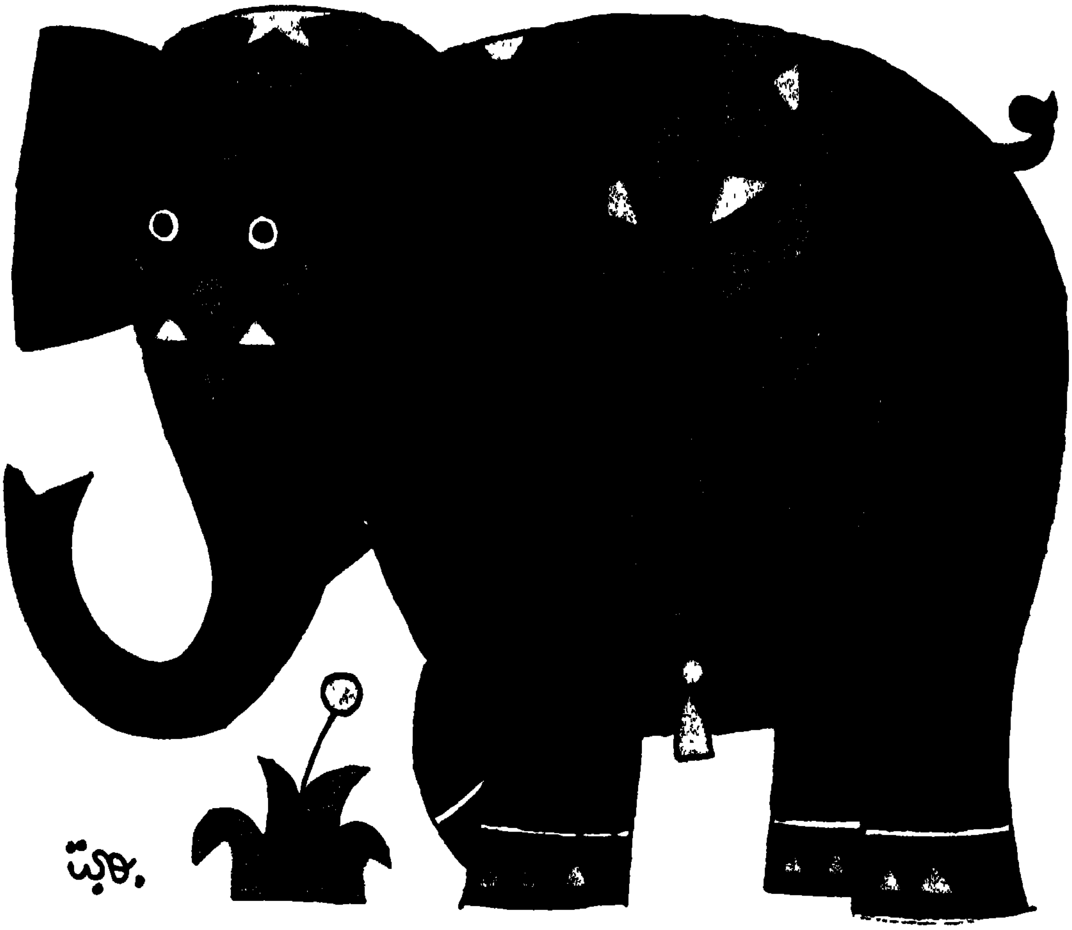
□ لقطة من فيلم «الكومبارس» حائزة أفضل إخراج في مهرجان القاهرة.

صحيح أن الكم قليل في إنتاجات المؤسسة العامة للسينما، لكن النوع شديد الثراء والتنوع والقيمة الفكرية والبصرية.

ومن هنا حازت هذه الأفلام وأينما حلت على جوائز ذهبية في المهرجانات العربية والعالمية من دمشق إلى قرطاج إلى مونبلييه وفالانسيا وروتردام ونانت والرباط ومختلف المهرجانات الأخرى.

كما عرضت على معظم شاشات العالم كسينما من العالم الثالث تنافس أرقى الأفلام العالمية وتتفوق عليها في معظم الجولات.□

محمد المخزنجي



الفيل

الذلول الطيب الفاشل تاريخيا ذو الأنياب الثمينة فنيا

الفيل حالة من الوداعة الضخمة الرقيقة، انسابت منذ العصور القديمة حتى وصلت إلى عصرنا المضطرب، يثير في النفس قدرا مذهلا من الاطمئنان حتى ولو شابت سيرته أحداث عنيفة دموية وغاضبة، ويكاد يكون الفيل هو الحيوان الوحيد الذي ظل مرتبطا بالدنيا القديمة ـ وسط أفريقيا وشبه القارة الهندية ـ دون أن يكون له مماثل أمريكي أو استرالي، وأثمن ما في الفيل ـ قبل الأخلاق ـ أنيابه.. المصدر الوحيد للعاج، تلك الأنيا الطويلة المشرعة المهيأة للفتك والـ والاجتياح والتدمير، لكنها تسام

وتشكلت أصابع بيانو، وكرات بلياردو ومقابض عكازات أنيقة، ثم مادة ممتازة وطيعة، لإبداع منمنمات الصور الصغيرة والأيقونات والتركيبات الدقيقة البارعة في اللوحات الثمنية، ثم شاع أكثر ليصبح أجزاء فاخرة في أريكة عرش الملوك ودوي السطوة وزخارف مذابح المعابد في جميع الأديان، ثم مقابض الخناجر ومؤخرات البنادق والمسدسات ذات الحظوة عند أصحابها من أساطين الصيد والراغبين في الاقتناء، حيث تكاد كل الحضارات القديمة تكون قد تركت آثارا عديدة من فنون العاج: مصر وآشور وبابل واليونان والرومان والهند والصين واليابان وقبائل اليمن.

ولعل الفيل هو الحالة التاريخية الوحيدة غير الموفقة: الطير الأبابيل قطعت عليه الطريق حفاظا على الكعبة المشرفة أيام أبرهة الأشرم، وحطط قادة الرومان حالت دونه ومداهمة روما المستهدفة من القائد الإفريقي العظيم هانيبال. ومن المؤكد أن ثمة مواقع تاريخية أخرى فشل فيها الفيل لم يهتم بها التاريخ، لكنه ــ حين ننزع عنه عدم كفاءته الحربية ـ نراه حيوانا رصينا هادئا يستجيب لمرح الطفولة، وعبث الصبية، له قدراته الفائقة على تحمل سخف البشر وصلافتهم، دون أن ينسى حقه في الانتقام ــ تماما مثل الجمل ـ وإن كان الجمل لا يتحمل الهذر أصلا.

ويقتسم الفيل كثيرا من موروث الحكايات القديمة والحديثة المنشأة للأطفال، في الصبر والذكاء والوفاء وحسن الإدراك والثأر والانتقام، وهي القيم والمبادىء التي بدأ الإنسان العصري يتناساها، سواء بسبب ضجيج العصر الذي حطم إرادة الفرد، أو لأن الفيل ذاته دخل مرحلة الانقراض لتقوم المحميات بالحفاظ على أفراده الباقية في غابات وسط إفريقيا أو جنوب آسيا، أو في حدائق الحيوان المنتشرة في كل العواصم، وبعض القصور النادرة لمهراجات الهند التي ورثت عصور الإقطاع المندثر، وتحت خيام السيرك، حيث يحتفظ الفيل بألعاب السيرك بقدرته الفذة على إثارة الدهشة، وتفجير إعجاب المشاهدين من شتى المستويات ومختلف الأعمار.

ومنظر الفيل ــ رغم اسوداده ـ يثير البهجة، وقد زينته الهند وحمّلته، وأقامت له المهرجانات، واستخدمته في الأفراح والاحتفال بالمناسبة القومية والشخصية والدينية، ثم في إنتاجها السينمائي الضخم حيث حمل لواء الإبهار في ثورته واجتياحه، وفي رصانته وامتثاله، بصفته حيوانها القومي المتغلغل في أعماق تاريخها، وهو ما فشلت فيه الأمم الأخرى ـ ذات الفيل، أو ذات الخرتيت، أو أي حيوان عظيم آخر. □

* ليس كارثة أن يصبح الإعلام المعاصر كالببغاء، الكارثة أن يصبح الببغاء كالإعلام المعاصر.

* أي جسد حي لديه قدرته على الإرسال، لكن خيبته الكبرى ألا تكون لديه بعض القدرة على الالتقاط.

* في جذورها وصياغتها تقوم العلاقة بين الهواية والهاوية.

* أنا مدين بالشكر لبعض الأصدقاء الأوفياء فاقدي الحرارة في الكتابة، لأنهم يسلمونني بسرعة مذهلة للنوم.

* إن عظمة الأم تكمن في قدرتها ـ عند تأنيثها ـ أن تصبح أمة بأسرها.

* هذا الإحساس العابث الذي يحيق بي كلما استعانت بي البنت التي كانت حبيبتي، كي أتدخل في حل مشاكل حفيدتها مع زوجها؟؟

* النص الأدبي الجميل له حياؤه الخاص، فلا تكن فجا عند استقباله.

* سوف أعالجك : اذهب بعيدا بعيدا، في موقع لا يعرفك فيه أحد، ابحث عن مرجيحة أو حصان خشبي، إذا فشلت أو خشيت من استعمال إحداها، فلا تعد إلى بيتك مرة أخرى.

* اتق شر من أحسنت إليه، مرة أو مرتين، ثم اقتله في الثالثة.

* الرفيق قبل الطريق: النقود بالتحديد.

شقة الحرية

تأليف الدكتور: غازي عبد الرحمن القصيبي
بقلم الدكتور: محمد حسن عبد الله

«ومضة واحدة في عمر الزمان، ثم اختفى جمال عبد الناصر» بهذه العبارة الحاشدة عبّر «فؤاد الطارف» ـ بطل رواية «شقة الحرية»* ـ عن لقائه الوحيد الخاطف بجمال، ممهدا لانتهاء روايته الطويلة، المثيرة كأنما كان العمر كله يجري، وأحداث الزمان تتدافع، ليتم هذا التلاقي النادر، صانعا ذروة البهجة، ونور الكبرياء، فإذا حدث الاختفاء لم يبق غير الأسى وطرح الأسئلة

«إنك لا تعرف البشر إلا إذا انغمست في غمارهم، ولا تعرف المدن إلا إذا تشردت في أزقتها، ولا تعرف الحضارات إلا إذا قذفت بروحك في أتونها. هل تصدق يا سيدي أنني بعد خمس سنوات من الدراسة في القاهرة جئت بأسئلة أكثر من التي حملتها معي؟» وهذا الاقتباس قرب ختام الرواية «ص ٥٨٠» وهي تلملم إشعاعاتها المتفرقة، لتصنع مغزاها الذي أراده الكاتب، وإن تجاوزته محاورها، وتكويناتها الغنية بالفكر، وبالشعر، وبالفن. ولعل الإشارة إلى عبد الناصر، وهو شديد الحضور بما يجعل منها «رواية سياسية»، وتلك الإشارة الأخرى إلى محاولة الانغماس في الحياة المصرية، والخروج منها بأسئلة «وليس بأجوبة كما كان فؤاد الطارف يتطلع ويرجو» يجعل من «شقة الحرية» «رواية اعترافية»، على أن نشاط الذاكرة، وهذه القدرة الفائقة على استدعاء حوادث صغيرة، وشخصيات كثيرة، كثيرة، وسلوكيات واقعية دقيقة، مع الحرص على التوثيق الزماني والمكاني، يدفع بهذه الرواية نحو «المذكرات» ـ وقد قسم الكاتب فصولها تحت تواريخ الأشهر والأعوام ـ فكادت تكون رواية وثائقية أو تسجيلية. وقد يؤدي هذا التصور إلى أن أسئلة النقد في قراءة «شقة الحرية» لا تقل عن تلك التي عاد بها «فؤاد» إلى البحرين، بعد خمس سنوات من معايشة الحياة الصاخبة «بكل أنواع الصخب» في القاهرة، كان فؤاد يركب زورقا صغيرا، لا يكف عن التأرجح أبدا، كلما أشرف على الغرق بين هذه الضفة أو تلك من ضفتي

* «شقة الحرية» رواية صدرت في يناير ١٩٩٤ عن دار رياض نجيب الريس ـ لندن.

النيل، غير أن «فؤاد الطارف»، لم يكف مطلقا عن التجديف، والاندفاع إلى الأمام، مستعينا بذراعيه إذا فقد المجداف، ومتحررا تماما من ثيابه إذا استدعى الحال. وكما يرى راكب الزورق أبعد مدى تدركه العين، ويدرك من حركة الحياة على الضفتين مالا يدركه المقيد بالمكان، أو بالألفة، فكذلك كان الحال في زورق الحرية، أو شقة الحرية، بإحدى عمارات الدقي. هي شقة من أربع غرف، لكنها اتسعت لمسرات قليلة، وأحزان كثيرة، وقلق أكثر، وأحلام أكبر، تتداح عبر هؤلاء الأربعة الذين يقطنون غرفها، لتشمل الوطن العربي كله.

إن بطل الرواية لم يصنع حياته، لم يختر موقعه في الأرض، أو الطبقة، أو التسلسل العائلي، لكنه احتار، أو اختار له الكاتب، حياة تتطابق وخبرته الخاصة، الشعورية، والفكرية، والسلوكية «بهذا الترتيب» كما اختار لأحداث روايته أن تبدأ في البحرين: أغسطس ١٩٥٦، وهو يتأهب للمغادرة، للمرة الأولى، إلى القاهرة، وهو في سن السادسة عشرة، ليحصل على «التوجيهية» ثم ينتظم في كلية الحقوق «جامعة القاهرة» أربع سنوات، ليحصل في نهايتها على «الليسانس»، ويعود إلى البحرين «في الفصل الأخير، الحادي والعشرين»: سبتمبر/أكتوبر ١٩٦١، تأهبا لسفر جديد إلى أمريكا، مثقلا بالأسئلة، والمسئوليات، والأمنيات. الفرق بين أغسطس ٥٦، وسبتمبر ٦١ هو الفرق بين تأميم القناة، وانفصال سورية عن «الجمهورية العربية المتحدة». وإذا كانت هذه السنوات الخمس سنوات التكوين - بالنسبة لفؤاد، الشاب المتوثب حماسة لكل ما تنطوي عليه الحياة من المثالية، والقوة، والجمال، والمعرفة، فإن هذه السنوات الخمس ذاتها - كانت - بالنسبة لجوانب معينة للأمة العربية سنوات التكوين، «ونقد» التكوين و«نقض» التكوين معا. ولهذا كان اللقاء الحميم بالقاهرة عام ٥٦، والوداع الحزين لها عام ١٩٦١، في الصفحة الأخيرة، يتوقد الحس الرومانسي، وتعصف الذكريات: «يا أم الدنيا! هل أراك مرة أخرى؟ وماذا لو رأيتك، وتلاقينا لقاء الغرباء؟».

التشكيل الفني

إن عازي القصيبي، الشاعر، الكاتب، بلغ من حجم الموهبة، بحيث لا يتمكن من إخفاء نفسه، أو تغيير هيئته. لقد استقر في الضمير العربي، والعقل المثقف: شاعرا، متفرد الرؤية، والنغم. من هنا كان السؤال الأول خارجا عن موضوع الرواية: ما الذي يحمل شاعرا يملك أداته، ويتقن اجتذاب المشاعر والأفكار، ويستجمع المريدين بها، أن يطرحها جانبا، ليكتب «رواية»، لا يحتاج إليها، بمعنى أنها لن تكون «أوراق اعتماده» لدخول ديوان الأدب العربي الحديث، لأنه «متوطن» في هذا الديوان منذ زمن طويل؟ هل يعني هذا أن محتوى التجربة يفيض عن طاقة القصائد بكل ما تقدر عليه لغة الشعر، وتعجز عنه لغة النثر من تكثيف الشعور، وابتداع الصور، بتوليد المجازات، ورسم اللوحات؟ إن هذا واضح من الصفحات الأولى، وإلى الصفحة الأخيرة: العناية بالتفاصيل، واختلاف زوايا الرؤية تبعا لاختلاف طبائع الشخصيات، ورسم المواقف والحوارات، وتقديم تجربة «مختلفة» في التشكيل الفني للرواية، لا نستطيع أن نقول إنه مسبوق إليه، حتى وإن اختلفنا عليه، ثم يأتي أخيرا المضمون، وهو مضمون «روائي» يستعصي على القصيدة، يتأسس على «الصراع» بين أطراف أو أضداد، وليس على «الغنائية»، أما أطراف الصراع من البشر فإنهم عدد غير قليل من الرجال الذين ألفهم الكاتب، والذين «ألفوه» من أساتذة الجامعة، والأدباء، والفنانين، ومن النساء، أو الفتيات، على كل مستوى ولون، ومن جهات



□ الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

شتى، وأيديولوجيات مختلفة، من أنحاء الوطن العربي، هذا غير فتيات بلا مستوى، وبلا أيديولوجية أيضا، ولكن، بقي لهن الوطن، «حبيبا» وحيدا في قرارة القلب الجريح، لا ينافسه «طابور» المحبين العابرين، الذين يشترون الحب بالبيزات*!!.

حكاية السنوات الخمس

ولعل القارىء الذي يعرف جيدا مدى شاعرية غازي القصيبي، وتوجهاته، سيدرك سلفا أن تجربة «الروائي» لن تختلف عن، فضلا عن أن تناقض مع، تجربة الشاعر. وقد تجلى «الشاعر» في أمرين كانا في خدمة التشكيل الروائي، ولم يكونا - بأي درجة - عبئا عليه: إن تجارب الحب، لجميع شخصيات الرواية بمستوياتها: العذرية، والوجودية، والجنسية، ظلت إطارا أو غلافا خارجيا، لطرح قضايا أساسية، هي الركائز الفكرية للرواية: قضية الحرية، وقضية العدل، وقضية الانتماء، وما يؤدي إلى هذه القيم من شعارات الساسة، ومبادىء الأخلاق، وأصول الدين. ثم تجلى الشاعر ثانيا في الحلم بالمثال، الذي تجسد - إنسانيا - في زعامة جمال عبد الناصر، وفكريا في اعتناق الإيمان بأمة عربية واحدة. أما استهلال كل فصل ببيت من شعر المتنبي، وظهور بعض الشعراء في الرواية، وتبادل القصائد المتوهجة عشقا، بين فؤاد، وليلى الخزيني، فليس مما تختص به هده الرواية، وإن تميز بأنه يعمق فيها مجرى «الواقعية» أكثر مما يدفع بها نحو الرومانسية، كما هو متوقع عادة من الاستعانة بالشعر والشعراء.

انقسمت حكاية السنوات الخمس وما حرى فيها في واحد وعشرين فصلا، أو قسما، بدأت في الخريف «أغسطس ٥٦» وانتهت في الخريف «أكتوبر ٦١» وقد انبسط فراق البحرين، ومشاهدة القاهرة - من الخارج - على فصلين، انتهى بهما عام ١٩٥٦، ولم ينل عام ١٩٥٧ غير فصل واحد، استهلكته محاولة التكيف مع البيئة الجديدة، وترويض التعامل معها، ثم كان الانتقال مع ثلاثة من الأصدقاء إلى «شقة الحرية» يوم ١٠ مارس ١٩٥٨، وهنا تتسع بيئة الرواية، وتتنوع تجارب الشخصيات، إذ اتسعت شقة الحرية لأمة العرب، وجرت بين أركانها حوارات السياسة ممزوجة بعبارات الغزل، وصدام الأفكار والسلوكيات، وبهذا اختلف نوع التفاصيل المرصودة، لم تعد «اكتشافا» لأماكن وشخصيات وطرائف، وإنما أصبحت «كشفا» لمشاعر ومعتقدات ومواقف، فجاء العام الأول في «شقة الحرية» «١٩٥٨» في ثلاثة فصول، ثم استأثر كل عام من الأعوام الثلاثة الباقية بخمسة فصول، فكان هذا الامتداد موافقا لاتساع شريحة الأشخاص، وتنامي الصراعات، وتنوعها، وكما جرى الصراع بين أضداد في الطبائع والأهداف - من البشر، فكذلك كان بين «أطراف» من المعتقد: السياسة، والدين، والعلم، والتجربة المكتسبة، وقوة الأمر الواقع.

يمكننا أن «نراقب» هذه العناصر الخمسة، كيف ظهر كل منها في سياق «الحكاية» المستمرة، وكيف تآلف، أو تقاطع، أو تحور، في عنصر آخر، إن هيكل «الحكاية» لم ينقطع، ولم يفقد حضوره، وقد تأكد بهذه «المحطات» الزمنية المنصوص عليها كمداخل للفصول، كما تأكد أيضا بظهور الشخصيات الأربع الرئيسية، في كل فصل، بغير ترتيب، كما تأكد ثالثا بالربط الدقيق بين أحداث اجتماعية مصرية موازية، وانتقالات نفسية خاصة بهؤلاء الشبان الأربعة، مثلا: أحب عبد الكريم الشيعي المذهب زميلته المصرية فريدة حسين عياد، واتفقا على الزواج، وإذ عاد إلى البحرين ليستأذن والده الشيخ «ولم يأذن بزواج سنية، مصرية» صمم على التمرد، لكنه فوجىء حين عاد إلى القاهرة أن فريدة تروجت «ضابطا»، وكانت «الموضة» تفضيل الضباط، باعتبارهم «ملوك» العهد الجديد!! وكما استعان الكاتب بالقصائد الشعرية المتبادلة بين عاشقين، فكذلك استعان بالرسائل، التي امتزج فيها الحب، بالسيكولوجيا، بالسياسة. غير أنه أضاف - في التشكيل الفني - إضافة غير مسبوقة، إذ وضع في سياق روايته إحدى عشرة قصة قصيرة، تداولها الصديقان فؤاد ورءوف، «كتب الأول ست قصص» وكما كانت قصص فؤاد صادرة عن خبرته الخليجية، كانت قصص رءوف معبرة عن معاناته المصرية، ولكنهما، في قصصهما الأخيرة، وبطول الصحبة انتهيا إلى كتابة قصص إنسانية عامة، وكأنما أصبحا شخصا واحدا.

مخزن الشخصيات

تنطوي «شقة الحرية» على عدد غير قليل من الشخصيات، بل قد يبدو كبيرا إذا قيس إلى مداها الزمني

* البيزات: كلمة محلية تعني الفلوس.

المحدود، وطابع الحياة، والقدرة على الاتصال التي يملكها طالب في الجامعة، مغترب. وهذا يرجع إلى نمط الحياة التي عاشها غازي القصيبي ـ شخصيا ـ في القاهرة إذ ذكر عددا ليس بالقليل من الشخصيات العامة، وأنطقهم ـ في مواقف قد تكون قصيرة، بل عابرة ـ بأفكار وعبارات لا يملك سرها إلا من عايشهم عن قرب، وسمعهم، وحاورهم فعلا. ولا يعني هذا أن «شقة الحرية» رواية شخصية، حتى مع وضوح الجانب الاعترافي فيها، وإنما يعني أن بقية الشخصيات، قدمت إلينا كما يراها فؤاد غالبا، وليس كما ترى نفسها، أو كما يراها «المؤلف» من خارجها. لقد كان لكل «شخصية» قصيتها الخاصة، الحادة، التي تضعها على محك الاختبار القاسي. إن عبد الكريم، في القاهرة، تلقى صدمة طائفته، في مدينة لا تعرف الطائفية، و هي صدمة لم يتلق مثلها في مدينته المقسمة بالوراثة بين سنة وشيعة!! لقد قادته التجربة إلى عالم الروح، وقادته الروح إلى عشق «ريري» ـ سحة مصرية من غادة الكاميليا. وكان يعقوب لا يمل اعتناق القضايا، وتغييرها، فمن التصوف إلى أبيقور، ومنه إلى ديكارت، والشك والتجريب، فاستقر به المقام



عند «النظرية العلمية»، أما قاسم، الذي يرفض زعامة عبدالناصر لأنه يركب سيارة «كادلك» ويلبس كرافته «سولكا» فإنه ــ وهو طالب يدرس على منحة من الحكومة المصرية ـ يفتح مكتبا للخدمات، ويتهرب من الضرائب!! لأن حقيقة الحياة ــ كما يراها ــ هي «البيزات»، أو الفلوس!! هذه الشخصيات رغم ما تحقق لها من وجود خاص هي ــ في السياق الروائي ـ بمثابة تنويعات على لحن أساسي يمثله فؤاد، وهمه المستمر، وهاجسه أو شاغله المتسلط: مستقبل أمته العربية، والمبدأ الذي ينبغي أن تعتنقه ليحفظ لها ذاتها وخصوصيتها، ويفتح أمامها طريق النهوض، وإذ تبدو هذه الشخصيات عناصر سلبية، أو نقيضا، مقابلا لما يعتنقه فؤاد، فإنها ـ فنيا ــ تعمق الصراع، وتدفع الأحداث حركيا إلى الأمام، وفكريا ــ تكشف عن جوانب من إحباطات المسيرة القومية. على أنها ـ من منظور روائي خالص ـ تحقق مبدأ «التكامل من خلال التناقص»، فيتكامل عبر تجاربها المتناقضة وعي الإنسان بذاته، وبما حوله.

ذاكرة بركانية

أما فؤاد، وهو شاطر في السياسة، وخائب في الحب أحيانا، وعكس هذا في أحيان أخرى. وإذ نتأمل مستويات العشق عند فؤاد، نجدها تتوازى، وتتوازن مع علاقات العشق التى عاشها زملاؤه الثلاثة، وكأننا في الحقيقة، نتأمل شخصية واحدة، في مرايا مختلفة، فهل كان الكاتب محقا حين جعل فؤاد يتصور «نفسه مزيجا عجيبا من شخصيات أصدقائه، ركبه صيدلي غشيم، أخذ من يعقوب قسطا من الثورية، وأخذ من قاسم قدرا من المحافظة، وأخذ من عبد الكريم التوجس والتردد» «ص٤٥». لقد كان هذا ـ أيضا ـ محورا أساسيا في بناء الرواية

أما الشخصيات غير المؤلمة التي ظهرت في الرواية، وتحدثت، بأسمائها، فأهمها: الشيخ أبوزهرة، وميشيل عفلق، والدكتور أحمد الخطيب، وطه حسين، العقاد، وإبراهيم العريض، وسليمان العيسى، ونجيب محفوظ. وقد تحدث كل منهم بصوته الحقيقي، وهذه مقدرة عالية للكاتب، على أن الأكثر أهمية أن أحدا منهم لم يكن مقحما على موضوع الرواية، أو مفتعلا في حجم مشاركته.

على أن رواية «شقة الحرية» يمكن أن تقرأ من زاوية

خاصـة، بعيدة تماما عـن السياسة وصراعـات الفكر. لقد كان «فؤاد» يملك صورة، أو تصورا للقاهرة، قبل أن يعيش فيهـا، استمـد مفرداتـه من إذاعـة «صـوت العرب» المهيجة، وخلاصته أن القـاهرة عاصمة الأمة العـربية، وزعـامتها رائدة المستقبل، ومن بعض أهلـه الـذين سبقوه إليهـا، وشكـاواهم من المطـار، خاصـة الجمارك، وتطلع صغـار الموظفين للـرشـوة، وحين عـرف أن في القـاهرة حيـا يطلق عليـه «العجـوزة»!! استغرب هذا وقال: يا له من اسم مضحك «ص٢٢» وتكتمل حـواشي الصـورة المنقولـة عبر قـاسم سليل البرجوازية الجديدة في البحرين، فـالقاهرة عنده مدينة قذرة، النـاس يمشون بـالبيجامـات، والجو جحيم لا يطـاق، ولا يـوجد من يحسـن الإنجليزيـة، والطعـام المصري لا يـؤكل، وهم لا يكفون عن التشـويش على إذاعـة لنـدن!! «ص ٤٦». ونزل فـؤاد ليعيش تجربتـه الخاصـة، ضـايقـه من أستـاذ اللغـة الإنجليـزيـة، في المدرسـة السعيديـة أن يسميـه: «بتاع البحـرين»، وإذ يكتفي الناس في بلده بعبارة «طال عمرك»، تقال لكل المستـويـات تأدبـا، ففي مصر الأمـر أشـد تعقيـدا: جنابك، حضرتك، سعادتك، سيادتك، يا أفندم.

فـؤاد نفسـه عنـد الست خيريـة: سي فـؤاد، وعنـد المكوجي: فؤاد أفندي، وعند جـرسونات الكلية: فؤاد بيه، وعند بواب العمارة: الأستـاذ فؤاد!! لكن الذي لا خلاف عليه أنه أحب القاهـرة، حتى بعد أن اهتز يقينه بـزعامـة عبدالنـاصر حين رضي بمهـادنة الانفصـال، أحبها بعمق وصدق، التمس لها الأعذار، وجمع شواهد البراءة حتى بإدانة نفسه.

لقـد استطـاع غـازي القصيبي أن يتغلغل في الحيـاة المصريـة، من بـاب المحبة، وليس من بـاب الصعلكـة، وقـد امتلك مفتـاح الـدخـول «الظـرف» الطبيعي، ثم أضاف إليه نهكته القاهرية، التي شعر بالحنين إليها، إلى تلك الرائحة القاهريـة المميزة، المتخمرة عبر ألف سنة، من ألف رائحـة، ورائحـة «ص ٨٤» من هنـا دخل القاموس المصري في لغته دخولا طبيعيا.

إن هذه القـدرة الواضحة على التوحـد مع عناصر التكوين في الرواية، وبخـاصة لغتها، تستند إلى ذاكرة غير عـاديـة، لا يكفي أن تـوصف بأنها ملتهبـة، إنها ذاكـرة بـركـانيـة، تستـدعى مخزونـا لا ينفـد من كل الاتجاهات، يتحدث عن البـوفيه «ص ٨٥» وفي حال إطـلاق التسميـة يكون بـوفيـه كليـة الآداب، وكيف حملت الجماهير السورية سيارة جمال عبد الناصر «ص ١١٥» وإذ يتحـدث صـديقـه رءوف عن الترعة المتجددة العـذرية منـذ عصر كليوبـاترا، يقـول فؤاد «آه!! عـودة الـروح!! فهمت» «ص ١٣٢» ولا ينسى بـدعـة أنيس منصـور وتحضير الأرواح بـالسلة، والجلسـات التي يعقـدهـا أحمد فهمي أبـو الخير، ويحضرها الـدكتور عثمان خليـل «ص ٢٩٦ ـ ٣٠١» ويتساءل إذ يحضر نـدوة العقاد في بيته: مـاذا تفعل يد العقـاد تحت البيجـامة؟ «ص ٤٤٣» ويـذكـر أن ليلى الخزيني «الكويتية» شاركت في حادثة حرق العباءات الشهيرة، رغم صغـر سنهـا «ص ٤٩٤» ويسجل وقـائع اختباره شفـويا في الليسـانس، أمـام الدكتـور سليمان مرقص!!.

وتلتقي طاقة الظرف، وقوة التغلغل، وحدة الذاكرة لتصنع حوارا ذكيا، متدفقـا، لبقا، يقفز فوق مشكلات شائكة، لا يجاب عنها بغير هذه الطريقة التي برع فيها نذكـر حوارا طـرفاه يعقـوب، ومعيد في قسم الاجتماع «ص ١٢٤» وحوارا بين شاب معجون بالسياسة وفتاة من بنات الليل وموضوعه الوحدة العربية «ص ١٦١» وحواره الـلاهب مع ليلى الخزيني «ص٤٩٧» وحواره المحـرج مع زميل عن مـدى تـواصل عبـد النـاصر مع مريديه «ص ٢٥٣» أمـا حواره مع نجيب محفوظ، فإذا كان من مختـرن الذاكرة فيا لها من ذاكـرة، وإذا كان من تأليف غـازي القصيبي فأشهد أن نجيب محفـوظ ـ كما أعرفه ـ لن يخرج عنه في كلمة:

ـ أستاذ نجيب، ممكن آخذ منك نصيحة؟.

ـ نصيحة؟ يـا ابني أنـا لا أعطي نصـايح، إذا كنت تريد نصيحة أكتب لأمينة السعيد.

....

ـ سأسألك عن نفسك يا أستاذ.. هل أحببت؟.

ـ يوه!!.

ـ كم مرة؟.

ـ ثلاث مرات في اليوم، قبل الأكل.

وإذ يضحك فـؤاد مـع الضـاحكين «ص ٢٦٣» يتسلل غـازي القصيبي ليقـارن بين مجلس نجيب محفوظ، ومجلس ميشيل عفلق. نجيب محفوظ حرفوش يجلس بين مجموعة أصدقاء يضحك، ويعلق، ويدخن، لا تسقط عليـه الحكمـة من عل، ولا يلقى نصـائح مقـدسة على حـوارييه. إنـه النموذج المحتـذى لشعار «شقة الحرية» ولكن: ما أشق «الحرية»!!. □

الشعر العربي



هل انصرف عنه القراء ؟

بقلم : الدكتور حسام الدين الخطيب

هل تدهورت شعبية الشعر، وهل أصبح عدد الشعراء يفوق عدد القراء، يبدو أن هذا الامر صحيح، فهناك أزمة استقبال شعري ستتل في انصراف القراء «أي المستهلكين» من شراء كتب الشعر في الوقت الذي نجد ـه غزارة واضحة تتمثل في عدد الشعراء ي المنتجين».. فما سر هذه الظاهرة؟

يجب أن نعترف منذ البدء أن الرأي العام «وربما جمهور المثقفين» ينظر الى هذه المشكلة المعقدة نظرة أقرب الى الأحادية، من شأنها أن تبسط الأمر تبسيطا شديدا ولا سيما من ناحية الميل الى إلقاء ثقل اللوم على أحد طرفي العلاقة: المرسل والرسالة من جهة والمستقبل «المتلقي» من جهة أخرى.

وبشيء من التمعن يتوصل المرء الى أن المشكلة أشد تعقيدا مما يبدو على السطح، لأنها أصلا أشبه بجدلية «ديالكتيك» ساخنة بين طرفين غير ساكنين وغير منجزين نهائيا، وكل منهما غير محدد في إطار ثابت، بل إن كل شكل من أشكال السكونية يهدد الطرف المعرض لذلك بالخروج من دائرة التفاعل، أي بالبقاء خارج قوس الجدلية، كما يحدث مثلا حين يتجمد إنتاج

شاعر ما في قوالب مسبقة الصنع فيخرج من دائرة التوهج الإبداعي الى دائرة الإنتاج الخامد، أو - بالمقابل - حين يصر جانب من الجمهور المستهلك على نمط من الإنتاج مقيد بقوالب جازمة ومواصفات جامدة.

ومن الواضح أن الطرف الأول من الجدلية هو «المرسل - الرسالة أو المنتج - الإنتاج»، وهو في الحقيقة قسمان منفصلان ماهية متحدان عضوية، وكل منهما في حالة تشكل دائم.

وإذا حصرنا الكلام بالقصيدة فالشيء الطبيعي أن تظل القصيدة جملة اختيارات حية من الأشكال والاتجاهات والمستويات، منها ما هو عقلاني اتباعي، ومنها ما هو انفعالي متفلت، ومنها ما هو واقعي وصفي خارجي ومنها ما هو تعبيري حداثي جواني، ومنها ما هو موزون أو نصف موزون، ومنها ما هو متمرد على كل قالب، حتى أحيانا قالب اللغة المقعدة أو المعجمية.

إن القصيدة معنى فني يشكل نفسه باستمرار لاهثا وراء المجهول والمطلق والمدهش، وكذلك يشـ[...] المستقبلون باستمرار من خلال التفسير وا[...] والهالات التي يضفونها على الإبداعا[...] التي تستهويهم، وبذلك لا يمكن أن تكون القصيدة [...] جاهزة عند نقطة محددة.

أما الطرف الثاني، وهو المستقبل - المتلقي، فيتألف أيضا من قسمين متباينين يؤثر موقف كل منهما في الآخر، ولكنه لا يستطيع أن يصادره أو يتحكم فيه، والقسمان هما فئة النقاد والمختصين من أساتذة أدب ومثقفين ومتابعين من جهة، وجمهور المتذوقين والقراء من جهة أخرى، وفي القسمين كليهما مستويات من التفاوت ربما تراوحت أحيانا بين الصفر والمائة، وليس من الحكمة إطلاق أحكام بالجملة على قسمي هذا الطرف الذي منه يتألف جسم الاستقبال والذي هو في حالة تشكل دائم بفعل المؤثرات الزمانية والمكانية الطبيعية، وكذلك بفعل التأثيرات المدبرة أو المصطنعة أو أحيانا «الجانحة» بسبب عوامل غير متحانسة «غير فنية» كتأثير القضايا الإعلامية والسياسية والاجتماعية في آليات الاستقبال، وهي مسائل يبحثها علم الاستقبال الذي تحتل فيه الاستقبالية الأدبية جناحا نوعيا مهما، ولكن ليس من شأن هذه العجالة «الاحتهادية» الحوض فيه

طرفان متصامان في المسئولية.

أ - بالنسبة للطرف الأول وهو «المرسل - الرسالة» أو «المنتج - الإنتاج»، يجب الاعتراف بأن هذا الطرف يمكن [...]



يكـون أصـل المشكلـة، لأن مـوقف «المرسل إليـه ـ المستهلك» مبني مطقيا على إشعـاعـات «أو إشـارات» المنتج النفسية وطبيعـة الإنتـاج الشعـري الـذي يقـدم للمستهلك. ولو أحـذنا س اقتصاد السوق ــ وهو الري الشائع اليـوم ـ قاعـدته الذهبيـة لمال بنا الرأي نحـو إلقاء العبء كله على الطرف الأول «المنتـج ـ الإنتـاح»، فمس ناحية المدأ، المستهلك حر وهو واحد من اثنين:

إما محب يبحث عن الجمال والحسن، أي عما يمكن أن يحب، ومن حقه أن يتفاعل مع ما يستهـويه وأن يسد مالا يستهويه، وإما منتفع يبحث عن الفـائدة الثقافية أو الفنية أو الدرس الأدبي أو المباهاة الاجتماعية ـ الفنية، ومن حقه أن يقبل على ما يناسبه وينفعـه وأن يطوي كشحه عن كل ما لا يشبع تطلعاته، وفي الحالتين لا توجـد قوة تربوية أو إعلاميـة أو دعاوية قـادرة على استلاب هـذا الحق الذاتي الطـوعي، وهكذا يبقـى جمهور المستقبلين سيـد الموقف، وحتى لو كـانت هناك رسالة من المرسل بعيـدة نسبيا عن المناخ الآني للجمهـور ولكنها ذات قيمـة ذاتيـة رفيعـة ـ وهذا يحدث كثيرا ـ فعلى المرسل أن يحتـال لها فنيا وفكريا ليضعها في القالب الذي يناسب الجهة المتلقية، أي عليه ـ اذا شاء لها أن تصل ـ أن يحملها حـدا معينا من الإشارات «النفسيـة ـ الإعـلاميـة» الرائجـة في مـرحلة معطـاة من الزمن، وهـذه مسئولية لا يمكن التنكر لها حتى في حـالة القـبـول بمقـولات الإلهام التلقـائي ذات الأصل الافلاطوني، أو التعبيرية المطلقة التي لا تعترف بالآخر أو المتلقى في ظل النظريـات الحداثية. على أن هـذا النوع من المسئولية غير مطلق ولـه حـدود دقيقة لا يجوز التهـاون بشأنها، فالمنتج شاعر وليس تاجـرا، وللشاعر رسالة فوق ترويجيـة وفوق استهلاكيـة على الرغم من وجـود أساس مشترك لعلاقـة «المنتج ـ المستهلـك»، وفي حالات كثيرة، بل في الأصل، من حق الشاعر ومن واجبه أيضا أن يعاند التيار الرائج، وأن يرفع لواء التغيير، وأن ينقض مقولات المتلقى المفترض، ويظل من أبـرز حقوقه أن يتسـامى «لا ب يتعالى على الرائج واليومي والسائد» وأن يحمل المتلقي على حاجيه ليقترب به من السمت البعيد البعيد.

...لوينات المشكلة

من خلال تـرجمة بسيطة للحقائق التوصيليـة العامة ... الـوضع الخاص للقصيـدة العـربيـة، يمكن إيـراد ...حظات التالية:

أولا : هناك استعـدادات تربـوية ــ تاريخيـة ـ فنيـة خاصة تجعل استجابة الجمهـور العربي للشعر مرتبطة بنمط خاص من الشعـر، فكلما كان الشعـر المعروض أقـرب إلى رنين الشعـر القـديـم ونظـامــه اللغـوي والموسيقى «الموزون المقفى» كـان أقـدر على استثـارة الجمهـور والتغلغل في وجدانـه، بل كان أيضـا أسهل حفظا وتداولا، وللشعر العـربي جمهور واسع عريض ربما تقل نظـائره في بلـدان كثيرة، وقـد تعـود هـذا الجمهور على تلقي الشعر بطـريقة احتفالية ذات طنين ورنين وانفعــال وهيــاج، ومـن السهل على المرء أن يتذكر بأي روح جمعي يجري تلقي قصائد محمد مهدي الجواهـري، ومحمـود درويش، ونـزار قبـاني، ومحمـد الفيتوري، وسليمان العيسى، مما يذكر دائما بالتجـربة الاحتفـاليـة لأشعـار أحمد شـوقـي وحـافظ إبـراهيم ومعــروف الـرصــافي والأخطل الصغير وإبـراهيم طــوقــان وبــدوي الجبل وغيرهم من رمـور الماضي القريب «الذي ما زال حيا».

وربما كان أحـد تفسيرات هذه الظاهـرة أن الجمهور يهتز لهذا النوع من الشعر الاحتفالي لأنه يتناسب مع ما هـو ســائد في أفـراح المجتمع العــربي وأتـراحــه من إيقـاعـات صـوتيـة وفنيـة وعـاليـة النغمـة يمثلهـا في الموسيقى الطبل والبوق والمجوز أكثر مما يمثلها الكمان والبيانو والناي.

وهذه التربية التـذوقية، أو الحساسية، وريثـة عصور طويلـة مغرقة في القـدم، وليس من السهل تجاوزها من خلال تجارب حديثـة العهد محدودة المدى للخروج إلى احتيارات أخرى.

ثانيا : كـذلك تؤثر الناحية المضمونيـة تأثيرا شديدا في طـريقــة استجـابـة الجمهـور العــربي إلى الشعـر الاحتفــالي ذلك أن الحاضر العــربي مشغـول البــال بقضايـا جوهريـة تؤرق الناس وتثيرهم، وقـد كونت هذه القصائد موضوعة «تيمة» جبارة في سجل الشعر العربي الحديث، وبمجرد اتخاذ الشاعر موقفا متجانسا مع القضـايـا الحساسـة التي سبقت تعبئـة الجماهير بها فإنه يستطيع تأمين استعداد مبـدئي بنسبة عالية لتلقي البث القومي والأيـديولوجي الذي تقـدمه القصيدة، وإن موضوعات مثل قضية فلسطين والوحدة العربية ومقـاومـة الاستعمار والتعاطف مـع المعانـاة الشعبيـة ومنـاصرة قضيـة المرأة والتغني بــالأمجاد السـالفـة ومفــاخــرة أوروبـا بفضل العـرب عليهــا، هــذه

الموضوعات ومثيلاتها تطغى على شاشة التلقي وتؤمن موقفا إيجابيا جماهيريا حتى لأردأ أنواع الشعر، فكيف حين يكون الشاعر مبدعا مثل محمود درويش وسليمان العيسى ومحمد مهدي الجواهري وبدر شاكر السياب وصلاح عبدالصبور ومحمد عفيفي مطر وأمل دنقل وغيرهم، وغيرهم؟

ثالثا : وتتخذ هذه الحالة أبعادا غير طبيعية في منظور التلقي حين تتقاطع مع الخطوط الأيديولوجية والمذهبية، إذ كثيرا ما يكون المرسل والمتلقي مرتبطين بخط أيديولوجي ضيّق، بل كثيرا ما يقرر الموقف الأيديولوجي أو الحزبي أو السياسي أو المذهبي، مصير النص صعودا أو هبوطا، فإذا وافقت مفاتيحه أقفال القفص الأيديولوجي فسرعان ما تتفتح المشاعر ويتوهج الإعجاب وتردم آليا ثغرات العجز أو الضعف أو الاضطراب. ويشارك نقاد كثيرون في هذه اللعبة فيزيدون الطين بلة بدلا من أن يعملوا على ترشيد أحكام الجمهور، من خلال الموازنة على الأقل بين النص المواتي الجيد، والنص الرديء. وفي مثل هذه الحالات تتضاءل مستندات النص الفنية أمام مستنداته القومية أو السياسية أو الأيديولوجية أو الدينية أو حتى الوطنية العامة. وقد شهد الوطن العربي منذ عصر النهضة موجات من التعبئة الجماهيرية العامة جعلت تربة الاستقبال «العام والخاص» أو «التخصصي» غير خالصة لوجه الفن، وإنما موجهة بقوة لصالح موجات فوق ـ فنية وفوق ـ ثقافية مسقطة على الجمهور ومثقفيه ونقاده، ودفعت بالنقاد الملتزمين خصوصا إلى تسويغية مفتعلة، وإلى إغضاء عن كثير من القيم الفنية، وغدا بعضهم ضحايا لعمليات غسيل دماغ كما مارس بعضهم العملية نفسها على جمهور المتذوقين.

وبما أن السلطة السياسية والحزبية والمذهبية والأيديولوجية استغلت تراث الشعر العربي السياسي والمدحي والهجائي استغلالا مفرطا من أجل «حشد الطاقات» الشعرية الحديثة لخدمة أهدافها اليومية لدى الجماهير، وبما أن عددا كبيرا من الشعراء البارزين ـ يستطيعوا الابتعاد عن هذا التيار، فإن النتيجة كانت لغير صالح التجربة الفنية، وأدت إلى عرقلة التطور الطبيعي لرقي الذوق الفني والتلقي المرهف في مجتمع تتطور فيه بسرعة وسائل التحديث والتنمية، ولا سيما من الناحية المادية.

رابعا : وهناك شيء قائم في طبيعة الرسالة نفسها، يجعل النص المحافظ أسهل سيرورة وأقوى إغواء من الأشكال الشعرية المتمردة على القانون العام، وربما كانت هذه الظاهرة ذات طبيعة عامة غير مقتصرة على آليات استقبال الشعر العربي وحده، ولكن الملاحظ أنها في حالة الشعر العربي تكتسب قوة مضاعفة، ربما لأن النص المحافظ يميل عادة إلى الاتكاء على عوامل جانبية ووسائل معينة قادرة على الإغواء من جهة ومتناسبة من جهة أخرى مع الطريقة الاحتفالية التي تصاحب عادة عملية استقبال الشعر العربي. ومن أبرز هذه الوسائل للإثارات اللغوية الخطابية «كأساليب الطلب من استفهام ونداء وأمر غير مقصود لذاته وغيرها» والتكرار اللفظي والتنويع في طريقة الإلقاء الذي يصل أحيانا إلى رتبة الإنشاد الخفيف، وكثيرون يتهمون الشاعر المحافظ بأنه يتعمد تعمدا استخدام وسائل فنية ولغوية وإلقائية تستهدف شد انتباه الجمهور وإثارته، بل لعله يضع استجابة الجمهور المحتملة في جملة شروط عملية صناعة القصيدة.

وبالمقابل تعاني القصيدة الحديثة المنفلتة من القيود معاناة واضحة من سيطرة مناخ عام تشكيكي بمستواها اللغوي والفني، ومن انقطاع نسبي عن التراث التذوقي المتراكم، ومن ضعف في أدوات الإيقاع العالي، ومن غموض تفرضه طبيعة التجربة، ومن تبعثر في المنحى والإيحاء ناجم عن حداثة تجربتها أو عن طبيعة فلسفتها التجريبية، وهنا أيضا معضلة التوجه ا قطاع خاص الجمهور هو قطاع الج الناشيء الذي تؤرق بالإضافة إلى الهم العامة القومية والوط والسياسية والاقتصاد



والاجتماعية ــ مشكلات خاصة تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية، وبوجه عام لا يجد الشاب الشادن في القصيدة الحديثة صدى مريحا أو مباشرا لما تقدمه رسالة القصيدة من استبصارات مهموسة وتجاوزات لسطوح الواقع الخارجية، وتوغلات في المنطقة المظلمة والمخبوءة من النفس الإنسانية.

يضاف إلى ذلك أن الشاعر الحداثي بوجه عام ينظم تعبيريا، أي أنه يترك لأغوار ذاته أن تنبثق من خلال جداول القصيدة وغدرانها دون أن يعبأ بما قد تثيره لدى الجمهور من ردود فعل، فالشاعر الحداثي - كما أشار أدونيس أكثر من مرة - ليس له جمهور ولا يريد أن يكون له جمهور، لأن الجمهور - فيما يبدو لنا - قد يؤدي نتيجة حضوره الذهني في عملية الخلق الفني، إلى المساس بصفاء الدفق الشعري ويترك بصمات تشويه في تكوين القصيدة التي هي عند شعراء العصر مخلوق حر كامل الحرية، بل هي عند شيخ شعراء العصر ت.س. إليوت «ما تكونه لا ما تعنيه»، أي أنها لا تعبأ حتى بمقولة المعنى، وهي عند السيميائيين دلالة مجملة ناجمة عن مفردات المعاني النحوية، وهي عند سارت نص مفتوح لمختلف أشكال التأويل.

خامسا : ومما يزيد من وطأة هذه الاتجاهات الاستقبالية أن لها مستندات في الإرث التاريخي التراكمي للنقد العربي، وهناك فئة كبيرة من النقاد تقع تحت تأثير تنشئة فكرية ــ تذوقية، مقيدة بمسلمات ومرددات شائعة تجعلها أسيرة نظرة أحادية أو منمطة في التقرب من النص الشعري، وترفض هذه النظرة مسدئيا ودون مناقشة كل ميل للخروج على القواعد الساكنة، كذلك يبدو التناول النقدي للقصائد العمودية والمحافظة مريحا وملموسيا أكثر من التناول النقدي للقصائد المهموسة أو التأملية أو المتحررة من القيود أو المعتمدة على الموسيقى الداخلية.

ولا بد من الاعتراف بأن المؤسسة النقدية العربية ربما نتيجة لضعف دور النقد في حياة المجتمع العربي لم تستطع أن تنأى بنفسها ولو نسبيا عن المؤثرات المحبطية والاحتفالية التي أشرنا إليها سابقا، وهذا ما أسهم في الانتقاص من مصداقيتها وإبقاء دورها محدودا مقصوص الجناحين، وبذلك لم تستطع حتى الآن أن تضع أسسا لتربية نقدية ــ تذوقية تغلب عامل الفني وتنصفه. على أنه لا يجوز أن يفهم من هذا الكلام أنه انحياز إلى ذلك التيار غير المنصف الذي يلقي كل التبعة على كاهل المؤسسة النقدية، فقد حققت هذه المؤسسة إنجازات في مجال تفتيح الأذهان وتطوير الأذواق ومناصرة الاتجاهات الحديثة في النظم الشعري ووصل المفهومات النقدية العربية بإطارها العالمي الأوسع، وهي إنجازات غير كافية ولكن من يعرف الصعوبات التي تعترض فعالية النقد والنقد الأدبي، يدرك أنها خطوة مهمة في الطريق الطويل.

خلاصة ونظرة استقبالية

أخيرا، يبدو من خلال استعراض طرفي المشكلة المتعلقة بالظاهرة الشعرية أن الجانب الاستقبالي هو الجانب العملي البارز، وأنه من الممكن ــ دون الدخول في التواءات الجانب الإبداعي التي هي شديدة التعقيد - العمل على حل جزء من الأزمة بالتركيز على تحسين عادات التلقي الشعري، أي تحسين شروط القراءة والاستماع، سواء من ناحية التلقي المتخصص «النقد والتدريس الثانوي والجامعي للأدب»، أم من ناحية الاستقبال العام والجماهيري.

وعند العرب فرصة ممتازة في هذا المجال، لأن الجمهور العربي هو وريث تراث عريق في حب الشعر وتذوقه والتلذذ بلغته وصوره وموسيقاه، ولو استغنى العالم كله عن الشعر لما أمكن تصور اهتزاز إيمان الجمهور العربي باللفظة الموحية والصورة الفاتنة والنغمة الشاردة. وبالطبع يجري الحديث في هذه المقالة عن الشعر المبدع بصرف النظر عن اختياراته العمودية أو المفتوحة، والمهم هو توجيه جهود منظمة لتنمية الحساسية الشعرية وإرهافها، يشارك فيها النظام الأدبي والنظام الإعلامي، والنظام التعليمي، بغرض تكوين عادات استقبالية تتيح للشعر أن يستمر حيا مؤثرا في وجدان الناس، كما تتيح لعملية الولادة الثانية للنص أن تكون فرصة لإبراز النصوص الزاخرة بالإمكانات الفكرية والجمالية وشحذ دلالاتها وتمييزها من النصوص المرذولة. وإذن يكون الهدف النهائي لهذه المقالة لفت النظر إلى أهمية تنمية مشاركة المستقبلين ــ المستهلكين في التفاعل مع الرسالة الشعرية، وإعادة إنتاجها، وتحويلها من ملكية خاصة إلى ملكية عامة.□



الجزائر بلد يبحث عن هوية

الشعب الثائر أصبح حائرا ..

استطلاع : ماضي الخميس
تصوير : حسين لاري



إلى أين يسير بلد المليون شهيد، والبطولات الخالدة في سجل الشعوب المجاهدة.. بلد الكفاح العريق ضد المستعمر الغاصب الذي دام قرابة مائة وثلاثين عاما، يفرض سيطرته وهيلمانه، إنه ما زال يبحث عن هوية، بعد أن تشعبت حولها الآراء، وبعثرت أوراقها الأهواء فهل يكتشف نفسه؟.

الدلائل جميعها تشير إلى أن السفينة الجزائرية، لم تستطع تحديد قبلتها، اشتراكية أم إسلامية، بربرية أم عربية، والقبطان حائر والشعب ثائر، والسفينة تسير، ولكن.. إلى أين؟.

العربي كانت هناك وقامت بعثتها برصد اتجاهات الشارع الجزائري، ونقل نبض المواطن هناك عبر صفحات المجلة.

(ذُكر في باريس اليوم أن تسعة وخمسين صحفيا لقوا مصرعهم أثناء قيامهم بواجباتهم في مختلف أنحاء العالم خلال عام ١٩٩٣، وأشارت منظمة «صحفيون دون حدود» في بيان لها أن ثلاثين صحفيا آخرين قد لقوا حتفهم خلال العام الحالي ولكن لم يتبين ما إذا كان لوفاتهم علاقة بعملهم الصحفي.

وقالت إن أكبر عدد من الضحايا الصحفيين كان في أوربا حيث قتل ٢٣ صحفيا من بينهم ثمانية لقوا حتفهم في البوسنة والهرسك.

وذكرت أن أعمال العنف الناجمة عن التشدد الأصولي كانت أيضا سببا في مقتل صحفيين، من بين هؤلاء ثمانية قتلى في الجزائر).

كنت جالسا خلف مكتبي في المجلة وأنا أقرأ هذا الخبر، قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. من كثر البلاء، وعظم الابتلاء، وما هي إلا لحظات حتى جاءتني السكرتيرة تقول: إن رئيس التحرير يريدك.

دخلت.. وكان عنده بعض الزملاء، جلست، فقال: نريد إرسال بعثة إلى الجزائر، فالأوضاع هناك تستدعي أن نكون موجودين. قلت: ولكن ما يحدث في الجزائر صراع سياسي، ومن عادتنا في المجلة أن نتجنب القضايا السياسية. قال: ننقل للقارىء ما يحدث في الجزائر وفق أسلوبنا الخاص ومنهجنا.

وكانت رحلة الجزائر من نصيبي وزميلي المصور حسين لاري.

في صباح يوم الثامن والعشرين من شهر يناير الماضي، وصلنا القاهرة، محطة التوقف التي سننطلق منها إلى الجزائر، والقارىء قد يتساءل عن الشعور الذي كنا نشعر به ونحن ذاهبون إلى بلد تعمه الفوضى، وتجتاحه الاضطرابات.

لا أستطيع أن أقول إن الخوف والرهبة لم ينتاباني، فالمهمة ليست من المهام اليسيرة، ولكن إحساسي بالسبق الصحفي وزيادة الرصيد المهني، والخبرة التي سنكتسبها بعد هذه التجربة المثيرة كان هو الأكثر سيطرة. في القاهرة التقينا بأحد الزملاء من الصحفيين العرب، والذي كان لتوه عائدا من الجزائر، وعندما سألناه عن الأوضاع هناك، جعلنا نشعر حقيقة بخطورة الموقف، وصعوبة الخطوة التي نقبل على تنفيذها، فالأوضاع غير مستقرة نهائيا والأمور تسير في اتجاهات متضادة قد تنحدر بالبلد إلى الهاوية، والشوارع «حسب وصفه» شبه خاوية، والناس في غاية الرعب والخوف، وظل صاحبنا يشرح لنا ويعطينا نصائح بعدم الإقدام على هذه الخطوة، ولكن، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ولا مجال للتراجع الآن، حملت هذه التحذيرات في عقلي، وعزمنا على القيام بالمهمة.

اللحظة الأولى

حطت بنا الطائرة بعد رحلة استغرقت حوالي أربع ساعات من مطار القاهرة الدولي إلى مطار هواري بومدين في الجزائر، وكان أول تساؤل تبادر إلى ذهني منذ وجودنا في مطار القاهرة، هو: ماذا يفعل كل هؤلاء المصريين المسافرين إلى الجزائر في مثل هذه الظروف؟.

اقتربت من أحد الموظفين في المطار وطرحت عليه السؤال، فقال: جميع هؤلاء مدرسون، وليس هؤلاء فقط، بل وهناك غيرهم كثير، قلت: فالحمد لله إذن، فما دام هناك مدرسون ذاهبون، فالأمور بها نوع من

أهم الملامح الرئيسية لجمهورية الجزائر الشعبية

العاصمة: الجزائر. الموقع الجغرافي: شمال غرب إفريقيا، وتطل على ساحل البحر المتوسط شمالا وتحدها من الشرق تونس وليبيا، ومن الغرب المغرب وموريتانيا، ومن الجنوب مالي والنيجر.
المساحة: ٢,٣٨١,٧٤١ كلم مربعا. عدد السكان: ٢٥,٠٦٣,٠٠٠ نسمة «تقدير ١٩٨٩».
الدخل القومي الإجمالي: ٥٣,١ مليار دولار «١٩٨٩». متوسط دخل الفرد: ٢١٧٠ دولارا «١٩٨٩». أهم المحاصيل الزراعية: الحبوب والكروم والبطاطس والتمور والفواكه والخضراوات، وبها ثروة حيوانية كبيرة. أهم الموارد الاقتصادية: البترول. أهم الصناعات: الحديد والصلب والأسمدة والمنسوجات وتجميع السيارات. العملة المتداولة: الدينار الجزائري.



□ نصب الشهيد يرتفع عاليا فوق إحدى الروابي

الاستقــرار، ولكنني رجعـت وقلت في نفسي: ليس هذا بالضرورة!!.

في مطـار هواري بـومديـن، كان السـؤال الثاني الـذي طـرحـه العقل، عن الطـريقـة التي يفكـر بها الشبـاب في جزائر اليوم، وقـد جاء نتيجة ملاحظـة عدد من القادمين من السفر خصـوصا من الشبـاب الجزائري، وكل واحد منهم يـرتـدي ثـلاثــة قمصـان ومعطفين.. وهكــذا، استغربت في نفسي وقلت يحسن أن أدوّن الملاحظات ولا أجهد نفسي في التفكير فيها لأنني قد أواجه الكثير منها.

في طـابـور ممتـد وقفنـا ننتظـر، وصلنـا عنـد مـوظف الجوازات، قال كلاما لم أفهمه، فهم هناك يتحدثون اللغة العربيـة، ولكن بطريقتهم الخاصة. حـاولت أن أشرح له

● الجزائر بلد يبحث عن هوية.

وحـاول أن يفهمني ولكن دون جـدوى، لقد كنت قلقـا جـدا، فأنا دائما سيىء الحظ خصـوصا مع رجـال الأمن، ولكن للأمانة كان الـرجل غاية في الود والاحترام، وجاء الفـرج إذ اقترب مني شخص وسألني: أأنتما بعثـة «مجلـة العـربي»؟ قلت: نعم. قـال: أنـا من السفـارة الكـويتيـة اسمحا لي بالجوازات. وأخذ يتكلم مع موظف الجوازات ويشرح لـه بـاللهجـة الجزائريـة التي يظهـر أن صـاحبنـا أجادها مـن كثرة بقائه هناك، والحق أنها طـريقة جميلة في الحديث، ويكثـر فيها استخـدام الكلمات الفرنسيـة، وأنا شخصيا مازلت أرددها مع نفسي أحيانا كثيرة.

انتهينا مع مـوظف الجوازات وقال صاحبنـا إننا يجب أن نذهـب في وقت لاحق إلى وزارة الخارجيـة لاستخراج إذن ممـارسـة العمل الصحفي كي تسهل مهمتنـا، وقفنـا عنـد سير التفتيش، وسألنـا الموظف: هل معكما شيء من الممنـوعات؟ قلت: مجرد مـلابس وآلات تصـوير. قـال: هذه ممنوعات!! قلت: ولكننا صحفيان!! قال: فيجب أن تسجل آلات التصـويـر. بقيت أنتظر وذهـب صـاحبـاي لتسجيل الممنوعات.

وبينما أنـا أنتظر وجـدت الأشخـاص الـذين يرتـدون العـديـد من القمصـــان والمعـاطف والكثير من الأشيـاء الأخـرى في شـد مع رجـال التفتيش، وكل واحـد منهم ممسك بحقيبة ملأى بالملابس وشامبو وصابون.. وأشياء غـريبة، وعلمت أن هـؤلاء يـذهبـون إلى مصر وسوريـا ودبي، ودول أخـرى يسهل عليهم دخـولها، ويحضرون الملابس وخلافهـا لبيعها بالأسواق الجزائريـة التي تفتقر إلى أي بضائع مستوردة. أي أنهم تجار شنطة.

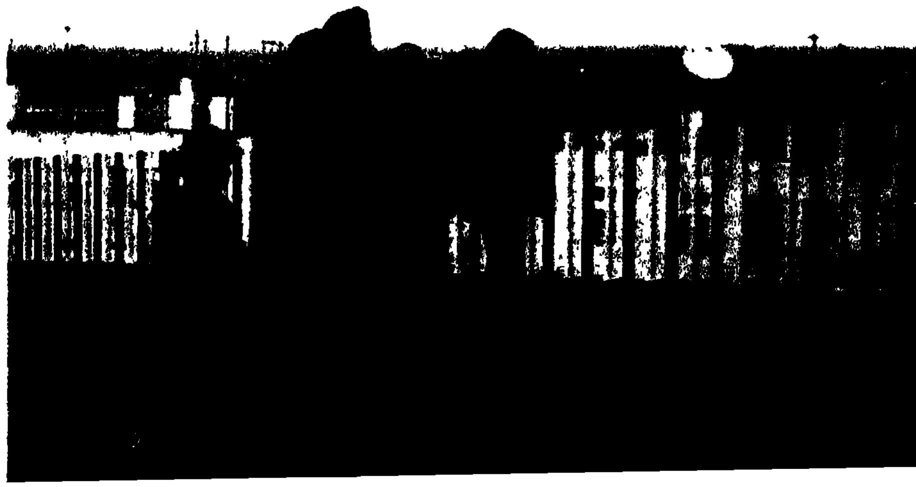
وفي الشارع تعرف القصة..

الجو ممطـر، بل شديـد المطـر، والبرَد «المطر المتجمـد» ينهمر بغزارة، الساعـة السادسة مساء، ونحن نقترب من الفندق الـذي سنقيم فيه، طـرق ضيقة، شوارع متعـرجة تخترق الجبـال، التي تحف الجزائر العـاصمـة، وأزقـة عن اليمين وعن الشمال، واللون الأخضر هــو المسيطـر على المكـان، الأرض والجبال وحتى المنـازل التي شيــدت بطـريقة غـريبة على الجبـال كستها الطبيعـة بخضرتها كي تعلن انضمام المنازل إليها وسيطرتها عليها، في أعلى الجبل يقبع فنـدقنـا الــذي سنقيـم فيـه، والمطل على الجزائر العاصمة من أربعة جوانب، فهنا الميناء وهناك البحر، وفي ذلك الجانب الجبال، وفي الجانب الرابع المدينـة بشوارعها العتيقة.

مـا أن وضعنـا حقـائبنـا حتـى شعـرت بميل شـديـد للخروج إلى الشـارع، ولكن هل سيكون الـوضع آمنا؟،







● الجزائر بلد يبحث عن هوية.

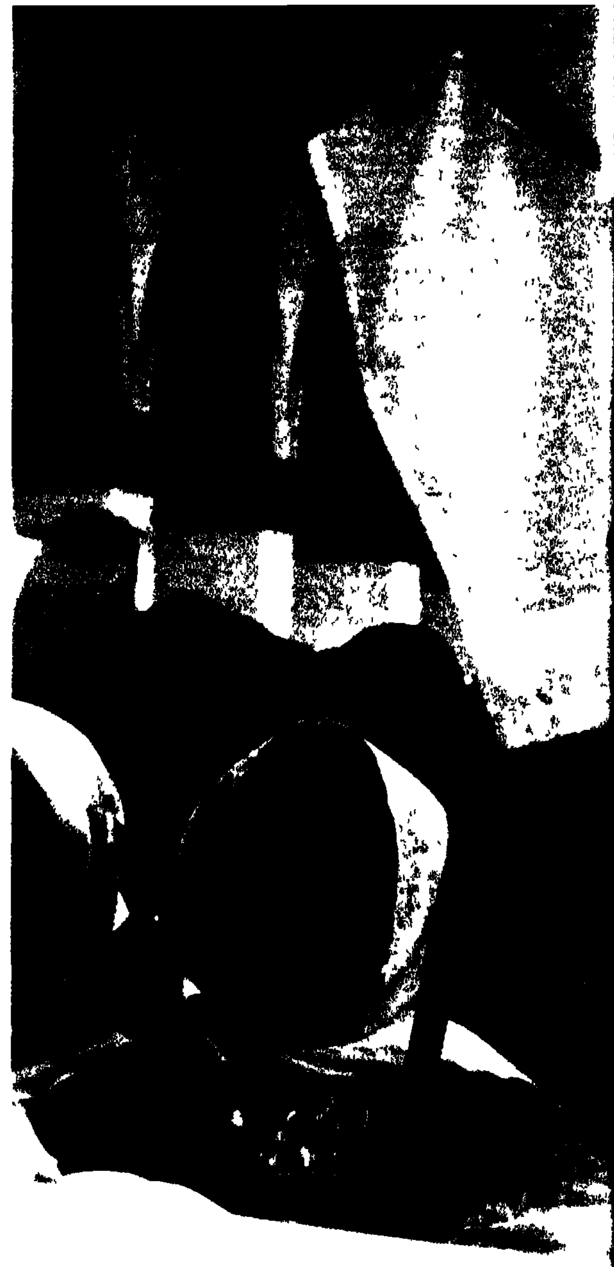
قلت لنفسي لا داعي للقلق، وإننا إذا لم ننزل إلى الشارع ونتحدث مع الناس فلن نستطيع أن نفهم حقيقة ما يحدث، فأنا أعتقد أننا في الشارع سنعرف القصة كاملة، وخرجنا.

الليل دائما جميل، ولكل بلد في العالم ليله، وفي الجزائر الهدوء العام، هو سمة الليل، وأشباح الليل «قوات الأمن» هي المسيطرة على الوضع، ومع أن هناك حظر تجوال منذ حوالي سنتين، يبدأ من الساعة الحادية عشرة والنصف مساء، وينتهي في الرابعة والنصف فجرا، إلا أن هناك أناسا يخرجون في الليل، وفي الشارع عربات تتحرك، وما دمت لا تخالف فلا أحد يعترضك.

عدنا أدراجنا طمعا في الحصول على وجبة من الأكل الجزائري يليها قسط من الراحة، خاصة أننا لم نستطع في هذا الليل الموحش التحدث مع أي شخص، وكنت دائما أقول إن لكل بلد بابا تدخل منه، وباب الجزائر شارعها، ولكننا يجب أن نجد المفتاح الذي يفتح لنا هذا الباب.

وفي الصباح الباكر أفقت بعد نوم متقطع لشدة صوت البرق والرعد ولعزارة الأمطار، ولم تكن الشمس مشرقة، وكانت الغيوم تحجب أشعتها، والمطر لم ينقطع، القلق يراودنا بأننا لن نستطيع التقاط صور جيدة في حالة استمرار المطر في الأيام التالية، خاصة بعد أن علمنا أنه منذ عدة أيام والجو على هذه الحال.

خرجنا سيرا على الأقدام باتجاه لا نعلم إلى أين سيأخذنا، نحاول جاهدين تفادي شدة المطر دون جدوى، أوقفنا أول سيارة أجرة، وقلنا لسائقها: نريدك أن تأخذنا إلى أي مكان عام. قال: أنا تحت أمرك، وكل الجزائر أمكنة عامة. قلت: كيف تقول هذا وأنا أعلم أن هناك ضواحي وأحياء ومناطق من الصعب الدخول إليها لأن الجماعات الإسلامية مسيطرة عليها؟ قال: لا عليك، قل أين تريد أن آخذك وسآخذك. قلت في نفسي: إن سائق التاكسي هذا هو المفتاح الذي سيفتح لي بوابة الجزائر. قلت: نحن صحفيان من مجلة العربي جئنا لعمل استطلاع عن الجزائر. وما أن أتممت جملتي، حتى أوقف السيارة والتفت إلينا التفاتة غريبة أصابتنا بالذهول ونوع من القلق. وقال: بجد أنتم من مجلة العربي؟ قلت بتردد: نعم. قال: لا أصدق بأنني سأقابل في يوم من الأيام أناسا





□ مظاهرة تقودها الأمهات الجزائريات ضد موجة العنف التي تجتاح البلاد، و(إلى أسفل) عائلة جزائرية تقليدية ونزهة في أحد شوارع العاصمة. متى يسود الأمن. وتبتعد المخاوف من التفجيرات؟

من المجلة التي تربيت عليها، أنا تحت أمركم ودون أي مقابل، ولن أدعكم حتى آخر يوم في رحلتكم، والآن أين تريدون أن آخذكم؟ قلنا: السوق مثلا. قال: وأي سوق؟ قلنا: أي سوق على أن يكون كبيرا وعاما. قال: إذن «دادش مراد». قلت: وماذا تعني بقولك «دادش مراد»؟ قال: أعني سوق دادش مراد.

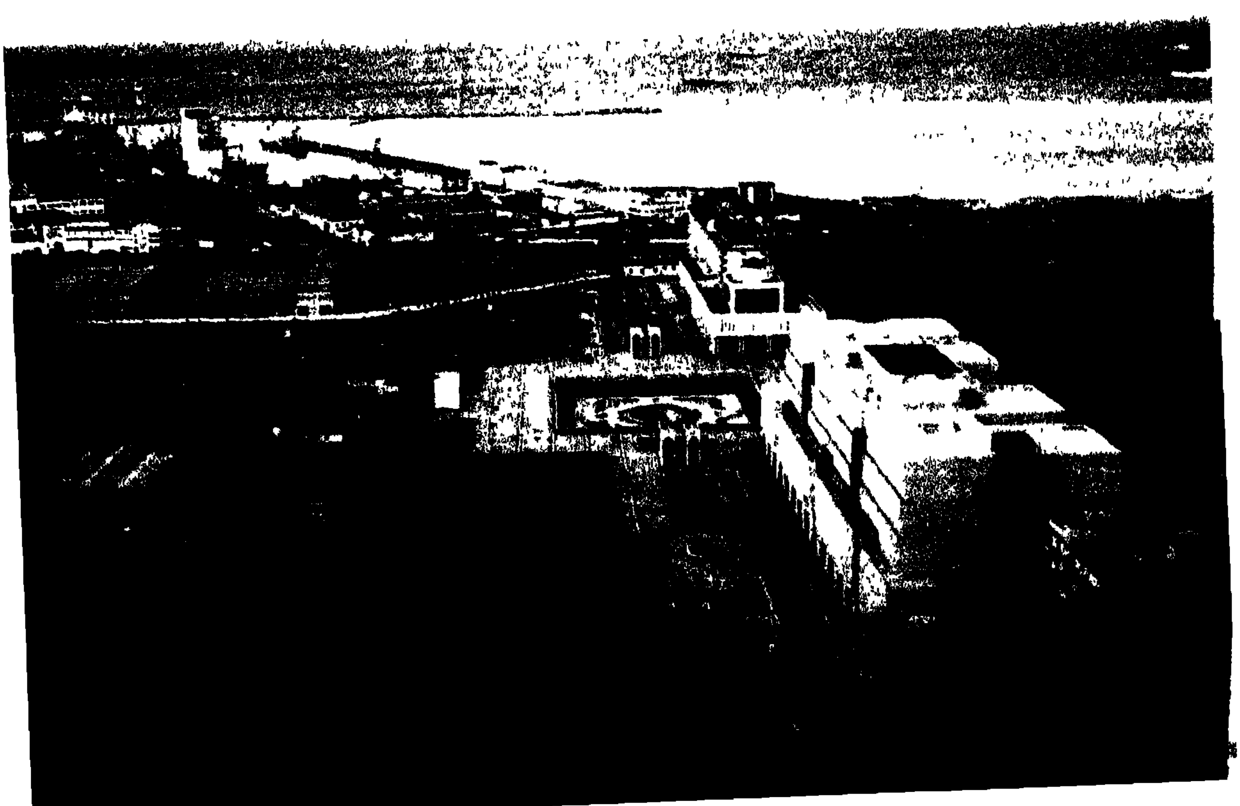
وفي طريقنا استغربت الزحام الشديد في الطرقات، سألت السائق عن سر هذا الازدحام هل هو بسبب المطر أم أن هناك شيئا ما قد حدث. قال: لا، فالجزائر دائما هكذا مزدحمة. قلت: ألا يخاف الناس؟ قال: وممَّ يخافون؟ قلت: مما يقع من أعمال عنف يومية. قال: وأين تقع أعمال العنف هذه التي تتكلم عنها؟ قلت: هنا في الجزائر. قال: غير صحيح!! صحيح أن هناك حوادث قتل تقع، وأن هناك معارضة شديدة، وجرائم، ولكن لا يوجد أعمال عنف في الشوارع، ولم نسمع يوما أنه وقع انفجار في مكان معين، وما يحدث هي عمليات تصفية حسابات وانتقامات وصراع على السلطة والحكم، المواطن العادي لا دخل له فيه، الجزائر بلد كبير جدا وفيه غابات وجبال شديدة الوعورة، وفي تلك الجبال والغابات يعسكر المعارضون الإسلاميون، من أتباع جبهة الإنقاذ وغيرها.

ثم قال السائق: أين تريدون في السوق؟ قلت: أوله. قال: نحن في أوله.. نزلنا نتمشى، ونتفرج على البضائع المعروضة في المحلات، محلات كثيرة ومتعددة الأنشطة، سألت نفسي: إن الجزائر بلد غني بما فيه من خيرات طبيعية كالنفط والزراعة، وغيرهما.. ولكن الحالة العامة للبلد تدل على أنه بلد فقير، ويبدو أن السياسة الاقتصادية التي كانت متبعة منذ الاستقلال لم تكن مناسبة للأوضاع المعيشية للمجتمع وطبيعته.

والاقتصاد الجزائري قام منذ البداية على أساس سيطرة الدولة «المشروع العام» على النشاط الاقتصادي، وتوجيه سياسات التنمية نحو الاشتراكية مع التركيز على القطاع الصناعي بالأساس ثم حدث تنشيط للاقتصاد الخاص منذ أواخر الثمانينيات، مع تبني سياسات للإصلاح الاقتصادي ولمواجهة مشكلات المديونية الخارجية والبطالة والتضخم.

والجزائر اليوم تعيش تدهورا اقتصاديا شديد الوطأة، وآثاره واضحة على الوضع العام للبلد في الأصعدة الأخرى سواء السياسية أو العسكرية أو الاجتماعية أو غيرها، وخير دليل على سوء الوضع الاقتصادي هو ندرة بعض السلع الضرورية للمستهلك سواء سلع غذائية أو مما يحتاجه المواطن من مواد استهلاكية، فالديون الخارجية للجزائر تقدر بحوالي (٢٧) بليون دولار، وخدمة هذه الديون ترتب سنويا ما قيمته (٨) بلايين دولار من

□ ميناء الجزائر نقطة حيوية للالتقاء بأوربا والعالم



مداخيل البلاد من العملة الصعبة التي تتراوح ما بين (١١) و(١٢) بليون دولار.

هذا من جانب، أما من جانب آخر فقد ازداد الوضع الاقتصادي سوءا مع الانخفاض في أسعار النفط الذي كان تأثيره على الجزائر خاصة تأثيرا سيئا للغاية.

وبهذا فإن ما تبقى من المدخول السنوي للدولة يقدر بحوالي ثلاثة بلايين دولار يتم صرفها على الخدمات العامة للبلد.

إضافة إلى ذلك عدم التوازن بين الأجور وأسعار المواد الاستهلاكية (بفرض أن الفرد سيكتفي باحتياجاته الضرورية) فالأجور متدنية، ومتوسط الأجور حوالي (٥٠٠٠) دينار جزائري (٢٠٠ دولار حسب السعر الرسمي، فسعر الدولار في السوق السوداء يزيد على السعر الرسمي بثلاثة أضعاف ونصف)، وكيلو اللحم بـ(٣٠٠)، والدجاج (١٢٠) دينارا، هذا الغلاء الفاحش بالنسبة للأجور، وأوضاع الاقتصاد المتردي منذ سنين طويلة، وما كان يشعر به المواطن ويلمسه من فساد في السلطة الحاكمة، وسوء في إدارة شئون البلاد، وهيمنة السلطة العسكرية على كل شيء، جعل المواطن الجزائري، يتذمر في نفسه، إلى أن انفجر بركانه وأعلن غضبه، وأوضح مطالبه، ولم تستطع الحكومة في ذلك الوقت فهم أن ذلك المواطن البسيط الهادىء في طبعه استطاع أن يهزم فرنسا، ويخرجها من ديارها، فهو بلا شك قادر على ما دون ذلك.

أصل الحكاية

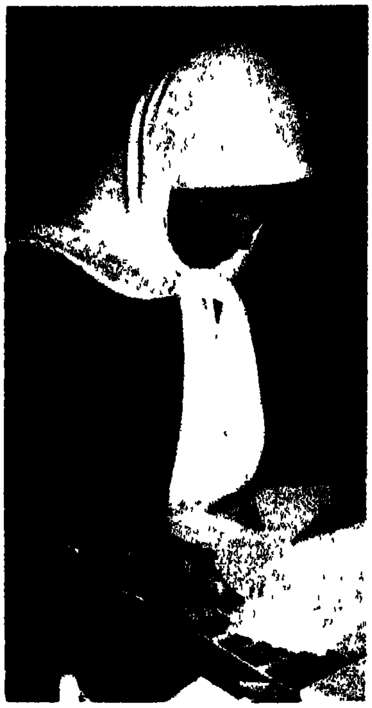
كان المواطن الجزائري يعيش مع نفسه أي أنه يقنع برزق يومه، ويرضى بما تقسمه له الأقدار، دون تأفف أو ملل، ولقد سرى بين الناس حديث يدعو إلى المطالبة بالحقوق العامة للمواطن، معللين هذه المطالبة بأن رجال السلطة يتمتعون بجميع المميزات، ويسيطرون على جميع مداخيل البلاد التي لا يعرف المواطن كيف تصرف.

وبدأ هذا الحديث يتحول إلى مطالب عامة بالإصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكانت النبرات الحادة تحمل في طياتها غضبا عارما، وبما أن الجزائر دولة ذات نظام جمهوري، قام على أساس وجود المجلس الشعبي الجزائري «البرلمان» وجبهة التحرير الوطنية كحزب وحيد، وتقديم مرشح الرئاسة في استفتاء عام، فلم تكن هناك وسيلة متاحة يستطيع المواطن أن يعبر بها عن رأيه، وكانت قنوات التعبير جميعها مسخرة لصالح الحزب الوحيد الحاكم.

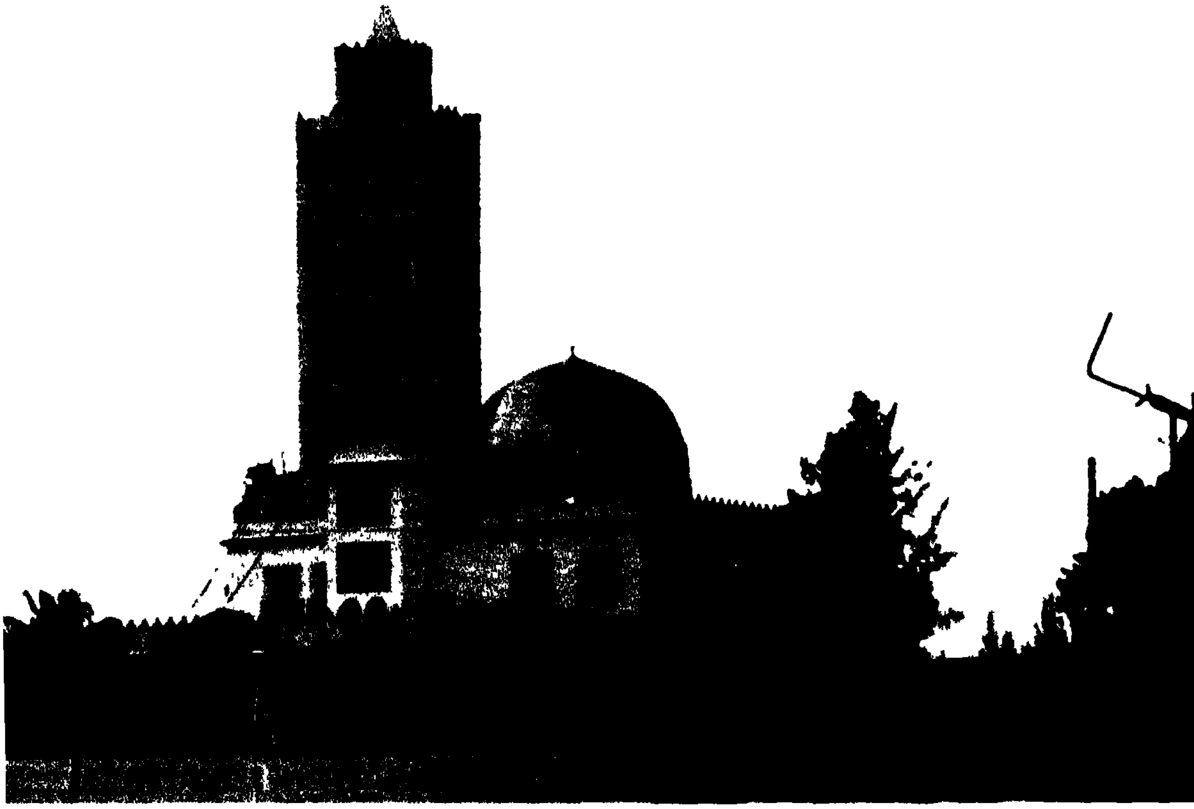
إلى أن جاء عام ١٩٨٩ وتم إقرار التعددية الحزبية نتيجة ضغط شعبي شديد اللهجة، (أو كما يعتقد بعض السياسيين الجزائريين: نتيجة حسبة سياسية خاطئة من قبل الرئيس السابق الشاذلي بن جديد)، ووصل عدد الأحزاب اليوم إلى حوالي (٦٤) حزبا من بينها حوالي (١٥) حزبا إسلاميا أبرزها جبهة الإنقاذ الإسلامية، وحركة المجتمع الإسلامي (حماس)، وحركة النهضة الإسلامية.

ولم يكن عام ١٩٨٩ عاما كسائر الأعوام الجزائرية، بل يفضل الجزائريون أن يطلقوا عليه (عام التحولات) فقد شهد هذا العام إقرار التعدد الحزبي، وتجاهل

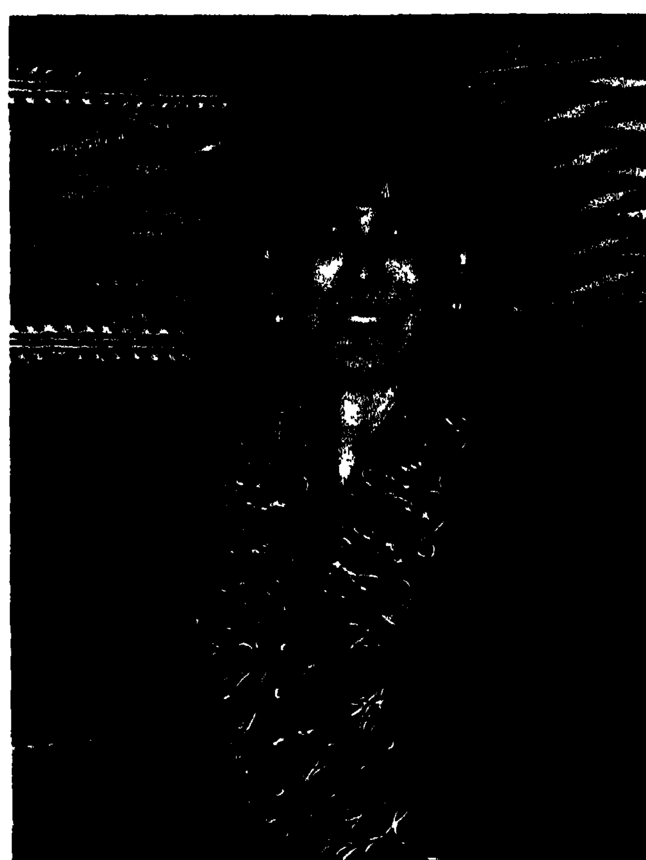




□ فتيات جزائريات وجوه جميلة. وحجاب إسلامي.







□ أحد مساجد العاصمة تظهر فيه ملامح العمارة الأندلسية التي ولدت في بلاد المغرب العربي (الصورة العليا) وفتاة جزائرية تلبس زيا يجمع النقوش التقليدية الموشاة بخيوط الذهب و(إلى اليسار) الجزائر تموج بالحركة السياسية والصخب والرغبة في التغيير.

هدف الاشتراكية كهدف حتمي للدولة، والتأكيد على الإسلام دينا للدولة، وأن العربية هي اللغة الرسمية.

ولقد وجد المواطنون بما ترفعه جبهة الإنقاذ الإسلامية من شعارات عاطفية مبتغاهم، واعتقدوا أن جبهة الإنقاذ قادرة على انتشال البلد من الضياع الذي تتجه إليه، تبلور هذا الاعتقاد بما أفرزته نتائج انتخابات المجلس البلدي لعام ١٩٩٠، إذ تمكنت جبهة الإنقاذ من الفوز بـ ٣٢ ولاية من أصل ٤٨.

وتتصاعد الأمور.. إلى أن تقرر إجراء أول انتخابات تشريعية في الجزائر وفق نظام التعددية الحزبية في (٢٦ ديسمبر ١٩٩١)، والتي أسفرت عن فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية بأكثر من (٧٠٪) في الانتخابات الأولية في يناير ١٩٩٢، وقد أدت هذه النتيجة إلى تغيرات مفاجئة على ملامح الخارطة السياسية في الجزائر، إذ تصاعدت خلالها أحداث عنف تطورت إلى قيام الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بتقديم استقالته بصورة مفاجئة، ثم تدخل الجيش وتم تأجيل الانتخابات النهائية واعتقال قيادات جبهة الإنقاذ. (ولكن بعض السياسيين الجزائريين يجزمون بأن استقالة الرئيس الشاذلي لم تكن مفاجأة، وكما أفضى لي أحدهم: إن الرئيس الشاذلي راهن على أن جبهة الإنقاذ لن تستطيع تحقيق أي نوع من أنواع الفوز في الانتخابات، ولكن حساباته كانت خاطئة، وخسر الرهان الذي أجبر بعده على تقديم الاستقالة).

ومنذ تلك اللحظة تغيرت لهجة المخاطبة، وركنت لغة الحوار جانبا ليتحدث الرصاص، وأصدرت جبهة الإنقاذ بيانا شديد اللهجة تتوعد فيه بالموت كل من يقبل أن يتولى منصبا كان من حق أعضاء الجبهة، وفعلا تعرض للاغتيال أكثر من حاكم ولاية لأنه قبل أن يعين في منصبه، ولجبهة الإنقاذ أسلوب خاص في عملية الاغتيال، فهم يرسلون لمن سيكون الموت من نصيبه كفنه قبل اغتياله، أي يميتونه حيا قبل أن يردوه قتيلا.

المواجهة

واستمرت المصادمات بين جبهة الإنقاذ والسلطة الحاكمة، وتغير الصراع من صراع للإصلاح إلى صراع على السلطة.. وشهدت الجزائر أحداثا دموية مريعة، وتحصن آلاف الأشخاص من التابعين لجبهة الإنقاذ في الجبال الجزائرية التي من الصعب على الجيش دخولها، بل وازدادت الأمور إلى سيطرة جبهة الإنقاذ على عدد من الأحياء والمدن «كالقصبة والبليدة.. وغيرهما» سيطرة تامة، ففي البليدة مثلا يتم إلزام الباعة بأسعار محددة من يتجاوزها يكون مصيره الموت، «سعر كيلو اللحم ١٥٠ دينارا، أي نصف السعر»، كما تم منع دخول الصحف والمجلات، وفصل عربات النقل الجماعي بوضع حاجز يفصل بين الرجال والنساء.

ويستمر العنف ولا يتوقف، وتزداد الجروح اتساعا ولا تندمل، وتعيش البلاد في حالة فوضى، ويعيش المواطن في حالة ذهول، وتتعلق الآمال في «ندوة الوفاق الوطني» التي عقدت يومي ٢٥ و٢٦ يناير الماضي، ولكنها تفشل في تحقيق الوفاق، بعد أن قاطعتها الأحزاب المهمة، ولكنها استطاعت تحديد هوية الحاكم، بتعيين الأمين زروال رئيسا للجمهورية.

البحث عن هوية

الجو في الجزائر شديد البرودة، والجو الإنساني شديد السخونة، وما دمت تسير في الشوارع فإنك تسير حذرا من شيئين تحاول تفاديهما، الأمطار المنهمرة بغزارة، والرصاص الطائش الذي لا تعلم من أين سيأتيك، والناس هنا وكأنها لا تبالي، فالشوارع مزدحمة غاية الازدحام، والأسواق مكتظة بالناس الذين اعتادوا سماع الأخبار السيئة ولكنهم ملوها، وينتظرون الفرج أيا كان نوعه وأيا كانت جهته.

لقد كنت أقول في نفسي دائما إن الصراعات السياسية ليست واضحة الأسباب والدوافع، وإنها غالبا ما تحمل أبعادا أخرى غير ما تراه العين ظاهرا وما تسمعه الأذن حاضرا، وإنه بكل تأكيد ثمة صراعات أخرى تكون محاذية للصراعات السياسية ومرتبطة بها، وقد تساءلت كثيرا إذا كانت هذه الافتراضات تنطبق على ما يدور في الجزائر من صراعات أم لا تنطبق.

صرت أتعامل مع الأشخاص والأحداث والأمور اليومية بعين الباحث، حتى وجدت الإجابة الوافية عن تساؤلاتي، وجاء الواقع ليؤكد صدق نظريتي، وواقعية افتراضاتي، فالجزائر اليوم لا تعيش صراعا سياسيا على السلطة فقط، إنما تعيش صراعا أكثر خطورة وضراوة، ألا وهو صراع الهوية، وهناك عدة تيارات تنادي باتباع ثقافات وحمل هويات غير عربية.

حملت افتراضاتي ونظرياتي، وذهبت بها للدكتور تركي رابح عمامرة رئيس جامعة الجزائر، والذي قاد حملة قوية منذ الاستقلال لتعريب اللغة في الجزائر، وقد قال لي: «إننا نعاني صراعا ثقافيا وحضاريا عنيفا في الجزائر بلد المليون ونصف المليون شهيد، وذات المساحة الواسعة، والشعب المتطور علميا وتقنيا، هذا الشعب يعاني اليوم من الغزو الثقافي والاستعمار الفكري، لأن فرنسا عندما خرجت من الجزائر تركت وراءها كما يقولون «مسمار

جدا» هـذا المسار هو الفكر الأوربي والثقافة الأوربية، وهي طاغية هنا بصورة عنيفة خاصة وأن الجزائر مثل تونس والمغرب قريبة من أوربا، فالصحف تصدر في باريس وبعد ساعة تكون في الجزائر.

واليوم ومع الأسف الشديد نجد من يناقش في قضية الهوية، فهل نحن عرب أم أمازيغ أم أوربيون؟.. وأقول مع الأسف لأننا بعد هذا الجهاد الطويل ضد الاستعمار، وبعد تلك التضحيات الكثيرة، نجد اليوم من يقول إننا أمازيغ ولسنا عربا، والبعض الآخر يقول نحن أوربيون واتجاهنا أوربي.

* ماذا عن حملة التعريب التي عملتم بها منذ الاستقلال؟.

ـ الجزائر عندما استقلت عام ١٩٦٢ كان كل شيء مفرنساً، فعندما كنت تخرج إلى الشوارع والمدن الجزائرية تجد كل شيء مكتوبا بالفرنسية، وتجد أن أسماء المدن فرنسية، مثلا الجزائر (آرجي)، وعنابة (بونة)، ووهران كانت تسمى (أوران).

وبعد الاستقلال أرادت الجزائر أن تعيد وجهها الإسلامي مرة أخرى، فقمنا بثورة أطلق عليها «ثورة التعريب» أو «المعركة من أجل التعريب»، وكانت بالفعل معركة لا تقل ضراوة وعنفا عن المعركة المسلحة ضد العدو، ولكن هناك فرقا بين المعركة المسلحة ومعركة التعريب، ففي المعركة المسلحة العدو محدد، وكان الجزائريون جميعهم يدا واحدة في وجه الاستعمار الفرنسي حتى انهزم عسكريا، ولكن معركة التعريب، أي تحقيق عروبة الجزائر ميدانيا، فإن العدو هنا غير مادي، ووجدنا أن هناك عددا كبيرا جدا من الجزائريين الذين تثقفوا بالثقافة الفرنسية، وتكونوا تكوينا فرنسيا في عهد الاحتلال يدافعون عن الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية، وأنهم يفهمون الاستقلال فهما ماديا، وفي نظرهم أن الاستقلال هو النشيد الوطني والجيش الوطني والعلم الوطني، ولكن اللغة والثقافة والسلوك والمفاهيم هذه كلها يريدونها أن تبقى كما هي فرنسية، وذلك بدعوى التطور والانفتاح ومسايرة العالم تكنولوجيا.

المعركة الأخرى

ولكن هل المشكلة التي خلفها المستعمر الفرنسي تكمن في القضاء على اللغة العربية؟ أم أنه عمل لما هو أبعد من ذلك وأهم، كزرع ثقافة عربية مفرنسة، أي متأثرة بالثقافة الفرنسية، وجيل يطالب بالانتماء إلى الثقافة الفرنسية؟.

إن الجزائر قبل أن تقع تحت الاحتلال الفرنسي كا ولاية تابعة للخلافة العثمانية، وكانت الجزائر إلى جا أقطار شمال إفريقيا لديها ولاء شكلي للوالي العثم ولكنها عمليا كانت تدير عملها بنفسها، ورغم ه الولاء إلا أن اللغة التركية لم تنتشر في الجزائر بل كا مقصورة على الحكام العثمانيين وعلى قطاع معين الجيش الذي كان يسمى «الانكشارية»، أما التعليم ف يتم من ألفه إلى يائه باللغة العربية، في المدارس والمسا والزوايا والكتاتيب، كما أن الإدارة كانت تسير بالل العربية.. ولكن بعد ما جاء الاحتلال الفرنسي ع ١٨٣٠م تغيرت أمور كثيرة، وعمل الاستعمار على تغ البنية الأساسية للبلد، ولقد سألت الدكتور تركي عما عن أهم المحاور التي عمل عليها الاستعمار الفرن لإحكام السيطرة على الجزائر، فقال:

إن السياسة الفرنسية بعد الاحتلال اتخذت أرب محاور وهي (محور الفرنسة، ومحور التنصير ومح التفقير، ومحور الاندماج والتجنيس).

أما محور الفرنسة فقد قامت بإبعاد اللغة العرب وأحلت مكانها التعليم الفرنسي، وألغت الإد الجزائرية القديمة وأنشأت إدارة مفرنسة ١٠٠ واستمرت هذه السياسة حتى استقلال الجزائر.

أما سياسة التنصير فقد قامت باحتلال المساج



□ تركي رابح عمامرة
رئيس جامعة الجزائر.

السيطرة عليها، وحولت المساجد المهمة إلى كنائس وكاتدرائيات، وقد تم إرجاعها بعد الاستقلال إلى مساجد.

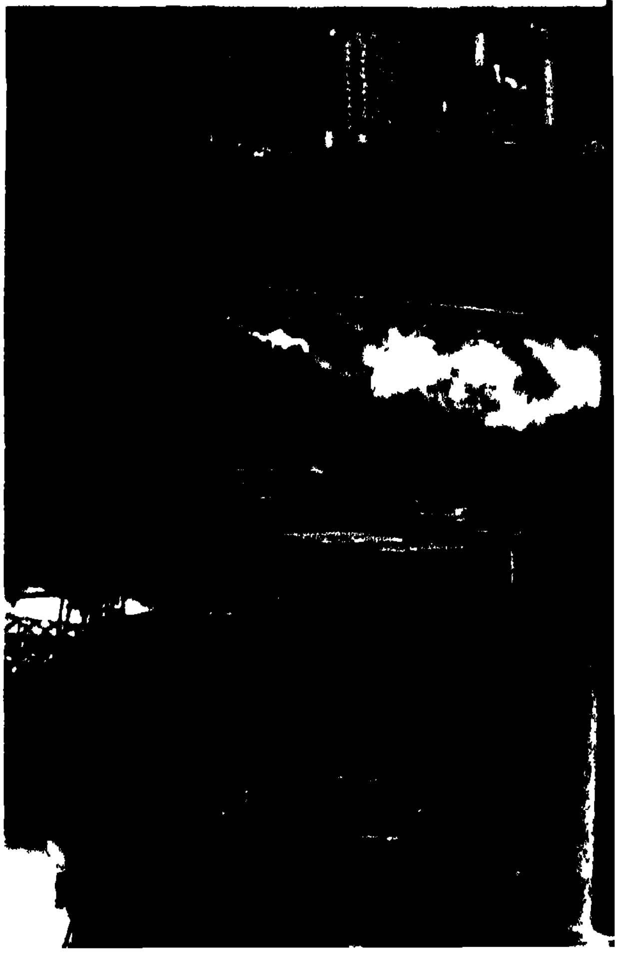
أما التفقير، فكما هو معروف أن الجزائر بلد زراعي من الدرجة الأولى وبه أراض زراعية خصبة، وقد قام الاستعمار بنزع ملكية الأراضي من الجزائريين وأعطوها للأوروبيين الذين أحضروهم لملء الجزائر بهم.

أما المحور الأخير فهو الخاص بالتجنيس والاندماج، فقد قامت فرنسا بفرض جنسيتها على الجزائريين، فمثلا الشيخ عبدالحميد بن باديس، وهو من كبار رجال الإصلاح والسلفية كان مكتوبا في بطاقته «مسلم فرنسي»، ففرنسا كانت تعترف بالإسلام كدين وتنكر علينا جنسيتنا العربية، لأنها أرادت أن تمسح شخصية الجزائر العربية وتجعلها جزءا من فرنسا، ولهذا تم عام ١٩٣٨ إصدار قانون رسمي بأن اللغة العربية في الجزائر هي لغة أجنبية، أي أن الشعب الجزائري شعب فرنسي.

الجزائر إلى أين ؟

سؤال تقليدي يطرح دائما للحالات المشابهة لما يحدث ويدور في الجزائر.. إلى أين؟ ولكن ما يحدث في الجزائر ليس كما يحدث في أي دولة أخرى!! إن الجزائر

□ منظر عام للعاصمة الجزائر وتبدو إحدى المنشآت البترولية.



اليوم تسير في اتجاه متشابك تتعدد فيه الأدوار، وتكثر فيه المطالب، إنها حالة فريدة من نوعها، والصراع الدائر في الجزائر اليوم بدأ صراعا ديمقراطيا، وتطور حتى أصبح اليوم صراعا دمويا تتخلله عمليات الانتقام وتصفية الحسابات والمصالح الشخصية، إن الصراع الدائر في الجزائر اليوم بدأ بشعارات الإصلاح، وتطور إلى الرغبة في الحكم والطمع بالسلطة.

لقد كانت الجزائر تعيش في حالة تحد مع النفس ومع الغير، وذلك من أجل إثبات الوجود والقدرة على العيش خصوصا بعد الاستقلال، وكان البلد متجها نحو الإعمار والتنمية، وطوال فترة حكم الرئيس هواري بومدين لم يكن هناك أي نوع من أنواع التذمر أو المطالبة الشعبية، وبعد أن توفي الرئيس هواري بومدين خرج الشعب يطالب بالحرية السياسية وحرية الرأي، وثار ضد سياسة الحزب الواحد رافضا استمرارها، فجاءت التعددية الحزبية، وكان للشعب ما أراد، حتى أصبح في الجزائر اليوم أكثر من ٦٤ حزبا، وقد رافق هذه التعددية الحزبية تعددية في حرية الرأي والفكر.

إن الخلاف اليوم في الجزائر ليس بين الحزب الحاكم وجبهة الإنقاذ الإسلامية، بل كثرت الأحزاب وتعددت وسائل إعلانها رفض السياسة المتبعة في حكم الجزائر، وجبهة الإنقاذ نفسها انقسمت وخرجت منها أحزاب جديدة.

الجزائر .. إلى أين؟؟ لا أحد يستطيع الإجابة عن هذا السؤال إلا الجزائريون أنفسهم، فهم أصحاب القرار، وبيدهم الحل، فإما أن ينتشلوا بلدهم قبل أن يغرق في بحر الدماء، ويرسوا بالسفينة الجزائرية إلى بر الأمان، وإما أن يتركوا الأمور تزداد تدهورا، وتصل إلى حال لا يعلم خاتمتها إلا الله.

الشارع الجزائري اليوم يريد الخلاص من حالة الهلع والخوف والفوضى التي يعيشها بأي شكل من الأشكال، المواطن الجزائري يريد أن يلتم بأفراد أسرته التي شتتها تردي الأوضاع، وسوء الأحوال المعيشية، فهناك قرابة مليوني مهاجر جزائري خارج وطنه.

من أعلى شرفة الغرفة التي كنت أسكن بها في الفندق، وبعد أن حزمت حقائبي استعدادا للرحيل، جلت بنظري على العاصمة الجزائرية، وأفكار كثيرة تدور في عقلي، وعلامات استفهام عديدة تتقافز على خيط الأفكار، وعلامات تعجب تقف مشدوهة لما يحدث في هذه العاصمة.. ونقط وفواصل وأحرف وكلمات وسطور، كان آخرها هذا السطر. □

حكــــايتــــان عن

فانو و داتو

قصــة بقلم : إيــرلــوم أخليــديــاني
ترجمـــــة : غـــادة جـــاويش*
والدكتــورة : مارينـــا تخينفــاليلي **

١ ـ فانو في حلم داتو

ذات مرة، كان فانو في حلم داتو

كان داتـو ينام وكان في حلمه عـالم سماؤه من حجر، وشمسه مـن شجر، وشجره مـن ضباب، وضبابـه من تـراب، وتـرابــه من ريـاح، ورياحـــه من رصـاص، ورصاصه.. لم أعد أتذكر من مادا.

كـان داتو ينام فيأتيه فـانـو في الحلم.. يأتي فانـو إلى حلم داتو.. أفكاره من نمل، وحلمـه من طير، وأغانيه من حصى

كـان فـانـو يمشي في حلم داتــو. يمشي فـوق الماء فتلسعـه النيران، يسير تحت الشمس فيتجمـد، يأتي إلى هنا فيرى نفسه هنـاك، يسير إلى هنـاك ويبقى هنـاك، يتجه نحو اليمين ويتمنى لو أنه نحو اليسار اتجه. أحيانا يكون فانـو في الليل وأحيانا يكون الليل فيـه، هنا يرى شجون الأمس، وهنـاك أحزان الغد وأبعد قليـلا، كان يدرك توحده.. أحيانا يكون فانو عصا لشجرة ـ يتمايل ويعاني ـ وأحيانا ورقـة ـ تصفر وتسقط إلى أسفل ـ وفي الأسفل كانت أيضا سماء.

كـان داتـو ينام، وكـانـت بعوضة تطارد بعوضـة، وبعوضـة تطارد صرصـارا وصرصار سمكـة، وسمكة سنونوة، وسنونوة سمكة قرش، والقرش غزالا، والغزال ذئبـا، والــذئب نسرا، والنسر أسـدا، والأسـد يطـارد بنفسجة، والبنفسجة لا تهرب إلى أي مكان، كانت بحالها.

كـان فـانـو يمشي في حلم داتـو.. وكـان الأصـ رماديا، والـرمادي برتقاليـا، والبرتقالي كـان أحمـ والأخضر أحمر، الأحمر أسود، والأسـود سماويا كـا والسماوي ـ أبدا ـ ما كان .

كـان فـانو يمشي في حلم داتـو وحين يسقط ظ على الأرض، يكبر، يتجسم، يتحول إلى ديدان ترحـ ثم تتغلغل في جوف الأرض.

كان داتـو ينام وكان فانـو في حلمه، سعيدا أحيـ حزينـا أحيانا، مسرورا، كئيبـا، خيرا، شريرا، وأحيـ يكون فانو واحدا، اثنين، ثـلاثة، وأحيانا لا يكون ـ نصفه. وكانت في حلم داتو فـاكهة متعددة ألوانها، ثمة نفس الطعم.

ينـام داتو وفي حلمـه كانت حجـرة مليئة بـالأسـ حجرة مليئة بـالفكر، وأخرى بالحب، ثالثـة بالسعا حجـرة مليئـة بـالخوف، واحـدة بـالشك، وأخـ بالوحدة، وحجرة فارغة من الحجر.

مرة، يولد فانـو في حلم داتو، يكبر ويشب، وأحـ يصغر، يذوي.. يتـلاشى.. أحيانا يكون فـانو القاتل وأحيانا يكون القتيل.

كان داتـو ينام.. وتتسارع الثواني إلى شجـرة البلـ مثل يرقات المومل[1]. وتفتش الأيام عن لياليها، تـ السنـوات في الـدروب البعيـدة، تضطجع القـروذ السهول اللانهائية، تدخن الغليون وتتحادث.

* كاتبة قصة من سوريا، وتدرس الدكتوراة في معهد الاستشراق في تبليس
** مستعربة من جمهورية جورجيا



كان فانو يمشي في حلم داتو.. وعندما يستيقظ داتو ينام، وعندما ينام داتو يستيقظ هو.

مرة، يكون فانو في المطر، ومرة يكون المطر فيه، أحيانا يرى فانو حلمه في حلم داتو.. وفي حلم فانو كانت تسير امرأة - أمه، ورجل - أبوه، أخواته وإخوته، كلبه «مورا» بيته الخشبي، فناؤه الصغير وحديقته الصغيرة.. ويصيح الديك صباحا فيستيقظ داتو ويتلاشى كل ما كان في حلمه.

مرة، جاء فانو إلى حدود حلم داتو ونظر إلى الواقع، نظر فرأى.. سهلا مليئا بالأزهار، غابة مليئة بالشجر، نهارا مليئا بالضياء، وعلى السهل كانت امرأة جميلة، وكانت تقطف الأزهار وتغني.

صاح الديك فتلاشى حلم داتو.. وتلاشى واقع فانو أيضا.. مرت ليلة، نام داتو مرة أخرى فجاء فانو إلى حلمه، كان فانو يمشي فوق الماء فتلسعه النيران، يسير تحت الشمس فيتجمد، يتجه إلى اليمين ويتمنى لو أنه نحو اليسار اتجه، يأتي إلى هنا ويكون هناك، يذهب إلى هناك ويبقى هناك.

أخيرا.. وصل إلى حدود حلم داتو ونظر إلى الواقع:

كانت السماء من سماء، والتراب من تراب، والمساء من مساء.. رأى السهل مليئا بالأزهار، وعلى السهل كانت المرأة الجميلة تقطف الأزهار وتغني..

ينام داتو وينام، ومرة بعد مرة يأتي فانو إلى حلمه، مرة بعد مرة يمشي فوق الماء فتلسعه النيران.. يصل إلى حدود حلم داتو أخيرا، ليرى.. الحجرة مليئة بالحجر، البنفسج والزنابق، المطر المصنوع من أمطار، المرأة الجميلة التي لاتزال تقطف الأزهار وتغني..

مرة، طلب فانو من داتو أن يبعده عن حلمه.. وعن حلمه أبعده داتو..

يقال بأنه ذات ظهيرة مشمسة، وعلى طريق ترابية.. شوهد مسافر ممزق الثياب، جائعا، عطشا، وبيده عصا يتوكأ عليها.. كان هذا المسافر، فانو.

وقف فانو، مسح عرقا حقيقيا من على وجهه، ابتسم وتابع طريقه..

٢ - فانو الطيب .. داتو الشرير

منذ زمان .. كان داتو فانو، وكان فانو داتو.

بعد ذلك .. صار فانو داتو، وداتو فانو.

أخيرا.. توحّد الاثنان في فانو.

وهذا ما حدث ..

كان داتو شخصا سيئا، يفعل أشياء شريرة للآخرين، بينما كان فانو شخصا جيدا، ويفعل أشياء جيدة للآخرين. ولأن الإنسان تزعجه الرتابة.. فقد أزعج داتو كونه داتو، وأزعج فانو كونه فانو.

قال داتو لفانو :

- فلأكن فانو !

فرح فانو :

- وأنا سأصبح داتو.

- ولم لا!

ومنذ ذلك اليوم صار داتو فانو، وفانو صار داتو، كان يوما مثل الشمس عندما خرج فانو المتلبس في داتو إلى الشارع يتمشى.. يرى رجلا فيضحك عليه، يرى امرأة فيشتمها، يرى طفلا فيضربه على قفا رأسه، يرى كلبا فيهشه بالعصا، يرى عصفورا فيرميه بالحجر، يكسر الأواني الفخارية، ويضرب الشجرة بالفأس..

إيــــه، بماذا أضربها إذن؟!

وباختصار، فانو صار داتو تماما.

كان يوما مثل الشمس عندما خرج داتو المتلبس في فانو إلى الشارع، شرع يسلم على معارفه، وعلى من لا يعرفه أيضا، يلاطف الصغار، يقدم



الدخن للعصافير.. إيه، ماذا أقدم لها إذن؟!. وأحيانا يزرع الأشجار.

وباختصار، تغير داتو نهائيا، صار فانو تماما.

ومر زمان..

كان يوما غائما عندما كان داتو المتلبس في فانو يفرح لأنه صار فانو، لم يتذكر بأنه كان داتو ذات يوم، كان يحب الجميع والجميع يحبونه.. إيه، ماذا أريد أكثر من ذلك؟!

كان يوما غائما عندما كان فانو المتلبس في داتو يجلس ويتذكر بأنه كان فانو ذات يوم.. يتذكر كيف يضحك الرجل، كيف تبتسم المرأة، كيف يكبر الأطفال ويطير العصفور، كيف كان يلاطف الكلب، كم كانت الأواني الفخارية جميلة، وكيف زرع شجرة ثم تذكر بأنه صار داتو ورأى كيف صار الرجل ساخطا، والمرأة منزعجة، كيف مات العصفور وكيف تكسر الفخار، وكيف كانت الشجرة تئن..

ذهب فانو المتلبس في داتو إلى داتو الذي صار فانو، وقال:

ـ أنت يا من صرت فانو، لم أعد أريد أن أكون داتو، أعد لي فانويتي.

فأجابه داتو المتلبس في فانو:

ـ لا.

ـ أعد فانويتي أرجوك.

ـ لا.

ـ أعدها وإلا ضربتك، فأنا الآن متلبس في داتو، هل تسمع؟

عندها قال داتو المتلبس في فانو:

ـ لا تأخذ مني فانو، أرجوك.. كوني فانو هو شيء جيد، وأريده. فلا تأخذه أرجوك.

عقد فانو المتلبس في داتو ما بين حاجبيه:

ـ أنا أيضا، لم أعد أريد أن أكون داتو.

فكّر داتو المتلبس في فانو ثم قال:

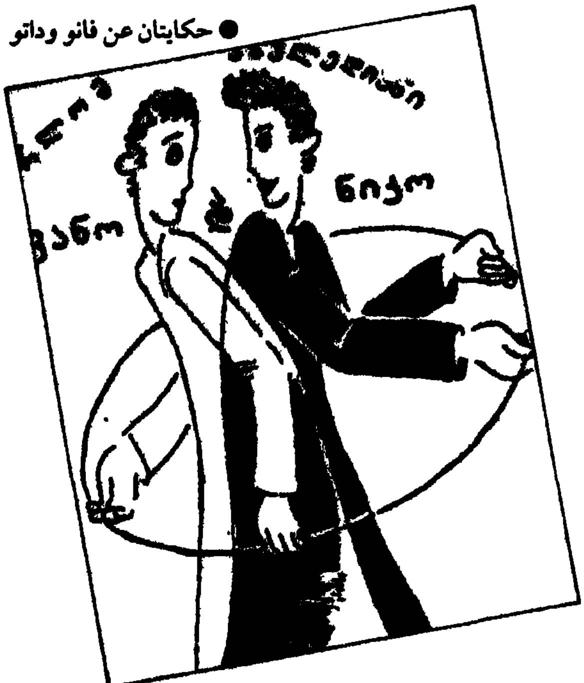
ـ يا أنت الذي صرت داتو، هل تعرف ماذا سنفعل؟ تعال ولتكن فانو أيضا، عندها نكون نحن الاثنين فانو، أليس من الممكن أن يكون كلانا فانو؟!

حاول فانو المتلبس في داتو كثيرا حتى عادت إليه فانويته أخيرا، بالرغم من أن اليوم كان ماطرا.

وهكذا.. صار فانو داتو، وداتو صار فانو.

وفي النهاية .. توحد الاثنان في فانو.□

● حكايتان عن فانو وداتو



□ غلاف المجموعة الجورجية (فانو وداتو).

(١) الوملا : حشرات صغيرة تهاجم أشجار البلوط بكميات كبيرة فتتلفها، وهي مكروهة في الأساطير الجورجية.

الزيتـــون الأخضــر

● ترجع زراعة الزيتون الأخضر إلى فجر التاريخ، وقد اتخذ غصن الزيتون رمزا للسلام منذ القدم. ويقال إن أول ما شهد سيدنا نوح عليه السلام من النبات هو غصن الزيتون الذي عادت به الحمامة التي أطلقها في فلكه.. وتعيش شجرة الزيتون قرابة ألف عام.

يحتوي زيت الزيتون على نسبة من الدهون سهلة الهضم، وقد استعمل قديما بدلا من القشدة، والزبدة، فهو يستخدم في السلطة، وفي الطهي، كما يستخدم في المجال الطبي كملين وترياق للسموم الكاوية ويدخل بعض المراهم. وتستعمل أصناف منه في الصناعة وصناعة الصابون الفاخر، وقد استخدمه الأقدمون في إنارة المصابيح.

انقلاب في أبحاث القرحة الهضمية

بقلم : لمى حداد *

لعقود عديدة ظل دارسو الطب يتعلمون أن للقرحة الهضمية بالمعدة والاثني عشر» علاقة بإفرازات العصارة المعدية، لكن هذا المفهوم يعبر الآن مما بعد بآفاق جديدة في معالجة هذا الداء

يشكل داء القرحه الهضميه بنوعيه المعدى والعفجي «الاثنى عشر» واحدا من أكثر الأمراض شيوعاً وإزعاجا للمريض بسبب نوبات الألم المتكررة التي قد تعاود المصاب، وفي بعض حالات القرحة المزمنه يضطر المريض لتناول الأدوية المضادة للقرحة طوال حياته، والاكتشاف الجديد الذي يربط القرحة الهضمية بنوع جرثومي جديد قد يحمل الأمل لملايين المرضى، وفي الواقع يمكن القول إن الربط بين التقرح الهضمي ووجود الجراثيم في المعدة قد بدأ منذ سنة خلت، حيث كشفت الأبحاث عن وجود جراثيم ملتوية الشكل في الطبقة المخاطية للمعدة البشرية، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لاحظ عدد من العلماء وجود مستعمرات جرثومية في المعدة البشرية، ولكن أول بحث جدي حول الموضوع بدأ في عام ١٩٨٣، حيث كشف د. باري مارشال وهو طبيب استرالي اختصاصي بالأمراض الهضمية وجود جراثيم عصوية منحنية في خزعات معدية مأخوذة من بعض حالات التهاب المعدة المزمن، ولاحظ مارشال تشابها بين هذه الجراثيم وبين جراثيم جنس المتقوسات Campylobacter وهو جنس جرثومي معروف منذ زمن بعيد وتسبب أنواعه إصابات انتانية مختلفة منتشرة في بعض المناطق ومنها بعض حالات الإسهال وخاصة عند الأطفال، وأطلق د. مارشال على الجرثوم المكتشف في مخاطية المعدة اسم المتقوسة البوابية Campylobacter Pylori، بعد عدة سنوات من البحث لاحظ د. مارشال وفريقه وجود بعض الاختلافات بين هذا الجرثوم وبين الأنواع الجرثومية التابعة لجنس المتقوسات، فاعتبر هذا الجرثوم جنسا منفصلا وسماه الهليكوباكتر بيلوري Helicobacter Pylori، وهي التسمية التي ما زالت جارية حتى الآن.

هل القرحة مُعدية ؟

لقد كشفت الدراسات عن وجود مستعمرات هذا الجرثوم عند عدد كبير من الأصحاء الذين لم يعانوا من أية أعراض هضمية، ففي هيوستون في الولايات المتحدة قام فريق من الباحثين برئاسة د ديفيد غراهام وهو طبيب اختصاصي بالأمراض الهضمية بالتحري عن وجود الجرثوم عند عينة من الأصحاء فوجدوا أن حوالي نصفهم كانوا مصابين بالالتهاب ولاحظوا ازدياد معدل الإصابة مع تقدم العمر، وفي أبريل (نيسان) ١٩٩٢ أجريت في بريطانيا دراسة على عدد من المصابين بالالتهاب حيث وجهت إلى أفراد العينة أسئلة حول ظروف معيشتهم عندما كانوا أطفالا، وتبين ازدياد معدل تعرض الشخص إلى الإصابة بالهليكوباكتر إذا كان قد عاش طفولته في بيئة أكثر ازدحاما مما قد يشير إلى احتمال وجود العدوى، ولكن حتى الآن لم تتوضح آلية التقاط الجسم للجرثوم، وإن كان هناك بعض الأدلة حول انتقالها عن طريق البراز واللعاب وأظهرت دراسة أجريت عام ١٩٩١ أن ٧٠٪ من المصابين ينقلون الجرثوم إلى أزواجهم و٤٠٪ إلى أطفالهم.

* صيدلانية من دمشق



وبقي اللغز المحير فعلا وهو لماذا تتطور القرحة الهضمية فقط عند بعض المصابين بالتهاب الهيليكوباكتر حيث دلت الدراسات على وجود الجرثوم عند ٧٠٪ من مرضى القرحة المعدية، و٩٠٪ من مرضى القرحة العفجية، ويبدو أن الجرثوم يساعد في خفض قدرة المعدة والعفج على حماية أنسجتها من الإفراز الحمضي، ولم يستطع الباحثون إيجاد أي ارتباط بين التدخين وتناول الكحول وبين الإصابة الإنتانية بالهليكوباكتر وحدوث القرحة، أما الشدة النفسية Stress فقد كان قياسها صعبا لذلك لم يستطع العلماء تأكيد النظرية الشائعة القائلة بأن الشدة النفسية تثير القرحة.

ما زال العديد من اختصاصيي الأمراض الهضمية في الولايات المتحدة غير متفقين مع د. مارشال ود. غراهام في النتائج التي توصلا إليها حول دور الهليكوباكتر في القرحة الهضمية، وإن كان الكثير منهم قد أقر بأن جرثوم الهليكوباكتر قد يكون هو العامل المسبب لالتهاب المعدة المزمن وخاصة بعد قيام د. مارشال بتناول جرعة من مرق يحوي مزروع الجرثوم نظرا لافتقاده لحيوان التجربة المناسب ونشأ لديه بعد أسبوعين التهاب في المعدة، ويقول د. غراهام إن نتائج الأبحاث التي قام بها تشكل دليلا على أن القرحة الهضمية هي النتيجة النهائية للإصابة الإنتانية بالهليكوباكتر بيلوري، وإن معظم القرحات المترافقة مع هذا الجرثوم هي قرحات قابلة للشفاء، والاستثناءات هي القرحات التي سببها إما الاستعمال المديد لمضادات الالتهاب غير الستيروئيدية كالأسبرين أو الأيبوبروفين أو اضطرابات أخرى مثل بعض الأورام التي تحرض الإنتاج الزائد من الحمض في المعدة.

إن فوائد هذا الاكتشاف تتجلى في ناحيتين مهمتين وهما تشخيص ومعالجة القرحة الهضمية، ففي مجال التشخيص تعتبر طريقة التنظير الهضمي العلوي هي الطريقة الرئيسية المعتمدة حاليا لتشخيص القرحات المعدية والعفجية، ولكن هذه الطريقة لا تخلو من بعض الإزعاجات للمريض كما أن تطبيقها قد لا يكون متاحا في بعض الأحيان، أما تشخيص الإصابة الإنتانية بجرثوم الهليكوباكتر بيلوري فيمكن إجراؤه بعدة طرق أحدثها هي الطريقة المناعية التي تعتمد على تحري أضداد الجرثوم في مصل المريض، والأضداد هي عبارة عن بروتينات تظهر في المصل كرد فعل لدخول الجرثوم إلى الجسم وهذه الطريقة لا تحتاج الا إلى بعض ملليترات من الدم الوريدي للمريض، ولكن التأكد من وجود الإصابة الإنتانية لا يعني بالطبع وجود قرحة هضمية، لأن الإصابة الإنتانية بالهليكوباكتر بيلوري كما ذكرنا تنتشر أيضا عند نسبة لا بأس بها من الأصحاء، ولكن يقترح د. غراهام أن تجري معالجة المصابين بالإنتان بمضاد مناسب وفي حال فشل المعالجة في التخلص من الأعراض الهضمية التي يشكو منها المريض والتي دفعته لمراجعة العيادة الهضمية، يمكن عندها اللجوء إلى التنظير.

هل تنجح المضادات الحيوية؟

لعل الأهمية الكبرى لهذا الاكتشاف تكمن في نظام المعالجة الجديد الذي يعتمد على المضادات الحيوية، والذي استعمل بنجاح في بعض حالات القرحة الهضمية، ولكن قبل الحديث عن هذا النظام العلاجي لا بد من الإشارة إلى الأشخاص الذين يمكنهم أن يستفيدوا من مثل هذه المعالجة، يقترح د. غراهام أن تطبق المعالجة على كل من يعاني من أعراض هضمية ويحمل الجرثوم، بينما يرى د. مارشال أن المعالجة بالمضادات قد تكون مفيدة بشكل خاص عند المرضى الذين تكون قرحاتهم مؤلمة ومعاودة، وثبت بالتحليل المخبري وجود الإصابة الجرثومية لديهم ونصحهم أطباؤهم بإجراء معالجة جراحية «قطع الأعصاب المتحكمة بإنتاج الحمض أو إزالة الجزء المتقرح» حيث يقول د. مارشال إن أحدا يجب ألا يصل إلى مرحلة المعالجة الجراحية قبل أن يعالج من الإصابة الالتهابية «بالهليكوباكتر» إلا في حالة المعالجة الإسعافية لوقف النزف.

ذكر فريق من الباحثين في هيوستون برئاسة د. غراهام أن نظام المعالجة الذي استعملوه أدى إلى القضاء على جراثيم الهليكوباكتر بيلوري عند أكثر من ثلاثة أرباع المصابين بالإنتان وبالقرحة وخلال السنة التي تلت انتهاء المعالجة لم تحدث أية حالة انتكاس للقرحة عند المرضى الذين تخلصوا من الجرثوم بينما حدث الانتكاس عند ٤ ممن بقي الجرثوم في قناتهم الهضمية، وفي مجموعة ثانية من مرضى القرحة اعتمدت المعالجة فقط على السيميتدين وهو دواء تابع لزمرة مضادات الهيستامين H2AntagonistsH2 وهي الزمرة الدوائية الأكثر استعمالا لمعالجة القرحة وبقي الإنتان الجرثومي لديهم كلهم بطبيعة الحال وحدث انتكاس القرحة عند أكثر من ثلاثة أرباع المرضى خلال شهور قليلة.

اشتمل نظام المعالجة الذي استعمله فريق الباحثين في هيوستون على نوعين من المضادات الحيوية «تتراسيكلين، مترونيدازول» بالإضافة إلى مضا-

حموضة حاو على البزموت ودواء من زمرة مضادات الهيستامين H2 واستمرت المعالجة مدة أسبوعين.

تجدر الإشارة إلى أن نظام المعالجة المذكور ليس سهل التناول فعلى المريض تناول أحد المضادات ٣ مرات يوميا والمضاد الآخر ٤ مرات يوميا ومضغوطتين من مضاد الحموضة ٤ مرات يوميا ومضغوطة من الدواء المعالج للقرحة «مضاد هيستامين H2» مرة يوميا، بالإضافة إلى احتمال حدوث بعض الأعراض الجانبية الناجمة عن تناول هذه الأدوية، لذلك بدأت دراسات لإيجاد معالجة أبسط وأفضل، كما أن تطبيق مثل هذه المعالجة بشكل عشوائي وعلى نطاق واسع يمكن أن يؤدي لظهور سلالات جرثومية مقاومة وبالتالي يبقى الإنتان وتتطور القرحة مرة أخرى.

ومما يؤخذ أيضا على التجارب التي أجريت لتطبيق النظام الجديد في المعالجة أنها لم تخضع بعد لما يسمى بالاختبار السريري بالتعمية المزدوجة أي ألا يعرف لا المريض ولا الطبيب ما إذا كان المريض يتلقى نظام المعالجة الجديد أم لا، وبذلك نتجنب انحياز الطبيب أو شعور المريض بالتحسن لمجرد معرفته بأنه يتناول دواء جديدا وقويا.

ويبقى لهذا النظام العلاجي فوائد جمة اذا استعمل ضمن شروط محددة وخاصة عند المرضى الذين يضطرون لتناول أدوية H2 antagonists طوال حياتهم.

لقد شكل هذا الاكتشاف تهديدا للأرباح التي تجنيها ثلاثة من أكبر معامل صناعة الدواء في العالم، وهذه المعامل في الواقع هي التي تولي أكبر الاهتمام لدراسات تطور علاج القرحة، فمعمل غلاكسو Glaxo يجني ما يقارب ٣ بلايين دولار سنويا من مبيعاته لدواء Zantac وهو من أكثر الأدوية مبيعا، أما شركة Smith Klin فإنها تربح ما يعادل ١ر٢ بليون دولار سنويا من مبيعاتها لمستحضر Tagamet خصوصا أن مثل هذه المستحضرات الدوائية التابعة لزمرة مضادات الهيستامين H2 تشفي القرحة ولكنها لا تعالج حالات القرحة المزمنة، لذلك فإن الكثير من المرضى يتناولون هذه الأدوية بشكل متقطع ولمدة شهر أو سنة أو حتى أحيانا طوال العمر مما يجعل هذه المجموعة الدوائية من أكثر الأدوية المبيعة جلبا للأرباح.

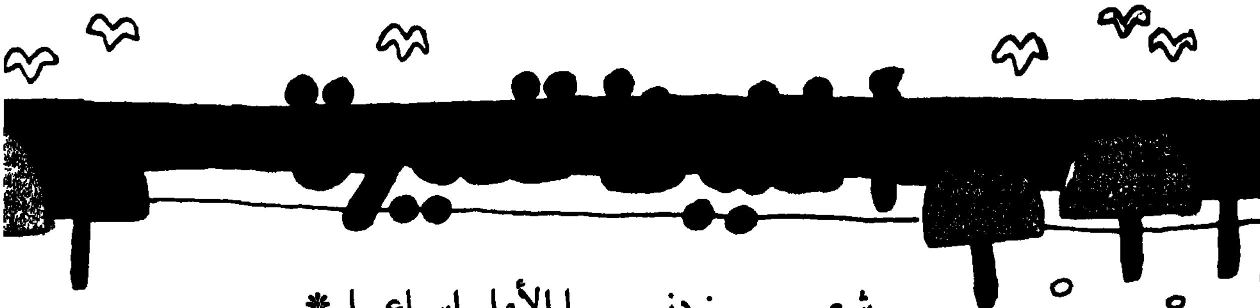
وسرطان المعدة أيضا

ذكر فريق من الباحثين من جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة عام ١٩٩١ أن جرثوم الهليكوباكتر بيلوري يمكن أن يكون أيضا عاملا مساعدا في إحداث سرطان المعدة، ويعتقد الباحثون أن هذا الجرثوم يمكن أن يلعب دورا في إثارة التهاب المعدة ويسبب طفرات تؤدي إلى حدوث أمراض خبيثة تتضمن سرطان المعدة وسرطان القولون، أجريت دراسة ستانفورد على عينة من المصابين بسرطان المعدة، ووجد أن أكثر من ثلاثة أرباعهم كانوا مصابين بإنتان الهليكوباكتر بيلوري بينما لم تتجاوز النسبة الثلثين في مجموعة مقارنة من الأصحاء.

ويقترح د.ستانلي بنجامين رئيس قسم الأمراض الهضمية في كلية الطب في جامعة جورج تاون أن تجرى دراسة تتضمن عددا كبيرا من الأشخاص المصابين بإنتان الهليكوباكتر بيلوري لتحديد عدد الذين سيتطور لديهم سرطان معدة بالمقارنة مع مجموعة مماثلة من غير المصابين بالانتان، ويبدو أن نسبة قليلة فقط من المصابين بالإنتان مهيأة لأن تصاب بسرطان المعدة حيث إن الإنتان بالهليكوباكتر شائع بينما سرطان المعدة نادر، وهذا ما قاد الخبراء إلى الاعتقاد بوجود عوامل مساعدة أخرى تتدخل في إحداث سرطان المعدة مثل نظام الغذاء «الإكثار من الملح، نقص تناول الخضراوات والفواكه الطازجة» أو عوامل وراثية أو مواد سمية، وتعتقد د.جولي بيرسونات رئيسة فريق الباحثين في ستانفورد أن حوالي ١ من أصل ١٢٥ أمريكيا مصاب بإنتان الهليكوباكتر بيلوري سوف يصاب بسرطان المعدة وهذا يشكل نسبة خطورة أكبر بعشر مرات منها عند غير المصابين بالإنتان.

وما زال البحث مستمرا

على الرغم من مرور عشر سنوات تقريبا على أبحاث د.مارشال وزملائه، فما زال البحث مستمرا ومازال هناك الكثير من الأمور التي تحتاج لمزيد من البحث والتوضيح، مثل آلية التقاط الجسم للجرثوم والعدوى وكذلك ماهية العوامل المساعدة للعامل الجرثومي والتي تؤدي لحدوث القرحة، كما أن البحث جار لإيجاد معالجة بسيطة للإنتان سهلة التناول وبأقل ما يمكن من التأثيرات الجانبية المزعجة للمريض، ولكن رغم ذلك كله فقد حققت التجارب المجراة حتى الآن نتائج ملحوظة وخاصة على صعيد معالجة مرضى القرحة الذين يعانون من النوبات المعاودة والمزعجة، ويبقى الأمل معقودا على نتائج الأبحاث الجديدة لتحمل البشرى إلى ملايين المصابين بالقرحة الهضمية في العالم. □



شعـــــر : دنيـــا الأمل إسماعيل*

مـــوت

كنت أحبك

وكنت تحبني

وافترقنا

ثم - بعد زمن طويل - التقينا ..

لكنك لم تكن تحبني

ولم أكن أحبك

كنا قد متنا.

غـــرق

حين كان النيل ينشر عباءة مائه ..

كانت تصدر عنه حركات منمنمة

وأنا وأنت كنا نظن ..

أنه يفعل ذلك من أجلنا

لكننا حين حاولنا المروق فيها

غرقنا.

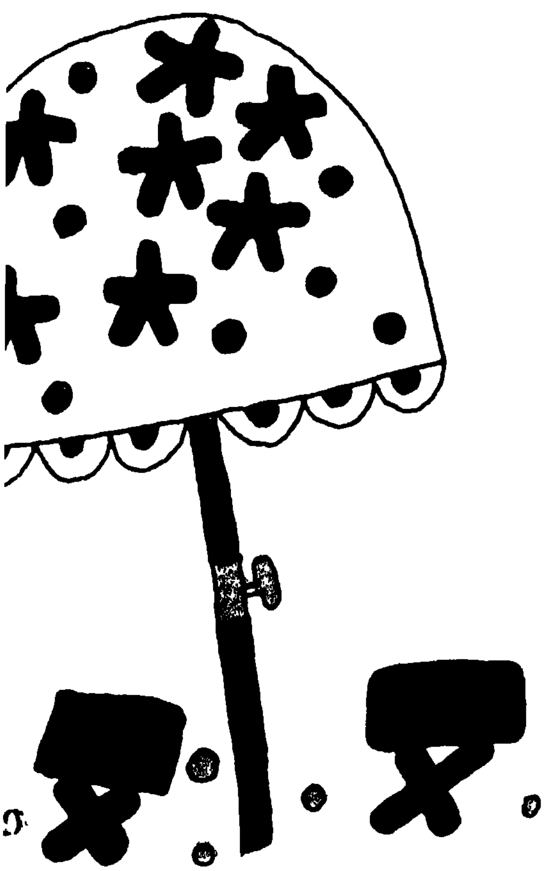
تمـــرد

كانت ساعة الجامعة تعلن ..

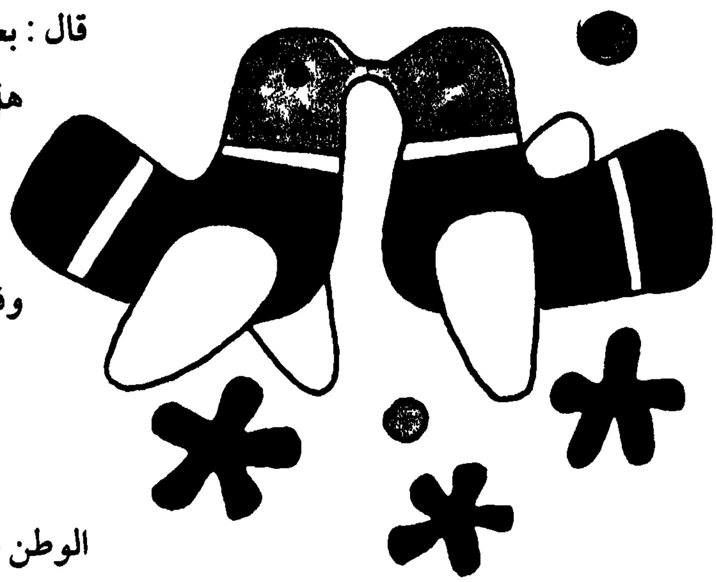
استياءها من الوقت -

والطلاب يعلنون تمردهم ..

بتشابك الأيدي والكلمات الهامسة ..



* شاعرة من مصر



لا زلت أحب

حين كنت أزور البحر في المرة الأخيرة
وكان الصيف يختفي بعيدا
خلف شفافية الشتاء ..
تذكرت أنني لا زلت أحب
لم أدر لحظة سبب هذا الخاطر
لكنني أحسست أن ثورة أشد اضطرابا
تعتمل في ضلوعي.

لقـــاء

حين التقينا بعد كل هذه السنين
ابتسمتُ
فابتسمَ
قال : كيف حالك ؟
قلت : بخير .. وأنت ؟
قال : بخير.
هل تريدين أي شيء..؟
قلت : شكرا ..
وذهب ..
وفاضت عيناي بدمعتين.

وطــن

الوطن الذي يسكن صفحات الكتب منذ أمد
طويل
كنت أظنه .. سيخرج يوما معلنا تمرده..
وكبرياءه
لكني ـ اليوم ـ أرى أن إقامته ستطول كثيرا
عما مضى ..
فلأجهز أحلاما جديدة ..
وأصنع كآبة أكثر
خصوصية. □



٢٠



الزخرفة الفارسية
انطلاقات الخيال في الفن الإسلامي

□ عمر الخيام   الشاعر والملهمات أو الأرواح الشعرية

بقلم وعدسة : عبدالعزيز التميمي*

للزخرفة الإسلامية حضور قوي في المجال الفني، فهي فن مكاني ارتبط بتزيين المعالم الأساسية. وازدهر مع نمو المدن الإسلامية وأكسبها طابعها المميز، وهي فن بصري يأخذ بعده الأساسي من تشكل اللون والفراغ ويقوم بدور الوصل بين الحضارات الغابرة والحاضرة

* فنان كويتي مهتم بالتصوير الضوئي

تدل الدراسات التي قام بها المختصون في دراسة فنون الزخرفة بصورة عامة والزخرفة الإسلامية على خصوصية بحتة على أن هذا النوع من الفن ظل مستمرا بفضل ما يحتويه من أصالة وجمال وطابع جمالي وروح زخرفية ذات صفات واضحة على عناصرها ووحداتها الزخرفية التي تشكل في نهاية الأمر عملا واحدا مترابطا بهذه العناصر والوحدات.

ولو عدنا قليلا إلى الوراء وتحدثنا عن الزخرفة الإسلامية وبداية نشأتها وسبب تأخر هذا الفن هكذا لوجدنا أن المسلمين في بداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ كانوا منشغلين بالفتوحات الإسلامية التي تبعها بعد ذلك الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وبين معاوية، لهذه الأسباب كان التفكير متجها نحو بناء دور العبادة بمثل التي بنيت في بلاد فارس، وقد كان أول من فكر بهذا هو عبدالملك بن مروان عندما اعتنى بقبة الصخرة في القدس وأعطاها جل اهتمامه لتكون رمزا معماريا يحتوي على أرقى الزخارف الإسلامية التي كما قلنا تبتعد عن تصوير كل ما به روح حتى ورقة الشجرة تجزأ إلى نصفين لتظهر بشكل جامد لا حياة فيه فأسند الإشراف على بناء قبة الصخرة عام ٧٢هـ إلى رجاء ابن حياة الكندي ويزيد بن سلام اللذين بذلا كل ما لديهما من فن لإخراج القبة بهذا الشكل الذي لا يضاهيه فن حتى يومنا هذا من حيث التقنية الفنية والروعة في المعمار.

وقد يعترف معظم مؤرخي الفنون بأن هذه القبة متكاملة من جميع الجوانب: الفخامة والإبداع الزخرفي بالإضافة إلى البساطة في التصميم وتناسق الأجزاء وروعة في البناء بحيث بنيت القبة وهي تحيط بالصخرة المقدسة التي عرج من عليها الرسول الأكرم «صلى الله عليه وسلم» إلى السماء.

جذور فن الزخرفة

ويتفق النقاد على أن الزخرفة الفارسية هي أساس للزخرفة الإسلامية التي اعتمدت في غالبها على الابتعاد عن أي صورة لأي كائن حي، فاتخذت نباتات وأوراق الشجر عناصر أساسية متداخلة مع بعضها لإعطاء لوحة زخرفية في نهاية الأمر وقد استخدم هذا الفن في تزيين المساجد وقصور الأمراء وبعض الدواوين.

وكذلك الزخرفة العثمانية التي استنبطها المتخصصون من الزخرفة الإسلامية، ولهذا نجد التقارب وثيقا بين الزخرفة الإسلامية التي استخدمت لتزيين بعض المساجد في صدر الإسلام مع تلك التي ظهرت خلال السلطنة العثمانية، وهي واضحة على أغلب المساجد الأثرية الموجودة في تركيا ومصر، وهي شاهدة على هذا حتى أيامنا هذه.

ولو عدنا إلى بداية الزخرفة الفارسية لوجدنا أن جذور هذا الفن تمتد في أعماق الزمن وقد تصل إلى أبعد من ألفي عام، عندما تجلى هذا الفن في رسومات السجاجيد الفارسية القديمة التي عرفت كمفارش على الأرض والأثاث، وقد كانت هذه المفارش مقصورة على تزيين قصور الملوك والأمراء في ذلك العهد.

ولأن الوقت المبذول في إنجاز مثل هذه السجاجيد ليس بقصير بل تستغرق صناعة سجادة واحدة بقياس٢م×٢م مدة سنة كاملة يعتكف الصانع خلالها على بذل ما لديه من جهد وفن في إخراج هذه القطعة بشكل فني متكامل.

ويقدر ثمن السجاد بعدد الغرز التي تحتويها السجادة في كل ١٠ سم٢ تقريبا، فكلما تزايد عدد هذه الغرز ارتفع سعر السجادة واتصفت بالدقة والرقة، فالسجادة العادية من الدرجة الثالثة يكون عدد الغرز في مساحتها لا يزيد على سبعين غرزة وهي المتوافرة والمنتشرة بشكل عام حاليا.

وبسبب اعتماد الصانع الفارسي في صناعة السجاد على الفنون التشكيلية اتجه أغلب صانعي السجاد إلى الاعتماد على الأساطير والقصص القديمة التي يعتمد في أغلبها على الخيال والتصوير الرمزي، فهناك من أخذ من قصة مجنون ليلى مادة تعبيرية لصناعة السجاد وهذا ما يرفضه بعض المزخرفين الإسلاميين ويتحاشى الوقوع فيه، لكن الزخرفة الفارسية القديمة لا تجد حرجا في إدخال صور الكائنات والبشر ضمن العناصر الزخرفية، وهناك العديد من هذه اللوحات والصور التي تروي بعض الحكايات والقصص التي تشتهر بها بلاد فارس.

وقد تجد أيضا من يستخدم حروف الهجاء أو

أجزاء من قصائد المشهورين أمثال عمر الخيام وسعدي الشيرازي وغيرهما من الشعراء، هناك أيضا العديد من هذه السجاجيد التي تروي ملحمة شعرية كاملة قضى في نسجها فريق من العمال المهرة سنوات طويلة. والفرق واضح بين اللمسات التي اشتهرت بها السجاجيد في إيران مع تلك التي تصنع في باكستان وأفغانستان وتركيا وبلاد القوقاز لأن الناسج الفارسي يعتمد على الرقة والدقة في النقوش، والرشاقة في الخطوط. وينفرد السجاد الفارسي بظهور البعد الثالث ضمن رسوماته.

وقد لا يختلف النسج القديم عن النسج الحديث إلا بظهور البصمات التكنولوجية التي تبدو واضحة في بعض لمساته من حيث اللود ونوعية الخيوط الصوفية أو الحريرية المصنوعة بشكل دقيق وتمتاز بأنها أرفع من تلك الخيوط القديمة مما يعطي للسجاد ثمنا أعلى بسبب الجودة في صناعة المواد الأولية.

كما أن الزخرفة الفارسية دخلت في صناعة الحلي والمصوغات أو بعض الأواني الفضية والبرونزية وأصبحت أساسا لبناء مداخل القصور والمباني التي يمتلكها الملوك والأمراء. وقد استمر هذا الفن الزخرفي حيا نابضا حتى هذه الأيام لأسباب عديدة أهمها تعلق الناس بامتلاك واقتناء ما تحتوي هذه الزخارف من قصص وروايات منسوجة على السجاد أو محفورة على الأواني والحلي. كما أن الزخرفة الفارسية اعتمدت على خامات عديدة غير التي ذكرناها كالفسيفساء والبلور الملون والفخار إلى جانب الحرير والصوف.



□ فتاة الصباح أو الفجر الجميل ـ قصة من القصص الفارسية



□ لوحة مجنون ليلى حسب الرواية الفارسية.

الزخرفة وفن الأسطورة

ولأن الزخرفة الفارسية تعتمد على الأساطير والروايات الخيالية كان المجال مفتوحا أمام الفني الذي ينسج السجاد للتعبير بشكل حر ودون فرض قيود فيعطي لخيال الفنان المجال لإدخال لمسات جمالية وخطوط رشيقة بشكل رائع وأوسع. إلا أن هذه الصناعة بدأت في أيامنا هذه تتجه نحو الاضمحلال بسبب ارتفاع تكلفة المواد الأولية التي تدخل في صناعة هذه الفنون.

أما الزخرفة الفارسية التي تعتمد على خيال الفنان واعتماده على القصص والقصائد والأساطير فتأتي



مختلفة كل الاختلاف عن الفن الإسلامي ولا وجه للمقارنة بينهما إلا من الناحية التقنية والصناعية، ويعود هذا إلى أن الزخرفة الفارسية تعتمد على تصوير الأجساد وبعض قصص وحكايات بالإضافة إلى استخدام النباتات والأوراق والأزهار كعناصر مساعدة لإعطاء اللوحة أبعاد تجسيم أكبر، أما الزخرفة الإسلامية فاعتمادها على التسطيح أكثر من التجسيم وإيجاد البعد في العمل الزخرفي، إلا أن كلا من الفنين ينطلق من مبدأ زخرفي واحد هو الرشاقة والتناسق في النسب والكتل المرسومة في اللوحة الجدارية أو السجادة.



□ زخرفة فارسية تعتمد على الرشاقة والتناسق في النسب والكتل المرسومة

ومن أشهر صانعي الزخرفة الفارسية وفناني هذه الزخرفة في إيران هو رضا الأصفهاني الذي يعتبر أحد أشهر المزخرفين المعاصرين في أيامنا هذه وهو الآن يعتمد على سجله الحافل بالمنمنمات والخطوط القديمة بالإضافة إلى معرفته الواسعة بقواعد الزخرفة الفارسية والإسلامية مما يعطي لأعماله رونقا وانسجاما فنيا بين الفن الفارسي والزخرفة الإسلامية ولهذا الفنان العريق جيل من التلاميذ الذين لا يقلون عنه مهارة ودقة في الحرفة والصناعة.

ومن أجمل الأشياء التي أدخلها الجيل الجديد على الزخرفة الفارسية تلك البراويز المصدفة وبنفس الخطوط والنقوش التي تشاهد في السجاجيد الفارسية القديمة والحديثة.

وإذا ابتعدنا عن ساحة القصائد الدينية والمعتقدات الفارسية وتوغلنا في أدغال الهند والصين لوجدنا بحرا زاخرا من التراث الفني المشترك بينهما يعطي للمشاهد من النظرة الأولى الانطباع الخاص بتلك البلاد، فالفنان الهندي أو الصيني يعتمد بشكل عام على مميزات البيئة هناك، فالفيل والطاووس هما أهم عناصر الزخرفة الهندية وطائر الكركي والأوز تتميز بها الزخرفة الصينية التي لا يعتمد في رسمها على ألوان كثيرة كمثيلاتها في بلاد فارس، ومن هنا نجد أن اعتماد الفنان أينما كان على حاسة البصر واضح في تسجيل تلك الصور وتصميمها، فالفنان الهندي يرى في الفيل والطاووس المساحة الفنية التي يجد فيها ذاته كما أن الفنان الفارسي يجد في الغزال ورشاقة جسم المرأة والطيور الصغيرة فنه وأحاسيسه، وكذلك الفنان الذي يقوم بتزيين بيوت العبادة الإسلامية يتفنن في توزيع الخطوط وانحناءاتها وعناصرها، إلا أن الفنون الزخرفية الصينية هي أقدم من الفن الفارسي لكنها لا تعتبر أساسا للزخرفة الفارسية حتى وإن كانت أساسا للزخرفة الهندية المشابهة لها نوعا ما، وعلى هذا نكون قد سلطنا الضوء على جانب من الفن الزخرفي خصوصا في بلاد فارس.. آملين من الله التوفيق. □

البيت

مجلة الأسرة والمجتمع



■ هل هناك خصوصية للطفل الكويتي؟

هل [redacted] ؟

بقلم: عبد التواب يوسف *

هل هناك خصوصية للطفل الكويتي عن غيره من أطفال العالم، وهل غيّرت الأزمة التي عصفت بالكويت من مفردات هذه الخصوصية؟

بالمصادفة صحبت أسرة كويتية فيها طفلان في جولة في أورلندو.. واستمتعت بالصحبة، وعالم ديزني أيما استمتاع بوجودهما، فقد أثريا الزيارة بتعليقاتهما وحيويتها، وأضافا لي الكثير، وأضفيا على أيامي الثلاثة التي قضيتها هناك بهجة ما بعدها بهجة، بلهوهما البريء وملاحظاتهما الذكية. وأطفال الكويت فوق زيارتهم للعالم، استطاعت الكويت أن تجلب العالم إليهم داخل بلدهم، ولا أظن أن هناك أطفالا استمتعوا بأحدث لعب الأطفال، وآخر مبتكراتها، كما حدث لهم، كما أنهم حتى في ثيابهم يحظون بأحدث الأزياء العالمية، دون التخلي عن «الدشداشة».. فضلا عن أفلام التلفزيون.. إنهم يواكبون الشاشة العالمية بأفلامها الحديثة..

قد تفوت الطفل الكويتي بعض الأمور ذات الطابع الغربي.. لكنها تعرض عليه ويحرم منها الكثيرون، كما أنه يستمتع بحياة أسرية فيها من الترابط أكثر مما لدى الطفل العالمي، ومناهجه الدراسية وكتبه تقترب مما عنده، لكنه لا يحظى بمعلمين من نفس المستوى، على أن محاولات جادة تبذل لكي يصبح طفلا عصريا، بكل ما تعنيه الكلمة.. ونستطيع أن نقول إنه أقرب إلى أوربا من طفل المغرب الذي لا يفصله عنها غير مضيق جبل طارق!.

طفل أكثر عالمية

ولا شك أن الأزمة الأخيرة - بعد ٢ أغسطس ٩٠ - قد جعلت هذا الطفل أكثر عالمية، كانت عالميته فيما مضى مجاراة لما يحدث في دنيانا.. أما هذه الأزمة، فقد جعلته يعيش هذه العالمية بكل أبعادها، إذ طغت قضيته على ما عداها من قضايا، ودخلت قاموسه كلمات وعبارات، مثل: الأمم المتحدة، مجلس الأمن، القوات المتحالفة، وما إلى ذلك.. بل وأسماء أخرى،

* كاتب متخصص في أدب الأطفال من مصر

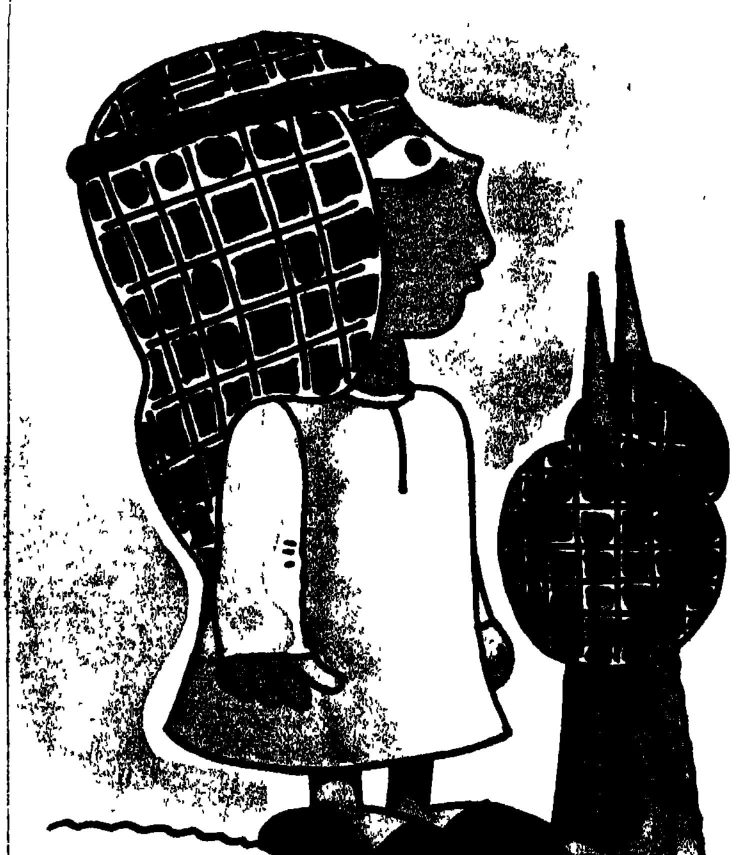
غير ميكي ماوس، ودونالد دك، ووالت ديزني، مثل: الربيعان، وجنرال باول، وشوارسكوف، وبوش، وبيكر، وما إلى ذلك، وقد تعلق بأصحابها، وأعجب بهم، إنهم المنقذون له ولبلده، والذين سيعودون به إليها، وهم سبيله لكي يسترجع كل شيء: الديار، والدار، واللعبة، وقد تابع الصغار في الداخل وفي الخارج طيلة الأزمة ما يجري على الساحة العالمية، بل إن «سي. إن. إن» قد أصبحت على ألسنتهم، وفي أفواههم.. ولقد نزلت عصا غليظة فوق أم رءوسهم ــ المساكين ــ فأصابتهم بدوار، ما زالوا غير قادرين على تفسيره، أو استيعابه، أو تجاوزه..

ولا يمكن أن نكتفي بالانتظار، لعل الزمن يعينه على التناسي، فما نظنه ينسى، والكبار محقون في التذكر والتذكير، ونحن نعالج أمورنا بالعواطف، لا بالعلم والعقل، وليت درس الغرب في تجاوز الأطفال الحرب العالمية الثانية يكون حاضرا فقد أتوا بالألمانية الهاربة إلى أمريكا جيلا ليبيان لتقيم أواصر صداقة بين الأجيال الجديدة، فأقامت في ميونيخ أعظم مكتبة عالمية للأطفال والناشئين، حاولت أن تجعلها جسرا كي يعبروا عليه إلى السلام والصداقة ونفض الحقد والعداء، إنه نموذج للتفكير البناء، لا أكثر.

فهو مولود داخل بيت، ترتفع في جنباته تلاوة القرآن الكريم، وتحتفظ الأسرة بالمصحف الشريف في صدر الدار، وأفرادها يؤدون فروضهم، ومنذ سن مبكرة، والطفل يفرد السجادة، ويقلد أباه في أداء الصلاة، وتفعل الابنة نفس الشيء، وربما أضافت وضع الطرحة البيضاء فوق رأسها.. وفي شهر رمضان يصوم الجميع، ويسود جو من الروحانية، بجانب تلك المظاهر الشعبية التي تصاحب الشهر الكريم.. مثل «القرقيعان» وما إلى ذلك من تقاليد توارثوها عبر قرون طويلة.. وطيلة اليوم تتردد كلمات: بسم الله الرحمن الرحيم، إن شاء الله، بإذن الله، وحرما: جمعاء، ويا رب.. والأسماء التي تتردد داخل البيوت: خالد، وعمر، وعلي، وأسامة، وعبدالله، و.. كلها أسماء لقادة من العرب والمسلمين، هم قدوة.. تتحدث عنهم المدرسة، وأجهزة الإعلام، وتروي سيرهم العطرة، ومن قبلهم سيرة نبينا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وقد استضافت الكويت، ذلك البلد الصغير مساحة، مؤتمرات إسلامية وعربية شهدها رؤساء وملوك عشرات الدول، يتحدثون عن عظمة الإسلام وحضارة العرب.

أطفالنا والإسلام

علينا أن نعلم أبناءنا الثوابت، وأن ندع لهم التصرف في المتغيرات،



وفق ما غرسنا فيهم من قيم شريفة، وما زرعنا في أنفسهم من أخلاقيات إسلامنا، ونحن نردد لهم: المسلم أخو المسلم، والمؤمن أخو المؤمن، واذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، لكن ماذا إذا حاول هذا المسلم أن يسلبني حريتي؟ ماذا إذا أصر على أن يكبت رأيي، وألا يسمح لي أن أعبرّ عن نفسي؟.. ماذا اذا أضر بي وآذاني؟!.

ومما لا شك فيه أن «الحب» من الثوابت، وأننا في مسيس الحاجة - دائما - إلى تنقية أنفسنا مما قد يتسلل اليها من سلبيات كالبغضاء والحقد، خاصة اذا كانت شديدة، وكان دفينا، وقد رفعت شعارات مثل نتسامح، ولا ننسى، ولنقتبس لأنفسنا بعضا من قبس نور الله الغفور الغفار، ورويدا رويدا سوف يندمل الجرح، ويقينا ستكون هناك ندوب تذكرنا بالماضي، لكن الأطراف الأخرى سوف تبذل جهودها وتتحمل مسئوليتها، لكي يستعيد طفلنا الحبيب الثقة في الإنسان العربي، ويستعيد الثقة في نفسه، ويشق طريقه إلى التألق من جديد، إذ لن يتكرر أبدا شيء مما حدث، وستعود المياه إلى مجاريها، وتشفى النفوس هنا وهناك، مما علق نتيجة أخطاء للبعض، وإن كنا جميعا مسئولين عنها، وحين نتعلم أن هناك الرأي، والرأي الآخر، وأن وجودهما ضرورة، وأن الحل لهما ليس السلاح، بل السلام، والقناعة، والزمن.

أما الطفل الكويتي، كإنسان «عربي»، فيحتاج لوقفة يجب أن تطول. إنه كأي طفل عربي شديد الاعتزاز بعروبته يغني لها وينشد، إنه هي، وهي هو، إن صح التعبير.. إنه يتكلمها وينطق بها، ويرددها حديثا، ويرتديها ثيابا، ويجترها تاريخا، ويراها ماضيه وحاضره ومستقبله.. إنها قبيلته الكبيرة.. هو يعرف أن هناك مسلمين، ليسوا عربا ولا ينطقون العربية، يعرف ذلك من وقت مبكر، ويعرف أن هناك عالميا إنجليزا وأمريكيين وفرنسيين.. وما إلى ذلك.. لكن القوم الذين ينتمي إليهم وينتمون إليه، هم: العرب.. يسمع ذلك من أبيه وأمه، ويأتيه من خلال الإذاعة المسموعة والمرئية، ويردده نشيدا في طابور الصباح وهو يحيي علم بلاده.. وهو يقرأ هنا في كتاب المدرسة، وفي المجلة، والصحيفة..



ويدرك في أعماقه أنه قطعة من العروبة، لا ينفصل عنها ولا ينفصم.. وهو فخور بذلك معتز. وما من شيء في الدنيا يهز هذا اليقين لديه. وفجأة وقعت الواقعة وزلزلت الأرض زلزالها.. جاره العربي يجتاحه، يستبيحه.

الكبار لم يستطيعوا استيعاب الموقف، لم يتمكنوا من فهم أبعاده، بل في البداية لم يصدقوه حين صك آذانهم، هل يمكن أن يحدث هذا؟ كيف؟!.. ربما أدركه الكبار بعد. حين: شهوة تطيح بالعقل، ومصلحة تجرف في طريقها كل شيء، بما في ذلك الأخوة، والقيم المتعارف عليها، لكن كيف السبيل لكي يدرك الصغار هذا الذي حدث؟!.. وحوربت الهوية كلها بسبب خطأ من طرف، وإذا بمحاولات دءوب لكي يرفع الصغير شعارا جديدا، فهو لا يمكن أن ينتمي لقوم منهم هذا الذي أخرجه من دياره وداره.. لقد اهتز مفهوم «العروبة» لديه، وأصبحنا بحاجة - لكي يسترد ثقته فيها - أن نزحزح جبالا من الأحزان، جثمت فوق صدره الصغير، وأن نتتزع من داخله ذلك الرعب والخوف، فما من أمان، ولا اطمئنان بعد اليوم، لعروبة أو لعربي!! ويحاول العقلاء الكبار والكبار العقلاء أن يخففوا من وقع ما حدث، وهم غير قادرين على أن يفعلوا ذلك بأنفسهم، ولقد تعاطف الأطفال العرب في كل مكان مع الطفل الكويتي: وقفوا بجانبه، ساندوه، ومضى إخوتهم من

الشباب ليقاتلوا من أجله، لكن كل ذلك لم يشفع للعروبة، ولم يخفف من وطأة الخطأ القاتل، وطفلنا الكويتي ثروة قومية، نرفض أن نبددها، فهو أصيل، وإذا فقدته أمته فقدت الكثير، لذلك نحن بحاجة إلى أن نعض على النواجذ، احتفاظا، وصيانة له، لا نفرط فيه، ونجعله لا يفرط فينا، إنها قضية أساسية، فإن الوجدان اذا تزعزع فمن الصعوبة بمكان أن نعيده إلى ما كان عليه، اللهم الا بالإتيان بالخوارق، ونحن بحمد الله قادرون عليها في مثل هذا الموقف الصعب، بل البالغ الصعوبة. ولسنا نريد أن نخوض في الأمر، إذ هناك من أساتذة علم النفس وعلم الاجتماع، من هم أقدر منا على تناول التفاصيل والولوج إليها بالعلم، والزمن كفيل بأن يجعلهم قادرين على أن تصفو النفوس رويدا رويدا، وصولا بها إلى صفاء لا تكدره شائبة.

الطفل الكويتي، كخليجي ؟!

يفتح الطفل الكويتي عينيه على مياه الخليج، كما يفتحهما على والديه، وإذا كان «العربي» هو أخاه الذي «حسده» على النعمة، فإن الخليجي هو شقيقه الذي يغبطه على الظروف التي يحياها، إن أشقاءه في الشقيقة الكبرى ـ السعودية ـ وفي قطر والبحرين والإمارات وعمان، يدركون أنه طفل محظوظ، وأن الطريق معبد أمامه لكي يتقدم أكثر.. اذ بدأ المسيرة قبلهم، واستطاع أن يستثمر جانبا من ماله في مجال التعليم والتربية، ووظف الكثير لكي يشب هذا الصغير سويا سليما، واستقدم إلى بلاده خبراء العالم من أجل هذه المهمة الجليلة، كما أنه استعار من أرجاء مختلفة من وطنه العربي أساتذة قادرين على أن يحققوا لهذا الطفل مستوى رفيعا من العلم والخلق.. وهم بحق لم يبخلوا قط عليه بالترويح، جنبا إلى جنب التنشئة فهو جزء منها.. والإنسان الخليجي ـ بعد البترول ـ اختلف عنه قبلها، إيجابا وسلبا، وصار يلهث ليلحق بحضارة الدنيا، أحيانا أغراه بعض ظاهرها وزخرفها، فاندفع نحوه، ثم سرعان ما تبين له الزيف، فيرجع كالبرق إلى أصالته وعروبته.

قل الرعي، في الخليج، قبل النفط، وندرت الزراعة، وكان البحر مصدر الثروة صيدا، وتجارة، ومغامرة.. ثم أصبح المجتمع في غالبيته رجال أعمال ومال، وقد وظفوا خبراتهم القديمة في مجال التجارة لصالح الظروف الجديدة، ونجحوا كثيرا، وإن أخفق البعض أحيانا، لكن المجتمع تقدم لأن الأغلبية وفقت، وخير الله كان عميا، لذلك صار الخليج بقعة جذب لمن يريد أن يعمل بأجر معقول، بل ومرتفع، واعتمد البعض على هؤلاء، وبخاصة في البيوت، داخل الأسر، الأمر الذي تنبه الجميع لخطورتهم على مستقبل الأبناء، وجرت دراسات واسعة حول الموضوع، وحول الدور الأساسي للأم، في المنطقة.. تلك الأم التي حمت الوطن والأبناء أيام الصيد.. ولا بد لها أن تعود لدورها بإصرار.. والطفل الخليجي، تتردد على مسامعه من خلال أجهزة الإعلام، كما يقرأ كثيرا عن دول مجلس «التعاون».. والتعاون قيمة إنسانية رفيعة المستوى، وهي من الأسس الراسخة في ديننا الحنيف، إذ أمرنا به على البر والتقوى، ونهينا عن أن نمارسه على الإثم والعدوان.. وقد كان الإنسان العربي عبر تاريخه مقدرا لهذه القيمة الرائعة، بل نظن أن الحركة التعاونية العالمية قد استفادت الكثير مما جاء به الإسلام في هذا الصدد، وعلينا أن نواصل التبشير به والتهاون على غرسه في نفوس الصغار، حتى لا يشبوا فرديين، لا تهمهم غير صوالحهم الخاصة، ولكي يدركوا أن المال مال الله، وأنهم مستخلفون فيه، وأنه امتحان لهم واختبار، وبقدر ما يحسنون التصرف فيه يكون الكسب والفوز، وليكونوا على يقين من أن المعنويات كانت وستظل قيمة عليا فوق الماديات، بهذا قال ديننا الحنيف، وتقاليدنا الموروثة، ولن يكون هناك نجاح وفلاح بالمال وحده، فبالعلم معه يبني الناس ملكهمو، فما بني ملك على جهل وإملاق ـ كما قال شاعرنا الكبير..

إن الخليج ودوله تجربة رائعة تثبت بها أن المال عبد للإنسان، وأن العكس غير صحيح!.

الطفل الكويتي، ككويتي ..

ورغم ما تثيره العبارة في نفسي، فإنني مضطر لها، وأتساءل: كيف

البيت العربي

يتسنى أن يصحو هذا الصغير ذات صباح ليجد نفسه بلا ديار ولا دار؟! ما ذنبه يسمع هذا الهدير وذلك الزئير، بدلا من أغنية ناعمة حلوة؟ لماذا يحرم اللعبة ومقعد الدراسة وشاشة التلفزيون، ومجلة «العربي الصغير»؟ و«افتح يا سمسم»؟ إنه بدلا منها ينفتح عليه بركان من نيران تلسعه وتحرقه، وتبقى صرخاته مكتومة.. إنه «شهيد»!.

هذا المجتمع ـ كما تقول أمي وأستاذتي د.سهير القلماوي ـ أقامته المرأة، إذ كان الرجل يغيب طويلا في البحر، من أجل اللؤلؤ والصيد، وتظلل الأم بأجنحتها على أطفالها، وتزقهم، وترعاهم، وتنشئهم في غيبة الآباء، وإذا بهم يشبون، وادعين على البر، شجعانا في البحر، وأعطاهم الله من فضله، تعويضا عما عانوه، ورفل الصغار في الديباج والحرير، وإن انشغل الرجال بالأعمال وظلت الأمهات تظللهن بحب عريق عميق.. وفجأة يضيع كل شيء! أهو الحسد الذي يتمنى زوال النعمة؟ أهو الاسترخاء الذي مكن الآخرين منه؟! أم ترانا نلقي على الطرف الآخر كل المسئولية، فهو الشر كل الشر ولا شيء غير الشر.. لقد ظل شعارنا «نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا» هو السائد، ولست أنسى الأم الكويتية التي جاءتني تشكو كراهية طفلها للمدرسة، لاعتداء الأطفال عليه، وإذا بها تعترف لي بأنها تريده طيبا ومسالما، وأنها أمرته ألا يمد يده على أحد.. وسألتها: حتى لو مد هذا يده إليه وضربه؟!.. قالت: نعم.. قلت لها: سيدتي علمي طفلك ألا يعتدي وعلميه أيضا أن يرد العدوان بقوة وعنف، إن الآخرين قد أعجبهم ضعفه واستخذاؤه واستسلامه، فجعلوه تسليتهم.. هذا أغراهم بالعدوان عليه.. عين بعين، وسن بسن!.. وأذكر أن السيدة قد استجابت للنصيحة، وأن الأمور قد استقامت مع صغيرها بعد حين. ولقد تعلم الصغير الكويتي أن كل شيء سهل ويسير، وعليه أن يدرك أن هناك الكثير يحتاج للجهد والعرق، وهو أحيانا يشعر بالقوة الناجمة عما لديه، وعما أعطاه الله، وقد يدير هذا رأسه بعض الوقت، لكننا مطالبون بأن ننبهه بأن القوة الناجمة عن المال وحده قد تكون غاشمة، وأن الإنسان في تواضعه أكبر منه في صلفه، وأن الحياة وإن احتاجات للثقة في النفس، فهي لا تريدها ـ أي الثقة ـ أقل مما يجب، ولا أكبر مما هو مطلوب.

المحافظة على التقاليد

وكما حافظ الكويتي على ثيابه التقليدية، يرتديها باعتزاز كبير بها، عليه أن يحافظ عما تحتها سليما قويا نقيا، وبالذات لابد وأن يستبقي عقله تحت عقاله، ناضجا، لماحا، ذكيا، كما كان، فلا يجنح به إلى آفاق بعيدة، ولديهم في الكويت مثل يقول: «اللي مو من دينك ما يعينك».. وإذا أعانك ـ بالثمن مرة ـ فهو لن يفعل إلا إذا تقاضاه أضعافا مضاعفة.

قد يرى البعض أننا نقحم أنفسنا في أمر لا يحق لنا أن نتطرق إليه، أو نناقشه، لكننا في الواقع لا نفرض أنفسنا عليه، أو عليهم. نحن نفكر معهم، ولهم.. لا أكثر ولا أقل.. إذ نحن نشاركهم في ستين بالمائة من هذه الخصوصية. فنحن بشر، ومسلمون، وعرب، مثلهم، وذلك يفرض علينا أن نشارك، حتى لو لم نكن على صواب في وجهة نظرنا، لأنه من الطرح ذاته اذا كان سليما تقبلوه، وإلا فإن معارضته من جانبهم واجبة، إنه «أرضية» للتفكير، لا أكثر ولا أقل، ومنهج، قد يعترض عليه البعض، وقد يتقبلونه، وهو في الحالين يحمل قدرا من الاجتهاد، إذا أصاب صاحبه فله أجران، وإذا لم يوفق فله ثواب الطرح والمناقشة، خاصة وهو يقدم ذلك بأمانة وإخلاص شديدين، ولا يهدف من وراء هذا غير صالح الطفل الكويتي، الذي هو ابننا، ونريد أن يتجاوز ما حدث، ليستكمل الطريق مع رفاقه، انطلاقا إلى آفاق أبعد، ومستقبل أفضل.. حين نتخلص حاكمين ومحكومين من ضلال الفكر المستبد، والدكتاتورية الحمقاء، وليكن أمرنا شورى بيننا، ولا نولي علينا شرارنا، بل أن نتدرب من خلال الديمقراطية على التخلص سلميا ممن يعوقون المسيرة، ويعطلوننا عن التقدم المستمر، وصولا إلى أهدافنا النبيلة.□

التشنج الحراري عند الأطفال

بقلم : الـــدكتـــور هيثم القـــاسم*

قبضة قاسية تمسك بالأجساد الصغيرة الغضة، وترجها رجاً تنخلع له أفئدة الآباء والأمهات، فما مصدرها، وكيف الطريق إلى النجاة منها؟

البعض يسميها هزة الحائط والبعض الآخر يطلق عليها الرجفة وتعرف بين الناس أحيانا بالرجفان الحراري، وهي حالة إسعافية يكثر حدوثها عند الأطفال في سن ٦ أشهر ـ ٥ سنوات «٥٪ من الأطفال قد يتعرضون لهذه التشنجات خلال سني حياتهم الأولى» وقد تنطوي على مخاطر قد تهدد حياة الطفل أو مستقبله في بعض الأحيان.. ولكثرة مشاهدة مثل هذه الحالات لا بد من التعرض لها بشيء من التفصيل.

التشنج الحراري

وبادىء ذي بدء لا بد من معرفة ما هو التشنج الحراري.

هو حركات ارتجافية مفاجئة لا إرادية «لا يمكن للمريض التحكم بها» معممة أو جزئية تشمل الأطراف كلها أو معظمها أو بعضها تدوم ما بين لحظات إلى دقائق، وتترافق دوما مع ارتفاع في درجة الحرارة أكثر من ٣٨ درجة مئوية. وللتشنج الحراري شكلان:

الأول : وهو الأقل خطورة والأكثر مشاهدة ويدعى التشنج الحراري البسيط ويتصف بما يلي:

ـ معمم، أي يصيب جميع أو معظم الأطراف.

ـ يدوم أقل من ١٥ دقيقة.

ـ يترافق مع حرارة أعلى من ٣٨٫٨ درجة.

ـ لا يترك أي آثار أو مشاكل عصبية فيما بعد.

ـ غير ناجم عن التهاب في الجملة العصبية المركزية «التهاب دماغ أو حمى شوكية». ويصيب طفلا طبيعيا تماما أي لا يعاني من أية مشاكل عصبية سابقة ولا توجد لديه أي قصة عائلية لحدوث صرع أو تشنج حراري.

الثاني : وهو الأخطر والأسوأ لكنه لحسن الحظ الأقل مشاهدة ويدعى التشنج الحراري المعقد، ويتصف بما يلي:

ـ يدوم أكثر من ١٥ دقيقة.

ـ قد يتكرر عدة مرات بعد حدوث النوبة الأولى أو خلال اليوم الأول من حدوث التشنج.

ـ تشنج بؤري جزئي أي يصيب طرفا واحدا أو جهة واحدة كأن يصيب أحد الطرفين العلويين أو السفليين أو عضلات الوجه.

ـ يحدث بعمر مبكر «قبل السنة». وأن تكون هناك قصة عائلية لحدوث صرع أو تشنجات حرارية.

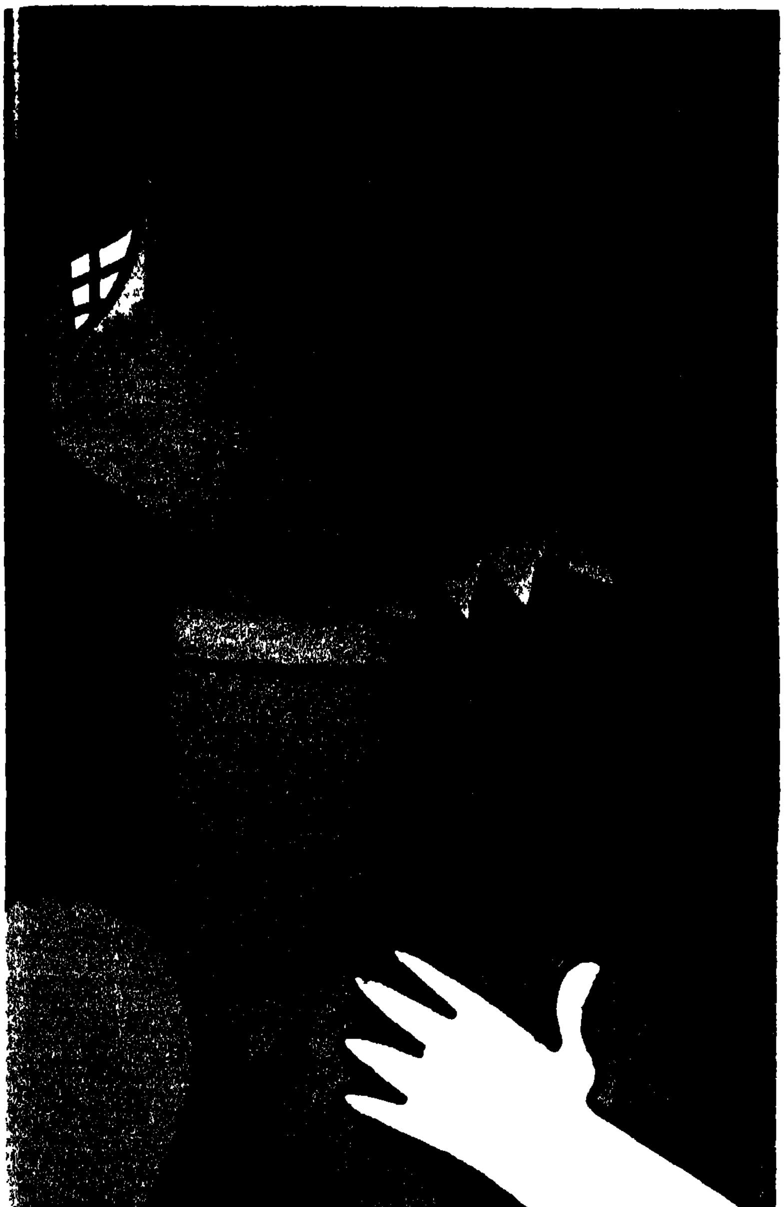
* استشاري طب الأطفال بمستشفى المواساة بالدمام ـ السعودية.

- حالة الطفل العصبية قبل التشنج غير طبيعية كأن يكون لديه تخلف عقلي أو مشاكل عصبية سابقة.

لماذا يحدث التشنج الحراري ؟

إن آلية حدوث التشنج الحراري لم تعرف بدقة إلى الآن، لكن يقال إن الارتفاع المفاجىء في درجة الحرارة يزيد من حاجة الخلايا الدماغية للطاقة وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض قدرة الخلايا الدماغية على تحمل الحرارة العالية مما يؤدي إلى إطلاقها تيارات عصبية مفاجئة تفوق قوة التيارات العصبية الطبيعية التي تطلقها خلايا الدماغ في حالتها الطبيعية، تماما كما يحدث عندما يلمس الإنسان سلكا كهربائيا يجري فيه تيار كهربائي عالي التوتر مما يؤدي إلى حدوث اهتزازات في جسمه قد تسقطه أرضا مغشيا عليه أو مصابا بصدمة. ويعتقد أن هناك استعدادا وراثيا لمثل هذه الحالات حيث يمكن إثبات وجود حالات من التشنج الحراري أو الصرع لدى والدي الطفل أو أحد أقاربه في ٦٠ - ٧٠٪ من الحالات.

ويحدث التشنج الحراري كما أسلفنا بسبب الارتفاع المفاجىء بدرجة الحرارة، وهذا بدوره ينجم في معظم الأحيان عن الالتهابات التي قد يتعرض لها الطفل كالالتهابات الفيروسية للطرق التنفسية والتهابات الأمعاء وغيرها أو التهاب الأذن الوسطى أو البلعوم أو اللوزتين.. وغير ذلك..



هل يتكرر هذا التشنج ؟ وكيف نتحاشاه ؟

نعم، فالأطفال الذين يصابون بالتشنج الحراري للمرة الأولى هم عرضة لتكراره مرة ثانية وثالثة، فقد أثبتت الدراسات أن ٥٠٪ من الأطفال الذين أصيبوا بالتشنج الحراري لن يتكرر لديهم هذا التشنج في حين يكون الـ٥٠٪ الباقية عرضة لتكراره أكثر من مرة خلال فترة ارتفاع درجة الحرارة. لذلك ينصح في

مثل هـذه الحالات بـأن يكـون الطفل خـلال الفترة الأولى التي تلي التشنج تحت المراقبـة الطبيـة المكثفة في المستشفى.

وإلى حـد مـا يمكن تفـادي حـدوث التشنج الحراري، فالأطفـال بالعـائلات التي تشيع فيها حـالات الصرع والتشنجات الحرارية هم أكثـر عـرضـة من غيرهـم لحدوث مثل هـذه التشنجات، لـذلك ينصح دومـا بمـراقبة حـرارة هؤلاء الأطفـال بشكل منتظم خـلال إصـابتهم بـالالتهـابـات ومعـالجة ارتفـاع الحرارة بشكل فـوري وفعـال كما سيأتي لاحقـا، ومن بـاب أولى أن يطبق هـذا الكـلام على الأطفـال الطبيعيين.

والآن نأتي إلى أهم نقطة في هذا البحث ألا وهي كيف نتصرف عند حدوث التشنج الحراري.

أولا، وقبل كل شيء، علينـا ضبط الأعصاب وعـدم الارتباك والتصرف بحكمـة ورويـة مع العلم بأنه مـوقف صعب ومربك لكن الارتباك لا يحل المشكلـة بل يفـاقمها وقـد يؤدي إلى نتـائج لا تحمد عقباها.

عنـد حـدوث التشنج يجب استـدعـاء أحـد مـا للمسـاعـدة ويفضل أن يكـون ذا إلمام طبي أو لطلب المسـاعـدة أو تـرتيب نقل الطفل على جنـاح السرعـة إلى أقـرب مـركـز طبي ويفضل أن يكون مستشفى لتوافر الإمكانات ضرورية فيـه، وهـذا يجب أن دث خـلال دقـائق، وربما يتم ذلك يجب القيـام بـالإجـراءات التالية:

ـــ يمنع إعطـاء أي شيء عن طـريق الفم حتى الـدواء خشيـة حـدوث استنشـاق الأطعمـة إلى الـرئة وحدوث التهـاب رئوي أو اختناق.

ـ يـوضع الطفـل على جـانبـه الأيمـن وينظـف الفـم بلطـف بقطعـة شـاش نظيفـة من بقـايـا الطعـام والإفرازات وتخلع ثيـاب الطفل بـالكـامل ولا يـزال أي رباط حـول عنقه وتقـاس حرارة الطفل الشرجيـة ويعطى خـافض حـرارة بشكل تحاميل لأنها أسرع مفعـولا وأضمن ألا يتقيأهـا الطفل.

إذا كـان وزن الطفـل ٥ ــ ١٠ كغم يعطـى TYLENOL ١٠٠ ملغم.

إذا كان وزن الطفـل ١٠ ـ ٢٠ كغم يعطـى TYLENOL ٢٠٠ ملغم.

إذا كـان وزن الطفل أكثـر من ٢٠ كغـم يعطـى TYLENOL ٣٥٠ ملغم.

كمادات فاترة لا باردة

تطبق كمادات ماء فاتر على كل الجسم مـن الـرأس إلى القـدم وليس على جزء بسيط من الرأس كما يفعل البعض ولا ينصح أبـدا بـاستعمال كمادات ثلج أو إضافـة خل أو كحـول كما يفعل الكثير من النـاس إذ إن هـذه الأمـور نـاهيك عن أنها لا تخفض حـرارة الجسم المركـزيـة فإنها قـد تكـون خطـرة على الطفـل، فـاستعمال الكمادات البـاردة جدا يـؤدي إلى تقلص الأوعية الدموية السطحية للجلد مما يترك الحرارة الداخلية



للجسم مرتفعة وهذا بدوره يؤدي إلى رفع درجة حرارة الجسم وحدوث ارتجافات قد تربك الأهل ظنا منهم أنه تشنج آخر.

كما أن استعمال كمادات الكحول قد يؤدي إلى انخفاض الحرارة بسرعة وحدوث تشنجات عند الأطفال الصغار كذلك قد يؤدي إلى انخفاض في سكر الدم لذلك ينصح دوما باستعمال كمادات الماء الفاتر حيث تبلل منشفة كبيرة بماء عادي وتطبق على مختلف أنحاء الجسم مع تدليك خفيف للجلد في محاولة لتوسيع الأوعية الدموية السطحية للجلد مما يؤدي إلى تبخر الحرارة من الداخل للخارج.

ومن العوامل الأخرى المهمة التي تساعد على انخفاض درجة الحرارة:

ـ تهوية المنطقة المحيطة بالطفل.

ـ إعطاء كميات إضافية من الماء عن طريق الفم وذلك بعد تحسن حالة الطفل وعودة وعية طبيعيا.

وبعد أن يقوم الأهل بالإجراءات الضرورية لخفض الحرارة ينقل الطفل إلى المستشفى لإجراء الفحص السريري وبعض الفحوص الدموية الضرورية وكشف سبب ارتفاع الحرارة وتقييم حالة الطفل العصبية وتقديم العلاج والنصائح الضرورية.

تساؤلات وأجوبة

قد يتساءل بعض الأهل متى ينصح بتناول دواء وقائي لمنع التشنج؟

نقول: إن هناك بعض الاستطبابات التي حددها أطباء الأطفال كما يلي:

ـ الطفل الذي يصاب بعدة نوب متلاحقة بعد النوبة الأولى خلال فترة ارتفاع الحرارة.

ـ الطفل الذي يصاب بثلاث نوب تشنج حراري متقطعة.

ـ كل طفل أصيب بتشنج حراري ولديه مشكلة عصبية سابقة أو هناك قصة صرع في عائلته.

ـ أي طفل مصاب بتشنج حراري من النوع المعقد الذي وصفناه في مقدمة البحث.

السؤال الأخير الذي لا بد أن يطرحه كل أبوين:

ما هو مستقبل طفلنا العصبي والتطوري وهل سيصاب بأي تخلف فكري أو اضطراب عصبي؟

نقول وبكل تأكيد: إن الطفل الذي يصاب بالتشنج الحراري البسيط لن يتأثر بأي شكل من الأشكال وسوف ينمو ويتطور فكريا وروحيا وحركيا بشكل طبيعي لا يختلف عن أي من الأطفال الآخرين، لكن هناك نسبة ٢٪ منهم قد يتعرضون في مستقبلهم لما يعرف بالتشنج غير الحراري أي الصرع «EPILEPSY». □

الطاعة العمياء



● أتى هولندي إلى طبيب وبعد الكشف عليه وصف له الدواء، ثم رآه بعد أيام فقال له:

ـ يبدو أن صحتك تقدمت، فلا بد أنك استعملت الدواء واتبعت التعليمات بدقة.

فقال المريض: نعم، يا دكتور. فقد كان مكتوبا على الزجاجة: «تحفظ الزجاجة مغلقة» ولأجل ذلك لم أفتحها أبدا.

ساحة ود

عيون عم عبدالفتاح

أغمض عينيّ في غمرة البكاء فأراه، في آخر لقاء جمعني به، ولم أكن أعرف أنه لقاء الوداع، ومن مكتب وزير الثقافة المصري في حي الزمالك ـ حيث كان يتسلم جائزته عن أفضل رواية لعام ١٩٩٢ ـ حملني في سيارته البيضاء القديمة والتي تبدو جديدة دائما، وراح يخوض بي وسط أمواج شوارع القاهرة، وقال لي: «سأرى الآن بعيونك»، ولم أدرك ما يعنيه على الفور، لكن قيادته الهادئة، وتوقفاته الكثيرة، نبهاني إلى أن الرجل لم يعد له من نور البصر إلا القليل، فمرض السكر لم يكتف بامتصاص عوده الذي ظل معتدلا رغم نحافته، بل امتد زاحفا على شبكية العين يطفىء خلاياها، خلية من بعد أخرى، ولقد بقي القليل، لكنه كان يراني، ويرى العالم، ويضحك على ما يراه من مدهشات زماننا، ضحكته المترعة المجلجلة الصافية تلك.

ضحكة عم عبدالفتاح الجمل، الجميل، الأصيل، العالي.. ضحكة رجل عبر شوارع الحياة الثقافية، المليئة بالغواية، دون أن يرتكب صغيرة أو كبيرة تشينه، دون أن ينحني، أو يتراجع عن أداء ما يعتقد أنه الصحيح، ولقد كان صحيحه نادرا، ندرة الفارس النبيل في ملاسنات لم تكن كذلك. كانت مأثرته الإيثار. إيثارا ثقافيا غريبا عن الشائع، جعله ينسى السنين فيجد نفسه في نهاية المطاف رجلا وحيدا بلا زوجة ولا ولد، وكان طوال كل تلك السنين التي نسي كرّها، مشغولا ـ حتى عن نفسه وعن موهبته الخاصة النادرة والحقيقية ـ بالانتصار لكل طالع في ساحة الأدب المصري، يفرد له الصفحات في الملحق الأدبي بجريدة المساء الذي كان يشرف عليه (وكان منارة أدبية في زمانه)، ويفضله ـ بمعيار الجودة ـ على الكبار، مهما كان نفوذهم أو كانت سطوتهم. جيل كامل من أدباء مصر منذ الستينيات وحتى آخر لحظة، قدمهم، ودعمهم، عبدالفتاح الجمل، ولم يخطىء ذوقه قط، وعندما أحس بأصابع الزمن الرديء تصر على التسلل داخل دائرته، قدم استقالته، ومضى شامخا يضحك ضحكته الرائعة تلك.

أغمض عم عبدالفتاح الجمل عينيه اللتين ظلتا صافيتين رغم الداء، ويغمض البكاء عيوننا في نوبة البكاء على رحيله، لكن تحت أجفان العيون المغمضة ثمة عيون أخرى للروح، هي عيون البصيرة، التي ستظل تضيء طريق أبناء الرجل الذي لم يكن له أبناء، عيون للبصيرة، تظل في أحلك اللحظات، تقول إن الشرف جميل، والزهد جميل، والإيثار جميل، والكبرياء الإنساني هو حصاد كل ذلك الجمال، وهذا كله سور من الزهور والنور قد يقي النفس ضد غواية النفس وغواية الزمان، فهل هناك رؤية أحدّ وأصفى مما كشفته عيون الرجل التي أغمضها فلم تنطفىء، أظن، وآمل أن.. لا.

فقرّت عيونك يا عم عبدالفتاح. □

د. محمد المخزنجي

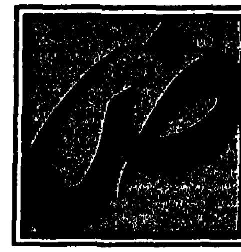
الأرض

شعـــــــر : أحمد ســـــــويلم*

كرة من عقيق عتيق
أم ترى هي تفاحة غير ناضجة
أم هشيم من الإثم والعظم
أثقلتها خطى العابرين
ذنوب المرابين ..
حزن الثكالى ..
وسم الثعابين ..
حتى إذا أخذت زخرف الثوب
وازّيّنت ..
نخر السوس جمّارها
زلزل فيها التوابيت
بدل فيها المواقيت
أخرج ذا النون من باطن الحوت ..
لجة من ظلام
فلا عاصم اليوم من غضب الأرض
ها .. قد رأيت النجوم استدارت
رأيت النجوم استراحت
وكنت تسائلها - الليل - أسئلة
وهي تنصت مثقلة .. !
إنها الآن تعلن فرحتها
ودعت عالم الليل .. والجوع
والأسئلة ..
أي نخب يبدل أحزاننا
أي بوح يلوّن كتماننا
والذي ظل بالأمس في عرشه سيدا
لحظة ..
قزّمته الفجيعة أصغر من خردلة
«فلعلك تعرف ما فعلت نملة بالأسد !»
إنها المسألة ..
إنها المسألة ..
لا يفيد التوجع ..
هذا الخراب الذي يملأ القلب
يملأ هذا الفراغ الممدد
ملء الفضاء
يسلب الأرض ما حملته من الحب
ضاقت بنا الأرض ..
أنّت بنا الأرض - بعد السماء -
فلتقترح أيها القادم - الغد
من قبل أن تلفظ الأرض وجهك
- أين تريد البقاء ؟! □

* شاعر مصري





جمال العربية

بقلم: فاروق شوشة

«صلوات في هيكل الحب»
لأبي القاسم الشابي

المتأملون في هذه القصيدة يقولون إنها أجمل قصائد الحب في الشعر العربي الحديث، وأكثرها شهرة وذيوعا.

وهي شهرة ناتجة عن كونها صيحة جديدة في عالم التعبير الشعري عن تجربة الحب، بكل ما تحويه هذه الصيحة من جدة وأصالة، وإيقاع موسيقي متناغم، وإمتلاء بعالم من الصور الشعرية الفاتنة، والبناء الفني المحكم.

تلك هي قصيدة «صلوات في هيكل الحب» التي أبدعها الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، الشهاب الشعري الذي لم يكد يشع ويسطع ويكتمل نوره حتى اختطفته يد المنون وهو في ريعان الشباب، لم يجاوز من العمر خمسة وعشرين ربيعا، بين عامي ١٩٠٩ و١٩٣٤.

نشر الشابي قصيدته أول مرة في مجلة «أبولو» التي كانت تصدر في القاهرة معبرة عن اتجاه شعري جديد بين عامي ١٩٣٢، ١٩٣٤. وسرعان ما جذبت قصيدته الاهتمام وشدت الأنظار إلى وتر شعري جديد أو لغة شعرية جديدة، وتناول جديد لتجربة الحب في إطار من الخيال المجنح، والمشاعر التي تفيض سموا وروحية وشفافية، جعلت من محبوبته ـ التي يناجيها في قصيدته ـ كائنا سماويا يفيض رقة وطهرا، وملاكا من ملائكة الفردوس يحيي في الأرض روح السلام والمحبة، وربيعا تخصب به الدنيا، وتفيق على موكبه الحياة، وتنتشي روحه الكئيبة الحزينة بالحب وتشدو كالبلبل الغريد، فينطلق من جديد وتر الطموح والتوهج، ويحيا ما كان قد جف ومات من عذب الأماني وحلو التغريد. فالمحبوبة روح الربيع وأنشودة الأناشيد وسحر الشباب، وهي موسيقية اللفتات والخطوات، وهي الحياة في أجمل صورها وأنضرها وأحفلها بالبهجة والأمل والإشراق، وهي فوق حدود الخيال والشعر والفن، وهي قدس الشاعر ومعبده وصباحه وربيعه ونشوته وخلوده وهي معبوده الذي يخشع دوما لروعته وجلاله وجماله.

المحبوبة رمزا للعالم

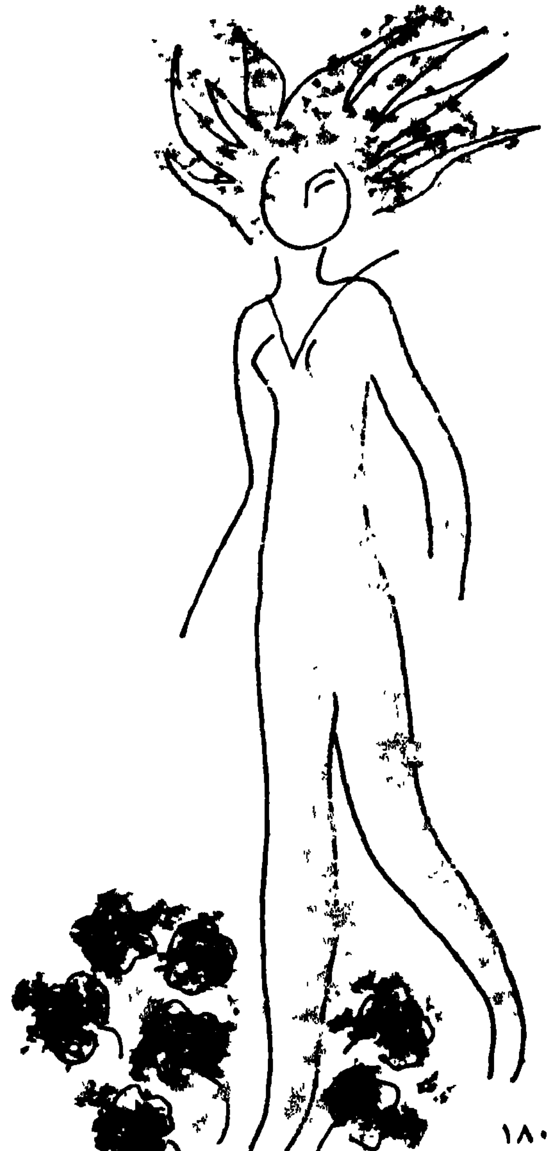
فهل رأى الناس والشعراء ـ قبل الشابي ـ محبوبة على هذه الصورة الفاتنة الآسرة المكتملة لونا ونغما وعطرا؟ وهل عرف شعرنا العربي ـ قبل هذه القصيدة الفاتنة ـ مثل هذا الافتنان في رسم ملهمة الشاعر وتجسيدها باعتبارها وعاء ورمزا لكل ما حوله من جمال: الطبيعة، والكون، والوجود، والربيع، والصباح والدفء والحياة والنجوم والطهارة والأناشيد والموسيقى والنشوة والخيال! يقول أبو القاسم الشابي:

ـذبة أنت، كالطفولة، كالأحـ
ـلام، كاللحن كالصباح الجديد
ـالسماء الضحوك، كالليلة القمـ
ـراء، كالورد، كابتسام الوليد
ـيا لها من وداعة وجمال
وشباب منعم أملود(١)
يا لها من طهارة تبعث التقـ
ـديس في مهجة الشقي العنيد
يا لها رقة تكاد يرف الـ
ـورد منها في الصخرة الجلمود(٢)
أي شيء تراك؟ هل أنت «فينو
س» تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب والفرح المعـ
ـسول للعالم التعيس العميد؟(٣)



أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر
ض ليحيي روح السلام العهيد؟(٤)
أنت ما أنت؟ أنت رسم جميل
عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق
وجمال مقدس معبود
أنت ما أنت؟ أنت فجر من السحـ
ـر تجلى لقلبي المعمود(٥)
فأراه الحياة في مونق الحسـ
ـن، وجلى له خفايا الخلود
أنت روح الربيع تختال في الدنـ
ـيا فتهتز رائعات الورود
وتهب الحياة سكرى من العطـ
ـر، ويدوي الوجود بالتغريد
كلما أبصرتك عيناي تمشيـ
ـن بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الـز
هـر في حقل عمري المجرود(٦)
وانتشت روحي الكئيبة بالحب
وغنت كالبلبل الغريد
أنت تحيين في فؤادي ما قد
مات في أمسي السعيد الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي
ما تلاشى في عهدي المجدود(٧)
من طموح إلى الجمال، إلى الفن
إلى ذلك الفضاء البعيد
خطوات سكرانة بالأناشيد
وصوت كرجع ناي بعيد
وقوام يكاد ينطق بالألحـ
ـان في كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك حتى..
لفتة الجيد واهتزاز النهود(٨)
أنت أنت الحياة في قدسها السا
مي وفي سحرها الشجي الفريد

أنت أنت الحيــاة في رقـــة الفجـــ
ـــر وفي رونق الـــربيع الـــوليـــد
أنـت أنـت الحيـــــاة كـل أوان..
في رواء من الشبـــاب جــديـــد
أنت أنـت الحيـــاة، فيك وفي عيـــ
ــنيك آيـات سحــرهــا الممـدود
أنت دنيــا مـن الأنــاشيــد والأحـــ
ـــلام والسحـــر والخيـــال المديـــد
أنت فـوق الخيـــال والشعـــر والفن
وفـــــوق النهى وفـــــوق الحدود
أنت قـــدسي ومعبـــدي وصبـــاحي
وربيعـي ونشـــــوتي ووجـــــودي



ح. المتوني

هذا حب يذكرنـا بعشق الشعراء العذريين أمثال قيـ ابن الملـــوح وجميل بن معمـــر وكثير وعـــروة بن حـ وغيـرهم، بل هو يذكـرنا بعشق المتصوفة الـذين تفانو في حبهم، وامتزج فيه العاشق والمعشوق، والإنسان بالحقـ الكليـة المطلقـة، وبلغـوا مرتبـة رفيعـة في سلم الصعـ والوصول إلى حيث سلام الطمأنينة وقدسية الوصال

من هنا تلتمع في القصيدة ـ كحبات العقد ـ مفرد الطهـــارة والتقـديـس والملاك والفـردوس والسـ والمقدس والمعـود والقدس السامي والآيـات وقدسي ومعبـدي. وهي ليست مجرد مفـردات متنـاثـرة تضي وتلتمع ثم يخبـو ضـوؤهـا دون أن يتحـول إلى نهر من الضياء المتـدفق، والإشعاع المستمـر. إنها مفردات تعـ عن «فيض» من الإحسـاس اكتسى فيضـا من الصـو وعـالما من النقاء والتسـامي. اللغـة فيـه معادل لحلو الشعور، والصورة الشعـرية فيه كرمة متخمـة بالرحيـ المحتوم، والظـلال الموحية يتـاعم فيها اللـون والعطـ والصوء، وتتراقص بينها الخطوات السكرى والأناشيـ الشادية بروعة الجمال، وسحر الإيقاع

يفجؤنا هذا المدخل والاستهـلال الشعري «عدبة أنت ليحدث صـدمته التركيبيـة التي سرعان مـا تتداع لتفسح المجال لخفقة إيقاعية، ثـم هذه الصيغة المتسائلـ المندهشـة الناطقـة بالإعجـاب المطلق والحيرة المزلز الجميلـة الطـائرة بـاللب والقلب: «أنت مـا أنت»؟ تـ تجيء الإجابة المؤكدة، أنت فجر من السحر، أنت روح الـربيع، أنـت الحيـاة في صـورهـا المتعـددة: القـدس السامي، رقة الفجر ـ رواء الشباب ـ أنشودة الأناشيد ـ إلى آخر هـذه الاستلهامـات التي تنطق بقدرة الشـاعـ على تفجير جماليـات الصـــورة الشعـريـــة، واستلهـ الطبيعة التونسية الفاتنة ــ التي ملأت عليه عالم طفولتـ وصباه، والذاكرة الباكرة تلتقط وتختزن وتعي وتتأمل من هنـا كان هـذا الفيض من صـور الطبيعة الأخـاذة وهذا الموكـب الشعري اللغوي المصـاحب لهذا الفيض من الجمال الطبيعي، بعـد أن امتـلأ الشاعـر وهـو يقلـ البصر بين غابـات الصنوبـر والثلوج الـراقدة على قمـ الجبال، ويتأمل حياة الرعيان في الوديان، يعيشون حيـ الفطرة والنقـاء والبساطـة، وحياة من استـوطنوا المدن وحرموا مصادر هذا الجمال وأفقه المترامى بلا حدو.

ينفتح عالم قصيدة الشابي أيضا على رصيد ضخم ن تجربة الحياة - بالرغم من عمره القصير - تجلى في دفق معين شاعريته، وازدهار ريشته المصورة التي دعت أجمل اللوحات والألوان، وشدو قيثارته أعذب الألحان والأنغام.. في دائرة شعرية تجمع دارات الحب والطبيعة والنفس الإنسانية والشجن الوجودي الحميم.

لغة عصرية

وتشف اللغة في شعر الشابي وتصفو، إنها لغة عصرية لا أثر فيها لقديم موروث، أو لمختزنات الذاكرة، أو منجزات الآخرين. كل ما تحمله هو من عمل الشابي وابتكاره وصنعه المتميز. وهي تقدم لنا نموذجا لتحرر الشاعر الحديث والمعاصر من أسر الذاكرة، وانطلاقه إلى بناء لغته واصطناع معجمه وعالم صوره وصياغاته، وهو ملمح إبداعي عند الشابي، يتطلب دراسة ميدانية معمقة، واضعين في الاعتبار مدى تأثير هذه اللغة الشعرية على معاصري الشابي، وعلى من جاء بعده من الشعراء، حتى كبار الموهوبين منهم. ولعل الشاعر محمود حسن إسماعيل ـ الذي واكبت بداياته الشعرية بدايات الشابي والتقى شعره مع شعر الشابي على صفحات مجلة أبولو في مستهل الثلاثينيات ـ أن يكون واحدا من هؤلاء الشعراء كبار الموهبة الذين لم يفلتوا من أسر شاعرية الشابي وسيطرة صياغاته ونموذجه اللغوي، ويتجلى هذا التأثير في قصيدته «أنت دير الهوى وشعري صلاة» التي يضمها ديوانه «هكذا أغني» الذي نشرت طبعته الأولى عام ١٩٣٨ (قصيدة الشابي نشرت في مجلة أبولو عام ١٩٣٣) والشابي يتحدث عن «صلوات في هيكل الحب» ويجعلها عنوانا لقصيدته، ومحمود حسن إسماعيل يتحدث عن «دير الهوى وشعري صلاة» فهل هناك قرب في الرؤية والاستلهام أكثر من هذا؟ ثم هو يصطنع في قصيدته الصيغة نفسها التي بدأها الشابي، في تكراره لتعبير «أنت» مرتبطا بشتى مجالات التصور والشعور طيلة ثمانية عشر بيتا متصلة يقول في بعضها:

أنت نبعي، وأيكتي وظلالي
وخميلي، وجدولي المتسلسلْ
أنت لي واحة أفيء إليها
وهجير الأسى بجنبي مشعل
أنت ترنيمة الهدوء بشعري
وأنا الشاعر الحزين المبلبل
أنت تهويدة الخيال
لأحزاني بأطياف نورها أتعلل
أنت فجري على الحقول حياة
وصلاة ونشوة وتهلل
أنت طيف الغيوب رفرف
بالرحمة والطهر والهوى والتبتل
أنت لي توبة إذا زل عمري
وصحا الإثم في دمي وتململ
أنت لي رحمة تراها شعاع
هل من أعين السما وتنزل

وليست مصادفة تلك اللمحات الروحية التي تلتمع في سماء القصيدتين وفضائهما من الصور واللغة والتراكيب، ولا ذلك المعجم الذي ينطق بالسمو والتطهر والصفاء والنقاء ولا ذلك المشترك في استلهام مجال الطبيعة ممتزجة بفيض الشعور الإنساني العارم منسكبا على ضفاف القصيدتين. وستبقى قصيدة «صلوات في هيكل الحب» للشابي نموذجا لعبقرية اللغة العربية وجمالياتها في الإبداع الشعري الحديث. □

- الأملود. الناعم
- الجلمود. الصلدة القاسية
العميد. المضني
العهيد. القديم، العريق

٥ ـ المعمود: الذي تيمه العشق والهيام
٦ ـ المجرود: القفر الذي لا حياة فيه
٧ ـ المجدود: المحظوظ، المنعم
٨ ـ الجيد. العنق، النهود جمع نهد. الصدر

من شهر إلى شهر
لمحات من جديد العالم

طب

هل انتهى دور المضادات الحيوية؟

● علماء مكافحة ومنع الأوبئة في الولايات المتحدة لا تنقصهم الشجاعة، فهم يتعاملون بانتظام مع البكتيريا والفيروسات التي تسبب أمراض الإيدز والجدري وحمى «إيبولا» وغيرها من الأمراض التي لم يعرف لها علاج بعد، ولكن هناك اختبارا واحدا لا يقومون به، وهو محاولة التعامل مع الحامض النووي «D.N.A» الدائم التغيير للجراثيم العنقودية «staphylococcus» تلك التي تعيش في جلد وأنف حوالي نصف سكان الأرض، هذه الجرثومة يمكن أن تسبب تسمم الدم، والسبب الذي يجعل الباحثين لا يلتفتون كثيرا لها أن العديد من أنواعها لا تستجيب إلا لنوع واحد من المضادات الحيوية، وإذا استطاعت الجرثومة أن تكتسب القدرة على مقاومة هذا الدواء الوحيد فسوف تقتل عشرات الألوف من الأشخاص كل شهر، وقد أعلن الدكتور «الكسندر توماسز» من جامعة «روشفيللر» محذرا أن أعداد الجراثيم التي تكتسب المناعة ضد المضادات الحيوية تزداد كل يوم، والنتيجة أننا نقف في مواجهة ما يمكن أن نطلق عليه كارثة طبية، وليس من الصعب أن نتبين السبب، فقبل أن يكتشف «الكسندر فيلمينج» في عام ١٩٢٨ وجود مادة تفرزها مستعمرات الفطر المسببة للعفن في أطباقه المعملية وهي قادرة على قتل الجراثيم، كانت الأمراض المعدية مثل تسمم الدم والالتهاب السحائي والالتهاب الرئوي والسل وتسمم الأغذية تقتل الملايين من الناس كل عام، ومع «البنسلين» الذي اكتشفه «فيلمينج» ومشتقاته بدا أننا قد حصلنا على الدواء المعجزة، ولكن هذه لم تكن نهاية الصراع مع



□ الميكروبات تشتد ضراوة. صورة لخلايا المكور العنقودي القاتلة

الجراثيم المسببة للأمراض، ففي مقابل العديد من هذه الجراثيم التي كان «البنسلين» يقضي عليها كانت هناك تجمعات صغيرة تكتسب القدرة على المقاومة، وأخذت هذه التجمعات تتكاثر بالبلايين والترليونات وتورث القدرة على المقاومة لذريتها، بل واستطاعت أن تنقل هذه القدرة إلى أنواع أخرى من الجراثيم بواسطة المورثات «الجينات» عن طريق أجزاء من الحمض النووي تسمى البلازميدات، هذه الأنواع



تجمع من خلايا بكتيريا المكور الفموي

المشتقة قتلت حوالي ١٩ ألفا من نـزلاء المستشفيـات في الـولايـات المتحـدة عـام ١٩٩٠، وكـانت سببـا غير مبـاشر في قتل ٥٨ ألفـا آخـريـن في عـام ١٩٩٢، وعلى حـد تعبير أحـد علماء الوبـائيات: «إن العـديد من الأمراض التي كنـا نظن أننا قد فرضنا سيطرتنا عليها قد عادت بقوة من جديد».

بل إن الميكروب الـواحد صـار مقـاومـا لأكثـر من ـضـاد حيـوي في نفس ـقت، وعلى سبيل المثال سلالات مـن ميكروب ـور الـرئوي -Pneu mococcus «الـذي يمكن أن يسبب التهـاب الأذن والالتهـاب السحـائي والالتهاب الـرئوي وتلوث الـدم»، قد غـدت مقاومـة للبنسلين ولأربعة مضادات حيـويـة أخـرى خـلال السنـوات الست الأخيرة وحدها، كما أن حوالي ٢٠٪ من اصابات السل أصبحت تقـاوم العـلاج بعقـار «الإيزونيـازيد» الـذي كان علاجا فعالا في السابق، كما أن جرثومـة مرض السيلان أصبحت قادرة على مقاومة البنسلين، والأخطـر من ذلك مـا كشـف عنـه الباحثون البريطانيون أخيرا ويتمثل في أن ميكـروبـا من نوع Enterococcus يمكن أن ينقل مقـاومـة عقـار «الفـانكـوميسين» إلى ميكروب المكـور العنقودي الـذي لا تتأثـر نصف سـلالاتـه إلا بهذا العقـار، واذا عـرفنـا أن هـذين الميكـروبين يلتقيـان يـوميـا على ضمادات الـرءوس ومـلاءات أسرة المستشفيـات، فإن احتمال اكتسـاب المكور العنقـودي لهذه المقـاومـة يعـد احتمالا ممكنـا ممـا قـد تتسبب عنـه كارثـة حقيقية على مستـوى الصحة العامة.

«إنـه كابـوس صحي» في هـذه العبـارة يلخص عـالم الـوبـائيـات الأمـريكي «روبرت جـاينز» مـا يحدث للمضادات الحيـوية، ولقـد سـاهم الجميع في صنـاعـة هـذا الكـابوس، فقـد بـالغ الأطبـاء في وصفها، وبـالغ المرضى في تعـاطيها، كما أن الإفـراط في استخـدامهـا لعـلاج الماشيـة في مـزارع التسمين تـرك لنا سـلالات من الميكـروبـات المقـاومـة للمضادات الحيوية في اللبن واللحم، فهل يمكـن قهـر هذه السلالات الجديدة من الميكـروبـات المنيعـة؟ إن الأمـل يكمـن في تصنيـع أمصال ولقاحات ضد هذه الميكروبـات، أو أن يستطيع العلماء حصارهـا واكتشاف أدويـة جديـدة تـؤثر فيهـا، والأمـر في حـاجـة إلى ميزانيات ضخمة تـرصدها شركـات الأدويـة والحكـومات لإزاحـة هـذا الكـابـوس، وربما احتجنـا أيضـا إلى عـودة فـريق «فيلمينـج»، للعمـل مـن جديد.☐

بيئـــــة

الأذى العائم .. إلى أيـــن ؟

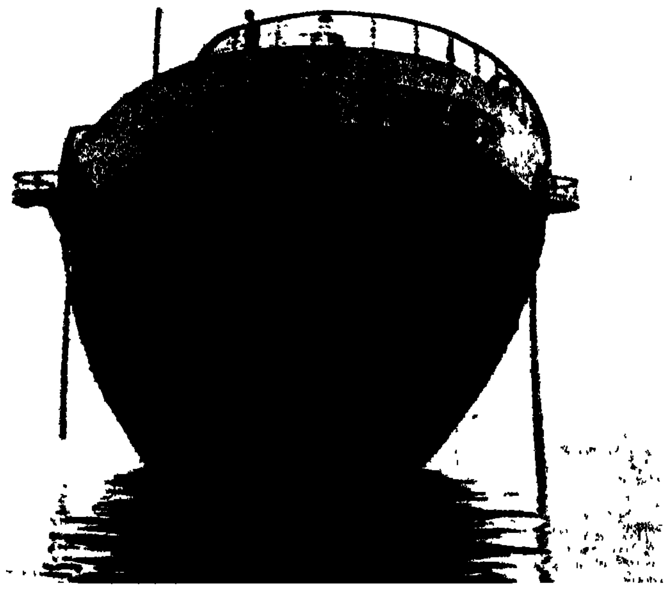
عام ١٩٦٨ أبحر الطالب بيل كلينتون من نيويورك إلى ساوث هامبتون الإنجليزية، على ظهر الباخرة «الولايات المتحدة» فاستغرقت الرحلة ثلاثة أيام وعشر ساعات وأربعين دقيقة، وكان ذلك زمنا قياسيا تختص به السفينة «S.S» التي تم تدشينها عام ١٩٥٢ كأفخر وأسرع عابرة للمحيط الاطلنطي، لكن المفخرة العابرة للمحيط التي استقلها يوما الرئيس الأمريكي، تحولت الآن إلى كيان منبوذ بيئيا، فالسفينة التي صممت لتكون أقل وزنا وأكثر مقاومة للحريق، يحمل جسمها أكثر مما تحمله أية سفينة أخرى من مادة «الإسبيستوس»، وبعد أن توقفت السفينة عن الإبحار عام ١٩٦٩، تقدم لشرائها أحد الاتحادات المالية عام ١٩٩٢ وقرر أن يرممها



□ استوردت أندونيسيا ١٤ ألف طن من نفايات البلاستيك لإعادة تدويرها، لكنها توقفت بعد اكتشافها لضرر هذا الاستيراد

ويحولها إلى نموذج متجدد للفخامة عابرة المحيط، وتم سحب السفينة إلى تركيا حيث إن عملية إزالة الاسبيستوس عن جسمها يمكن أن تكلف مليونين من الدولارات بدلا من مائة مليون يمكن أن تتكلفها في الولايات المتحدة، لكن الحكومة التركية وقد أدركت المخاطر البيئية لكشط «الإسبيستوس» المسبب للسرطان، قررت عدم القيام بالعملية، واتجهت «S.S» إلى البحر الأسود لترسو أخيرا في ميناء «سيفاستبول» الأوكراني حيث الحكومة أقل أرق بمشاكل البيئة، وهناك بدأت إزالة نصف مليون قدم مربع من ألياف «الإسبيستوس» المسببة للسرطان.

إن السفينة «S.S» هي مثال على تصدير الدول الصناعية الكبرى لنفاياتها السامة عبر البحار، فبينما يكلف التخلص من هذه النفايات مبالغ فلكية في هذه البلاد نظرا لتشدد القوانين المحافظة على البيئة، فإن أنظار الملايين تتوجه نحو العالم الثالث والدول النامية كمقصد رخيصة للنفايات الضارة



□ السفينة S.S عبر بها كلينتون المحيط يوم كان طالبا صغيرا، وهي الآن كابوس بيئي

ولقد صمم المشاركون في ندوة البيئة التي عقدتها الأمم المتحدة أخيرا في جنيف، على فرض حظر على مثل هذه العمليات، وكمبادرة بيئية جيدة، أعلن الرئيس الأميركي أنه خطط لحصار هذا النوع من الشحنات السامة.

ولقد توقع المحرر العلمي لمجلة U.S News أن كبار المصدرين لمثل هذه الشحنات يتوقع معارضتهم لأي حظر دولي ـرض على هذا التصدير ـقاتل، ومن بين هؤلاء: ـيطانيا، وألمانيا، واليابان.

ومن المفارقات الفاجعة في هذا الشأن، أنه كلما ارتقت واشتدت «القوانين الخضراء» المعنية بحماية البيئة في الدول الصناعية الكبرى، زادت عملية «تصدير الأذى» واستفحلت، فألمانيا التي تعتبر قمة الدول الأوربية المعنية بالبيئة، يخرج من حدودها نصف مليون طن من النفايات الضارة سنويا، ويقدّر ما تصدره أمريكا الشمالية وأوربا سنويا بحوالي مليوني طن من هذه المواد السامة، أما موانىء الوصول فهي دائما في اتجاه الجنوب.□

كمبيوتر

جهاز يسمع ويتكلم

● الممثلة المعروفة «كانديس بيرجن» جعلت الأمر سهل الفهم، ففي إحدى المسلسلات التي يعرضها التلفزيون الأمريكي الآن تطلب من التليفون أن يتصل بالمنزل دون أن ترفع اصبعها المخضب بالطلاء، الكمبيوتر أيضا اكتسب القدرة على الكلام، فقد أصبحت بعض الأنواع منه قادرة على الاستجابة للأوامر البسيطة مثل «افتح ملفا» أو «توقف عن العمل» ويعد هذا النوع طفلا بالنسبة للتطور في المستقبل، فسوف نشهد الكمبيوتر الذي يأخذ قرارا سريعا، أو الذي يركب في السيارة ويستجيب لأوامر القيادة، أو ذلك الذي يذكرك بالمواعيد المهمة والمناسبات العائلية. إن تمييز الأصوات بالنسبة للآلات والتي كانت نوعا من قصص الخيال العلمي توشك أن تصبح بسرعة أمرا واقعا، وسوف تغير هذه التكنولوجيا الصوتية من طريقة استخدامنا لهذه الآلات بعد أن يتم الاستغناء



□ كانديس بيرجن تأمر الأجهزة في بيتها بالعمل عبر الهاتف، خيال يتحول إلى حقيقة في تكنولوجيا الواقع المعاصر

عن لوحة المفاتيح وغيرها من الأشياء اليدوية، وبذلك يمكن العمل على الكمبيوتر لهؤلاء الذين لا يستخدمون أيديهم، إما لأنها مشغولة بأشياء أخرى أو لأنهم معوقون. إن التمييز الصوتي يمكن أن يجعل الحياة سهلة، ولكنه يعتمد على تكنولوجيا معقدة، فالصوت سوف يتحول إلى موجات من الذبذبات، يقوم الكمبيوتر بتحليلها وتسجيلها في متتابعة من الأرقام، وتتكون منها صورة رقمية من الصوت يقارنها الكمبيوتر بعد ذلك بمكتبة الكلمات الموجودة في ذاكرته، وتعتمد مدى دقة البرنامج هنا إلى حد كبير على حجم هذه المكتبة وكم كلمة يستطيع الكمبيوتر التعرف عليها، أما البرامج الأكثر طموحا مثل برنامج الأوامر فهي تحتاج إلى نوع من الذكاء الاصطناعي حتى تتهيأ الفرصة للكمبيوتر ليقرأ النص ويتفهمه قبل أن يتخذ قرارا ويحتاج هذا إلى مكتبة ضخمة من الكلمات مما يجعل الرد أسرع من استخدام أي مستخرج للمعلومات، ومن المتوقع أن يتم هذا التطور في غضون السنوات الخمس القادمة. أما خارج المكتب فسوف يكون التمييز الصوتي مفيدا في حالة انشغال الأيدي، أثناء القيادة مثلا عندما يريد السائق أن يغير محطة «الراديو» فيكفيه أمر بسيط، كما أنه يغني أيضا عن استخدام الأصابع في تليفون السيارة، وكما يقول أحد الخبراء: «إننا سوف نتعود على استخدام أفواهنا وآذاننا بشكل أكثر» وهكذا علينا ألا ننسى ذلك العدد من الموظفين الذين يقومون بأعمال يدوية، وأن ندخل مع الكمبيوتر في حوار لا ينتهي.□

فضاء: عدو سابق.. زميل لاحق

● من الطبيعي ألا يلاحظ أحد رائد الفضاء وهو يسير الهوينا إلى مقهى «شاتيلز» الموجود بالقرب من البوابة الرئيسة لقاعدة «كنيدي» في «كيب كانيفرال» في ولاية «فلوريدا» فمعظم الزبائن في هذا المقهى من رواد الفضاء الأمريكيين والمهندسين، ولكن عندما ظهر طاقم المكوك «ديسكفري» التف المعجبون والصحفيون حولهم كأنهم فريق من موسيقى «الروك». كان محور هذا الاهتمام حول شخص اسمه الشفري «خاص ك»، يسألونه أن يوقع في الأوتوجراف أو يمطرونه بالأسئلة حول مغامراته في الفضاء، إنه شخص يجيد الإنجليزية مثل إجادته إدارة عمل مكوك الفضاء، رغم أنه ما زال يعد مخلوقا غريبا وسط أرض الـ «ناسا»، اسمه الفعلي «سيرجي كريكالف» وهو رائد فضاء كان لثلاثة عقود يعتبر من الأعداء، الآن هو رفيق محنك، قام بمهمتين في الفضاء استغرقتا ١٥ شهرا، وفوق ذلك فقد تلقى تدريبا مكثفا في «هيوستون» وصل إلى ١٦ يوما على مدى العام الماضي، وسوف يكون

التأكيد أحد أفراد الطاقم المهمين في رحلة المكوك «ديسكفري». ويعود أول تعاون بين «السوفييت» و«الأمريكان» إلى تجربة الالتحام بين مركبتي «سويوز» و«أبوللو» في عام ١٩٧٥ ولكن تجربة «كريكالف» على أهميتها لا تحظى بهذا القدر من الدعاية، فهو ليس فقط عضوا كاملا في طاقم المكوك ومتخصصا في تسيير الذراع الآلي الذي يتحكم بوضع القمر الصناعي في مداره، ولكنه يدشن مرحلة جديدة في التعاون بين روسيا وأمريكا في مجال الفضاء، فقد أعطى الرئيس «كلينتون» في الشهر الماضي فقط أوامره بمنح الروس صفة الشريك الكامل في بناء وإدارة أول محطة فضاء حقيقية، وقبل أن تبدأ عملية الإنشاء سوف يتم القيام بسلسلة من الرحلات يتبادل فيها رواد الفضاء من الدولتين السفر على السفن التابعة للبلد الآخر، فكل من الطرفين لا يريد فقط أن يفهم تكنولوجيا البلد الآخر ولكنه يريد أن يتأكد من أن الرواد من البلدين في استطاعتهما العمل معا في الفضاء. وتجربة «ك» تبدو جيدة حتى الآن فهو شديد التأثر بأصدقائه الجدد وبروح المنافسة، ويقول عنه جان دافيس أحد أفراد الطاقم: «إن مخه أشبه بكمبيوتر شديد البراعة»، ويلاحظ «ك» أن «التدريب على الطيران بواسطة المكوك الأمريكي أسهل بكثير من برامج الفضاء الروسية. فالطاقم هنا يتكون من خمسة إلى سبعة أفراد، وهناك نظام للعمل، أما في روسيا فيتكون الطاقم من فردين فقط وبالتالي فعليهما أن يتعلما كل شيء»، ولا يحاول «ك» أن يزعج مضيفيه أو بلده الأصلي بالتصريحات العلنية عن جدار التكنولوجيا في أي من البلدين. ولكن التأقلم ما زال صعبا بالنسبة للزوجة «إلينا تركنهاينا» والابنة «أولجا» اللتين أقامتا في «هيوستون» طوال العام الماضي، وبالرغم من ترحيب أسر بقية رواد الفضاء إلا أن هذا لم يخفف من إحساسهما بالغربة، ويقول «ك»: «إن زوجتي لا تعرف شيئا من اللغة الإنجليزية، كما أنني أنفق القسم الأكبر من وقتي في برامج التدريب، وهكذا تقضيان الوقت الطويل داخل البيت في انتظاري» وهو بالطبع وضع صعب بالنسبة لامرأة كانت تعمل مهندسة للكمبيوتر في برنامج الفضاء الروسي، ويبدو «ك» مرتاحا مع اللغات الثلاث التي يتعامل بها: الإنجليزية ولهجة تكساس ومصطلحات «ناسا»، وعلى أي حال فإن نصف الرواد الأمريكيين البالغ عددهم ١٠٣ يدرسون اللغة الروسية، وتستعد وكالة «ناسا» لإرسال البعض منهم إلى مدينة النجوم بالقرب من «موسكو» وذلك للتدريب على إطلاق مكوك الفضاء في عام ١٩٩٥، وسيتضمن هذا وضع أول رائد فضاء أمريكي في البرنامج الروسي.□



□ «كريكالف» رائد الفضاء الروسي يتدرب مع الأمريكيين على الهبوط في مياه الأطلنطي

سينما

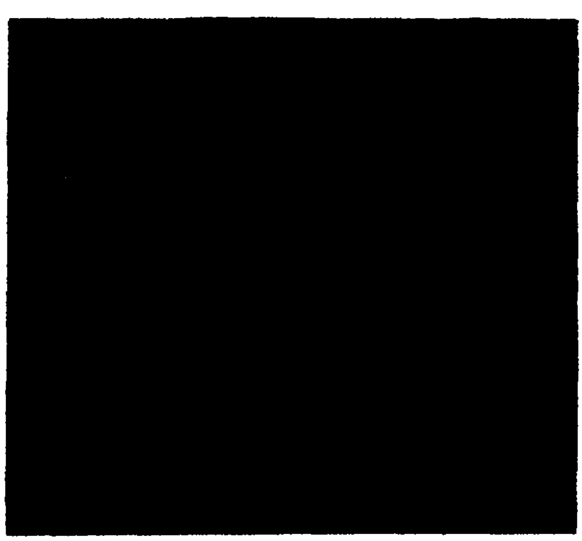
البازلاء الشريرة .. مرة أخرى

● تتوقف مارتي مالون «وتقوم بدورها جابرييلا انور» عند إحدى محطات وقود السيارات بالقرب من إحدى قواعد الجيش الأمريكي، حيث من المقرر أن تقضي أسرتها شهرا في هذا المكان، وفي غرفة الراحة تفاجأ برجل ضخم يخنق صرخاتها وهو يهمس لها محذرا: «سوف ينالون منك وأنت نائمة»، تبدو كلماته مثل حكاية مرعبة قبل النوم بما فيها من تحذير مطلق.. «استمعي الي يا طفلتي واذا غرقت في النوم قبل انتهاء الحكاية فسوف تموتين».

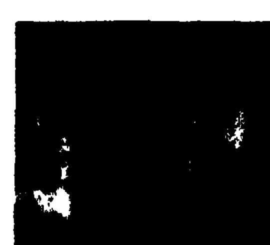
من المفترض أن يكون النوم هو مملكة الوحوش الرابضة في أعماقنا، ففيه تتحرر الغرائز الخفية من أسرها، وتصنع من الشكوك والمخاوف كل «سيناريوهات» الأحلام المخيفة التي نشاهدها، وفي رواية من الخيال العلمي بعنوان «ابن سانيشير» من تأليف «جاك فيني» عام ١٩٥٤ طرح فيها فكرة غريبة، أن النوم يحدث عندما تتراخى الحواس التي تحرسنا كي تتركنا عزلا أمام أعدائنا، وهم أعداء خارج أنفسنا، ولكنهم يأتون في صورة بذور بازلاء شريرة تسقط من الفضاء الخارجي حتى تسرق من البشر الغافين عواطفهم وأدق ما في نفوسهم، بالنسبة للأمريكيين فإن ذلك يعني «هم» في مواجهة «الآخرين»، إنه الأسلوب المألوف أثناء الحرب الباردة بما فيه من الأمثولات الماكرة والإحساس بمشاعر الاضطهاد، فالآخرون هم بطبيعة الحال «الحمر» الذين يحاولون سلب الأمريكيين حريتهم الشخصية.

أمثولة «فيني» مر عليها ٤٠ عاما، أخرجتها السينما مرتين في عامي ٥٦ و٧٨، وقد دارت حوادثها في مدينة صغيرة مليئة بالسحر والرعب والكوابيس الليلية، والآن عندما نعتقد أننا في أمان لنأخذ غفوة قصيرة تأتي النسخة الثالثة من نفس الرواية.

بعد أن حورت عقدتها الأساسية بمهارة ليتحول البطل الذي كان يحارب البازلاء وحده إلى فتاة في سن المراهقة شجاعة ولا تخلو من الشكوك، إنها تعاني من عزلة عاطفية تصيبها بحيرة قاتلة تتسبب في فناء عائلتها فمنذ وقت مبكر وقبل أن تبدأ حبوب البازلاء في مد أطرافها حول الأجساد النائمة، تعاني «مارتي» من مشاعر غريبة تجاه أسرتها، فهي تعاني من الضيق بأبيها، ومن القرف حيال زوجة أبيها، ومن الغيرة بسبب الاهتمام الشديد الذي يلقاه أخوها الصغير، وهي تغرق في أوهام المراهقة لتعتقد أن بذور أصولها الأولى جاءت من كوكب آخر، ولعل مشاعر الاضطهاد هي التي تؤدي بها في النهاية تحت ستار هدف نبيل هو إنقاذ البشرية، إلى أن تكون في حاجة إلى رؤية كل أفراد عائلتها وهم يقتلون. قام بإخراج الفيلم آبل فيريرا، وقد أجاد استخدام حيل الرعب الكلاسيكية، كما أجاد استخدام الممثلين العاملين معه خاصة الفتاة الصغيرة التي حاولت أن توصل إلينا رسالة الفيلم الأخيرة وهي أن نواجه الحياة بعيون مفتوحة وإلا سوف يسلمنا النوم إلى صرخات الفزع.□



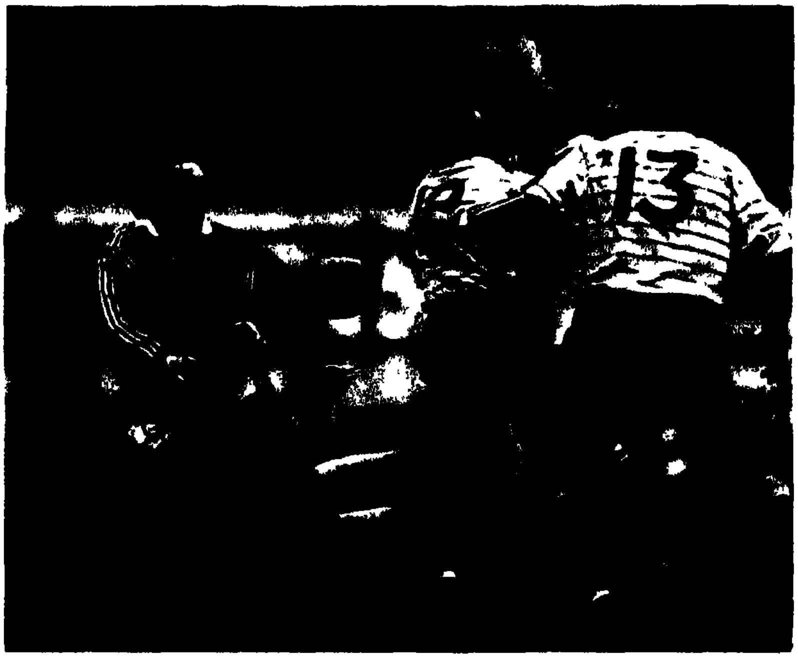




□ صور من الأفلام المأخوذة عن رواية الخيال العلمي «ابن سانيشير» منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن

ياضة
حرب الكرة البيضاوية

● كل كرات اللعب مستديرة إلا كرة لعبة الرجبي RUGBY، فهي كرة بيضاوية مصمتة ومكسوة بالجلد، ترسل بالقدم ويقطع طريقها بالأيادي ويلعبها فريقان في كل منهما ١٥ لاعبا، وكل فريق يحاول إرسال الكرة إلى ما وراء مرمى الفريق الآخر خلال المباراة التي يستمر كل شوط من شوطيها ٤٠ دقيقة، ويسمح خلالها بعرقلة اللاعبين بعضهم بعضا بالإمساك من الوسط وشد الملابس ودفعهم للسقوط أرضا إن لزم الأمر، لعبة عنيفة تشبه اللعبة الأمريكية المشهورة «البيسبول» وإن كانت الملابس الواقية في الرجبي أقل، ولقد أطلق البعض على هذه اللعبة أخيرا اسم «لعبة الباتريوت» نسبة إلى الصاروخ الأمريكي المضاد للصواريخ، ومباريات هذه اللعبة تشبه القتال، حتى أن مباريات «الأمم الأوربية الخمس» التي تدور رحاها الآن ــ تهيؤا لخوض بطولة العالم التي ستقام في جوهانسبرغ في العام القادم ١٩٠ ــ يطلق عليها «حرب الأمم الخمس»، وهي في حقيقتها حرب إنجليزية فرنسية، فالفرق الخمسة تضم أربعة فرق من المملكة المتحدة ـ التي ولدت فيها اللعبة عام ١٨٢٣ ـ هي: ويلز واسكتلندا وإيرلندا وإنجلترا، إضافة إلى فرنسا. ويعتبر الفريق الفرنسي هو الفريق الأفضل بين الفرق الخمسة، إذ إنه يضم في صفوفه الجناح المتقدم «لورين كابان» الذي يعتبر أفضل لاعبي الكرة البيضاوية في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وهو «يمتلك ساقي برغوث وعيون ثعلب» كما يصفه الناقد الرياضي «ديرك وايات»، كما أن الفريق الفرنسي يضم مهاجم الوسط «أوين هوبير» الذي يمتاز بسرعة التفكير وسرعة التقاط الكرة بيديه، وإضافة إلى كابان وهوبير، فإن الفريق الفرنسي يقوده اللاعب الشهير «فيليب سيلا» الذي تم تتويجه هذا العام كواحد من أعظم اللاعبين في تاريخ الكرة البيضاوية، ورغم أن عمره ٣١ عاما إلا أنه يأمل في قيادة فريقه خلال بطولة العالم القادمة، ويشتهر «سيلا» بأنه صاحب الذهن الصافي واللياقة الدائمة، وهو يرجع ذلك إلى أسلوب حياته الصحي ومداومته على التدريب، إضافة إلى موهبة استعادة الكرة بين يديه، اللتين يشبههما البعض بأنهما مغناطيس يجتذب الكرة دائما من بين أيدي المنافسين. وفي انتظار الفائز بمعارك الكرة البيضاوية، ومهما كانت شدة الحرب عليها، وسواء كانت حروب الكرة تدور حول هذه البيضاوية أو تلك المدورة، فلا شك أنها أهون الحروب، وأجملها.□



□ المهاجم الفرنسي «سيلا» في ساحة حروب الرجبي

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٤٢٦ مايو ١٩٩٤

جوائز المسابقة:

الجائزة الأولى	٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية	٣٠ دينار
الجائزة الثالثة	٢٠ ديناراً

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

١

المحيط الهادىء، والمحيط الهندي، والمحيط الأطلسي، والمحيط المتجمد.. هذه أسماء المحيطات التي أطلقتها عليها الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، والمحيطات المذكورة تغطي:

* نصف الكرة الشمالي.
* نصف الكرة الجنوبي.
* أجزاء مختلفة من الكرة الأرضية

٢

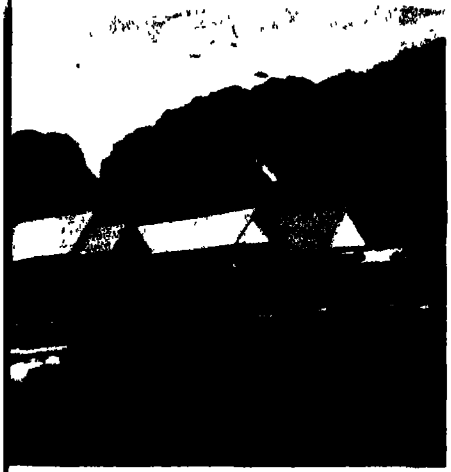
تختلف كمية الحرارة التي تتلقاها البحار والمحيطات، والسبب في ذلك يرجع إلى:

* تأثير سلاسل الجبال الساحلية.
* أن المحيطات في الأماكن الباردة أدفأ.
* البعد أو القرب من خط الاستواء.

٣

الأمواج العارمة Tidal Waves هي أمواج قوية تعبر المحيطات، وتكون سرعة انتشارها حوالي ٧٣٠ كم/ ساعة، تسحق كل شيء، ويصل ارتفاعها إلى عشرين أو ثلاثين متراً، وتنشأ بسبب:

* هزة أرضية، أو انفجار بركان تحت البحر.
* قوة الريح التي تدفعها إلى السواحل بعد أن تضرب سطح البحر.



□ مدينة على ساحل المحيط الهندي احد محيطات الد...



□ مدينة على ساحل المحيط الأطلسي.

٤

البحر الأحمر يختلف عرضه بين منطقة وأخرى، وأضيق جزء منه يوجد

كوبون مسابقة العربي العدد ٤٢٦

شروط:

الإجابة عن تسعة أسئلة من الأسئلة المنشورة، ترسل الإجابات على عنوان التالي: مجلة العربي (مسابقة العربي العدد ٤٢٦) وآخر موعد وصول الإجابات إلينا هو أول يونيو ١٩٩٤ م. والرجا كتابة الاسم ثلاثي والعنوان البريدي واضحين، ورقم الهاتف إن وجد.

ترسل الإجابات على العنوان التالي: العربي: ص.ب ٧٤٨ رمز بريدي 13008 الصفاة ــ الكويت

الشمال حيث ينقسم مكونا خليجي:

* عدن وجيبوتي.
* جدة وبورسودان.
* العقبة والسويس.

٥ خليج أمير المؤمنين، هو الاسم الذي أطلقه «عمرو بن العاص» على:

* الخليج العربي
* مضيق باب المندب
* قناة السويس

٦ بحيرة «بيكال» Baikal مساحتها ٣١٥٠٠كم٢، وأقصى عمقها ١٦٥٠م، وتعتبر أعمق البحيرات في العالم، وتقع في:

* أمريكا الجنوبية.
* سيبيريا.
* الولايات المتحدة الأميركية.

٧ البحر الأبيض المتوسط .. استمد اسمه «البحر المتوسط» من توسطه للقارات الثلاث المحيطة به، أما تسميته بالبحر الأبيض فهي تسمية أطلقها عليه العثمانيون، واستمدوها من:

* الأعشاب البيضاء الكثيفة في قاعه.
* بياض صخور شواطئه.
* لون مياهه الفاتحة مقارنة مع البحر الأحمر.

٨ من أهم حيوانات وأسماك البحر الأحمر: المرجان وسمك القرش وقنفذ البحر، والأخطبوط والجبار، وهي تعيش في البحر الأحمر لتميزه:

* بالعمق الشديد.
* بالحرارة والملوحة المرتفعتين.
* ببرودة مياهه الملائمة لهذه الأنواع.

٩ بعض البحيرات تسمى علميا «بحيرات الفوهات البركانية»، وهي ناشئة عن:

* تجمع مياه المطر في فوهات براكين خامدة.
* بحيرات مائية تحتها براكين لم تنفجر بعد.
* منطقة مائية نشأت بعد انفجار بركاني.

١٠ ثمة بحر يدعى «بحيرة لوط» وهو أخفض كتلة مائية على ظهر الأرض، شديد الملوحة، مياهه كثيفة، واسمه الشائع هو:

* البحر الأسود.
* بحر الخزر.
* البحر الميت. □



مسابقة العربي الثقافية

حل مسابقة العدد ٤٢٤ مارس ١٩٩٤

١ أدخل الروماں عند غروهم لبلاد الغال لعبة كرة تلعب بالقدم، وكانت الكرة في هذه اللعبة مصنوعة من مثانة بقرة محشوة بالتراب.

٢ كانت لعبة الكالشيو الفلورسية تتكون من فريقين يتنافس كل منهما في ركل كرة منفوخة بالهواء بهدف إيصالها إلى معسكر الفريق الآخر، وكان كل فريق يتكون من سبعة وعشرين لاعبا، خمسة عشر منهم في الأمام، ولم يكن هناك حارس للمرمى.

٣ بعد وضع القوانين العامة للعبة كرة القدم في لندن عام ١٨٦٣، حصل فريق «واندرر» على أول كأس لكرة القدم في بريطانيا بعد ذلك بتسع سنوات، ثم بدأت مباريات المحترفين عام ١٨٨٥، بين الأندية بالخارج خاصة في الموانىء مثل الهافر وجنوا التي كانت أولى المدن الكروية.

٤ سميت أول دورة لكأس العالم في كرة القدم بدورة كأس «جول ريميه» تكريما للمدير الفرنسي للاتحاد الدولي للعبة، وقد مثلت أوربا في تلك الدورة فرنسا ويوغسلافيا وبلجيكا ورومانيا. دون أن تحتاج إلى مباريات تأهيلية نظرا لقلة عددها.

٥ كانت أول كأس لمسابقة كأس العالم عبارة عن تمثال من الذهب الخالص طوله ٣٠ سنتيمترا، وقد بدأت المباريات في استاد سنتناريو الذي يتسع لثمانين ألف متفرج في الوقت نفسه الذي كانت أوروجواي تحتفل فيه بالعيد المئوي لاستقلالها.

٦ غمرت جماهير الأوروجواي فرحة عارمة إذ فاز فريقهم بأول كأس للعالم متغلبا على فريق الأرجنتين بأربعة أهداف لهدفين.

٧ جرت المباراة النهائية في مسابقة كأس العالم الثانية بروما بين تشيكوسلوفاكيا وإيطاليا حيث احتدمت المنافسة التي انتهت





بتسجيل كل منهما لهدف واحد مما اقتضى لعب وقت إضافي توج بعوز إيطاليا وسط مظاهر فرح بالغ يقارب الهوس.

٨ تمكن السويسريون بانطلاقة جنونية من إحباط ألمانيا في دور الأربعة وتمكن الإيطاليون والمجريون من لعب المباراة النهائية التي فاز بها الإيطاليون بفريق من اللاعبين الأفذاذ الذين كان القدر يخبىء لهم نهاية مأساوية في كارثة جوية راحوا ضحيتها بعد بضع سنوات

٩ كان البرازيليون واثقين من الفوز بكأس العالم الرابعة، لكن الأوروجواي أحبطتهم بعد أن كانوا قد رتبوا لكل شيء من خطاب محافظ المدينة، إلى مكان فرق الموسيقى العسكرية، وباتت ريو البرازيلية هذا اليوم في كمد عظيم.

١٠ كان فريق المجر الذي يضم سحرة الكرة المجرية بوشكاش وهيدجوتي وشيبور هو نجم مسابقة كأس العالم الخامسة الذي حظي بتشجيع عشرات الألوف من المجريين الذين عبروا لأجله نهر الراين، وخاب أملهم إذ إن الألمان سجلوا هدف الفوز في الوقت الإضافي بعد انتهاء الوقت الأصلي بالتعادل. □

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٢٤ مارس ١٩٩٤

الفائز الأول: ريهام رأفت صلاح - المنيا/ مصر.

الفائز الثاني: أحمد بن رجب الزهراني - الباحة/ السعودية.

الفائز الثالث: نزيه إبراهيم العيتاوي - بيروت/ لبنان.

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - السيد مرتضى السيد حسين - الدراز - البحرين.

٢ - عبدالله نايف نعمة - دمشق/ سوريا.

٣ - ليلى سلامة - أنقرة - تركيا

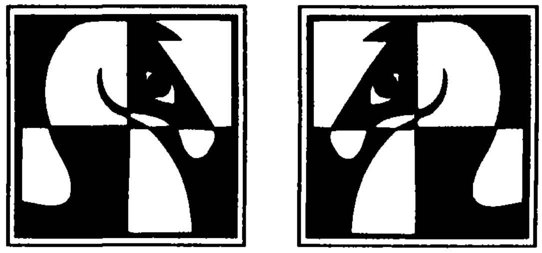
٤ - صبيحة محمد تايه - أبوظبي/ دولة الإمارات.

٥ - إيهاب النمسي - الجمهورية التونسية.

٦ - خالد نجيب إبراهيم - الكويت.

٧ - الفتوح رشيد - تطوان/ المغرب.

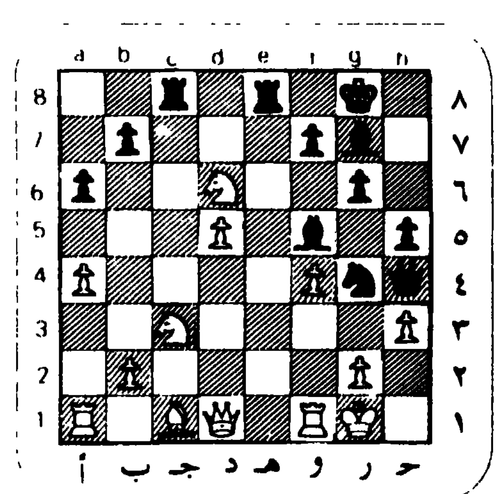
٨ - لؤي فتوحي - إنجلترا



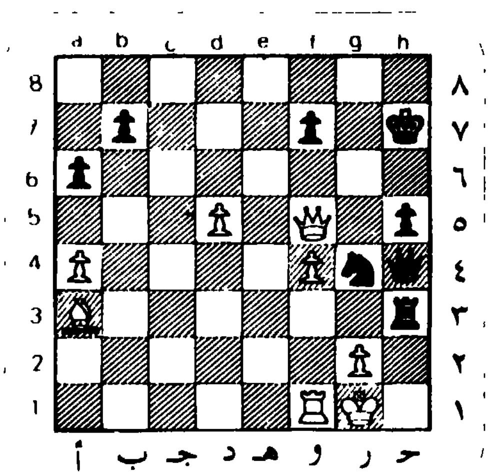
معركة بلا سلاح

استضافت العاصمة الأردنية في شهر ديسمبر من العام الماضي بطولة الوطن العربي العاشرة للرجال، وقد اشترك فيها أبطال من اثني عشر بلدا عربيا، هي: المغرب، سوريا، الجزائر، مصر، اليمن، تونس، لبنان، قطر، السودان، فلسطين، الإمارات والأردن.. وقد مثل كلا من هذه البلاد لاعب واحد عدا البلد المضيف الذي مثله لاعبان حسب لوائح الاتحاد العربي للشطرنج هما مروان العابودي ووائل علان، وقد رأس لجنة التحكيم في المباراة الحكم الدولي القدير السيد صالح أبازيد رئيس اتحاد الشطرنج السوري.

وقد فاز اللاعب المغربي هشام الحمدوشي ببطولة الوطن العربي للرجال برصيد «٥ر١٠ نقطة»، وجاء اللاعب الجزائري كمال سبيح بالمركز الثاني «برصيد ٩ نقاط»، واللاعب السوري عماد حقي بالمركز الثالث «٩ نقاط»، واللاعب المصري سيد بركات بالمركز الرابع «٩ نقط»، واللاعب اليمني حاتم الحضرابي بالمركز الخامس «٥ر٨ نقطة»، وقد حفلت هذه البطولة بالأدوار المشوقة ذات المستوى الرفيع نقتطف منها الدور التالي بين



(الشكل ١)



(الشكل ٢)

الأستاذ الدولي التونسي مجدي الكعبي «٢٣١٥ نقطة» والأستاذ الدولي السوري عماد حقي «٢٣٢٠ نقطة».

■ مجدي الكعبي	□ عماد حقي
١. د ٤	حص ـ و ٦
٢. جـ ٤	هـ ٦
٣. حص ـ و ٣	جـ ٥
٤. د ٥	هـ × د ٥
٥. جـ × د ٥	د ٦
٦. حص ـ جـ ٣	ز ٦
٧. حص ـ د ٢	حص «ب» ـ د ٧
٨. هـ ٤	فل ـ ز ٧
٩. فل ـ هـ ٢	ت
١٠. ت	ر ـ هـ ٨
١١. أ ٤	أ ٦
١٢. و ٤	جـ ٤ !

تضحية مؤقتة بالبيدق للسيطرة على الوسط وأخذ هـ

بالحصان.

١. م ـ ح ١ حص ـ جـ ٥

١. فل ـ و ٣ ح ٥

١. هـ ٥ حص ـ ز ٤

١. حص × جـ ٤ د × هـ ٥

١٠. ح ٣ هـ ٤

لحصان لا يؤخذ بسبب ١٨ ...... و ـ ح ٤+ يليها ١٩ .... ح×ز٤ أو فل×ز٤ بغية تقديم البيدق بعدها إلى ز٣ والتهديد بالتمويت في ح٢

١٨. فل ـ هـ ٢ حص ـ د ٣

١٩. فل × د ٣ هـ × د ٣

٢٠. و × د ٣ و ـ ح ٤

٢١. م ـ ز ١ فل ـ و ٥

٢٢. و ـ د ١ ر «أ» ـ جـ ٨

٢٣. حص ـ د ٦ «انظر الشكل ١»

٢٣. ....

٢٤. ب × جـ ٣ فل × جـ ٣

٢٥ ر ـ أ ٣ ر × جـ ٣

٢٥. .... اضطرارية وإلا مات في ثلاث نقلات

٢٦. حص × و ٥ ر × أ ٣

٢٧. فل × أ ٣ ز × و ٥

٢٨. و ـ جـ ١ ر ـ هـ ٣

٢٩. و ـ جـ ٨ + ر × ح ٣

٣٠. و × و ٥ + م ـ ح ٧ مضطرا

٣١. و ـ جـ ٨ + م ـ ز ٨

٣٢. و ـ و ٥ + م ـ ح ٧

٣٣. و ـ جـ ٨ + م ـ ز ٨

٣٤. و ـ و ٥ + م ـ ح ٧

وينتهي الدور بالتعادل بسبب الكش المستمر «انظر الشكل ٢». □

حل مسابقة العدد ٤٢٥ أبريل ١٩٩٤م

١. و ـ ز ٨ + م × ز٨

٢. حص ـ هـ ٧ + م ـ ح٨

٣. حص ـ و٧ + ر × و٧

٤. ر × جـ ٨ «مات»

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد ٤٢٤ ـ مارس ١٩٩٤م

الفائزون باشتراك سنة كاملة:

١ ـ محمد الأسعد بن سعيد ـ صور/ عُمان.

٢ ـ حامد حزار أحمد ـ أسمرا/ إريتريا.

٣ ـ مصطفى عبدالجواد سليمان ـ أسيوط/ مصر.

٤ ـ محمد سالم ولد أحمد ـ نواديبوا/ موريتانيا.

٥ ـ محسن أحمد العمودي ـ حضرموت/ اليمن.

الفائزون باشتراك ستة أشهر:

١ ـ مهند مندو ـ حمص/ سوريا.

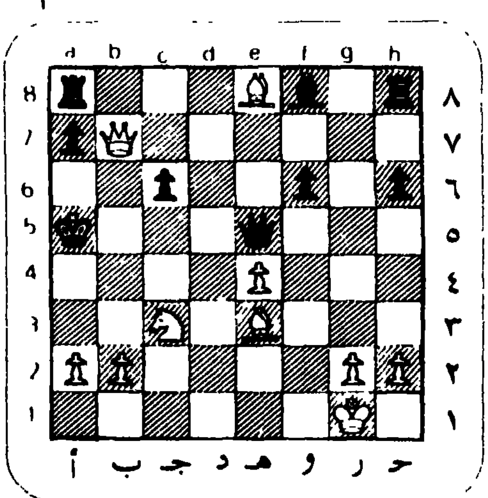
٢ ـ لقمان سلمى ـ سطات/ المغرب.

٣ ـ أحمد بن راشد البادي ـ مسقط/ عُمان.

٤ ـ عبدالحميد قمري ـ حلب / سوريا.

٥ ـ محمد مجدي والي ـ القاهرة/ مصر.

مسألة العدد ٤٢٦ ـ مايو ١٩٩٤م



مات ٣

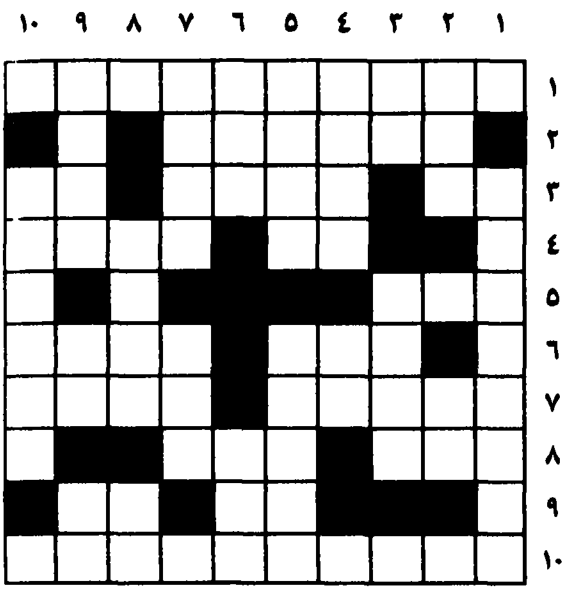
من إهداء القارئة

أسمهان معوض

(الزقازيق ـ جمهورية مصر العربية)

يهـدف هـذا اللغـز إلى تسـليتك وإمتـاعـك بالإضـافة إلـى إثـرا
معلومـاتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحـ
الجـاد المتمـر في المعـاجم والموسـوعـات وغيـرها مـن المراجـ
المهمة والمطلـوب منـك الإجـابة عـن أسـئلة هـذا اللـغـ
ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

الكلمات المتقاطعة



كلمـات أفقيـة:

١ - خامس خلفاء بني العباس بلغ سلطانهم الأوج في عهده.
٢ - ثالث الخلفاء العباسيين ووالد هارون الرشيد.
٣ - والدة، تجدها في الآية «أهلكت مالا لبدا»، إجابة بالنفي.
٤ - «الهلال» ظهر، أرض زراعية في صيغة الجمع.
٥ - غير ظاهر.
٦ - أهل الـرجل أو جيرته، أحـد البرامكة المقـربين للرشيد.
٧ - زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين، يدركه الهرم.
٨ - سر بالأمر وقبل به، أرض عظيمة الارتفاع.
٩ - محبة، حرفان متشابهان.
١٠ - إمبراطـور بيـزنطي نقض عهـده مع المسلمين وأجبره هارون على دفع الجزية.

كلمـات عمودية:

١ - جارية بـربرية زوجة الخليفـة المهدي وأم هارون الرشيد.
٢ - أراد الشيء ورغب بـه، رقيق الجلـد نـاعمـه في سمن.
٣ - لو «معكـوسة»، من كبـار البرامكة، كـان وزيرا لهارون الرشيد.
٤ - حشرة صغيرة نشيطة في جمع الغذاء، جذب.
٥ - شخص فاقـد العقل والتمييز، مكان تركـه أهله وهجروه.
٦ - خصومة، ظهر.
٧ - جمع ريح، أهل زمان واحد.
٨ - حصن، عكس نعم.
٩ - يجرب، هرب، أداة تستخدم في التمني.
١٠ - أسرة فـارسيـة تقلـدت الـوزارة في عهـ العباسيين تعرف أيضا بالبرامكة. □

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	م	ن	ظ	م	ة	ا	ل	ص	ح	ة
٢	ن	ص	ا	ب		ل	ب	ا	ب	
٣	ظ		ك	ي	ف	ا		ح	ش	ا
٤	م		ر	ن	ي	ن		ب	ي	ل
٥	ة	م		ه	ا	ت		ة		ي
٦	ا	د	م		ف	ر	م		ل	و
٧	ل	ا	ح		ي	ب	ع	ث	و	ن
٨	ع	ر	ي	ن		و	ا		م	س
٩	م		ر	ك	ك	ل	ل	ر		ك
١٠	ل	ا	ه	ث	ة		ي	ع	د	و

حل مسابقة العدد ٤٢٥
أبريل ١٩٩٤

■ من المكتبة العربية ■

الإبداع القصصي عند يوسف إدريس



تأليف: ب.م. كربرشويك
ترجمة: رفعت سلام
عرض: الدكتورة سعاد عبدالوهاب*

على الرغم من آن هذا الكتاب نشر باللغة لإنجليزية منذ اتني عشر عاما (١٩٨١م) ولم ـطلع عليه مترجما منشورا إلا العام الماضي ١٩٩٣م) فإنه لم يفقد أهميته، وجدته، كأنما ـب حديثاً جداً.

إن المعلومات التي يحويها الكتاب تتجاوز «قراءة» قصص يوسف إدريس قراءة دقيقة واعية، بعد التسلح بالمنهج النقدي الذي يعين على التحليل والاستنتاج والتذوق، إلى ظروف حياته، وأسس ثقافته، وعقيدته الفكرية والسياسية، وموقعه الاجتماعي، وتطلعاته، وهي أمور يحتاجها الباحث في الأدب القصصي بصفة خاصة، ولكن، ليس لكي يفسر بها التجارب القصصية (على الأقل من الناحية الموضوعية) وإن كان هذا الأمر له أهميته أيضاً، وإنما لكي نكتشف

ـدرسة بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت.

من المكتبة العربية

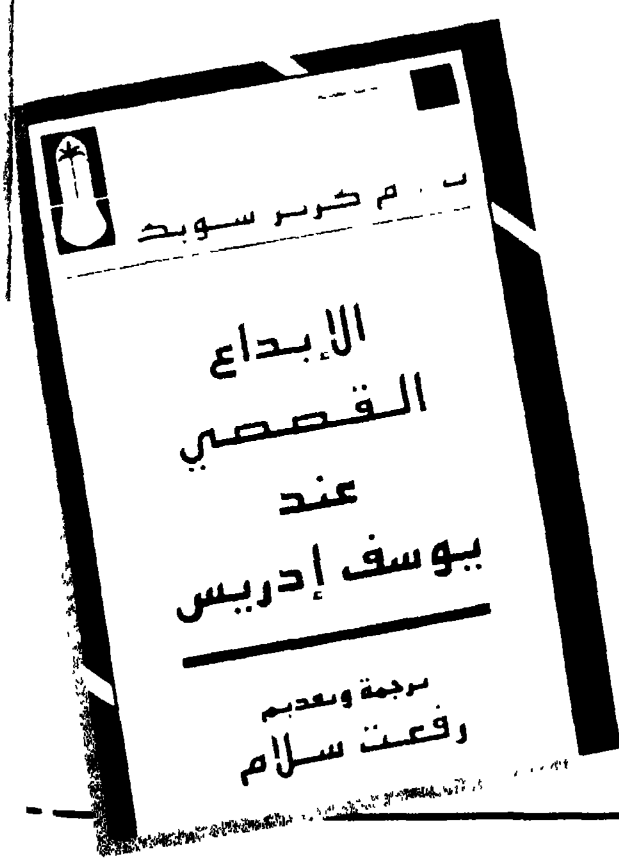
الصلة الإيجابية أو السلبية بين ما يعيشه هذا الأديب (أو أي أديب) وما يتحول من حياته العملية، المعيشة، إلى فن، وندرك أيضاً مدى التغيير أو الاختلاف بين الواقع المباشر، والواقع الفني، وكيف اكتسب هذا الأخير شكله، وسماته، وموضوعيته التي يستقل بها، حتى عن صاحبه.

إن معلومات المؤلف ـ كربرشويك ـ تتجاوز هاتين الدائرتين (قراءة ما صنع إدريس من قصص، والتعرف على تفصيلات حياته الثقافية العامة) إلى الدائرة الأوسع، وهي المعرفة بنشأة فن القصة العربية (القصيرة بصفة خاصة) منذ بدايتها على أيدي مؤسسي جماعة الفجر: أحمد خيري سعيد، ومحمود طاهر لاشين، واستمرارها وتطورها على يد محمود تيمور (وأخيه محمد تيمور الذي سبقه إلى الإبداع ولكن الموت عاجله في شرخ شبابه) والأخوين: عيسى عبيد، وشحاته عبيد. وهكذا استطاع كربرشويك بهذه الدراية الواسعة أن يضع من يوسف إدريس القصصي في موقعه (من الذروة لأنه شديد الإعجاب بكثير مما كتب أديبنا وإن لم ينج من لومه أحيانا) بل أن يجعله الصورة المتجاوزة ــ وليس المتطورة فقط ـ في سياق ظاهرة القصة القصيرة العربية، في مختلف الأقطار.

واسطة العقد

وكما يمكن أن ترجع أهمية هذا الكتاب: «الإبداع القصصي عند يوسف إدريس» إلى «حجم المعرفة» و «دقة التحليل» عند مؤلفه، فإنها ترجع أيضاً، وربما أولاً، إلى الموضوع نفسه، فيوسف إدريس ليس «حبة» في عقد القصة القصيرة العربية، إنه واسطة العقد، إن صح التشبيه. وهو يختلف عن نجيب محفوظ الذي وجه موهبته، أو توجهت موهبته إلى الرواية، في حين أن روايات يوسف إدريس، لم تحقق التفوق الفني الذي شقت قصصه القصيرة طريقها إليه منذ تجاربه الأولى. لقد نشر أول قصة له، وهي بعنوان «أنشودة الغرباء» في مارس ١٩٥٠م ولم يتجاوز نتاجه في تلك السنة ذاتها خمس قصص (انظر البيبليوجرافيا الشاملة الملحقة بالكتاب، وهي وحدها دليل حاسم على ما بذل في دراسته من جهد علمي منظم) ولزم الصمت في العام التالي، إذ اعتقل لأسباب سياسية، ثم عاود الكتابة بعد ثورة ١٩٥٢م، فكانت قصة «٥ ساعات» ـ التي نشرت بمجلة التحرير (أكتوبر ١٩٥٢م) أول مساهمة له في ظل الوضع الجديد، وكان موضوع القصة يندد بالماضي القريب، إذ تصور مصرع الضابط عبدالقادر طه على زبانية الملك فاروق، وكان هذا الضابط «يسارياً»، كما ك يوسف إدريس. في عام ١٩٥٤م ظهرت مجموعة الكاتـ الأولى: «أرخص ليالي» التي لفتت الأنظار، وأخذ يوسف إدريس مكانته العالية مبكرا، ولم يتهاون الدفاع عن فنه، بحيث يؤكد للمعجبين به، المعارضـ لبعض صنيعه، أنه يعرف ما يعمل، ويصر عليه. فقد لامه الدكتور طه حسين على عنوان المجموعة، وأنه ينبغي أن يكون حسب ما تملي قواعد النحو: «أرخص ليال» ولكن إدريس رفض هذا المنحى في التعبير، وقال إنه ملتزم بقواعد الحياة، وهي عنده مقدمة على قواعد النحو!!.

على أن رأي يوسف إدريس في نجيب محفوظ مهم جداً، والأهمية هنا مزدوجة، فنحن نعرف رأي كاتب كبير في كاتب كبير آخر، بالمعنى الفني وليس الأخلاقي أو العملي، منافس له، يهدد مكانته بشكل أو بآخر، ومن ناحية ثانية نزداد معرفة بفوارق الصنعة الدقيقة بين مبدع متفوق، ومبدع آخر مثله، تلك الفوارق التي قد يجد النقد صعوبة في الاهتداء إليها. يرى يوسف إدريس أن نجيب محفوظ ليس من أصحاب الرؤية الموهوبين، إنه صاحب مجهود بدني يضعه بين الحرفيين، وهذا الوصف القاسي جاء تعليقاً على ثلاثية نجيب محفوظ المتميزة، التي



من المكتبــة العــربيــة

...تبرت ركيزة إبداعاته، واستحقاقه لجائزة نوبل في ...داب فيها بعد، لم يكن التعليق بمناسبة الجائزة، وإلا ...بادرته تهمة الضغينة، لقد قاله عام ١٩٥٩م (انظر ص ٧ من الكتاب) وفيه يصف نجيب محفوظ، أو فنه، بأنه ...ع القمة ولكنه «يتحمل هذه المشاق ليصف الأحداث تفصيلياً، ويقدم وصفاً دقيق التفصيل للشخصيات والأشياء، إلى حد أن يغامر بإفساد قيمة العمل. إن الفن قائم على الاختيار، لا على التسجيل، وقيمة العمل الفني تستمد من التأثير الذي يمارسه على القارىء، لا من دقة وصفه وتسجيله». وهنا لنا ملاحظتان، إذ إن كربرشويك أورد هذا الاقتباس دون تعليق تقريباً ــ وقد أشرنا إلى موقعه في الكتاب ــ فإنه يتضمن قدراً من التناقض أولاً، ويستند إلى اعتزاز يوسف إدريس بمجال تفوقه ــ وهو القصة القصيرة ــ في مقابل تفوق نجيب محفوظ في الرواية، ثانياً. أما التناقض فيبدو في تجريده للدقة والتفصيل والتسجيل من عنصر التأثير على القارىء، فهذه الأمور: الدقة والتفصيل والتسجيل، ليست محايدة تماماً، إنها «وجهة نظر»، حتى الكاميرا في يد المصور ليست محايدة تماماً، إنها تلتقط ما يشاء لها حاملها، لكي تمارس تأثيراً معيناً على من يشاهد الصورة. وليس يصح أن يقال بصدد التعليق على أسلوب نجيب محفوظ: إن الفن قائم على الاختيار، لسبب واضح تماما، وهو أن نجيب محفوظ صاحب مقدرة على «تصميم» العمل، وانتقاء مفرداته، فهذا الاختيار الحاذق هو موهبته الأولى في تركيب، أو تشكيل رواياته.

مؤشرات النشاط التأليفي

أما اعتزاز يوسف إدريس بالقصة القصيرة فإن مؤشرات نشاطه التأليفي تدل عليه: عشر مجموعات قصص قصيرة: أرخص ليالي ـ جمهورية فرحات ـ البطل ـ أليس كذلك ـ حادثة شرف ـ آخر الدنيا ـ العسكري الأسود ـ لغة الآي آي ـ النداهة ـ بيت من لحم. وخمس روايات: قصة حب ـ الحرام ـ العيب ـ رجال وثيران ـ ...بيضاء. وست مسرحيات: ملك القطن ـ اللحظة الحرجة ...الفرافير ـ المهزلة الأرضية ـ المخططين ـ الجنس الثالث.

بصرف النظر أولاً عن الأعمال التي حولها هو من ...شكل القصصي إلى المسرحي (كما في جمهورية فرحات) اعتبرت قصة طويلة، فغادرت مدى القصة القصيرة، تدخل في نطاق الرواية (مثل: قصة حب) بل بصرف ...ظر عن الأهمية التي يمكن أن يضيفها الجانب الكمي على الشعور بقوة الكاتب أو اتجاه اهتمامه، فإن يوسف إدريس حين توقف عن كتابة القصص القصيرة (قبل خمسة عشر عاماً من رحيله تقريباً) انتقل إلى كتابة المقالة الصحفية، إذ رأى أنه في عالم عبثي مشوش لم تعد القصة فيه قادرة على توصيل رسالته إلى القارىء، فاتجه عمداً إلى فن المقالة الصحفية، مقتنعاً بأنه الاستجابة الملائمة للمرحلة. وهنا نتذكر ما كتبه الدكتور شكري عياد عن القصة القصيرة في مصر، إذ يرى أنها ــ وهذا يصدق على القصة القصيرة العربية عامة ـ تنبثق من فن المقالة، وأن المقالة القصصية كانت، ولا تزال تعيش بيننا، مما يعني ـ فيما يتعلق بفن يوسف إدريس ــ أن انتقاله من القصة القصيرة إلى المقالة (القصصية) الصحفية، هو حركة في داخل المجال، لم تبعده كثيراً عن بدايته.

إن يوسف إدريس حين يصف أكثر الأشكال الأدبية إيجازاً ــ القصة القصيرة ــ يشبهها بالقنبلة الذرية، في صغرها وفاعليتها، ومع ذلك ـ كما يقول: «فهذه القنبلة يمكن ــ فقط ــ تصنيعها على أيدي أناس ذوي موهبة خاصة». ويستمر أو يتسع هذا الإحساس بتميز الشكل، إلى الإحساس بأهمية الأديب المبدع، فدوره في المجتمع أساسي، والتزامه الحق ــ كما يراه ــ بتغيير عقلية الناس، حتى إنه يطلق عليه «نبي عصرنا» (ص ٧٢، ٧٣) وإذا كان هذا مدى إيمان إدريس برسالة الأدب، ومكانة الأديب، وإذا كان إلى هذا المدى انحيازه للقصة القصيرة، فإنه من واجبنا أن نتمعن في جوانبها، كما أبدعها، عبر كتاب: ب. م. كربرشويك عن يوسف إدريس وإبداعه القصصي، وقد عبر إدريس عن إيمانه بأن جوهر صنيعه في القصة المصرية القصيرة أن يحررها من أي تأثير ثقافي غربي، ولهذا فقد تمرد عامداً على وصف قصصه بأنها ذات طبيعة تشيكوفية، أو أنه «تشيكوف» العرب، فقد وجه اهتمامه إلى خصوصية التعبير، واهتم كذلك بالتطور النفسي للشخصيات، وخلصها من تلك السكونية «التشيكوفية» التي نجدها في قصصه الأولى مثل: «مارش الغروب»، وهي تختلف عن قصة مثل «أبو الهول» أو مثل: «ليلة صيف» التي صورت التحولات الداخلية في الشخصية أو الشخصيات. (ص ١٥٢، ١٥٣) وفي رأي يوسف إدريس أن القصة القصيرة تكتسب مصريتها من صياغتها وكأنها «نكتة»، وهي الفن الذي أولع به المصريون، وقد لاحظ يوسف إدريس أن شعبية النكتة ـ فيما يرى ـ ترجع إلى ميل مواطنيه إلى الإيجاز فالنكتة مختصرة، مركزة، ومعبرة دائما، وعندما يتم إطلاقها تثير ضجة كبرى في المجتمع. «إن النكتة قصة بالغة القصر، ولكنها أيضاً قصة مفعمة بالحيوية، وخاطفة. فالشعب

من المكتبة العربية

(المصري) يتنابه الملل بسرعة، ويجب أن تكون الأشياء حلوة وموجزة، فأعتقد أنه من الطبيعي - بالنسبة لي - أن أكتب قصصاً قصيرة» (ص ١٤٥). وهنا، قبل أن نعود إلى محتوى الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه إلى القارىء، يمكن أن نستخلص أركان التصور الخاص للقصة القصيرة عند يوسف إدريس، إنها أولاً نوع من الكشف، الذي ينبغي أن يحدث أثراً قوياً «تحولاً» في رؤية القراء، وهي ثانياً شديدة التركيز والحلاوة، ومع عمومية هذا الوصف (الحلاوة) فإنه لن يخرج عن السلاسة، والواقعية التلقائية، والاهتمام بالتشويق، وأخيراً فإنها تكون بلغة الحياة، وليس بلغة قواعد النحو. وهذه أسباب «مصرية» قصص هذا الكاتب، ولعلها كذلك بالفعل كما تصورها، لكنها تضع الكاتب القصصي خارج مصر أمام اختيار صعب، لأنها توجب عليه أن يكتشف لنفسه الشكل والأسلوب واللغة التي تكون قصصه بها صحيحة الانتماء إلى موطنها، كما هي ملك حقيقي لكاتبها!!.



□ نجيب محفوظ

يتكون الكتاب من أربعة فصول، وببليوجرافيا شاملة لكل ما كتب يوسف إدريس من قصص، وما كتب من مقالات، وما أجري معه من مقابلات كما أشارت قائمة المراجع إلى كل ما كتب عنه، مما يتصل بموضوع الدراسة، وبذلك اكتملت ٣٢٦ صفحة مزدحمة بالمعلومات والآراء ونقض الآراء.

اعتبر الفصل الأول مقدمة هدفت إلى رسم الإطار العام للفن القصصي في مصر، قبل يوسف إدريس، وأهم القضايا المثارة حوله. ويمكن حصر هذه القضايا في أمرين هما الأكثر أهمية: إذا كانت القصة القصيرة شكلاً مستورداً عن طريق تشيكوف (الروسي) أو موباسان (الفرنسي) فكيف نعطيها لونها المحلي الذي يجعل قصتنا نحن المعبّرة عنا؟ وما اللغة المناسبة لكتابة القصة؟ هل هي العامية أو الفصحى؟ إن مؤلف الكتاب - وليس يوسف إدريس - أعطى القضية الثانية اهتماماً أكبر، وراح يبحث في جذورها ومواقف الكتاب والنقاد والمفكرين منها، منذ بزوغ فن القصة القصيرة، وحتى يوسف إدريس، ورصده يتسم بالتدقيق الشديد الذي يكشف عن أمرين لا نعتقد أنهما كانا واضحين أولهما محاولة تجنب عدد من الأدباء والنقاد لإثار موضوع اللغة، حتى لا يصطدم بالعامل الفوقي، الذي يربط بين اللغة العربية الفصيحة، والدعوة القوميه باعتبارها اللغة الواحدة التي تجمع أمة العرب. والثاني أن المفكر التقدمي - كما ينعته المؤلف - الأستاذ سلامه موسى المعروف بحماسته للعامية وتحامله الشديد على العربية الفصيحة، قد تراجع - في مرحلة متأخرة من حياته - عن حماسته، وتحامله، وإن لم يتراجع عن اعتبار العربية الفصيحة ذات وقع غريب «ولكننا يمكن أن نقدم هذه التضحية من أجل توحيد الشعب العربي.. فهذه الحكومة (الموحدة) تستدعي التضحية باللهجات، وبجانب من التراث الشعبي المحلي» (ص ١٦٢ وانظر المرجع في الهامش الخاص). لعل المؤلف في تقديمه الاهتمام باللهجة على عنايته برصد ملامح «المصرية» كان ينطلق من اعتبار اللهجة - في ذاتها - أهم علامات التميز المكاني للقصة القصيرة. على أنه ادخر الاهتمام بالملامح المصرية إلى حين الحديث عن فن تشكيل القصة عند إدريس، فكأن كربرشويك غير مقتنع - بما فيه الكفاية - برسوخ هذه الملامح أو تميزها قبل يوسف إدريس، وهو مالا نوافقه عليه، فلا شك أن محمود تيمور، ومن بعده يحيى حقي قد وضعا الزوايا الأساسية في هذا الاتجاه، وأن يوسف إدريس لم يبدأ من فراغ، ولم يكن يقدم اختراعاً غير مسبوق، لقد كانت «المصرية» شعاراً أدبياً قومياً معلناً عند أدباء أعقاب ثورة ١٩١٩، مع التوقف عن الحكم على مدى توفيقهم «الفني» في تنفيذ هذا الشعار على المستوى القصصي. ويأتي الفصل الثاني تحت عنوان «سيرة حياة»، وهذا الفصل ليس وصفا للمولد، والنشأة، والثقافة وغير ذلك، مما نعهد في الدراسات التقليدية، لقد غطى هذه الجوانب بتركيز واضح، ليفرغ للمساحة المتفاعلة بين الحياة الشخصية، والحياة الأدبية كيف أثّر المعتقد السياسي (إذ كان يوسف إدريس وه

من المكتبة العربية

...لب بالطب ضمن حزب حدتو الماركسي السري، ...تقل بهذه الصفة ثم أفرج عنه) في فكره، ثم كيف ...س عملياً في قصصه؟! وأيضاً إلى أي مدى أثرت ...سة الطب في فن يوسف إدريس القصصي؟ ويرى ...ف أنه مدين بالكثير، كإنسان وكاتب للطب، «وأية ...رة عابرة إلى الكثير من أعماله الأدبية تكشف إلى أي مدى هو مدين لمهنته فيما يتعلق بموضوع البحث، فعالم الأطباء والمرضى والمستشفيات والأمراض يبرز بشكل واضح في العديد من قصصه» (ص ٥١) وفي أماكن مختلفة من هذا الكتاب يشير المؤلف إلى إفادة إدريس من قوانين العلم عامة، ومن خبرته الطبية بصفة خاصة، حين يحلل قصصه، مثل القصص: على أسيوط ـ الأورطي ـ العملية الكبرى ـ شيخوخة بلا جنون ـ أبو الهول ـ خمس ساعات، وهذه القصص تختلف في موضوعاتها، كما تختلف في أساليب أدائها، حسب المرحلة التي كتبت فيها، وقدرة الكاتب على تطوير طريقته أو أسلوبه، لكنها ترتكز دائماً على خبرته الخاصة المستمدة من دراسة الطب.

مرحلة الواقعية

أما الفصل الثالث فهو عن المرحلة الواقعية، وأهم الملامح الفكرية، في مقدمتها الاهتمام الجارف بالسياسة، ووضوح موقفه المعارض للغرب بكل ما يمثله، وما يقابل هذا من اهتمام واضح بعالم القرية، والدعوة بلا كلل للأفكار الاشتراكية، وما يتعلق بها من انضواء تحت لواء عبدالناصر، وتجسيد آمال الشعب فيه، لقد استلزم هذا أن يهتم بالإنسان العادي ـ كنموذج ـ وأن يهتم أيضاً بأن يكون شكل القصة القصيرة مقارباً لشكل الحكاية الشعبية، بحيث كان يتقمص هو أسلوب الرواة الشعبيين (ص ١١٧) فإذا امتد الاهتمام إلى «المدينة» فإنها تظهر في علاقة «مواجهة» مع القرية، وتكون المدينة هي ذلك الوحش الخرافي «النداهة» (ص ١٢٨) الذي يلتهم أهل القرى ويبعثر أحلامهم. مع هذا لم تكن نظرته إلى القرية تمجيدية، تسبغ عليها المكارم والقدرات، إنها تبدو جامدة، مهزومة، غير قادرة على التعامل مع العصر، ...نها، مع هذا، ضحية المدينة، كما أنها ضحية عدم المرونة ...أهلها. وينقسم الفصل الرابع، تحت عنوان: «المرحلة ...يرة» إلى قسمين أو جزأين: الأول بعنوان: «الرسالة» ...ي تحديد الأهداف، أو المضامين التي اهتم بها يوسف ...س، وشغلته في قصصه. أما الجزء الثاني فعن «الموضوع والتكنيك»، ومن المتوقع أن يكون أهم أجزاء الدراسة باعتباره أقرب إلى البحث في جماليات الشكل، أو مكوّنات الشكل بصفة عامة.

عن «الرسالة» يتقدم الاهتمام بالواقع، ذلك الاهتمام الذي لا يداري العيوب، ولا يجملها، وكأنه يعيد عبارة محمود تيمور، داعية الواقعية الأول، الذي كان يردد ما سبق إليه «زولا» فيلسوف الطبيعة الفرنسية وأديبها: «نظفوا بيوتكم، وسأنظف قلمي بعد ذلك». غير أن الباحث يلاحظ (ص ١٨١) أنه منذ أوائل الستينيات بدأ التصوير الواقعي يتراجع، وتتراجع معه بساطة التركيب الفني للقصة، لتظهر نمطاً أكثر تعقيداً، وتدريجياً ـ كما يقول كربرشويك ـ أصبحت المواقف والشخصيات أكثر عمومية وشمولية، إلى أن قارب نثره تجريد الشعر المطلق. وكذلك تأكد الحرص على الغرابة، كما في قصص: «الشيخ شيخة» و «طبلية من السماء» و «شيخوخة بلا جنون»، كما كان الحرص على الأخلاق الاجتماعية في صميم هذه الرسالة التي تبناها إدريس في قصصه، منذ بدايته، وحتى آخر ما كتب، وقد ظهر هذا النزوع إلى الأخلاق الاجتماعية بقوة في قصص مثل: «على أسيوط» و «أحمد المجلس البلدي» و «صاحب مصر» ففي هذه القصص الثلاث يظهر المتشردون الذين يتسمون بالمرح والحساسية المرهفة رغم فقرهم، وينبذون نعم الحضارة الحديثة، ففي القصة الأولى يظهر الأعرج الصعيدي في ردهات مستشفى قصر العيني تتقاذفه عيادات الباطنة، العظام، والأعصاب، والجراحة.. لمدة أسبوع دون أن يحصل على العلاج اللازم، لكنه أبداً لا يفقد قدرته على مواجهة هذا التشرد داخل المبنى الضخم، ويتمنى على الطبيب ألا يحوله إلى عيادة أخرى. وليته يحوله «على أسيوط» بلده!! وفي القصة الثانية أعرج ريفي آخر، لم يشعر أبداً بأن عاهته تقعده عن فعل شيء، فكان خدوماً متسامحاً، للجميع، فلما ركّب ساقاً صناعية بدأ سلوكه يتعثر، فإنه يلبس لها حذاء وجورباً خاصاً، ويمشي بحذر، ويترفع على الآخرين، فقد مرحه وتسامحه وأصبح متجهماً حاداً، غير أنه في لحظة سخط على ما أصابه من تحول، تخلص من ساقه الصناعية، فعاد إليه مرحه، حتى قال وهو يضحك: «في داهية، دا.. دا.. دا.. كأن الواحد كانت رجله مقطوعة»!! أما «صاحب مصر» فهو رجل مغرم بتقديم الخدمة للآخرين حيث لا يتوقعونها، وهكذا، فتح مقهى في منطقة نائية، على طريق مهجور، فأحسن خدمة العابرين، حتى أحبه الناس واشتهر أمره، فطمع في الموقع طامعون آخرون، ما لبثوا أن انتشروا

من المكتبـة العـربيـة

ـالمقاهي والعـرز حتى أفسدوا جمال المكـان ونظامـه، فما كـان من الـرحل إلا أن رحل، يبحث عن مكـان جـديـد يستحق خدماته!! وتؤكـد «لغة الآي آي» هذه النزعة إلى الأخـلاق الاجتماعيـة أيضـاً، إذ يلتقي الطبيب المشهـور الناجح اجتماعيا، بـزميله القديم في مدرسة القـرية، وهو الآن فلاح جـاهل مصاب بمرض خطير، وقد كـان هذا الفـلاح ـ في طفـولتـه ـ أكثـر جـدا وذكـاء من الطبيب المشهـور. على ضوء اللقـاء غير المرتقب يكتشف الطبيب أن حيـاته هـو المعـرولة الحاويـة من الحب والتفـاعل هي التي فشلت، وأن زميلـه القـديم الـذي يصرخ من الألم «آي..آي» هو الـذي أدى شرط الحياة ومـارسها كما يجب أن تمارس. وهكـذا يتمـرد الطبيب على حيـاتـه البـاردة المحبطة، ويحمل زميله القديم المريض على كتفه، لا يبالي، ويذهب به إلى المستشفى!!.

رسالة يوسف إدريس

ويتناول المؤلف روايا أخرى من رسالة يوسف إدريس بنفس الطـريقـة التحليلية الهادئة، التي تعتمـد على إعـادة تصنيف النصوص في مجاميع أو محاور، تجمع بينهـا وحدة الاهتمام، أو المضمون، مثل تـوظيف الجنس (كما في قصة: حالة تلبس، وقصة. النداهة) والسياسة (كما في القصص: العمليـة الكبرى، والخدعـة، والـرحلـة). وفيما يتعلق بالتشكيل الفني لعناصر القصـة، أو التكنيك، فان التركيز سمة أساسية في القصص جميعاً تقريباً، لدرجة أنه قيل إن قصص يوسف إدريس لا تحتمـل حذف حرف جـر منها. وكما سبقت الإشارة فقد كان حريصاً على التحرر من آثار تشيكوف، كما كان حريصـا أيضا على الخلاص من الآثار الأخيرة للنكتـة، وهكـذا احتمعت الشاعـريـة مع الجدة، والعنف، كما في قصـة «العصفـور والسلك» فقـد كـان العصفـور يقف على أحد أسـلاك التليفـون، كان سعيـداً يرفـرف، ويلعب، لا شيء يحدث في الظاهـر، في حين كان السلك يحمل مكالمات، هي عوالم وأكوان، من استغاثات، وصفقـات، ومؤامـرات.. إلخ. وفي قصـة «حالـة تلبّس» يستخدم أسلوب التداعي، أو تيار الشعور بتوسع وإتقان معاً، فعميد الكليـة يشاهد من نافذة مكتبه طالبـة منزوية تدخن سيجارة!! وإذ يضمر ضرورة معـاقبتها فإنه يستمر في المراقبة، ويـرى حالة التلـذذ النادرة التي تعيشهـا الفتاة مع سيجـارتها، فتـوقظ في نفسـه حسـاً مشـابهاً، وتتـداعى أفكاره، فيتذكر كيف كان داعية للتحرر، وحق كل إنسان أن يفعل ما يشـاء ما دام لا يلحق أذى بالآخـر، حين كان شـابـاً، وكيف انقلب الآن إلى عكس مـا كـان، وهكـ[illegible] يتراجع.. بعد أن أزالت اللـذة ذات الطابع الجنسي الكـ[illegible] والعقـد المتأصلـة فيـه كرجل.. صعيـدي.. وعميـد، إ[illegible] إنسان إيضاً، وكانت له آمال واسعة.

هناك قصص معينة أشار إليها المؤلف، كنماذج متميز[illegible] فريـدة، تستحق منا عنايـة أكبر لولا ضيق المسـاحة، مـ[illegible] قصة «مـارش الغروب» وقصة «نظرة»، وقصـة «العمليـ[illegible] الكبرى». الأولى عن بائع العـرقسـوس في يـوم خـريفي بـارد، لا يجد من يشتري منه، وتتجسـد آلامـه في أنغـ[illegible] «الصـاجـات» التي يعلن بها عن بضـاعته، والثـانيـة عن خادم طفلة تحمل عددا من «الصواني» فوق رأسها، وتعبر شـارعاً مـزدحماً بالمشـاة والسيارات، بتركيـز شديـد على حملها، ولكنهـا لا تملك ـ لأنها طفلة ـ أن تـرسل نظرة إلى أطفال يلعبون الكرة على ناصية الشارع، قبل أن تغيب في دوامـة الحارة، والثـالثـة ذات هـدف سيـاسي إذ تصـور معـامـرة طبيب مشهـور بـاجـراء جـراحـة كبرى دون استعداد، لثقته الـزائدة في مقدرته، فتكون النتيجـة موت المريض، وهذا الحدث الرمزي يـواري ما جرى في حرب الأيام الستة (عام ١٩٦٧م).

بقيت ثلاث ملاحظات سريعة نختم بها هذا التعريف، الأولى أن يـوسـف إدريس لم يكن معجبـاً بهـذه الـدراسـة، فقد أزعجه أن الناقد يقوم بتشريح القصص واجتراء قطع للتـدليل على بعـض الخصـائص التي يستخلصهـا. إن يوسف إدريس، الطبيب، الذي يعرف بالعلم والتجربة أن تشريح الجسـد هو السبيل الـوحيد لمعـرفة أسرار تـركيبه، يستنكـر تشريـح القصـة، ويـريـد أن تنـاقش بكـاملهـا وإجمالها!! الثانية أنه ـ يوسف إدريس، كما نراه ـ يجمع بين الخبرة العملية، والـوعي الفطـري، فمما اقتبس مـؤلف الكتـاب من أقوالـه قولـه: «إن العمل الفني حتى يستحق اسمه يجب أن يتحرر أولا من الأفكار الرجعية التي تعوق تقدم الـوطن، بالإضـافة إلى ذلك يجب ألا يكـون ملطخا بالتأثير الأجنبي والتقليد الأعمى للكلاسيكيات الغربية، يجب أن يقدم تعبيراً نزيهاً عن مشاعرنا، ويصبح بشجاعة عيـونـنـا». الثـالثـة أنه التـزم بمجتمعـه، كما لـزم وطنـه لم يبارحـه، ولم يوافق مطلقـاً على هجرة المفكـرين إلى خارج مصر حين اختلفوا مع سيـاستها أو سـاستها، وقـال كلمة جميلـة نقيـة تصلح ختـاماً لهذا العـرض، وتحيـة ليـوسف إدريس، حين قـال معللاً رفضـه مغـادرة وطنه إلى مكـان آخـر تحت أي سبب: «لو أن العقـاد أقام في الجزائر، وطـه حسين في الكـــويـت، والمازني في قطـــر، وشـــوقي ـ السعودية، إذن لما تحققت النهضة المصرية»!!.□



كتاب الشهر

أضواء على كتاب

الحقائق والوقائع العالمية

«الطبعة الأخيرة ـ ١٩٩٤»

عرض : الدكتور إلياس خليل زين

ثورة المعلومات، والتراكم الهائل للمعارف، وإدراك حقيقة أن العقل الإنساني له سعة لا يمكنه تخطيها. كل هذه المؤشرات استجاب لها عالم النشر بنوع فريد من الكتب الشاملة والموجزة معا، وهذا عرض لواحد من هذه الكتب.

إذا أردت أن تعرف أحدث معلومات وإحصائيات وبيانات أساسية عن أي دولة في العالم، مثل: اسم العاصمة، نوع الحكومة، الدخل القومي، الوضع الاقتصادي والاجتماعي، نسبة الأمية، والعلم بألوانه ورموزه، وغير ذلك.. فإلى أي مرجع سريع تعود؟.

ربما يقول البعض يمكن الرجوع إلى مصادر مختلفة لإيجاد الأجوبة عن الأسئلة السابقة وما شابهها، ولكن ثمة مرجعا واحدا وهو موضوع هذا العرض يستطيع أن يغنيك عن الرجوع إلى العديد من المصادر لإيجاد المعلومات والإحصائيات الأساسية التي تريدها يوما ما، في عملك. إنه كتاب «الألمناك» العالمي ١٩٩٤، والأسئلة التي تتبادر إلى الذهن الآن ربما هي: ما معنى «الألمناك»؟ ما هي طبيعة هذا الكتاب؟ أي ـة تصدره؟ ما الطريقة المتبعة في تصنيفه؟ وما ـزات والسمات الرئيسية لهذا الكتاب؟ ومن يمكن ـستفيد منه؟.

ـلمة «ألمناك» Almanac في قاموس «وبستر» العالمي م ١٩٩١، يحددها لنا بالقول: إنها مطبوعة منتظمة تضم معلومات عامة ذات طابع تثقيفي «إعلامي» وإحصائي، ويضيف: إنها «تقويم» سنوي يشتمل على معلومات وبيانات حول الشمس والقمر والنجوم والرياح والأعياد العامة.. وغير ذلك.

والجدير بالذكر هنا أن أصل الكلمة «ألمناك» عربي، دخلت إلى اللغة الإنجليزية في العام ١٣٩١ للميلاد، من اللغة الإسبانية، التي أخذتها بدورها من اللغة العربية، وذلك إبان العهد العربي المزدهر في الأندلس، والذي انتهى قبل أكثر من ٥٠٠ سنة. ثم إن كلمة «ألمانا» الفرنسية ربما أخذت من العربية «المناخ» أيضا.

المناخ في اللغة العربية

أما المناخ ـ في اللغة العربية ـ طبقا لقاموس «المنجد» للعام ١٩٨٨ فتعني في الوقت الحاضر «لائحة أو كراسة تحتوي على جداول الأيام والأشهر، مع بيان زمان طلوع الشمس والقمر وغروبها، وأوقات الأعياد». وأما مولدو العرب

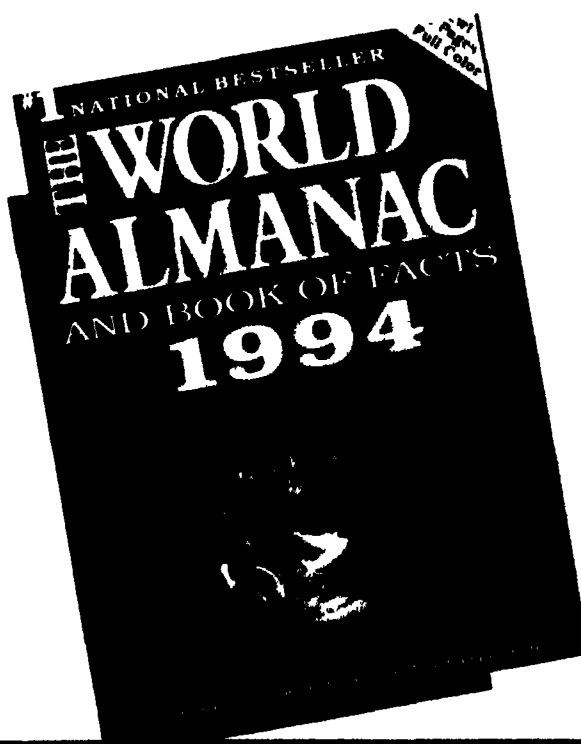
كتـــاب الشهـــر

فكانوا يسمونه تارة بالتقويم وتارة بالمطبوخ. ويقصد بـالتقـويم الآن «سجـل يشمل ويبين أيـام السنــة، مـوزعــة على شهـورهـا، مع ذكـر أيـام العطـلات والأعيـاد وأوقات الصـلاة والملاحظـات النجومية والفلكية»، والتقـويم في الجغرافيا يعني طـول البلاد وعـرضهـا، كما يعني في الفلـك، حسـاب الأوقـات وتوزيع السنـة، أشهرا وأياما، ونقول مثـلا «التقويم الميـلادي» و«التقويم الهجـري»، وحسب مـا ورد في «المعجم العربي الأساسي» لعام ١٩٨٩.

ممـا تقـدم يتضح أن لفظـة «الألمنـاك» مأخـوذة من الكلمة العـربية «المنـاخ» عبر اللغة الإسبـانية، وتعني، حاليا التقـويم، الروزنامة، ويبدو لنـا أن «التقويم» هو أفضل ترجمة للفظة الإنجليزية «الألمناك».

١٢٦ عاما من عمر «الألمناك»

في العام الماضي ١٩٩٣ احتفلـت دار نشر «ألمناك» بـالـذكرى الــ ١٢٥ لهذا التقـويم العـالمي، وكـانـت الطبعة الأولى قد صدرت في العام ١٨٦٨، مؤلفة من ١٠٨ صفحــــــات، بالإضافة إلى ١١٢ صفحة من



الإعـــلانـــــات، وضم الفهرس العام ٧ أقسام أو رءوس موضـوعات، مثل: الفلك، السياسـة، إعادة الإعمار «الـولايـات المتحدة»، إحصـائيـات ونتـائج الانتخابات الأمريكية.

وفي طبعة عام ١٨٩٣، ضم التقويم ٤٦٠ صفحة، بما فيها الإعلانات، وفي طبعة العام ١٩٤٣، قفز عدد الصفحــات إلى ٩٦٠، بـالإضـافـة إلى صفحـات الإعلانات، وصـدرت طبعة الذكرى المئـوية الأولى، أي طبعـة ١٩٦٨ بـــ ٩١٢ صفحـــة، وطبعـة العام ١٩٩٤ في ٩٧٦ صفحة. وكان الألمناك قد توقف عن الصـدور في العـام ١٨٧٦ ثم أعاد إصـداره في عام ١٨٨٦، جـوزيف بـولتـزر، يهدف جعله «خـلاصة وافية للمعرفة العالمية الشاملة والجامعة»، ومنذ ذلك العـام لا يزال يصـدر سنـويـا بلا انقطـاع. والجدير بالـذكر أن «الألمنـاك» العالمي كـان أكثر المطبـوعات مبيعـا من نـوعه في العـام ١٩٩٣، وكـذلك الحال في السنوات السابقـة لذلك العام في الـولايات المتحدة والكتـاب من الحجم المتوسط، كما أن حجم أحـرف طبـاعتـه صغير، ولـذا نجـد أن عـدد الأسطـر في الصفحة الـواحدة قد يتراوح في المتـوسط ما بين ٨٠ و١٠٠ سطـر، وأن عــدد الكلمات يتراوح مــا بين ١٤٠٠ و١٦٠٠ كلمة في الصفحـة الواحـدة، وعليه فإن عدد الكلمات في هـذا المجلد قـد يصل إلى حوالي مليـون ونصف المليـون كلمـة، وهـذا بـلا شك رقم قياسي للغاية في مطبوعة بهذا الحجم.

٦ آلاف عام من التاريخ

يحتـوي الكتـاب على أي شيء قد يخطر في بـال أي إنسان معـاصر، سواء حدث في أواخـر العام الماضي، أو قبل أكثـر من ٦٠٠٠ عام من التـاريخ البشري، أي أنه سجل حافل أو مركز معلومات للولايات المتحدة بوجه خـاص وللعالم بوجه عـام عبر التاريخ الإنساني المدون. وعليـه فإن جميع مـواده تنـدرج تحت حـوالي ٣٣٣٠ رأس مـــوضـــوع، فما معنى ذلك؟ إن «رأس الموضـوع» كما تستعمل في قـامــوس علم المكتبـات،

كتـــاب الشهـــر



□ أفـراد قـوات الأمن الفيدرالية الأمـريكية (بالملابس الزرقاء) قتل أربعـة منهم على يـد الداوودين الـذين يتزعمهم المتطرف ديفيد كورش الذي قضي حرقا ومعه أتباعه بعد ذلك بشهـرين في ١٩ أبريل ١٩٩٣.

تعني موضـوعا رئيسيا، يتفرع عنه أكثر من موضـوع فرعي، وقـد يكون رأس الموضـوع حدثـا، منظورا أو غير منظور، جغرافيا أو تاريخيا أو اجتماعيا، وما شابه ذلك، وقد يكون اسم قارة، أو دولة، أو اسم شخص، أو منظمة، أو هيئة، أو نظرية، أو مدينة، أو شهـر وما شابه ذلك.

فلنضرب بعض الأمثلة البسيطة، فـالـولايات المتحدة رأس مـوضوع، وكذلك الحال بـالنسبة لأي دولة في العالم، ويندرج تحت الـولايات المتحدة ١٣٥ مـوضوعـا فرعيـا، والأمم المتحـدة رأس موضـوع، تنـدرج تحته ستـة مـواضيع فرعيـة، والحروب رأس موضـوع، ولها أربعون موضـوعا فـرعيا، أي مختلف أنواع الحروب التي نشبت في العالم.

ومن رءوس الموضـوعـات الـواردة في الكتـاب، نذكر ـ على سبيل المثال ــ البيئة، التربية، جائزة نوبل، الطـاقـة، النفط، الـريـاضـة، المخـدرات، علـوم وتكنـولوجيـا، الزلازل، الفيضـانات، الشخصيـات المشهورة، وغير ذلك.

تصنيف الكتاب

أمـا الطـريقة المتبعـة في تصنيف الأحـداث والمواد ضها في «الألمناك» فهي كالآتي:

ــ عـرض أحداث العـام ٩٢ ــ ١٩٩٣ : يبـدأ، أولا، بعــرض أحــداث الفترة الماضيـــة، من ١/ ١١/ ١٩٩٢ إلى ١٥/ ١٠/ ١٩٩٣، حســب أهميتها للقارىء الأمريكي، وكان أكبر حدث من بين عشرة أحـداث، في الفترة المذكـورة، تـولي الـرئيس الأمـريكي بيل كليتنون السلطـة في ٢٠/ ١/ ١٩٩٣، ثم يعالج أبـرز ثلاثـة أحداث في مقـالات بقلم كبار الكتـاب. وبعـدها يعـرض أحـداث الفترة الماضيـة حسب التسلسل الزمني، في اثني عشر شهـرا، ابتداء مـن ١/ ١١/ ١٩٩٢ إلى ١٥/ ١٠/ ١٩٩٣، ويسمـي أحداث الـولايات المتحـدة التي تأتي أولا بالقـومية، وأحـداث بقيـة العـالم التي تـأتي ثـانيـا «الـدوليـة»، والأحداث المتنوعـة «العامة». والأحداث «العـامة» تشمل الإنجـازات العلمية والتكنـولوجيـة، وانعقاد المؤتمرات المهمة، مثـل مؤتمر «الإيـدز» وزيارة البـابا للولايات المتحدة الأمريكية وسواها.

٢ ـ خلفيـات تاريخيـة لأهـم الأحداث : ولا يكتفي هـذا المرجع العـالمي بتقديـم أحداث العـالم في العـام ١٩٩٣ فحسب، بل يقـوم بنشر خلفيـات تـاريخيـة للمـواضيع والقضـايا التي تحتـاج إلى خلفيـات، فعلى سبيل المثـال ينشر علي الصفحة ٧٧ لمحـة موجـزة عن العلماء والشخصيـات الـذين فـازوا بجـائزة نـوبل في العـام ١٩٩٣، ثم يعـود وينشر قائمـة كـاملـة بجميع العلماء والشخصيات الذين نالوا جـائزة نوبل منذ بدء منحها في العـام ١٩٠١ وحتى ١٩٩٢ على الصفحات

٣٠٠ - ٣٠٢، وما يطبق على جائزة نوبل يطبق أيضا على العديد من المواضيع التي تحتاج إلى تقديم خلفيات تاريخية لها. وفي هذا المرجع العالمي، هناك العديد من السمات المميزة، ولعل أبرزها:

١ - حداثة المعلومات المنشورة: لعل أول ما يلفت نظر القارىء في هذا التقويم، حداثة المعلومات التي جرت في العام ١٩٩٣، تصور مثلا أن الكتاب وصل



□ الديمقراطية المنتظرة في جنوب أفريقيا هي أحد المعالم الكبرى لأحداث عام ١٩٩٣ وأبرز وجوهها الزعيم نيلسون مانديلا (في الصورة يقرع جرس الحرية).



□ الديمقراطية اليابانية، ملمح آخر لمعجزة هذا البلد، وفي الصورة زعيم المعارضة تسوتوموهاتا يحتفل مع حزبه على الطريقة التقليدية اليابانية في يوليو ١٩٩٣.

إلى الكويت في أواخر شهر ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٣، متضمنا الأحداث التي جرت في ١٥/ ١٠/ ١٩٩٣، وحين تكون أمام مطبوعة تتكون من حوالي ألف صفحة، وحوالي مليون ونصف المليون كلمة، فهذا يدل على مدى التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي وصلت إليه صناعة الطباعة في الولايات المتحدة.

٢ - أبسط الأمور وأطرفها: وبالإضافة إلى أن المرجع الراهن يتناول عرض الأحداث المهمة في الوقت الحاضر، وعبر التاريخ أيضا، إلا أنه لا يخفى عليه أن يسجل بين الحين والآخر، أبسط الأمور وأطرفها، فلنضرب مثلا على ذلك: ينقل الكتاب عن مصدر بيئي أمريكي متخصص كمية المياه التي يستهلكها المقيم في أمريكا في السنة، فهو يستخدم ١٠٧ آلاف غالون في السنة، أي بمعدل ١٦٨ غالونا في اليوم الواحد، وبالتحديد، يستهلك الأمريكي لأخذ حمام سريع «دوش» ما بين ٢٥ و٥٠ غالونا، ولغسل الصحون باليد ٢٠ غالونا، مقابل ١٠ غالونات لغسلها بغسالة الصحون الكهربائية، أما ما يستهلكه من المياه لتنظيف أسنانه «مياه جارية» فيبلغ غالونين، والحلاقة ذقنة ما بين ١٠ و١٥ غالونا من المياه «ص ١٧٦».

التقويم .. والاستفادة منه

وبعد كل ما تقدم نطرح السؤال: من يمكن أن يستفيد من هذا المرجع السنوي العالمي؟ في الواقع، هناك العديد من الفئات المثقفة يمكن أن تستفيد من هذا التقويم للحصول على معلومات وإحصائيات سريعة، وخاصة عن الولايات المتحدة الأمريكية، سواء كانت قديمة أم معاصرة، فهذا التقويم السنوي ضروري، مثلا، لرجال الصحافة والإعلام، والباحثين وأساتذة الجامعات وطلابها، وتلاميذ المدارس، والكتّاب، والمؤلفين، والأدباء، والمفكرين، والدبلوماسيين، بالإضافة - طبعا - للمسئولين عن قسم المراجع في المكتبات على أنواعها. وفي الختام نتمنى جميعا أن يكون لدينا، في الوطن العربي، تقويم سنوي متواصل، مماثل لهذا التقويم الأمريكي.□

مكتبة العربي

مختـــــارات

الكتـاب : الأعمال الكاملـة في القصة القصيرة
المؤلف : أبوالمعاطي أبوالنجا
النـاشر . الهيئة العـامة للكتـاب - القاهرة

تتويجا لمسيرته الإبداعية الطويلة أصدرت الهيئة العـامة للكتـاب الأعمال الكـاملة لـلأديب القـاص أبوالمعاطي أبوالنجا في مجلدين، ضم المجلد الأول المجموعات الثلاث الأولى التي صـدرت للكـاتب منـذ بداية الستينيات وحتى عام ١٩٦٧ وهي القصص التي وصفهـا النقـاد بأنها تعنى بأزمـة العـلاقة بين الفـرد والمجتمع، وضـم المجلـد الثـــاني القصص التي كتبهـــا المؤلف بعـد هزيمة يـونيو ١٩٦٧ إلى عام ١٩٨٤ وفيها يطرح تساؤلات مـريرة حول الهزيمة ويسجل لحظات الانتصار.

□□□

الكتـاب : المؤلفـات من النسـاء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي
المؤلف · محمد خير يوسف
النـاشر · دار طويق ــ الريـاض - الطبعة الأولى

حتـوى هـذا الكتـاب تـرجمات لا ـدى وثلاثين مـؤلفة ومصنفـة، و بأسماء مؤلفات كل منهن.
ـد بينّ الكاتب في المقدمة، بعد أ ـتغـرب واستنكـــر أن يكـون ـ المؤلفات المسلمات قليـلا إلى هـ الحد، بينّ انكفـــاء المرأة عن التأليف والكتـابة وحصرهـا في وضع المرأة الجسمي والاجتماعي.. ورعبتهـا في السماع والكـلام، دون الكتـــابـــة، وفي إهمال المؤرخين لتراجم النســـاء، وقـــد أوضح الكـــاتب الفـــرق بين الكـــاتبـــة والمؤلفـة، وأوصى في النهـــايـــة بـالاهتمام بـالمؤلفـات والمصنفـات وكل النساء المسلمات الـلاتي تركن أثرا علميـا، لإثبات مشـاركة المرأة المسلمة في الحياة العلمية.

□□□

الكتـــاب . عُمان بين الاستقــلال والاحتلال
المؤلف : د.خالد ناصر الوسمي
النـاشر : مؤسســة الشراع العربي - الكويت

قسمت هـذه الدراسـة إلى ثلاثـة أقسـام، القسمان الأولان يـدرسـان تاريخ عمان بمللها وطوائف حكمها والقسم الثـالث يتنـاول العـلاقـات الـدوليـة، وقـد شكلت الشهـادات المكتـوبـة للعمانيين أنفسهم المصـدر الأسـاسي بالنسـة للقسمين الأولين فقط.

وإذا كـان تـاريخ عمان قـد بـدأ يكتب ابتـــداء من سنـــة ١٩٧٠ بوضـوح كاف، فإن تسليـط الضوء على الحقبة الغامضة من هذا التاريخ بواسطة الدراسـة التاريخيه لا يمكن إلا أن يشكل إسهاما ثمينا.

□□□















الكتاب : نظرية اللغة الأدبية.
المؤلف : خوسيه إيفانكوس.
ترجمة: د. حامد أبوأحمد.
الناشر : مكتبة غريب ـ القاهرة.

شهدت السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في التناول الفكري لظواهر الأدب، بل إن القرن العشرين كله يعد قرن التحولات الكبرى في جميع المجالات، وقد شهد القرن العشرون نوعين من التغيير في مجال النظرية الأدبية: التغيير الأول هو إحلال شعرية الرسالة أو النص محل شعرية المرسل أو المؤلف، والتغيير الثاني هو المواجهة القائمة حاليا بين شعرية الرسالة وشعرية التلقي.

وهذا الكتاب رصد أمين دقيق وحلاّق لهذه التحولات الكبرى في الثقافة الإنسانية، وخاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة التي شهدت ازدهار البنيوية والمذاهب الأخرى مثل التفكيك والذرائعية الأدبية والبلاغة الجديدة.. وسواها..

□□□

الكتاب : الأرض .. شفاها الله
المؤلف : رجب سعد السيد.
الناشر : دار المعارف ـ القاهرة.

ضمن سلسلة اقرأ التي تصدر عن دار المعارف بالقاهرة، صدر هذا الكتاب ذو العنوان اللافت للنظر، ويأمل الكاتب الذي كثيرا ما قرأ له وتابعه قراء العربي أن يستميل القارىء إلى أنصار الحفاظ على البيئة في مواجهة الأخطار البيئية التي تهدد كوكب الأرض، والكتاب ـ على صغر حجمه ـ يتضمن محاولة جادة للإحاطة بقضايا البيئة ويحاول جاهدا أن يرفع من مستوى الاهتمام بالمسائل البيئية، ويدعو إلى قراءة أكثر اتساعا في هذا الموضوع، كما يضع الفرد أمام مسئوليته في مواجهة هذه الأخطار .

□□□

الكتاب : نافذة على الفضاء.
المؤلف : مهندس سعد شعباز
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة.

هو الكتاب الثالث عشر لمؤلفه الذي اهتم بالفضاء وعلومه. والكتاب يمثل إطلالة على الإنجازات الباهرة في هذا المجال والتطورات التي قلبت أغلب ما استقر في الأذهان لدى علماء القرون السابقة، وقد ظل يلاحقها المؤلف بالكتابة والبحث والاهتمام على مدى أكثر من ثلاثين سنة.

والكتاب يقع في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير.

□□□

الكتاب : رقصات نيلية «مجموعة شعرية».
المؤلف : محمد إبراهيم أبوسنة.
الناشر : مكتبة غريب ـ القاهرة

على مدى ما يقرب من ثلاثين عاما يطالعنا شعر المبدع محمد إبراهيم أبي سنة في غنائية عذبة وتفرد بديع، وها هي مجموعته الشعرية العاشرة تحفل بمأدبة شعرية رائقة الصوت خصبة الرؤية في ساحة غلب على إبداعها الشعري ضباب كثيف وإيقاع زائف وحس مشوه، وسط هذه الجلبة المفتعلة والزيف الشعري يأتي صوت أبي سنة في مجموعته الأخيرة صافيا صادقا

كل هذا التراب الخريفي..
يضحك في سخريه
حين يمضي وحيدا .. بعيدا .
إلى الجهة الثانيه
داخلا في الدروب التي تنتهي في الظلام..
ليجمع ما قد تبقى من الأغنيه
باكيا حظه تحت سرو البلاد..
التي أقعدته بعيدا .. عن الأمنيه

□□□

الكتـاب : الحضـارة العـربيـة الإسلامية
المؤلـف : أ.د.إبـــراهيـم أحمد العدوي ود.نايف عيد السهيل
الناشر : مؤسسـة الشراع العربي ـ الكويت

يسهم هـذا الكتـاب بـدراساتـه حول الحضارة العـربيـة الإسلامية وفق منهج يتسم بـالإيجاز الشـديـد متتبعـا مفهوم الحضـارة الإسلاميـة وجذورهـا والبنيـة الأسـاسيـة لها ومؤسساتها وبنيتها الاقتصـادية ثم يختم الكتـاب الـذي يقع في سبعـة فصول بـدراسة المنجـزات الفكريـة للحضارة العربية الإسلامية.

□□□

الكتاب : الأنماط الشـائعة لأدوار المرأة والرجل في الكتب المدرسية وأدب الأطفال
المؤلف : د.سهـام عبـدالـوهـاب الفريح
الناشر : حوليـات كلية الآداب ـ جامعة الكويت

مهـدت الـدكتـورة سهـام لموضوعها ببيان أهميته ــ وهو مهم فعلا ـ واتهمت المؤسسـات بالتمييز في النظـرة الاجتماعيـة والأدوار بين المرأة والرجل.

وقـد بينت ذلـك في المدرسـة ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، لكنها أكدت دور المدرسة لخضوعها لمناهج مقننة لا تتـأثـر بـالتيـارات والمؤثـرات اليوميـة، فحـددت مجال دراستهـا، الكتـب المدرسيـة وأدب الأطفـال. وقـد سلطت الكـاتبـة الضوء على الصيغ والقوالب اللغوية غير الملائمـة، المعبرة عـن نظـرة المجتمع وأسلوب معالجتها.

وحـددت هـدف دراستهـا في ...بية» وإعـداد جيـل متعـاضـد ...امل يخلو مـن التحيز التـاريخي ...ليب الذكورة.

□□□

الكتــاب : مـدخل إلى فلسفـة العلوم
المؤلف : د. محمد عابد الجابري
الناشر : مـركز دراسات الـوحدة العربية ـ بيروت ـ ١٩٩٤

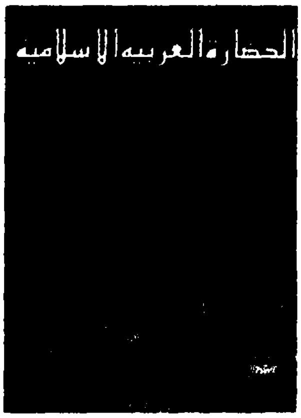
يشتمل الكتـاب على جـزأين، الجزء الأول يبحث عـن «تطـــور الفكـر الـريـاضي والعقـلانيـة المعـاصرة»، وقد عـالج فيـه المؤلف مفهوم الايبستيمـولوجيا وعـلاقاتها بـالـدراسـات المعـرفيـة الأخرى القديمـة والحديثة متبعا تطور نظرة الفـلاسفـة والعلماء إلى مشـاكـل المعـرفـة، مـركـزا على الاتجاهـات المعـاصرة، سـالكـا المنهج التـاريخي النقدي.

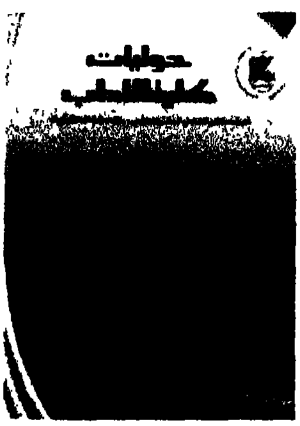
أمـا الجزء الثـاني فهـو «المنهـاج التجـريبي وتطور الفكـر العلمي» وقد خصصه المؤلف لميدان الفيزياء منذ بيكـون وغاليليـو إلى الفيزيـاء الذريـة مركـزا على الجانب المعرفي مع الإشـارة إلى بعـض الكشـوف العلميـة التي تلقـي الضـوء على القضـايـا الايبستيمـولـوجيـة المطروحة.

□□□

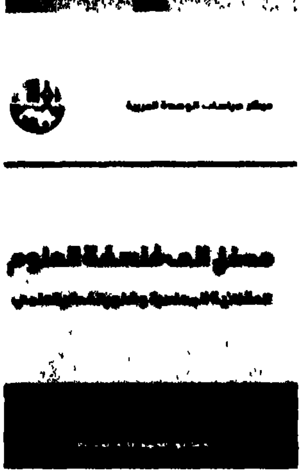
الكتــاب : معجم المصطلحــات الإدارية
المؤلف : د.محمــد بن عبـدالله البرعي، ود.محمــد بـن إبـراهيم التويجري
النــاشر : مكتبـة العبيكــان ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٩٩٣

يضم المعجم أكثـــر من ألـف مصطلح من مصطلحــات الإدارة الحديثـة مستقاة من أمهـات المراجع والمقـررات الـدراسية في جـامعـات الغـرب مترجمة ومشروحـة بـاللغـة العـربيـة، ويتميـز هـذا المعجم بأنـه يقـدم تــرجمة غير حــرفيـــة للمصطلحـات، ويــورد المرادف مشفـوعـا بمثل أو أكثـر لإيضـاح المعنى. □









إلى أن نلتقي

حاتم طيء وحصانه و.. أحفاده

حاتم طيء ذبح فرسه كي يطعم ضيفه، هذا ما تعلمناه في طفولتنا، وتعلمنا أيضا أن الكريم العربي لا يوفر أغلى ما يملك، وهو الحصان أو الفرس من أجل إكرام الضيف.

وعلى ما يبدو فإن أحفاد حاتم طيء قرروا تحويل تراث جدهم إلى وكالة تجارية لبيع لحوم الخيول معلبة وبأرخص الأسعار لإكرام.. الزبائن.

هذا ما طالعتنا به تصريحات أحد أو بعض المسئولين في الجمعيات التعاونية في الكويت، الشهر الماضي، عندما تم الإعلان عن أن إحدى الشركات الخليجية تقوم بتعليب لحوم الخيول وبيعها في أسواق الكويت والخليج باعتبارها عجولا وأبقارا وثيرانا.

ووفق سيناريو فيلم «ذئاب لا تأكل اللحم» فقد توقف أكلة اللحوم عن اشتهاء المعلبات، وتحول بعضهم إلى.. نباتيين، مع أنه كان يفترض أن يحدث العكس، خاصة أنه من المعروف في فرنسا أن وجبة لحوم الخيول المعلبة تقتصر على أهل النخبة من القادرين على ابتياعها واستهلاكها بسبب ارتفاع ثمنها، أما في دول شرقي آسيا فإن لحوم الخيول هي في ندرة الكافيار الإيراني، وكانت إحدى التهم الموجهة إلى إيميلدا ماركوس زوجة ديكتاتور الفلبين السابق هي أنها كانت تلتهم مع زوجها حصانا كاملا كل أسبوع(!).

.. ومع ذلك فإن جماهيرنا تفضل لحوم العجول والأبقار والثيران والأغنام بل والتيوس على.. الخيول، وهذه ظاهرة «نفسية» تستحق الدرس، فالعرف الاجتماعي يتعامل مع الحصان أو الفرس، كما يتعامل الهندوس مع البقرة، وفي الأمثال الشعبية الكثير مما يفيد هذا المعنى من نوع «لسانك حصانك إن صنته صانك»، هذا من ناحية. كما أن كثيرين من أبناء الخليج العربي يدفعون ملايين الدولارات من أجل حصان عربي يرمح في السباقات، وهذا الحصان العربي عندما يتقاعد عن الجري والسباق فإنه بالتأكيد لا يذبح بل يتم استغلاله في عمليات «تجويد وتحسين» النسل، فيؤتى إليه بالأفراس لتلقيحها، وقد أخبرني «مَضمّر» بريطاني أن صاحب أحد الخيول العربية الأصيلة كان يتقاضى مبلغ ١٥ ألف جنيه عن كل «وثبة» لتحسين نسل السلالات البريطانية.

وأخيرا فإن هذا الاستنكار الشعبي لتحويل الخيول إلى معلبات هو دليل عافية، فالخيل المعقود في نواصيها الخير يصعب تعليبها، كما يصعب تعليب الفرسان(!). □

أنور الياسين


العربي
AL-ARABI
JUNE
الأندلس
الغائب
الحاضر
في ذاكرة العرب

Everyone's a prisoner

PRISONS, always high on the agenda of public interest, have dominated news headlines recently.

First, the Home Secretary announced that



WEEKEND THOUGHT by Reverend Walter

To some degree, then, we are all prisoners of our own consciences, built on the teaching of a Master, "whom to serve is perfect freedom."

EXPRESS & ECHO 30 OCT 1993.

THAT'S HOW KUWAIT FEELS WHEN WE THINK ABOUT OUR MISSING AND POW'S

战俘

KUWAIT KRIGS FANGAR I IRAK

捕虜

الكويت

PRIGIONIERI DI GUERRA DEL KUWAIT IN IRAQ

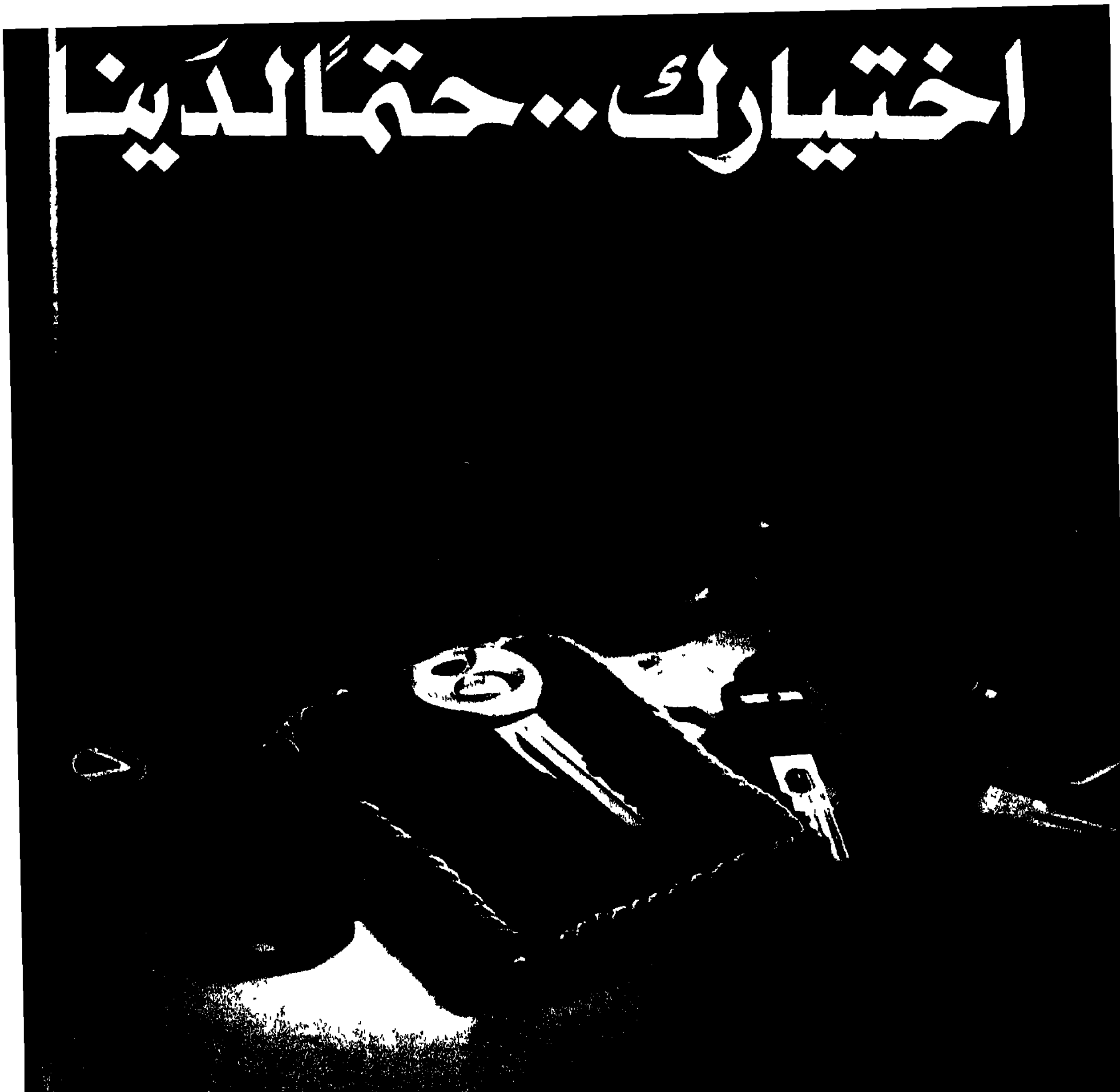
KUWAIT POW'S IN IRAQ

LES PRISONNIERS DE GUERRE EN IRAK

PRISONEROS DE GUERRA EN IRAK

ISN'T IT TIME THEY WERE FREE?





معرض بيت التمويل للسيارات
كل المعارض في معرض واحد



بيت التمويل

الأمان والاطمئنان

IMPACT & ECHO

العدد ٤٢٧ السنة السابعة والثلاثون - يونيو ١٩٩٤

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارىء للعربية في العالم

تأسست عام ١٩٥٨
رأس تحريرها:
د. أحمد زكي (١٩٥٨-١٩٧٥)
أحمد بهاء الدين (١٩٧٦-١٩٨٢)

رئيس التحرير
د. محمّد الرميحي
مدير التحرير
أنور الياسين

عنوان المجلة

العربي

ص ب. ٧٤٨ - الصفاة - الكويت
الرمز البريدي. 13008
مبنى وزارة الإعلام رقم (٢) شارع الصحافة - الشويخ
تلفون. ٤٨٤٥١٣٤ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢
فاكس التحرير ٤٨٤٢٢٥١
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI

A Cultural Monthly Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry of Information - State of Kuwait.
Issue No. 427 June. 1994.
P.O. Box: 748 Al Safat Kuwait.
Tel: 4845134 - 4844164 - 4847582
Fax.: 4842251

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات
تلفون ٤٨١١١٦٦ — فاكس الإعلان والتوزيع ٤٨١١٢٢٥

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: **قسم الاشتراكات — الإعلام الخارجي**
وزارة الإعلام. ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً باقي دول العالم ١٠ د.ك أو ٤٠ دولاراً
SUBSCRIPTION: ALL COUNTRIES $ 40, OR THE EQUIVALENT

ثمن النسخة

الكويت	٥٠٠ فلس	تونس	١ دينار	سوريا	٢٠ ليرة
الأردن	٥٠٠ فلس	الجزائر	١٠ دنانير	الامارات	٧ دراهم
البحرين	٥٠٠ فلس	السعودية	٧ ريالات	المغرب	١٠ دراهم
مصر	٧٥ قرشاً	اليمن	٣٥ ريالا	ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	١٠٠ جنيه	قطر	٧ ريالات	بريطانيا	٢,٥٠ باوند
موريتانيا	١٢٠ أوقية	سلطنة عمان	٥٠٠ بيسة	فرنسا	٢٥ فرنكاً
إيطاليا	٤٠٠ ليرة	لبنان	١٥٠٠ ليرة	أميركا	٣ دولارات
		النمسا	٣٠ شلنا		

PRICE: USA $ 3 -U.K. £ 2.50- FRANCE 25 FF. OTHER COUNTRIES: THE EQUIVALENT

طبع بمطابع الوطن بالكويت

عـــزيـــزي المحـــــرر

راجعــات

الرواية فن مـــــراوغ

□ .. رئيس التحرير

اصطحبنا مقالكم «الرواية ذلك الفن المراوغ» بالعدد «٤٢٤» مارس ١٩٩٤، في رحلة ممتعة عبر مكنونات جنس أدبي مهم، أصبح سمة لعصرنا، وتلك حقيقة باتت مؤكدة، ومما يدلل عليها ما نلمسه من تراكمات فوضوية في واقعنا تؤثر بشكل كبير على الأدب والرواية بوجه خاص، ونضم صوتنا إلى صوتكم فيما يختص بفعل وإبداع الرواية العربية، ضد القهر، والقيود الاجتماعية حولها، وهذا ما يحلو لي أن أسميه بـ «التخلق الضدي» للرواية العربية، الساعية لاحتواء التناقضات الحادة، في الواقع والعقلية العربية.

ولعلكم حين ربطتم الحديث عن الرواية العربية بالمجتمع داخل سياق المهمة المنوطة، قد كشفتم لنا عن قراءة واعية للواقع العربي، والإنسان المبدع في جدلياته المستمرة مع الذات والآخر وكل ما هو ضد الفن والحياة، وقيمة كل منهما بالنسبة للآخر.

بيد أن مقولتكم «الرواية مرآة المجتمع» ومهمتها تجسيد الإنسان في صراعاته الاجتماعية المختلفة، دفعتني إلى تسجيل هذه الملاحظة، قد تعني أن الأدب «ماهية وهوية وانطلاقا من الجزء/ الرواية إلى الكل / الأدب»، انعكاس للمجتمع، تتمحور مهمته في تجسيد وتوصيف ونقل وعرض وتقديم الواقع بكل سماته، ويبدو لي ـ أو هكذا أفترض ـ أن معنى الأدب وماهيته إذا كانتا كذلك، فإنهما يغفلان جانب استشراف الآفاق المستقبلية، ويفرغان النص من القوة المستنهضة للتغيير، فضلا عن الإطاحة بالبعد المهم في التلقي وهو انتفاء مهمة النص لصنع وإعداد القارىء الواعي، بما يجعله قادرا على تحديد الخلاص، فالأدب الذي يجسد ويصف فقط، دونما إضمار لروح المشاكسة والتصدي ـ إن لم يكن معلنها ـ فإنه لا يرتقي بمبدعه فوق وظيفة «عرضحالجي» مجرد من أية بصمة ذاتية، تجعله ممن يصدق فيهم القول بالمبدعين الواعين، بإبداعاتهم الأصيلة، التي يشترط فلاسفة الفكر والفن والجمال في أساسها و«تأسيسها على الوعي القائم على القلق تجـ متواترات المجتمع»، د ا تبتعد هذه المقولة عـ تحديد علاقة النص ب كونه بنية تجاه الواقـ وبنايات المجتمع.

محمد مصطفى سالـ
معيد بقسم اللغة العر ية
كلية الآداب ـ جامعة
القاهرة ـ فرع بني سويـ



الملاحـــون والقراصنة

□ .. رئيس التحرير

شد انتباهي استطلاع «ملاحون عرب يواجهون قراصنة البحر» بالعدد ٤٢٤ مارس ١٩٩٤، لما ضمه من بشائر خير تعيد التفاؤل والطمأنينة إلى قلب كل عربي، فيشعر بالعزة والفخار وأن العرب كانوا وما زالوا هم رجال البحر على مر التاريخ وهم أول من عبر البحار وسبر أغوارها، وها هم يتابعون ما بدأه أسلافهم من خلال هذا الإنجاز الضخم المتمثل في سفن شركة الملاحة العربية المتحدة، وهذا الإنجاز لا يعد إنجازا لدول الخليج العربي وحدها، بل هو إنجاز لكل الوطن العربي، فيكفينا فخرا أنها شركة عربية وبمواصفات عالمية ضخمة، مما يجعل تجارتنا البحرية في أيد أمينة وبعيدة عن اللصوصية أو ما يسمى بالقرصنة الحديثة «قرصنة القرن العشرين»، نتمنى لهذه الشركة المزيد من الازدهار والنجاح، لتمخر عباب بحار

سواطيء الكرة الأرضية قاطبة حاملة معها تاريخ الأقدمين حضارة المعاصرين من العرب.

بكر عبدو بكر
دمشق / سوريا

حدود جيبوتي

□ .. رئيس التحرير

أعجبت باستطلاع مجلة العربي المصور بالعدد ٤٢٣ فبراير ١٩٩٤ عن دولة جيبوتي، فالمجلة - وكعهدنا بها - استطاعت أن تميط اللثام عن المجهول لدينا عن هذه الدولة العربية الإسلامية الشقيقة تاريخيا وجغرافيا، وقد أفادتنا بالمعلومات وزادتنا معرفة بهذا القطر الشقيق، لكن الخريطة التي جاءت أعلى صفحة ١٣٥ لتوضح أهمية موقع جيبوتي على مضيق باب المندب تناست أن حدود جيبوتي الشمالية هي إريتريا وليست أثيوبيا، وهي دولة مستقلة حديثا عاصمتها أسمرة وتتمتع بأغلبية مسلمة.

نرجاء عمل استطلاع مصور عن إريتريا يعطينا عنها المعلومة ويزود معرفتنا بها.. في أقرب عدد ممكن..

فتحي محمد سالم سليمان
حلوان - القاهرة - ج.م.ع

المحرر:

معك حق.. فالخريطة التي نشرت قديمة وتخص الفترة السابقة على استقلال إريتريا، ولكن إذا رجعت إلى العدد ٤١٧ أغسطس ١٩٩٣ فستجد استطلاعا عن إريتريا وبه خريطة حديثة توضح موقعها والدول المحيطة بها.

[redacted]د واقتراحات

موسوعة الحضارة الإسلامية

□ .. رئيس التحرير

هذه رسالة تعريف بأنشطة وتطلعات حركة الشباب المسلم التي تأسست عام ١٩٧٣ لتزويد المسلمين في استراليا وخاصة الشباب بالمعلومات والخبرات المتاحة التي تكفل لهم الحفاظ على هويتهم الإسلامية، ومعرفتهم باللغة العربية التي شرفها الله بالقرآن الكريم. ولقد سعينا منذ البداية لإيجاد مكتبة للعلوم الدينية والفنون والعمارة الإسلامية أغلبها بالإنجليزية وتضم حتى الآن عدة آلاف من الكتب والمجلات والمنشورات، كما وفقنا الله لعمل موسوعة مرئية عن الحضارة الإسلامية تضم حوالي خمسة وعشرين ألفا من الشرائح الملونة «سلايدات» تستعمل في شتى البحوث والمحاضرات ونأمل أن نتمكن مستقبلا من تحويلها إلى استعمالات الكمبيوتر لتوزيعها والاستفادة بها على نطاق عالمي، وكذلك بدأنا بجمع المعلومات الإسلامية والعربية ويضم عدة آلاف من الملفات لتسهيل حفظ وتبويب ما يصل إلينا من أبحاث ومنشورات ومقالات. لهذا يسعدنا أن تتفضل الهيئات المختصه في سائر أقطار الوطن العربي بتقديم ما يتيسر من المواد التالية كمساهمة في هذا المشروع الفريد الذي نتمنى أن يكون البداية لمؤسسات مماثلة في منطقة جنوب الباسفيك: كتب ومجلات وأبحاث ومقالات وموسوعات إسلامية باللغتين العربية والإنجليزية، مسجلات مجودة ومرتلة للقرآن الكريم، وتراجم بلغات مختلفة لمعانيه، برامج تلفازية وشرائط فيديو عن تاريخ الإسلام وحضارته وفنونه. وختاما ندعو الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين وجزاكم الله خيرا.

المهندس أحمد يوسف
P.O.Box115
HAWKER ACT2614
AUSTRALIA

ترجو المجلة من كتابها في مصر والذين تنشر مقالاتهم في العربي الاتصال بالمركز الإعلامي في القاهرة ١٠٦ شارع قصر العيني، عمارة كايرو سنتر، لتسلم مكافآتهم بعد نشر المقالات.

تأمل العربي من جميع كتابها أن يرفقوا مع مقالاتهم الاسم الثلاثي مع العنوان البريدي الكامل ورقم الفاكس إذا أمكن وذلك تسهيلا لمهمة الاتصال والمراجعة.

عزيزي المحرر

[redacted]عات سريعة

الأصدقاء: حازم طليمات «فلوريدا / الولايات المتحدة»، وصلنا عنوانك الجديد ونأمل أن يكون وصول الأعداد إليك قد أخذ بالانتظام الآن.

فتح الرحمن عثمان «مراكش / المغرب»: استطلاعات العربي شملت معظم المدن العربية المعروفة وهناك أعداد أخرى من المدن ستشملها الاستطلاعات القادمة.

كنعان دميراياق «جامعة أتاتورك / تركيا» يسعدنا اهتمامك بالقضايا التي تطرحها العربي وأهلا وسهلا بمساهماتك.

عبدالكريم الكبخ «كشينوف / مالدوفا» نتعاطف كثيرا مع أحزانك ونرحب برسائلك، لكننا نعتذر عن عدم نشر قصيدتك التي تحتاج إلى الكثير من العناية منك.

أشرف فوزي «شربين / مصر»: ثق تماما أن العربي لا تهمل رسائل أصدقائها، لكن إزاء الكم الهائل من الرسائل التي تصلها شهريا، فإنها تناشد هؤلاء الأصدقاء أن يتمتعوا بسعة الصدر إذا ما تأخرت في الرد عليهم قليلا.

الأصدقاء: فاتن الأبرش «إدلب / سوريا»، سماح الطيب «أجا / مصر»، عبدالحميد جاموس «دمشق / سوريا»، أبوتمام بشرى «الدار البيضاء / المغرب»، محمد ثناء الزلاقي «فارسكور / مصر».

شكرا لكم. ودمتم أصدقاء أعزاء للعربي.□

وتريات

حنين

وأجمع شعث أعضائي
لأرسم من بقايا الصخب ترتيلا
يراود كل من شافوك
تنثر عذب ذاك النهر بارودا بريح القلب
تحصد ما تزرعه
خليط الدم من حنظل
وترسل عبر ثوب البرد ما يطفي
أديم النار
ـ يا ماء تناغم بين جنباتي ـ
وأنعش في جحيم الصهد أوردة
تذيب الصلب
اكشف ستر من خانوا تراب الخلق
وارميني بجوف القلب
انثرني بوهج النار
كي أصحو
ودع روحي
لتنقش فوق صدر الموت رايتها
وهب قبري لمن ماتوا
حنينا، يقهر الطوفان
فأسمائي
حروف بات يسرقها
هواة الصخب في الميدان..



أحمد المريخي
كوم امبو ـ أسوان

تنعموا بالراحة في اكثر مقاعد الدرجة الأولى رحابة في العالم



على متن طائراتنا تنعمون بالإسترخاء على مقاعد ...

الحلوى، يقدمها على بعض رحلاتنا الطويلة كبير الطهاة ويشرف على خدمتكم بنفسه مما جعل وجباتنا تحوز على العديد من الجوائز العالمية

وأثناء الرحلة تستمتعون بنكهة القهوة العربيةوالتمور الفريدة الطعم، محاطين بعناية واهتمام دائم من قبل طاقمنا المتمرس، وفي جو من المجاملة والضيافة العربية الأصيلة

أهلا وسهلا ومرحبا بكم على متن طائراتنا

السعودية

الخطوط الجوية العربية السعودية

نعتز بخدمتكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

جوائز المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية المقدمة

من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تشجيعا للبحث العلمي في مجال انجازات الحضارة العربية والإسلامية في حقل الطب وفروعه، ومجال التطبيق لذخائر هذا التراث على ضوء التمحيص العلمي التجريبي وفق منهاج العصر الحاضر والنظرة الفاحصة الى أحكام الإسلام ذات الصلة بصحة الفرد والمجتمع وأخلاقيات الممارسة الطبية، تعلن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن تخصيص جائزة كل سنتين في كل من المجالين الآتيين:

(١) مجال الممارسة مبنية على التجربة المختبرية أو السريرية المحكومة بالضوابط العلمية المرعية.

(٢) مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق.

شروط الترشيح للجائزة:

١- يشترط فيمن يحصل على احدى الجائزتين ان يكون انتاجه منشورا وذا اهمية في حقل العلوم الطبية الاسلامية ووافيا بالمنهاج العلمي العصري.

٢- تقبل ترشيحات الجامعات والمؤسسات العلمية والهيئات العالمية، وكذلك ترشيحات الشخصيات المتخصصة لنفسها أو لغيرها.

٣- تقبل الترشيحات مشفوعة بالسجل الذاتي والانتاج العلمي للمرشح في موعد غايته ١٩٩٤/١٢/٣١م.

٤- لايعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز بالجائزة او لم يفز ولا تقبل الاعتراضات على قرارات لجنة التحكيم.

تتالف الجائزة من مبلغ وقدره (٦٠٠٠د.ك) ستة آلاف دينار كويتي ودرع المؤسسة وشهادة تقديرية.

وسوف تشكل لجان تحكيم من متخصصين لدراسة الترشيحات واختيار الفائزين وسيدعى من يفوز بالجائزة للحضور الى مكان انعقاد المؤتمر الطبي الاسلامي لاستلام جائزته في حفل يقام لهذا الغرض.

وحرى بالبيان أن المقصود بالانتاج بحث علمي عميق ودقيق لمسالة محددة ذات صلة واضحة بالطب الاسلامي على مستوى المتخصصين وليس تناولا عاما من قبيل الثقافة العامة.

وترسل الترشيحات على العنوان الآتي:

السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص.ب.: ٢٥٢٦٣ الصفاة ١٣١١٣ - دولة الكويت

هاتف: ٢٤٢٩٧٨٠(٩٦٥+) / فاكس: ٢٤١٥٣٦٥(٩٧٥+)/ تلكس: ٤٤١٦٠ كيفاس

دار سعاد الصباح
تعلن...

جوائز الشيخ عبدالله المبارك والدكتورة سعاد الصباح لإبداع الشباب العربي للعام ١٩٩٤

جوائز الشيخ عبدالله المبارك (الإبداع العلمي):

الموضوعات: ١) الحاسبات الإلكترونية في خدمة الأفراد.
٢) الجينات / العلم الجديد وآفاقه.
٣) البيئة / إحراق آبار النفط الكويتية وآثارها البيئية.
٤) أضواء على حياة عالم عربي: دراسة (٥٠ صفحة أو أكثر).

جوائز د. سعاد الصباح (الإبداع الفكري والأدبي):

المجـــالات: ١) الشعر
٢) الرواية (مائة صفحة أو أكثر)
٣) القصة القصيرة (مجموعة)
٤) التراث (دراسة نقدية لشاعر معاصر أو لنتاج أو لكتاب في ٥٠ صفحة أو أكثر).

الشروط العامة:

● يشترط في المتقدم أن يكون عربيا والعمر ٣٥ سنة أو أقل، وتكون جميع المشاركات [illegible] لم يسبق نشرها، وترسل ثلاث نسخ من الأعمال مطبوعة إلى العنوان التالي: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - ص.ب (٢٧٢٨٠) ــ الصفاة / الرمز البريدي 13133/ دولة الكويت [illegible] (جوائز عبدالله المبارك ود. سعاد الصباح) ـ آخر موعد لاستلام المشاركات ١٩٩٤/٧/٣١ [illegible] الأعمال بصورة شخصية، البطاقة المدنية أو صورة جواز السفر والعنوان [illegible]

الجـــوائـــز:

● لكل مسابقة ٣ جوائز: الجائزة الأولى: ٣٠٠٠ دولار والثانية ٢٠٠٠ دولار والثالثة [illegible] للدار حق التصرف بالمسابقات ولها حق طباعة الأعمال الفائزة الأولى [illegible] العربية المتميزة.

[illegible] الأعمال الفائزة في مسابقة العام ١٩٩٣ إلى ترشيحات العام ١٩٩٤ [illegible]



صورة الغلاف:
□ الأندلس .. الغائب الحاضر في ذاكرة العرب
طالع الاستطلاع [ص ٤٠ - ٥٥]

مكاتب العربي

الكويت - وزارة الإعلام
مبنى وزارة الإعلام رقم ٢ شارع الصحافة ـ الشويخ.
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة - الرمز البريدي 13008
هاتف ٤٨٤٦١٦٣ - ٤٨٤٤١٦٤ - ٤٨٤٧٥٨٢.
فاكس التحرير: ٤٨٤٢٢٥١
جمهورية مصر العربية: ١٠٦ شارع قصر العيني ـ مبنى كايرو سنتر الطابق الخامس ـ القاهرة ـ فاكس: ٣٥٥٤٩٠٦
هاتف: ٣٥٦٢٨٢٢ ـ ٣٥٤٦٨٦٩.
المملكة العربية السعودية: جدة، ص.ب ٤٥٥٦. رمز بريدي ٢١٤١٢
الجمهورية العربية السورية: دمشق، ص.ب ٣٣٣٠، تلكس: ٤١٩١٧٢، هاتف: ٣٣٧٥٦٠، فاكس: ٣٣١٠٧٩

محتويات العدد:

ب ولغة وفنون :

ندى العربي :



□ **وجها لوجه : زهور ونيسي ود.محمد حسين طلبي [ص ٧٢]**



□ **الخفافيش مخلوقات الليل. [ص ٧٩]**



□ **فنون تشكيلية من البحرين..ثراء في اللون وعمق في التجربة [ص ١٤٠]**



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



□ عادة مص الإصبع عند الأطفال.
[ص ١٧٢]

عزيزي القارىء

البحث عن الزمن العربي

عزيزي القارىء..

بعد أيام من وصول عددنا هذا إليك، سيكون مطلع العام الهجري الجديد «١٤١٥». والتاريخ الهجري هو في جوهره تاريخ العرب، حيث يجمع كثيرون من مفكري العربية والعارفين بها أنه لا انفصال بين معنى الحضارة الإسلامية والهوية الحضارية العربية، فالهجرة لم تكن تعني مجرد خروج للنبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق من مكة إلى المدينة فرارا من إيذاء قريش، بل كانت وقفة فاصلة بين عالمين من الفظاظة المهاجَر عنها والرقي المهاجر إليه، وبناء على ذلك فإن الزمن العربي في امتداده ينبغي أن يكون سعيا باتجاه التحضر، ومن ثم فإن ما نراه في بقاع عربية وإسلامية كثيرة، من إهدار مجاني ضيق الأفق لدماء المسلمين باسم الإسلام، وإهدار لطاقات النمو العربي بنفي الديمقراطية مرة، واستبعاد حق الاختيار مرات، كل هذا الإهدار، وعلامات التخلف المصاحبة له والباعثة عليه، إنما هو ابتعاد عن الزمن العربي الحقيقي، وفي داخل عددنا هذا ثمة مناسبة لنتذاكر معنى الزمن العربي المراد، فأحد استطلاعاتنا يتجه نحو إسبانيا ليبحث عن «الأندلس الغائب الحاضر في ذاكرة العرب» ورغم أن أصواتا كثيرة سمعناها تتصارخ «وا أندلساه»، إلا أن صراخها كان ينادي شيئا آخر غير أندلس الحقيقة الحضارية العميقة، فالأندلس لم تكن رمزا لبسط النفوذ العربي على الساحل الأوربي للبحر المتوسط، ولم تكن حكما عربيا يتحكم في أعناق «الفرنجة»، بل كانت عهدا ذهبيا للحضارة العربية تتجلى فيه رحابة الدين ورحمة الدنيا، وفي ظل هذه الرحابة والرحمة ازدهرت في الأندلس الزراعة والصناعة حتى فاض الرخاء وعم، وتألقت في الأجواء بوارق من العلم والفن والأدب والثقافة ما زالت آثارها باقية هناك.

إن الزمن العربي ليس تقويما ميقاتيا، بل سعي حضاري في ظل التسامح والرحمة اللذين يتسم بهما ديننا، وإننا إذ نهنىء قراءنا العرب بمطلع العام الهجري ـ العربي ـ الجديد، فإننا نقدم عددنا هذا باقة ثقافية تضم ألوانا من العلم والفن والأدب، نأمل أن نكون قد نجحنا ولو قليلا في انتقائها، لتليق بالمعنى الحقيقي.. الحضاري.. من العربي.□

«المحرر»

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

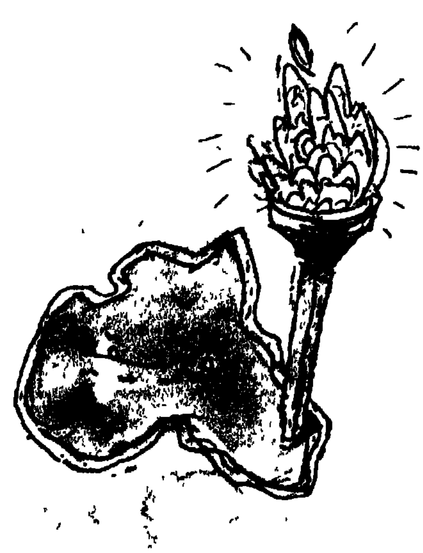
جنوب إفريقيا
هل تخضر الأرض الحمراء ؟

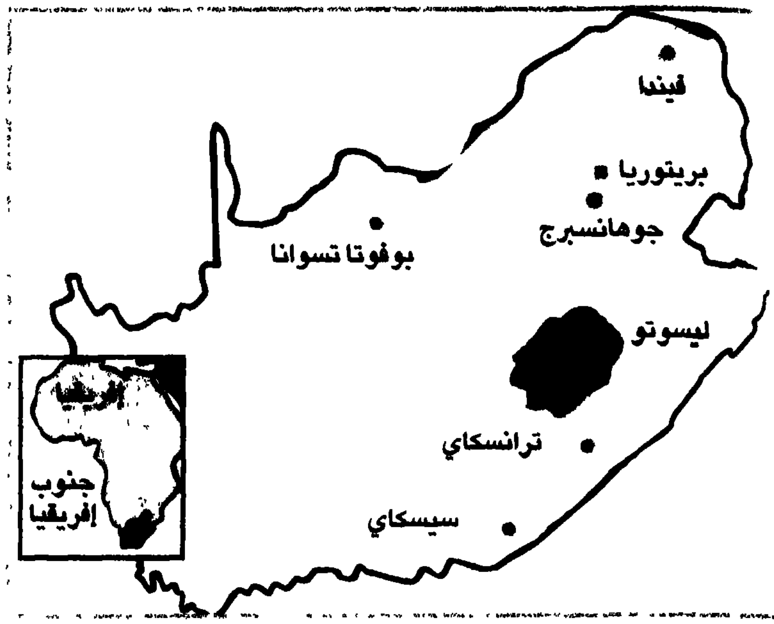
في حضم أحداث أول انتخابات ديمقراطية تجرى في جنوب القارة الإفريقية، جرى احتفال لم تركز عليه كثيرا وسائل الإعلام العالمية، وفي هذا الاحتفال تم إنزال علم جنوب إفريقيا العنصري القديم وارتفع بدلا منه علم المصالحة الوطنية الجديد، وصفق وهتف وغنى الحاضرون من أبناء جنوب إفريقيا، وكانوا خليطا من شتى ألوان البشر على هذه الأرض: سودا وبيضا وملونين.

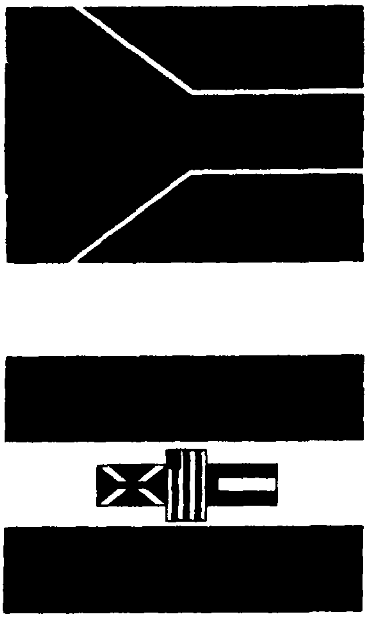
إن هذا الاحتفال الذي اختزلته وسائل الإعلام العالمية في أقل من دقيقة عرض على شاشات التلفزيون وبضعة سطور قليلة في نشرات وكالات الأنباء، يتجاوز - في ظني - دلالته المحلية وزمانه المؤقت، لتمتد ظلاله باتساع الإنسانية كلها، وبعمق التاريخ البشري المثقل بالأوزار، والمتحرق شوقا إلى الخير، فإن ما حدث في هذا البلد الإفريقي على مدى أكثر من ثلاثة قرون، إنما كان خطيئة بشرية كبرى، لم تكف عن التناسل المرير لتلد خطايا جديدة، فهل رفرف العلم الجديد ليؤذن بانتهاء مسلسل الخطايا نهاية فاصلة تستحق التصفيق والهتاف والأغاني؟ وهل من بدايات أخرى تختبىء وراء تلك النهاية؟.

وقبل الشروع في تتبع الأمر، ومحاولة الإجابة، لا بد من ملاحظة أخرى على التغطية الإعلامية العالمية لحدث جنوب إفريقيا الكبير، ففي فورة الحماس المشروع، والتعاطف مع الأغلبية السوداء التي نزفت كثيرا في حمام الدم الجنوب إفريقي، نسي رواة القصة الطويلة المريرة، أن حمام الدم ذاك لم يستثن حبلا للوريد إلا وقطعه في رقاب لم تكن كلها سوداء، بل بيضاء أيضا، وملونة كذلك، فالتعصب مصاص دماء أعمى، لهذا يحسن بنا أن نعود لنتذكر وقائع فاصلة في مسار القصة الطويلة.

عشية زمن الكشوف الجغرافية احتدم التنافس بين الإمبراطوريات







□ علم المصالحة الوطنية الجديد في جنوب إفريقيا (أعلى) وعلم التفرقة العنصرية القديم (أسفل)

□ الخريطة جنوب إفريقيا، والمواطن القومية للسود التي ستصبح جزءا من البلاد تبعا للدستور الجديد (باللون الأحمر) ومملكة ليسوتو ذات الحكم الذاتي (باللون الأسود)

البحريتين الأوروبيتين الأشد بأسا، أي إسبانيا والبرتغال، ولأن الهدف كان متعصبا ومريضا ويتمثل في قطع طريق التجارة الشرقية على المسلمين الذين توسعوا من شمال إفريقيا إلى تركيا، فإن أهل الدنيا الأوروبية احتكموا إلى أهل الدين فيها، وجاء حكم الحبر الأعظم عجيبا، فقد أعطى نصف العالم عن يمينه للمستكشفين الإسبان، والنصف الآخر عن يساره للبرتغاليين، وكان السعي الدءوب لتحقيق الهدف المشترك، هو إيجاد طريق بحرية تتجاوز الجدار الإسلامي وتسبق التجار المسلمين إلى الهند لتقتنص التوابل والبهار والإنسان، فما شأن الدين بالفلفل والهال والكمون والقرفة والعبودية؟!.

إنها بداية الخطيئة، التي استعدت التآخي والتعاون البشري، واستنت قطع الطرق سبيلا للتنافس، فاستباحت الأرض وكأنها بلا ناس، ومن ثم كانت استباحة الناس وكأنهم بلا أرض، هكذا فعل الكهنوت «الديني» بالناسوت «الدنيوي».. وبدأت الخطيئة تتناسل.

. في نهاية عام ١٤٨٧ وصل أسطول البرتغالي «بارثليميو دياز»، الذي كان مكونا من سفينتين صغيرتين ومركب للمئونة، إلى نقطة الرأس الجنوب إفريقي، ودار حولها دون أن يدري أنه دار حول إفريقيا، وعاد حالي الوفاض ميتا من الرعب بعد أن كادت تعصف به الرياح العواتي عند تلك النقطة التي أسماها «رأس العواصف».. لكن مليكه كان أوعى وأحصف، فسمى المكان «رأس الرجاء الصالح»، وبعد عشر سنوات جاء «فاسكو دي جاما» ـ البرتغالي أيضا ـ ليدور بنجاح حول رأس الرجاء الصالح ويصل من هناك إلى الهند المرتجاة في عام ١٤٩٨، ولأن عيون البرتغاليين كانت شاخصة إلى الهند وساحل إفريقيا الشرقي فإنها عميت عن جنوب إفريقيا التي ظلت بالنسبة لهم مجرد محطة للتزود بالماء العذب وبعض منتجات سكان المكان من قبائل الرعاة الرحل أو «الكهوي كهوي». دارت الأرض دورتها، وفي نهاية القرن السادس عشر اعتلت مسرح الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية إنجلترا وهولندا، بدلا من إسبانيا والبرتغال، ووصلت هولندا أولا إلى رأس الرجاء الصالح، وكانت سفنها تنزل هناك بحارتها المصابين بالأسقربوط ليأكلوا من خضرة الكاب

■ ما حدث في ذلك البلد كان خطيئة بشرية لم تكف عن التناسل لتلد خطايا جديدة



■ متذرعة بالرسالة المقدسة للأمم المتحضرة وضعت عصبة الأمم المستعمرات الألمانية تحت انتداب جنوب إفريقيا

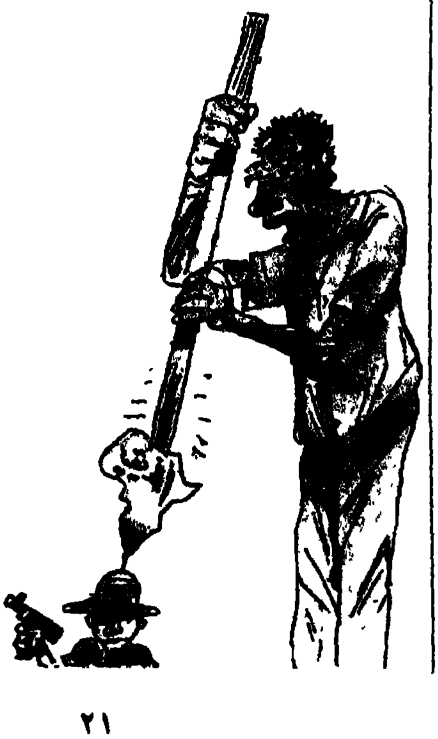
جنوب غربي إفريقيا تحت انتداب اتحاد جنوب إفريقيا الذي تسيطر عليه بريطانيا متذرعة «بالرسالة المقدسة للأمم المتحضرة» وكان البريطانيون قد زجوا بجنوب إفريقيا ضمن الدول المناصرة للحلفاء رغم ميل شرائح واسعة من الأفريكان للتعاطف مع ألمانيا، وقد كانوا يطالبون بسياسة الحياد خارجيا والتمييز العنصري المتشدد داخليا، وتفاقمت النقمة الأفريكانية داخل اتحاد جنوب إفريقيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية إذ دفعت البلاد للوقوف مجددا في صف الحلفاء رغم تعاطفهم القديم مع ألمانيا، وبعد ذلك كان لمضاعفات الحرب وللوضع الاقتصادي المتردي تأثير كبير على سير الأمور في الاتحاد، إذ هيّج ذلك المشاعر وأوصل المتشددين الأفريكان إلى الحكم، فحصل الحزب الوطني على أغلبية المقاعد النيابية في انتخابات ١٩٤٨، والتي كان مسموحا بخوضها فقط من قبل البيض، ومنذ ذلك التاريخ بدأت حياة سياسية جديدة يسيطر عليها المتعصبون البيض مع انحسار تدريجي للنفوذ البريطاني الذي أخذت إمبراطوريته في الأفول.

ومع تداعي الإمبراطورية البريطانية تقدم المتعصبون الأفريكان لمواصلة سياستهم مستقلين عن أي تأثير خارجي مع تعميق سياسات التفرقة العنصرية في الداخل، وعلى امتداد الخمسينيات وكذلك في الستينيات أقر البرلمان الأبيض في جنوب إفريقيا سلسلة من القوانين أرست نظام الفصل العنصري «الأبارتيد» وكرسته وامتد من منع السود من التجوال بدون «رخصة» وتحديد الأماكن التي لا يسمح لهم بدخولها وصولا إلى إنشاء «معازل» للسود منحت بعد ذلك استقلالا شكليا للحكم الذاتي وإن ظلت فعليا تحت سيطرة الحكومة البيضاء العنصرية، وأصبح على الأغلبية السوداء أن تعيش على أرض لا تزيد على ١٤٪ من جملة مساحة جمهورية جنوب إفريقيا، أما هؤلاء السود الذين كانوا يسكنون بالقرب من المدن الكبرى فقد تعين عليهم الانتهاء إلى أي من معازل السود، مع السماح لهم بالعيش دون أسرهم في شبه معسكرات حول المدن التي تعتمد عليهم في مصانعها، أو كخدم في المنازل والمزارع لدى البيض.

وبدأت الخلافات تتسع بين الحكام البيض لجنوب إفريقيا «الأفريكان» وبين السياسات المعلنة لبريطانيا، فكان أن قررت جنوب إفريقيا الاستقلال، وفي استفتاء ٥ أكتوبر ١٩٦٠ انتصرت فكرة استقلال اتحاد جنوب إفريقيا عن بريطانيا لتتحول البلاد إلى جمهورية جنوب إفريقيا وتعلن بعد أقل من سنة انسحاب جنوب إفريقيا رسميا من منظمة الكومنولث البريطانية، واستمرت في تطبيق سياستها العنصرية في عزل السود.

في الوقت نفسه بدأ العالم - خاصة العالم الثالث - يطالب بالحرية وحقوق الإنسان والتخلص من الاستعمار بأشكاله المختلفة غير المباشرة أو الاستيطانية، مما أوقع جنوب إفريقيا في عزلة دولية، خاصة بعد أن صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٦٢ بغالبية ثلثي أعضائها إلى جانب معاقبة جمهورية جنوب إفريقيا بسبب سياستها العنصرية وبالطلب إلى دول العالم بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية بسبب انتهاك هذه الدولة المتواصل لحقوق الإنسان وتشبثها بنظام التفرقة العنصرية البغيضة، وكانت هذه المقاطعة - على الرغم من الشكليات الظاهرية التي اتخذتها - قد تخللتها اختراقات عديدة من دول كثيرة وكبيرة، إلا أنها في شك ←

■ فرض نظام الفصل العنصري على السود أن يعيشوا في «معازل» وألا يتجولوا بدون «رخصة» وأن يعملوا في «معسكرات» بلا زوجات ولا أطفال ولا اهل



ـ جي كانت رمزا لموقف دولي وإن لم تؤد بذاتها إلى تغير في موقف ـمة جمهورية جنوب إفريقيا تجاه المواطنين السود أو الملونين.

الـ زلة .. القسوة .. رد الفعل

معنت السلطات البيضاء في جمهورية جنوب إفريقيا في تحدي الـ قف الدولية على جميع الأصعدة، وعززت علاقاتها بدول مماثلة لها كإسرائيل وبعض الدول الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية وغيرها، وتحايلت على المقاطعة الدولية بأشكال شتى، ولجأت في نهاية الأمر إلى تطوير قوة نووية ظلت لفترة طويلة تنفي وجودها على أرضها حتى اعترف فردريك ديكليرك رئيس الوزراء الأبيض في العام الماضي بوجود تلك القنابل النووية علنا، وسمح للهيئات الدولية بالتفتيش الدولي عليها وقبلت جنوب إفريقيا بضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

إلا أن كل هذا التعنت لم يكسر إرادة الانعتاق التي تمثلت في نضال الأغلبية السوداء ضد القهر العنصري والعنف المتصاعد.

كان للنضال على الصعيد الداخلي أثره الفعال، وعلى المدى الطويل، في تآكل التفرقة العنصرية والتي نشهد اليوم الانتصار عليها في جمهورية جنوب إفريقيا، فقد استطاعت الأقلية البيضاء بواقع القهر بالقوة المادية بشقيها العسكري والمادي والتاريخ الاستعماري الطويل رغم محدودية عددها نسبيا ـ فعدد السكان البيض لا يتجاوز خمسة ملايين في بحر من السود يبلغ حوالي ثلاثين مليونا بجانب ثلاثة ملايين خلاس «المولودين من أبوين أبيض وأسود» ومليون آسيوي «من شبه القارة الهندية» ـ استطاعت هذه الأقلية البيضاء أن تسيطر لفترة طويلة على مقدرات البلاد، في بلاد شاسعة مليئة بالإمكانات الاقتصادية العديدة، عاش معظم السود والخلاسيين والآسيويين عيشة ضنك وفقر وعوز، ولجأ ضحايا النظام العنصري والاستغلال الاستعماري من السود والخلاسيين والهنود أولا إلى أسلوب المقاومة السلبية متأثرين بمبادىء اللاعنف. وعلى الرغم من أن المؤتمر الوطني الإفريقي تأسس عام ١٩١٢ ليمثل السود ولمكافحة سياسة التفرقة العنصرية، إلا أن نضاله الفعلي لم يتجذر وينتشر إلا بعد الحرب العالمية الثانية واستمر على سياسة اللاعنف حتى ارتكبت السلطة البيضاء مجزرة سنة ١٩٦٠ ضد متظاهرين مسالمين يطالبون بحقوقهم، وقد وقع في هذه المجزرة مئات القتلى والجرحى. بعد هذه المجزرة، وكرد فعل عليها ولد الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الإفريقي والذي سمي «رمح الأمة» وأعلن انطلاق الكفاح المسلح، إلا أن هذه المرحلة سرعان ما انتهت عندما تمكنت الحكومة العنصرية من اعتقال معظم قيادي حركة الكفاح المسلح ومحاكمتهم أو القضاء عليهم، ودفع بقية جنودهم وأنصارهم إلى الـ ـرج، بل تمت مطاردة بقايا حركة الكفاح المسلح في الدول الإفريقية المـ ـاورة، فانتهكت قوات جنوب إفريقيا حصانة دول الجوار الإفريقية أنجولا، وموزمبيق، وزامبيا، وناميبيا، وزيمبابوي، وبوتسوانا، ـة ضرب قواعد المؤتمر الوطني، وقد أدى ذلك إلى انكسار حركة ـمة تحت تأثير ضربات الجهاز القمعي المنظم الذي تربى تحت جناح ـلة العنصرية وكذلك بسبب الأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية التي

■ على الرغم من ظاهر الشكليات فإن مقاطعة النظام العنصري في جنوب افريقيا شهدت كثيرا من الاختراقات

وقعت فيها الحركة، ومن بينها الصراع بين أجنحتها المتنافسة.

نهوض يتجاوز الانكسار

في إثر الإخفاق الأول لحركة الكفاح المسلح للسود والمضطهدين في صراعاتها لتغيير الواقع قبض على مانديلا سنة ١٩٦٤ وأودع السجن الذي قضى فيه ٢٧ سنة حتى خرج سنة ١٩٩١، وفي مرافعته أمام المحكمة التي وقف أمامها متهما بالخيانة العظمى، قال مانديلا: «لقد كرست حياتي من أجل نضال شعب جنوب إفريقيا للوصول إلى الحرية.. حاربت البيض وحاربت أيضا سيطرة السود.. من أجل تحقيق مجتمع ديمقراطي حر يتمتع أفراده بفرص متكافئة وبالمساواة، وقد وهبت حياتي كلها لكي أرى هذا المبدأ يتحقق.. وإنني على استعداد كي أضحي بحياتي من أجله».

بعد محاكمة نيلسون مانديلا وإيداعه السجن، ومطاردة بقايا حركة الكفاح المسلح حتى في الأقطار الإفريقية المجاورة، انطفأت لفترة حركة المقاومة، ولكنها ما لبثت أن انتعشت في مطلع السبعينيات حيث اندلعت المظاهرات الطلابية والإضرابات العمالية، وبلغت ذروتها عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣، وبدأت بعدها منظمات عديدة لتنظيم نضال السود والخلاسيين والهنود في النزوغ، قابلها تطور آخر في صلب الحزب الوطني الأبيض، فقد تحول هذا الحزب الذي كان يمثل تآلف عمال وفلاحين صغار وطبقة متوسطة من البيض عندما تسلم السلطة ١٩٤٨، وتميل غالبيتها للتشدد وعزل السود، إلى حزب يمثل الرأسماليين ورجال الأعمال وصناعيين يميلون إلى انفتاح ليبرالي محدود، وقد بدأ أنصاره يشعرون أن المقاطعة الاقتصادية الدولية أثرت بشكل سلبي على مصالحهم، كما نما داخل هذا الحزب تيار ليبرالي صغير بدأ بالتوسع، كان ردة فعل لبشاعة الصدامات الدامية التي كان المتطرفون البيض يدعون إليها وينفذونها ضد السود.

وفي سبتمبر ١٩٨٩ انتخب فردريك ديكليرك رئيسا للجمهورية وهو يمثل الجناح الليبرالي الصناعي المؤمن بالحلول الوسطى، وأن من مصلحة ليس السود فقط وإنما البيض أيضا وجود سوق أكبر والعودة للتعامل مع العالم، وفي أشهر قليلة أصدر رئيس الجمهورية الجديد قوانين لإلغاء بعض مظاهر التفرقة العنصرية، ثم رفع الحظر عن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي وكذلك الحزب الشيوعي، وأطلق بعد ذلك سراح نيلسون مانديلا من السجن، ثم بدأت المفاوضات الطويلة والشاقة والتي تأرجحت بين رفض أقلية بيضاء لهذه الخطوات ورفض أقلية سوداء أيضا، إلا أن تلك المفاوضات نتج عنها الاتفاق على إجراء انتخابات شاملة حرة لتكوين مجلس نواب من ٤٠٠ شخص ومجلس شيوخ من ٩٠ شخصا ينتخبون من مجالس المقاطعات التسع، والتي هي بدورها مجالس نيابية إقليمية خاصة، على أن يعمل بهذا الدستور المؤقت لمدة خمس سنوات هي الفترة الانتقالية.

في بادىء الأمر لم يصدق كثيرون نوايا ديكليرك، و سار البعض لاعتبار خطابه الجديد نوعا من المناورة البيضاء ...



البعض إلى أنه من جيل الأفريكان الجدد الذين خرجوا بحكم التعليم متاح على العالم من ضيق أفق التعصب القديم إلى اتساع أفق التفكير الي والإنساني، لكن الرجل ـ رغم معارضته لمانديلا له الانتخابات منافسا له ـ بر بوعوده الديمقراطية آخر لحظة، وحتى نزل علم العنصرية القديم عن يته وهو رئيس للبلاد، ولم يكن موقف ديكليرك فما يتيما من البيض، فهناك كانت دائما عضوة البرلمان الشجاعة هيلين سيزمان التي لم تكف عن المناداة بحقوق السود في قلب البرلمان الأبيض المتعصب، وهناك نادين جورديمر الروائية الفائزة حائزة نوبل والمنخرطة في صفوف المؤتمر الوطني الذي يقوده مانديلا، لقد كانت يقظة بيضاء لها قاعدتها التي تتوسع.



بين الجهاد الأكبر والأصغر

لو كان لنيلسون مانديلا ورفاقه في حزب المؤتمر الوطني الإفريقي بعض من ثقافة العرب لتحدث لمواطنيه عن الجهاد الأكبر الذي أمامهم، فرغم هول جهاد التحرير والنضال الذي لا يلين ضد أعتى عنصرية استيطانية في التاريخ الاستيطاني الحديث، ورغم عشرات الآلاف من القتلى والضحايا، ورغم كل الآلام التي خاضها شعب جنوب إفريقيا بتعدده اللوني والعرقي ضد واقع بدا وكأنه مستحيل قهره، رغم كل ذلك فإن ما سوف يرثه نيلسون مانديلا ورفاقه، هو إرث ضخم تتحوطه صعوبات جمة في حجمها أكبر وأضخم من الصعوبات التي واجهت نضال المقاومة نفسه، فأمام الحكومة الوطنية الجديدة في الجمهورية الوليدة مجموعة من التحديات الكأداء، فأمامها مثلا مقاومة بعض الأقليات السوداء سياسيا خاصة منظمة «إنكاثا»، حزب الحرية بزعامة منغستو بوتوليزي، فقد تصاعد الخلاف بين هذه المنظمة ـ التي تمثل قبائل الزولو، وتقدر بحوالي ٨ ملايين نسمة ـ والمؤتمر الوطني وهي مشاكل عرقية وتاريخية، وتخشى الإنكاثا من سيطرة المؤتمر الإفريقي على الحكم في المستقبل، لذلك فإنها تفضل موجة من الاستقلالية، وإعطاء المقاطعات حكما ذاتيا، وتلتقي الإنكاثا في الأهداف مع معارضين أشداء من البيض يدعون لاستمرار نظام الفصل العنصري، وهم أقلية تكتلت وراء حزب جديد سموه حزب المحافظين يرأسه زعيم فاشي هو يوجين تيربلانش.. هذان الطرفان السياسيان قد يحسان من النزاعات السياسية في المستقبل ما يعرقل مسيرة الجمهورية الوليدة، خاصة أن القبول بقواعد اللعبة الديمقراطية الذي يبدو على السطح الآن هو قبول مؤقت من أكثر من طرف، وقد تنسف قواعد هذه اللعبة أو تغير قوانينها في المستقبل.

كما أن نظام الفصل العنصري قد خلف بعد هذه السنوات الطويلة من مرارات فردية وجماعية قد تفلت من عقالها عند وصول السود إلى السلطة وقد تأخذ شكل الأخذ بالثأر مما يسبب مضاعفات للسلطة الجديدة، في الوقت نفسه فإن تلك السياسات قد أوجدت فوارق اقتصادية واجتماعية هائلة من جملتها التهجير القسري للسكان، وهناك ملايين السود يعيشون في أكواخ تشبه علب الكارتون، أو زرائب، معظمهم متعطل عن العمل،

■ مانديلا حارب البيض، وحارب السود، لتحقيق مجتمع ديمقراطي يتمتع افراده بفرص متكافئة.



ازدادت نسبة الجريمة إلى درجة أن السلطة الرسمية بدأت تتلقى آ...
طلب يوميا في الشهور الأخيرة قبل الاستفتاء من أجل استص...
رخص رسمية لحمل السلاح!.

في مثل هذا الوضع الاجتماعي الاقتصادي المتدهور، وأمام ... رأس المال وبيع المؤسسات الكبرى خوفا من «أفرقة» المؤسسا... الصناعية والتجارية تجد الدولة الجديدة نفسها أمام معضلة اقتص... اجتماعية مركبة، فالأوضاع الاقتصادية المتردية هي مشكلة ح... أمام الدولة الجديدة، حيث إن جلب الاستثمارات من الغرب ل... يكون بالعملية السهلة، فقد تسبب سقوط الاتحاد السوفيتي وانفتاح دول أوربا الشرقية، والأسواق الجديدة في أمريكا اللاتينية وآسيا، تسبب كل ذلك في فتح أبواب واسعة أمام رءوس الأموال الغربية، وطرح أمامها خيارات سوف تندفع إلى الأماكن الأحسن شـ... بكل تأكيد، والأكثر استقرارا.. ويقدر الخبراء الخسائر التي لحقت بالاقتصاد في جنوب إفريقيا من جراء المقاطعة الاقتصادية الدولية بحوالي ٣٠ بليون دولار، كما أنها مدينة للخارج بحوالي ١٧ بليون دولار، وتقدر البطالة في الأيدي العاملة بحوالي ٤٨٪ من قوة العمل، كلها من السود.

وماذا عنا ؟..

إن ظهور دولة جديدة في المجتمع الدولي بهذا الشكل وبهذا الحجم السكاني، والخلفية النضالية، تقدم للعرب فرصة جديدة لتوسيع قاعدة التعامل السياسي والاقتصادي والفني، على خلفية أن النظام العنصري السابق كان قد أسس علاقة متينة مع إسرائيل، وإن كانت الأمور قد اختلفت جزئيا، إلا أن موقف العرب بشكل عام كان مع الشعوب المحبة للسلام مناصرا لحقوق الأغلبية السوداء، لقد كتب نيلسون مانديلا في مجلة «الشئون الخارجية» الأمريكية في أواخر سنة ١٩٩٣، يقول:

«سوف تنتقل الدولة (الجديدة) من موقع العداء العنصري للقارة السوداء بأسرها إلى موقع المسترد لحقه العائد لأسرته بعد طول جهاد، عودة تصم... التقدير للمساندة، فتصبح جنوب إفريقيا عضوا في منظمة الوحدة الإفريقية، وبقية المنظمات الإقليمية ترسخ الأمن الإقليمي الإفريقي».

هذا التوجه العام في السياسة الخارجية لجمهورية جنوب إفريقيا الجديدة يعزز من فرص السلام ويرسخ احترام حقوق الإنسان وحرياته وحقوق الأقليات.

إن نضال شعب جنوب إفريقيا تاريخي بكل المقاييس، وتضحياته بطولية إلى أبعد الحدود، ونتائج ما حصل عليه تؤكد المد السياسي الطاغي لتوح... ترسيخ كرامة الإنسان ـ بصرف النظر عن لونه ودينه وعرقه ـ كما أن تجربته القادمة تجربة تستحق المتابعة، وبالتأكيد تستحق النجاح، فليس في حلوق قادة النضال الأسود السابق أية مرارة من جراء قرون من الاضطهاد، فهم يعرفون أن البيض ما زالوا يملكون التقنية وأسرار التجارة والصناعة والمال، ويعلمون كذلك أنهم مثلهم مواطنون ولدوا وآباؤهم على تلك الأرض التي لا يعرفون غيرها، والمأمول شكل جديد من التعاون يحسب حساب الحقوق كاملة لجميع المواطنين ويتحلى بالتسامح والتعاون لصالح الجميع، على نجاح مثل هذا الأمر ستضرب جنوب إفريقيا مثالا آخر، فهي كما ...

■ ديكليرك صوت يعبر عن الجيل الجديد من الأفريكان الذين تمردوا بحكم التعليم والانفتاح على ضيق الأفق العنصري القديم

للكفاح الصابر والطويل يمكن أن تصبح رمزا للتعاون الإنساني المثمر.
انتصار مانديلا ليس مجرد إعادة رواية لحادثة مكررة من حوادث
ر الوطني الذي اجتاح العالم في عقد الخمسينيات، إنها مداخلة جديدة
لا يكاد يشبهها إلا مأثرة حركة التحرر الهندية والتي قادها المهاتما
ي الذي بالمناسبة عاش في جنوب إفريقيا ردحا من عمره، وبدأ فيها
حه، فكأن هذه الأرض تطبع سكانها بروح المقاومة والتسامح في آن،
لسل الخطايا التي تلد مزيدا من الخطايا تم كسره بطريقة فاضلة تماما،
سبعة وعشرين عاما من السجن لم يخرج مانديلا مشوه الروح مرورا
مد القسوة للانتقام من القسوة، ولا يطالب بإلقاء البيض في البحر لقاء
غرق الطويل الذي عاناه السود في بحر الظلمات العنصري، بل طرح
معالجة التشوه بسوية عالية قوامها وطن للجميع ممن ولدوا على أرضه، دون
فرقة سياسية على أساس اللون أو الجنس أو الدين أو المعتقد، ولقد كان
مانديلا قادرا على إبقاء نفسه نظيفا ومهندما دائما بالمعنى الحرفي والمجازي
لكلمة، حتى عندما اضطره هذا السلوك الراقي للانفصال المر عن رفيقة
عمره ودربه «ويني مانديلا» التي أساءت تقدير حدودها في التصرف، فعلها
ولم تتصعضع روحه أو تتهالك قواه، ومن الواضح أنها روح عالية وثمينة
تلك التي جعلته يعبر ظلمات سجن جزيرة (روبن) التي كبلته سبعة
وعشرين عاما دون أن يغادر البشر وجهه، أو ينخلع اليقين في الحرية من
قلبه، ومانديلا في النهاية هو صورة لناسه، والناس «السود» في هذا الجزء من
العالم - كما يؤكد ذلك كل من تلامس معهم - يتحلون بقدر من الرهافة
الإنسانية حتى في ملامحهم البعيدة عن الغلظة وحتى في احتجاجهم الذي
يلونه دائما الإيقاع والرقص الذي يوشك أن يكون فرحاً إنسانياً حتى في
تلك اللحظات، إنها السوية العالية في مواجهة التشوه العنصري البغيض،
وهي مداخلة جديدة للبشرية حتى تخرج من مآزق التشوه التي ألمت بها على
يدي بعض الطغاة من الأفراد والفرق والأعراق والحكومات.

بالطبع ليست الصورة مغرقة في التفاؤل، فالأنانية البشرية قابلة للبروز
والطغيان، إن أتيح لها ذلك، سواء من المتعصبين البيض في جنوب إفريقيا،
أو من السود الذين سيصعدون إلى سدة الحكم، وتبرق أمام أعينهم مزالق
القوة والسلطة، لكن السوية التي انتهجها مانديلا وحزبه، بل أيضا فردريك
ديكليرك الذي ينبغي ألا يغمط حقه في الثناء، هذه السوية هي أمل القادم،
وإذا كان بعض من سافروا إلى هذه البلاد لاحظوا أن تربتها عند
حوهانسبرج تلفت الأنظار بلونها الذي يوشك أن يكون أحمر، وإذا كان
بعض من الكتّاب قد استنتج - مجازيا - أنها حمرة الدم الذي أريق على تلك
الأرض، وهو دم السود والبيض وإن بدرجات متفاوتة - كما أسلفنا - هذه
الأرض الحمراء المروية بدم اقتتال البشر على ظهرها، هل يمكن أن تزهو
فيها الخضرة؟ الفرح الذي اشتعل في حفل إنزال علم العنصرية ورفع علم
التآخي في جنوب إفريقيا في ذروة الربيع القريب، وبعد أكثر من ثلاثة قرون
من الدم والضيم يقول نعم يمكن أن تخضر الأرض. بل إن شوق هذه
الأرض إلى الاخضرار يكون أكبر وزاد الخضرة بين حبيباتها أوفر وأغزر..
أمل تتطلع إليه العيون في كل بقاع الدنيا، التي أريق على أرضها الدم.
أمل .. ونتمنى..□

محمد الرميحي

■ نضال مانديلا وشعبه كان نموذجا للسوية العالية في مواجهة التشوه العنصري البغيض



في حضرة الوجد

شعر: جنة القريني

تستيقظ الآفاق
تغسل وجهها بغمامة البشرى
وتبتسم الرمال
تعانق الصخر الذي يزهو
بأزهار الشفق

***

تتمدد الأفياء
ترقب نجمة الشمس التي انشغلت
تفصِّل بدلة الأحلام
قمصانَ الرؤى

***

ويجيء مختالا بموكب وعده
الوقت السخي
يضم عرش النور فيه
لحظة اللقيا
فينسرب الشعاع
معانقا وجدا تكدس في قلاع الروح
ترفل فوق أيك الشوق
أطياب الغرانق
تنثر الأشعار
أقمارا
ترج الليل
تخرج من محارات السكون الصلب
جمرَ النشوة الجذلى

فيهتز الزمان الحدب
يقطر أنجما
يستفها الشوق القديم

***

يا لحظة تأتي
كومض السحر
من أصداف بحر الحلم
تفتح روضة العلياء
تمحو الغيمة الليلاء
تبني فيَّ مملكة المسرات
الجنون المدهش
الشوق النبي
فينطق الصخر
الظلام
البحر
والأفلاك تجري
مثلما أهوى
وأعلو فوق أنهار
مرايا
يستحم الكون فيها بالصفاء

***

يا لحظة الفرح المشجرة
امنحيني واحة
كي استفيء بنخلك الحنّان

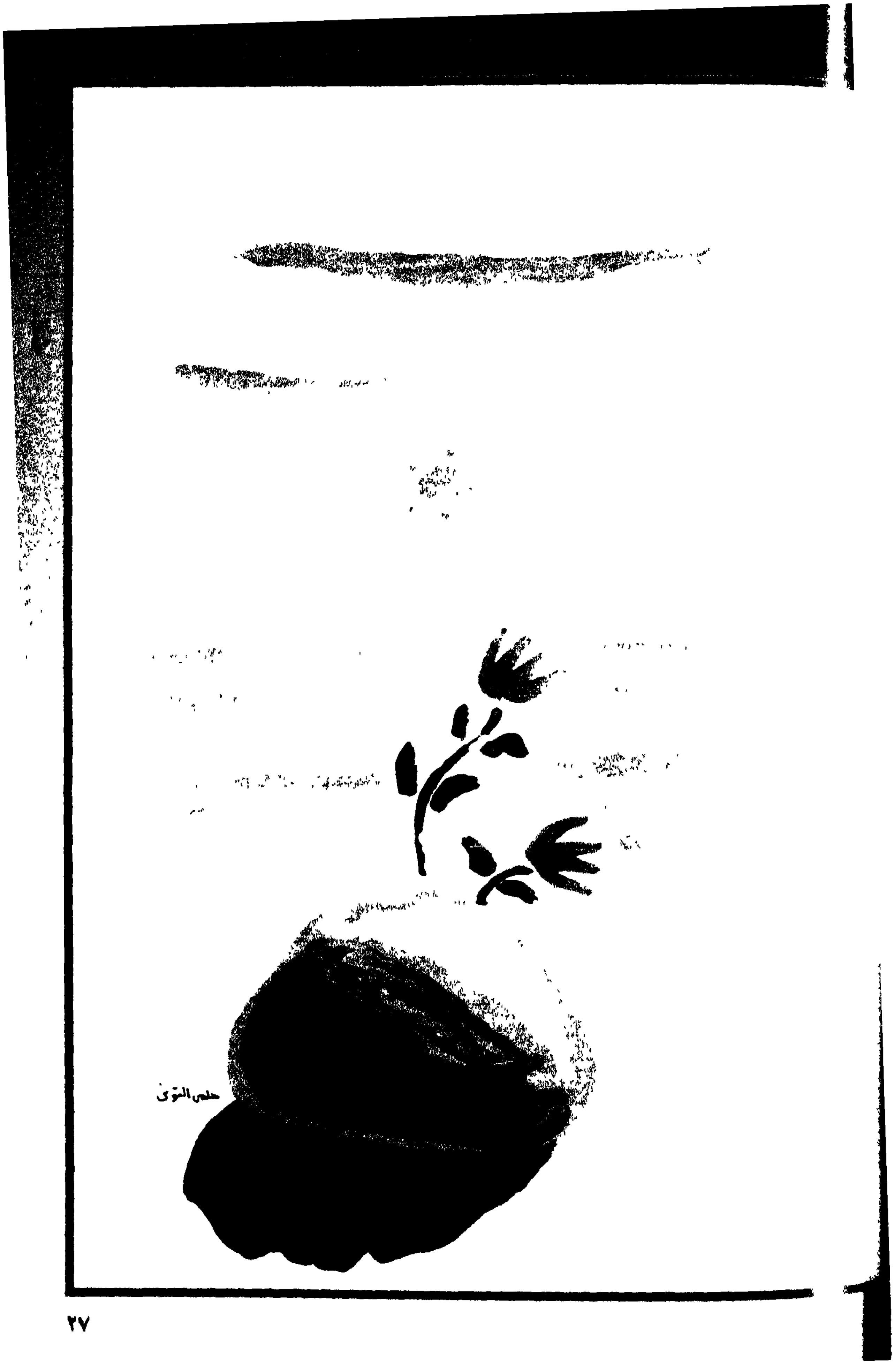
بالنهر الأسيل
رشي على قفري
عذوبة أنسك الريان
ضميني إلى الدوح المشع
بزخرف الوصل الجميل

***

يا ربة اللحظات
يا مخلوقة من بؤبؤ الزمن المحال
يضوع دفؤك في دمي
شُعلا
تقطر شهد أشذاء
على حقل
يُفَطّره الأوار

***

ماذا يضير عنادل الأحلام
لو تبقى تُلقّمني الهوى
وتفك أسر القلب
من صدر النوى
ماذا يضير مليكة الفرح الضنينة
أن تقود لي الغمام
وتمس روحي بالرواء
ينث نرجس بهجة
يعلو يمامات انتشاء؟ □


حلمى التونى



شرق أوسطية، بحر متوس

بقلم: الدكتور محمد السيد سعيد

كان ذلك مشهدا مؤثرا للغاية من فيلم زوربا اليوناني الشهير، عندما فاضت روح العجوز المتصابية، تدافع كل أهالي الحي إلى مسكنها الصغير، كل يخطف شيئا من ممتلكاتها، ويجري بها سريعا من الباب، وحتى عصفور الكناريا الرقيق، الذي كان سلوتها الوحيدة، لم يسلم من السلب والنهب الذي جرى بوتيرة سريعة وسط هرج ومرج يكاد يكون متفقا عليه.

هذا المشهد الدرامي يتكرر الآن بالحرف تقري
دون أن يلتفت له أحد: ولكن موضوعه هـ
التاريخ السياسي العربي الحديث: أو بالأحرى الط
العربي الحديث. إن أحدا لم يعطه شهادة رسمي
بالوفاة، ولكن الجميع خارجه وداخله يتصرفو
باتفاق مضمر على النحو نفسه: أي نهب وسلب ك
شيء في مسكنه، وربما يكون المشهد الأكثر دراماتيك
هو الذي ينبسط الآن حيث يجري نزاع حاد حو
وراثة المسكن نفسه. وقد يستطيع أحد الأطراف
يفرض احتكاره للمسكن بالقوة الجبرية، وإذا
يتمكن طرف واحد من ذلك، فقد يصدر
عمومي ما أمرا «ببقاء الأمر على حاله» كما هو
في نزاعات المساكن في مصر مثلا. ونعني بذ

وز فرقاء النزاع حول الوراثة ويقتسموا حجرات
كن، بقوة الأمر الواقع.

ة النظام

نا لا نشبه النظام العربي بالمسكن جزافا، فالأصل في كرة النظام: أي نظام هو تحقيق السكينة: أي السلام وحسن الجوار وأجواء التعاون الناشئة عن القربى، إن لم يكن القرابة.

لكن يبدو أن العرب فقدوا جدارتهم لملكية المسكن الذي يضمهم معا: أي النظام العربي. وربما يعود ذلك إلى الغزو العراقي الغاشم للكويت عام ١٩٩٠، وربما يعود إلى صراعات وخلافات وتحزبات وانقسامات سابقة على هذا التاريخ. ولكن النتيجة واحدة، وهي أن أيا من الأطراف العربية الكبيرة لا يرغب أو لا يستطيع إعادة تأسيس المسكن أو البيت الواحد وإثبات ملكيته وضمان الاعتراف العام به في العالم. فالجميع يدرك أن «الأسرة» صارت مقسمة، وأن نزاعاتها ربما تكون أعمق من أن تحل في زمن قصير، وأنها صارت منصرفة عن بعضها البعض، وأن جل ـ إن لم يكن كل ـ أطرافها

طية وأوساط أخرى

يبحث لحال سبيله عن مخرج من أزماته هو أو مدخل لمصالحه المنفردة هو.

غير أنه من منطق الأشياء في هذا العالم أن أي مسعى للنظام العام ــ وسواء كنا نتحدث عن النظام العام في مدينة أو دولة أو في العالم كله ـ لابد أن يشمل الإقليم العربي. وأن النظام الدولي ما دام نظاما لابد أن يضمن عدم انفجار الفوضى في هذا الإقليم أو أي إقليم آخر. وبالتالي، ما دام هناك عالم يبحث لنفسه عن نظام ما يغطي أرجاءه المعمورة لابد أن ينشأ نظام ما في الإقليم العربي. فإن لم يكن هناك نظام ما يزعم أنه عربي فالأرجح هو أن ينشأ نظام بديل، أو يمتد نظام إقليمي آخر إلى الإقليم العربي ليسيطر عليه أو يضمن الاستقرار فيه لصالحه. وحيث إن هناك اعترافا ضمنيا عربيا أو عالميا بأن النظام العربي ربما يكون قد قضى

نحبه، فقد نشأ موقف فريد يعنى بوراثة هذا النظام. أما الأطراف والأفكار التي تسعى للحصول على نصيبها من هذه الوراثة فهي كثيرة. وربما يكون من باب المصادفة فقط أن أكثرية من هذه الأفكار قد صيغت بحيث تشتمل على مصطلح الأوسط أو المتوسط، فأهم هذه الأفكار قاطبة هما فكرتا «نظام شرق أوسطي»، و«نظام بحر متوسطي»، ولكن هناك أوساطا أو متوسطات أخرى تبحث لها عن نصيب في عملية الوراثة هذه.

هذا التحليل كله يبدو من زاوية معينة «نظريا محضا» بمعنى أنه غير عملي ولا يستقيم مع الظروف الواقعية والصورة المعقدة التي تؤلفها المصالح والنزعات الفكرية والأيديولوجية والمحصلة النهائية لتفاعل وصراعات القوى وتوازناتها، ونقطة الضعف الأولى في هذا التحليل هي أنه يفترض ضمنا أو صراحة أن هناك نظاما عالميا يسعى لضمان الأمن والاستقرار في ربوع المعمورة، وأنه بهذه الصفة لابد أن يضمن الأمن والاستقرار في الإقليم العربي كذلك. ويبدو ذلك غير صحيح إلى حد ما، على الأقل في الحقبة الراهنة من التطور العالمي. هناك بالفعل نزعة قوية لإنشاء نظام عالمي، غير أن هناك عوامل موضوعية وسياسية قد تؤدي إلى الانصراف الفعلي عن هذا المشروع، ككل. وقد تكتفي بمجرد تنظيم التفاعلات التعاونية والصراعية بين الأطراف التي تهم بعضها البعض مباشرة. ويتضمن ذلك القول بأن من المحتمل ألا يكون ضمان الأمن والاستقرار مشروعا عالميا حقيقة، بل قد يكون التخلص من الأطراف الضعيفة والمهمة وفصلها عمليا عن «مشروع دولي صغير» بين الدول القوية وذات التفاعلات المهمة والأدوار الكبيرة. وهو ما ينطوي على ترك أجزاء كبيرة من العالم، وتحديدا أجزاء مهمة من إفريقيا وآسيا والإقليم العربي بينها «لكي تأكل نفسها» دون أن يهتم أحد بدعوتها إلى تأليف نظام فيما بينها أو استيعابها في نظام من صنعه، وذلك ببساطة لأنها لم تعد مهمة في السياقات العالمية الجديدة. وهنا يفترق تحليل النظام العالمي عن التحليل المبسط الذي يستنبط من العلاقات الأسرية مثلا. وهنا أيضا نجد نقطة ضعف ثانية في

تحليلنا السابق، ففي المقاربة التي أبرزناها من خلال فيلم زوربا كان موقف الوراثة يتسم بما يلي: إن المتكالبين على النهب والسلب كانوا جميعا من الفقراء الذين تعني لهم حتى قطعة ملابس بالية شيئا كبيرا. أما في واقع النظام العالمي، فإن ما تملكه المنطقة العربية قد لا ينطوي على قيمة كبيرة بالنسبة لأغنياء وأقوياء هذا العالم. وهؤلاء قد يتركون الذئاب الصغيرة كي تنهش في الجسد العربي كل حسب قوته. ومن ناحية أخرى، فإن التحليل المتضمن في الدراما الفيلمية ينهض على قصة بسيطة: عجوز توفيت وذئاب الحي يتخاطفون ممتلكاتها. أما في الواقع الحقيقي، فإن ما توفي أو أشرف على ذلك هو النظام العربي، أما العرب أنفسهم فلايزالون أحياء، وقد يكون النزاع أضعفهم جميعا. غير أن كلا منهم لايزال قادرا على اتباع استراتيجيته الخاصة للبقاء، وهناك احتمال قوي أن يؤدي تفاعل هذه الاستراتيجيات إلى إفساد خطط الجميع في وراثة النظام العربي من خارجه. فإذا كانت أنانية كل طرف من أطراف الأسرة العربية قد حالت دون حفاظهم على مسكن مشترك، فهذه الأنانية ذاتها قد تحول دون ضم كل أفرادها حتى ولو في علاقة تبعية وخضوع لمسكن أكبر. وببساطة قد يكون «المسكن العربي» قد تصدع. ولكن قد لا تكون هناك إمكانية حقيقية لوراثته ككل أو ضم أطراف الأسرة العربية في مسكن أكبر لا يسيطرون عليه، وقد تؤدي صراعات أصحاب المزاعم الخارجيين للوراثة إلى شلل متبادل لهم جميعا.

وببساطة قد لا ينشأ أي نظام على الإطلاق في المنطقة العربية. ويصبح الإقليم العربي «منطقة فراغ» يقود فيها الأطراف المختلفة علاقاتهم وتفاعلاتهم يوما بيوم دون قواعد منهجية واضحة أو ضوابط مستقرة ومقننة، أو توقعات ثابتة.

هذا التعدد في المسارات المستقبلية المحتملة لايستبعد ـ بل على العكس يفرض علينا ـ القيام بتحليل منهجي للرصيد الواقعي لكل مسار، وبالتالي مدى أرجحيته الفعلية.

ولقد صارت أطروحة «الشرق أوسطية»، مجالا خصبا لمضاربات فكرية تعسفية إلى حد كبير، ويبدأ الأمر بالتعسف البالغ في تسمية الأطروحة ذاتها. فالواقع أن تسمية الشرق أوسطية، لا تحمل دلالة كبيرة على الطبيعة المحددة للمشروعات المقترحة. ولابد لفهم هذه الطبيعة من استشـ السياقات الحقيقية التي قد تشير إلى هذه التسـ فهناك سياقان رئيسيان ومتباينان جذريا لمقولة الشرق أوسطية.

السياق الأول والأهم من الناحية العملية مـ بالنتائج الاقتصادية والسياسية لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي سلميا. أما السياق الثاني فيعنى بالجهد الواعي لإعادة بناء الشرق الأوسط على أساس أنه «بيت مشترك للشعوب القديمة ومركز الحضارات الكلاسيكية، قبل بداية الحضارة الرأسمالية الغربية الحديثة».

أطراف غير متكافئة

ويبدو استخدام تعبير الشرق الأوسط للدلالة على السياق الأول زائفا إلى حد كبير. وحتى لو أخذ بأوسع الاحتمالات وأقلها أرجحية في نفس الوقت. لايبدو هذا التعبير ـ من الناحية الفعلية ـ أكثر من إطار عريض للغاية للإحالة إلى روابط محددة أو التزامات ضيقة بطائفة من المشروعات الفنية والوظيفية بين مجموعات مختلفة من الدول لا يضم أي منها إقليم الشرق الأوسط ككل. وهذه المشروعات ذات صلة محددة بالتسوية الدبلوماسية للصراع العربي الإسرائيلي.

والصورة الشعبية المستنبطة من الصحافة العربية لهذا السياق تبدو أيضا مصطنعة أو ملفقة أو في أفضل الأحوال أيديولوجية وذات صلة محدودة بالواقع وبما يتم التفاوض الفعلي حوله في نفس الوقت



وتتم هـذه الصـورة على أن صيغـة الأرض مقـابل السلام التي تمثـل الأسـاس العـام لصفقـة التسـويـة السياسية للصراع العربي ـ الإسرائيلي تلـزم العرب بإقامة سوق مشتركة على امتداد إقليم الشرق الأوسط. وهذا هو ثمن مـدفـوع لجلاء إسرائيـل عن الأراضي العربية التي تحتلها منذ يونيو عـام ١٩٦٧. وحيث إنه من البديهي أن أطـراف هذا المشروع غير متكـافئة في القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية، فإنه يتضمن تلقائيا تحويل إسرائيل إلى مركز اقتصادي تكنـولوجي للإقليم العـريض المعـروف بـاسم الشرق الأوسط وتمكينها من اختراق المجتمعات والاقتصادات العربية اختراقـا مباشرا وتحويلهـا إلى تبعيـات اقتصاديـة وربما سياسيـة لإسرائيل، إن لم يكن تفتيتهـا وسحقهـا تحت وطأة القوة الإسرائيليـة الطاغيـة بحد ذاتها والمتحـالفة مع المراكـز الـرئيسيـة لـلاقتصـاد العـالمي، وخـاصـة الولايات المتحدة.

والواقع أننـا لو حاولنـا استنباط صورة التفـاعلات الممكنة والمحتملة عمليا مع إسرائيل من الهيكل الراهن لمفاوضات التسـويـة السلمية بين العـرب وإسرائيل ـ سواء على الصعيـد الثنائي أو متعدد الأطراف ـــ سوف تظهر الملامح الرئيسية التالية:

* أهم ما قد تسفر عنه المفـاوضات من ناحية القيمة الفعلية هو إنشاء علاقات اقتصادية وفنية خاصة ومميزة بين إسرائيل من ناحيـة والدويلـة الفلسطينية الـوليدة، والأردن من ناحية أخرى.

* وفي المقام الثاني قد تنتهي المفـاوضات لوضع أطر أو حتى مجرد ضوابط لأنظمة إقليميـة نوعية في مجالات معينة بعينهـا، ولكن ليس «نظـاما إقليميـا» عامـا متعدد الوظائف وشامل العضوية. وقد يتفرع عن هذه الأطر مشروعـات محددة للتعـاون الاقتصـادي والفني في مجالات المياه والبيئة والحد من التسلح.

* وفي المقام الأخير لا يتـوقع سوى قـدر محدود من العلاقـات التجاريـة والفنية بين إسرائيل وبقيـة الدول المحروسة إذا ما تم إلغـاء المقاطعة الاقتصـادية الـرسمية لإسرائيل بسبب النجاح النسبي المتوقع لاستراتيجيات الإعاقة والتحكم التي يرجح أن تتبعها الدول العـربية ... فيما يتصل بمـدى ونطاق وهيكليـة العلاقـات الاقتصادية مع إسرائيل.

والواقع أن هـذا التقـديـر لا يسعى إلى التقليل من مخاطر ومخاوف الاختراق الإسرائيلي لـلاقتصـادات العـربيـة. ذلك أن جـوهـر تحليلنـا يقـوم على أن هـذه المخاطر والمخاوف سياسيـة واستراتيجية أكثر بكثير مما هي اقتصادية وثقافية. فالاقتصاد الإسرائيلي على الرغم من ضخامته بـالمقارنة بالدول العربيـة المجاورة ـ وهي ضخامة مبالغ فيهـا على أي حال بسبب ارتفاع مستوى الأسعار والتكـاليف والأجور ـ ليس اقتصادا عمـلاقا بأي معنى، وهو في الجوهر اقتصاد تـابع بدوره وموجه إلى الخارج بقـوة وكـل مـا يأمل فيــه الإسرائيليـون في الحقيقة هـو أن تتحول دولتهم إلى مركـز إقليمي لحركة الشركات العالمية ومتعـددة الجنسية، لا أن تكون هي ـ بقـدراتها الـذاتيـة ـــ مـركـزا اقتصـاديـا لإقليم الشرق الأوسط.

ومما لاشك فيـه ـ في هدا التحليل ـ هـو أن المستوى والنوعيـة المتوقعـة للعلاقـات الاقتصاديـة «الطبيعية» سـوف تفيد إسرائيل ـــ وخـاصـة في الأمد الـوسيط ـ وذلك كمحصلـــة نهائيـــة، دون أن يـــؤدي ذلك إلى تعديـلات هيكلية في بنيـة الاقتصادات العـربية، اللهم إلا فيما يتعلق بحالـة الضفة الغربية وقطـاع غزة، وربما الأردن أيضـا، ويـدعـونـا هـذا الاستنتـاج إلى تقـديـر مـرغوبيـة هـذه الفـائدة المتوقعـة لإسرائيل من جـراء النتـائج المرجحـة للمفاوضـات متعـددة الأطـراف في المجـالات الاقتصـاديـة والفنيـة. والعـامل الحاسم في تقدير هـذه المرغوبية أو المقبولية في الأمر المبـاشر هو ما إذا كانت الفـوائد والمزايا التي تحققهـا إسرائيل في هذه المجـالات واعدة بإمكـانـات تغيير المجتمع الإسرائيلي من داخلـه وخـارجـه لصـالح سـلام عـادل وشـامل وحقيقي. إننا قد نتحدث عن ميل موضوعي لاستنفاد إمكـانات النمـو والازدهـار الكـامنة في صيغـة مجتمع عسكـري عنصري احتــلالي في إسرائيل. غير أن هـذا الميل لايزال بعيـدا للغايـة عن أن يكون غـالبا أو حتى مـؤثـرا بـدرجـة كـافيـة. ومن الممكن استثمار قنـوات التفاعـل الاقتصادي لتعزيـز فرص التحـويل الجذري لإسرائيل إلى مجتمع مـدني طبيعي وذي آفاق سـلامية. غير أن الإمكانـات الحقيقية لذلك تتـوقف على مدخل هـذا الاستثمار. ففي الإطار الـراهن للمفاوضـات بين العرب وإسرائيل، تبـدو المزايا الاقتصـادية وكأنها ثمن مـدفـوع لإسرائيل، وهو مـا يعنى في الجوهـر مكـافأة العدوان. أي دفع مكـافأة للقوة العسكريـة الإسرائيلية المتغطرسة. كما يبدو أن إسرائيل لم تغير فعليا نظرتها إلى العرب والحقوق العربية. وربما يكون التغير محصورا في

إضافة هدف جديد لإسرائيل في أن تصبح مركزا إقليميا للحضارة الاقتصادية/ التكنولوجية الجديدة وسط الأرياف العربية المتخلفة. وهناك مدخل آخر ـ لايزال افتراضيا ونظريا إلى حد بعيد ـ ويقوم هذا المدخل على الحاجة لنظام يجمع العرب وجميع الدول المتوطنة في الشرق الأوسط. وتكون مهمته وضع مرتكزات قوية للسلام والتقدم في المنطقة ككل. بدءا من تسوية جميع صراعاتها والتصفية المنهجية لعوامل العنف والفوضى والتخلف الاقتصادي ـ الاجتماعي. هذا المدخل يسمح ببناء استراتيجية هجوم سلامية حيال إسرائيل. ويتضمن ذلك دمج إسرائيل في النسيج الاقتصادي لمنطقة الشرق الأوسط بقدر ما تتخلى عن طبيعتها العسكرية / والعدوانية والعنصرية. ويمثل هذا التوجه أحد مرتكزات مشروع أو سياق بديل كلية. ذلك أن مشروع إعادة بناء الشرق الأوسط يبدأ من معطيات كلية عديدة، أهمها ما يلي:



* إن الشرق الأوسط هو مجمع أو بيت للحضارات والشعوب القديمة التي كانت المركز الثقافي والأخلاقي والسياسي للعالم القديم. وأنه بهذا المعنى يمكن أن يصبح منطقة للسلام العام الإقليمي والعالمي. ولا يتناقض الشرق الأوسط بهذا المعنى مع حق العرب في التجمع معا كتعبير عن أمة وثقافة واحدة. ذلك أن هناك قدرا من الاتصال والقربى بين الشعوب العربية والشعوب الأخرى في الشرق الأوسط، وخاصة تركيا وايران، وربما إثيوبيا أكثر بكثير مما هناك من انقطاع وابتعاد. وعلى الرغم من أن المجتمع الإسرائيلي ليس جزءا من النسيج الثقافي التاريخي الفريد للشرق الأوسط، إلا أن هناك امكانا لدمجه انطلاقا من بعض المعطيات الثقافية والسيا... هذا النسيج، وذلك بهدف ضمان تحويله إلى مجتمع ... طبيعي سلامي، وهو الأمر الممكن فيما لو نشأ ... حقيقي لشعوب الشرق الأوسط، ونظام جامع ... الشعوب قادر على ردع العدوان وتعزيز ال... والازدهار الإقليمي في نفس الوقت.

* والشرق الأوسط يفقد ... الصفة بقدر ما أدى التنافس ال... على السيطرة عليه إلى تمزيق الر... بين شعوبه وتقوية نزعات ال... والتناقض بينها. وهذه الصر... والتناقضات لم تفض فقط إ... تمزيقه سياسيا واستراتيج... وأهم من ذلك إلى إهدار فر... شعوبه في التقدم والازدهار ال... والاقتصادي. وقد حان الوق... لإعادة صياغة علاقات شعو... الشرق الأوسط بما يحقق لها ه... الفرص بالذات. فنحن في الحقيق... أمام اختيار بين مسار يقوم على فك... البيت المشترك والفرص المتساوية ... التقدم من ناحية، ومسار يدمر فر... التنمية والازدهار ويقذف بكل المنطق... خارج التاريخ العالمي بسبب تحولها إ... مستنقع من الصراعات والتطرف والعنف بكل صو... وعلى كل المستويات.

وإسرائيل هي أيضا جزء من هذا الاختيار. إذ يعـ... الإسرائيليون جيدا أن التركيز على التفوق العسكري قد أهدر مواردهم وقدراتهم وأدى إلى تخلف هياكلهم الاقتصادية والثقافية ومن الممكن أن يحمل في طيـ... تدميرا ذاتيا ومنهجيا لفرص التقدم لهم وللآخرين ... أن محاولتهم الجمع بين التفوق العسكري والتفو... الاقتصادي معا لن تكون لصالح الفرص الحقيقية ... التقدم لهم وللآخرين. وهنا تبرز المصلحة المشتركة ... تأسيس نظام فعال يضمن الأمن والسلام للجميع ويتيح فرصا متكافئة في النمو والازدهار الاقتصادي والثقافي للجميع.

غير أن الفرص الحقيقية لإنشاء مثل هذا النظـ... تتوقف على العمل معا ـ على أساس من قاعدة المسـ... والاحترام المتبادل ـ من خلال منظور إيجابي مستمـ...

ولا ـ أن ينعكس هـذا المنظور في كل مـرحلـة، بما في ذلك مـرحلـة التفـاوض على تسويـة الصراع العـربي ـ الإ اثيلي. ولم يقـدم الإسرائيليـون أسـاسـا كـافيـا للا تقاد بأنهم يملكون مثل هذا المنظور.

بحـ متوسطية والوسط الآسيوي

ـشروع إعـادة بنـاء الشرق الأوسط كبيت مشترك ـحصارات القـديمة، ليس مطروحا بقـوة على بساط التفـاوض لأنه يفتقـر إلى مقومـاته العمليـة وخاصـة ـوازن القـوى وتـوازن المصـالح والمنظـور التنمـوي الإيجابي أخلاقيـا وسياسيا. على أن هنـاك مشروعات تحمل ظلالا لهذه الفكـرة في المجال الـدعائي البحت. وإذا كـانت إسرائيل تحلم بـإعـادة صيـاغـة الشرق الأوسط على هواهـا ولمصلحتها المنفـردة، فكل طرف حر من غير العـرب يحلم بالأمر نفسه، وخـاصة كلا من تركيـا وإيران. إن التفاعـلات المستترة ـ إن لم يكن لاتفاقيـة ـ بين هذه القوى الإقليميـة تفضي عمليا إلى تخلق شرق أوسط فعلا عن طريـق المغالطة وليس عن طريق قـوة المنطق وسـلامـه الطـويـة. هـذا «الشرق الأوسط» الـذي يبرز بالفعل يحمل إمكـانات تطـويق الوطن العربي بتحالف غير مقصـود ـ وربما متوتر ـ بين لقوى غير العـربية بهدف اقتسـام الغنائم العـربية بين هذه الأطـراف كل حسب قوتـه وإمكانـاته وفـرصه. وإذا ما تحقق ذلك يعـود الوطن العربي منطقة شـاسعة رخـوة من النـاحيـة الجيـوبـوليتكيـة مخترقـة بعمق وموضوعـة على جدول أعمال النهب والسلب الدولي والإقليمي.

هـذه المنطقـة تتجـزأ إلى مناطق نفـوذ لقـوى دوليـة وإقليميـة شتى، وبـالتـالي تتعـدد النظم الإقليميـة التي تنتمي لها هـذه الأجـزاء. وهنـا يبرز أكثـر من مشروع ـحـر. وعلى رأس هذه المشروعـات فكـرة إنشاء نظـام ـحر متوسطي. والفكرة هنـا ببساطة أن تتجمع الدول الـواقعـة على البحـر الأبيض المتـوسط لتشكل معـا مؤسسـة مماثلـة في طبيعتهـا لمؤتمر الأمن والتعـاون الأوروبي.

وعلى الـرغم من الطبيعـة الاستشـاريـة البحتـة لهذا المؤتمر الأخير.. إلا أن مجرد الجمـع بين دول أوربـا الشـ ـة الضعيفة اقتصـاديا ودول أوربا الغربيـة إضافة إلى ـيكا الشمالية القوية والمهيمنة اقتصاديا وثقافيا قد أدى بهذا المؤتمر إلى أن يتحـول إلى هيئـة تشرف على التحـويل الـداخلي لمجتمعـات أوربا الشرقيـة وإعـادة هيكلتهـا سياسيـا وأيديـولوجيـا على النحو المرغـوب والمواتي لمصالح أوربـا الغربية. ونعتقد أن جـوهر فكرة إنشـاء نظـام بحر متـوسطي تنطـوي على نفس الآليـة. وأهم من ذلك أن الفكـرة في صيـاغاتها العمليـة تضم إسرائيل وتـركيا ولكنهـا قطعا تستبعـد الدول العـربية غير المطلـة على البحـر الأبيض المتـوسط. كما أن المقترحـات العمليـة تفـاوتت بين ضم جميع الـدول العربيـة المطلة على هـذا البحر أو الاكتفـاء منها بـدول المغـرب العـربي بـاستثناء ليبيـا. وينطـوي هـذا المعنى الأخير على كـون مشروع إنشـاء نظام بحـر متـوسطي تطويـرا جذريـا للسياسة البحـر المتوسطيـة التي تتبعها الجماعة الأوربية، وبما يتيح لهذه الجماعـة تحقيق نوع من الإشراف الجماعي على التطور الـداخلي للدول العـربية في جنوب البحر.

وهنـاك أفكـار مكملـة لإعـادة هيكلـة الـوضعيـة الإقليميـة للـدول العـربيـة. فإلى جـوار نظـام بحـر متـوسطي قـد ينشأ نظام اتفـاقي أو فعلي يضم الـدول العربية الـواقعة جغرافيا في منطقـة غرب آسيا مع دول غير عـربيـة تقع في وسط آسيـا بحيث يتكـون نظـام «لوسط وغرب آسيا» بعيد كل البعد عن التفاعل الحي والعضوي مع الدول العربية في شمال إفريقيا.

وراثة أم سلام؟

المشروعـات الإقليميـة كثيرة وسـوف تتـواتـر وتتنـافس. غير أنها جميعـا تنطوي على محاولـة وراثـة النظـام العـربي وتشتيت وتفتيـت وتفـرقـة الأقطـار العربيـة بين هياكل إقليميـة بديلة. ومـع ذلك فإنه لا يبـدو أن لأي من هـذه المشروعـات أسسـا كـافيـة للنجاح في الوقت الحالي على الأقل. وحيث إن إحياء النظام العربي يفتقـر بدوره إلى مقومات النجـاح فقد تكـون نتيجة كثـرة المشروعات ألا يتحقق في الـواقع أي مشروع على الإطـلاق. وتبقى المنطقـة العـربيـة «فراغا إقليميـا» بأكثر منها نظامـا إقليميا. وليس من المؤكد أن هـذا الفراغ يولـد الحرب. ولكن المؤكد أن مثل هـذا الفـراغ يجعل السـلام أمـرا ممكنـا فقط بـالمصـادفـة أو بحكـم السيطـرة الخارجيـة المباشرة فحسب. □



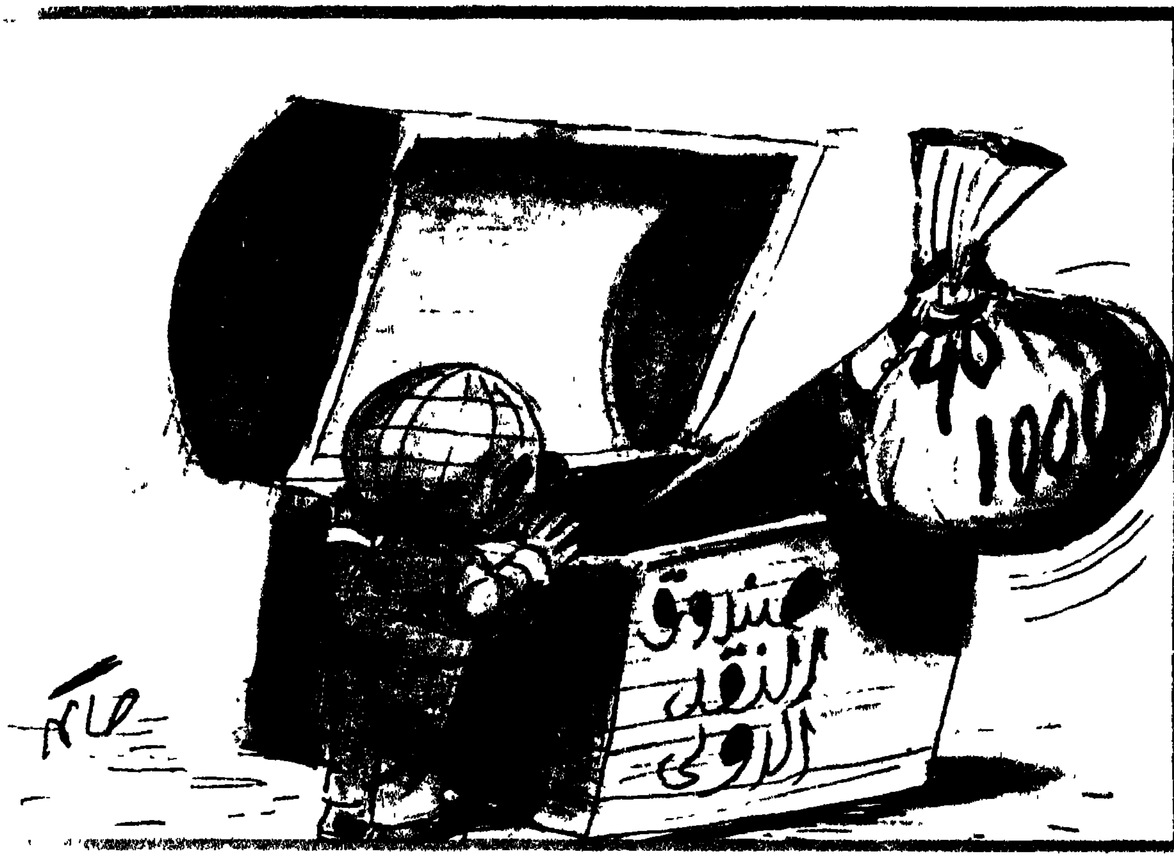
صندوق النقد الدولي: دور قديم متجدد

بقلم: الدكتور محمد دياب *

ـهد صندوق النقد الدولي في الأعوام الأخيرة تزايداً في ـطلب على خدماته من قبل بلدان نامية كان بعضها في ـاضي يوجه انتقادات مريرة لسياسته وشروطه المتشددة، ـيانا من قبل دول في أوربا الشرقية وجمهوريات الاتحاد ـيتي سابقا للانضمام إليه والاستفادة من قروضه ـيـة. فما سر هذا التحول في المواقف؟

ظهرت فكرة إنشاء هيئة دولية تنظم المبادىء الأساسية للعلاقات الاقتصادية الدولية في البلدان الرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ التفكير في رسم معالم الانتقال نحو مرحلة السلم وتحديد الأطر النقدية والمالية والتجارية الملائمة لإعادة بناء اقتصاديات البلدان التي دمرتها الحرب. وكانت لا تزال طرية في الذاكرة آنذاك

* أسـ... جامعي وباحث في الشئون الدولية (لبنان)



عـواقـب «الكسـاد العظيم» والفـوضى التي عمت النظـام النقـدي الـدولي في فترة مـا بين الحربين العـالميتين، والقيـود المختلفـة التي فـرضت على المدفوعات الخارجيـة والتجارة الـدولية، وحـرب التخفيضـات التي نشبت بين عمـلات الدول. وقـد أدى ذلك كله إلى ركود في التبادل التجاري وتصدير رءوس الأموال، وأظهـر مدى خطـورة عدم وجـود أي ضوابط تحد من عفـوية السوق العـالمية، والضرر الذي يمكن أن يسببه غياب الحد الأدنى من التنسيق بين الدول.

في ظل هذه الأجـواء اجتمع صيف عام ١٩٤٤ في مـدينـة بـريتـون وودز (ولايـة نيـو هـامبشير) في الولايات المتحدة الأمريكية، ممثلو ٤٤ دولة في مؤتمر دولي نقـدي لبحث السلوك النقـدي الـذي ينبغي أن تتقيد بـه الدول في فترة مـا بعد الحرب. وقـد انفض المؤتمر عن اتفـاقيتين دوليتين تقضي الأولى بـإنشـاء صندوق النقـد الدولي، والثانية بإنشـاء البنك الدولي للإعمار والتنمية.

باشر الصندوق (وهو موضوع بحثنا اليوم) مهماته عـام ١٩٤٧، حيـث بلغ عـدد أعضـائه آنـذاك ٤٩ عضواً برأسمال قدره ٧,٧ مليار دولار. وارتفع عدد الـدول المنتمية إليـه (قبل انضمام روسيـا وعـدد من دول أوروبا الشرقية إليه أخيراً) إلى ١٥٤ دولة، وصل رأسماله الآن قـرابة ١٠٠ مليـار دولار يضاف إليها ٣٠ ملياراً من الـوسائل المؤثـرة مؤقتاً. ولكل بلد في الصنـدوق حصـة تعكس بشكـل عـام وزنـه في الاقتصـاد العالمي. ونظـام الحصص هـو من السمات الأساسيـة للصندوق. وتكمن أهميـة الحصة فيما يلي أنها تحدد مساهمة البلد الـراغب في العضوية في تمويل الصندوق، وهي تحدد حق البلد العضو في الاستفادة من موارد الصنـدوق، وبموجبها يجري تحديـد القوة التصـويتيـة لكل بلـد عضو، وعلى أسـاسهـا توزع حقوق السحب الخاصة بين الأعضاء.

واشترطت أحكـام الصنـدوق أن تـدفع الـدول العضـو مـا لا يقل عـن ٢٥٪ من حصتهـا ذهباً، أو ١٠٪ من أرصدتها الـذهبية وبالـدولار أيهما أقل. أما الجزء الباقي فيـدفع بالعملة الوطنيـة. وجعلت القوة التصويتية للدول الأعضاء في مجلس إدارة الصندوق تقـوم على أسـاس المساهمة المبـدئيـة لحجم حصة الدولـة. فنصت أحكام الصنـدوق على أن لكل دولة

عه ٢٥٠ صوتاً زائد صوت واحد لكل مائة ألف دو من حصتها وبالتالي، فإنه كلما تعاظم حجم حه الدولة، تزايدت قوتها التصويتية. وعلى هذا الأ س كانت الدول الصناعية الكبرى (مجموعة لد ب السبع) تسيطر على قرابة ثلثي الأصوات. بينما كا الولايات المتحدة وحدها تسيطر عام ١٩٤٨ عل ٣٠٪ من الأصوات ثم انخفضت هذه النسبة إلى ١٩ عام ١٩٨٨، مما أتاح ويتيح لها حتى الآن التمتع عمليا بحق الفيتو على أي قرار لا يتفق مع مصالحها ورغباتها.

وكانت الأهداف المعلنة للصندوق، التي نصت عليها المادة الأولى من ميثاقه هي:

١- تشجيع التعاون النقدي الدولي عن طريق إيجاد هيئة دائمة تهيىء الوسائل اللازمة للتشاور والتآزر بشأن المسائل النقدية الدولية.

٢- العمل على تأمين النمو المتوازن للتجارة الدولية، مع تحقيق مستوى مرتفع من العمالة والدخل الحقيقي وتنمية الموارد الإنتاجية لجميع الدول الأعضاء، باعتبارها أهدافاً أساسية للسياسة الاقتصادية، والمحافظة على هذا المستوى.

٣- العمل على تحقيق الاستقرار في أسعار الصرف وتجنب التنافس في تخفيض قيم العملات.

٤- المساعدة في وضع نظام متعدد الأطراف للمدفوعات المتعلقة بالمعاملات الجارية بين الأعضاء، وعلى إزالة القيود المفروضة على مبادلة النقد التي تعرقل نمو التجارة العالمية.

٥- توفير الثقة بين الأعضاء، بجعل الموارد العامة للصندوق متاحة لهم بصفة مؤقتة وبضمانات كافية، الأمر الذي يوفر لهم فرصة تصحيح الاختلال في موازين مدفوعاتهم، وذلك عن طريق تقديم قروض قصيرة الأجل للدول التي تعاني مصاعب مؤقتة في ميزان مدفوعاتها.

تلك كانت الأهداف المعلنة للصندوق، أما في الواقع فقد جاءت اتفاقية «بريتون وودز» لتعكس ميزان القوى الفعلي بعد الحرب العالمية الثانية، التي خرجت منها الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة العسكرية والاقتصادية والنقدية الكبرى في العالم. وقد انتصرت في المؤتمر وجهة النظر الأمريكية التي اعتبرت أن الهدف الأساسي من إنشاء الصندوق هو إلغاء القيود على المدفوعات الخارجية والتوصل إلى نظام متعدد الأطراف للمدفوعات، بعكس موقف بلدان أوروبا الغربية التي كانت ترى الهدف الأساسي في توفير السيولة الدولية الإضافية للدول الأعضاء. فقد كانت الولايات المتحدة تبغي تجنيب الصادرات الأمريكية القيود أو المنافسة، وحمايتها من ضوابط النقد والاستيراد ومن حروب تخفيض قيمة العملات. وانعكست السيطرة الأمريكية في المادة الرابعة من ميثاق الصندوق التي نصت على أن القيمة التبادلية لعملة أي عضو سيعبر عنها بالذهب بأساس مشترك، أو بالدولار الأمريكي بالحالة التي كان عليها في أول تموز عام ١٩٤٤. وأدى هذا عمليا إلى مساواة الدولار بالذهب، وإلى تحول الدولار إلى عملة الاحتياط الدولية.

نشاط الصندوق في الممارسة

ركز الصندوق همه الأساسي في المرحلة الأولى من نشاطه (١٩٤٥ ـ ١٩٥٨) على دعم أوروبا الغربية ومساعدتها في إعادة تعمير اقتصادها المدمر نتيجة الحرب (المشاركة مع البنك الدولي في تمويل مشروع مارشال)، وكذلك على خدمة خطط التوسع الأمريكي. ولم يعط اهتماماً يذكر في تلك الفترة لمجموعة البلدان المستقلة حديثاً. فقد حصلت بلدان أوروبا الغربية والولايات المتحدة خلال تلك الفترة على ٦٠٪ من قروضه، واليابان واستراليا وجنوب إفريقيا على ١٠٪. أما بالنسبة للدول النامية فقد كان دور صندوق النقد الدولي هزيلاً جداً في تغطية احتياجاتها من السيولة، ويعود ذلك إلى صغر حجم حصصها في رأسماله، حيث إن إمكانات السحب كانت، كما أشرنا، مفيدة بمقدار إسهام الدولة في رأسماله.

وفي المرحلة التالية، بعد اكتمال إعادة إعمار أوروبا الغربية، عادت المنافسة على أشدها بينها وبين الولايات المتحدة، واشتعلت الحروب النقدية فيما بينها. وكان لقرار نيكسون عام ١٩٧١ بوقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب (وهو المبدأ الأساسي الذي قام عليه نظام بريتون وودز) وقع الصدمة على حلفاء الولايات المتحدة، وكان هذا إيذانا ببدء عهد جديد في النظام النقدي الدولي.

كان لابد في مثل هذه الظروف من إدخال التعديلات الضرورية على ميثاق صندوق النقد الدولي، التي تعكس الوقائع الجديدة. فكان التعديل الأول عام ١٩٧١ الذي ألغى معادلة الدولار بالذهب والتزام الولايات المتحدة بتحويل الدولار إلى ذهب. ثم جاء التعديل الثاني عام ١٩٧٦، الذي ألغى السعر الرسمي للذهب ومنح الدول الأعضاء حرية اختيار نظم الصرف التي تريدها وقضى بأن تكون وحدات السحب الخاصة هي الأصول الاحتياطية الأساسية في نظام النقد الدولي. وقد عاش الصندوق آنذاك ما يشبه أزمة الهوية. إذ فقد الدور الذي أنشىء من أجله عام ١٩٤٤، أي الإشراف على نظام دولي مالي يستند إلى أسعار صرف ثابتة وإلى تنقل محدود لرءوس الأموال. وتوقع الكثيرون آنذاك زوال دوره كمؤسسة مالية ودولية.

غير أن الصندوق نجح في مواجهة التحديات الجديدة والتكيف مع الأوضاع المستجدة. فبعد نجاح دول الأوبيك في رفع أسعار النفط عقب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣، تكونت لدى الدول المصدرة للنفط فوائض مالية كبيرة، وعجزت خطط التوسع في الإنفاق الاستثماري والاستهلاكي في تلك الدول آنذاك عن استيعاب هذه الفوائض. فكانت فرصة ملائمة أمام صندوق النقد الدولي لتعزيز وضعه المهتز. فعمل هو والبنك الدولي والمؤسسات والهيئات النقدية الدولية الأخرى على إعادة ت... هذه الأموال. وكان أن جرى توظيف قسم كب... هذه الفوائض في سندات صندوق النقد الـ... والوكالة الدولية للتنمية والبنك الدولي، وا... صندوق النقد الدولي تسهيلاً جديداً، هو التسه... النفطية لمساعدة الدول الأعضاء، التي أدى ا... أسعار النفط إلى وقوع عجز في موازين مدفوعا...

وكانت الأموال التي اقترضها الصندوق مر دو... الأوبيك هي مصدر تمويل هذه التسهيلات ... الإشارة إلى أن إعادة تدوير رءوس الأموال الـ... سرّعت حركة رءوس الأموال على النطاق الـ... الأمر الذي أدى إلى وفرة حجم رءوس الأموال ... للتنقل، وساعدت في ذلك المرونة العالية في تغير ... الصرف والارتفاع الشديد في أسعار الفائدة

صندوق النقد الدولي والبلدان النامية

وفي الثمانينيات عمل صندوق النقد الدولي على إدا... أزمة المديونية الخارجية للبلدان النامية. ولابد هنا من التوقف بشيء من التفصيل عند هذه المسألة لا... تعكس سياسة الصندوق إزاء هـ... المجموعة من البلدان.

يؤكد صندوق النقد الدولي ... وظيفته كعقل جماعي منظم وهـ... مرجعية تنسيقية لا تقتصـ... على ميـ... السياسـ... النقديـ... فمنذ بد... الثمانيني... يسـ... الصندو...



في معالجة أزمة ديون البلدان النامية. ويحددون ثلاثة غايات لعمله في هذا الميدان:
ـ القيام بدور المحفل الذي تجرى فيه مناقشة أزمة المديونية الخارجية على المستوى الحكومي، واتخاذ القرارات الملموسة المستندة إلى أساس مالي متين.
ـ ضبط عملية التمويل الأجنبي للبلدان المدينة.
ـ مساعدة الحكومات على إيجاد الاتجاهات الأفضل لتحقيق الاستقرار في الاقتصاد، وإعادة ... من أجل الإفلات من أزمة الديون وتسريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
فكيف تتجسد هذه السياسة في الواقع؟
يعمل الصندوق على إدارة أزمة الديون الخارجية للبلدان النامية مستخدما أسلوباً محدداً يقوم على إقناعها بانتهاج سياسة انكماشية، وفرض الشروط البالغة القسوة عليها. فمن أجل الحصول على التمويل يتعين على البلد المدين أن يطبق برنامجاً تقشفياً لتخفيض العجز الداخلي والخارجي وجعل سعر الصرف واقعياً، وإلغاء القيود المفروضة على الواردات، وإلغاء اتفاقيات التجارة والدفع الثنائية، والاتجاه تدريجيا نحو نظام متعدد الأطراف للمدفوعات الخارجية.
وفي مجال السياسة الاستثمارية يطالب الصندوق بضرورة تشجيع الاستثمارات الخاصة الأجنبية، وذلك عن طريق خلق مناخ استثماري ملائم من خلال منح هذه الاستثمارات ضمانات وامتيازات كافية (كإعفائها من الضرائب والرسوم الجمركية سنوات معينة وحصولها على المواد الخام والطاقة بأسعار تشجيعية والسماح لها بحرية تحويل أرباحها إلى الخارج، وغير ذلك). ويفرض هذا على البلد المعني إدخال تعديلات جوهرية على أنظمته وقوانينه. ويلح الصندوق على تخصيص فروع واسعة من القطاع العام، وينصح البلد المدين بضرورة توجيه الاستثمارات الجديدة نحو القطاعات التصديرية من أجل الحصول على العملات الصعبة اللازمة لتسديد أعباء الديون.
وبالنسبة لسياسة الإنفاق العام يطالب الصندوق بضرورة العمل على تخفيض عجز الموازنة العامة للدولة تدريجيا وصولاً إلى إلغائه، وذلك عن طريق خفض الإنفاق العام، وإلغاء الدعم على السلع الذي يستفيد منه أصحاب الدخل المحدود، وتخفيض حجم الوظائف الحكومية وتجميد الأجور، وزيادة أسعار الخدمات والطاقة وأسعار بيع منتجات القطاع العام، وزيادة الضرائب على السلع والخدمات ورفع أسعار الفائدة.. وتؤدي هذه الشروط في الواقع إلى كبح نمو الطلب المحلي من خلال الضغط على استهلاك ذوي الدخل المحدود، وتعطيل برامج التنمية، وإلى معدلات بطالة عالية.
هذه السياسة المتشددة واجهتها في الثمانينيات في عدد من البلدان (الأرجنتين، البرازيل، مصر، السودان، الفلبين وغيرها) تحركات شعبية عارمة احتجاجاً على شروط الصندوق. كما تعرضت هذه السياسة لانتقادات مرة من قادة بلدان عديدة في «العالم الثالث»، كان أفضل تعبير عنها ما قاله رئيس وزراء بيرو عام ١٩٨٥ حين وصف صندوق النقد الدولي بأنه «ليس سوى مؤسسة سياسية تقوم مقام الاستعمار القديم.. وأن الولايات المتحدة تمكنت بمشاركة الصندوق من تمويل العجز في ميزان مدفوعاتها على حساب بقية دول العالم».
على الرغم من هذه الانتقادات ثمة اليوم نوع من الإقبال الواسع على طلب خدمات صندوق النقد الدولي، يعود في قسم منه إلى أن البنوك التجارية صارت تحجم عن تقديم القروض للبلدان النامية من دون توصية من الصندوق، وكذلك من البنك الدولي، اللذين تعتبرهما ضمانة لإمكان تسديد القروض. وأصبحت العادة ألا تقدم البنوك التجارية القروض للدول النامية، ولا توافق على إعادة جدولة ديونها القديمة إلا بشرط دخولها الفوري في مفاوضات مع صندوق النقد الدولي. كما أن «نادي باريس» للدائنين الحكوميين الغربيين ينتظر عادة صدور إذن رسمي من إدارة الصندوق بمنح القرض لبلد ما قبل أن يتخذ قراره النهائي بهذا الصدد. وإذا أضفنا إلى ذلك تقلص القروض الحكومية من دول الخليج بعد حرب تحرير الكويت وعواقبها الاقتصادية، وكذلك زوال الاتحاد السوفيتي الذي كان يشكل مصدراً مهماً لتمويل عدد من البلدان، وتحول روسيا والجمهوريات السوفييتية السابقة وبلدان أوربا الشرقية إلى منافس في طلب القروض والمساعدات المالية، يمكننا عندئذ فهم سبب هذا التحول في الموقف من صندوق النقد الدولي. □

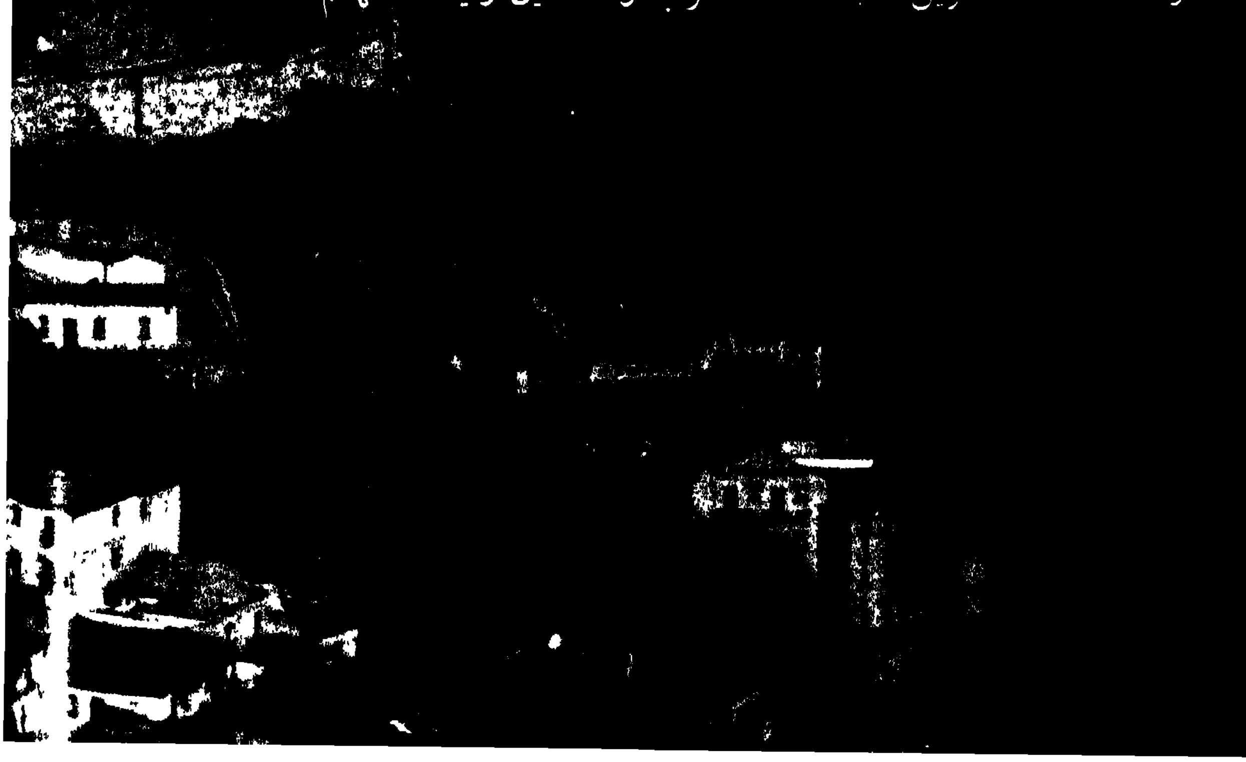
العربي
عيونك
على العالم

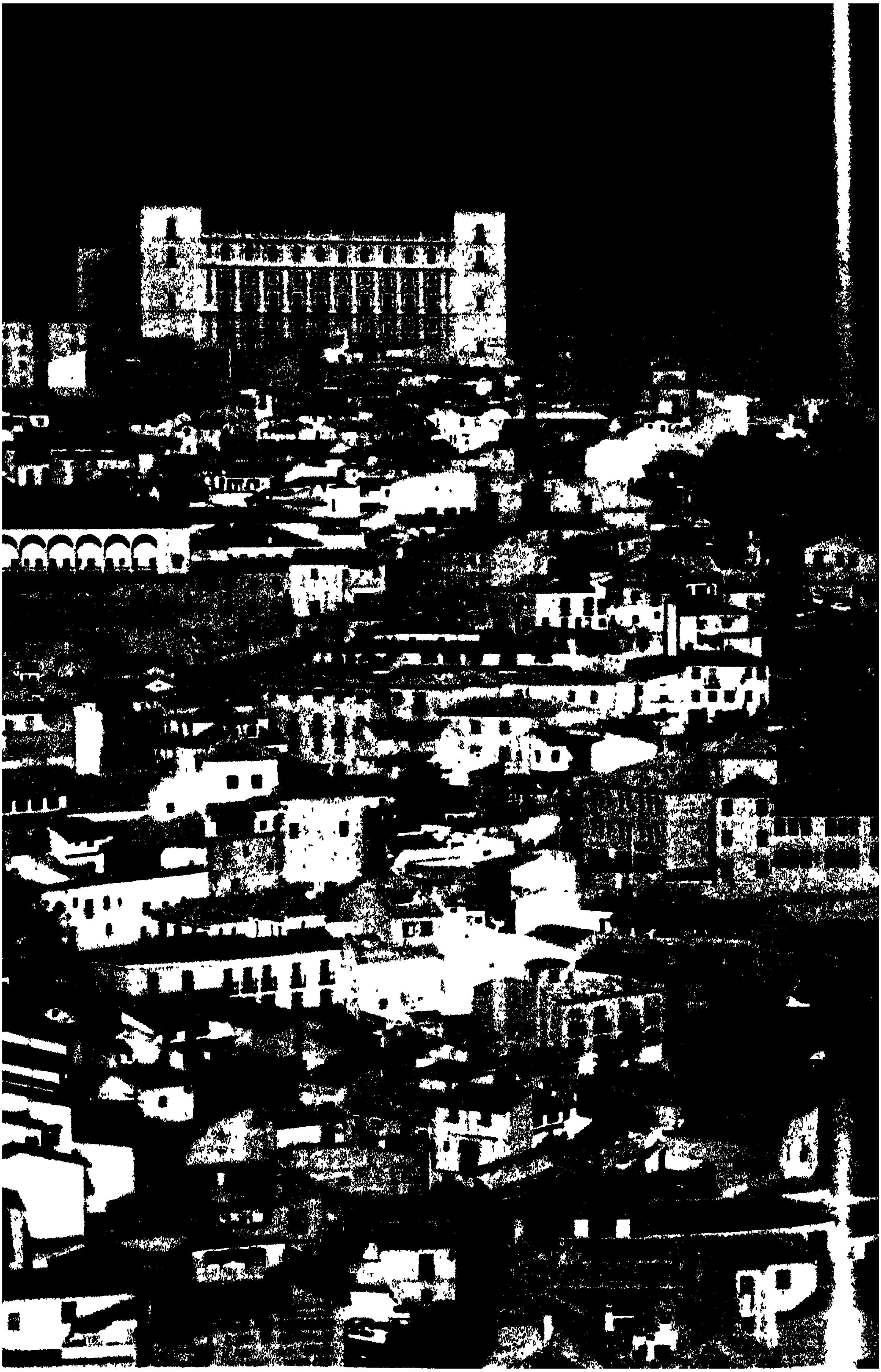
الأندلس

الغائب الحاضر في ذاكرة العرب

استطلاع : ماضي الخميس
تصوير : سليمان حيدر

إن الذاكرة العربية ملأى بالأحداث والأيام والتواريخ، وهي ملأى كذلك بالأفراح والأتراح، وبأيام العسر وأيام اليسر، وبالنصر والهزيمة. وبلا أدنى شك فإن الأندلس تحتل مساحة كبيرة في الذاكرة العربية، وتحظى باهتمام واسع لدى عدد كبير من الباحثين والدارسين والمتذكرين لأمجاد العرب والمسلمين وأيامهم.







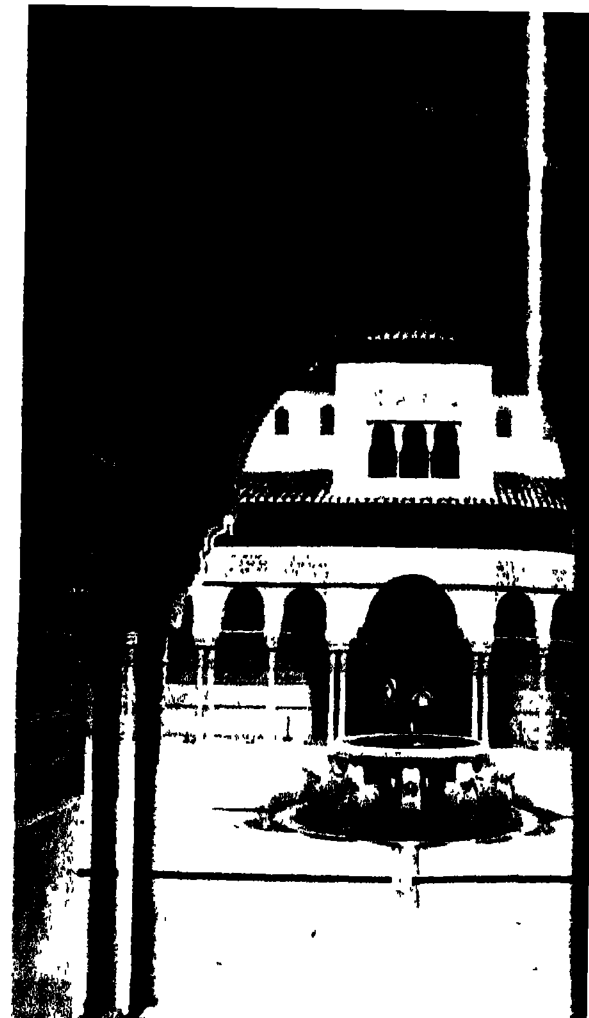
□ خريطة توضح الأماكن التي قامت بعثة العربي بزيارتها

«ابك كالنساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال». بهذه العبارة الشهيرة طويت آخر صفحة من صفحات المجد العربي التليد، وودع آخر ملوك العرب والمسلمين حكما عربيا إسلاميا ما زال صداه إلى يومنا هذا يتردد في ذاكرة العرب والمسلمين، وما زالت معالم حضارته مضربا رائعا للأمثلة، ومرتعا خصبا لمن يريد أن يتشدق بما وصل إليه العرب والمسلمون من أمجاد. هذه العبارة التي وبخت بها والدة ابنها آخر الملوك العرب والمسلمين «محمد الثاني عشر أبوعبدالله» الذي كان حاكما لمدينة «غرناطة» آخر مدينة إسلامية في بلاد الأندلس، وقد تركها ضعفا وخوفا، وليمة خصبة بيد الفرنجة الإسبان ليحتلوها ويقضوا على آخر معلم من معالم الحضارة العربية والإسلامية، ولينهوا حكم العرب المسلمين على أجمل بقاع الأرض «الأندلس». لقد بدأ حكم المسلمين للأندلس عندما فتح العرب المسلمون شمال إفريقيا عام «٧١١م».. وانضمت شبه جزيرة إيبيريا إلى العالم الإسلامي، وعرفت تلك المنطقة فيما بعد باسم «الأندلس»، وأصبحت الأندلس إمارة تخضع لسلطة دمشق «الشام»، وصارت «قرطبة» عاصمة إمارة الأندلس منذ عام «٧١٦م». وبينما أنا أستعد للبدء بهذه الرحلة التي طالما تمنيت القيام بها، وقفت أسأل نفسي عما سأكتبه عن هذه الجولة في بلاد أجدادي، الذين حكموا الدنيا ذات يوم من مشرقها إلى مغربها، ومن شمالها إلى جنوبها، حتى أن أحدهم كان يخاطب غيم السماء قائلا: «امطري حيث شئت يأتينا خراجك». هل سأعيد كتابة التاريخ، أم أترك التاريخ ليحدثنا عن قوم جاءوا فيه، وتفاعلوا معه، أقاموا وأقعدوا، وعمروا ودمروا، وأصلحوا وأفسدوا!!. هل سأبحث في العمارة الأندلسية؟ أم الفنون، أم الآداب، أم العلوم، أم الطب، أم الموسيقى؟.. أم أي جانب من جوانب الإبداع الأندلسي؟ سأكتب في ماذا وأتحاشى ماذا؟.

من هنا كانت البداية

بعد سقوط الخلافة الأموية على يد العباسيين في بلاد الشام سنة «١٣٢هـ - ٧٤٨م» بدأ العباسيون حملة تصفية لجميع أمراء بني أمية، وأفلحوا في القضاء عليهم جميعا سوى شاب يافع، خارق الذكاء، وهب الفطنة، ودرس الفروسية، واتصف بجميع صفات الإمارة.

الشاب هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، الذي استطاع الفرار من قبضة بني العباس ولجأ إلى أخواله في المغرب العربي من البربر، الذين آزروه وأعانوه بما أوتوا من قوة ومن رباط الخيل، كي يحقق حلمه الذي ظل يراوده فترة طويلة منذ لحظة فراره من بلاد الشام، بإقامة دولة بني أمية مرة أخرى. واتجهت أحلام الشاب إلى إقامة هذه الدولة بعيدا ما أمكن عن سلطة وبطش بني العباس، وكانت أحلامه وآماله تتجه لإقامة هذه الدولة في بلاد الأندلس، وبعد فترة وجيزة من الزمن، حقق عبدالرحمن الداخل في عام ١٣٨هـ الموافق ٧٥٥م أمنيته واستطاع أن يدخل الأندلس أميرا عليها وحاكما لها، ليعيد مرة أخرى رفع راية بني أمية من جديد، حتى أن ألد أعدائه وأشد أضداده «أبو جعفر المنصور» أحد مؤسسي الدولة العباسية أطلق عليه لقب «صقر قريش» وذلك إعجابا منه بهذا الشاب العربي



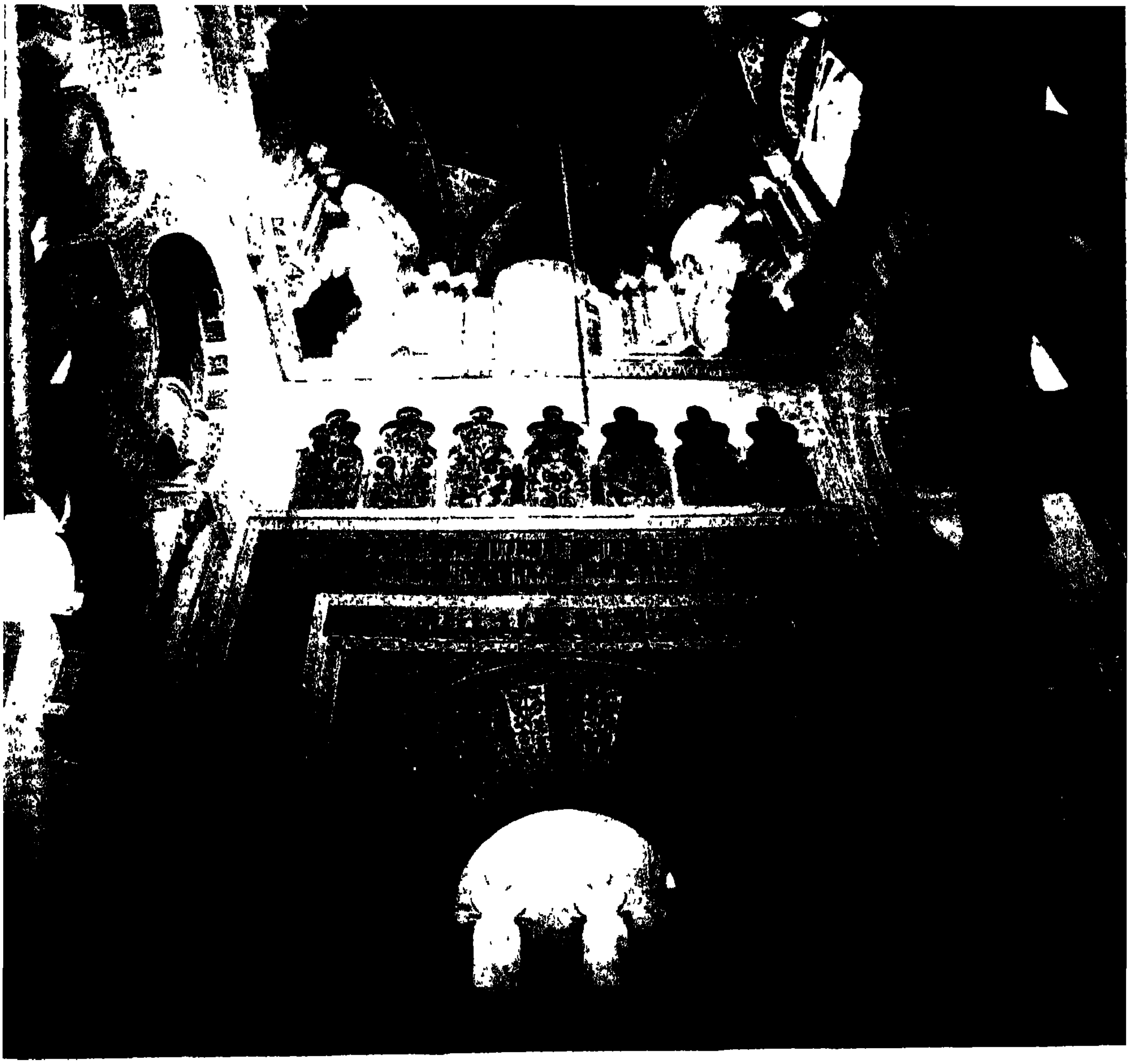
□ قاعة الأسود في قصر الحمراء في غرناطة

ـدي أسس دولة بمفرده. ولقد قام الحكم الأموي في لأندلس عام ٧٥٦م في أعقاب حكم الولاة «٧١٠ - ٧٥٠م» الذين كانوا تابعين للدولة العباسية، واستمروا ذلك حتى عام «١٠٣٠» وتوالى على الحكم عدد كبير من الأمراء الأمويين، الذين ازدهرت في عهدهم لأندلس وبلغت أوج عزها، وتسلم الخلافة بعدهم بعض الحكام الذين قادوا الدولة إلى الانهيار، وعرضوها لدمار، حتى سقط حكم الأمويين «عام ١٠٣٠م»، يرجع بعض المؤرخين أسباب سقوط حكم بني أمية عدة أسباب من أهمها، عداوة العرب والبربر، إذ كان لعرب امتيازات كثيرة لا تتوافر للبربر، ومنها أيضا تنوع لاحساس البشرية، إذ التقت في الأندلس أجناس وطوائف متعددة «عرب، بربر، صقالبة، يهود، إسبان..» ضافة إلى ذلك كثرة طلاب العرش من بني أمية، ـهم على الظفر بكرسي الملك. وبعد انهيار الدولة أصبحت الأندلس دولا متعددة، لكل دولة أمير وحياة خاصة، وكان هم الحكام آنذاك بناء والقلاع والاستعانة بالمرتزقة، وقامت بين هذه الدول حروب عدة، وشهدت المنطقة تحالفات وفتنا ومكائد. حتى جاء المرابطون الذين عملوا على توحيد البلاد ولم يفلحوا، وألهتهم متع الحياة عن تحقيق أهدافهم، وجاء بعدهم الموحدون، الذين كانوا نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس.

فضل الأندلس ورجالها

رغم الأوضاع السيئة التي كانت تشهدها المنطقة فإنها كانت أرض حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، أنجبت العديد من العلماء والفنانين والمبدعين في العديد من المجالات، ففي الأندلس عاش أول إنسان فكر في الطيران حول العالم وصمم أداة الطيران على هيئة الطير، وأجرى التجربة في نفسه، وفتح عيون العالم إلى الفكرة، ذلك هو عباس بن فرناس القرطبي، الذي اخترع صناعة الزجاج من الرمل، وفي الأندلس عاش الفيلسوف ابن رشد الذي نظم مسار الفلسفة العالمية عبر التاريخ ووصل أطرافها، كما عاش في الأندلس أبو اسحاق إبراهيم الزرقاني عالم الفلك الأندلسي القرطبي الذي اخترع الاسطرلاب وأدهش علماء أوربا، كما أن لعلماء الزراعة في الأندلس فضلا على الزراعة في أوربا في مجالات عدة مثل نقل حبوب القمح الأسود إلى جنوب فرنسا، وكذلك كان للعلماء الأندلسيين الفضل في الوصول إلى الفضاء، فقد قام العلماء العرب والمسلمون بخطوة جبارة في سبيل الوصول إلى صناعة المناظير الفلكية الضخمة التي يسرت غزو الفضاء اليوم، كما أنهم أول من رسم الخرائط رسما علميا وأول من قالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورها، ودورانها حول الشمس قبل «كوبرنيك»، كما أنهم اكتشفوا أكثر من نصف النجوم المعروفة وأسموها بأسمائها العربية الباقية حتى اليوم، ووصل العالم المسلم «البيروني» إلى نظرية استخراج محيط الأرض، كما أن «ابن الشاطر» كان أول من برهن على أن الشمس مركز الكون، إضافة إلى أن «ابن يونس» هو أول من اخترع البندول الذي طوره «جاليليو» بعد ذلك بأربعة قرون، وعلماء الرياضة المسلمون وضعوا علم الجبر وحساب المثلثات واخترعوا الصفر والكسور العشرية واكتشفوا سرعة الصوت والضوء.

هذا جانب مما وصل إليه العلماء العرب والمسلمون في الأندلس، والذي ترجمه الإسبان والأوربيون واستفادوا منه، ونقلوه إلى حضاراتهم.



□ آيات قرآنية وزخارف أندلسية في إحدى قاعات قصر الحمراء في غرناطة



□ إحدى بوابات المسجد الكبير في قرطبة والذي تحول حاليا إلى كنيسة ومتحف

ـذه كانت بداية قيام الدولة الأموية على أرض الأ...س، وهذه نهايتها، وهذا جانب مما حوته من أمجاد وحـ...ت. سأجول بقلمي وبعدسة زميلي في أرجاء بلاد الأنـ...س، وسنزورها مدينة مدينة، كي نتعرف عليها عن قر...، ونستطلعها عن كثب.

طليطلة

في شوارع طليطلة يجذبك التاريخ جذبا فلا تستطيع أن تبتعد عنه، أو تنفك منه، كل شيء في هذه المدينة يدعوك لاستعادة التاريخ، الأشجار والحجارة والقصور والجبال والمعابد تكاد تنطق بالتاريخ، فقد دونت الأيام سيرتها على حوائط طليطلة وجدرانها، ونطق الحاضر بسيرة الماضي، وكانوا قد أمنوا التاريخ على المكان والزمان، ولكن المكان تغير والزمان اختلف، والآية انقلبت، وكما قال الله عز وجل في كتابه المجيد ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس..**﴾، وقديما قالوا «لكل زمان دولة ورجال»، فلا الزمان زماننا ولا الدولة لنا، ولا الرجال نعرفهم ويعرفوننا.

المساجد أصبحت معابد وكنائس وكاتدرائيات، القصور العربية أصبحت قلاعا غربية.. والبنية تغيرت واللغة تبدلت، وكل شيء لم يعد كما كان.

في طليطلة برزت الدولة الذنونية نسبة إلى «بني ذي النون» التي أسسها إسماعيل بن ذي النون الملقب بالظافر، وخلفه ولده الملقب بالمأمون، وانتهت هذه الدولة باستيلاء الأدفونش «ألفونس» ملك قشتالة «كستيليا» على طليطلة عام ١٠٨٥م. وطليطلة الآن مدينة إسبانية، تبعد عن مدينة مدريد العاصمة الإسبانية حوالي ستين كيلومترا، ويبلغ عدد سكانها الآن حوالي ٥٠٠ ألف نسمة، ويوجد بها حاليا مركز عالمي لصناعة السيوف والرماح. واشتهرت طليطلة في الأندلس، وأصبحت عاصمة بني ذي النون وهم من ملوك الطوائف، وفي المدينة حاليا آثار عديدة سواء رومانسية أو عربية أو إسبانية أهمها قصر طليطلة، وكاتدرائية من القرن الخامس عشر للميلاد. وكانت تعرف في القرون الوسطى باسم «مدينة التسامح» حيث كان يتعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون. ويرجع اسم المدينة إلى العهد الروماني، حيث كان يطلق عليها اسم «توليدو» وتعـ... بالرومانية «المدينة المحصنة». وتتميز طليطلة على بقية ...دن الإسبانية بأن فيها واحدا من أكبر الأسواق في العالم الذي يضم تحفا وهدايا خاصة ذات الطابع الأندلسي، وهي تشتهر كذلك بمصانع السجاد والسيوف والحفريات والعديد من الصناعات ذات المهارة اليدوية. ولطليطلة حاليا جانب آخر من الأهمية، ففي هذه المدينة ذات التاريخ المشترك لعدد من الشعوب يعقد سنويا «الملتقى العربي الإسباني» والذي يتخذ في كل عام شعارا مختلفا له، ويشارك فيه العديد من المختصين والباحثين والديبلوماسيين والكتاب والصحفيين من الجانبين العربي والإسباني.

إشبيلية

لقد كان آباؤنا وأجدادنا الأوائل يقطعون آلاف الأميال وهم يمتطون الجياد، واستطاعوا رغم ضنك العيش أن يتسيدوا العالم بإصرارهم وعزيمتهم.

سرحت بحياة أجدادي تلك بينما كان القطار ينطلق مسرعا من مدريد العاصمة إلى إشبيلية المدينة الشهيرة في الماضي والحاضر، ففي الماضي شهدت هذه المدينة حكم بني العباد وهم من أهم أمراء الأندلس وكانت عاصمة لهم، كما كانت مركزا تجاريا وثقافيا مزدهرا في عهد المرابطين والموحدين الذين حكموا الأندلس، وفي الحاضر اختيرت من بين عشرات المدن ليقام عليها المعرض الدولي السنوي «الاكسبو» وذلك في عام ١٩٩٢ والذي شاركت فيه جميع دول العالم.

تقع مدينة إشبيلية في جنوب غرب إسبانيا على الوادي الكبير، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٧٧٥ ألف نسمة، وكان العرب قد فتحوها عام ٧١٢م، وخرجوا منها عام ١٢٤٨م على يد فيردناند الثالث. وتعد إشبيلية أشهر الدويلات وأقواها، وقد حكمها بنو العباد، ولقد كانت تمتد من شرقي الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي، وقد شهدت إشبيلية نهضة بارزة وتطورا ملحوظا، وكان من أشهر حكامها المعتمد بن عباد الذي كان يتلقى الدروس على يد ابن زيدون حتى أصبح أديبا وشاعرا، وفي عهده انتهت الدولة العبادية وسقطت إشبيلية بيد المرابطين عام «٤٨٣هـ / ١٠٩١م» الذين قرروا توحيد الدويلات الإسلامية مرة أخرى، وأسر المعتمد ونفي إلى «أغمات» في المغرب، وبقي هناك حتى وفاته سنة «٤٨٨هـ / ١٠٩٥م». ويعود أصل المدينة إلى جذور إيبيرية «إسبانية / برتغالية»، ويعتقد البعض أنها «فينيقية»، وفي ظل الحكم الروماني أصبحت المدينة رومانية الطابع، وفي العهد

العربي وصلت المدينة إلى القمة بازدهارها وتقدمها، وقد ساعد وقوعها على الوادي الكبير إضافة إلى النهر الذي يخترقها من المنتصف تقريبا على كسب تلك الأهمية. وفي العام ١٢٤٩م استولى الملك فريدنالد الثالث على إشبيلية وجعل منها مركزا للسلطة، وبعد اكتشاف أمريكا على يد «كريستوفر كولومبوس» أنيط بمدينة إشبيلية مهمة الإشراف على عمليات الإبحار إلى العالم الجديد، حتى أن رفات المكتشف كولومبوس جلب ودفن في كاتدرائية إشبيلية. وإشبيلية مدينة ما زالت تحافظ في كثير من جوانبها على طابعها العربي، ويسهل للسائح أو الباحث



□ الأقواس كانت نوعا من أنواع العمارة الإسلامية التي تميز بها المسلمون الأوائل

أن يكتشف عراقة هذه المدينة وأصالتها بجولة ميدانية في الشوارع والأزقة، أو أن يجلس لتأمل فن العمارة الذي يغلب عليه الطابع العربي، أو حتى يكتفي بالنظر إلى وجوه الناس ليعرف أن كثيرا منهم يمتازون بالأشباه العربية. لقد حرصت كل الحرص وأنا في إشبيلية على زيارة معلمين مهمين من معالم الحضارة العربية والإسلامية مما خلده أجدادنا من تاريخ لم يصل لنا. المعلم الأول هو الكنيسة الكاتدرائية في إشبيلية وهي ثاني أكبر كاتدرائية في العالم الأوربي، وقد كانت إلى وقت قريب وحتى القرن الثامن عشر مسجدا، كان يطلق عليه «الجامع الأكبر» والذي شيد في القرن الثاني عشر. ويعلو الكنيسة منارة كانت إسلامية، عبارة عن خمسة وثلا ين دورا، صممت بحيث يصعدها المؤذن عندما يحين و ت الآذان وهو يمتطي جواده، ويبلغ عرض الممر المؤدي إلى أعلى المنارة حوالي متر ونصف المتر، وطول السلم ا ي دور حوالي ستة أمتار مسطحة، وقد استبدلت قمة المن ة وأصبحت اليوم جزءا من الكنيسة.

أما المعلم الآخر الذي حرصت على زيارته، فهو قصر إشبيلية، ذلك القصر الذي يعتبر واحدا من أهم القصور في العالم، والذي كان يسكنه أحد أهم ملوك بني عباد هو المعتمد بن عباد. هذا القصر الضخم الذي يقال إنه بني على أنقاض قصور رومانية قديمة يعتبر تحفة من تحف الزمان الخالدة التي بات من الصعب إيجاد شبيه لها.

مدينة التفاؤل

تركت الماضي الذي شدني إليه، وحاولت جاهدا أن أعيش في الحاضر، فلإشبيلية الآن حاضر زاهر وهي تحتل مكانة ثقافية وتجارية غاية في الأهمية، ففي عام ١٩٩٢ أقيم المعرض الدولي السنوي «اكسبو» الذي يعد من أهم التجمعات الدولية، إضافة إلى ذلك فالإسبان أنفسهم يتفاءلون جدا بهذه المدينة التاريخية، وقد رأيت إشبيلية تعج بآلاف الإسبان الذين توافدوا من جميع أنحاء إسبانيا، فسألت أحدهم عن السبب، فقال اليوم ستقام المباراة النهائية في كرة القدم بين إسبانيا، والدانمرك، والفائز سيصل إلى بطولة كأس العالم، ونحن نتفاءل بإشبيلية. لذلك قرر الاتحاد الإسباني إقامة المباراة هنا.. وما أن حل الليل واقتربت عقارب الساعة من بعضها البعض عند منتصف الليل حتى انقلبت الشوارع رأسا على عقب، ولم تنم إسبانيا كلها ليلتها، فما بالك بإشبيلية فقد انتصر المنتخب الإسباني على منتخب الدانمارك وتأهل لنهائيات كأس العالم والتي تقام الآن في أمريكا.

قرطبة

ليتني أستطيع مخاطبة الحجر، وليتني أفهم لغة الصخور، وليتني أعرف همسات تنفس الصباح وأدرك خلجات





□ أحد أركان قصر المعتمد بن عباد في إشبيلية



□ عدد من السياح يتابعون باهتمام فن العمارة الإسلامية.

عسعسة الليل، ليت هذا الحجر الجامد أمامي ينطق ليخبرني بالحكاية كاملة، وليت لهذا الحائط روحا تحفظ ما توارد عليها من أجيال.

وقفت أمام أهم حجر في التاريخ، أقرأ ما كتب عليه، لا أعلم لماذا وأنا أقرأ أحسست بأن روحي انفطرت عن جسدي، وأن عقلي تاه مني، وأن عيني لم تكن لي، وأن سمعي لم يعد يدرك ما يدور حوله:

أغار عليك من عيني ومني
ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني خبأتك في عيوني
إلى يوم القيامة ما كفاني
ولادة

يا من غدوت به في الناس مشتهرا
قلبي يقاسي عليك الهم والفكر
إن غبت لم ألق إنسانا يؤانسني
وإن حضرت فكل الناس قد حضرو
ابن زيدون

إن هذا الحائط يحكي واحدة من أهم قصص العشق والغرام في التاريخ، إنها حكاية الوزير ابن زيدون الذي عشق ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي الذي خلعه أهل قرطبة، يقول ابن بسام صاحب كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وفي ولادة «كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار العصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم، يسعى أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء



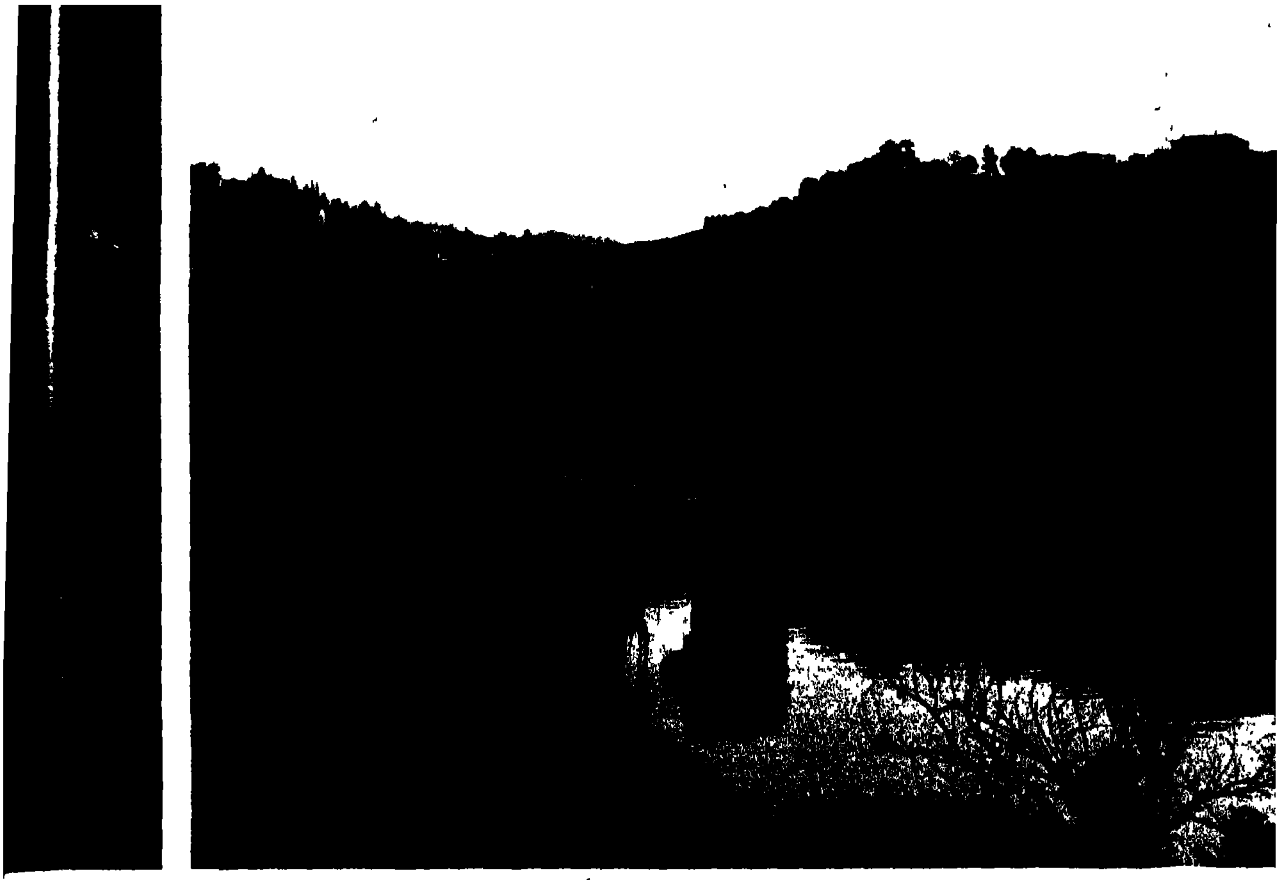
□ جانب من أركان قصر ابن عباد في إشبيليه حيث الإبداع العربي في فن العمارة والبناء.

ـالكتاب إلى حلاوة عشرتها»، ولقد اشتهرت حكاية ابن ـيدون وولادة ليس في قرطبة فحسب بل في جميع أنحاء ـأندلس، وكانت مضربا للمثل، ومثالا للغزل.

إن مدينة قرطبة التي شهدت واحدة من أهم قصص ـحب والعشق في التاريخ شهدت كذلك أمجاد العرب ـالمسلمين، التي مازالت آثارها ظاهرة جلية لا تخفى على عين. تقع مدينة قرطبة بين جبلين في واد عريض يعرف ـاسم «قواد كويفير»، وقرطبة هي أول مدينة أعلنها عبدالرحمن الداخل إمارة مستقلة عن سلطة العباسيين في ـشـ[illegible] وقد عرفت قرطبة في عهد الأمويين بـ «الدولة ـعـ[illegible]ـرية» و«الدولة الحمودية»، وبعد انتهاء الحكم ـلا[illegible]ي نهض بالأمر «بنو جهور» فأسسوا «المدينة الجهورية» لكنها سرعان ما سقطت بيد «العباديين» بعدما مضى قرابة أربعين عاما على قيام الدولة الجهورية.

ولقرطبة علامات مميرة عديدة، فبالإضافة إلى حائط العشاق، فهناك تمثال ابن رشد وقصر الأمير عبدالرحمن الثالث الذي زرع فيه بعض الأشجار ما رالت موجودة كان قد أحضرها من الشام تعرف باسم «الميسو»، كما أن مسجد قرطبة يعتبر مفخرة من مفاخر الزمان.

ولقد بدأ العمل في مسجد قرطبة في عام ٧٨٥م، وتبلغ مساحته ٢٢٤٠٠ متر مربع، ويتألف المسجد من ثلاثة أقسام هي «المئذنة، وقاعة الغسيل والوضوء، وقاعة الصلاة». ويبلغ طول المئذنة ٥ر٢٣ متر، وقد بنيت قبة المسجد من الحجارة، لذا كان لزاما على البنائين أن يبنوا



□ مدينة طليطلة جزء مما تركه المسلمون الأوائل، هذه المدينة امتزجت فيها الديانات الثلاث الإسلامية والمسيحية واليهودية

جدرانا سميكة لدعم القبة السميكة، ويوجد في المسجد حاليا ٨٥٦ عمودا، وقد كان عدد الأعمدة أثناء حكم المسلمين ١٠١٣ عمودا، ويعلو محراب المسجد سبع نوافذ وهي تعبير عن السموات السبع، وللمسجد تسعة عشر بابا، وقد حول المسجد الآن إلى كنيسة كاتدرائية ومتحف، ويوجد في منتصف المسجد حائط مكتوب عليه الآية الكريمة **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم..﴾**، وما زالت موجودة حتى الآن.

وقد كان يوجد في قرطبة في القرن العاشر حوالي ثلاثة آلاف مسجد، أما الآن فلا يوجد سوى مسجد واحد يؤدي فيه المسلمون الذين لا يزالون يعيشون في قرطبة، والبالغ عددهم حوالي ٢٠٠ مسلم صلاتهم.

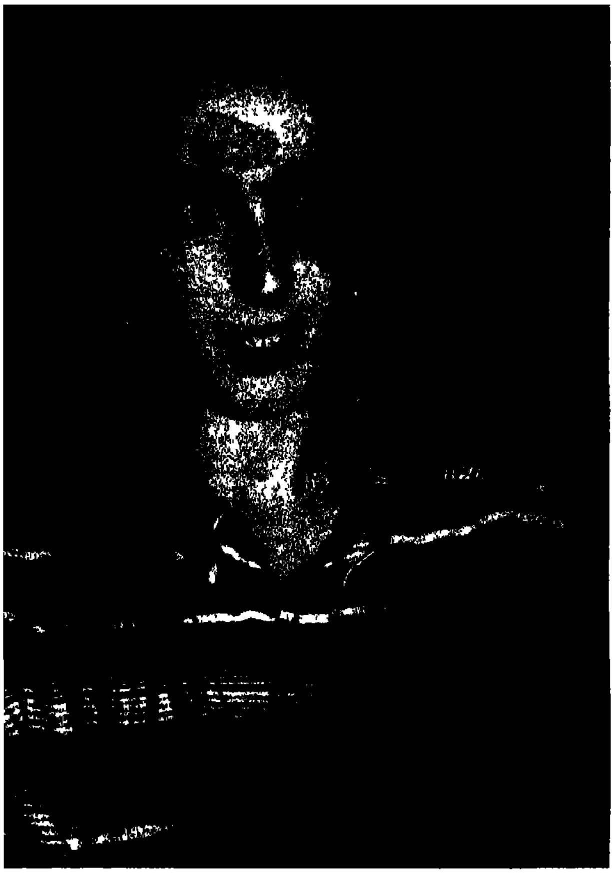
مدينة الزهراء

تقع مدينة الزهراء على بعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة، وقد بنيت المدينة في القرن العاشر للميلاد، وأصبحت إحدى أهم المدن الفخمة وأجملها في جميع أرجاء العالم. وقد بدأ البناء في المدينة عام ٩٣٦م أثناء حكم عبدالرحمن الثالث، وبني حول المدينة جدران خارجية ضخمة للدفاع عنها وحمايتها من الغزاة، ولكن ذلك الجدار لم يحمها، إذ تعرضت المدينة إلى العديد من الأضرار الجسيمة على يد البربر، حتى تم تدميرها بالكامل في القرن الثاني عشر للميلاد. وبعد مئات السنين من النسيان، وتحديدا في عام ١٨٥٤ وبسبب أعمال التنقيب عن الآثار في المنطقة، تم العثور على موقع مدينة الزهراء، وفي عام ١٩١١م بدأت أعمال الحفريات لاستعادة المدينة التي بلغت مساحة سطحها ١١٢ هكتارا، «والهكتار يساوي عشرة آلاف متر مربع»، وهذه المساحة لا تشكل سوى ١٠٪ من المساحة الإجمالية للمدينة. وعندما تتجول في هذه المدينة التاريخية التي لم يبق من ذكرها سوى بعض الأطلال فإنك تشعر بالتاريخ وكأنه يتحدث إليك ليخبرك بالأيام الماضية، وعندما ترى فريقا من العمال وهم يعملون على إعادة بناء التاريخ من خلال أعمال التنقيب والترميم التي يقومون بها لآثار هذه المدينة وما تبقى منها فإنك تشعر بالزهو لأن الإنسان الحديث قد أولى ذلك التاريخ اهتماما بالغا.

إن إسبانيا اليوم لا تألو جهدا في إظهار التاريخ كما كان، وتعمل جاهدة على إبراز معالم تلك الفترة التاريخية المهمة من دولتهم، بل إنهم يحترمون ويقدرون الآثار



مجموعة من الطالبات، وهن يخرجن من جامعة إشبيلية، الجامعة العريقة التي تعنى عناية خاصة بالتراث العربي والإسلامي



□ فتاة إسبانية تمتاز بملامح عربية من سكان إشبيلية تقول إن أجدادها من أصل عربي.

التي قام بها العرب والمسلمون، ويقرون بأنهم استفادوا كثيرا من مرحلة الحكم الإسلامي في العلوم والآداب والفنون وكثير من المجالات.

غرناطة

آخر مملكة إسلامية عربية في الأندلس، وهي آخر صفحة طويت من صفحات أمجاد العرب والمسلمين في الأندلس، وباستسلام مدينة غرناطة في عام ١٤٩٢م لقوات ملكي قشتالة الكاثوليكية، انتهت نحو ثمانية قرون من الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولقد أسس المسلمون هذه المدينة بعد سقوط مدينتي قرطبة وإشبيلية على يد فرناندو الثالث ملك كاستيا، وأهم ما يميز غرناطة هو أسطورة فن البناء العربي «قصر الحمراء»، وقد بدىء في بناء القصر أثناء حكم محمد بن الأحمر ١٢٣٨م، ويبلغ اتساع قصر الحمراء حوالي ١٠٤ آلاف متر مربع. ويقال إن اسم الحمراء أطلق على القصر نسبة الأرض التي شيد عليها والتي تحتوي على الحديد، أو نسبة إلى لون الحائط الخارجي، أو إلى انعكاس أنوار المشاعل التي كانت تنير للعمال أثناء البناء في الليل.

ويقدر المؤرخون عدد العرب الذين سكنوا غرناطة في تلك الفترة بحوالي ٤٠٠ ألف نسمة، توافدوا إلى العاصمة من أماكن عدة. وتعد غرناطة أهم مدينة عرفت الأدب، وقد اشتهر فيها عدد كبير من الشعراء والأدباء من أمثال لسان الدين الخطيب، وهو أهم شاعر في فترة بني الأحمر.

العودة إلى الحاضر

إن أمجاد العرب والمسلمين التي امتدت لمئات السنين لا يمكن ذكرها أو حصرها أو حتى الحديث عنها كما نفعل، ولكن بكل تأكيد إن زيارة ما تبقى من تاريخ الأجداد تجعل المرء غاية في الزهو والفخر لما خلده الأوائل من حضارة ما زالت مضربا للأمثال.

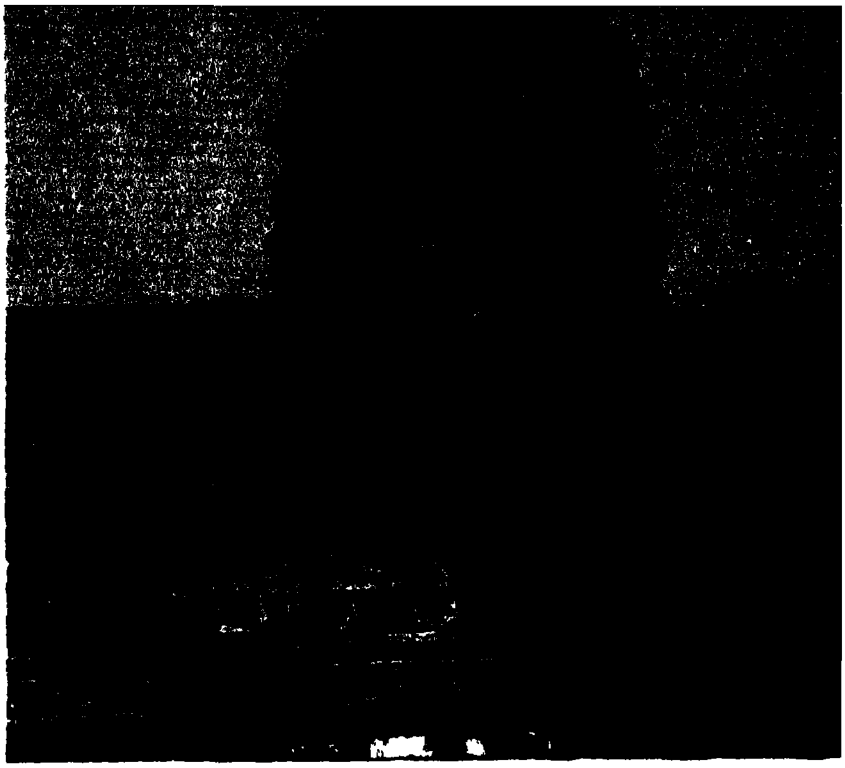
إن الأندلس لم تكن أرض قصور وقلاع، بل كانت أرض علم وفن وأرض اكتشاف واختراع، أرضا انحنى التاريخ إعجابا وتقديرا لمن وطأها، أرضا لفتت أنظار العالم إليها وما زالت، أرضا تميزت وتفننت وأعطت وأكرمت. لقد جذبني التاريخ إليه ولم أعد قادرا على تركه، ولقد شدتني الحضارة العربية إليها فلم أعد متمكنا من الانفكاك عنها، حتى تمنيت لو أنني أعيش في ذلك

العهد، لأشهد حكاية ابن زيد ...
وولادة، وأحصر ليالي المعتمد بن ع...
وأشهد معارك عبدالرحمن الدا...
وأستمع إلى حكم عبدالرحمن الثال...
ولكن لا مفر من الذي لا بد ...
العودة إلى الحاضر أمر لا خلاص ...
فتركنا الأندلس بما فيها، وعدنا إلى
مدريد العاصمة الإسبانية الحالية.

العرب والإسبان

في مدريد كنت بحاجة إلى من
يجيبني عن بعض الأسئلة
والاستفسارات، وقد تولى الإجابة
سفير دولة الكويت لدى إسبانيا السيد
عبدالرزاق الكندري، الذي رحب ...
وبما نحمله من أسئلة واستفسارات

سألت السفير الكندري عن مدى
الاهتمام الإسباني بالحضارة العربية
والإسلامية، فأجاب: أحب هنا وأن
أتحدث لمجلة العربي الواسعة الانتشار
أن أدعو الدول العربية والإسلامية إلى
التآخي والتعاون خاصة في شبه القارة
الإيبيرية، هذه القارة التي أضاف لها
العلماء العرب والمسلمون الكثير من
العلوم والاختراعات والاكتشافات.
وجلبوا إليها حضارتهم وثقافتهم التي
وصلت إلى مرحلة متقدمة من
النهوض والتقدم الفكري والعلمي
ولقد كان أهم ما يميز الفترة الإسلامية
في العهد الأندلسي التسامح، فقد كان
التسامح هو الركيزة الأساسية في
معاملة الدين الإسلامي لجميع
الديانات الأخرى، وبهذا استطاعوا أن
يؤثروا ويتأثروا بما هو موجود في ذلك
الوقت من حضارات في أوروبا.
وأضافوا إليها الكثير من فكرهم
الإسلامي والعربي، كما استطاعوا أن
يبدعوا النظريات الجديدة في العلوم
المختلفة، مثل الجبر والطب، وكذلك



□ كتابات عربية وإسلامية ونقوش زخرفية على معظم حوائط القصور والمساجد والقلاع الإسلامية العربية لا تزال موجودة إلى الآن

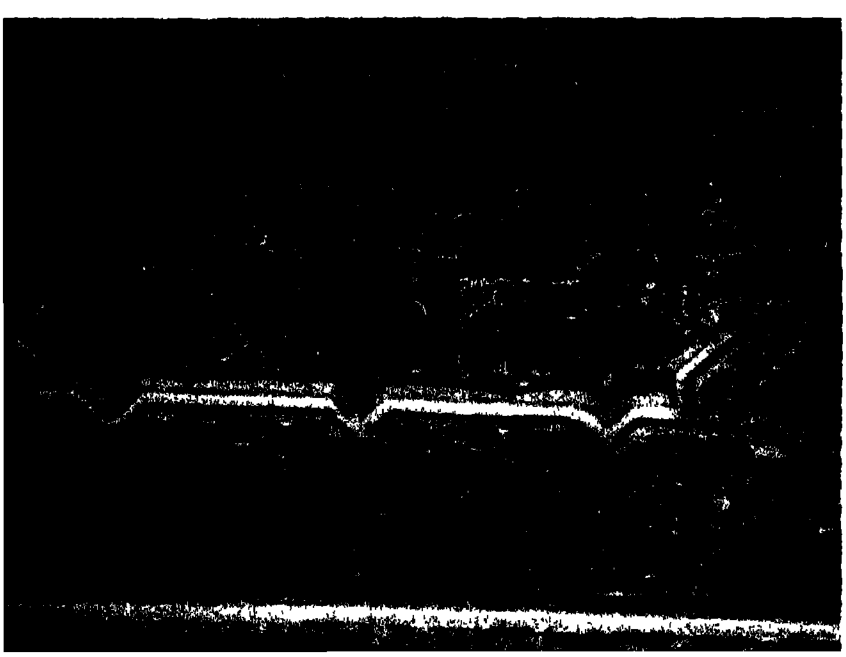
□ الحائط الخالد الذي نقشت عليه أجمل قصة حب، وقصائد ولادة وابن زيدون، ما زالت معلماً من معالم الحب في قرطبة





□ تمثال ابـن رشد رائد من رواد الفلسفة في العصر الإسلامي في الأندلس، لا يزال هذا التمثال مقصدا لكثير من زوار قرطبة

□ إن الإسبان حاليا يستخدمون نفس الخطوط والنقوش في المباني الحديثة

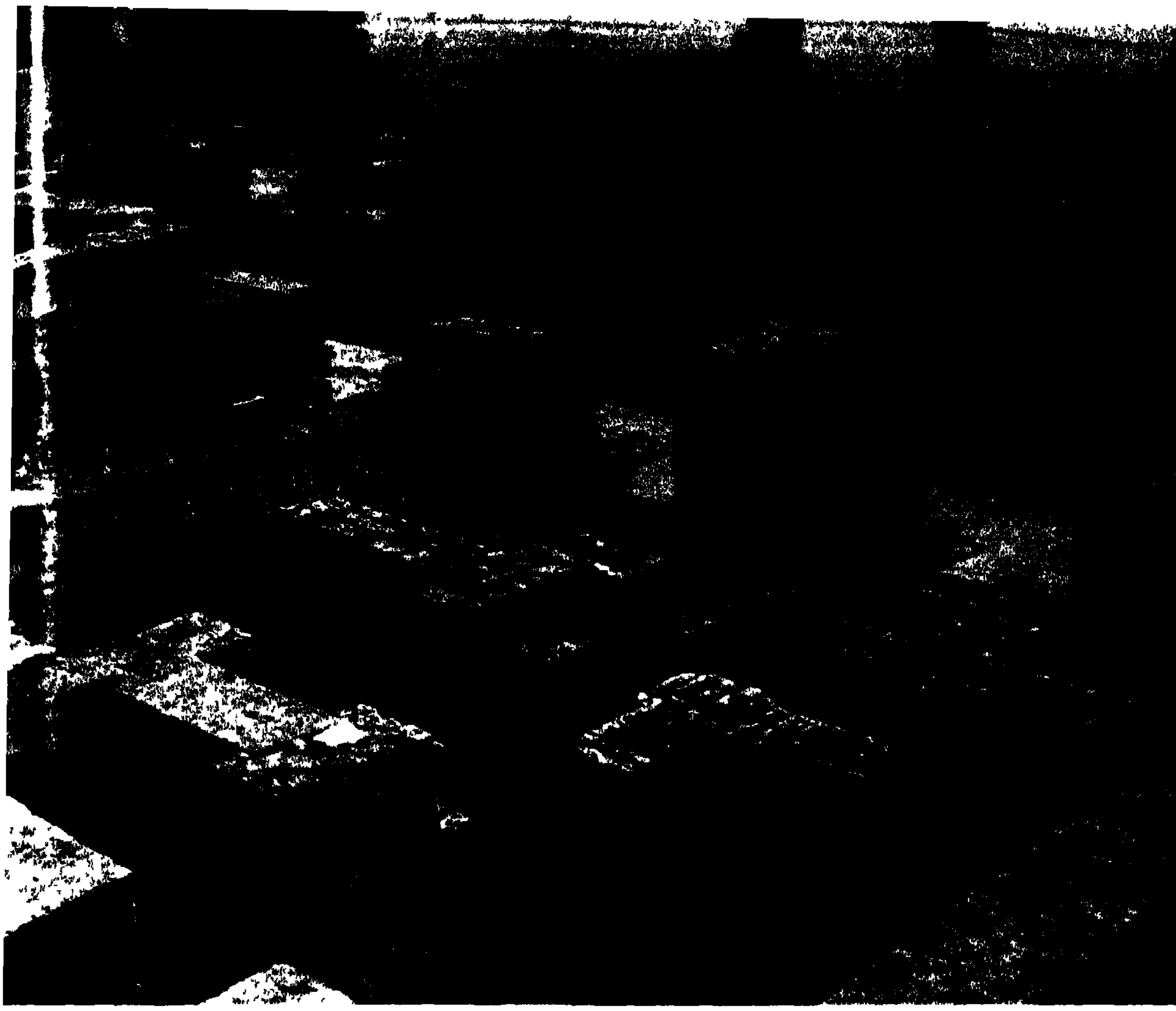


م الإنسانية. ومما لا شك فيه أن ة سنة من الوجود العربي سلامي جعلهم يساهمون مساهمة ة فيما وصلت إليه أوربا من تقدم س في الوقت الحاضر. وفي الواقع هناك رموزا عديدة من رموز سارة والعلم في أوربا يعترفون بهذه قة، ولكن ومع الأسف الشديد . حاولت جهات كثيرة أن تطمس ا الدور العربي والإسلامي فيما وصلت إليه الحضارة الأوربية بشكل عام في وقتنا الحاضر، ولكننا لاحظنا في سنوات الأخيرة أن هناك إدراكا متزايدا واعترافا متناميا لهذا الدور عربي والإسلامي المساهم في الحضارة الأوربية، وتلا ذلك الاعتراف والاهتمام برموز ومعالم الحضارة الإسلامية والعربية في إسبانيا بشكل خاص، كما لاحظنا الاهتمام بالأماكن الأثرية التي يرجع بناؤها إلى تاريخ المسلمين الأوائل في زمن الدولة الأموية، وصارت إسبانيا تفتح أبوابها ناس كي يطلعوا ويعرفوا مقدار ما ساهمت به الحضارة العربية والإسلامية في نهضة إسبانيا وتقدمها الفكري والحضاري وعلى سبيل المثال فإن مكتبة «الأسكوريال» تمتلئ بالعديد من كنوز الكتابات العربية والإسلامية في مختلف المجالات، وهناك العديد من أعمال العلماء المسلمين موجودة في هذه المكتبة.

إن الأصدقاء الإسبان اليوم يعتبرون حضارة الإسلامية والعربية جزءا لا يتجزأ من تاريخهم الإنساني.

ما هو في رأيك الدور العربي والاسلامي المطلوب للمحافظة على هذا التراث؟.

- في رأيي الشخصي يجب ألا يكون اهتمامنا منصبا فقط على الجانب التاريخي بهذا التراث

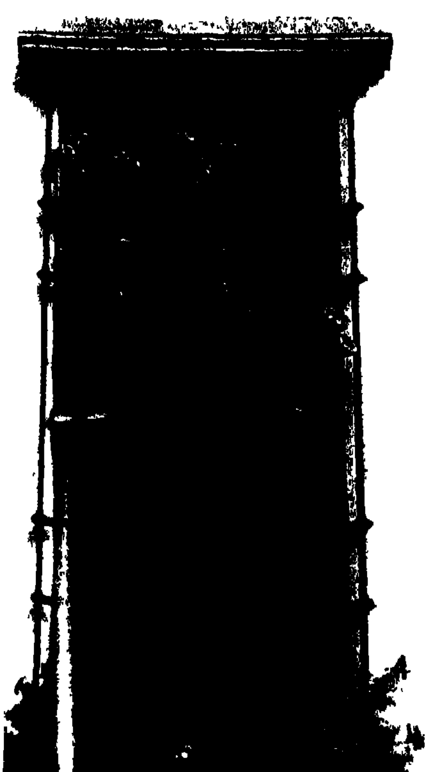


□ مدينة الزهراء التي تم اكتشافها أخيرا، إحدى المدن الإسلامية التي تمتاز بالجمال، حيث بنيت هذه المدينة على سفوح الجبال وبين تلال الأشجار

□ أحد الصناع الإسبان وهو يقوم بعمل نقوش إسلامية على إحدى التحف في مصنع من مصانع طليطلة

□ أحد الشبابيك التي يظهر تأثرها بفن العمارة الإسلامية والتي لا تزال تحافظ على رونقها وجمالها





والـ ي به، ولكن يجب علينا أن ننشره في تعاون آني وتعـ ون مستقبلي، ويجب أن نعتبره رافدا جيدا لهذا التعـ ون في الحاضر والمستقبل، لكل ما من شأنه أن ينمـ العلاقات والتعاون بين إسبانيا والدول العربية. ويجـ ـ أن ندرك أن المسلمين عندما وصلوا إلى إسبانيا ـد ا من الجزيرة العربية والشام، ومروا بالمغرب العر ب، ووصلوا إلى إسبانيا.

ه ـا التعاون الذي تم بين تلك الأطراف يجب أن يتم كذ لك في الوقت الحاضر، وأعتقد أن إسبانيا يمكن أن تلعب دورا مهما في ذلك، فيمكن أن تكون قناة جيدة التوصيل من أجل تعاون عربي أوربي أشمل.

وأعتقد أن السبيل إلى ذلك هو أن يعرف أولاً كل منا الأخر، فيجب أن تعرف إسبانيا ما يجري في عالمنا العربي والإسلامي، ويجب علينا أن ندرك ونتفهم ما يجري في إسبانيا، فهذا التواصل سوف يثمر نتائج إيجابية.

هل تم عقد لقاءات بين العرب والإسبان؟

ـ إن ملتقى طليطلة الذي عقد في شهر سوفمبر ١٩٩٢ هو الأول من نوعه الذي يحضره مجموعة من مفكري الوطن العربي وأوربا، وخاصة من إسبانيا.

ولقد اختيرت طليطلة لهذا الملتقى لما لها من مكانة ترمز إليها كمكان لملتقى الأديان السماوية الثلاثة، الإسلام والمسيحية واليهودية، والشواهد على هذا التلاقي موجودة في طليطلة، وهذا الملتقى هو حوار فكري وثقافي وسياسي، تطرح فيه كل المشاكل وكل العناصر التي يمكن أن تؤدي إلى تقارب في الأفكار وتقارب في المبادىء بين الوطن العربي وأوربا بشكل عام وإسبانيا بشكل خاص.

كما أن هناك ملتقى آخر أقيم في مدينة «مدريد» عن صورة الوطن العربي في وسائل الإعلام الأوربية، أعتقد أن هذه الحوارات طريقة جيدة للتحليل والتفكير لكيفية الوصول إلى وضع أفضل وأمثل لعملية التلاقي، ولا شك في أن عنصر الفكر في عملية التلاقي عنصر مهم للغاية، وخاصة أن هذا الفكر يمثل حضارات متعددة وعادات وأفكارا ثقافية وسياسية متنوعة، فالحصيلة من هذه اللقاءات ستكون ما لدى هؤلاء المفكرين من ثقافة ومبادىء إنسانية، وبالتالي أعتقد أن هذه الملتقيات ستؤدي إلى تفهم وتفاهم، وبالتالي إلى إدراك أن التعاون هو السبيل الأمثل لتكوين علاقات صحية بين هذه الدول، ونرجو أن تتكرر هذه اللقاءات في مدن عربية أخرى كما حدث أخيرا في مدينة الرياض، حيث عقدت ندوة عن الفكر الأندلسي ومساهمته في الحضارة الإسلامية، وإذا نحن قلنا الفكر الأندلسي فإننا نعني الفكر الأندلسي الإسلامي وغير الإسلامي، وبشكل عام نقصد الفكر الأندلسي الإنساني بكل روافده الدينية والحضارية والفكرية، فهذه اللقاءات هي ظاهرة صحية يجب أن نشجعها ونطورها ونحسن أيضا عنصر الأداء فيها بشكل أفضل.



□ سفير الكويت لدى إسبانيا عبدالرزاق الكندري يتحدث للزميل ماضي الخميس.

يا زمان الوصل

حان موعد الفراق، وأصبح لزاما علينا أن نودع الماضي والحاضر لنكمل طريقنا، فلم تبق سوى لحظات على موعد إقلاع الطائرة، وإذا ظللنا نسرح بعبق الماضي، ونسمات الحاضر فلن نرى المستقبل، حملت حقائبي، واتجهت إلى سلم الطائرة، وأنا أتمتم بموشح أندلسي قديم:

جـادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس□



المادة المظلمة

لغز الكو

بقلم : رءوف وصفي

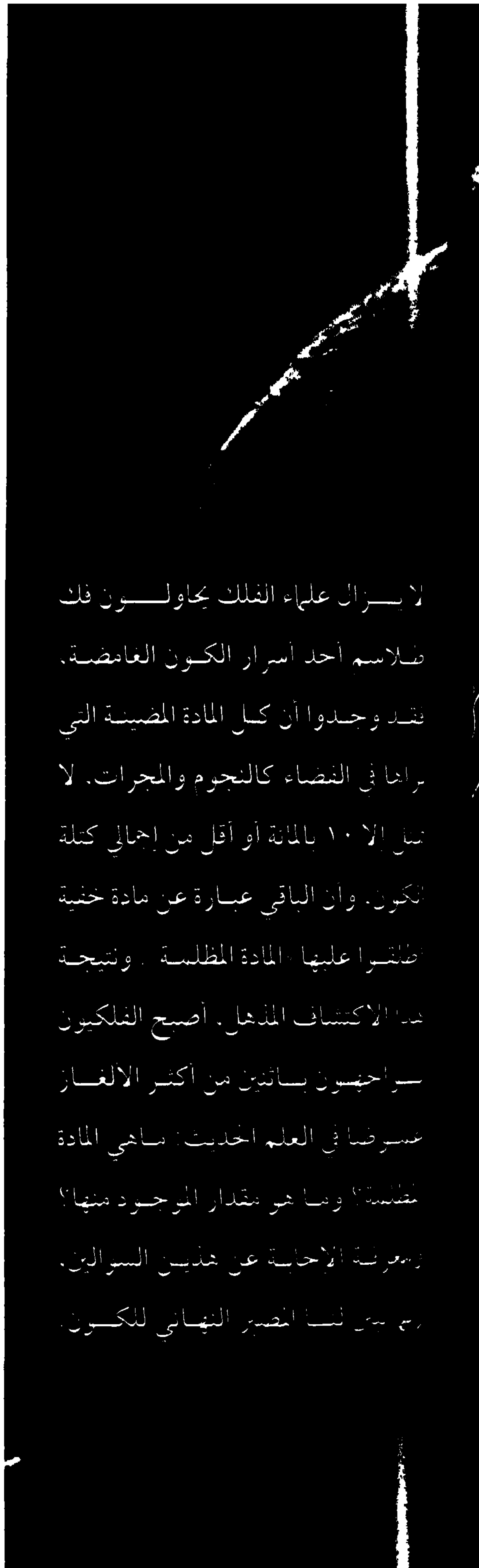
تختلف المادة المظلمة عن أي شيء نعرفه أو حتى نتخيله، وتحتاج لفهم جديد تماما لكل مكونات الكون، ولسبر كنه أسرارها تبنى الفلكيون وغيرهم من العلماء كثيرا من الأساليب لحل لغز المادة المظلمة وهم يجمعون الأدلة ويفحصونها ويستخدمون قدراتهم على الاستنتاج للتوصل إلى حل مقبول.

من المعروف أن الكون يتكون من وحدات أساسية هي المجرات التي تعرف بأنها تجمع هائل من النجوم والسدم والكواكب والأجرام الفضائية الأخرى والغازات الكونية، تتخللها مجالات كهربية ومغناطيسية جبارة، وخارج مجرتنا «الطريق اللبني» توجد آلاف الملايين «بلايين» المجرات الأخرى، وهي ليست موزعة بانتظام في الفضاء وإنما توجد في حشود قد تتضمن آلاف المجرات ويطلق عليها العناقيد المجرية.

وأول دليل على وجود المادة المظلمة جاء من ملاحظات لعناقيد المجرات، ففي عام ١٩٣٣ قاس الفيزيائي الفلكي السويسري «فيرتززويكي» حركة المجرات في العنقود المجري «الذؤابة» وتبين له أن المجرات الفردية تتحرك بسرعات كبيرة جدا، بحيث لا تظل المجرات متجاورة لفترة طويلة من الزمن، ولا بد أن تؤدي حركة كل مجرة في العنقود إلى ابتعاد أجزاء المجموعة عن بعضها البعض، إلا أن عمليات الرصد الفلكي تؤكد أن العنقود المجري لا يزال متماسكا كوحدة واحدة.

واستنتج زويكي أن مجموعة المجرات داخل العنقود «الذؤابة» لا بد أن تكون كتلتها أكبر عشر مرات مما تبدو عليه، حتى تظل متماسكة بالجاذبية، وهذا الفرق الهائل في الكتلة يعني أن نحو ٩٠٪ من العنقود المجري خفي أي مكون من مادة مظلمة، وفي البداية أطلق علماء الفلك على المادة المظلمة «الكتلة المفقودة»، إلا أن هذا التعبير مضلل وخادع، فالكتلة موجودة فعلا هناك، ولكن الضوء الذي يجب أن يصدر عن المادة هو الشيء المفقود.

وفي عام ١٩٨٧ رصد الفلكيون قوسا غريبا من الضوء يظهر حول مجموعة من المجرات، واتضح أن هذا القوس نشأ عن ضوء قادم من مجرة بعيدة، وأنه انحنى في شكل قوس بتأثير المجال التجاذبي لمجموعة المجرات، تماما كما تنبأ أينشتين منذ نحو خمسين عاما، ومن شكل القوس حسبوا مقدار المادة التي يتعين وجودها في كتلة مجموعة المجرات لتحدث هذا الانحناء، ووجدوا أن



إجمالي مقدار هذه المادة أكبر من المقدار المرئي منها، ومن ثم استنتج علماء الفلك أن معظم المادة لابد أن تكون مادة مظلمة خفية.

المادة المظلمة والمجرات

وكما أن حركة المجرات في عناقيدها، تدل على أن المادة المظلمة تكمن مختفية وتؤثر فيها، فإن حركة النجوم تنبىء عن وجود المادة المظلمة في المجرات، وقد تم اكتشاف هذا الأمر بعد سنوات من الأبحاث المضنية للفيزيائيين الفلكيين، الذين قاسوا السرعات المدارية للنجوم لأكثر من ٦٠ مجرة حلزونية، Spiral Galaxies ومعظم



□ أقواس الضوء الغريبة في الفضاء

المجرات الضخمة ـ مثل مجرة (الطريق اللبني) التي ننتمي إليها ـ تسمى «مجرات حلزونية» لأن لها شكل عجلة دوارة، في مركزها منطقة شديدة التوهج، ولها أذرع حلزونية عديدة. ويطلق على المنطقة المركزية اللامعة «الانتفاخ المركزي» لأنها أسمك جزء في المجرة وتحتشد فيها أغلب النجوم.

كما تسمى منطقة الأذرع الحلزونية «القرص» لأنها أرفع نسبيا وأكثر استواء، وقد وجد الفيزيائيون الفلكيون أن النجوم في أجزاء المجرة البعيدة عن القرص، تدور حول الانتفاخ المركزي بنفس السرعة المدارية للنجوم في المناطق الداخلية من القرص والمجاور للانتفاخ المركزي على وجه التقريب، وبدا كما لو كانت النجوم مجموعة من السيارات تنطلق جميعها في مسارات دائرية أو منحنيات دوران، مع ضبط أجهزة قياداتها على نفس السرعة. وكانت هذه النتائج مثيرة للدهشة، لأن الفلكيين توقعوا أن تدور النجوم حول المجرة بالطريقة التي تدور الكواكب حول الشمس، فكوكب عطارد، أقرب الكواكب إلى الشمس، ينطلق في الفضاء بسرعة ٤٨ كيلومترا في الثانية تقريبا، بينما يتحرك بلوتو، أبعد الكواكب عن الشمس بسرعة تبلغ ٤٫٧ كيلومتر في الثانية. وفي المقابل تتحرك نجوم مجرة «الطريق اللبني» بسرعة تبلغ حوالي ٢٤٠ كيلومترا في الثانية، بغض النظر عن بعدها عن الانتفاخ المركزي. والتفسير الممكن لهذه الظاهرة، هو أن الجزء المرئي من المجرة محاط بمقادير كبيرة من المادة الخفية، وأكد هذا الاكتشاف وجود مادة مظلمة غير مرئية في المناطق البعيدة من القرص، أكثر من الموجود منها بالقرب من الانتفاخ المركزي. وهكذا توصل علماء الفلك إلى نتيجة منطقية ـ على الرغم من غرابتها ـ وهي أن جميع المجرات الحلزونية محاطة بهالات جبارة شبه كروية من المادة المظلمة، التي تغطي مساحات شاسعة من الكون.

ويعتقد الفلكيون أن هذه الهالات من المادة المظلمة هي السبب في دوران النجوم في المناطق النائية من المجرات، بنفس سرعة دوران النجوم بالقرب من الانتفاخ المركزي، وقدر علماء الفلك أن هالة المادة المظلمة المحيطة بمجرة «الطريق اللبني» تمتد إلى مسافة خمسة ملايين سنة ضوئية من الانتفاخ المركزي، وبالمقارنة فإن نصف قطر المادة المرئية في مجرتنا يبلغ خمسين ألف سنة ضوئية فقط.

وهناك شك في أن المادة المظلمة مكونة من مادة عادية، فالمادة العادية إما أن تصدر إشعاعات في صورة ضوء كما تفعل النجوم، أو أن تعكس هذه الإشعاعات كالكواكب أو يتم امتصاصها كما هو الحال في الغبار الكوني، ولو كانت المادة المظلمة ترسل إشعاعا في صورة معينة لكان من الضروري كشفها بالتلسكوبات البصرية والراديوية والأجهزة الحساسة لأشعة جاما والأشعة تحت الحمراء وأشعة إكس، أو أي شكل آخر من الإشعاع الكهرومغناطيسي، وقد تمكن الفلكيون من مسح الكون بواسطة هذه الأجهزة، للبحث عن جميع الأطوال الموجية للطيف الكهرومغناطيسي ولكنهم لم يجدوا أي إشعاع في هالات المادة المظلمة، ومن ثم استنتجوا أنها ليست مادة عادية، بل أحد الأشكال الغريبة المجهولة للمادة.

وهناك أمر آخر أدى إلى الاعتقاد بأن المادة المظلمة لا تتكون من مادة عادية، هو أن الهالة المنتشرة إلى الخارج أكثر من المادة المرئية في المجرة، ولو كانت المادة المظلمة

كـ . من مـادة عادية فإن توزيعها لابـد أن يشبه إلى حد كـ ـزيع الأجزاء المرئية من المجرة.

الأ ام البنية والسوداء

أكد علماء الفلك أن المادة المظلمة ليست غبارا كونيا لا لمقادير الهائلة منه سوف تحجب الضوء من المجرات بعـ ـة، بأكثر مما يلاحظ بالرصد بواسطـة التلسكوبات لبـ ـية والـراديـويـة، ولا يمكن أيضـا أن تكـون المادة لمظـ ـمة ثقوبـا سـوداء، أي القلـوب المتقوضـة للنجـوم الضخمة الميتة التي أصبحت من الكثـافة بحيث إنه حتى الضـوء لا يستطيع الهروب من تأثير جـاذبيتهـا المروعـة، ومن ثم فهي غير مـرئيـة، إذ إن الغـاز المتسـاقط بشكل دوامي داخل هذه القبـور الفضائية، سوف يصـدر أشعة كس بأكثر مما رصدته الأقمار الصناعية فعلا.

ولم يكتشف علماء الفلك أيـا من هـذه العـلامـات الإشعاعية، ولـذلك فالمادة المظلمة ليست ثقـوبا سوداء، لكنها ربما كانت تتخذ صورا كثيرة مثل الأقزام البنية أو الأقزام السوداء أو الكرات الغازية التي في حجم كوكب المشتري أو الجسيمات الغريبة.

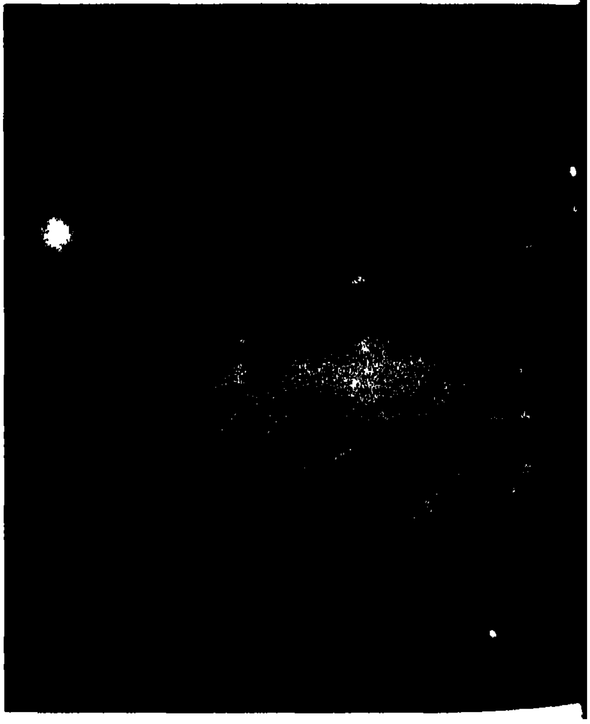
لقد تنبأ الفلكيـو ن ـ من خلال معادلاتهم الـرياضية ـ ن هناك نجـوما في مجرتنـا، أشد خفـوتا وبـرودة وأصغر كتلة من النجـوم الأخرى، أطلقوا عليها «الأقـزام البنية» Brown Dwarfs وتزيد كتلتها بنحـو ثمانين مرة على كتلة كـوكب المشتري، والأقـزام البنية أكثـر من مجرد كـواكب ضخمة، إذ إنها تكونت من سحب غـازية هائلة وأنتجت طاقة لفترة زمنيـة من خلال عمليات الانـدماج النووي، وهنـاك احتمال أن تشـارك الأقزام البنيـة في تكـوين المادة المظلمة، ولكنهـا لا توجـد بكميات كـافية لتـوفير المقدار الهائل من هذه المادة الكونية الغامضة.

والأقـزام الســوداء احتمال آخر، وهي ليست نجـومـا خافتة كـالأقزام البنية، بل هي نجوم مـرت بدورة حياتها كاملة، فـالقزم الأسود هو المصير النهـائي لنجم متوسط الكتلة مثل الشمس، وهذا القزم يكـون أسود لأنه لم يعد يشع ضـوءا ومن ثم يستحيل رؤيتـه مبـاشرة، ولكن من المعروف أنـه عندما تموت النجـوم الضخمة، سرعـان ما تتخذ لها قبرا، إما كنجم نيـوتروني أو كثقب أسود حسب كتلة النجم، لكن النجوم المتوسطة والصغيرة الكتلة لا بد أن تصبح عملاقا أحمر ثم قزما أبيض يبرد ببطء وهو يشع ضوءا حتـى يتحول إلى قـزم أسود، ويقـدر الفلكيون أن ذلك يستغرق على الأقل عشرة بلايين عـام ـ وهو العمر المقدر لمجرتنا ـــ لكي يصبح القزم الأبيض.. أسود. ومن هنا فربما لا تحتوي مجرتنا على أي أقزام سـوداء، مما يجعل بحثنا عن المادة المظلمة يتجه وجهة أخرى.

كرات الغاز والجسيمات الغريبة

هناك نظريات تقول إن المادة المظلمـة هي مادة عادية، وإنها مكونة من كرات غازيـة هائلة في مثل حجم كوكـب المشتري تقريبا وأطلقوا عليهـا «المشتريات»، وهي توجد في الهالات التي تحيط بالمجرات الحلزونية، ولكنها أصغر وأبرد من أن تكتشفهـا التلسكـوبـات الأرضية، ولكن لا توجـد دلائل على تكوّن أجسام فضائيـة أصغر بكثير من الشمس ـ مثل كرات الغاز التي في حجم كوكب المشتري ـــ بأعـداد كبيرة تكفي لتفسير وجـود المادة المظلمـة، وكـذلك يبدو من غير المعقـول وجـود البلايين من هـذه المشتريات في هالات المجرات، بدون أن تزداد كتلة بعض هـذه الأجـرام الفضـائيــة بشكل يكفي لبدء عمليـات الاندماج النووي بها، ومن ثم تصبح مرئية مثل النجوم.

ويعتقد عـدد من الفلكيين أن المادة المظلمة ربما كـانت تتكون من جسيمات ثقيلة نشأت وقت الانفجار الأعظم عند خلق الكون، أطلق عليها «الجسيمات الكتلية ضعيفة



□ هل المادة المظلمة مادة عادية؟

التفاعل» أو اختصارا WIMP وهذه الجسيمات تنبأت بها نظرية التماثل الفائق Super Symmetry التي تقول إن كل قوى الكون «أي الكهرومغناطيسية والجاذبية والقوة الضعيفة والقوة القوية» كانت موحدة في اللحظات الأولى من خلق الكون، وتبعا لهذه النظرية فإن الجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل مستقرة، ولا تزال موجودة حتى وقتنا هذا في شكل بقايا للانفجار الأعظم، ولكن هذه الجسيمات يصعب جدا اكتشافها لضعف تفاعلاتها المتبادلة مع المادة العادية، ومن ثم ربما تكون هي التي تشكل المادة المظلمة في الكون. ولكن كيف يمكن الكشف عن الجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل؟.

أوضح الفيزيائيون أنه يمكن تزويد المختبرات المقامة تحت سطح الأرض، بمختلف أنواع أجهزة الكشف البالغة الحساسية للتعرف على هذه الجسيمات، ووجدوا أنه إذا تم تبريد بلورة من مادة السليكون النقي إلى درجة حرارة منخفضة جدا تقترب من الصفر المطلق «-١٥ , ٢٧٣ درجة مئوية»، فإن اصطدام جسيم واحد من الجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل بنواة ذرة السليكون قد ترفع درجة حرارة البللورة إلى قيمة يمكن قياسها، ومنذ عام ١٩٨٩ وحتى الوقت الحاضر، يقوم الفيزيائيون التجريبيون في الولايات المتحدة وكثير من الدول الأوربية ببناء أجهزة كشف عن الجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل، للتحقق من مدى صحة أنها تكوّن المادة المظلمة في الكون.

واهتم بعض الفيزيائيين الآخرين ببناء كاشفات لاصطياد جسيمات افتراضية يطلق عليها «الأكسيونات» Axions ربما تكون هي المادة المظلمة، وقد تنبأت نظريات فيزياء الجسيمات دون الذرية بوجود الأكسيونات التي تشبه الجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل، من حيث إنها تتفاعل بضعف شديد مع المادة العادية، ولكن كتلة الأكسيون تقل كثيرا عن كتلة الجسيم الكتلي ضعيف التفاعل، وفي المجال المغناطيسي القوي ربما يتحول الأكسيون إلى فوتون «وحدة الكم الضوئي» وتجرى في الوقت الحاضر التجارب لتحديد ما إذا كان ممكنا الكشف عن هذه التحولات إذا كانت الأكسيونات موجودة بالفعل.

احتمال آخر يناقشه علماء الفلك بأن المادة المظلمة تتكون من المادة الظل Shadow Matter، ويقول أنصار هذا الرأي إن الكون بمجرد نشأته انشطر إلى جزأين منفصلين، عالمنا الطبيعي بما فيه من مادة عادية والقوى الأربع التي سبق ذكرها، وعالم ظل له جسيماته ... التي يمكن أن تتفاعل مع جسيمات عالمنا، بـ... الجاذبية فقط، أي أنه يمكن أن يقترب إلكترون ع... إلكترون ظل ولا يشعر كلاهما بالشحنة الكهرب... يحملها، ولكن تكون الجاذبية هي القوة الوحيدة ...

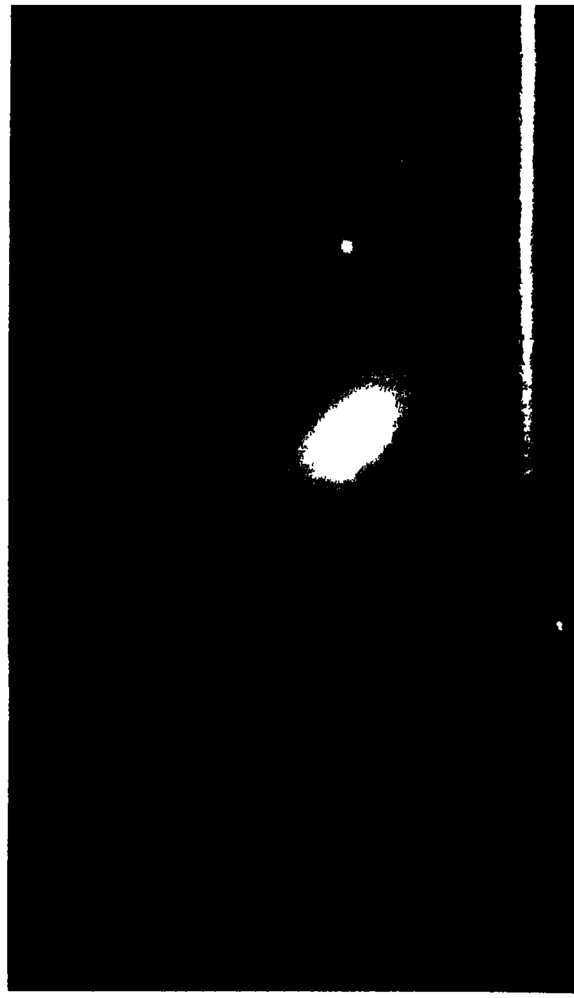
وهناك نظريات أخرى تحاول تفسير طبيعة المادة المظلمة، وأنها مكونة من جسيمات عجيبة غير مأ... نشأت أيضا منذ اللحظات الأولى لخلق الكو... وهي بذلك تشبه حمائر العصور العابرة، وتتساقط على ...كب الأرض، وتخترق أجسامنا دون أن نشعر بها، و... هذه الجسيمات «القطب الأحادي»، وعلى الرغم من أن المغناطيسات دائما ثنائية الأقطاب، «شمال وجنوب» إلا أن هذا الجسيم يحمل وحدة واحدة من ...ـة المغناطيسية أي قطب مغناطيسي معزول.

أما الجسيم الآخر المرشح لتكوين المادة المظلمة فهو الكوارك «غريب»، والكواركات هي على الأرجح اللبنات الأساسية للمادة، وهي التي تكون النيوترونات والبروتونات وغيرها من الجسيمات دون الذرية الثقيلة التي يطلق عليها الهادرونات. وتظل المادة المظلمة محتفظة بأسرارها!.

مادة مظلمة باردة أم ساخنة ؟

إن معظم الجسيمات المرشحة لتكوين المادة المظلمة ... يتم الكشف عنها حتى الوقت الحاضر، والاستث... الوحيد لذلك هو النيوترينو Neutrino، وتنتج الشمس أعدادا لا حصر لها من النيوترينوات في مركزها، في ا... تحول الهيدروجين إلى هليوم بالاندماج النووي، إلا ... العلماء اكتشفوا وجود عدد من النيوترينوات أقل ... من العدد الذي توقعوه في ظل الظروف الموجودة ... باطن الشمس، وأحد التفسيرات الممكنة هي ... النيوترينو جسيم له كتلة، ومن ثم يتفاعل مع ... الأخرى في باطن الشمس. ومنذ عام ١٩٨٠ أجر... الفيزيائيون تجارب عديدة، لمعرفة هل لهذه النيوترينو... كتلة، لكن النتائج حتى الوقت الحاضر، ليست نهائية قاطعة، وإذا اتضح أن للنيوترينو كتلة، فإنه يمكن ... يكون جسيم المادة المظلمة الذي نبحث عنه.

إلا أن كثيرا من الفلكيين يشككون في أن ... النيوترينوات هي التي تكوّن المادة المظلمة، ... هذه الحالة تكون المادة المظلمة ساخنة، أي ...



□ هالات جارة من المادة المظلمة حول المجرات

جسيمات بسرعة الضوء أو قريبة منها، مما يؤدي إلى حدوث التشكيل «من القمة إلى القاعدة»، ويقصد به ن العناقيد المجرية المكونة من الغازات والنيوتريوات، لا بد أنها تشكلت أولا ثم تفتتت بعد ذلك إلى مجرات عادية، لكن يبدو أن ما تم رصده في الكون يؤدي إلى استبعاد هذه النظرية، فعلى سبيل المثال أكد علماء الفلك أن المجرات موغلة في القدم بينما عناقيد المجرية حديثة التكوين عنها. ولهذا أصبح الأمر أكثر احتمالا أن المادة المظلمة باردة، وأنها تتكون من جسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل «الثقيلة»، أو الأكسيونات «الخفيفة»، وهذا يؤدي إلى ما يطلق عليه التكون «من القاعدة إلى القمة»، أي أن المجرات تكونت أولا ثم اقتربت من بعضها بعد ذلك لتشكل عناقيد المجرية.

وفي أواخر الثمانينيات استخدم علماء الفيزياء شبكة الكمبيوترات، لمحاكاة تكوين المجرات في كل من جسيمات المادة المظلمة الباردة أو الساخنة، وأعطت البرامج التي استخدمت المادة المظلمة الباردة، صورة لتوزيع المجرات في الكون تشبه إلى حد كبير ما يقوم الفليكون برصده بالفعل، أما البرامج التي اعتمدت على المادة المظلمة الساخنة، فقد توصلت إلى تشكيل كتل غريبة من المجرات، لا تشبه أي شيء رصده الإنسان حتى الآن.

ما أشد مراوعة المادة المظلمة! فرغم كثرة الاحتمالات الواردة، لا يزال الفليكون يجهلون مكونات المادة المظلمة التي تعد معرفة طبيعتها أمرا بالغ الأهمية، إذ إن هناك تداعيات فلكية وكونية مرتبطة بوجودها، فنحن نعرف أن الكون يتمدد والمجرات تسرع مبتعدة عن بعضها البعض في جميع الاتجاهات، ولكن هل سيستمر الكون في التمدد إلى الأبد؟.

إن هذا الأمر يعتمد على مقدار المادة المظلمة الموجودة في الكون، فإذا كانت ذات كتلة هائلة، فإن التمدد سوف يتوقف في وقت ما بسبب قوة الجاذبية، وسيتقلص الكون في آخر المطاف وينهار، أو ما يطلق عليه الانسحاب الأعظم.

أما الاحتمال الثاني ألا تكون هناك مادة مظلمة كافية، وعندئذ تصبح الجاذبية أضعف من أن تبطيء التمدد الحالي للكون، ومن ثم يستمر في التمدد إلى الأبد، أو قد توقف الجاذبية اتساع الكون ولكنها تكون أضعف من أن تؤدي إلى تقوضه وانهياره.

وحديثا وجد الفلكيون فراغات في الأطراف المترامية للكون حيث لا توجد مجرات، فإذا كانت المادة المظلمة موجودة في هذه المناطق، فسوف يتوصل العلماء إلى الكيفية التي يمكن أن تتراكم بها المادة في الفضاء، ومن ثم تكوين المجرات في مناطق معينة بالكون

ورغم عظمة أهمية المادة المظلمة في فهمنا لحجم وشكل وكتلة المجرات وتركيب بيئة الكون، بل ومصيره النهائي، فإننا لا نعرف سوى مكان وجود المادة المظلمة، وهل يمكن أن نقتنع فعلا أننا نفهم الكون المحيط بنا، بينما أكثر من ٩٠٪ من المادة الموجودة به مظلمة وتعتبر لغزا محيرا؟ ولكن يتوقع علماء الفلك اكتشاف سر المادة المظلمة، بواسطة تلسكوب الفضاء «هابل» - بعد أن تم إصلاح أجهزته - والذي يدور على بعد نحو ٦٠٠ كيلومتر من سطح كوكب الأرض.

إن الأمر الوحيد الواضح أمامنا الآن، أن الفلكيين يواصلون أبحاثهم ويعكفون على أجهزتهم لإلقاء الضوء على المادة المظلمة □

١٥٠ ألفا إلى ٢٠٠ ألف برميل خام من النفط في مياه الخليج، وانتشرت على سواحل البحرين، وقطر، ودبي، وتوقف العمل في كثير من محطات تحلية المياه في دول الخليج كلها باستثناء عمان.

ـ في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ قامت قوات الاحتلال العراقي في الكويت بضخ النفط إلى البحر من الكويت، وهو ما أدى إلى تدفق كميات هائلة من النفط تختلف حولها التقديرات ولكنها لا تقل عن ١٠ ملايين برميل تدفقت في البحر، و٢٠ مليون برميل شكلت بحيرات نفطية.

يضاف إلى هذه الكوارث التي لم يحدث لها مثيل في التاريخ المعروف للبشرية، ما يورده الباحث السعودي أحمد خليفة الحمادي في دراسة عن «البيئة الخليجية»، وقد نالت جائزة راشد بن عميد للثقافة والعلوم، يقول الباحث إن ١٠٠ ناقلة نفط تعبر مضيق هرمز يوميا، وأن هذه الناقلات تلقي بما نسبته واحد بالمائة من حمولتها في البحر عن طريق التوازن، واستنادا إلى دراسة قدمت إلى المكتب الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة «فإن هذه الناقلات تلقي يوميا حوالي ٨٢٫٠٢٣ طنا في مياه الخليج»، أي بما يصل إلى ٢٨٥ ألف برميل سنويا، وهذا الرقم يمثل أعلى معدلات التلوث النفطي في العالم.

. وكل هذا النفط يلقى في بحر شبه مغلق، مساحته على ٢٤ ألف كيلومتر مربع، ومعدل الوسطي لا يزيد على ٣٨ مترا، مزروع بالـ... النفطية، ويتناوب عليه التلوث عبر عمليات ... والإنتاج والمحلفات الصناعية والبشرية..

حديث الملح

.. ثم يأتي حديث الملح:

يكشف تقرير أعدته منظمة الخليج للاستشارات الصناعية في نهاية عام ١٩٩٢ أن طاقات محطات تحلية المياه في دول مجلس التعاون الخليجي تمثل ... أكثر من ٦٠ في المائة من طاقات التحلية الإجمالية في العالم، ويحدد التقرير عدد الوحدات الخاصة بالتحلية والقائمة في تلك الفترة بأنها تزيد على ١٦٥٢ وحدة، وأن طاقتها الإجمالية تبلغ ٦ ملايين و٦٤٠ ألف متر مكعب في اليوم الواحد.. وتُستهلك المياه، أما الملح فيبقى في البحر، وهذا البحر كما تقول الدراسات يحوي أعلى نسبة ملوحة في البحار غير الميتة في العالم، بينما نسبة الملوحة لا تزيد على ٣٠ ألفا في المليون في بحار العالم، فإن هذه النسبة ترتفع لتصل إلى ٧٠ ألفا في الخليج.

الخليج كما رآه القزويني:

بحر مبارك كثير الخير يسكنه اللؤلؤ والسمك و.. الجن

● يروي الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني «٦٠٠ - ٦٨٢هـ»، في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات عن بحر الخليج، ما يأتي: «هو شعبة من بحر الهند الأعظم، من أعظم شعبها، وهو بحر مبارك كثير الخير، لم يزل ظهره مركوبا، واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار.. قال أبوعبدالله الحسيني: خص الله تعالى هذا البحر بمزيد من الخيرات والفوائد والعجائب فإن فيه المد والجزر وغزارة الماء، فإن الماء فيه من سبعين ذراعا إلى ثمانين، وفيه مقاصي اللؤلؤ الجيد البالغ الذي لا يوجد مثله في شيء من البحار، وفي جزائره معدن العقيق وأنواع اليواقيت والسنبادج ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطيب والأفاويه، وفيه «الدردور» أيضا الذي لا ينجو منه شيء من المراكب إذا وقع فيه إلا ما شاء الله، وفيه «عوير وكثير»، وهما موضعان قلما يسلم منهما مركب».

وعن جزر هذا البحر، يروي القزويني:

«منها جزيرة خارك، بها معادن اللؤلؤ، ذكر الحريري أن صدف الدر لا يوجد إلا في بحر تصب فيه الأنهار العذبة، فإذا أتى وقت الربيع يكثر هبوب الرياح وارتفاع الأمواج، فتحمل رشاشات من بحر أوقياس وفيه ما شبيه بالزئبق، لزج مثل الغراء، فيتولد منه الدريان. ...

● حروب لم يعرف التاريخ لها مثيلا



□ نظرة ساهمة إلى الخليج الذي يقاوم الاغتيال

وما بين الملح والنفط يتعرض الخليج لعملية اغتيال لا تستهدف حياة الأسماك والحيوانات المائية فيه بحسب، بل حياة الإنسان الخليجي نفسه الذي يعتمد عليه لتأمين معظم مياه الشرب. وتكفي الإشارة إلى محطات تحلية المياه في إمارة الفجيرة كانت تتوقف عن العمل ليلا، بعد تسرب النفط من الناقلة «سيكي».

ماذا يحدث عندما يقع التلوث البحري؟ هنا نماذج من الغرب.

- في أمريكا يقول الكتيب الخاص بالصيادين الهواة: «تستطيع أن تصطاد أكثر من سمكة، ولكن حذار أن تأكل أكثر من واحدة، لأن الأسماك المحلية تحمل كميات من الزئبق»، أما في بريطانيا فإن الكتيب يقول: «هناك ٣٣ نهرا وبحيرة وخليجا يمكن أن تصطاد السمك منها، ولكن حذار أن تتناول سمكة كاملة بمفردك يزيد وزنها على كيلو جرام واحد، لأنها قد تصيبك بالتسمم، والأفضل أن تتناولها مع ثلاثة على الأقل من أفراد الأسرة..».

وتتفق بريطانيا مع أمريكا على أنك تستطيع أن تتناول الأسماك المحلية، من أنهار وبحيرات وخلجان محددة، مرة واحدة في الأسبوع.. وما ينطبق على الأسماك ينطبق على البط والطيور البرية، شرط ألا تريد حصتك الغذائية على بطة واحدة طوال العام(!).

.. ومع أن هذه الصور والوصايا تبدو أقرب إلى الكاريكاتير إلا أنها واقعية، كما يعرف كثيرون ممن جربوا العيش على شواطىء الأصسي من الناحيتين، فالتلوث لم يعد «فضيحة» يمكن إخفاؤها أو التعتيم

تلك الرشاشات في محل الصدف فيلتقمه الصدف كما يلقم الرحم المني، فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا، وربما تقع رشاشات فتنعقد منها أجزاء صغار..

ومنها جزيرة جاشك، وهي بقرب جزيرة قيس، لأهلها خبرة وصبر على الحركة في الماء، فإن الرجل منهم يسبح في الماء أياما كثيرة، وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على ظهر الأرض، وسمع من غير واحد أن بعض ملوك الهند أهدى إلى بعضهم جواري هنديات في مراكب، فوقع شيء من تلك المراكب إلى هذه الجزيرة، فخرج الجواري يتفسحن في الجزيرة فاختطفتهن الجن وافترستهن فولدت هؤلاء الذين بها، فلذلك فيهم من الجلادة ما يعجز عنها غيرهم»..

ويعقد القزويني فصلا عن حيوانات هذا البحر يروي فيه: «قال صاحب عجائب الأخبار: في هذا البحر طائر يقال له «فنون» وهو مكرم لأبويه، وذلك أن هذا الطائر إذا كبر وعجز عن القيام بأمر نفسه اجتمع عليه فرخان من فراخه، يحملانه على ظهرهما إلى مكان ويبنيان له عشا وطينا، ويتعاهدانه بالماء والعلف، ذكروا أن الله تعالى أكرم هذا الطائر بأن سخر له البحر، فإنه إذا باض سكن البحر أربع عشرة ليلة حتى تخرج فراخه في هذه المدة اليسيرة، والبحريون يتبركون به فإذا كان أول سكون البحر علموا أن هذا الطائر قد باض..

ومنها سمكة وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط وتظهر على وجه الماء.

ومنها الكوسج، وهو نوع من السمك شر من الأسد في الماء، يقطع الحيوان بأسنانه كما يقطع السيف الماضي، ورأيته، وهو سمك مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الإنسان، وإذا أدرك سمكة كبيرة قطعها، وإذا أدرك آدميا قتله أو قطع يده، أو رجله، فإنه نائبة عظيمة في هذا البحر. ومنها سمكة مدورة، ذنبها أطول من ثلاث أذرع، وعلى وسط ذنبها شوكة معقفة شبه كلاّب وهي سلاحها تضرب به.. ولها منخران على ظهرها وفم على بطنها وفرج كفرج النساء، والبحر لا تحصى عجائبه..».

عليها ـ مع أن بعضهم يحاول ـ بل حقيقة يومية لابد من التعامل معها وحصر أضرارها والبحث عن أفضل الوسائل للحد من أخطارها، والمشكلة أن التلوث لا يظهر أمام الضحايا حقيقة عارية، ولكنه يتخفى خلف أقنعة شتى، فهو في أحسن الأحوال يقضي على الأحياء المائية في الأنهار والخلجان وعلى الشواطىء، أما في أسوئها فإنه يتسلل إلى تلك الأحياء المائية ويقيم داخلها ويدخل في دورتها الغذائية، ويصبح جزءا من نظام حياتها، وعندما يتناول الإنسان وجبة من تلك الأحياء المائية فإنه يحفر قبره ومعه آخرون بيديه دون أن يدري، وهو ما حدث مثلا في اليابان في شهر مايو (آيار) عام ١٩٥٦، عندما سقط ٤٥ شخصا دفعة واحدة قتلى بالتسمم، وأصيب ٧١ آخرون بأمراض خطيرة، نتيجة لتناولهم طعاما بحريا من خليج «مينا ماتا» حيث كان أحد المصانع ـ وهو يقع على الخليج ـ يصرف نفاياته، التي تحتوي على كميات من الزئبق، في المياه، ولم يدرك القائمون على المصنع في تلك الفترة أن تلك المخلفات تحوي مركبات مستقرة وثابتة لا تتحلل في البحر بل تتراكم ويزداد تركيزها مع مرور الزمن، وتدخل ضمن السلسلة الغذائية في البيئة البحرية إلى أن تتحول إلى وجبة قاتلة تحصد ضحاياها بالجملة.

البحر الآمن والأمن القومي

في منتصف السبعينيات أرسلت الأمم المتحدة بعثة خاصة تابعة لبرنامج البيئة، وبعد دراسات وأبحاث قامت بها البعثة، أصدرت تقريرا حذر بشكل حاسم «إذا لم يتم اتخاذ إجراءات استثنائية لتقليص حجم التلوث، خاصة الناجم عن تسرب النفط ومشتقاته، فإن النتيجة سوف تكون كارثة لن تستثني واحدة من الدول المطلة على الخليج».

.. ومع أن الكارثة وقعت إلا أنها لم تتم فصولا بعد، ويمكن ربما منع اكتمالها عبر استعراض أبرز الحلول، ومن بينها:

ـ تحويل الخليج إلى بحر آمن قياسا إلى سوابق الأمم المتحدة في تحديد «مناطق آمنة» يلجأ إليها السكان، وتكون تحت حماية الأمم المتحدة، وهذا الاقتراح ليس جديدا، ففي عام ١٩٧٣ عقد المؤتمر العالمي لمنع التلوث من السفن، وأقر أن يكون كل من البحر الأبيض المتوسط وبحر البلطيق والبحر الأسود بحارا آمنة تطبق فيها شروط استثنائية لمنع التلوث، ويمنع لأي سبب من الأسباب إلقاء النفط ومشتقاته في مياهها. واشترط المؤتمر على الدول المطلة على هذه البحار بالمقابل أن تقوم بتجهيز مرافئها ا[...] وأحواض تصليح السفن فيها بأحدث المعدات [...] بالتدخل السريع لحصر أضرار أي تسرب نفطي [...] اقترحت بعض الدول إضافة بحر الخليج وبحر عمان إلى البحار الآمنة، غير أن مندوب شاه إيران [...] الوقت اعترض، لأن الناقلات ـ على حد زعمه [...] الخليج من مسافات شاسعة، تكون خلالها قد [...] من نفاياتها النفطية، وهي لا تحمل إلا المياه، و[...] ليس هناك ضرورة لتحميل دول الخليج نفقات [...] لتحديث مرافئها(!).. وسقط الاقتراح.. وبقي بحر عمان وبحر الخليج مناطق غير آمنة مستباحة لقراصنة التلوث.

تنهي الدكتورة بدرية عبدالله العوضي دراسة عن «التشريعات البيئية في دول الخليج» نشرت عام ١٩٩٢ بعدد من التوصيات، منها:

«توسيع مفهوم الأمن القومي ليشمل الأمن البيئي في دول الخليج للحد من العدوان على البيئة ومواردها الطبيعية من ناحية، ولمواجهة التطورات الحديثة في مجال التكنولوجيا من ناحية أخرى».

أما في زمن الحروب فتقترح الدكتورة العوضي «ضرورة تعديل النصوص البيئية في البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ لضمان حماية فاعلة للبيئة والموارد الطبيعية أثناء النزاعات المسلحة، واعتبار العدوان على البيئة من جرائم الحرب، لأن الدمار البيئي يضر بالبشرية جمعاء، مما يستوجب مساءلة الدولة التي تستخدم البيئة والثروات الطبيعية سلاحا في زمن الحرب». وهذه الحلول تبقى حتى اليوم نظرية، لأن المشكلة الحقيقية هي أن البيئة ليست هما شعبيا، بل هي من اختصاص النخبة، وهي ليست هما يوميا بل موسميا، يطفو مع الأسماك والحيوانات المائية، كلما طفت ميتة على الشواطىء، وهي ليست هما سياسيا لأن أحزاب الخضر لا تشغل اهتمام ممثلي الشعب المتحمسين [...] المعنيين، وهي ليست هما تربويا لأن الكتب المدرسية التي تطرح قضايا البيئة على الطلاب هي شبه معدومة وأخيرا إنها ليست هما دينيا، لأن العاملين في وزارات الأوقاف وخطباء المساجد لا يتناولون قضايا البيئة إلا نادرا، مع أنه ورد في محكم كتابه المبين ﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**..﴾

وبالتأكيد فإن الاهتمام بالبيئة هو أبلغ آيات الشكر.□

تعليق المعلقات

بقلم : الدكتور جابر عصفور

ـا الذي جعل المعلقات تنفرد بالمكانة
ـي أنزلتها العرب فيها واختصتها بها
ـون سواها من قصائد الجاهلية؟



إنها التركيبة الشعرية الإبداعية التي جسدت حضور النموذج الأصلي للشاعر في مجاليه ـديني والدنيوي، وذلك على مستوى صياغة وعي ـقبيلة والصدور عنه، وتصوير رؤية العالم التي ـتجها سادة القبيلة الذين عبر عنهم شعراء ـلمعلقات، وتمثيل المعتقدات التي جمعت بين السادة ـغيرهم من أبناء القبيلة في تصور الكون من ناحية، ـرابطة الولاء القبلي في تصور العصبية الجاهلية من ـاحية ثانية، وكما اقتصرت المعلقات على إبداع ـسادة، من غير الصعاليك والأغربة والعبيد، فإن ـذي انتخبها دون غيرها من القصائد، ورفعها على ـغيرها من القصائد، هم أقطاب السادة من الملوك ـوالرؤساء، وكان فعل الاختيار نفسه شعيرة دنيوية ـدينية، الوجه الاعتقادي فيها لا ينفصل عن الوجه ـلاجتماعي، والعصبية القبلية هي الامتداد الطبيعي ـتصورات الجاهلية، أسطوريا ودينيا، والعكس ـصحيح بالقدر نفسه.

ويبدو أن ابن خلدون «ت ٨٠٨هـ» كان يدور بخلده شيء من ذلك حين وصف الشعر بأنه ديوان العرب الذي جمع علومهم وأخبارهم وأحكامهم، وكان يتابع في هذا الوصف التقاليد التي لخصها عمر ابن الخطاب حين وصف الشعر الجاهلي بأنه «علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»، ولكن ابن خلدون يمضي فيحدثنا عن مكانة الشعر التي كانت العرب تتنافس عليها، أو عن زعامته التي كانت محل صراع بين القبائل، وذلك حين كان الشعراء يقفون بسوق عكاظ لإنشاد الشعر، في حضرة رؤساء العرب، فيعرض كل شاعر شعره على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز قدرته، حتى انتهوا إلى المنافسة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم وبيت إبراهيم، كما فعل امرؤ القيس والنابغة وزهير وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع، ولم يكن يتوصل إلى تعليق الشعر على الكعبة إلا من له القدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانته، فيما يقول ابن خلدون الذي يفسر بذلك سبب تسمية بعض القصائد الجاهلية باسم المعلقات.

وصل الديني بالدنيوي

وما يقوله ابن خلدون ينطوي على أكثر من دلالة، في هذا المقام، ويصل الديني بالدنيوي في تحديد القيمة الشعرية للمعلقات، وذلك من وجهة نظر الجماعة التي انتخبت من إبداعها، وبواسطة سادتها، ما كان أكثر تجسيدا لمثلها وقيمها، وأقرب إلى شعورها الجمعي، وألصق بذاكرتها التي تحفظ عليها وحدتها وتميزها على غيرها في آن.

ويلحظ من يتتبع المرويات الخاصة بانتخاب القصائد المعلقة، دون غيرها من القصائد الجاهلية، ويركز على الذين قاموا بهذا الانتخاب القيمي، فضلا عن الشعائر المصاحبة لعملية الانتخاب نفسها، يلحظ من يقوم بذلك عنصرا ثابتا متكررا في الكثرة الكاثرة من الروايات، وهو أن عملية الانتخاب يقوم بها، عادة، من يحق له الحديث باسم الجماعة الدنيوية، ويقع موقع الملك أو البطريرك الأكبر بلا فارق يذكر بين الاثنين.

هكذا، قرأنا في التراث العربي، عن الملوك الذين كانوا يأمرون بحفظ القصائد وتعليقها، الملوك الذين كانوا يفعلون ذلك إعلانا عن التميز الإبداعي من زاوية الاعتراف بالمكانة الاجتماعية، و... بالقيمة الاعتقادية للقصيدة التي تعلق با... وتؤثر في العقول وتفعل فعل السحر في الـ... ولم يكن صنف هؤلاء الملوك يكتفي بحفظ هذه القصائد في خزائنه، أو تعليقها في قصره... يجاوز ذلك إلى تعليقها على أقدس مكان تحت... العرب، وهو الكعبة المقدسة التي يتوجه... العابدون، ويطوف حولها جموع الحجيج، ... غير واحد من الرواة القدماء، في أكثر من مصدر... الملك من ملوك العرب كان إذا استحسن القصيدة قال: علقوها، وأثبتوها في خزانتي.

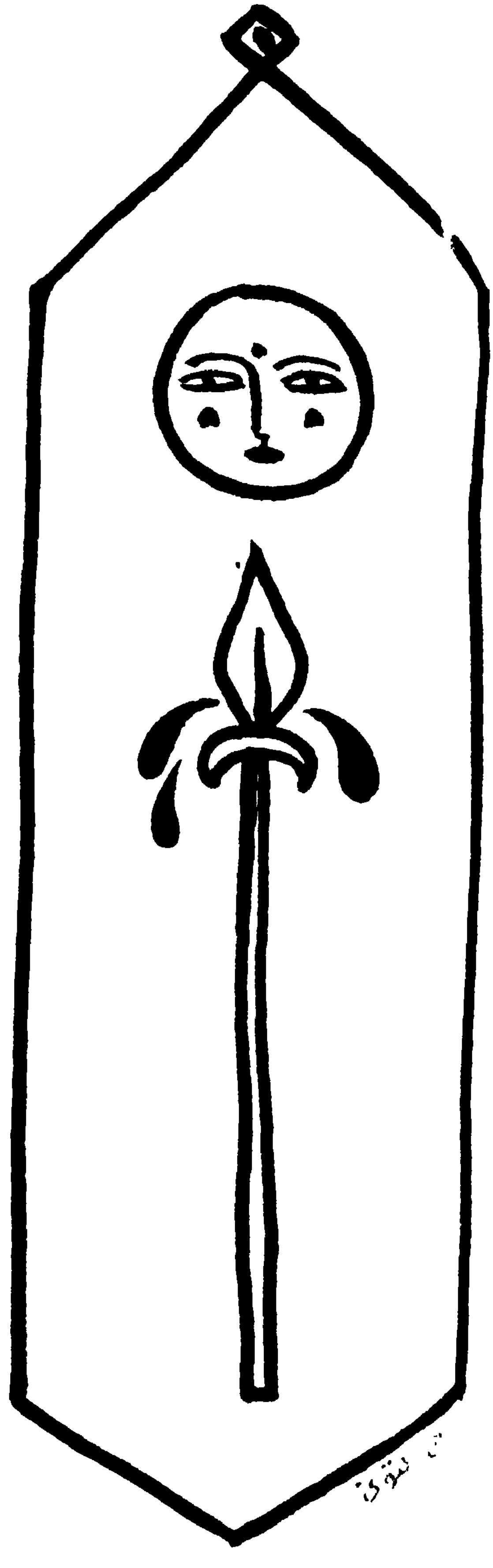
ولا يختلف فعل التعليق عن الحفظ في الخزائن... حالة المعلقات، فالدلالة اللغوية لكلمة المعلقة... تنصرف إلى كل ما هو نفيس، لا تتغير قيمته... يزول أثره أو حضوره، كما تشير إلى ما يحفظ في الصدور أو الخزائن، والقصيدة المعلقة هي القصيدة التي ينبغي صونها، وحفظها في الخزائن والصدور، شأنها في ذلك شأن عيون الحكمة التي كانت الملوك تصونها في خزائنها، والحكماء تصونها في ذاكرتهم... لكن المعلقة لا تقترن بمعنى النفاسة التي تصب... بتقاليد صيانة الحكمة في خزائن الملوك فحسب، ... تقترن في الوقت نفسه بتقاليد الإعلان والإشهار بالتعليق على جدران القصور والمعابد والكعبة ... السواء ومن ثم تعيدنا إلى مفارقة السر والإظهار وتلك مفارقة يقترن طرفها الأول بضرورة حفظ «النفيس» في الصدور أو الخزائن، ويقترن طرفه الثاني بضرورة الإعلان عن هذا النفيس، بما يتيح لكل الأعين أن تراه من ناحية، وبما يضعه في المكان الذي يليق به اجتماعيا واعتقاديا من ناحية ثانية وليس من المصادفة، والأمر كذلك، أن العرب أطلقت على هذه المعلقات اسم «المذهبات»، والتسمية مراوغ في دلالته التي يصل بها «البغدادي»، في حديثه عن معلقة عنترة، ما بين معنى الإذهاب «الإحضار» والتذهيب «الإظهار» أو معنى التمويه أو الطلاء.

وتلك مفارقة تعيدنا إلى الدلالة المزدوجة للسبع... السبعة في قصة معلقة الحارث بن حلزة التي أنشدها في حضرة الملك عمرو بن هند، من وراء سبعة ستور، وتعيدنا قصة الحارث بن حلزة، بذه... التقاليد السابقة على العرب، التي ...

الموروثات العربية بأكثر من سبيل، وهي التقاليد التي نسمع عنها حين نقرأ أن ملحمة جلجامش قد كتبت بأمر الملك آشور بن بعل، ووضعت في قصره، ونبه على هذا في تذييل لوحاته التي ختمها بخاتمه، وظلت الملحمة مودعة في المعابد، معلقة على طريقة المعلقات العربية، فيما يقول نجيب البهبيتي في كتابه المتميز عن «المعلقات سيرة وتاريخيا»، وما حدث مع ملحمة جلجامش، في الحضارة الآشورية، حدث مع قصائد الشاعر بندار في الحضارة اليونانية، حيث علقت للشاعر قصيدته المعروفة باسم الأوليمبية السابعة، بعد أن كتبت بأحرف من ذهب، في معبد أثينا الإلهة اليونانية في ليندوس، ونقش للشاعر نفسه قصيدته عن آمون فوق لوحة حجرية، علقت في معبده بطيبة اليونانية.

كليلة ودمنة

وليس ببعيد عن ذلك ما نعرفه عن التوصل إلى حكمة بيدبا، في تراثنا العربي الذي أضاف إلى التراثين الفارسي والهندي، أعني بعثة برزويه الذي أرسله كسرى أنوشروان إلى الهند، بعد أن بلغه أن بها كتابا نفيسا، يحفظه ملوكها في خزائنهم، هو أصل كل أدب ورأس كل علم، والدليل على كل منفعة، ومفتاح طلب الآخرة والعمل للنجاة من هولها، والمقوي لما يحتاج إليه الملوك لتبرير ملكهم ويصلحون به معايشهم، وهو كتاب كليلة ودمنة، وظل برزويه يسعى ويحتال إلى أن وصل إلى خازن ملوك الهند الذي بيده مفاتيح الخزائن، وتوصل إلى الكتاب النفيس الذي حفظه ملوك الهند كالجوهر الكريم، وأخذه عنهم ملوك فارس، ثم نقله عنهم العرب، وأضافوا إليه ما يزيد من نفاسته الظاهرة المعلنة، والباطنة المستورة في الوقت نفسه، وأضيف إلى ذلك الأعمدة الحجرية وألواح الذهب التي تتناثر في حكايات ألف ليلة وليلة، فهي تلفت الانتباه بما هو منقوش عليها من أشعار معلقة، وتنطوي هذه الأشعار، على العظة والعبرة في الغالب، وتؤكد قيمتها وتحفظ وجودها بما انتقشت عليه من معدن نفيس أو حجر عجيب يقاوم الأيام والأزمان، ومثال ذلك ما نطالعه مع الأمير موسى، في حكاية مدينة النحاس، وصاحبه الشيخ عبدالصمد الذي كان



يعرف كل اللغات واللهجات، وأول ما يطالعنا من هذه المدينة سبعة ألواح من الرخام الأبيض، منقوشة مكتوبة باليونانية، فيها وعظ واعتبار وزجر لذوي الأبصار، وفي أسفل اللوح الأول كتبت هذه الأبيات:

أين الملوك ومن بالأرض قد عمروا
قد فارقوا ما بنوا فيها وما عمروا
وأصبحوا رهن قبر بالذي عملوا
عادوا رميما من بعد ما دثروا
أين العساكر ما ردت وما نفعت
وأين ما جمعوا فيها وما ادخروا
أتاهم أمر رب العرش في عجل
لم ينجهم منه أموال ولا وزر

ويذكرني الرقم سبعة بالعدد الشائع للمعلقات «السبع الطوال»، وليست ألواح الرخام الأبيض المكتوبة المنقوشة سوى مجلى آخر من مجالى القباطي المصرية التي هي أثواب ناصعة البياض من الصحائف التي كانت تكتب عليها المعلقات.

السبع الطوال

ويعني ذلك أن القصائد العربية المعلقة لا تنفرد بدلالة رقمها الغالب في الحديث عنها، وهو الرقم «سبعة» بما يومىء إليه من دلالات أسطورية اعتقادية، وسواء وصفت القصائد المعلقة بأنها «السبع الطوال» أو «المعلقات السبع» فإن الدلالات الأسطورية الاعتقادية التي تقترن بالتسمية السباعية لم تفارق المعلقات في المستويات الدلالية المتعددة لسياقاتها، وكان من بين المعاني التي انطوت عليها هذه السياقات معنى التراتب الذي يعلو به البعض على البعض، والشعر على الشعر، والقصيدة على القصيدة، إلى أن نصل إلى «المذهبة» التي توضع في أسمى مكان وأقدسه، لأنها خرجت على المألوف، وأبدعت على غير مثال، وكشفت عما لم يكن معروفا قبلها، فأحدثت من التأثير ما هو سحر أو كالسحر، وفتحت لمن بعدها الطريق لاتباعها، وكانت جديرة بأن توضع على جدران الكعبة، التي حدثتنا الأخبار عن تعليق سبع قصائد عليها.



وكان أول شعر علق في الجاهلية، من المعلقات السبع، شعر امرىء القيس الذي علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى ينظر إليه، ثم علقت الأشعار من بعده، وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية، وامرؤ القيس ابن ملك كندة وشاعرها الذي كان أول من ابتدع في الشعر أشياء سبق الناس إليها، وفي حديث عمر بن العباس رضي الله عنهما سأله عن الشعراء فقال: امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر يريد أنه ذلل لهم الطريق إليه وبصرهم بمعاني الشعر. وفصل أنواعه ومصدره فاحتذى الشعراء على مثاله.

وقد وجدت رواية ابن الكلبي عن تعليق المعلقات على الكعبة ما دعمها في رواية قديمة، تنسب إلى معاوية بن أبي سفيان «ت ٤٥هـ» الذي روى عنه أن قصيدتي عمرو ابن كلثوم والحارث بن حلزة كانتا معلقتين بالكعبة دهرا، وكان ذلك مدعاة لأن يتقبل المتأخرون واقعة تعليق «المعلقات» على الكعبة بوصفها إحدى الحقائق التاريخية، وذلك ابتداء من ابن قتيبة «ت٢٧٦هـ» في كتابه «الشعر والشعراء»، مرورا بابن عبد ربه الأندلسي «ت ٣٢٧هـ» في «العقد الفريد»، والأصفهاني «ت٣٥٦هـ» في «الأغاني»، وأبي زيد القرشي «مطلع القرن الخامس الهجري» في «الجمهرة»، وابن رشيق «ت ٤٥٦هـ» في «العمدة»، والتبريزي «ت ٥٠٢هـ» في «شرح المعلقات» وانتهاء بابن خلدون «ت ٨٠٨هـ» في «المقدمة» والسيوطي «ت ٩١١ هـ» في «المزهر» والبغدادي «ت ١٠٩٣هـ» في «الخ...

● تعليق المعلقات.

كله على سبيل المثال لا الحصر، وقد انفرد، فيما أبوجعفر النحاس «٣٣٨هـ» في كتابه «شرح ـائد السبع المشهورة» بالشك في رواية ابن نافيا ما شاع في أيامه من تعليق المعلقات على ، لكن أغلب القدماء والمحدثين لا يأخذون ابن النحاس، ويميلون إلى تصديق واقعة المعلقات، وهي واقعة ظلت تقع على الأسماع الحقيقة إلى عصرنا الحديث والمعاصر.

من الشفاهية إلى الكتابية

ولكن أهم من التصديق التاريخي، في هذا المقام، تأكيد دلالة اختيار المعلقات في مجتمع غلبت عليه النزعة الشفاهية، وما لقيه الاختيار نفسه من تسليم جمعي استقر في ذاكرة الأجيال المتلاحقة، وما تخيلته هذه الأجيال وأبدعته من شعائر الاحتفال بتعليق هذه القصائد ـ المعلقات ـ على الكعبة، لقد اصطفت الصفوة التي اتبعتها الأغلبية وصدقتها عددا له مغزاه من قصائد الشعر الجاهلية، ونقلت هذا العدد من مشافهة الإرسال والاستقبال، إلى الحضور الكتابي للخط والقراءة، وكان في ذلك الفعل انتزاع لهذا العدد من الانسيال المراوغ للذاكرة الشفاهية، وتثبيت للوجود بما يبقي على الوجود، وكان في ذلك، أيضا، تأكيد للمغزى الديني الذي انطوى عليه حضور النموذج الأصلي للشاعر الذي أنزلته الجاهلية منزلة الأنبياء، ووضعت قصيدته موضعا مقدسا، وعلقتها في مركز عبادتها الذي تطوف به في حجها، وكان في ذلك مناقلة لعدوى القداسة من الحامل إلى المحمول، ومن المحمول إلى الحامل، وتأكيد للقيم الرمزية التي تنقلب بطرفي المجاورة إلى حال من الاتحاد، وقد صاغت المخيلة الجمعية، تكريسا لهذه الدلالة مشاهد احتفالية رددتها في موروثها الشفاهي والكتابي، خاصة بكتابة هذه المعلقات في صحائف نفيسة من قباطي مصر، والقباطي «بضم القاف وفتح الباء» ثياب رقاق من كتان مصر، ناصعة البياض، لا تشف، ناعمة، ملساء، نفيسه تليق بما يراد له الانتقال من الوجود الشفاهي إلى الحضور الكتابي، وتلك هي القباطي «المدرجة» التي كتب على نسيجها بالذهب، فصارت مذهبات، وصارت معها القصيدة المختارة «مذهبة»، مشهورة معلقة كالصحائف المنسدلة، معطرة بالمسك والعنبر، فوق أركان الكعبة ليراها جمع الحجيج، ويقرأها القارئون في خشوع، ويطوف حولها القادمون من كل فج، في شعيرة لا يخلو معناها من تقديس مكانة الشعر والشاعر.□

حملة إعلامية لمكافحة الإيدز في فرنسا

● شنت فرنسا حملة إعلامية لمكافحة وباء الإيدز الذي انتشر في البلاد.

وبثت ست قنوات تلفزيونية وطنية معا يوم ٦ أبريل الماضي برنامجا لمكافحة الإيدز تحت عنوان «نحن متحدون في مكافحة الإيدز»، شارك فيه نجوم عالميون واستمر قرابة أربع ساعات.

وتعد فرنسا أكثر الدول تضررا بالإيدز في أوربا الغربية.

وقال مسئول كبير بوزارة الصحة الفرنسية إن هناك ٣٢ ألفا من مرضى الإيدز و١٥٠ ألفا يحملون فيروس نقص المناعة في البلاد.

ودعا الشعب الفرنسي إلى حشد جهوده لوقف انتشار الإيدز في البلاد.

وقد ذكر أنه تم جمع حوالي ٤٫٧ مليون دولار في يوم مكافحة الإيدز لاستخدامها في تمويل الأبحاث حول الإيدز وعلاجه.



زهور ونيسي

■ راهنت مبادىء جمعية العلماء على المرأة، وقد كسبت الرهان.

■ فشل المرأة يعزى إلى أنوثتها، ونجاحها يعزى لتشبهها بالرجل.. لماذا؟

■ هناك قضايا كثيرة تحتاج إلى تحريك العقل والاجتهاد والاستلهام لتقليل عذاب الأسرة العربية.

برحل العربي الى ربوع الجزائر كي تلتقي بواحده من رائدات الفكر بها ولعلنا في هده المرحلـ
ما نكـون إلى التذكير بكل رموز التنوير الذين ساهموا في اعطاء الجزائر وجهها العربي والـ
وزهور ونيسي من مواليد مدينة قسنطينة عام ١٩٣٦ من أسرة كان لها دور كبير في الحركة الا
التي رأسها العلامة عبد الحميد بن باديس. وقد كان لهذه التربية أثرها على نفس هذه الـ
فساهمت بجهودها خلال حرب التحرير الكبرى، وتعلمت في إحدى المدارس الحرة وبعد
في كلية الآداب قسم الفلسفة، اشتركت في إنشاء وتنشط المنظمات الجماهيرية في الإعلام



إو
محمد حسين طلبي

المدرسة الجزائرية، ورأست تحرير مجلة «الجزائرية»، وعينت وزيرة للتربية الوطنية تم وزيرة للحماية لاجتماعية. وقد ألّفت زهور ونيسي العديد من الكتب الأدبية منها: «على الرصيف النائم» ـ ١٩٧٨، ظلال الممتدة» ـ ١٩٨٢، بالإضافة إلى الكثير من المقالات والأبحاث المنشورة في الجرائد المجلات الجزائرية والعربية. وقد أجرى الحوار معها محمد حسين طلبي، وهو كاتب جزائري يعمل الآن مسئولا عن تعريب البرامج العلمية والتكنولوجية في المعهد الوطني للتكوين المهني، وله العديد من المؤلفات العلمية بالإضافة إلى اهتماماته الصحفية والأدبية.

*** جمعية العلماء، حركة إصلاحية ثورية رائدة، هيأت المجتمع إلى المواجهة الصحيحة والصريحة مع المستعمر الفرنسي، وكان للمرأة عندها دور كبير، بعد أن دفنت طويلا في ظلمات جهل شجعته الخرافات ودعمه المستعمر. كيف استطاعت الجمعية اقتحام ذلك الجدار المزدوج؟. وما هو الأثر الذي تركته مدارسها في التكوين الجديد للمجتمع محليا وعربيا؟. «على اعتبار أنك واحدة من جيل سرعرع في أحضان تلك الجمعية وأخلص لها».**

- جمعية العلماء حركة وطنية بجانب الحركات الوطنية الأخرى، وإن هي اتفقت جميعا في وحدة الهدف، وهو استرجاع السيادة الوطنية، والقضاء على الاستعمار، إلا أن جمعية العلماء اعتمدت في منهجها على النفس الطويل للوصول إلى هذا الهدف، اعتمدت الجانب الأصعب من جوانب الكفاح ضد الاستعمار، التغلغل في عمق الإشكالية الاستعمارية. واتخذت ذلك أسلوب تنوير للشعب والقضاء على الأمية والجهل وإحياء التراث وغربلته من الشوائب والتراكمات السلبية، إضافة إلى التوعية والإرشاد والتربية والتعليم، كانت حركة ثورية رائدة عملت على تهيئة المجتمع للمواجهة الصحيحة مع المستعمر، نفضت التراب عن اللغة العربية والتراث الحضاري العربي الإسلامي، لأن كل ذلك كان مشوها ممنوعا ومقموعا من الاستعمار، طيلة قرن وربع قرن، انطلقت الجمعية من البداية في نهضة ثقافية إصلاحية متناغمة قوامها الرجل والمرأة معا، العلم والتعلم، لكل أفراد المجتمع، محاربـ فهو في رأيها سبب كل الآفات. لقد راهنت هذه الحركة على المرأة أيضا وكسبت الرهان.

وفي أول مدرسة لهذه الجمعية، وهي مدرسة التربية والتعليم بمدينة قسنطينة بدأت شخصيـ أبجديات الكتابة، لتفتق خيوط الشرنقة ولينط من المجرد إلى الواقع، إلى حروف عربية حر الكلمة الدالة لتنشر لي أول قصة في جريدة « اللسان المركزي للحركة سنة ١٩٥٥ دون إر مني، فقد كانت القصة أحسن إنشاء في امتحان الابتدائية على المستوى الوطني، كان عمري و... عشرة سنة.

المرأة.. رمز للحضارة

*** أنت واحدة من مناضلات الحركة الوطنـ «قبيل» وخلال حرب التحرير الكبرى، ولقد أوكلت الثورة كما نعلم إلى المرأة أدوار حساسة في المدن والأرياف. هل تعتقدين أن المرأة العربية ممثلة في المرأة الجزائرية آنذاك قد أدت الدور كما يجب؟.**

- في تاريخ أي أمة من الأمم ذات الحضارة العريقـ محطات تاريخية عملاقة طبعت العصر بطابعها الخاص وتركت بصمات فكرها على عقول الأجيال التي أتت بعدهم، ومن ثم تحولت إلى ما يشبه «الظاهرة الفكريـ والتاريخية» التي تتجاوز في الطول والعرض والعمـ حدود المجتمع والتاريخ، ومن ثم فإن الخطأ في الحكـ



□ مجموعة كتب زهور ونيسي

ـدى هـذه المحطـات سواء بـإعطائهـا أكثـر ممـا أو وضعها دونها تستحق هو خطأ في تقييم جزء ـسارة هذه الأمـة، إن الـرمـوز والمثل الحضاريـة منذ الـدراسة المعمقة والاستلهـام، وأقصد بهذه ظاهرة بطولة المرأة العربية في الجزائر.

ثورة ينبـوع استمدت منه المرأة قوتها ووجـودها من قبل، الثورة طهرت القلب واللسان، ورفعت حين ـــ مـا يمكن أن يكـون سـائدا مـن أفكـار ت مـريضة متزمتة تجاه المرأة ودورهـا التاريخي، الثورة كان طويلا وشـاقا لم تغب عنه المرأة لحظة، في كل لحظة على مـرأى ومسمع من الـرجل، في حاح والـوهـاد والمنـافي والسجـون، كـانت تنظف رحه المتعفن وتـؤثره بقطعة خبز وحيدة وجـرعة ماء ظيفـة، كثيرا مـا كـانت تشح على مـدى سبع سنـوات بصف وقبل ذلك في ثـورات وانتفـاضـات أخـرى، مس دكرها تاريخ الاستعمار، كانت تفضل أن تنفجر نسلة الغادرة فيها وحدهـا وحفاظا عليه وعلى رفاقهما مجاهدين.. المرأة أرض وعطاء، المرأة حرية.

قال لي أحد المجاهدين يـوما ونحن نتحاور في معهد جامعة فجـر الاستقلال: «إن هذه الأفكـار صحيحة» قد قـامت المرأة بدورهـا في الثـورة أحسن قيـام لكن عليها اليوم أن ترتاح، ليخدمها الرجل ويرد لها الجميل، ماهـا عذابـا وتشردا، البيت والـزوج وتربيـة الأطفال نعمة حرمت منها طيلة سنوات الثورة، يجب أن تلتفت نفسها، ورغم نية الرجل السليمة ـ وهل يسعد المرأة غير ذلك ـ إلا أنني تصـورت وقتها وكأن مساهمة المرأة تضحياتها واستشهادها في سبيل الوطن إنما جاء كدين سها للـرجل، سلفـة يـردهـا لها اليـوم، لأنـه كـان من المفروض أن يحارب وحده، تصورته مرة أخرى، يحتكر حب الوطن والتوحد للحرية، والأعمال العظيمة..

*** قالت الدكتـورة سهير القلماوي في تقديمها لمجمـوعتك القصصيـة الأولى «الـرصيف النـائم» والتي طبعت في القـاهــرة عـام «١٩٦٧»: «ثورة الشعب لا يمكن أن توصف بقلم المؤرخين وحـدهم، لا بـد للفنـان أن يساهم في هذا الوصف».**

وأنت الكاتبة والقصصية التي ترجمت أحداث الثـورة الكبرى إلى إبـداعـات نـالت شهـرة كبيرة، فهل يمكـن أن نعـرف كيف تـم ربط الخيال بالواقع في أعمالك تلك؟.

ـ إن الـدكتـورة سهير القلماوي ـ حفظهـا اللـه ـ أستاذتنـا جميعا في الأدب والفن عـدما أنـدلعت الثورة كانت خطـوط الأبجديـات قد بـدأت تتكثف وخيوط النسيج بدت ألوانها واضحة تنتظـر اليد الماهرة المبدعة، نمت الرغبة عندي في احتضان العلم، امتدت في الزمان والمكان، وما يحتويان من مـواضيع حياة، أشدها ضغطا وأولوية سـاعات وأيام وسنوات ثورة التحـرير. الثورة تفجر الطـاقات وتحل عقدة اللسـان وتفتح الشخصية، لتنطلق الأفكـــار من عقـالها، لتتـوسـع دائرة التأمل والتسجيل للخواطر والأحاسيس تارة في حالة تشرب وتـارة في حالـة انزلاق، وتـارة في حـالة تمرد، وتـارات كثيرة ينتصر الركود، وأنت تجد أمامك متاريس عملاقة من الأفكار المريضة تقف حجر عثرة لتمنع المرور.

بالنسبة للخيال وارتباطـه بالواقع، أعتقد ذلك بل إن الخيال يجب أن يكون أوثق ما يكون صلة بالواقع، وكل صورة مجازيـة يجب أن ترمز حتما إلى حقيقـة حية، وكل استعارة خيـالية تؤكـد وتعزز حالـة نفسية، وكل معنى شعـري أو أخـلاقـي أو فلسفي من شأنـه أن يكشف النقاب عـن الدوافع والعوامـل الإنسانية العميقـة التي تحرك شخصيات الأبطال في القصة أو الرواية.

تحدي القلم العربي

*** إنك أول كاتبة جزائرية باللغة العربية، فقد كنت رائدة لجيل جـاء بعـدك وأعطى الكثير بتلك اللغـة، وقـد قـالت الدكتـورة عـائشـة عبـد الـرحمن «بنت الشـاطىء» في تقـديمهـا لمجموعتـك «على الشاطىء الآخـر»: «لم يدر بخلـدي أن الكـاتبـة الجزائريـة تملك قلمهـا العربي إلى هذا المدى».**

فهل يمكن أن نعـرف كيـف كـان التحـدي؟ وبالأخص أن كتاب جيلـك من رجال ونساء كلهم كانوا يكتبون بالفرنسية؟.

ـ يحق للـدكتـورة عـائشة ـ حفظهـا الله ـ أن تدهش عندما تـرى امرأة جزائرية تملك قلمهـا العربي في وطن كبس المستعمر الاستيطاني على أنفاسه مدة قرن وربع، مـانعـا عليـه لغته ودينـه وحضـارتـه وتـاريخه، محاولا تعويض كل ذلك بحضارة جديـدة لغة وثقافة وتاريخا، ودهشتهـا شرعيـة وهي تعلم أن من استطـاع أن يحمل القلم في الجزائر كان خريج المدرسـة الفرنسية، إلا القلة

القليلة جدا، والتحدي في الدفاع عن الحرف العربي، بدأناه في مدارس جمعية العلماء، ثم ضحى من أجله بعد ذلك شهداء ثورة نوفمبر.

*** هذا يقودنا إلى سؤال آخر، وهو أن نظرة الإخوة أهل المشرق لا تزال إلى اليوم دونية بالنسبة لأهل المغرب في ميادين الأدب والإبداع باللغة العربية، فكيف يمكن الرد على ذلك؟.**

ـ هناك أولا سبب رئيسي وموضوعي وهو تخلف مجتمعاتنا العربية عن استعمال علوم الاتصال والإعلام وفي هذا المجال لا تزال مجتمعاتنا تتعامل بالإمكانات البدائية أو غير المتطورة. ثانيا: أنا لا أوافقك على أن النظرة كانت دونية، حاشا إننا أهل وإخوة وعشيرة سواء ونحن في المشرق أو في المغرب والأخ لا يشمت أو يحط من قيمة أخيه، ربما هي نظرة جاهلة لمكونات الوطن العربي بكل جوانبها عند الكثير من أبناء الأمة العربية: قل نظرة مسطحة بكل جوانبها غير معمقة، نظرة لا مبالية، نظرة غير موضوعية، نظرة مغرورة لكنها ليست نظرة دونية.

إن العقد التي تحكمت فينا نتيجة الاستعمار الفرنسي، هي نفسها التي تحكمت في إخواننا في المشرق نتيجة الاستعمار أيضا، كل أمر يأتي من الغرب جميل ولائق حتى الكتابات التي مرت على دور النشر في باريس هي المعتبرة في المشرق دون غيرها.

وهنا أذكر حادثة وقعت للأستاذ الفقيد مولود قاسم أحد أبرز رجال الجزائر ثقافة وسياسة كان ذلك قبل أربعين سنة وقد استقبله أحد رؤساء حكومات مصر.. فاشتكى له الأستاذ مولود من الاستعمار قائلا:

ـ انظر يا دولة الرئيس حتى بطاقة التعريف «الهوية» مسجل فيها أنني فرنسي.

فأجابه دولة الرئيس:

ـ « بختك من السما يا ابني.. وأنت مش عارف ».

*** تقول لطيفة الزيات في أحد حو[ا]راتها: «الكتابة التي تكتبها المرأة حاول المجتمع العربي وضعها على الهامش خارج المجرى الرئيسي للسياق الإبداعي». باعتقادك ألا يزال هذا القول قابلا للت[د]اول بعدما قدمت المرأة العربية من الفكر والإبداع ما فاق في بعض تخصصاته إبداع الرجل.**

ـ أنا معها في هذه الفكرة إذا ما أخذنا الفكر والإبداع عند المرأة كقضية منفصلة عن الوضع العام ووضع المرأة بشكل خاص داخل الوطن العربي، خصوصا على المستوى الاجتماعي والسلوكي والذهني، رغم ما قدمت وتقدم كما قلت من فكر وإبداع.. والحكم على أعمالها يبقى دائما: عندما تفشل فلأنها امرأة، وعندما تنجح فلأنها تشبه الرجل.

تجربة تولي الوزارة

*** أنت أول امرأة في الجزائر تتولى منصب «وزيرة» وفي وزارتين مختلفتين، كيف يمكن تقييم التجربة بالنسبة إليك؟.**

ـ أريد أولا أن أسجل ملاحظة مهمة، وهي أن منصبا كهذا حق من حقوق المرأة في الجزائر، إنها تستحقه، وصلت إليه بكفاح ونضال طويل ومرير، وهو ليس منة من أحد، حتى لو بدا كذلك، وبدا أنهم أرادوا أن يظهروا بمظهر النظم المتقدمة والتي تقدر نضالات المرأة نصف المجتمع، كما أنه جاء متأخرا في الزمن، بالمقارنة مع الدور الذي قامت به المرأة لتحقيق الاستقلال واسترداد السيادة الوطنية، ورغم ذلك لا بأس، على العموم إنه في النهاية رد اعتبار للمرأة وكنت دائما أشعر وأنا في هذا المنصب لمدة سبع سنوات أنني رمز يجب أن يظل مشرفا لجميع النساء العربيات.



□ زهور ونيسي تدشن أحد المعارض التربوية أيام توليها الوزارة

لقد قبلت المنصب بعد تردد وتخوف، فأنا أقدر جدا ـمة كهذه، إنها تعني نوعا جديدا من النضال، الحكم ـيه لا تسامح فيه.

وعندما قبلته فرضت على الجميع بذكاء ومرونة، ـاملتي كعقل يسكن أنثى، نعم إنني أنثى تملك عقلا ـدرات وهبها لها الله تخول لها النجاح، وشهد لي ـميع في النهاية أن نجاحي لم يتحقق لأنني أصبحت ـحلة» أو شبه رجل.

ـلانة كأنها رجل، دليل الكفاح والكمال الإنساني ـلك لم أتسامح أبدا في إلغاء جنسي وأنا أمارس هذه ـهمة وأحقق فيها إنجازات معتبرة، وأكتفي بهذا لأن ـذه التجارب الفريدة في حاجة إلى وقت وجهد لعل ـستقبل يوفرهما إن شاء الله.

هل كان ذلك خيرا أم شرا؟ إنه ليس خيرا ولا شرا، ـكنه رابط ضروري ومنطقي في سلسلة الحياة المعقدة.

أنا وقانون الأسرة

*** مواجهاتك في البرلمان كانت عنيفة من أجل قانون الأسرة الذي يعود الفضل الكبير في وضعه إليك، وتعرضت أيامها إلى هجومات كثيرة مس بعضها حتى منزلك. هل يمكن أن نعرف وجهة نظر معارضيك آنذاك وردك عليهم؟.**

ــ بناء المجتمعات يحتاج دوما إلى قوانين ضابطة ومنظمة للأفراد والجماعات وسلوكياتهم وتهذيب ردود أفعالهم وتحصين أخلاقهم ووضع قانون لتنظيم الأسرة مهمة أعمق وأكثر تعقيدا، إنها في رأيي مهمة بعث حضارة ومواكبة حضارة من خلال بناء الأسرة. بعث حضارة بإحياء قيمنا الدينية والحضارية الصحيحة وتطهير تراثنا في المعاملات الإنسانية من المعوقات والسلبيات... ومواكبة حضارة تسمح لمجتمعنا بأن يحيا عمره ويوفر التقدم والتطور لأفراده دون ذوبان أو تبعية ويقف أمام المجتمعات المتحضرة القوية مساهما في الحضارة الإنسانية.

والقوانين ضرورية في انتظار تثقيف الشعب وتوجيهه وتربيته ليحمل كل واحد فيما بعد القانون في ذاته وعقله ونفسه، يصبح الناس قضاة أنفسهم عبر السلوكيات والأقوال والأفعال والمعاملات سواء داخل الأسرة أو خارجها. واستنادا على دراسات كثيرة ومعمقة لفصول الدين ومقارنات لمختلف قوانين الأحوال الشخصية في الوطن العربي، كنت شخصيا أحاول أن يصل البرلمان بنوابه إلى وضع قانون للأسرة أصيل ومتقدم، حيث لا شيء يمنع من ذلك ونحن نحافظ على الأصول كما هي وندعو للاجتهاد في الفروع لقد قرأنا قديما وحديثا أيضا أن أصول الدين صلبة وفروعه مرنة. إن القياس والإجماع كانا

ولا يـزالان مصدرين من مصـادر التشريع الإسـلامي خلافا لما يريده لهما أنصار الجمود والركود.

هناك قضايا كثيرة تحتاج إلى تحريك العقل والاجتهاد والـدرس والاستلهـام تشكل خطـرا كبيرا يعمل على إضعاف وتمزيق وعـذاب الأسرة العربية والإسـلامية ـ مثل قضيـة التعـدد، والطـلاق التعسفي، والحضـانـة والنفقة وغير ذلك من القضايا التي لا حصر لها.

كنت أطـرح مثل هذه القضـايا معتمـدة على جوهـر الدين وقيمه الحية دائما، في اعتدال ودون تحيز لا للرجل ولا للمـرأة، إنهما معـا أس بنـاء الأسرة ولم أفلح مع الأسف في إرضاء لا المتطـرفين إلى اليمين ولا المتطرفين إلى اليسار.

التطرف منهج سهل يعتمده العاطفيون والضعفاء وأصحاب المصـالح، نجد الاعتدال في الـرأي صعبا وشـاقـا لكنـه يعنـي التـوازن الـذهني والنفسي والاجتماعي، ويعني في النهـايـة انتصـار العقل، إنـه قيمـة حضـاريـة من أهم مبـادىء تـراثنـا الـديني والأخلاقي.

معركة طـويلة حامية، لا أذكر لكم منها سـوى حالة واحدة: كان معنا أحد الـزملاء مشروع حياته غربي من شكلـه إلى مضمونـه، هكـذا عـرفناه. وفجـأة وجدنـاه يستشهـد ببعض الآيات مستعينـا في الـدفاع عن تعـدد الزوجات دون قيد أو شرط فقهي أو قانوني. وأدهشتنا المفـاجأة، الرجل كـان متعددا في زواجـه فأراد أن يضع قانـونا على مقاسـه، يلبي رغباتـه، وغطاؤه في كل ذلك تفسير خـاطىء مغـرض لنصـوص دينيـة عـادلـة، إن الإعاقات في هذا المجال كـانت ولا تزال إعاقات جادة في كل الوطن العربي.

المشروع الثقافي

*** تتهم زهـور ونيسي في السنـوات الأخيرة بأنها مقلـة في الإنتاج وهـي مكتفية بمقـالات أسبوعية في بعض الجرائد فقط.**

فما هي الأسباب التي تقف وراء ذلك؟

ـ اتهام غير صحيح، فأنا أكتب وأنتج، وأجلس أربع ساعات يوميا على مكتبي، وعندي مشاريع كثيرة تعاني ظروف الطبع السيئة فلدي في هذه الآونة مخطوطات في المطبعة، رواية ومجموعة قصصية، ثم إن صناعة الكتابة ليست بأي حال في مستوى الإبداع عندنا.

*** كأم وجدة، وراصدة، في آن معا، لما [illegible] بأجيال الأمـة من ضياع جـراء غياب [illegible] الثقـافي والاقتصـادي الـذي يحفظ [illegible] «عـربي» المستقبل، ماذا تقـولين للسا[illegible] بأيديهم الحل والربط؟.**

ـ ماذا أقول وهل للقول فائدة؟ إضافة إلى أنني [illegible] الفكر البابوي. بـالنسبة للمشروع الثقافي، معظ[illegible] تعـودت ألا تعطي قيمـة لهذا الشرط «الثقـا[illegible]ـة» في تصورهم، الثقـافة أمـر قانـوني، حضورهـا لا [illegible] يكـون شعـرا وأدبا في منـابـر سهـر وسمر، وقـاعات مسـارح وسينما وطبل وزمـر في السـاحات العمومية وليست أساسا لأي مشروع حضاري.

*** وأنت تلتقين عبر هذا الصرح القومي «مجلة العـربي» بإخـوة مفكـرين وقـراء من الخليج والمشرق، منهم مـن يعـرفك ومنهـم من لا يعرفك، ماذا يمكن أن تقولي لهم؟.**

ـ «مجلـة العربي» أحب المجلات إلى نفسي منذ أكثر من ربع قرن من الـزمان، وقد قمت بتجليد أعـداد عدة سنـوات منهـا مع فجـر الاستقـلال، لكنني الآن لا أحصل عليهـا إلا بشق النفس، وكم أسعـدتـني هـذه الدعوة الكريمـة من المجلة والقائمين عليها لألتقي من خلالها بإخوتي العرب جميعا، وخصـوصـا شعبنا الكريم في الكويت، فتحية صادقة لهم جميعا.

*** في الأخير، أسألك عن رحلة الحياة، ناضلت في سبيل قضيـة مقدسة، تقلبت كثيرا في مـواقع العمل الثقـافي والسيـاسي قـرأت كثيرا وكتبت كثيرا كذلك. مـاذا بقي لديك، وأين أنت الآن من الحركة الدائرة، هل تعتبرين نفسك مثلا من جيل أدى دورا في مـرحلة ما انتهت أم مـن تيار مازال أمامه نضال من نوع آخر.. أم ماذا؟**

ـ أنـا الآن امرأة متقاعدة بـالمعنى والتعبير الوظيفي. متقـاعدة عن المهن الإدارية، وليس عن مهنـة الكتابة والإبداع، إن الكتابة تبـدو في نظري اليوم وكأنها العمل الحقيقي والأساسي للمثقف، إننـي أستعيد وأراجع كل ما مـر علي في حياتي الخاصـة والعملية من ثـراء وزحم للأحـداث والتجارب في مختلـف المجالات وعبر أحلى سنوات العمر. إن كل ذلك ضـروري بمصداقيته كرافد مهم للعمل الإبداعي كما أنني أساهـم مساهمة كبيرة عبر الصحف والمجلات في الدفـاع عما أؤمن به من مبادىء تخدم الإنسان العربي بشكل عام.□

الخفافيش
مخلوقات الليل

إعداد : إبراهيم عبدالله العلو



تشكل الخفافيش ربع أنواع الثدييات الموجودة في العالم ومع ذلك استحوذت على انتباه عدد ضئيل من المتخصصين. ويجهل معظمنا كثيرا من الأمور حول حياة وعادات هذه المخلوقات الذكية المتعددة الأشكال. فهي تعيش بمنأى عن النظر في الظلمة والعمل في عالمها المتقدم والخاص إلى حد كبير

يسود في الريف الفنلندي اعتقاد مفاده أن الروح تستطيع مغادرة الجسد خلال النوم وتطير في هيئة خفاش، وفي روابي غواتيمالا هناك قبيلة من الهنود الحمر تسمى زونتيل «نسبة إلى الخفاش»، وعاصمتهم هي زيمبانتلان أي موطن الخفافيش. وفي القرن الثامن عشر كانت الثياب الصينية تزركش وتزين برموز تضم خمسة خفافيش ذوات أجنحة مرسلة تطوق شجرة الحياة تدمج مفاهيم الصحة والنجاح والعمر المديد والسعادة والاطمئنان. ترى من تكون هذه المخلوقات الغريبة التي تتواثب عبر السماء؟.

لقد مرت الخفافيش عبر عملية مفردة من التطور قبل أكثر من ٥٠ مليون عام وبقيت بلا تغيير منذ ذلك الحين، واليوم تم التعرف على ما يزيد على ١٠٠٠ نوع تتراوح أحجامها من خفاش بحجم النحلة الطنانة إلى أشباه ثعالب عملاقة طائرة تنشر أجنحتها بعرض مترين.

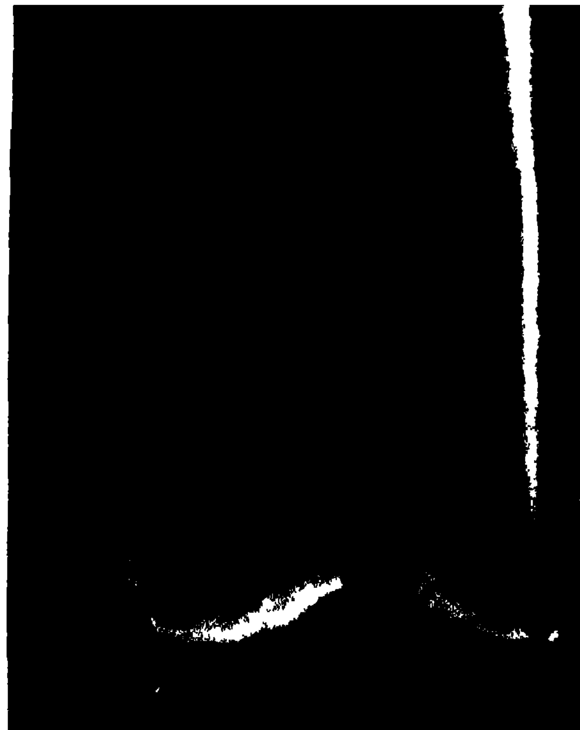
يتباين كل مظهر من مظاهر الوجه الذي يطغى عليه ملامح الأذنين والخطم بشكل لافت للنظر تبعا للعائلة والجنس، وفي كثير من الأنواع تحيط حلية لحمية تسمى رقاقة الأنف بالمنخرين مضفية أثرا شاذا وكأن المخلوق قد قدم من عالم آخر.

تعتبر الخفافيش الثدييات الوحيدة التي أتقنت فن الطيران الفعلي مما مكنها من فتح بيئات جديدة واستيطان كل قارة وكثير من الجزر، والطيران هو الأسلوب الأولي للتنقل لدى جميع الخفافيش، تأقلمت بعض المجموعات على الطيران في الأماكن المفتوحة والارتفاعات الشاهقة حيث امتلكت أجنحة طويلة ضيقة، تقلع بعض الخفافيش بسهولة من الأرض، إذ ترفرف وتحلق، وبعضها الآخر يثب في الهواء ينشر أجنحته ويطير، ولأنها تمتلك القدرة على الطيران تتمكن الخفافيش من مباشرة أنواع الهجرات الشائعة لدى الطيور المهاجرة، وفي الخريف تترك أنواع عديدة مساكنها الصيفية وتعاود التمركز في مناطق ذات شتاء دافئ حيث تقضي الفصل البارد من خلال الحفاظ على معدل استقلاب «أيض» منخفض. وتقطن الخفافيش جميع الأصقاع باستثناء المناطق القطبية المتطرفة والصحاري الحدية، وتكثر بشكل خاص في المناطق الاستوائية، وفي غابات إفريقيا تفوق أعداد الخفافيش أعداد أي حيوان ثديي آخر. تسكن الخفافيش عادة في مستعمرات، وبالفعل فإنها تشكل المستعمرات الأكثر حجما والأكثر تعرضا للهجوم والأذى بين الحيوانات ذوات الحرارة الثابتة، وعموما تشكل الخفافيش التي تسكن في مجموعات كثيفة مستعمرات كبيرة ويلتصق أحدها بالآخر بينما يقطن بعضها في مجاثم أقل تلاصقا

تؤلف بعض الأنواع مجموعات صغيرة تتراوح بين عدة عشرات إلى عدة مئات من الأفراد، وهناك نمط أقل شيوعا يتمثل بالأنثى البالغة الوحيدة والتي تسكن

□ أحد أكثر الأنواع انتشارا وشيوعا في الولايات المتحدة هو الخفاش البني الكبير وهو آكل نافع للحشرات ويوجد عادة في أعالي الأسطح أو خلف المداخن القديمة





□ الخفافيش الصفراء الأجنحة مثل هذا الزوج آكلة للحشرات وتشترك في مسئولية تربية الصغير

مع دريتها الأصعر عمرا، وفي بعض الأحيان يسكن حد الحسين في مستعمرات بينما يعيش الجنس الآخر معزل عنه، يفضل كل نوع من الخفافيش نوعا محددا من المساكن، البعض منها يفضل منازل منعزلة آمنة مثل الكهوف أو الصدوع في المنحدرا ت الصحرية وتجاويف الأشجار وجحور الحيوانات والمباني مهجورة. تعيش بعض الأنواع في العراء على جذوع لأشجار وفي ثنايا الأغصان وتحت أوراق النخيل وعلى سطوح الصخور والأبنية. وبالنسبة لبعضها فإن لظلمة واستقرار درجة الحرارة والرطوبة والعزلة عن لضواري أمر أساسي وحيوي لوجودها.

تختار أنواع عديدة مساكن حضانة خاصة حيث تجتمع فيها أعداد كبيرة من الإناث الحوامل بمعزل عن لذكور والإناث غير الحوامل وأنواع خفاش أخرى، تتلك الخفافيش معدل تناسل منخفضا بشكل غير اعتيادي ــ وعادة مولود واحد كل عام ــ تأتي المواليد كبيرة تزن بين ١٥ و٣٠ في المائة من وزن الأم بعد لولادة، وبينما تذهب إناث الخفاش بحثا عن الطعام تترك الصغار معلقة جنبا إلى جنب أو في مجموعات صغيرة حيث تلعب بخشونة وتهوي إلى الأرض، ولدى عودتها إلى المسكن تبحث الأنثى عن صغيرها من خلال الرائحة والموقع، تولد صغار الخفاش غالبا عمياء ويظهر هناك معدل وفيات مرتفع بين الصغار، وبينما تأخذ الأخطاء الوراثية والتطورية والمرض نصيبها تسبب الحوادث خسائر أكثر جدية إذ قد يسقط الصغير من السقف أو يتعرض لاصطدامات مميتة في محاولات الطيران المبكرة، يفشل عدد لا بأس به من الخفافيش في اجتياز المرحلة الانتقالية من صغار معتمدة بالكامل على الكبار إلى كائنات رعي تعتمد على الذات.

وتتغذى الصغار على الحليب لفترة تتراوح بين خمسة إلى ستة أسابيع. وعندما تبلغ الشهرين من العمر تكون قد وصلت إلى الحجم البالغ وتبدأ بالطيران.

الخفافيش مخلوقات الليل، إذ تبقى معظم الأنواع تقريبا في مساكنها خلال النهار وترعى خلال الليل، تستيقظ الخفافيش عند الغسق وتخرج غالبا من الكهف قبل حلول الليل بحثا عن الغذاء، لقد طورت الخفافيش نظاما مثاليا للعثور على الموقع بالصدى وعن طريق إرسال إصدارات فوق صوتية منتشرة في ثلاثة أبعاد تدرك العقبات والفرائس في عتمة الدجى، يتطلب استخدام هذه الخاصية تكامل المراكز الصوتية والسمعية في الدماغ إضافة إلى الآذان الحساسة.

يقوم الجهاز العصبي في الخفاش بتحليل صدى نبضه الذاتي في عدة آلاف جزء من الثانية، ويتوجب عليه فصل هذا الصدى عن أصداء الخفافيش الأخرى. ويجب أن يتم كل ذلك بينما يكون الحيوان وغالبا الفريسة في الفضاء. ومن المعلوم أن الخفافيش تعرف وتتعقب وتطارد وتأسر الضحايا حتى الصغيرة منها «حتى حجم ٣ ملليمتر»، وتحدد وتتفادى أسلاكا دقيقة دقة شعرة من شعر الإنسان.

غذاء الخفافيش

تتغذى معظم الخفافيش على الحشرات الطائرة، وقد يستهلك خفاش واحد حتى ٣٠٠٠ حشرة أو أكثر كل ليلة، وتلتهم مستعمرات الخفاش الكبيرة مليارات لا حصر لها من الحشرات، وقد تلتهم مستعمرة كهف براكين في تكساس من الخفافيش ذات الذنب الحر - والتي قد يزيد عددها على ٢٠ مليون خفاش ــ ربع مليون رطل من الحشرات في ليلة واحدة، ولتفاعل الخفافيش مع غذائها سواء كان حشرات أو أزهارا أثر لا يستهان به على المجموعات البيولوجية، وتعتمد كثير من النباتات على الخفافيش من أجل التلقيح، إذ تلقح

الخفافيش الأكلة للرحيق أكثر من ٢٠٠ جنس من الأشجار والشجيرات الاستوائية وشبه الاستوائية، وتخصص كثير منها إلى درجة عالية لاجتذابها حيث لا تتفتح الأزهار إلا في الليل.

وتلعب الخفافيش دورا واضحا وحيويا في العديد من الأنظمة الإيكولوجية، وقد يقدح ضياع نوع مفرد سلسلة انقراض مترابطة لنباتات وحيوانات أخرى ويؤدي لهلاك الأنظمة الإيكولوجية الرقيقة، ومع ذلك تتعرض الخفافيش للأذى بلا مبرر، وتختفي بمعدلات تقرع ناقوس الخطر، لقد هلكت مستعمرات يزيد عدد أفرادها على مئات الألوف وحتى عدة ملايين، ومعظم المستعمرات الكبيرة ذهبت بلا عودة، لقد ساهم زحف الحضارة والتصنيع في إزالة مواطنها الطبيعية على نحو غير مسبوق، ولأن أنماط حياتها خاصة للغاية يصبح التكيف والتأقلم مع مثل تلك التغيرات صعبا، وهناك أنواع عديدة تقف على حافة الانقراض.

مذابح على رائحة الأساطير

لعبت التصورات الخاطئة والتي سادت لردح طويل من الزمن دورا رئيسيا في الانقراض الجماعي، ولقرون عديدة ارتبطت كلمة خفاش بفكرة المخلوقات الخطيرة التي لم تدل على شيء سوى المرض، وكان لعاداتها الليلية وطيرانها الصامت أثر كبير في الخرافة التي ازدهرت وشاعت بين كثير من البشر بأن الخفافيش كانت مرتبطة بقوة خارقة للطبيعة. وصور الشر غالبا في هيئة ساحرات وشياطين لها أجنحة خفاش، تصور الخفافيش غالبا على أنها مخلوقات ضارة وقذرة ناقلة للأمراض ولكنها في الواقع مخلوقات رقيقة ونظيفة للغاية، ونادرا ما تنقل الأمراض أو الطفيليات إلى الحيوانات الأخرى أو البشر، ورغم الادعاءات العديدة فإن معظم الخفافيش ليست مسعورة، وأقل من نصف من واحد في المائة تلتقط داء الكلب ونادرا ما تصبح عدوانية، وعندما يصاب أحد الأفراد فإن ذلك لتعرضه لخفاش مريض عضه في دفاع عن النفس، ويقوم الناس بتسميم الخفافيش بمواد كيماوية عالية السمية إضافة إلى حملات التطهير الضخمة التي تجري الآن في بعض البلدان، إذ تواجه الخفافيش تهديدا مزدوجا، فهي تصطاد للاستهلاك الآدمي في أصقاع عديدة من آسيا وإفريقيا وجزر المحيط الهادي، وفي بعض البلدان يحصد كل ع... مئات الألوف منها كطعام فاخر، وفي جوام M ...GU يشتري المتسوقون الخفافيش نظير ٢٥ دولارا ... أكثر، وفي أسواق غرب إفريقيا قد يكسب الصيادو... مالي تصل إلى ٥٠٠ دولار كل يوم عن طريق بيع محا...رهم.

دفاعا عن حق الوجود

تعتبر الخفافيش أيضا طيورا مؤذية آكلة للثمار، مع أنها لا تستهلك سوى الثمار الشديدة النضج غير الملائمة للتسويق، وقد تدنت أعداد بعض الأنواع إلى ما دون ١٠ في المائة في استراليا وجنوب شرق آسيا وجنوب المحيط الهادي، هناك بعض الأنواع تواجه الانقراض قبل أن تصنف في عداد الحيوانات المهددة للانقراض، ومع توافر التشريعات القانونية المتزايدة التي تهدف إلى حمايتها فإن متطلبات الحفاظ على الخفاش هي أبعد ما تكون عن التنفيذ، قام الدكتور ميرلين توتل من متحف ميلوواكي العام بتأسيس جمعية حماية الحياة البرية العالمية BCI في أوستن بولاية تكساس الأمريكية، وفي الماضي تجاهلت منظمات حماية الحياة البرية العالمية المحافظة على الخفافيش لأنها كانت تعتبر جهودها عديمة الجدوى، بلغ عدد أعضاء الجمعية ٣٠٠٠ عضو في ٣٤ دولة وتسعى جاهدة للمحافظة على أعداد الخفافيش في العالم.

دفعت الحماية القانونية للمساكن الشتائية ومستعمرات الأمومة إلى وضع حواجز مشبكة على مداخل ومخارج منظومات الكهوف والأروقة تسمح بمرور الخفافيش ولكنها تمنع تدخل البشر والحيوانات التي تشكل تهديدا عليها، وفي السنوات القليلة الماضية جرت محاولات لتقديم مساكن بديلة مثل قوالب أسمنتية مفرغة تثبت على أسقف الأقبية غير المستخدمة وعلب نوم وتناسل مصنوعة من الخشب.

تقع مسئولية حماية الحيوان على كل فرد منا، والخفافيش مثلها مثل أي مخلوق حي آخر تمثل رابطة في كلية الطبيعة ولها حقها في الوجود، هل قدر على الخفافيش أن تهلك وتفنى مثل كثير من أنواع الحيوانات البرية الأخرى والتي دفعت إلى صدام قاتل مع الجنس البشري؟ هذا سؤال نترك إجابته لأبناء القادمة.□



...رق ...وفييتي:

بقلم:
الدكتورة مكارم الغمري

سبعون عاما عاشتها جمهوريات الشرق الإسلامية في ظل هيمنة الاتحاد السوفييتي، والآن بعد أن تفككت هذه الإمبراطورية تبرز مشكلة الهوية القومية، وتحاول هذه الشعوب أن ترد الاعتبار إلى تراثها وثقافتها بل وتبحث عن بصمتها الخاصة في الحضارة الإنسانية.

في الاتحاد السوفييتي السابق كانت توجد ست جمهوريات اتحادية يعيش فيها المسلمون السوفييت، يقع خمس منها في آسيا الوسطى وهي جمهوريات أوزبكستان وقازاخستان وتركمستان وط حكستان وقيرغيزيا، أما الجمهورية السادسة وهي أذ. جان فتوجد في السفوح الجنوبية لجبال القوقاز، وبالإضافة إلى هذه الجمهوريات الاتحادية الست هناك أقليات مسلمة تعيش في جمهوريات ذات حكم مستقل في إطار روسيا الاتحادية منها ــ على سبيل المثال ــ جمهورية داغستان.

منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد «دخل الإسلام بعضها مبكرا في وقت خلافة عمر بن الخطاب»،

تأثرت شعوب هذه المناطق لقرون طويلة بالحضارة العربية الإسلامية، ولاتزال شواهد هذه العلاقة باقية حتى وقتنا هذا في الفن المعماري لهذه البلاد، كذلك ارتبطت شعوب الشرق السوفييتي بالثقافة العربية منذ عهد قديم، فكثيرا ما ارتحل علماء هذه البلاد إلى الشرق العربي لتلقي العلم والمعرفة، ومنهم رموز ثقافية بارزة مثل البيروني، وأبو علي ابن سينا، والفارابي، وقد



□ اثنان من مسلمي جمهوريات الشرق الإسلامية أمام قبر الإمام البخاري

ضمت شعوب الشرق السوفييتي إلى عداد الإمبراطورية الروسية تباعا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للحملات الغازية لقوات القياصرة الروس، ثم دخلت بعد ذلك في عداد الاتحاد السوفييتي بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧.

وسوف نحاول إلقاء الضوء على بعض القضايا المثارة بصدد بعث الهوية القومية في جمهوريات الشرق السوفييتي ما بعد الاتحاد السوفييتي.

مشكلة اللغة القومية

تبرز قضية اللغات القومية في جمهوريات الشرق السوفييتي السابق كواحدة من أهم القضايا المطروحة الآن، وذلك نظرا لأهميتها الخاصة في ترسيخ الهوية القومية، فهي ركيزة أساسية في بناء الشخصية والثقافة القومية، وقد لعبت ظروف الفترة السوفييتية السابقة دورا في انحسار مد اللغات القومية، فقد سعت السياسات السوفييتية بوحي من فكرة «اليوتوبيا» الأممية إلى الإحلال التدريجي للغة الروسية محل اللغات القومية كخطوة مهمة نحو تحقيق عملية التذويب بين القوميات السوفييتية المختلفة وقد صارت اللغة الروسية بموجب قرار ستالين الذي صدر في عام ١٩٣٨ لغة رسمية للاتحاد السوفييتي، أي لغة للإدارات الحكومية والمعاهد العلمية في جميع الجمهوريات السوفييتية، وقد كان من نتائج هذا القرار انحسار أعداد المدارس القومية، واتجاه الكثيرين من أبناء القوميات المحلية إلى دراسة اللغة الروسية بدلا من اللغات الأم، ما دامت ستفي بحاجة المعاملات الرسمية.

أما الضرر الأكبر الذي لحق بهذه اللغات فقد كان مرده عملية تحويل أبجديات شعوب الشرق السوفييتي، فقد تم مثلا تغيير أبجديات الشعوب الإسلامية الناطقة بالتركية والفارسية إلى اللاتينية في العشرينيات من القرن الحالي، ثم بعد ذلك غيرت من اللاتينية إلى الأبجدية السلافية في الأربعينيات، وقد ترتب على تغيير الأبجديات في الجمهوريات الإسلامية التي كان يستخدم بعضها الأبجدية العربية انفصال الأجيال التي تعلمت بالأبجدية الجديدة، عن التراث الديني والموروث الثقافي المكتنز لقرون والمكتوب بالأبجدية القديمة، فالأوزبيكي المعاصر - مثلا - لا يستطيع قراءة تراث أجداده نظرا لاختلاف الأبجدية الأوزبيكية الجديدة عن القديمة التي كان يكتب بها الأجداد، كذلك انقطعت الصلات الثقافية لشعوب الشرق السوفييتي الناطقة بالتركية والفارسية مع الشعوب المتحدثة بهاتين اللغتين في دول أخرى مثل تركيا وباكستان. لقد صارت قضية إحياء اللغات القومية من المطالب المهمة التي يسعى إليها العديد من

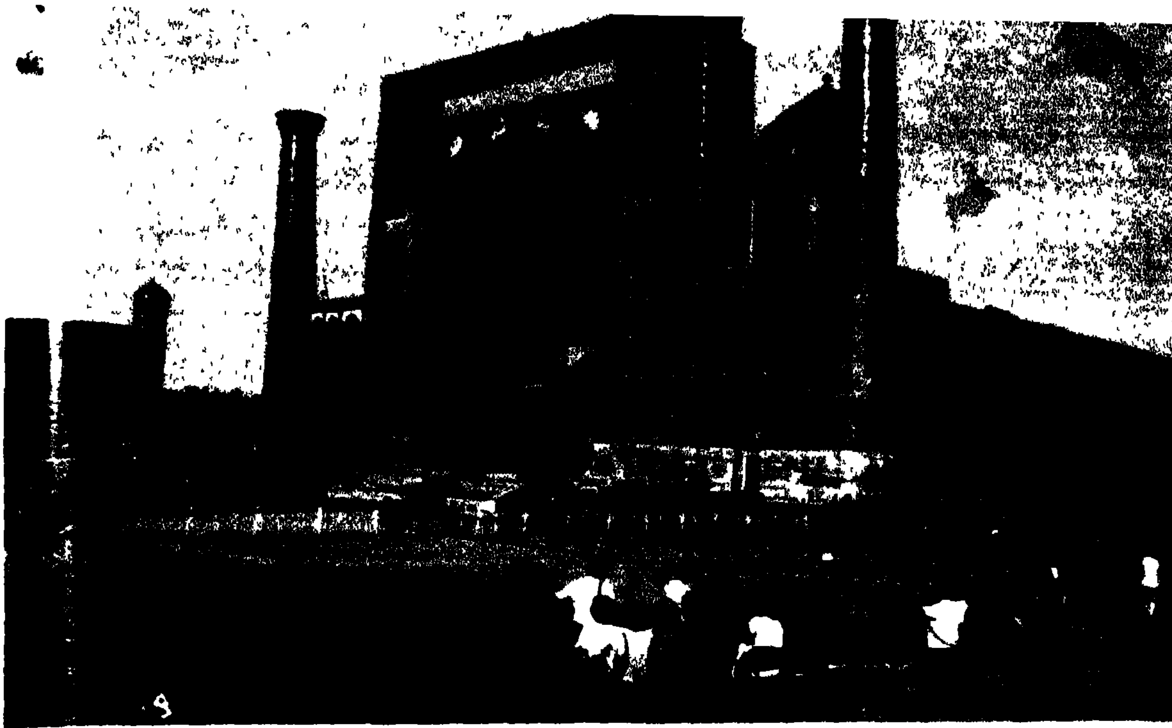
في جمهوريات الشرق السوفييتي السابق كخطوة نحو بعث الهوية القومية، وفي هذا الصدد يشير القيرغيزي جنكيزي ايتماتوف متسائلا: «... عاصمة جمهورية قيرغيزيا توقفت الزيادة في المدارس القيرغيزية، كذلك لا توجد رياض ... ل باللغة القيرغيزية، فأي ثقافة قومية هذه التي ... ت قاعدتها الخصوصية؟».

البحث عن التراث

اتسمت الفترة المبكرة من التاريخ السوفييتي، ثم فترة ستالين ــ بخاصة ــ بالموقف المتشكك من الاتجاهات القومية في الثقافة واعتبارها عائقا على طريق تشييد الثقافة البروليتارية الجديدة والفكرة الأممية، وفي إطار هذا التصور صار من المحظور دراسة التاريخ القومي لشعوب الشرق السوفييتي، ليس فقط في الفترة التي سبقت العهد السوفييتي، بل وبعد ذلك إبان الحرب الأهلية التي أعقبت الثورة وفي عهد ستالين، أما كتب التاريخ الجديدة ودراسات الاستشراق التي ظهرت في الفترة السوفييتية فقد وجهت لغرض إعادة كتابة التاريخ القومي لشعوب الشرق السوفييتي لمسايرة الأهداف والتوجهات الرسمية، فظهرت الكتابات التاريخية التي تتحدث عن الأهمية التقدمية للانضمام الاختياري لشعوب الشرق الإسلامي إلى روسيا، وعن الاستعداد الطبيعي لدى هذه الشعوب لاستيعاب النظرية الاشتراكية، وقد انساب طريق آداب الشرق السوفييتي في ظل قيود الحظر والحصار الذي فرض على الآداب بعامة في الفترة السوفييتية، فقد كان ينظر إلى الأدب بوصفه ركيزة أساسية في التعبئة النفسية للجماهير، ومن ثم لقيت قضية التراث الأدبي للشعوب السوفييتية في الفترة المبكرة من التاريخ السوفييتي هجوما من جانب الجماعات الأدبية المتطرفة مثل جماعة «راب» التي طالبت بنبذ التراث، وإلقائه من سفينة المعاصرة من أجل تشييد الثقافة البروليتارية الجديدة. وإزاء العداء الرسمي للتراث تأرجحت الآداب الشرقية بين الرفض له والتمسك به، وفي غضون ذلك ذهب كثيرون ضحايا حملات الاعتقالات ممن كانوا يوصمون - في الغالب - بتهمة الأمزجة الدينية والقومية وبسببها تعرض بعض الكتاب للنقد والهجوم، ومنهم - على سبيل المثال - الكاتب الطاحكستاني «عوني» الذي أعلن عنه عام ١٩٣٧ أنه عدو للشعب وأحرقت أعماله، كذلك لقيت أعمال الكاتب القيرغيزي «تينيستوف» نقدا عارما في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي بسبب ارتباط أعماله بالتراث والخصوصية القومية. وقد أمكن فرض الحظر الكامل حول الآداب السوفييتية، من خلال الإعلان الرسمي عن مذهب

□ مسلمون من جمهوريات الشرق الإسلامية حريصون على أداء الشعائر الإسلامية والصلاة في المساجد.





□ أحد المساجد المنتشرة في جمهوريات الشرق الإسلامية التي يؤمها المسلمون والسائحون

الواقعية الاشتراكية في عام ١٩٣٤، وتأسيس اتحاد الكتاب السوفييت بوصفه الجهة الوحيدة المنوطة بالإصدارات الأدبية.

لقد تبينت الثقافات السوفييتية بعد تجربة استمرت لعدة عقود أن التفرد القومي لا يعني العزلة والانغلاق وأن النزعة الإنسانية العامة لا تتعارض مع القومي الخاص، وأن الأدب يستمد وجوده الحقيقي من ذلك التفاعل الخصب بين «القومي الخاص» و«الإنساني العام»، ولهذا نجد أن قضية العودة للسمة القومية وإحياء التراث القومي للآداب الشرقية تعد الآن من أبرز الموضوعات المطروحة في الواقع الثقافي لهذه البلاد، وفي هذا الصدد يشير الكاتب القيرغيزي ايديجاني اركيبايف: «إن الرأي العام الأدبي والعلمي في قيرغيزيا يتطرق بشكل حاد إلى قضية الإضاءة الصحيحة للتراث الفلكلوري والأدبي الشعبي القيرغيزي، وإلى عودة بعض الأسماء المنفية بشكل مجحف إلى ذخيرة الثقافة، سواء تلك التي كانت قبل الثورة أو في الفترة السوفييتية».

الإبداع بلغتين

وتتبوأ قضية الكتّاب المبدعين بلغتين مكانة مهمة بين الموضوعات المثارة الآن بصدد بعث الخصوصية القومية لشعوب الشرق السوفييتي. إن بروز ظاهرة الكتاب المبدعين بلغتين هو إحدى ثمار الاحتكاك والتفاعل بين الثقافة الروسية والثقافات القومية الأخرى في الفترة السوفييتية الماضية، فقد تمخض عملية التفاعل هذه عن تأثير للثقافة الروسية الأكثر تطورا على الثقافات القومية الأخرى، ومنها ثقافات الشرق السوفييتي، وهذا التأثير يعد منطقيا ومتسقا مع التجربة الإنسانية للقاء الحضارات، فحين يحدث التقاء واحتكاك بين ثقافتين فإن التأثير والغلبة يكونان في العادة للثقافة الأكثر تقدما، فيضعف الجوهر الذاتي وتتراجع «الأنا» أمام «الآحر».

غير أن الرؤية المنصفة تتطلب النظر إلى العملية المركبة «للتأثير والتأثر» بمجمل عناصرها وجوانبها المختلفة، فثمة جوانب إيجابية لتأثير الثقافة الروسية على الثقافات القومية الأخرى إبان العهد السوفييتي، فإلى جانب انتشار التعليم في هده الفترة، وانخفاض نسبة الأمية في الشرق السوفييتي، «في بعض مناطق آسيا الوسطى كانت نسبة المتعلمين لا تتجاوز ٤٠ر٠٪ قبل التاريخ السوفييتي»، تأثر رواد حركة التنوير في الكثير من مناطق الشرق السوفييتي بآراء الحركة الديمقراطية الروسية، ومن هؤلاء الرواد ـــ على سبيل المثال ـ أخوندوف في أذربيجان، وأباي في كازاخستان، وتوكاي في التتار. كذلك كان للأدب الروسي الفضل في ظهور آداب جديدة، وعبور الكثير من الآداب الشرقية طريقا سريعا من التطور والارتقاء انتقل بعض

...داب من أشكال الشفهية إلى نماذج النثر المتطور، ...ظهرت أشكال أدبية جديدة لم تكن معروفة من ... بعض هذه الآداب مثل القصة والرواية ...ح، وذلك بعد أن فتح الأدب الروسي الثري أمام ...داب نافذة للتعرف على هذه الفنون، وأتاح لها ...جمات الروسية فرصة الاطلاع على روائع ...العالمي. إلا أن عملية الاحتكاك بين الثقافة ...ية والثقافات السوفييتية ومن بينها ثقافات ... السوفييتي كانت السبب وراء ظاهرة الكتاب ...مبدعين بلغتين وهي الظاهرة التي وصفها الشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف في إيجاز بليغ حين خاطب ...ريبه الكاتب القيرغيزي جنكيز ايتماتوف مداعبا:

عزيزي النصف أوربي المهم

عزيزي النصف آسيوي الشهير

لقد عبر هذا الوصف عن عملية التحول المعقدة ...تي حدثت في وعي الكثيرين من مثقفي الشعوب ...شرقية بفعل عملية التفاعل بين ثقافة «الأنا» وثقافة «الآخر»، والتي كان من نتائجها ظهور أدباء اتخذوا من ...لغة الروسية لغة للثقافة والفكر والإبداع إلى جانب ...كتابة باللغة الأم. إن هؤلاء الكتاب يتحدثون لغتين ...طلاقة، ويكتبون مؤلفاتهم بلغتين: الروسية واللغة ...لأم، وقد يقوم هؤلاء الكتاب بترجمة ما يكتبون من ...غة إلى أخرى. ويعد الجدل المثار الآن حول ظاهرة ...كتاب المبدعين بلغتين امتدادا للحديث والطرح ...سابق لهذه الظاهرة التي لفتت إليها الأنظار في الفترة ...أخيرة من العهد السوفييتي، حيث تباينت التقييمات ...ين مؤيد لها ومعارض، فبينما رحب البعض آنذاك ...ظاهرة الإبداع بلغتين وشاهدوا فيها مظهرا من مظاهر ...لأممية، والوحدة الثقافية بين الآداب السوفييتية، هاجم ...البعض الآخر هذه الظاهرة واعتبرها خروجا على ...منطق الإبداع المتسق مع الذات، ومظهرا من مظاهر ...الانفصال عن الواقع القومي الذي خرج منه الأديب، ...والذي يتطلب معرفة بالتاريخ والتقاليد القومية.

الإبداع والهوية القومية

وتطرح قضية الإبداع بلغتين موضوع العلاقة بين ...غة الإبداع والطابع القومي للمؤلف الأدبي، فبعض ...الكتاب الذين اتجهوا إلى الكتابة باللغة الروسية كانوا يعتقدون بأن ترجمة العمل بعد ذلك إلى اللغة القومية الأم سوف تمنحه وجودا طبيعيا في الثقافة القومية، غير أن التجربة العملية للترجمات أوضحت عكس ذلك، فقد صارت المؤلفات المكتوبة بالروسية تستوعب بعد الترجمة إلى اللغات الأم كمؤلفات أجنبية بعيدة عن الروح القومية والطابع القومي، وبدت مفتقدة إلى اللون والمذاق المميز، وهناك مثال معروف يشار إليه في هذا الصدد وهو قصة الكاتب الأذربيجاني ايبراجيمكوف «ولم يكن أفضل من الأخ»، فقد كتب ايبراجيمكوف قصته هذه بداية باللغة الروسية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة الأذربيجانية، فبدت بالنسبة لأبناء قوميته غريبة، واستوعبت كمؤلف أجنبي. ومن جهة أخرى بدت أعمال الأدباء من غير الروس الذين يكتبون بالروسية غريبة بالنسبة للقراء الروس، فقد لقيت ـ مثلا ـ رواية الكاتب القيرغيزي إيتماتوف «النطع» هجوما من قبل النقد الروسي، فقد اتجه ايتماتوف في روايته هذه التي كتبها بالروسية إلى استلهام عناصر تاريخية ودينية مسيحية ليست مألوفة بالنسبة لاستيعابه الداخلي ككاتب شرقي من أصل مسلم، فظهرت في الرواية صورة غير واقعية للمسيحية كدين وعقيدة. إن ضياع الهوية المميزة هو إحدى سمات إنتاج الكتاب المبدعين بلغتين، وهي سمة تنبع من طبيعة لغة التعبير الأدبي، فلغة الكتابة ليست مجرد مادة جوفاء.

الكتاب المبدعون بلغتين هم إحدى الظواهر التي أفرزتها ظروف التفاعل بين الثقافة الروسية وثقافات الشرق الإسلامي إبان الفترة السوفييتية الماضية، وإلى جانب هؤلاء الكتاب كان هناك أدباء آخرون ظلوا يكتبون بلغاتهم القومية، وحافظوا في إنتاجهم على التراث والتقاليد، وتجسدت في هذا الإنتاج سمة المواءمة الحكيمة بين الموروث والمكتسب، وانعكست به إحدى آليات التطور الحضاري والثقافي في الشرق السوفييتي السابق، قوانين الحفاظ على الذات والخصوصية القومية المتمثلة في اللغة والتراث والتقاليد، والتي كانت تعمل جنبا إلى جنب مع عملية الاكتساب والاستيعاب «للآخر».

الشرق السوفييتي السابق يعيد الآن تقييم تجربة الماضي القريب، ويتطلع إلى طريق جديد ينبع من خصوصيته الحضارية، ويتسق مع تراثه وجذوره، ولكن الطريق لايزال في بدايته، وهناك الكثير من الصعوبات التي سيتعين اجتيازها.□

أرقام ٥ ٨٠٤ ٣ ٩ ٠ ٦ ٥

بقلم: محمـــود المراغي

سيناريو .. للمستقبل

كيف يبدو العالم سنة ٢٠١٠؟. السؤال طرحه البنك الدولي في دراسة أخيرة، والتطبيق كان على منطقة الشرق الأوسط التي تشهد تغيرات أساسية، بين مناخ دولي جديد ومناخ عربي مختلف، ومحاولات للإصلاح الاقتصادي وسلام مرتقب.

تتحدث الأرقام عن مشرق ومغرب وإسرائيل، وفي المشرق يجري استبعاد الخليج لطبيعته الخاصة، بينما يجري استبعاد موريتانيا والسودان والصومال وجيبوتي لتقتصر الدراسة على مصر والأردن ولبنان وسوريا واليمن من المشرق، والجزائر وتونس والمملكة المغربية من المغرب العربي.

ملخص الأرقام أن التقدم ممكن، فعلى الرغم من وجود مشاكل اقتصادية حادة شملت كل المنطقة فإن مضاعفة الناتج المحلي وضبط الزيادة السكانية وتحسين



مستوى معيشة الناس.. كلها أمور ممكنة. بداية المتوقع زيادة في الناتج المحلي الإجمالي للمشرق من ٦٨ مليار دولار عام ١٩٩٠ إلى ١٢٦ مليارا عام ٢٠١٠، في نفس الوقت يزيد ناتج دول المغرب المحلي من ٨٢ مليارا إلى ١٥٨ مليارا في نفس الفترة، ويزيد ناتج إسرائيل من ٥٣ مليارا إلى ١١٨ مليارا. وخلال هذه الفترة يرتفع تعداد السكان العرب «للدول الثماني موضع الدراسة» من ١٤١ مليون نسمة إلى ٢٢٤ مليونا عام ٢٠١٠ بينما يزيد سكان إسرائيل من خمسة إلى سبعة ملايين نسمة خلال العشرين عاما وبنسبة ٤٠٪ بالقياس لعام ١٩٩٠

هذه الأرقام أو التنبؤات التي يمكن تسميتها بسيناريو التقدم تعني الكثير..

فهي تشير لإمكان مضاعفة الدخل كل عشرين عاما على وجه التقريب، وتتساوى في ذلك دول المشرق والمغرب، مع فروق شاذة، لدول ذات مستقبل مجهول مثل اليمن والجزائر

حياة أفضل

ولكن، وفي نفس الوقت، فإن دول المغرب تبدو أفضل حالا من دول المشرق، بينما تبدو إسرائيل كحالة خاصة أكثر تفوقا فيبلغ ناتجها المحلي الإجمالي عام ١٩٩٠ حوالي ٥٣ مليار دولار وبما يقترب من ٧٨٪ من مجموع ناتج دول المشرق العربي، أو ٦٥٪ من مجموع ناتج دول المغرب الثلاث، أما عام ٢٠١٠ فسوف يتضاعف الناتج الإسرائيلي وبمعدل أعلى من الناتج العربي.

مرة أخرى، ماذا تعني هذه الأرقام؟. في ظل سياسات أخرى بتخفيض معدل الزيادة السكانية تصبح [illegible] متفائلة، وتصبح ترجمتها تحسنا ملحوظا في مستوى

معيشة هذه الشعوب. وقضية السكان قد تكون أكثر دقة رأيه تناولا من قضية الأداء الاقتصادي الذي يشهد عقبات كثيرة، فلنمو السكان سجل سابق يشهد أن تغيرا مهما حدث في أرض الواقع.

و التوقعات البنك الدولي فإن نمو السكان في الإقليم بأكمله سوف يهبط من ٥ر٢٪ سنويا عام ١٩٩٠ إلى ٢ فقط عام ٢٠١٠ وسوف يتفاوت الموقف من دولة لأخرى فتهبط النسبة في كل من مصر وتونس إلى ٥ر١ بينما يظل الأردن متمتعا بنسبة عالية هي ٩ر٢٪ وذلك مقابل ٧ر٣٪ خلال الثمانينيات. والمحصلة النهائية أن تعداد الإقليم ـ بما فيه إسرائيل ـ سوف يصبح ٢٣٠ مليون نسمة عام ٢٠١٠ مقابل ١٥٠ مليونا عام ١٩٩٠، وذلك على وجه التقريب.

المحصلة الأهم ونتيجة تزايد النمو الاقتصادي بنسبة أعلى من نسبة تزايد السكان فإن مؤشرات الحياة سوف تتحسن، سوف تهبط نسبة وفيات الأطفال في دول المغرب من ٦٤ في الألف إلى ٣٦ في الألف عام ٢٠١٠ وتهبط في المشرق من ٧٠ في الألف إلى ٣٢ في الألف.

متوسط الأعمار والتنمية

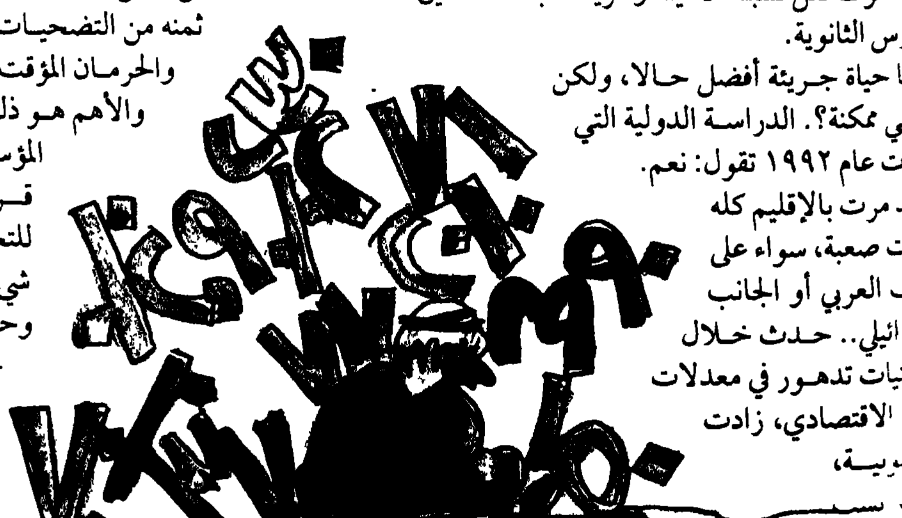
في نفس الوقت وخلال العشرين عاما موضوع الدراسة سوف ترتفع توقعات الحياة من ستين عاما بالمشرق و٦٤ عاما بالمغرب إلى ٧١ و٧٢ عاما سنة ٢٠١٠، بينما تزحف إسرائيل إلى مصاف الدول المتقدمة وبعض الدول العربية الخليجية فيصبح متوسط العمر المرتقب ٧٧ عاما، مقابل ٧٦ عاما في الوقت الراهن. بينما سوف تقل نسبة الأمية وتزيد نسبة الملتحقين بالمدارس الثانوية.

إنها حياة جريئة أفضل حالا، ولكن هل هي ممكنة؟. الدراسة الدولية التي صدرت عام ١٩٩٢ تقول: نعم.

لقد مرت بالإقليم كله سنوات صعبة، سواء على الجانب العربي أو الجانب الإسرائيلي.. حدث خلال الثمانينيات تدهور في معدلات الأداء الاقتصادي، زادت المديونية، زادت نسب البطالة ووصلت عام ١٩٩٠ إلى نسب تتراوح بين ٢٠٪ و٢٥٪ في خمس بلدان عربية مشرقية ومغربية هي مصر والأردن والجزائر واليمن وسوريا، وكانت النسبة الأعلى في اليمن حيث سجلت البطالة ٢٦٪ ولم تنج إسرائيل من ذلك فبلغت النسبة فيها في بداية التسعينيات ١٠٪.

وخلال هذه الحقبة «الثمانينيات» والتي بدأت بضربة البترول وانخفاض أسعاره حدث تحول سلبي كبير، فلم ينم الدخل الحقيقي للفرد بالمشرق خلال النصف الثاني من الثمانينيات بأكثر من ٣ر٠٪، بينما نقص ذلك المعدل بنسبة ٥ر١٪ في المغرب، خلال نفس الفترة تدهورت الجزائر، وتحسن المغرب كما تحسنت تونس، ولكن كانت هذه هي النتيجة الصافية، وكانت ملاحظة البنك الدولي أن الموارد البشرية والطبيعية لم تأخذ العناية الكافية وأن الأداء الاقتصادي كله قد تعثر.. فانخفض الناتج كثيرا عما كان عليه في السبعينيات حتى بلغ صفرا في الجزائر.

ذلك هو الموقف الذي بدأت به التسعينيات، ومع ذلك فإن البنك الدولي يرى إمكان النهوض، ليس بالسلام والاستقرار وحدهما، وإنما بالإصلاح الداخلي أولا. وتقول الدراسة: نعم.. للسلام، ونعم لتعاون إقليمي يشمل التجارة، والاستثمار، والمشروعات المشتركة، وانتقال العمالة.. نعم لكل ذلك، لكن الأهم أن يبدأ الإصلاح من الداخل، فلا عوائد المهاجرين سوف تكفي، ولا قروض الخارج واستثماراته سوف تمثل الدفعة اللازمة. المطلوب: إصلاح من الداخل واستثمار لكل الطاقات المحلية، وحينذاك سوف يحل الادخار مكان الاقتراض، وسوف يحل الإنتاج مكان عوائد العمل للمهاجرين، وإن استمر الأخير بأهمية نسبية أقل. التقدم ممكن، لكن لذلك ـ كما تقول الدراسات ـ ثمنه من التضحيات والحد من الاستهلاك والحرمان المؤقت والتضخم المحدود، والأهم هو ذلك الجهد الذي تبذله المؤسسات الوطنية لاتخاذ قرارات رشيدة تؤدي للتحولات المطلوبة، فلا شيء يحدث تلقائيا، وحلم السلام ليس مرادفا لحلم الرفاهة، إنه «جزء» محدود من «كل» نحن نملكه.□



تـداركتما عبسـا وذبيـانَ بعـدمـا ... تفـانـوا ودقـوا بينهم عطر مَنْشَمِ(١١)
وقـد قلتما إن نـدرك السلم واسعـا ... بمال ومعـروف من الأمـرِ نسلمِ
فأصبحتما منهـا على خير مـوطن ... بعيـدين فيهـا من عقـوقٍ ومأثمِ

وله في هرم بن سنان من قصيدة طويلة:

لمن الـديـارُ بقنّـة الحِجْـر ... أقْـوَيْنَ من حجـج ومن دهـر(١٢)
لعب الـزمـان بها وغيرَّهـا ... بعـدي سـوافي المُوْر والقطـرَ(١٣)
دعْ ذا وعـد القـول في هـرم ... خيرِ البُـداة وسيـدِ الحضَـرِ

إلى أن يقول:

لـو كنت مـن شيء سـوى بشر ... كنت المنـور ليلـة البـدر

وله في هرم بن سنان أيضا من قصيدة طويلة:

إلى هـرم سـارت ثـلاثـا من اللـوى ... فنعم مسيرُ الـواثق المتعمـد
سـواء لـديـه أيّ حين أتيتـه ... أسـاعـة نحس يتقى أم بأسعـد
أليس بضراب الكماة بسيفـه ... وفكـاك أغـلال الأسير المقيـد(١٤)
فلـو كـان حمد يخلّـد النـاس لم تمت ... ولكن حمد النـاس ليس بمخلـد(١٥)
ولكن منـه بـاقيـات وراثـة ... فـأورث بنيك بعضهـا وتـزود
تـزودْ إلى يـوم الممات فـإنـه ... ولـو كـرهتـهُ النفسُ آخر مـوعـد

ومن شعره في هرم بن سنانَ الذي قال فيه الكثير هذه الأبيات:

قـومٌ أبـوهـم سنـان حين تنسبهم ... طـابـوا وطـاب من الأولاد مـا ولـدوا
لـو كـان يقعـد فـوق الشمس من كـرم ... قـوم بأولهم أو مجدهـم قعـدوا
جن إذا فـزعـوا إنس إذا أمنـوا ... مـرزءون بهاليلٌ إذا قصـدوا(١٦)
محسـدون على مـا كـان مـن نعم ... لا ينـزع اللـه عنهم مـالـه حسـدوا

ومما سار مثلا من شعره قوله:

وهـل ينبـت الخطيّ إلا وشيجُـهُ ... وتُغْـرَسُ إلا في منـابتهـا النخلُ(١٧)

---

١ ـ حـومانة الـدراج والمتثلم : موضعان ٢ ـ الرقمتان : روضتـان بناحية الصمان، والنـواشر: عروق باطن الذراع ٣ ـ العين . بقر الوحش، والآرام· الظباء البيض، خلفة: مختلفـات ٤ ـ الحجة : بكسر الحاء السنـة، واللأي : الجهـد والمشقة ٥ ـ المقسم : القسـم، وهل هنا بمعنـى قد ٦ ـ فـلا تكتمن اللـه مـا في صدوركـم من الرغبة في نقض ما اتفقتم عليه ٧ ـ الحديث المبني على الظن رجم في حـديثه تكلم كـلاما مبنيا على الظن ٨ ـ ذميمة : غير محمودة، تضر: مجزوم بحـذف آخره من ضري ـ يضري : اشتد والمقصود هنا اشتعال الحرب ٩ ـ المنسم : خف الجمل ١٠ ـ يفره . يصنـه ١١ ـ منشم : اسم امرأة كانت تبيع العطر فعطرت قوما بعطرها، وخرجوا للحرب فقتلوا جميعا ١٢ ـ الحجج . جمع حجة بكسر الحاء وهي السنون ١٣ ـ السـوافي : الرياح ، المور . بفتح الميم التراب، والقطـر · المطر ١٤ ـ الكماة : فرسـان الحرب الأشداء ١٥ ـ حمد الناس لا يدفع المنيـة ولو كان يدفع الموت لعشت مخلدا ١٦ ـ مـرزءون : كرماء ١٧ ـ الخطي . الرمح، والوشيج شجر الرماح



جسد..!

قصة بقلم: الدكتور سليمان الشطي

من العادات التي لحظتها على أمي هي أنها تفتح فمها بانزال شفتها العليا والضغط على ساها لتسيطر على كلماتها وكأنها تقوم بتصفية لها، يلمح أسنانا بيضاء لا تزال قوية ثابتة لا يشوب سطرها شائبة لولا الثلاث التي انكسرت أطرافها تشرشرت بفعل حادثة قديمة. وحين تميل على من حدثه تشفع ميلها بابتسامة معتذرة قالت ابنة جارتنا عنها بأن السماحة تطل من وجهها، ولم يتورع أحد زملاء، حين حمل إليّ رسالة عاجلة، من أن يقول لي عنها بأنها تمتاز بطلعة جميلة لا يخطئها الناظر إليها من بعيد، من المؤكد أنه لم يرها وهي تتحرك حيث يبدو لالتواء القديم في قدمها، أثرا باديا في المشية فيرتفع جزء من المؤخرة ويهبط آخر. وقد أصبح لا يثير الانتباه بحكم مزاحمة الشيخوخة له، هذا العرج الخفيف يثير حكاية قديمة وعندما يسألها عنها سائل ترد بابتسامة غامضة، بعض السائلين يتحلون بالبراءة ولكن آخرين كنت أشعر أن سؤالهم يخفي وراءه باعثاً مبهماً لم أجد في ذاكرتي من الأحداث ما يساعدني على المعرفة وألفت هذه الحركة الملتوية التي تثير اللعاب في الأفواه المتسائلة وهي تشفط هواء الاستغراب وتكون للعيون حينئذ لمعة غريبة.

أمي هادئة هدوءاً قاتلاً مستسلماً لولا تلك الانتفاضة التي تأتيها مفاجئة فتتحول ردة الفعل إلى حركة عنيفة لا سبب ظاهراً لها حركة جفول غير منسجمة مع طبيعتها.

***

في جانب الوجه أثر واضح من ضربة مفاجئة، خط هلالي مغروس يتضح مداه عندما تحرك (ملفعها) الساتر لأحناء الوجه، فيلمع المشباك الذهبي، وفي الوقت نفسه تسمح حركة الرأس برؤية أول الجرح بينما الحركة اللاإراديه المستمرة لتوسيع أجناب غطاء الرأس تكشف عن امتداده، الذي تحول إلى أخدود قديم تضاءل السؤال عنه، فلا أحد يلتفت إلى شروخ في وجه امرأة تجاوزت الستين، وإن كان بعض زميلاتي أشرن إلى أن وجه أمي صبوح لولا هذا الجرح الذي لم يكن وراءه حكاية تستحق الرواية، ونحن الأبناء لا نبحث عن شيء وراء حكايات الآباء، فهذه الخطوط التي تسجل أعمارهم نراها شكلاً هلامياً لا ينبىء عن شيء.

ولكن الجارة القديمة التي التقت بها في المطار حرصت على أن تتعرف على حدوده فدست أصبعها بين (الملفع) والوجه متمعنة في الجرح القديم الغائر

الممتد والذي تغضنت أطرافه وتلاحمت بتشويه فأصبح وادياً مسيطراً على شكل وتضاريس الوجه الذي استطال. كانت الجارة تطري ذلك الجمال القمري القديم فراحت تتحسر عليه. من المؤكد أننا نحتفظ بصور في داخل أذهاننا عن أناس فنتوهم المتوسط فائق الجمال والمعتدل القامة طويلاً، الزمن يخلق دهشتنا، وهذه الجارة مدهوشة، حقيقة أن أحداً لم يقل إن أمي لم تكن جميلة، ولكن المبالغة عند ذلك الجيل تثير في نفسي شكاً كبيراً.

سعادة أمي بهذا الإطراء فكت عقدة اللسان، كنا على ارتفاع ستة وثلاثين ألف قدم عندما راحت تروي متوسعة ما حدث، خرجت عن تحفظها الذي أعرفه، واكتشفت موهبة مدفونة هي قدرتها على تقديم العادي بطريقة غير عادية، ومن خلال سردها انكشف لي ماضي طبيعتها المتعلقة بالأصوات، ليس كلها ولكن لبعضها صدى خاصا يسبب ردة فعلها غير المتوقعة..

من حكايتها أدركت أن التكريم لا يكون في كل الأحوال فاتحة خير، فقد هبط عليها بعد حين من الدهر أصبحت الحياة فيه طعماً مشبعاً بثقل من شجن متراكمة خطوطه، فقدت ولدها الثالث، ومرت بنهر العذاب فتجمعت قطراته عليها، لحظتئذ رأى والدي ومعه أصحاب الرأي أنها تجاوزت حقل الامتحان الأول، فالعمر ألقى بحباله عند شاطىء الحكمة و(التكانة)، فمست الثقة دنياها، فسمح لها أن تخرج إلى السوق، لتقضي حاجات النساء، مرة أو مرتين في الشهر وفي المناسبات مثل مقدمات الأعياد وشهر رمضان، وتكون معها، عادة، رفقة تراقب وتعصم.

التردد أصل عندها، والعادة عجلة تطوي ما تحتها، فالمنحة تأخرت، فأصبح نور الشارع حارقاً للعين مربكاً للخطوة، لم ترحب بهذا الفضل لولا الضغط الداخلي، فقد مل من حولها ذوق الرجال الذين لا يجلبون لهن إلا كل غريب وساقط في السوق، كان آخرها ملابس عسكرية من مخلفات الحرب.

حياة أمي لا تدخل منعطفاً جديداً إلا ويكون ثمنه حاضراً، وهذا الخط المتعرج في الوجه شهادة مقبولة. خروجها الخامس للسوق هو المحسوب لها وعليها، فالمرات الأربع السابقة كانت تابعة لذوات الخبرة ممن لهن قدم راسخة.

اتخذت سمة القائد، فالتي كانت معها أصغر سناً والمسئولية حرج يجعل الأقدام أثقل من المعتاد.

ولكن بين تقاطعات السوق ودكاكينه تأخرت وتقدم الانهاك.

ارتفاع الصوت الرجولي الخشن إيذان بأن ما هو متوقع لم يتم كما قدر له من قبل، تفجر صراخ فاستوى مؤشر الصراع عند حده العالي، تطا الأصوات الأخرى إلا صوتيهما فجاء الصرا صاعقة شلت قدرات أمي المتفتحة في ذل فأعادتها إلى الاضطراب فالانكماش.

تقارب ديكان فانتصبت شعرات الغضب مصوبة، اندفعا من الجهتين، أحدهما عن يمينها والآخر عن شمالها، فأصبح موقعها على رأس المثلث تماسك كل ما فيها بعنف شرير فكانا كتلتين متلاحمتين منهما حركات الحدة الطائشة، التحامهما يحصرها في الزاوية التي حشرت بها، وانفتح رعب بنيرانه

لم تستطع أمي أن تشرح الكيفية التي وسطهما، وإن كانت تخمن أحياناً دون تأكيد بأنه عدم انفجرت تلك الصرخة الحادة فقدت توازنها فارتدت إلى الوراء فإذا هي في الزاوية، وفي لحظة تمكن أحدهم من الآخر فراح يدفعه ليحشره في الزاوية التي سقطت إليها، ولكن الآخر استعاد سيطرته على الموقف فتجمدا عند أنفها وخوفها يضغطها إلى الخلف فالجنب، زاوية الحد اصطدمت واستقرت على الحد الحادة العارية للباب الحديدي الجرار والذي كان أطرافه دالة على عمل غير متقن.

وعندما تداخلت الأيدي الخشنة لتفك الكتلتين المتصارعتين كانت أمي أكثر الثلاثة نزفاً، قطرات الدم تشرشر فيمتصها ثوب يخفي سواده احمرار الدم الدائم

***

حينما تسمح لأصابعي بتخلل شعرها تصطدم في رأسها لجرح آخر لم يخفه شعرها الكثيف والذي كان أقرب إلى الخشونة فلم تستطع السنوات أن تأخذ شيئاً، المنظر يكتمل حينما تجلس في منتصف غرفتها ومن الشباك تبسط الشمس مستطيلاً داخل الغرفة نصف جسدها في الشمس وقد تربعت ومشطها الخشبي يتحرك بين خصلات شعرها، الشهبة على السواد، لا يكاد مفرقها يفصل إلا عن خط بينما يتكاثف الشعر في كل جزء ولا يشذ عن هذا جزء صغير شبه دائري تحيط به جذور الشعر



بقعة بيضاء تكشف عن فروة الرأس. لقد ألفت هذه البقعة منذ أن أقحمت نفسي رغماً عنها محة في تضميخ شعرها بالزيت، السؤال عن الأشياء القديمة في هذا البيت متوقف، فكل شيء كان موجودا قبلي جعلته الألفة جزءا من الطبيعي الذي لا يسأل عنه.

ولكن هذه البقعة المنكشفة، بالذات، أعرف تاريخها، كنت في الثالثة عشرة حينما احتضنتها وقد امتزجت بقع الدم بلون الفستان المدرسي الأخضر الكريه الذي اختاره مفتش من مفتشي المدارس تكلس ذوقه في سواد السبورة وبياض الطباشير. فاجأني المنظر فانزرع الرعب فهربت إليها فتلقفتني ممسكة بي بيد والأخرى تضغط على رأسها، على فوهة ينبثق منها الدم وقد سالت خطوطه آخذة اتجاهات متعددة نازلة من جوانب الرأس، الجبهة والرقبة والجيد والأجناب، منظر ظل يتجدد كلما رأيت خطوط الحناء، حينما تضعها في رأسها، تسيل داكنة في نفس خطوط الدم السابقة. أخذت تهدئني والوهن باد عليها، والدي يقبل وقد حمل بيديه عدة الستر: العباءة والبوشية، يحرص على تغطيتها ويمسكها من جانب الكتف.

بعد ثلاث ساعات عادا وقد تورم رأسها بالشاش الأبيض، ذهب روع أبي وبقيت كلمات اللوم واضحة وإن خففها بكلمات مثل: (الله يهديها)، (الله يسامحها) (ما عندها عقل).

عندما نتبين الأمور نضحك. فالمصادفات تتلاقى لتخلق وضعاً أو حادثة، فوالدي الذي لا يحب أن ترتفع الأصوات في بيتنا اضطر إلى ما لا يحب عندما حشا الطبيب أذنه اليسرى بالقطن. هو مغرم بسماع الراديو وخاصة التمثيليات التي يحرص على سماعها لوحده، يقلب رأسه بطريقة معينة نحو الراديو ويسد منافذ الصوت فلا يشاركه في السماع أحد. تفتتح حلقة تمثيلية ذلك اليوم بالصوت الرجولي يتصاعد ضخماً حاداً صارخاً يحمل هجوماً كاسحاً على المرأة التي لم تنطق:

ـ ماذا تفعلين..

الصرخة كانت كافية كي تفاجىء أمي التي لا تفرق بين الأصوات، فزعها قذف بها إلى الأعلى، طار الجسد فاشتبكت قمته بالشباك الحديدي الذي كانت زخارفه أسياخاً ملتوية إلى الخارج. لم تستطع أن تفسر لأبي شيئاً، اعتذارها عن خطئها دموع وهمهمات. بعد سنوات سألتها وأنا أمر بالزيت على شعرها فكانت إجابتها: انصب الصوت داخل أذني وكأنه رصاصة انغرست في صدري، صراخ والدي مقدمة لشر قادم، ولم أشعر وقتها إلا والسيخ في قمة رأسي. شعرها جميل لولا هذه البقعة، كل محاولاتي تفشل في تغطيتها، كانت غرزها مـ... بحيث تدبب الموضع إلى الأعلى، فأصبحت البقعة البيضاء واضحة.

***

عندما كنت أقلّب جسدها المتخشب كي ... بالبودرة المطهرة إبان نكساتها الصحية كنت ألاحظ امتداد الحرق، أطرافه تبدو في باطن الفخذ، كأثر مثل غصن مكتظ بأوراق جافة. من قبل كنت ألحظ الحزن حينما تتخلص من حرصها الشديد على حماية جسدها. قلبي يتقلص وأنا أقلب الجسد وأرى تغضنات الحرق القديم وقد التفت حتى الخلف.

كنا في منتصف الستينيات، دخلت وسائل حديثة كثيرة إلى منزلنا، شيئان لم يستطيعا اختراق تحفظات والدي، فهو لم يقبل أبداً نظام المنزل الافرنجي، ... يتخيل أن يكون بيته خالياً من الأحواش المربعة. وعندما رحفت أطراف من الحظ إلينا اشترى بيتاً جديداً على النظام القديم، فرحتنا به لا حد لها، بأرضه الملساء وحماماته المتعددة، البلاط المزخرف والصالة التي ينحدر بها الماء من باطن الحائط، وحوضه الكبير الذي يخفي خلفه حوشاً صغيراً مستطيلاً مندساً بعيداً عن العيون، فيه المطبخ والحمام وحوض الغسيل، وهذا الحوش هو المكان الوحيد الذي تحولت أمي إلى حر... منه، تحبه لميزة خاصة هي بعده عن الشارع والدي يجعل الأصوات والمفاجآت بعيدة.

الشيء الآخر أن والدي، رغم حرصه على شراء كل جديد لنا، لم يتنازل عن الخبز الرقاق الذي يغمسه في (اللبن) الرائب، وهي رغبة لا تملك أمي لها رداً، ... تسعد بها، تشعل نارها في حوشها الصغير حيث تتحرر من الحذر والترقب، وتترك ليديها حرية التحرك على (التاوة) في الأمسيات أو بعد صلاة الفجر.

ولأن حياتنا يدخلها جديد كثير فإن مفارقات هذا الجديد قد تحمل معها أذى غير متوقع، وهذا الحرق المتلوي في جسد أمي واحد من هذا، فعندما أشعلت النار وتمكنت في جلستها منحنية على التاوة التي بدأت تنشنش بصوت لهيبها وسعادة بادية على وجه أمي

ش بزجاجة ذات ماسورة ركبها والدي تضح
ين الذي يساعدها على إذكاء اللهب بدلا من
تتوارث.
اك حالة من حالات الغيبوبة التي تعين على
ك الوقت المتطاول داخل البيوت المربعة،
ة فيها راسخة تفصلها عما حولها، والحوش
عالم يسمح لها بهذا كله.
لسهل أن يختل النظام بفعل صوت، ولم يكن في
ة صوتاً واحداً ولكنها أصوات أعقبتها فرقعة.
صوت الرجل الشبحي يأتي من أعلى سطح
قوياً يمتد مع اتساع الهواء وانديـاحه في فضاء
ح وتلاقت معه الأصوات الأخرى والفرقعة
ك هذه كلها متصحمة ومنحدرة إلى الحوش
كاندفاع الهواء في واد صغير لتصب كلها في أذن
اللاقط، أصوات سكاكين تنحدر منحطة عليها.
جاءت ردة فعلها، أطبقت فخذيها بقوة وبحركة
حدة تحركت اليد لتجمع ثوبها المنحسر عن أطراف
جسدها. مع الالتفاتة انكفأت على جانبها
لتصطدم، كالعادة، اليد الطائشة بالزجاجة الرشاشة التي انثلم طرفها على حافة (التاوة) وانسكب السائل ناراً شيطانية تندفع بمخالب معقوفه، تنشب بالفخذ.

وظلت أمي أكثر من شهر تتلوى في الغرفة وقد عري ساقها تغطيها كلة بيضاء، كان والدي يحرص على إحكام جوانبها وينش الذباب عنها وهو لا يزال يتعجب من ردود فعلها وعدم حيطتها، ورغم تظاهره أمامنا باحترامه لها فإن شفقته عليها هي الأكثر بروزاً، وكان لا يزال يرى أنها بلهاء بل يقول عنها أحياناً إنها بهيمة.

وعندما أرفع رأسي وأرى خزان ماء الجيران الذي بدأت أطراف الصدأ تسيل منه أتذكر العمال الذين تجمعوا فوق السطح حوله عندما كان جديداً وقد تطامن صوتهم وملكهم الخوف والحيرة حين فاجأهم منظر النار والمرأة..

كان الجرح بارزاً متخشباً تحت يدي وأنا أضع البودرة عليه.

***



الأصوات وحدها لا تصنع كلمات، لذا يبقى المعنى متوارياً لا نعرفه، غمغمة وعبارات ترددها حين التعرض لالتواء القدم، تردد قائلة إنها عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها تهاوى بها الجدار الحامي للسطح والذي تفتتت أطرافه بسبب ديمة مملة، وتضيف في حالة الانفراج أن سقوطها كان إلى الشارع، وأن شخصاً فر منزعجاً عندما رأى جسداً ينحدر عليه من الأعلى بعد أن سبقته قطع الطين، وأن جيراناً كثيرين تقاطروا إليها، وحكت متذكرة (البشت) الذي ألقاه عابر عليها، ووصفت منظره الخجل حين وقف ينتظر استرداد بشته وقد انكشف سره، فقد كان مزقاً مهلهلة يخفي عيوبه بطيه ووضعه تحت إبطه. نوادر تروى أما التفاصيل الأخرى فقد ظلت صفحة

مكشوفة عند أناس آخرين إلا أنا، والآخرون يتحدثون عادة عن كل شيء ولكنهم ـ ولهم الشكر والحمد على هذا الشعور ـ يتحرجون فيحجبون أخبار الصفحات المطوية للآباء . لقد كان تواطؤا محموداً، فاختفت بعض أطراف حادثة قديمة عادية جداً ولا تستدعي كل هذا. الجارة التي ألقتها مصادفة الطائرات المتكررة استهواها حديث الأمس فغمزت، ملمحة، إلى الشيطنة القديمة، كانت أحاديثها عن أخريات، عن مريوم التي تتخفى بملابس الرجال لتقطع (السكيك) مساء متجولة ومتنقلة من بيت لبيت، فطومة التي امتهنت التنقل بين السطوح مراهنة على أنها تستطيع الوصول إلى السوق من أعلى السطوح، وامتدت مساحة صوتيّ أمي وجارتها عندما استعادا طريقة فطومة وقدرتها على القفز خاطرة السكة من أعلى، ووقفة الفزع التي استولت على مُلاّ علي عندما رفع رأسه وإذا بغمامة حمراء تحدث صوتاً قافزة مسافة الثلاثة أمتار والنصف هي مقدار عرض السكة. وقد ظل زمناً يتحدث عن الساحرة القادمة من الجنوب، لعلها من عمان. ولم تخف تلميحها إلى فعلة أمي فضغطت على فخذها ضغطة ذات معنى مذكرة إياها بأن قصتها مع الحائط لا تقل طرافة عن فعلة فطومة.

حين ألحت عليّ الرغبة باستكمال حلقات هذه الحادثة دعاني الخبث إلى أن استنجد بصديقتي المشاكسة سعاد. وفي لحظة شيطنة وافقتني على أن ما يقال عن أمهاتنا لا يقال لنا، وأنا أحب أن أعرف ما تبقى من أطراف الحقيقة.

كان تحديد أمي لعمرها صحيحاً، فهي كانت فعلاً في السابعة عشرة، وأن جدار السطح الحامي تهاوى بها في الشارع، وحكاية صاحب (البشت) صحيحة، وأن الناس العائدين من السوق، والذي كان بيتنا القديم في بداية الطريق إليه، تجمعوا حولها، ولكن هناك خطوطا أخرى للحادثة.

انتبهت الصبية إلى جمالها المتميز، قامتها تقطعت تقطيعاً أنثوياً متكاملاً يملك قابلية جذب الرأس إليها، رأته في عين (الحمّار) الذي لم يكن يعير أحداً أي اهتمام، وفي وقفة مساعد الملا الخجول الذي لم يقاوم رغبة إعادة النظر إليها أكثر من مرة. ومن يومها تعمدت أن تشد العباءة إلى جسدها فتكور الأجزاء البارزة فيه، وتحرص أن تبعد طرفيها من أعلى فتتضح مساحة من الجسم البشري المنتشر خارج العباءة. فرحها بهذا الشباب وانفتاحها على الآخرين جعلها حمامة يشيع في أمن وإقبال على كل ما حولها، كأنها تريد أن تور على كل أجزاء الطريق، وأصبح الشارع محلاً لا قادم يتلكأ في انتظار هذه التي تتبختر بين البيو على الدنيا لم يخلق كي يستمر، فقد كان هنا بالمرصاد، جدي طيب ولكنه غير متراخ، أما أ يحسن إلا استعمال يده، وتتجسد كل الشراسة بعد ثلاثة شهور سكب (الجاز) على العباءة وأش النار. واختفت طلعتها من الطريق.

بعد أقل من شهر عادت الرءوس المتلمّسة أخرى وأخذت الأعين ترتفع إلى أعلى الح السطح، فقد استعاضت عن الشارع بعش السطوح المنعش، فتلازم ظهورها مع العصر المغرب. وبعد شهرين، مع أول الظلام، ارت صراخها وكان هناك شبحان متقابلان يميلان منظمة على جسدها المتكوم، ضرباتها متناغمة حركة (دق الهريس)، فعليها أن تدفع ثمن الجمال على الحياة عندما تكون بين ثلاثة رجال يحفظو التاريخ المحلي ومقولات المجتمع المنظم.

انصلح الحال وانعدل الضلع الأعوج، ومضت أخرى أو أكثر، ووجد النسيان طريقه، فلم يعد يذكر الجميلة التي هجم عليها الشباب فانبلج فظنت أن حقاً عليه للآخرين، ولكن التفتح وغيرها كثيرات، الأرض تطرح الجميل المبدع، أما فقد عرفت حدودها. تآلفت مع الحذر، واعتاد الانحناء عندما تصعد للسطح لحاجة ما، منكبها، تتحرك، أعلى من رأسها، ولم تكن تفارقها ارتعاشة خفيفة في قدميها.

بعد سنتين عاد يحيى من مقر دراسته، والده الميسو حرص على إرساله إلى بيروت للدراسة، تغيُّر كبير عليه، ولكن اهتمام الآخرين به لم يمنعه من أن يحص أمي بسؤال عنها حملته أخته إليها، هذا السؤال أط الأفكار التي شدت العزيمة، كلاهما كان يتوقع فوجد شيئاً آخر، فشخصية يحيى الشرسة العابثة التي اضطرت والده إلى انتشاله من ميول الضياع ودرو الشيطنة تحولت إلى الهدوء، استطال جسمه، باتت الأناقة الجاذبة للأنظار، ارتفع صدره وأصبحت خطواته مستقيمة ثابتة، أما هي النمرة الشرسة الواثقة من نفسها والتي أطاحت به أرضاً وسخرت منه بعد ذلك عشرات المرات تحولت

حمد تصـادق الأرض وتحسن قـراءة التراب وفي صوت أتي وصوصة لا حروف لها.

شـ ر الصيف الطويلة صنعت شيئاً بينهما لا أحد يعرفه سـافر ليعود على غير توقع بعـد أربعة أشهر، رلي يـ م عودتـه حـدث الحادث. كـان ربيعا جميـلا. بمة تمرت أياماً، قطـرات مائها المتوالية خلخلت حدر ، وأسطح البيوت الطينيـة، وعندمـا سطعت شمه ، كانت الحجة قاطعة ومقنعة للبقاء في السطح مع الـ حى لنشر كل مبتـل، تفتح استقبـالها للسماء، واقترب ـ من الحائط محافظة على المسـافة بينـه وبينها، طل ـ بى من آخر الشارع مقبلاً، مالت وحاولت أن رفع ـسدها أكثر فأكثر منتظرة ارتفاع عينيه المتوقع، كنت المرة الأولى التي تصادف خروجه الذي توقعته بعد سؤالـه. وعنـدمـا رفع رأسـه انقطع حـذرهـا ضغطت على الجدار أكثر فأكثر، حـواسها انصهرت مكورة شـوقاً. تلكأ أمام بـاب المنزل المقـابل، كانت ـناك طلعـة تـرابيـة مـرتفعـة عن مستـوى الشـارع عتلاها، أرادت أن تطلق صوتا فخرج هواء مندفعا من الصـدر يحمل معنى دون كلمات. ارتفعت يــده ـشارة لها معنى، هـزت رأسهـا كي تستكمل فك ـشفرة، كل وجـدانها وحيـويتهـا مـركـزة لتفسير الإشارات السريعـة، كـان مـن الممكن أن تتكـامل رسالـة.. لـولا.. صوت خالها الجهوري المشرشر، نم فجأة ليقـول شيئاً، تجسم، تعملـق تحول دويـاً نحو الخوف فـالتهم ذعرهـا شوقهـا، ودفعت رجلها ـطلق ولكن حـركتهـا تحولت إلى قـوة ضـاغطـة على حائط الطيني الــذي اهترأ من الميـاه وقــد جففت شمس بعض أطرافه، وتهاوى جسدها على مقربة من حبيب القادم الذي لم تشفع له الجروح التي أصيب بها من تصاعد اللمز والغمز.

للحب ثمن محفور باق في القدم.

***

إحساسهـا بالصيف يـأتي مبكرا، تستعـد لـه بشراء القماش الأبيض (الدشاديش) أخي الذي يَعدُها بقضاء نصف كله معها ولكنه كان يتأخر دائما. تدس القماش تحت سريرها لا تخرجه إلا بعد أن يتحدد وصوله، عاد هذا حيا في ذاكـرتي عنـدما وضح لي أن أخي لم يتقيد بما بدا لي من أن القبول بالـواقع هو إيمان بالحياة، أحس بارتعاشة كتفه التي كشفت عن غصة وهزة بكاء مرير، قميصه الأبيض الفضفـاض يتموج من عنف حـركته، عصرني تذكر حـركتها المكبة على الأرض وهي تلملم القماش، وجاءت صـورة الجارة الطيبة التي حملت معي أيـام المحنـة، فعندمـا انْشَلّت مقـدرة التصرف عنـدي كانت أم سالم تدس يـدها تحت السرير لتخرج القماش، تطويه ثم تـدسه معها في العباءة وقد حملت بيـدها عدة الجسد الميت.

ينكمش تجلدي عندما أرى منتصف غرفتها خاليا منها وأفتقد يدها المتحسسة الأرض من حولها باحثة عن دلة قهـوتها اليوميـة، فمنذ أن تقاصر نظـر عينيها أصبحت تستعين بحركتها الـدائرية الحذرة المستعينة بسمعها الـذي بقي قـويا. كلُّ مـا حولها محدد مكـانه فلم تعتد في حياتها أن يكـون أحد معينا لها. إن جزءا من الصـورة المطمئنة التي كنـت أتزود منهـا مع كل صباح قد طواه الفـراغ الأسود، أصبح ظهري يستند إلى هـواء، لم تبرد جـروحي بعـد، أصبح خط النفس منفتحاً على الأحزان بعـد شهـور الموت التي عشت ثوانيها السوداء.

تسعة شهـور مضت على الفرقعـة التي توالى بعـدها الهول وكان للذهول زيارة ثقيلـة، وفي الخامسة صباحاً توالت الفرقعات، هي وحدها التي لم تتأخر عندها ردة الفعل، فعنـدمـا انحـدرت من السطح وقـد حطمت صور الطائرات الحربية الشك وجاء يقين محزن، هربت رجلاي بي إلى غرفتهـا فوجدت الجسد طـريحا. العينان نصف مفتوحتين في تشنج واضح، والشفتـان نصفان: حي وآخر ميت. ساق تتحرك وأخرى كومة من اللحم المتثـاقل، أيقنت أن الخبر المفـزع قد انحـدر في أذنيهـا، فليست هي مـن النـوع الــذي تغيب عنـه مثل هــذه الأصوات.

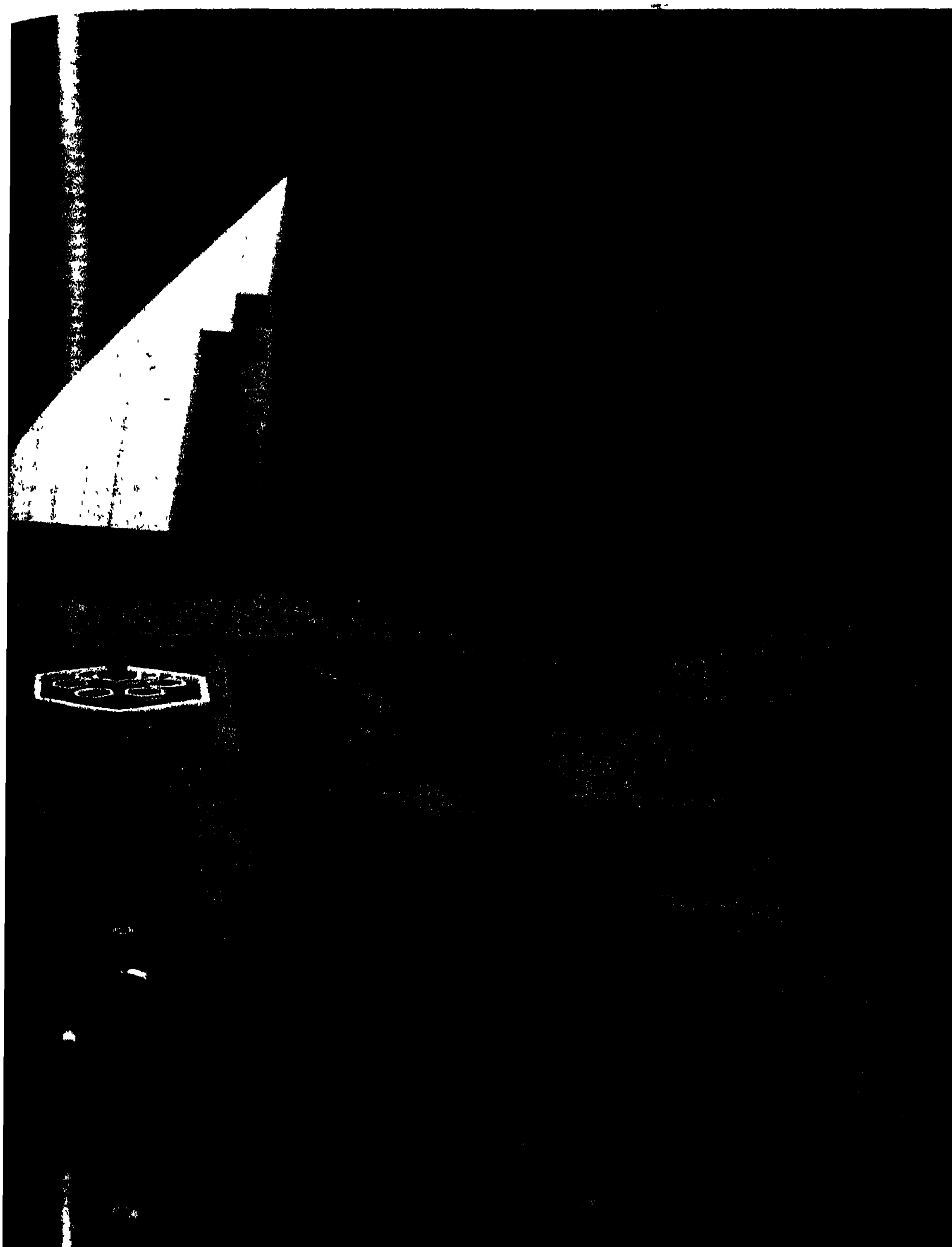
عندما حملتها إلى المستشفى كنـت أقوم بعملية فيها الكثير من السخـريـة، فحين يقتحم الجنود الغـربـاء المدينة لا يبقى لامـرأة عجوز مشلولة مكـان، وطرح جسدها في جـانب من غرفة متسعة غـادرها المرضى ودخلها الجرحى، تقلبت بين الوعي والغيبـوبة وبعد ساعات دوى انفجار كبير، اهتزت الجدران فانتفض الجسد المسجى، تولدت قوة فيه فانقذف فإذا هو على الأرض، تنـاثرت أوعيـة وانسكبت محاليل وتـدلت أنابيب.

رحمها الله!.☐

من ذكريات الغوص..

إلى ذكريات الغـزو

متى يرتاح



النصب التذكاري للكويت؟

بقلم: سيد هويدي



النصب التذكاري هو تجسيد لتطلعات الشعوب، وعندما تستعد الكويت لرفع نصبها على شاطىء الخليج فإنها تجسد خلاله كل رموز تاريخها الماضي، وتتطلع إلى انطلاقة المستقبل.

□ النصب التذكاري لدولة الكويت

جاءت فكرة إنشاء نصب تذكاري لدولة الكويت في وقت كانت مؤسساتها تستكمل دعائم نهضتها الحديثة في كل المجالات، فقد كانت الفكرة ماثلة باستمرار في فكر صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير البلاد، لذلك ترجع فكرة مشروع إقامة النصب التذكاري بشكل فعلي إلى العام ١٩٨٩، عندما استدعى سمو الأمير الهيئة الإدارية لجمعية المهندسين الكويتية بكامل أعضائها، حيث كلف سموه الجمعية بإعداد دراسة تهدف إلى تطوير فكرة إقامة النصب التذكاري، مع توجيهاته بأن تكون دلالاته الرمزية تعكس حاضر الأمة وماضيها وتستشرف مستقبلها.

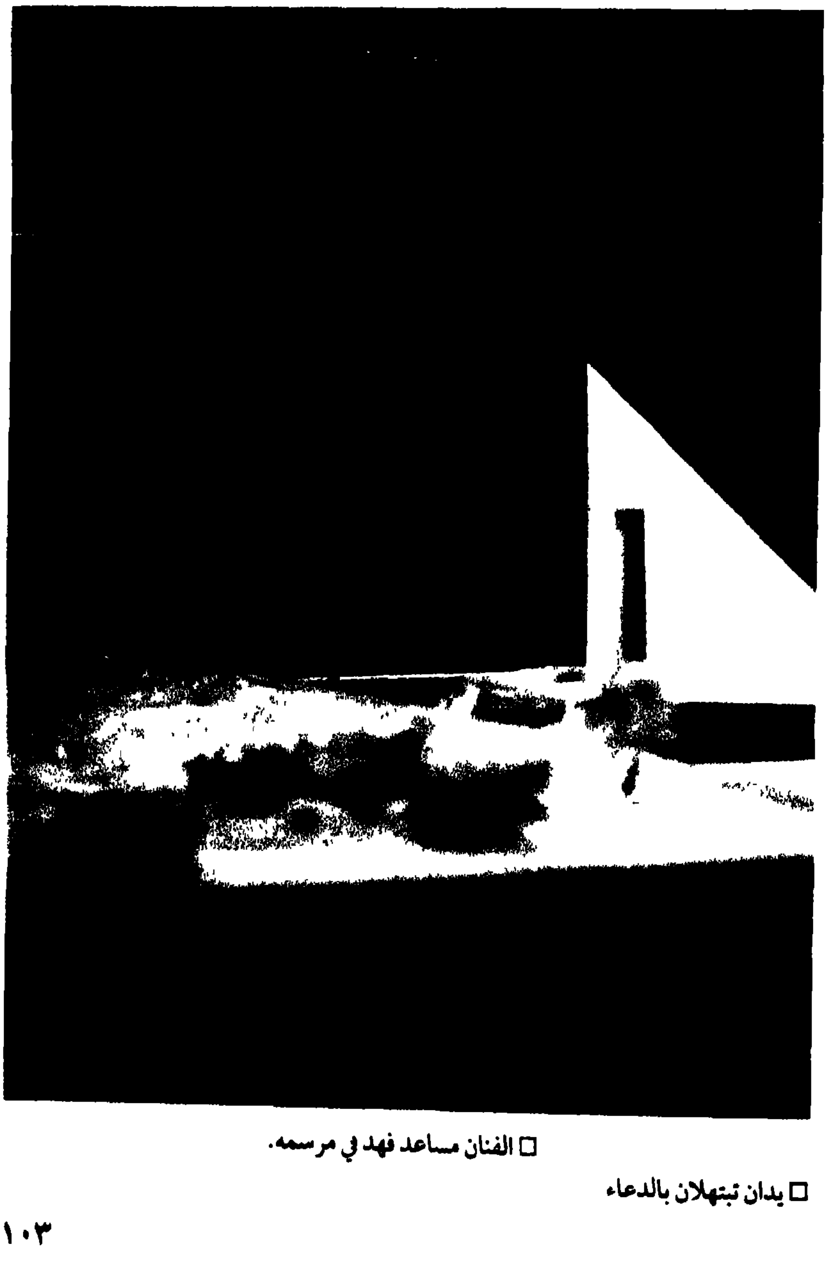
وقد كان، فتشكلت فرق عمل داخل جمعية المهندسين تسعى إلى تأدية الواجب الوطني، من أجل الإسهام في ظهور هذه الرغبة السامية إلى حيز الوجود، ل
أولى خطوات فرق العمل، القيام بعمل درا
بلورة المفهوم المبدئي للنصب التذكاري، حيث
العمل كلا من مؤيد عبدالعزيز عبدالرشيد ر
عبدالعزيز الصقر مقررا واثنين من الأعض
عبدالمجيد الزبيد، ومحمد عبدالخضر إبراهيم.

وفي يناير من العام ١٩٩٠ قام فريق الع
المراحل التالية للدراسة، والتي تمثلت في الا
التجارب السابقة للدول الأخرى في هذا المج
عرض بعض الموضوعات المهمة في الك
بإمكانها أن تمثل فكرا للنصب التذكاري، وم
الإطار العام للخطوات الأولية للتنفيذ. و
المشاركة وتبادل الرأي مع كل من بإمكانه



ـال، فتحت جمعية المهندسين بـابـا للحـوار من ـنظيم حلقتي عمل للمنـاقشة، ضمت أربعـة مشـاركـا من مهنـدسين ومعماريين وفنـانين وغيرهم. حيث تم استعـراض ومناقشة عدد ـار والمتطلبات الأسـاسية، التي يمكن الانطلاق ـا، ومنها ظهور النفط في الكويت، وخصوصية لكويتي التي تتمثل في روح الإصرار والمغامرة، ـية البقاء رغم كل الظروف الصعبة التي مر بها، المجتمع الكويتي وانفتاحه على العالم والإيمان ـاطية، ثم طرحت فكرة الاستقلال كأهم أحداث ـكويت ذلك الحدث الذي كان له أكبر الأثر في ـريات الحياة للشعب الكويتي، من ثم فكـرة كويت الحاضر والمدنية، وكـذلك كـويت المستقبل..

الرؤى والغايات والأهـداف والتطلعات. ومن المعروف أن النصب التـذكـاري يأتي في الغـالـب تعبيرا عن ذكـرى حادثة ما سواء كانت معـركة حربية، أو كارثة طبيعية، أو فحـوى دينية أو سيـاسية مهمـة كان لها أثـر كبير في تغيير مجرى حياة أمة أو دولـة، والأمثلة عديدة على هـذا النوع منهـا: نصب الحرب الفيتنـاميــة، فعلى الـرغم من تجاهل الولايات المتحدة الأمريكية لجنودها الذين راحوا ضحية هذه الحرب، إلا أن الجنـود بأنفسهم جمعوا الأمـوال لبناء نصب جنـود فيتنام، والمدهـش هو فـوز طـالبة في السنة الأخيرة من دراستهـا الجامعيـة، بتصميم النصب. أيضـا يمكن أن يأتي النصب تعبيرا عن ذكـرى شخصية مهمـة بـارزة في عهــدهـا أو تكتسب الأهميــة في عهـد لاحق، كموقع «جفـرسون» التذكاري للتـوسع الوطني على نهر



□ الفنان مساعد فهد في مرسمه.



□ يدان تبتهلان بالدعاء

الميسيسبي في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري بأمريكا، أو برج واشنطن في مدينة واشنطن.

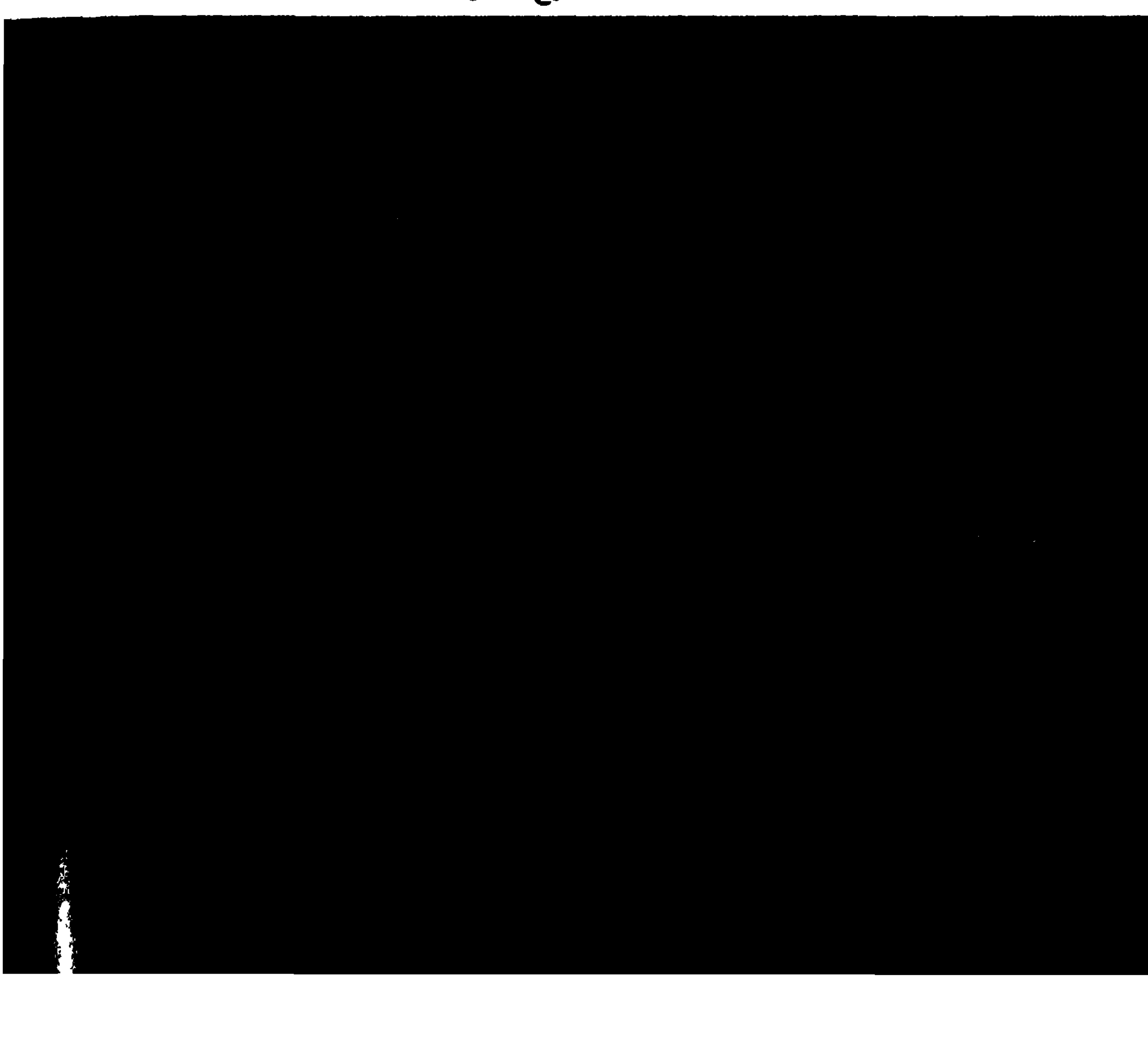
وعلى الرغم من أن جميع الأنصاب التذكارية مهما اختلفت وتباينت أنواعها، لابد أن يكون مصدرها في الأساس فكريا وفلسفيا، إلا أن هناك أنصابا شيدت لتكون رمزا صريحا لفكرة أو مبدأ أو محملة بمضامين فلسفية كبرج إيفل الحديدي الذي يعتبر رمزا لتقدم العلم والثورة الصناعية في ذلك القرن، وبداية عهد استخدام الحديد كمادة إنشائية جديدة، أو كتمثال الحرية النحاسي على جزيرة في نيويورك، الذي أصبح رمزا للحرية في العالم الجديد.

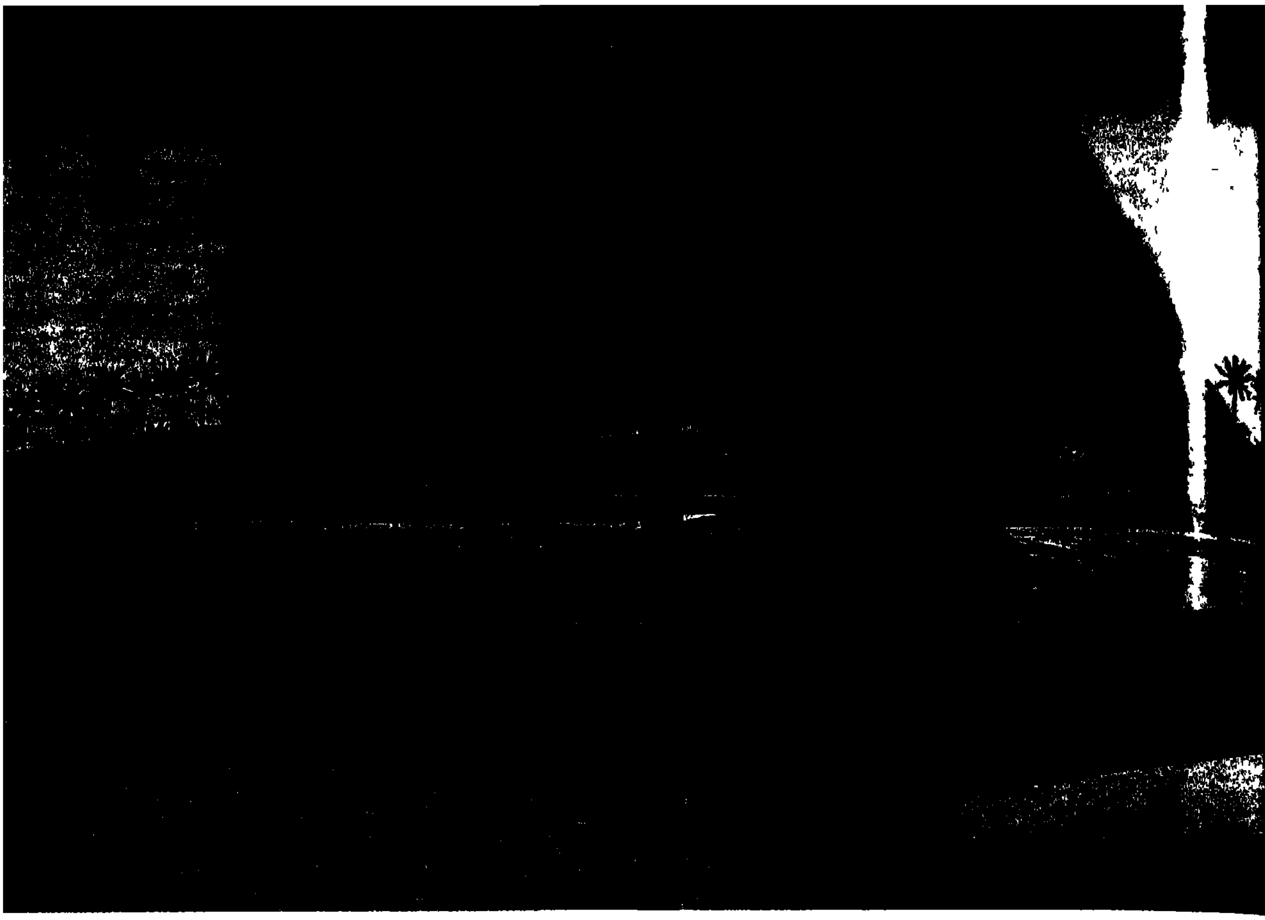
وقد تتدخل الطبيعة والجغرافيا لتصنع أحد المعالم الطبيعية الفريدة، التي تميز المكان أو البلد الذي تقع فيه، متفاعلة مع الناس، بحيث تسمو برمزية هذه المعالم لتصبح نصبا تذكاريا كشلالات نياغرا، التي تقع على نهر نياغرا غربي ولاية نيويورك، وجنوب شرق مقاطعة انتاريو في كندا، أو يصنع موقع تاريخي من ذاته نصبا تذكاريا، كمدينة البتراء القديمة في وادي موسى بالأردن، والتي كانت في القرن الرابع قبل الميلاد عاصمة مملكة الأنباط، إلى أن فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي.

عودة الروح

وفي الوقت الذي توصل فيه فريق العمل إلى تصاميم كثيرة تم عرضها على صاحب السمو أمير البلاد، فأشار إلى الدعوة لإقامة مسابقة لتصميم النصب التذكاري للدولة، يفاجئنا زلزال الثاني من أغسطس ١٩٩٠ بل يفاجأ العالم كله، بالغزو العراقي الغاشم، وعاشت الكويت محنة الاحتلال لفترة سبعة شهور توقفت خلالها أغلب مناحي الحياة، وبالتالي توقف المشروع، لكن مع بشائر التحرير في السادس والعشرين من فبراير العام ١٩٩١، تقدم بطلب المشاركة في مسابقة تصميم النصب التذكاري التي توقفت قسرا، ٤٤ مهندسا معماريا، ٥١ فنانا، ٥ مهندسي ديكور، ٦ طلاب، وحدد تاريخ ١٥/ ١/ ١٩٩٢ كآخر موعد لتسلم الأعمال المتقدمة.

□ الشراع الأبيض





□ مجداف الغوص المربع

ومن بين ٤٢ عملا فنيا معماريا تقدم بها ٢٧ متسابقا، ارتأت هيئة التحكيم من خلال اجتماعات ولقاءات امتدت من ١٨/ ١/ ١٩٩٢ إلى ٢٧/ ١/ ١٩٩٢، اختيار ثلاثة أعمال فنية جاءت أصدق تعبير عن هذا المشروع الرمز، حيث جاء في المرتبة الأولى عمل من تصميم الفنان التشكيلي «مساعد فهد»، نظرا لبساطة شكله المستمد من الشراع، الذي يرمز للكويت وشعبها.

وتتعهد المشروع الآن وزارة الأشغال العامة بعد أن صدر قرار وزاري بتشكيل لجنة برئاسة الوزير، وعضوية كل من رئيس مهندسي المشاريع الخاصة، مدير المشروع، وشارك من الديوان الأميري في عضوية اللجنة مدير الإدارة الهندسية، ومن بلدية الكويت يشارك رئيس مهندسي البلدية، وكذلك رئيس جمعية المهندسين الكويتية وأمين السر، وتتولى هذه اللجنة متابعة التصميم والتنفيذ والإشراف ودراسة المواقع المقترحة وتكاليف إنشاء النصب التذكاري.

ويكشف العمل الفائز عن أن صاحبه خاض في سبيل ظهور هذا التصميم، تجارب معملية كثيرة مضنية وشاقة، جاءت تجسيدا لشحنة تختلج في نفسه.. أعطاها من روحه.. حيث يقول الفنان «مساعد فهد»: «منذ الإعلان عن مسابقة النصب التذكاري، أصبح معدل العمل اليومي داخل الاستديو يتجاوز العشرين ساعة يوميا».

كانت الشهور السبعة الأولى التي قضاها الفنان مساعد فهد تحت وطأة وسطوة الاحتلال البغيض، كفيلة بأن تفجر تلك الشحنة الإبداعية التعبيرية الصادقة، فقد كانت المحنة هي الدافع الأساسي لخروج هذا العمل إلى الوجود، خاصة في ظل معايشته اليومية لممارسات الجنود العراقيين، وتشييعه لثلاثة شهداء من أسرته، كانوا من أعز الناس إلى نفسه، ضحوا في سبيل أن تبقى الكويت، فمن رحم معاناة شهور الاحتلال، ظهرت فكرة النصب التذكاري.. حيث يقول الفنان صاحب المشروع الفائز، فور سماعه خبر الفوز: «٢٠٩ أيام عشتها ومرارة الاحتلال لا تفارق حلقي، كنت أعتصر ألما، بعد أن خيم الحزن على كل شيء، ومع ذلك أصبح المرسم ملاذي، ووسيلتي للتعبير عن كل معاني التضحية، والقوة والصبر، وصلابة الموقف، حيث جاءت فكرة النصب التذكاري في يوم فقدنا فيه الوطن، لكن لم نفقد أنفسنا، شهد مرسمي أيام الاحتلال ميلاد إشارات هذا العمل في شكل ومضات ودلالات».

اتكأ الفنان مساعد فهد في رؤاه على وشائج حب قوية، تربطه بكل رموز الكويت، بحرا، وبرا، حياة وكفاحا، تاريخا وتراثا، ماضيا وحاضرا، رجالا

بمهام مختلفة، ومن ثم يأخذ الروبوت أشكالا مختلفة قد لا تقترب من شكل الإنسان حتى وإن قام بتقليده.

ومن الطريف عند دراسة تاريخ الحضارات ملاحظة وجود فكرة الروبوتية، ولكن بشكل بدائي وتنفيذ محدود للغاية، فقد تمثلت فكرة تقليد الإنسان في الحضارات القديمة وما سبقها من حياة بدائية في تشكيل مادة كالطين أو الخشب ـ أو المعادن بعد اكتشافها ـ على شاكلة الإنسان أو الحيوان. وحتى مع اعتبارها تافهة ـ حسب المعايير الحالية ـ ولا تدخل تحت تصنيف الروبوتية، فقد كانت البداية ليحلق الإنسان بخياله وليسعى لتقليد ذاته، لقد اعتقد الإنسان الأول ـ وما زال في غابات إفريقيا ومجاهل آسيا ـ أن الآلهة تعيش في طيات الرياح وأمواج البحار، بينما تعيش أرواح البشر في جذوع الشجر، وكانت الحركة هي التعبير عن الحياة، فإذا تحرك الجماد كان في ذلك الدليل على حياته، ومع مساواة الحركة بالحياة، أمكن لطبقة معينة قوامها السحرة والكهنة السيطرة على عقول العامة بتحريك دمى جامدة بأسلوب خاف بعيد عن فهمهم، عادة ما كان ميكانيكيا، وأمكن للسحرة تثبيت فكرة أنهم ما داموا يستطيعون تحريك الجماد، فإنهم بذلك يبعثون الحياة فيه، ومن ثم فإن قدرتهم أعظم من عامة البشر، هكذا أمكن لمن تحكم في تلك العرائس والدمى أن يتحكم في عقول العامة. ومن الطبيعي أن تكون التكنولوجيا عدوا لدودا للسحر، كما كان السحرة أعداء للعلم، لسبب بسيط، ذلك أن الإنسان البدائي استمر لفترة طالت إلى آلاف السنين يصنع دمية أو تمثالا يحاكي به شكلا حيا، وجاء الساحر وبتعويذاته، فحرك الدمية وكأن الحياة تدب فيها، وبينما لا تخفي التكنولوجيا أسرارا، فإن الساحر يخفيها، وفي نفس الوقت كان على من يصنع تلك الدمى ويجعل أجزاء منها تتحرك، أن يتفهم على الأقل أبسط مبادىء الميكانيكا، وكانت تلك أول خطوة في الصراع بين السحر والتكنولوجيا، فبينما طالب العلم أن يكون مشاعا، احتكره السحرة لأنفسهم واستخدموه وإن كانوا ضد استخدام العامة له.

روبوتات فجر التاريخ

ما زالت تلك الدمية الخشبية الملونة للعروس التي تحرك أطرافها بجذب خيط قابعة في متحف الآثار المصرية بالقاهرة تشهد على خيال متحضر، أكان استخدامها للعب أو لغرض آخر، فقد كانت محاولة لفنان أو ساحر أو حرفي جلس منذ آلاف السنين ليصنع روبوتا بدائيا، وأيضا تمثال الكلب الذي يفتح ويقفل فمه بتحريك مقود في بطنه، والتمساح الذي يفتح فمه عند جذب خيط فيه، كما يوجد قناع على شكل رأس كبير مفرغ من البرونز لابن آوى الذي رمز به عند قدماء المصريين لـ«أنوبيس» إله التحنيط، ويمكن تحريك الفك كما يوجد داخل الرأس بوق لتكبير الصوت.. وكان كهنة المعبد ـ حسب ما وضح في النقوش القديمة ـ يلبسون ذلك القناع لتمثيل دور أنوبيس الذي يصدر أحكامه على المتعبدين وأصحاب الحاجة، وللقارىء أن يتخيل العابدين الراكعين في ذلك الجو المعبق بدخان البخور وصدح التراتيل، يخرج عليهم عملاق على شكل إله يصرخ عليهم بصوت ترتعب له الفرائص، كما توجد في قسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر الفرنسي دمية قد يمر عليها المشاهد عابرا لكنها توضح أن الإنسان عرف كيفية عمل مفاصل الإنسان وقلدها في تلك الدمية التي تمثل خبازا يطحن الحبوب.. وهي مع تفاهتها آلة تقلد الإنسان ـ مع ضيق التعريف. هذا وما زال تمثالا «ممنون» قائمين في الأقصر، من بقايا مدخل المعبد الجنائزي لفرعون مصر «آمون حوتب الثالث» (أمينوفيس الثالث) الذي حكم خلال الأسرة الثامنة عشرة للمملكة الحديثة من عام ١٣٩٧ إلى عام ١٣٦٠ قبل الميلاد ونقى



□ تمثالا «ممنون» الموجودان حاليا في الأقصر بمصر



□ «وابوت» روبوت ياباني متطور جدا يلعب الأرغن حسب النوتة الموسيقية

التمثالان اللذان يصل طول كل منهما إلى ٧٠ قدما بعد أن دمر المعبد. توجد كتابات محفورة على قاعدتي التمثالين باللغتين اليونانية القديمة واللاتينية تشيد بجمال الترانيم العذبة التي خرجت منهما عند شروق الشمس، إضافة إلى ما كتبه الرحالة والمؤرخون كشاهدي عيان لتلك الظاهرة، ولم يكن داخل هذين التمثالين أجزاء متحركة، ويعرو علماء المصريات خروج الأصوات من التمثالين إلى وجود جيوب هوائية داخل الرأس، حيث يتجمع فيها الندى وقطرات الماء ليلا، التي يحدث لها تبخر عند شروق الشمس وارتفاع درجة الحرارة، ولا تجد الأبخرة لها إلا منافذ معينة تخرج منها باندفاع، وتحدث تلك الأصوات التي حسبها كل من سمعها ترانيم. ويمكن إصدار الحكم على حضارة قدماء المصريين، بدراسة ما تركوه من أضرحة ومعابد، وما دفنوه معهم في مقابرهم، فمن الواضح أنهم بذلوا جهدا كبيرا وقضوا أوقاتا كثيرة في التفكير وتنفيذ آلات لم يسبق لها مثيل، ومن المؤكد أنهم كانوا على قدر عال من العلم والتمدن بحيث فهموا طبيعة الكون والمجرات والكواكب، وعرفوا كيفية استخدام الروافع ومراكز الثقل والعجلة والقرص حيث استخدموها لمعاونتهم في تنفيذ وتسهيل أعمالهم ومنها بناء الهرم، ولكن أتكفي تلك المعرفة والأدوات في بناء تلك المعجزة المعمارية؟.

ما يمكن ملاحظته بدراسة الثقافات القديمة، هو اعتبارها أن الدمى والعرائس المتحركة والتماثيل على شاكلة الإنسان، كانت لها حياتها الخاصة المنفصلة عن الإنسان، ومن ثم كان إمكان إصدار حركة معينة من تلك الدمية أو ذاك التمثال انتصارا ساحقا للإنسان وتعبيرا عن فهمه لحركته هو نفسه، بل وتقليدا لحياته.. وما لم يتمكن من صنعه بنفسه خلقه في خياله وأساطيره، هذا وكانت جميع المخلوقات الخيالية ـ دائما وأبدا ـ أقوى من الإنسان، وكونت عقبة أمامه للحصول على ما يريده، ولم يكن أمامه إلا التغلب عليها بخداعها، أي بتفوق الإنسان عليها بذكائه.

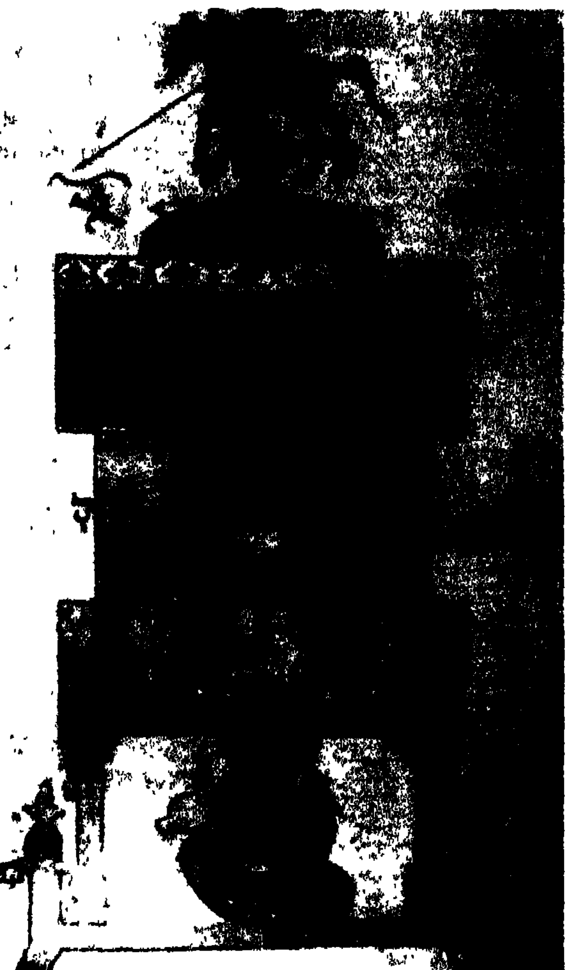
من اليونان إلى الهند

يتبين من الأدب اليوناني القديم أن الروبوتية أخذت مكانا مهما، كما وضح في كتابات «أرسطو» في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث ذكر «إذا أمكن لكل أداة «آلة» القيام بعملها والإنصات لرغبة الآخرين أو توقعها.. فإذا أمكن للمكوك أن ينسج وللريشة مس القيثارة دون أن تهديها يد إنسان، فلن يحتاج القائمون على العمل لخدام أو عبيد» (كذا)، وقدم أرسطو بذلك وصفا دقيقا للمحور الذي تقوم عليه تكنولوجيا الروبوتية ـ حيث يقوم النول بالنسج بنفسه وتلعب القيثارة بنفسها ـ دون تدخل بشري، وإن مرت القرون دون تحقيق ما صبا إليه أرسطو، فقد بذر بذور المعرفة، وجاءت أجيال من بعده لتجنيها. كما جادت الحضارات الأخرى بما يؤكد اهتمامها بالآلة، فتم الكشف عن لعبة في موقع معبد «سوسا» في بلاد الفرس الذي يرجع بناؤه إلى عام ١١٠٠ قبل الميلاد، كانت خنزيرا صغيرا على عجلات يمكن جره، وامتلأت الحضارة اليونانية القديمة بمفكرين مثل أرسطو وإقليدس وأرخميدس وغيرهم ممن قاموا بإجراء الحسابات الرياضية والفلكية المتقدمة بدقة متناهية يحسدهم عليها علماء العصر الحالي، والذين وجهوا اهتماما خاصا للآلة.

من الثابت أن «أرخميدس» وضع النظريات عن الآلة التي استخدمت البخار كمصدر طاقة في القرن الثالث قبل الميلاد، أي قبل ظهور الآلة البخارية بحوالي ٢٢٠٠ سنة، ومن الثابت أيضا أن «هيرو» السكندري «عاش في مدينة الاسكندرية المصرية» قام في القرن الأول قبل الميلاد بوضع كتابه الذي ذكر فيه

عـديـدا من الأجهـزة التي استخـدمت نظـريـاتها في الآلات الحديثـة، بما فيها: البريمـة، وعمود الكـاماتـو والعجلـة المسننـة، والثقل الموازن، والـوعـاء المفـرغ، والمضخـة الهوائيـة، والكبـاس، والطـاحـونة الهوائيـة، ولكن لا يوجد دليل على أنهما تمكنا من تطبيق نظرياتهما أو إخراجها إلى حيز الوجود.

في أحـد الاختراعـات التي ذكـرهـا «هيرو» السكندري، استخـدمت جهازيـة لفتح وقفل بـوابـة المعبد باستغلال طاقـة البخار، تكونت من مبخرة فوق سطح الأرض تشعل داخلها النار لتحرق فيها البخور، والتي تسخن الهواء في الجزء السفلي منهـا، ويتمـدد الهواء في أنبـوب متصل بـوعـاء محكـم أسفل سطح الأرض مملوء بـالماء حيث يدفع الهواء السـاخن الماء إلى دلو يعمل كثقالة، وعندما يندفع الماء إليه ويملؤه، يهبط ويجذب معـه حبـالا ملفوفـة حـول عمـودين متصلين بضلفتي باب المعبـد فوق سطح الأرض بحيث يضمن دوران العمودين كالبريمة حـول محوريـن فينفتح البـاب، وعنـدمـا تخفت النار تحدث دورة عكسيـة فيرجع الماء إلى الـوعـاء المحكم، ويـرتفع الـدلـو، وتجذب ثقـالة من الحجـر الحبال وينقفل الباب، ولا يختلف ذلك عن الأبـواب الآليـة العصرية، فيما عـدا أن الحاليـة تستخـدم الكهـربـاء. ويمكن مـلاحظـة أن فكـرة المخلوقـات الروبـوتية لها جذور في الثقـافة الغـربية أيضـا، فتشير الأسـاطير اليـونـانيـة، أن في «معبـد ديلفي» صـدحت تماثيل العذارى بالغناء، وفي قصة «بيجماليـون» وقـع ذلك الملك في غـرام تمثـال «أفـروديت» إلهة الحب، والذي انبعثت فيـه الحياة، كما جـاء على لسـان «أفـلاطـون» شرحـا عن تماثيل دبت فيهـا الحيـاة

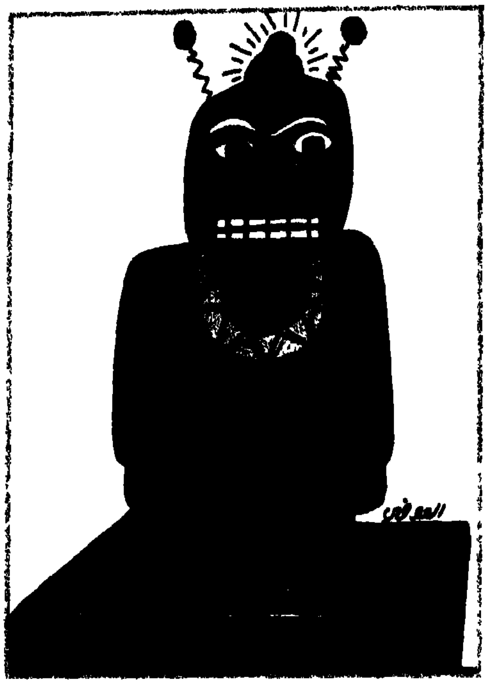


آلة الساقي من كتاب «الجزري» تعزف الموسيقى وتتحـرك تماثيلها ويخـرج منها الشـراب.

وكـان على المشـاهدين أن يمسكـوا بتلابيبـها حتى لا تهـرب، كما قـام تلميذه «أرسطـو» بـذكر أن التماثيل التي كانت مـن الخشب على شكل ... تحركت عنـدما صب فيهـا الزئبق، كما حفلـت ... الـرومـان بأعـاجيب مثل القصـص التي «أنتيـام» مكان ميـلاد «نيرو» حـول التماثيل التي تمشي من مكان إلى آخر. هـذا وكان من الإمبراطورية الرومانية أن يستخدم كهنة المعابد ... متحركة بطـريقة ميكانيكية بجذب حبـال من الغيب، وكأن هنالك قوة أعلى من الإنسان تسيرهـا، كما ظهـرت أيضا في إطار الخيـال ... روبـوتـات ضمنتهـا الأعمال الأسطـوريـة ... «فيرجيل» من مدينـة نابـولي الذي عاش خـلال القرن الأول قبل الميلاد، والذي ذكر فيما كتـب أنه ... المنزل بـاستخدام ذبـابـة «ميكـانيكية» مصنـوعة من البرونـز. وامتلأت أسـاطير الهند والسند بمخلوقات مصنـوعـة من الخشب عـاشت وأهلـت تلك المناطق، بل وتعايشت مع سكـانها البشر، كما كانت هناك تماثيل للنساء تسعى فيها الحياة ولا عمل لها إلا غـوايـة الرجـال، فإذا ما احتضن رجل تمثـالا منها كـانت نهايتـه ومـات على الفـور، كما تحول التمثال إلى تراب. وتكثر القصص عن الأفيـال المعـدنيـة الضخمـة التـي تتحـرك ميكـانيكيـا، ويحسب من يـراهـا أنها حقيقيـة. ومن الـواضـح أن الحضارات الأخـرى مثـل حضـارة الـ«آزتك» (القرن الخامس عشر الميلادي) في أمريكا الـوسطى حفلـت بآلات غـريبـة كشف عن بعض من بقايـاهـا في الحفريات، ومـن الثـابت حسب الكتابات، قيام القساوسة الجزويت والكهنـة الفـرانسيسكـان الـ ...

وصل مع الغزاة الإسبان تلك الآلات.. إذ رأوا ـ حسبوهم ـ أنها «من صنع الشيطان». وظهرت في العصور الوسطى أشكال مختلفة بسيطة من الآلات التي اقتربت إلى حد ما لحركة المخلوقات الحية كالإنسان والحيوان، أو لمجرد الإيحاء بها، وتم وضع تلك الآلات في الساعات الكبيرة التي زينت واجهات الكنائس والمباني الحكومية والقصور، ويلاحظ حتى الآن في تلك الأبنية القديمة التماثيل المتحركة لأشخاص يدقون على أجراس الساعة أو طيور ترفرف أو ديوك تصيح، واستمدت تلك التماثيل حركتها التي تداخلت مع جهازية الساعة نفسها من الزنبرك الذي استخدم المجهود العضلي في لفه.. وكانت تسلية لأهل المدينة أن يطلعوا في منتصف النهار إلى برج الكنيسة التي يخرج منها تماثيل على هيئة أشخاص كل منهم يقوم بحركة معينة.. وكأنها مسرحية ميكانيكية، وأطلق على تلك التماثيل المتحركة «أوتوماتون» أي الآلة ذاتية الحركة، ومن أمثلة تلك الآلات ديك كتدرائية ستراسبورج الذي ثبت فوقها عام ١٣٥٤م وظهر وكأنه من الحجر، ولكنه كان في ظهر كل يوم يخفق جناحيه ويفتح منقاره ويخرج لسانه ويصيح كأنه ديك حقيقي.

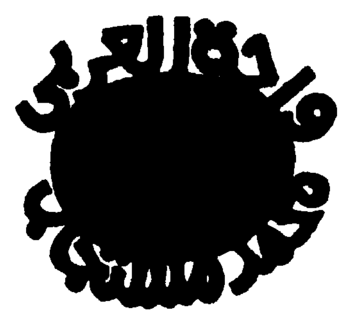
هذا وظهرت آلات أخرى مختلفة تقع ضمن الذاتية الحركة استمدت حركتها من الماء أو من الريح، قام بصنعها فنانون على قدر عال من البراعة جمعوا حرفية مهنية للحدادين والصياغ والمثالين والمهندسين، أمكن هؤلاء الحرفيين أن يصنعوا أشكالا متحركة توحي حركتها الذاتية دون اكتشاف المشاهدين لمصدر طاقتها المحركة، الذي كان يبعد أو يختفي عن أعينهم، واعتمدت تلك الآلات في حركتها على التروس والزنبركات والروافع والقضبان المحورية، وأمكن لتلك الآلات أن تقرع الأجراس وتصب الماء وتقوم بأعمال بسيطة ولكنها ذات منفعة وعوضت المجهود العضلي للإنسان، وهو الاختلاف الذي استمر حتى الآن عند تحديد الفارق الوظيفي بين الروبوتات، فمنها ما يسهر على شاكلة الإنسان ويطلق عليه «اندرويد» ولكنه قد لا يقوم بعمل ذي منفعة، والآخر قد يأخذ أي شكل ولكنه يؤدي خدمة يعين بها الإنسان ويوفر عليه مشقة عمل محدد.

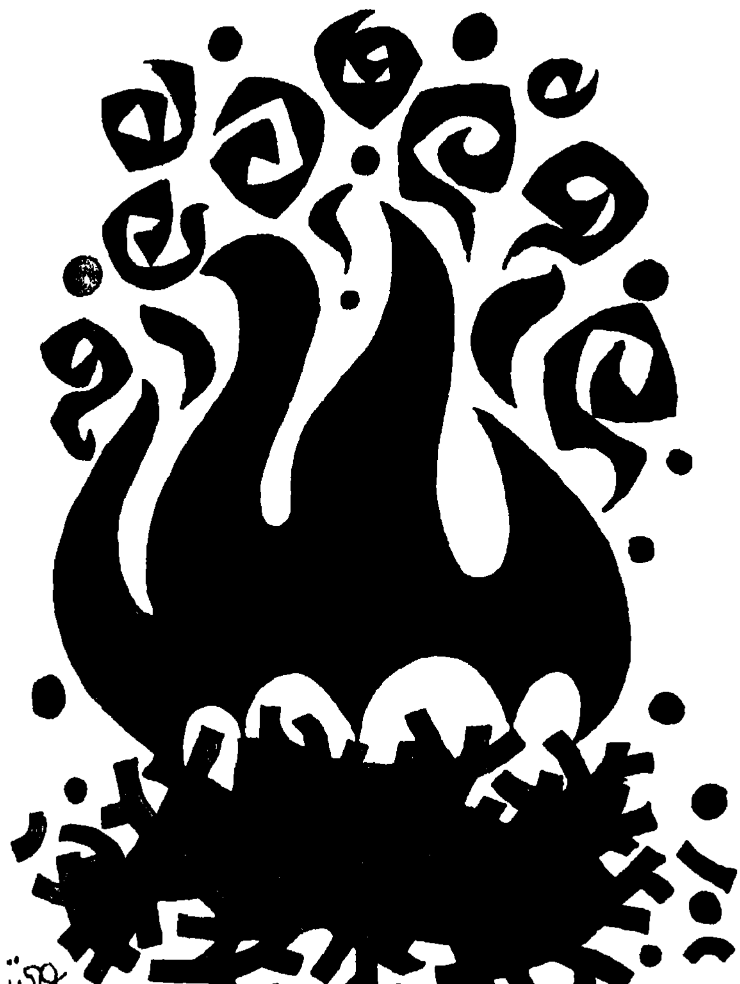


بديع الزمان العربي

ومن المؤكد أن فضل العرب وتأثيرهم على هندسة الآلة في أوربا كان غير محدود، كما لا يخفى أن علماء أوربا أخذوا من كتب العرب ونقلوها، ويتضح حتى مع قلة ما وصل للدارسين من مخطوطات أن تقدم العرب في صنع الآلات أخذ وجهتين: الأولى: الآلات التي صممت للاستخدام اليومي أي للمنفعة العامة مثل الطواحين والنواعير والسواقي وتلك المستخدمة في أغراض الدفاع والحرب، والثانية: الآلات المصممة لمتعة الناظرين وإسعاد المشاهدين، أي للتسلية التي طالما جرت وراءها محافل الحاكمين وأهل البلاطات، وبينما تتوافر الوثائق المكتوبة بالنسبة للتصنيف الثاني، فلا يتوافر مع الأسف ما يفيد عن التصنيف الأول، ويتربع العالم العربي «بديع الزمان اسماعيل بن الرزاز الجزري» على قمة المخترعين للآلات ذاتية الحركة ـ «أوتوماتون» ـ التي عرفها العرب وصنفت تحت «الحيل» وقد عاش ابن الرزاز الجزري في الفترة بين نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين، واخترع الكثير من الآلات النافعة.

هكذا بدأت بعض الملامح التكنولوجية تظهر لتحقق بعضا من خيال الإنسان، حتى وإن كانت على مستوى بسيط، فقد واربت باب التقدم العلمي، وإن لم يتحقق مبدأ الروبوتية ـ حسب مدلولات العصر الحالي ـ فقد كانت بداية لتوجه العقل البشري لتحقيق بعض من أحلامه عن طريق الآلة، ولم يتوقف الإنسان عن الحلم بذلك المخلوق الاصطناعي الذي سيمكن سوقه إلى «عمل السخرة» دون تألم أو إذلال أو مناقشة أو حساب، وأدخل العرب فكرا حديثا ظهر كالضوء الخافت في الظلام الدامس، واتجه إليه الغرب لينهل منه.. وانتقلت شعلة العلم إلى الغرب ليقود الدخول في عصر تكنولوجي جديد.. يتصل فيه الخيال بالمعرفة.□





ذات الجذوة المشتعلة في الأجساد والأمنيات والموتورات والقنابل وتحت أسياخ الكباب

النار من أخطر ما اكتشف الإنسان منذ بواكير وجوده، إن لم تكن الأخطر على الإطلاق، ولا يزال خيالنا، وجوانحنا، تتحسس هذا الرعب الفظيع المبكر الذي ارتبطنا به مع النار: حريق الرغبة، والغابات، والحب، والمروج، والغيرة، والصواعق، والحقد، والانتقام، والفشل، ثم هناك النيران السرية التي تشوينا ونحن نحلم ونكتب ونبحث عن السلوان، أو تلك التي نستخدمها في الحفر المناسبة لدفن أمنياتنا القديمة وآمالنا الخائبة، ولذا فقد قدس الإنسان النار قبل أن يستوعب معناها، ثم ازداد تقديسه لها بعد اكتشافها وحل ألغاز اشتعالها، وجعلها عنصرا أصليا في تصوره لأسس قيام العالم: النار والماء والتراب والهواء، ثم تراجع عن تقديسها بعد انبثاق الديانات السماوية ونمو العلوم. وأجمل النار ما يعد لتدفئة أول ماء لاستقبال الجسد تطهيرا لأولى ليالي الهناء والسعادة، ولاستقبال أول مولود، ونار إشاعة الدفء في جسد واحد بارد مقرور، ونار التخلص من

...فر، ونار الضيافة تحت ظل ...كباب، ويمكن إضافة ... إلى بعض الأسياخ، ونار ... التي من قوتها يمكن أن ... إلى أعلى لأصطدم ـ بقوة ـ ...اب، ونار الحرية الجاذبة ...لجدران والمعتقلات، وطاقة ... تحرك كل موتورات العالم. و...ـوء ابن النار، نراه ونحس ...ـور الشمس، وتألق رقبة ...ب، وانعكاسه على صفحة ...القمر والنهر وخدود ...الصبايا، وفي عيون الأطفال والقادة ...المتصرين، وفي الإحساس بالأيام ...الكريمة المفترجة، وفي تسلل شعاع ...من عيون تود الانغلاق اعتزازا قبل ...أن تفترقا، وفي شطرة بيت تشدو به ...أم كلثوم «أسهر على ضي ميعادك»، ...في البرق تنبيها من الطبيعة، وفي ...الإبراق تنبيها للوصول والتواصل، ...وفي تلمس اليد الخاشعة المؤمنة ...ستائر الكعبة. وألعن ما في النار: ...الأوار، هذا الاشتعال الذي تطقطق ...فيه العظام الجبارة الرافضة لقوانين ...الكون والامتثال للرب، جهنم ...تفتح اتساعها المرعب، عيون الأم ...المظلومة من ولائدها وبنيها، فحيح ...الأفعى لحظة الانقضاض، انطلاق ...الرصاصة وانفجار القنبلة، اندفاع ...الكلمة الغبية الفظة الجارحة، ...انشقاق الجمجمة كي تكشف عن ...المخ، حنك الأسد المفتوح ناهشا ...رقبة الغزال المضطرب، المقولة ...الفاسدة الشائكة الصادرة من ...منصب مؤثر لتمزق الأمة، قطة ...تشتعل في جسدها نيران خصوم ...وسط حقول القمح، أوار حرائق ...الخماسين في القرى والبيوت الكامنة ...تحت البوص والقش، وإشعاعها ...المدمر في الانفجارات الذرية ...ومكائد الخبثاء وفخاخ العابثين. والنار ـ بعد ذلك ـ هي عنصر فاعل ...في نضج، التهابا، كانت، أو حرارة، وفي التطور، وفي تشغيل الحواس وتوصيل المدركات، وفي قيام الفنون، والآداب، والظنون، والطبيخ، والانفعال، وسريان الحب، وإبراز الجمال «وكم هو مشهد محبط غلالة هفهافة فوق جسد ساكن بارد وفاقد لحرارته»، لأن الحرارة هي إشعاع الحياة، وراتحتها، وابتسامتها، وحيويتها، فإن زادت الحرارة أصبحت أوارا، فتتحول كل المسائل الجميلة إلى كوارث محترقة، وإذا انخفضت أكثر مما يجب بدت المساكن: قبورا، ومقدم الصدقة: صرافا، والحبيبة: زوجة، والعشق: تعاطفا، والفنان: صانعا، والأديب: كاتبا، والناصح: متطفلا، والقائد: موظفا، والتلفزيون: صندوقا، والماء: ثلجا، والحياة: مأزقا. وفي الماضي السحيق خسرنا دفء الفردوس وحرارة الجنة، وها نحن نحاول أن نوقف دفء وحرارة حياتنا في الحدود المحتملة كي لا تصبح جحيما ـ أي جهنم، نوع من التأجيل فيما أظن.□

* أمعنت في وجهه طويلا، ثم أرخت رموشها وأغلقت عينيها: طلب أن يكون العشاء «لبن زبادي».

* افهم واشرح: تجار قماش بطانة الملابس الصوفية ليسوا هم تجار الأقمشة الصوفية.

* حتى الحجر الأصم يستجيب ويلين لأنامل فنان بارع.

* هجر البشر وابتنى بيتا في منطقة مذهلة الاتساع، وجلس أمامه وحيدا يستمتع بالطبيعة ويشكو ـ بين الحين والحين ـ من النمل.

* لا يوجد نبات يزهر دون أن يثمر، يوجد عقل محدود الإدراك.

* النساء أكثر تحملا للرجال من الرجال.

* قرر قيس أن يصبح ـ للعشق ـ رمزا، فتزوجت ليلى من غيره.

* تقوم راحة البال على راحتين صغيرتين: الجيب ـ و ـ الجسد.

* ليس هناك بينك وبين زوجتك أسرار، السر يكون دائما بعيدا، وتخشى أن ينسل إليكما.

* قدمت لزوجتي خمسين جنيها فطلبت زيادة، رفضت أنا فأعادت لي عشرة متبرمة، تكرر ذلك كثيرا، ـ صباح اليوم ـ اكتشفت أثناء اطلاعي على عقد زواجنا مصادفة أن مؤخر صداقها خمسون جنيها..!!

* سألني أبوها إن كنت أحوز سكنا؟ فقلت: نعم. عندي شقة، فوافق على زواجنا، ثم رفض أن يكتشف خداعي واستمر يبحث لنا عن سكن.





□ توم هانكس يتوسط «المؤسسة» : لقطة من «فيلادلفيا»

الإيدز والسود واليهود
من فيلادلفيا إلى هوليوود

بقلم : محمد رضا

على الرغم من الضرورة الاجتماعية التي تحتم على السينما تقديم أفلام حول مرض الإيدز، إلا أن هوليوود آثرت غالبا الابتعاد عن هذا الموضوع حتى استطاع المخرج جوناثان دمي تقديم فيلمه الجديد «Philadelphia» الذي فاز بثلاث جوائز للأوسكار، لكن هذا الفيلم الدرامي ليس فقط أول فيلم رئيسي لهوليوود عن الإيدز بل أيضا فيلم خاص جدا عندما ننظر إلى بعض المعادلات الاجتماعية التي يحتويها ونقارنها بالأفلام الأخرى.

هناك ثلاثة مشاهد في فيلم «فيلادلفيا» تفصح عن العلاقة العاطفية بين أندرو باكيت «توم هانكس» وصديقه الشخصي ميغويل «انطونيو بانداريس».

المشهد الأول في المستشفى عندما يهرع ميغويل للاطمئنان على صحة أندرو فيقبله حين الوصول قبلة قصيرة لا نراها بسبب استدارة الكاميرا، في الوقت المناسب، لتكون خلف أندرو.

المشهد الثاني لهما وهما يرقصان على هدوء الموسيقى في حفلة ساهرة.

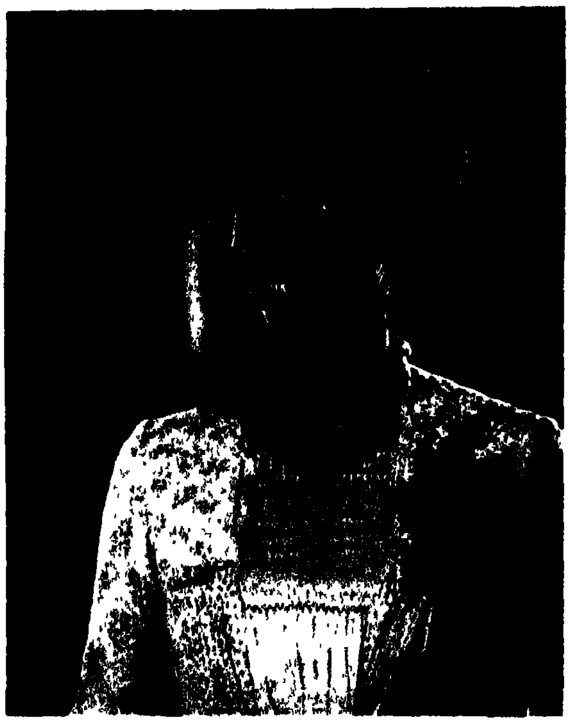
المشهد الثالث لميغويل وهو يقبل أصابع يد أندرو وهو على سرير الموت مع نهاية الفيلم.

المشاهد ليست بحاجة إلى وصف لكي تفي نوعية العلاقة بين الاثنين، بل تأتي ـ دراميا ـ في مناطق طبيعية ومناسبة لتوجز جانبا من الفيلم علما بأن تأثير ميغويل على أحداث الفيلم محدود بذلك الجانب، فالفيلم، كما هو عن حالة مريض مصاب بالإيدز، هو عن مجتمع غير المصابين واختلاف وجهات نظرهم تجاه المرض والمصـ

... الرغم من ذلك هوجم الفيلم في الولايات ... وفي ألمانيا لأنه «لم يذهب كفاية» في تقديمه ... بين الرجلين، وكان المخرج قد حذف مشهدا ... ضروري بين الصديقين، لكن لو لم يتم حذف ... لقامت جماعات الشذوذ الجنسي، وهي تزداد ... الرأي العام على نحو أو آخر، بالمطالبة بما هو ... الرغبة تبدت حينما عرض الفيلم في مهرجان ... السينمائي الأخير حيث هوجم من قبل البعض ... خجله من تقديم المشاهد الإباحية». إلى جانب ... ن وربما الأوربيين إجمالا، لا يفهمون أن المجتمع الأمريكي ـ على خلله ـ ما زال محافظا في كينونته الاجتماعية والأخلاقية، بحيث لا يمكن بيع فيلم تصنعه هوليوود بميزانية تصل إلى ٢٥ مليون دولار على نحو ... يرضي القلة ويثير نقمة الأكثرية. هناك ما لا علاقة له ... الفيلم وطروحاته في مثل هذا الهجوم، المتنقدون ـ ... وحلهم من الشواذ ـ يريدون محاصرة الفيلم، وجمهوره ... الواسع كونه لم يحفل بمشاهد تفصيلية ترضي رغباتهم، ... ولو أن الفيلم عمد إلى ذلك لما اختلف ـ إلا في القليل ... ـ عن أي فيلم خلاعي pornographic تنتجه ... سينما تحت الأرضية المتخصصة.

كما أن في ذلك الطرح المحدود في آفاقه من قبل تلك ... الجماعات التي ابتليت بها المجتمعات كافة، تقليلا من ... أهمية ما يحاول الفيلم طرحه على بساط أكبر من مجرد ... شذوذ بطله وما يئول إليه.

«فيلادلفيا» دراما شارك في كتابتها المخرج جوناثان ... دمي مع رون نايزوونر حول محام شاب اسمه أندرو ... باكيت كان قد انضم حديثا لمؤسسة محاماة كبيرة في ... فيلادلفيا اكتشفت لاحقا أنه مصاب بالإيدز ففصلته، ... وفعلت ذلك في الوقت الذي ارتكب فيه باكيت خطأ كاد ... يسبب في ضياع أوراق وملفات قضية مهمة مما سمح ... للمؤسسة بالتظاهر بأن تساهله في العمل ـ وليس مرضه ... ـ هو الذي أدى إلى الفصل. يدور أندرو باحثا عن محام ... يتولى قضيته إذ يريد تقديم المؤسسة ذاتها إلى المحكمة، ... وفي النهاية يصل إلى محام أسود اسمه جو ميلر «دنزل واشنطن» الذي يعتذر بدوره عن المهمة ويسارع بعد الزيارة ليسأل طبيبه إذا ما كان من المحتمل أن يكون التقط الإيدز بمجرد مصافحة الرجل في بيته، يكشف جو لزوجته عن موقفه المعادي للشاذين والمتمسك بالحياة الذكورية الطبيعية الموهوبة له. لكن جو يغير رأيه من موقف إنساني عندما يجد أندرو يحاول دراسة وضعه القانوني في إحدى المكتبات العامة محاطا بجو معاد من بعض الحاضرين، في مقدمتهم ـ ولو بتهذيب جم ـ ... المكتبة الذي يقترح على أندرو، بنوع من الإلحاح الانتقال إلى غرفة خاصة، وإذ يتبنى جو القضية يتيح لنفسه فتح نافذة تغيير في موقفه المعادي يكاد يصل إلى حد الليبرالية الفعلية. وهناك مشهد مهم جدا يشي بذلك يقع قبيل الجلسة الأخيرة من المحكمة عندما يجتمع جو بأندرو للتمرين على الاستجواب، لكن أندرو غير مكترث للتمرين ويلفت نظر جو إلى أغنية ماريا كالاس الأوبرالية المنبعثة من تسجيل، ثم ينهض أندرو إلى وسط الغرفة ليترنح ويدور حول نفسه راقصا مستمتعا



□ ماري ستينبرجن تؤدي شخصية المدافع عن المؤسسة

بالأغنية، يرقب جو أندرو متحسسا موطن الألم النفسي العاصف الذي ينتاب أندرو في ذلك الحين، بعد قليل يترك جو المكان مسرعا «يحمل بيد سترته وبيد أخرى معطفه وحقيبته» ويغلق الباب وراءه، لكنه يقف مترددا: أيمضي مبتعدا أو يعود لأندرو ويواسيه؟ إذ يقرر الابتعاد، نراه في المشهد التالي يصل إلى بيته ويستلقي سريعا حاضنا زوجته، إن المعاني النفسية التي حاول المشهدان تقديمهما منوطة بقراءة ما كان يتفاعل في شخص جو وهو يرى أندرو الواهن يرقص ما يمكن أن يفسر برقصة الموت، لقد وجد جو نفسه مشدودا للجانب الإنساني من وضعية أندرو، للألم الذي يعاني منه، لكنه جانب هو في ذاته مخادع ومثير إلى حد أن المرء منا لا يستطيع أن يثق بقدرة جو على الممانعة فيما لو كان أندرو يرقص وهو في كامل قواه وعافيته. وإذ ينتبه جو إلى الموقف الذي بدأ يتغير حوله، يهرع خارجا، ثم

يتـوقف مترددا قبل أن يمضي إلى بيتـه ويحتضن زوجتـه: الصورة النموذجية للرجل المستقيم والطبيعي والملاذ من كل التحـولات الشـاذة في نهايـة الأمـر، هنـاك يجد جـو راحته، هناك سيبقى.

مواقف وقراءات

قبل ذلك كنا شـاهدنا بدء المحاكمـة وجلساتها وكيف حـاول المحـامي جـو وضع المؤسسـة في مـوضع المتهم لاختراقهـا قانـونـا يحزم «التمييـز ضد المعـاقين» وسعيـه لإثبات تهم التمييـز على المؤسسة «التي يرأسهـا محام يقرر أنـدرو أنه كـان قدوتـه الصـالحة ويقوم بـدوره جاسـون روبـاردس»، من ناحيـاتها تحاول المحاميـة بيليندا كـونين «مـاري ستينبرجن» المنتدبـة للدفـاع عن المؤسسة إظهـار تهاون أندرو في عملـه وخداعه، بمحـاولة إخفـائه حقيقة إصـابتـه، وأن المؤسسة لم تقـدم على مـا تستحق العقـاب عليـه. في النهـاية يقـرر المحلفـون بأن أنـدرو على حق في دعواه وعلى المؤسسـة أن تدفع له تعويضـا «تجاوز الأربعة ملايين دولار»، لكن هذا ليس قبل أن يسقط أندور مغشيا عليـه بعـد الاستماع إلى شهـادتـه ولـو أن الفيلم لا يحاول الإيحاء بأن قـرار المحلفين جاء عـاطفيـا، وأحـد المشاهـد الأخيرة يكشف عن الـرحلـة التي قطعهـا جـو وأدت إلى تفهمه للـوضع المؤلم الذي يلم بالمصـاب، فهو يجلس على سريـر المرض دون ممانعـة وهـو الـذي كان يخاف انتقـال العـدوى إليـه بمجـرد المصـافحـة، لكن إذ يخسر أنـدرو حياتـه، يربح جو تلك الحياة المستقرة بالإضافة إلى ما يتبناه من موقف متحرر من العقد والتطرف تجاه حاملي المرض.

«فيـلادلفيـا» بكل هـذا الاستعـراض، ليس فيلما عن حـامل الإيـدز فقط، بل ــ وربما أساسا ـ عن الرجال المستقيمين غير الشـاذين ومـوقفهم، وهـو إذ يعتبر من الخطأ اتخاذ موقـف مناوىء من الشـــاذين قـــائم على المعـــاداة الهوموفوبية التي تنطلق من الخوف النفسي من التحـــول إلى شـــاذ أو معاشرة أبناء الجنس الـواحد، يشق طريقا معتدلا بالنسبة لأندرو الشاذ فـلا يخطئـه ولا يتبناه أيضـا. وهـذا الخط الـوسط يسيطـر على الفيلم المنتمي إلى التفكير المجاز عـرضـه على شـــاشـة فيلـم هـوليـــوودي، ويتجلى كـــذلك في محاولـــة رسم صـورة متفهمة لا تنـاقض فيها مـا

بين أندرو وباقي أفراد عائلته من خلال مشـ كل فرد من أفراد العائلة الكبيرة عن تفهمه موقف ساذج إلى حـد بعيد، ذلك أن خـرو الأسرة ما كـان سيخلق أي اضطراب في المنـ الذي اختاره الفيلم لنفسه «بل إن من التعليـ فن كتابة السينـاريو هو ألا تقدم مشهـدا يتفـ أكثـر على كـل شيء». على أن جـو ــ وبضـ أخرى ـ ليس هو الممثل الوحيد لما يرى الفيـ يعانيه، المؤسسة هي التي تعاني من الحالة الهو وربما أكثر منها إذ تعرضت موظفـة أخرى عن طريق نقل الـدم لمعاملـة سيئة. بذلك تلك المؤسسة إلى محاكمة للمجتمع المعني أو المؤسسـة، لكنهـا ليست مـؤسسـة مثـاليـة للطبيعيين منا، لـذلك فإن محاولة تحويل المحـ اجتماعي تبقى فـاشلة لأن المفـروض لنجـا تكون المؤسسـة تعبيرا عن الغالبيـة. وفي الحـ لتحويل المحكمة إلى محاكمة اجتماعيـة من المتـوقعـة في مثل هذه الـدراميـات الاجتماعـ الأكثـرية أن تتحمل مسئـوليـة أعمالها، لكن هـذه الأهداف في أفـلام تطـرح قضـايا العصريـة لشيوعهـا، فإن توسيع رقعـة الطرح هنـا ليست في الفيلم لأن الشذوذ الجنسي يبقى مـدانا سـواء أكان إنسانا معتدلا في معارضته أو متطرفا فيها.

الرجل الأسود كضمير الأمة البيضاء

وتحتـوي المؤسسة القـانونيـة المقدمـة للمحاكمـة شريك يهودي واحد اسمـه بوب سيدمان «يـؤديه المـ



□ روبين ويليامز في «مسز داوتفاير» الرجل في ثياب المرأة

ون فوتر» وهو المانع الوحيد بإلحاق الأذى
ـشاهد القليلة التي هو فيها تقدم رجلا رقيقا
ـغلوبا على أمره، وبينما نجد ـ كمحايدين ـ أن
حب تمييز الشخصية اليهودية «في الواقع فإن
ـانونية في الغرب متشابهة عندما يصل الأمر إلى
لحها»، فإنه عند المخرج جوناثان دمي وكاتبه
ـة طروحات الفيلم الهامشية التي تتعامل
ـ المرأة وواجب العائلة وردة فعل المجتمع
تجاه المصابين. وبادىء ذي بدء تلك المشاهد
ـتجن التي يبدأ الفيلم بها مصورا أوضاع
والفقراء وأحياءهم.

الطرح الكبير الثالث لجانب ما يمثله موقف جو والمجتمع بأسره من الإيدز والمصابين به وإلى جانب معاناة أندرو من مرضه وضرورة تفهمه، هو ما يمثله جو على الشاشة كونه محاميا أسود يدافع عن مصاب أبيض ويواجه غالبية اجتماعية سوداء. هذا هو أصعب مناطق الفيلم تحليلا فقد جرت العادة على تحديد شخصية الرجل الأسود بأبعاد معينة.

إنه في حالات كثيرة تذكرة اهتمام الجمهور الإفريقي ـ الأمريكي، المعبر عما قد يصل إليه الرجل الأسود إذا ما كان مستقيما، البطل الذي يقتدى به، أو الشرير الذي يستحق النهاية التي يصل إليها. بعض المحللين كتب في الصحافة الأمريكية وربما عن كتب موضوعة، أن شخصية الأسود على الشاشة ما زالت محتمة بنوعين من الشخصيات فقط:

ـ شخصية الرجل الأسود الفحل، وهو عنيف ومتمرد وقد يكون وحشيا.

ـ شخصية الرجل الأسود المهادن، وهو مسالم وراض بطبقته ومستواه الاجتماعي.

بكلمات أخرى هناك نموذج شخصية التحري «شافت» التي لعبها على الشاشة الممثل ريتشارد راوندتري «١٩٧١» وشخصية التحري فرجيل تيبس في فيلم «في حرارة الليل» In the Heat of the Night «١٩٦٧»، التي أداها سيدني بواتييه، الأول تحر لا يأبه للمحظورات، يستخف بالرجل الأبيض وسطوته لكنه يقف دوما في صف القانون ولا يتعداه إذا ووجه شافت بعنصرية رجل أبيض تصدى له وهو حصان جامح عاطفيا، ولا يأبه للاختلاط بالجنس الآخر من اللون الآ...، الثاني ذكي ويستخدم الحجة ويقبل بوجود حاجز اجتماعي بين البيض والسود ويعتمد على إقناع الرجل الأبيض سلميا بموقفه. مقتنعا، في ذات الوقت، بمواقف الآخرين المتضاربة من حوله لا يتجاوز حده العنصري مختلطا مع المرأة البيضاء وقد لا يثيرها أصلا.

شخصيا، لم أعمد لدراسة الموضوع على أساس من هذا التحليل وأعتقد بوجود ظلالات متدرجة تتفرع منهما، لكن إذا وافقنا على أن هذين النموذجين اللذين ظهرا في الأدب والسينما السوداويين، فإننا نعيد الأصل إلى النظرة النمطية التي كانت سائدة في زمن السينما الصامتة أيام فيلم «مولد أمة» Birth of a Nation «١٩١٥» وما بعدها، كذلك فإن معنى الأخذ به القول إن كل التحرر النمطي الذي تمتع به الممثل الأسود على



□ دنزل واشنطن يلعب دور محامي المحامي. ضمير الأمة

الشاشة الأمريكية كان مشروطا بلعب واحد من هذين النوعين، وهذا ليس من السهل قبوله. ما يقبل تبنيه هو أن الممثل الأسود بقي في معظم الحالات الاسم الذي يأمل المنتجون جذب الجمهور الأسود لمن يتعاطفون معه لمثل عنهم بكلمات أخرى.

ما علاقة كل ذلك بشخصية جو ميلر في «فيلادلفيا»؟

إنها علاقة أساسية، إنها حقيقة، إنها ربما المرة الأولى التي يجسد فيها ممثل أسود ضمير الأمة الأمريكية كلها بيضا وسودا. في تحوله من «هوموفوبيك» إلى متحرر من دون أن يتنازل عن أخلاقياته، لم يعبر جو ميلر كما لعبه دنزل واشنطن، عن الرجل الأسود فقط في هذه الحالة بل أيضا عن الرجل الأبيض، وهذا هو الشيء الجديد الذي لم يسبق للسينما أن شهدته وإن فعلت فليس في أفلام ذات قوالب مصنوعة من هوليوود بصورة محافظة تخشى التفريط بأي متفرج أبيض.

لكن «فيلادلفيا» بصرف النظر عن نجاح جوناثان دمي في تنفيذه فنيا أو بصرف النظر عن معالجته الدرامية للموضوع، يبقى أول فيلم عن الإيدز تتجه هوليوود على نحو رئيسي. إنه ليس من إنتاج شركة صغيرة ولا قدمته هوليوود من دون عناء ترويجه والاهتمام به، كذلك ليس من إنتاج تلفزيوني تستهويه العائلات.

من ذلك الطاقم الثانوي، كإنتاج شهدنا سابقا «صاحب قديم» Longtime Companion و«النهاية المعيشة» The Living End وأخيرا فيلما تلفزيونيا عنوانه «والفرقة واصلت العزف» And the Band played on.



□ ريتشارد راوندتري صورة للفحولة السوداء

البعض يصف العملية بأنها جرأة من هوليوود أن تقدم على إنتاج فيلم رئيسي عن الإيدز، لكني أميل للاعتقاد بأنها عملية منطقية تجاريا في الأول والآخر، مخرج معروف مع ممثلين - نجمين - وموضوع يعرف كيف ينتقي خطواته بحذر فلا يغضب أي طرف غير متعنت أو متطرف، كل هذا يصنع فيلم «فيلادلفيا» على النحو الخاص الذي هو عليه من دون أن يكون فيلما فنيا رائعا «أو حتى لافتا للنظر على هذا الصعيد»، وهذا لا يؤكد مطلقا أن هوليوود ستنتج أعمالا أخرى من هذا النوع لأنه من الصعب تحقيق عمل فيه كل هذه المعادلات وناجح تجاريا أيضا، «فيلادلفيا» قد يكون الأول وعلى الأرجح الأخير لبعض الوقت، لا علاقة لها بالشذوذ ولا بالمرض الذي قد يحملونه، إنه تاريخ ليس بالبعيد في السينما الأمريكية، إلى جانب تلميحات لم تكن واضحة لمشاهدي فيلم «السير في الجانب الموحش» Walk in the Wild Side (أخرج ديماتريك عام ١٩٦٢)، خرج في ذات ال... «ساعة الأطفال» The Children's Hour «ويليام وايلر» عن مسرحية ليليان هيلمان، نفسها كانت خرجت فيلما عام ١٩٣٦ لك... تقديم بطلتين شاذتين تم استبدال الوضع... وامرأتين. هذا على عكس السينما الأوروبية ا... عرفت أول فيلم من هذا اللون عام ١٩١٩ أنتجت ألمانيا فيلما صامتا، والاهتمام الأور... منتقلا ما بين أفلام ألمانية إلى فرنسية وبريطا... وإن لم يتحول يوما إلى تيار حقيقي.

تأخر الولايات المتحدة في تقديم الموضوع يكشف عن مقدار اعتمادها على إرضاء السواد الأعظم من الناس. هذا مع العلم أن الشخصية الثانوية المقدمة في السنوات القليلة السابقة تدرجت غالبا من شخصيات غير محبة إلى شخصيات مكروهة تماما

في «النـــوم الكبير» The Big Sleep عن رواية رايموند شاندلر البوليسية التي نقلت مرتين إلى الشاشة، أحد زبائن التحري بطل الفيلم مخنث وهو يلقى مصرعه بعد قليل من الأحداث. وإلى جانب أنه شرير مطلق في فيلم جوناثان دمي السابق «صمت الخراف» نراه متمثلا في فيلم «حاسة أساسية» Basic Instinct بشخص بطلة الفيلم، شارون ستون التي يعشقها الجميع ولكنها قاتلة باردة، صحيح أن الفيلم لا ينتهي بقتلها لكن بعض الجماعات تظاهرت ضد الفيلم لأنه «يرسم صورة غير صحيحة» للشواذ.

هذا النوع من الاحتجاج تحول حديثا إلى ضغط لوقف نظرة هوليوود الساخرة أو المعادية للشاذين، فحأة صار الإنسان المستقيم هو المحاصر حيث لا يستطيع تقديم وجهة نظره المعادية أو المناهضة حول الموضوع.

في الفيلم الحديث «مسز داوتفاير» Mrs Doubtfire يتنكر روبين ويليامز في دور امرأة على أن الفيلم يقدم له شقيقا شاذا تماما وبصورة محببة كأنما تريد أن تعلن بداية نهاية تنميط الشخصيات الشاذة، هذا إذا ما حدث، فإن هوليوود ستجد نفسها بلا ملامح خاصة لواحدة من أهم شخصياتها منذ بدايتها إلى اليوم: الشرير.□



من تاريخ الجرائم السياسية:

اغتيال الرئيس الفرنسي دومر

بقلم: الدكتور عبدالوهاب حومد

المجرم الذي يرتكب جريمة بدافع سياسي، أو الذي يعتدي على حق سياسي يحميه القانون، هو «المجرم السياسي».... وكان هذا المجرم يعاقب منذ تشكل المجتمعات الأولى بقسوة متناهية... وكان الإجرام السياسي يستهدف - في العادة - الأشخاص البارزين في الدول، بعد قيامها، كالرؤساء والوزراء وقادة الأحزاب.

نادى تيار فقهي حديث منذ العشرينيات من القرن الماضي، بتحسين معاملة مرتكبي هذا النوع من الإجرام، واستجاب بعض كبار الفقهاء إلى الدعوة الحديثة فأشرعوا أقلامهم دفاعاً عن مجرمي الرأي وأثبتوا للرأي العام المتحفظ أن هؤلاء «المجرمين» نوع كريم ومختلف جذريا عن المجرمين الآخرين، كالقتلة العاديين واللصوص وهاتكي الأعراض... وقد وفقوا، في خاتمة المطاف، إلى إقامة نظرية الإجرام السياسي، والتي سبحت على سجيتها في المجتمعات المتحررة.

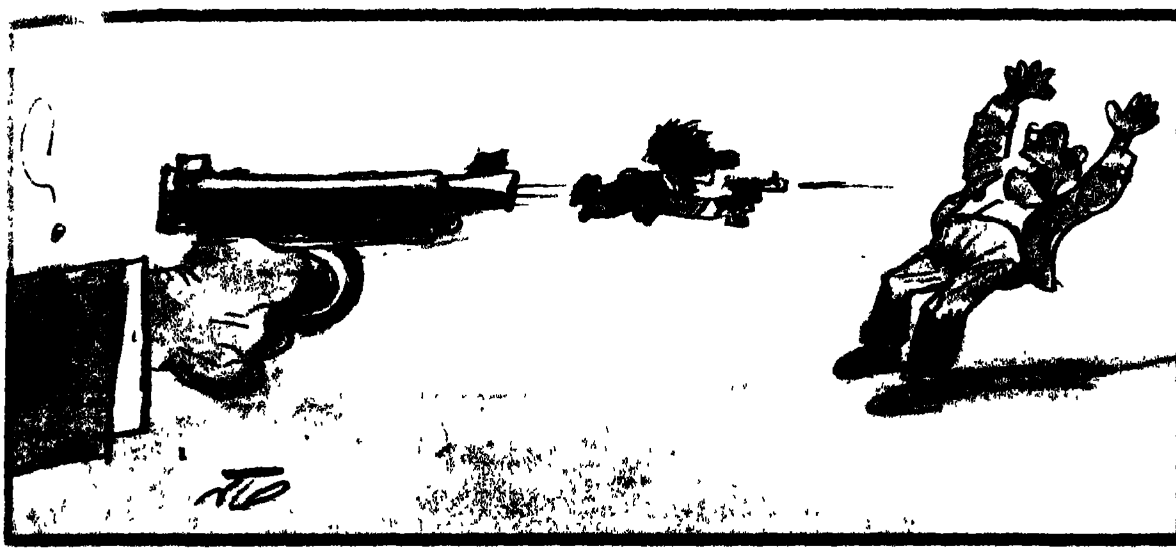
وفي هذا المناخ المواتي، وقعت سلسلة من الجرائم الكبرى، منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين،

تكتسي (نظريا) طابع الإجرام السياسي... وقد سقط في عداد ضحاياها ملوك ووزراء وساسة وقضاة... استهدفهم المجرمون، ليكون الإعلان بقتلهم عن المبادىء الحديثة، أشد وقعاً في المجتمع، وتكون احتمالات تغيير وجه الدولة، أو حتى تغيير كيانها من أساسه، أوفر حظا من الدعاية بالكلمة والإقناع. نذكر منهم لنكولن رئيس الجمهورية الأمريكية وقيصر روسيا وغاندي وجون كنيدي وأنديرا غاندي..

وقد وقع خيارنا على إحدى هذه الجرائم الكبرى، كنوع من الجرائم المؤثرة في حياة المجتمعات التي

٢٤ حزيران/ يونيو ١٨٩٤.

في ذلك اليوم من أيام الربيع الباريسية ال مجلس الوزراء جلسة عادية برئاسة الرئيس فيها إقرار حركة تنقلات واسعة الدبلوماسي. وفي نهايتها أخبر الرئيس و سيذهب بعد الظهر إلى معرض «أصدقائه الأدباء المحاربين» ليشهد معرضهم للكتب وعرضوها للبيع... وقد يكون في ذهنه أنه يساعدهم على ترويج مؤلفاتهم! والمؤلفون يحصلون من الناشر إلا على «أذن الجمل».



هزتها، دون أن تحدث فيها تخريبا كبيرا، إلا أنها نبهت المفكرين إلى خطر بعض مرتكبيها وتأصل الإجرام في نفوسهم، فدعوا إلى إدخال تعديل جذري يكون من شأنه إخراجها من مفهوم الإجرام السياسي الصافي الينبوع، وإدخالها في مفهوم الجرائم الفوضوية وأعمال الإرهاب، ليعاقب مرتكبوها معاقبة المجرمين العاديين. وهذا ما أخذ يستقر في التعامل القضائي، بدءا بكازيريو ومرورا بقاتل الرئيس دومر.

هذه البداية

في مساء يوم ٦ آيار/ مايو من عام ١٩٣٢ سقط رئيس الجمهورية الفرنسية المسيو دومر قتيلا برصاص لاجىء روسي إلى فرنسا، لم يَرْعَ حق الضيافة. وكان سبقه إلى القبر رئيس آخر لجمهورية فرنسا قبل اثنين وثلاثين عاما بسكين لاجىء إيطالي في مدينة ليون يوم

وقد تولت إدارة الشرطة والأمن العام حراسة الرئيس وتنظيم سير موكبه. ولم يكن الرئيس مستسيغ شدة الإجراءات التي تحيط به وإبعاد الناس من حوله... وأبدى في الأسبوع الماضي هذه الملاحظة لكبير ضباط الشرطة: «إني لا أرى جدوى حدية من صرامة هذه الاحتياطات»..

في المعرض كانت خطوات الرئيس بطيئة متثاقلة، لأنه كان يتوقف أمام كل مؤلف، فيبتسم له ويتحدث معه قليلا. وحين وصل إلى معروضات الأديب المعروف كلود فارير، أهداه كتابا من كتبه عنوانه «المعركة» (La bataille)، وكان مجلدا تجليدا ثمينا، وأخذ الرئيس يقرأ الإهداء مجاملة للمؤلف ويشكره عليه.. وفي هذه اللحظة — وفيما كان المصورون يلتقطون الصور التذكارية — انطلقت في اتجاهه رصاصة، أطلقها عملاق تسلل من بين المحيطين به، ولكنها لم تصب أحدا. غير أن صوت العملاق

بجة سلافية، يقول: «هـذه البداية»... وأدرك أن هذا الرجل الـذي يمسك في يده بمسدس، يسعى إلى قتل رئيس الجمهـورية... ولكنـه لم وقتا ليفكـروا فيما يجري، لأنه وجـه مسدسـه هذه المرة إلى الـرئيس وراح يطلق النار عليـه، الرصاصة الثانية خلف أذنه اليسرى فاخترقت حرجـت من خده الأيمن، وأصابته الـرصاصة تحت إبطه... فألقـى أحد الـوزراء بنفسـه على أمسك بمعصمه. ولكن الجمهـور الذي أصابه أعاقه بفوضاه عن السيطرة عليه سيطرة تامة، غير



□ الرئيس الأمريكي الراحل كنيدي. (اغتيل عام ١٩٦٣)

ـه تمكن من ثنـي المسـدس في اتجاه الأرض. وأطلق لمجرم الطلقة الـرابعـة فأصابـت يد منظم المعـرض، عـدما ألقى بنفسـه بين القاتل والـرئيس ليحميه منـه. ولكن الأوان قـد فـات، وتبين أن إصـابـات الـرئيس كانت بليغة، وتهاوى إلى الأرض في هـدوء ووقار ويده على عنقه، وأصبح لـون لحيته البيضاء المهيبة أحمر قـانيا من نزيف دمه... وفي الحال نُقـلَ إلى أقرب عيادة حيث ظل يصـارع الموت ليلـة بطـولها، ثم استسلم إلى قـدره وقضى نحبه في صباح اليوم التالي.

وقد استسلم القاتل لرجـال الشرطة دون مقاومة... وفيما كـان هـؤلاء يجرونـه إلى الخارج، كـان يصرخ في انفعال شديـد ويداه تلوحان بحـركات عصبية، فسقط من تحت سترتـه كـراس استخـدم فيها بعـد لإثبـات تصميمه على القتل، عنوانه:

«مذكرات بول غورغولوف رئيس الحزب السياسي الفـاشي الـروسي، الـذي قتل رئيس الجمهـوريـة الفرنسية». ودلت التحريـات عن القاتل بأن عمره يوم الجريمـة كان اثنين وثـلاثين عـامـا. وأنه ولـد لأبـوين روسيين فلاحين ميسـورين، وأنه حـارب أثناء الحرب العالمية الأولى في صفوف فرقـة من القوقاز الروس، كما حارب في عـدة جبهات. وقد جرح في رأسـه في إحدى المعارك. وحين أعلنـت الهدنة بين بلاده وألمانيـا انتسب طالبـا إلى كلية الطب... وتـزوج أثناء دراسته بإحدى بنات أستـاذ له كـان يوده كثيراً... ثم غـادر روسيا إلى فارسـوفيا، ومن بعدهـا إلى براغ وباريس... وأنـه كان يتزوج زوجة جديدة في كل واحدة من هذه المدن، دون أن يطلق السابقات، فأصبح عدد الزوجات اللواتي كن على عصمتـه أربعا، وهـو وضع يعـاقب عليـه قانـون العقوبات بالحبس ويرفضه التشريع الكنسي.

وكـانت الزوجـة الأخيرة تكبره بعدة سنـوات، قَبِلَ بها زوجةً لكي تساعـده على نشر بعض روايات كتبهَا، دون أن تلقى رواجا. وحين كـان مقيما في مدينـة براغ، سمحت لـه السلطات بفتح عيـادة طبية... غير أنـه ما لبث أن اصطدم بمجلس نقـابة الأطباء فيها، لأنـه كان يتقاضى أجـورا مرتفعـة غير قانونيـة، وأنه كـان يقول للمـرضى بأنهم مصـابـون بأمـراض حطيرة، خـلافـا للحقيقـة، ليخيفهم ويسهل عليـه اقتنـاصهم... وقـد سـامحه القضاء مـرة لإسـاءته معـاملـة زوجته، ولكنـه زجـره بشـدة حين حاول اغتصـاب خـادمـة تعمل في عيادتـه، فدافع عن نفسه بأنـه «ضحية بريئـة لمؤامرات شيـوعية قـذرة»... وقـد ألغى مجلس النقـابـة إجازتـه بمزاولة الطب، فخرج على وجهه هائما في اتجاه باريس، التي قبلته لاجئا إلى رحابها.

وفي هـذه المدينـة التي يجد كل إنسان فيهـا مـا يشبع ميوله، تعـرف غورغولوف إلى فتـاة سويسرية، وتمكن من إقناعهـا بالزواج منـه، مقابل صداق قـدره أربعون ألف فرنك، تحمله إليه... وما كاد يضع المبلغ في جيبه، حتى راح ينفقه دون وعي، على موائد الخمر والقمار... حتى كاد هذا المعين أن ينضب.

وحين اعترفت فـرنسـا بـدولـة الاتحاد السـوفييتي، أصيب غورغـولوف بـاضطراب شـديـد... ومنـذ هذا الاعتراف قرر أن يعتدي على أحد المسئولين الفرنسيين الكبـار، إعرابـاً عن احتجـاجه على انحـراف السيـاسـة الخارجيـة الفرنسيـة حيال وطنـه، وراح يتحين فرصـة لتنفيذ مـاعزم عليـه، وقد سنحت لـه هذه الفـرصة في

السادس من آيار/ مايو ١٩٣٢، فقتل المسيو دومر، وهو أعلى مقام في الدولة. وقد أحاله التحقيق الابتدائي إلى محكمة الجنايات الباريسية، ليحاسب أمامها عما اقترفت يداه، ويدافع عن نفسه، كما يحلو له أن يفعل.

وعقدت محكمة الجنايات أولى جلساتها يوم ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٣٢ في مقرها العادي في قصر العدل، برئاسة أعلى القضاة مرتبة، وكان المستشار أوجين دريغوس.

وبسبب فقر المتهم ندبت له المحكمة واحداً من ألمع محامي باريس وأكفئهم، ليدافع عنه مجانا، هو الأستاذ هنري جيرو، وهو وضع يشترطه القانون بأن يكون لكل متهم في الجناية محام يدافع عنه... وبدون ذلك تكون الإجراءات باطلة.. وقبل هذا المحامي الكريم القيام بهذه المهمة الشاقة والكريهة، شعورا منه بأنه يقوم بواجبه المسلكي والأخلاقي تجاه عدالة وطنه، التي توجب أن يُمكّن كل متهم من الدفاع عن نفسه، مهما كانت جريمته وضيعة!... ولقد قام هذا المحامي بأعباء هذا الواجب بكل صدق وإخلاص وكفاءة.

صك الاتهام

وأمر رئيس المحكمة بتلاوة صك الاتهام، الذي وضعته الغرفة الاتهامية (قضاء الإحالة)، وقدمته النيابة العامة إلى محكمة الجنايات، مشفوعا بادعائها



□ غاندي الزعيم الهندي قتل بالرصاص عام ١٩٤٨.

على القاتل غورغولوف. وبدأ الرئيس ب... المتهم: أنت يا غورغولوف متهم بقتل الـ... رئيس الجمهورية الفرنسية، فماذا تقـ... التهمة؟.

وأجاب المتهم: أجل... إني شعرت و... بتلبسني ويدفعني إلى القتل... كان في صا... أناس كثيرون، وقد وقع خياري على هذا الشـ...

وقال له الرئيس: كنت تعيش في فرنسا ... المسيو دومر رئيسا للجمهورية الفرنسية، وقر... ريب سيرته في الصحف أثناء الحملة الا... وعرفت أنه طاعن في السن، وأنه قدم أر... لانتزاع النصر على ألمانيا المعتدية وحلفائه... لإنقاذ الديمقراطية وخدمة جميع الدول، ومنها وطنك روسيا، فهل تعرف كل هذا أم تجهله؟.

وأجاب المتهم: أجل أعرفه، ولكني أقرر أني ... أقتل المسيو دومر، ولكني قتلت رئيس الجمهورية، الذي يوجّه السياسة الفرنسية.

وأنهى الرئيس الاستجواب.. ولكن المتهم لم يتـ... فقد وقف ليصرخ معزوفته المشئومة:

اسمعيني يا فرنسا! هناك مؤامرة رهيبة تحاك ضدي! لقد أرادوا ابتزازي، أنا غورغولوف عدو الشيوعية الأكبر! لقد خيّبت فرنسا آمالي فيها.

ووجد المحامي الكبير فرصة مناسبة ليبرر للمحكمة مظهرا من مظاهر جنون موكله، فذكر بأن المتهم أرسل عام ١٩٢٩ مذكرة إلى أحد علماء براغ الفيزيائيين يسأله عما لديه من معلومات عن الصاروخ الذي يقال إن عالما ألمانيا يدعى أوبرت Oberth يعمل على تطويره. وأن هذا الصاروخ سوف ينطلق للتجول بين الكواكب!.. وأعرب له غورغولوف عن رغبته بأن يكون أول مسافر إلى القمر على متن هذا الصاروخ، لأنه يكره أن يعيش على هذه «الأرض النجسة».

وقال المحامي: أرجو أن تأخذوا هذه «الأوهام الهذيانية» في الاعتبار يا حضرات المحلفين، حين تختلون لتقرروا مصير هذا المتهم!..

ولم تقم أية صعوبة في سبيل إثبات نسبة الجريمة إلى المتهم، ولا في إثبات العمد مع سابق الإصرار والتصميم. فقد شهد عدة شهود أنهم رأوا المتهم يطلق النار على المسيو دومر، وأن المتهم نفسه اعترف بكل وضوح بأنه ارتكب هذا القتل، وأنه خطط له... كذلك فإن ثلاثة من الأطباء المختصين بالأ...

عقلياً أكـــدوا أن المتهم سليم التفكير متمكن من ضبط على ما يـريد، لـذلك فإن مسئوليتـه الجنائيـة كاملة لكن خبراء آخرين، قدمهم الـدفاع، قالوا عنه إنه غير مسئول.

وقائع محاكمة

بعد انتهت المحكمـــة من سماع الشهـود، طلب الرئيس من الخبراء أن يتقـدمـــوا لـلإدلاء بخبراتهم. وكانوا ثلاثة قدمهم جانب الاتهام، ليقولـوا ما إذا كان المتهم سليم العقل أم لا، اختيروا لتخصصهـم بعلـم الأمراض العقليـة، وكلفوا بفحصه وتقديم تقـرير عن حالته العقلية.

وأكد أحـدهم: «إننا فحصنا المتهم في حريـة تامة... ولقـد قيل لنا بأننـا إذا وجـدناه مجنـونـاً، فإنه سيعـامل كمجنون، وإلا فسـوف يحال إلى القضاء. وقد وجـدناه سليما معـــافى ولا يعـاني من أي اضطـراب عقلي، ولا يوجد فيـه أي عاهة جسدية، يمكن أن تؤثـر في سلامة عقلـه... صحيح أن لـه نفسيـــة خـاصـة، إلا أنها غير متسبّبة من مـرض نفسي، وإنما من أسباب عرقيـة. فهو روسي قوقازي، وتربى تـربية معينة، كانت هي السبب في توجيهه هذا التـوجيه السيىء..! إن هذا المتهم يمثل حالة نفسية يعاني منها كثير من المنفيين الذين طردوا من بلادهم، وراحوا بحكم الضرورة يتنقلون مـن بلد إلى آخر على غير هـدى... وقـد تأكـدنـا من فحصـه بأن شخصيتـه لا تـدل على وجــود أي عـرض مـرضي في قدرته العقلية».

وطلب طبيب روسي كان في القاعة أن يدلي بأقواله، فأمر الـرئيس بسماعه على «سبيل المعلـومـات»... أي دون اداء اليمين القـانـونيـة، فقال إن اسمـه الـدكتـور لفوف Lvoff وإنه يـؤكد للمحكمـة الموقرة أن المتهم مريض عقليـا، وأنه لا يجوز أن يحاكم كمسئول جنـائيا عن جريمة ارتكبها، دون أن يدرك ما يفعل.

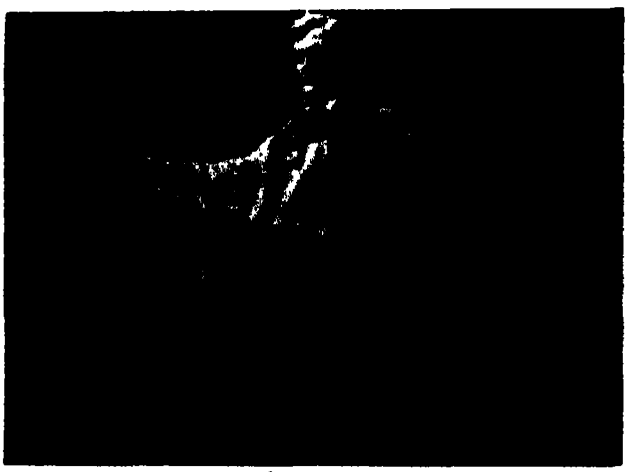
وإنه لأمر يدعو إلى الإعجاب، أن تفسح المحكمة في مجال القول لكل من يعتقد أنه يستطيع أن يساعدها على كشف الحقيقة، حتى لا يبقى ظل من الشك يحوم حول تجردها ورغبتها الصادقة في إحقاق الحق، بصرف النظر عن سمو مكانة الضحية وضآلة شأن القاتل.

وقد رد الخبير الفرنسي على الطبيب الـروسي بقوله: «لقد ناقشنـا مع هـذا الخبير أقـوالـه، وأدهشتنا كثـرة حـركـات يـديـه التي ذكـرتنـا بحـركـات يـدي غـورغـولـوف... ومع ذلك فلـم نقل عنـه إنـه ــ لهذا السبب ــ مجنون، إنه بـلا ريب طبيب ممتاز ولكنه روسي ونفسيته سلافية».

وتابع الخبير الفرنسي قوله: «وقد انتهينا إلى أن المتهم سليم العقل، وغير مصـاب بأي وسواس اضطهـادي، ولا هو مصاب بذهان نفساني (بارانويا)..».

ورد المتهم على تقرير الخبرة بقوله:

«إني لا أطلب الرحمة، لأنها غير مـوجودة في الحرب السياسيـة، ولكني أقول إن هـذا الطبيب الفرنسي مجرد



□ ابراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قتل عام ١٨٦٥م.

من الضمير المهنـي، فهـو لم يفحصنـي أبـــداً ولم يهتم بحالتي النفسيـة أو العقلية، بل إنـه لم يضع أصبعه على نبضي... إني طبيب، ولا أنتقد هـؤلاء الأطباء حسدا أو غيرة منهم، إنما أنتقـدهم لأنهم لم يهتموا بي! اسألـوهم لماذا قتلت رئيس الجمهوريـة، وسترون أنهم لا يعرفون كيف يجيبونكم..».

شهود الدفاع

وبـانتهاء هـذه الخبرة، انتهى دور شهود الحق العـام وخبرائه، وجـاء دور شهود الـدفاع وخبرائه... الـذين وافقت المحكمـة على سماعهم، حمايـة لحقوق الـدفـاع التي يصر القانون على احترامها.

وقـال الخبير الأول، الذي لم يفحص المتهم طبيـا أو عقليا، وإنما درس خَطَّهُ فقط: «إنه حـالـة صعبـة، لأنه يجب أن يصنف في زمرة المرضـى الذين يُعرفـون بأنهم «حالة حدود»، أي أنصاف مجانين، أنصاف عقلاء، ولا

نعرف كيف نعاملهم، لأنه توجد بين المختصين آراء عديدة بشأن معالجتهم... وإذا كان خبراء الادعاء الثلاثة السابقون يؤكدون أن غورغولوف سليم العقل ومسئولا جزائيا، فإن قولهم هذا يعني أن أنصاف المجانين أصحاء العقول مائة بالمائة، وأضاف: إنني شخصيا لو دعيت لفحص المتهم لقررت بأنه مريض عقليا، وإني ألوم الخبراء المذكورين على أنهم جزموا بسلامته العقلية... ولكن الذي يتعمق في دراسته سيجد بأن في حالته ما هو في صالحه وما هو ضده... إنه حالة فيها مجال لشك كبير، وأنا أشعر بكثير من الحرج في اتخاذ موقف مطلق حياله... وخير حل هو أن يقرر المحلفون بشأنه ما يرتاح إليه ضميرهم».

وانتهز المتهم الفرصة، فصرخ يقول:

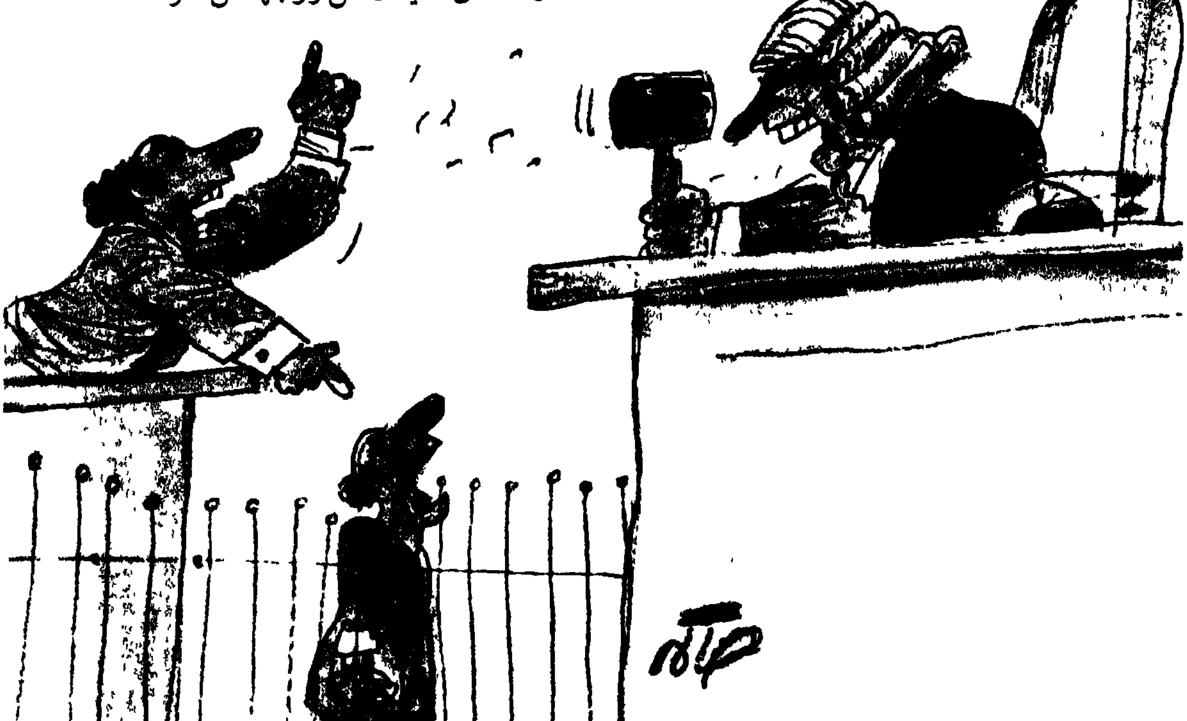
«رجل واحد استطاع أن يفهمني، هو هذا الطبيب! وإذا قضيتم علي بالموت، فإني سوف أموت شهيدا، وكأني نبي أو جندي سقط في ساحة القتال..».

وقال الخبير الثاني، وهو الدكتور تولوز، صاحب مدرسة شهيرة في دنيا الطب الشرعي: «إني لا أستطيع أن أبدي رأيي في حالة المتهم قبل أن أفحصه بضعة أيام... وإنه لأمر في منتهى السوء أن يختلف الخبراء في قاعة المحكمة، ويصدر عنهم رأيان متناقضان... فقد كان عليهم أن يتناقشوا في غرفة مغلقة... وإذا تعذر عليهم أن يتفقوا على حل موحد، فإن من يختاروا خبيرا مرجحا يكون حكما بينهم يقبلوا برأيه، ويقدموا تقريرا موحدا للمحكمة جميعا..».

واعترض النائب العام على أقوال هذا الكبير، قائلا له: «إن هذه الطريقة التي تنادي في دعوى حليب (أي في خلاف مدني) دعوى دم»..

وقال الخبير الثالث: «إن المتهم مريض (بارانويا)، وهو ضائع في عالم غير واقعي، مجنون. فهو في كتاباته يقارن نفسه بيسوع على القدس، كما بكى هو على أطلال وطنه الشيوعية». وأنهى الخبير أقواله بالجزم بأن جميع أنماط المجانين!..

وأقبلت زوجة المتهم، وهي في ملابس الحزن ودموعها تسيل على خديها وحين شاهدها المتهم وقف، وهو يتنهد بحرارة ويقول: عفوا، عفوا الرئيس بأن القانون لا يجيز سماع شهادتها، لا في صالح المتهم ولا ضده، ولكنها تستطيع أن تدلي بأقوالها دون أداء اليمين، وهو يأمل منها أن تقول الحقيقة .. من أقوالها أنها تزوجت المتهم في شهر تموز من العام الماضي، أي قبل بضعة أشهر فقط، وأنها كانت سعيدة معه، وقد تمتعت بلطفه المؤثر، لذلك صعب عليها أن تصدق ما يقال عن زوجها من سوء.



ورفـ الرئيس الكلام للنائب العام، ليقدم مطالباته، وحجـ التي تدعم هذه المطالبات، فقال في المتهم ما لم يقله الإ م مالك في الخمر، ووصفه بأنه طبيب غريب الأطـ ، مستمتع بـالحيـاة واللحم الطيب سـادي ضاع. ير الـزوجات... وأنه شره وكأنـه «راسبوتين في المهد ... وهـو يتظاهر بـالجنون وبعدم خـوفه من الموت، كنـه لا يكـل ولا يمل من تقـديـم الطعـون عصابة يؤخر ما استطـاع ساعة العدالة، كأي مراوغ خبيث!

وتو ه إلى المحلفين، فخـاطبهم بما يحرك مشاعرهم وطيبـ والإنسانيـة قائلا لهم: «إنكـم، أيها المحلفون أمام طريقين لا ثـالث لهما: فإمـا المقصلـة لعنق هـذا المجرم أو المصح العقلي لينعم في رحـابـه المريحة... لقد سمعتم بآذانكم ووعيتم بعقـولكم ما قاله خبراء الاتهام فيه في تقاريـرهـم الأمينة الدقيقة... أما مـا قاله خبراء الدفاع فإنه لا يستند إلى سند سليم، لأنهم قالوا عنه إنه مجنـون، في حين أنهم لم يروه ولم يفحصـوه... بقيبي أن ضمائركم ستكـــون في راحـة، وكـذلك ضميري أنا، إذا أرسلتموه إلى المقصلة! وإني أحب أن تعلموا أن ردائي الأحمر ليس شعـارا للانتقـام، فأنا لا أخضع إلى أي مؤثر، لا للحكومـة ولا للقانون نفسه، لأني لا أستمـد قنـاعتي إلا من ضميري ولا أقـدم مطالبـاتي إلا مستمـدة من مشـاعـري بـالمسئـوليـة وحدها... إن يد هذا المجرم الأثيمة، وهو غريب عنا، نشرت الحزن في بلادنـا ونكست أعلامنـا، دون ذنب جنيناه حيـاله، لذلك فإني أطالب بـاسم وطني وباسم الشريط المذهب الذي يرصّع قبعتي بتسليمه إلى أيدي الجلادين، ليذيقوه الموت الـذي يستحقه... وأي قرار آخر سيكون في نظـري تدنيسا للمقدسـات لا يطاق، وتحديا للعقل، وإهـانة لأسرة طيبة منكوبـة أغرقها في الحزن.. وإذا لم يبـــادر شعب بـــاريس إلى شنق غورغولوف فور وقـوع الجريمة النكراء، فلأنه يثق في عـدالتكم، ورجـائي إليكم ألا تخيّبـوا آمـالـه في هـذه العدالة..».

الدفاع

وتـاول محامي المتهم الكلام، ليقـوم بأعباء مهمتـه العسيرة في الـدفاع عنـه... لقـد كـان قانعـا تمامـا بأن القاتل المجنون، لا يمتلك قـوى عقلية سليمة... ومن منطلق هذه القناعـة خاطب المحلفين: «إني كنت أفهم شعب باريس لـو أنه لجأ تحت ضغط الغـريزة إلى شنق مـوكلي فورا وفي مكـان ارتكاب الجريمـة... أما هنـا، فأنتم ونحن في حـرم عدالـة لا تصدر عن الغـرائز... فإذا تصرفتم بـالانفعـال الـذي كـان من المحتمل أن يتصرف تحت وطأتــه الشعب البــاريسي، لما كنتم القضـاة الـذين أوكل إليهم المجتمع إقـامـة العـدالـة وإعطـاء كل إنسـان مـا يستحقـه منهـا... وهـذا هـو واجبكم المقدس!.

ولم يستسغ الحضـور هـذه الملاحظـة، فصـدرت عنهم همهمات تعبر عـن استنكـــارهـم... ولكـن المحـامي ظل متماسك الجأش، وتـابع دفـاعـه بثقـة وسيطـرة تامـة على أعصـابـه: «وإن في جذور هـذا الفعل شروداً غير عـاقل، لعاطفـة وطنية متقـدة... وإني أعيـذكم أن تفعلـوا وأنتم في حرم العـدل، مـا كـان يمكن أن يفعلـه شعب غير مسئـول فقـد أعصابه... إن مهمـة القضاء هي أن يوصل كل ذي حق إلى حقه، وليس أن يكـون أداة للانتقـام! وفرق عظيم بين العقاب والانتقام..».

وانتصب المتهم واقفاً بقامته الفارعة ليقول: اقطعوا رأسي ولكن بربكم لا تقتلوا مبادئي!..

وكان له ما أراد.. فقد قرر المحلفون أنه مسئول عن قتل الرئيس دومر، وأنه قتلـه عمداً وعن سابق إصرار وتصميم، وصدر حكم المحكمة بإعدامه بالمقصلة.

وحين سمع المتهـم الحكم، قـــال: «إني حـــاربت كعسكري شجـاع وأريد أن أعـدم، كما يعدم الجنـود، رميـا بـالرصـاص». غير أنـه سُلّم إلى الجلاد يـوم ١٤ أيلـول ١٩٣٢ لتنفيـذ الحكم فيـه، وحين سئل عن رغباتـه الأخيرة، قال اني أريد أن يصبح ولـدي طبيبا، وأن يربى على كره الشيوعية..

ونزلت السكين الثقيلة على رقبتـه، وسقط رأسه في سلة أُعدّت خصيصا لاستقباله.

ويظل السؤال القديم جديداً متجدداً...

هل كـان غورغـولوف فـوضويـاً خبيثاً ومـراوغاً، فكـان عقابـه عـادلاً، أم كـان مجنونـاً حقـاً، أو نصف مجنـون كما قيل في قـاعـة المحكمـة، فأعـدم حـرمـة لشخصية القتيل ومكانتـه وسمعته العطرة تحت وطأة الرأي العام وضغطه؟!.

سـؤال ليس لـه جـواب حـاسم... وتلك إحـدى مآسي العدالة الجنائية. □

منتدى العربي 1

من أين يبدأ التقدم؟

بقلم : خليل علي حيدر

معظم عذاب العرب وفشل المسلمين في بحثهم عن التقدم والتطور ناجم ... «الكمالية» التي ينشدونها، و«الثبات» الذي يبحثون عن... نحن نفكر بالتقدم بنفس الطريقة التي نحلم بها مثلا بالإثراء السريع أو وقوع معجزة طبية تجنبنا مخاطر عملية جراحية معقدة

لا نريد أن نقف مطولا ولا أن نفكر في التفاصيل. لا نريد أن نناقش مستلزمات هذه النقلة النوعية الكبرى في مستقبلنا، وأغلب الظن أننا نحلم بأننا قادرون على أن نجمع بين جلستنا المريحة اليوم، وما يتحدث عنه المثقفون من تقدم وتطور.

وينقل بعضنا تصوره الساذج هذا حتى إلى مستقبل انتشار الإسلام في العالم مثلا، فيعتقد أن مهمة المسلمين ستنتهي بهذه الغاية، وأن الهدوء الكامل سيعم العالم بعد ذلك، وينتشر في مجتمعات الدنيا كلها نوع من الاسترخاء الريفي الحنون.. إلى الأبد.

ولكن ما يفوتنا دائما تصوره، هو أن الوحدة العربية أو الإسلامية، أو النجاح في بناء مجتمعات عربية وإسلامية صناعية حديثة، ليس إلا البداية والمدخل، وأن طريقا طويلا لا يزال أمامنا.

فهناك مشاكل قومية وصراعات اقتصادية واختلافات سياسية وحياة يومية سيحياها الملايين من الرجال والنساء والأطفال، في مجتمعات مختلفة من ناحية درجة التطور والدخل والخبرة السياسية وغير ذلك.

إن سكان الوطن العربي مع نهاية هذا القرن سيصل عددهم إلى نحو ثلاثمائة مليون نسمة. ورغم أن دولنا ضمن البلدان القليلة الكثافة من الناحية السكانية. بما في ذلك مصر والمغرب واليمن، إلا أن نصيبنا من مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ربما كان أكثر من غيرنا.

السياحة العربية

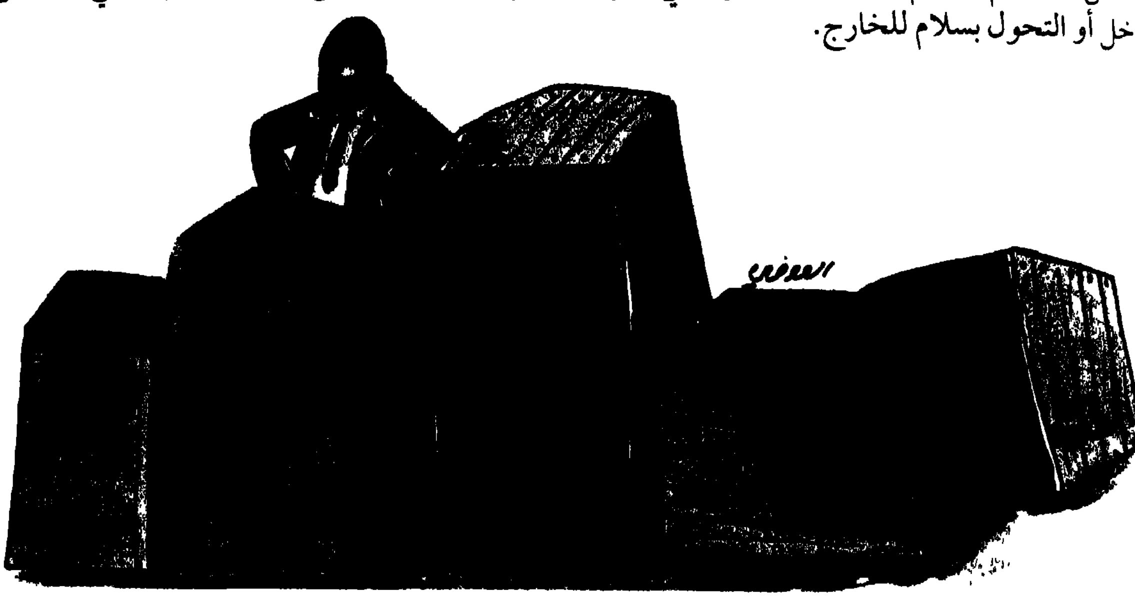
فالصناعة العربية ضعيفة، والزراعة أضعف منها. أما التجارة «المابينية»، أي التبادل التجاري بين الدول العربية، فهي تماثل الصناعة والزراعة في ضعف والمحدودية.

وهـ ـ مجال كان من الممكن أن يدر على الدول عربية ف الملايين من الدولارات، وأعني السياحة. في حين ى نصيب مصر وسوريا والمغرب، مقارنة سوريا ن إمكانات هذه الدول السياحية بكثير، لقد حقق ال ن عام ١٩٩١ نحو ٥٢ ألف مليون مارك على سياحـ م الخارجية، في حين بلغ دخل فرنسا من سياح ي العام نفسه نحو ١١٣ ألف مليون دولار.. في حين هـ ه المداخيل من مداخيل السياحة في الدول عربية حيث لا تصل في مصر مثلا إلى ثلاثة آلاف مليون دولار، رغم أن بلاد النيل تحوي أكثر من ربع آثار العالم التاريخية.. والمخفي تحت ترابها أعظم!

ولو تأملنا عملات الدول العربية والإسلامية، لرأيناها على وجه العموم ضعيفة متردية، تعاني من مشاكل التضخم وعدم القدرة على شراء شيء من الداخل أو التحول بسلام للخارج.

أو القومي أو الديني، إلى دنيا لا علاقة لها أحيانا بواقع المجتمعات العربية. ومن النادر أن يخاطب مثقف عربي أو كتاب مدرسي العقل العربي بنفس الطريقة الغربية أو الأمريكية المباشرة والواقعية والتفصيلية الدقيقة، البعيدة عن الخطابية والحماسيات.

إن فكرتنا السائدة عن التقدم والتطور لا تزال مثالية، ساذجة، غير مصوغة في ظل واقع حياة مجتمعاتنا وعناصر حياتنا اليومية وإمكاناتنا الحقيقية، كما أن تصورنا للمستقبل العربي والإسلامي على حد سواء لا يزال، رغم كل ما مر بنا، ينزع نحو شكل «غير أرضي» من الكمال الحضاري والثبات السياسي، وكأننا نريد أن نستجمع طاقاتنا، ونوحد سيوفنا، ثم ننزل على التخلف بضربة رجل واحد، ونتخلص بذلك من هذا الشر إلى الأبد، ونعيش بعد ذلك، كما تنتهي القصص



في مقدمة هذه العملات مثلا الدينار العراقي، الذي سعي أن يساوي أكثر من ثلاثة دولارات رسميا، في حين وصل سعره إلى ١٦٥ دينارا عراقيا للدولار الواحد في يناير الماضي.

تصورات ساذجة

عندما نتحدث في مجتمعاتنا وفي كتبنا ومقالاتنا عن التقدم والوحدة، وبخاصة ما يصل منها لرجل الشارع العادي من معان، لا نتحدث عن مستقبلنا بواقعية صادقة آخذين بالاعتبار الحقائق الثابتة، والسياسات السائدة، والنتائج المتوقعة، بل يجنح بنا الخيال الوطني

الشعبية، «في ثبات ونبات». فالتقدم الاقتصادي في الواقع مسئولية حضارية ضخمة قبل أن يكون امتيازا سياسيا واجتماعيا وقوميا. وهي مسئولية تتطلب شجاعة يومية وعلى كل صعيد في اتخاذ القرارات وتحمل الأعباء ومتابعة المسئوليات. وما الضغوط النفسية والأمراض الحضارية التي تعاني منها المجتمعات المتقدمة، إلا بعض ضرائب التطور الاقتصادي الذي لم يعد منه بد، إن كان أي مجتمع ينشد التقدم وتحقيق الرخاء وضمان التوظيف الكامل لطاقات الأمة.

ليس التقدم إذن مجرد امتلاك مصانع الصلب والقدرة على إنتاج السلاح. ولا يمكن للعرب

والمسلمين أن يتخلصوا من التخلف بضربة واحدة، ولا يوجد علاج سري سحري سريع شامل لهذا التخلف، ولن تنقذنا زعامة ملهمة أو أيديولوجية معينة بطريقة «كن فيكون».

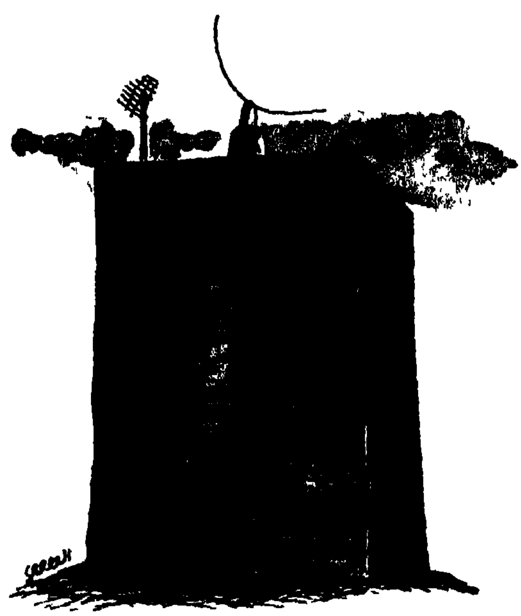
لن يأتي يوم ينجز فيه العرب والمسلمون مجتمعهم المثالي، الخالي من المشاكل، والمبرأ من العيوب والمثالب.. فنحن على الأرجح، لن ننجح فيما فشل فيه الأوربيون والأمريكيون واليابانيون!.

إن التقدم والتحديث في الوطن العربي عملية معقدة متداخلة، تتفاوت فرص نجاح تفاصيلها بين بلد عربي وآخر. ومن الطبيعي والواقعي والمفيد حتما أن تتدخل مصالح وقوى وهيئات وجماعات ضغط مختلفة في تطورها.

لا ينبغي بعد اليوم أن نفسح المجال لطغيان التصورات المثالية عن التقدم والتحديث والتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ولا ينبغي أن نبحث عن «أجيال خاصة» نقية الدين والعروبة، كي تبني دولنا. ذلك أن المجتمعات العربية، سواء بنيت بالإسلام أم بالعروبة، بالدين أم العلمانية، لن تبنى إلا بالطابوق الاجتماعي «غير الكامل المواصفات»، والذي نراه هنا في الكويت وفي مصر وفي دول الخليج العربية وبلاد الشام وشمال إفريقيا.

كيف تحصل على مليون دولار ؟

فعلينا إذن، ألا نبدأ نهضتنا من فكرة مثالية، بل من الوقائع الاقتصادية المعقدة، والمصالح السياسية المتعارضة، والمستويات الاجتماعية المتفاوتة، بل حتى من أشد أنواع الأنانيات المدنية والعسكرية السائدة. إذ لن ينزل على أرضنا بشر مثاليون، أو عرب وحديون خلص، أو مسلمون معصومون ملهمون، لإنجاز مهام التقدم الحضاري.



إن التقدم أن تبدأ من مكانك.. دون أن ... وأن تتحرك إلى الأمام، ولكن في الاتجاه الص... تستمتع بخيرات التقدم وتتحمل تبعاته.

لكي نتقدم لا بد أن نتخلى عن الشعارات ... والأهداف الحالمة. فمن يرد التقدم حقا يـ... هدفا متواضعا.. تلو هدف!.

قرأت ذات مرة في كتاب أمريكي عن ... للحصول على «مليون دولار».

ولقد علمت حقائق الحياة الاقتصادية لـ... بأن يحترموا الألف ألف دولار. وإذا سألت واحد منهم كيف حالك. وكان في أفضل حال، قال «إنني أشعر كمليون دولار»!

وكانت نصيحة الكاتب هي أن من أكبر مشاكل الباحثين عن الثراء أنهم لا يضعون لأنفسهم في البداية هدفا متواضعا، دون يجاوز أولا الحصول على خمسين ألف دولار مثلا!.

وقد يصدق هذا على أهدافنا وشعاراتنا المرفوعة، والتي تبلغ من الجمال والمثالية حدا يجعلها مستحيلة التطبيق، وإن طبقت فهي مستحيلة الاستمرار. وهكذا نرى توقعاتنا دائما في انحدار وأحلامنا في انكسار.

فالكثير من أهدافنا المعلنة تعكس خيالنا لا قدراتنا، وتعبر عن أمانينا لا إمكاناتنا.

إن الوطن العربي منطقة تزخر بالإمكانات الحضارية وفرص التقدم الحقيقية والثروات ولقد أثبتت القدرات البشرية والفنية العربية ذاتها في مختلف المهن والمجالات المتقدمة في أوربا والولايات المتحدة.

ولكن المجتمعات العربية لا تزال بعيدة بشكل مؤسف، عن إدراك الأبعاد الحقيقية والواقعية لعملية التطور ومضمون المجتمع المتقدم، والثمن الاجتماعي والسياسي المطلوب لها.

فهل نرفع عن قلوبنا وعن عيوننا هذه الغشاوة؟! □

قضية

هل توجد دراما إسلامية؟

بقلم: وليد إخلاصي

لماذا لم تعرف الثقافة الإسلامية في آزهى عصورها المتنابة الشكل الدرامي السائد والذي عرفه العالم بأشكاله المتعارف عليها، مع أنها كانت مليئة في حقبها الاجتماعية المختلفة ومراحلها السياسية المتباينة، بالأحداث والشخصيات والمواقف الدرامية، والتي لا تقل أهمية وخطورة عن تلك الأحداث والشخصيات التي صنعت الدراما الإنسانية العظيمة؟

مع رقي الفنون في العصور الإسلامية المتعددة، من عمارة وزخرفة وقصص فلسفية عالية المستوى وموسيقى وشعر، فإن أحدا من المبدعين، من عرب وغيرهم، من أقوام دخلت في نسيج الثقافة الإسلامية بتسليم أو إعجاب، لم يستطع أن يكتب بالشعر أو بالنثر شكلا مسرحيا يمكن لنا أن نقول إنه دراما مسرحية، بمعنى آخر، إن الموضوعات الكبرى أو الأحداث الخطيرة أو الشخصيات العظيمة لا تكفي لصناعة مسرح، لأن التاريخ الإسلامي أصلا مليء بتلك الموضوعات والأحداث بل والشخصيات التي لعبت دورا في التأثير فيمن حولها وفي صنع التاريخ نفسه، ومن طرف آخر، فإن المسرح لا تصنعه إلا تلك العناصر ومن دونها فإن الدراما لا تصبح فنا عظيما من فنون الإنسانية المبدعة. وليس الهدف من هذه المطالعة تقصي ذلك الخلال البين، إذا جاز المصطلح، أو البحث عن أسباب غياب الدراما من ثقافتنا العربية الإسلامية، أو في التأكيد على ظهور أو تحقق بوادر المظاهر المسرحية، فالباحثون من قبل وحتى أيامنا هذه ما زالوا منشغلين في التنقيب عن الظاهرة المسرحية سلبا أو إيجابا، ويقيننا أن التاريخ الإسلامي في رحلته الطويلة، بدءا من تشكل جذوره أيام إبراهيم عليه السلام، ومن ثم في تجليات بداياته المدهشة مع الدعوة المحمدية، وانتشاره بعد ذلك مع الفتح الإسلامي الذي أعلن تفجرات المثاقفات المختلفة والغنية مع حضارات عديدة، ومن ثم تعثراته عبر مراحل من العصور التالية وتفاعلاته اليقظة مع أمم وشعوب عديدة وإنجازاته الحضارية المدنية، هذا التاريخ الإسلامي إنما هو تسطير لدراما إنسانية عظيمة الشأن في الثقافة الكونية، وإن كانت تلك الدراما لم تأخذ الشكل الفني المألوف في أي من إنجازاتها الفنية المكتوبة.

وفي العصر الحديث، ومع اليقظة الفكرية التي رافقت نهايات مرحلة الجمود الثقافي العثماني الذي ساد قرونا، والتي لازمت فترات الاستعمار الغربي، في هذا العصر الذي بدأت فيه ثمار المثاقفة مع الغرب الأوربي على وجه التحديد بالتفتح، أخذت الدراما العربية سبيلها إلى الإبداع النثري وبشكل أقل إلى الإبداع الشعري، وضمن خط من القفزات المتلاحقة في نسق التطور، لتصبح موازية في الأهمية للشعر نفسه ولفن القص، وهما من الفنون الأدبية ذات الجذور العميقة والأهمية البالغة

للناس، وظهرت نصوص مسرحية مختلفة متباينة في مدى اقترابها من جوهر الثقافة العربية الإسلامية، أو أن نصوصا منها على قلتها وقعت في فخ التأريخ لحركة الإسلام كدين مجرد وليس كثقافة كونية شاملة، لذا فإن معظم هذه النصوص لم تحقق فهما عميقا لحركة الدراما في الثقافة الإسلامية. ومن الخطأ الشائع أن يكون مجرد التصوير التاريخي لجانب ما من الحياة الإسلامية وبخاصة ذلك الذي يحمل جانب الإشادة أو الفخر، هو تحقيقا لشيء يمكن تسميته بالدراما الإسلامية، كما حدث في أعمال صورت بطولات مطلقة وأحداثا نظر إليها من جانب واحد، دون أي تجسيد لجوهر الدراما الأساسي.

البحث عن شكل درامي

وعدد قليل من الأعمال المعاصرة المسرحية في أدبنا العربي، حاول بإخلاص وفهم فني سليم أن يعبر عن روح الدراما، كما فعل على سبيل المثال عبدالرحمن الشرقاوي في مسرحيتيه «الحسين ثائرا» و«الحسين شهيدا»، أو عز الدين المدني في «ديوان الزنج» أو صلاح عبدالصبور في مسرحيته «مأساة الحلاج» أو سعدالله ونوس في مسرحيته «مغامرة رأس المملوك جابر»، أو ممدوح عدوان في «ليل العبيد» أو فرحان بلبل في «الممثلون يتراشقون الحجارة»، أو محمود دياب في «باب الفتوح» أو محمد الماغوط في «المهرج»، وهي أمثلة قليلة للتذكير بالنسبة التي تنتمي إليها الأعمال الدرامية التي حاولت استخلاص المواقف الدرامية من الثقافة الإسلامية الطويلة الأمد، إلى الكم الهائل من الأعمال المسرحية المكتوبة. وهنا يمكن أن نؤكد أن مسرحية عربية لا تمت بصلة إلى تاريخ الثقافة الإسلامية، لا يعني أنها بعيدة عن روحها بأي حال، إلا

أن محاولتنا هذه في الاستطلاع، إنما هي للبحث
درامي للثقافة الإسلامية الغنية. ولنضرب
الجوهر الفكري لأي دراما، فنقول إن مس
كالفداء الإسلامي الذي يقابله في الثقافة الع
المسيحي الذي تجلى في فلسفة التضحية التي أ
الثقافة في تقديم السيد المسيح قربانا لخلا
فكانت أساسا للبنية الكلية لتلك الثقافة، إن
لم تتضح في الدراما العربية المعاصرة وهي تغف
إبراهيم عليه السلام وهو ينصاع لأوامر ربه و
وكيف شاءت القدرة الإلهية أن تكافىء تسلي
باستبدال الفتى المطيع بكبش عظيم، وفي هذا
أن الثقافة الإسلامية لم تدخل بقوة في بنية الإ
الأدبي الدرامي، بل إن التدين الآلي هو الذي
في تلك البنية، فكان الأثر البليغ في الآداب
السطحي الذي لا يطال العمق أو إنه الإنك
والتمرد الطفولي على الثقافة الإسلامية. ومن
الأسباب التي أدت إلى هذا أن مفهوم التراث
الكثيرين شكلا سلفيا جاهزا دون قدرة على
أنه ابتعد عن الرؤية الفلسفية الواعية والعمل
الصلب في التدقيق والتمحيص. والثقافة الإسلامية
يمكن معرفته من مدوناتها التي لا حصر
بالموضوعات والشخوص والمواقف التي
تفجر عشرات الأعمال الدرامية بل والأشكال
تفرض نفسها من خلال موضوعاتها، فلا تكون
حاجة للبحث عن «تأصيل» أو غيره للعثور على
عربي، فالمشكلة ليست في الشكل، بل هي في العثور
جوهر الدراما نفسه، وإذا كانت تلك الأسباب لم تستط
في الماضي أن تعبر عن نفسها بشكل مسرحي، فإن



تي كـ هـا الكتّـاب في عصرنـــا، تسمح لهم بـالتنقيب حدء ـنوز درامية مختبئة في رمـال الماضي، وبالـوعي يفتدن ـصحي يمكن لهم أن يشكلـوا درامـا إسـلاميـة حبيب لا ـل في أهميتهـا وجمالها عن الـدرامـا عبر الكـون سم لحديد.

التاريخ

أمثلة م

ونبد ـب أمثلـة على موضـوعـات من تـاريخ الثقافـة الإسلا ـة، أي الحياة الإسلامية عبر عصـورها، لا تعنى ي حا بتأريـخ مرحلة، قـدر ما إنها تحمل في أحشـائها يور ال ـراما العظيمة التي يتجلى فيها صراع الإنسان مع نفسه أو مع بيئتـه أو مع القـــدر الـذي رسم لـه، أو أنها تجيص لمأساة الـروح والعقل في صراعهما الـدائب من حل الكشف والتحقق.

مثال: ماذا حـدث مثلا لغيلان الدمشقـي؟ لقد أعدم ـام حكم هشام بن عبـدالملك الأمـوي، لأنه طـرح على ـس بأن الإنسـان مخير، ومثل هـذا الرأي كـان يضعـه ـاك في صف الزنادقة على الرغم مما عرف عنه من إيمان، ـتل هذا السبب ضيقت السلطات على المعتزلة، وحكاية ـعتزلة في حـد ذاتها رحم لأشكال وأنـواع من الدرامـا ـختلفـة، وهي بـاحتصـــار ابتـدأت من حلقـة «الحسن ـبصري» إذ دار هناك نقاش حول الذي يرتكب الكبيرة، ـكان ثمة رأي يقول بكفره ورأي آخر يقـول بإيمانه، ثم ـاء «واصل بـن عطاء» ليقول إن مـرتكب الكبيرة ليس ـكافر وإنه كذلك ليس بمـؤمن صادق الإيمان، فغضب ـحسن البصري فاعتـزل بن عطاء حلقته، ليتبعـه من بعد ـلك جماعة أطلق عليهم لقب المعتزلة.

في المرحلـة الثـانيـة ولنقـل في الفصل الثـاني من هـذه ـدراما، اشتهـر المعتزلـة بأنهم أصحاب الـرأي المستقل، ـهذا تكـون خصما للــــدين أطلق عليهـم «أهل النقل» ـنتصر أفكارهم على ما ينقلونه من آراء السابقين. واشتد ـعود المعتـزلـة برجـالات كبـار منهم، حملـوا لـواء العلم ـالتفكير الحر، فقـربهم المأمون الخليفـة العبـاسي المستنير، ـكانـوا بدفع منه عامـلا على نقل الفلسفة اليونـانية، التي ـبدأت كذلك خطـواتها من قبل، وفي العمل على التوفيق ـبينها وبين الإسلام. وابتدأ الخط الدرامي بالتصاعد، حين ـبر الخليفة المأمـون، الذي هـو نفسه حمى حـرية الـرأي، ـعزل القضاة الذين لا يقولـون بأن القرآن الكريم مخلوق، ـوعلى سبيل المثـــال دفع الإمـــام أحمد بن حنبـل ثمن ذلك ـتعسف. وفي المرحلة النهائية من دراما الصراع الذي قام ـبين العقل والنقل، جاء الخليفة المتوكل بسلوك من عسف آخـر، فـلاحق المعتزلـة وطـاردهم في كل مكـان، وتألب الخصـــــوم عليهـم متمثلين في شخصيتين كبيرتين هما أبوالحسن الأشعري والإمام الغزالي. هذه الدائرة المحكمة من الدراما العنيـة بالمأساة التي لحقت بالفكـر، هي أيضا تظهـر طريقـة نمو الأفكـار عبر حقب إسـلامية مختلفـة، وهي أيضـا ستكشف عن استمـرار الطريقـة التي يمكن للأفكار أن تـلاحق فيها، فتصبـح الدرامـا المحكمة، لـو كتبت عن تلك الحقبــة والأشخـــاص، نمـوذجـا يمثل العصر الحاضر أيضا، وتلك واحـدة من أهداف الـدراما العظيمة، أن تبقى حية عبر العصور.

مثـال آخر: هنـاك روايتـان حـول مصرع «شبيب بن يـزيد» الـذي تولى الحرب ضـد الأمويين بعـد مقتل زعيم الخوارج «صالح بن مسرح» وشبيب رجل قتال بكل ما في الكلمـة من معنى، وهو الـذي أثار غضب «الحجـاج» في عجـر رجالـه عن لجم قـوة الفـارس الخارجي وتهديداتـه المستمرة لهيبة الـدولة في منطقة الكوفـة وغيرها. وأما عن الـروايتين، فهي أن خيـانـة حـدثـت بين أنصـار شبيب، فقطعوا حبال الجسر المقام على نهر «دجيل»، فوقع في الماء، والرواية الثانية وهي أسطورية على ما يبدو اخترعتها مخيلة الناس لتعيش طـويلا من بعد ذلك، وتقول إنـه كانت بين يدي شبيب فـرس أنثى فنزا فرسه علـ ـا وهو على الجسر فـاضطربت ونـزل حـافر رجـل فرس شبيب على حـرف السفينة فسقط شبيب في الماء، ولم يستطع لثقل سـلاحه أن يسبح وينجو، وقدرت وفاته في العام ٧٧ للهجرة. وتصل الـدرامـا إلى دروتها في مـوقـف أمـه، وهي أسيرة روميـة دخلت في الإسـلام، وكـان شبيـب ينعى لأمـه عقب كل معركـة يخوضها فيقال «قتل» فلا تقبل، وهـو في الحقيقة لم يقتل، وعندما حدثت الـواقعة وقيل لها آنذاك «لقد غرق» فقبلت صابرة وقالت «إني حين ولدته رأيت أنه خرج مني شهـاب نـار، فعلمت آنـذاك أن رجلا مثلـه لا يطفئـه إلا الماء». وأم شبيب بحدسها الفطري والتاريخي، كانت على ما يبـدو في الحكاية تعلم منـذ قدوم شبيب إلى الدنيـا قدر ابنها في الحياة، وهـي أبدا على ما يبدو تعلم أن حيـاته منذ البدايـة التي أحستها وحتى النهـاية التي قـدرتها، إنما هي ضمن عـلاقـة الشهـاب السـاطع بـالماء القـادر على إخماد الجذوة، فـالموت التراجيدي في حقيقتـه أو في أسطوريتـه، هو تصـوير لـدراما كفـاح الإنسان، مهما كـانت عقيـدته ومـواقفه، في انتصـاراته أو في انسحـاقه، وأهميـة الثقافـة الإسلاميـة هي في أنها ساهمت في تقـديم صور ومـواقف وشخوص استطاعت أن تعني مشهد العظمة البشرية على مـد العصـور، وتبقى الحاجــة إلى كتّـاب يصنعـون منهـا الدراما الفنية العظيمة.□

علي شلش وتجربة ناقد عربي



بقلم:
عبدالرحمن شلش*

كان رحمه الله، واحداً من أبرز أصوات الضمير الفكري والثقافي والأدبي والنقدي في حيـ
العربية المعاصرة، منذ أخذ يمارس دوره في الأدب والنقد بدءاً من منتصف حقبة الخمسيـ
حتى وفاته في أثناء انعقاد مهرجان الشعر العربي الأول بالقاهـ

إن حياة علي شلش (١٩٣٥ - ١٩٩٣م) تنطوي على تجربة خصبة غنية بالفكر والثقافة، والعطاء على مدى قرابة أربعة عقود من القرن العشرين الميلادي.

ولقد قدّم في هذه التجربة الأدبية عطاء سخياً، في مقدمته أكثر من أربعين كتاباً في الإبداع القصصي، والنقد، والبحث والدراسة والتحقيق، والترجمة، وأدب الرحلات. هذه المؤلفات الغزيرة، تعكس ملامح في تجربة كاتب كبير ومثقف عربي، يمثل نمطاً راقياً من أنماط النقاد، يمتلك ثراء واسعاً من المعرفة الإنسانية، وتفهماً واضحاً لدور الثقافة في بناء الإنسان، ورؤية شاملة للواقع العربي، وأمانة كبيرة في الطرح والتناول

كانت رحلة علي شلش مع الأدب والنقد طويلة، وشاقة. فهو لم يصبح ناقداً بين عشية وضحاها، بل بالقراءة، والسهر، والتسلح بإرادة حديدية، مما ترك تأثير في بدايات صلته بالأدب والنقد، وفي تطوير نظرته إليه، ثم جاء الاحتكاك الشخصي بأدباء عصره ونقاده عملا

* قاص وناقد من مصر وشقيق الناقد الراحل

عرفة والمعايشة والمناقشة والممارسة اتاحت له
لى مفاتيح النقد وأدوات التحليل. ولأنه كان
عن الحرية، والجمال سواء له أو للآخرين، فلم
انبحث في سبيل القيم الجميلة في حياتنا، وفي
تكريسها. وهذه من أهم مهام الناقد، التي
تحقيق الوظيفة أو الدور الاجتماعي للنقد
ه وسيلة من وسائل التغيير الثقافي والجمالي.
ذلك عن طريق مؤسسات التعليم والإعلام.
لواعية. ولذا كان تفهمه لدور النقد البنّاء سبباً
ب تعامله مع النص المنقود عبر إنارة لعناصره
ته، وأسرار الجمال الكامنة فيه، تحليلاً وتفسيراً
وتقويماً. فالبحث في شبكة العلاقات المتداخلة في
صوص الإبداعية شعراً أو نثراً، هو ما كان يستهدفه في
خطابه النقدي من أجل تقديم رصد لها، وإضاءة للنص.

ومن ثم فهو يرفض الحكم على النص حكماً حاسماً، يجعل أصحاب التيارات النقدية الحديثة الجوفاء، لأن الناقد الذي يلملم بنية النص محدداً مكوناتها، أو الذي يفكك تلك البنية، أو الذي يتتبع علاماتها الظاهرة والمستترة، إنما يحكم على النص دون أن يدري. والنقد لا يمكن أن يكون حكماً نهائياً، أو كلمة أخيرة في النص، إذ النص ــ دوماً ــ قابل للمناقشة والحوار. والكلمة الأخيرة في أي نص هي التي لم تقل بعد. أوليس اختيار الناقد نصاً ما دليلاً على أنواع الحكم القيمي الذي يختلف من ناقد لآخر؟.

الناقد والعمل الإبداعي

إن الحكم على أي عمل إبداعي لا ينبغي أن يكون حكماً واحداً، لأنه يختلف من ناقد لآخر، ومن عصر لآخر، بوصفه حكماً متعلقاً بالقيمة التي تتباين حسب رؤية النظر والرصد والتحليل والمقارنة، وهي أمور تختلف بالضرورة من شخص لآخر، ومن رؤية نقدية لأخرى. ولا شك في أن ثمة وشائج أو علاقات بين الفنون الإبداعية، منذ القديم حتى وقتنا الحاضر. وهنا يتحدد دور من أدوار الناقد في عمله لرصدها. وفي ذلك يقول علي شلش: «إن فنون الإبداع تربطها قرابة المنبع والهدف، سواء أكانت كلمة أو نغماً أو خطاً أو حركة. وبسبب هذه القرابة الناتجة عن النشأة المشتركة يكون على الناقد أن يحافظ على أواصر القربى بين مختلف الفنون، ويشجعها، وينتفع بها في عمله لخير الجميع».

كما يرى: «أن النقد فن من فنون الإبداع، وأن الأدب والفن ليسا على طرفي نقيض مع النقد. فالجميع يخدمون غاية واحدة هي حاجة الإنسان إلى الزاد العقلي أو الروحي أو الوجداني». ويرى كذلك: «أن حالة الامتزاج الكائن اليوم بين الفنون المختلفة، في الغرب بصفة خاصة، يدعمها التقدم التقني الهائل في وسائل الاتصال الجماهيري. ودون الوعي بهذا الوضع يخسر الناقد المعاصر كثيراً». ويستطرد موضحاً اهتمامه بالعلوم الإنسانية: «على امتداد السنين التالية لم يتغير شيء من هذا عندي. بل ـ على العكس ـ قوي وتبلور، ثم أضيف إليه ـ بحكم اغترابي في أوربا ـ اهتمام عميق بالعلوم الإنسانية، ولا سيما السياسة والتاريخ. وقبل اغترابي في أواخر السبعينيات كان اهتمامي بهذه العلوم متوسطاً، باستثناء علوم الاتصال التي تخصصت فيها بحكم الدراسة الجامعية العليا. ولكن الغربة تزيد تغلغل المرء في ماضيه وتاريخه، وتقربه من فهم سياسة المكان والزمان. وهذا ما حدث لي. في المهجر الأوربي بدأت عندي مرحلة جديدة، ولكنها ليست مقطعة عن سابقتها».

ليس النقد سلطة عليا

وإذا كان البعض يقع في تصور مغلوط يفيد أن النقد سلطة عليا، فإن علي شلش ينفي ذلك بقوله: «النقد ليس سلطة عليا بأي معنى من المعاني، ولكنه سلطة تتساوى في جميع مظاهرها وعناصرها مع سلطة الرواية أو الشعر أو المسرحية أو أي جنس أدبي آخر تتعرض له».

ويوضح دعوته إلى تسمية النقد بالنص الموازي: «أجد في التسمية الجديدة معنى معبراً يبغي أن ينشده النقد. وليس النص الموازي منافساً للنص الأصلي، وإنما هو نص مبني عليه، لأنه يتعرض له بالتعليق أو التفسير أو التحليل أو المقارنة أو التقويم، إلى غير ذلك من مهمات النص النقدي وما دام النص النقدي مبنياً على نص آخر فهو نص مواز، وليس مشاركاً ولا منافساً. وكونه نصاً لا يمنع كونه إبداعاً».

لعل هذه الأفكار في النقد لعلي شلش تبين كيف كانت نظرته إلى النقد من ناحية، والناقد من ناحية أخرى. ولقد آثرنا أن تأتي أفكاره في البداية، كي تضيء رؤيتنا للدور الذي أداه ناقداً في الواقع الأدبي المعاصر.

فنحن ــ إذن ــ أمام ناقد لم يدرس الأدب ولا النقد دراسة منتظمة في المدرسة أو الجامعة لأنه درس علوم

الإعلام وتخصص فيه، ولكنه درس الأدب والنقد دراسة حرة منظمة جمعت بين برنامج ذاتي والسعي الدءوب وراء المعرفة، إذ لم ينقطع عن القراءة والبحث عن المعرفة، فكان ناقداً عميق الثقافة، يمتلك أدوات الناقد العربي الواعي، من غزارة في القراءة للمصادر في العربية والإنجليزية والفرنسية، وتعامل مع النصوص والظواهر والقضايا والإشكاليات بتفهم وتمثّل واضحين. ومادمنا أمام ناقد، نراه نموذجاً نقياً للناقد العربي المعاصر، فإن تجربته النقدية، باعتباره صاحب رؤية في الأدب والنقد، هي تجربة نضجت على نار هادئة، في عصر زاخر بالقمم الفكرية والأدبية عربياً ودولياً، وفي مناخ عاصف بالصراعات والتيارات والمتغيرات. ومن ثم فقد شهدت نمواً وتطوراً في مراحل حياته وعطائه ورؤيته الشاملة للثقافة والأدب والنقد. وجاءت هذه التجربة وليدة مثابرة الناقد وجهوده واجتهاداته، إفرازاً للظروف التاريخية المحيطة بها، والمعطيات الحياتية والذاتية المؤثرة فيها.

صورة الناقد وإسهاماته

بما أن علي شلش وجه من الوجوه البارزة المشرقة في أفق النقد الأدبي العربي المعاصر فإن أفكاره وجهوده تتبدى في تجربته النقدية سواء أكانت نقداً تنظيريا أم نقداً تطبيقياً.

نواجه صورة الناقد الأدبي، في إطار هذه التجربة النقدية، في كتبه: قضايا ومسائل في الأدب والفن، في عالم الشعر، في عالم القصة، من مقعد الناقد، روايات عربية معاصرة، شيء من النقد، ديوان فخري أبو السعود، تاجور شاعر الحب والحكمة، أنور المعداوي، أحمد ضيف، اتجاهات الأدب ومعاركه، نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، علامات استفهام في الأدب والنقد، نجيب محفوظ: الطريق والصدى، الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية (تحت الطبع)، مطالعات نقدية (مخطوط).

هذه الكتب تجمع بين الأدب والنقد، إذ تدرس الشعر والقصة القصيرة والرواية، وتطرح القضايا وتثير التساؤلات، وتقدم الإجابات عن أسئلة كبيرة مُلّحة، وترصد الأدب العربي قديمه وحديثه ومعاصره، والأدب المقارن.

من ناحية أخرى، فصورة الناقد تتلامح في دراسات علي شلش وبحوثه وترجماته، وفي كتبه بوجه عام، وخاصة في كتبه عن: الأدب الإفريقي، بل وفي كتابيه:

أمريكا: الواقع والحلم، عندما يتحدث الأد هذه المؤلفات روح الناقد المحلل المفـ الباحث، المترجم، الجوّاب. ونجد الصورة إسهاماته في النقد الأدبي في الندوات والمؤتمـ وفي برامج إذاعية وتلفازية بمصر والخارج.

فكان في نقده، يرى الكليات من خلا ويدخل إلى الباطن عبر الظاهر، ويغوص السطح، حتى يصل إلى مراده: الحقيقـ المجهول. فالإبداع رحلة بحث عن الحقيقة للمجهول، والنقد رحلة موازية لتلك الـ وهدفاً. ولعلي شلش ناقداً صورة أخرى ـ كتبه، وهي صورة الناقد السينمائي، وتتمـ كتب: النقد السينمائي، النقد السينمائي و المصرية من ١٩٢٧ حتى ١٩٤٥، في عالم السـ الكتب يتناول النقد السينمائي تنظيراً وتطبيقـ راصداً ودارساً كما في الكتابين الأولين، و نقدية على بعض الأفلام، والظواهر، والـ عالم الفن السينمائي، كما في الكتاب الثالث

ثمة صورة للناقد المسرحي، نراها في كتابه الإفريقية، وفيه يقدم رؤية لفن المسرح في إفريقيا، ومقوماته، والظروف المحيطة به، والعوامل المؤثرة ونماذج نصية منه، وأشهر رواده.

كما نرى هذه الصورة في الدراستين النقديتين تتصدران كتابيه المترجمين: بعد السقوط.. مسرحية ميللر، وقصة حديقة الحيوان ومسرحيات أخرى مسرحيات إدوارد أولبي. وفي هاتين الدراستين المترجم الناقد رؤيتين مطولتين، تمثل كل منهما إصـ للنص أو النصوص المسرحية، راصدة لمسرح المؤلـ والمسرح المعاصر في أمريكا.

نلاحظ أن علي شلش جمع بين الناقد الأدبي والـ السينمائي والناقد المسرحي، فكان ناقداً للأدب والسينـ والمسرح، فضلاً عن كونه اشتغل بتدريس النقد والدر بالمعهد العالي للفنون المسرحية في القاهرة من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٩م.

ففي نقده الأدبي أو السينمائي أو المسرحي، عني بالـ العمل الإبداعي من داخله، دون أن يفرض عليه شيـ بعيداً عن جوهر هذا العمل الإبداعي، من أجل أن يـ النقد قراءة جديدة للإبداع، تعبر عن العناصر الجمالية روحاً وشكلاً ومحتوى وموضوعاً.

على أن صورة الناقد الأدبي جاءت طاغية إلى

ص ... : الناقد السينمائي والناقد المسرحي في تجربة علي شلش ... النقد. ولعل مرد ذلك إلى تركيزه، في السنين الأخيرة على قضايا الفكر بوجه عام، والأدب بوجه خاص ... وإن أضافت إسهاماته في النقد السينمائي وفي النقد المسرحي جديداً على المستويين التنظيري والتطبيقي.

قضايا وخصائص التجربة

إن ... تعامل علي شلش مع الأدب والنقد، جاء على أساس ... أنهما وجهان لعملة واحدة، هي حاجة الإنسان إلى الإدراك ... الحسي أو العقلي أو الوجداني، لأن الأدب لا تعرف قيمته بدون النقد، وهذا النقد، ولاسيما النقد التطبيقي، لا يمكن أن يتحقق بغير الأدب. ناهيك عن أن النقد هو فن التمييز بين الأساليب لمعرفة السمين من الغث، فالنقد ... ضرورة للأدب، وهذا الأدب ضرورة للنقد. ونظراً لأن النقد يعد إبداعا مثله مثل القصيدة أو القصة أو الرواية أو المسرحية أو أي عمل أدبي أو فني آخر، فإنه يرى الناقد مطالبا بأن يكون استكشافا لعملية الإبداع وروحها وجوانبها الكامنة. ومن هنا.. عني الناقد، في تجربته النقدية بشكل عام، بجلاء قضايا وإشكاليات ملحة، شغلته في حياته الأدبية.. نرصد أبرزها:

(أ) قضية القرابة بين الفنون الإبداعية.

(ب) قضية الإبداع في النقد.

(ج) دور الخطاب النقدي في التغيير الثقافي والجمالي.

ودعا في أواخر حياته، إلى ما أسماه «النص الموازي» قائلا: «إن كلمة «النقد» توشك أن تكون مبتذلة إن لم تكن ابتذلت بالفعل، ولابد من البحث عن بديل لها: فإذا سئلت عن البديل فسأقترح عبارة: النص الموازي».

وهكذا.. نظر علي شلش إلى النقد، مفهومه وهمومه وقضاياه، بوصفه ضرورة من ضرورات حياتنا الأدبية، وعملا إبداعيا. ولقد كان لصاحب هذه النظرة قضية رئيسية شغلته طوال رحلته مع الأدب والنقد، فعاش من أجلها، مناضلا في سبيلها، مدافعا عنها، وتتمثل في حقوق الإنسان وحرية الفكر والتعبير، وفي استشرافه مستقبل الفكر العربي الذي يعيد للعرب أمجادهم. إنها قضية نابعة من موقفه الحر الذي ينتمي إلى الثوابت، وإلى وطنه وأمته، دونما تحزب أو انغلاق إقليمي أو انعزال، وبدا ذلك واضحا في رؤيته للثقافة العربية باعتبارها كلا واحدا، وفي نظرته إلى الأدب والنقد بوصفهما إبداعا عربيا فائقا معبرا عن مصير واحد وهموم عربية متشابهة، توحد كلها بين أبناء الأمة العربية. وفي ضوء ما سبق، يمكننا أن نرصد أبرز خصائص تجربته النقدية.. نجملها في النقاط التالية:

أولا ـ التعامل مع القضايا والظواهر والشخصيات من منظور علمي تحليلي، لا يخلو من عمق التذوق ونفاذ البصيرة والإحساس المرهف.

ثانيا ـ استنطاق النصوص الإبداعية كاشفا عن عناصرها الفنية بجميع ملامحها ومعطياتها الجمالية والنفسية والاجتماعية واللغوية.

ثالثا ـ البحث في جذور المناطق والشخصيات التي يغمرها غير قليل من الظلام، بإلقاء أضواء جديدة عليها ممثلة في كتبه عن الأدب الإفريقي، وكتبه عن الأعمال المجهولة لبعض الرواد، وكتبه عن شخصيات أدبية كاد النسيان يطويها.

رابعا ـ الوضوح في الأسلوب وبُعده عن الغموض والحذلقة والنظريات الجوفاء في اتجاهات النقد الحديث.

خامسا ـ وضع نتاج العقل العربي إزاء مثيله في العالم، ونقل خلاصات من فكر الشعوب وآدابها إلى أوساطنا الأدبية.

في تجربة علي شلش ـ الأدبية والثقافية بصفة عامة والنقدية بصفة خاصة ـ يتجاور العام والخاص، الموضوعي والذاتي، القديم والجديد، الجوهر والمظهر، الثابت والمتغير، الواقعي والمتخيل.

هذه التجربة جاءت زاخرة بالخبرة والممارسة والاتساع والشمول والتعمق في الثقافة، إذ نلمس فيها تعددا في الاهتمامات، وتنوعا في أشكال الكتابة الإبداعية.

ولعل الكبرياء الإنساني النبيل يصلح أن يكون مفتاحا لفهم شخصية صاحب هذه التجربة، الذي رحل وهو في ذروة عطائه الفكري. فقد كانت شخصيته تتسم بنوع من الكبرياء المفعم بالتواضع والثقة بالنفس، دونما غرور أو ادعاء، أو تعالم، فكان يتعامل مع الناس والقضايا بصدق وإخلاص، وفكر واع يقظ. وهكذا.. كان صاحب هذه التجربة نهرا فياضا بالأحاسيس والأفكار والرؤى والطموحات.. متدفقا بالكبرياء الإنساني النبيل في أروع صوره وتجلياته، كما تمثلت في مثقف عربي من أشرف مثقفي عصرنا. وفي تصورنا أن اسم علي شلش ناقدا سيبقى، طويلا، في ذاكرة الثقافة العربية، كما سيبقى فكره موضوعا يتناوله الباحثون العرب، لأنه يثير قضايا وأفكارا جديدة وثيقة الصلة بحاضرنا، ويستشرف مستقبل الفكر العربي الذي كان يتطلع إليه بأمل كبير. □

مسألة تذوق

قصة : أليكس لاجوما*

ترجمة : سمير عبدربه

كانت الشمس متألقة باتجاه الغرب، وكانت السحب الرقيقة فوق الأفق تبدو كالبيضة المنشطرة إلى نصفين، ويحدها اللون الأصفر المشرق، كان الولد الصيني واقفا يلهث بجوار الإناء الموضوع فوق النار وهو يقول: كان يجب أن يغلي الآن.

كان الإناء متذبذبا فوق قالبين من الطوب وحجر ناعم، أشعلنا النار بحرص لنصنع القهوة، وها نحن ننتظر غليان الماء ونراقبه باهتمام شديد كما لو أن امرأة تنتظر ميلاد طفل.. امتلأ سطح الماء بالفقاعات وألقى الولد الصيني بعض القهوة في الماء وراح يقلّب الإناء، كان قصيرا ذا شعر رمادي مجعد ووجه كبير هادىء وتعلو ملامح وجهه مسحة من الصبر وكأنه اعتاد أن يفعل الأشياء ببطء وعناية، غير أن عينيه كانتا سوداوين لا تستقران على حال مثل زوج من الصراصير.

قال ناصحا : سنتركها قليلا.

وضع بقية القهوة جانبا وأخرج من جيبه خرقة قديمة لفها حول يده ثم رفع العلبة من فوق النار ووضعها بعناية في الرمل بجوار قالب الطوب.

كنا قد انتهينا لتونا من العمل في خطوط السكة الحديد ومضينا نحو المعسكر على بعد ياردات قليلة من الجسر.. كان الصدأ يغطي حديد المكتب المجعد المليء بخيوط العنكبوت، وكان الرصيف محطما تكسوه الأعشاب الضارة وكانت التدويرة الأسمنتية لا تزال في مكانها لكن الشرخ أصابها فبدت كأنها يافطة للترحيب بزائري مدينة الأشباح. تناول الو.. الصيني علبة اللبن النظيفة وقام بترتيبها فتقدمت إل العارضة الخشبية وانتظرت بداية طقوس صب القهوة

كان الولد الصيني يلف يده فوق العلبه ويوشك على صب القهوة دون أن يفعل، فقد كان جالسا يراقب شيئا ما خلفنا.

كان مزيج من أصوات الحفيف والخشخشة والطرقعة ينبعث من الأغصان والفروع.. نظرت إلى الخلف وإلى أعلى فتراءى أمامي بوضوح ظل طويل لرجل كان خارجا من المزرعة، وكان نحيلا ومقيدا ذا وجه أبيض شاحب ولحية صفراء بلون الذهب، وكان من اليسير رؤية تلك الخطوط السوداء القذرة حول فمه وتحت عينيه وعلى رقبته، كان شعره متناثرا وغزيرا غير حليق يتساقط من الخلف فوق رقبته وحول صدغيه، وكان يرتدي بذلة من الجينز القديم باهتة اللون وقذرة ومعطفا من الجلد الممزق.

وقف أمامنا في تردد وقد نظر نحوي ثم نحو الولد الصيني وما لبث أن عاودني بنظراته وهو يتحسس فمه بيده، ثم قال في تردد: لقد شممت رائحة القهوة.

أومأ الولد الصيني إلى الرجل الغريب الأبيض، وقال: اجلس، سوف نتناول العشاء.

كشر الأبيض قليلا بحيرة وارتباك وظل يلف حول العارضة الخشبية دافعا الصخرة بحذائه القديم إلى أعلى دون أن يقول شيئا سوى مراقبة ما يحدث بينما تناول الولد الصيني علبة أخرى من علب اللبن النظيفة ورفع

* ولد «أليكس لاجوما» في مدينة «كيب تاون» عام ١٩٢٥
غادر جنوب إفريقيا مع عائلته سنة ١٩٦٦ وكان ممنوعا من الدخول من قبل حكومة جنوب إفريقيا بسبب أنشطته السياسية وفي عام ١٩٦٢ كانوا قد وضعوه تحت الحراسة لمدة خمسة أعوام.
كتب «الحبل المثلث» عام ١٩٦٤، «الوطن الحجري» عام ١٩٦٧، «نزهة في الليل» وبعض القصص الأخرى.



الإناء من فوق النار ثم صب القهوة في العلب.

رشف الصيني من فنجانه بصوت واضح وقال: كان يجب أن نتناول بعض الخبز الناشف، فلا شيء يعادل الخبز الناشف مع القهوة.

قال الولد الأبيض: السجق.

ـ هاآاهـ.

ـ السجق مع القهوة.

قطب الولد الصيني جبينه وسمعته يقول: أووه.

ثم سأل: أذاهب أنت إلى مكان ما أيها الأبيض؟.

ـ «كيب تاون».. ربما أحصل على وظيفة هناك.. وظيفة في سفينة، ومن هناك أتوجه إلى أمريكا.

قلت: كثيرون أولئك الذين يرغبون في الذهاب إلى أمريكا!!.

شرب الأبيض قليلا من القهوة، وقال: نعم.. لقد سمعت أن هناك مالا كثيرا وطعاما كثيرا.



قال الولد الصيني: أتتحدث عن الطعا...

ذات مرة صورة في كتاب عن الطعام هناك...

قليل حدا من الدجاج المحمر سهل التفت...

غلة وبعض الفطائر ومرق اللحم وبطاط...

ونوع جديد من البازلاء الخضراء، كل شي...

بالألوان.

قلت باستهزاء: ناولني لحم الحمل المشوي.

وقال الولد الأبيض: ليتني أحصل على... الطعام فسوف أنقض عليه حتى أنفجر.

رشف الولد الصيني من قهوته قائلا: ع... مرة وأنا صغير جرسونا في أحد المقاهي الك... ما كانوا يأكلون من طعام مغشوش.

قلت: أتذكر حين ذهبنا للشراب وتنا... الذرة والفول حتى انتفخنا؟.

قال الولد الصيني بطريقة غريب... أجلس يوما ما في أحد المقاهي الكبير... والتهم بطة كاملة وبطاطس محم... وسلاطة البنجر وطعام الملائك... وكعكة من المربى والفاكهة، ث... أشعل سيجارا في النهاية

قال الولد الأبيض: إنها مسأ... تذوق، فبعض الناس يح... الدجاج وبعضهم الآخر يح... رءوس الأغنام وحبات الفول

تجهم الولد الصيني، وقال: مسأ... تذوق؟! إنها مسألة نقود يـ... صديقي.. لقد عملت ستة أشهر في... ذلك المقهى ولم أر أبدا أن أحده... طلب رءوس الأغنام أو حبات... الفول

سأل الأبيض: هل سمعت عن... الذين كانوا يدخلون تلك المقاهي الكبيرة؟ كان أحدهم يسكب آخر ما تبقى من القهوة في كوب الفنجان ثم يخرج «سندويتشا» ويستدعي الجرسون طالبا منه كوبا من الماء وعندما يأتي الجرسون بكوب الماء يقول: لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية؟.

ضحكنا ضحكات خافتة فقال الولد الصيني وهو يسعل ويتمتم: وطلب آخر السجق والعصيدة، وعندما جاء له الجرسون بطلبه قال له: أيها ال...

..مرت لي طبقا مكسورا!. فقال له الجرسون: ليس مكسورا.. إنه السجق.

..كنا كثيرا، ونظر الولد الصيني إلى السماء في اتجاه ..كانت الشمس تقترب من الغروب وعبر الأفق ..سحب معلقة كالخرقة البالية الملطخة بالدم.

..الأغصان تتحرك من هبات النسيم، ومن ..خط السكة الحديد كان أحد الطلاب يزعق ..عال.

..قال الولد الصيني: توجد عربات بضائع فارغة ..ن هنا إلى ما حولنا وسوف نساعد الأبيض، ..ربما يستطيع الذهاب إلى «كيب تاون».

..نظر إلى الأبيض مستطردا: هناك منحنى يمكنك من خلاله القفز إلى القطار وسوف نجعلك تراه.

ثم لوح لي قائلا: جون.. عليك بالاهتمام بالبط.

أفرغت ما تبقى من القهوة وكانت النار قد خمدت وصارت كومة من الرماد.. فتش الأبيض في جيب معطفه الجلدي فوجد ثلاث سجائر فقط، قدم لكل منا واحدة فرفع الولد الصيني غصنا من النار أشعلنا به سجائرنا وقال متفحصا طرف السيجارة المتأجج: سجار طيب جدا.

عندما انتهت القهوة والسجائر كانت الشمس في طريقها للغروب، فاكتست الأرض بظلال سوداء وتلونت باللون الأرجواني وبدت ظلال الأغصان كالتين.

سرنا عبر الجسر في المساء بجوار الخراب وبدا لنا هيكل المحطة كالضريح الذي انتهكوا قدسيته ومن بعد سمعنا صفارة القطار.

قال الولد الصيني للأبيض: ها هو المكان المناسب للقفز فعندما يأخذ القطار دورته لا يستطيع السائق أن يراك ولا حتى حارس العربة.. يجب أن تقفز عندما تكون العربة بعيدة عن الأنظار.. اصعد التل ببطء وستكون فرصتك عظيمة وانتظر حتى أقول لك متى تقفز.

قال الأبيض: أشكركم على العشاء يا أولاد.

قلت: تعال مرة ثانية وفي أي وقت.. يمكننا تدبير بعض الملابس.

انتظرنا في جانب الطريق وكان قطار المصانع يصدر صفيرا، انطلقا بسرعة متراجعين حين مرت القاطرة بجوارنا تتبعها عربة المؤن وشاحنتان ثم بعض عربات الفحم وعربة مسطحة وشاحنة أخرى.

أصبحت القاطرة بعيدة عن الأنظار فقال الولد الصيني: ها هي.. ثم دفع الولد بعيدا.

وقفنا نستمع إلى أصوات ارتطام العربات بعضها بالبعض.

قال الولد الصيني: خذ صندوق الفحم هذا وحظا سعيدا أيها الصديق.

مضى الأبيض نحو عربة الفحم وهو يراقب قبضة الحديد في نهاية العربة التي كانت تسير ببطء حتى وصل إليها وثبت قدميه.

شاهدناه معلقا عند حافة العربة.. كان يشد نفسه إلى أعلى وكنا نسمع طرقعات القطار من بعيد.

لوّح لنا بيديه من بعيد وهو يفتح باب العربة فرفعنا أياديا نرد التحية، قال الولد الصيني: لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية.. يا للجحيم!!. □

لقاح جديد ضد سرطان الأمعاء

● أعلن في لندن في أبريل الماضي عن تطوير لقاح جديد ضد سرطان الأمعاء من قبل علماء بريطانيين.

وقال بيان لحملة أبحاث مكافحة السرطان إن التجارب الأولية على المرضى الذين وصلت فيهم الإصابة إلى درجة خطيرة كانت مشجعة، وإن دراسات أوسع يجرى التخطيط لها حاليا لمكافحة هذا المرض الذي يصيب أكثر من ٢٨ ألف شخص سنويا في المملكة المتحدة.

ويعتقد العلماء البريطانيون أن اللقاح يستطيع منع الأورام والحيلولة دون انتشارها، وأنه بدون آثار جانبية بخلاف بعض سبل العلاج الأخرى.

ويعتقد مدير حملة أبحاث مكافحة السرطان أن تسعة آلاف فقط من الذين ظهرت لديهم الإصابة بسرطان الأمعاء سوف يكتب لهم البقاء بعد خمسة أعوام.

يذكر أن العمل في إنتاج اللقاح الجديد قد بدأ قبل خمسة عشر عاما.

استطلاع:
صادق يلي
تصوير:
حسين لاري



فنون تشكيلية من البحرين

مثلما أفاضت حضارة «دلمون» على ضفاف التاريخ لمسات من المعرفة والجمال، يسعى الفنان التشكيلي البحريني لهذه الغاية، في لوحات منتقاة يصنع أسطورة الزمن المصغر، الخلق والتكوين والاحتضار، ثم الحلم والبعث من جديد، ميلاد العنقاء يصاغ من خلال ذلك الحوار الجميل بين العمل الفني والفنان.





تعود نشأة الفنون التشكيلية في البحرين بمفهومها المعاصر إلى التعليم النظامي الذي بدأ عام ١٩١٩ في البحرين من خلال المناهج المدرسية ومن خلال مدرسي التربية الفنية العرب الذين حضروا إلى البحرين، وأدخلوا الفن التشكيلي بمفهومه المعاصر، فقد تركوا للطالب الموهوب والذي يملك كفاءات متميزة أن ينتج اللوحة بخبرته الذاتية وإرشادات مدرسيه بمعنى أن يعتمد الطالب على قدراته وموهبته وفهمه للطبيعة، إلا أن الحركة التشكيلية شهدت طفرات اقترنت مع التبدل الاجتماعي الذي حدث في دول الخليج، منذ أن نالت هذه الدول استقلالها، فقد أعطيت المؤسسات التعليمية استقلالها في وضع مناهج دراسية تناسب توجهات بلدان الخليج نحو التراث المحلي، وافتتاح المتاحف المختلفة، وقد أثر هذا التوجه نوعا ما على حركة الفنون التشكيلية، فأخذ الفنان يلتصق ببيئته وتراثه إلى جانب ذوقه المتأصل وتاريخه، محاولا إثبات هويته العربية المميزة، لذا فقد اهتم الفنان البحريني برسم صناعة السفن والغوص، والمشاهد اليومية من أسواق وأزقة وبيع وشراء وعادات اجتماعية مثل طقوس الزواج والختان، وكان هذا موضوعا جيدا لأنه نوع من الأرشفة أو التسجيل للبيئة والتراث المحلي، والذي أهمله الكثيرون أو ابتعدوا عنه، فكان للحركة التشكيلية الفضل في الالتصاق بهذا التراث وإعادته بشكل مرئي ــ مصور ــ إلى المجتمع، وقد أدى هذا النشاط إلى استقطاب الجمهور، فبدأت الصحافة تكتب وتنقد وتهتم بالفنان، وأصبحت الحركة التشكيلية من الأنشطة المميزة، كما نشطت وسائل الإعلام سواء المسموعة أو المرئية في نقل صورة هذا النشاط، فبدأ الفن

التشكيلي يتأصل وبدأ الناس يقتنون بعض اللوحات بعد أن كانت مقصورة على مجموعة قليلة من الأجانب، فأصبح المواطنون يهتمون بهذه الأعمال ويقتنونها ويعلقونها في بيوتهم أو مؤسساتهم التجارية وكانت هذه خطوة أساسية ومهمة لدعم هذا المجال الثقافي للفنون التشكيلية.

طلائع الفنانين

وقد برزت في هذه الفترة طلائع الفنانين البحرينيين وكان من جملتهم الفنان يوسف قاسم، والفنان عبدالله المحرقي، وقد استطاع هؤلاء بخبرتهم الذاتية أن ينتجوا فنا قدر له أن يتقدم للجمهور ويأخذ مكانه بين الناس، وأن هناك كما جيدا من الفنون التشكيلية يجب الاهتمام به، وكان السر في انتشار مثل هؤلاء الفنانين هو اهتمامهم بالجانب التراثي لبيئة الخليج وبيئة البحرين بشكل خاص، ومع تطور التعليم في السبعينيات وحصول البحرين على استقلالها وضعت المناهج الجديدة وحظيت الفنون التشكيلية بقسط من هذا المنهج بالإضافة إلى عودة المجموعات الأولى من الخريجين والمؤهلين من الفنانين الذين أضافوا دفعة جديدة للفن التشكيلي فقدموا تقنيات متقدمة، فصارت اللوحة تحفر وتدهن وترسم بشكل علمي تقني متقدم بعد أن كانت تقدم بصورة بدائ على القدرات الذاتية، ثم إن هذه المجاميع بدأ بالعالم والمدارس الفنية فعرفوا ماذا يدرس في وكليات الفنون التشكيلية، وما هي الم والبيناليات، وقد أعطاهم هذا رصيدا ثقافيـ وفنيا استطاعوا من خلاله أن يضيفوا ل التشكيلية وجها جديدا والذي نعبر عنه اليوم

يحدثنا الدكتور أحمد باقر وهو فنان تشكيلي له الكبيرة في حركة التشكيليين البحرينيين قائلا: أن أقول إن هذه الحداثة هي حداثة مقلدة حـ الفنان التشكيلي عندنا بتقليد الآخرين، وم التقليد وتلك المحاكاة أفادت الفنان المحلي بأن صعيد التقنية إلا أنها حدت من انطلاقـ والإبداعي، لذلك نجد أن الفنان في الفترة ا مراجعة ذاتية، إذ بدأ الفنان يشعر بأنه مطالب أشياء جديدة وإبداعية تمثله من الألف إلى ا يجب أن يأتي بأشياء جديدة وتصورات جديدة. لا شك أن الفن في الأصل قائم على الإبداع والتجديد، وإلا يصبح محاكاة للآخرين، لذلك تعتبر هذه المرحلة من أصعب المراحل، وهذا ما يبرر تنوع الاتجاهات والأساليب لدى التشكيليين، لذلك نجد أساليب يبحثون على كل صعيد وعلى كل مستوى وفي كل الاتجا وهي اتجاهات الفن الحديث.

جمعية للتشكيليين

وتعد البحرين من الدول الخليجية السباقة في قيام النوادي والجمعيات الرياضية والثقافية والعمالية وجمعيات النفع العام التي قامت منذ نهاية القرن الماضي، إلا أن تأسيس جمعية البحرين للفنون التشكيلية جاء متأخرا بعض الشيء، ففي عام ١٩٨٤ أعلن عن قيام جمعية البحرين للفنون التشكيلية وتضم الجمعية نخبة ممتازة من الفنانين البحرينيين التشكيليين ذوي التخصصات المتنوعة، وقد استطاعت هذه الجمعية في فترة زمنية وجيزة أن تبني لها مقرا مميزا وقاعة عرض واسعة، وتقدم نموذجا ممتازا للنشاط الفني الذي يحتاج إليه المجتمع، وقد أقامت الجمعية ضمن نشاطاتها مدرسة لهواة الفنون التشكيلية تدرس بها جميع مجالات الفنون من خط عربي وزخرفة



□ إلى اليمين الفنانة بلقيس فخرو. إن أحسن اللوحات هي تلك التي تأتي بتصورات جديدة وفي الصفحة المقابلة لوحة لموسى الدمستاني العاشق لبيئة البحرين





□ لوحة للفنان عبدالله المحرقي

ونحت وطباعة وحفر إلى جانب الرسم، وقد لاقت هذه المدرسة إقبالا كبيرا حيث وصل عدد منتسبيها إلى نحو ٢٠٠ طالب في جميع المجالات الفنية الآنفة الذكر، كما قدمت الجميعة عدة نشاطات على المستويين الخليجي والعربي فأقامت معارض مشتركة مع الأشقاء في دول الخليج، كما أقامت معرضا في المملكة المتحدة.

ماذا يرسم الفنان؟

لقد تطور الفن التشكيلي في البحرين في السنوات الأخيرة بصورة تدعو للإعجاب، وعلى سبيل المثال فإن معرض البحرين العاشر هو نموذج لهذا التطور، فالمعرض صورة لما يبذله الفنان من محاولات للتعبير عن نفسه، والسير بهذا الفن بخطوات واضحة إلى العالمية، ففي المعارض السابقة، كانت الطبيعة والتراث والبيئة المحلية هي هاجسه، فكنا نلاحظ تكرار رسم النخلة والفلاح وصائد السمك والسفن والبيوت القديمة ثم الحارات والأزقة فكانت هذه الصورة هي هم الفنان وشغله الشاغل، فقد كانت هذه الصور أولى محاولاته وأول ما توافر لديه من مادة عندما بدأ يمارس الفن، ولكن اليوم نرى أن هناك نقلة نوعية وتطورا في محاولات جادة تتناول مواضيع جديدة لم تستهلك. فنرى الفنان أخذ يمارس الفن بالأسلوب الحديث والمدارس الفنية الحديثة كالتجريدية والتنقيطية أو التكعيبية أو السريالية وهي موضوعات تتحدث عن معاناة الإنسان ووجود الإنسان داخل ذاته، وقد تعبر هذه الصورة عن آمال الفنان المستقبلية، وبذلك أصبح الفنان مرآة تعكس كل التفاعلات التي تحدث خارج هذا الإنسان، وهنا أصبح الفنان غير مصور للطبيعة، وإنما أصبح إنسانا يكوّن موضوعا وهذا الموضوع يكون من خلال عدة مواد، فالفنان هنا يكون رؤية عما يراه أو يكون موضوعا يتضمن تجربته وفلسفته. فالفنان هنا لديه فكرة وليست صورة، وكان يقال في الماضي إن الفنان يصور الطبيعة إلا أن الفنان الآن يكوّن رؤيته عما يراه وهذه الرؤية تتضمن تجربته، وفلسفته وفكرته، والفنان بدأ يعبر عن الطبيعة من خلال ذاته، وهذا ما نراه اليوم في معظم أعمال الفنانين، وهي ظاهرة صحية.

ويترأس جمعية البحرين للفنون التشكيلية الفنان الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة وهو فنان ممارس شارك في العديد من معارض الجمعية سواء داخل البحرين



□ مجموعة من رواد المعرض يشاهدن إحدى اللوحات

خارجها، وله أسلوب مميز يتسم بالشفافية والتصاق الفنان بالطبيعة من خلال رؤية حديثة، وهذه الشفافية تخلل الألوان وتختصر الكثير من مقوماته إلى أن تصل إلى الحس، فهو يحاول أن يعبر عن انطباع سريع لذاته من خلال رؤيته ومن خلال هذه الشفافية، وقد استطاع الفنان من خلال تعامله مع هذه الرؤية بشكل مباشر أن ينطلق بيسر ويصور أي موضوع يريده بالحداثة التي يريدها والرؤية الجديدة التي يفكر بها. وسألنا الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة عن تقييمه للفنانين البحرينيين وموقعهم من الحركة التشكيلية بعامة، فقال: لا شك أن التجربة الفنية في البحرين ومنطقة الخليج تجربة حديثة، إلا أنها خطت خطوات واسعة وجبارة في فترة وجيزة، وقد كان لخروج الفنانين للدراسة في أوربا وأمريكا أثر كبير في إثراء الحركة، فرجعوا بمفاهيم وأساليب حديثة مكنتهم من الوصول إلى مستوى لا نبالغ إذا قلنا إنه مستوى عالمي. أما فنانونا في البحرين فأنا فخور بهم، فلديهم طاقات كبيرة إلا أنهم يحتاجون إلى التشجيع والرعاية كي يصلوا إلى المنافسة على الساحتين العربية والدولية، إنني أعرف جيدا الفنان التشكيلي ونتاجه في منطقة الخليج، إلا أن رسالة هذا الفنان يجب أن تصل إلى أبعد من منطقتنا حتى نبرز مستوانا الفني وحضارتنا وقيمنا ونحن نريد أن يعرف العالم هذا التقدم وأن نشارك العالم في المجالات العالمية والمسابقات الدولية، ولا بد من هذه المشاركة والاحتكاك وهذا هو السبيل إلى العالمية. إن فناني البحرين لهم إسهامات كثيرة في المعارض الخارجية، فنحن نحاول أن نقيم كل عام معرضا فنيا خارج البحرين وقد أقمنا في العام الماضي معرضا في القاهرة، ونحاول هذا العام أن نقيم معرضا في إحدى دول الخليج.

لا حواجز أمام الفنان

وحدثنا الشيخ راشد آل خليفة عن المدارس الفنية التي ينتهجها الفنان في البحرين، فقال: إنه ليس هناك حواجز أو قيود، فالفنان البحريني يمكنه أن يطلع على كل ما يدور في الساحة الفنية في أية بقعة من بقاع العالم، فالفن أصبح عالميا، وباستطاعة أي فنان أن يتابع ويقرأ ما يقدم في باريس أو لندن أو أي معرض في أوربا وأن يقرأ عنه في الصحافة أو في أي مجلة متخصصة، والحقيقة أن هناك اتجاهات عديدة تبرز لفترة ثم تختفي وتظهر محلها

مدارس أخرى وهذا ما يمثل حيوية الفنان وطريقة توصيل فكرته إلى الجمهور.

ويضيف الشيخ راشد آل خليفة قائلا: إن ما ينقصنا في البحرين والخليج بعامة وجود كلية فنية لتدريس الفنون التشكيلية، أتمنى أن أرى مدرسة أو كلية للفنون التشكيلية لأننا في الخليج لنا عاداتنا وتقاليدنا وأسلوبنا في الحياة، ولما كانت عاداتنا وأحاسيسنا متشابهة فإنني أتصور أن وجود مثل هذه الكلية يخلق نوعا من الحركة التشكيلية المميزة لمنطقتنا وأسلوبا فريدا من نوعه يخالف ما هو موجود في باقي بلادنا العربية.

ويعد الفنان عبدالله المحرقي واحدا من أشهر فناني البحرين المتميزين، فله تاريخه المعروف، وقد أسهم في المعرض بمجموعة من الأعمال، ولوحاته التي يطلق عليها اسما معينا، خطوطه سريالية مع التعبير الميتافيزيقي من خلال عنصر الخير الذي بالحصان والمعروف أن لكل عنصر معنى عند ا يكون الطير هو الذي يرمز إلى الحرية والانطلا يكون الحصان رمزا للقوة والأمل والتحمل، الطير الجارح رمزا للقساوة والخطر. فالمحرقي في لوحاته عناصر وأبجديات يعبر بها عن أفك تكون لها صورة معينة، وتمثل الصورة والحص الحلم الرومانسي، إنه خارج عن المساحة المرئية أن يصل. وتصور اللوحة القلق، من خلال والهيكل العظمي والحريق، ثم إن هناك قسوة مع تمازج ألوان الصخر، وحس الفنان ثائر على الواقع، وهذ النوع من الأعمال تحتاج إلى إعمال فكر المشاهد، وتحتاج إلى وقفات طويلة العمل الفني، فالأعمال الراقية تحتاج جهد كبير لفهمها ومعرفتها.

واللوحات التي عرضها المحرقي ليس لها أسماء، وهو يريد من كل متفرج أن يسمي اللوحة بالتسمية التي يحسها وهو يشاهدها. وقد سألنا الس عبدالله المحرقي عن المدرسة التي ينتهجها، فقال: لا أعتقد أن هناك فن يتبع مدرسة معينة، إنه يتنقل من مدرسة إلى مدرسة، وأنا أتبع الأسلوب الذي يناسب الموضوع الذي أتناوله مثل السريالية أو الواقعية أو الرمزية. والحق أنني في كثير من الأحيان أتبع عدة مدارس أو عدة أساليب في نفس اللوحة مثل المدرسة التكعيبية المسطـ والتي أرسم بها، كما أنني أمزج بين الفنون الزخرفية، ولذلك فإن أعمالي ذا طابع الهندسية، في صغري كنت أحب الواقعية لأنها كانت سهلة بالنسبة لي. إن أعمالي كلها مفهومة لا تستعصي على أحد.

أما الفنان الدكتور أحمد باقر فهو الآخر من الفنانين القدامى والذي صقل موهبته بالدراسة والبحث حتى وصل إلى أعلى المراحل الدراسية وله العديد من الدراسات والندوات عن الحركة التشكيلية في البحرين، كما

□ الفنان إسحاق الكوهجي أمام أحد أعماله الفنية.



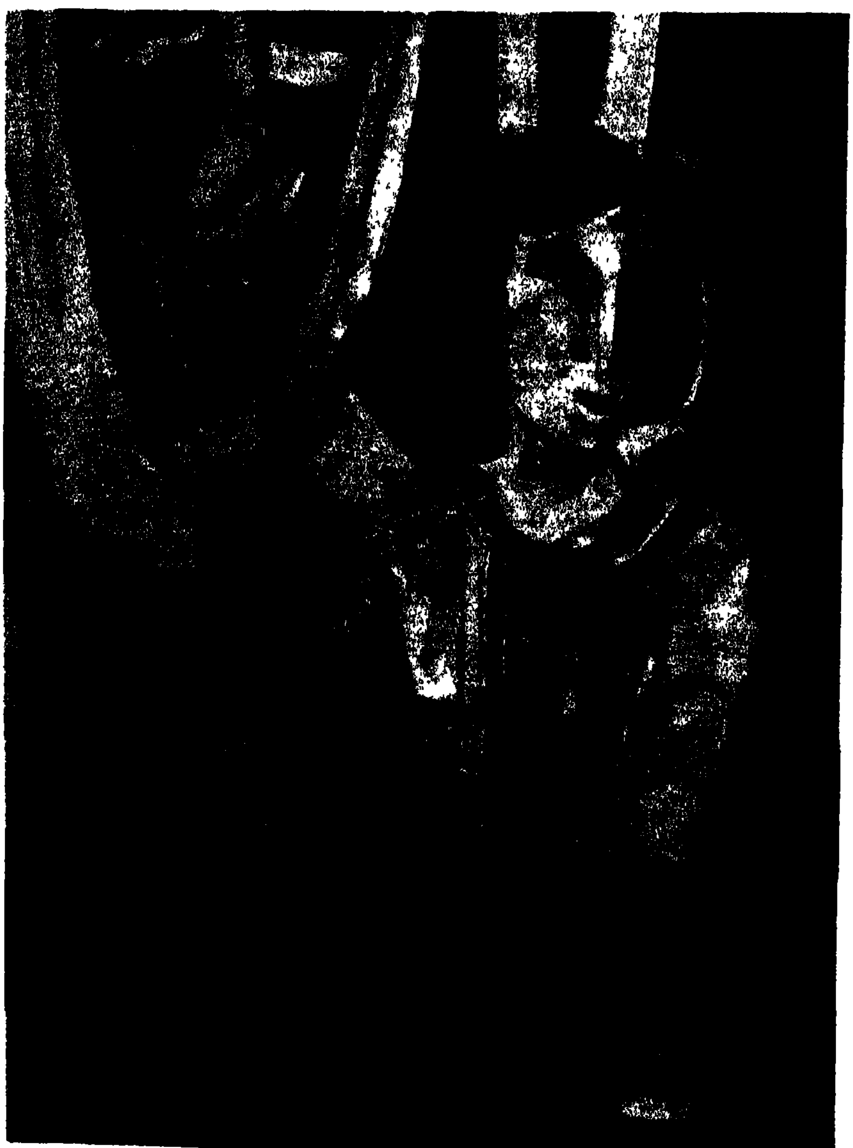
● فنون تشكيلية من البحرين.

ت عدة في جميع المعارض التي تقيمها جمعية
للفنون التشكيلية، وقد أسهم في المعرض
عمال تمتاز بخصوصيتها، فله رؤية ذاتية حيث
روحه شيئا من الضبابية على اللوحة، فيحلل
ويدرسه، وبعدها يظهر بتجربة يعرضها على
، ففي إحدى لوحاته تظهر صورة المغني أو
مود وقد اختار لهذا الموضوع عناصر مهمة جدا
مصيلات التصويرية الدقيقة، فصارت صورة
عود كأنها شبح وجه فنان، والمشاهد يفهم من
سورة الضبابية بأنه شيء يشبه العود وأقرب ما
ان، بالإضافة إلى وجود المنمنمات التي تدل على
الفنان المعروف بانتمائه إلى هذه الأشياء الزخرفية
نابعة من منطقة الخليج.

ويستخدم الدكتور أحمد باقر خامة
صعبة جدا في أعماله وهو قلم الرصاص
والفحم الأسود، وهما من أصعب
خامات التي يستطيع الإنسان أن يرسم
بها، فهو يستخدمها ويتصرف بها
بشكل مدروس وموفق جدا في
لوحات الخمس التي عرضها مثل
نحلة والمزارع الذي يتسلق النخيل
جني الثمر، وتمثل هذه اللوحة لحظة
ثيرة وهي لحظة جني ثمر الشجرة إنها
ثمرة الصبر وثمرة العرق. وإذا انتقلنا
إلى لوحة أخرى وهي لوحة عازف
الكمان، نكتشف أنه عاشق للموسيقى
ويحب هؤلاء الفنانين الذين يعتبرهم
ناسا عظماء يعزفون لنا الألحان
ويوفرون لنا المتعة، وهو بذلك كأنه
يخلدهم ويحاول أن يعطيهم حقهم من
خلال تلك الخطوط التي يرسمها، ثم
يعرض لنا في لوحة أخرى عازف عود
من منظور آخر بعد أن يسلط عليه
مؤثرات ضوئية فتغير بعض العناصر
الأساسية فيه، كما يستخدم الزخارف
البيئية حتى يربط الموضوع بالبيئة
والمناخ الذي يعيش فيه الفنان.

يقول الفنان الدكتور أحمد باقر: إنني
بشكل عام لا أسمي لوحاتي، لأنني
أتوجه للمشاهد أولا من الداخل
بمعنى أن هذه الخطوط التي تراها،
وهذا الأسود والأبيض والانفعالات
الموجودة تثير الكثير من التساؤلات
وعلامات الاستفهام، إنني أرغب في أن يشاركني
المشاهد في وضع اسم للوحة، وأن يشترك معي في
رؤيتها، وفي تفسير بعض جوانبها، وربما يخرج بتصور
جديد لم أكن أهدف إليه، أو يجد في اللوحة ما لا أراه أنا
بمعنى أنني أرغب في أن يشاركني المشاهد مشاركة
وجدانية، أما الهدف من هذه الضبابية والهلامية فهو أن
يشعر المشاهد أن هذا الذي يعزف هو واحد يعرفه أو أنه
عاش هذه الأمسية أو هذه الحالة من العزف المنفرد،
ولذلك فالمجال مفتوح أمام الفنان أو المشاهد بأن يكون
هو أيضا هذا الفنان، وأن يعيش هذه اللحظات، ولذلك
حرصت على أن تكون اللوحة عامة، كما تواجدت في
البيئة والمكان. وربما تكون هذه اللوحة في البحرين أو في

□ لوحة للفنان عبدالجبار الغضبان





□ موسى الدمستاني فنان وجد نفسه في الألوان المائية

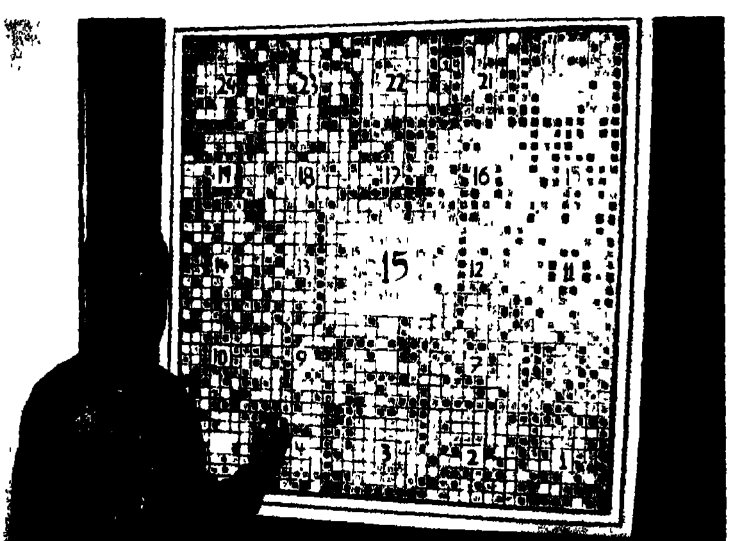


□ الفنان الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة

أي مكان من نفس البيئة. ومن الفنانين الشباب الذين لهم إسهامات فعالة في إثراء الحركة التشكيلية في البحرين الفنانان اسحق الكوهجي وعدنان الأحمد، أما اسحق الكوهجي فقد درس الفنون التشكيلية دراسة أكاديمية فهو خريج معهد الفنون الجميلة بالقاهرة ومتخصص في هندسة الديكور، بدأت إسهاماته الفنية في الظهور وهو طالب في المرحلتين المتوسطة والثانوية، فكان يشارك في المعارض المدرسية، ثم بدأ يسهم في المعارض السنوية التي تقيمها الدولة. أما الأسلوب الذي يتبعه فيحدثنا الفنان الكوهجي عنه قائلا: كنت في بداية حياتي الفنية أميل إلى الأسلوب الواقعي الطبيعي، وكنت أرسم المناظر الطبيعية، إلا أنني بدأت بعد فترة أفكر في أن أظهر بشيء جديد ومتميز في الفن، فملت إلى المدرسة الانطباعية والتأثيرية، وكان هذا الأسلوب يغلب على أعمالي إلا أنني وفي عام ١٩٨٨، وأثناء وجودي في بينالي القاهرة ولأول مرة تأثرت بالاتجاهات الحديثة، وقررت أن أقدم شيئا جديدا، وهذا الجديد هو أن يكون لي أسلوب أتميز به، وفي هذا المعرض الذي أسهم فيه أشارك بمجموعة أعمال تمتاز بجديتها حيث خطوت مرحلة نحو تحقيق هدفي من التجربة التي أريدها، وأنا أعتبر أن هذا الشيء في بدايته لأن الفن فيه كل يوم شيء جديد.

لقد أسهم الفنان في العديد من المعارض الفنية منذ عام ١٩٧٣ سواء داخل البحرين أو خارجها ونال العديد من الميداليات وشهادات التقدير على أعماله الفنية.

أما الفنان عدنان الأحمد فهو الآخر من الفنانين الشباب الواعدين وهو خريج مدرسة الفنون الجميلة في فرنسا «البوزارت» وهناك ومن خلال دراسته الأكاديمية بدأت شخصيته الفنية تتبلور، ومن خلال اطلاعه على مدارس الفن الحديث تكون أسلوبه وطريقته، يحدثنا الفنان عدنان الأحمد عن أسلوبه قائلا إن أسلوبي ومنهجي في الرسم هو المنهج الحديث، أو كـ



□ لوحة أمنية سلام للفنان عباس الموسوي يسجل بها اللحظات الحاسمة التي سبقت حرب التحرير



□ احتل النحت جانبا من المعروضات



□ أحد الأعمال الفنية المعروضة

أطلقت عليه البنائية التنظيمية، أسلوب يعتمد على الشكل وإعادة بناء الشكل، كما أنني أعتمد كثيرا على تأثير اللون على المشاهد، وأحيانا يكون الشكل جامدا، ومن خلال اللون أسهل من حدة الخط أو انكسار الخط، ومعظم موضوعاتي هي مواقف وذكريات مررت بها خلال فترة دراستي أو خلال فترة وجودي في فرنسا أو من مشاهداتي اليومية، فهذه المشاهدات تترك عندي فكرة أعيشها، ومن خلال معايشتي لها أترجمها على اللوحة.

وقد اشترك الفنان عدنان الأحمد في جمعية «النوفل آرت» ومن خلال هذه الجمعية شارك في أول بينالي لمدارس الفنون الأوربية في فرنسا، كما شارك في معارض جمعية البحرين للفنون التشكيلية السنوية، وكذلك معارض وزارة الإعلام، وله إسهامات ومشاركات في العديد من المعارض الخارجية مثل معرض الدانة في الكويت ومعرض القاهرة وبينالي سلطنة عمان، أما عن الأعمال الفنية التي يفتخر بها، فيقول: أفتخر بلوحتين اقتنتهما وزارة الإعلام، اللوحة الأولى تحت اسم «زائر الصباح»، والثانية باسم «على طاولة التأملات»، وهما عملان كبيران وفيهما حاولت أن أجسد بعض المواقف التراجيدية التي عايشتها في فترة من الزمن، ففي لوحة «زائر الصباح» عايشت أحداث هذه اللوحة فترة ثلاث سنوات ثم قمت بتنفيذ هذه الأحداث على اللوحة خلال سنة كاملة ولا أزال أختزن في ذاكرتي بعض المواقف التراجيدية التي تكونت لدي من خلال قراءاتي للميثولوجيا اليونانية أو مشاهداتي لبعض المسرحيات التاريخية، فأعيش هذه المواقف التراجيدية ثم أقوم بترجمتها على اللوحة في الوقت الذي أتحول فيه إلى جزء من هذا العمل أو جزء من هذه اللوحة، إن متعتي الحقيقية هي أن أمثل دورا في هذه اللوحة، وأن ألتحم بالموضوع وأعيش الحدث حتى يسهل تنفيذه بالصورة التي أريدها.

وللفنانة البحرينية دور

ولم تقتصر الحركة التشكيلية في البحرين على الرجل فقط، وإن كان الرجل يمثل العمود الفقري لهذا الفن الجميل، فهناك مجموعة من فتيات البحرين خضن غمار هذا المعترك، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفنانات صديقة عباس وبلقيس فخرو، أما صديقة عباس فقد بدأت موهبتها في الظهور منذ عام ١٩٨٤ فأخذت ترسم المناظر الطبيعية، وتشارك مع زميلاتها في المدرسة الأجنبية التي تدرس بها في العديد من المسابقات والمعارض، ثم انضمت لجمعية الفنون التشكيلية البحرينية واستمرت ترسم الطبيعة لأن الطبيعة هي المصدر الكبير لإلهام الفنان. تقول الفنانة صديقة: بدأت أرسم بالزيت، وحاولت أن أخرج بشيء جديد أو أسلوب جديد وهو انسجام الألوان، وفي عام ١٩٩٢ أقمت معرضا خاصا بي شمل ٥٥ عملا فنيا، وكان بالألوان المائية وبعدة أساليب فكنت أستخدم المائيات والمدرسة التنقيطية، وقد أشاد الجمهور بهذه الأعمال، أما الأسلوب الآخر الذي تناولته في أعمالي فهو التجريد والرسم بالزيت، إن مدرستي المفضلة والتي أتبعها هي المدرسة التنقيطية والألوان المائية لأن بها عفوية. أما اللوحة التي شاركت بها الفنانة

صديقة عباس في المعرض العاشر لجمعية البحرين للفنون التشكيلية، فهي بالكلورك، وسألتها ماذا تريدين أن تقولي في هذه اللوحة؟ فأجابت: أريد أن أقول إن الفن التشكيلي هو عبارة عن التعامل مع الألوان وتوظيفها، وبالتالي فإن اللون هو الذي سيعبر عن نفسه، ومن خلال اللوحة سوف نرى الانسجام في الألوان، بحيث أن اللون الأزرق مثلا لن يستحوذ على رقعة كبيرة من اللوحة، فهو منتشر فيها، وهناك تدرجات للون الأزرق، أما اللون الأصفر فقد وضعته كي أقول إن هناك أشعة، فإذا سقطت هذه الأشعة في أي مساحة فسوف تعكس صور المنازل والأشخاص الذين يتحركون في اللوحة نفسها، كما أن الأصفر ثم الأحمر وتدرجه موزع على اللوحة، أما اللون الأزرق فهو ظلال الأشخاص الذين يتحركون. فهناك تناغم بين هذه الألوان، فإذا كان هناك لون أزرق فهناك بقعة من اللون الأزرق في الجهة الثانية، وليس شرطا أن يكون بنفس مساحته. إنني بهذا الأسلوب وهو التنقيط أحافظ على التدرج اللوني بحيث يكون هذا التدرج أساس العمل، وحتى أشد انتباه المشاهد للتنقيط فإني أرسم المنظر من الطبيعة مباشرة والمنظر ليس فيه جديد، وأستخدم أسلوب التنقيط بحيث يرى المشاهد الموضوع وتداخل الألوان، وبهذه الطريقة باشرت جميع أعمالي المعروضة الآن.

أما بلقيس فخرو فهي إحدى الفنانات الرائدات للحركة التشكيلية في البحرين، درست الفنون التشكيلية وتاريخ الفن في إحدى أعرق الجامعات الأمريكية، فهي صاحبة تخصص مزدوج حيث ترسم وتكتب وتنقد وبخاصة إذا كانت هناك معارض تشكيلية أو ندوات عن الفنون الجميلة، تقول:

إن أحسن اللوحات هي تلك التي تخرج عن المألوف وتجذب المشاهد أو تلك التي تأتي بتصورات جديدة، إنني أشارك في العديد من المعارض سواء داخل البحرين أو خارجها، وأنا عضو في تجمع أصدقاء الفن التشكيلي لدول مجلس التعاون بالخليج العربي، واللوحة الفنية الناجحة عندي هي تلك التي تعبر عن الأحاسيس الخاصة من منطلق موضوعي وذاتي في آن واحد، فالفنان يجب أن يقدم الموضوع الذي يحس به ويشغل باله، وفي نفس الوقت يحبه، وألا ينزع ثوبا ويلبس ثوب غيره، بل يبقى محتفظا بزيه وشخصيته وأبجديته الفنية النابعة من منطلق البيئة والتراث، أما عن اللوحة التي عرضتها الفنانة بلقيس فخرو فتحدثنا عنها قائلة:

إنها عبارة عن انفعالات نفسية بالألوان الحادة التي وضعتها على هيئة صور وأشكال، وصور آتية من البيئة التي أهتم بها، إنني أحب العمارة البحرينية ولا أقصد



□ الفنان الدكتور أحمد باقر أمام إحدى لوحاته



□ لوحة للفنان عباس الموسوي ترمز للغزو العراقي للكـ

● فنون تشكيلية من البحرين.

التقليد: و الحديث، ففي واحدة من لوحاتي تتضح هذه
الصـ رة وهـي صراع الماضي والحاضر، صراع عمارة
جرافية وجودة قديما مع عمارة المباني الحديثة والمساجد
وكيف عارعان، أما اللوحة الثانية فتمثل أشياء قديمة
وتراكم تتضارب وتتصارع وليس فيها شيء حديث بل
فيها الجـ ب الهرموني.

جوائز تشجيعية للشباب

المو ـة هي الركيزة الأولى للفنان فبدونها لن يكـون

التشكيليـة، فنأخـذهم إلى سـواحل البحـر أو القـرى ونتركهم يرسمـون ما يجول بخاطرهم من منـاظر طبيعية في مسابقات شبه سنوية، وتقوم جمعيـة البحرين للفنون التشكيلية برعـاية هذه المسابقة وتقـديم جوائز تشجيعية لهؤلاء الشباب.

أما عن معـارض الفنان موسى الدمستـاني الشخصية فيحـدثنـا عنهـا قائلا: بـدأت معـارضي الشخصيـة عـام ١٩٩٢، وعرضت فيهـا حوالي مـائة عمل كلها بـالألوان المائية، أما مواضيع هـذه اللوحات وقد انحصرت في بيئة البحرين الفنيـة من بحر وقرى وأشجـار وسمن وأسواق

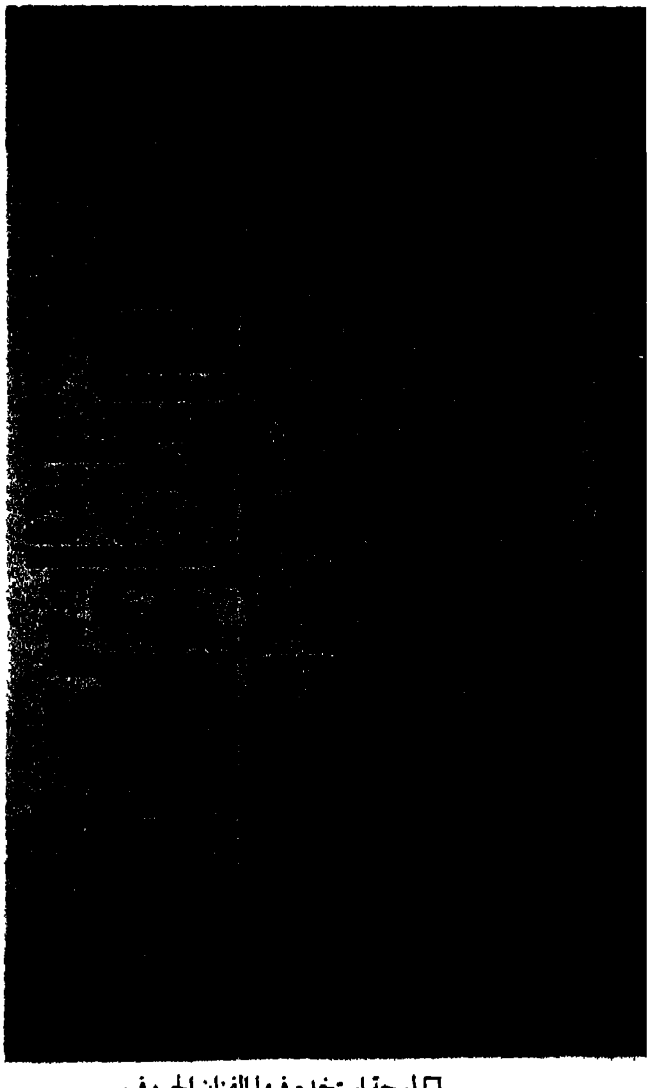


□ الصالة التي ـيم فيهـا المعـرض العـاشر للتشـكيليين البحـرينيين.

هـاك فنـان مبـدع مهما درس أو دخل معـاهـد فنيـة متخصصـة، هـذا مـا ينطبق على الفنـان مـوسى الدمستـاني،الذي يقـول: أحببت الـرسم منـذ الصغـر، وبداية كنت أرسم الشخصيـات بـالفحم، ثم أخـذت أشـارك في بعـض المعـارض الخاصـة، وحصلت من المسئـولين في وزارة الإعـلام على كل تشجيـع، فكنت أرسم اللوحات المائية بطريقة كلاسيكية، فلم أكن مرتبطا بطـريقة واحـدة، فكنت أرسم بـالألـوان المائية والـزيت والفحم، أمـا الآن فإني أرسم لـوحـاتي بـالألـوان المائيـة وبطريقة مبسطة أو ما يعرف بالانطباعية، لقد سافرت إلى باريس، واطلعت على طـريقة رسم الفنـانين الفـرنسيين للشخصيات، وقد استفدت كثيرا، إنني ومنذ عام ١٩٨٧ أقوم بتنظيم بـرامج للشبـاب والنـاشئين هـواة الفنـون

شعبيـة وطيـور، ولقد لقـي هذا المعـرض حضـورا كبيرا واستحسـانا من الجماهير وبخـاصـة الجاليات الأجنبيـة، وأهالي البحريـن الذين بعد العهد بينهم وبين مـوروثاتنا القديمـة وحياتنا الحاضرة. وقد شجعني نجـاح معرضي الأول وما لاقاه من إقبال جماهيري كبير، أن أقيم معرضي الثـاني في سبتمبر من عـام ١٩٩٣، فقـد عـرضت فيـه مجمـوعـة مـن اللـوحـات التي تتنـاول حيـاة الإنسـان البحـريني اليوميـة، وطريقـة حياتـه في مطعمه وملبسـه، بالإضافة إلى أنماط من الحياة التي عاشها الآباء والأجداد استقيتها من خـلال أحاديثي مع بعض كبـار السن الذين عـايشوا جـانبـا من هـذه الحياة أو مـن خلال قـراءاتي في الكتب المتخصصة، بالإضافة إلى أنني قمت بزيارة القرى التي لم أزرها فرسمت جوانب أخرى من الحياة البحرينية

والحياة اليومية، وبالمناسبة فإنني لم أنس الكويت وتحريرها بالذات فقد رسمت لوحة اسمها «العودة» وكان معرضي الأول منوعا فهناك أعمال بالزيت وأخرى بالألوان المائية، إلا أن الجمهور أحبني بالألوان المائية، ولذلك جاء معرضي الثاني كله بالألوان المائية، لقد لاقت لوحاتي تجاوبا مع الجمهور مثل لوحة «انطباع الشجر» ولوحة «البوسنة والهرسك»، وقد أصر الجمهور الذي حضر معرضي أن أبقي على الأسلوب التقليدي في



□ لوحة استخدم فيها الفنان الحروف العربية كإحدى أدوات الإبداع.

رسوماتي، والواقع أنني أفرح كثيرا عندما أزور أحد البيوت وأرى إحدى لوحاتي معلقة في مكان بارز من البيت، إنني أريد أن أزف إليك هذا الخبر: وهو أنني حصلت على المركز الثاني في مسابقة عن تحرير الكويت أقامتها السفارة الكويتية في البحرين والتي نحو أربعين فنانا بحرينيا وعربيا، وقام مشكورة باقتناء هذه اللوحة، وهي عبارة عن علم الكويت، وخلف الطفل جمهور غد الأبراج الكويتية، واللوحة معلقة في واجه الكويتية في البحرين.

تحرير الكويت.. وإلهامات فنية

ويعد الفنان عباس الموسوي من الفنانين الذين هزتهم مأساة غزو الكويت صيف ١٩٩٠، رسام محترف روى قصة بلاده البحرين في العديد من اللوحات التي تناول فيها جمال الطبيعة فصورها في أبهى ألوانها وصور ماضي البحرين. إنها رموز تتواصل في أعماق مساحات تأملاته الداخلية. لقد بهر الغرب عندما عرض لوحاته في بولونيا بإيطاليا، فكانت لوحاته أشبه بـ تكون بذلك التناقض الصارخ والمثير بين عالم الرمال والإبل والمياه المالحة وبين دنيا الصقيع والخضرة والطبيعة النابضة، إن لوحات الموسوي تمثل صور الطبيعة الصحراوية العطشى كي تراها عيون الناس بلا رتوش أو بهرجة، كأنه يقول لأوربا هذه بلادي، وهكذا نعيش بلا محسنات أو تزويق، يصور المناظر الطبيعية على حقيقتها أشجار النخيل الباسقة ورجل يمد يده المعروقة إلى ثمار التمر فيقتطف الرطب الجني ليقدمها إلى جارته اليافعة والتي يأمل أن تكون شريكة حياته في قادم الأيام، وإلى جانب ذلك لوحة أخرى تصور كثبان الرمال وهي تعانق جحافل السحاب عند الأفق ثم خيام تبرك حيالها الجمال ويقبع في ظلالها بدوي وبدوية في لثام وخمار وطاسة وسجادة صنعت من وبر الإبل والماعز. كل هذه المفردات توحي بوفاء الفنان للبيئة واعتزازه بعروبته وإسلامه، إن عباس الموسوي يعشق بيئته ويعكس دور غريزيا لمشاعر جياشة حيال بيئته وأرضه من خلال واقعه العربي الخليجي.

يقول الفنان عباس الموسوي: لقد هزتني مأساة الكويت وغزوها من الأعماق فانفعلت مع هذا الحدث المأساوي الذي هز نفوس العرب الشرفاء، فخلال فترة احتلال الكويت رسمت نحو عشر لوحات كانت بدايتها لوحة سميتها «ملحمة الغزو» حيث وضعت في هذه اللوحة كل التعابير الحقيقية بعد أن أدركت أن هناك مؤامرة ضد دولة الكويت. إن أهم عنصر في لوحة ملحمة الغزو هي دولة الكويت ومثلتها بالفتاة أو الأم أو المرأة التي تعني الكثير للإنسان، هذه الفتاة رافعة رأسها للسماء دلالة أن هناك دعاء ترجو من الله أن يستجيب

ويحرر بـلادهـا ممـا أصـابها. وهـذه الفتـاة الجميلـة هي الكويت، إنها كـالفراشـة بألوانها، وهنـاك علم الكويت، وهي إحدى عناصر اللوحـة، إن هذه الفتاة الجميلة تطل على العالم ونراها الآن في عـذاب وهي ممزقة الإهاب كأن هناك من يسلخ هذه البلدة الجميلة، مع هذا فإن للكويت موقفا وهـو المقاومة عندما خرجت وقـد مثلتها بالسيف وهو رمـز المقاومـة ورمز الصمود، ثـم إن الفتاة تحمل في يدها زهرة بـوريقاتها الست تمثل وريقات السلام أو دول مجلس التعـاون الخليجي. إن السيف الـذي خـرج من غمده فإن شبحه وظلاله يخيمان على منطقة الخليج، وكأن الحرب سـوف تقـوم، وهنـاك ظلمـة في منطقـة الخليج وبخاصة على أرض الكويت حيث امترج تاريخها بالسدو والخيام والسفن والبحر ومحارة تخرج منها هذه المرأة.

أمنية سلام

ويعرض لنا الفنان الموسوي لـوحة أخرى تحت عنوان «أمنية سـلام» ففي هذه اللـوحة يسجل تلـك اللحظات الحاسمة التي سبقـت حرب تحرير الكـويت، حيث يأمل في ألا تقـوم حرب ،وقـد احتـوت اللـوحة على عنـاصر بسيطة، إلا أنها تحمل فلسفة عميقـة هي التضحية في أن يقف الفنـان أربعا وعشرين سـاعـة أمام اللـوحة يـرسم واللوحة مقسمـة إلى مربعات، وكل دقيقـة تخص مربعا، وفي كل مربع روحية خاصـة وقد استعرق العمل في هذه اللوحة أربعا وعشرين ساعـة بلا توقف، وقد نقلت هذه اللوحة كرسالة من على شـاشة تلفزيون البحرين إلى دول المنطقة حيث تقـول لطاغيـة العراق: اخـرج من الكويت واجنح للسلم، إلا أن الطـاغيـة تمادى في غيـه وكـانت الحرب، فقام الفنان الموسـوي بتحبير الخلفية الموجودة في اللـوحـة، فتحـولت إلى لـون داكـن حـزين مخيف وعلم الكـويت يحده من كل الجهات، ومن بعـدهـا قام الفنـان الموسـوي برسم لـوحـة «ليلـة الكريسماس على بغـداد»، وهي تعبر عن الليلـة الأولى بعد قيام الحرب، حيـث نفذ الفنـان هذه اللـوحة في وحشـة وخـوف وترقب، ومـاذا سيكـون مصير هذا البلـد الـذي تحكمـه هذه العقليـات المريضـة الخاويـة. يقول الفنان عباس الموسوي : لقد قمت بـرسم ما يقـرب من عشر لوحـات وملصقات عن غـزو الكـويت وإنني أتمنى أن أعـرض هـذه اللـوحـات وهـذه الجداريـات في يـوم من الأيـام في معـرض خـاص في دولـة الكـويت لتكـون تسجيـلا صادقا عن أحداث مـرت ويجب أن يتذكرها الجميع، إنها أحداث مـؤلمة ويجب أن تستوقف هـذه اللحظات وأن تراجع وأن تكون عبرة للجميع. □



□ من أعمال الفنان المحرقي.

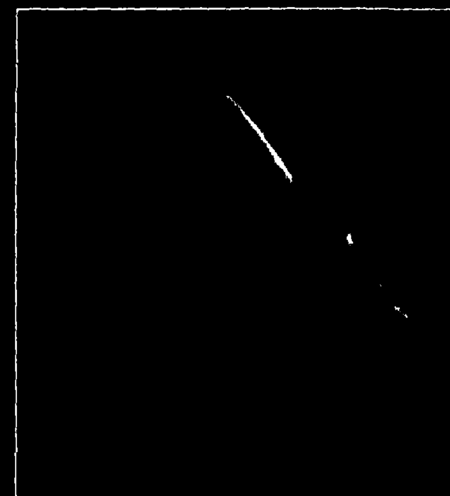


□ الفنان عدنان الأحمد والبنائية التنظيمية.

أعضاء صناعية لكنها.. حيّة

بقلم: عـزت عـامـر

العلاج الجيني (بالمورّثات) ليس جديدا، لكن أحدث الأبحاث في المختبرات البيولوجية العالمية، تجري الآن تجارب متقدمة لاستبدال عضو مصاب بالتلف بعضو صناعي حي في جسد المريض. وهذا الإجراء يفتح طريقا جديدا في مجال علوم العلاج بالجينات.



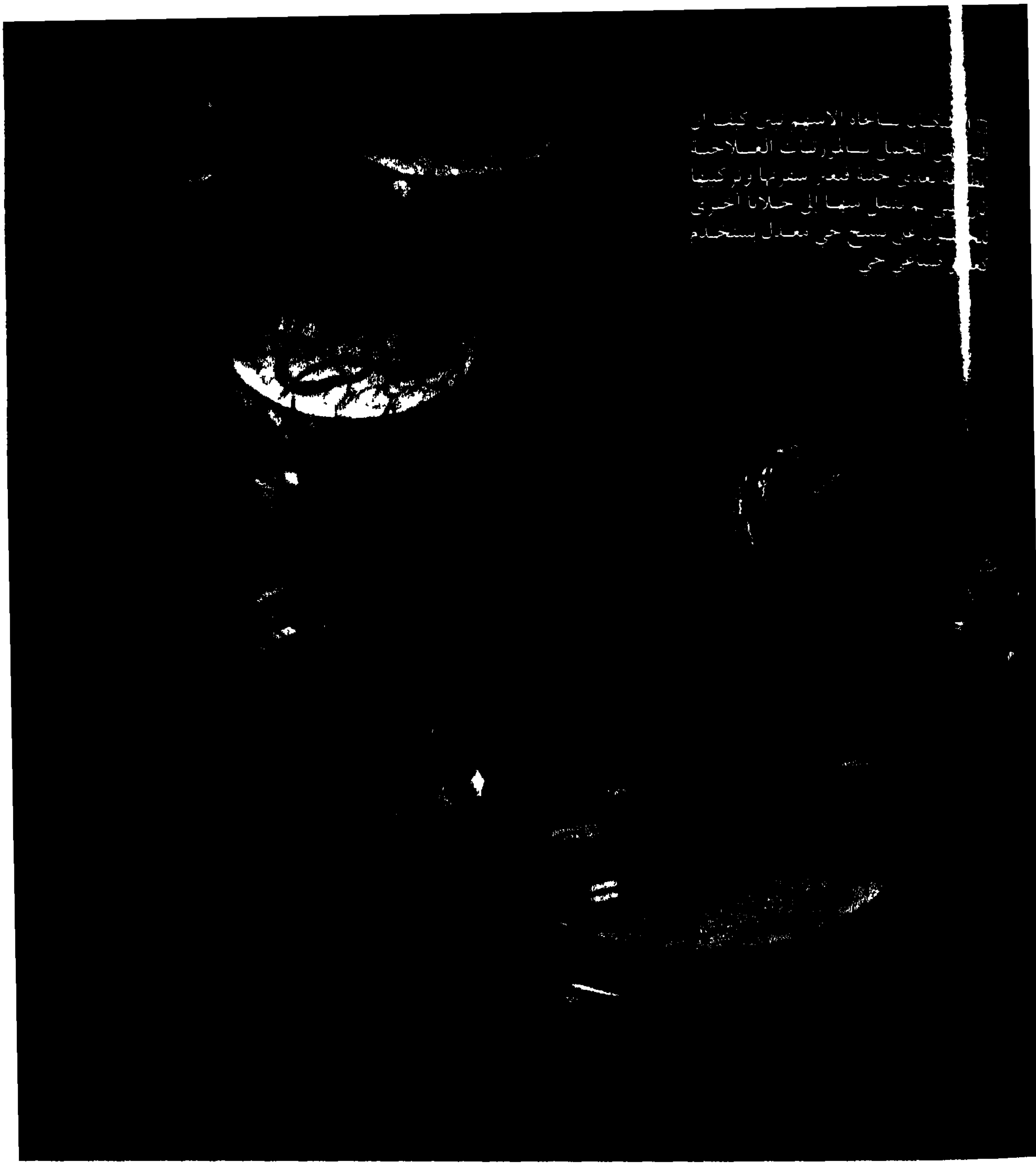
بعد عدة أسابيع من عملية الزرع، يتزود شبه العضو أوعية للنسيج وهكذا، مرتبطا بالدورة الدموية ... داخل الأجهزة العضوية المادة العلاجية ... سجها



بملقط، يمسك الجراح بكرة صغيرة جدا مائلة إلى البياض، تستقر في عمق إناء زجاجي ضيق العنق، ويضعها برقة داخل معدة فأر مخدر، مع جعلها تتلامس مباشرة بالمساريقة (غشاء يغلف الأمعاء ويربطها بالجدار البطني)، وذلك قبل إغلاق وخياطة البطن. هكذا تكون بذرة عضو جديد، (شبه عضو في حقيقة الأمر) قد زرعت في هذا الفأر وهذه البذرة تحتوي على خلايا جينية معدلة مخصصة لنشر أنزيم غير موجود بجسم الفأر المتقبل، وليس لهذا علاقة بمضخة ميكانيكية أو حتى أي عضو صناعي: فشبه العضو هذا أو العضو ـ الجديد، تم تكوينه في بيئة اصطناعية (في المعمل) انطلاقا من الخلايا الحية التي أخذت كعينة من عدة أسابيع سابقة من الفأر الذي يجب أن يستقبله.

وهذه التكنولوجيا في سبيلها للتطبيق في مختبر معهد باستير، ويعتبر هذا الأسلوب أحد الطرق الأكثر أصالة في مجال علوم العلاج الجينية، وربما واحدا من أكثرها أملا.

غالبية علوم العلاج الجينية (ما يقرب من عشرين تجربة يجرى تطبيقها الآن، على الإنسان في العالم) تشتمل على اقتطاع الخلايا من داخل المريض، وجعلها تتكاثر في المعمل بإضافة جين جديد إليها، وإعادة زرعها في الجسم! هذه الخلايا ـ باستثناء الخلايا الأصلية للكريات الدموية ـ لا تحمل على سطحها العناصر التي تتيح لها أن تجد موقعها الأصلي بنفسها، الموقع الوحيد الذي يمكنها أن تعمل فيه بشكل طبيعي، ولاحتياجها إلى بيئة خاصة لتستمر في حياة



جب إعادة زرعها مباشرة داخل العضو المناظر، كذلك تم النجاح بما يكفي لزراعة خلايا معدلة في الكبد أو حتى في المخ حيث يمكنها أن تبقى لعدة أسابيع. لكن هذه الخلايا تنقسم بطريقة منتشرة ولا يمكن التحكم فيها، فهي ترحل في قلب النسيج المضيف، فيصبح من المستحيل تقريبا معرفة إذا كانت تعمل أيضا أو حتى إذا كانت لاتزال باقية. وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن نزعها في حالة وجود مشكلة ما. وعقبة أخرى في التقنية التقليدية: غالبا ما يكون من الضروري تدمير جزء من النسيج المضيف حتى يصبح تحسينه ملائما لزرع خلايا معدلة.

في مواجهة كل هذه المصاعب، يستكشف علماء البيولوجيا طرقا متنوعة بهدف تحسين بقاء ونشاط الخلايا المزروعة. وأحد المساعي الأولى تشتمل على اقتطاع الخلايا من الحيوان، وإدخال الجين المطلوب فيها وجعلها تتكاثر في المعمل في وجود ركيزة اصطناعية. فمثلا حبيبات الدكستران (مركب سكري مقبول من الأجهزة العضوية) تقوم الخلايا بالالتصاق

بشكل طبيعي تماما على سطح الحبيبات. وما إن يتم إعادة زرعها، حتى يزداد وجودها بوفرة. ولكن هذا لا يحل مشاكل الانتشار لما تزرعه داخل النسيج المضيف، ولا يحل عدم انعكاس الطريقة. ورغب باحثون آخرون في استخدام مجمعات اصطناعية. لكن التكوينات المزروعة يتم تقهلها غالبا بشكل سيىء بواسطة الأجهزة العضوية، وتحدث ردود فعل التهابية خطيرة.

نسيج عضوي متجانس

قد يكون حلا لائقا أن تشكل هذه الخلايا المعدلة هي نفسها عضوا كاملا بشكل منفصل، نسيجا متجانسا مركزا تماما ومرتبطا بالدورة الدموية. وهكذا يمكن التحكم في تطور الخلايا وعملها مع الاحتفاظ باحتمال نزعها إذا احتاج الأمر. وهذا ما يحاول إنجازه فريق معهد باستير بواسطة «أشباه الأعضاء»، تحت إدارة أوليفيير دانوس وجان ـ ميشيل هيرد.

«الفكرة جذابة، وأسرع عديد من الباحثين منذ الآن في هذا الاتجاه»، هكذا يقول فيليب موبير، المشارك الثالث في الفريق. وقد أوضحت أعمالهم إمكانيتين تمهيديتين، فمن جانب تكوين نسيج بيولوجي متجانس التركيب، ومن جانب آخر انتظام الأوعية في هذا النسيج. وكان الأمريكي إندرفيرما ومساعدوه في معهد «سالك» بالولايات المتحدة هم الذين فتحوا الثغرة في أواسط الثمانينيات باستعمالهم الخلايا الليفية ـ الفيبروبلاستات في تجاربهم. وخلايا الجلد هذه معروفة تماما بالنسبة لعلماء البيولوجي. إنها من الخلايا الأكثر سهولة في تنميتها ومزجها في المعمل، وأدخل إليها «إندر فيرمي» المورث رقم «٤» بتخثر الدم الذي يتسبب غيابه في النعورية (مرض النرف) من النوع B، وزرع إحدى هذه الخلايا المعدلة تحت جلد حيوانات المختبر حيث تنتج هذه الخلايا عامل «٤» خلال زمن طويل نسبيا. لكن ما يتم زراعته لا يكون فعالا بما فيه الكفاية وتتحقق التجربة في شروط خاصة جدا: مثال لذلك، الفئران التي زرعت فيها خلايا معدلة كانت محرومة من الحماية المناعية. ووجب إجراء التجربة في حيوانات نعورية، ويمكن لبعض الكلاب أن تكون من هذا النوع، لكنها نادرة جدا. ولم يتم إنجاز التجربة.

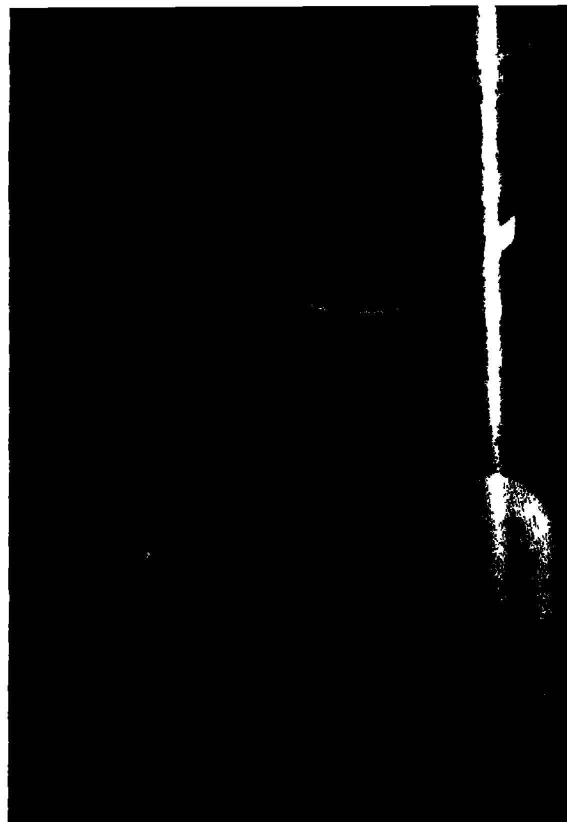
ثم فتحت الثغرة الثانية في نهاية الثمانينيات بواسطة فريق أمريكي آخر، فريق «توماس ماكياج» في المعهد القومي للصحة، علماء شغفوا بتكوين وتك... الأوعية الدموية، أوعية النشوء، فوضعوا في الخا... البطن للجرذان إسفنجة من الكولاجين (مادة بـ... الخلايا) مشربة بعامل نماء الفيبروبلاستات. وخـ... ل عد أسابيع نمت فيبروبلاستات في الإسفنجـ... مهدت شعرات صغيرة جدا لنفسها طريقا عبر الـ... ولاجين رابطة ما تم زرعه بالدورة الدموية العامة. و... عندئذ فريق توماس ماكياج بحقن خلايا كبد ... حل هذا التكوين المزود بالأوعية، والتي بدا عليها أنها بقيت هناك بدون مشاكل كبيرة.

وعندئذ قرر علماء البيولوجيا استعمال ألياف اصطناعية متوافقة حيويا كركيزة للكولاجين ولعامل النمو. وما إن تتم زراعة هذه الألياف، حتى تتغطى بسرعة بواسطة الفيبروبلاستات وتتزود المجموعة بالأوعية بوفرة، ويبدو أن هذا التكوين قد اندمج تماما في الأجهزة العضوية، متميزا بوضوح عن الأنسجة الأخرى، ويشبه هذا التكوين عضوا قائما بذاته، وقاموا بتدشينه باسم شبه عضو، مضيفين قليلا من عبق الخيال ـ العلمي على أعمالهم الواقعية تماما.

أعضاء صناعية حية

فيم يمكن أن يفيد شبه العضو، غير أن يحر وظيـ... ليس الجهاز العضوي نفسه قادرا على أدائها؟ جرب نفس الفريق الأمريكي عندئذ زرع شبه عضو عند جرذان مصابة بمرض في الكبد ـ عجز نظام استعمال مكون الصفراء، ناتج من تضاؤل الهيموجلوبين (يحدث هذا العجز تراكما لمكون الصفراء السام بالنسبة للمخ).

وما إن يتم استقرار انتظام الأوعية الدموية حتى يحقن الباحثون خلايا كبدية طبيعية داخل شبه العضو ويعلنوا تسجيل انخفاض معلوم في النسبة المئوية لمكون الصفراء. لكنهم يعلنون النصر مبكرين بعض الشيء: فبعد ثلاث سنوات، لم ينجحوا في إعادة إجراء تجربتهم. فأشباه العضو لم تكن تدوم طويلا بما فيه الكفاية، ورد الفعل الالتهابي يكون كبيرا، وسريعا جدا، ويتليف شبه العضو ويتوقف عن العمل ويجب على واضعي التجربة أن يعترفوا بفشلهم.



□ في بيئة مزرعة تتكاثر الخلايا المعدلة في كولاجين وألياف نسيج متوافق حيويا وبعد الانكماش تكون هذه الخلايا شبه عضو جاهز للزرع

طريق مسدود؟ فيما يخص التفاصيل، هذا ممكن. لكن ...يب مويير وزملاءه في معهد باستير مصممون بحزم على إيجاد وسيلة للالتفاف حول هذه العقبات. إذا كان باستطاعة أشباه الأعضاء البقاء مدة كافية بدون حدوث التهابات، وأن تكتسب طاقة إنتاجية، فهنا ستجد العلاجات الجينية نفحة ثانية. وفريق الباحثين الفرنسيين قريب تماما من الهدف، ففي وقت سابق، نجحوا في تحسين تمويه الألياف الاصطناعية بواسطة مواد تتيح إبقاء عامل النمو في مكانه بشكل أفضل. وبعكس ما يتم إنتاجه عادة عند إدخال مادة غريبة، لم تحدث في هذه الحالة ردود فعل التهابية تقريبا، فالألياف الواجب تحريرها تكون فعلا مغلفة بالكولاجين وبعامل النمو. ويحصل الباحثون بهذه الطريقة على أشباه أعضاء تبقى مستقرة ستة أشهر على الأقل.

عندما اجتذبتهم فائدة أعمال فريق إندرفيرما، قام فريق معهد باستير بحقن فيبروبلاستات معدلة جينيا داخل أشباه الأعضاء: فظلت فعالة خلال عدة أشهر! ويستخدم الفرنسيون فيبروبلاستات المتقبل التي يقتطعونها من جلده قبل العملية. واختلاف آخر، أنهم يقومون بتقديم جين أحد الأنزيمات الخاصة إلى الخلايا، أنزيم يسهل وضعه بلا شك، هو البيتا ـ جلوكورونيداس الإنساني. وعندما يكون جين هذا الأنزيم ناقصا، تطفح الأجهزة العضوية الجلوسيدات (مادة سكرية)، التي يجب تهبيطها عادة.

«النتائج مشجعة تماما ــ هكذا يلاحظ أوليفيير دانوس ــ لكن يجب العمل مرتين، المرة الأولى لوضع العضو الجديد، والثانية لحقن الخلايا المعدلة. ولا يخلو الأمر من العقبات، حيث توجد دائما المجازفة بالتسرب، وتظل كمية الخلايا التي تم حقنها ضعيفة. مما اقتضى مدخلا جديدا». وشرعوا بعدئذ في اقتطاع فيبروبلاستات من فأر مصاب بمرض ووضعوها في مزرعة. وتم نقل العدوى إليها بمساعدة الفيروس الذي ينقل إليها جين. beta - glucuronidase وتم تغطيس الفيبروبلاستات في الكولاجين ومعها الألياف الاصطناعية. وتلقائيا، توجهت الخلايا وكونت شبكة تنكمش بسرعة، لتعطي كرة صغيرة قطرها بضعة ملليمترات وبعد عملية الزرع، ينجز انتظام الأوعية الدموية نفسه دون إزعاج. وشبه العضو، المكون أساسا من خلايا معدلة، يكون عمليا في هذه الحالة

وبهذه الطريقة الجديدة، يكفي تدخل وحيد يعبر عنه أحد الباحثين بقوله: هذه المرة، لم نعد نلجأ إلى خدمات عدة ملايين من الخلايا المعدلة، إنها عشرات الملايين. ويبدو أنها جميعا تبقى برصانة في موضعها. ولم يعثر أبدا على ما هو أفضل من شبه العضو، حيث تكون النتائج مدهشة. ويتم إنتاج الأنزيم باستمرار وتعود ليزوسومات الخلايا الكبدية، أو خلايا الطحال أو الرئات إلى وضعها الطبيعي.

تطبيقات في العلاج

كم من الوقت يمكن لمثل أشباه الأعضاء هذه أن تبقى؟ يقول أوليفيير دانوس: «من الصعب الإعلان عن ذلك في الوقت الراهن، لكن عندما تؤخذ الأعضاء الجديدة بعد ستة أشهر، فإنها تكون نشطة أيضا. ويجب الآن الانتقال إلى دراسة طويلة الأجل ومن خلال حيوان أكبر».

ولقد اختاروا الكلب، حيث عنده يمكن وضع عدة أشباه أعضاء ذات قطر يبلغ عدة سنتيمترات. ويختص

الأمر هنا بزراعة عدة مليارات من الخلايا المعدلة. ولم يتم معرفة النتيجة بعد، لكن الباحثين واثقون من أنفسهم. ولدى الكلب يتم الاعتماد على وجود حاجز دهني مزود تماما بالأوعية وهو الذي يكسو المعى، والترب، ويعتبر عمليا جدا لزراعة أشباه الأعضاء. وهذه تفصيلة تشريحية تم تطويرها ويسهل الوصول إليها أيضا لدى الإنسان. ومن جهة أخرى، إذا سارت الأمور بهذه الجودة، لماذا لا يتم التجريب مباشرة في الإنسان؟ على كل حال، كما قام بتوضيحه أوليفيردانوس، باستثناء قليل، فقد تمت تجربة العلاجات الجينية الأولى بلا مرور على الحيوان! ولن تكون الحالة مماثلة هنا. يجب القول بأنه يبقى عدة تفاصيل تقنية يجري تنظيمها قبل الوصول إلى هذا الأمر.

«توجد فرصة مع أنزيم بيتا جلوكو يورونيداز» ـ يعترف فيليب مويير ـ «فيكفي القليل منه للحصول على نتيجة. وكذلك هل يجب زرع شبه العضو مبكرا بما يكفي للسماح بتخفيف القصور في العظام وفي المخ». في الحقيقة، يمكن أن يكون لأنزيم السكربات العديدة نتائج خطيرة في المراكز الحيوية كلها تقريبا. والأسلوب الوحيد لعلاج الإصابات العظمية والدماغية قد يكون زراعة أشباه الأعضاء منذ سن مبكرة، قبل أن يكون المخ أصعب منالا ومعزولا بواسطة الغشاء السحائي، ولا تكون الوصلات بعيدة عن متناول الأنزيم. والتجارب على الفأر المولود حديثا قد بدأت في هذه الحالة أخيرا في معهد باستير بتمرس صائب في الجراحة الدقيقة والتي يتوقع الفريق الكثير من خلالها.

تحسين آخر ممكن: الحصول على قدرة أقوى للجين الذي يتم إدخاله في خلايا شبه العضو. فالجين يكون مصحوبا بجزء من معزز المادة الحفازة، متضمنا في كل المراحل الأولى في استنساخ د.ن.أ، وإلى هنا يتم استعمال معزز يعمل داخل كثير من الخلا[يا]، ربما عند ربط هذا الجين بمعزز أكثر قوة وأ[...] سنجد أن قدرته صارت أقوى. ومن جهـ[ة] [...] يكون من الممكن دائما قياس جرعة الأنز[يم] [...] يظل من الصعب إذن الحصول على فكر[ة] [...] ينتجه شبه العضو. ويفكر فيليب مويير [...] يكون جديرا بالاهتمام صنع أشباه أعضاء [...] خلايا أخرى، غير الفيبروبلاستات، فالم[...] مثلا، (من الخلايا العضلية الصغيرة التي تظهر استقرارا أكثر). وهنا أيضا، فقط ال[...] الإنسان هو الذي سيسمح بالحسم.

وأيا كان التحفظ على نوع الخلية والم[...] لأشباه الأعضاء أن تجد تطبيقات عديـ[دة] [...] أوليفرنومي: «لقد بدأ إمداد الأجهزة العضـ[و]ية [...] لتخثر الدم، وبتطعيمات لبعض الفيرو[سات] [...] الإيدز، وبالهرمونات». والهرمونات تخلق [مشكلة أكثر] دقة، تلك الخاصة بالتنظيم الجيني، فالهرمو[نات تفرز] بطريقة متقطعة. بينما تبث أشباه الأعضاء [نتاجها] باستمرار. فيجب بناء على ذلك العثور على طريـ[قة] لتنظيم قدرة الجينات التي يتم زرعها في أشـ[باه] الأعضاء.

الإنترفيرون مثلا (وهو بروتين تنتجه الخلايا ضد الإصابة الفيروسية)، يمكنه أن يحث قدرة الجين وهو منتج غير مستقر يمكن استخدامه لإثارة النشاط لأجل قصير، وبالعكس، فمع تدبير تسلسلات قصيرة من د.ن.أ السابق الصنع، ومن أوليجونيكليوتيدات، ربما يتم التوصل إلى وقف نسخ جين خاص لمدة محددة.

لا يزال هناك الكثير أمام الأبحاث في مجال التطبيقات العلاجية، وليس من شيمة العلماء الجري وراء الأمنيات الخاطئة، لكن الوصول إلى حقائق مهما كان حجمها، يعتبر خطوة واثقة نحو مزيد من الإنجازات.□

سقراط والطعام

● دعا «سقراط» جماعة للطعام، فلما رأى أحد أخصائه بساطة الطعام وقلة الألوان، قال له: كان الأجدر أن تزيد اهتمامك بضيوفك!

فقال سقراط: إن كان ضيوفي عقلاء فعلى المائدة ما يكفيهم، وإن لم يكونوا عقلاء فعلى المائدة أكثر مما يستحقون.

الرحلة الأخيرة للسندباد

شعر : أحمد غراب

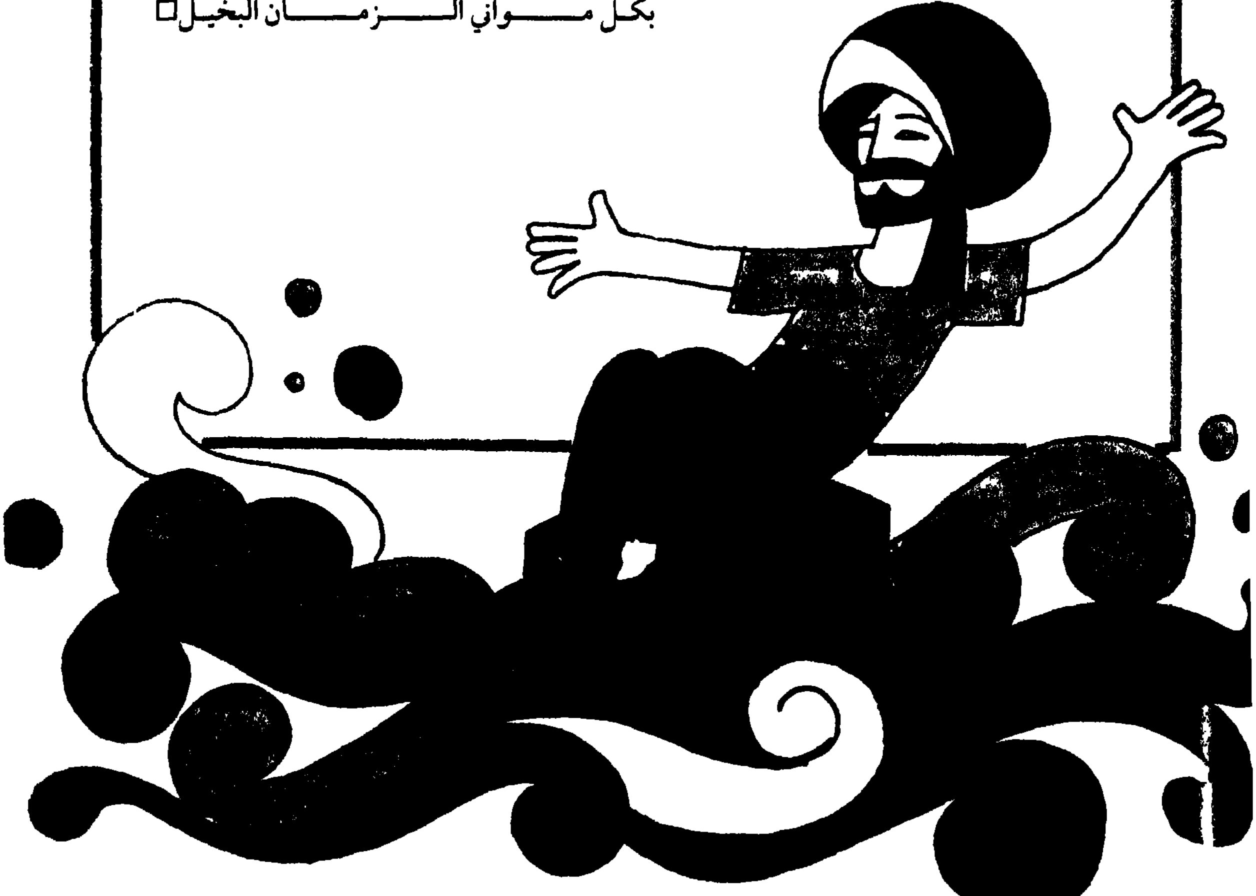
خريفية القلب لا تسأليني   إذا جئتُ مثل الشعاع النحيلْ
ومزقتُ عني وشاح الهوى   وأفردت أجنحتي للرحيل
فما كنت أدري بأني احترقت   بلا خيط ضوء ضئيل. ضئيل
وأني اعتصرت جنون الغمامة   حتى توارت بجرح الأصيل
وأني كسرت جميع المرايا   وأطفأت نبض البريق النبيل
ورحت أداني إلى الوهم وهما   فبعت العشايا لنجم قتيل
وها أنذا عائد من ضياعي   بأشلاء ناي ولحن هزيل
حقائب عمري غبار وريح   وجرحي على كل درب يسيل

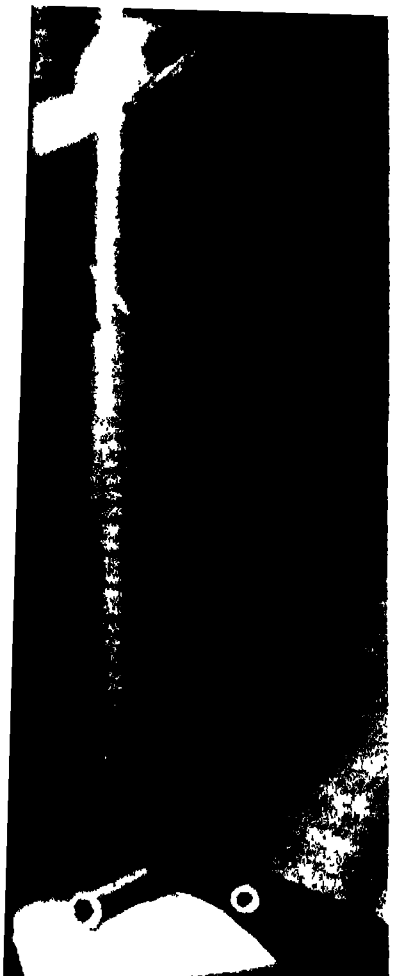
***

فيا ربوة أقسمتْ أن تموت   لقد آن للصيف أن يستقيل
غمرتُك دفئا فلم تعشبي   ولا أورق الشجر المستحيل
لماذا عشقتك؟ يدمى السؤال   حياء ويرنو بطرف ذليل
لماذا؟؟ ويصفر وجه الجواب   ويدخل كهف السكرت الثقيل

***

سأمضي، فقد كفر السندباد
بكل موانى الزمان البخيل□





معـــارك مـــوسيقيـــة
في المجتمع الغربي

بقلم: الــدكتـورة دريــة فهمي*

يطلق على القرن الثامن عشر الفرنسي قرن المعارك الأدبية والفنية والقومية والسياسية، ولقد رأى ذلك العصر تطور الفكر الفلسفي من مذاهب العقلانية ومـا وراء الطبيعة، إلى البحث العيني الواقعي للنظم الاجتماعيــة والكشف عن آفاتها وأسبــاب الفســاد فيهــا، وعجزها عن ضبـط الوضع الطبقي للأمة وانعـدام القيم الإنسانية.

ولم يكن لهؤلاء الفلاسفة أصحاب الفكر والقلم النظريات العلمية التي تجمع بينهم بل كـانـوا متنوعي الاتجاهات، ولم يكن غائبا عنهم الأسس الساري عليها الوضع السيـاسي ومـا يترتب عليه من التبـاس في المفهـوم العـام. وإذا ما تجرأ أحد الكتاب آنذاك بالتلميح إلى قسوة الظروف كان عليه أن يلوذ بالفرار ليلا هربا من مصير مجهول في سجن الباستيل.. ورغم ذلك فقد كتب الأديب المفكـر دالمبير قـائلا: «على الشـاعـر أن يكتب الشعـر، وعلى الموسيقي أن يـؤلـف الموسيقى، لكن على الفلاسفة الكتاب أن يتكلمـوا وعليهم أن يوجهوا الفكر وإنارة معالم الطريق». ومن هنـا سيكون لهم الأثر الفعال على تطورات الأحداث الفنية عامة والموسيقية خاصة.

وكـان الجو الفنـي آنـذاك يتسم بـالهدوء، بينما كـانت الأوبـرا الفرنسيـة قـد بـدأت على قاعـدة سليمـة وكأنها توحي بالثبات والاستحسـان العام. وعلى الرغم من هذا التوافق، فقد برزت فجأة حملة ضد البناء الفني للأسلوب الأوبرالي، مفـادها أنـه أسلوب مصطنع بعيـد عن طبيعة الحيـاة. وبـدأ الأديب جان جـاك روسـو يطلق صيحته الشهيرة قـائلا: «لنـرجع إلى الطبيعـة!». ويضيف زميله جريم قائلا: «إن هدف الفنـون الجميلة جميعها هو محاكاة الطبيعـة». ويتـوافق معهما ديـدرو قائــلا: «قـد لا يصح الشعر الغنائي إلا إذا نهل من الطبيعة وحاكاها».

فكان البعض يرى أنه على الموسيقى أن تعكس الطبيعة وخـريـر الميـاه الحالمة وهديـر الأمـواج وقصف الـرعد وهطـول الأمطار.. بينما يـرى البعض الآخر أن يغوص الفنان بمـوسيقاه في عمق الحس الإنساني ليعبر عما ينتابه كـانعكــاس لـلأحــداث المحيطـة بــه.. أي أن تعكس الموسيقى الجانب السيكولوجي للإنسان.

وتمضي بضع سنـوات في هدوء حتى كـادت تظهر على الأوبـرا الفرنسيـة علامـات الـركود. وفجأة، وفي شهر فبراير عام ١٧٥٢ تندلع عاصفة هوجاء ضد المسرحيات الغنـائية الخاليـة من الـروح. وكـان روسو جـري الطبع عنيـدا، فأعلن في عـزم تفضيلـه للمـوسيقى الإيطـالية، متناولا أعمال رامـو بنقد لم يجرؤ عليـه أحد من قـ... تم

* أستاذة ورئيسة قسم الأدب الفرنسي بجامعة الإسكندرية سابقا



سارع، إثباتا لإعجابه بالأسلوب الإيطالي، بتأليف فصل وبرالي على النمط الإيطالي. وقوبلت المسرحية بموافقة هيئة التحكيم وطلب مدير مسرح البلاط الملكي أن عرض المسرحية في حضرة الملك، بينما صمم مدير لأوبرا أن تكون الأولوية لفرقة الأوبرا ووصل الاحتدام ى حد المبارزة! وأخيرا كانت الكلمة للسلطة الملكية وتم عرض الأوبرا في شهر أكتوبر ١٧٥٢ بنجاح أمام لويس لخامس عشر الذي عبر عن رضائه بترنيم بعض النغمات صوت مسموع. ويتدخل القدر ليطرأ على هذا الجو لمشحون حدث جديد، وذلك بقدوم فرقة «المهرجين» لإيطالية إلى باريس، وكانت هذه التسمية تطلق على لممثلين المتجولين الذين تنحصر عروضهم على تمثيليات غنائية يطلق عليها «أوبرا بوف» أي «أوبرا هزلية».

ولم تكن هذه أول مرة تحضر فيها فرقة «المهرجين» إلى باريس، وكادت هذه الزيارة تمر بسلام أيضا لولا لرسائل المتبادلة بين روسو وجريم والتي تراشق بها بعض المتحمسين لتملأ الجو بالانفعال. وتتوالى العروض لإيطالية وتمتد إقامة الفرقة في باريس إلى عام ونصف عام تقريبا، إلا أن الجمهور قد انشق إلى فريقين: فبينما يرفض البعض هذا اللون الحديث الدخيل، كان البعض الآخر يصفق بحماس.. وتتزايد المشاحنات بين الفريقين إلى أقصى مدى، ويقول أحد النقاد عن هذه الفترة: «إن وصول المغنين الإيطاليين إلى باريس في هذه اللحظة من الحياة الفرنسية قد جنّب فرنسا الحرب الأهلية التي كانت على وشك الوقوع بين البرلمان والكنيسة والبلاط». بينما يقول روسو عن نفس الأحداث: «انقسمت باريس إلى حزبين بحمية وغضب كما لو كانت القضية سياسية أو دينية.. حزب قوي ذي سلطة التحق به علية القوم والأغنياء، وهو حزب الماهضين، أما الحزب الآخر فقد كان أقل عددا وأكثر نشاطا وحماسا، ويتكون من ذوي الخبرة والمواهب الحقيقية».

وهكذا بدت صالة الأوبرا أشبه بجمعية برلمانية ذات أحزاب: اليمين، واليسار والوسط، فالملكة إيطالية الأصل، بسطت حمايتها على الفرقة، بينما قام الملك بتشجيع الأعمال الفرنسية وعلـه ألا يحيد عن التقليد الملكي في إنصاف فن بلده! وتحاربت الأحزاب وهبت المعركة بين ركن الملك وركن الملكة الذي كان السبب في إثارة اللهب، فبدأت محاورات شفاهية ارتفعت إلى التراشق بالألفاظ الحادة الجارحة ثم ما لبثت أن تطورت ليتقاتلوا بالأيدي.. بل كانوا يتسللون إلى الشوارع الجانبية للأوبرا ليتبارزوا بالسيوف تحت ضوء المصابيح. وتدفقت المنشورات وبعضها بأقلام فلاسفة الموسوعة.. ومع ذلك الاندفاع الثوري نحو الموسيقى الإيطالية تناول أحد الموسيقيين الإيطاليين المقيمين في باريس نقد مسرحية روسو بكلمة وجيزة قائلا: «تتميز مسرحية السيد روسو بعدم الارتباط الدرامي اللهم إلا في تسلسل النغم العاطفي». إلا أن هذه المؤلفات الإيطالية الخفيفة المليئة بالفصول الترفيهية كانت كافية لهدم صرح الأوبرا الفرنسية العريقة والاعتراض على الأعمال التراجيدية الجادة لأمثال رامو. ولعل ذلك النجاح يرجع إلى السهولة الباسمة التي لا توحي بالجهد بل وتمثل انفراجا لإذابة حالة القلق والتوتر.. وتناسى الشعب الفرنسي الموقف السياسي الراقد على الرماد.. وكلما ازداد انتصار المهرجين ـ ذلك الانتصار المخالف للوضع الفني الصحيح ـ تبين مدى عدم

انسجام فن الأوبريت مع ما يتمناه الشعور العارم لذلك العصر. وطفح الكيل بسخط الفلاسفة عندما تكاتف المحافظون المناهضون للأوبرا الإيطالية الدخيلة ليتخلصوا من هؤلاء المهرجين، بأن حصلوا من الملك لويس الخامس عشر على قرار يلزم الفرقة بالرحيل. وهكذا كان للكتاب الفلاسفة في ذلك العصر أثر ملموس في المعركة ونجحوا بأقلامهم القوية في استمالة ذوي الميول المجددة وتضافرت أقلامهم لإنقاذ الأوبرا والموسيقى القومية الفرنسية. وتمر الأيام لتتجدد المعارك ثانية بين الفريق المناصر للموسيقي الألماني جلوك والفريق المتعصب للموسيقي الإيطالي بوتشيني، وكانت باريس قد اجتذبتهما في نفس الفترة تقريبا.. وتعتبر أعمال جلوك الأوبرالية بمثابة الخطوة الأولى في التطور الإصلاحي.. وما إن تم عرض عمله الثاني حتى كان كالقنبلة وأثار معركة مازال يذكرها تاريخ الموسيقى الغربية الكلاسيكية، فقد أراد جلوك أن يقضي على الإفراط في استغلال الفن على حساب التعبير الصادق. ومن أول وهلة ضربت أوبرا افيجيني الإعجاب كعمل فني سيكولوجي متوافق مع روح النص التاريخي ومتكامل معه. وكانت الافتتاحية ترمز إلى ما سمي فيما بعد باللايت موتيف أو اللحن القائد، الذي يتردد ليربط مختلف مراحل الموسيقى في وحدة متكاملة. ولم يكن معروفا حتى ذلك العهد، بل ولم يدرك أحد أهميته إلى أن جاء فاجنر بعد ثلثي قرن ليجعل منه أساس مدرسته الموسيقية. ومثلما انقسمت الآراء أيام المهرجين الإيطاليين، انقسمت أيضا بعد عرض أوبرا جلوك، واستيقظت المعركة القديمة لتزداد عنفا بين أنصار الفن الخفيف القائم على التنغيم الإيطالي المتحرر من أي التزام، وبين من ظلوا متمسكين بالنمط الكلاسيكي الجاد.. وكانت المعركة المشهورة التي لم تكن في بادىء الأمر تحمل أي علامات الهوس المفرط الذي انفجر فيما بعد.. ولولا وفاة لويس الخامس عشر في تلك الأيام لازدادت المعركة حدة ولهيبا. ويمثل حضور الموسيقي الإيطالي بوتشيني مواجهة حادة بين المدرسة الإيطالية والمدرسة الألمانية على مسرح الأوبرا الفرنسية.. فقد كانت أعمال بوتشيني من لون الأوبرا الهزلية بينما تعبر أ... عن روح الآلام النفسية الكلاسيكية. ويه... لدرجة أدت إلى إطلاق اسم الجلوكيين ... جلوك، والبوتشينيين على أنصار بوتشيني ... المؤرخون هذا الاضطراب الكامن في النف... كان يسود سياسة البلاد من غموض مبهـ... عن مقاومة الضغوط المفروضة عليها والـ... على الابتعاد عن الأحداث المقلقة التي كا... قرب اندلاع شيء ما. وتتسع حركات الـ... السلطات بكل أنواعها، ومنها سلطـ... فارتفعت الأصوات مطالبة بتجديد ... والسلطات العامة.. فلم تكن معارك الفن ...



□ برليوز

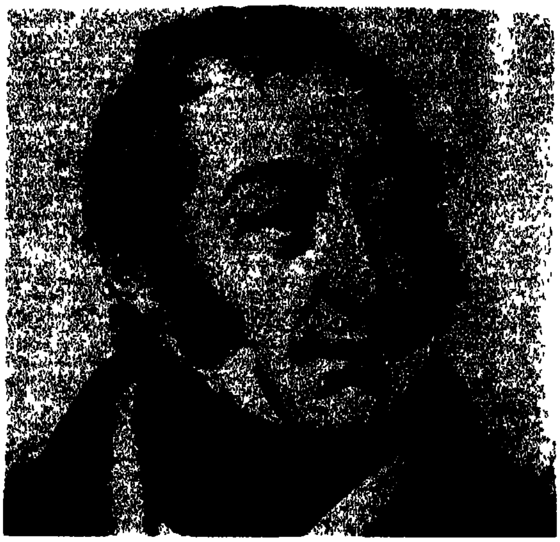


□ ريتشارد فاجنر

انعكاسا طفيفا لهذا التلاطم الرامي إلى التطور والتجديد.

وتمر الأيام بتلاطم وتندلع الثورة الفرنسية بطوفا... وبعد قرابة نصف قرن من معارك جلوك يجيء فاجنر بمنهجه التعديلي المعروف، لينتقل التطور أو التاريخ الموسيقي مباشرة من جلوك إلى فاجنر.. أو إلى ما هو معروف في المجال الموسيقي باسم «المعركة الكبرى» في القرن التاسع عشر.. تلك المعركة التي دارت رحاها بين فاجنر ومعاصريه.. فقد كان ريتشارد فاجنر محور المعارك الموسيقية التي زلزلت المجتمع الثقافي والسياسي الألماني والفرنسي في القرن الماضي. وتعد شخصية فاجنر متعددة الجوانب من علامات الحركة الموسيقية في تلك الحقبة، وقد ولد فيما بين عامي ١٨٠٩ و١٨١٣، في ...

لفترة ب شهدت تحرر الشعب الألماني من نير نابليون والسيد ة الفرنسية، وشب مشبعا بروح فنية مثالية مكرم حياته للفن. ولم تكن ألمانيا وقتئذ بغافلة عن لأحد ، التي هزت فرنسا وما أعقب ثورة يوليو عام ١٨٣٠ ن انتصار حرية الفكر. ولم تلبث روح التحرر أن عشت ين الشباب الألماني.. وتتصاعد الاحتجاجات صدا. كم السياسي التعسفي الذي يثقل على ألمانيا من ملوك لمعاهدة الثلاثية ضد الغموض والالتباس لكهنـ ني. وتأثر فاجنر بذلك التيار الراديكالي الذي نطر، إلى كل طبقات المجتمع وإلى أقصى ولايات لممالك الجرمانية.. وارتبط بحركة «ألمانيا الشباب» وراح يكتب لمقالات عن الظروف السياسية الراهنة وعلاقتها



□ روسيني

ـالفن. وانعكس موقفه هذا على موسيقاه ليعبر عن مضمون التحرر في الفكر الجرماني: التحرر من التكلف، تحرير المرأة، البعد عن النفاق والخديعة، المساواة، الديمقراطية، النضال ضد النزعات الاستبدادية للنبلاء المنحرفين.. وبرزت هذه النزعة في انتقاء نصوصه الأدبية للأعمال التي يود التعبير عنها في أوبراته ليصير بها بعيدا عن جفاف التعاليم التي يخضع لها الفن الألماني. فقد كان يطلب من الدراما الموسيقية أن تعبر عن الحياة بكل معانيها وانفعالاتها العاطفية حتى يكون تأثيرها على الجمهور سريعا مباشرا. ولم تكن حياته عادية.. كانت الدراما الفنية تواجه دراما عائلية خاصة، تثقلها الديون ومطاردة الدائنين.. فآثر السفر إلى باريس سعيا لتحقيق أفكاره الموسيقية الثورية الرومانسية. وما إن أفل نجم نابليون حتى انفجرت الروح الرومانسية انفجارا مدويا تحت عدة عوامل سياسية واجتماعية، يعززها التيار الرومانسي الذي أتاها من البلدان المحيطة. وقد ساعد على هذا الوضع قدرة باريس في أن تجتذب وتستبقي سيلا من الفنانين الأجانب. ولم يكن ذلك بجديد.

وفي نفس عام ١٨٣٠ الذي شهد معركة «هرناني» الأدبية التاريخية، كانت باريس مسرحا لأحداث سياسية واضطرابات ثورية منها تنازل لويس الثامن عشر، الذي خلف نابليون، عن عرش فرنسا لملك آخر من سلالة البوربون، هو شارل العاشر. وقد عرف عن هذه الأسرة أنها من مشجعي الوجود الإيطالي.. وقد سبق أن خصصت باريس مسرحا للموسيقى الإيطالية في عهد نابليون ـ الإيطالي الأصل ـ كما أطلق اسمهم على شارع من أعظم شوارعها الرئيسية هو Boulevard des Italiens، أي أنه كان للعديد من الفرق الإيطالية وجودها في باريس. واستمرت أعمال الإيطاليين وعلى رأسهم روسيني في نجاح متتابع، إلا أنه بسقوط شارل العاشر الذي كان يحميه اضطر إلى التخلي عن جميع الالتزامات الفنية والإدارية ليغادر باريس.

رومانسيون من فرنسا

ولم يكن في الوسط الفني من الفرنسيين من كان في قوة مواجهة الوضع السائد، بل إن الروح الرومانسية الحقة جاءت بها كوكبة متضافرة هي برليوز الفرنسي، وشوبان البولندي، وليست المجري، ولم يستجب لهم الجمهور الفرنسي في بادىء الأمر، ومع ذلك فقد كان لهم أثر ملموس على نخبة من المثقفين وصفوة المجتمع.

وتجاه التيار الثانوي المدلل، كانت الأوبرا الأصيلة تواصل مجراها الفني بكثير من الفخامة وامتدت منها الميلودراما الموسيقية تملأ العهد الثاني للإمبراطورية الفرنسية. وبدأ فاجنر مشواره الموسيقي في باريس بكتابة أغان رومانسية للصالونات الباريسية على كلمات مشاهير الشعراء المعاصرين، لكنها لم تجد إقبالا لصعوبتها. ولم تعطه فرنسا ما كان يتوق إليه، فخاب أمله وحاصرته الديون حتى إنه فوجىء بالقبض عليه وألقي في سجن كليشي ثلاثة أسابيع.. بينما كانت دار أوبرا مدينة درسدن الألمانية تعرض أوبرا فاجنر المعروفة باسم «رينزي» بنجاح.. وهي نفس الأوبرا التي تجاهلتها باريس. وتزداد مرارة المنفى وحتمية الاتصال بالحياة الفرنسية التي لم يتوافق معها، ليفكر في العودة إلى بلده. وبعد ثلاثة أعوام

من خيبة الأمل رحل عن باريس، عن تلك المدينة الغارقة «في الصخب والوحل» على حد قوله. وما إن عاد إلى بلده حتى شرع في كتابة مؤلفاته الجريئة.. وسرعان ما تضافر المعارضون وتجمعوا في جبهة هائلة تترصد لكل عرض يقدمه.. ورغم تلك الروح العدائية كان فاجنر قد اكتسب تقدير بعض الموسيقيين والمثقفين، لكن لحظات الغم كانت أقوى حتى تسلطت عليه فكرة الانتحار.

لكن غاياته المثالية دفعته إلى الحركة الثورية بشعور الفنان المحب للإنسانية. فيهلل للصخب الهادر في الشارع ويحض المواطن الصادق على هدم نظام فاسد وحضارة مصطنعة.. واقتحم فاجنر العمل السياسي، وفي إحدى خطبه السياسية أنهاها قائلا: «تلك الحركة ليست إلا مقدمة حتمية لثورة عملاقة شاملة تمهد لإصلاح جذري فيه الكرامة وفيه الأمان». ويجد فاجنر نفسه في نزاع حاد مع البارون راعي الفنون. فكان هجوما لا رحمة فيه، منه التمرد على السلطة، ويجاهر فاجنر بانتمائه للحزب المعارض الثائر. وسارعت السلطات بسحق الثورة، وكانت كارثة بالنسبة لفاجنر الذي فوجيء بالتهم التي تنهال عليه كما فوجيء بأمر القبض عليه! فاضطر إلى الهرب ليلا مخترقا الحدود إلى زيورخ في سويسرا تحت اسم مستعار وجواز سفر مزور مده به الفنان ليست.

وتمتد أيام المنفى إلى اثنتي عشرة سنة من ١٨٤٩ - ١٨٦١.. سنوات مريرة لكنه تعرف خلالها إلى الفيلسوف الألماني شوبنهور وكان في أواخر أيامه، لكنه اشتهر بنظرته التشاؤمية.. وتغلب الشؤم والزهد على فاجنر

وفي عام ١٨٥٩ يضع فاجنر كل أبعاد محنته في عمله الخالد المأخوذ عن أسطورة «تريستان وايزولت».. إلى جانب العديد من الأعمال الأخرى التي تهدف إلى تحقيق الأسس الجوهرية لمبادئه وأسلوبه الفني. فقد وصل عرض أوبرا «لوهنجرين» إلى سبعمائة حفلة.

هزيمة ويأس

وفي إحدى جولاته لأوربا عاد ثانية إلى باريس وكان لسقوط أوبرا «تانهاوزر» وقع شديد على فاجنر إذ عاوده الشعور بالهزيمة واليأس، لكن ذلك التيار العدواني لم يجرف كل المجتمع الفرنسي. وكان هناك من قام للدفاع عنه وعما أحدثه من ثورة بموسيقاه.. ويوم عزم على الرحيل من باريس حاملا كل بؤسه وأحزانه أتاه عرض من ملك بافاريا يدعوه إلى جانبه بلا تأخير إلى ميونخ. وشرع فاجنر في رفض مبادئه ... لائحة جديدة للمعهد الموسيقي. ولم يمهل ... تعالت صيحات المعارضين وهجر فاجنر ... الثانية مغضوبا عليه.. وبعد جهود مضنية ... مسرح بايرويت في منطقة بافاريا، وذلك ... عرض أعماله على المسارح الأخرى. ... التعليقات ما بين وصف أعماله بالفوضوية ... التشاؤمية، وتارة بأنها تعبير رائع مبدع ... الكلمة بالموسيقى في تعبير سماوي. ورغم ... الرهيب فإن أعمال فاجنر قد صمدت للتاريخ ... بل تعد من الروائع التي لم يظهر مثيلها ... بيتهوفن.. روائع ذات نضارة وصفاء موسيقي ... له إعجاب العالم. وقد أثر أثرا عميقا في مفهوم ... الموسيقي والبناء الأوبرالي، بل لقد كان له ... في تاريخ الموسيقى الأوربية عامة والألمانية خاصة. ... ابتكر الدراما المتكاملة التي تجمع بين مختلف العناصر الفنية في بناء سيمفوني يربط أجزاءه باستعادة اللحن المميز أو الجملة القيادية اللايت موتيف، وهي ... الفكرة الأساسية التي ترتبط بالشخصيات ... تحركاتهم. وحتى بعد وفاته عام ١٨٨٣ في فينسيا، بعد أن نال شهرة في أوربا بأكملها، ظل الرأي في فرنسا التي لم يله منها إلا خيبة الأمل - منقسما حول أعماله بل لقد أدى موقفه المضاد لفرنسا عند انتصار الألمان عليها عام ١٨٧٠ إلى انفجار عنيف ضده من قبل الوطنيين الفرنسيين. ويزداد اللغط عنفا ضد سلطان هذا «العدو الجرماني» وانحرفت الأزمة إلى عاصفة هوجاء خرجت عن الاتزان: فمن معارضة فيه تطورت إلى دفاع وطني ضد «مغتصب»! وذلك عندما نظمت إحدى القاعات الفرنسية عام ١٨٨٦، أي بعد ثلاث سنوات من وفاته، عرضا لأوبرا «لوهنجرين» وهنا تحول الصخب إلى معركة حامية تعانقت فيها اللعنات والقبعات والكراسي.. ولم يكن الاعتراض هذه المرة على «شخصيته الساكسونية البروسية» وإنما ضد عبقريته الموسيقية، فبعد أن هاجموا شخصه تحول الطعن إلى فنه. وتمر الأيام — حتى في فرنسا الهوائية النزوات - لتتحول الأقلام الهدامة بالأمس إلى دفاع مجيد عن عبقرية فاجنر تقوم بالدفاع عنه والتمهيد لرد اعتباره.. وعلى الرغم مما قاله أحد النقاد الفرنسيين من «أن دراما فاجنر لا تتفق والروح الفرنسية» فقد استطاع فاجنر أن يفرض نفسه بعظمة فنه ومازال الفرنسيون يحجون سنويا إلى مسرحه في مدينة بايرويت.□

البيت العربي



الرمد الصديدي عند الأطفال

عادة مص الإصبع • أطفالنا وتعليم اللغة الثانية





□ رمد مخاطي صديدي.



□ رمد بزاوية العين «زاوي».

الرمد الصديدي عند الأطفال

بقلم : الدكتور محمد مصطفى السمري

تعد الأرماد من أخطر أمراض العيون وأكثرها انتشارا بين الأطفال، ويعرف الرمد بأنه التهاب يصيب ملتحمة العين، وهي الغشاء المخاطي الذي يغطي بياض العين ويبطن الجفون من الداخل فماذا عن هذا الرمد؟ وكيف نحمي عيون أطفالنا منه؟

الرمد الصديدي أخطر أنواع الأرماد، وأهم أسباب فقد البصر أو العمى في الأطفال، وهو مرض شديد العدوى، عبارة عن التهاب حاد يصيب ملتحمة العينين أو العين تلو الأخرى، نتيجة العدوى بميكروبات خاصة أهمها ميكروب السيلان والدفتيريا والبكتيريا العنقودية والسبحية، ويكثر حدوثه في الأطفال خاصة في المناطق التي تفتقر إلى الشروط الصحية العامة وقواعد النظافة الشخصية.

وتنتقل العدوى عن طريق انتقال الإفرازات التي يطلق عليها العامة «العماص» من طفل مريض إلى آخر سليم، بعد



□ رمد صديدي نتيجة الإصابة بميكروب السيلان.



□ رمد صديدي غشائي نتيجة الإصابة بميكروب الدفتيريا.

الذباب المسبب الأكبر في انتشار العدوى بالمرض، إذ يحمل الإفرازات المرضية وينقلها من عين طفل مريض إلى عين آخر سليم، كما تنتقل العدوى عن طريق استعمال أدوات المريض الشخصية خاصة الفوط أو المناديل أو أقمشة الفراش الملوثة بالإفرازات، وفي بعض الأحيان تنتقل العدوى عن طريق حمامات السباحة الملوثة بإفرازات طفل مريض.

وبعد فترة حضانة تتراوح بين عدة ساعات إلى ثلاثة أيام، يبدأ المرض باحتقان شديد في العين المصابة فتصبح حمراء قانية، ويكثر إفرازها للدموع، ويتورم الجفنان، ولا يلبث الإفراز أن يتحول من إفراز مائي إلى إفراز صديدي غزير ينساب من الجفون ويتساقط على خد الطفل، ويزداد تورم الجفنين خصوصا الجفن العلوي مع ألم شديد في العين خاصة عند لمسها أو تحريكها، وعادة يصاحب المرض ارتفاع في درجة الحرارة وتضخم الغدد اللمفاوية النكفية الواقعة أمام الأذن.

وترجع خطورة الرمد الصديدي إلى زيادة نسبة مضاعفاته، فإذا أهمل علاجه أو لم يعالج علاجا سريعا وكافيا فإنه في معظم الحالات يؤدي إلى «قرحية القرنية»، والقرنية هي الغشاء الأمامي الشفاف من جدار العين، وتؤدي قرحة القرنية إلى عتامة القرنية ومن ثم إلى ضعف مستديم في قوة الإبصار أو فقد البصر كلية لا قدر الله.

وللوقاية من الرمد الصديدي يجب اتباع الآتي:

١ ـ رفع الوعي الصحي بين الأمهات.

٢ ـ رفع المستوى الصحي للمجتمع بتوفير المياه النقية والصرف الصحي، والإسكان المناسب، وإزالة القمامة والفضلات، وغير ذلك.

٣ ـ الاهتمام بالنظافة الشخصية للطفل، وغسل وجهه ويديه عدة مرات يوميا بالماء والصابون خاصة في فصل الصيف.

٤ ـ القضاء على الذباب الناقل للعدوى.

٥ ـ ضرورة تغطية وجه الطفل الرضيع بقطعة من الشاش الخفيف والنظيف خاصة أثناء النوم.

٦ ـ نهي الطفل عن دعك عينيه براحة يده، فعادة ماتكون اليد ملوثة بالميكروبات.

٧ ـ يجب تخصيص فوط ومناديل لكل فرد في الأسرة مع عدم استعمال مناديل أو فوط الآخرين.

٨ ـ يجب غلي المناديل والفوط وأكياس الوسادات وملابس المريض لقتل ما يكون قد علق بها من ميكروبات.

٩ ـ يجب على القائم بالعناية بالمريض غسل يديه جيدا حتى لا ينقل العدوى من عين المريض إلى عينه أو إلى عين فرد آخر من أفراد الأسرة.

١٠ ـ يجب الإسراع بعرض الطفل على طبيب العيون عند إصابته بأي احتقان أو وجود إفرازات بعينه.

وقد أصبح علاج الرمد الصديدي الآن سهلا ميسورا، ويتلخص في نظافة العين، وغسلها عدة مرات يوميا بمحلول «حمض البوريك ٤٪» لإزالة الإفرازات، واستعمال قطرة مضاد حيوي مثل «مفينوكول ٥ ,٪»، بالجرعة التي يحددها الطبيب المعالج، مع مرهم مضاد حيوي مثل «التيراميسين» قبل النوم، حيث يعمل المرهم على عدم التصاق الجفون فضلا عن قتل الميكروبات طوال الليل.

وننصح الأم بعدم ربط العين لأن ذلك يؤدي إلى تجميع الإفرازات بما تحمله من ميكروبات في العين، ومن ثم يزداد احتمال حدوث المضاعفات، وفي حالة تقرح القرنية يجب أن يتم العلاج

تحت إشراف طبيب عيون أخصائي منعا لحدوث المضاعفات الخطيرة التي تنجم عن إهمال العلاج.

الرمد الصديدي في الأطفال حديثي الولادة

وثمة نوع آخر من الرمد الصديدي يصيب الأطفال حديثي الولادة، وتسببه عدة ميكروبات أهمها: ميكروب السيلان والكلاميديا والبكتيريا السبحية، ويحدث نتيجة لعدوى تناسلية بهذه الميكروبات عن طريق الإفرازات الموجودة بمهبل الأم أو عنق الرحم أو مجرى البول أثناء ولادة الطفل، وقبل سنوات قليلة كان هذا الرمد هو المسئول وحده عن ٥٠٪ من حالات العمى بين الأطفال، ولكن الآن ونتيجة لندرة مرض السيلان وتحسن طرق الوقاية والعلاج بالمضادات الحيوية الحديثة فلقد تناقص عدد حالات هذا المرض تناقصا كبيرا، كما قلّت حدته وخطورته عن ذي قبل.

ويعد الرمد الصديدي الناتج عن ميكروب السيلان أخطر أنواع الرمد الصديدي قاطبة، ويتميز بإفراز مخاطي صديدي سرعان ما يتحول إلى إفراز صديدي، وتصبح ملتحمة العين ملتهبة وحمراء لامعة ومتورمة، ويتدفق منها إفراز صديدي أصفر اللون سميك القوام، كما تتورم الجفون، وفي معظم الحالات تصاب العينان معا بالمرض وإن كانت إحداهما أسوأ من الأخرى.

ويظهر الرمد الصديدي في الأطفال حديثي الولادة ــ عادة ــ خلال الأسبوع الأول بعد الولادة على هيئة إفراز مخاطي صديدي، أو صديدي، أي على هيئة إفرازات سائلة تظنها الأم دموعا، والمعروف أن عيون الطفل حديثي الولادة لا تدمع إلا بعد مرور أسبوع من الولادة، وعلى ذلك فإن أي إفراز من العين ـ حتى لو كان مائيا ـ خلال الأسبوع الأول من الولادة يعتبر رمدا صديديا، يستلزم عرض الطفل فورا على أخصائي العيون لمباشرة العلاج ومنع المضاعفات السابق ذكرها.

وتتلخص طرق الوقاية من هذا الرمد فيما يلي:

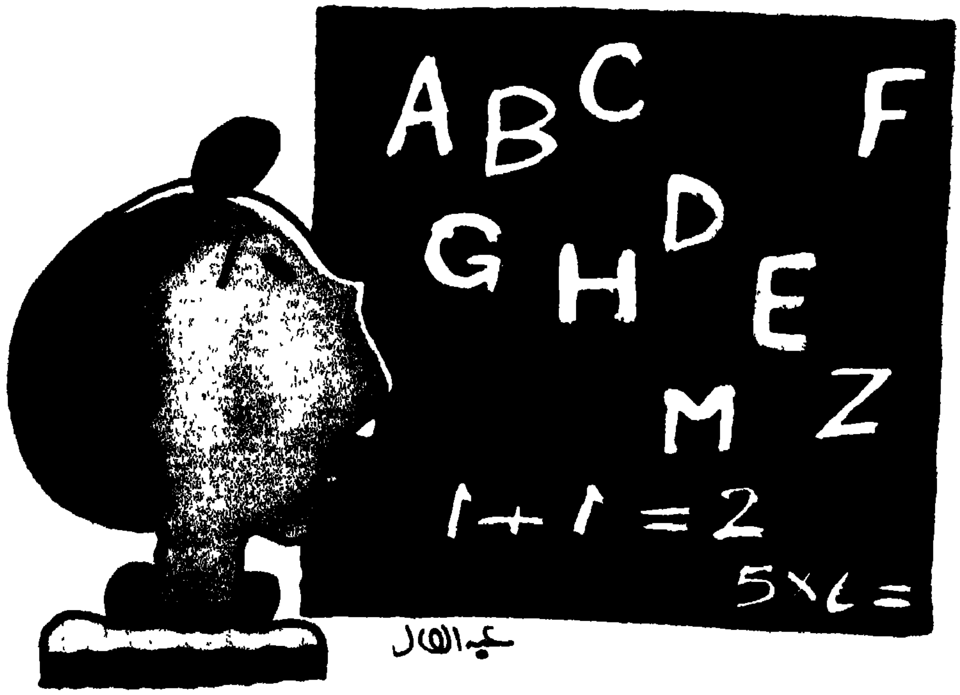
١ ـ علاج أي إفرازات مهبلية عند الأم قبل الولادة علاجا كافيا.

٢ ـ مراعاة الوسائل الصحية والنظافة التامة وقت الولادة.

٣ ـ وضع قطرة مطهرة في عيني الطفل فور ولادته على سبيل الوقاية ولتكن قطرة نترات الفضة ١٪، مع مسح العين من الخارج بقطن نظيف مبلل بماء سبق غليه.

٤ ــ متابعة عين الطفل الوليد خلال الأسبوع الأول من الولادة، وضرورة عرض الطفل الوليد فورا على الطبيب عند إصابته أو الاشتباه في حدوث عدوى له. ويتم العلاج باستعمال بعض الغسولات المطهرة للتخلص من الإفرازات، واستعمال قطرات أو مراهم معينة يصفها الطبيب المعالج، والجدير بالذكر أن نتيجة العلاج لهذا المرض ــ إذا لم تتأخر الأم في عرض طفلها المصاب على الطبيب ـ تظهر خلال ساعات قليلة، ومن هنا ندعو الأم ـ مرة أخرى ـ إلى سرعة عرض طفلها على الطبيب في حالة ظهور أي إفراز بعينه. □





أطفالنا وتعليم اللغة الثانية

بقلم: هالة ببيلي الروماني *

كثر الحوار في هذه الأيام حول جدوى ادخال تعليم اللغة الانجليزية في مناهج المرحلة الابتدائية، وبينت بعض الآراء معارضة الصعوبات التي يواجهها معلمو هذه المرحلة في التعامل مع اللغتين، الأمر الذي حمل البعض على الدعوة لاعادة النظر في الموضوع وتأجيل تعليم اللغة الثانية إلى المرحلة الإعدادية.

إن التحديات التي نواجهها اليوم في هذا العالم الحديد تجعل ثنائية اللغة لدى أطفالنا وحتى لدى البالغين منا من ضروريات الحياة والتطور وليست أمرا متمما أو كماليا، وتهيئة أولادنا للتعامل مع هذا العالم للاستفادة من التقدم العلمي والتقني الذي يتميز به هو الوسيلة الوحيدة أمامنا لتأهيلهم للتوصل لبناء العالم الجديد الذي نسعى إليه والذي يجب أن ينبثق من ديننا وأعرافنا ويتمكن في الوقت نفسه من أن يتفاعل مع حضارة القرن الواحد والعشرين.

وقرار البدء بتعليم اللغة الثانية في مرحلة مبكرة ليس قرارا سياسيا أو عاطفيا، وإنما هو قرار يبنى على الواقع الذي يفرض نفسه، فاللغة وسيلة لاكتساب العلم والمشاركة في الحوار والإعلام الذي يسيطر على هذا العالم، فالغرب تعلم اللغة العربية في العصور الوسطى

* خبيرة مونتيسوري التعليمية لمنطقة الشرق الأوسط.



ليقتبس من الحضارة العربية والإسلامية أيام أوجها حتى وصل إلى ما هو فيه الآن من تقدم علمي وحضاري، ولم يفقده ذلك كيانه أو ولاءه للغاته الأم أو لعاداته وأعرافه. واختيار اللغة الإنجليزية لغة ثانية ليس توجها سياسيا مفروضا أو لأنها لغة التعامل الرسمية وإنما اختيار مبني على واقع كون هذه اللغة في هذه الحقبة من الزمن، اللغة التي توافرت بها أكبر كمية من مصادر المعلومات، وأنها اللغة الأولى للتعليم العالي الذي نود أن نيسره لأطفالنا دون أن تكون اللغة عائقا بينهم وبينه.

قرار لا يقبل التأجيل

ولهذا فإن تعليم اللغة الثانية يجب أن يكون ركنا أساسيا من أركان مناهجنا الحديثة لا يقبل إعادة النظر أو التأجيل، وإن كان لا بد من إعادة النظر بسبب الصعوبات التي قابلتها التجربة، فإن ذلك يجب أن يتم من خلال إعادة النظر في الطريقة التي اتبعت لتعليم اللغة الثانية، وإن أردنا إعادة النظر في المرحلة التي يبدأ فيها تعليم اللغة الثانية، فإن ذلك يجب أن يتم من خلال دراسة إمكان البدء في تعليمها في مرحلة أبكر لا في مرحلة أكثر تأخرا، وذلك من خلال دراسة الطريقة التي يكتسب بها الأطفال اللغة خلال مراحل نموهم وبالاستفادة من نتائج تجارب مشابهة لتعليم اللغة الثانية.

إن اكتساب أو تعلم اللغة بشكلها العام لدى الطفل يرتبط ارتباطا مباشرا بنموه الفسيولوجي حيث تتطور الروابط بين الخلايا العصبية في مركز اللغة في الدماغ خلال السنة الثانية من العمر لتصبح قادرة على رسم الأشكال المختلفة للأصوات وتكوين الكلمات ثم الربط بين الكلمات والمعاني. وتبدأ خلال السنة الثالثة من العمر عملية الربط بين الكلمات لتكوين جمل مفيدة تتطور من عبارات قصيرة إلى جمل مركبة أكثر تعقيدا وفق قواعد تتطور من القواعد اللغوية العامة إلى أن تشمل الحالات الخاصة للقواعد بين عمر ٣ و٦ سنوات.

وقد أجمع علماء التربية على أن الفترة من عمر الطفل بين سنتين وست سنوات هي الفترة التي يكون فيها الطفل أكثر استعدادا أو حساسية لتعلم اللغة «الفترة الحساسة للغة» وهي الفترة التي يكتسب فيها الطفل لغته الأم. وقد بينت الدراسات أن الأطفال الذين يبدأون تعلم لغة ثانية في نفس الفترة يتعلمون اللغتين معا كأنهما لغة واحدة ويصبح بمقدورهم بشكل تلقائي استعمال اسمين مختلفين لنفس المسمى.

بينما يلاحظ أن الأطفال الذين يبدأون تعلم اللغة الثانية بعد هذه الفترة الحساسة لتعلم اللغة «بعد ٦ سنوات» يتعلمونها بشكل يشابه تعلم البالغين للغة الثانية، فهم يتعلمونها كلغة منفصلة وبشكل منهجي مما يجعلهم يتعلمون فقط المفردات التي تضمنتها مناهجهم دون أي ارتباط مع مفردات لغتهم الأم التي تعلموها خلال فترة

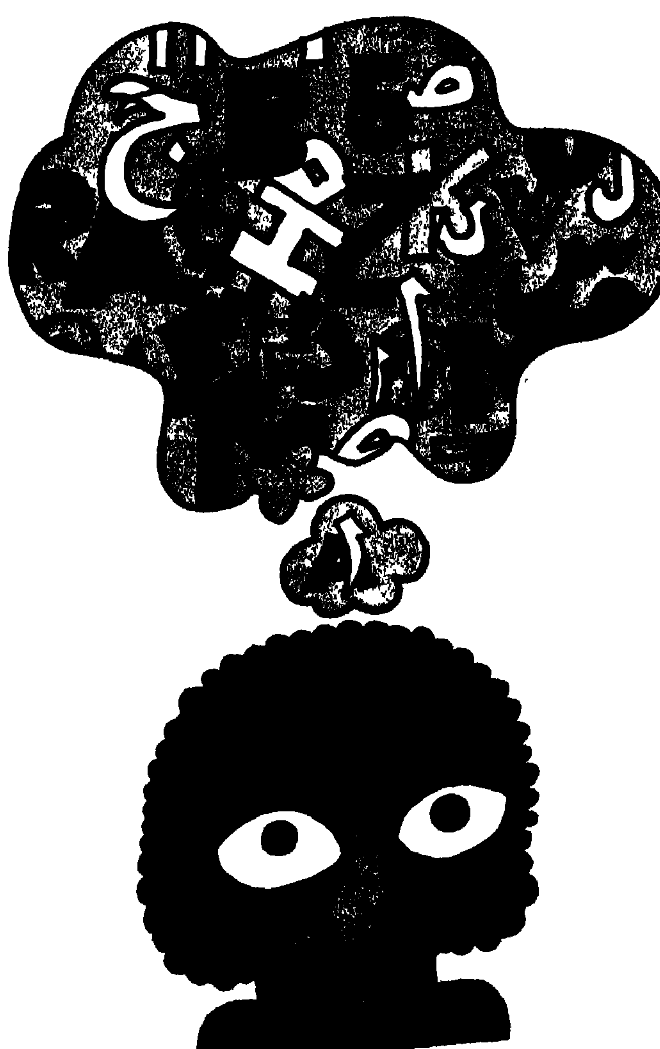
...ـسة ودون أي ارتبـاط مع ...خبرات المكتسبة، ولذلك نجد أن ...ولا الأطفـال يبـذلـون جهـدا ...كبير عند حـاجتهم للتحول ...من لغـة إلى أخـرى، كما تـلاحظ ...لديهم أعـراض الخلط بين اللغتين ...بشكل واضح.

...وضرر غير قابل للإصلاح

وقـد أثبت علماء التربيـة من ...خلال تجارب عملية أن الأطفـال الذين لم تتح لهم الفرصة لاكتساب اللغـة خـلال هـذه الفترة، سـواء لأسباب فيـزيائيـة كفقدان القـدرة على السمع أو لأسباب اجتماعيـة «تجربـة جـان ايتـارد مـع طفل آفيرون» فإن الضرر الـذي يحدث لديهم يصبح ضررا دائما وغير قابل للإصلاح إلا ضمـن حدود تعتمد على درجة الحرمان السابق، فلذلك ذهب بعض التربـويين إلى حـد تسمية هـذه الفترة بالفترة الحرجـة لتعلم اللغـة تقـديـرا لمدى أهميـة تعليم اللغـة خلالها وخطـر تأجيل ذلك لما بعدها.

إن الفترة الحسـاسة لتعلم اللغـة لـدى الطفل تعطي العمليـة التعليميـة الفـرصـة الملائمـة والتوقيت المناسب لتعريض الطفل للغـة الثـانيـة بشكل يمكنـه من اكتسابها مع لغتـه الأم مستفيدا من كل الخبرات التي يختزنها تلقـائيا في هـذه المرحلـة. ومن المؤكـد أن تحضير الطفل خـلال هذه المرحلـة المبكـرة سـوف يـزيـد الكثير من الصعـوبـات التي ظهـرت عنـد محاولة البدء بتعليم اللغـة الثانية في المرحلـة الابتدائيـة، ويمكن أن يتم ذلك من خـلال وضع الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة في بيئة ثنائية اللغـة تتـوازن بي عـرض اللغتين وتخلق الفـرص المناسبـة لاستعمال كل منهما من خـلال الألعـاب اللغـويـة والمحـادثـة والقصص والمساعـدات التعليمية للغة دون استعمال العملية التعليمية المباشرة.

ومن الجدير بـالـذكـر في هـذا المجال أنه لا مجال لمقارنة تجربتنا في التعليم المبكـر للغـة الثـانيـة مع التجـارب المماثلـة في الـدول المتحضرة كإنجلترا أو أمـريكـا، حيث تعتبر اللغات الثانية بالنسبة لهم من الكماليـات. وربما كـان من الأجدر أن نقارن التجربة مع تلك التي تتم في الهنـد أو اليـابـان التي تعيش ظـروفـا مشـابهة لظـروفنـا وحيث يعتبر تعليم اللغـة الإنجليـزيـة لـديهم مـن المرحلـة المبكـرة ركنـا أسـاسيـا من أركـان برامجهم التعليمية. □



عادة مص الإصبع عند الأطفال



بقلم: الدكتور زياد بغدادي*

هناك العديد من العادات التي يألفها الطفل منذ صغره وربما تأصلت في نفسه مع كبره، والتي يمكن أن ينتج عنها مشاكل عديدة على الصعيد الجسمي أو النفسي، تحتاج مثل هذه العادات لانتباه الوالدين، ومحاولة القيام بعلاج هذه العادات قبل تأصلها وتحولها إلى حالة مرضية.

إن أغلب هذه العادات تكون في منطقة الفم والأسنان، لأسباب سنذكرها لاحقا، كعادة مص الإصبع وعادة اللهاية «المسكتة»، وعادة مص الشفة، وعادة دفع اللسان، وعادة قضم الأظافر، وحتى عادة تعذيب الذات. تشكل عادة مص الإصبع النسبة الكبرى من هذه العادات، ولذلك ستتحدث عنها في هذا المقال ونكمل التحدث عن بقية العادات في مقالات لاحقة.

من المعلوم أن منعكس المص عند الوليد يبلغ درجة عالية من النضج، وأظن أنه لا تزال في الذاكرة تلك الصورة الفريدة لجنين يمص إصبعه وهو في رحم أمه، إذ إن المص ليس آلية لتلقي الغذاء فقط، بل كذلك يفيد في منح الطفل الوليد شعورا بالسيادة والنشوة، إن الوليد يملك طاقات كامنة تفوق ما قد يتصوره إنسان ويحتاج إلى صرفها، ولا يستطيع في هذه المرحلة المبكرة من عمره أن يصرفها إلا عن طريق هذه الآلية لكونه لا يقدر على الكلام أو الحبو، فإن توافرت له الفرصة لصرف هذه الطاقة من خلال الرضاعة الطبيعية الوالدية مع دفء وحنان الأم، فإن هذه الطاقة تصرف وبشكل طبيعي، ولكن الذي يحدث في هذا العصر، عصر السرعة وعمل المرأة، أن تعمد الكثير من الأمهات إلى استعمال الزجاجة البلاستيكية بديلا عن حليبها وحنانها، وتعمد إضافة لذلك إلى توسيع فوهة الحلمة وربما زيادة عدد فوهاتها، وبالتالي لا يستطيع الطفل صرف طاقته الكامنة فيصرفها بالطريق الوحيد الممكن لديه وهو المص وبخاصة مص الإصبع، إصبع اليد، وربما أحيانا إصبع القدم؟!.

ويوجد العديد من العوامل النفسية التي تتدخل في نشوء هذه

* طبيب أسنان من سوريا.

لعـ وتـرسيخهـا، أو ربما رتداد بعد انقطاع، منها شعور الطفل ـالقلق والخوف فينـدفع وضـ إصبعه في فمه ليبعث في نفسه ـراحة والاطمئنان، ومنها نت ا ـباه الوالدين وخاصة بعد ولادة ـفل جديد للعائلة يكون محط اهتمامها.

تأثير موقف الوالدين

ولكن العامل النفسي الأهم في ترسيخ وتطور هذه العادة هو موقف الوالدين منها ومنذ البداية، فقد تكون هذه العادة في بداية أمرها في سياق التطور الفسيولوجي الطبيعي، ولكنها تنقلب مع الموقف غير السليم للوالدين منها والطريقة التي يتبعانها لردعها إلى مشكلة عميقة، تعكس سلبا على شخصية هذا الطفل حاضرا ومستقبلا، فطريقة الردع بطريقة القهر، أو التوبيخ، أو ربما السخرية تكون بالتأكيد ذات تأثير معاكس تدفع الطفل لممارسة العادة بصورة أكبر، وربما سرا، فيتولد لدى الطفل شعور بالخيبة والفشل وفقدان الثقة بالنفس، وغيرها من المشاكل النفسية، والتي لا يجد الطفل منفذا للتعبير عنها سوى بالتصرفات العدوانية أو سلس البول وغيرها.

يمكن كما ذكرنا أن تعد عادة مص الإصبع هذه صمام أمان عندما تزيد الضغوط العاطفية على الطفل، بحيث لا يمكنه مع خبرته القليلة التغلب عليها، كما في حالة ولادة طفل جديد للعائلة، وانصراف اهتمام العائلة عن الطفل الأكبر وتوجهها إلى الطفل الجديد، أو حالة دخول المدرسة لأول مرة، أو غير ذلك من العقبات التي تعترض مسيرة حياته فيلجأ إلى هذه الطريقة للتفريج عن كربته، وللشعور ببعض الطمأنينة والتي كان يشعر بها عندما كان يمارسها قبل الانقطاع عنها.

وإن مص الإصبع قد يعتبر طبيعيا للأسباب التي ذكرت حتى سن قبل بزوغ الأسنان الدائمة «٦ سنوات» حيث إمكانية التصحيح الذاتي ممكنة، ولكن كثيرا ما يطلب الآباء المعالجة في أعمار مبكرة لكون هذه العادات تبدو غير مقبولة اجتماعيا مع ارتقاء عمر الطفل. إن الجهود التي تبذل لمعالجة هذه العادة يمكن أن تتدرج من محاورة بين الطفل وطبيب الأسنان، إلى معالجة تتطلب وضع أجهزة معقدة. في الأحوال كلها حتى تكون المعالجة - أية معالجة - ناجعة يجب أن يكون الطفل راغبا في إيقاف هذه العادة.

ما هي مضار العادة؟

تحدثنا بشكل موجز عن أضرار العادة النفسية، حيث إن هذه العادة تشير إلى فقد الطفل لثقته بنفسه، وإلى شخصية متوترة والتي قد تقود الطفل للانحراف، ومصاحبة ـاق السوء أو التدخين وغيرها. أما التشوهات الجسمية والتي قد تنتج عن هذه العادة فتختلف تبعا لعدة عوامل وهي شدة ممارسة هذه العادة، ومدى تكرار



ممارستها، وطول فترة هذه الممارسة. إن شدة العادة هو مقدار القوة التي تطبق على الأسنان خلال المص، أما مدى تكرارها فهو عدد المرات التي تمارس فيها العادة خلال اليوم، أما طول فترة ممارستها فهو مقدار الوقت الذي يقضيه الطفل في مص إصبعه. إن طول الفترة الزمنية لممارسة العادة يلعب الدور الحاسم والأهم في مقدار التشوه الحاصل نتيجة ممارسة هذه العادة.

الدلائل التجريبية والسريرية أوضحت أن ضغطا يستمر ٤ - ٦ ساعات يوميا ضروري لتحريك السن، ولذلك فإن الطفل الذي يمص إصبعه بشكل متقطع رغم الشدة العالية لا تنجم عنها حركة على الإطلاق، على حين أن الطفل الذي يمص إصبعه بشكل مستمر لفترة تزيد على ٦ ساعات يوميا يمكن أن تحدث له تغيرات سنية مهمة. على كل فالأعراض الكلاسيكية لعادة نشطة عند الطفل تتعلق بأسنان الطفل حيث تندفع الأسنان الأمامية العلوية نحو الشفة، أما الأسنان الأمامية السفلية فتندفع نحو اللسان، بما ينتج عن ذلك من نقص في التغطية العمودية للأسنان، وهذا ما يدعى بالعضة المفتوحة الأمامية. إن الأسنان الموجودة على قواعدها العظمية في الفم، تخضع لتوازن عضلي دقيق بين اللسان من جهة، وبقية العضلات المحيطة بالفم من جهة أخرى، هذه العادة تفسد هذا التوازن العضلي الدقيق واللازم مما يؤدي لتشوهات عديدة ينتج عنها تضييق في الفك العلوي.

العلاج

لا بد لكي تكون المعالجة مجدية من الوقوف على أسباب هذه الحالة من خلال مصارحة الأبوين والطفل، فكل معالجة لا تأخذ الأسباب بعين الاعتبار تعد فاشلة.

يجب أن يمنح الطفل الفرصة ليوقف العادة بشكل تلقائي، قبل بزوغ الأسنان الدائمة أي ما بين ٤ - ٦ سنوات بحيث يجب على طبيب الأسنان توضيح مساوىء هذه العادة للطفل، وما ينتج عنها من مشاكل وبخاصة تجميلية، حيث يري الطبيب الطفل بعض الصور التوضيحية لشذوذات نجمت عن هذه العادة ليوصل الطفل إلى مرحلة الاستعداد النفسي بضرورة إيقافها، وليكون عنده الرغبة الحقيقية بضرورة تخطيها. ثلاث طرق مختلفة طبقت لمعالجة هذه الحالة حسب استعداد الطفل لإيقاف هذه العادة:

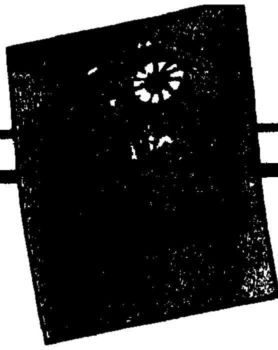
ـ الطريقة الأولى وهي طريقة المعالجة التذكيرية ـ وهذه الطريقة مناسبة للأطفال الراغبين في إيقاف العادة، ولكن يحتاجون بعض المساعدة لإيقاف العادة كلية ـ وهي حزام خاص يوضع على الإصبع الذي يمصه الطفل يخدم في تذكير الطفل بضرورة عدم وضع الإصبع في الفم. كما يمكن طلاء الإصبع بمحلول ذي مذاق كريه يذكر الطفل بضرورة الابتعاد عن مص إصبعه.

ـ الطريقة الثانية وهي طريقة نظام المكافأة، حيث يعقد اتفاق بين الطفل ووالديه، يشير الاتفاق إلى أن الطفل سيوقف هذه العادة لفترة محددة خلال الشهر وسينال مكافأة على ذلك، إن المكافأة يجب أن تكون كافية لدفع حماس الطفل لمقاومة العادة خلال الفترة المعنية.

يمكن ممارسة هذا الاتفاق على تقويم خاص يشير إلى ساعات الانقطاع عن ممارسة المص.

إذا استمرت العادة رغم ما سبق من محاولات مع رغبة الطفل الحقيقية في إيقاف العادة عندها فلا بد من اللجوء للطريقة الثالثة والأخيرة، والتي تجعل عملية المص عبر ممتعة باستعمال الأجهزة الخاصة بذلك، ويجب التأكيد على أن هذه الأجهزة ليست عقابا بل تذكرة للطفل بضرورة عدم وضع يده في فمه.□





لوحات من الرخام

جلست أمي فوق الأرض.. ثم راحت تحدق إليهما طويلا، وهما مستندان إلى الجدار المواجه لها، قالت: أعيدي تنظيفهما من جديد. قلت: إنني أنظفهما كل يوم.

تفرست في أحدهما، ثم أشارت إليه قائلة: ما المكتوب هنا؟! قلت: لقد قرأته لك مرارا.

أطرقت برأسها صوب الأرض.. شاردة، وإحدى كفيها تتحسس السجادة، أخذت أتفرس في الكلام المحفور فوقها، وكأني أفعلها للمرة الأولى!! قلت هامسة: صنعتهما كما تريدين ومع ذلك!!.

ـ اقرئي مرة أخرى.. أرى أحدهما سيسقط فوق الأرض.

وتذكرت أنني حين ذهبت أول مرة لصانعهما، أخبرته أن أبي في الخمسين من عمره، وخيّل إلي أنني طلبت منه أن يكتب ذلك فوق اللوحة، ورأيته يخفي ضحكة باهتة، مبتورة

تحسست الرخام بحذر، وسرعان ما تسللت البرودة إلى حسدي، رحت أقرأ ما فوق اللوحة الأولى من تاريخ الوفاة، واسم أبي، انتهاء بكلمات من القرآن، في قراءة سريعة، دون أن أجرؤ على الالتفات إليها، وبسرعة انتقلت إلى اللوحة الثانية، وحين رددت: فقدنا الحبيب الغالي. قاطعتني قائلة: لا يكفي هذا.. لا يكفي..

ثم عادت إلى صمتها، وكانت تحدق في اتجاه نافذة الحجرة المطلة على «المنور»، وعندما جلست بجانبها متكئة إلى الحائط، أخذت أحدق مثلها هناك، وأراقب الظلال التي تمسح نافذة الحوش المغلقة، ومن جزء من زجاجها المتكسر رأيت السلم، ووجها لامرأة تبينته بصعوبة في ظلال الضوء المتسلل من الشقق إلى عتمة السلم، وفكرت أن تلك النافذة ترعبني في الليل.

قلت: أريد يا أمي أن أغير موضع الفراش. التفتت إليّ، وحدقت في عيني طويلا.

قالت بصوت ضعيف: كم قلت ذلك مرارا.. من صغرك وأنت لا تحبين النوافذ المطلة على السلم!!.

نظرت إلى اللوحتين من جديد وهي تتمتم: لا يكفي أبدا.. وكنت أعلم أنها تفكر في لوحة أخرى وكلمات جديدة.

شهور وهما بحجرتي!! في الليل أخبئهما بين الكتب أو تحت الفراش، وعندما أستيقظ أعيدهما إلى الجدار، فوق الأرض. قالت: اختاري أنت، وسافري بإحداهما. قلت: حقا!! ألم تمنعيني؟.

امتدت أصابعها إلى ركبتي، وراحت تمسح عليها برفق قائلة:

ـ إنني لا أفهم في الكلمات.. ابحثي أنت.. نعم.. لا أفهم!!.

وسمعت حشرجة لأصوات رجال يصعدون الدرج، وكانوا يعبرون بتثاقل خلف النافذة، وتملكتني صورة القبر بلا لوحة، وحيدا وسط الحقول، وطيور هاربة تحط عليه.

ـ أمي.. هل أقرأ لك مرة أخرى؟!.

نامت على أحد جانبيها، وهي تصنع من فخذي وسادة، ووجهها في اتجاه الرخام، وسمعتها تهمس بكلمات مبهمة تتخللها اسم أبي مرات عديدة، وشعرت بخدر غامض يتسلل إليّ، وراحت في غفوة.. وكنت أسمع أنفاسها المنتظمة.. وأنا أغرق معها في نوم عميق.□

هناء عطية*

* كاتبة وقصاصة مصرية

جمال العربية

□ صفحة لغة

بقلم: فاروق شوشة

قراءة في المعجم الكبير

حين أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة الجزء الأول من المعجم الكبير متضمنا حرف «الهمزة» بعد قرابة عشرين عاما من العمل المتصل والمراجعة الدقيقة، قدم له المجمعي الكبير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بقوله: «في هذا المعجم جوانب ثلاثة أساسية: جانب منهجي هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب، وجانب لغوي عني بأن تصور اللغة تصويرا كاملا، فيجد طلاب القديم حاجتهم، ويقف عشاق الحديث على ضالتهم. وفيه أخيرا جانب موسوعي يقدم ألوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات أو الأعلام». وفي مادة «أسد» يقول المعجم الكبير:

في العربية الجنوبية القديمة أ س د: المحارب، الجندي والرجل عامة.

قال ابن فارس: الهمزة والسين والدال: تدل على قوة الشيء.

أَسَدَ بين القوم يأسدُ أسْداً: أفْسَد.

وأسَدَ فلانا: عابه وَسبّه.

وأسد يأسَدُ أسَداً: شجُع فصار كالأسد في جرأته وأخلاقه. وفي حديث أم زرع: «زوجي إن دخل فهدَ (أي أشبه الفهد في طول نومه) وإن خرج أسِدَ، ولا يَسأَلُ عما عهد.

قال مهلهل:

إني وجدت زُهَيراً في مآثرهم
شبه الليوث إذا استأسدتهم أسِدُوا

وأسِدَ: فزع عند رؤية الأسد.

وأسِدَ عليه: غضِب وسفه.

وأسد: اجترأ. وآسد إيساداً: أغرى. قال المتـ... العبديَ في استماع الثور وتوجسه إذا أحس شيء من أسباب القنص:

ويوجسُ السمعَ لنكرائه
من خشيَة القانص والمؤسد

(النكرائه: لدهائه ومكره).

وتأسد الرجل: شجُع.

واستأسد: صار كالأسد، وقوي واشتدّ.

قال النابغة الشيباني يصف مطرا:

وقد أربّ بها مستأسد ذكرٌ
جون السحاب مُلث الهمّر مؤتلف

(أربّ السحاب: دام مطره، جون: أسود، المُلث المطر يدوم عدة أيام).

وقال أبوتمام في مرض أحمد بن أبي دؤاد:

تضاءل الجود منذ مدّت إليك يدٌ
من بعض أيدي الضنى واستأسد البُخل

واستأسد الشيء: ارتفع. يقال: استأسد النبت: طال وعظُم فبلغ غايته، قال الأخطل:

بمستأسد يجري الندى في رياضه
سقته أهاضيبُ الصّبا ومُديمها

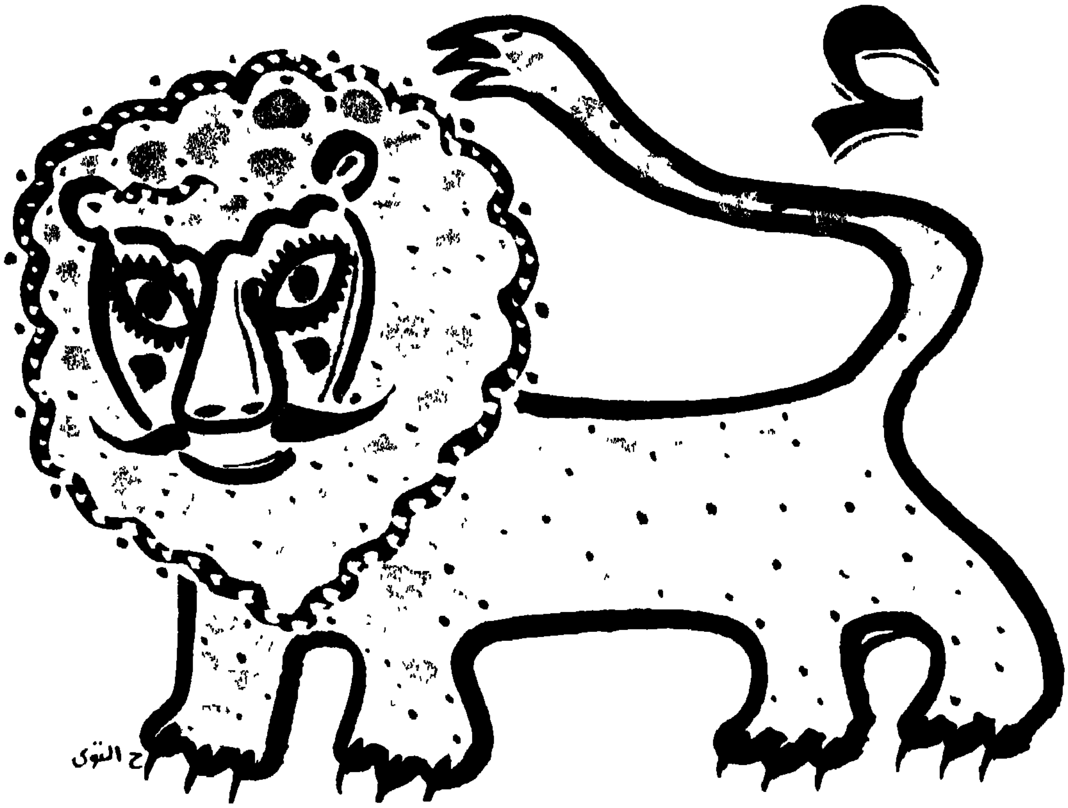
(المُديم من الدّيمة وهي السحابة التي يدوم مطرها)

واستأسد عليه: اجترأ. قال عبيدالله بن قيس الرقيات يهجو جيرانا له:

يستأسدون على الصديق وللعدوّ ثعالب

ويقال أسد آسدٌ: مبالغة في القوة والشجاعة والجراءة.

والجمع: آساد وأسود و«أُسْد» وأُسدان، ...



مأسدة. والأسـدة أنثى الأسـد وهي اللبؤة، وقيل: الأسد عـام للذكر والأنثى. وله في العـربية أسماء كثيرة من بينهـا: الليـث والقسـورة والعضنفـر والـرئبـال والهزبر والصرعام والضرغامة والأسامة).

والأسد في الفلك: اسم أطلق على أحد بروج السماء الاثني عشر وهــو البرج الثـاني من مجمــوعـة البروج الصيفية الثلاثة: السرطان والأسد والسنبلة.

وأسـد: أبـوقبيلـة من مضر وأبــوقبيلـة من ربيعـة. وسمي به غير واحد، منهم:

أسـد بن عبـدالله القسري: والي خـراسـان من قبل هشام بن عبدالملك.

وأسـد بن الفـرات: قــاضي القيروان وشيخ الفتيـا وفاتح صقلية.

وأسد الـدين شيركوه: الملقب بالملك المنصـور، أخو نجم الدين أيوب وعم صلاح الدين الأيوبي.

وأسـدالله: لقب حمزة بن عبـدالمطلب عم الرسـول عليه الصلاة والسلام. قال الكميت يذكر آل البيت:

ذو الجنـــاحين، وابن هـــالـــة منهم
أســـدُ اللـــه، والكمي المحـــامي

(ذو الجناحين: جعفر بن أبي طـالب، ابن هالة: حمزة بن عبـدالمطلب وهــالــة أمــه وهي بنـت وهب بن عبدمناف).

وأسـد اللـه أيضا. لقب علي بن أبي طـالب، أطلقـه عليـه أتباعـه والأسيد. الشـديـد الـجراءة، يقال: أسـدٌ أسيد. وأسيد: اسم لغير واحد، منهم.

أسيد: والـد عتّاب الصحابي الجليل الـذي استعمله النبيّ صلى الله عليه وسلم على مكة بعد فتحها.

وأُسَيْد: اسم لغير واحد، منهم:

أُسَيْـد بن حضيرٌ: كـان من أحسـن النـاس صـوتـا بالقرآن

وأُسَيْـد بن ثعلبـة الأنصاري: شهـد بـدرا، وشهـد صفّين مع علي بن أبي طالب.

وأسيد بن عـبدالله الخزاعي: كـان من دعاة الـدولة العبـاسيـة ومن قــواد أبي مسلم الخراسـاني، ثم أصبح واليا على خراسان.

والأسيدة الحظيرة وجمعها أسائد

والمأسـدة: المكـان تكثر فيـه الأسـود، يقـال: أرضٌ مأسدة.

ويقال للمكان إذا كثـر شجعانه، واشتد فيـه القتال: مأسدة، قال حسان بن ثابت:

من سرّه الموت صرفـاً لا مـــزاجَ لـــه
فليـأت مأســـدةً في دار عثمانـــا

(عثمان: عثمان بن عفان رضي الله عنه).

والجمع: مآسد.□

جمال العربية

□ صفحة شعر

نفس عالية
للقاضي الجرجاني

القاضي الجرجاني لقب أطلق على الأديب والشاعر والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني الذي ولد ومات بجرجان، بعد أن أكثر من الأطواف فزار العراق والشام والحجاز، ودرس الفقه والأدب والتاريخ من آثاره ديوان شعر ومجموعة رسائل وكتابه الشهير: «الوساطة بين المتنبي وخصومه» الذي يكشف عن عدالته وتنبه ونفوره من التعميم واتخاذه من مبدأ قياس الأشباه والنظائر أساسا للنقد. ويحدثنا التاريخ الأدبي أن القاضي الجرجاني كان ذا نفس عالية غالية. وقد ترك لنا في شعره صورة لهذه النفس الأبية المتمنعة، التي حرمت عليه طيبات الحياة إيثارا للعز والأنفة والكرامة وصونا للعرض من الدنس، وإبعادا للمروءة عن مواطن الابتذال. وقد عزت نفس الجرجاني وأسرفت في التصون والاعتزاز، ومازالت به تصده عن مواطن الشبهات ومظان الريب والظنون، حتى زينت له العزلة والانفراد. وشعره في هذا المقام مثال من الأمثلة العليا التي تعتز بمحاكاتها كبار النفوس، فضلا عن صوره البيانية الرفيعة، ولغته القوية الآسرة، في وضوح وشفافية ونقاء:

يقول القاضي الجرجاني

يقولون لي: فيك انقباضٌ، وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذلّ أحجما

أرى الناس من داناهمو هان عندهم ... ومن أكرمته عزّة النفس أكرما

ومازلت منحازا بعرضي جانبا ... من الذمِّ، أعتدُّ الصّيانة مغنما

إذا قيل: هذا مشربٌ، قلت: قد أرى ... ولكن نفس الحرِّ تحتمل الظما

وما كل برقٍ لاح لي يستفزّني ... ولا كلُّ أهل الأرضِ أرضاه منعما

ولم أقض حقّ العلم، إن كان كلما ... بدا مطمعٌ صيرتُه لي سلّما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيتُ لكن لأخدما

أأشقى به غرساً، وأجنيه ذلّةً ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزَما

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوس لعظما

ولكـ هانوه، فهانوا، ودنّسوا — محيّاهُ بالأطماع حتى تجهما

هد عنى نفسه، معنى الاعتزاز بالنفس، والترفع عن الدنايا والصغائر، وإعطاء العلم ما يستحقه من رفعة وتكريم،
يز القاضي الجرجاني في قصيدة ثانية، يقول فيها:

على م حتى تجني الحوادث والدهرُ — فأما اصطباري فهو ممتنعٌ وعرُ

كأر لاقى كلّ يومٍ ينوبني — بذنب، وما ذنبي سوى أنني حُرُّ

فإن لم كن عند الزمان سوى الذي — أضيق به ذرعا، فعندي له الصبرُ

وقالوا: توصلْ بالخضوع إلى الغنى — وما علموا أنّ الخضوع هو الفقرُ

وبيني وبين المال بابان حرّما — عليّ الغنى، نفسي الأبيّةُ والدهرُ

إذا قيل: هذا اليسرُ، عاينتُ دونه — مواقفَ خيرٌ من وقوفي بها العُسرُ

إذا قُدّموا بالخير قُدّمت دونهم — بنفسِ فقيرٍ، كلُّ أخلاقه وفرُ



وتمضي على هذا الشعر وقائله قرون وقرون، وماتزال في السمع والقلب أصداء هذه النفس الأبية المترفعة وهذا التصوير الرائع للتعفف وإيثار النبل والكرامة، والحرص على أخلاق العلماء الجديرين بشرف العلم ومكانته. ومن جديد يتردد في أسماعنا صوت القاضي الجرجاني في شعره الجميل وهو يقول:

إذا قيل: هذا مشربٌ، قلت: قد أرى — ولكنّ نفس الحرِ تحتملُ الظما

وعندما يقول:

وبيني وبين المالِ بابانِ حرّما — عليّ الغنى: نفسي الأبيةُ والدهر □

أصداء ناي من بعيد

شعر :
الدكتور حسن فتح الباب

البنفسج

أترى يسري بنا نهر لنفسج
وتراعينا عيون اليـ سمين
علّها تأسو جراحـ السنين
وتعزينا عن الحلم الـ ـدفين
يوم كان الحب روحا يتـ ـوهج

الحلم

يوم كان الحب قمراء وورق
هائما في ألق الموج يغرد
وأراجيح حنان وأمان تترقرق
لا الهوى هان ولا الشمل تفرق
فلماذا راعنا المقدور والحلم تبدد؟

دموع

حسرتا أن سقط الفارس والنهر تجمد
والسموات دموع الأمهات
أي أقدام هوت تحت الرماد؟
أي أيد وقلوب لم تصفّد
غدنا الأوهام واليوم شتات

القطاف

شدّ ما غشّى أماسينا السأم
واستبدت بالنهارات الرتيب
وخط الشيب رءوسا أينعت
من شباب لقطاف من لهب
فتلقته أياد لمتاهات العدم

الساقية

آه لو تحملنا ريح رخاء
تطفىء الجمر الذي يوري السهاد
وتعيد الأرض أمّا حانية
يظمأ الراعي فتدنو السا ـة
والسموات بساتين غنـ ـاء □


حلمي التوني 94

من شهــــر إلى شهـــر
لمحات من جديد العالم

طـــــب
عمليـــات جـراحيـــة بـــلا ألم



□ عن طريق تقنية الواقع الافتراضي التي يصنعها الكمبيوتر سيمكن إجراء عمليات جراحية تطابق الواقع.

قريبا جدا سيصبح بإمكان الأطباء الذين يريدون ممارسة الجراحة عبر الفتحات الدقيقة Key-hole التدريب على ظروف واقعية فعليا، ستعطيهم نفس المردود الذي قد يحدث إذا كانوا يجرون عمليات حقيقية.

والهدف من هذا الابتكار العلمي هو تقليل فرص الأخطار أثناء التدريب العملي، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تعقيدات في العمليات التي يتم فيها تحريك الأدوات الجراحية بواسطة جهاز تحكم عن بعد «ريموت كونترول»، ووضع كاميرات مراقبة بالغة الصغر في الجسم من خلال فتحات دقيقة، والافتقار إلى الخبرة في هذا التكنيك يمكن أن يقود إلى مخاطر جمة نتيجة لأن الجراحين قد يتجاهلون التعقيدات التي تظهر بدرجة أكبر في الجراحة الأكثر نمطية.

ويظهر في الصورة الجديدة هذا الجهاز الجديد الذي يسمى Simulator الذي يتم تجريبه في المستشفى الملكي في منشستر، وسيشاهد المتدربون على هذا الجهاز أعضاء داخلية «فعلية» على شاشة تلفزيونية، بينما تمسك أيديهم بأجهزة تحكم تحرك أدوات جراحية تتعامل مع الجسم بنفس الطريقة التي تتعامل بها معه في الحياة الحقيقية، وهذا الجهاز مبرمج بحيث يعطي مردودات واقعية لعمليات التحكم، ويمكن أيضا تعديل الجهاز لكي يعطي درجات مختلفة من التعقيدات، مثل إضافة المزيد من الدهون أو الأنسجة المصابة إلى الأعضاء، أو حتى تغيير موضعها.

ويقول بوب ستون، أحد خبراء المركز الوطني لبحوث الروبوت المتقدمة الذي ابتكر الجهاز «يمكن بهذه الطريقة وضع الجراح في مواجهة حالة طارئة دون تعريض المريض لأي خطر».

إشراف: الدكتور محمد المخزنجي



بيئة

جبال الهملايا تئن وتشتكي

● الغابات التي تكسو مدارج جبال الهملايا في نيبال تتلاشى بسرعة أكبر من أي مكان آخر في العالم، ويتبع ذلك تآكل هائل في التربة، وتقدر المساحة المدمرة من هذه الغابات سنويا بحوالي ٤٠٠ ألف هكتار، ويتآكل من التربة السطحية ما بين ١٢ إلى ٣٠ مليون طن تذهب إلى السفوح وتجرفها مياه السيول.

ليس المسئول الوحيد عن هذه الصورة المروعة فقر السكان المحليين، وتزايد أعدادهم واعتمادهم على قطع الأشجار للحصول على وقود للطهي وللتدفئة، فصناعة السياحة تساهم أيضا بقسط وافر في هذا التدمير، فمنطقة «أنابورا» وحدها يفد إليها سنويا ٣٨ ألف أجنبي في صورة أفواج سياحية ويتبعهم من السكان المحليين - للحمل والخدمة - ٤٠ ألف إنسان.

هؤلاء السياح يستهلكون من الخشب أكثر مما يستهلكه السكان المحليون، فهم - أي هؤلاء السياح - يأكلون أكثر وأفضل، ويستدفئون، ويكثرون من الحمامات الساخنة، وهي خدمات لا يحلم بمثلها المزارعون

□ بنية جبال الهملايا مهددة بالدمار.



□ ظباء الهملايا.. ماذا يتبقى لها بعد أن تغدو الأرض قاحلة؟

النيباليون أنفسهم. هناك من يشعر بقتامة الصورة المستقبلية لهذه البيئة التي كانت نادرة الجمال، فـ«يوجي كاماتا» مدير المجموعة اليابانية الخاصة للحفاظ على الطبيعة يقول: «اختلفت صورة بيئة الهملايا كثيرا، ولقد خصص المعهد الياباني للحفاظ على البيئة مبلغ ١٥٠ مليون ين لإعادة زرع غابات الهملايا المدمرة، لكن هذا وحده لا يكفي، فرغم زراعة ٨ آلاف شجرة في العام الماضي فقط، إلا أن التدمير يمضي بوتائر أسرع من التعمير».

لإنقاذ هذه البيئة ـ يقول «كاماتا» ـ لا بد من رفع مستوى معيشة السكان، وترشيد الوعي البيئي، وتقنين الزراعة، وإنشاء محطة كهربائية حديثة تفي باحتياجات الطاقة، ويضيف «بالارام تيليجا» رئيس المجلس البلدي لإحدى قرى المنطقة: «كما على نشر الوعي الطلاب ليتعلموا صيانة الغابات».

الشيء الذي لم «كاماتا» ولم يضفه هو أنه يتوجب على «المتحضرين» أن يتخلوا عن بعض شراهتهم في الاستمتاع على حساب البيئة، لأن الأشجار تصرخ من فرط قسوتهم أيضا، وربما تتهمهم بعدم التحضر!

فيــديــو

زفاف الشريط رقــم ٢٤٢٠

● إضافة للاستخدام الشائع للفيديو في عرض وتسجيل الأعمال الفنية تم استخدامه كأداة لخلق واقع افتراضي سواء بهدف اللعب أو بغاية الجد للتدريب على أمور واقعية، لكن الجديد أن الفيديو صار يلعب في ساحة الواقع نفسه، بل في أكثر أمور هذا الواقع خصوصية. فمع انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وتفكيك أبوابه، لا مجرد فتحها، صار كل شيء قابلا للعرض والطلب، في ظل أزمة طاحنة تعصف بمواطني هذه الإمبراطورية المتداعية، ومن بين المعروضات كان



□ كاتيا الروسية فتاة الشريط تزف إلى عريس الفيديو في أمريكا



□ كين الأمريكي يستعرض الشريط الروس رقم ٢٤٢٠

البشـ ـمن بين البشر كـانت القلـ ـب بل مشاعر هـذه القلو ـ. ولهذه الغاية تم إنشاء شرك تسويق تسمى «ملاك الكـ ـوجات الدولية» وهي ترسا عبر الحدود وعبر البحار والمـ ـطات أيضا، بأشرطة فيـ ـيو تعرض الفتيات «السوفييتيات» الراغبات في الزواج من أجانب لقاء عشرين دولارا للشريط الواحد إضافة لرسوم الإرسال بالبريد. ولقد لقيت فتاة الشريط الروسية رقم ٢٤٢٠ القبول من «كين كاست» الأمريكي الأعزب البالغ من العمر ٣٥ عاما، ووجد «كين» في هذه الفتاة المرأة المناسبة للزواج منه بعد أن أوشك على إعلان فشله في العثور عليها. لقد أعجب كين بالفتاة، وأرسل يعلن حبه للشريط ٢٤٢٠ عبر شريط آخر له، ومن تبادل الأشرطة اتضح توافق الميول والمشارب والأرواح! واتفق كين الأمريكي وكاتيا الروسية على الزواج. وفي مطار المدينة الأمريكية بروكفيليد استقبل كين فتاته القادمة من موسكو ومن ثم إلى الكنيسة بعد ارتدائها لثوب العرس حيث تم عقد القران وكان الاحتفال بزفاف الشريط رقم ٢٤٢٠ مقصورا على أهل وأصدقاء العريس لأن العروس لم يكن لها ـ بالطبع ـ أهل، هناك.. في الولايات المتحدة.



□ مصارعة الثيران - جويا ١٧٩٣

فن

مرحلة السماء السوداء

● مرة أخرى عرضت مجموعة كاملة من أعمال الفنان الإسباني الشهير فرانشيكو جويا أمام الجمهور البريطاني، وها هو القرن العشرون يوشك أن يمضي ولا يزال جويا حيا ومعاصراً. لقد وجهت العديد من الانتقادات إلى الفنانين العظام، وقد طاول هذا النقد كلا من رمبرانت وفان جوخ وجوجان، ولكن يبدو أن الجمال الإسباني الخاص الذي كان يشع من لوحات جويا وقف حائلا دون أي انتقادات.

وربما يعود هذا إلى أن جويا كان آخر فناني العصر التقليدي وأول فناني العصر الحديث، لقد ولد في أواخر القرن الثامن عشر، ورسم أعماله الكبيرة في بداية القرن التاسع عشر ولكنه ينتمي إلى القرن العشرين أكثر من أي زمن آخر، حتى وقائع الحياة اليومية التي عاشها تنتمي إلينا أيضا، فقضايا مثل الحرب ضد المؤسسات السائدة، المشاكل المالية التي لا تنتهي، الحب العنيف والمليء بالإحباط للدوقة «ألبا»، المرض ثم النفي إلى باريس، ازدياد العزلة حوله والتي

أكدتها إصابته بالصمم، الانزلاق التدريجي نحو مرحلة من الإظلام الكامل، كل هذا جعله فنانا شديد المعاناة، وشديد الإحساس بحركة الزمن وتقلباته وهو الأمر الذي منحه ذلك العمر الطويل على مدى القرون الثلاثة.

إن سر شهرة جويا تركز على رؤيته الليلية وهي التي تشمل النصف الثاني من مساره الفني، ومثلما تميز إحساسه بالضوء في بدايته، تميزت المرحلة الأخيرة باستعماله الخلاق للون الأسود، وكانت الرؤية الأولى لهذا الأمر في تلك الليلة من عام ١٧٧١ عندما رسم السماء السوداء لبلدة سارجوسا التي يعيش فيها، حيث تسبح ملائكة خلف أرضية سوداء لا يوجد فيها إلا مثلث صغير أحيانا، إنه المثلث الديني المشهور الذي عولج قبل ذلك في عشرات اللوحات، ولكنه كان مختلفا وكان عنوانا على أن رحلته الإيمانية التقليدية قد اكتسبت رمزا داكنا ومحيرا من خلال بحثه عن الحقيقة.

وقد كان جويا فنانا واقعيا - إلى حد ما - يضع رسومه كمادة صالحة للتطبيق وخاصة مع بوادر ظهور العصر الصناعي، فقد قام في منتصف ١٧٨٠ بوضع سلسلة من التصميمات لأحد مصانع شغل الإبرة والتطريز قدم من خلالها قصصا متتابعة لكل مناحي الحياة الإسبانية وصنعت أصول هذه التصميمات أول جذور المذهب التأثيري في الفن.

لقد أخذت كل لوحة من جويا جهدا أكثر مما كان يطلب منه في العادة، ففي المناظر الجانبية العادية للشخصيات كان يحرص دائما على أن يحشد بعشرات التفاصيل كيف يمور العالم في لقد بلغ جويا المحب نهاية مساره الفني 1792 عندما تركه أصم تماما، ومن هذه اللحظة تحول الضوء إلى إظلام دائم.

مسرح

وداعا رائد العبث

● عندما سئل يوجين يونيسكو عن الطليعيين في الجيل السابق له، صاح الرجل الذي أصبح أبرز طليعيي القرن العشرين: «كلهم كانوا يريدون تدمير الثقافة لكنهم الآن جزء من ميراثنا»، وقد حدث نفس الشيء ليونيسكو رائد «مسرح العبث» الذي كان يفضل تسميته «مسرح السخرية».

وكانت مسرحيته الشهيرة «المغنية الصلعاء» قد افتتحت في عام ١٩٥٠ وسط صيحات الاستهجان من الجمهور، وعندما افتتحت مسرحيته التالية «الدرس» احتجز المتفرجون بطل المسرحية في العرض الافتتاحي مطالبين باستعادة نقودهم، لكن مسرح باريس بدأ منذ عام ١٩٥٧ عرضا مزدوجا دائما للمسرحيتين،



□ يونسكو: كان همه المسرحي ينصب على تحفيز اتصال الإنسان بـ...

وقد ـا حتى اليوم ١٢ ألف ليلة ,وصل إلى قمة مجده في الـ ـيات، ففي عام ١٩٦٢ قـ ـت مسرحيته «وحيد القر ن» في باريس ولندن، وفي عـام ١٩٧٠ انتخب يو ـسكو الروماني المولد عضـوا في الأكاديمية الفرنسية، وفي مطلع أبريل الماضي أعلن خبر وفاته وزير الثقافة الفرنسي وليس زوجته روديكا!

وقد رحل يونيسكو عن العالم الذي هجاه عن ٨٤ عاما وترك وراءه ٣٣ مسرحية، من بينها ستة من الأعمال الفذة، وسيظل يونيسكو يحتل مكانة مرموقة في تاريخ المسرح وعلى خشباته، فقد كشف مسرح ما بعد الحرب المحافظ والتقليدي والمتثاقل والقائم على الخطابية الأخلاقية، بانفجار من الضحك المفرط، أثر على جيل من المسرحين الذين أطلقوا السيريالية على خشبة المسرح، وقد ألهمت أفكاره عددا من المسرحين اللاحقين بدءا من آرابال وحتى ادوارد آلبي ووودي آلن، فأدخلوا إلى أعمالهم هجائيات من اللامعقول، لكنه قدم في نفس الوقت بديلا مشرقا وأكثر شفافية لمسرح الالتزام، الذي مثله جان بول سارتر وبرتولد بريشت.

وفي عام ١٩٧٨ توقف يونيسكو عن الكتابة للمسرح وحول حياته إلى الرسم، وشارك في الحملات المتواصلة من أجل حقوق الإنسان، خاصة في بلده الأصلي رومانيا، ورحل في نهاية المطاف عن عالم كان يحلم به أكثر جمالا وإشراقا وابتساما، وستظل نكات مسرحياته هي أكثر نكات القرن العشرين طليعية، فهي «صفير في الظلام المحيط بالمقابر»!



□ فريق «العالمية» لخوض معركة تعريب الكمبيوتر

كمبيوتر مضاعفة طاقات العقل .. العربي

● لا شك أن فضيلة الكمبيوتر الكبرى تكمن في تيسير أدوات العقل البشري لتتضاعف طاقاته الإبداعية، وهذا من القفزات الكبرى في مجال العلم والتقنية التي نشهدها في رحاب العالم المتقدم، وللحاق بشيء من قفزات هذا العالم المعتمد أساسا على الكمبيوتر كان لا بد من خوض معركة لنقل إنجازات جهاز القرن العشرين الأهم - أي الكمبيوتر - إلى اللغات الوطنية للشعوب التي تسعى أو تحلم بمكان تحت شمس العالم المعاصر، ومن بين هذه اللغات كانت اللغة العربية التي يحلم أبناؤها بحاسوب «كمبيوتر» عربي.

وأخيرا، استطاعت إحدى أهم الشركات العاملة في تعريب صناعة الكمبيوتر وتطويره عربيا ـ أي شركة «العالمية» ـ افتتاح مركز علمي ضخم لأبحاث التطوير الخاصة بالكمبيوتر المكرس لخدمة العقل العربي ومقره في مدينة نصر بالقاهرة.

ومركز التطوير الذي افتتحته «العالمية» يعمل به أكثر من ٣٠٠ متخصص، ومجرد نظرة إلى رءوس المواضيع التي عالجها ويعالجها المركز تدلنا على نبل الغاية التي يهدف إليها لمضاعفة طاقات العقل العربي الطامح إلى الإمساك بلغة العصر والمستقبل، فهناك أبحاث اللغة العربية، قواعد النصوص العربية، أنظمة التشغيل العربية، تنسيق الكلمات، النشر المكتبي، الخطوط العربية، البرامج التعليمية، البرامج الدينية، الإعلان والنشر، الدعم الفني للاستشارات، وأخيرا: برنامج الاتصالات العربية، الفهرسة العربية، المدقق الإملائي العربي.. وهذه كلها تدخل في إطار نظام النوافذ العربية الذي يتعامل مع الخصائص الفريدة للغة العربية بالدقة الواجبة واليسر المطلوب.

إن هذا المركز هو فرح للعقل العربي الذي يؤرقه التخلف عن ركب التقدم في عصرنا، وهو رسالة نبيلة تقول إن من المستثمرين العرب المعاصرين من يدرك وصية الأسلاف العظام في أن العربي عندما عرف التجارة فهم أنها أيضا حضارة.

رياضة

حفاة لكنهم يفوزون

● كان القلق يسيطر على دافيد أوكيو، مدير رابطة ألعاب القوى للهواة في كينيا، أثناء لحظة انطلاق بطولة العالم لاختراق الضاحية التي جرت في بودابست في ٢٦ مارس الماضي، فقد كان هناك ثلاثمائة عداء يستعدون للانطلاق، وكان الجميع مرشحين باستثناء الكينيين، الذين بدوا بعيدين عن المنافسة ومتأخرين في الترتيب وأنهم سيفقدون البطولة، لكن في الوقت المناسب، كوّن الكينيون صفا واحدا وأخذوا في تسريع إيقاع السباق بشكل متناغم نحو نهاية السباق. لحظتها صاح أوكيو «آه.. لقد وصل المحاربون».. كان الهدف من هذا الاستعراض هو تخويف منافسيهم، لكنهم ما كانوا في حاجة إلى هذا، ففي سباقات اليوم السابق ـ النساء والناشئين والناشئات ـ كسب الكينيون كل الميداليات الفردية واثنين من ألقاب الفرق، ليضيفوها إلى سلسلة انتصاراتهم التي بدأوها منذ ثماني سنوات، وسار سباق الرجال على النحو المتوقع ـ انتصار ساحق لكينيا على مستوى الفردي وعلى مستوى الفرق، فقد فاز الكينيون بالمراكز الأول والثاني والرابع ـ وهو إنجاز يقل عن العام الماضي عندما استأثر الكينيون بالمراكز الخمسة الأولى، لكنه كان كافيا للحفاظ على سمعة كينيا التي لا تقهر.

وتتضح الصورة أكثر إذا عرفنا أن أشهر العدائين الكينيين لم يشاركوا في السباق، ورغم أن خمسة من أفضل سبعة عدائين في سباق العشرة آلاف متر على مستوى العالم في العام الماضي كانوا من الكينيين، إلا أن واحدا منهم فقط هو الذي شارك في سباق بودابست، ويقول المدير الفني للمنتخب الكيني ع...



عدا. ه «إنهم دماء جديدة، لذ فإننا لن نخسر أبدا، فكل ما نحتاجه كل عام هو بضع ة اكتشافات لنرشد العد ائين الجدد إلى الطريق الصحيح، صحيح أنه من الصعب على رجل واحد أن يبقى على القمة سنوات عدة، لكن الأمر يختلف معنا، فهناك دائما شباب جدد يدخلون حلبته ولا يقل مستواهم عن مستوى الكبار».

وهو أمر مؤكد، فمنذ عام ١٩٨٦ عندما بدأ الكينيون في التعامل بجدية مع سباقات اختراق الضاحية، فازوا بأربعة وعشرين لقبا للفرق من ثلاثة وثلاثين، و١٧ ميدالية ذهبية من ٣٣، و٤٨ ميدالية إجمالية من ٩٩، وفي سباقات المسافات الطويلة والمتوسطة على مستوى الألعاب الأولمبية وبطولات العالم، حقق الكينيون ٣٣ ميدالية في العقد الأخير، وهو مقدار يصل أربعة أضعاف أقرب منافسيهم أي المغاربة.

ومنذ عدة أسابيع نظمت بطولة كينيا المدرسية للفتيات وشاركت فيها ٢٥٠ فتاة، ومن بينهن ست من العداءات الدوليات، بمن في ذلك ليديا تشيرومي، التي حققت بطولة العالم لاختراق الضاحية للناشئات في عام ١٩٩١ وهي في الثالثة عشرة، ولكن ليديا لم تحتل هذا العام أيا من المراكز العشرة الأولى، وحل محلها في المركز الثاني والثالث لاعبتان تجريان حافيتين هما تشيبووت كيتاني ـ ١٦ سنة ـ ونانسي كيروب ـ ١٥ سنة. وعندما سئلت كيتاني لماذا تجرين؟ قالت «من أجل أن أحصل على أشياء كثيرة»، وهي تجري دائما مع نانسي، وتقول عنها «نحن نسختان متطابقتان» لكنهما تجريان حافيتين لأنهما لا تمتلكان أحذية، وينبغي ملاحظة أن مستوى السباق تتوارى إلى جانبه خجلا كل السباقات المدرسية في البلدان الأوربية.

لكن الكينيين لا يجرون فقط من أجل المال، ويقول أوكيو «الكينيون يعيشون في حالة عشق مع الرياضة، يمكن أن يخسروا لكنهم يستمتعون بالسباق، وهم لا يتبارون من أجل إلحاق الهزيمة بمنافسيهم، إنهم فريق ويحبون العمل معا ولا يتضجرون إذا لحقت بهم الهزيمة، فهم يعرفون أنك إذا فزت اليوم فستخسر غدا، ويعرفون أيضا أن هناك عشرات الفتيات والفتيان في كينيا يمكن أن يهزموهم في يوم من الأيام» وهذا ما يصنع روح الفريق الذي يمتلك رصيدا دائما لسحق منافسيه. □

□ سالي بارسوريو الكينية رقم ١٩١ في الطليعة رغم أنها كانت وطنها تجري حافية

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٤٢٧ يونيو ١٩٩٤

جوائز المسابقة:

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

١

* عرف الأقدمون الكتابة بحروف ورموز مطبوعة بواسطة قوالب الخشب أو المعدن، وقد اكتشفت مكتبة الملك سرجون، ووجدت فيها كتب مطبوعة على لوحات من الطوب، وعثر على هذه المكتبة في:

- حيفا.
- حلب.
- نينوى.

٢

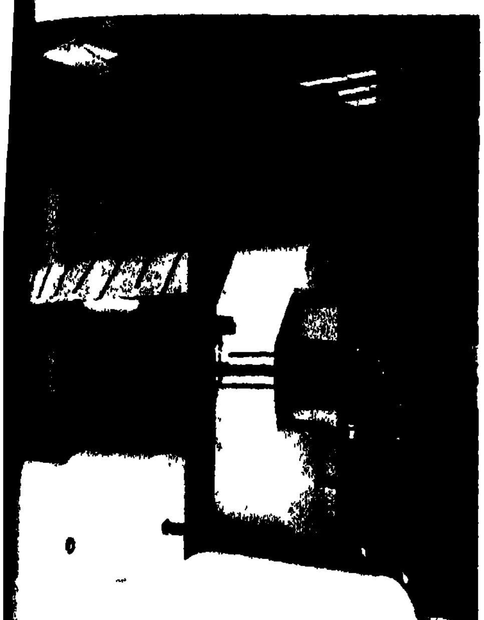
* الطباعة من أخطر الاختراعات أثرا في حياة البشرية، وساعد على ذلك ظهور المطبعة ذات الحروف في القرن:

- الخامس عشر.
- الثاني عشر.
- التاسع عشر.

٣

* أول مخترع للطباعة بالحروف الأبجدية على رءوس قطع خشبية منشورية الشكل، وأول من فكر في سبك الحرف، هو:

- كوستر.
- زيل.
- جوتنبرج.



□ طباعة الصحف والمجلات الآن تعتمد على أحدث أنواع المطابع

٤

* أشهر كتاب طبع بالألواح هو مختصر الكتاب المقدس، وكانوا يسمونه «توراة الفقراء»، وأقدم طبعة من ذلك الكتاب ظهرت بمقاطعة بافاريا في ألمانيا، وكان ذلك في سنة:

- ١٤٠١.
- ١٤٢٠.
- ١٤٥٠.

الشروط:

الإجابة عن تسعة أسئلة من الأسئلة المنشورة، ترسل الإجابات على العنوان التالي: مجلة العربي «مسابقة العربي العدد ٤٢٧» وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو أول يوليو ١٩٩٤ م. والرجا كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين، ورقم الهاتف إن وجد.

ترسل الإجابات على العنوان التالي: العربي: ص.ب ٧٤٨
رمز بريدي 13008 الصفاة ـ الكويت

يرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٤٢٧

٥ * قديما كان ناشرو الكتب من إيطاليا وفرنسا ودول أخرى يجتمعون في سوق «فرانكفورت» مرتين في السنة ليتبادلوا الكتب، وكانت المدينة تمتلىء بالمشترين والتجار، وكان سبب اختيار «فرانكفورت» هو أنها:
- تقع في وسط أوربا المتحضرة.
- زهيدة الأسعار.
- يكثر بها الطباعون الماهرون.

٦ * المطبعة العربية بدأت في سنة ١٧١٦م بجواز استخدام الطباعة في نشر كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب وسائر الفنون، وقد عرفت في زمن الدولة:
- العثمانية.
- الأيوبية.
- الفاطمية.

٧ * أول مطبعة آلية كانت تعمل بالبخار في سنة ١٨١٤، هي تلك التي استخدمتها مجلة:
- لايف Life.
- نيوزويك News Week.
- تايمز Times.

٨ * من أشهر مطابع مصر المطبعة التي أسسها «محمد علي» وأول ما طبعت «قاموس عربي ـ إيطالي»، وبعد ذلك طبعت الوقائع المصرية، وهي:
- المطبعة الأميرية.
- مطبعة بولاق.
- مطبعة مصر.

٩ * أقدم كتاب مطبوع عُرف إلى الآن في العالم هو كتاب طبع من الألواح الخشبية، ووزعه صاحبه مجانا، مع عميق الاحترام، تخليدا لذكرى والديه، ولقد اكتشف هذا الكتاب في:
- النمسا.
- الصين.
- الهند.

١٠ * مطبعة المعارف هي أول مطبعة أنشئت في الكويت، وبدأت نشاطها في سنة:
- ١٩٢٥.
- ١٩٣٥.
- ١٩٤٧. □



مسابقة العربي الثقافية

حل مسابقة
العدد ٤٢٥
أبريل ١٩٩٤

١ الأندلس .. اسم أطلقه المسلمون على شبه جزيرة إيبيريا.. وإيبيريا اسم أطلقه عليها اليونانيون أثناء استعمارها في القرن الخامس قبل الميلاد.

٢ قرطبة .. هي المدينة الإسبانية التي اتخذها الرومان منذ سنة ١٦٩ ق.م عاصمة لإسبانيا السفلى، وعمرت بالأسرات الرومانية.

٣ سمي عبدالرحمن .. بالداخل .. لأنه أول من دخل الأندلس من بني مروان، واستطاع أن يكوّن إمارته بها، وبنى المسجد الجامع بقرطبة.

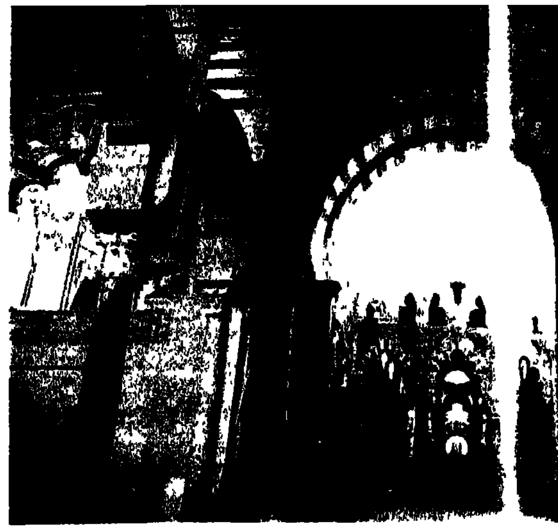
٤ في سنة ٧١٠ ميلادية كان الفتح العربي لإسبانيا بقيادة طارق بن زياد.

٥ موسى بن نصير .. أحد القادة العظام، الذين أسهموا في الفتوح العربية الكبرى، ويقترن اسمه بفتح بلاد المغرب والأندلس.



□ بقايا آثار الاندلس في اسبانيا

٦ قصر الحمراء .. هو شاهد على الصراع الذي انتهى بضياع الأندلس، وفيه وضع رجال الفن من مسلمي الأندلس عبقريتهم الفنية.



□أعمدة قصر الحمراء كما تبدو من الداخل.

٧ لقب المغني هو : زرياب.. وكان رئيس المغنين بالأندلس، وأضاف وترا خامسا إلى العود، الذي كان يجيد العزف عليه.

٨ كتاب ابن حزم .. هو: طوق الحمامة، في الإلفة والإيلاف، وقد نال من الشهرة ما جعله يترجم إلى معظم لغات العالم.

٩ الكاتب الإسباني، هو: ميجويل دي سيرفانتس، ولد عام ١٥٤٧م، وتوفي في عام ١٦٠٦م، وفي عام ١٦٠٥م نشر الجزء الأول من قصة «دون كيشوت».

١٠ كتاب خمنيث هو : أنا وحماري.. وهو كتاب عالمي، دعا فيه حماره الذي سماه «بلاتيرو» إلى التأمل معه في الحياة، والجمال والقبح والألم، مما يجعل القارىء يخرج برؤية فلسفية عميقة للعالم رغم بساطة الشاعر ووضوحه.□

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٢٥ أبريل ١٩٩٤

الفائز الأول: أحمد عيسى حسين - جامعة الملك فهد/ السعودية.

الفائز الثاني: لطيفة قسام بنت أحمد - جامعة حلب/ سوريا.

الفائز الثالث: عيد عليوه ربيع - القليوبية - مصر.

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - زاهر فتحي العلمي - اسبانيا/ مدريد.

٢ - حامد علي حامد - الزقازيق/ مصر.

٣ - المصطفى ولد عبدالرحيم ولد ابن المقدار - نواكشوط/ موريتانيا.

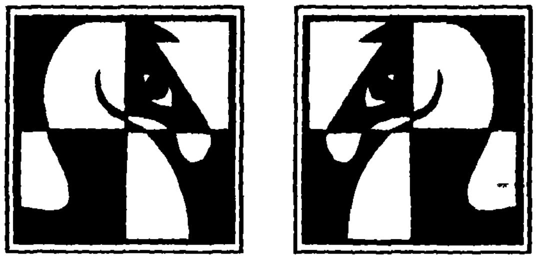
٤ - Alaxai Kusay - أوسلو/ النرويج.

٥ - أحمد محمد أحمد العيسى - القادسية/ الكويت.

٦ - حروش سفيان - بن عكنون/ الجزائر.

٧ - محمد عبدالله العثمان - الرياض/ السعودية.

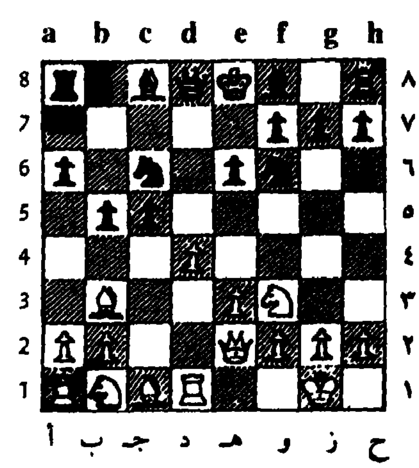
٨ - أحمد عارف الغاني - بيروت/ لبنان.



معركة بلا سلاح

افتتاحات بيدق الوزير ١:د٤ كثيرة الشيوع في الشطرنج المعاصر لمتانتها وغناها وتنوع تشكيلاتها، ومن هذه الافتتاحات ما هو ذو طابع هجومي ومنها ما هو ذو طابع دفاعي، وسنقتصر في هذا العدد على افتتاحات بيدق الوزير ذات الطابع الهجومي والتي تعرف بجامبيت الوزير: ١.د٤ د٥ ٢. جـ٤، وفي الجامبيت كما هو معروف يضحي الأبيض ببيدق «هنا جـ٤» مؤقتا بقصد الهيمنة على الوسط وفتح العمود جـ لصالح قطعه الضاربة، ويتفرع جامبيت الوزير إلى قسمين رئيسيين أولهما جامبيت الوزير المقبول: ١:د٤ د٥ ٢: جـ٤ د×جـ٤ وثانيهما جامبيت الوزير المرفوض وله التفريعات الأربعة التالية:

أولا : الدفاع النظامي : ١.د٤ د٥ ٢. جـ٤ هـ٦
ثانيا : الدفاع السلافي : ١.د٤ د٥ ٢.جـ٤ جـ٦
ثالثا : جامبيت ألبين المضاد: ١.د٤ د٥ ٢.جـ٤ هـ٥



(الشكل ١)

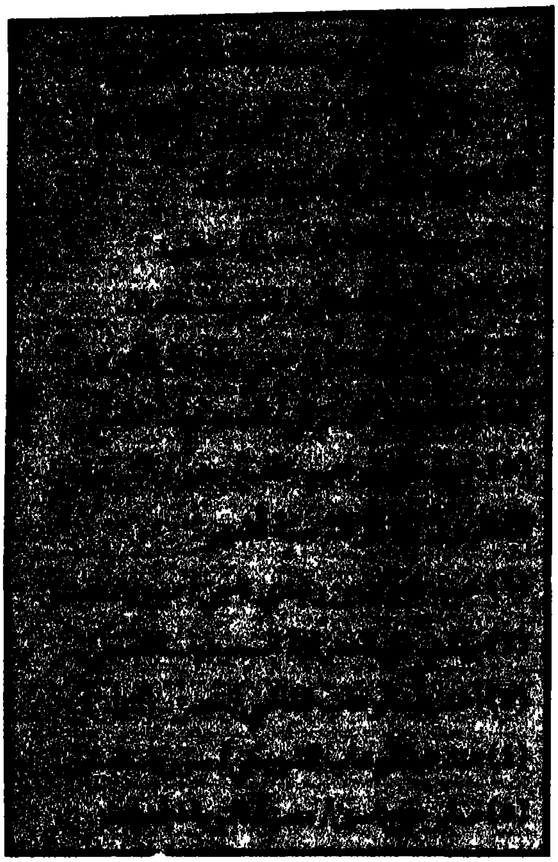
رابعا : جامبيت بنوني المضاد : ١.د٤ جـ٥

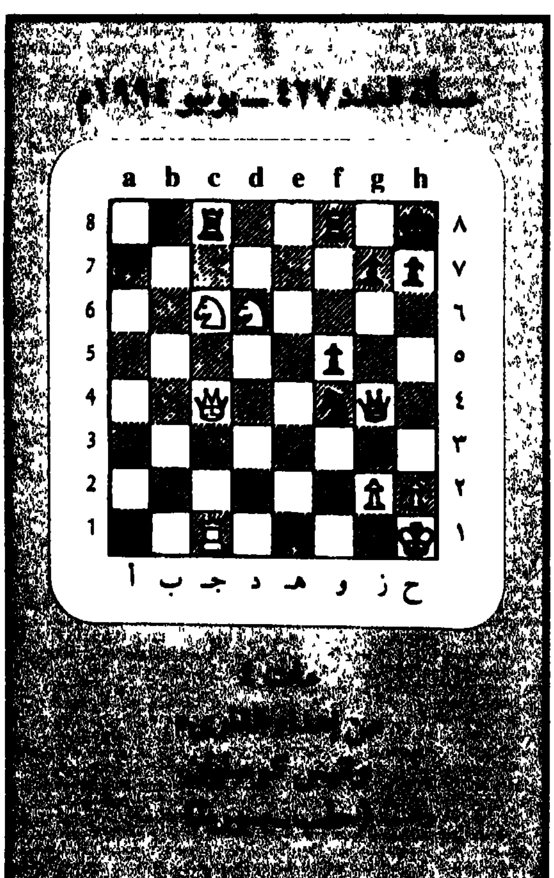
والدور التالي مثال جيد على طابق جامبيت الوزير المقبول وهو يحتوي على عدد من الأخطاء المركزة التي ننوه إليها ليعمل اللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبه على اجتنابها:

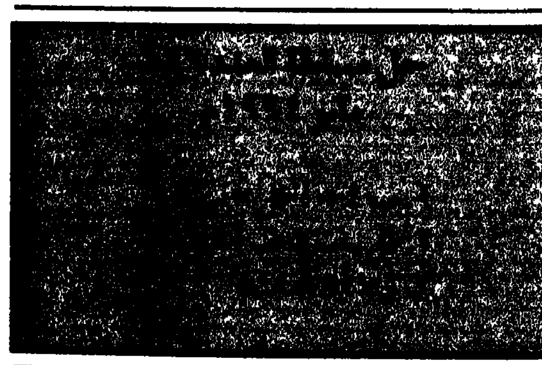
١. د٤ — د٥
٢. جـ٤ — د×جـ٤
٣. حص ـ و٣ — -
بقصد منع الأسود من تقديم بيدق الملك إلى هـ٥
٣. ......
٤. هـ٣ — حص ـ و٦
٥. فل × جـ٤ — هـ٦
مستعيدا البيدق الذي ضحى به في بداية الدور
٥. ...... — جـ٥
٦. ت — أ٦ لتعزيز جناح الورق ومجابهة هجوم الأبيض المرتقب
٧ و ـ هـ٢ — ب٤
٨. ـ فل ـ ب ٣ — حص ـ جـ٦
٩. ر ـ د١ ! نقلة بديعة تنطوي على تهديد قوي لوقوف الرخ في قاعدة العمود الذي يقف عليه وزير الأسود «انظر الشكل (١)»
٩. ...... — فل ـ ب ٧
١٠. حص ـ جـ٣ — و ـ جـ٧
نقلة ضعيفة وغير محسـ

بـدقة تتيح لـلأبيض الفرصـة لاختراق الـوسط والصـواب هنا: ١٠. ...... جـ٤ ١١.فل ـجـ٢ حص ـب ٤

١١. ٥	هـ×د٥
١٢. هـ٤ ينفرج الدور الآن ليه ح في صـالح الأبيض نظر لتسمير الملك الأسود ـا وزيـر ووقـوف الـرخ الأ ص في قـاعـدة العمـود المحور	
١٢.	د ٤ مضطـرا اذا ١٢.... د×هـ٤ ١٣.حص×هـ٤ حص×هـ٤ ١٤. و×هـ٤+ بمركـز هجومي قـوي بسبب اصطـرار الأسـود لحجب الكش إما بالحصان أو الوزير
١٣. حص ـ د٥	حص × د٥
١٤. هـ×د٥+ بالكشف	حص ـ هـ٧
١٥. فل ـ ز٥	جـ٤ مهـددا الفيل الأبيض نظـرا لأنـه لا يملك دفـاعـا أفضل فيقدمـه له الأبيض عن طيب خاطر
١٦. ر×د٤	ج×ب٣
١٧. د٦ مهـددا حصـان الأسود المسمر ووزيره في آن واحـد وهنـا يـدرك الأسـود عـدم جـدوى متـابعـة اللعب فيستسلم.□	

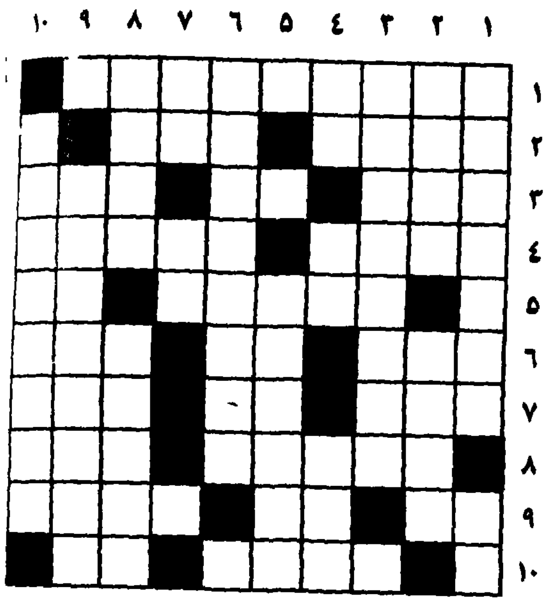






يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالإضافة إلى معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق الخاد المتمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المهمة والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هنا ومشاركتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد

الكلمات المتقاطعة



كلمات أفقية:

١ ـ دولة لاتينية جرت فيها أول دورة لكأس العالم في كرة القدم.

٢ ـ يدخل، سكت وعجز عن الكلام من شدة الغيظ.

٣ ـ حاول نيل الشيء وأخذه، ندى، وحش كاسر.

٤ ـ شبيه بالإبر، عكس قساوة.

٥ ـ شيء كان يعتقد أنه يحول الفضة إلى ذهب، تجدها في كلمة سار.

٦ ـ «الماء» يتحلب من الأرض، حرفان من كلمة يوم، عكس آخر.

٧ ـ والدتي، حرفان متشابهان، غير مستقر.

٨ ـ نعومة، صحارى.

٩ ـ سند، أمر خفي، فائز.

١٠ ـ لاعب يحسن إصابة الهدف، ثني.

كلمات عمودية:

١ ـ دولة أوربية نظمت كأس العالم الثانية لكرة القدم عام ١٩٣٤، من الحيات الخبيثة.

٢ ـ شيء ذو محور دائري، نمتنع «عن الأكل مثلا».

٣ ـ دولة لاتينية استضافت مباريات كأس العالم الرابعة لكرة القدم.

٤ ـ جوم «معكوسة»، واحد في لعبة طاولة النرد، هزبر.

٥ ـ دولة أوربية محايدة نظمت مسابقة كأس العالم الخامسة لكرة القدم عام ١٩٥٤.

٦ ـ اسم أطلق على أول دورة لكأس العالم بكرة القدم تكريما لمن بذل الجهد الأكبر في إقامتها.

٧ ـ أسرع، تجدها في كلمة آخر.

٨ ـ والدتنا، عكسها إدبار

٩ ـ شخصية سياسية كبرى حضرت مباراة كأس العالم الثانية لكرة القدم التي عقدت في بلد عام ١٩٣٤.

١٠ ـ لاعب ماهر في تسجيل الأهداف، ثني. □

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	هـ	ر	و	ن	ا	ل	ر	ش	ي	د
٢	■	ا	ل	م	هـ	د	ي	■	ب	■
٣	ا	م	■	ل	ب	د	ا	■	ل	ا
٤	ل	■	■	هـ	ل	■	ح	ق	و	ل
٥	خ	ف	ي	■	■	■	■	ل	■	ب
٦	ي	■	ح	ش	م	■	ج	ع	ف	ر
٧	ز	ب	ي	د	هـ	■	ي	هـ	ر	م
٨	ر	ض	ى	■	ح	ب	ل	■	■	ك
٩	ا	■	■	■	و	د	■	ل	ل	■
١٠	ن	ق	ف	و	ر	ا	ل	ا	و	ل

حل مسابقة العدد ٤٣٦

مايو ١٩٩٤

الشيخ عبدالعزيز الرشيد
سيرة حياته

تأليف : الدكتور يوسف يعقوب الحجي
عرض : الدكتور محمد حسين غلوم

لا تعرف الكويت إلا بنفطها، أما تاريخها ورجالاتها ومجتمعها المدني النابض بالحياة خصوصية تجربتها الديمقراطية فإنها صفحات مجهولة في وعي الإنسان العربي، ولعل ما قام به الدكتور يوسف الحجي* ـ في عمل متميز ـ مساهمة جادة في إطار الكشف عن بعض تلك الصفحات التي طواها النسيان.

هذا الكتاب عمل استدعى عناءً في البحث عن المادة العلمية المتناثرة في بقاع عديدة تمتد من لندن إلى أندونيسيا مروراً بكثير من المدن العربية والإسلامية التي زارها الشيخ عبدالعزيز الرشيد أو أقام علاقات مع أقطاب نهضتها الفكرية والدينية. ويخفف من عناء قراءة كتاب الدكتور يعقوب الحجي الموسوم بـ «الشيخ عبد العزيز الرشيد: سيرة حياته»، رشاقة أسلوبه في الكتابة وحسن عرضه للمادة العلمية الغزيرة التي اجتهد في جمعها. إن الكتاب لا يعد سيرة لهذا المصلح الاجتماعي وتاريخاً لبيئته التي انطلق منها فحسب، بل هو أيضاً ـ وفي الجزء الأكبر منه ـ سجل حافل حي لأوضاع الجالية العربية في أندونيسيا المنحدرة أصلاً من حضرموت في جنوب اليمن. ويؤكد المؤلف بداية أنه يضع كتاباً في سيرة



□ الشيخ عبدالعزيز الرشيد

* صدر الكتاب عن مركز البحوث والدراسات الكويتية ـ ١٩٩٣ الكويت.

الشيخ عبدالعزيز الرشيد وليس كتابا في مدحه. لذا فإنه إلى جانب ذكر مناقبه الكثيرة وبالذات حرصه على التزود بالعلم ودعوته إلى الإصلاح وشخصيته القوية وقدرته البالغة على الخطابة والارتجال، فإنه لا ينسى أن يعرض للقارىء خصالاً أخرى تعد سلبية كضيق صدره وسرعة غضبه وتسرعه في بعض أعماله وعدم اكترائه بأسرته.

ولد الشيخ عبدالعزيز الرشيد في الكويت عام ١٨٨٧ لأب هاجر وهو صغير مع بعض إخوته إلى الكويت من الزلفي، إحدى القرى النجدية بسبب القحط. عمل أبوه مع أعمامه في تجارة الجلود وصوف الغنم الصغير. فكانوا يشترون الجلود ويغسلونها ويجففونها ثم يذهبون بها في رحلات موسمية عبر العراق وإيران إلى مكان يدعى مكاره بالقرب من بحر قزوين حيث يبيعون الجلود والصوف هناك لسكان المناطق الباردة.

أدخله أبوه إلى الكُتّاب لتعلم القرآن وحفظه وهو في السادسة من عمره عند الملا زكريا الأنصاري حيث أتم ختم القرآن بعد سنتين أو ثلاث. ساعد والده في تجارته وكان مولعاً بالقصص الخرافية. ثم أصبح تلميذاً عند الشيخ عبدالله الخلف وعمره يقارب الرابعة عشرة لمدة سنة أو سنتين. توجه إلى الزبير طلباً للعلم في غيبة أبيه ولازم شيخها محمد بن عبد العوجان سنةً، دارساً الفقه الحنبلي، عاد بعد سا في ١٩٠٣ إلى وطنه فزوجه أبوه إحدى مواطناته وهو في السادسة عشرة من عمره كي يستقر.

غير أن الولع بالأسفار والعلم دفعاه مرة أخرى إلى الرحيل متجهاً إلى الأحساء في ١٩٠٦ وإلى مدينة المبرز تحديداً لتلقي العلم على يد الشيخ عبدالله بن عبدالقادر ولم يترك المبرز إلا تحت إصرار والده الذي حضر بنفسه طالباً من ابنه الرجوع إلى الكويت والتي لم يمتد بقاؤه فيها طويلاً إذ سرعان ما هرب من والده وأسرته قاصداً الأحساء ثانية في ١٩٠٨ ماكثاً بها لمدة من الزمن غير معروفة عاد بعدها إلى الكويت وزاول الغوص على اللؤلؤ مع والده.

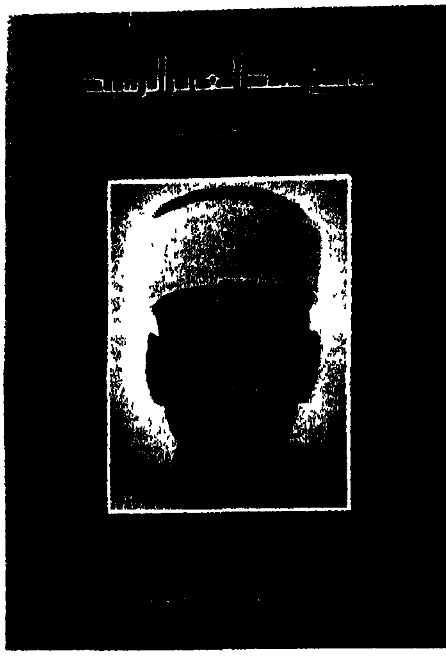
السعي خلف العلم

لم يستطع الرشيد مقاومة حبه للاستزادة من العلم وهو يكمل عامه الرابع والعشرين في ١٩١١ فتوجه إلى بغداد ملتحقاً بالمدرسة الداوودية أو الحيدر خانه لصاحبها السيد محمود شكري الألوسي الذي بدأ معه نبذة من شرح السيوطي على ألفية ابن مالك ولكنه لم يكملها معه لسبب غير معروف بل أكملها على يد أخيه السيد علاء الدين الألوسي. أما السيد محمود فقد شجع تلميذه الكويتي على البحث في مسألة حجاب المرأة والرد على دعاة السفور وأبرزهم



□ صورة نادرة للشيخ عبدالعزيز الرشيد بلباس أهل نجد، وعن يمينه السائح العراقي يونس بحري وخلفهما بعض الأدباء في مدينة جدة في ٨ يناير ١٩٣١.

أحد تلامذته وهو الشاعر معروف الرصافي. لم يخيب الرشيد ظن أستاذه فألف كتابه الأول «تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين» ـ في نفس عام وصوله إلى بغداد ١٩١١ ـ والكتاب عبارة عن بحث من ٥٦ صفحة من الحجم المتوسط ينطلق فيه الرشيد من «أن النساء حبائل الشيطان وبهن يصل إلى بلوغ مقاصده الخبيثة»، وينادي فيه بأن لزوم المرأة بيتها وعدم خروجها إلى المدارس هو ألزم عليها لاسيما في هذا الزمن الفاسد!! ولم يعلم الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو يسطر هذا الكلام أنه سوف يكون هو ذاته بالقريب سيفاً مصلتاً على رقاب الذين ينادون بمثل هذه الأفكار!!.



□ غلاف الكتاب

ترك الرشيد بغداد وقصد القاهرة حينما سمع عن افتتاح دار الدعوة والإرشاد في فبراير ١٩١٢ على يد الشيخ رشيد رضا. وكانت مجلته المنار تصل إلى الكويت منذ أوائل هذا القرن. وقد طلب الرشيد أن يلتحق بتلك الدار غير أن طلبه رفض لسبب غير معروف فبقي في مصر أسبوعاً غادرها إلى الأراضي المقدسة. إن ترك شاب متحمس مثل الشيخ عبدالعزيز الرشيد ـ يقول المؤلف ـ لبلد مثل مصر في تلك الحقبة الزمنية، وعدم البقاء بها أطول من أسبوع واحد أمر يصعب تفسيره.

وصل الرشيد مكة في ١٩١٢. وبعد أن تعرف على علمائها وحضر بعضاً من حلقات الدرس عند البيت المحرم واتصل بمدارسها، تركها متجهاً إلى المدينة المنورة التي جاورها زهاء العام، ثم طفق راجعاً إلى مسقط رأسه وقد لبس الجبة والعمامة على طريقة علماء العراق والشام، فأضفى هذا اللباس عليه هيبة بالرغم من قصر قامته.

كانت النهضة العلمية والفكرية قد بدأت لتوها في الكويت حينما عاد إليها الرشيد. فقد أسست أول مدرسة نظامية في أواخر ١٩١١ سميت بالمباركية. كما أن بعض المجلات والصحف كانت تصلها وبالأخص المنار والهلال والمقتطف والشورى. فضلاً عن أنها حظيت بزيارة بعض أقطاب النهضة العربية مثل الشيخ رشيد رضا التي زارها في ١٩١٢. وما إن استقر الرشيد في بلاده حتى عقد صداقة وطيدة مع الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، أحد رواد النهضة الأساسيين. كما ربطته علاقة حميمة مع شاعرها الضرير صقر الشبيب. وما إن تعين ناظراً للمباركية في ١٩١٧ حتى كان قد طلق نزمته الفكري وأصبح من دعاة الإصلاح.

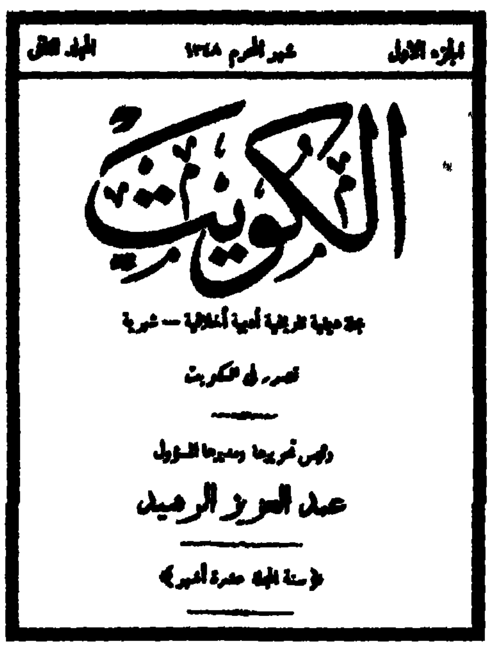
في ١٩٢١ وما بعدها نمت مؤسسات المجتمع المدني بقوة وساهم الشيخ عبدالعزيز فيها بهمة ونشاط، ففيها تم تأسيس أول مجلس للشورى من أعيان البلاد وكان الرشيد عضواً فيه، وكذلك تم إنشاء المدرسة الأحمدية التي أخذت تدرس العلوم العصرية واللغة الإنجليزية والتي أصبح الرشيد من هيئتها التدريسية، ثم أنشئت المكتبة الأهلية في العام الذي يليه والنادي الأهلي بعد ذلك بعام وكانت له إسهامات واضحة فيه من خلال محاضراته القيمة.

مسرحية حول صراع العلماء

وكان للشيخ عبدالعزيز الرشيد معارضون لم يتركهم دون رد، فقد ألف تمثيلية مسرحية ينتقد فيها الشيخ أحمد الفارسي تورية سماها «المحاورة الإصلاحية» طبعها في بغداد ١٩٢٤ ومثلت في ٣ مارس في المدرسة الأحمدية، وهي تبين الصراع بين العلماء المجددين والمقلدين. ولقد كانت حديث الدواوين والمجالس وكانت بدعة لم يأت بمثلها أحد من قبل «فأضحكت وأبكت وسرت وأساءت» كما يقول.

إن العمل المميز الذي قام به عبدالعزيز الرشيد حقاً هو وضع تاريخ للكويت نشره عام ١٩٢٦ معتمداً على الرواية المحلية ووثائق الحكومة. ورغم أن الكتاب ظل رهين الحبس في جمارك الكويت، إلا أن نسخاً كثيرة تسربت منه. وقد أهداه للزعيم التونسي عبدالعزيز التعالي الذي زار الكويت مرتين في تلك الأيام. ولعل من نافلة القول أن نذكر أن هذا الكتاب يبين استقلال الكويت وتميز كيانها السياسي منذ البداية. وما يذكره الأديب العراقي رفائيل بطي في رسالته التي حررها في بغداد في ١٠ يوليو ١٩٢٦ تعليقاً على عمل الرشيد يؤكد ذلك، فهو يقول في أحد مواضع رسالته مشيداً بالشيخ عبدالعزيز الذي «أطلعنا على تاريخ بلد من صميم بلاد العرب، لا تعجب إذا قلت لك إنه كان بعيداً عنا فقربته، ومجهولاً فعرفته، ثم حببته إلينا وكشفت لنا خفايا أحواله وعددت مزاياه، فما قرأنا كتابك حتى صرنا ننظر إلى القطر الشقيق نظرة الأخوة الحقة».

كان الرشيد في هذا الوقت، إلى جانب عمله في التدريس، يقوم بنشر مقالات في صحف متعددة مثل جريدة الشورى التي كان مراسلها في الكويت ومجلة اليقين البغدادية ومجلة الهلال. إلا أنه في عام ١٩٢٨ أصدر مجلة الكويت وهي الأولى في الخليج العربي وطبعها في مصر عند صديقه الأديب السوري خير الدين الزركلي وطبع منها ٥٠٠ نسخة، بلغ عدد المشتركين فيها ٣٠٠ شخص وهيئة كان أبرزهم شيخ الأزهر مصطفى المراغي والمجمع العلمي العربي في دمشق وصديقه العالم محب الدين الخطيب والشيخ ابراهيم الخليفة وغيرهم كثيرون. ويبدو أن مجلته لم تحظ بالانتشار الذي كان ينتظره بسبب شيوع الجهل والفقر. فترك الكويت وسكن البحرين ومن هناك ظل مستمراً في إ[...] مجلته حتى إكمال عددها العاشر فأوقفها بعد [...] سنتها الثانية في مارس ١٩٣٠. وقد التقى عبدالعزيز الرشيد الملك عبدالعزيز ابن سعود [...] فبراير ١٩٣١ في المأدبة التي أقامها في مكة على كبار الحجاج والأهالي، وألقى فيها الرشيد قصيدة [...] بها الملك. وكان هذا ثاني لقاء للرشيد بالملك عبدا[لعزيز] إذ تم الأول في السنة السابقة حينما قصد الرشيد الأحساء خصيصاً لمقابلة الملك. والحق أن الرشيد كان معجباً منذ مدة بإصلاحات الملك عبدالعزيز وقد اتفق على أن يبعث الشيخ عبدالعزيز الرشيد داعية للمذهب السلفي إلى أندونيسيا ومسقطا لهمم الأندونيسيين على القيام بأداء فريضة الحج. وما أن انتهى موسم الحج في ذلك العام حتى كان الرشيد على إحدى بواخر الحجاج في طريقه إلى جاوة في أندونيسيا، وقد أخذ معه مائة جنيه إنكليزي وكسوة فاخرة تفضل بهما عليه الملك عبدالعزيز بن سعود.



□ مجلة الكويت التي أصدرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد عام ١٩٢٨ في الكويت.

كان الرشيد وهو في طريقه إلى الجزائر الأندونيسية على علم بالصراع الدائر بين أبناء الجالية الحضرمية حيث انقسموا إلى جماعتين متناحرتين: العلوية والإرشادية. أما أصل الخلاف فمتعلق بالموروثات الاجتماعية التي حملها الحضارمة معهم إلى تلك الديار وهي التقسيمات الطبقية التي كانوا يتفاضلون اجتماعياً على أساسها. فكان هناك السادة العلويون (وهم شافعيو المذهب يدعون الانحدار من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم). وهناك القبيليون والضعفاء. وكان الزواج يتم وفقاً للمقام الاجتماعي حسب مبدأ الكفاءة في النسب الذي تطور عبر العهود الإسلامية المختلفة ليكون معياراً اجتماعياً لا يُتخطى.

جـر الموقف في ١٩١٤ حينما سُئل الشيخ أحمد الـ ركتي (وهو سوداني استدعاه العلويون في ١٩١١ لإد ة جمعيتهم التي أسسوها في ١٩٠٣ ولنشر العلم) عر صحة زواج العلوية من غير العلوي، فأجاب بـ حة هذا الزواج شرعاً دون علم منه بما تنطوي عليه اجـ ته من إثارة للعلويين. لم يستطع الشيخ السوركتي بعـ هذه الفتوى الاستمرار مع العلويين وأسس مع بعض الحضارمة غير العلويين جمعية الإصلاح والإرشاد الإسلامية. وكان إنشاؤها إيذاناً بنشوب حرب طويلة ذكاها ظهور الصحف وانتشارها وتركزت حول مبدأ الكفاءة وهي لغة المساواة واصطلاحاً أهلية الرجل للزواج من المرأة. فكان العلويون يصرون على التمسك بالكفاءة بينما الإرشاديون يدعون إلى المساواة.

محاولات للإصلاح

وصل الرشيد إلى بتافيا (جاكرتا) في يوليو ١٩٣١ بعد أن قابل في الطريق (سنغافورة) صديقه السائح العراقي يونس بحري حيث اتفقا على السعي لتأليف قلوب الحضارمة في تلك الديار. حل الرشيد ضيفاً على الشيخ أحمد السوركتي. وبعد أيام حاولا للمرة الأولى الصلح بين الفريقين على أساس «أن كل ما اختلف فيه الفريقان يجب أن يرفع إلى علماء الشرع في الأزهر ليفتوا فيه بمقتضى مذهب الإمام الشافعي».

لم تفلح هذه المحاولة ـ وغيرها في الطريق ـ ووجد الرشيد نفسه ينزلق رويداً إلى جانب الإرشاديين ضد العلويين وبالذات حينما أخذ يصدر هو وصاحبه البحري «مجلة الكويت والعراقي» من سبتمبر ١٩٣١. إن هذا الموقف من الرشيد كاد أن يدفع حياته ثمناً له فيما بعد.

أما عن اسم مجلته الجديدة فيكتب الرشيد موضحاً في أحد أعدادها قائلاً: «احتفظ صاحبا هذه المجلة باسم «الكويت» (المجلة) التي أصدرها الرشيد خارج أندونيسيا سنتين كاملتين، وبه اشتهرت في العالم العربي، كما اشتهرت به مدينة الكويت التي هي مسقط رأس صاحبها أيضاً. وأضيف إلى هذا الاسم في أندونيسيا القسم الآخر من اسم السائح العراقي الذي هو أحد صاحبي هذه المجلة، ليدل على اسمه الكامل المعروف ـ مع ملاحظة قطره الذي ينتمي إليه».

استمرت «مجلة الكويت والعراقي» إلى أن اختفى يونس بحري فجأة في ٢٥ يناير ١٩٣٣ من أندونيسيا دون أن يترك أثراً ليظهر صوته مدوياً في الحرب العالمية الثانية في القسم العربي لإذاعة برلين!!.

تزوج الرشيد بفتاة أندونيسية وأنجب منها بنتين وأخذ يعمل بالوعظ والتدريس ويعطي دروساً في الفقه والحديث واللغة العربية. وبعد سنة عاد في زيارة لوطنه حيث كانت تمر ببلاء جراء انتشار وباء الجدري وحالة الركود الاقتصادي بسبب الكساد العالمي.

مكث بها أسبوعين ثم رحل إلى البحرين فميناء العقير لمقابلة الملك عبدالعزيز بن سعود في أكتوبر ١٩٣٢. وكانت هناك مفاجأة تنتظره حيث أبصر وسمع اللاسلكي لأول مرة في حياته، كما سمع الراديو وشنف سمعه بغناء من تركيا ولندن وبموسيقى تعزف من إيطاليا. ولقد علق الرشيد على هذه المخترعات بقوله إنه «ليس في هذا كله من غرابة، فلا سحر ولا تنجيم ولا شياطين ولا كهنة، وإنما هي العقول الجبارة التي أوصلت أربابها إلى ما نرى ونسمع».

وعند عودته إلى أندونيسيا في أوائل ١٩٣٣ أصدر الرشيد مجلة أخرى أسماها «التوحيد» استمرت إلى آخر ذلك العام ثم توقفت لانتقال الرشيد إلى مدينة أخرى (بكالونجان) حيث عمل ناظراً لمدرسة الإرشاد وأقام فيها طيلة سنوات ثلاث.

وبعد غياب أربع سنوات متصلة عاد الرشيد ثانية إلى وطنه الكويت في ١٨ يناير ١٩٣٧ وأمضى بها أربعة أشهر قام خلالها بزيارة للبصرة وبغداد لتجديد الوصل بأصدقائه. ثم ترك الكويت في ١٢ مايو ١٩٣٧ عائداً إلى أندونيسيا، فمر على البحرين ثم قصد الرياض فقابل الملك عبدالعزيز وذهب إلى مكة معتمراً ووصل إلى سنغافورة في أغسطس ومنها إلى جاوة.

عاجله الموت هذه المرة ولم يتعد الحادية والخمسين من عمره، حينما توقف قلبه في الثالث من شهر فبراير ١٩٣٨، ودفن في «فردوسه الاستوائي» الذي أحبه.□



كتاب الشهر

صورة العالم الثالث

في الرواية الفرنسية المعاصرة

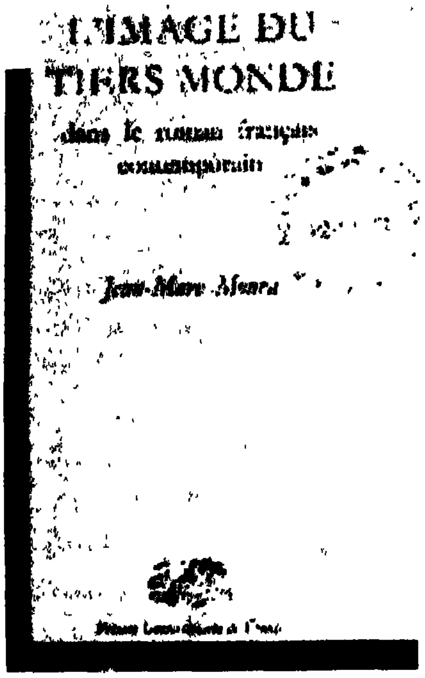
تأليف : جان مارك مورا — عرض: محمود قاسم

هناك حساسية خاصة داخل كل منا إزاء السلبيات التي يعيشها مجتمعنا. ويبدو ذلك واضحا بشكل مكثف فيما يتعلق بالآداب والفنون، حيث إنها تكون أكثر اتصالا بوجدان البشر، وأطول عمرا من شتى وسائل الإعلام. ولذا فمن الأهمية أن نعرف صورة عالم الثالث كما صورته الآداب العالمية. وكما رآه الرحالة والفلاسفة الذين جاءوا للاتصال ...

تجيء أهمية هذا الكتاب من خلال مفتاح الدخول إليه. وهو أن الكاتب آمن بآراء جان جاك روسو، وأندريه مالرو في أن الاوربيين قد انحصروا فيما قبل في معرفة ذواتهم فقط، دون محاولة الانفتاح على ذوات الآخرين، وأنه لم تحدث النهضة الاوربية الحقيقية إلا بعد أن قام كبار الرحالة الاوربيين بالسفر نحو العالم، فجاءوا بخلاصة التجارب البشرية، فاستفادوا منها، وصهروها، كي يخرجوا بتجربة جديدة. ويرى مالرو أن المرء أحيانا لا يرى غير وطنه، وذلك أشبه بالرجل الذي يتصور أنه لا توجد امرأة أخرى غير حبيبته.

وفي مقدمة الكتاب يرى المؤلف أن «العالم الثالث» تعبير لم يكن موجودا إلا في المصطلحات السياسية لكنه ما لبث أن دخل الأدب، وهو أشبه بقناع ملون يستخدمه البعض حسبما يروق له. وفي عالم الثقافة فإن العالم الثالث يمتلك آدابا وفنونا قد تكون أرقى من الدول الأكثر ثراء على المستوى الاقتصادي ومع ذلك فإن «العالم الثالث» هو من صناعة بعض المفكرين الغربيين. ولذا، فالعالم الثالث لا يعني الدول الأقل حضارة وتاريخا، أو كما أطلق البعض تسمية أخرى مهذبة هي دول الجنوب، أي الأكثر فقرا. وهو اصطلاح مبهم، ومليء بالفظاظة. وقد ظهرت مثل هذه المصطلحات بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تم تقسيم العالم إلى مجموعة من الأقسام الجغرافية السياسية حسب أيديولوجيتها في المقام الأول. وفي هذه الفترة بزغت الآداب القومية في العديد من دول العالم، باعتبارها تعبر عن فئة من البشر، دون أن يكون هناك رابط بين سلوك البشر في كل أنحاء العالم، وأن ما يمكن أن يحدث في بلد ما يمكن للناس في مكان آخر ان يحسوا بقيمته. وقد أطلق جان بول سارتر تعبير «آداب الظروف الكبرى» على الإبداعات التي ظهرت في تلك الحقبة، بمعنى أن الكاتب كان خاضعا دوما لما تشاهده بلاده من أحداث سياسية أو حروب هي في أغلب الأحوال نشاط إنساني عالمي، بالإضافة إلى الحروب الباردة التي شهدت وقائعها أماكن متعددة من أنحاء الأرض. ولا شك أن العالم الثالث كان نتاجا لهذه التحولات.

وتجيء أهمية التعرف على صورة العالم الثالث في الأدب، من خلال أن الإبداع هو حصاد خيال البشر





□ أندريه مالرو

ومن الغريب أن الكاتب قد حول نصف كتابه إلى محاولة للتعرف على «فكرة العالم الثالث» وذلك في عيون الغرب خاصة من منظور سياسي. وهو تعبير جاء ليحل محل مفاهيم عديدة منها «الدول الأقل تطورا» ولأن العالم قد تغير سياسيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فإن الباحث البريطاني الفريد ساوفي هو أول من استخدم هذا التعبير في ٢٤ أغسطس عام ١٩٥٢ في مجلة «الأوبسرفاتور» باعتبار أن العالم في تلك الآونة مقسم إلى ثلاثة أقسام: المعسكر الغربي، والمعسكر الشرقي، ثم الدول الأقل تنمية.

عالم ثالث

في هذه الفترة، وفي فرنسا، كانت هناك ظاهرة لافتة للنظر، وهي أن الأدباء العرب الذين يكتبون باللغة الفرنسية قد وجدوا لهم مكانة متميزة لدى الناشرين الفرنسيين أمثال البير ميمي وكاتب ياسين، وحدث ذلك أيضا بالنسبة لكتاب عديدين يكتبون بالفرنسية في إفريقيا مثل ايميه سيزار، وسنجور كما كشفت التجربة أن علاقة المبدع بالمكان قد أثرت فيه بشكل واضح، من خلال روايات ألبير كامي التي تدور أحداثها فوق أرض الجزائر مثل «الغريب»، و«الطاعون».

كان من الأهمية بمكان الالتفات إلى العالم الثالث، حيث انتقلت الصراعات السياسية بين قطبين إلى امتلاك مقدراته، وتحويله إلى الأيديولوجية التي يتبعها أي من المعسكرين. وانتقلت الحروب إلى أماكن عديدة من هذا العالم في الشرق الأوسط وفيتنام. وبذلك أصبحت دول هذا العالم بمثابة «الحقل العلمي» الذي يمارس فيه الغرب تجاربه في جميع الميادين الاقتصادية والأيديولوجية.

يقول الكاتب إن اصطلاح «عالم ثالث» يعني الآن ما هو ليس محتذيا بالنموذج الغربي سواء الاجتماعي أو الثقافي، باعتبار أن هذا النموذج في رأي الكاتب أكثر تطورا. ولا يمكن حتى الآن النظر إلى هذا العالم دون أن تؤخذ في الاعتبار مسألة «رؤيته الأيديولوجية السابقة للعالم».

ولذا، فإن الآداب المهتمة بهذا العالم يمكن أن نرى

فيها ملمحين كبيرين: الاهتمام بواقع المكان، أي تلك الأمكنة التي يكون عليها الناس مجتمعاتهم، ثم نظام حياة الأشخاص وعلاقتهم ببعضهم البعض وارتباطهم بالمكان.

فتحة ضيقة للرؤية

والغريب أن الآداب التي حاولت أن تتعامل مع العالم الثالث، قد نظرت إليه من فتحات ضيقة للغاية تبعا لعلاقة الكاتب الفرنسي بهذا العالم، وذلك من خلال أطر محدودة للغاية، أولها انحسار الاستعمار، ثم روايات التجسس، وروايات المغامرات. وكما نرى، فإنه باستثناء النوع الأول من الروايات فإن بقية الإبداع الأدبي عن هذا العالم كان أقل أهمية ولا يمكن اعتباره أدبا بالمرة. فليست روايات التجسس ولا روايات المغامرات من الأدب.

في أثناء سنوات الاستعمار الفرنسي للكثير من دول العالم الثالث سافر أدباء فرنسا إلى المستعمرات ومن هنا استوحوا بعض رواياتهم، حيث سافر أندريه جيد إلى الكونغو، وأيضا سيلين الذي استوحى روايته المهمة «رحلة إلى أطراف الليل» من أجواء المستعمرات. أما أندريه مالرو فقد قدم روايات عديدة تدور أحداثها في الهند الصينية إبان احتلال فرنسا لها مثل: «قدر الإنسان» وغيرها.

وقد سافر بعض هؤلاء الكتاب حسب رغباتهم إلى تلك الدول للتعرف على ما يحدث هناك، وكان مالرو على سبيل المثال شغوفا بالسفر إلى بقاع عديدة من العالم وليس فقط إلى المستعمرات حيث استوحى روايته «الأمل» من وقائع الحرب الأهلية في إسبانيا.

وقد ألهمت حركات التحرر عن الاستعمار الفرنسي الكثير من الكتاب أن يبدعوا عن المناضلين مثلما حدث في الجزائر. وحول هذه الحرب التحريرية هناك ظواهر عديدة في الكتابة منها أن هناك أبناء فرنسا الذين كانوا يعيشون في الجزائر والذين عرفوا باسم «الأقدام السوداء» ومنهم على سبيل المثال ماري كاردينال ولوي جارديل، والكاتب المسرحي إيمانويل روبليس. أما من بين الذين كتبوا عن هذه الحرب وآثارها على المجتمعين

الفرنسي والجزائري من الفرنسيين فهناك كلير ... رللي صاحبة رواية «اليزا والحياة الحقيقية» التي ترو... لاقة مناضل جزائري بفتاة فرنسية وقيام السلطات ... سية بالقبض عليه دون أن تعرف مصيره.

ومن المعروف أن حرب الجزائر كانت مادة ... صبة للكثير من الأدباء المشهورين ومنهم فيليب ... سور وروايته «انطفأت النيران بشكل سيىء» عام ١٩٠٧، والكاتب بيير جويوتا وروايته «مقبرة من أجل ٥٠٠ ألف جندي» عام ١٩٦٧ أيضا ورواية «الثعابين» للكاتب بيير بورجارد.

وبشكل عام فقد انعكست آثار تلك الحرب على الإبداع الفرنسي، باعتبار أن ما حدث فيها كان صدمة، ليس أبدا بسبب انفصال الجزائر عن فرنسا، ولكن لأن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى البلدة العربية باعتبارها نجعا، أو حيا في مدينة. ولذا تباينت الرؤى نحو الجزائر، رغم الموقف العام من الأدباء الذين ناصروا ثورة الجزائر، وجبهة التحرير، على الأقل فوق الورق، وفي إبداعاتهم.

وفي روايات التجسس وروايات المغامرات كانت بلاد العالم الثالث بمثابة أرض أجنبية تدور في ساحتها مغامرات عديدة. ورغم أن الفرنسيين غير بارعين في



□ لقطة من فيلم «قلعة ساجان» عن رواية للوي جارديل.

كتـ ة روايات التجسس مثل الإنجليز فإن أغلب هذه لر يات المكتوبة بالفرنسية هي في المقام الأول روايات مغ رات، وذلك مثل المجموعة التي كتبها جيرار دوفييه و ور أحداثها في كل أنحاء العالم. والغريب أن الـ سوس في هذه الرواية «بالكو» يحمل اسما من العالم الـ ث، ولكنه يخدم الاستخبارات البريطانية. وقد جاء إلى مصر ليتنبأ باغتيال أنور السادات في رواية، «اغتيال في الـ اهرة» وذهب في العام الماضي إلى طرابلس في رواية «انقلاب في طرابلس» عقب قرار مجلس الأمن بفرض حصار جوي على الجماهيرية الليبية.

ورغم كثرة هذه الروايات بما يوحي أن مؤلفها قد كتبها في أيام قلائل فإن هناك تفاصيل دقيقة عن الأماكن التي تدور فيها هذه الروايات من ناحية، ثم هناك إلمام بتاريخ هذه البلاد الحديثة وأيضا بلغة الناس فيها. وقد سافر مالكو على سبيل المثال إلى كل بلاد العالم الثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وفي هذه الروايات يبدو العربي ساذجا، أما الآسيوي فهو قدري، والأمريكي اللاتيني ثوري، أما الإفريقي فهو متواكل، ولكل منهم دوره في العالم حيث يقوم الغرب بتوزيع الأدوار. والجواسيس في هذه الروايات لا يذهبون إلى العالم الثالث من أجل التجسس على أبناء البلد، بل سعيا لمحاربة الشيوعية وأنصارها حتى لا تستشري بين أفراد الشعب.

وفي بعض الروايات هناك محاولات لاستقدام أحد العلماء الأذكياء، أو لمنع مجابهة عسكرية وشيكة الوقوع. وغالبا ما يبدو المواطن المحلي في هذه الروايات بمثابة شخص سلبي يتطلع حوله دون تدخل، ويبدو هذا واضحا في شخصية رجل الاستخبارات أو رجل الشرطة المحلي، فعليه فقط مساعدة زميله القادم من بلاد الغرب، دون أن يكون له رأي أو حتى شرف المشاركة.



□ ماري كاردينال.

المغامرون.. سياسيون..

وعن روايات المغامرات التي تتناول العالم الثالث، نرى أن هذا النوع الأدبي يرجع إلى الثقافة اليونانية اللاتينية. وهي بمثابة قصص لمغامرات تقوم حبكتها على المصادفة، والمصير البشري في الحياة اليومية. وقد كان فرسان هذه الرواية في القرن التاسع عشر كلا من الكسندر ديماسو وجوزيف كونراد ورفائيل ساباتيني.

والرحيل إلى بلاد أخرى من أهم سمات المغامرات، ولذا اتجه المغامرون من الغرب نحو بلاد العالم الثالث بدواعي استكشافها والتعرف عليها، والمغامر يختلف تماما عن الجاسوس فهو لا يعيش في الخفاء وبأسماء مستعارة بل هو يعلن نشاطه على الملأ، ويفخر بأنه رجل ذو مواهب، وقدرات خاصة.

والمغامرون دائما في هذه الروايات إما من الصحفيين أو رجال الجيش وأيضا من المرتزقة، مثلما حدث في رواية «إبحار من الشمس» وهي ثلاثية كتبها جوليان ماني بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨١ وفيها يلتقي صحفي وضابط ودبلوماسي في أحد بلاد الشرق. ويتعرضون لبعض الأحداث المثيرة فيحاولون الخروج من المأزق تلو المأزق. وفي هذه الثلاثية مثل ـ أغلب روايات المغامرات ـ هناك قصص الحب، وحكايات حول النبل البشري.

ويرى الكاتب جان مارك مورا أنه رغم الشكل الظاهر لهذه الروايات بأنها من أجل التسلية فإن أغلبها يحمل وجهات نظر أيديولوجية وسياسية. فهناك استعلاء خاص من ناحية هؤلاء المغامرين الذين يتعاملون مع الوطنيين على أنهم بشر أقل تحضرا. وهي أفكار أشبه

بتلك التي حملها المستعمرون القدامى إلى تلك الدول حينما جاءوا بأسلحتهم وسفنهم لاحتلالها في القرون الماضية، فالاستعمار لم يتغير ولا تزال نفس أفكاره ماثلة في ذهنه وتنعكس في أدبه.

الديكتاتور.. والثورة

في الفصل الثالث من القسم الثاني من كتابه يتحدث المؤلف عما أسماه أدب الاستعمار الجديد وهو بذلك يؤكد على النقطة السابقة الذكر. حيث يتحدث عن الدول الناطقة بالفرنسية باعتبارها بلادا تنتمي إلى الثقافة الفرنسية، حتى وإن كانت الحكومة الفرنسية لا تحكمها. وهناك قصص حب، وهي قصص إنسانية بين الفرنسيين وبين أبناء تلك الدول. مثلما فعلت الكاتبة موريب سيرف المولودة في لبنان في روايتها «الشيطان أخضر» والكاتب جورج كونشون صاحب رواية «الدولة المتوحشة» التي تدور في إحدى الدول الإفريقية من خلال علاقة قديمة بين رئيس الدولة ورئيس فرنسا ولعله بذلك يؤرخ للصداقة القديمة بين الرئيس والشاعر السنغالي السابق ليوبولد سيدار سنجور، وبين الرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو. وقد حصلت هذه الرواية على جائزة جونكور عام ١٩٦٤ ثم تحولت إلى فيلم في عام ١٩٧٧.

وفي هذه الروايات هناك تصور أن الغرب قد فعل شيئا من أجل تطوير بلاد العالم الثالث، كما أن هناك إشارات في روايات عديدة أن هذه البلاد تجيد صناعة الديكتاتور مثل «الوكر» كما في رواية «اللامعون» وهو بمثابة كاليجولا معاصر. ومثل «جوهاندا» في رواية «الدولة المتوحشة» وتبعا لأن هناك ديكتاتورا فيجب أن يكون هناك ثوار ومتمردون. مثلما حدث في روايتي «النضال الأخير» و«حزام النار» للكاتب كونراد وهذه الرواية الأخيرة تدور أحداثها في «نيكارا حيث العاصمة لم تعد سوى مدينة مدمرة. أو أطلال مدينة وعلى الثورة أن تنجح من أجل الديمقراطية.

غالبا، ما يجد المرء نفسه في حيرة شديدة، وهو يعرض كتاب من ذلك النوع الذي قدمناه الصفحات، ليس أبدا لأنه من الصعب تلخيصه فقرات ولكن لأن نماذج الرواية التي ذكرها الكاتب تكاد تكون شبه مجهولة بالنسبة للقارىء العربي وحتى الأفلام المأخوذة عنها التي لم تعرض على الشاشات العربية، وبالتالي فإن متابعة مثل هذا الكتاب ستلزم بالضرورة متابعة الروايات، ونحن لا نطالب بترجمة هذا الكتاب. بل من الأحرى أن نقرأ هذه الروايات، لأنها عن عالمنا العربي وهو جزء من هذا العالم الثالث، صحيح أن دولا كثيرة في المنطقة العربية لم تذكر في الرواية، مثل مصر وبعض دول الخليج وليبيا والسودان باعتبار أنها لم تكن مستعمرات فرنسية أو تحمل الثقافة الفرنسية لكننا جزء من إفريقيا غربا ومن آسيا، وهي أقرب في عاداتها وظروفها الاجتماعية إلى ظروفنا، ومن هنا تجيء أهمية الاتصال مجددا بهذه الكتابات ليس فقط لأنها عن جلدنا ولكن بكل بساطة إذ كانوا هم يغزوننا برواياتهم، فلماذا لا ننفتح على هذه الروايات ونقابلها بما فيها من حقائق وأكاذيب؟.



□ جان كوكتو

الغريب أن الكتاب لم يقترب من الكتب المهمة التي سجلها الأدباء الفرنسيون عن رحلاتهم إلى الشرق مثلما فعل جان كوكتو في «بقشيش» وأندريه جيد في «رجل عديم الأخلاق» وغيرهما من الأعمال التي يعتبرها الكاتب من الأدب المعاصر، حيث إنه اهتم في المقام الأول بالروايات المنشورة في ربع القرن الأخير. □

مكتبة العربي

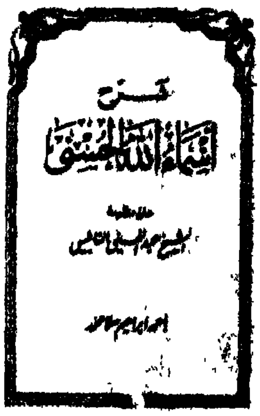
مختارات

اسم الكتاب: شرح أسماء الله الحسنى

تأليف : أحمد إبراهيم ملا محمد

الناشر: مكتبة الزهراء الحديثة - دمشق

يتضمن هذا الكتاب شرحا مفصلا لأسماء الله الحسنى، مسطرا على منظومة للشيخ عبدالغني النابلسي بعد مطابقتها على مخطط آخر لنفس المؤلف، وقد اعتمد في تأليف هذا الكتاب أسلوبا بسيطا، كما احتوى على عرض لمعظم ما جاء في الكتب السابقة إضافة إلى شرح المؤلف لها.



□□□

اسم الكتاب: لقاء في موسم الورد

تأليف : ليلى محمد صالح

الناشر : دار سعاد الصباح - الطبعة الأولى ١٩٩٤

مجموعة قصصية لكاتبة وباحثة في أدب المرأة، تتناول الغزو العراقي للكويت وآثاره المؤلمة. أهم ما يميز الكتاب ذلك التحدي الذي يمارسه الحب في مواجهة الحرب القذرة رغم المعاناة والفقد والأسر، فالمرأة التي يستشهد زوجها منذ يوم المواجهة الأول تظل وفية له، وتلك التي تعيش حالة انتظار موعد الحب يؤخذ حبيبها أسيرا، ويتمثل الوفاء في الحالتين مشاركة شجاعة في المقاومة دفاعا عن الكويت وحريتها.

المجموعة تضم سبع قصص تكاد تكون جميعها قصيدة حب واحدة في مواجهة الحرب والخيانة.



□□□

اسم الكتاب: الحواجز السوداء

تأليف : ليلى العثمان

الناشر : المؤلفة — الكويت - الطبعة الأولى ١٩٩٤

بين الرومانسية والسخرية تعمد ليلى العثمان إلى كشف المخبوء في إحدى عشرة قصة تناولت جميعها موضوع الاحتلال العراقي للكويت وآثاره على المواطن الكويتي شيبا وشبانا، نساء ورجالا وعرضت لأشكال المقاومة البطولية السلبية منها والإيجابية كما عرضت لحالات نفسية مختلفة صادفها أبطال قصصها على حواجز المحتلين.

الحضور الكثيف للماضي والذي يجري الاتكاء إليه في مواجهة «جراد» الغزو، هو أهم مميزات المجموعة القصصية.



□□□



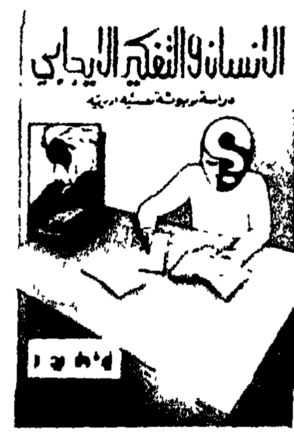
اسم الكتاب: افتتاحية العشق
تأليف : جهاد عارف الأحمدية
الناشر : دار مجلة الثقافة ـ دمشق

مجموعة شعرية عذبة تتوزع على قصائدها الثلاث عشرة هموم الوجود الإنساني في إشراقاته واختناقاته. الحضور القوي للمرأة، الحلم يكاد يعلن حالة اليباب التي يشهرها الواقع، غيابا للحرية وقرا للروح، لكن الشاعر لا يستسلم:

فاخرجي من وقتك الخزفي
وانهمري علي غزالة
عرفت طريق المسك
فاقترفت خطاها الانعتاق

ومن مقولة شكسبير «نكون أو لا نكون.. تلك هي المسألة» ينطلق الشاعر ليفضح إخفاقات الواقع العربي، ثم ليرسم البديل.. ظلما يبيد وطيورا تعود!.

□□□



اسم الكتاب: الإنسان والتفكير الإيجابي
تأليف: عيسى بن علي الملا
الناشر: المؤلف ـ المملكة العربية السعودية

يكشف هذا الكتاب بالأدلة العلمية الطاقة الهائلة التي يمتلكها كل منا بداخله ويحدد الطرق السليمة لاستغلالها والاستفادة منها، وهو يأخذ من القيم الإسلامية الراسخة والسامية هاديا ودليلا ويستشهد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويجعل للإيمان العميق بالله الدور الأكبر في حل المشكلات التي يعاني منها إنسان هذا العصر مثل الخوف والأرق وعدم الثقة بالنفس وغيره.

□□□



اسم الكتاب: فندق السعادة «حكايات من عراق صدام حسين»
تأليف : د.جليل العطية
الناشر : دار الحكمة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٣ ـ لندن

فندق السعادة كتابة رمزية ساخرة لـ«قصر النهاية» نسبة إلى السجن الرهيب الذي أشرف على إعداده «صدام حسين» شخصيا منذ سنة ١٩٦٨، وهو كتاب يشد القارىء، يضحكه تارة ويبكيه أخرى وبأسلوب ساخر موثق يسجل حقبة دقيقة من تاريخ العراق المعاصر..

□□□



اسم الكتاب: عثمان وتقاسيم الزمان
تأليف : حمد الحمد
الناشر: شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت.

الكتاب هو المجموعة القصصية الثالثة وقد أصبح فيها أكثر نضجا في تعامله مع الحدث القصصي وكذلك في اختياره لمضمون القصص. فهو يخرج من أسر الذات نحو رحابة الشأن العام ليدمج قضايا حيوية مازالت تلح على واقعنا اليومي. إنها عشر قصص جديدة يحتفي فيها الكاتب بشكل القصة القصيرة وأبعادها الجمالية وقد حاول أن ينوع في أساليب الكتابة بحيث يحدث تغيرات في الشكل القصصي المألوف.□



و فرصة جديدة لتقديم أرفع خدمة من نوعها في الخليج . فمنذ اللحظة التي تتقدم فيها لمكتب إتمام إجراءات السفر وحتى آخر ـ عندما تصل إلى مقصدك النهائي ، فإنك ستلقى ـاملة تفوق تلك التي يحظى بها كبار الشخصيات .



فإننا لا نعتبرك شخصاً مهما فحسب بل ونعدّك صديقنا الدائم . وبمجرد أن تطأ قدمك الطائرة فإننا ـك بدرجة استثنائية من الراحة والعناية مهما كان اختيارك ـ درجات السفر الثلاث .

ـاحنا في مواجهة تحديات الماضي ، ينطلق بنا إلى مستقبل أكثر إشراقاً نوظف فيه مجموعة فريدة من الطائرات الحديثة ، كرم الضيافة العربية التقليدية ، والخدمة المطورة التي تتميز بها الخطوط الجوية الكويتية اليوم .



كل ما عليك أن تفعله هو الاسترخاء والاستمتاع بالخدمة الرفيعة التي نوفرها لك على متن طائرات الخطوط الجوية الكويتية إلى أي من محطات الدولية التي تزيد عن الاثنين والثلاثين . إننا نتطلع للترحيب بك قريبا في رحلاتنا .

الخطوط الجوية الكويتية

روح جديدة لخدمة متطورة

إلى أن نلتقي

الجلد بين القفا و.. الرأس

مـايكل فاي، طـالب أمـريكي عمره ١٨ عـامـا، ضبطته شرطـة سنغـافورة وهـو يقـوم بتخريب عـدد من السيارات، وسرقة أدوات من سواها، فحكمت عليه بغرامة مالية صغيرة و٦ جلدات بالخيزرانة.

.. وزلزلت أمريكا من أدناها إلى أقصاها، الـرئيس بيل كلينتون كتب شخصيا للرئيس السنغافوري ملتمسا رفع عقوبة الجلد عن الطالب المشاكس.

ولكن المفاجـأة جاءت من بلدة الطـالب نفسه التي قـالت أغلبيتها بصـوت مرتفع «اجلـدوه»!!، وفي الاستفتاء الـذي نظمتـه صحيفة البلـدة قـالت إحـدى السيـدات: «لـو أن الجلـد يطبق هنا، فعنـدئذ كنـا نضمن أن صـوت «الخيزرانة» يجعل صوتنا مسموعا لدى.. الشبان».

وبالتأكيد فإن الطالب الأمريكي مايكل فاي سوف يدخل مـوسوعة جينز باعتباره أول «مجلود» في التاريخ ينال هذه الشهرة الواسعة بحيث يتحول إلى بطل المجلودين(!).

وسائل إعلام سنغافـورة تصدت للهجمة بكل ما تملك من خيزرانات، وأعلنت أن «الجلاد» ليـس هاويا بل هو محترف، وقالت إن الحكومة سوف تدفع له مبلغ ٣ دولارات عن كل جلدة.

ولكن وسائل الإعـلام الأمريكية استغاثت بمنظمات حقـوق الإنسان، وأشفعت استغاثتها بـدراسات وضعها أطباء ومحللون نفسانيون تؤكد أن الجلد على القفا قد يؤدي إلى أن يفقد المجلود رجولته ويتحول إلى «النوع الثالث» فلا هو ذكر ولا هو أنثى.

صحف اليمين المتطرف في أمـريكا قالت إن كـرامة الأنكل سام في الميـزان، وأن يجلد أمريكي في العـالم الثالث، فالجلد يطال جميع اليانكيين، واقترح بعضهم أن يقوم الطالب نفسه بجلد قفاه حفاظا على الكبرياء القومي.

وبالطبع، ليست هناك أية شبهة حول أهميـة «القفا الأمريكي»، ولكن في هذا السياق يمكن لكثيرين من شعوب العـالم الثـالث الـذين يجلـدون على رءوسهم ليل نهار، بـل إن بعض حكـومـاتهم لا تـوفـر حتى جلـدة رءوسهم، فتسلخها!! يمكـن لهؤلاء أن يطالبوا بـدورهم منظمات حقوق الإنسـان بأن تساوي بين رءوسهم وبين ذلـك القفا المحظوظ، وعندئذ سوف يعرفون كيف يوفرون الحماية لأقفيتهم.. ومن دون مساعدة خارجية.

.. والمعذرة لهذا التشبيـه، وشكرا لأمـريكا التي تحترم أقفيـة مواطنيهـا أكثر ممـا تحترم حكـومـات أخرى رءوس أبنائها، واللعنة على من قال: لا صوت يعلو فوق صوت الخيزرانة.. أو بيت المال. □

أنور الياسين

ـضارات قديمة في
ـدنة عصرية

لا جد على ظهر المعمورة مكان آخر
يمد ـه المحافظة بصورة جميلة على
تار عريق لبلد تطور ليرحب بالزائرين
اليه

د ـبر تركيا متحف شاسع مفتوح يضم
ـد تمثل حضارات تمتد لأكثر من ٩٠٠٠
سد

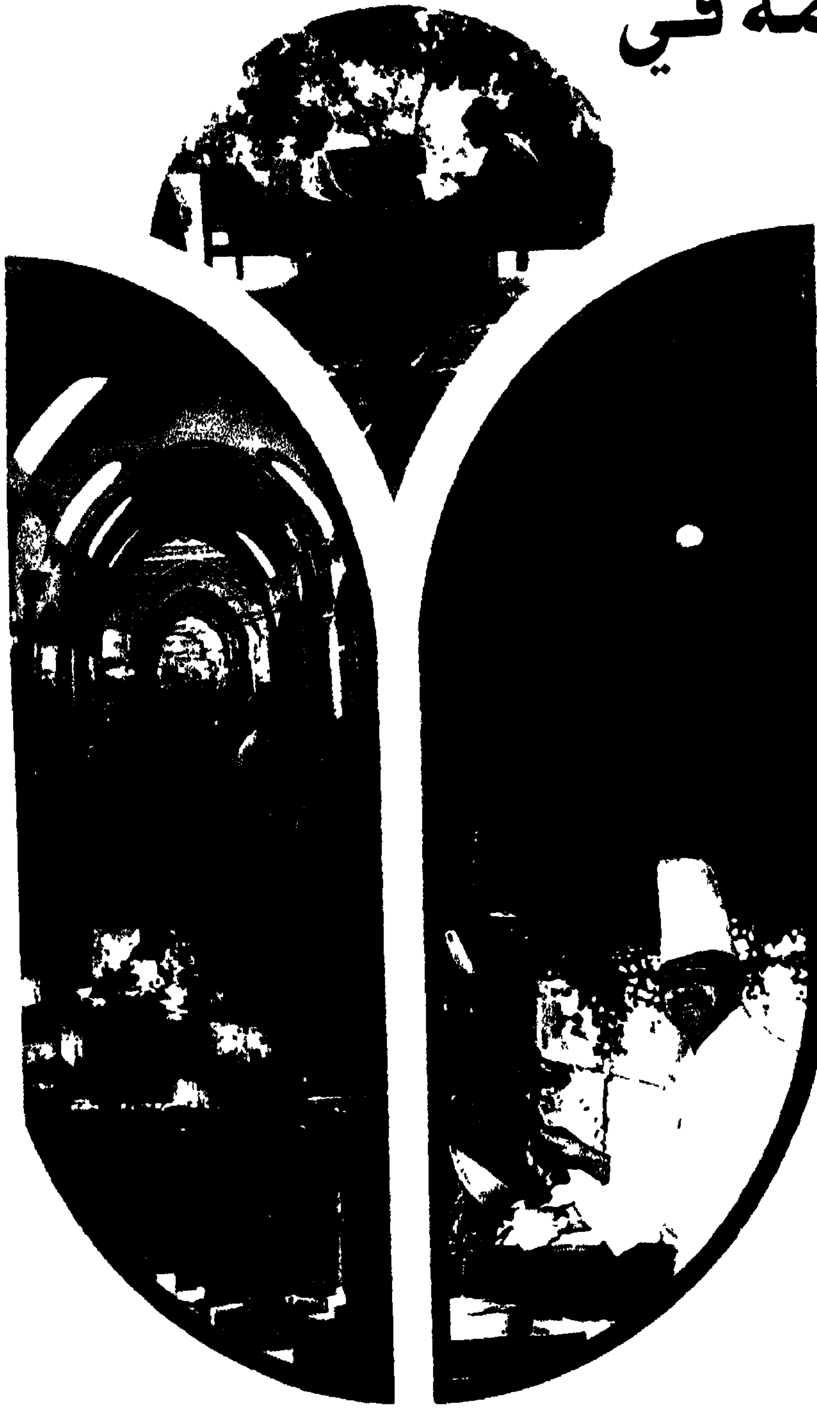
ـ دزين مناظرها ـحف معمارية رائعة فهناك تجد معابد من الرخام اقيمت للالهه، وقصور ومساجد شهيرة من عصر السلاجقة الأتراك ومنشآت معمارية معقدة التصميم أقامها العثمانيون، ومتاحف لا حصر لها مثل متاحف «ـوبكابي» و«إيفسوس» و«أفروديسياس»، وضريح أتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة.

على أية حال أن تزور تركيا هو أن تكتشف عدة عوالم.

وتجمع المطاعم ومراكز التسوق الحديثة المنتشره في مختلف المدن مثل اسطنبول وأنقرة وأزمير بين حضارات الشرق والغرب. وتمتد الشواطىء البكر ذات الرمال البيضاء لمسافة ٥٠٠٠ ميل وتطل على أربعة بحار مختلفة. وتزخر السهول الخضراء في المناطق الداخلية بالينابيع الفوّارة والشلالات والبحيرات. وهناك مساحات تمتد إلى أميال تتخللها الزهور ذات الألوان الزاهية التي أعطت مولداً لرمز تركيا الوطني: فهنا ولدت زهرة التوليب. وتوجد مجموعة كبيرة من النشاطات الثقافية والرياضية وتتوفر اماكن ممتازة للاقامة في فنادق معظمها ذات أربعة أو خمسة نجوم. لكن مع ذلك فإن الرغبة عارمة في المحافظة على التاريخ الرائع لتركيا، وتضمن القوانين المعمارية أن تعكس جميع البنايات حتى الجديد منها مدى العناية بالتراث الرائع لتركيا.

وبالنسبة للزائر، هناك الدفء الطبيعي والانفتاح الذي يشتهر به الشعب التركي.

للحصول على نشرة تفصيلية بالكامل يرجى الكتابة إلينا على صندوق بريد رقم ١٥٥١٨ الدعية ٣٥٤٥٦ الكويت او الاتصال بالهاتف على: ٢٤٢٤٢٤٨ (٩٦٥) او بالفاكس على:٢٤٢٤٢٩٨ (٩٦٥)



تركيا

جـنـة مـصـونـة

مرحباً بكم في المكتب السياحي والاعلامي التركي - الكويت، مركز الدوا التجاري، الميزانين، رقم ٧٢ هاتف ٢٤٢٤٢٤٨ (٩٦٥) فاكس ٤٢٩٨'

افاق جديدة لإخراج وثائق عربية متكاملة



العالمية